

تفسيرها

لما ختم الله سورة المائدة بآية على كل شيء تقدير افتتح سورة الانعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السموات والارض وغيره فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
النُّورَ وَالظُّلُمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِهِمْ يَعْدِلُونَ (٢) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا
مُسَمًّى عَلَيْهِمْ أَنْتُمْ تَعْتَدُونَ آيَاتِ عِزِّي شَهِيدَاتٌ حَجَازِي

الفئة

العدل خلاف الجور وعدلت بغيره أي سوجه به وعدلت عنه أي اعرضت وعدلت الشيء فاعتدلت أي
قويت فاعتصم بالأجل الوقت المضروب لانقضاه الأمد فأجل الإنسان وقت انقضاء عمره وأجل الدين عليه
وهو وقت انقضاء التأخير وأصله التأخير يقال أجله تأجيلا وعجله تعجيلا والآجل قبض العاجل والآجل متراء
الشدة وأصله من مرأت الناقة إذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن ومنه ماراه ياربعه ماراه إذا ستهلج
ما عنده بالمناظرة فالامتراء استخراج الشبهة للمشكلة من غير حل

المعنى

بدأ الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاما بأنه المستحق لجميع المحامد لأن اضول النعم وفروعها
تعالى ولأن له الصفات العلى فقال (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) يعني اختراعها بما اشتملت عليه
من صفات الصفة وبذات الحكمة وقيل إنه في لفظ الظير ومعناه الأمر أي احدهما الله وإنما جاء على صيغة
الظير وإن كان فيه معنى الأمر لأنه المبلغ في البيان من حيث إنه يجمع الأمرين وقد ذكرنا من معنى الحمد
لله وتفسيره في الفاتحة ما فيه كفاية (وجعل الظلمات والنور) يعني الليل والنهار عن السدي وجماعته من المفسرين
وقيل الخلق والنار عن قتادة وإنما قدم ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السموات قبل الارض
ثم عجب سبحانه بمن جعل له شريكا مع ما يرى من الآيات الدالة على وحدانيته فقال (ثم الذين كفروا)
أي جحدوا الحق (يبرهم يعدلون) أي يسوون به غيره بأن جعلوا له اندادا مأخوذ من قولهم ما اعدل بفلان
احدا أي لا نظير له عدي وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله ثم الذين
كفروا دليل على معنى لطيف وهو أنه سبحانه انكر على الكفار العدل بهو عجب المؤمنين من ذلك ومثله في المعنى
قوله فيما بعد ثم انتم تتدعون والوجه في التعجب ان هؤلاء الكفار مع اعترافهم بأن اصول النعم منه وأنه هو
الخالق والرازق عبدا غيره وتقضوا ما اعترفوا به وأنها فإنهم عبدوا ما لا ينفع ولا يضر من الحجاره والموات
(هو الذي خلقكم من طين) يعني به آدم والمعى انشا ابائكم واختراعه من طين وأنتم من ذريته فلما كان
آدم أصلا ونحن من نسله جاز أن يقول لنا خلقكم من طين (ثم قضى اجلا) أي صكبت وقدر اجلا والقضاء
يكون بمعنى الحكم وبمعنى الأمر وبمعنى الخلق وبمعنى الإتمام والإكمال (وأجل مسمى عنده) قيل فيه اقوال
أحدها أنه يعني بالأجلين أجل الحياة إلى الموت وأجل الموت إلى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد
ابن المسيب وقادة والضحاك واختاره الزجاج وروى أيضا عطاء عن ابن عباس قال قضى اجلا من مولده إلى

بما أنه وأنبل مسمى عنده من المات إلى البعث لا يعلم ميقاته أحد سواه فإذا كان الرجل صالحاً وأصل لرحمه زاد الله له في أجل الحياة ونقص من أجل المات إلى المبعث وإذا كان غير صالح ولا واصل نقضه الله من أجل الحياة وزاد في أجل البعث قال وذلك قوله وما يمسر من ممصر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ﴿ وثانيها ﴾ أنه الأجل الذي يحيا به أهل الدنيا إلى أن يموتوا وأجل مسمى عنده يعني الآخرة لا بأجل دائم تمدود لا آخر له وإنما قال مسمى عنده لأنه مكتوب في الوح المحفوظ في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجاني وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد ﴿ وثالثها ﴾ أن أجل يعني به أجل من مضى من الخلق وأجل مسمى عنده يعني به آجال الباقيين عن أبي مسلم ﴿ ورابعها ﴾ أن قوله قضى أجل عني به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع إلى صاحبه عند القيظة وأجل مسمى عنده هو أجل موت الإنسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيده قوله ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى والأصل في الأجل هو الوقت فأجل الحياة هو الوقت الذي يكون فيه الحياة وأجل الموت هو الوقت الذي يحدث فيه الموت أو القتل وما يعلم الله تعالى أن المكلف يعيش إليه لو لم يقتل لا يسمى أجل حقيقة ويميز أن يسمى ذلك مجازاً وما جاء في الأخبار من أن صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وإن الله تعالى زاد في أجل قوم يونس وما أشبه ذلك فلا مانع من ذلك وقوله (ثم اتهم تمترون) خطاب للكفار الذين شكوا في البعث والنشور واحتجاج عليهم بأنه سبحانه خلقهم وخلقهم من حال إلى حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقولون بأنه لا محيص منه ثم يبد هذا يشكون وينكذبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي أن يشك في أنه يصح منه إعادةهم ويعتبرهم

قوله تعالى (٣) وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (آية)

﴿ الإعراب ﴾

هو الأشبه أن يكون ضمير القصة والحديث وتقديره الأمر الله يعلم في السموات وفي الأرض سركم وجهركم فالله مبتدأ ويعلم خبره وفي السموات وفي الأرض في موضع نصب يعلم سركم وجهركم مفعول أيضاً ولا يكون الظرف الذي هو الجار والمجرور منصوب بالمصدر وإن جعلنا الظرف متعلقاً باسم الله جاز في قياس قول من قال إن أصل الله الأكله فيكون المعنى هو المعبود في السموات وفي الأرض يعلم وتقديره الأمر المعبود في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ومن جعل اسم الله بجزء اسم الأعلام فلا يجوز أن يتعلق الظرف به إلا أن يقدر فيه ضرباً من معنى الفعل ويجوز أن يكون هو مبتدأ والله خبره والعامل في قوله في السموات وفي الأرض اسم الله على ما قلناه ويجوز أن يكون خبراً ببد خبر

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم) فيه وجوه على ما ذكرناه في الإعراب فلي التقدير الأول يكون معناه الله يعلم في السموات وفي الأرض سركم وجهركم ويكون انطباع لجميع الخلق لأن الخلق إما أن يكونوا ملائكة فهم في السماء أو بشر أو جنات فهم في الأرض فهو سبحانه عالم بجميع أسرارهم وأحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه منها شيء وقوله يعلم ما تكسبون أي يعلم جميع ما تعملونه من الخير والشر فيجازيكم على حسب أعمالكم وعلى التقدير الثاني

يكون معناه ان المعبود في السماوات وفي الارض او المتفرد بالتدبير في السماوات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فلا تخفى عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبني آدم وان جلت اسم الله علما على هذا التقدير ثم عقلت به قوله في السماوات او في الارض لم يميز وان علقته بمخوف يكون خبر الله او حالا عنه او هم بأن يكون الباري سبحانه في محل تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال ابو بكر السراج ان الله وان كان اسما علما فبفه معنى الثناء والتعظيم الذي يقرب بهما من الفعل فيجوز ان يوصل لذلك بالحل وتاويله وهو المظلم او نحو ذافي السماوات وفي الارض ثم قال يعلم سركم وجهركم ومثل ذلك قوله سبحانه وهو الذي في السماء لهو في الارض له قال الزجاج فلو قلت هو زيد في البيت والدار لم يميز الا ان يكون في الكلام دليل على ان زيدا يدبر امر البيت والدار فيكون المعنى هو المدير في البيت والدار ولو قلت هو المعتضد والخليفة في الشرق والغرب او قلت هو المعتضد في الشرق والغرب جاز وعلى مقتضى ما قاله ابو بكر والزجاج يكون في متعلقه جادل عليه اسم الله ويكون هو الله مبتدأ او خبرا والمعنى وهو المتفرد بالآلية في السماوات وفي الارض لا له فيها غيره ولا مدير لها سواء وان جلت في السماوات خيرا بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو في السماوات وفي الارض يعني انه في كل مكان فلا يكون الى مكان اقرب منه الى مكان ثم اخبر سبحانه عن هذا المعنى مبيها لذلك موكد كما بقوله يعلم سركم وجهركم اي الخفي المكنوم والظاهر المكشوف منكم (ويعلم ما تكسبون) والمعنى يعلم نياتكم واحوالكم واعمالكم وهذا الترتيب الذي ذكرته في معاني هذه الآية التي استنبطتها من وجود الاعراب مما لا يسوق اليه وهو في استقامة فصوله ومطابقة اصول الدين كما تراه لا اعتبار عليه وفيه دلالة على فساد قول من يقول بان الله تعالى في مكان دون مكان تعالى عن ذلك وتقدس وفي قوله يعلم سركم وجهركم دلالة على انه عالم لنفسه لأن من كان علما يعلم لا يصح ذلك منه

قوله تعالى (٤) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ آيَات

❦ الاعراب ❦

من الأولى مزبدة وهي التي تقع في النفي لاستعراق المجلس وموضه رفع والثانية للتبسيط

❦ المعنى ❦

ثم اخبر سبحانه عن الكفار المذكورين في اول الآية فقال (وما تأتئهم من آية) أي لا تأتئهم حجة (من آيات ربهم) أي من حجة وبيانه كاشفات القمر وآيات القرآن وغير ذلك من المعجزات (إلا كانوا عنها معرضين) لا يقولونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحده وصدق رسوله (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) اي بالحق الذي اتاهم به محمد (ص) من القرآن وسائر امور الدين (فسوف يأتيهم انباء) اي اخبار (ما كانوا به يستهزئون) والمعنى اخبار استهزأواهم وجزأوه وهو عقاب الآخرة وقيل معناه سيعلمون ما يقولون اليه استهزأواهم عن ابن عباس والحسن وبه قال الزجاج ومعنى الاستهزاء بهم التفتيح في معنى التحقير قوله تعالى (٦) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَكُنْ لَكُمْ وَاوَسَاتُنَا السَّيِّئَاتِ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَذُرُّونَ

وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ آية

* اللغة *

القرن اهل كل عصر مأخوذ من اقترانه في العصر قال الزجاج والقرن ثمانون سنة وقيل سبعون سنة قال والذي يقع عندي ان القرن اهل كل مدة كان فيها نبي او كان فيها طبقة من اهل العلم قاتت السنون او كثرت والدليل عليه قول النبي (ص) خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والتمكين اعطاه ما به يصح الفعل كأننا ما كان من آله وغيرها والاقطار اعطاء القدرة خاصة ومفعول من اسماه المبالغة يقال ديمة مدرار اذا كان مطرها غزيرا دارا وهذا قولهم امرأة مذكارة اذا كانت كثيرة الولادة تقلد كوروك كذلك مثاث في الاناث واصل المدرار من در الابن اذا اقبل على الخالب منه شي كثير ودرت السماء اذا امطرت والدر اللبن ويقال لله دره اي عمله وفي التمث لا در دره اي لاكثر خبره

* الاعراب *

كم نصب باهلكنا لا بقوله يروا لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو تعليق ومعنى التعليق ان الاستفهام ابطال عمل يرى في اللفظ وقد عمل في منناه وانتقل من الخبر الى الخطاب في قوله ما لم تمكن لكم اسعافا في الكلام وقد قال مكانهم في الأرض وانما لم يقل ما لم تمكنكم لأن العرب تقول مكنته ومكنت له كما تقول نصحتك ونصحت له

* المعنى *

ثم حذرهم سبحانه ما نزل بالأمم قبلهم فقال (الم يروا) أي ألم يعلم هؤلاء الكفار دكم اهلكنا من قبلهم من قرن) أي من أمة وكل طبقة مقترنين في وقت قرن (مكانهم في الأرض ما لم تمكن لكم) معناه جعلناهم ملوكا وأنشأنا كأنه سبحانه اخبر النبي عنهم في صدر الكلام ثم خاطبه معهم وقال ابن عباس يريد اعطيتهم ما لم تعطكم والمعنى وسعنا عليهم في كثرة العبيد والاموال والولاة باليسطة وطول العمر ونفاذ الامر وانتم تسمعون اخبارهم وترون ديارهم وآثارهم (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) قال ابن عباس يريد به التيف والبرصكة والسماء معناه المطر هنا (وجعلنا الانهار) أي ماء الانهار (تجري من تحتهم) فأهلكناهم بنوهم (ولم ينش ذلك عنهم شيئا لما طغوا واجترأوا علينا) وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (اي خلقنا من بعد هلاكهم جماعة اخرى وفي هذه الآية دلالة على وجوب التفكير والتدبير واحتجاج على منكري البعث بأن من اهلك من قبلهم وأنشأ قوما آخرين قادر على ان يفتي العالم وينشئ عالما آخر وسيد الخلق بعد الافناء

قوله تعالى (٧) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ آية

* النزول *

نزلت في نضر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسول الله الكلي

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن عنادهم فقال (ولو انزلنا عليك) يا محمد (كتابا في قرطاس) اي كتابة في صحيفة وأزاد بالكتاب المصدر وبالقرطاس الصحيفة وقيل كتابا معلقا من السماء الى الأرض عن ابن عباس (فلمسوه بأيديهم) فماتوا ذلك معاينة ومسوه بأيديهم عن قتادة وغيره قالوا اللبس باليد البغ في الاحساس من المعاينة ولذلك قال فلمسوه بأيديهم دون ان يقول فماتوه (قال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) اخبر سبحانه انه يذوقون الدليل حتى لو اتاهم الدليل مدركا بالحنس لنسبوا ذلك الى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الآية دلالة على ما يقوله اهل العدل في اللطف لانه تعالى يبين انه انما يفعل ما سألوه حيث علم انهم لا يؤمنون عنه

قوله تعالى (٨) لَوْ اَنْزَلْنَا عَلَيَّ مَلَكٌ لَقَضَىٰ اَمْرُكُمْ لَآ يَنْظُرُونَ (٩) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (١٠) وَلَقَدْ اَسْتَهْزَؤْا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَقَّاقَ بِالَّذِينَ سَخَّرَوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ثلاث آيات

﴿ الفة ﴾

قال الزجاج قضي في الفة على ضرب كذا يرجع الى معنى انقطاع الشيء وقامه وقد ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة عند قوله اذا قضى امرا فانا يقول له كن فيكون يقال ليست الامر على التوم البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا قال ابن السكيت يقال لبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى اللبس منع النفس من ادراك الشيء كما هو كاستر له واصله من الستر بالثوب وهو ليس الثوب لانه ينستر النفس يقال ليست الثوب البسه لباسا ولبسا والحق ما يشتمل على الانسان من مكروه فله يقال حاق بهم يحن حقا وحيوا وحقا فاقطع الياء

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا (لولا) اي هلا انزل عليه اي على محمد (ملك) شاهده فصدقه ثم اخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال (ولو انزلنا ملكا) على ما اقترحوه لما آمنوا به واقتضت الحكمة استصحابهم وان لا ينظم ولا يهملهم وذلك معنى قوله (قضى الامر ثم لا ينظرون) اي لا هلوكوا بنذاب الاستئصال عن الحسن وقاتدة والسدي وقيل مناه لو انزلنا ملكا في صورته قامت الساعة أو وجب استئصالهم عن مجاهد ثم قال تعالى (ولو جعلناه ملكا) اي لو جعلنا الرسول ملكا أو الذي ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك (لجعلناه رجلا) لانهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن اعين الخلق تحاد عن رؤية الملائكة الا بعد التجسم بالاجسام الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس وكان جبرائيل يأتي النبي (ص) في صورة دحية الكلبي وكذلك نبا الخصم اذ تسودوا المحارب وإتيانهم ابراهيم ولوطا في صورة الضيفان من الآدميين (ولبسا عليهم ما يلبسون) قال الزجاج كانوا هم يلبسون على صفة منهم في أمر النبي فيقولون انما هذا بشر مثلكم فقال لو انزلنا ملكا فافروا هم الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق قسمة منهم اي فانا طلبوا حال ليس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بأن الذي طلبوه

لا يزيدكم بيانا بل يكون الأمر في ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه ولو ازلنا ملكا لا عرفوه الا بالتفكر وهم لا يتفكرون فيقولون في اللبس الذي كانوا فيه فاضاف اللبس الى نفسه لانه يقع عند ازالته الملائكة ثم قال سبحانه على سبيل التسلية لئلا يمتنعوا عن التفكير كما هو استهزائهم به (ولقد استهزئ برسل من قبلك) يقول لقد استهزأت الأمم الماضية برسلكم كما استهزأتكم فقلت بأول رسول استهزئ بولاهم اول امة استهزأت برسولها (فحاق بالذين خسروا منهم) اي فحل بالسافرين منهم (ما كانوا يستهزون) من وعيد انبيائهم باجل العقاب في الدنيا وقيل معنى حاق بهم احاط بهم عن الضحك وهو اختيار الزجاج اي احاط بهم العذاب الذي هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف اذا جعلت ما في قوله ما كانوا به يستهزون عبارة عن القرآن والشرية وان جعلت ما عبارة عن العذاب الذي كان يوعدهم به النبي ان لم يؤمنوا استغثت عن تقدير حذف المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذي كانوا يستهزون من وقوعه

قوله تعالى (١١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ
(١٢) قُلْ لَنْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ قَدْ كُتِبَ عَلَى نَفْسِي الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٣) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْبَلْبِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثَلَاثُ آيَاتٍ)

الاعراب

قال الأخفش الذين خسروا أنفسهم بدل من الكفاف والميم في ليجمعكم وقال الزجاج هو في موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لأن ليجمعكم مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا أنفسهم وخبرهم قال واللام في ليجمعكم لام قسم فجاز أن يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استأنف قال ليجمعكم والمعنى والله ليجمعكم وجاز أن يكون ليجمعكم بدلا من الرحمة مفسرا لما لأنه لا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمة بأنه يجمعهم الى يوم القيامة ليتوبوا

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه (ص) قال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (سيروا في الأرض) أي سافروا فيها (ثم انظروا) والنظر طلب الإدراك بالبصر والتفكر والاستدلال ومعناه هنا فانظروا بانصاركم تفكروا بقلوبكم (كيف كان عاقبة المكذبين) المستهزئين وانما امرهم بذلك لأن ديار المكذبين من الأمم السالفة كانت باقية واخبارهم في الخلف والهلاك كانت شائعة فإذا سار هؤلاء في الأرض وسمعوا اخبارهم وعلموا انهم آتاهم دعاء ذلك الى الإيمان وزجرهم عن الكفر والفسق انهم قالوا قل يا محمد هؤلاء الكفار (لن مآ في السموات والأرض) الله الذي خلقها ام الاصنام فإن اجابوك قالوا الله والا (قل) انت (الله) اي ملكها وخلقها وتصرف فيها كيف يشاء له (كتب على نفسه الرحمة) اي اوجب على نفسه الانعام على خلقه وقيل معناه اوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل اوجب على نفسه الرحمة بانظاره عباده وامهاله ايامهم ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا عن معاصيهم وقيل اوجب على نفسه الرحمة لآمة محمد بأن لا ينفذه عند التكذيب كما عذب من قبله من الأمم الماضية والقرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم الى يوم القيامة

عن الكلبي (ليجمعنكم الى يوم القيامة) اي " لو اُخزن جميعكم الى يوم القيامة فيكونون " تفسيراً للرحمة على ما ذكرناه ان المراد به امهال العاصي ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور ويقول ليجمعنكم الى اليوم الذي انكتموه كما تقول جمع هؤلاء الى هؤلاء اي ضمنت بينهم في الجمع يريد بجمع آخركم الى اولكم قرناً بعد قرن (الى يوم القيامة) وهو الذي (لا ريب فيه) وقيل مناه ليجمعن هؤلاء المشركين (الذين خسروا انفسهم) الى هذا اليوم الذي يصحونه ويكفرون به عن الانخض ويسأل عن هذا فيقال كيف يجذر المشركين بالبعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الإلزام وايضا فإنه تعالى لما ذكر ذلك عقيب الدليل وقال كيف نفى الرب مطلقا فقال لا ريب فيه والكافر مرتاب فيه والجواب ان الحق حق وان ارتاب فيه للبطل وايضا فإن الدلائل تزيل الشك والريب فإن نعم الدنيا نعم المحسن والمسي فلا بد من دار يتميز فيه المحسن من المسي وايضا فقد صرح ان التكليف نمرض للثواب واذا لم يمكن ايهال الثواب في الدنيا لأن من شأنه ان يكون صافيا من الثواب فلا يكون مقترنا بالتكليف لأن التكليف لا يعرى من المشقة فلا بد من دار اخرى وايضا فإن التمكن من الظلم من غير انصاف في الساجل وانزال الامراض من غير استحقاق ولا ابقاء عوض في الساجل توجب قضية العقل في ذلك ان يكون دار اخرى توفى فيها الاغراض ويتصف من المظلوم للعالم (الذين خسروا انفسهم) اي اهلكوها بارتكاب الكفر والناد (فهم لا يؤمنون) اي لا يصدقون بالحق ولما ذكر تعالى ملك السموات والارض عتبه بذلك ما فيها قال (وله ما سكن) اي وله كل متسكن ساكن (في الليل والنهار) خلقا وملكا وملكا وانما ذكر الليل والنهار هنا وذكر السموات والارض فيما قبل لأن الاول يجمع المكان والثاني يجمع الزمان وهما طرفان لكل موجود فكانه اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكن في الآتية ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن الاعرابي انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا اي يحل به وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقيل مناهما سكن في الليل للاستراحة وتحرك في النهار للمعيشة وانما ذكر الساكن دون المتحرك لأنه اعم واكثر ولأن عاقبة التحرك السكن ولأن النعمة في السكن اكثر والراحة فيه اعم وقيل اراد الساكن والمتحرك وتديره وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر احد وجهي الشيء وتحذف الآخر لأن المذكور ينه على المحذوف كتوبه تعالى سرايل تقيم الحروب والمراد الحروب والبرود متى قيل لماذا ذكر السكن والحرك كتمن بين سائر المخلوقات فالجواب لما في ذلك من التنبيه على حدوث العالم واثبات الصانع لأن كل جسم لا يتفك من الحوادث التي هي الحركة والسكون فإذ لا بد من محرك ومسكن لاستواء الوجهين في الجواز ولما نه على اثبات الصانع عتبه بذلك صفته فقال (وهو السميع العليم) والسميع هو الذي على صفة يسمع لاجلها ان يسمع السموعات اذا وجدت وهو كونه حيا لا آفة به ولذلك يوصف به فيما لم يرزل والسميع هو العالم بوجوه التدابير في خلقه وبكل ما يصح ان يعلم وانما جعل الليل والنهار في هذه الآية كالمسكن لما اشتغلا عليه لأنه ليس يخرج منهما شي فجمع كل الاشياء بهذا اللفظ القليل الحروف وهنا من افصح ما يمكن كما قال النابتة

وان خلت ان المنتأى عنك واسع

فإنك كالليل الذي هو مدركي
فصل الليل مدركا له إذ كان مشتتلا عليه

قوله تعالى (١٤) قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَتَخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٥) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (آيَاتان)

﴿ القراءة ﴾

روي في الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا يطعم بفتح الياء ومعناه ولا يأكل

﴿ اللفظ ﴾

الفطرة ابتداء الخلقة قال ابن عباس ما كنت ادري معنى الفاطر حتى احكم لي اعرابيان في بئر قال احدهما انا فطرنا اي ابتدأت حفرها واصل الفطر الشق ومنه اذا الساء انفطرت اي انشقت قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق قيل انها يرجعان الى شيء واحد لأن معنى فطرهما ختقهما ختقا قاطعا

﴿ الاعراب ﴾

غير نصب لأنه مفعول اتخذ وليا مفعول ثان وقوله إن عصيت ربي فيه وجهاً أحدهما انه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالاقسام فلي هذا لا موضع له من الاعراب والاخر انه في موضع نصب على الجلال فكأنه قيل اني اخاف عاصيا ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفاً على الوجهين جميعاً

﴿ التبرؤل ﴾

قيل ان اهل مكة قالوا الرسول الله يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا انه لا يملك على ذلك الا الفتر فانما نضع لك من امواتنا حتى تكون من اغناننا عزلت الآية

﴿ المعنى ﴾

(قل) يا محمد هو لا المشركين الذين سبق ذكرهم (اغير الله اتخذ وليا) اي مالكا ومولى وولي الشيء مالكة الذي هو اولي به من غيره والمعنى لا اتخذ غير الله وليا الا ان اخراجه على لفظ الاستفهام المبلغ من سائر الفاظ النفي (فاطر السموات والارض) اي خالقها ومنشعها من غير احتذاء على مثال (وهو يطعم ولا يطعم) اي يرزق ولا يرزق والمراد يرزق الخلق ولا يرزقه أحد وقيل انما ذكر الاطعام لأن حاجة البعاد اليه اشد ولأن نفيه عن الله ادل على نفي شبهة بالخلقين لأن الحاجة الى الطعام لا يجوز الا على الاجسام واحتج سبحانه بهذا على الكفار لأن من خلق السموات والارض وانشأ ما فيها واحكم تديرها واطعم من فيها وهم كفراء اليه معلوم انه الذي ليس كمثل شيء وهو القادر القاهر الذي الحي فلا يجوز لمن عرف ذلك ان يبدع غيره (قل) يا محمد (اني امرت) اي احسني ربي (أن اكون اول من اسلم) اي اسلم لا أمر الله ورضي بحكمه وقيل معناه امرت اذا كونا لول من اخلص العباد من اهل هذا الزمان عن الكلبية وقيل اول من اسلم من امتي وأمن بعد الفترة من الحسن وانما كان اول لأنه خص بالرحي وقيل معاناه اكون اول من خضع وأمن وعرف الحق من قومي وان اترك ما هم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانه تب اليك وانا اول المؤمنين اي بانك لا ترى ممن سابقك ان تبه نفسك وقول السحرة انا نطعم

ان ينفر لنا وينا خطايانا ان كنا اول المؤمنين بأن هذا ليس يسحر وانه الحق اي اول المؤمنين من السحرة (ولا تكونن من المشركين) المسمى امرت بالامرين جميعا اي امرت بالابان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين وصار امرت بدلا من ذلك لانه حين قال امرت اخبر انه قيل له ذلك قوله ولا تكونن مطوف على ما قبله في المعنى (قل) يا محمد (اي اخاف) قيل معناه لو فقه واعلم وقيل هو ممن انطوى (ان عصيت ربي) بترك امره وترك نهيه وقيل بعبادة غيره وقيل بانخاذ غيره وليا لعذاب يوم عظيم) يعني يوم القيامة ومعنى العظيم هنا انه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم

قوله تعالى (١٦) مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ رَجِيحُهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ آيَةٌ

﴿القراءة﴾

قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وابوبكر عن حاصم من يصرف بفتح الياء وكسر الراء الباقون يصرف بضم الياء وفتح الراء

﴿الحجة﴾

قال ابو علي فاعل يصرف الضمير العائد الى ربي وينبغي ان يكون حذف الضمير العائد الى العذاب والمعنى من يصرفه عنه وكذلك في قراءة ابي فيا زعموا وليس حذف هذا الضمير باسهل وليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة لأن من جزاء ولا يكون صلة على ان الضمير انما يحذف من الصلة اذا عاد الى الموصول نحو اهدنا الذي بخت الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى اي بشهم واصطفاهم ولا يعود الضمير المحذوف هنا الى موصول ولا الى من التي الجزاء وانما يرجع الى العذاب في قوله عذاب يوم عظيم وليس هنا بمنزلة قوله والمخاضين فروجهم والمخاضات لأن هذا فعل واحد قد تكرر وعدي الأول منها الى المفعول فلم يندفع الأول ان الثاني بمنزلة وأما قراءة من قرأ يصرف فالمستداليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره والذكر العائد الى المتدأ الذي هو من في القراءة بين جميعا الضمير الذي في عنه وما يقوي قراءة من قرأ يصرف بفتح الياء ان ما بعده من قوله قد رجه مستند الى ضمير اسم الله تعالى فقد اتفق الضالان في الإسناد الى هذا الضمير وما يقوي ذلك ايضا ان الهاء المحذوفة من يصرفه لما كانت في حيز الجزاء وكان ما في حيزه في أنه لا يتسلط على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في أنه لا يجوز ان يتسلط على الموصول فحين حذف الهاء منه كما حسن حذفها من الصلة

﴿المعنى﴾

(من يصرف) العذاب (عنه) يومئذ قد رجه) الله يريد من عقر له فإنه يشبه الله لا محالة وذكر سبحانه الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه ليس له الا يصرف العذاب عنه فقط (وذلك الفوز) اي الظفر بالنية (المبين) الظاهر المبين ويحتمل ان يكون معنى الآية انه لا يصرف العذاب عن أحد الا برحمة الله كالروي ان النبي (ص) قال والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بدمه قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتصدقني الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق رأسه وطول بها صوته وواه الحسن في تفسيره قوله تعالى (١٧) وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصِيرَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَسْأَلْكَ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرْهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ آياتان

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه أنه لا يملك النفع والضرا لا هو قال (وإن يمسك الله بضر) أي إن يمسك بضر أو مرض أو مكروه (فلا تأسف له إلا هو) أي لا مزيل ولا مفرج له عنك لا هو ولا يملك كشفه سواء ما يبدد المشرقون (وإن يمسك بضر) أي وإن يضيق بنى أو سمة في الرزق أو صفة في البدن أو شيء من محاب الدنيا (فهو على كل شيء) من الخير والضر (قدير) ولا يقدر أحد على دفع ما يريد إبعاده من مكروه أو محبوب فإن قيل إن المس من صفات الأجسام فكيف قال إن يمسك الله قلنا الباء للتحديد والمراد إن أمسك الله خيراً أو سيئاً جعل الضر يمسك فاعل للضر وإن كان في الظاهر قد اسند إلى اسم الله تعالى والضر اسم جامع لكل ما يضر به من المكروه كما أن الخير اسم جامع لكل ما ينفع به (وهو القاهر) ومناه القادر على أن يغير غيره (فوق عباده) معنى فوق معنا قهره واستعلاؤه عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله بما علامهم من الاقتدار الذي لا ينفك منه أحد ومثله قوله تعالى يد الله فوق أيديهم يريد أنه أقوى منهم (وهو الحكيم الخبير) معناه أنه مع قدرته عليهم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والخير العالم بالشيء وتأويله أنه العالم بما يصح أن يغيره وأخبر عذك بالشيء قول لي به خبر أي علم واصله من أظفر لأنه طريق من طرق العلم فإذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صرح وصفه سبحانه في العالم بطل بأنه قاهر وقال بعضهم لا يسى قاهراً أبداً إن يغير غيره فلي هذا يكون من صفات الأفعال فلا يصح وصفه في العالم بطل به

قوله تعالى (١٩) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلَهِ أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بِرُبِّكُمْ شَكُورٌ (٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَشْرُقُونَهُ كَمَا يَشْرُقُونَ آبْنَاهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ آيَات

— الأعراب —

شهادة نصب على التمييز ومن بلغ في محل نصب بالافتقار والمائد إلى الموصول محذوفوا تكم كتب بالياء لأن الهمزة تأتي قبلها همزة تخفيف بأن تجعل بين يمين فإذا كانت مكسورة تجعل بين الهمزة والياء فكتب بالياء الذين آتيناهم الكتاب رفع بالابتداء ويرفعونه خبره الذين خسروا أنفسهم رفع بكونه نعتا للذين الأولى ويجوز أن يكون رفعاً بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره

﴿ النزول ﴾

قال الكلبي أتى أهل مكة رسول الله (ص) فقالوا أما وجد الله رسولا غيرك ما ترى أحداً يصعدك فيما تقول ولقد سألتنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر فأرانا من يشهد أنك رسول الله كما نزعهم فنزل الله تعالى هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(قل) يا محمد لو لاء الكفار (أي شيء) أي أعظم (شهادة) وأصدق حتى آتيكم به وأدلكم بذلك على أنه صادق وقيل معناه أي شيء أكبر شهادة حتى يشهد لي بالبلاغ وعليكم بالكذب عن الجاني وقيل

منه أي شيء أعظم حجة وأصدق شهادة عن ابن عباس فإن قالوا الله والأهل لهم (الله) شهيد بيني وبينكم يشهد لي بالرسالة والنبوة وقيل مناه يشهدني بتبليغ الرسالة إليكم وتكذيبكم أبائي (وأوحى إلي هذا القرآن) أي أنزل إلي حجة أو شهادة على صدقي (لا تذركم) أي لا خوفكم به من عذاب الله تعالى (ومن بلغ) أي ولا خوف به من بلنه القرآن إلى يوم القيامة وروى الحسن في تفسيره عن النبي (ص) أنه قال من بلنه أني ادعوا إلى أن لا إله إلا الله قد بلنه يعني بلفظه الحجة وقامت عليه وقال محمد بن كعب من بلنه القرآن فكاننا رأي محمد وأسمع منه وقال مجاهد حيث ما يأتي القرآن فهو داعر ونذير وقرأ هذه الآية وفي تفسير البياضي قال أبو جعفر وأبو عبد الله (ع) من بلغ مناه من بلغ أن يكون إماما من آل محمد فهو يندر بالقرآن كما اندر به رسول الله (ص) وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ في موضع رفع عطفا على الضمير في أندروني الآية دلالة على أن الله تعالى يجوز أن يسمى شيئا لأن قوله قل أي شيء أكبر شهادة جاء جوابه قل الله ومعنى الشيء أنه ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فله سبحانه شيء لا كالأشياء بمعنى أنه معلوم لا كالمعلومات التي هي الجواهر والأعراض والاشترائك في الوجود لا يوجب التماثل وفي قوله ومن بلغ دلالة على أنه خاتم الأنبياء ومبعوث إلى الناس كافة ثم قال سبحانه موضحا لهم قل يا محمد لهم (أنكم تشهدون أن مع الله ألهة أخرى) هذا لجهلهم مناه المجد والإيمان وتقديره كيف تشهدون أن مع الله ألهة أخرى بعد وضوح الأدلة وقيام الحجة بوحداية الله تعالى وإنما قال أخرى ولم يقل آخر لأن الآلهة جمع والجمع مؤنث فهو كقوله والله الأسما الحسن وقوله فابال أقرون الأولى ولم يقل الأولى ثم قال سبحانه لنبيه (قل) أنت يا محمد (لا أشهد) بثل ذلك ولف شهدت بالثبات الشريك لله بعد قيام الحجة بوحداية الله تعالى والشاهد هو المبين للدهري الذي تم قال (قل) يا محمد لمن شهد أن معه ألهة أخرى (إنها هو إله الواحد) وأنتي بريء مما تشركون) به وبعبادته من الأوثان وغيرها ولهذا قال أهل العلم يستحب لمن أسلم ابتداء أن يأتي بالشهادتين ويترأ من كل دين سوى الإسلام ثم ذكر سبحانه أن الكفار بين جاهل ومماند فقال (الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) وهذا مفسر في سورة البقرة (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) مفسر في هذه السورة فإن حملته على أنه صفة للذين الأولى فالعني به أهل الكتاب وإن حملته على الابتداء فإنه يتناول جميع الكفار وقال أبو حمزة الثعالبي لما قدم النبي (ص) المدينة قال عمر لعبد الله ابن سلام إن الله تعالى أنزل على نبيه (ص) أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام تعرف نبي الله بالثمة الذي نعمة الله إذا رأينا فيكم كما يعرف أهدنا أنه إذا رأينا بين الظلمان وأيم الله الذي يصف به ابن سلام لا نأحمد أشد معرفة مني بابني فقال له كيف قال عبد الله عرفنا بآية الله تعالى كتابا فاشهدناه فما أبا بني في لا ادري ما أخذت أمه فقال قد وثقت وصدقت وأصبحت

قوله تعالى (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِثَامًا تَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيْنُ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ آيات

﴿ القراءة ﴾

ويوم يحشرهم ثم يقول بالياء فيها قراءة يعقوب وحده وكذلك في الفرقان وفي ساء وقرى في سائر القرآن
بالتون وقرأ حفص هنا وفي يونس بالتون وفي سائر القرآن بالياء وقرأ أبو جعفر وابن كثير في الفرقان بالياء
وفي سائر القرآن بالتون وقرأ الباقون بالتون في جميع القراءات

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء رده الى الله في قوله على الله كذا ومن قرأ بالتون ابتداء والياء في المنى صكانون

﴿ الاعراب ﴾

يوم نحشرهم الباعل فيه عذوف على معنى واذكر يوم نحشرهم وقيل إنه معطوف على عذوف كأنه قيل
لا يفلح الظالمون أبدا ويوم نحشرهم والباعد الى الموصول عذوف من الذين كنتم تزعمون وتقديره تزعمون
انهم شركاء او تزعمونهم شركاء تخذف مفعولي الزعم لدلالة الكلام وحالة السؤال عليه

﴿ المنى ﴾

ثم بين سبحانه ما يلزمهم من التوبخ والتحجج بالاشراك فقال (ومن أظلم من اقترى على الله كذبا)
معناه ومن أكثر من اختلق على الله كذبا فأشرك به الالهة عن ابن عباس وهذا استغفام معناه إنه لم يجد أي
لأحد أظلم منه لأن جوابه كذلك فكفى من الجواب بما يدل عليه او كذب بآياته أي بالقرآن ويوم يحشد
ومميزاته (انه لا يفلح الظالمون) أي لا يفوز بركة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار الظالمون
والظالم همنا هو الكافر بنبو محمد (ص) المكذب بآياته الجاحد لما يقوله ما نصب الله آية على نبوته (ويوم
نحشرهم جميعا) عني يوم من قدم ذكرهم من الكفار لأنه سبحانه يحشرهم يوم القيامة من قبورهم
الى موضع الحساب (ثم قول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) اختلف في وجه هذا
السؤال فقيل ان المشركين اذا رأوا تجاوز الله تعالى عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض اذا مثلتم هؤلاء
انا موحدون فلما جميعهم الله قال لهم اين شركاؤكم ليطلعوا ان الله يعرف انهم أشركوا به في دار الدنيا وانه لا ينصم
الكتاب من مقاتل وقيل ان المشركين كانوا يزعمون انهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيامة أين شركاؤكم
الذين كنتم تزعمون انها تشفع لكم توبيخا لهم وتبيكيتا على ما كانوا يدعون عن أكثر المشركين وإنا أضاف
الشركاء اليهم لأنهم اتخذوها لأنفسهم ومعنى تزعمون تكذبون قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب
وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب الجبر وعلى إثبات المبدأ وحشر جميع المخلوقين
قوله تعالى (٢٣) ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فَتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مِنْكُمْ مَشْرِكِينَ (٢٤) أَنْظُرْ

كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ آياتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابو عمرو وابو بكر عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرأ ابن كثير
وابن عاصم وابن عامر وحفص ثم لم تكن بالياء ايضا فتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ثم لم يكن
بالياء فتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف والله دينا بالنصب وقرأ الباقون بالجر

﴿ الحجة ﴾

من قرأ تكن بالياء فتنتهم بالنصب فإنه أثبت ان قالوا لما كان القول التثنية في المنى كقائل فله عشر أمثاله

فأنت الامثال لما كانت في المعنى الحسنات وما جاء في الشعر قول لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عودت اقداما

فأنت الانعام لما كانت العادة في المعنى قال الزجاج ويعجز ان يكون تاويل إلا ان قالوا الا ما قلنا ومن قرأ لم تكن بالنا فتنتهم وهذا أثبت علامة التأنيث في الفعل المسند الى الفتنة والفتنة مؤنثة وعلى هذه القراءة يكون قوله إلا ان قالوا في موضع نصب بكونه خبر كان ومن قرأ لم يكن بالياء فتنتهم نمبا فعلى ان قوله ان قالوا اسم كان والاولى والاخرى ان يكون فتنتهم نمبا وان قالوا الاسم لأن ان اذا وصلت لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر فكما ان المضمر اذا كان مع المظهر كان ان يكون المضمر الاسم احسن فكذلك ان اذا كانت مع اسم غيرها كانت ان يكون الاسم اولى واما من قرأ والله ربنا فانه جعل الاسم المضاف وصفا للمفرد ومثل ذلك رأيت زيدا ناعجا وقوله ما كنا مشركين جواب لقسم ومن قرأ ربنا بالنصب فصل بالاسم المنادى بين القسم والمقسم عليه والفصل به لا يمتنع وقد فصل بالندا بين الصلة والموصول لكثرة الندا في الكلام وذلك مثل قول الشاعر

ذاك الذي وابيك يعرف مالك والحق يدفع ترهات الباطل

ويعجز ان يكون نصب على المدح بمعنى اعني ربنا واذكر ربنا

الفتنة

قال الازهري جاع الفتنة في كلام العرب الامتحان مأخوذا من قولك فتنت الذهب والفضة اذا ذهبتا بال نار واحرقتهما وقد فتن الرجل بالمرأة وافتن وقد فتنته المرأة وافتنته قال الشاعر

لئن فتنتي لهي بالأمس أخفت عقيلا فامسى قد فلا كل مسلم

الإعراب

العامل في كَيْفَ قوله كذبوا ولا يجوز ان يعمل فيه انظر لأن الاستهزاء له صدر الكلام فلا يجوز ان يعمل فيه ما قبله

المعنى

ثم بين سبحانه جواب القوم عند توجه التوبيخ اليهم فقال (ثم لم تكن فتنتهم) اختلف في معنى الفتنة هنا على وجه واحد ان معناه ثم لم يكن جوابهم لانهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب من ذلك الاختيار الا هذا القول وثانها ان المراد لم يكن مفترتهم (الا ان قالوا) من ابن عباس وقائدة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وهذا راجع الى معنى الجواب ايضا وثالثها ما قاله الزجاج ان تأويله حسن لطيف لا يعرفه الا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك والله عز وجل ذكر في هذه الاقاصيص التي جرت من امر المشركين وانهم مقتنون بشركهم ثم اعلم انه لم يكن اختتامهم بشركهم وانما تم عليهم عليه الا ان تراءوا منه وانتفوا منه فطلقوا انهم ما كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة ان ترى انسانا يصب غاوريا فلما وقع في هلكة تبرأ منه فتقول له ما كنت محببك فلانا الا ان اخفقت منه فالفتنة هاهنا بمعنى الشرك والافتتان بالوثان ويؤيد ذلك ما رواه عطاء عن ابن عباس قال فتنتهم يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التاويل يرجع الى حذف المضاف لأن المعنى لم يكن عاقبة فتنتهم الا البراءة بمنا بقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) ويسأل فيقال كيف يجوز ان يكفروا في الاخرة ويحفظوا على الكذب والادار ليست يدار تكليف وكل الناس ملعون فيها الى ترك الصبح لشاهدة الحقائق وزوال موارض الشبه والشكوك ولعزهم بالله سبحانه ضرورة والجواب ان معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند انفسنا وفي اعتقادنا وتقديرنا وذلك ان

المشركين في الدنيا يمتدنون كونهم مصيئين فيحلقون على هذا في الآخرة فلي هذا يكون قهرهم وحلقهم يقمان على وجه الصدق وقيل ايضا انهم اتوا يحلقون على ذلك ازوال عقولهم بما يلصقهم من الدهشة من احوال القيامة ثم ترجع عقولهم فيقرون ويشترفون ويجوز ان ينسوا اشراكهم في الدنيا بما يلصقهم من الدهشة عند مشاهدة تلك الاحوال (انظر) المعنى يقول الله تعالى عند حلق هؤلاء انظر يا محمد (كيف كذبوا على انفسهم) وهذا وان كان نظره فقط الاستفهام فالمراد به التنبيه على التعجب منهم ومعناه انظر الى اخباري عن اقترانهم كيف هو فلمنه لا يسكن النظر الى ما يوجد في الآخرة وانما كذبهم الله سبحانه في قولهم وان كانوا صادقين عند انفسهم لان الكذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به علم الخبر بذلك او لم يعلم فلما كان قولهم ما كنا مشركين كذبا في الحقيقة جازان يقال كذبوا على انفسهم وقيل معناه انظر كيف كذبوا على انفسهم في دار الدنيا لا انهم كذبوا في الآخرة لانهم كانوا مشركين على الحقيقة وان اعتقدوا انهم على الحق من الجاني (وطل منهم ما كانوا يفترون) اي ضلت منهم اوثانهم التي كانوا يمدونها ويفترون الكذب بقولهم هؤلاء شغلونا عند الله عدا فذهب عنهم في الآخرة فمجدوا ولم يشعروا بها عن الحسن وقيل انه علم في كل ما يمدون دون الله تعالى انها تفل عن عباديها يوم القيامة ولا تنفي عنهم شيئا واختلف اهل الدل في ان اهل الآخرة هل يجوز ان يقع منهم الكذب فالأصح انه لا يجوز على ما قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لا يلصقهم من النقص والحيرة في القيامة فاذا استقر اهل الجنة في الجنة والذين في النار فحينئذ لا يجوز ان يقع منهم التبعيض والكذب ويكون جميعهم ملتبسين الى ترك التبعيض وبه قال ابو بكر بن الاشجيد واصحابه وقال بعضهم انه يجوز وقوعه منهم في جميع الاحوال

قوله تعالى (٢٥) وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا أَبَةً لَا يُؤْمِنُ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أساطيرُ الأولين آية

﴿اللغة﴾

الأكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا وسدته مثل غنان وأكنة قال الليث كل شيء وقى شيئا فهو كنانة وكنة والقيل منه كسنت واكنتت والكنة امرأة الأمين أو الأخ لأنها في كسنة واسكن الرجل من الحر واكسنت استقر والوقر القتل في الآذن والوقر بكسر الواو الحبل قال ابو زيد وقرت أذنك توقر وقرا وقال الكسائي وقرت أذنك فهي موقرة قال الشاعر

وكلام سي قد وقرت أذني منه وما بي من صمم

واساطير واحداها اسطور واساطيره مأخوذ من سطر الكتاب وهو سطر وسط فن قال سطر جمه اسطارا ومن قال سطر فجمه في القليل اسطر والكثير سطور وقال ربيعة

اني واسطار سطرني سطرًا لقاتل يا نصر نصرًا نصرا

وجمع اسطار اسطيرة قال الزجاج جرتا ويل السطر في اللغة ان تجمل شيئا بمدام قال الاخفش اساطير جم لا واحد له نحو ابايل ومذاكير وقال بعضهم ولعد الأبايل بيل بالتشديد وكسر الألف والجدال المحضمة سمي بذلك لشدة وقيل انه مشتق من الجدالة وهي الأرض لأن احدها يلقي صاحبه على الأرض

﴿الاعراب﴾

ان يفقهوه موضعه نصب على انه مفترق له المعنى لكراهة ان يفقهوه فلما حذف اللام نصبت الكراهة ولما حذف الكراهة اختلف نصبا الى ان قاله الزجاج يريد انه حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجادلونك في

موضع نصب على الحال

﴿ النزول ﴾

قبل ان نقرأ من مشركي مكة منهم النضر بن الحارث وابو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأخوه شبة وغيرهم جلسوا الى رسول الله (ص) وهو يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية فأقول الله هذه الآية

﴿ للمعنى ﴾

ثم وصف الله سبحانه حالهم عند استماع القرآن فقال (ومنهم) اي ومن الكفار الذين تقدم ذكرهم (من يستمع اليك) يريد يستمعون الى كلامك قال مجاهد يعني قريشا (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي غشاوة وفي آذانهم وقرا (قد ذكرنا الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله ختم الله على قلوبهم وقال القاضي أبو عاصم العمري أصبح الأقوال فيه ما روي ان النبي (ص) كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في الصلاة جهرا رجاء ان يستمع الى قراءته انسان فيتدبر ما فيه ويؤمن به فكان المشركون اذا سمعوه أذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله تعالى يلقي عليهم النوم او يجعل في قلوبهم أكنة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به الحجة وتنفطع به الحجة وبعد ما علم الله سبحانه انهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به فغشى القاء النوم عليهم ليحجب النطق على قلوبهم ويوقر آذانهم لان ذلك كان ينجم من التندر كالوقر والنطق وهذا معنى قوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وهو قول ابني علي السبائي ويحتمل ذلك وجه آخر وهو انه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم انهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من ان يفهموا ما يسمعونهم ويحتمل ايضا ان يكون سنى الكفر الذي في قلوبهم كتنا تشبيها ومجازا وأمرهم من فهم القرآن وقرا نوسا لان مع الكفر والإعراض لا يحصل الإيمان والفهم كما لا يحصلان مع الكفر والوقر ونسب ذلك الى نفسه لانه الذي شبه أحدها بالآخر كما يقول احدنا لغيره اذا اتى على انسان وذكر مناقبه جلسته فأضلا وبالضد إذا ذكر مناقبه ففسده يقول جلته فاسقاو كما يقال جبل القاضي فلانا عدلاو كل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والإيمانه من حاله كما قال الشاعر

جعلني باخلا كلا ورب مني ابي لا تمنح كما منك في الزب

ومعناه سمعني باخلا (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) يريد وان يروا كل عجة ان يصدقوا بها من اين حاس وقيل معناه وان يروا كل علامة ومعجزة دالة على نبوتك لا يؤمنوا بها لعنادهم عن الزواج ولو أجرى معنى الآية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى لأن من لا يمكنه ان يسمع ويقعد لا يجوز ان يوصف بذلك وكان لا يصح ان يصفهم بأنهم كذبوا بآياته وغفلوا عنها وهم ممنوعون عن ذلك والذي يزيل الإشكال انه تعالى قال في وصف بعض الكفار واذا تلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعا الآية ولو كان في آذنيه وقروا منع من السماع مزيل للعدو لكان لا معنى لقوله كأن في آذنيه وقروا ولكن لا يستحق المذمة لأنه لم يبطأ له السمع فكيف يتم على ترك السمع (حتى إذا جاوزك فجادلونك) يعني انهم اذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون محاصرين مجادلين وادين عليك قولك ولم يجيؤا محبي من يريد الرشاد والنظر في الدلالة الدالة على توحيد الله ونبوة نبيه (يقول الذين كفروا ان هذا) اي ماهذا القرآن (الأساطير الأولين) أي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها عن الضحاك وقيل معنى الأساطير التدهات واليسايس مثل حديث رستم واسفنديار وغيره ما لا فائدة فيه ولا طائل تحته وقال بعضهم ان جدالمهم هذا القول منيهم هو مثل قولهم أنا كلون ما تقتلوننا بأيديكم ولا تأكلون ما تله الله تعالى

قوله تعالى (٢٦) وَهُمْ يَهْتَفُونَ عَنْهُ وَيَتَنَوَّنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ آية

﴿اللمعة﴾

النابي البعد يقال تأيت عنه فأى تأيا ومنه اخذ النوى وهو الحاضر حول البيت لتلا بدخله الله.

﴿المعنى﴾

ثم كسى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال (وهم يهتفون عنه ويتننن عنه) أي يهتفون الناس من اتباع النبي (ص) ويتابعون عنه قرارا منه عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن والسدي وقيل معناه يهتفون الناس من استماع القرآن لتلايق في قلوبهم صوته ويتابعونهم عن استماعه عن قتادة وسباحد واختاره الجاني وقيل معنى به أبا طالب بن عبد المطلب ومعناه يهتفون الناس عن أذى النبي (ص) ولا يتبعونه عن عطا ومقاتل وهذا لا يصح لأن هذه الآية مطروقة على ما تقدمها وما تأخر عنها مطروقة عليها وكلها في ذم الكفار الماتدين للنبي (ص) هذا وقد ثبت إجماع أهل البيت (ع) على إيمان أبي طالب واجتماعهم حجة لأنهم أحد التثقلين اللذين أمر النبي (ص) بالتمسك بهما بقوله إن تمسكتن بهما لن تضلوا ويدل على ذلك أيضا ما رواه ابن عمر أن أبا بكر جاء بأبيه أبي طالب يوم التفتح إلى رسول الله (ص) فأسلم فقال (ص) ألا تركت الشيخ خاتمة وكان أبي قتال أبو بكر أردت أن يأجره الله تعالى والذي بشاك بالحق لأنك كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحا بي بإسلام أبي التمسك بذلك قرعة عينك فقال (ص) صدقت ودوي الطعري بإستاده إن رؤسا قريش لا رأوا ذبا أبي طالب من النبي (ص) اجتمعوا عليه وقالوا جئناك بفتى قريش جالدا وجردا وشهامة عمارة بن الوليد ندفعه إليك وتدفع اليك ابن أخيك الذي فرق جدنا وسفاهة أحلامنا فنقله فقال أبو طالب ما انصمتوني تطعنوني ابشكم فأفندوه وأطعنكم ابني فتشكروني بل فليأت كل امرئ منكم يولده فأقتله وقال

منعنا الرسول رسول المليك بيض تلالا كلمع البروق

أخوذ واحي رسول المليك حماية حام عليه شفيق

وأقواله وأشادته اللبنة من إسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبيا كوسى خط في أول الكتب

أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيه بالطمان وبالحر

وقوله من قصيدة

وقالوا لأحمد أنت امرؤ خلوف اللسان ضعيف السبب

ألا إن أحمد قد جاءهم بحق ولم يأتهم بالكذب

وقوله في حديث الضيقة وهو من معجزات النبي (ص)

وقد كان في امر الضيقة عيرة متى ما يغير غائب القوم يعجب

بما الله منها كفرهم وعقوقهم وما تقموا من ناطق الحق معرب

وامسى ابن عبد الله فينا مصدقا على سخط من قومنا غير معتب

وقوله في قصيدة يحض أثناء حرة على اتباع النبي والصبر في طاعته

صبرا أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهرا للدين وقت صابرا

قعد سرني إذ قلت أنك موئن
وقوله من قصيدة
فكن لرسول الله في الله ناصرا

أقيم على نصر النبي محمد
وقوله يحض النجاشي على نصر النبي
أقاتل عنه بالقنا والقنابل

تعلم ملك الحبش أن محمدا
أتى بهدي مثل الذي أتياه به
وزير لوموس والمسيح بن مزيم

وإنكم تملونه في كتابكم
فلا تميلوا لله ندا واسلموا
وكل بأمر الله يهدي ويصم

وإن طريق الحق ليس بمظلم
وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة
صدق حديث لآ حديث المرجم

أوصي بنصر النبي الحبيب مشهده
وحجرة الأسد الحامي حقيقته
علياً أبي وشيخ القوم عباسا

كوتوا هدي لكم أمي وما ولدت
وجعفر أبا بنودوا دونه الناسا
في نصر احمد دون الناس ابراسا

في أمثال هذه الآيات ما هو موجود في قصائده المشهورة ووصاياه وخطبه يطول بها الكتاب على أن أبا طالب لم يأت من النبي (ص) قط بل كان يقرب منه ويخالطه ويقوم بنصرته فكيف يكون المعنى بقوله ويتأون عنه (وإن يهلكون إلا انفسهم) معناه ما يهلكون بينهم من قبوله وبمذهبهم عنه إلا انفسهم (وما يشعرون) أي وما يطمون إهلاكهم إياها بهذا

قوله تعالى (٢٧) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٨) بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ آيَات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ولا تكذب وتكون بالنصب خص من عاصم وحيدة ويقوب وقرأ ابن عامر وتكون بالنصب وقرأ الباقون بالرفع فيهن

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي من قرأ بالرفع جاز فيه وجهان ﴿ أحدهما ﴾ إن يكون مطوقا على نرد فيكون قوله ولا تكذب وتكون داخلًا في التثني دخول نرد فيه فعل هذا حتى الرد وإن لا تكذب والكون من المؤمنين ويشمل الرفع وجه آخر وهو أن تعمله من الأول ويكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا تكذب وتكون وقال سيويه هو على قولك فإننا لا تكذب كما يقول القائل دعني ولا اعود أي فاني ممن لا يعود فلما يسألك الترك وقد أوجب على نفسه أن لا يعود ترك أو لم يترك ولم يرد أن يسألك أن تجسم له الترك وإن لا يعود وحجة من نصب فقال ولا تكذب وتكون أنه ادخل ذلك في التثني غير موجب لأن التثني غير موجب فهو كالاستفهام والأمر والنهي في انتصاب ما بعد ذلك كله من الأفعال إذا دخلت عليها التاء أو الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الأول كأنه في التشليل ياليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب والكون من المؤمنين ومن رفع ولا تكذب

ونصب وتكون فإن الفعل الذي هو لا تكذب يحتمل وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون داخلًا في التثنية فيكون في المعنى كالنصب ﴿والآخر﴾ ان يجبر على التثنية ان لا تكذب ردأو لم يرد ومن نصبها جميعا جعلها داخلين في التثنية

﴿اللغة﴾

يقال وقفت الدابة وقفاً ووقف غيره يقفه وقفاً وحكي من ابي عمرو انه اجاز ما اوقفك هاهنا مع اخباره انه لم يسعه من العرب وبدا يبدو بداً اذا ظهر وفلان ذو بدوات اذا بداله الرأي بعد الرأي وبدا لي في هذا الأمر بداءً والبدا لا يجوز على الله سبحانه لأنه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال

﴿الاعراب﴾

ولو ترى جوابه معذوف وتقديره لرايت امراً هائلاً ونحوه قوله تعالى ولو ان قرأتنا سيرت به الجبال يريد لكان هذا القرآن وهذه الاجوبة انما تحذف لتظيم الأمر وتقضيته ومثله قول امرئ القيس

وجدتك لو شيء انا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

وتقديره لو انا رسول فربك لا جنتا ويسأل فيقال لم جاز ولو ترى اذ وقفوا واذ هي لغاضي والجواب ان الخبر لصحته وصدق الخبر به صار بمنزلة ما وقع

﴿المعنى﴾

ثم بين سبحانه ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيامة من الحسرة وتقي الرجعة فقال (ولو ترى) يا محمد او يا ايها السامع (اذ وقفوا على النار) فهذا يحتمل ثلاثة اوجه جاز ان يكون المعنى عابثوا النار وجاز ان يكونوا عليها وهي تحتمل قال الزجاج والابجد ان يكون معناه ادخلوها فغرقوا فمقدار عقابها كما تقول في الكلام قد وقفت على ما عند فلان يريد قد فهمته وتبينته وهذا وإن كان يلفظ المعنى فالمراد به الاستقبال وانما جاز ذلك لأن كل ما هو كائن يوم ما لم يكن يصفوه عند الله قد كان وانشد في مثله

سنتدم اذ يأتي عليك وعيلنا بأرعن جراد كثير صواخله

فوضع اذ موضع اذا وقد يوضع ايضا اذا موضع اذ كما قال الشاعر

وندمان يزيد الكأس طيباً مسقيت اذا تعرضت النجوم

(فقالوا) اي قال الكفار حين عابثوا العذاب وتدموا على ما فعلوا (يا ليتنا ترد) الى الدنيا (ولا تكلفن) يآيات ربنا) اي يكتب ربنا ورسله وجميع ما جاءنا من عنده (ونكون من المؤمنين) يعني من جملة المؤمنين يآيات الله (بل بدلهم ما كانوا يفتنون من قبل) اختلف فيه على اقوال ﴿احدها﴾ ان معانيل بدل بعضهم من بعض ما كان علانهم يفتنون من جهالهم وضغائنهم ما في كسهم فبدا لفضلاء نادمهم ﴿وثانيها﴾ ان المراد بل بدأ من اعمالهم ما كانوا يفتنون فاعلمهم الله وشهدت به جوارحهم من ابي روق ﴿وثالثها﴾ ان المعنى ظهر للذين اتبعوا التوراة ما كان التوراة يفتنونهم عن امر البعث والنشور لأن المتصل بهذا قولهم قالوا انهي الايتان الدنيا الآية عن الزجاج ويعرقل الحسن ﴿ورابعها﴾ ان المراد بل بدلهم وبال ما كانوا يفتنون من الكفر عن المبرد وكل هذه الاقوال بنى ظهور قضيتهم في الآخرة وتهنكت استلأهم (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) اي لو ردوا الى الدنيا الى حال التكليف كما طلبه لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر والتكليف (وانهم لكاذبون) ويسأل على هذا فيقال ان التثنية كيف يصح فيه الكذب وانما يقع الكتف في الخبر والجواب ان من الناس من حمل الكلام كله على وجه التثنية وصرف الكذب الى غير الأمر الذي تنوّه وقال

ان معناه هم كاذبون فيما يسيرون به عن انفسهم في الدنيا من الإصابة واعتقاد الخلق او يسكنون المني انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا آمنوا وان كان ما حكى عنهم من التثني ليس بخبر وقد يجوز ان يحمل على غير الكذب الحقيقي بان يكون المراد انهم تتوا ما لا سبيل اليه فكتب لهم وتبينهم وهذا مشهور في كلام العرب يقولون كذبتك امك لمن تثنى اي لم يدرك وقال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تكفوننا
بني شاب قرناها تصر ونحلب

وقال آخر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها
مراغمة ما دام للسيف قائم

والمراد ما ذكرناه من الحية في الأمل والتثني فلن قيل كيف يجوز ان يمتنوا الرد الى الدنيا وقد علموا انهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه **أحدها** - اننا لا نعلم ان اهل الآخرة يعرفون جميع احكام الآخرة وانما تقول انهم يعرفون الله معرفة لا يتألفهم فيها الشك لا يشاهدونه من الآيات الملجئة لهم الى المعارف واما التوهم والتثني للخلع والدعاء فخرج فيجوز ان يقع منهم ذلك عن البلخي **وثانيها** - ان التثني قد يجوز فيما يعلم انه لا يكون ولهذا قد يقع التثني على ان لا يكون ما قد كان وان لا يكون فل ما قد فعله وتقتضي وقته **ثالثها** - انه لا مانع من ان يقع منهم التثني لرد ولأن يكونوا من المؤمنين من الزواج وفي الناس من جعل بعض الكلام تقنيا وبضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا وهذا انما يفتق في قراءة من رفع ولا تكذب وتكون على معنى قلنا لا تكذب بآيات ربنا وتكون من المؤمنين فيكونون قد خبروا بما علم الله انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وذكر ان ابا عمرو بن العلاء استدلل على قرابته بالرفع في الجميع بأن قوله وانهم لكاذبون فيه دلالة على انهم خبروا بذلك عن انفسهم ولن يتصور لأن التثني لا يقع فيه الكذب

قوله تعالى (٢٩) وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (٣٠) ولو ترى اذ يقول على ربهم قال ليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (آيتان)

المني

ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الآية وانكارهم البعث والنشور والحق والحساب فقال (وقالوا ان هي اي ماضي (الا حياتنا الدنيا) من ا بذلك انه لا حياة لنا في الآخرة وانما هي هذه التي حينما بها في الدنيا (وما نحن بمبعوثين) اي لستنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال (ولو ترى اذ يقولون على ربهم) ليس يصح في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو ترى اذ يقولون على النار الاوجا واحدا وهو ان المني عرفوا ربهم ضرورة كناية عن وقته على كلام فلان اي عرفته ابدا وقيل ايضا ان المني وقوا على ما ودهم ربهم من العذاب الذي يفتله بالكفار والثواب الذي يفتله بالمؤمنين في الآخرة وعرفوا صحة ما اخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز ان يكون المني جسوا على ربهم ينتظر ربهم ما يأمرهم به وخرج الكلام مترج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدي سيده لا في ذلك من الفصله والإفصاح بالمني والتثنية على عظم الأمر (قال) اي يقول الله تعالى لهم وجاه على فقط الماضي لأنه متحقق كأنه واقع وقيل معناه تقول الملائكة لهم بأمر الله تعالى (ليس هذا بالحق) كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقرير وقوله هذا إشارة الى الجزاء والحساب والبعث قالوا اي يقول هؤلاء الكفار مقرين بذلك مذمتين له (بلى) هو حق (وربنا) قسم ذكره واكدوا اشرافهم به (قال) الله تعالى او الملك بأمره فذوقوا العذاب

بما كنتم تكفرون) اي بكفركم وانما قال ذوقوا لانهم في كل حال يجدون ذلك وجدان الذائق المدوق في شدة الإحساس من غير أن يصوروا الى حال من يشم بالطعام في نقصان الإدراك

قوله تعالى (٣١) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَشْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (٣٢) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبْءٌ وَلَذَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَتَّقُونَ آيَتَانِ

﴿التقراءة﴾

قرأ ابن عامر ولداد الآخرة بلام واحدة وجر الآخرة على الإضافة والياقون بلامين ورفع الآخرة وقرأ أهل المدينة وابن ذكوان عن ابن عامر ويقرب وسهل افلا يتقون بالياء. وهنا وفي الأعراف ويوسف ويس واقفهم حفص الا في يس وحملاد ويحيى من الي بكوفي يوسف وقرأ الياقون جيمع ذلك بالياء

﴿الحجة﴾

من قرأ ولداد الآخرة فلأن الآخرة صفة للدار يدل على ذلك قوله وللآخرة خير لك من الأولى وان الدار الآخرة هي الحيوان وتلك الدار الآخرة نجعلها ومن اضاف دارا الى الآخرة لم يجعل الآخرة صفة للدار فلأن الشيء لا يضاف الى نفسه لكنها جعلها صفة للساعة فكانه قال ولداد الساعة الآخرة وجاز وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر في قوله وارجوا اليوم الآخر قال ابو علي انما حسن اضافة الدار الى الآخرة ولم يقع من حيث استحقاق اقامة الصفة مقام الموصوف لأن الآخرة قد صارت كالأصلح والأبرق الا ترى انه قد جاء وللآخرة خير لك من الأولى فاستعمل استعمال الاسماء ولم يكن مثل الصفات التي لم تستعمل استعمال الاسماء ومثل الآخرة في انها استعملت استعمال الاسماء فلمهم الدنيا لما استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يسلولام التعريف في نمو قوله في سمي دنيا طال ما قد ملئت واما وجه القراءة بالياء في افلا يتقون فهو انه قد تقدم ذكر التوبة في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالياء انه يصلح ان تكون خطابا شرجها اليهم ويصلح ان يكون المراد التيب والمخاطبون فيطلب الخطاب

﴿المنة﴾

كل شيء اتى فجاهة فقد بقت يقال بقت الامور بقتة بقتة قال الشاعر

ولكنهم بانوا ولم اخش بقتة واقطع شي حين يفجاك البنت

والحسرة شدة الندم حتى يصير النادم كما يصير الذي تقوم به دابته في السفر الجيد والتفريط والتصوير واصله التقديم والإفراط التقديم في مجاوزة الحد والتفريط التقديم في العجز والتصوير والوزر النقل في التفتواشتقاق من الوزر وهو الحمل الذي يتصمم به ومنه قبل وزير كانه يتصمم الملك به ومثله قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي ويزرون يفعلون من وزر يوزر وزرا اذا أتم وقيل وزر فهو موزور اذا ضل به ذلك ومنه الحديث في النساء يبين جنازة قبل لمن ارجعن موزورات غير مأجورات والعامة قول مأزورات والبطل والنعى والحجى متقاربة المعنى فالنقل الإمساك عن القبح وقصر النفس وحبسها عن الحسن قال الاصمعي وبالدعاء خبره يقال له معقلة قال وتراها سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن والنعى لا ينقل أن يكون مصدرا كالمهدي او جمعا كالنظم وهو في معنى ثبات وجس ومنه النعي والتهنية للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستقيم فيه فيسقطه ويمتد ارتفاع ما حوله من ان يسبح على وجه الأرض والحجى اصله من

المجوه هو اجباس وتمكث قال «فمن يمكن به اذا جاء» وحجت بالشئ وتحجبت به بمنزلة ولا يمزاي
تمسكت عن الأزهري قال ابو علي فكان المجي مصدر كالتبع ومن هذا الباب المجيا فتر تمسكت
التي بلى عليه حتى يستخرجه

❦ الاعراب ❦

يقال مامنى القابة في قوله حتى اذا جاء تهم الساعة وما عمل الاعراب فيها والجواب ان معناها متع
تكذيبهم الحسرة يوم القيامة والمعامل فيها كذبوا اي كذبوا الى ان ظهرت الساعة فتدعوها لا ينفعهم
الندامة ويقال مامنى دعاء الحسرة وهي ما لا يسل والجواب ان العرب اذا اجتهدت في المباعدة في الاخبار
عن امر عظيم تقع فيه جملته نداء فلفظه لفظ ما بينه والنبه غيره مثل قوله يا حسرة على العباد وقوله يا حسرتنا
على ما فرطت في جنب الله وبأبش ألد وهذا البش من ان تقول انا اتحسر على التغريط قاله الزجاج وقال
سيبويه انك اذا قلت يا عجباً فكانك قلت احضر وتمال يا عجب فإنه من ازمائك وتأويل يا حسرتاه استهوا
على اننا قد حسرتنا فخرج مخرج النداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها تنبها على عظم شأنها وقيل انها بمنزلة
الاستغاثة فكانه قيل يا حسرتنا تعالى فهذا اوانك كما يقال يا لعجب وقوله ساء ما يرون تقديره بشئ الشئ
شيء يرونه وقد ذكرنا على نعم وبش فيما مضى

❦ المعنى ❦

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال قد خسر الذين كذبوا بقاء الله يعني بقاء ما وعد الله به
من الثواب والعقاب وجعل لقائهم لذلك لقاءه تعالى مجازاً عن ابن عباس والحسن وقيل المراد ببقاء جزاء الله كما
يقال لميت لقي فلان عمله اي بقي جزاء عمله ونظيره الى يوم يلقونهم اخلفوا الله ما وعده (حتى اذا جاء تهم
الساعة) اي القيامة (بنة) اي فبائة من غير ان علموا وقها (قالوا) عند مساينة ذلك اليوم واهواله وتباين
احوال اهل الثواب والعقاب (يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) اي على ما تركنا وضيعنا في الدنيا من تقديم اعمال
الآخرة عن ابن عباس وقيل ان الهاء يعود الى الساعة عن الحسن والمعنى على ما فرطنا في العمل الساعة والتقدمة
لها وقيل ان الهاء يعود الى الجنة أي في طلبها والعمل لها عن السدي ويدل عليه ما رواه الأعمش عن ابي
صالح عن ابي سعيد عن النبي (ص) في هذه الآية قال يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا
وقال محمد بن جرير الهاء يعود الى الصفة لأنه لا ذكر الحسرة دل على الصفة ويجوز ان يكون الهاء يعود
الى معنى ما في قوله ما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها فلي هذا الوجه يكون ما موصولة
بمعنى الذي وعلى الوجه المتقدم يكون ما بمعنى المصدر ويكون تقديره على تغريطنا (وهم يحسبون انهم اوزارهم)
اي اثال ذنوبهم (على ظهورهم) وقال ابن عباس يريد اقامهم وخطاياهم وقال قتادة والسدي ان المؤمن اذا
خرج من قبره استقبله احسن شيء صور قواميه ربحاً فيقول انا عملك الصالح طال ما ركبتك في الدنيا فار كني
انت اليوم فذلك قوله يوم نمش المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبنا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله اقس
شيء صورة واخشف ربحاً فيقول انا عملك السيئ طال ما ركبتني في الدنيا فاتا اركبك اليوم وذلك قوله وهم
يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج هنا مثل جائز ان يكون حمل ما ينالهم من العذاب بمنزلة اقل ما يحمل
لان الثقل كما يستعمل في الوزن يستعمل في الحال ايضاً كما هو مثل على خطاب فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة

اشتد علي فلي هذا يكون المنى انه يقاسون عذاب آثامهم مقاساة تنقل عليهم ولا تزالهم والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله تخففوا تلحقوا فانما يتنظر باولكم آخركم (الا ساء ما يزرون) اي بش الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما يتألم جزاء لذنوبهم واعمالهم السيئة اذ كان ذلك عذابا وبكالا ثم رد عليهم قوله ما هي الا حياتنا الدنيا وبين سبحاته ان ما يتنجم به من الدنيا يزول ويبدل قال (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) اي باطل وغرور اذ لم يحيل ذلك طريقا الى الآخرة وانما عني بالحياة الدنيا اعمال الدنيا لأن نفس الدنيا لا توصف باللب وما فيه رضا الله من عمل الآخرة لا يوصف به ايضا لأن اللب ما لا يقب نفعا والله ما يعرف من الجد الى الهزل وهذا انما يتصور في الماضي وقيل المراد باللبس الله ان الحياة تنقضي وتنتهي ولا تبقى فتكون لذة فانية عن قرب كالبه والهوى (والدار الآخرة) وما فيها من انواع العبد والجنان (خير للذين يتقون) ماضي الله لأنها باقية دائمة لا يزول عنهم نفسها ولا يذهب عنهم سرورها (افلا تعقلون) ان ذلك كما وصف لهم فبهذا في شهوات الدنيا ويرغبوا في نعيم الآخرة وفضلوا ما يؤدبهم الى ذلك من الاعمال الصالحة وفي هذه الآية تسلية للفقراء بما حرموا من متاع الدنيا وترجيع للاغنياء اذا ركنوا الى حطامها ولم يمتثلوا لتبليها

قوله تعالى (٣٣) قَدْ نَعْلَمُ اِنَّهٗ لَيَحْزِنُكَ الَّذِي يَقُولُوْنَ اَفَاَنْهَمُ لَا يُكْذِبُوْنَكَ وَلَكِنْ اَطَّالَيْنَا بِآيَاتِ اَللّٰهِ يَجْحَدُوْنَ (٣٤) وَلَقَدْ كَذَّبْتَ زُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبْرًا عَلٰٓى مَا كُذِّبُواْ وَاَوْدُوْا حَتّٰى اَنۡتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِّكَلِمَاتِ اَللّٰهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِٕ الْاَوَّلِيْنَ اٰيٰتَانِ

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع ليحزنك بضمة الياء وكسر الزاي والباقون يحزنك بفتح الياء وضم الزاي وقرأ نافع والكسائي والاعشى عن أبي بكر لا يكذبونك خفيف وهو قراءة علي (ع) والمروعي عن جعفر الصادق (ع) والباقون يكذبونك بفتح الكاف والتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي قال سبويه قالوا حزن الرجل وحزته وزعم الخليل انك حيث تقول حزنه لم ترد ان تقول جلته حزننا كما انك حيث قلت أدخلته أردت جلته داخلًا ولكنك أردت ان تقول جلته فيه حزننا كما تقول كلمته جلته فيه كحلادته جلته فيه دهنًا ولم ترد بفعلته ها تندي قوله حزن ولو أردت ذلك قلت احزنه وحجة نافع انه أراد ان يندي حزن فعله بالهمزة والاستعمال في حزنه أكثر منه في احزنه قال كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء وأما قوله يكذبونك فن قل فهو من فعلته اذا نسبته الى الفعل مثل زنته وفسفته نسبته الى الزنا والفسق وقد جاء في هذا المعنى أصله قالوا اسقيته أسية قلت له معاك الله قال ذو الرمة

وأسقيه حتى كاد بما أبته تكلمني احجاره وملاجه

فيجوز على هذا ان يكون معنى القراءتين واحدا ويحوز ان يكون لا يكذبونك أي لا يصادفونك كاذبا كما قول أحدته اذا أصبته محمودا ويدل على الوجه الأول قول الكمي

وطائفة قد أكرتني بحبكم و طائفة قالت مسيئاً ومنذب
اي نسبتني الى الكفر قال احمد بن يحيى كان الكسائي يحكي عن العرب أكذبت الرجل اذا اخبرت
انه جاءك يكذب وكذبته اذا اخبرت أنه كذاب

✽ المعنى ✽

ثم سئل سبحانه تبي (ص) على تكذيبهم إياه بعد إقامة الحجة عليهم قال (قد نعلم) نحن يا محمد (انه) ليحزنك
الذي يقولون (اي ما يقولون) إنك شاعر أو مجنون أو شبيه ذلك (فإنهم لا يكذبونك) دخلت الفاء في
انهم لأن الكلام الأول يقتضيه كأنه قيل اذا كان قد يحزنك قواهم فاعلم أنهم لا يكذبونك واختلف في
مناه على وجوه ✽ احدها ✽ ان مناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقادا وان كانوا يظهرون بأفواههم
التكذيب عاددا وهو قول أكثر المفسرين عن ابي صالح وقادة والسدي وغيرهم قالوا يريد أنهم يملكون انك
رسول الله ولكن يمحذون بعد المرة ويشهد لهذا الوجه ما روى سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني
ان رسول الله (ص) لقي ابا جهل فصافه ابو جهل فقيل له في ذلك قال والله اني لا أعلم انه صادق ولكننا
مضى كما تمالصمناف فانزل الله هذه الآية وقال السدي التقي اخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال له
يا ابا الحكم اخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هنا احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال ابو جهل
ويحك والله ان عمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي بالقرى والحجابات والسقاية والتدوق والنبوة
فاذا يكون لسائر قريش ✽ وثانيها ✽ ان المعنى لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به
ببرهان ويدل عليه ما روي عن علي (ع) انه كان يقرء لا يكذبونك ويقول ان المراد بها انهم لا يأتون بحج
هو أحق من حجتك ✽ وثالثها ✽ ان المراد لا يصادفونك كاذبا يقول العرب قائلنا كم فما أجبتكم اي ما
أصبتكم كجاء قال الاعشى

فضي وأخلف من قتيلة موعدا

اثوى وقصر ليله ليزودا

أراد صادف منها خلف الوعد وقال ذو الرمة

كفرت الشمس افترق ثم زالا

ترك بياض لبتها ووجها

اي وجد فقام من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن أفطت وفطت
يموزان في هذا الموضع وأفطت هو الأصل فيه ثم يشدد تأكيداً مثل أكرمت وكرمت وأعظمت وعظمت
الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه ✽ ورابعها ✽ ان المراد لا ينسبونك الى الكذب فيما أنبت به لأنك
كنت عديم أمينة صدوقاً وإنما يذفون ما أنبت به ويفصلون التكذيب بآيات الله ويقرى هذا الوجه
قوله ولكن الظالمين بآيات الله يمحذون وقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذب قومك وما روي
ان ابا جهل قال لنبى (ص) ما تملك ولا تكذبك ولكنا نهم الله به جئت به ونكذبه ✽ وخامسها ✽
ان المراد أنهم لا يكذبونك بل يكذبونني فإن تكذيبك راجع الي ولست مختصا به لأنك رسول الله
فن رد عليك قد رد علي ومن كذبك قد كذبتني وذلك تسليمته سبحانه لنبى (ص) وقوله (ولكن
الظالمين بآيات الله يمحذون) اي بالقرآن والمعجزات يمحذون بنير حجة سفا وجلا وعنادا ودخلت الباء
في بآيات الله والمحذ يمدى بنير الجار والمجرور لأن مناه هنا التكذيب اي يكذبون بآيات الله وقال

ابو علي الباقى بالظالمين والممنى ولكن الظالمين يرد آيات الله أو إنكار آيات الله يمحذون ما عرفوه من صدقك وأمانتك ومثله قوله سبحانه وآتينا نوحاً نبأه مبصرة فظفوا بها إلى طغوا بردها والكفر بها ثم زاد سبحانه في تليته (ص) بقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) أي صبروا على ما نالهم منهم من الكذب والأذى في أداء الرسالة (حتى أتاهم جهنم) (نصرتنا) أيهم على المكذبين وهذا أمر منه سبحانه لنبيه (ص) بالصبر على كفار قومه إلى أن يأتيه النصر كما صبرت الأنبياء (ولا مبدل لكلمات الله) معناه لا أحد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ولا على إخلاف وعده وإن ما أخبر الله به أن يفضل بالكفار فلا بد من كونه لا محالة وما وعدك به من نصره فلا بد من حصوله لأنه لا يجوز الكذب في أخباره ولا الخلف في وعده وقال الكلبي وعكرمة يعني بكلمات الله الآيات التي وعد فيها نصر الأنبياء نحو قوله كتب الله لأغلبن إنا ورسلنا وقوله أنهم لهم النصرون (ولقد جاءك من نبال المسلمين) أي خبرهم في القرآن كيف اتجبناهم ونصرناهم على قومهم قال الأخفش من هاهنا صلة مزيدة كما تقول أصابنا من مطر أي مطر وقال غيره من التحسين لا يجوز ذلك لأن من لا تزداد في الأنبياء وإنما تزداد في النبي ومن هنا التبعيض وفاقل جاء مضمحل المذكور عليه وتقديره ولقد جاءك من نبال المسلمين نبالاً فيكون المعنى إنه أخبره عليه وإله السلام ببعض أخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقص عليك

قوله تعالى (٣٥) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا إِلَى السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْإِثْمَالِينَ (٣٦) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَعْصِمُ اللَّهُ عَنْهُمْ اللَّهُمَّ إِلَيْهِ رُجُوعُونَ (٣٧) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ثلاث آيات

﴿ الآية الثالثة ﴾

التنفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر وأصله الخروج ومنه المناقح لخروجه من الإيمان إلى الكفر ومنه النفقة لخروجه من اليد والسلام الدرج وهو مأخوذ من السلامة قال الزجاج لأنه الذي يسلك إلى مصلحك والاستجابة من الجواب وهو القطع وحل عندك جائية خبر أي تجوب البلاد والقرى بين يستجيب ويوجب أن يستجيب فيه قبول لا دعي إليه وليس كذلك يجب لأنه يجوز أن يجب بالمخالفة كما أن السائل يقول أنوافق في هذا المذهب أم تختلف فيقول المجيب أخالف عن علي بن موسى وقبل إن أجاب واستجاب بمعنى

﴿ الإعراب ﴾

جواب أن محذوف وتقديره أن استطعت ذلك فافعل قال الفراء وإنما قطعه العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب لا ترى أنك تقول للرجل إن استطعت أن تصدق أن رأيت أن تقوم معنا فترك الجواب للمرة به فإذا قلت أن تقوم تصب خيراً فلا بد من الجواب لأن معناه لا يعرف إذا طرح الجواب

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه أن هؤلاء الكفار لا يؤمنون قال مخاطباً لنبيه (ص) (وإن كان كبير) أي عظم واشتد (عليك إعراضهم) وانصرافهم عن الإيمان وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك وتصديقك (فإن استطعت) أي قدرت وتعباً لك (أن تبني) أي تطلب وتخذ (نقفاً في الأرض) أي سرباً ومسكناً في جوف الأرض (أو مسلماً) أي مصعداً (في السماء) ودرجاً (فأتيتهم بآية) أي حجة تلحقهم إلى الإيمان ويقيمهم على ترك الكفر فافعل ذلك وقيل فأتيتهم بآية أفضل مما أتيتهم به فافعل عن ابن عباس يريد لآية أفضل وأظهر من ذلك (ولو شاء الله لجسمهم على الهدى) بالإجله وإنما أخبر عن اسمه عن كمال قدرته وأنه لو شاء لأجأهم إلى الإيمان ولم يفعل ذلك لأنه ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الترضى بالتكليف وليس في الآية أنه سبحانه لا يشاء منهم أن يؤمنوا مختارين أو لا يشاء أن يفعل ما يؤمنون عند مختارين وإنما نفى المشيئة لا يلحقهم إلى الإيمان ليبين أن الكفار لم يغلوه بكفرهم فإنه لو أراد أن يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه يريد أن يكون إيمانهم على الوجه الذي يستحق به الثواب ولا ينافي التكليف (فلا تكونن من الجاهلين) قيل معناه فلا تجزع في مواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بأن تسلك سبيلهم من الجبائي وقيل إن هذا نفى الجهل عنه أي لا تكن جاهلاً بعد أن أتاك العلم بأحوالهم وأنهم لا يؤمنون والمراد فلا تجزع ولا تحسر لكفرهم وإعراضهم عن الإيمان وظل الغلطاب تيميداً وزجراً عن هذه الحال ثم بين سبحانه الوجه الذي لأجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الإيمان قال (إنما يستجيب الذين يسمعون) ومعناه إنما يستجيب إلى الإيمان بالله وما أنزل إليك من يسمع كلامك وصفي اليك وإلى ما تجراء عليه من القرآن وتفكر في آياتك فإن من لم يتفكر ولم يستدل بالآيات بمنزلة من لم يسمع كما قيل

قد سمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

وقال الآخر «أصم عما ساء سمع» (والموتى يسمعهم الله) يريد أن الذين لا يسمعون إليك من هؤلاء الكفار ولا يديرون في آخرهم عليهم وقيته لهم من الآيات والحجج بمنزلة الموتى فكما أيسر أن تسمع الموتى كلامك إلى أن يسمعهم الله فكذلك فأحسن من هؤلاء أن يستجيبوا لك وتقديره إنما يستجيب الموتى السامع الحق فأما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يجب إلى أن يعطه الله يوم القيامة فيلجئه إلى الإيمان وقيل معناه إنما يستجيب من كان قلبه حياً قائماً من كان قلبه ميتاً فلا ثم وصف الموتى بأنه يسمعهم ويحكم فيهم (ثم إليه) أي إلى حكمه (يرجعون) وقيل معناه يسمعهم الله من القبور ثم يرجعون إلى موقف الحساب ثم عاد سبحانه إلى حكاية أقوال الكفار قال عاطفاً على ما تقدم (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) هذا أخبار عن رؤساء قریش لما عجزوا من منازعته فأتى به من القرآن اقترحوا عليه مثل آيات الأولين كصا موسى وناقته ثمود قال سبحانه في موضع آخر ولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب وقال ههنا (قل) يا محمد (إن الله قادر على أن ينزل آية كأي آية تجسم على هدى عن الزجاج وقيل آية كما يسألونها) ولكن أكثرهم لا يعلمون (ما في أنزالها من وجوب الاستئصال لهم إذا لم يؤمنوا عند نزولها وما في الاختصار بهم على ما أوتوه من الآيات من المصلحة وقيل معناه ولكن أكثرهم لا يعلمون أن فيما أنزلنا من الآيات مقصداً وكهاية لمن فطر وتدير وقد اعترضت الملعنة على المسلمين هذه الآية قالوا أنها تدل على أن الله تعالى لم ينزل على محمد آية أدل من أنزالها لذكرها عند

سؤال المشر كين إياها فيقال لهم قد بينا أنهم التمسوا آية مخصوصة وتلك لم يوتوها لأن المصلحة نمت عن إيمانها وقد أنزل الآيات الدالة على نبوته من القرآن وآياتهم من المعجزات الباهرة التي شاهدوها ما لو نظروا فيها أو في بعضها حتى النظر لم يفروا صدقه وصحة نبوته وقد بين في آية أخرى أنه لو أنزل عليهم ما التمسوه لم يؤمنوا فقال ولو أننا زنا اليوم الملائكة إلى قوله ما كانوا يؤمنون وفي موضع آخر وقالوا لو أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله يعني في قدرة الله ينزل منها ما يشاء ويسقط ما اعترضوا به قوله تعالى (٣٨) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أَمَّ أُمَّتًا لَكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٩) وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آيَاتُ

﴿ آية الله ﴾

الدابة كل ما يدب من الحيوانات وأصله المصقة من دب يدب ذيبا إذا مشى مشيا فبه تقارب خطو الدويوب والدويوب النيام وفي الحديث لا يدخل الجنة دويوب ولا قلاع فالدويوب النيام لأنه يدب بالتمية والقلاع الراشي بالرجل ليقلمه قال الأزهري تصغير الدابة دوية الباء مخففة وفيها إشام الكسر وفي الحديث إكسكم صاحبة الجمل الأديب تنبها كلاب الحوالب أراد الأديب فأظهر التضمين وهو الكثير الوبر وقد دب بدب ديبيا والجناح إحدى ناحيتي الطير التين يمكن بها من الطيران في الهواء وأصله الميل إلى ناحية

﴿ الاعراب ﴾

من مزينة وتأويله وما دابة ويموز في غير القرآن ولا طائر بالرفح عطفا على موضع من دابة وقوله من شيء من زائدة أيضا وتفيد التخصيص أي ما فرطنا شيئا ما وصم ويكم كلاهما خبر الذين كفولهم هذا حلوا حامض ودخل الواو لا يمنع من ذلك فإنه بمنزلة قولك صمكم

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه أنه قادر على أن ينزل آية عنه يذكر ما يدل على كمال قدرته وحنن تديره وحكمته قال (وما من دابة في الأرض) أي ما من حيوان يمشي على وجه الأرض (ولا طائر يطير بجناحه) جمع بهذين القائلين جميع الحيوانات لأنها لا تخلو إما أن تكون ما يطير بجناحه أو يدب وما سأل عنه أن يقال لم قال يطير بجناحه وقد علم أن الطير لا يطير إلا بالجناح فالجواب أن هذا إنما جاء لتو كيد ورفع اللبس لأن القائل قد يقول طر في حاجتي أي أسرع فيها وقال الشاعر

طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا

قوم إذا الشرا بدي ناجيهم

وانشد سيبويه

دوامي الأيد يحبطن السرجا

فطرت بمنصلي في يسملات

وقيل أنا قال بجناحه لأن السمك تطير في الماء ولا اجتحة لها وإنما خرج السمك عن الطائر لأنه من دواب البحر وإنما أراد سبحانه ما في الأرض وما في الجو (الأسم) أي اصناف مصنفة تعرف

بأسائها يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد (امثالكم) قيل انه يريد اشباهكم في ابداع الله اياها
 وخلقها لها ودلائها على ان لها صانعا وقيل انما مثلت الأمم من غير الناس بالناس في الحاجة الى مدير
 يديرهم في اغذيتهم وأكلهم ولباسهم ونومهم ويقتنهم وهذا يصح الى ما راسدتم الى ما لا يحصى كثرة من
 اسوائهم ومصالحهم وانهم يوتون ويمشرون وبين هذه الآية انه لا يجوز للباد ان يتعدوا في ظلم شيء منها
 فان الله خالقها والمتصرف لها (ما فرطنا في الكتاب من شيء) اي ما تركنا وقيل معناه ما قصرتا واختلف
 في معنى الكتاب على اقوال **﴿١﴾** احدها **﴿٢﴾** انه يريد بالكتاب القرآن لأنه ذكر جميع ما يحتاج اليه فيه
 من أمور الدين والدنيا إما مجعلا وإما مفصلا والمجمل قد بيته على لسان نبيه (ص) وأمرنا باتباعه في قوله
 ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا مثل قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ويروى
 عن عبد الله بن مسعود انه قال مالي لا ألين من لمة الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة
 والمستوصلة فقرأت المرأة التي سمعت ذلك منه جميع القرآن ثم أتته وقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة
 ما بين الذنوب ظم أجدها في لينة الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدته قال الله تعالى ما أتاكم الرسول فخذوه وما
 نهاكم عنه فانتهوا وان ما أتانا رسول الله ان قال لمن الله الواشمة والمستوشمة وهو قول أكثر المفسرين وهذا
 القول اختيار البلخي **﴿٣﴾** وثانيها **﴿٤﴾** ان المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو من عند الله عز وجل المشتمل
 على ما كان ويكون وهو الوحي المحفوظ وفيه آجال الحيوان وازواجه وآثاره ليعلم ابن آدم ان عمله اولى
 بالإحسان والاستقصاء عن الحسن **﴿٥﴾** وثالثها **﴿٦﴾** ان المراد بالكتاب الأجل اي ما تركنا شيئا
 الا وقد أوجبنا له أجلا ثم يمضون جميعا عن ابي مسلم وهذا الوجه بعيد (ثم الى ربهم يمضرون) معناه
 يمضرون الى الله بدموعهم يوم القيامة كما يمضر البباد فيعوض الله تعالى ما يستحق العوض منها وينصف
 لبعضهم من بعض وفيما يرووه عن ابي هريرة انه قال يمضر الله انطلق يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء
 فيبلغ من عذل الله يومئذ ان يأخذ لهجاء من القرناء ثم يقول كوفي لربا فذلك يقول الكافر يا ليتني كنت
 ترابا وعن ابي ذر قال بينا انا عند رسول الله (ص) اذ نطحت عزان قال النبي (ص) أتدرون فبا انتظما
 فقالوا لا ندري قال لكن الله يدرى وبينما هم على هذا فلما جلست أمثالنا في الحشر والاعتصام
 واختاره الزجاج قال يعني امثالكم في انهم يمضون ويؤيده قوله واذا الوحوش حشرت ومعنى الى ربهم الى حيث
 لا يملك النفع والضر الله سبحانه اذ لم يمكن منه كما يمكن في الدنيا واستدلت جماعة من أهل التناسخ بهذه
 الآية على ان البهائم والطير مكلفة قوله أم امثالكم وهذا باطل لأننا قد بينا انها من أي وجه تكون امثالنا
 ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب ان تكون امثالنا في كونها على مثل صورنا وهياتنا وخلقنا وأخلاقنا
 وكيف يصح تكليف البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح الا مع كمال العقل (والذين كذبوا بآياتنا)
 اي بالقرآن وقيل بسائر الحجج والبيانات (صم وبكم) قد بينا معناها في سورة البقرة (في الظلمات) اي
 في ظلمات الكفر والجهل لا يهتدون الى شيء من منافع الدين وقيل أراد صم وبكم في الظلمات في الآخرة
 على الحقيقة عقابا لهم على كفرهم لأنه ذكرهم عند ذكر الحشر عن ابي علي الجبائي (من يشأ الله يضلله)
 هنا مجمل قد بيته في قوله وما يضل به الا الفاسقين ويضل الله الظالمين والذين احدثوا اذامهم ههنا يهدي
 به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام والمضى من يشأ الله ينزله بأن يمنه الطاعة وفوائده وذلك اذا واثق عليه

الأدلة وأوضح له الحجج فأعرض عنها ولم ينم النظر فيها ويجوز أن يريد من رشا الله إغلاظه عن طريق الجنة ونيل ثوابها بضلته عنه (ومن يشأ يمهله على صراط مستقيم) أي ومن يشأ أت يرجه ويهديه إلى الجنة يمهله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون إلى الجنة

قوله تعالى (٤٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنتُمْ كُنتُمْ السَّاعَةُ أُعْطِيَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤١) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشِيرُونَ آياتان

❦ القراءة ❦

قرأ أهل المدينة أرأيكم وأرأيتم وأرأيت واشباه ذلك بتخفيف الهمزة كل القرآن وقرأ الكسائي وحده أرأيكم وأريت وأرأيتم كل القرآن بتوك الهمزة وقرأ الباقون بالهمزة في الجميع كل القرآن

❦ الهمزة ❦

قال أبو علي من حقق الهمزة فوجده قوله تعالى بين لأنه ضلت من الرواية بالهمزة حين الفصل ومن قرأ بالف في كل القرآن من غير هو على مقدار ذوق الهمزة فإنه يجعل الهمزة بين بين أي بين الألف والهمزة وأما الكسائي فإنه حذف الهمزة تحذفا لا ترى أن التخفيف القياسي فيها أن تفصل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا وله وكأ أنشد أحمد بن يحيى (إن لم أقاتل فاليسوني يرقما) وكقول أبي الاسودج يا يا للهمزة رب أمر معضل وما جاء على ذلك قول الآخر

أريت أن جئت به أملودا موجهلا ويلس البرودا

وما يقوي ذلك قول الشاعر

ومن رأي مثل معنان بن ليل إذا ما النسم طال على المعية

❦ الأعراب ❦

أرأيكم الكاف فيه الخطأ مجردا ومعنى الاسم مخلوع عنه لأنه لو كان اسميا لحسب أن يكون للاسم الذي بعده في قوله أرأيكم هذا الذي كرمت علي وأرأيكم زيدا ما صنع هو الكاف في المعنى لأن رأيت يندرج إلى معولين يكون الأول منها هو الثاني في المعنى وقد جعلناه إيس الكاف في المعنى وإذا لم يكن اسما كان حرفا للخطأ مجردا من معنى الاسم كالكاف في ذلك ومثاله وكلاهما في ذات. ولهذا ثبت أنه للخطأ فائاة في أرأيت لا يجوز أن يكون للخطأ لأنه لا يجوز أن يلحق الكلمة علامتان للخطأ كما لا يلحقها علامتان للتأنيث ولا علامتان للاستفهام فلما لم يجوز ذلك أفردت الفاء في جميع الأحوال لما كان الفصل لا بد له من فاعل وجعل في جميع الأحوال على لفظ واحد لأنه ما يلحق الكاف من معنى الخطأ بين الفاعلين فيخصص التأنيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التأنيث والجمع الفاء لاجتمعت علامتان للخطأ ما يلحق الفاء وما يلحق الكاف فكان يؤدي إلى ما لا نطوره فرض وحفظ من كلام أبي علي الفارسي وجوابه أن من قوله أن أتيتكم عذاب الله الفصل الذي دخل عليه حرف الاستفهام كما يقولون أنك زيد أنكروه وموضع أن وجوابه نصب لأنه في موضع مفعولي رأيت وقوله إن كنتم صاذيق جواب

محفوظ يدل عليه قوله ارايتكم لانه في معنى اخبروا فكأنه قال ان كنتم صادقين فاخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم

المعنى

ثم امر سبحانه تنبيه بمساجدة الكفار قال (قل) يا معطلو لا الكفار (ارايتم ان اتيكم عذاب الله) في الدنيا كما نزل بالامم قبلكم مثل عاد وثمود (او اتيكم الساعة) اي القيامة قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد واسم للوقت الذي يبعث فيه العباد والمعنى او اتيكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفتن لان قبل البعث يموت المخلوق كلهم (اغير الله تدعون) اي تدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الاوثان التي تعلمون انها لا تقدر ان تنفع انفسها ولا غيرها او تدعون الله الذي هو خالقكم وما لكم انكم لا تكفون ذلك عنكم (ان كنتم صادقين) في ان هذه الاوثان آلهة لكم احتج سبحانه عليهم بما لا يدفونه لانهم كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله ثم قال (بل اياه تدعون) ويل استدراك وإيجاب بعد نفي اعلمهم الله تعالى انهم اذا لحقتهم الشدائد في البحار والبراري والقفار يتضرعون اليه ويقولون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) اي يكشف الضر الذي من اجله دعوتهم ان شاء ان يكشفه (وتنسون ما تشركون) اي تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لانه ليس عندهم ضرر ولا نفع عن ابن عباس ويكون المائدالي الموصول علوقا لعل على تقدير ما تشركون به وقيل معناه انكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد تسبهم عن الزجاج وهو قول الحسن لانه قال تعرضون عنه اعراض الناسي اي لباس في النجاة من مثله ويحوز ان يكون مامع تشركون بمنزلة المصد فكون بمنزلة وتنسون شرككم

قوله تعالى (٤٢) ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فآخذناهم بالآساء والضرر امللهم يتضرعون (٤٣) فلو لا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يسمعون (٤٤) فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا آخذناهم بئسة فآذناهم مبسئون (٤٥) قيطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (الربع آيات)

القراءة

قرأ أبو جعفر فحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه ابن عامر الا قوله ولو فتحنا عليهم بابا وحتى اذا فتحنا عليهم بابا فإنه خفعا وواشعا مقرب في القدر وقرأ الباقون في جميع ذلك بالتخفيف الا مواضع قد اختلفوا فيها سند كرها ان شاء الله اذا بلغنا الى مواضعها

الحجة

من قل اراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك

المنة

الأساء البأس والغفوف والضراء من الضر وقد يكون الأساء من البؤس والتضرع التذلل يقال تضرع فلان فلان اذا بضع له وسأله ان يعطيه والبس التشديد الحسرة وقال الفراء الملبس المقطع الحجة قال روبة وحضرت يوم الخميس الخامس وفي الوجوه صفرة وابلاس

داير القوم الذي يدبرهم ويدبرهم لفتان وهو الذي يتلوهم من خلفهم ويأتي على اعقابهم وأنشد
آل الملب جز الله دايرهم اضحوا وما دافلاً أصل ولا طرف
وقال الاصمعي الداير الأصل يقال قطع الله دايره اي اصله وانشد
فدى لك رجلي ورجلي وفاقي غداة الكلاب اذ تجز الدواير
اي يقتل القوم فذهب اصولهم فلا يبقى لهم أثر وقال غيره داير الامر آخره وروي عن عبد الله ان
قال من الناس من لا يأتي الصلاة الا دبوا بضم الدال يعني في آخر الوقت كذا يقوله اصحاب الحديث قال
ابو زيد الصواب دبوا بفتح الدال والباء

الاعراب

لولا التحضيض ولا يدخل الاعلى الفعل ومعناه حلا تضرعوا ولكن قست قلوبهم معطوف على تأويل
الكلام الأول فإن في قوله حلا تضرعوا دلالة على انهم لم يضرعوا وقوله بنته مصدر وقع موقع الحال اي
اختناهم مباختين

المعنى

اعلم الله سبحانه فيه حال الامم للماخية في مخالفة رسله وبين ان حال هؤلاء اذا سلخوا طريق المخالفة
كحالهم في نزول العذاب بهم فقال (وقد ارسلنا) وها هنا محذوف وتقديره رسلاً (الى امم من قبلك) فخالقهم
(فاخذناهم) وحسن الخلف الارباع بدوا الاختصار من غير اختلال للدلالة مفهوم الكلام عليه (بالبايا والاضراء)
يريد به الفقر والبؤس والاسقام والافساج عن ابن عباس والحسن (لهم يضرعون) ومعناه لكي يضرعوا وقال
الزجاج لعل ترج وهذا الترجي لسياد المعنى فاختناهم بذلك ليكون ما يروجوه الباء منهم من الخضوع كما
قال في قصة فرعون لعله قد ذكر او يخشى قال سيويه المعنى اذها ابتاع على رجائكم قاله عالم بما يكون من
روا ذلك اخبر الله تعالى انه ارسل الرسل الى اقوام بلغوا من القسوة الى ان اخنوا بالشدة في انفسهم
وأموالهم ليخضعوا وينلوا لا مرا الله فلم يخضعوا ولم يضرعوا وهذا كالتسليم لني (ص) (فلولا اذ جاءهم
بأسنا تضرعوا) معناه فلا تضرعوا اذ جاءهم بأسنا (ولكن اقسى قلوبهم) فاقاموا على كفرهم فلم تنفع فيهم
العظة (وزين لهم الشيطان) بالوسوسة والاغراء بالمعصية لما فيها من عاجل اللذة (ما كانوا يصلون) يعني
اعلمهم وفي هذا حجة على من قال ان الله لم يرد من الكافرين الايمان لأنه سبحانه بين انه لما فصل ذلك
بهم ليضرعوا وبين ان الشيطان هو الذي زين الكفر للكافر بخلاف ما قاله المجبرون من انه تعالى هو المزين
لهم ذلك (فلما نسوا ما ذكرناه اي تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس وتأويله تركوا العمل بذلك وقيل
تركوا ما دعاهم اليه الرسل عن مقاتل) فختنا عليهم ابواب كل شيء اي كل نعمة وبركة من السماء
والارض عن ابن عباس وقيل ابواب كل شيء كانت مغلقا عنهم من الخير عن مقاتل والمعنى انه تعالى
امتنعهم بالشائد لكي يضرعوا ويوبوا فلا تركوا ذلك فتح عليهم ابواب النعم والتوسمة في الرزق ليرغبوا
بذلك في نسي الآخرة ولما فصل ذلك بهم وإن كان الموضع موضع العقوبة والانتقام دون الاكرام والاعظام
ليدعوه ذلك الى الطاعة فارت الدعاء الى الطاعة يكون تارة بالنبذ وتارة باللفظ أو تشديد العقوبة
عليهم بالنقل من التميم الى العذاب الاليم (حتى اذا فرجوا بما اتوا) من النعم واشتغلوا بالتلذذ واظهروا

السزور بما اعطوه ولم يروه نعمة من الله تعالى حتى يشكروه (اخفانهم) اي احللتنا بهم القربة (بغثة) اي مفاجأة من حيث لا يشعرون (فإذا هم مبسوثون) أي أسبون من التبعة والرحمة عن ابن عباس اذلة خاضعون عن البلخي وقيل متحيرون منقطعو الحجة المأاني متفاربة والمراد بقوله ابواب كل شيء التكنيز والتفخيز دون التتميم وهو مثل قوله واوتيت من كل شيء والمراد فتحنا عليهم ابواب اشياء كثيرة وآتيناها خيرا كثيرا وروي عن النبي (ص) انه قال إذا رأيت الله تعالى ينزل على المصافي فإن ذلك استدراج منه ثم تلا هذه الآية ونحوه ما روي عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال يابن آدم إذا رأيت ربك ياج عليك نعمة فاحذره (تقطع دابر القوم الذين ظلموا) مناه فاستوصل الذين ظلموا بالغباب فلم يبق لهم عقب ولا نسل (والحمد لله رب العالمين) على اهلاك اعدائهم واعلاء كلمة رسله حمد الله تعالى نفسه بأن استأصل شافهم وقطع دابرهم لانه سبحانه ارسل اليهم وانظرهم بعد كفرهم وأخفهم بالأساء والضراء واخبرهم بالحق والنبأ ثم بالمنة والرخة والفرح في الانذار والالامال والانتظار فهو المحمود على كل حال في هذا تعليم للمؤمنين ليحملوا الله تعالى على كفايته ايامهم شر الظالمين ودلالة على ان هلاكهم نعمة من الله تعالى ييب حده عليها وروى عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود القرني عن فضيل بن عياض عن ابي عبد الله (ع) قال سألته عن الودع قال الودع هو الذي يتورع عن عارم الله ويحسب هو لا وإذا لم يبق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يبره وإذا رأى المنكر ولم ينكره هو يقدر عليه قد احب أن يعصى الله ومن احب أن يعصى الله قد بارز الله بالعداوة ومن احب بقاءه الظالمين قد احب أن يعصى الله وأن الله حمد نفسه على اهلاك الظالمين فقال قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قوله تعالى (٤٦) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّتْ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهِ هَبْرَ اللَّهُ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرْ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ قُمْ يَصْدِفُونَ (٤٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٤٨) وَمَا نُرْسِلُ الرُّسُلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٩) وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا يَسْمُومُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ أربع آيات

● ● ●

جذب عن الشيء جذبوا إذا مال عنه والصدف الصدفة الجانب والناحية والصدف كل بناء مرتفع وفي الحديث كان (ص) إذا مر بصدف مائل أسرع المشي

— الاعراب —

من إله مبتداً وأخيراً وغير خمسة إله وهذه الجملة في موضع مقولي رأيتم ومن استفهام علق الفصل الذي هو رأيتم فلم يمتل في مفعولي لغظاً وقوله أن أخذ الله سبحانه جوابه مخذوف وتقديره فمن رأيتم به إلا أنه أنفي عنه بقوله من إله غير الله رأيتم به الذي هو مفعول رأيتم في المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب على الحال كما تقول لا ضربته إن ذهب أو مكث فإن قولك إن ذهب أو مكث وقع موقع ذهاباً أو ما كنا وتقديره مقدراً ذهاباً أو مكثته ويدل على أنه في موضع الحال مشابهته في المفرد أنه لا يستقل بنفسه كما

لا تستقل الجمل وإن كان جملة في المعنى فإنه بدخول حرف الشرط قد صار جملة المفرد في الحاجة إلى ما يستند إليه كما احتاج المفرد ويدل على قوة اتصاله بما قبله حاجته إلى ما قبله كما احتاج ما وقع موقفه إلى ما قبله وليس شيء من الفضلات يقع الجملة موقفه غير الحال ثبت أنه في موضع منصوب هو حال فإن قيل رأيت الجزء مقدور والشرط المذكور في اللفظ مع الجزء كلام مستقل وإنما كان هذا الاستدلال يسوغ لو كان الجزء غير مقدر قبل الجزء وإن كان مقدرا لا حكم له لأنه لا يجوز إظهاره وإنما هو شيء ثبت من جهة التقدير فضعف أمره ولو جاز إظهاره لكان في موضع الحال وهذا مأخوذ من كلام أبي علي الفارسي ذكره في التصريات مع كلام كثير في معناه قد دقق فيه ولم يسبق إليه وقوله يأتيكم به في موضع رفع بأنه صفة له

المعنى

ثم زاد سبحانه في الاحتجاج عليهم فقال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أي ذهب بها فصرتم صبا عيا (ونحن على قلوبكم) أي طبع عليها وقيل ذهب بقلوبكم ونسب حكم التمييز حتى لا تفهمون شيئا وإنما خص هذه الأشياء بالذكر لأن بها تتم النعمة دينا ودنيا (من إله غير الله يأتيكم به) قال الزجاج هذه الملاءمة تعود إلى معنى الفصل المعنى من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم قال ويجوز أن يكون عائدا إلى السمع ويكون ما حُصِف على السمع دخلا في القصة منه إذ كان مطوقا عليه قال ابن عباس يريد لا يقدر هؤلاء الذين يبدون أن يحملوا لكم أسعابا وأبصارا وقلوبهم تقولونها وتفهمون أي إن أخذها الله منكم فن يردّها عليكم بين سبحانه معنا أنه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب أن لا يبدوا سواه (انظر كيف نصرّف الآيات) أي نبين لهم في القرآن الآيات عن الكلي وقيل نصرّف الآيات توجيهها في الجهات التي يظهرها ألم الإلهام ومرة في جهة النعمة ومرة في جهة الشدة وقيل نصرّف الآيات أحداثا دالة على وجوه كما أن الآية المعجزة تدل على فاعلها وعلى قدرته وعظمته وعلى قوة النبي (ص) وصدقته (ثم هم) أي الكفار (يصدفون) أي يعرضون من تأمل الآيات والفكر فيها وقيل اعراضهم عنها كفرهم بها وإنما قال انظر لأنه تعالى عجب أولا من تتابع نعمة عليهم وضروب دلائله من نصرّف الآيات وأسباب الاعتبار ثم عجب ثانيا من اعراضهم عنها ثم زاد تعالى في الحجاج فقال (قل أرأيتم) أي اعلتكم (إن أتاكم صواب الله) أي غلبكم الله بعد اعذاره عليكم وإرساله الرسل (بنّة) أي مفاجأة (أو جرة) أي عناية وإنما قابل البنت بالجرّة لأن البنت تتضمن معنى الخفية لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون وقيل البنت انت يا تيمم ليلا والجرّة أن يأتيهم نهارا عن الحسن (هل يهلك) أي لا يهلك هذا العذاب (ولا القوم الظالمون) أي الكافرون الذين يكفرون بالله ويفسدون في الأرض وقيل أنهم كانوا يستمدون العذاب فينبئ أنه إذا نزل لا يهلك به إلا الكافرون فإن هلك فيه مؤمن أو طفل فأما بهلك محنة ويعرض الله على ذلك أرواحا كثيرة يصرف ذلك في جنبها والمراد بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة ثم بين سبحانه أنه لا يبعث الرسل إلا بالقدور على كل شيء يسألون عنه من الآيات وإنما يوصلهم لما يطلعهم من المصالح فقال (وما أرسل الرسل إلا مبشرين ومنذرين) ثم ذكر جواب من صدقهم في باقي الآية وعقاب من كذبهم في الآية الثانية فقال (فمن آمن) أي صدق الرسل (وأصلح) أي عمل صالحا في الدنيا (فلا خوف عليهم) في الآخرة (ولا هم يحزنون) كما يحزن أهل النار وقيل لا يحزنون على ما خفوا وراءهم في الدنيا (والذين كفروا يأتنا) أي أدلنا وسجنا وقيل محمد (ص) ومعجزاته (يعصم العذاب) يصيبهم العذاب يوم القيامة (بما كانوا يفسقون) أي

بقتهم وخروجهم من الايمان

قوله تعالى (٥٠) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا بِوَحْيٍ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ آيَةٌ

﴿المنية﴾

الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يحزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لاتناله الأيدي ومعه خزن الله يحزن خزنا اذا تغير لأنه يغيبا حتى ينتق

﴿المنى﴾

ثم امر النبي (ص) ان يقول لهم بعد اقتراحهم الآيات منه اني لا ادعي الربوبية وانما ادعي النبوة فقال (قل) يا محمد (لا اقول لكم) ايها الناس (عندي خزائن الله) يزيد خزائن رحمة الله من ابن عباس وقيل خزائن الله مقدوراته من الحيائي وقيل ارزاق الخلق حتى يؤمنوا طمعا في المال (ولا اعلم الغيب) الذي ينتمى الله بطمعه وانما اعلم قد ما يعلمني الله تعالى من امر البعث والتشور والجنة والنار وغير ذلك وقيل عاقبة ما تصيرون اليه من ابن عباس (ولا اقول لكم اني ملك) لاني انسان تعرفون نسبي يزيد لا اتقدم على ما يقدر عليه الملك وقد استدلل بهذا على ان الملائكة أفضل من الانبياء وهذا بعيد لأن الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له هنا وانما المراد لا اقول لكم اني ملك فاشاهد من امر الله وغيبه من العباد ما تشاهد الملائكة ان اتبع الامايحى الي) يزيد ما اخبركم الا يا انزله الله الي من ابن عباس وقال الزجاج اي ما اتبأتكم به من غيب فها مضى وفيها سيكون فهو يوحي من الله عز وجل ثم امره سبحانه فقال (قل) يا محمد لهم (هل يستوي الاعمى والبصير) اي هل يستوي العارف بالله سبحانه العالم بدينه والجاهل به وبدينه فيعلم الاعمى مثلا لجاهل والبصير مثلا لعارف بالله وبدينه وهذا قول الحسن واختاره الحيائي وفي تفسير اهل البيت هل يستوي من يعلم ومن لا يعلم وقيل معناه هل يستوي من صدق على نفسه واعترف بجهالة التي هو عليها من الحاجة والعبودية لخالقه ومن ذهب عن البيان وصحي من الحق عن البهني (افلاتتفكرون) فتتفصروا من انفسكم وتصلوا بالواجب عليكم من الاقوال بالترجيح ونفي التشبيه وهذا مستفهم يرد به الإخبار يعني انهم لا يستويان

قوله تعالى (٥١) وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُبَشِّرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِي وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ آيَةٌ

﴿الاعراب﴾

الهاء في به يعود الى ما من قوله ما يوحي الي وليس مع اسمه وخبره في موضع نصب على الحال من ياتقون كأنه قيل متعظين من ولي وشفيع

﴿المنى﴾

ثم امر سبحانه بعد تقديم الينبات بالانذار فقال (وانذر) اي عظ وخوف (به) اي بالقرآن من ابن عباس وقيل بالله من الضحاك (الذين ياتقون ان يبشروا الى ربهم) يريد المؤمنين ياتقون يوم القيامة وما فيها من شدة الاهوال من ابن عباس والحسن وقيل معناه يطمعون من الضحاك وقيل ياتقون ان يبشروا علما بأنه سيكون من القراء قال ولذلك فسره المفسرون يطمعون قال الزجاج المراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكفاي وانما خص الذين ياتقون الحشر دون غيرهم وهو ينذر جميع الخلق لأن الذين ياتقون الحشر الحشر الجسدية عليهم اوجب لاقرانهم بالمعاد وقال الصادق (ع) انذر بالقرآن من يرجون الوصول الى ربهم ترعيبهم فيا عندقون القرآن شافع

مشفع لهم (ليس لهم من دونه) أي غير الله (ولي ولا شفيع) عن الضحك وقال الزجاج إن اليهود والنصارى ذكرت أنها ابتداء الله وأجابوه فأعلم الله عز اسمه أن أهل الكفر ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وهذا الذي قاله ظاهر في أهل الكفر والمفسرون على أن الآية في المؤمنين ويكون معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع على أن شفاعة الأنبياء وغيرهم للمؤمنين إنما تكون بإذن الله قوله سبحانه من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه فذلك راجع إلى الله تعالى (لهم يتنون) كما يخافوا في الدنيا ويتنعموا بما نعيمهم عنه من ابن عباس

قوله تعالى (٥٢) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٣) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ يَتَنَّا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ آيَاتَان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر بالتدوة والمشي في كل القرآن يراو والباقرن بالتددة بالألف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الوجه التددة لانها تشمل فكرة وتعرف بالألف فأما غدة فمعرفة لم تتكرر هو علم صيغ له قال سيبويه غدة وبكرة جعل كل واحد منهما لهما للجنس كما جطرا لم حين لسا لدابة معروفة قال وزعم يونس عن ابى عمرو وهو القياس انك إذا قلت قيته يوما من الأيام غدة او بكرة وأنت تريد المعرفة لم تنون وهذا يقري قراءة من قرأ بالتددة والمشي ووجه قراءة ابن عامر ان سيبويه قال زعم الحليل انه يجوز أن تقول اتيتك اليوم غدة وبكرة فبسطها بجزالة ضحوة ومن حجة أن بعض أساء الزمان جاء معرفة بغير الف ولا م نحر ما حكاه ابو زيد من قوله قيته فينة غير مصروف والفينية بعد الفينة فألقى لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك انه يقدر فيه التنكير والشياخ كما يقدر فيه ذلك إذا نئي وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من المعارف ومثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم اثنين مباركا وأتيتك يوم اثنين مباركا فبهاء معرفة بلا الف ولا م كما جاء بالألف واللام ومن ثم انتصب الحال ومثل ذلك قولهم هذا ابن عرس مقبل لما أن يكون جبل مرسا نكرة وإن كان طما ولما أن يكون اشعر عنه يجنون

﴿ الإعراب ﴾

تطردهم جواب للفي في قوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فتكون نصب لأنه جواب للفي وهو قوله ولا تطرد أي لا تطردهم فتكون من الظالمين وقد بينا تقديره في مواضع

﴿ النزول ﴾

روى التلميذ بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال مر الملائ من قريش على رسول الله (ص) وعنده صهيب وخباب وبلال وعمر وغيرهم من ضفاء المسلمين فقالوا يا محمد أروضيت بهؤلاء من قومك انهم تكون تباههم أهؤلاء الذين من الله عليهم اطردهم عنك فملك ان طردتهم اتبناك فانزل الله تعالى ولا تطرد الى آخره وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعبيدة بن حنين الفزاري وخذوهم من المؤمنين فلو بهم فوجدوا النبي (ص) قاعا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضفاء المؤمنين فحرقوهم وقالوا يا رسول الله لو نحيث هؤلاء عنك حتى نخلو بك فلو ان وفود العرب تأتيكم فقتلهم ان يرونا مسع

هو لا. الاعد تم اذا انصرفنا فزن شئت فاعدهم الى محبتك فأجابهم النبي (ص) الى ذلك فقال لا اكتب لنا بهذا على نفسك كتابا فعدا بصحيفة واحضر عليا ليكتب قال ونحن نعود في ناحية اذ تول جبرائيل (ع) بقوله ولا تطرد الذين يدعون الى قوله أليس الله باطم بالشاكرين فتعجب رسول الله (ص) الصحيفة واقبل علينا ودنونا منه وهو يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنتا نتقدم معه فلما اراد ان يقوم قام وقتنا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية قال فكان رسول الله (ص) يقعد معنا ويدنو حتى كادت كتبتا تناسق ركبته فلما بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم ينجني حتى امرني بان اصبر نفسي مع قوم من أممي معكم الحيا ومعكم الميت

المعنى

ثم نهى سيطانه رسولاه عليه وآله السلام عن إجابة المشركين فيما اقترحوه عليه من طرد المؤمنين فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالثناء والمشي) يريد يبطلون ربهم بالصلاة المكتوبة يعني صلاة الصبح والعصر من ابن عباس والحسن ومجاهد وقادة وقيل ان المراد بالثناء ههنا الذكر اي يذكرون ربهم طرفي النهار عن ابوامر وروي عنه ايضا ان هذا في الصلاة الخمس (يريدون وجهه) يعني يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضاة الله لا يريدون بالله شيئا من عطا قال الزجاج شهد الله لهم بصدق النيات وانهم منظرين في ذلك له أي يقصدون الطريق الذي امرهم يقصده فكانه ذهب في معنى الوجه الى الوجه والطريق (ما عليك من حسابك من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) يريد ما عليك من حساب المشركين شيء ولا عليهم من حسابك شيء إنما الله الذي يشيب اولياءه ويغضب اعداءه من ابن عباس في رواية حليا واكثر المفسرين يردون الضمير الى الذين يدعون ربهم وهو الأشبه وذكروا فيه وجهين **أحدهما** ما عليك من علمهم ومن حساب علمهم من شيء عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله تعالى في قصة نوح إنا حسابهم الا على وفي لوشعرون وهذا لأن للمشركين اذودهم لقرهم وحاجتهم الى الأعمال الدينية وهم يرفع المشركين عليهم في المجلس فقل له ما عليك من حسابهم من شيء أي لا يلائمك عار بمعلمهم (قطرودهم) ثم قال وما من حسابك عليهم من شيء تأكيد لمطابقة الكلام وإن كان مستغنى عنه بالأول والوجه **الثاني** ما عليك من حساب رزقهم من شيء تسلمهم وقطردهم أي ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم وإنما يرزقك وإياهم الله الرزاق فدهم يدنوا منك ولا تطردهم (تسكون من الظالمين) لهم بطردهم حسن ابن زيد وقيل تسكون من الضالين لنفسك بالهضبة من ابن عباس قال ابن الأثير عظم الأمر في هذا على النبي صلى الله عليه وآله وخوف الدخول في جملة الظالمين لأنه كان قد هم بتقديم الرساء وأولي الأموال على الضعفاء مقدرا انه يستجبر لسلامهم إسلام قومه ومن لم تسلمهم (ص) لم يقصد في ذلك إلا قصد الخير ولم ينور به اذدادا بالقرءا فأعلم الله ان ذلك غير جائز ثم أخبر الله سبحانه انه يتجن القراء بالأخياء والأغنياء بالقرءا فقال (وكذلك كنا بضمهم بعض) أي كنا ابتلينا قبلك النبي بالفتير والثريف بالوضيم ابتلينا هؤلاء الرساء من قريش بالموالي فإذا نظر الشريف الى الوضع قد آمن قبله حي اتقا ان يسلم ويقول سبقتي هذا بالإسلام فلا يسلم وإنما قال سبحانه فتنا وهو لا يحتاج الى الاختيار لأنه ما علمهم معاملة المحتقر (ليقولوا) هذه لام العاقبة المعنى فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا قال امرهم الى هذه العاقبة (أهولاء من الله عليهم من بيننا) والاستهتام منه الإنكار كأنهم أنكروا ان يكونوا سيقومهم بفضيلة او خصوا بنبوة وقال ابو علي الجائي المعنى في فتنا شدتنا التكليف على اشراف العرب بأن امرناهم بالإيمان بتقديسهم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم اليهم في الإيمان وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك سبه الله فتنة وقوله ليقلوا اي فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستهتام لا على وجه الإنكار أمولا من الله عليهم بالإيمان إذ رأوا النبي يقدم هؤلاء عليهم ويرضوا بذلك من فعل

رسول الله ولم يجعل هذه التهمة والشدة في التكليف ليقولوا ذلك على وجه الانتكار لأن انتكارهم ذلك كفر بالله ومصيبة والله سبحانه لا يريد ذلك ولا يرضاه ولأنه لو أراد ذلك وضطره كانوا منطليين له لا عامين وقد ثبت خلافه وقوله (أليس الله بأعلم بالشاكرين) هذا استهتام تقرير أي انه كذلك كقول جرير

ألستم خير من ركب المطايا وأندي المألين بطون راح

وهذا دليل واضح على ان اقراء المؤمنين وضفاهم اولى بالترتيب والتقديم والتسليم من اغنيائهم وقد قال امير المؤمنين علي (ع) من اتى غيا فتواضع لتنازه ذهب ثلثا دينه

قوله تعالى (٥٤) وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَلَهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ آيَةٌ

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة انه من عمل بالفتح قلونه بالكسر وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب انه فأنه بفتح الألف نيعا وقرأ الباقون انه قلونه بالكسر فهما

﴿ المجبة ﴾

قال ابو علي من كسر فقال انه من عمل جلة تقديراً للرحمة كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير لوقوع وأما كسر قلونه غفور رحيم فلا ان ما بعد الفاء حكمه الابتداء ومن ثم حل قولهم فيتم الله منه على إرادة البشدا بعد الفاء وحلته وإما من فتح ان في قوله أنه قلونه جمل ان الأولى بدلا من الرحمة كأنه قال كتب ربكم على نفسه انه من عمل وأما فتحها بعد الفاء فعمل انه اضمره خبرا وتقديره قلنه انه غفور رحيم أي قلنه غفرانه او اضمر مبتدأ يكون انه خبرا له أي فأمره انه غفور رحيم وعلى هذا التقدير يكون الفتح في قول من فتح لم يلبسوا انه من يحمد الله ورسوله فأن له ناز جهنم تقديره قلنه ان له ناز جهنم إلا ان اضماره هنا احسن لأن ذكره قد جرى في قوله ان له وان شئت قلست فأمره أن له ناز جهنم فيكون خبر هذا المبتدأ المضمر وأما قراءة كتب ربكم انه قلونه فاقول فيها انه ابدل بن الرحمة ثم استأنف ما بعد الفاء

﴿ اللفظة ﴾

قال المبرد السلام في اللفظة اربعة اشياء مصدر سلمت سلاما وبهم سلاما واسم من اساء الله عز وجل وشجر في قوله (السلام حرم) ومعنى السلام الذي هو مصدر أنه دما للإنسان بأن يسلم من الآفات والسلام اسم الله تأويله ذو السلام أي الذي يملك السلام الذي هو التخلص من المكروه وأما السلام الشجر فهو شجر قوي سبي بذلك لسلامته من الآفات والسلام الحياطة سبي بذلك لسلامته من الرخاوة والصلح يسمى السلام والسلام لأن بتمامه السلامة من الشر والسلام الذل الذي لما عروة واحدة لأنها اسلم الدلاء من الآفات

﴿ الترتيل ﴾

اختلف في من ترت فيه هذه الآية فقيل نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم وكان الذي اذا رآهم يداهم بالسلم وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من أمرني ان ابدأهم بالسلم عن عكرمة وقيل نزلت في جماعة من الصحابة منهم خزيمة وجعفر ومصعب بن خيزر وعمار وغيرهم عن عليا وقيل ان جماعة اتوا رسول الله (ص) فقلوا انا أصبتا فزوبا كثيرة فسكت عنهم فنزل (ص) فقلت الآية من انفس بن مالك وقيل نزلت في التابعين وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام

المعنى

ثم امر سبحانه نبيه بتخطي المؤمنين فقال (واذا جائك) يا محمد (الذين يؤمنون) أي يصدقون (بآياتنا) أي
بمحبتنا وبرأينا (قل سلام عليكم) ذكر فيه وجوه ﴿أحدها﴾ أنه أمر نبيه (ص) أن يسلم عليهم
من الله تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيه (ص) عن الحسن (عليه) وثالثها ﴿أن الله تعالى أمر نبيه (ص)
أن يسلم عليهم تكريماً لهم عن الجانب﴾ وثالثها ﴿أن معناه أقبل عندهم واعتزاهم وبشرهم بالسلامة
ما اعتدوا منه عن ابن عباس (كتب ربكم) أي أوجب ربكم (على نفسه الرحمة) أي بما موكداً عن الزواج
قال أنا خوطب الخلق بإيقظون وهم يقولون أن الشيء الموعود أن يحفظ بالكتاب وقيل معناه كتبه في اللوح
المحفوظ وقد سبق بيان هذا في أول السورة (أنه من عمل منكم سره بجهالة) قال الزواج يحصل الجاهلة وهنا
وجهين ﴿أحدهما﴾ أنه عمله وهو جاهل بتقدير المكروه فيه أي لم يعرف أن فيه مكروهاً والآخر
أنه علم أن عقابه مكروهة ولكنه أكره الجاهل فجعل جاهلاً بأنه أكره النعم القليل من الراحة الكثيرة والغبية
الدائمة وهذا أقوى ومثله قوله سبحانه أنا التوبة على الله فلتبين سبل المجرمين الآية وقد ذكرنا ما فيه هناك
(ثم قلب من بعده وأصلح) أي رجع من ذنبه ولم يصر على ما فعل وأصلح عمله (فلو غفر رحيم)

قوله تعالى (٥٥) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

الترجمة

قرأ أهل المدينة ولتبين سبل بالانصب وقرأ أهل الكوفة غير خفض ولتبين بالياء سبل بالرفع
وقرأ زيد من يعقوب ولتبين بالياء سبل بالانصب وقرأ الباقون ولتبين بالياء سبل بالرفع

الحجة

من قرأ لتبين بالياء سبل وفما جعل السبل فاعلاً واثقه كما في قوله قل هذه سبيلي قال سيويه استبان
الشيء واستثنى ومن قرأ ولتبين بالياء سبل نصباً فقي الفعل ضمير المخاطب وسبيل مفعوله وهو على قواك
استثنت الشيء ومن قرأ بالياء سبل وفما فاعل مسند إلى السبل إلا أنه ذكر كما في قوله سبحانه يتخذوه سبيلاً
والمعنى ولتبين سبل المؤمنين وسبيل المجرمين فمضد لأن ذكر لعدى السبل يدل على الآخر ومثله إسرائيل
تعيكم الحر ولم يذكر البعد لدلالة الحر عليه ومن قرأ بالياء ونصب اللام فتقديره ولتبين السائل سبل المجرمين

الاعراب

كذلك الكاف في موضع نصب بأنه مفعول تفصل وذلك مجرور بالموضع بلوضافة الكاف إليه ويسأل
ما المشبوهة المشبه في قوله وكذلك وفيه جوابان ﴿أحدهما﴾ التفصيل الذي تقدم في صفة المؤمنين
وصفة الضالين شبه بتفصيل الدلائل على الحق من الباطل في صفة غيرهم من كل مخالف للحق ﴿والثاني﴾
أن المعنى كما فصلنا ما تقدم من الآيات لكم تفصله لتبركم

المعنى

ثم حلف سبحانه على الآيات التي استج بها على مشركي مكة وغيرهم فقال (وكذلك) أي كما قدمنا
من الدلالات على التوحيد والتبصرة والقضاء (نفصل الآيات) وهي الحجج والدلالات أي يفرها ونبيها ونشرها
على صفة قولكم وطلان ما يقوله هؤلاء الكفار (ولتبين سبل المجرمين) بالرفع أي لينظر طريق من عائد
بعد البيان إذا ذهب من فهم ذلك بالإعراض عنه لمن أراد التهم لذلك من المؤمنين ليجانحوا ويسلكوا فيها
وبالنصب يعرف الاسم أو السائل أو تعرف أنت يا محمد سبلهم وسيبهم يريد به ما هم عليه من الكفر

والنار والالقاء على المعاصي والجرائم المؤدية إلى النار وقيل إن المراد بسبيلهم ما عاجلهم الله به من الإذلال والظلم والبراءة منهم والأمر بالقتل والسبي ونحو ذلك والواو في وتشتين للحلف على مضمحل معذوف والتقدير لتفهموا وتشتين سبيل المجرمين والمؤمنين وجاز الحذف لأن فيما بقي دليلا على ما أتى قوله تعالى (٥٦) قُلْ إِنْ نَبَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا اتَّبِعْ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ آيَةٌ

❦ القراءة ❦

روى في الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على قبحها

❦ الحجة ❦

وهي لثان ضللت تضل وضللت تضل قال أبو عبيدة والفتحة التالية التفتح

❦ الأعراب ❦

معنى من في قوله من دون الله إضافة الدماء إلى دون بمعنى ابتداء الثانية ومعنى إذا الجزاء والمعنى قد ضللت إن عبدتها

❦ المعنى ❦

ثم أمر الله سبحانه نبيه بأن يظهر البراءة ما يبدو أنه قال (قل) يا محمد (إني نهيته أن أعبد الذين تدعون من دون الله) يعني الأصنام التي تصدونها وتقدمونها آفة (قل) يا محمد (لا أتبع أهواءكم) في عبادتها أي إنسا عبدتها على طريق الهوى لا على طريق السنة والبرهان عن الزواج وقيل معناه لا أتبع أهواءكم في طرد المؤمنين (قد ضللت إذا) أي أنا ضللت ذلك من ابن عباس (وما أنا من المهتدين) الذين سلكوا سبيل الدين وقيل معناه وما أنا من المهتدين الذين سلكوا طريق الهدى

قوله تعالى (٥٧) قُلْ إِنْ نَبَيْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْمَعُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٨) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْمَعُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ آيات

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الحجاز وحاصم يقض الحق بالصاد والباقر يقضي الحق

❦ الحجة ❦

حجة من قرأ يقضي قوله والله يقضي بالحق وحكي عن أبي عمرو أنه استدلل بقوله وهو خير الفاصلين فإن الفصل في الحكم ليس في القصاص وحجة من قرأ يقض قوله والله يقول الحق وقالوا قد جاء الفصل في القول أيضا في نحو قوله أنه يقول فصل وأما قوله الحق فيجوز أن يكون صفة مصدر معذوف تقديره يقضي القضاء الحق أو يقض القصص الحق ويجوز أن يكون مفعولا به مثل فعل الحق كقوله

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنم السوابغ تبع

❦ الفتحة ❦

البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم بالحق والاستعجال طلب الشيء

في غير وقته والحكم فصل الأمر على التلم

✽ الاعراب ✽

يقال قال كذبت بهو البيت موشة قيل لأن البيت يعني البان قالها كناية عن الزجاج وقيل كناية عن الرب في قوله ربي وقوله كذبت قد مضى معه لأنه في موضع الحال والحال لا يكون بالفعل الماضي او بعد قد اي مظهر او مضرة

✽ المعنى ✽

لأمر النبي (ص) بأن يتوأمأ ببدونه عقب ذلك سبحانه بالبيان انه على حجتكم ذلك وبينه وأنه لا يئلهم قتال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (اي على بيتة من ربي) اي على امر بين لا متبع لجوي من الزجاج وقال الحسن البيت الثيرة اي على نبوة من جهة ربي وقيل على حجة من معجزة دالة على نبوتي وهي القرآن من الجبائي وقيل على يقين من ربي من ابن عباس (وكذبت به) اي يا أتيتكم به من البيان يعني القرآن (ما عندي) اي ليس عندي (ما تستجولون به) قيل معناه الذي تطلبونه من الذباب كقوله يقولون يا محمد أتينا بالذي تعدنا وهذا كقوله ويستجولونك العذاب من ابن عباس والحسن وقيل هي الايات التي اتقواوها عليه استجبلوه بها فاعلم الله تعالى ان ذلك منه فقال (ان الحكم الا لله) يريد ان ذلك عند ربي وعن ابن عباس يعني ليس الحكم في الفصل بين الحق والباطل وفي انزال الايات الا لله (يقض الحق) اي يفضل الحق من الباطل ويقض الحق اي يقوله ويجز به (وهو خير القاضين) لأنه لا يظلم في قضائه ولا يجر من الحق وهذا يدل على بطلان قول من يزعم ان الظلم والقبائح بقضائه لأن من الظلم ان ذلك كله ليس بحق (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (لو ان عندي) اي يروني وإرادتي (ما تستجولون به) من انزال العذاب بكم (قضي الامر بيني وبينكم) اي فخر من الامر بأن اهلككم فاستريح منكم غير ان الامر فيه الى الله تعالى (والله اعلم بالظالمين) ووقت عذابهم وما يصلحهم وفي هذا دلالة على انه سبحانه اتما يؤخر العقوبة لضرب من المصلحة اما لأن يؤمنوا او لغير ذلك من المصالح فهو يدبر ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة

قوله تعالى (٥٩) وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ (٦٠) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ آجَان

✽ التلوة ✽

المفاتح جمع مفتاح بالفتح والمفتاح الذي يفتح به والمفتح يفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصف من الاشياء فهو مفتاح قال الفراء في قوله ان مفاتيحه لترو بالعصبة يعني خزانته والترو قبض الشيء على التام يقال ترويت الشيء واسترويته يعني والجرح العمل بالجارحة ولا جراح الاكساب

✽ الاعراب ✽

ولاحية تقديره ولا تسقط من حبة ثابتة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يأس الا في كتاب مبين الجار والمجرور في موضع الرفع لأنه خير الابتداء تقديره الا هو في كتاب مبين ولا يد من هذا التقدير لأنه لو لم يكن محمولاً على هذا لوجب ان لا يطلعها في كتاب مبين وهو سبحانه يعلم ذلك في كتاب مبين والاستثناء منقطع

معنى المعنى

لما ذكر سبحانه انه اعلم بالظالمين بين عقبيه انه لا يحصى عليه شيء من التيب ويعلم اسرار السابق فقال (وعنده مفاتيح التيب لا يعلمها الا هو) معناه وعندنا خزائن التيب الذي فيه علم المذاب المستحيل بدوغير ذلك لا يعلمها احد الا هو او من علمه به وعلمه اياه وقيل معناه وعندنا مقدرات التيب يتبع بها على من يشاء من عباده لإعلامه به وتعليمه اياه وتيسيره السبل اليه ونصبه الأداة له وينطق عن يشاء بأن لا ينسب الأداة له وقال الزجاج يريد عنده الوصلة الى علم التيب وكل ما لا يعلم اذا استعمل يقال فيه افتح علي وقال ابن عمر مفاتيح التيب خمس ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة الآية وقال ابن عباس معناه وعندنا خزائن التيب من الارزاق والاعمار وتأويل الآية ان الله تعالى عالم بكل شيء من مبتدآت الامور وعواقبها فهو يجعل ما يجيله اصبوب واصلع ويؤخر ما تأخيره اصبوب واصلع وانه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من الانبياء والاولياء لانه لا يعلم التيب سواه ولا يقدر احد ان يفتح باب العلم به ليعاد الا الله (ويعلم ما في البر والبحر) من حيوان وغيره وقال مجاهد البر القفار والبحر كل قرية فيها ماء (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) قال الزجاج المعنى انسه يعلمها ساقطة وثابتة وانت تقول ما يجيئك احد الا وانا اعرفه فليس تأويله الا وانا اعرفه في حال مجيئه فقط وقيل يعلم ما سقط من ورق الاشجار وما بقي ويعلم كم انقلبت ظهراً ليلعن عند سقوطها (ولاجبة في ظلمات الارض) معناه وما تسقط من جبة في باطن الارض الا يعلمها وكفى بالقليلة عن باطن الارض لانه لا يدرك كالا يدرك ما حصل في الظلمة وقال ابن عباس يعني تحت الصخرة في اسفل الارضين السبع او تحت حجر او شيء (ولارطب ولا يابس) قد جمع الاشياء كلها في قوله ولا رطب ولا يابس لأن الاجسام كلها لا تخلو من احد هذين وهو بمنزلة قولك ولا مجتمع ولا مفترق لأن الاجسام لا تخلو من ان تكون مجمعة او مفترقة وقيل يريد ما ينبت وما لا ينبت عن ابن عباس وعنه ايضا ان الرطب الماء واليابس البادية وقيل الرطب الحي واليابس الميت وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الورقة السقط والجنة الولد وظلمات الارض الارحام والرطب ما ينحيا واليابس ما ينفض (الا في كتاب) معناه وهو مكتوب في كتاب (مبين) اي في الورح المحفوظ ولم يكتبها في الورح المحفوظ ليحفظها ويدرسها فإنه كان علماً عاقل ان كتبها ولكن ليعارض الملائكة الحوادث على امر الأهم بالمكتوب فيه فيجهدونها موازنة للمكتوب فيه فيزدادون علماً وبقينا بصفات الله تعالى وايضاً فإن المكلف اذا علم ان اعماله مكتوبة في الورح المحفوظ تطالها الملائكة قويت دواحيه الى الافعال الحسنة وترك القبائح وقال الحسن غداً تكبد في الزجر عن الماضي والحث على البر لأن هذه الاشياء التي لا ثواب فيها ولا عقاب اذا كانت محصاة عنده محفوظة فالاعمال التي فيها الثواب والعقاب اولى بالحفظ وقيل ان قوله في كتاب مبين معناه انه محفوظ غير منسي ولا مغفول عنه كما يقول القائل لشهري ما تصنعه عندي مسطور مكتوب وانا يريد بذلك انه حافظه لا يريد مكافأته عليه وانشد ان لسلبي عنتاً ديواناً عن البليخي قال الجرجاني صاحب النظم تم الكلام عند قوله ولا يابس ثم استأنف خبراً آخر بقوله الا في كتاب مبين يعني وهو في كتاب مبين ايضاً لأنك لو جعلت قوله الا في كتاب مبين متصلاً بالكلام الأول لفسد المعنى ولما فيه سبحانه بهذه الآية على انه عالم لقائه من حيث انه لو كان علماً لم لو جبا حدثة الاشياء كلها فاشد اما ان يكون له علوم غير متناهية او ان يكون ملوامة متناهية او متعلق علم

واحد بمعلومات غير مناهية وكلها باطل بالدليل به في الآية التي تليها على انه قادر لذاته من حيث انه قادر على الاحياء والايماءة قال (وهو الذي يتوفاكم بالليل) اي يقبض ارواحكم عن التصرف عن ابن عباس وغيره واختاره علي بن عيسى وقيل معناه يقبضكم بالنوم كما يقبضكم بالموت فيكون قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية عن الزجاج والجبايى (ويلد ما يرجحتم بالنهار) اي ما كسبتم من الاعمال على التفصيل بالنهار على كثرتهم وكثرتكم وفيه اشارة الى رحمة حيث يعلم مخالفتهم اياه ثم لا يعاجلهم بعقوبة ولا يمنهم فضله ورحته (ثم يمشكم فيه) اي ينبهكم من نومكم في النهار عن الزجاج والجبايى جعل انتباههم من النوم معناه ليقضى اجل مسى (معناه لتستوفوا اجالكم وترتيب الآية وهو الذي يتوفاكم بالليل ثم يمشكم في النهار على علم بما تخرجون بالنهار ليقضى اجل مسى فاللام متصل بقوله ثم يمشكم فيه الا انه قد تم ما من اجله بشئ بالنهار لانه اهم والعناية به اشد عن علي بن عيسى ومعنى القضاء فصل الامر على تمام ومعنى قضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت وفي هذا حجة على النشأة الثانية لأن منزلتها بعد الاولى كنزلة اليقظة بعد النوم في ان من قدر على احدها فهو قادر على الآخر (ثم اليه مرجعكم) يريد اذا تمت المدة المضروبة لكل نفس نقله الى الدار الآخرة ومعنى اليه الى حكمه وجزائه والى موضع ليس لاحد سواه فيه امر (ثم يمشكم) يغيركم (ما كنتم تعملون) اي بما غفلت عنه من اعمالكم وفي هذه الآية دلالة على البعث والامعادة به الله سبحانه على ذلك بالنوم واليقظة فان كلا منها لا يقدر عليه غيره تعالى فاما ما يصح اعادته من الاشياء فالصحيح من مذهب أهل العدل فيه ان يكون الشيء من فعل القديم سبحانه القادر لذاته وأن يكون مما يقى وأن لا يكون مما يتولد عن سبب

قوله تعالى (٦١) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ (٦٢) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (آياتان)

❦ القراءة ❦

قرأ حمزة وحده توفاه والباقون بالياء وقرأ الاعرج بفرطون في الشواذ

❦ الحجة ❦

حجة من قرأ بالياء قوله قد كتبت رسل وقالت رسلهم وحجة حمزة انه فعل متقدم مستدلى موث غير حقيقي ولما التائب للجمع فهو مثل وقال نوسة وأن كانت الكتابة في المصحف جاليا فليس ذلك بخلاف لأن الألف المائلة قد كتبت ياء وقراءة الاعرج من افراط في الأمر اذا زاد فيه وقراءة الناسة من فوط في الامر اذا قصر فيه فهو بمنى لا يقصرون فيما يؤثرون به من توفي من تحضره منته وذاك بمنى لا يزيدون على ذلك ولا يتوفون الا من أمروا بتوفيه ونظيره قوله وكل شيء عنده بقدر

❦ المعنى ❦

ثم زاد سبحانه في بيان كمال قدرته قال (وهو القاهر فوق عباده) معناه والله المقتدر المستعلى على عباده الذي هو فوقهم لا بمنى انه في مكان مرتفع فوقهم وفوق مكانهم لأن ذلك من صفة الاجسام والله تعالى

أمنزه عن ذلك ومثله في اللغة أمر فلان فوق أمر فلان أي هو أعلى أمراً وأفدحاً ومثله قوله يد الله فوق أيديهم فالمراد به أنه أقوى وأفدح منهم وأنه القاهر لهم ويقال هو فوقه في العلم أي اعلم منه وفوقه في الجود أي أجود فيه عن تلك الزيادة بهذه العبارة البيان عنها (ويرسل عليكم حفظة) عطف على صلة الألف واللام في القاهر وتقديره وهو الذي يقهر عباده ويرسل عليكم حفظة أي ملائكة يحفظون أعمالكم ويحفظونها عليكم ويكتبونها وفي هذا لطف السباد لينزجروا عن المصاهي إذا علموا أن عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها عليهم يوم القيامة (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته) أي يقبض روحه (رسلنا) يعني أعوان ملك الموت عن ابن عباس والحسن وقادة قالوا وإنما يقبضون الأرواح بأمره ولذلك أضاف التوفي إليه في قوله قل يتوفاكم ملك الموت وقال الزجاج يريد بالرسول هؤلاء الحفظة فيكون المعنى يرسلهم الحفظ في الحياة والتوفية عند مجيء المات وحتى هذه هي التي تقع بعدها الجملة (وهم لا يفرطون) أي لا يضيئون عن ابن عباس والسدي وقيل لا يغفلون ولا يتأثرون عن الزجاج قال ومعنى التفریط تقصير العجز فالمنى أنهم لا يسجرون ثم بين سبحانه أن هؤلاء الذين تتوفاهم رسله يرجعون إليه فقال (ثم ردوا إلى الله) أي إلى الموضع الذي لا يملك الحكمه فيه إلا هو (مولاهم الحق) قد مر معناه عند قوله أنت مولانا والحق اسم من أسماء الله تعالى واختلف في معناه قيل المعنى أن أمره كله حتى لا يشوبه باطل وجد لا يماوراه هزل فيكون مصدراً وصف به نحو قولهم رجل عدل وفي قول زهير

مضى يستجر قوم بقل سروانهم هم يبتنا فهم رضا وهم عدل

وقيل إن الحق بمعنى الحق كاقيل غياث بمعنى منبث وقيل إن معناه الثابت الباقي الذي لا فناء له وقيل معناه ذو الحق يريد أن اغضاه وأقواله حق (ألا له الحكم) أي القضاء فهم يوم القيامة لا يملك الحكم في ذلك اليوم سواه كما قد يملك الحكم في الدنيا غيره بتسليمك إياه (وهو أسرع الحاسبين) أي إذا حاسب فحسابه سريع وقد مضى معناه في سورة البقرة عند قوله سريع الحساب وروي عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه سئل كيف يحاسب الله المطلق ولا يرويه قال كما يروهم ولا يرويه وروي أنه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة وهذا يدل على أنه لا يشغله محاسبة أحد عن محاسبة غيره ويدل على أنه سبحانه يتكلم بلا لسان وطوات لصبح أن يحاسب الجميع في وقت واحد

قوله تعالى (٦٣) قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٤) قُلْ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ (آياتان)

❦ القراءات ❦

قرأ أبو بكر عن عامر خفية بكسر الخاء هاء في الأعراف والباقون خفية بالضم وقرأ قل من ينجيكم خفية مقرب وسهل وقرأ الباقر ينجيكم وقرأ أهل الكوفة ثلث النجاة من هذه بالالف إلا أن عاصراً قرأ بالتفخيم والباقر بالإمالة وقرأ غيرهم من القراء ثلث النجاة وقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وهشام عن ابن عامر قل الله ينجيكم بالتشديد والباقر ينجيكم بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

أما خيفة فإن أبا عبيدة قال خيفة أي تخفون في انفسكم وحكى غيره خيفة وخيفة لثلاث وأما خيفة ففعلته من الخوف اقلبت الياء عن الواو للكسرة قال

فلا تتدق على رذة وتضم في القلب وجدا وخيفا

وهو جمع خيفة وأما قوله بتجيكم فأهم قالوا نجا زيد فإذا قل الفصل حسن قلته بالمعزة كما حسن قلته بالتصنيف في التنزيل فأناجاء الله من النار فأنجيناه والذين آمنوا وفيه ونجينا الذين آمنوا فاستوى القراءتان في الحسن فأما من قرأ أنجائنا فإنه حمله على التيسر لأن ما قبله تدعونه وما بعده قل الله بتجيكم وكلاهما للنية ومن قرأ لئن أنجيتنا فإنه واجبه بالخطاب ولم يراع من إشاكلة ما راعاه الكوفيون

﴿ الإعراب ﴾

تدعونه في موضع نصب على الحال تقديره قل من يتجيكم داعين وقائلين لئن أنجيتنا تضربا نصب بآته حال ايضا من تدعونه وكذلك خيفة والمعنى تدعونه مظهرين الضراعة ومضمرين الحاجة اليه او مطلقين ومسررين

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه الى حجاج الكفار فقال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (من يتجيكم) اي يخلصكم ويسلمكم (من طلبات البر والبحر) اي من شدائدها وأعمالها من ابن عباس قال الزوجاج العرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة يوم مظالم حتى أنهم يقولون يوم ذكوا كب اي قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل وأنشد بني اسد هل تعلمون بلانا إذا كان يوم ذكوا كب اشهب

وقال آخر

فدعي لبني ذهل بن شيبان ناقتي إذا كان يوما ذكوا كب اشمتا

وقال غيره اراد ظلمة الليل وظلمة النجم وظلمة التيه والحيرة في البر والبحر فجمع لفظه ليدل على معنى الجمع (لا تدعونه) اي تدعون الله جند معاينة هذه الاحوال (تضربا وخيفة) اي حلاية وسرا عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تدعونه مخلصين مضمرين تضربا بالستكم وخيفة في انفسكم وهذا اظهر (لئن أنجيتنا) اي في اي شدة وقطم قلتم لئن أنجيتنا (من هذه لتكونن من الشاكرين) لأنما ملك علينا وهذا يدل على ان السنة في الدعاء التضرع والإغناء وقد روي عن النبي (ص) انه قال خير الدعاء الحقني وخير الزوق ما يكفي ومر بقوم رفوا اصواتهم بالدعاء فقال انكم لا تدعون أصم ولا غابيا وانما تدعون سيماقويا (قل) يا محمد (الله يتجيكم) اي ينعم عليكم بالنجاة والفرج ويخلصكم منها اي من هذه الظلمات (ومن كل كرب) اي ويخلصكم الله من كل غم (ثم أنتم تشركون) بالله تعالى بعد قيام الحجة عليكم ما لا يقدر على الإنجاء من كل كرب وان خف قوله تعالى (٦٥) قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرضكم أو يليسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف تصرف الآيات لهم يفقهون (آية)

﴿ اللغة ﴾

لبست عليهم الامر البسه اذا لم يبينه وخلطت بفضه بعض ولبت الثوب البسه البس اختلاط الامر واختلاط الكلام ولا بست الامر خلطه والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة وشيعت فلان اتبعته والتشيع هو الاتباع

على وجه التدوين والولاء للتبوع والشعة صارت في العرف اسما لمتبعي أمير المؤمنين علي (ع) على سبيل الاحتقاد للإمامته بعد النبي (ص) بلا فصل من الإمامية والزيدية وغيرهم ولا يقع إطلاق هذه العقلة على غيرهم من المتبعين سواء كان تبوعهم مطلقا أو مطلقا إلا أن يسقط عنه لام التثنية ويضاف بلفظ من المتبعين فيقال هو لاه شيعية بنو العباس أو شيعية بنو فلان

﴿المنى﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الحجج التي حاج به الكافرون ونبه على الأعداء والإنذار فقال (قل يا محمد هؤلاء الكفار (هو القادد على أن يبعث) أي يرسل (عليكم هذا من فوقكم) أو من تحت أرجلكم) قيل فيه وجوه ﴿أحدها﴾ أن هذا من فوقكم على به الصيحات والحيارة والظواهر والربع كما قل باد وقرود وقوم شبيب وقوم لوط أو من تحت أرجلكم على به الحسف كما فعل بقرون عن سيد ابن جبير ومجاهد ﴿وثانيها﴾ أن المراد بقوله من فوقكم أي من قبلي كما ذكره أومن تحت أرجلكم من سفلتكم من الضمك ﴿وثالثها﴾ أن من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت أرجلكم العبيد السود ومن لا خير فيه من ابن عباس وهو المزوي من أبي عبد الله (ع) (أو بلسكم شيئا) أي يخطبكم فرفا مخطفي الأحرار لا تكونون شيعة واحدة وقيل هو أن يكلمهم إلى القسم فلا يلفظ لهم اللطف الذي يؤمنون عنده ويخطبهم من الطائفة بفتوهم الساقطة وقيل على به يضرب بعضهم بعضا بقية بينكم من المداوة والنصبة وهو المزوي من أبي عبد الله (ع) (وينذركم بعضكم بعضا) أي قتال بعض وحرب بعض ومناه يقتل بعضهم بعضا حتى يقتل بعضهم بعضا كما قال وكذلك فولي بعض الظالمين بعضا با كانوا يكسبون وقيل هو سوء الجوار من أبي عبد الله (ع) وقال الحسن التهديد بأنزال العذاب والحسف يتناول الكفار وقوله أو بلسكم شيئا يتناول أصل الصلاة وقال قال رسول الله (ص) سألت ربي أن لا يظهر على أمتي أهل دين غيرهم فأعطاني وسألت أن لا يهلككم جرحا فأعطاني وسألت أن لا يحجمهم على ضلالة فأعطاني وسألت أن لا يلبسهم شيئا فمتني وفي تفسير الكلبي أنه لا نزلت هذه الآية قام النبي (ص) فتوضأ وأمسح وضوءه ثم قام وصلى فأحسن صلاتهم سأل الله سبحانه أن لا يبعث على أمته هذا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا يلبسهم شيئا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فقل جبرائيل (ع) فقال يا محمد أن الله تعالى سمع مقالتي وإنه قد أجابهم من خصيتي ولم يجزهم من خصيتي أجابهم من أن يبعث عليهم هذا من فوقهم أو من تحت أرجلهم ولم يجزهم من الخصيتين الآخرين فقال (ص) يا جبرائيل ما بقا أمتي مع قتل بعضهم بعضا فقام وعاد إلى الدعاء فقل لم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون إلا اثنتين فقال لا بد من فتنة قبلي بها الأمة بمدنيها ليشين الصادق من الكاذب لأن الزحري انقطع وبقي السيف واقتراق الكلبة إلى يوم القيامة وفي الخبر أنه صلى الله عليه وآله قال إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع منها إلى يوم القيامة وقال أبي بن كعب سيكون في هذه الأمة بين يدي الساعة خسف وقوف ومسح ثم أكد سبحانه الاحتجاج عليهم بقوله (انظر كيف نصرف الآيات) أي انظر يا محمد كيف ودد الآيات ونظيرها مرة بعد أخرى بوجه أدلتها حتى تزدل الشبه (لهم يفتنون) أي لكي يعلموا الحق فيفتنوه وللساطل فيجتنبوه وإذا كان البعث في الآية محسولا على التسلط فالمراد به التمكن ورفع العيلة دون أن يضل سبحانه ذلك أو يأمر به تعالى الله من ذلك وفي هذه الآية دلالة على أنه سبحانه قادر على ما الموصوف أنه لا يضله

قوله تعالى (٦٦) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٧) لِكُلِّ

نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ آيتان كوفي وآية واحدة عند غيرهم

﴿ المعنى ﴾

لا ذكر سبحانه تصرف الآيات قال تعجب ذلك (وكني به) ايما تصرف من الآيات عن الجبائي والبلخي وقال الأزهري اما يعود إلى القرآن وهو قول الحسن وجملة (قوماك) يعني قوماك والعرب (وهو الحق) اي القرآن او تصرف الآيات حتى يعني انه يدل على الحق وانما فيه حق ثم بين سبحانه ان عاقبة تكذيبهم يعود عليهم فقال (قل) يا محمد (لست عليكم بوكيل) اي لم اؤمر بتمسككم من التكذيب بآيات الله وان احتفظكم من ذلك واحول بكنكم وبيته لأن الركيل على الشيء هو القائم بحفظه والذي يدفع الضرر عنه من الجبائي وقيل معناه لست بمحافظ لعمالكم لأجازيكم بها إذا اتا منذر والله سبحانه هو المجازي عن الحسن وقيل معناه لم اؤمر بحريكم ولا اخذكم بالآيات كما يأخذ الموكل بالشيء الذي يلزم بلوغ آخره عن الزجاج (لكل نأ مستقر) اي لكل خير من اخبار الله ورسوله حقيقة كائنة إما في الدنيا وإما في الآخرة من ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لكل خير قرار على غاية ينتمي اليها ويظهر عندها قال السدي استقر يوم بدر ما كان يهدم من العقاب وسمي الوقت مستقرا لانه طرف لفضل الواقع فيه وقيل معناه لكل عمل مستقر عند الله حتى يجازي به يوم القيامة من الحسن (وسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد لهم اما بعباد الآخرة واما بالحرب واخذهم بالآيات شاءوا أو أبوا وتقديره وسوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى (٦٨) وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعْقُدْ بِهِ أَذْكُرْ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٩) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَّرْتَهُمْ يَتَقُونَ (آيَاتِنَا)

﴿ التفسير ﴾

قرأ ابن عامر وحده يسيبك بالشديد والافون يسيبك بالتحفيف

﴿ الحجة ﴾

حجة من خفف قوله وما اتانيه إلا الشيطان وحجة ابن عامر انه يجوز نقل الفعل بتضمين العين كما يجوز نقله بالهزة كما يقال حزمته واضمته

﴿ الاعراب ﴾

ذكرى يجوز أن يكون في موضع نصب على معنى ولكن ذكرهم ذكرى ويجوز أن يكون في موضع رفع على احد وجهين إما أن يكون على معنى ولكن الذي تأمرهم به ذكرى فيكون خبر المبتدأ واما أن يكون عليكم ذكرى اي عليكم ان تذكرهم كما قال إن عليك إلا البلاغ وعلى هذا فيكون ذكرى مبتدأ

﴿ النزول ﴾

قال ابو جعفر (ج) لا نزلت فلا تعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال المسلمون كيف نصنع إن كان كما استهزأ المشركون بالقرآن قمتا وتركتهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فأنزل الله سبحانه وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء امرهم بتذكيرهم وتبصيرهم بالاستطاعوا

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه بتذكير محاسنهم عند استهزائهم بالقرآن فقال (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) خاطب النبي (ص) اي إذا رأيت هؤلاء الكفار وقيل الخطاب له والمراد غيره ومعنى يخوضون يكفون بآياتنا وديننا

عن الحسن وسعيد بن جبير والحوض التخليط في المناقضة على سبيل البت واللب وترك التهم والتبيين (فعارض منهم) أي فتركهم ولا تجالسهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) أي يدخلوا في حديث غير الاستهزاء بالقرآن وإلزامه (ص) بالأعراض عنهم لأن من حاج من هذه حاله فقد وضع الشيء غير موضعه وحط من قصد البيان والجلجلاج (وإما يبنيتك الشيطان) المعنى وإن اتسأك الشيطان نهيتا إياك عن الجلوس معهم ويسأل على هذا فيقال كيف أضاف النسيان إلى الشيطان وهو فعل الله تعالى والجلوب إذا أضافه إلى الشيطان لأنه تعالى أجرى العادة بفعل النسيان عند الأعراض عن التذكر وتراكم المخاطر الردية والوساوس القاسية من الشيطان فجاز إضافة النسيان إليه لما حصل عند فعله كما أن من أتى غيره في البرد حتى مات فإنه يضاف الموت إليه لأنه مرضه لذلك وكان كالسلب فيه (فلا تعد بعد الذكرى) أي بعد ذكرك نهيتا وما يجب عليك من الأعراض عن الجبائي وقيل معناه بعد أن تذكرهم بدعائك إياهم إلى الدين عن أبي مسلم فكانه قال أعرض في حال اليأس وذكر في حال الطمع (مع القوم الظالمين) يعني في مجالس الكفار والفاسق الذين يظهرون التكذيب بالقرآن والآيات والاستهزاء بذلك وبه قال سعيد بن جبير والسدي واختاره البلخي وقال كان ذلك في أول الإسلام وكان يقتضيه النبي (ص) وخصص للمؤمنين في ذلك ثم لما عز الإسلام وكثر المسلمون نهوا عن مجالستهم ونسخت هذه الآية بقوله فلا تعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره أنكم إذا مثلهم قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التحية على الأنبياء والآئمة وأن النسيان لا يجوز على الأنبياء وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم لأن الإمامية إنما تميز التحية على الإمام فإيا تكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ويكون المكلف مزاح الملا في تكليفه ذلك فاما ما لا يعرف إلا قول الإمام من الأحكام ولا يكون على ذلك دليل إلا من جهة فلا يجوز عليه التحية فيه وهذا كما إذا تقدم من النبي بيان في شيء من الأشياء الشرعية فإنه يجوز منه أن لا يبين في حال أخرى لأنه ذلك الشيء إذا اقتضته المصلحة ألا ترى إلى ما روي أن عمر بن الخطاب سأله عن الكلاله فقال يكفئك آية السيف وإما النسيان والسهو فلم يجوزوها عليهم فإيا يؤذونه من الله تعالى فاما ما سواه فقد جوزوا عليهم أن ينسوه أو يسهوا عنه ما لم يؤذ ذلك إلى إخلال بالنقل وكيف لا يكون كذلك وقد جوزوا عليهم النوم والغا. وما من قبل السهو فهذا ظن منه فاسد وإن بعض الظن اثم (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) أي ليس على المؤمنين الذين اتقوا ما حصى الله سبحانه من حساب الكفرة شيء يخضوهم مجلس الحوض (ولكن ذكرى لهم يتقون) أي لهم من مجالستهم ليزدادوا تقى وأمرنا أن يذكرهم وينبههم على خطاياهم لكي يتقوا المشركون إذا رأوا أمراض هؤلاء المؤمنين عنهم وتركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك عن أكثر المفسرين وقيل معناه ليس على المتقين من الحساب يوم القيامة مكروه ولا توبة ولكنه اعلمهم أنهم محاسبون وحكم بذلك عليهم لكي يطمروا أنه الله يحاسبهم فيتقوا عن البلخي فالله. والله على الوجه الأول يعود إلى الكفار وفي الثاني إلى المؤمنين

قوله تعالى (٧٠) وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَهُمْ أَغْرَبُ نَفْسٍ يَمَّا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ آلِهَةٍ وَلَا شَفِيعٍ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُسْلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (آية)



يقال بسلته مجروته أي أسلمته بها والمشيمل المستسلم الذي يعلم أنه لا يقدر على التخلص قال الشاعر
وابسالي بني بغير جرم
بعونه ولا بدم تراق

أي إسلامي أيامهم والبحر الحامية قال الاخفش تبسل أي تجازي وقيل تبسل أي ترهن والمعاني متقاربة وهذا تبسل عليك أي حرار عليك وجائز أن يكون اسد بسل من هذا أي أنه لا يقدر عليه وجائز أن يكون من الأول يعني أن معه من الإقدام ما يستبسل له قرنه ويقال اسطر الرائي بسلته أي أجرته وتأويله أنه عمل في الشيء الذي قد استبسل صاحبه معه والعدل القضاء وأصله الخلل والحليم الماء الحار أهم حتى انتهى غليانه ومنه الحرام

❁ الإعراب ❁

أن تبسل في موضع نصب بأنه مفعوله وهو من باب حذف المخالف تقديره كراهية أن تبسل وقوله ليس لها من دون الله صفة لنفس والتقدير نفس عادمة وليا وشفيها يكسبها أو تلك الذين أسبلوا مبتدأ وخبر وقوله لهم شراب من جميع يجوز أن يكون خبرا ثانيا لا أولئك ويجوز أن يكون كلاما مستأنفا

❁ المعنى ❁

ثم عاد تعالى إلى وصف من تقدم ذكرهم من الكفار فقال (وذر الذين اتخذوا دينهم لبها ولها) أي دهم وأعرض عنهم وإذا أراد به أعراض ابتكار لأنه قال بعد ذلك وذكر يريد دح ملاحظتهم ومجالستهم ولا تدع مذكرتهم ودعوتهم ونظيره في سورة النساء فأعرض عنهم وعظمهم (وغفرهم الحياة الدنيا) يعني به اغفروا بجرائمهم (وذكر به) أي حظ بالقرآن وقيل ينيرم الدين وقيل بالحساب (أن تبسل نفس بما كسبت) أي لكهي لا تبسل نفس للهلكة بما كسبت أي بما صلت عن الحسن ومجاهد والسدي واختاره الجبائي والفراء وقيل إن معنى تبسل تهلك من ابن عباس وقيل تحبس من قتادة وقيل تؤخذ من ابن زيد وقيل تسلم إلى خزنة جهنم عن عطية السرفي وقيل تجازي عن الأخفش (ليس لها من دون الله ولي) أي ناصر ينجيها من العذاب (ولا شفيع) يشفع لها (وأن تعدل كل عدل) وإن تعد كل فداء (لا يؤخذ منها) وقيل معناه وإن تقطع كل قسط في ذلك اليوم لا يقبل منها لأن التوبة هناك غير مقبولة وإذا تقبل في الدنيا (أو تلك الذين أسبلوا) أي أهلكوا وقيل أسلموا للهلكة فلا تلخص لهم وقيل ارتعزوا وقيل يبرزوا (ما كسبوا) أي يكسبهم وعملهم (لهم شراب من حميم) أي ماء منقي حار (وعذاب أليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) أي يكفروهم يريد جزاء على كفرهم واشتد في الآية قتيل هي منسوخة بأية السيف وقيل ليست بمنسوخة وإنما هي تهديد ووعد من مجاهد وغيره وفيها دلالة على الوعد العظيم لمن كانت هذه سبيله من الاستعزاء بالقرآن وبآيات الله وتحذير عن سلوك طريقهم وقال الفراء ما من أمة إلا ولهم ميد يلعبون فيه ويلعبون إلا أمة محمد (ص) فزن إياهم صلاة ودعاء ومعبادة

قوله تعالى (٧١) قُلْ أُنذِعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرْذِلْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ خَيْرَٰنَ لَهُ أَصْحَابُ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ أَيْنَا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمِرًا نَلْسُلْ رَبَّ الْعَالَمِينَ (آية)

❁ القراءة ❁

قرأ حمزة وحده استهويه بالف عمالة والباقرن استهوته بالثاء المجمعين فوق

❁ الحجة ❁

قال ابو علي كلا المذهبن حزن قال الشاعر

و كنا ورثناه على عهد تبع

طويلا سواريه شديدا دعاة

❁ ❁ ❁

استهواه من قلوبهم هوى من حلق إذا توردي منه وشبه به الذي زل عن الطريق المستقيم كما ان قوله زل
إنما هو في المكان قال (قام على منزعة زلخ قول) ثم يشبه به المخطئ في طريقته في مثل قوله فآزلهما الشيطان
فكذلك هوى وأهواء غيره فقال أهوته واستهوت بمعنى كما يقال آزه الشيطان واستأله بمعنى وكذلك
استجابته بمعنى أجابه «قال فلم يستجبه عند ذلك مجيب» والحيران التردد في امر لا يعتدي إلى الفرج منه والتفعل
منه جار مجاز حيرة ورجل حائر وحيران وقوم حاذري

❁ الاعراب ❁

كأذي استهوته في موضع نصب صفة لمصدر محذوف تقديره اندفع من دون الله دعاء مثل جعاً الذي استهوته
النشيطين في الأرض حيران وحيران نصب على الحال من مفعول استهوته له اصحاب وصف حيران ويدعونه صفة
للاصحاب اي اصحاب داعون له إلى الهدى قائلين له إئتنا وهاتنا ينتهي الكلام وقوله امرنا لنسلم تقول العرب
امرتك لتعلم وامرتك أن تفعل وامرتك بأن تفعل فمن قال امرتك بأن تفعل قالاً للإصااق والمضى وقع الأبر
بهذا الفعل ومن قال امرتك إن تفعل حذف الج ومن قال امرتك لتعلم المعنى امرتك بفعل وقال الزجاج التقدير
امرنا كي نسلم قال الشاعر

اريد لاني ذكروها فكاننا
تمثل لي ليلي بكل سبيل

❁ المعنى ❁

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) والمؤمنين بمطالبة الكفار فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعون إلى
مادة الأصنام أو قل إليهم الإنسان أو أيها السامع (ان دعوا من دون الله ما لا يفتننا) ان عباده (ولا يضرنا)
وان تركنا مبادته لا وژد على اعتقادنا) هذا مثل يقولون لكل خائب لم يظفر بساجته رد على حقيقه ونكص
على حقيقه وتقديره انزعج التهورى في مشيئته والمعنى اترجع عن ديننا الذي هو خير الأديان (بعد إذ هدانا
الله لا كاذبي استهوته الشياطين في الأرض حيزان) لا يهتدي إلى طريق وقيل معناه استهوته التلبان في الهامه
من ان حابس وقيل معناه دسه الشياطين إلى اتباع الهوى وقيل اهلكته وقيل ذهبت بدمع نظفويه وقيل أضلته
عن الي مسلم (له اصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) أي إلى الطريق الواضح يقولونه ائتنا ولا يقبل منهم ولا يصبر
اليهم لانه قد تحير لاستيلاء الشيطان عليه بهوى ولا يهتدي ثم أمره الله سبحانه فقال (قل) لهؤلاء الكفار ان
هدى الله من الهدى (أي دلالة الله لنا على توحيدِه وامر دينه هو الهدى الذي يرحي الشد بل إلى الصلاح
والإرشاد في دينه وهو الهدى الذي يجب ان نعمل عليه ونستبدل به فلا نترك ذلك إلى ما تدعون اليه) (وامرنا لنسلم
رب العالمين) معناه وأمرنا ان نسلم وقيل معناه ان نسلم أمرنا ونفوضها إلى الله وتوكل عليه فيها

قوله تعالى (٧٢) وَأَن أَتَّبِعُوا الصَّلَاةَ وَأَقْرَبُوا إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ (٧٣) وَهُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُنْ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْبَهِيمُ آمِينَ كوفي ثلاث آيات في
النافعين عداوا كن. فكون آية.

[illegible]

يحتل أول الآية وجهين ﴿أحدهما﴾ أن يكون التقدير أمرنا لأن نسلم ولأن نقيم الصلاة * والثاني ﴿

أن يكون معمولاً على المعنى لأن معناه امرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة وموضع ان نصب لأن الباء لا تسقط
افضى الفعل فنصب عالم التيب رفع لانه نعت الذي في قوله وهو الذي خلق السماوات والارض ويمثل ان يكون
فاعل فعل يدل عليه الفعل المبني فيقول به وهو قوله ينفع في الصور وهذا كما يقولون اكل طعامك عبد الله
والقدير آكله عبد الله قال الشاعر

ليبك يزيد ضارح لخصومه ومختبط بما تطيح الطوائح

كأنه قيل من ييكبه قال ييكبه ضارح والأول أجود

﴿ المعنى ﴾

(وأن اتبعوا الصلاة) هذا موصول بما قبله أي وقيل لنا اتبعوا الصلاة (واتقوه) أي واتقوا رب العالمين
أي تجبروا معاصيهم فتقوا عقابه (وهو الذي إليه تمشرون) أي تجمعون إليه يوم القيامة فيجازي كل عامل منكم
بعمله (وهو الذي خلق السماوات والارض بالحق) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه خلقهما للحق
لا للباطل من الحسن والزجاج وغيرهما ومعناه خلقهما حقاً وصواباً لا باطلاً وخطأً كما قال وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلاً وادخلت الباء والألف واللام كما ادخلت في نظائرها يقولون فلان يقول بالحق بمعنى انه يقول
حقاً لا ان الحق معنى غير القول بل تقديره ان خلقهما حكمة وصواب من حكم الله وهو موصوف بالحكمة
في خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه لا ان هناك حقاً سوى خلقهما خلقهما به والقول الآخر ما قاله قوم
ان معناه خلق السماوات والارض بكلامه الحق وهو قوله إثباتاً لعموماً أو كرها فالحق صفة قوله وكلامه والاول
هو الصحيح (ويوم يقول كن فيكون) ذكر في نصب يوم وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون خلقاً على الهاء
في قوله واتقوه أي واتقوا يوم يقول كن فيكون كما قال سبحانه واتقوا يوماً لا تجزي نفس من نفس شيئاً
﴿ والثاني ﴾ أن يكون على معنى واذكر يوم يقول كن فيكون لأن بعده وإذ قال ابراهيم لأبيه
آزر سلطاناً على ذلك قال الزجاج وهو الأجود ﴿ الثالث ﴾ أن يكون مطوقاً على السماوات والمعنى وهو
الذي خلق السماوات والأرض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون فلان قيل إن يوم القيامة لم يأت بعد فعله ان
ما أنبأ الله بكونه حقيقة واقع لا محالة وأما قوله كن فيكون فقد قيل فيه انه خطاب للصور والمعنى يوم يقول
للصور كن فيكون وما ذكر من الصور يدل عليه وقيل ان قوله كن فيكون فيه اضمار جميع ما يخلق في ذلك
الوقت المعنى ويوم يقول للشيء كن فيكون وهذا إنما ذكر ليدل على سرعة امر البعث والساعة فكانه يقول ويوم
يقول للخلق اموتوا فيموتون واثبتوا فينتفرون أي لا يشتد عليه ذلك ولا يتأخر عن وقت إرادته وقيل معناه
ويوم يقول كن فيكون (قوله الحق) أي بأمر فيقيم أمره أي ما وعدوا به من الثواب وحذروا به من العقاب والحق
من جمة قوله وقوله فاعل يكون كما تقول قد قلت فكان قولك وليس المعنى انك قلت فكان الكلام إنما
المعنى إنه كان ما دل عليه القول وأما على القول المتقدم فيكون قوله مبتدأ والحق خبره وقد ذكرنا تفسير قوله كن
فيكون في سورة البقرة مستقصى (وله الملك يوم ينفع في الصور) قيل في نصب يوم هنا وجوه ﴿ احدها ﴾
ان يكون متعلقاً بآية الملك وتقديره ان الملك قد وجب له في ذلك اليوم الذي فيه ينفع في الصور فقد نخص ذلك
اليوم بأن الملك له فيه كما خصه في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والوجه فيه انه لا يبقى ملك من ملوك
الله في الدنيا أو ينقلب عليه بل يتقدم سبحانه بالملك ﴿ والثاني ﴾ ان يكون يوم ينفع في الصور مبنياً عن
قوله يوم يقول كن فيكون ﴿ والثالث ﴾ ان يكون منصوباً بقوله الحق والمعنى قوله الحق يوم ينفع في الصور
والوجه في اختصاصه بذلك اليوم وإن كان قوله حقاً في كل وقت ما بيناه في الوجه الأول وهو مثل قوله والأمر
يومئذ ولا شك أن الأمر في كل وقت تعالى والمراد أن ذلك اليوم يوم لا يخالف الله في أوامره لأنها عظمه ليس

فيما تحيرون ولا يقدر أحدا على مصيبتة وأما الصور فقبل فيه أنه قرن يفتح فيه إسرائيل عليه السلام نفقتين فتغني الحلائق كلهم بالفتحة الأولى ويحيون بالفتحة الثانية فتكون الفتحة الأولى لانتهاء الدنيا والثانية لابتداء الآخرة وقال الحسن هو جمع صودة كما أن السور جمع سورة وعلى هذا فيكون منه يوم يفتح الروح في الصور ويؤيد القول الأول ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي «ص» أنه قال كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن وحناجيبه وأصفي سمه ينتظر أن يؤمر فيفتح قالوا فكيف تقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل والرب تقول تفتح الصور وتفتح في الصور قال الشاعر

لولا ابن جمدة لم يفتح قهندزكم ولا خراسان حتى يفتح الصور

(عالم التيب والشهادة) أي يعلم ما لا يشاهده الخلق وما يشاهدونه وما لا يعلمه الخلق وما يعطونه لا يغني عليه شيء من ذلك (وهو الحكيم) في إفاله (الحير) العالم بعباده وأعمالهم

قوله تعالى (٧٤) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيُّهِ أَزْرَأَتُ أَخَذُوا أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٥) وَكَذَلِكَ نَرِي إِبْرَاهِيمَ مُلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ (آيتان)

﴿الترجمة﴾

الترجمة الظاهرة أزْر بالفتح وقرأ يعقوب الحضرمي أزْر بضم الراء وهو قراءة الحسن وابن عباس ومجاهد والضحاك الحجة

﴿اللفظ﴾

من قرأ بالفتح جبل أزْر في موضع جر بدلا من آية أو عطف بيان ومن قرأ بالضم جله منادى مفردا وتقديره يأزْر

﴿البناء﴾

الانصاف جمع صنم والصنم ما كان صورة والوثن ما كان غير مصور والآلهة جسم آلِه مثل أزار وأزرة والمبين هو البين الظاهر والملكوت بقرينة الملك غير أن هذا اللفظ يبلغ لأن الواو والياء تزدان للبيان ومثله الرغوبت والرهبوت وزنه فطوت وفي المثل رهوت خير من دحوت أي لأن ترحب خير من أن ترحم

﴿الأعراب﴾

المامل في إذ محذوف وتقديره وأذكر إذ قال وقيل الله يتصل بقوله بعد إذ هدانا الله أي وبعد إذ قال إبراهيم والكاف في ذلك كاف التشبيه والمعنى كما أربنا إبراهيم قبح ما كان عليه أبوه وقومه من المذهب كذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض للاختبار وقيل شبه رؤية إبراهيم برؤية محمد «ص» والمعنى كبرائناك يا عبد أربنا إبراهيم وقوله وليكون عطف على محذوف وتقديره تزيه للملكوت ليستدل به وليكون من الموقنين وقيل أنه جملة مستأنفة أي وليكون من الموقنين أربنا فاللام يطلق بأربنا للمحذوف وقيل إن الواو زائدة ومحمته ليكون وهذا بعيد

﴿المنقح﴾

(وإذ قال إبراهيم) أي وأذكر إذ قال (لأية أزْر) فيه أقوال ﴿أحدها﴾ أنه اسم أبي إبراهيم عن الحسن والسدي والضحاك ﴿وقالها﴾ أن اسم أبي إبراهيم تاريخ قال الزجاج ليس بين النساخين اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تاريخ والذي في القرآن يدل على أن اسمه أزْر وقيل أزْر عندهم ذكر في تشبه كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيهما غطى فإذا كان كذلك فالاختيار الرفع وجائز أن يكون وصفا له كأنه قال لأبيه الغطى وقيل أزْر اسم صنم من سجد من المنصب ومجاهد قال للزجاج فإذا كان كذلك فوضعه نصب على اشتداد الفعل كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه أخذ أزْر وجعل أصناما بدلا من أزْر واشباهه فقال بعد أن قال أخذ أزْر إلهما

اتخذ اصناما آلهة وهذا الذي قاله الزجاج يقوي ما قاله اصحابنا ان آزر كان جد ابراهيم لانه او كان معه من حيث صح عندهم ان آباء النبي الى آدم كلهم كانوا موحدين واجتمعت الطائفة على ذلك يدوي من النبي "هـ" انه قال لم يزل ينتفي بالله من اصنام الطاهرين الى ارحام المظهرات حتى اخبرني في عالمكم هذا لم يدنس يدنس الجاهلية ولو كان في آياته كافر لم يصف جسيمهم بالطهارة مع قوله تعالى انما المشركون نجس ولهم في ذلك اداة ليس هنا موضع ذكرها وقوله (اتخذ اصناما آلهة) استفهام المراد به الانكار اي لا تقبل ذلك (إني اراك وقومك في ضلال) من الصواب (مين) ظاهر وفي الآية حث لنتي على محاربة قومه الذين دعوه الى عبادة الاصنام والافتداء بأبيهم ابراهيم فيه وتسليته له بذلك (وكنك نزي ابراهيم) أي مثل ما وصفناه من قصة ابراهيم وقوله لايه ما قال نزيه (ملكوت السماوات والارض) اي القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد الله تعالى وقيل مناه كما ابرئناك يا محمد ابرئنا آثار قدرتنا فيا خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الأرض من البحار والنبات والرياح يستدل بها وهذا معنى قول ابن عباس وقوله وقيل يعني بالملكوت آيات السماوات والأرض من مجاهد وقيل أن ملكوت السماوات والأرض ملكهما بالنبي من مجاهد ايضا وقيل أن ملكوت السماوات والارض ما نشاهده من الحوادث الباطنة عن ان الله سبحانه مالك لها والله المالك لها ولكل شيء بنفسه لا يملكه سواه فأجرى الملكوت على الملوك الذي هو في السماوات والأرض مجازا عن ابي علي الجبائي وقال ابو جعفر (ع) كسب الله له عن الأرضين حتى رآهن وما تحتهن وعن السماوات حتى رآهن وما فيهن من الملائكة وحمة العرش ودوى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لما رأى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض رأى رجلا يزني فدعا عليه فأتته ثم رأى آخر فدعا عليه فأتته ثم رأى ثلاثة فدعا عليهم فأتوا فأوحى الله تعالى يا ابراهيم إن دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فأوحى لي لو شئت ان اميتهم بدعائك ما خلتهم إني خلقت خلقي على ثلاثة اصناف صنف يسبني لا يشرك في شيء فأوحى وصنف يسبني غيري فليس يغفرتني وصنف يسبني غيري فأخرج من صلبه من يسبني (وليكون من الموقنين) اي من المتقين بأن الله سبحانه هو خالق ذلك والمالك له

﴿التعلم﴾

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما عاب دينهم وذنم آلهتهم واحتج عليهم بما سلف ذكره بين انه دين ابراهيم والناس الف يدين الآباء لاسباب إذا كان الأب خادق وقيل انها متصل بقوله اندعوهم دون الله حالا بنفعا إلى قوله بعد إذ هذا قال الله ثم قال وبعد ان قال ابراهيم كذا وكذا عن ابي مسلم قوله تعالى (٧٦) فلأجن عليه القليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أقل قال لا أحب الأولين (٧٧) فلما رأى القمر بازعا قال هذا ربي فلما أقل قال لئن لم يعدني ربي لا أكون من الضالين (٧٨) فلما رأى الشمس بازعة قال هذا ربي هذا كبر فلما أقلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (٧٩) إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (أربع آيات)

﴿قراءة﴾

قوا ابو عمرو وورش من طريق البخاري رأى كوكبا بنفخ الزاء وكسر المنزة حيث كان وقوا ابن

عاصم وحجرة والكسائي وخلف ويحيى عن يابي بكر رأى بكسر الراء والمهززة وقرأ الباقون بفتح الراء والمهززة

الحجبة

ذكر ابو علي الوجه في قراءة من لم يعل وقراءة من أمال واورد في ذلك كلاما كثيرا تركناه كره خوفا للإطالة

الفتحة

يقال جن عليه الليل وجنه الليل واجه الليل اذا اظلم حتى يستربطه ويقال لكل ما سرق قد جن واجن ومنه اشتقاق الجن لأنهم استجنوا عن أعين الناس وقال الهذلي

وما وردت تخيل الكرى وقد جنته السعف الأدم

وقال اجنت الميت وجنته اذا وارفته في الحدة وأفل يأفل أفولا اذا غلب قال ذو الرمة

مصاييح ليست باللواتي يقودها نجوم ولا بالآفلات الذواتك

والبروغ الطلوع يقال بزغت الشمس اذا طلعت ويسمى ثلاث ليال من اول الشهر الهلال ثم يسمى قمر

الى آخر الشهر وانما يسمى قمر لياضه وحارها القمر ابيض والحنف المائل الى الحلق

الاعراب

السؤال يقال لم قال هذا ربي ولم يقل هذه كما قال بازغة والجواب ان التقدير هذا النور الطاهر الذي يكون

الخبر والخبر عه جميعا على التذكير كما كان جينا على التأنيث في رأسه الشمس بازغة وقال ابن فضال

المجاشعي قوله رأى الشمس بازغة اخبار من الله تعالى وقوله هذا ربي من كلام ابراهيم والشمس موصوفة في

كلام العرب وأما في كلام ما سوام فيجوز ان لا تكون موصوفة وابراهيم (ع) لم يكن عربيا لحق الله تعالى

كلامه على ما كان في لغة وقال لم أنت الشمس وذكر القمر والجواب ان تأنيها تفصيحا لما كثرة ضياءه على

حد قولهم نسبة وعلامة وليس القمر كذلك لأنه دونها في الضياء ويقال لم دخلت الآف واللام فيها وحي

واحدة ولم تدخل في زيد وعمر قيل لأن شمع الشمس يقع عليه اسم الشمس فالخروج الى العزف اذا قطع

الى جرم الشمس او الى الشماع على طريق الجنس او الواحد من الجنس وليس زيد ونحوه كذلك

المعنى

لما تقدم ذكر الآيات التي أراها الله تعالى ابراهيم (ع) بين سبحانه كيف استدلت بها وكيف عرف الحق

من جهتها قال (فلما جن عليه الليل) اي اظلم عليه وستر بظلامه كل ضياء (رأى كوكبا) واختلف في الكوكب

الذي رآه قيل هو الزهرة وقيل هو المشتري (قال هذا ربي فلما أفل) اي غرب (قال لا أحب إلا فلان)

واختلف في تفسير هذه الآيات على اقوال **احدها** ان ابراهيم (ع) لما قال ذلك عند كمال جهله

في زمان مهلة النظر وخطور الخطر الموجب عليه النظر بقلبه لأنه (ع) لما أكل الله عقله وحركه دواعيه

على الفكر والتأمل رأى الكوكب فأعظمه وأعجبته وأعجبته نوره وحبه وقد كانت قومه يبدون الكوكب قال

هذا ربي على سبيل الفكر فلما اظلم علم ان الأول لا يجوز على الإله فاستدل بذلك على انه محض مخلوق

وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس فلما رأى أفولهما قطع على حصولهما واستحالة إلهيتهما وقال

في آخر كلامه يا قوم اني يرى بما تشرقون اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض الى آخره

وكان هذا القول من عيب معرفته بالله تعالى وعلمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه وهذا اختيار ابي

القاسم البشري وغيره قال وزمان ملة النظر هي أكثر من ساعة وأقل من شهر ولا يعلم ما بينهما الا الله تعالى
 وثانيها **﴿﴾** انه لما قال ذلك قبل بلوغه ولما قارب كمال العقل حركته انخراط فيا شاهده من هذه
 الحوادث فلما رأى الكوكب ونوره واشراقه وزهوره ظن انه ربه فلما أقل وانتقل من حال الى حال قال لا
 أحب الاقلام (فلما رأى القمر بازغا) عند طلوعه ورأى كبره واشراقه وانبساط نوره وضياءه في الدنيا
 (قال هذا ربي فلما أقل) وصار مثل الكوكب في الأقوال والنيوية وعلم انه لا يجوز ان يكون ذلك صفة
 الإله (قال لئن لم يهدي ربي الى رشدي ولم يوقني ويطفئ بي في إصابته الحق من توحيده (لا) كونه
 من القوم الضالين) بعبادة هذه الحوادث (فلما رأى الشمس بازغة) اي طالعة وقد ملأت الدنيا نوراً ورأى
 عظمها وكبرها (قال هذا ربي هذا أكبر) من الكوكب والقمر (فلما قلت قال) حيث تقوم (يا قوم إني بريء مما
 تشركون) مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من ألهمت فلما أكل الله خلقه وضبط بفكره النظر
 في حدوث الأجسام بأن وجدها غير منفكة من المعاني المحدثة وأنه لا بد لها من محدث قال حيثما تقوم
 (اني وجهت وجهي) اي نفسي (لذي فطر السماوات والأرض حنيفا) اي مخلصا ما تلاحن الشرك الى
 الإخلاص (وما انا من المشركين) وهذا اختيار أبي علي الجبائي ويسأل عن القول الأول كيف قال (ع)
 هذا ربي مخبراً وهو غير عالم بما يخبر به والإخبار بما لا يأمن المخبر ان يكون فيه كاذباً قبيل الجواب عنه
 من وجهين **﴿﴾** احدهما **﴿﴾** انه لم يقل ذلك مخبراً وإنما قاله فارضاً ومقدراً على شئيل التأمل كما يفرض
 أحياناً اذا نظر في حدوث الاجسام كونها قديمة ليتبين ما يؤدي اليه الفرض من الفساد ولا يكون بذلك
 مخبراً في الحقيقة **﴿﴾** والآخر **﴿﴾** انه اخبر عن ظنه وقديحوز ان يظن المتشكك في حال فكره ونظيره
 ما لا أصل له ثم يرجع عنه بالادلة **﴿﴾** سؤال آخر **﴿﴾** كيف تعجب ابراهيم (ع) من رؤية هذه الاشياء
 تعجب من لم يكن رآها وكيف يجوز ان يكون مع كمال عقله لم يشاهد السماء والكواكب والجواب انه لا يتعجب ان
 يكون (ع) ما رأى السماء الا في ذلك الوقت لأنه قد روي ان أمه كانت ولده في مفارقة خوفاً من ان يقتله
 تغرود ومن يكون في المفارقة لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المفارقة ورأى
 السماء وقد يجوز ايضا ان يكون قد رأى السماء قبل ذلك الا انه لم يفكر في اعلامها لأن الفكر لم يكن واجباً
 عليه وحين كمل عقله فكر في ذلك **﴿﴾** وثالثها **﴿﴾** ان ابراهيم (ع) لم يقل هذا ربي على طريق الشك بل
 كان عالماً موثقاً ان ربه سبحانه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وإنما قال ذلك على سبيل الإنكار على قومه
 والتمسب لهم على ان يكون آلهام مبدؤاً لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث ويكون قوله هذا ربي
 محمولاً على احد الوجهين إما على انه كذلك عند كونه في مناهجكم كما يقول احداً المشبه هذا ربه جسم متحرك
 وسكن وإما على ان يكون قال ذلك مستغفها واسقط حرف الاستغفام للاستغناء عنه وقد كثر مجي ذلك
 في كلام العرب قال أوس بن حجر

شعيب بن مسمم شعيب بن منقر

لعمرك لا اهدي وان كنت دارياً

وقال الاخطل

غلس الظلام من الرباب خيالاً

كذبك عينك ام رأيت بواسط

وقال عمر بن ابي ربيعة

ثم قالوا اتجها قلت نهراً
أي اتجها؟ وقال آخر

ورفوني وقالوا يا خويلد لا ترع
قلت وانكرت الوجوه هم هم
أي أم هم وروى عن ابن عباس أنه قال في قوله فلا اتجهم القبة مناهة أفلا اتجهم أضحف حرف الاستفهام
ورابها * (ع) إنما قال استخداعاً للقوم يرهبهم قصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق جاري عليه
أعراض الحوادث فإنهم كانوا يبدون الشمس والقمر والكواكب وبعضهم يبدون النيران وبعضهم يبدون
الأوثان فلما رأى الكوكب الذي كانوا يبدونه قال لهم هذا ربي في زعمكم كما قال ابن شريكاني الذين
كنتم تزعمون فأضافه إلى نفسه حكاية لقولهم فكانه قال لهم هذا ربي في قولكم وقيل أنه نوى في قلبه الشرط
أي أن كان ربه هذا الحجر كما تزعمون فهذا الكوكب وهذا القمر والشمس ربي ولم يكن الحجر ربه ولا
الكوكب ربه وفي هذه الآيات دلالة على حدوث الأجسام وثبات الصانع وإنما استدل إبراهيم بالأقول على
حدوثه لأن حر كتابه بالآل قولاً غرهم من الشبهة أبدوا إذا جازت عليها الحر كقول السكون فلا بد أن تكون مخلوقة
معدثة وإذا كانت معدثة فلا بد لها من محدث والمحدث لا بد أن يكون قادراً ليصنع منه الإحداث وإذا
أحدثها على غاية الانتظام والأحكام فلا بد أن يكون علماً وإذا كان قادراً علماً وجب أن يكون حياً موجوداً
وفيها تنبيه لمشركي العرب وزجرهم عن عبادة الأصنام وحث لهم على سلوك طريق إلههم إبراهيم (ع)
في النظر والتفكير لأنهم كانوا يعطون آباءهم فأعلمهم سبحانه أن اتباع الحق من دين إبراهيم الذي
يقرب بفضله أوجب عليهم

❦ القصة ❦

ذكر أهل التفسير والتاريخ أن إبراهيم (ع) ولد في زمن غرود بن كنان وزعم بعضهم أن غرود كان
من ولاية كيكلاس وبعضهم قال كان ملكاً برأسه وقيل لنمرود أنه يولد في يده هذه السنة مولود يكون
هلاكه وزوال ملكه على يده ثم اختلفوا فقال بعضهم إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن وقال
آخرون بل وجد ذلك في كتب الانبياء وقال آخرون رأى غرود كأنه كوكب طلع فذهب بضوء الشمس
والقمر فسأل عنه فبهر بأنه يولد غلام يذهب ملكه على يده عن السدي فعند ذلك أمر بقتل كل ولد يولد
تلك السنة وأمر بأن يزل الرجال عن النساء وبأن يتفحص عن أحوال النساء فمن وجدت حاملاً فحبس حتى
تلد فإن كان غلاماً قتل وإن كانت جارية خلعت حتى جلبت أم إبراهيم فلما دنت ولادة إبراهيم خرجت
أمه هاربة فذهب به إلى غار ولفته في خرقه ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله
رزقه في إبهامه فجعل يصعبا خشباً لبنا وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما
يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة فمكث ما شاء الله أن يمكث وقيل كانت تختلف
إليه أمه فكان يصحبه فوجدته بمن من أصبح ماء ومن أصبح لبناً ومن أصبح صلاباً ومن أصبح
نمراً ومن أصبح سمناً عن أبي روق وعبد بن اسحاق ولما خرج من السرب نظر إلى النجم وكان آخر الشهر
فرأى الكوكب قبل القمر ثم رأى القمر ثم رأى الشمس فقال ما قال ولما رأى قومه يبدون الأصنام
خالنهم وكان يبس ألهمهم حتى فشا أمره وجزت المناظرات

قوله تعالى (٨٠) وَحَاجَّةُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا فَلَا تُنذِرُون (٨١) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَتَخَوَّنُوا أُنْكُمُ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ آيَاتُ

﴿ التوراة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر في رواية ابن ذكوان أتحاجوني خيفة النون والباقون بالتشديد

﴿ الحجية ﴾

قال أبو علي لا نظير في قول من شدد فأما وجه التخفيف فإنه حذف النون الثانية لالتقاء النونين والتضعيف يكره فيتوصل إلى إزالتها فآفة بالحذف نحو علماء بنو فلان وتارة بالابدال نحو لا أملاء حتى تفارقا نحو ديوان وقبراط فحذفوا النون الثانية كراهة التضعيف ولا يجوز أن تكون المحذوفة الأولى لأن الاستتمال يقع بالتكرير في الأمر الأعم وفي الأولى أيضا أنها دلالة الإعراب وإنما حذف الثانية كما حذفها في ليق في نحو قوله «إذ قال ليق أصادف ويذهب بعض مالي» وقوله

فراء كالانعام يمل مسكا يسوء الغاليات إذا فليتي

فالمحذوفة المصاحبة ليا لم يسكن لام الفعل وما يجري مجراها أو حركتها ولا يجوز أن يكون المحذوفة الأولى لأن الفعل يفتي بلا فاعل كما لا تحذف الأولى في أتحاجوني لأنها للإعراب ويدل على أن المحذوفة الثانية أنها حذفت مع الجار أيضا في نحو قوله «قدني من نصر الخبيثين قدي» وقد جاء حذف هذه النون في كلامهم قال الشاعر

أبالموت الذي لا بدائي ملاق لا أبالك تحويفني وقال

قد كرونا إذ نقاتلكم لا يضر معذما عذمه

﴿ الإعراب ﴾

موضع أن يشاء نصب أي لا أخاف إلا مشيخا فلهذا استثناء منقطع وقيل متمصل وتقديره لا أخافهم إلا إن يشاء ربي بأحياهم وأقارهم وطما منصوب على التمييز

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه محاجة إبراهيم مع قومه فقال (وحاجه قومه) أي خاصموه وجادلوه في الدين وخوفوه من ترك عبادة آلهتهم (قال) أي إبراهيم لهم (أتحاجوني في الله وقد هدان) أي وقتني لمعرفته يطلب بي في العلم بوجهه وترك الشرك وأخلاص العبادة له (ولا أخاف ما تشركون به) أي لا أخاف من شر ما أنكرت به ولا أرجو نفا أن عبده لأنه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه ونجم دل أقوله على صدوقه فكيف تحاجوني وقد دعوتني إلى عبادة من لا يخاف ضربه ولا يرحي نغمه (الآن يشاء ربي شيئا) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ أن معناه الآن أن يطلب الله هذه الاصنام التي تحووني بها فيحبها ويقدرها

قصر وتغفرون ضررها ونفها ذلك دليلا على حدودها أيضا وعلى توحيد الله وعلى أنه المستحق للمادة
دور غيره وأنه لا شريك له في ملكه ثم أني على الله سبحانه قال (وسع ربي كل شيء علما) أي هو
عالم بكل شيء ثم أكرم بالذکر والتدبر قال (أفلا تذكرون) والثاني قول الحسن مناه لأخاف الأوثان
إلا أن يشاء ربي أن يذبني ببعض ذنوبي لو يشاء الأضرابي إجلالاً ولا أول أجود ثم أحج (ص) عليهم
وأكد الحجاج بقوله (وكيف أخاف ما أشر كتم) أي كيف تلمزوني إن أخاف ما أشر كتم به من
الأوثان المخلوق فتعبدن حالهم في أنهم لا يضرون ولا ينفعون (ولا تخافون أنكم أشر كتم بالله) أي ولا
تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تجرون عليه بأن أشر كتم أي جلت له شركاء في ملكه وتبدونهم
من دونه وقيل مناه كيف أخاف شرككم وأنا منه بري والله تعالى لا يماقني بظلمكم وأنتم لا تخافون
وقد أشر كتم به فيكون على هذا ما في قوله ما أشر كتم مصدريه (ما لم ينزل به عليكم سلطانا) أي حجة
على صحتها وهذا يدل على أن كل من قال قولا أو اعتقد مذهبا بغير حجة فهو مبطل (فأي الفريقين أحق
بالأمن) أي نحن وقد عرفنا الله بادلته ووجها العبادة نحوه أم أنتم وقد أشر كتم عبادة غيره من الأصنام ولو
أطرحتم العصية والحمية لا وجدتم لهذا الحجاج مدفا (إن كنتم تعلمون) أي تستملون عقولكم وعلومكم
فتبطلون الحق من الباطل والدليل من الشبهة

قوله تعالى (٨٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ آيَةٌ

في اللغة

قال الاصمعي الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه قال الشاعر عديح قوما «هرت الشفاشق ظلامون
الجزر» يريد أنهم عرفوها فوضعوا النحر غير موضعه وقال الثانية «والنوى كالخوض بالظلمة الجلد» يريد
الأرض التي صرف عنها المطر وإنما سماها مظلمة لأنهم جحوضون فيها حوضا لم يحكموا صنه ولم يصفوها
في موضعه ليحكمهم مسافرون

المعنى

لا تقدم قوله سبحانه أي الفريقين أحق بالأمن أي بأن يأمن من الغلاب الموحدام المشرك فببيان
من هو أحق به قال (الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم) مناه الذين عرفوا الله تعالى وصدقوا به وبما
أوجبه عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقادة ومجاهدوا أكثر
المفسرين وروي عن أبي بن كعب أنه قال ألم تسمع قوله سبحانه إن الشرك لظلم عظيم وهو البروي عن
سلف الفارسي وحذيفة بن اليان وروي عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق على الناس
وقالوا يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه قال (ص) أنه ليس الذي تمنون ألم تستمعوا إلى ما قال العبد الصالح
يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم وقال الجبائي والبلخي يدخل في الظلم كل كبيرة تقيط ثواب
الطاعة وقال البلخي ولو أخس الشرك على ما قالوه لوجب أن يكون مرتكب الكبيرة إذا كان مؤمنا
كأن آمننا وذلك خلاف القول بالأمر رجاء وهذا يلزم لأنه قول بدليل الخطأ ومن تكب الكبيرة غير آمن
وإن كان ذلك معلوما بدليل آخر (أولئك لهم الأمن) من الله يحصل الثواب والأمان من الغلاب (وهم
مهتدون) أي يحكمهم لهم بالاحتداد إلى الحق والذين وقيل إلى الجنة واختلف في هذه الآية قيل أنه من تمام

قول ابراهيم (ع) ودروي ذلك عن علي (ع) وقيل ان هذا القول من الله تعالى علي جمعة فصل القضاء بذلك بين ابراهيم (ع) وقومه عن محمد بن اسحاق وابن زيد والجبائي
قوله تعالى (٨٣) وَتِلْكَ حِجَّتُنَا آتَيْنَاهَا اِبْرَاهِيْمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ تَرَفَعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٤) وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْمَاحٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَاَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسٰى وَهَارُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ (٨٥) وَذَكَرْنَا يَا وَيْحَتِي وَاٰلِيَّاسَ كُلًّا مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ (٨٦) وَاِسْمَاعِيْلَ وَاٰلِيَّاسَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِيْنَ (٨٧) وَمِنَ اٰبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَاِخْوَانِهِمْ وَاَجْبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة ويعقوب درجات منقولة والباقيون درجات من نشأه بالإضافة وقرأ أهل الكوفة غير عاصم واليسع بتشديد الهمزة وسكون الياء فمما وفي من والباقيون واليسع بسكون الهمزة وفتح الياء

﴿ الحجة ﴾

من أضاف درجات ذهب الى ان المرفوعة هي الدرجات من نشأه ومن نون ذهب الى ان المرفوع صاحب الدرجات ويقوي قراءة من أضاف قوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمن فضل على غيره فقد وضعه درجته عليه ويدل على قراءة من نون قوله ورفع بعضهم درجات لأنه في ذكر الرسل فأما قوله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فإنه في الترتيب وارتفاع الاحوال في الدنيا وانضافها لأن قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وأما من قرأ اليسع بالهمزة فإن هذه الهمزة زائدة قال ابو علي اعلم ان لام للمرة يدخل الأسماء على ضربين ﴿ أحدهما ﴾ التحريف والآخر زيادة زيدت كما تزداد الحروف والتحريف على ضرب من ان يكون إشارة الى معهود يترك وبين المخاطب نحو الرجل اذا اردت به رجلا مرفه بعد كان بيتكما ﴿ والآخر ﴾ ان يكون إشارة الى ما في نفوس الناس من علمهم الجنس فهذا الضرب وان كان مرة كالأول فهو مختلف له من حيث كان الأول قد علمه حسا وهذا لم يعلمه كذلك انما يعلمه معقولا وأما نحو مررت بهذا الرجل فأما أشير به الى الشاهد الحاضر لا الى غائب معلوم بعد الا ترى انك تقول ذلك فيما لا عهد بينك فيه وبين مخاطبك ويدل على ذلك قولك في النداء يا أيها الرجل فتشير به الى المخاطب الحاضر فأما نحو العباس والحارث والحسن فإنما دخلت الالف واللام فيها على تنزيل انها صفات جارية على موصوفين وهذا يعني التلخيص بقوله جلوه الشيء بيته فإذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقها الالف واللام فقالوا حارث وعباس وعلى كلامهذين جاء ذلك في كلامهم قال الفرزدق

يقعدهم اصراق حذيم بعدما رجا الهتم ادراك السلي والمكرم

وقال

ثلاث مشين للملوك وفي بها ردائي وجلت عن وجوه الالهاتم (١)

فجعل مرة اما بمنزلة اعضاء وأصاح ومرة صفة بمنزلة احر وحر وجمع الاعشى بيت الامرين في قوله
 آتاني وعيد العوص من آل جعفر قبا عيد عمرو لونيت الاحواصا
 وأما قوله

والتي الأم من يمشي والأهم
 فإنه يحتل أمرين يجوز أن يكون بمنزلة اللباس لأن التهم مصدر والمصدر قد اجريت مجرى اسماء
 الفاعلين فوصف بها كما وصف باسماء الفاعلين وجمع جمعاً في نحو نور وانوار وسوائل وعلى هذا قالوا
 الفضل في اسم رجل كأنه جلوه الشيء الذي هو خلاف النقص والآخر أن يكون تيمي وتيم كرفي وزنج
 فأما الالف واللام في اللبس فلا يخلو أن تكون زائدة او غير زائدة فإن كانت غير زائدة فلا يخلو أن يكون
 على حد الرجل اذا اردت به اليهود او الجنس نحو إن الإنسان لقي خسر او على حد دخولها في اللباس
 فلا يجوز أن يكون على واحد من ذلك ثبت انه زيادة وما جاءت الالف فيه زائدة ما أنشده احمد بن يحيى

يا ليت ام العمرو كانت صاحبي مكان من انشا على الركايب
 وما جاءت الالف واللام فيه زائدة الخمسة عشر درهما حكاه ابو الحسن الاخفش الا ترى انها اسم
 واحد ولا يجوز أن يعرف اسم واحد بشريطين كما لا يجوز أن يتعرف بعض الاسم دون بعض وذهب ابو الحسن
 الى ان الالف في اللات زائدة لأن اللات معرفة فأما المزة فيمنزلة اللباس وقياس قول ابني الحسن هنا
 ان يكون اللام في اللبس ايضا زائدة لانه علم بمثل اللات وليس صفة وما جاءت الالف فيه زائدة قول الشاعر
 وجدنا الوليد ابن يزيد مباحا شديدا بأعباء الخلافة كاهله
 فأما من قال اللبس فإنه يكون اللام على حد ما في الحرف الا ترى انه على وزن الصفات الا انه وان كان
 كذلك فليس له مزة على القول الآخر الا ترى انه لم يمين في الاسماء العجيبة المنقولة في حال التعريف نحو
 اساعيل واسحاق شيء على هذا النحو كما لم يمين فيها شيء فيه لام التعريف فإذا كان كذلك كان اللبس
 بمنزلة اللبس في انه خارج عما عليه الاسماء العجيبة المنقولة المعربة

الاعراب

وتلك حجتنا تلك مبتدأ وحجتنا خبره والظاهر ان قوله على قومه من صلة حجتنا اي وتلك حجتنا على قومه
 واذا جملت آتيناها من صلة حجتنا كان فصلا بين الصلة والموصول وذلك لا يجوز فينبغي ان يكون متعلقا
 بمحذوف هذا الظاهر تفسيره كذا نقل عن ابني علي الجبائي

المعنى

ثم بين سبحانه ان الحجج التي ذكرها ابراهيم (ع) قومه آتاه اياهما واعطاهما اياه بمعنى أنه هداه لما
 وانه اخذ بها بأمره فقال (وتلك حجتنا) اي أدلتنا (آتيناها) اي اعطيناهما (ابراهيم) وأخبرناهما بآياه
 وجعلناهما حججا (على قومه) من الكفار حتى تمكن من ايرادها عليهم عند الحاجة (نرفع درجات من نشاء) من
 المؤمنين الذين يصدقون الله ورسوله ويطيعونه ونفضل بعضهم على بعض بحسب احوالهم في الايمان واليقين
 (ان ربك حكيم عليم) يجعل التفاوت بينهم على ما توجه حكمته ويضعه عليه ويقل معناه نرفع درجات
 من نشاء على الخلق بالاصطفاء للرسالة (ووجهنا) اي لا ابراهيم (اسحاق) وهو ابنه من نهاره (وسقرب) ابن

اسحاق (كلا هدينا) اي كل الثلاثة فضلا بالنبوة كما قال سبحانه ووجدك خالا همدى اي ذاهبا عن النبوة
هذهك اليها وقيل معناه كلا هدينا بنيل الثواب والكرامات عن الجبائي من الله سبحانه على ابراهيم بأن رزقه
الولد وولد الولد فإن من أفضل النعم على السيد ان يرزقه الله ولدا يسعوله بعد موته فكيف اذا رزق الولد وولد
الولد وهما نبيان مرسلا (ونوحا هدينا من قبل) اي من قبل هولا (ومن ذرية) اي من ذرية نوح لأنه
أقرب المذكورين إليه ولأن فيهم عددهم من ليس من ذرية ابراهيم هو لوط والياس وقيل ارادون من ذرية ابراهيم
(داود) وهو داود بن ايشا (وسليمان) ابنه (وأيوب) وهو أيوب بن موسى بن عمران بن يصر بن تابش بن لاوي
ابن ابراهيم (ويوسف) بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (وموسى) بن عمران بن يصر بن تابش بن لاوي
ابن يعقوب (هارون) أخا موسى وكان أكبر منه بسنة (وكذلك نجزي المحسنين) بنيل الثواب والكرامات وقيل
المراعاة كما تفضلنا على هؤلاء الانبياء بالنبوة فكذلك تنفضل على المحسنين بنيل الثواب والكرامات (وزكريا)
وهو زكريا بن أذن بن يركيا (ويحيى) وهو ابنه (وعيسى) وهو ابن مريم بنت عمران بن ياشم بن أمون
ابن حزقيا (والياس) واختفى فيه قيل انه ادرس كما قيل ليعقوب اسرائيل عن عبد الله بن مسعود وقيل
هو الياس بن يستر بن فتاح بن الميزاب بن هارون بن عمران نبي الله عن ابن اسحاق وقيل هو الخضر من
كعب (كل من الصالحين) اي من الانبياء والمرسلين (واسماعيل) وهو ابن ابراهيم (واليسع) بن اخوط
ابن العجوز (يونس) بن متى (ولوط) وهو لوط بن هاران بن أخي ابراهيم وقيل هو ابن اخته (وكلا) اي
وكل واحد منهم (فضلنا على العالمين) اي عالي زمانه ومن قال ان الهاء في قوله ومن ذريته كناية عن
ابراهيم قال انه سعى ذريته الى قوله وكذلك نجزي المحسنين ثم عطف قوله وزكريا ويحيى على قوله ونوحا
هدينا ولا يمتنع ايضا ان يكون غلب الأكثر الذين هم من نسل ابراهيم على ان الرواية التي جاءت من
ابن مسعود ان الياس ادرس هو جد نوح اذا لم تضاف قول من قال ان الهاء كناية عن نوح فكذلك اذا
لم يكن لوط من ذرية ابراهيم لم يضاف قول من قال ان الهاء كناية عن ابراهيم وقال الزجاج يجوز ان
يكون من ذريته من ذرية نوح ويجوز ان يكون من ذرية ابراهيم لأن ذكرهما جميعا قد جرى واساء الانبياء
التي جاءت بدقوله ونوحا نسق على نوح واذا جعل الله سبحانه عيسى من ذرية ابراهيم (ع) او نوح ففي
ذلك دلالة واضحة وحجة قاطعة على ان اولاد الحسن والحسين (ع) ذرية رسول الله (ص) على الاطلاق
وانما ابتداء رسول (ص) وقد صرح في الحديث انه قال لما عليها السلام ابناي هذان إمامان قاما أو قعدوا قال
للحسن (ع) ان ابني هذا سيد وان الصحابة كانت تقول لكل منهما ومن اولادها يا ابن رسول (ومن آياتهم)
يعني ومن آيات هؤلاء الانبياء (وذرياتهم واخوانهم) جماعة فضلناهم وقال الزجاج معناه هدينا هؤلاء وهدينا
بعض آياتهم واخوانهم (واجبتناهم) اي اصطفيناهم واخترناهم الرسالة وهو مأخوذ من بيت الماء في الحوض
اذا جمعتا وهديناهم (اي) سددناهم وارشدناهم فاحتلوا (الى صراط مستقيم) اي طريق بين لا اعوجاج
فيه وهو الدين الفلاني

قوله تعالى. (٨٨) ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا

هو لاء قَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (١٠) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمِ اقْتَدِ
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (ثلاث آيات)

❁ القراءة ❁

قرأ ابن عمر وحده اقتده بكسر الهاء مشبهة والباقون اقتده ساكنة الهاء الا ان حمزة والكسائي ويقولون
وخلفاً يحذفون الهاء في الوصل ويثبتونها في الوقف والباقون يثبتونها في الوصل والوقف

❁ الحجة ❁

قال ابو علي الوجه الوقوف على الهاء لاجتماع الجمهور على الباء ولا ينبغي ان يوصل والهاء ثابته لأن
هذه الهاء في السكت بمنزلة حمزة الوصل في الابتداء في ان الهاء الوقف كان حمزة الوصل للابتداء بالساكن
فكما لا ثبتت الحمزة في الوصل كذلك ينبغي ان لا تثبت الهاء ووجه قراءة ابن عامر ان يوصل الهاء كتابة
عن المصدر لا التي تلحق الوقف وحسن اضراره انه ذكر الفصل الدال عليه ومثال ذلك قول الشاعر

فجال على وحشية وتحاله على ظهره نبأً جديداً يائيا

كانه قال وتحال خلا على ظهره ساء فعل متعلق يحذف والتقدير ثابتاً على ظهره ومثله قول الشاعر

هذا سراقه للقرآن يدرسه والمرء عند الرضا ان يلقها ذيب

فالهاء كتابة عن المصدر ودل يدرسه على الدرس ولا يجوز ان يكون ضمير القرآن لأن الفعل قد
تدنى اليه باللام فلا يجوز ان يشد اليه والى ضميره

❁ المعنى ❁

ثم بين سبحانه اكرامه لآتيائه (ع) ثم أمر من يهد بالاعتقاد بهذا قال (ذاك) وهو إشارة الى ما تقدم
ذكره من التفضيل والاجزاء والهداية والاصطفاء (هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) ممن لم يسبهم
في هذه الآيات والهداية هنا هي الارشاد الى الثواب دون الهداية التي هي نصب الأدلة التي تروى الى قوله
وكذلك يغري المحسنين وذلك لا يليق الا بالثواب الذي يختص بالمحسنين دون السادة التي يشترك بها
المؤمن والكافر وقوله (ولو اشركوها لحبط عنهم ما كانوا يعملون) يدل ايضا على ذلك ومعناه لو اشركوها
لبطلت أعمالهم التي كانوا يوقفونها على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب لجوعها الى غير الله تعالى
وليس في ذلك دلالة على ان الثواب الذي استحقوه على طاعتهم المتقدمة بحبط اذا ليس في ظاهر الآية
ما يقتضي ذلك على اننا قد علمنا بالدليل ان المشرك لا يكون له ثواب اصلا واجتمعت الامثلة ذلك (اولئك)
يعني به من تقدم ذكرهم من الانبياء (الذين آتيناهم) اي اعطيناهم (الكتائب) اراد الكتب ووجد
لأنه عني به الجنس (والحكم) معناه والحكم بين الناس وقيل الحكمة (والنبوة) اي الرسالة (فان يكفر بها)
اي بالكتاب والحكم والنبوة (هو لاء) يعني الكفار الذين جحدوا نبوة النبي (ص) في ذلك الوقت (قد
وكلنا بها) اي جراحاة أمر النبوة وتطليها والاخذ يهدي الانبياء (قوماً ليسوا بلكافرين) واختلف
في المعنيين بذلك قيل عني به الانبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبي (ص) قبل وقت مبين عن
الحسن واختاره الزجاج والطبري والجاني وقيل عني به الملائكة عن ابي رضاء الطاردي وقيل عني به من

أمن من أصحاب النبي (ص) في وقت مبشبه وقيل عنى بقوله فإن يكفر بها كفار قريش وبقوله قوماً ليسوا بها بكافرين أهل المدينة عن الضحاك واختاره الفراء وإيغنا قال وكلنا بها ولم يقل قد قام بها قوم تشريفاً لهم بالإضافة إلى نفسه وقيل مناه قد الزمناها قوماً صاموا بها وفي هذا ضامن من الله تعالى أن ينصر نبيه (ص) ويحفظ دينه (أو تلك الذين هدى الله) أي هدام الله إلى الصبر (فهذا مقتده) مناه اقتدهم في الصبر على أذى قومك واصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوه وقيل مناه أو تلك الذين قبلوا هدى الله واحمدوا بلفظ الله الذي فعله بهم فاقصد بطريقهم في التوحيد والادلة وتبليغ الرسالة وإشارة بأولئك إلى الأنبياء الذين تقدم ذكرهم عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل إلى المؤمنين الموكلين بحفظ دين الله لأنه في ذكرهم عن الحسن وقادة وعلى هذا فلم يتكرر لفظ الهداية وفي القول الأول أعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون معنى قوله فهذا مقتده اقتد بصبر إيوه وسخا إبراهيم وصلاة موسى وزهد عيسى ثم فسر بعض ما يتشدد به في قوله (قل) يا محمد (لا أسئلكم عنه أجراً) أي لا أطلب منكم على تبليغ الوحي وأداء الرسالة جلاً كما لم يسأل ذلك الأنبياء قبلي فإن أخذ الأجر عليه ينفر الناس عن القول (إن هو) أي ما هو (الاذكري) أي تذكرين (للمالين) بما يلزمهم إتيانه واجتنابه وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين إيماني أو إمام لقوله فقد كانوا قوماً ليسوا أسندوا تأكيداً إلى نفسه وقد استدل قوم بالآية على أن النبي (ص) وأمه كانوا متبشرين بشرائع من قبلهم إلا ما قام الدليل على نسخه وهذا لا يصح لأن الآية قد وردت فيها اتفقوا عليه على ما تقدم ذكره وذلك لا يليق إلا بالتوحيد ومكلام الأخلاق فأما الشرائع فأما تختلف فلا يصح الاقتداء بجميع الأنبياء فيها وتدل الآية على أن نبينا مبعوث إلى كافة العالمين وإن النبوة محتومة به ولذلك قال إن هو الا ذكرى للعالمين

قوله تعالى (٩١) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْمَلُونَهُ قَرَأْتُمُ الْقُرْآنَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ نُفِثَ فِي خَوَاصِهِمْ يَلْمِزُونَ (آية)

﴿ القراءه ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو ويصلونه قراطيس يدونها ويخفونها بالياء فيها والباقون بالياء في الجميع

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فلا ضما قبله ما قدروا الله على النية ومن قرأ بالياء فعلى الخطاب من قوله قل من أنزل الكتاب وقوله فيما بعد وعلمتم ما لم تعلموا

﴿ الإعراب ﴾

حق قدره منصوب على المصدر تدونها وتخفونها كثيراً يجوز أن يكون صفة قراطيس لأن النكرات توصف بالجميل ويجوز أن يكون حالاً من ضمير الكتاب في تجميلونه على أن تجعل القراطيس الكتاب في المعنى لأنه مكتوب فيها وإيغنا رفع قوله يلمزون لأنه لم يصله جواباً لقوله ذرهم ولو جعله جواباً لجرمه كما قال سبحانه ذرهم يأكلوا وموضع يلمزون نصب على الحال والتقدير ذرهم لأعين في خوضهم

﴿ التزول ﴾

جاء رجل من اليهود قال له مالك بن الضيف يا حاصم انني (ص) قال له النبي (ص) انشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة ان الله سبحانه يفيض الخمر السمين وكان سمينا فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء قال له اصحابه ويحك ولا موسى فنزلت الآية عن سعيد بن جبير وقبل ان الرجل كان فحاص بن عازورا وهو قال هذه المقالة عن السدي وقيل ان اليهود قالت يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فنزلت الآية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها نزلت في الكفار انكروا قدرة الله عليهم فمن أقر ان الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت في مشركي قريش عن مجاهد

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الأنبياء والنبوته عقب سبحانه بالتبيين لمن أنكر النبوة قال (وما قدروا الله حق قدره) اي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمتهم وما وصفوه بما هو اهل ان يوصف به (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) اي ما ارسل الله رسولا ولم ينزل على بشر شيئا مع ان الصلحة والحكمة تقتضيان ذلك والمعجزات الباهرة تدل على بيئة كثير منهم ثم أمر سبحانه نبيه (ص) قال (قل) يا محمد لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) يعني التوراة وانما احتج بذلك عليهم لأن القائل لذلك من اليهود ومن قال ان المعنى بالآية مشرك العرب قال احتج عليهم بالأمر الظاهر ثم بين ان منزلة محمد في ذلك كمنزلة موسى (نورا) اي يستضاء به في الدين كما يستضاء بالنور في الدنيا (وهدي للناس) اي دلالة يتدون به (تجولونه قراطيس) اي كتبها وصفا متفرقة وقال ابو علي الفارسي مناه تجولونه ذا قراطيس اي تودعون ارباعها (تبدونها وتحفون كثيرا) اي تبدون بعضها وتكتبون بعضها وهو ما في الكتب من صفات النبي (ص) والامارة اليه والباشارة به (وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم) قيل انه خطاب للمسلمين يذكرهم ما أنتم به عليهم عن مجاهد وقيل هو خطاب اليهود اي علمتم التوراة فضيحتوه ولم تتفقوا به وقيل مناه علمتم بالقرآن ما لم تعلموا عن الحسن (قل) يا محمد (الله) اي انزل ذلك وهذا كما ان الانسان اذا أراد البيان والاحتجاج بما يعلم ان الخضم مقرب به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم نزل الجواب عنه بما قد علم انه لا جواب له غيره (ثم ذكرهم في خوضهم يلبنون) اي دهمهم وما يتخارونه من العناد وما خاضوا فيه من الباطل والسبيلين هذا على اية ترك الدعاء والانتداب على ضرب من التوعيد والتهديد كأنه قال دهمهم فسيطعون عاقبة أمرهم

قوله تعالى (٩٢) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَازِلُهُ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو بكر عن حاصم ليند بالياء والياقون بالفاء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالفاء يؤيد قوله وانذر به الذين يخافون ولما انت متدبر من يخشاهون قرأ بالياء جل

المفتر هو الكتاب ويؤيده قوله ولينذروا به ولما افتركم بالوحي فلا يمتنع اسناد الاقرار اليه على وجه التوسع

— الاعراب —

انزلناه جملة مرفوعة الموضع صفة لكتاب ومبارك ايضا صفة له ايضا

﴿ المعنى ﴾

لا احتج سبحانه بانزال التوراة على موسى عليه السلام بين ان سبيل القرآن سبيلها فقال (وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه) من السماء الى الارض لان جبرائيل (ع) اتى به من السماء (مبارك) وانسابا مباركاً لانه مدح مستمد به فكل من تمسك به نال الفوز عن ابي مسلم وقيل ان البركة تبوت الخير على النماء والزيادة ومنه تبارك الله اي ثبت له ما يستحق به التعظيم لم يزل ولا يزال فالقرآن مبارك لان قراءته خير والعمل به خير وفيه علم الاولين والآخرين وفيه مغفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام وقيل البركة الزيادة فالقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما في الكتب المتقدمة لانه ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه الى آخر التكليف (مصدق الذي بين يديه) من الكتب كالنور والانبيا وغيرهما من الحسن وتصديقه للكتب على وجهين احدهما ﴿ انه يشهد بانها حق ﴾ والثاني ﴿ انه يرد باصقة التي تعلقت بها الكتب المتقدمة (وتثبت) ام القرى ومن حولها ﴾ يعني بأم القرى مكة ومن حولها اهل الارض كلهم عن ابن عباس وهو من باب حذف المضارف ويؤيد لتعدد اهل ام القرى ولما سميت مكة ام القرى لان الارض حيث من تحتها فكانت الارض نشأت منها وقيل لان نزل بيت وضع في الدنيا وضع بمكة فكانت القرى تنشأت منها من السدي وقيل لان على جميع الناس ان يستقبلوها ويظهرها لانها قبلتهم كما يجب تنظيم الأمم من الزجاج والحياتي (والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به) أي بالقرآن ويحتل ان يكون كتابه من محمد (ص) لدلالة الكلام عليه (وهم على جلالهم) اي على اوقات صلواتهم (يحافظون) اي يراعونها ليؤدوها فيها ويقوموا بالقيام ركوعها وسجودها وجميع اركانها وفي هذا دلالة على ان المؤمن لا يجوز أن يكون مؤمناً ببعض ما اوجبه الله دون بعض وفيها دلالة على عظم قدر الصلاة ومنزلتها لانه سبحانه خصها بالذكر من بين سائر القرائن ونبه على أن من كان مصداقاً بالقيام على النبي (ص) لا يخل بها ولا يتركها

قوله تعالى (٩٣) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افترى على الله كذباً أو قال أوحى إليّ ولم يؤحَ إليه شيء ومن قال ما أنزل الله ولو رأى الظالمون في عمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون آية

﴿ اللذة ﴾

اصل الاقتراء القطع من فريت الأديم اقربه قريباً فكان الاقتراء هو القطع على غير لا حقيقة له والفترة التشية وغبرة كل شيء مظبه وغبرات الموت شدائد قال الشاعر

الغمرات ثم يتجلينا ثم ينهين فلا يجينا

واصله شيء يضر الاشياء فينطليها والهون يضم الهاء الهوان قال ذو الاصبع السدائي

اذهب اليك قما أمي براعية ترعى المخاض ولا اغضي على الهون

والهون يفتح الهاء الدعة والرفق ومنه يشون على الارض هزنا وقال

هو نكاح لا يرد الدهر ما فاتا . لا تهلكن أسفا في إثر من ماتا

❀ الاعراب ❀

من قال سأزل في موضع الجرح على اللطف كأنه قال ومن أنظم ممن قال ذلك وجواب لو من قوله ولو ترى
إذ الظالمون في غمرات الموت معذوف أي لرايت هذا عاليا

❀ النزول ❀

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في مسيلة حيث ادعى النبوة إلى قوله ولم يوح إليه شيء وقوله
سأنزل مثل ما أنزل الله في عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه كان يكتب الوحي للنبي (ص) فكان إذا قال
له اكتب عليا حكيا كتب غفورا رحيما وإذا قال له اكتب غفورا رحيما كتب عليا حكيا وارتد وخلق بكفة
وقال إني أنزل مثل ما أنزل الله من معكرومة وابن عباس وسليمان والدي وأبوه ذهب القراء والزجاج والحياتي
وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقال قوم نزلت في ابن أبي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيلة خاصة

❀ المعنى ❀

لما تقدم ذكر نبوة النبي (ص) وإنزال الكتاب عليه عقب سبحانه بذكر تهيج الكفار الذين كذبوه أوادعوا
أنهم يأتون بثل ما أتى به فقال (ومن أنظم ممن أنكر على الله كذبا) هذا استفهام في معنى الإنكار أي لا أحد
أنظم ممن كتب على الله فادعى أنه نبي وليس بنبي (أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء) أي يدعي الوحي ولا
يأتيه ولا يجوز في حكمة الله سبحانه أن يبعث كذابا وهذا وإن كان داخلا في الاقواء فلما أفرد بالذكر تعظيها
(ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله) قال الزجاج هذا جواب قوليهم لو نشاء قلنا مثل هذا فادعوا ثم يقطعوا ويدلوا
النفوس والأموال واستعملوا مآثر الحيل في إطفاء نور الله وأبى الله إلا أن ينم نوره وقيل المراد به عبد الله بن
سعد بن أبي سرح أمي عليه رسول الله (ص) ذات يوم ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله ثم أنشأنا خلقا
آخر فعبر على إسان ابن أبي سرح فتبارك الله أحسن الخالقين فأملأه عليه وقال هكذا أنزل فأورد عدو الله وقال
لئن كان محمد صادقا فقد أوحى إلي كما أوحى إلي ولئن كان كاذبا فقد قلت كذا قال وارتد عن الإسلام وبعد
رسول الله (ص) دمه فلما كان يوم القتح جاء به عثمان وقد أخذ بيده ورسول الله (ص) في المسجد فقال يا رسول الله اضع
عنفسك رسول الله (ص) ثم أعاد فسكت ثم أعاد فسكت فقال هو لك فلما مر قال رسول الله (ص) لأصحابه ألم أقل
من دام فليقله فقال جاد بن بشر كانت ميني إليك يا رسول الله أن تشع إلي فأقلته فقال (ص) الأنبياء لا يقتلون
بالإشارة ثم أخبر سبحانه عن حال هؤلاء فقال (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت) أي في شدائد الموت عند
الزعزعة وقيل في أشد المذاب في النار (والملائكة) الذين يقضون الأرواح وقيل يريد ملائكة العذاب (باسطوا
أيديهم) لقبض أرواحهم وقيل يسطون أيديهم بالعذاب يضربون وجوههم وأدبارهم (أخرجوا أنفسهم)
أي يقولون أخرجوا أنفسكم من سكرات الموت إن استسلمتم وصدقم فياقلم وأدعيتهم وقيل أخرجوا أنفسكم
من أجسادكم عند ماينة الموت وإعاقاتهم وتعليطهم عليهم وإن كان إخراجها من فعل غيرهم وقيل في التأويل الأول
يقولون لهم يوم القيامة أخرجوا أنفسكم من عذاب النار إن استسلمتم أي خلصوها منه (اليوم تجزون عذاب
الهن) أي هذا اليوم تنجز فيه الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) أي في الدنيا (وكنتم من آياته تستكبرون)
أي تأفكون من اتباع آياته

قوله تعالى (١٤) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ
وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ

يَنْكُمُ وَصَلَّ عَنْكُم مَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (آية)

﴿ القراءه ﴾

قراءة أهل المدينة والكناني وحسن ينكم بالنصب والياقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي استعمل هذا الاسم على ضربين ﴿ أحدها ﴾ ان يكون اسما متصرفا كالاتفاق والآخر ﴿ ان يكون ظرفا والرفوع في قرابة من قرأ قد تقطع بينكم هو الذي كان ظرفا ثم استعمل اسما والدليل على جواز كونه اسما قوله ومن بيننا وبينك حجاب وهذا فراق بيني وبينك فلما استعمل اسما في هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذي هو تقطع في قول من رفع والذي يدل على ان هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفا انه لا يتخلو من ان يكون الذي كان ظرفا اسم فيه او يكون الذي هو مصدر فلا يجوز ان يكون المصدر لان تغييره يكون قد تقطع اتفاقكم وهذا خلاف المعنى المراد لان المراد قد تقطع وصلكم وما كنتم تتأقون عليه فمن قلت كيف جاز ان يكون بمعنى الرسل وأصله الاتفاق والتأقن قيل إنه لما استعمل مع الشئتين المتلابسين في نحو بيني وبينه شركة وبينه رحم وصدقة صارت لاستعمالها في هذه المواضع بقية الوصلة وعلى خلاف الفقرة فلماذا جاء اقد تقطع بينكم بمعنى تقطع وصلكم فأما من نصب بينكم ففيه مذهبان ﴿ أحدهما ﴾ أنه أضمر الضام في الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله وما ترى معكم شفاءكم لان هذا يدل على التقاطع وذلك المضمر هو الرجل فكأنه قال قد تقطع وصلكم بينكم وقد حكى سيويه أنهم قالوا إذا كان غدا فأتني وأضمر ما كلفا فيه من رضاء وبلاء لدلالة الحال عليه والمذهب الآخر انه انصب على شيء يراه ابو الحسن فلو انه يذهب الى ان معناه معنى المرفوع قلما جرى في كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يمكن عليه في أكثر الكلام وكذلك يقول في قوله يوم القيامة يفصل بينكم وقوله وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ودون في موضع رفع عنده وإن كان منصوب لفظ كما يقال منا الصالح ومنا الطالح

﴿ اللغة ﴾

فراى جمع فرد وفريد وفرد والرب تقول فرادى وفراد فلا يصرفونها تشبيها بثلاث ورباع قال الشاعر

ترى النعرات البيض تحت لبائه فراد ومثنى اصمقتها صواهلها

وقال النابغة

من وحش وجرة موشي أكارعه طايوي المصير كسيف الصيقل الفرد

ومثل الفرادى الدافى والقرابى والتخويل الاعطاء وأصله تليك الخول كما ان التويل هو تليك الأموال ونحو الله اعطاه مالا وفلان خولي مال وخال مال وخائل مال إذ كان يصلح للمال وهم خول فلان أي أتباعه الواحد خائل والزمع قد يكون حقا وقد يكون باطلا قال الشاعر

يقول هلكنا إن هلكت وإنما على الله أرزاق العباد كازعم

والبين مصدر بان بين إذا فارق قال الشاعر

بان الحليط برامتين فودعوا او كلما ظعنوا لين تمجزع

قال ابو زيد بان الحلي يتوثة وبيننا اذا ظلموا وتابنوا أي تفرقوا بعد ان كانوا جميعا

﴿ الأعراب ﴾

فراى نصب على الحال وما خولناكم موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول تركتم

﴿ التزول ﴾

نزلت في النضر بن الحوت بن كعدة حين قال سوف يشفع لي اللات والعزى عن مكرومة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قام ما يقال لهم على سبيل التوبيخ فقال (ولقد جئتمونا) قيل هذا من كلام الله تعالى يخاطب به عباده اما عند الموت أو عند البعث وقيل هو من كلام الملائكة يؤذونه عن الله الى الذين يقبضون ارواحهم (فرادى) اي وحدانا لا مال لكم ولا خول ولا ولد ولا حشم من الجبائي وقيل واحدا واحدا على حدة عن الحسن وقيل كل واحد منهم منفردا من شريكه في النبي وشقيقه عن الزجاج (كما خلقناكم أول مرة) اي كما خلقناكم في بطون أمهاتكم فلا ناصر لكم ولا معين من الجبائي وقيل معناه ما روي عن النبي (ص) أنه قال تحسرون جفاة عراة عزلا والنزل هم القلف ودوي فان عائشة قالت لرسول الله (ص) حين سمعت ذلك واسأله ان ينظر بعضهم إلى امرأة بعض من الرجال والنساء فقال (ص) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ويشغل بعضهم عن بعض وقال الزجاج معناه كما بدأناكم أول مرة اي يكون يشكم كخلقكم (وتركم ما خولناكم) معناه ما ملكناكم في الدنيا بما كنتم تبايعون به من الأموال (وراء ظهوركم) اي خلف ظهوركم في الدنيا والمراء تركم الأموال وجمعتم من الذنوب الاحمال واستمتم غيركم بما خلقتم وحوسبتم عليه فيا لها من حيرة (وما زى معكم شفعاءكم) اي ليس معكم من كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم (عند الله يوم القيامة) وهي الاصنام الذين زعمتم انهم فيكم شركاء معناه زعمتم انهم شركائنا فيكم وشفعائكم يريد وما تفصمكم عبادة الأوثان التي كنتم تقولون انها فيكم شركاء وانها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا علم في كل من عبد غير الله واشتد غيرة يروج غيرة ويخاف ضربه في مخالفة الله تعالى (لقد قطع بينكم) اي وصلكم وجمعكم ومن قرأ بالنصب فمعناه لقد قطع الأمر بينكم او قطع وصلكم بينكم (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) اي ضاع وتلاشى ولا تدرون اين ذهب من جئتم شفعاءكم من أنفسكم ولم تفصمكم عبادتها وقيل معناه ما تزعمون من عدم البعث والجزاء قد حث الله سبحانه في هذه الآية على اقتناء الطاعات التي بها ينال الفوز وتندرك النجاة دون اقتناء المال الذي لا شك في تركه وعدم الانتفاع به بعد الموت

قوله تعالى (١٥) **إِنَّ اللَّهَ فَائِقُ النَّبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْغَيْبَ مِنَ الْغَيْبِ وَخَرِجَ الْغَيْبِ مِنْ**
الْغَيْبِ ذَلِكَ اللَّهُ فَإِنْ تَوَفَّكُنْ (١٦) فَإِنْ الْإِصْبَاحَ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (آيَات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة وجعل الليل سكنا والباقر وجامل بالآلف والرفع الليل بالجر

﴿ الحجة ﴾

وجه قول من قرأ وجعل الليل ان قبله اسم فاعل وهو فائق الحب وفائق الإصباح ليكون فاعل المحطوب مثل فاعل المحطوب عليه الا ترى ان حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله لأن الاسم بالاسم اشبه من الفعل بالاسم ويقوي ذلك قولهم

ليس عبادة وتقر عيني احب إلي من لبس الشفوف
فصب وتقر ليكون في تقدير اسم باضار أن فيكون قد عطف اسم على اسم وقوله
ولولا رجال من رزام ومازنا وآل سبيع واسوك خلقا

ومن قرأ وجيل فلان اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما كان فاعل بمعنى فعل عطف عليه قبل إرفاقه لعني المضي ويدل على انه بمنزلة فعل أنه نزل منزله فيا عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حسانا الا ترى انه لا كان المضي فعل حمل المعلوم على ذلك فغلب الشمس والقمر على فعل لا كان فاعل كقولهم ذلك قولهم هذا معطي زيد درهما أس فالدرهم محمول على اعطى لأن اسم الفاعل إذا كان لا مضي لم يعمل عمل الفعل فلماذا كان معطى بمنزلة اعطى كذلك جعل فاعلي بمنزلة فاعلي لأن اسم الفاعل لا مضي فعطف عليه فعل لا كان بمنزلة

الفئة

الفاعل الشئ يقال فلقه فانفلق والفاعل الصبح لأن الظلام ينفلق عنه والفاعل المطمن من الارض كأنه منشق منها والحب جمع حبة وهو كل ما لا يكون له نوى كالبر والشمير والنوى جميع نواة والإصباح والصبح واحد وهو مصدر أصبحنا أصبحا وقد روي من الحسن انه قرأ فاعلي الأصباح بالفتح يريد صبح كل يوم وما قرأ به غيره والسكن الذي يسكن اليه والحسان جمع حساب مثل شهاب وشهبان وقيل هو مصدر حسبت الحساب احسبه حسبا وحسانا وحكي من بعض العرب ان الله حسان فلان وحسبته اي حسابه والحسان بكسر الهمزة جمع حسانة وهي وسادة صغيرة والحسان والحسبة مصدر حسبت فلانا فاعلا أحسبه واحسبه

الأعراب

النصب في الشمس والقمر مفول فعل يدل عليه قوله وجعل الليل سكنا وتقديره وجعل الشمس والقمر حسانا وحسانا المفعول الثاني منه ولا يجوز وجعل الليل سكنا لأن اسم الفاعل إذا كان واقعا لم يعمل عمل الفعل وأجيب إلى ما بعده لا غير تقول هذا ضارب زيد أس لا غير

المعنى

ثم عاد الكلام إلى الاحتجاج على المشركين بمجانب الصمد ولطائف التدبير فقال سبحانه (ان الله فاعلي الحب والنوى) اي شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منها النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل والشجر من الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه خالق الحب والنوى ومنشعها ومبدئها عن ابن عباس والضحاك وقيل المراد به ما في الحبة والنوى من الشئ وهو من حبيب قدرة الله تعالى في استوائه من مجاهد واني مالك (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) اي يخرج النبات النض الطري الخض من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحي التام من الزجاج والعرب تسمي الشجر ما دام خضاً قائماً بأنه حي فإذا يس أو قطع أو قلع سموه ميتا وقيل معناه يخرج الحي من الطلقة وهي موات ويخرج الطلقة وهي موات من الحي من الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهم وهذا أصح وقيل معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجبائي وقيل معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (ذلكم الله) اي فاعل ذلك كله الله (فأني توفكون) اي تصرفون عن الحق ويذهب بكم عن هذه الأدلة الظاهرة إلى الباطل فألفا تسجدون فتعلمون انه لا ينبغي ان يجعل لمن انعم عليكم يخلق الحب والنوى واخراج الزرع من الحب والشجر من النوى شريك في عبادته (فالق الإصباح) اي شاق صوب الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن أكثر المشرق وقيل معناه خالق الصباح عن ابن عباس (وجعل الليل سكنا) تكونون فيه وتتوعدون فيه عن ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين نيه الله سبحانه على عظيم نعمته بأن جعل الليل للسكون والنهار للتصرف ودل بشاقيها على كمال قدرته وحكمته ثم قال (والشمس والقمر حسانا) اي جعلها شميرين في افلاكهما بحجاب لا يتجاوزانه حتى ينتهي إلى أقصى منازلها فتقطع الشمس جميع البروج الإثني عشر في ثلاثمائة وخمس وستين يوماً وربع والقمر في ثمانية وعشرين يوماً وبني عليها الليالي والأيام والشهور والأحرام كما قال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وقال كل في فلك يسبحون عن ابن عباس والسدي

وقادة ومباعد أشار سبحانه بذلك إلى ما في حاسبها من مصالح العباد في ممالكهم وتوابعهم وأوقات عباداتهم وغير ذلك من أمورهم الدينية والدنيوية (ذاك) إشارة إلى ما وصفه سبحانه من خلق الأصباح وجعل الليل سكا والشمس والقمر حسانا (تقدير التزيين) الذي من سلطانه فلا يقدر احد على الامتناع منه (العلم) بمصالح خلقه وتدبيرهم

قوله تعالى (١٧) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٨) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْذَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَقْفَهُونَ (آياتان)

❦ القراءة ❦

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بزيادة روح وزيد فاستقر بكسر القاف والباقون بفتح القاف

❦ الحجة ❦

قال أبو علي من كسر القاف كان المستقر بمعنى القادر فإذا كان كذلك وجب خبره أن يكون المضمر منكم أي فمستمع مستقر كقولك بضركم مستقر أي مستقر في الأرحام ومن فتح فليس على أنه مفعول لا ترى أن المستقر لا يتعدى وإذا لم يتعد إلى من منه اسم مفعول به وإذا لم يكن مفعولا به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما كان المستقر بمعنى القادر وإذا كان كذلك جعل الخبر المضمر لكم والتقدير فاستقر لكم وأما المستودع فإن استودع فعل يتعدى إلى مفعولين تقول استودعت زيدا فلما فاستودع مثل أودع كما أن استجب مثل أجب أجب فالمستودع يجوز أن يكون الإنسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه ومن قرأ فاستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا ليكون مثل المطوف عليه أي فلككم مكان استقرار واستيداع ومن قرأ فاستقر فالمنى منكم مستقر في الأرحام ومنكم مستودع في الأصلاب فالمستودع اسم المفعول به فيكون مثل المستقر في أنه اسم لغير المكان

❦ المعنى ❦

ثم ذكر سبحانه ما يقارب في المعنى الآية المتقدمة فيأيد على وحدانيته وعظم قدرته فقال (وهو الذي جعل) أي خلق (لكم) أي أنفسكم (النجوم لتهتدوا بها) أي بضرتها وطلوعها ومواضعها (في ظلمات الليل والبحر) لأن من النجوم ما يكون بين يدي الإنسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون من بينه ومنها ما يكون عن يساره ويهتدى بها في الأسفار وفي البلاد وفي القسوة وأوقات الليل وإلى الطرق في مسالك البراري والبحار وقال البلخي ليس في قوله لتهتدوا بها ما يدل على أنه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه لأمر جليلة عظيمة ومن فكر في صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواضعها ومجاورتها واتصالاتها وسيرها وظهورها ومناطم الشمس والقمر في نشوءها والخير والنيات علم أن الأمر كذلك ولو لم يخلقها إلا للاعتدال ما كان خلقها صائرا وكبارا واختلافاتها في المسير معنى وفي تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم أن النجوم آل محمد (ع) (قد فصلنا الآيات) أي بينا الحجج والبيانات (لقوم يعلمون) أي يتفكرون فيعلمون (وهو الذي أنشأكم) أي أيدعكم وعظمتكم (من نفس واحدة) أي من آدم (ع) لأن الله تعالى خلقنا جميعا منه وخلق أبنا حواء من طين من أضلعه ومن طينا بهذا لأن الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى التواد والتماثل والتألف (فاستقر ومستودع) قد مر ذكرهما في الحجة واختلف في معانيهما فاستقر في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر إلى أن يبعث عن عبد الله بن مسعود وقيل مستقر في بطون الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء عن سعيد بن جبير وعكرمة عن

ابن عباس وقيل مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة عن مجاهد وقيل مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث يموت وحيث يبعث عن أبي العالية وقيل مستقر في القبر ومستودع في الدنيا عن الحسن وكذا يقول يا ابن آدم أنت وديمة في أهلك ويوشك أن تلحق ب صاحبك وأنشد قول لبيد

وما المال والأهلون الا ودايع
وقال سليمان بن زيد المدني في هذا المعنى

فَجَعَلَ الْأُجُةَ بِالْأُجَةِ قَبْلَنَا فَالْنَّاسُ مَفْجُوعٌ بِهِ وَمَفْجَعٌ

مستودع او مستقر مدخلا فالستقر يزوره المستودع

سَلَّمْنَا الْآيَاتِ) اَي يَبَيَّنَّا الْحُجُجَ وَمِيزَنَا الْأَدَلَّةَ (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) مَوَاقِعَ الْحُجَّةِ وَمَوَاقِعَ الْمُبَرَّةِ

(قد فصلنا الآيات) اي بينا الحبيب وميزنا الأدلة (لقوم يعقون) مواقع الحجة ومواقع العبدة وإنما خص الذين يملكون ويعقون لأنهم المشتمون بها كما قال هدى المتقين وكرر قوله قد فصلنا الآيات حثا على النظر وتنبها على ان كلاما ذكر آية ودلالة تدل على توحده وصفاته التي

قوله تعالى (٩١) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مَاتًا كَيْدًا مِنَ الْغُلُوبِ وَنَزَّلْنَا دَالِقَةً فِي الْمَاءِ وَجَنَّتِ مِنْهُ أَنْعَابُ الْوَالِيزِ وَالْزَبُورِ وَالْأَرْهَامِ مَتَشَتَّاهِ وَغَيْرِ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (آية)

وانا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في ثيت العرب

من يساجلني يساجل ماجداً يلاً الدلو الى عقد الكرب

برسول الله وابني بقتة وبعباس بن عبد المطلب

وكية خضراء اذا كان عليها سواد الخبيد والعرب تسمى الأسود اخضر ويسمى سواد المراق سوادا لكثرة خضرته ومتراب متعاضل من الركوب وطلع النخل اول ما يبدو من ثمره وقد اظلم النخل والقنوان جسم قنبر وهو المذق بكسر الميم اي الكيابة والمذق يفتح الميم النخلة وقنوان وقنوان بكسر القاف وضما لثان وقنوان بالياء لغة تميم ودانية قريية المتناول واليمم النضج يقال يمم الثمر ينما وينما وايمم إذا ادرك قال الشاعر

في قباب وسط مسكرة حولها الزيتون قد ينما

وقيل ان اليمم جمع يقيم مثل صاحب وصحب وتجر وتجر

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وهو الذي أنزل من السماء ماء) يريد من السحاب والعرب تقول كل ما علاك فاطلك فهو ساء (فأخرجنا به نبات كل شيء) والمعنى فأخرجنا بلأله الذي أنزلناه من السماء من غذاء الانعام والطير والوحش وأرزاق بني آدم ما يتخفون به ويأكلونه فنبهتونه عليه وينمو ويؤيد نبات كل شيء ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويشتمل ان يكون المراد أخرجنا به جميع أنواع النبات ليكون كل شيء هو لصفاف النبات كقوله ان هذا هو الحق البقين عن القراء والأول احسن وإلغا قال به لأنه سبحانه جعله سببا حوديا لمحي النبات لا مولدا له وقد كان يمكنه الانبات بغيره فلا يقال انه فعله بسبب مولد (فأخرجنا منه) اي من الماء وقيل من النبات (خضرا) اي زرها رطباً اخضر وهو ساق الشبلة (نخرج منه) اي من ذلك الزرع الخضر (جابرا كبا) قد تركب بعضه على بعض مثل سنبلة الحنطة والسمسم وغير ذلك (ومن النخل) اي يخرج من النخل (من طلعها قنوان) اي اشدق الرطب (دانية) اي قريية المتناول ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لأن في الكلام دليلا على البعيدة السحيفة من النخل قد كانت غير سحيفة فاجترأ بذكر القريية عن ذكر السحيفة كما قال سراويل تقيكم الحر ولم يقل وسراويل تقيكم البرد لأن في الكلام دليلا على انها بقي البرد لأن ما يستريح عن الحر يستريح عن البرد عن الزجاج وقيل دانية دنت من الارض لكثرة ثمرها ونقل حملها وتقديره ومن النخل من طلعها ما قنوانه دانية وإنما خص الطلع بالذكر لأنه من المنافع والأغذية الشريفة التي ليست في اكام الثمار (وجنت من اعاتب) يعني وأخرجنا به ايضا جنت من اعاتب اي بساين من اعاتب ومن ربه بتقديره ويخرج به جنت من اعاتب (والزيتون والرمان) اي فأخرجنا به الزيتون والرمان اي شجر الزيتون والرمان وقرن الزيتون والرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الفصن من أوله الى آخره قال الشاعر.

بودك الميت الغريب كما بودك نضج الرمان والزيتون

ومناه ان ورقها يشتمل على البود كاه (مشتها وغير متشابه) اي مشتها شجرة يشبه بعضه ببعضا وغير متشابه في العلم وقيل مشتها ورقه مختلفا ثمره من كثرة وقيل مشتها في الخلق مختلفا في العلم وقيل مشتها ما كان من جنس واحد وغير متشابه اذا اختلف جنسه عن الجباني والأولى ان يقال ان جميع ذلك المشتمل من وجوه مختلفة من وجوه فيدخل فيه جميع ما تقدم وانظروا الى ثمر ماذا اثمر اي انظروا الى خروج الثمار نظر الاعتبار

(ويضحه) أي نضحجه ومنه انظروا من اجزاء خروجه اذا أثر إلى انتهائه اذا اهتم وادرك كيف تنتقل عليه الاحوال في العلم والون والرائحة والصغر والكبر ليستدلوا بذلك على ان له صانعاً مديراً (ان في ذلك لايات) أي ان في خلق هذه الثمار والزرع مع اتقان جواهرها اجناساً مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً لدلالات على ان لها خالقاً قصد الى التمييز بينها قبل خلقها على علم بها وانها تكونت بحققة وتقديره (قوم يؤمنون) لأنهم بها يستدلون وبعمرة مدلولاتها يقنعون

قوله تعالى (١٠٠) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (١٠١) بِدْيَعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرا اهل المدينة وخرقوا بالتشديد والباقون وخرقوا بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال احمد بن يحيى خرق واخترق بمعنى وقال ابو الحسن الخفيفة احبب الي لانها اكثر والمعنى في القراءتين كذبوا وقد روي في الشواذ عن ابن عباس وخرقوا بالهاء والفاء وهذا شاهد يكذبهم ايضا ومثله يعرفون الكلم عن مواضعه

﴿ الفة ﴾

البديع بمعنى المبدع والفرق بين الابداع والاختراع ان الابداع فعل ما لم يسبق الى مثله والاختراع فعل ما لم يوجد سبب له ولذلك يقال البدعة لما خالف السنة لأنه أحدث ما لم يسبق اليه ولا يقدر على الاختراع غير الله تعالى لأن حده ما ابتدئ في غير عمل القدرة عليه والقادر بقدره إما ان يفعل مباشرة وهو ما ابتدئ في عمل القدرة او متولداً وهو ما يوقع بحسب غيره ولا يقدر على الاختراع اضلاً

﴿ الاعراب ﴾

اتصاف الجن من وجوب ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مفعولاً اي جعلوا الجن لله شركاء ويكون شركاء مفعولاً ثانياً كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴿ والآخر ﴾ ان يكون الجن بدلاً من شركاء ومفسراً له سبحانه نصب على المصدر كأنه قال تسميها له وبديع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو بديع السبلوات ويميز ان يكون مبتدأ وخبره انى يكون له ولد وإنا تسمى بديع وهو فعل لأنه مبدول عن مفعول والصفة تمل عمل ما عدلت منه فإذا لم تكن ممدولة لم تمد نحو طويل وقصير

﴿ المعنى ﴾

ثم رد سبحانه على المشركين وحجب من كفرهم مع هذه البراهين والحجج والبيانات قال (وجعلوا) يعني المشركين (الله شركاء الجن) أخبر الله سبحانه انهم اتخذوا معه آلهة جعلهم له انداداً كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نساء وأراد بالجن الملائكة وإنا سماهم جننا لاستتارهم عن الآعين وهذا كما قال جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً عن قتادة والسدي وقيل ان قريشاً كانوا يقولون ان الله تعالى قد صاهر الجن فحدث

بينها الملائكة فيكون على هذا القول المراد به الجن المعروف وقيل أراد بالجن الشياطين لأنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان عن الحسن (وخلقهم) الهاء والميم عائدة إليهم أي جعلوا الذي خلقهم شركاء لا يفتقون ويميز أن يكون الهاء والميم عائدة على الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له ويميز أن يكون المعنى وخلق الجن والانس جميعا وروي أن يحيى بن يعمر قرأوا خلقهم بسكون اللام أي وخلق الجن يعني ما يخلقونه ويأفكون فيه ويكذبونه كأنه قال جعلوا الجن شركاءه وأغلامهم شركاءه إضالة أو شركاءه له إذا نفى بذلك الأصنام ونحوها وقيل إن المعنى بالآية المجوس إذ قالوا يزدان وأهرمن وهو الشيطان عندهم فسوا خلق الموثبات والشروروا لآلهة الضارة إلى أهرمن وجعلوه بذلك شركاء له ومثلهم التوبة القائلون بالنور والظلمة (وخرقوا له بنين وبنات) أي اختلقوا وموهوا واقترعوا الكذب على الله ونسبوا البنين والبنات إلى الله فإن المشركين قالوا للملائكة بنات الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله واليهود قالوا عزيز ابن الله (بشير علم) أي بشير حجة ويميز أن يكون معناه بشير علم منهم بما عليهم عاجلا وآجلا ويميز أن يكون معناه بشير علم منهم بما قالوه على حقيقة لكن جهلا منهم بالله وبظلمته تعالى (سبحانه) أي تنزيها له عما يقولون (وتعالى عما يصفون) من ادعائهم له شركاء واختراقهم له بنين وبنات أي هو بطل من أن يوصف بما وصفوه به وإنما صار اتخاذ الولد قصا لأنه لا يخلو من أن يكون ولادة أو تبنيا وكلاهما يوجب التشبيه من أشبه المحدث كائن على صفة نقص (بديع الساعات والأرض) أي مبدعها ونشئها يعلم ابتداءها من شيء ولا على مثال سبق وهو المروي عن أبي جعفر (ع) (أنى يكون له ولد) أي كيف يكون له ولد ومن أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) أي زوجة وإنما يكون الولد من النساء فيما يتعارفونه (وخلق كل شيء) في هذا نفى لصاحبة الولد فإن من خلق الأشياء لا يكون شيء من خلقه صاحبة له ولا ولد أو لأن الأشياء كلها مخلوقة له فكيف يتميز بالولد وينكث به (وهو بكل شيء عليم) يعلم الأشياء كلها موجودها ومضمونها لا يخفى عليه خافية ومن قال إن في قوله وخلق كل شيء دلالة على خلق أعمال العباد فجوابه أن المفهوم منه أنه أراد المخلوقات كما يفهم المأكولات من قول من قال أكلت كل شيء والمخلوقات كلها بما فيها من التقدير المجيب يضاف خلقها إليه سبحانه على أنه سبحانه قد تزه نفسه عن ذلك العباد وكذبهم فلو كان خلقا له لما تنزه عنه

قوله تعالى (١٠٢) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٣) لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (آيَاتان)

الفقرة

الوكيل على الشيء هو الحافظ له الذي يحميه ويدفع الضر عنه وإنما وصف سبحانه نفسه بأنه وكيل مع أنه مالك الأشياء لأنه لما كانت منافعا لتبذره لاستحالة المنافع عليه والمضار صحت هذه الصفة له وقيل الوكيل من يوكل إليه الأمور غالوكلت إليه هذا الأمر أي وليته تديره والمؤمنون جل على الله أي ينفوض أمره إليه والإدراك الحقيق يقال أدرك قتادة الحسن أي لحقه وأدرك الطعام نضج وأدرك الزرع بلغ مثواه وأدرك الغلام بلغ ولحق حال الرجولية وأدرك كنهه يبصره لحفته ينصري وتدارك القوم تلاحقوا ولا

يكون الإدراك بمعنى الإحاطة لأن الجدار يحيط بالدار وليس يدرك لها والبصر الحاسة التي تقع بها الرؤية

❦ الاعراب ❦

خالق كل شيء خبر مبتدأ عنفون ويحيز أن يكون صفة ربكم وكان يميز نعمة على الخلق لأنه نكرة

❦ المعنى ❦

اتصل بمرقة بعد التمام
لما قدم سبحانه ذكر الأداة على وحدانيته فثبت عليه عباده على أنه الآلة المستحق للطاعة والعبادة وتخليعهم الاستدلال بأفعاله عليه قال (ذلك) أي ذلك الذي خلق هذه الأشياء ودير هذه التدابير لكم أيها الناس هو الله ربكم أي خالقكم ومالككم ومديركم وسيدكم (لا إله إلا هو خالق كل شيء أي كل مخلوق من الأجسام والأعراض التي لا يقدر عليها غيره (فأبصده) لأنه المستحق للعبادة (وهو على كل شيء وكيل) أي حافظ ومدير وحفيظ على خلقه فهو وكيل على الخلق ولا يقال وكيل لهم (لا تدركه الأبصار) أي لا تراه البصير لأن الإدراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه إلا الرؤية كما أنه إذا قرن بالسمع قبل إدراكه لم يفهم منه إلا السماع وكذلك إذا أضيف إلى كل واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آفة فيه فلو فهم أدركه بقي متناه وجنت طعمه وأدركه بأنني متناه وجنت رائحته (وهو يدرك الأبصار) تقديره لا تدركه ذوو الأبصار وهو يدرك ذوي الأبصار أي المبصرين ومتناه أنه يرى ولا يرى وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لأن منها ما يرى ولا يرى كالأحياء ومنها ما يرى ولا يرى كالمعاد والأعراض المدركة ومنها ما لا يرى ولا يرى كالأعراض غير المدركة فآفة تعالى خالف جميعا وفرد بأن يرى ولا يرى وقدح في الآية بمجموع الأمرين كما قدح في الآية الأخرى بقوله وهو يعلم ولا يعلم وروى العياشي بالاستناد المتصل أن الفضل بن سهل ذا الرياستين سأل أبا الحسن علي بن موسى الرضا (ع) فقال أخبرني عما اختلف الناس فيه من الرؤية فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم العقوبة على الله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهذه الأبصار ليست هي العين إنما هي الأبصار التي في القلوب لا يقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو (وهو العليق) قيل في معناه وجوه ❦ أحدها ❦ أنه اللطيف بعباده يسبغ الأضواء غير أنه عدل عن وزن فاعل إلى فعل المباني ❦ والثاني ❦ أن معناه لطيف القدير أي أنه خلق لدلالة الكلام عليه — الثالث — أن اللطيف الذي يستعمل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده — والرابع — أن اللطيف الذي إذا دعوته لباك وإن قصده أورك وإن أحيته أدناك وإن أظمت كافاك وإن عصيته عافاك وإن أعرضت عنه دعاك وإن أقبلت إليه دعاك ❦ والخامس ❦ اللطيف من يكافي الوافي ويغفر عن الجاني — والسادس — اللطيف من يزيل المغتربة ويضيئ المغتربة — السابع — اللطيف من يكون عطاؤه خيرة ومنه ذخيرة (الغدير) العلم بكل شيء من مصالح عباده فيدبرهم عليها وبأفهامهم فيجازيهم عليها

قوله تعالى (١٠٤) قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٥) وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا ادرست ولئن لم ينزلنا القرآن على قلبك لكان من الغائبين لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (آيتين)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو ودارست وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل درست بفتح السين وسكون التاء والباقيون درست وفي قراءة عبد الله واوي درس اي يقولوا درس محمودوي عن ابن عباس والحسن درست

﴿ الحبة ﴾

من قرأ دارست فمناه انك دارست اهل الكتاب وهذا كرهتم وبقرية قوله وأعلم عليه قوم آخرون ومن قرأ درست فحجته ان ابن محمود قرأ درس فأستد الفعل فيه الى النية كما استد الى الخطاب ومن قرأ درست فهو من الدروس الذي هو ضعي الاثر اي اتحت ويكون اللام في يقولوا على هنا بمعنى لكرامية ان يقولوا ولأن لا يقولوا انها اخبار قد تقدمت فقال العهد ما يزيد من كان يعرفه لأن تلك الاخبار لا تخلو من خال فإذا سلم الكتاب منه لم يكن لاطعان فيه مطعون وأما على القراءة بين الأولين فاللام في يقولوا كالتي في قوله ليكون لهم عدواً وحزناً ولم يلقطوه لذلك كما لم يصرف الآيات ليقولوا درست ودارست ولكن لما قالوا ذلك أطلق على هذا الاتساع وأما قراءة ابن عباس درست ففيه ضمير الآيات ومعناه درستما أنت يا محمد ويميز ان يكون معناه عفت وتنوسيت فيكون كقولهم ان هذا الا أساطير الأولين

﴿ البصرة ﴾

البصرة البينة والدلالة التي يصير بها الشيء على ما هو به والبصائر جميعا والبصرة مقدار الدرهم من الدم والبصرة الترس والبصرة الثأر والدية قال الشاعر

جاؤا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يمدو بها عتدواي
اي أخذوا الديارات فصارت عارا وبصيرتي على فرسي أطلب بها ثاري وقيل أراد ثقل دمايهم على أكتافهم لم يثأروا بها قال الأزهري البصرة ما احتقد في القلب من تحقيق الشيء والشفقة تكون على الجنا والابصار الإدراك بحاسة البصر والدرس أصله استمرار التلاوة ودرس الأثر دروسا اذا انجني لا استمرار الزمان به ودرست الرمح الأثر دروسا محبة باستمرارها عليه

﴿ الإعراب ﴾

كذلك موضع الكاف نصب منه بكونه صفة للمصدر اي تصريفا مثل ذلك التصريف واللام في يقولوا مطوف على عذوف تقديره ليجسدوا ويقولوا درست واللام لام العاقبة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه هذه الآيات قد أراح الله المكلفين فقال (قد جاءكم) أيها الناس (بصائر) بينات ودلالات (من ربكم) تصيرون بها الهدى من الضلال ويميزون بها بين الحق والباطل ووصف البينة بأنها جاءت تفصيلا لثباتها كما يقال جاءت العاقبة وانصرف المرض وأقبل السند (فمن أيسر فلتسهل) أي من بين هذه الحجج بأن نظر فيها حتى أوجبت له العلم فمنته ذلك تعود اليه ونفسه نظر (ومن عسير) فلم ينظر فيها وصرف عنها (فليها) أي على نفسه وبالله وبها أضر وإياها غير فسي للعلم واليقين إبطارا والجل على مجازا وتوسعا وفي هذا دلالة على ان المكلفين مخيروا في افعالهم غير مجبرين ثم أمر سبحانه بنية بأن يقول لهم (وما أنا عليكم بمجتهد) أي لست أنا الرقيب على أفعالكم قال الزجاج معناه لست أجدكم بلا إيمان فإني أنا المجتهد عليكم

والوكيل وهذا قبل الأمر بالقتال فلما أمر النبي (ص) بالقتال صار حفظا عليهم ومسيطر على كل من تولى (و كذلك) أي وكما صرفنا الآيات قبل (نصرف هذه الآيات) قال علي بن عيسى والتصرف إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة لتجتمع فيه وجوه الفائدة (ويقولوا درست) ذلك ما يجد أي تعلمته من اليهود قال الزجاج وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الضرورة أي ان السبب الذي ادهم إلى ان قالوا درست هو تلاوة الآيات وكذلك درست أي دارست أهل الكتابين وقارأتهم وذاكرتهم من الحسن ومجاهد والسدي وابن عباس (ولننبئ قوم يعلمون) معناه لننبئ الذي هذه الآيات دالة عليه للعلماء الذين يعلمون ما تورد عليهم وإنما خصهم بذلك لأنهم اتفقوا به دون غيرهم

قوله تعالى (١٠٦) اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (آيتان)

﴿المنع﴾

الاتباع ان يتصرف الثاني بتصرف الأول والنبي كان يتصرف في الدين بتصرف الوحي فلذلك كان متبعا وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له والإيماء هو القاء المعنى إلى النفس على وجه يخفى والإعراض أصله الانصراف بالوجه إلى جهة الرض ومنه

وأعرضت الجملة واشمخت كاسياف بأيدي مصليتنا

أي غلظت كالظهور بالمرض ومنه الممارسة لظهور المساواة بها كالظهور بالمرض والاعتراض المنع من الشيء الحاجز عنه عرضا ومنه المرض الذي يظهر كالظهور بالمرض ثم لا يلبث وحده أيضا بأنه ما يظهر في الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر ﴿المنع﴾

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) باتباع الوحي قال (اتبع) أي أطيع الرسول (ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو) أي أطيعوا ما أوحى إليكم من ربكم (و اعرض عن المشركين) قال ابن عباس نسخته آية القتال وقيل معناه أهرجم ولا تتعامل معهم ولا تلاحظهم ولم يرد به الإعراض عن دعائهم إلى الله تعالى وحكمه ثابت (ولو شاء الله ما أشركوا) أي لو شاء الله ان يتركوا الشرك قهراً واجباراً لأضطرهم إلى ذلك إلا انهم لم يضطروهم إليها بئاني أمر التكليف وأمرهم بتركه اختياراً ليستحقوا الثواب والمدح عليه فلم يتركوه فأتوا به من قبل نفوسهم وفي تفسير إسماعيل البكري (ع) لو شاء الله ان يجعلهم كلهم مؤمنين مصومين حتى كان لا يصيبه أحد لما كان يحتاج إلى جنة ولا إلى نار ولكنه أمرهم ونهاهم واستحسنهم وأعظم ناله به عليهم الجنة من الآلة والاستعطاء ليستحقوا الثواب والعقاب (وما جعلناك عليهم حفيظاً) مراداً لا أعظمهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي ولست بوكيل عليهم بذلك وإنما أنت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب وجمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معنى الفظلين فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل عن الشيء هو الذي يجب الخبر إليه

قوله تعالى (١٠٨) وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ مقبوض عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو وهو قراءة الحسن وإني رجاؤه وقادة وقرأ الباقون عدواً بفتح العين وسكون الدال

﴿ الحجة ﴾

العدو والعدو جميعا الظالم والتمدي الحق ومثلهما العدوان والعداء وإنما انتصب عدواً لأنه مصدر في موضع الحال

﴿ القصة ﴾

السب الذكر بالتيق ومنه الشتم والذم وأصله السب كما أنه جنس إلى ذكره بالتيق وسبك الذي يابك قال لا تمسني فمسني بسمي وقيل أصل السب القطع

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تمبدون من دون الله حسب جهنم الآية قال المشركون يا محمد لتنتين عن سب آلهتنا أو لنهجنوك ربك فنزلت الآية وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنامهم الكفار فنهام الله عن ذلك لتلا يسبوا الله فأنهم قوم جيلة

﴿ المعنى ﴾

ثم نهى الله المؤمنين ان يسبوا الاصنام لما في ذلك من المفسدة فقال (لا تسبوا الذين يدعون من دون الله) اي لا تخرجوا من دعوة الكفار وعاجتهم الى ان تسبوا ما يعبدون من دون الله فإن ذلك ليس من الحجاج في شيء (فيسبوا الله عدوا اي ظلاما بغير علم) وأنتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون لأن الدار دارهم ولم يؤذن لكم في القتال وإنما قال من دون الله لأن المعنى يدعونه لها وفي هذا دلالة على انه لا ينبغي لأحد ان يفعل او يقول ما يؤدي الى مصيبة غيره وسئل ابو عبد الله (ع) عن قول النبي (ص) ان الشرك أخفى من ديب النمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفار آله المؤمنين فكأن المؤمنين قد أشركوا من حيث لا يطلون كذلك زيننا لكل أمة معلم قبل في معناه أقوال **﴿ اخذها ﴾** ان المراد كما زيننا لكم أعلامكم زيننا لكل أمة من قبلكم اعلمهم من حسن الدعاء الى الله تعالى وترك السب للاصنام ونهينهم ان يأتوا من الأفعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق من الحسن والجليل ويسمي ما يجب على الإنسان ان يعمل بأنه عمله كما تقول لولك ابو غلامك اعلم غلامك ما ينبغي لك ان تفعله **﴿ وثالثها ﴾** ان معناه وكذلك زيننا لكل أمة معلمهم بميل الطباع اليه ولكن قد عرفناهم الحق مع ذلك يأتوا الحق ويضنبوا الباطل **﴿ وثالثها ﴾** ان المراد زيننا معلمهم بذلك ثوابه فهو كقوله ولكن الله يحب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان يريد حب اليكم الايمان بذلك ثوابه ومدح قاطبة على فعله وكره الكفر بذكر عقابه وذم قاطبة على فعله ولم يرد حسنة بذلك انه زين عمل الكافرين لأن ذلك يقتضي الدعاء اليه والله تعالى مادعا أحبا إلى مصيبتهم لكنه نهى عنها وذم

فاعلموا قد قال سبحانه وزين لهم الشياطين أعمالهم ولا خلاف أن المراد بذلك الكفر والمعاصي وفي ذلك دلالة على أن المراد به في الآية تزيين أعمال الطاعة (ثم إلى ربه مرجعهم) أي مصيرهم) فينبغي بما كانوا يعملون (أي بأعمالهم من الخير والشر نهى الله سبحانه في هذه الآية عن سب الاصنام لئلا يؤدي ذلك إلى سبه فإذا كان سبحانه لا يريد ما ربما يكون سباً إلى سبه فلأن لا يريد سب نفسه أولى واجدر وأبضا إذا لم يرد سب الاصنام إذا كان زيادة في كفر الكافرين فلأن لا يريد كفرهم أخرى فبطل قول المجرة

قوله تعالى (١٠٩) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَنَّهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشِيرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١١٠) وَتَقَلِّبُوا الْقُرْآنَ عَنِّي وَلَا تَصَارِفْهُ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (آيتان)

❦ القراءة ❦

قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم ونصير عن الكسائي وخلفها بكسر الألف وقرأ الباقون أنها مفتحة الألف وقرأ ابن عامر وحزمه لا تؤمنون بالله والباقيات لا يؤمنون بآله وفي الشواذ ويذرهم بالياء والجزم قراءة الأعشى

❦ الحجة ❦

قال أبو علي وما يشرككم ما فيه استفهام وفاعل يشرك ضمير ما ولا يجوز أن يكون نفعاً لأن الفعل فيه يبقى بلا فاعل فإنه قلت يكون ما نفعاً ويكون فاعل يشرك ضمير اسم الله تعالى قيل ذلك لا يصح لأن التقدير يصير وما يشرككم الله انتفاء إيمانهم وهذا لا يستقيم لأن الله قد أعلننا أنهم لا يؤمنون بقوله ولو أننا نزلنا الآية وإذا قيد أن يكون ما لنفي ثبت أنها للاستفهام فيكون اسماً فيضير في الفعل ضميره ويكون المعنى وما يدريك إيمانهم إذا جاءت ضحيف المفعول وحذف المفعول كثير ثم قال إنهم لا يؤمنون مع مجيئ الآية فمن كسر الهمزة فإنه استأنف على القطع بأنهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز أن يكون يشرككم مفعولاً من شعرت الشيء وشعرته به مثل دريته ودريت به في أنه يتدسس مرة بحرف وصرية بلا حرف فإذا حدثت بالحرف جاز أن يكون أن في قول من لم يجعلها بمعنى لعل في موضع جر لأن الكلام لما طال صار كليل منه ويجاز أن يكون في موضع نصب والوجه في هذه القراءة على تأويلين ❦ أحدهما ❦ أن يكون بمعنى لعل كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة

ذريني أطوف في البلاد لا تنني
وقال هل أنتم عاشقون بنا لأقا
وقال عيسى بن زيد

أعاذل ما يدريك أن منيبي
أي لعل منيبي المعنى وما يشرككم لها إذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسر الخليل بقوله أنت السوق أنك تشترى لنا شيئاً أي لعلك وقد حذفت في التثنية لعل بعد لطم قال سبحانه وما يدريك لعله يزك وما يدريك لعل الساعة قريب والتأويل الآخر الذي لم يذهب إليه الخليل وسيبويه أن يكون لا في قوله لا يؤمنون زائداً والتقدير

وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه في كونها في تأويل زائدة وفي آخر غير زائدة قول الشاعر
 أبي جوده لا البخل واستجلبت به نعم من فتي لا يمنع الجرع قائله
 يريد لا يمنع الجائع الخبز وينشد أبي جوده لا البخل ولا البخل فمن نصب البخل جعلها زائدة كأنه قال
 أبي جوده البخل ومن قال لا البخل أخاف لا إلى البخل ووجه القراءة بالياء في يؤمنون أن المراد بهم قوم
 منصوصون بدلالة قوله ولو اتنا نزنا البهم الملائكة الآية وليس كل الكفار بهذه الصفة أي لا يؤمن هؤلاء
 القسوم ووجه القراءة بالتاء أنه انصراف من التيسية إلى الخطاب والمراد بالمخاطبين هم النبي للمقسوم
 الذين أخبرهم أنهم لا يؤمنون ومن قرأ ويذرهم فإنه اسكن المرفوع تخفيفاً

❦ اللمة ❦

الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضمة الطاقة وقبل الجهد بالفتح المبالغة قوله جهد أيمانهم أي بالتوا في البين
 واجتهاداً فيه وهو منصوب على المصدر لأنه مضاف إلى المصدر والمضاف إلى المصدر مصدر قرآن الأيمان
 جمع البين واليمين هي القسم والتقدير وأقسموا بالله جهد أقسامهم

❦ التزول ❦

قالت قريش يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فينبجر منه اثنا عشرة حينا وتخبرنا
 أن عيسى كان يمسح الموتى وتخبرنا أن نوح كانت لهم ناقة فأثنا بآية من الآيات حتى تصدقك فقال رسول الله
 (ص) أي شيء تصبون أن آتيكم به قالوا اجعل لنا الصفا ذباً وابش لنا بعض موتنا حتى نسألهم عنك أحق ما
 تقول أم بطل وأرنا الملائكة يشهدون لك أو اثنا بالله والملائكة قبيلاً قال رسول الله (ص) فإن فلت يرض
 ما تقولون أنصدقوني قالوا نعم والله لئن فلت لتبينك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله (ص) أن ينزل عليهم
 حتى يؤمنوا فقام رسول الله (ص) يدعو أن يسيل الصفا ذباً فجاءه جبرائيل (ع) فقال له إن شئت أصبح
 الصفا ذباً ولكن إن لم يصدقوا عذبتهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تأتبهم فقال رسول الله (ص) بل
 يتوب تأتبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكلي ومحمد بن كعب القرظي

➤ المعنى ➤

ثم بين سبحانه حال الكفار الذين سأله الآيات فقال (وأقسموا) أي حلفوا بالله جهد أيمانهم أي
 بمجدين مجتهدين مغنيين الوفاة (لئن جاءهم آية) عما سأله (ليؤمنن بها قل) يا محمد (إنما الآيات) أي
 الأحلام والمعجزات (عند الله) والله تعالى مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم في التزامها لأنزلها (وما
 يشعركم) الخطاب مترجى إلى المشركين عن مجاهد وابن زيد وقيل هو مترجى إلى المؤمنين عن الفراء وغيره
 لأنهم ظنوا أنهم لو أحيوا إلى الآيات لآمنوا (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) قد مر معنا (وقلب أفئدتهم
 وبصائرهم) أخير سبحانه أنه قلب أفئدة هؤلاء الكفار وبصائرهم عقوبة لهم وفي كيفية تقليبها قولان
 ❦ أحدهما ❦ أنه يقلبها في جهنم على لب النار وخر الجمر كما لم يؤمنوا به لأول مرة) في الدنيا عن
 الجبائي قال وجمع بين صفته في الدنيا وصفته في الآخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعني في الآخرة
 عاملة قاصبة يعني في الدنيا «والآخرة» - ان المعنى قلب أفئدتهم وبصائرهم بالحيرة التي تم وتزعج النفس وقوله
 (كالم يؤمنوا به أول مرة) قيل أنه متصل بما قبله وتقديره وأقسموا بالله ليؤمنن بالآيات والله تعالى قد قلب

قلوبهم وابصارهم وعلم ان فيها خلاف ما يقولون يقال: نزلن قد قلب هذه المسئلة وقلب هذا الأمر اذا عرف حقيقةه ووقف عليه (وما يدريكم انما اذا جاءت لا يؤمنون) كما لم يؤمنوا بما أنزل الله من الآيات أول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل مناه لو اعيدوا الى الدنيا ثانية لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا كما قال زولو ردوا لعادوا لما فوا عنه عن ابن عباس في رواية أخرى وقيل مناه يجازيه في الآخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا عن الجبائي والماء في به يحنل ان يكون عائدة على القرآن وما أنزل من الآيات ويحنل ان تكون عائدة على النبي (ص) (ونذرهم في طغيانهم) اي نخلهم وما اختاروه من الطغيان فلا نحول ينه وبينهم (يمهون) يترددون في الحيرة قال الحسين بن علي المغربي قوله وتقلب أفئدتهم وابصارهم حشويين الجسئين ومناه أنا نخطط علما بذات الصدور وخاتمة الأعين اي نختبر قلوبهم فتجد باطنها بخلاف ظاهرها

قوله تعالى (١١١) وَلَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يُولِيُونَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمْ مِجْمُولُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو وسقوب قبل بضمتين هاهنا وفي الكهف قبل بكسر التاف وفتح الباء وقرأ أبو جعفر ههنا بكسر التاف وفي الكهف بالضم وقرأ نافع وابن عامر قبل بكسر التاف في موضعين وقرأ أهل الكوفة بضم التاف في السورتين

﴿ الحجة ﴾

قبل يحنل ان يكون جمع قبل بمعنى الكفيل ويحوز ان يكون بمعنى الصنف كما فسره ابو عبيدة ويحوز ان يكون بمعنى قبل اي مواجهة كما فسره ابو زيد في قوله لقيت فلانا قبلًا وقبلًا ومقابلة وقيلًا كاه واحد وهو المواجهة للمعنى في القراءة ثبت على قوله واحد وان اختلف اللفظان

— الفنة —

المحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر

— المعنى —

ثم بين سبحانه حالهم في عنادهم وترددهم في طغيانهم وكفرهم قال (ولو اننا أنزلنا اليهم الملائكة) حتى يروم عبا يشهدون لتبينا بالرسالة (وكلمهم الموتى) اي واحيوا الموتى حتى كلمهم بالتوحيد وشهدوا الحمد بالرسالة (وحشرونا) اي جمعنا (عليهم كل شيء) اي كل آية وقيل كل ما سأله (قبلا) اي معاقبة ومقابلة حتى يواجوهما عن ابن عباس وقادة ومناه انهم من شدة عنادهم وتركهم الاتقياء والاذعان للحق يشكون في المشاهدات التي لا يشك فيها ومثله قوله وان يروا كسفان السماء ساقطًا يقولوا صاحبهم كوم وقيلاي قبلا قبلا يعني جماعة جماعة عن مجاهد هذا اذ حمل قبلًا على جمع القبيل الذي هو الصنف وإنما كانت تبهر هذه الآية لأنه ليس في الحرف ان يجمع جميع الأشياء وتنحصر الى موضع وقيل كفلا عن الفراء وهذا الوجه فيه بمد لأنهم اذا لم يؤمنوا عند انزال الملائكة اليهم وكلام الموتى فان لا يؤمنوا بالكافة لاجد الا ان يكون المراد حشر كل شيء وفي الأشياء المحشورة ما لا ينطق فاذا نطق بالكافة ما لا ينطق كان خارقا للعادة (ما

كانوا ليؤمنوا) عند هذه الآيات (الآيات يشاء الله) ان يبيهم على الإيمان عن الحسن وهو المروي عن اهل البيت (ع) والمعنى اتم قط لا يؤمنون مختارين الا ان يكرهوا (ولكن أكثرهم يجهلون) ان الله قادر على ذلك قبل مناهجهون انهم لو أو توأكل آية ما آمنوا طوعا و قبل مناهجهون مواضع المصلحة فيطلبون مالا فائدة فيوفي الآية دلالة على ان الله سبحانه لو علم انه اذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا لفعل ذلك ولكن ذلك من الواجب في حكمته لأنه لو لم يجب ذلك لم يكن لتبليغه بأنه لم يظهر هذه الآيات لعله بأنه لو فعلها لم يؤمنوا معني وفيها ايضا دلالة على ان إرادته محدثة لأن الاستثناء يدل على ذلك اذ لو كانت قديمة لم يجر هذا الاستثناء ولم يصح ما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يعلم الله والا ان يقدرا حصول هاتين الصفتين في الميزل ومضى قيل فلم لا يقال انهم لم يؤمنوا لأنه سبحانه يعلم انه لم يشأ فاقول فيه أنه لو كانت كذلك لكان وقوع الإيمان منهم موقوفا على المشيئة سواء كانت الآيات ام لم تكن وفي هذا ابطال للآيات

قوله تعالى (١١٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٣) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (آيتان)

❀ القراءة ❀

في الشواهد عن الحسن ولتصني اليه وليرضوه وليقتروا بسكون اللام في الجمع والقراءة الظاهرة بكسر اللام في سائرهما

❀ الحجة ❀

قال ابو الفتح هذه اللام هي الجارة لصني لام كي وهي معطوفة على الترويض من قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اي الترويض ولأن تصني اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا الا ان اسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال على قوته في التماس لأن هذا الإسكان إنما أكثر عنهم في لام الأمر نحو قوله تعالى ثم ليقتضوا نفعتهم وليوقروا ندورهم وليطوفوا وإنما اسكنت تخفيفا لثقل الكسرة فيها و فرقا بينها وبين لام كي بأن لم يسكوها وكانهم إنما اختاروا السكون للام الأمر والتحريك للام كي من حيث كانت لام كي ثابتة في أكثر الأمر عن الزوحي ايضا في جواب كان سيفعل اذا قلت ما كان ليفعل محذوفة مع اللام البتة فلان ثابت عنها قوها يا قرار حر كتبها فيها لأن الحرف المتحرك أقوى من الساكن والأقوى أشبه بأن ينوب عن غير من الأصناف

❀ النسخة ❀

الزخرف المزين يقال زخرفه زخرفة اذا زينه والزخرف كال حسن الشيء وفي الحديث انه (ص) لم يدخل الكعبة حتى أصبر بالزخرف فنجي قبل كانت نقوش وتصاوير زيت الكعبة بها وقيل أراد بالزخرف الذهب والترويض ماله ظاهر تخفيفه بطن مكروه والشيطان غرور لأنه يحمل على محاب النفس ووراء سوء العاقبة وبيع الترويض مالا يكون على شتم صنعت اليه اصني صتموا وصنوا وصنيت اصني بالياء ايضا واصنيت اليه اصناته بمنى قال الشاعر

تري السفية به عن كل محكمة زيف وفيه الى التشيه . اصفاء
وقال اصغيت الاناة اذا املت ليجتمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول الله (ص) يصني الاناة لتهرب
والاصل فيه الميل الى الشيء لترض من الاغراض والاقتراف اكتساب الاثم ويقال خرج يقترف لأهله اي
يكتسب لهم وقارف فلان هذا الأمر اذا واقعه وعمله وقرف الذنب واقترفه عمله وقرفه بما ادعاه عليه اي
رماه بالرية وقرف القرحة اي قشر منها واقترف كذبا

﴿ الاعراب ﴾

نصب عدوا على احد وجهين اما ان يكون مفعول جعلنا وشياطين بدل منه ومفسر له وعدوا في معنى
اعداء واما ان يكون أصله خيرا ويكون هنا مفعولا ثانيا لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الانس والجن عدوا
اي اعداء وقوله غرورا نصب على المصدر ومن معنى الفعل المتقدم لأن معنى ايهام الزخرف من القول
معنى التزوير فكأنه قال يثرون غرورا عن الزجاج وقيل انه مفعول له من ابن جني وقيل نصب على البدل
من زخرف عن ابي مسلم

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما كان عليه حال الأنبياء (ع) مع اعدائهم تسلياً لئيه (ص) قال (و كذلك جعلنا لكل
نبي عدوا وشياطين الانس والجن) اي وكا جعلنا لك شياطين الانس والجن اعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك
من الأنبياء واهلهم وقيل في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد كما مرنا انك صدوة قومك
من المشركين فقدمنا من قلبك بمادة اعدائهم من الجن والانس ومتى امر الله رسوله بمادة قوم من
المشركين قد جعلهم اعداء له وقد يقول الأمير المبارز من عسكره جعلت فلانا قوتك في المبارزة وانما يعني
بذلك انه امره بمبارزته لأنه اذا امره بمبارزته قد جعل من يبارزه قوتاً له ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه حكماً
بأنهم اعداء واخبرنا بذلك لتاملوه ماملة الاعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم وهذا كما
يقال جعل القاضي فلانا عدواً وقلنا فاسقاً اذا حكم بعدالة هذا وفسق ذلك ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد خليت
بينهم وبين اختيارهم المداوة لم تمنهم عن ذلك كرها ولا جبراً لأن ذلك يزيل التكليف - ورايها -
انه سبحانه لما اضاف ذلك لنفسه لأنه سبحانه لما أرسل اليهم الرسل وأمرهم بعبادته الى الاسلام والايان
وخلق ما كانوا يبدونه من الاصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العلوة لأنبيائه (ع) ومثله قوله سبحانه
مجنرا عن نوح (ع) فلم يزدكم دعائي إلا قرارا والمراد بشياطين الانس والجن حردة الكفار من الفريقين
عن الحسن وقادة ومجاهد وقيل ان شياطين الانس الذين يروهم وشياطين الجن الذين هم من ولد ابليس
عن السدي وعكرموني تفسير الكلبي من ابن عباس ان ابليس جعل جنده فريقين فيحث فريقاً منهم الى الانس
وفريقاً الى الجن فشياطين الانس والجن اعداء الرسل والمؤمنين فيلحق شياطين الانس وشياطين الجن في
كل حين فيقول بعضهم لبعض أضللت صاحبي فكنا فاضل صاحبك بمثلها فكذلك يوحى بعضهم الى بعض وروي
عن ابي جعفر (ع) ايضاً انه قال ان الشياطين يلقى بعضهم بعضاً فيلقى اليه ما يوري به الخلق حتى يعلم بعضهم
من بعض (يوحى) اي يوسوس ويلقى خفية (بعضهم الى بعض زخرف القول) اي الموه الزين الذي يستحسن
ظاهره ولا حقيقة له ولا أصل (غرورا) اي يثرونهم بذلك غروراً او ليروهم بذلك (ولو شاء ربك ما

فصلوه (اخبر سبحانه انه لو شاء ان ينعم من ذلك جبرا ويحول بينهم وبينه تقدر على ذلك ولو حال بينهم وبينه لافصلوه ولكنه حتى بينهم وبين افعالهم ابقاءا للتكليف وامتحانا للمكلفين وقيل معناه ولو شاء ربك ما فصلوه بان ينزل عليهم عذابا او آية فظن اعتاقهم لما خاضعين (قد رعد وما يفترون) اي دعم واغترهم الكذب فاني اجازهم واعاقبهم امر سبحانه نبيه (ص) بان يتولى بينهم وبين ما اخادوه ولا ينعم منة بالقر تهديدا لهم كما قال اعلموا ما شئتم دون ان يكون امرا واجبا او نديا (ولتصني اليه) اي وتتملى الى هذا الوحي يزخرف القول او الى هذا القول المزخرف (أفتد) اي قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) والعامل في قوله ولتصني قوله يوحى ولا يجوز ان يكون العامل فيه جعلنا لان الله سبحانه لا يجوز ان يريد اصفاء القلوب الى الكفر ووحى الشياطين الا ان قيلها لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا على انه غير معلوم ان كل من ارادوا من الصغر قد صنى الى كلامهم ولم يصح ذلك ايضا في قوله وليرضوه وليتقروا ما هم مقترون لانه غير معلوم حصول ذلك وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفا بمضه على بعض المراد بالآفة اصحاب الآفة ولو كان الاحتاد في القلب وكذلك الشهوة اسند الصغر الى القلب (وليرضوه) اي وليرضوا ما اوحى اليهم من القول المزخرف (وليقتروا) اي وليكتبوا من الائمة والمعاصي (ما هم مقترون) اي مكتوبون في عداوة النبي (ص) والمؤمنين من ابن عباس والسديس وقال ابو علي الجبائي ان الام في قوله ولتصني وما بعده لام الامر والمراد بها التهديد كما قال سبحانه اصلوا ما شئتم واستغفر من استغفرت وهذا غلط فاحش لانه لو كان كذلك قال ولتصغ فحذف الألف وقال البهني الام في ولتصني لام العاقبة وما بعده لام الامر الذي يراد به التهديد وهذا جائز الآن في نفسا فلا يصح ما ذكرناه

قوله تعالى (١١٤) أفتير الله ابنتي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفضلا والذين آتيناكم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونون من الممترين (آية)

❦ القراءة ❦

قرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد والباقيون بالتخفيف

❦ الحجة ❦

حجة التشديد قوله سبحانه تنزل الكتاب من الله وما اشبه حجة التخفيف انا انزلنا اليك وما اشبه

— المعنى —

ثم امر الله سبحانه نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم (أفتير الله ابنتي حكما) اي اطلب مني الله حاكما والحكم والحاكم بمعنى واحد الا ان الحكم أمدح لأن منة من يستحق ان يحاكم اليه فهو لا يقضي الا بالحق وقد يصح الحاكم بشير حق والمعنى هل يجوز لأحد ان يبدل عن حكم الله رغبة عنه او هل يجوز ان يكون حكم سوى الله يساويه في حكمه (وهو الذي) يعني والله الذي (انزل اليكم الكتاب) اي القرآن (مفضلا) فصل فيه جميع ما يحتاج اليه وقيل فصل فيه بين الصادق والكاذب في الدين وقيل فصل بين الحلال والحرام والكفر والإيمان عن الحسن ومعنى التفصيل تبين المعاني بما ينبغي التخليط المعنى وبني ايضا التداخل الذي يوجب قصصا البيان عن المراد (والذين آتيناكم الكتاب) يعني هم مني اهل الكتاب

والكتاب هو التوراة والإنجيل وقيل يعني بهد كبراء الصحابة واصحاب بدر والكتاب هو القرآن عن
 عطلا يملون انه اي ان القرآن (منزل من ربك بالحق) يعني ببيان الحق اي يملون ان كل ما فيه
 بيان عن الشيء على ما هو به فترجيبه وترجيبه ووعدده ووعدده وقصصه وأمثاله وغير ذلك جميعه هذه الصفة
 وقيل ان المعنى بالحق بالبرهان الذي تقدم لهم حتى علموه به (فلا تكونن من المترين) اي من الشاكين
 في ذلك والخطاب للنبي (ص) والمراد به الأمة وقيل الخطاب لغيره اي فلا تكن ايها الإنسان او ايها السامع
 وقيل الخطاب له (ص) والمراد به الزيادة في شرح صدره وبقية وطائفة قلبه وتسكينه كقوله تعالى فلا يكن
 في صدرك حرج منه عن أبي مسلم

قوله تعالى (١١٥) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ (آية)

❀ القراءة ❀

كلمة ربك بالتحديد عراقي غير ابي عمرو والباقر كلمات ربك

❀ الحجة ❀

من قرأ كلمة ربك قال قد وقع المفرد على الكثرة فلذلك اغنى عن الجمع قالوا ان زهيراً قال في كلمته
 يمتون قصيدته وقال قد في كلمته يمتون خطبته ومن قرأ بالجمع فلا نه لما كان جمعا في المعنى جمعوا

❀ اللغة ❀

التبديل وضع الشيء مكان غيره والصدق الخبر الذي منبره على وفق ما اخبر به والمثل ضد الجور وقيل
 ان افعال الله تعالى كلها عدل لانها كلها على الاستقامة وقيل انما يوصف بذلك فيما يامل به عباد

❀ الإعراب ❀

صدقا وعدلا نصب على التمييز وقيل انهما مصدران انصبوا على الحال من الكلمة وتقدير ذلك صادقة
 وعادلة عن ابي علي الفارسي وقد تقدم مثل هذا فيما مضى

- المعنى -

ثم بين سبحانه صفة الكتاب المنزل فقال (وقت) اي كملت على وجه لا يمكن احدا الزيادة فيه والنقصان
 عنه (كلمة ربك) اي القرآن عن قتادة وغيره وقيل معناه أنزلت شيئا بعد شيء حتى كملت على ما تقتضيه
 الحكمة وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما في قوله وكلمة الله هي العليا عن ابي مسلم وقيل المراد بما حجة
 الله على الخلق (صدقا وعدلا) ما كان في القرآن من الأخبار فهو صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الاوامر
 والنهي والحكم والامور باحاطة والحظر فهو عدل (لا مبدل لكلماته) اي لا منبر لاحكامه عن قتادة لأنه وان
 اسكن التثنية والتبديل في اللفظ كما بدل اهل الكتاب التوراة والإنجيل فإنه لا يستد بذلك قال وقد تطلق
 الكلمة بمعنى الحكم قال سبحانه وكذلك حق كلمة ربك اي حكم ربك وقال عقوبة ربك وقال النبي (ص)
 في صفة النساء انه من عندكم استحلتم فروجهن بكلمة الله تعالى وقيل معناه ان القرآن محروس عن
 الزيادة والنقصان فلا منبر لشيء منه وذلك ان الله تعالى ضمن حفظه في قوله وانا له لحافظون ولا يجوز ان
 يعني بالكلمات الشرائع كما عني بقوله وصدقت بكلمات ربها لأن الشرائع قد يجوز فيها التسخ والتبديل (وهو

(السميع) لا تقولكم (العليم) يضائركم

قوله تعالى (١١٦) وَإِنْ تَطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٧) إِنْ رَيْكَ هُوَ أَعْلَمُ مِنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (آيتان)

— الفة —

الفرق بين الأكثر والأعظم أن الأعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف بالأكثر واحد بحال ولهذا يقال في صفة الله تعالى عظيم وأعظم ولا يوصف بأكثر وإنما يقال أكبر بمعنى أعظم والحرص الكذب يقال حرص يحرص حرصاً وتحرص وتحرصوا وحرصاً واصله التعلق قال الشاعر

ترى قصد المران فيهم كأنه تذرع حرصاً بأيدي الشواطب

بني جريدا قطع طولاً وشذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه حرص النخل يحرص حرصاً إذا احرزه والخرص حبة القوط إذا كانت منفردة والخرص الورد لا تقطاعه من نظائره بطيب ريمه ولقطة اعلم إذا لم يذكر معها من فله مئتان ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ اعلم من الكل واجتزأ عن ذكر من كقولهم الله أكبراي من كل شيء ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ بمعنى ضيل كقول الفرزدق

إن الذئبة سمك الماء بنى لنا بيتاً دعائه أعز وأطول

أي عز وزوطيل

﴿٥﴾ الأعراب ﴿٦﴾

موضع من يضل عن سبيله فيه وجوه ﴿٧﴾ أحدها ﴿٨﴾ أنه نصب على حذف الباء حتى يكون مقابلاً لقوله وهو اعلم بالمهتدين — والثاني — أن موضع من رفع بالابتداء ولفظاً لفظ الاستفهام والمسنى أن ربك هو اعلم أي الناس يضل عن سبيله وهذا مثل قوله تعالى لنمل أي الحزبين أحصى عن الزجاج وفي هذه المسألة خلاف وسيأتي شرح ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى — والثالث — أن موضعاً نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله اعلم فكأنه قال إن ربك هو اعلم يعلم من يضل عن سبيله وصيغة أفضل من كذا لا تمتدئ لا تأخر جازعاً على الفعل ولا معدولة عن الجارية على الفعل كما عدل فشروب عن ضارب ومتجار عن تاجر عن أبي علي الفارسي زعم قوم أن اعلم هنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائي

فحلفت طيبي من دوننا حلفاً والله اعلم ما كنا لهم غدلاً

وقالت الخنساء

القوم اعلم أن جفتته تقذو غداة الريح أو تسري

وهذا فاسد لأنه لا يطابق قوله وهو اعلم بالمهتدين ولا يجوز أن يكون من في موضع جر بإضافة اعلم إليه لأن أفضل لا يضاف إلا إلى ما هو بعضه وجل ربنا وتقدس عن أن يكون بعض الضالين ولا بعض المضلين

﴿٩﴾ المعنى ﴿١٠﴾

لما تقدم ذكر الكتاب بين سبحانه في هذه الآية أن من قبح غير الكتاب ضل وأضل قال (وإن تعلم)

يا محمد خاطبه (ص) بالمراد غيره وقيل المراد هو وغيره والطاعة هي امتثال الأمر وموافقة المطيع لمطاع فيأمره منه اذا كان المرید فرقة والفرق بينهما وبين الإجابة ان الإجابة عامة في موافقة الإرادة الواقعة موقع المسألة ولا يراعى فيها الرتبة (أكثر من في الأرض) يعني الكفار وأهل الضلالة وانما ذكر الأكثر لأنه عليه سبحانه ان منهم من يؤمن ويصو الى الحق ويذب عن الدين ولكنهم الأقل والأكثر الضلال (يضلوك عن سبيل الله) أي عن دينه وفي هذا دلالة على انه لا عبرة في دين الله ومعرفة الحق بالقلّة والكثرة لجواز ان يكون الحق مع الأقل وإلغا الاعتبار فيه بالحجة دون القلة والكثرة (ان يتبعن الا الظن) أي ما يتبع هو لا المشرقون فيا يتقدونه ويدعون اليه الا الظن (وانهم الا يخرصون) أي ما هم الا يكذبون وقيل معناه انهم لا يقولون من علم ولكن من خرس وتحين وقال ابن عباس كانوا يدعون النبي (ص) والمؤمنين الى أكل الميتة ويقولون أنا نأكلون ما تقتسم ولا تأكلون ما تاكل ربكم فهذا ضلالهم (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله) خاطب سبحانه نبيه (ص) وان عني به جميع الأمة ويسأل فيقال كيف جاز في صفه القديم سبحانه اعلم مع انه سبحانه لا يضل من ان يكون اعلم بالمعنى بمن يطمه او بمن لا يطمه وكلامه لا يصح فيه افضل وال جواب ان المعنى هو اعلم به بمن يطمه لأنه يطمه من وجوه لا يضل على غيره وذلك انه يعلم ما يكون منه وما كان وما هو كائن الى يوم القيامة على جميع الوجوه التي يصح ان يعلم الأشياء عليها وليس كذلك غيره لأن غيره لا يعلم جميع الأشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوها وأما من هو غير عالم اصلا فلا يقال الله سبحانه اعلم منه لأن قلقة اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بأنه اعلم وهذا لا يصح فحين ليس بآل اصلا مجازا (وهو اعلم بالمتدين) المعنى انه سبحانه اعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤدي الى الهلاك والعقاب ومن يسلك سبيل الهدى المقضي به الى النجاة والثواب وفي هذا دلالة على ان الضلال والإضلال من فعل البسد خلاف ما يقول أهل الجبر وعلى انه لا يجوز التخليد واتباع الظن في الدين والاعتقاد بالكثرة وإلى هذا أشار أمير المؤمنين (ع) حيث قال لعنرت الهندي يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله

قوله تعالى (١١٨) فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين (١١٩) وما لكم الا ان تقولوا ما حرم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم يغير علم ربك هو اعلم بالمعتدين (١٢٠) وذروا ظاهر أئمتهم وباطنة إن الذين يكتسبون الأثم سيحزون بما كانوا يفترون (ثلاث آيات)

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الكوفة غير حصن فصل لكم بالضم وقرأ أهل المدينة وخصر ويقرب وسهل فصل لكم ما حرم كليها بالفتح وقرأ الباقون فصل لكم ما حرم بالضم فيها وقرأ ابن كثير واو عمرو ويقرب ليضلون بفتح الياء هنا وفي يونس ليضلوا عن سبيلكم وفي إبراهيم ليضلوا عن سبيله وفي الحج ليضل عن سبيل الله وفي لقمان والزمير في المواضع الستة وقرأ أهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرأ الباقون هنا وفي سورة يونس بفتح الياء وفي الآية بعد هذين الموضعين بضم الياء.

❦ الحجة ❦

حجة من ضم القاء من فصل والحاء من حرر قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فهذا تفصيل هذا العام المجمل بقوله حرم وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا فمفصلا يدل على فصل وحجة من قرأ فصل وحرر مفتح

الفاء وإلما. قوله قد فصلنا الآيت وقوله اقل ما حرم ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله حرم هذا وحجة من ضم الياء. من يظنون ويضاهوا ان يندل على ان الموصوف بذلك في الضلالة اذهب ومن الهدي ايمد الاترى ان كل مثل ضال وليس كل ضال مضلا لأن الضلال قد يكون مقصودا على نفسه لا ابتداء الى سواء ومن قرأ بفتح الياء فلانه يريد انهم يضلون في انفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتثالهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك اي يضلون باتباع اهلوائهم

﴿ اعراب ﴾

اللفظ وخذوا الزوايا للطف وإنما استعمل منه الأمر والمستعمل ولا يستعمل وذر ولا واذر اشعروا بذلك كراهية الابتداء بالواو حتى لم يزيدوا هناك اصلا مع زيادتهم اغواها واستنوا فيها بترك وترك وهذا كما استعملوا الماضي دون المستقبل واسم الفاعل في عسى والتظاهر الكائن على وجه يمكن ادراكه والباطن هو الكائن على وجه يتذمر ادراكه والكسب ما يفعل لاجتلاب النفع او دفع الضرر وانما يوصف به العبد دون الله تعالى لاستمالة النفع والضرر عليه سبحانه والكرواسب الجوارح من الطير لانها تكسب ما تنضم به وقد بينا ان معنى الاقتراف الاكساب

﴿ المعنى ﴾

ثم حلف سبحانه على ما تقدم من الكلام فقال (فكلوا) ثم اختلف في ذلك فقيل انه لا ذكر للمعتدين فكانه قال ومن الهداية ان اكلوا ما احل الله ونحوها ما حرم الله فكلوا وقيل ان المشركون لا قالوا للمسلمين ان اكلوا ما نكثتم انتم ولا تأكلوا ما قتل ربكم فكانه قال سبحانه لهم امروا من جعلكم فكلوا والمراد به الاباحة وان كانت الصيغة صيغة الأمر (ما ذكر اسم الله عليه) يعني ذكر اسم الله عند ذبحه دون الميتة وما ذكر عليه اسم الاصنام والذكر هو قول بسم الله وقيل هو كل اسم يختص الله تعالى به او صفة تقتضيه فقول باسم الرحمن او باسم القديم او باسم القادر لنفسه او العالم لنفسه وما يجري مجراه والاول لمجسم على جوارحه والظاهر يقتضي جواز غيره لقوله سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعو فله الاسماء الحسنی (ان كنتم باياته مؤمنين) بأن عرفتم الله ورسوله وصحة ما اتاكم به من عند الله فكلوا ما احل دون ما حرم وفي هذه الآية دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة وعلى ان ذبائح الكفار لا يجوز اكلها لأنهم لا يسنون الله تعالى عليها ومن سنى منهم لا يعتقد وجوب ذلك حقيقة ولأنه يعتقد ان الذي يسميه هو الذي يابد شرع موسى وميسى فإذا لا يذكرون الله تعالى حقيقة (وما لكم الا تأكلوا ما ذكر اسم الله عليه) قد ذكرنا اعرابه في سورة البقرة عند قوله وما لنا لا ناقل في سبيل الله وتقديره اي شي لكم في ان لا تأكلوا فيكون ما للاستهزاء وهو اختيار الزجاج وغيره من الصريين ومناه ما الذي ينسبكم ان تأكلوا ما ذكر اسم الله عند ذبحه وقيل مناه ليس لكم ان لا تأكلوا فيكون ما لفتني (وقد فصل لكم) اي بين لكم (ما حرم عليكم) قيل هو ما ذكر في سورة المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة والدم الآية واعترض على هذا بأن سورة المائدة نزلت بعد الاتمام بمدة فلا يصح ان يقال انه فصل الا ان يحصل على انه بين على لسان الرسول (ص) وبعد ذلك نزل به القرآن وقيل إنه ما فصل في هذه السورة في قوله قل لا اجد فيها وحى الى محرمات الآية الا ما اضطررتم اليه) مناه الا ما ختم على قورسكم الهلاك من الجوع اذا تركتم تناول منه فحينئذ يجوز لكم تناوله وان كان ما نومه الله واختلف في مقدار ما يسوغ تناوله عند الاضطرار فنعننا لا يجوز ان يتناول الا ما يسك به الرمي وقال قوم يجوز أن يشبع المضطر منها وان يحمل منها معه حتى يجد ما يأكل وقال الجبائي في هذه الآية دلالة على ان ما يكره على اكله من هذه الاجناس يجوز اكله لأن المكره يخاف على نفسه مثل المضطر (وان كثيرا ليضلون

بأهلهم كأي باع أهوانهم ومن قرأ بالضم أراد أنهم يضلون أشياهم فحذف المقول به وفي أمثاله كثرة وتأجيل التكرار اسم أن لأن الكلام إذا طال احتمل ذلك ودل بعضه على بعض (يعلم أن ذلك هو أعلم بالمعتدين) المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام (وقدروا ظاهر الآثم وباطنه) أمر سبحانه بترك الآثم مع قيام الدلالة على كونه إثمًا وتعني عن ارتكابه سرًا وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وقيل أراد بالظاهر أفعال الجوارح وبالباطن أفعال القلوب من الجاني وقيل الظاهر من الآثم هو الزنا والباطل هو اتخاذ الأخدان عن السدي والضحاك وقيل ظاهر الآثم أسرة الأب وباطنه الزنا عن سعيد بن جبير وقيل أن أهل الجاهلية كانت ترى أن الزنا إذا أظهر كان فيه إثم وإذا ستر لم يكن إثمًا ذكره الضحاك والأصح القول الأول لأنه يعم الجميع (إن الذين يكسبون الآثم) أي يعملون المأسي التي فيها آثم ويرتكبون القبائح (سيجزون) أي سيقانون (بما كانوا يقرءون) بما كانوا يكسبون ويرتكبون

قوله تعالى (١٢١) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانَّهُ لَفَسْقٌ وَإِنَّ الشَّاطِطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (آية)

❦ المعنى ❦

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) يعني عند الذبح من الذبائح وهذا تصريح في وجوب التسمية على الذبيحة لأنه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرم لها (وانه فسق) يعني وإن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه فسق وفي هذا دلالة على تحريم أكل ذبائح الكفار كلهم أهل الكتاب وغيرهم من سبي منهم ومن لم يسم لأنهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصح منهم القصد إلى ذكر اسمه فاما ذبيحة المسلم إذا لم يسم الله تعالى عليها فقد اختلف في ذلك قليل لا يحل أكلها سواء ترك التسمية عمدا أو نسيانا من مالك وداود وروي ذلك عن الحسن وابن سيرين وبه قال الجاني وقيل يحل أكلها في الحالين عن الشافعي وقيل يحل أكلها إذا ترك التسمية ناسيا بعد أن يكون معتقدا لوجوبها ويجرم أكلها إذا تركها متعمدا من أبي حنيفة وأصحابه وهو المروي من اجتناطهم السلام (وإن الشياطين) يعني علماء الكافرين وروسهم المتشركين في كفرهم (ليوحون) أي يوصون ويشيرون (إلى أوليائهم) الذين اتبعوهم من الكفار (ليجادلوكم) في استئصال الميثة قال الحسن كأن مشركو العرب يحسادون المسلمين فيقولون لهم كيف تأكلون ما تقتلونهم ولا تأكلون مما قتله الله وقتل الله الولي بالأكل من قتيلكم فهذه مجادلتهم وقاله عكرمة أن قوما من مجوس فارس كتبوا إلى مشركي قريش وكانوا أوليائهم في الجاهلية أن عمدا وأصحابه يوعونهم بيقون أسرار الله ثم يقيمون أن ما ذبحوا حلالا وما قتله الله حرام فوقع ذلك في نفوسهم فذلك إيحاءهم إليهم وقال ابن عباس معناه وإن الشياطين من الجن وهم إبليس وجنوده ليوحون إلى أوليائهم من الناس والروح القدس المعنى إلى النفس من وجه خفي وهم يقولون الوسوسة إلى قلوب أهل الشرك ثم قال سبحانه (وان أطعتموهم) أيها المؤمنون فإيا يقولونه من استئصال الميثة وغيره (اتكم إذا مشركون) لأن من استحل الميثة فهو كافر بالإجماع ومن أكلها محرما هامت أذهاقه فاستوحى قول الحسن وجماعة المفسرين وقال عطاء أنه مقتضى ذبائح العرب التي كانت تذبحها للدنان

قوله تعالى (١٢٢) أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَسَنَتْ مَلَّةٌ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٣) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرًا بِحَرَمِهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (آيتين)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة ويعقوب وميتا بالشديد والباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال أبو عبيدة الميتة تخفيف ميتة ومنها واحد قال أبو الرعلاء (١) الفسائي

ليس من مات فاستراح ميت إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجا

والمحذوف من الأيا من الثانية المنقلة عن الواو وأعلت بالحذف كما أعلت بالقلب

﴿ القصة ﴾

الأكابر جمع الأكبر وقد قالوا الأكابرة والأصافرة كما قالوا الأساوردة والأحامرة قال الشاعر

إن الأحامرة الثلاثة أهلكت مالي و كنت بهن قدما مولما

الحمر واللحم السمين أحبه والزعفران وقد أبيت مردعا

واصل المكر القتل ومنه جارية مسكورة أي مقتلة البدن فكان المكر معناه القتل إلى خلاف الرشد

﴿ الأعراب ﴾

أو من هدم حزمة الاستفهام دخلت على واو اللطف وهو استفهام يراد به التقرير وموضع الكاف في قوله وكذلك جعلنا نصب مطوفا على ما قبلها وهو قوله كذلك زين للكافرين مجرمها يجوز أن يكون منصوبا على التقديم والتأخير تقديره جعلنا في كل قرية مجرمها أكابر ويجوز أن يكون منصوبا بإضافة أكابر إليه

﴿ النزول ﴾

الآية الأولى قيل إنها نزلت في حزمة بن عبد المطلب والي جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل أذى رسول الله (ص) فانحصر بذلك حزمة وهو على دين قومه فنضب وجاء ومعه قوس فضرب بها رأس أبي جهل وآمن من ابن عباس وقيل إنها نزلت في عمار بن ياسر حين آمن والي جهل بن حكمة وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل نزلت في عمر بن الخطاب عن الضحاك وقيل إنها عامة في كل مؤمن وكافر من الحسن وجماعة وهذا أولى لأنه أعم قائمة فيدخل فيه جميع الأفعال المذكورة

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه مثل الفريقين فقال (أو من كان ميتا فأحييناه) أي كافر فأحييناه بأن هدناه إلى الإيمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد شبه سبحانه الكفر بالموت والإيمان بالحياة وقيل معناه من كان نطفة فأحييناه كقوله وكنتم أمواتا فأحييناهم (وجعلنا له نورا يعيش به في الناس) قيل فيه وجوه ﴿ أحدها ﴾ أن المراد بالنور العلم والحكمة سمي سبحانه ذلك نورا والجل ظلمة لأن العلم يتهدى به إلى الرشاد كما يتهدى بالنور في الطرقات ﴿ وثانيها ﴾ أن المراد بالنور هنا القرآن من مجاهد ﴿ وثالثها ﴾ أن المراد به الإيمان عن ابن عباس (كن مثله في الظلمات) لم يقل سبحانه كمن هو في الظلمات تقديره كمن مثله مثل من هو في الظلمات يعني به الكافر الذي هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو في ظلمات الكفر (ليس بخارج منها) لكنه ذكره بلفظ المثل ليبين أنه يبلغ في الكفر والخير غايته يضرب به المثل فيها وإتسمى الله تعالى الكافر ميتا لأنه لا يتنعم بحياته ولا يتنعم غيره بحياته فهو أسوأ حال من الميت إذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ولا يتضرر غيره به وسمى المؤمن (١) في لسان العرب عدي بن الرملة

حيا لأن له ولغيره المصلحة والمنفعة في حياته وكذلك سعى الكافر ميتا والمؤمن حيا في عدة مواضع مثل قوله انك لا تسمع الموتى ولينفذ من كان حيا وقوله وما يستوي الاحياء ولا الاموات وسعى القرآن والايمان والعلم نورا لأن الناس يصيرون بذلك ويهدون به من طلبات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدى سائر الأنوار وسعى الكفر ظلمة لأن الكافر لا يهتدى بهداه ولا يصير أمره رشده وهذا كما سعى الكافر اعصى في قوله أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو اعصى وقوله وما يستوي الاعصى والبصير (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) وجه التشبيه بالكافر ان معناه زين لغيره الكفر فعملوه مثل ما زين لا وتلك الايمان فصلوه فشبّه حال هؤلاء في التزيين بحال أولئك فيه كما قال سبحانه كل حزب بما لديهم فرحون وردي من الحسن انه قال زينته والله لهم الشيطان وانفسهم واستدل بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله زين لا يقتضي ميزنا غيرهم لأنه بمنزلة قوله تعالى اني يصرفوه وأنى يوفقون وقول العرب اعجب فلان بنفسه واولم يكذبا ومثله كثير (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر) أي مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عليهم ومثل ذلك جعلنا في كل قرية أكابر (مجرمين) وجعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكل ما فعلنا بهؤلاء جعلنا بأولئك الا ان أولئك احدثوا بعصا اختيارهم ومولاهم بسوء اختيارهم لأن في كل واحد منهما ليل بمعنى الصيرورة الا ان الأول باللفظ والثاني بالتسكين من المكر وإنا خص أكابر المجرمين بذلك دون الصاغرين لأنه لين بالاعتدال على الجميع لأن الأكابر اذا كانوا في قبضة القائد غالبا صغر بذلك اجدهم واللام في قوله (ليكرونها) لام العاقبة ويسمى لام الصيرورة كما في قوله سبحانه ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر

فأقسم لو قتلوا مالكا
وامسك فلا تجزعي
لكنك لهم حية راصدة
فلموت ما تلد والودة

(وما يكفون الا بأنفسهم وما يشعرون) لأن عقاب ذلك يحل بهم ولا يصح ان يكر الإنسان بنفسه على الحقيقة لأنه لا يصح ان يخفي من نفسه معنى ما يحتمل به عليها ويصح ان يخفي ذلك عن غيره فائدة الآية ان أكابر مجرميها لم يذكروا بالمؤمنين على وجه الثابتة فاذم كأنه سبحانه جعلهم ليسكروا وهذه مبالغة في انتفاء صفة الثابتة

قوله تعالى (١٢٤) وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وحض رسالته على التوحيد نصب التاء والباقون رسالته على الجمع

﴿ الحجة ﴾

من وحده فلان الرسالة تدل على القوة والكثرة لكونها مصدرا من جمع فلما تكررت رسالات الله سبحانه مرة بعد أخرى

﴿ اللمعة ﴾

الاجرام الاقدام على التقيح بالانقطاع إليه لأن اصل الجرم القطع فكانه قطع ما يجب ان يوصل من العمل ومنه قيل للذنوب الجرم والجرمة والصغار الذل الذي يضجر الى المرء نفسه يقال صغر الانسان يضجر صغارا وصغرا

❦ الإعراب ❦

الله أعلم حيث يجعل رسالته لا يجزئ حيث هنا من أن يكون ظرفاً متضمناً لحرقه أو غير ظرف فإن كان ظرفاً فلا يجوز أن يعمل فيه أعلم لأنه يصير المعنى أعلم في هذا الموضع أو في هذا الوقت ولا يوصف تعالى بأنه أعلم في مواضع أو في أوقات كما يقال زيد أعلم في مكان كذا أو أعلم في زمان كذا وإذا كان الأمر كذلك لم يجز أن يكون حيث هنا ظرفاً وإذا لم يكن ظرفاً كان اسماً وكان انتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع ويتقوى ذلك دخول الجار عليها فكان الأصل الله أعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال سيبويه أعلم بمن ضل عن سبيله وفي موضع آخر أعلم من يضل عن سبيله فمن يضل معمول فعل مضمر دل عليه أعلم ولا يجوز أن يكون معمول أعلم لأن المعاني لا تعمل في مواضع الاستفهام ونحوه إنا تعمل فيها الإفعال التي تلتقي فتجلى كما تلتقي ومثل ذلك في أنه لا يكون إلا معمولاً على فعل قوله ❦ واضرب منا بالسيف القوانص ❦ فاقترنس منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لأن المعاني لا تعمل في المفعول به وما قبل حيث فيه اسماً متكاملاً غير ظرف متضمن للمعنى في قول الشاعر

كأن منها حيث تلوي المنطقاً حقفاً نقاً ما لا على حقفي نقاً

الآ ترى أن حيث هنا في موضع نصب بكان وحقفاً مرفوع بأنه خبره وقال القاضي أبو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيويه أن من العرب من يضيف حيث إلى المفرد فيجوز ما بعدها وأنشد ابن الأعرابي بيتاً آخره ❦ حيث لي العاج ❦ وأنشد أيضاً أبو سعيد واليويني في إخراج حيث من حد الظرفية بالإضافة إليها إلى حد الانساق المصنف قول الشاعر يصف شيئاً يقتل القمل

يز المراتم عقده عند النخعي بأذل حيث يكون من ينزل

ومن ذلك قول الفرزدق

فمحن به عذبا رضاباً غروباً رفاق وأعلى حيث كبر اعجف

وقوله صغار عند الله قال الزجاج عند متصلة بسيب أي سيصيبهم عند الله صغار جائر أن يكون عند متصلة بصغار فيكون المعنى سيصيب الذي أجروا صغار ثابت لهم عند الله ولا يصلح أن يكون من محذوفة من عند الله المحذوف من عند في إذا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد في حضرة عمرو وقال أبو علي إذا قلت أن عند معمول لصغار لم تنجح إلى تقدير محذوف في الكلام لكن نفس المصدر يتناوله ويعمل فيه ويكون التقدير أن يصغروا عند الله فلا وجه لتقدير ثابت في الكلام فلن قدوت صغارا وهو صواب لأن لم يكن عند معمولاً لصغار ولكن يكون متعلقاً بمحذوف فلا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه ما يكون في الأصل حقة ثم حذف وأقيم الظرف مقامه لادلالة عليه وهذا كقولك وانت تريد الصفة جداً رجل عندك فالعنى ثابت عندك أو مستقر عندك وكلا الوجهين جائز

❦ النزول ❦

نزلت في الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حاكمت أولى بها منك لأني أكبر منك بسناً وأكثر منك مالا وقيل نزلت في أبي جهل بن هشام قال زاحمتني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرنسي رعان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه من مقاتل

❦ المعنى ❦

ثم حكى سيبويه عن الأكابر الذين تقدم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة فقال (وإذا جاءتهم آية) أي دلالة

معجزة من عند الله تعالى تدل على توحيد صدق نبيه (ص) (قالوا لن نؤمن) اي لن نصدق بها (حتى نوتى)
اي نعطى آية معجزة (مثل ماوتي) اي اعطى (رسول الله) حسدا منهم للنبي (ص) ثم انبر سبطانه على وجه الانكار
عليهم بقوله (الله اعلم حيث يعجل رسالته) انه اعلم منهم ومن جميع الخلق بين يصلح لرسالاته ويتنصص مصالح الخلق
بيشء وانه يعلم من يقوم باعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم بادائها ويحتمل ما يلحقه من المشقة
والأذى على قلبها ثم توعدهم سبطانه فقال (سيصيب) اي سينال (الذين اجرموا) اي انقطعوا الى الكفر
واقدموا عليه يعني بهم المشركين من اكابر القرى الذين سبق ذكرهم (صغار عند الله) اي سيصيبهم عند الله
ذل وهوان وان كانوا اكابر في الدنيا عن الزجاج ويجوز ان يكون المعنى سيصيبهم صغار معلهم عند الله
او سيصيبهم ان يصغروا عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يكفرون) في الدنيا اي جزاء على مكروهم

قوله تعالى (١٢٥) **فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** (آية)

❦ القراءه ❦

قرأ ابن كثير حقيقا بتخفيف اليا. وسكونها ههنا وفي القرقان والباقرن بتشديدها وكسرها وقرأ أهل المدينة
وابو بكر وسهل حرجا بكسر الراء. والباقرن بتسجها وقرأ ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون
الصاد وقرأ ابو بكر يصاعد بتشديد الصاد والفاء بعدها وتخفيف العين والباقرن يصعد بتشديد الصاد والعين
وقسح الصاد

❦ الحجة ❦

الضيق والضيق بمعنى مثل الميت والميت ومن قسح الراء من حرج فقد وصف بالمصدر كما قيل في قمن
ودنف ونحوهما من المصادقاتي يوصف بها ومن كسر الراء من حرج فهو مثل ذنف وقمن وقراءة ابن كثير
يصعد من الصعود ومن قرأ يصعد اراد يتصعد فادغم ومعنى يتصعد انه يتحمل الإسلام عليه فكأنه يتكلف ما يتحمل
عليه شيئا بعد شي كقولهم يتخفف ويتخرج ونحو ذلك ما يتحمل في النمل شيئا بعد شي ويصاعد مثل يصعد
في المعنى فهو مثل ضاف وضف وناعم ونعم وهما من المشقة وصعوبة الشيء ومن ذلك قوله يسلككم عذابا
صعدا وقوله سارحته صعدا اي اغشيه عذابا صعدا وعقبة صعود اي شاقة ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما يصعد
في شيء كما يصعد في خطبة النكاح اي ما شق على شيء مشقتها

❦ الآية ❦

الحرج والحرج اضيق الضيق قال ابو زيد حرج عليه السر يخرج حرجا اذا اصبح قبل ان يتسحر وحرم عليه حرما وهما
بمعنى واحد وحرجت على المرأة الصلاة وحرمت بمعنى واحد وحرج فلان اذا هاب ان يتقدم على الأمر وقاتل
فصبر وهو كاره وقد ذكرنا معاني الهداية والهدى والضلال والإضلال في سورة البقرة وما يجوز استناده إلى الله تعالى
من كلالا أمرين وما لا يجوز عند قوله وما يضل به الا الفاسقين

❦ المعنى ❦

لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بين عقبه ما يضافه سبطانه بكل من القليلين فقال (فمن يرد الله ان يهديه)
قد ذكر في تأويل الآية وجهه ❦ لهداه ❦ ان معناه (فمن يرد الله ان يهديه) الى الثواب وطريق الجنة

(يشرح صدره) في الدنيا (للاسلام) بأن يثبت عزمه عليه ويقوي دواعيه على التمسك به وبزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض في القلوب من الخواطر الفاسدة وإنا يفضل ذلك لطفاً له ومناغية وثوباً على اعتدائه بهدى الله وقبوله إياه ونظيره قوله سبحانه والذين اعتدوا زادهم هدى ويهدي الله الذين اعتدوا هدى (ومن يريد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً) يعني فمن يريد أن يضلّه عن ثوابه وكرامته يجعل صدره على كثره ضيقاً حرجاً عقوبة له على ترك الإيمان من غير أن يكون سبباً له ما ناله من الإيمان وسأله إياه القدرة عليه بل ربما يكون ذلك سبباً دائماً له إلى الإيمان لأن من ضاق صدره بالشئ كان ذلك دافعاً له إلى تركه والدليل على أن شرح الصدر قد يكون ثواباً قوله سبحانه المشرح لك صدرك الآيات ومعلوم أن وضع الرزق ورفع الذكر يكون ثواباً على تحمل أعباء الرسالة وكفها فكذلك ما قرن به من شرح الصدر والدليل على أن الهدى قد يكون ثواباً قوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أهلهم سيدهم ويصلح بهم ومعلوم أن الهداية بعد القتل لا تكون إلا إلى الثواب فليس بعد الموت تكليف وقد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله (ص) عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فيشرح له صدره وينفتح قالوا فهل لذلك من إمامة يعرف بها قال (ص) نعم الإمامة إلى دار النور والنجاة عن دار الضرور والاعتماد للموت قبل نزول الموت ﴿والتائب﴾ وثالثها ﴿ان﴾ أن معنى الآية فمن يرد الله أن يثبت على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه جزاء له على إيمانه واعتدائه وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الاستقامة كما قلناه في قوله اهتدوا الصراط المستقيم (ومن يرد أن يضلّه) أي يضلّه ويحلي بينه وبين ما يريد لا اختياره الكفر وتركه الإيمان (يصل صدره ضيقاً حرجاً) بأن يمنعه الإلحاف التي ينشرح لها صدره ونفوسه من قبولها بإقامته على كثره فإن قيل إنا نجد الكافر غير ضيق الصدر ما هو فيه ونراه طيب القلب على كثره فكيف يصح الخلف في خبره سبحانه قلنا أنه سبحانه بين أنه يجعل صدره ضيقاً ولم يقل في كل حال ومعلوم من حاله في أحوال كثيراته بضيق صدره بما هو فيه من ورود الشبه والشكوك عليه وعندما يجازي الله تعالى المؤمن على استماله لأداة الموصلة إلى الإيمان وهذا القدر هو الذي يتضمنه الظاهر ﴿والتائب﴾ ان معنى الآية من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التي وعدا المؤمنين يشرح صدره لتلك الزيادة لأن من حقق أن قريب المؤمنين بصيرة ومن يرد أن يضلّه عن تلك الزيادة يمنع يده عما من حيث أخرج هو نفسه من أن يصح عليه يجعل صدره ضيقاً حرجاً لمكان فقد تلك الزيادة لأنها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر ما يضافه ويكون الفائد في ذلك التروغيب في الإيمان والزجر عن الكفر وهذا التأويل قريب مما تقدمه وقد روي عن ابن عباس أنه قال إنا سمى الله قلب الكافر حرجاً لأنه لا يصل الخير إلى قلبه وإنه في رواية أخرى لا تصل الحكمة إلى قلبه ولا يجوز أن يكون المراد بالإضلال في الآية الضلال إلى الضلال ولا الأمر به ولا الإجبار عليه لإجتماع الأمتل على أن الله تعالى لا يأمر بالضلال ولا يدعو إليه فكيف يجبر عليه والدعاء إليه أهون من الإجبار عليه وقد ذم الله تعالى فرعون والسامري على اضلالهما عن دين الهدى في قوله وأضل فرعون قومه وما هدى وقوله فأضلهم السامري ولا خلاف في أن اضلالهما اضلال أمر وإجبار ودعاء وقد ذمهم الله تعالى عليه مطلقاً فكيف يمدح بما ذم عليه غيره قوله (كأنما يصعد في السماء) فيه وجوه ﴿احدها﴾ أن معناه كأنه قد كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه أو كان قلبه يصعد في السماء نبواً عن الإسلام والحكمة عن الزجاج ﴿وثانيها﴾ ان معنى يصعد كأنه يتكلف مشقة في

ارتقاء صرود وعلى هذا قيل عقبه عنوت وكثود عن ابي علي الفارسي قال ولا يكون الساء في هذا القول
 المظلة للأرض ولكن كما قال سيويه القيود الطويل في غير ساء اي في غير ارتفاع صعدا وقريب منه ما
 ذوي عن سعيد بن جبير ان معناه كانه لا يجد مسلكا الا صعدا ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه كأنما ينزع قلبه
 الى الساء لشدة المشقة عليه في مفارقة مذهبه (كذلك يبجل الله الرجس اي العذاب عن ابن زيد وغيره
 من أهل القبة وقيل هو ما لا خير فيه عن مجاهد (على الذين لا يؤمنون) وفي هذا دلالة على صحة التأويل
 الاول لأنه تعالى بين ان الاضلال المذكور في الآية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان المراد به الاجبار
 على الكفر لقال كذلك لا يؤمن من جمل الله الرجس على قلبه ووجه التشبيه في قوله كذلك يبجل الله
 الرجس انه يبجل الرجس على هؤلاء كما يبجل ضيق الصدر في قلوب أولئك وان كل ذلك على وجه
 الاستعطاق وروى العياشي بأسناده عن ابي بصير عن خثمة قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول ان القلب
 يتقلب من لدن موضعه الى حيزه ما لم يصب الحق فلما أصاب الحق قوّم قوّم قرأ هذه الآية

قوله تعالى (١٢٦) وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَهَا
 (١٢٧) لَعَلَّكُمْ دَارَ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آياتان)

﴿ المعنى ﴾

ثم أشار تعالى الى ما تقدم من البيان قال (وهذا صراط ربك) اية طريق ربك وهو القرآن عن ابن
 مسعود والاسلام عن ابن عباس وإنما أضافه الى نفسه لأنه تعالى هو الذي دل عليه وارشد اليه (مستقيماً)
 لا اعوجاج فيه وإنما انصب على الحال ولما وصف الصراط الذي هو أداة الحق بالاستقامة مع اختلاف
 وجوه الأدلة لأنها مع اختلافها تؤدي الى الحق فكانها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض والفساد
 (قد فصلنا الآيات) اي بناها وميزناها (لقرنم يذكرون) وأصله يذكرون خص المتذكرين بذلك لأنهم
 المتفهمون بالحجج كما قال هدى للمتقين (لهم دار السلام) اي للذين تذكروا وتديروا وعرفوا الحق وتبعوه
 دار السلامة الدائمة الخالصة من كل آفة وبلية بما يلقاه أهل النار عن الزجاج والجبائي وقيل ان السلام هو الله
 تعالى وداره الجنة من الحسن والسدي (عند ربهم) اي هي مضمونة لهم عند ربهم يوصلهم اليها لا محالة كما
 يقول الرجل لغيره لك عندي هذا المال اي في ضائتي وقيل معناه لهم دار السلام في الآخرة يعطيهما إياها
 (وهو وليهم) يعني الله يتولى إرصال النافع اليهم ودفع المضار عنهم وقيل وليهم أناسهم على اعدائهم وقيل
 يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجوار (بما كانوا يعملون) المراد جزاء بما كانوا يعملون من الطاعات
 فنحنظ لظهور المعنى فإن من المعلوم ان ما لا يكون طاعة من الأعمال فلا ثواب عليه

قوله تعالى (١٢٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجِيمًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
 أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَعْضًا يَعْصِي وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ
 خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٩) وَكَذَلِكَ نُوتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ
 بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص وروح ويوم يحشرهم بالياء الباقوت بالتون

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فقوله عند ربه والنون كالياء في المعنى ويقوي النون قوله وحشرناهم ونحشره يوم

القيامة اعنى

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج خالدين فيها منصوب على الحال والمعنى النار مقامكم في حال خلود دائم قال ابو علي المثنوي عندني في الآية اسم المصدر دون المكان لحصول الحال في الكلام مملا فيها الا ترى انه لا يخلو من ان يكون موصفا او مصدرا فلا يجوز ان يكون موصفا لأن اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لأنه لا معنى للفعل فيه واذا لم يكن موصفا ثبت انه مصدر والمعنى النار ذات اقامتكم فيها خالدين اي اهل ان تقيموا او تثبوا خالدين فيها فالكاف والميم في المعنى فاعلون وان كان في اللفظ خفض بالإضافة

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ويوم نحشرهم جميعا) اي يجمعهم يريد جميع الخلق وقيل الانس والجن لأنه يشبه حديثهم وقيل يريد الكفار وانتصب اليوم بالقول المضمر لأن المعنى ويوم يحشرهم جميعا يقول (يا مشر الجن) اي يا جماعة الجن (قد استكثرتم من الانس) اي قد استكثرتم عن أصلتموه من الانس عن الزجاج وهو مأخوذ من قول ابن عباس مناه من اغواه الانس واغلاهم (وقال أولياؤهم) اي متبعوهم من الانس (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اي اتفغ بعضنا ببعض وقد قيل فيه أقوال ﴿ أحدها ﴾ اذا استمتع الجن بالانس ان اتخذم الانس قادة وروءاء فاتبعوا أهواءهم واستمتع الانس بالجن اتفغاهم في الدنيا بما زين لهم الجن من اللذات ودعوم اليه من الشهوات ﴿ وثانيها ﴾ ان استمتع الانس بالجن ان الرجل كان اذا سافر وخاف الجن في سلوك طريق قال أعوذ بسيد هذا الوادي ثم يهلك فلا يخاف وكأوا يرون ذلك استجارة بالجن وان الجن فيهم فيهم كما قال الله تعالى وانه كان رجال من الانس يهودون رجالا من الجن فزادهم رهقا واستمتع الجن بالانس ان الجن اذا اعتقدوا ان الانس يهودون بهم ويتفقون انهم ينصرونهم ويضرونهم كان في ذلك لهم سرور ونفع عن الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم — وثالثها — ان المراد بالاستمتاع طاعة بعضهم لبعض ومواقفة بعضهم بعضا عن محمد بن كعب قال البلخي ويحتمل ان يكون الاستمتاع مقصودا على الانس فيكون الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن وقوله (وبلغنا أجلا الذي أجلت لنا) يعني بالاجل الموت عن الحسن والسدي وقيل البعث والحشر لأن الحشر أجل الجزاء كما ان الموت أجل استدراك ماضى قال الجبائي وفي هذا دلالة على انه لا أجل الاوحد لأنه لو كان أجلان لكان الرجل اذا قطع دون الموت بأن يقتل لم يكن بلغ أجله والآية تتضمن انهم أجمع قالوا بلغنا أجلا الذي أجلت لنا وقال علي بن عيسى وغيره من البغداديين لا دلالة في الآية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للانسان أجلان — أحدهما — ما يقع فيه الموت ﴿ والآخر ﴾ ما يقع فيه الحشر او ما كان يجوز ان يعيش اليه (قال) الله تعالى لهم (النار مثواكم) اي مقامكم والثواء الإقامة

(خالد بن قيس) أي حائرين موقنين فيما هم فيهم من (الامشاء الله) وقيل في معنى هذا الاستثناء أقوال - أحدها - ما روي عن ابن عباس أنه قال كان وعيد الكفار مبها غير مقطوع به ثم قطع به قوله تعالى ان الله لا يفرق ان يشرك به - وثانيها - ان الاستثناء انما هو من يوم القيامة لأن قوله ويوم يحشرهم جميعا هو يوم القيامة فقال خالد بن قيس فيها مذموم يعنون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مذهبهم في محاسنهم عن الزجاج قال ويجاز ان يكون المراد الا ما شاء الله ان يذهب به من اصناف العذاب **﴿ وثالثها ﴾** ان الاستثناء راجع الى غير الكفار من عصاة المسلمين الذين هم في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبهم بنعيم بقدر استحقاقهم عدلا وان شاء عفا عنهم فضلا **﴿ ورابعها ﴾** ان معناه الا ما شاء الله من امن منهم عن عطا (ان ربك حكيم عليم) اي محكم لا فناء عليه بكل شيء وقيل حكيم في عقاب من يختر ان ياقبه والعفو عن يختر ان يعفو عنه عليم عن يستحق الثواب ويقدار ما يستحقه وعن يستحق العقاب ويقدار ما يستحقه (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) الكاف للتشبيه اسيه كذلك المثل بتخليه بعضهم مع بعض للامتحان الذي منه يصح الجزاء على الاعمال توليتنا بعض الظالمين بعضا بأن نجعل بعضهم يتولى أمر بعض العقاب الذي ييري على الاستحقاق عن علي بن عيسى وقيل معناه انا كنا وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والإنس بعضهم إلى بعض يوم القيامة وتبرأنا منهم فكذلك نكسر الظالمين بعضهم إلى بعض يوم القيامة ونكل الاتباع إلى المتبوعين ونقول للاتباع قولوا لمتبوعين حتى ينخلصوا من العذاب عن ابي علي الجبائي قال والفرض بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيامة ولي يدفع عنهم شيئا من العذاب وقال غيره لا حكم الله تعالى ما يجري بين الجن والانس من الخطام والجدال في الآخرة قال وكذلك أي وكافنا هؤلاء من الجمع بينهم في النار وتولية بعضهم بعضا فعل مثله بالظالمين جزاء على أعمالهم وقال ابن عباس إذا رضي الله عن قوم ولي أمرهم خبارهم وإذا سخط على قوم ولي أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من الماضي أي جزاء على أعمالهم السيئة وذلك معنى قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومثله ما رواه الكليني عن مالك بن دينار قال قرأت في بعض كتب الحكمة ان الله تعالى يقول إني أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشعروا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطيتهم عليكم وقيل معنى قوله نولي بعضهم بعضا غي بينهم وبين ما يشارون من غير نصرة لهم وقيل معناه تنابح بعضهم بعضا في النار من الموالاة التي هي المتابعة أي يدخل بعضهم النار عقيب بعض عن قيادة

قوله تعالى (١٣٠) يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آبَاءَكُمْ وَيُبَيِّنُونَ لَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ دُنْيَاهُمْ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣١) ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣٢) وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (ثَلَاثُ آيَاتٍ)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عباس عما يعملون بالياء والهاون بالياء

❦ اللغة ❦

الفتلة عن المعنى والسهولة والعزوب عنه نظائر وعند الفتلة اليفتلة وعند السهولة كروشد العزوب الحضور

❦ الاعراب ❦

موضع ذلك يفضل أن يكون رضاء على تقدير الأمر ذلك ويمحتمل أن يكون نصباً على تقدير فعلنا ذلك وإن لم يكن أن هذه هي المنخفضة من الثبيلة وتقديره لأنه لم يكن كما في قول الشاعر

في فتية كسيوف الهند قد علموا إن هالك كل من يحفى ويتعلم
وإن المغتوحة لا بد لها من إضمار الهاء لأنه لا معنى لها في الابتداء وإنما هي بمعنى المصدر المبني على غيره والمكسورة لا تحتاج إلى الهاء لأنها يصح أن تكون حرفاً من حروف الابتداء فلا يحتاج إلى إضمار وإن لم يكن كل إذا حذف منه المضاف إليه كما بني قبل وبعد لأن ما حذف منه المضاف إليه مثل قبل وبعد لم يكن في حال الاعراب على التمكن التام فإنه لا يدخله الرفع في تلك الحال فلما انضاف إلى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف إليه أخرج إلى البناء وليس كذلك كل لأنه متمكن على كل حال فذلك لم يبين

❦ المعنى ❦

ثم بين عز وجل تمامها يخاطب به الجن والإنس يوم القيامة بأن يقول (يا مشر الجن والإنس) والمشر الجماعة الثامنة من القوم التي تشتمل على اصناف الطوائف ومنه العشرة لأنها تمام القدر (الم يأتكم رسل منكم) هذا احتجاج عليهم بأن بعث إليهم الرسل اعتذاراً وإنذاراً وتأكيذاً للحجة عليهم وأما قوله منكم وإن كان خطاباً لجميعهم والرسل من الإنس خاصة فإنه يحتمل أن يكون لتخليب أحدهما على الآخر كما قال تعالى يخرج منها القوئل والمرجبان وإن كان القوئل يخرج من الملح دون السلب وكما يقال أكلت الخبز والبن وإنما يؤكل الخبز وشرب البن وهو قول أكثر المفسرين والزجاج والرماني وقيل أنه أرسل رسل إلى الجن كما أرسل إلى الإنس عن الضحاك وقال الكلبي كان الرسل يرسلون إلى الإنس ثم بعث محمد (ص) إلى الإنس والجن وقال ابن عباس إنما بعث الرسول من الإنس ثم كان يرسل هو إلى الجن رسولاً من الجن وقال مجاهد الرسل من الإنس والنذر من الجن (يقصون) أي يتلون ويقرأون (عليكم آياتي) أي حججي ودلائلي وبناتي (وينذرونكم) أي يخوفونكم (لقاء يومكم هذا) أي لقاء ما تستحقونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه يعني يوم القيامة (قالوا شهدنا على أنفسنا) بالكفر والمعصيان في حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع العذرة واعترافنا بذلك (وغرهم الحياة الدنيا) أي تزيت لهم بظواهرها حتى اغتروا بها (وشهدوا على أنفسهم) في الآخرة (أنهم كانوا كافرين) في الدنيا أي أقروا بذلك وشهدوا باستحقاقهم للعقاب (ذلك) حكم الله تعالى (أن لم يكن ربك) أي لأنه لم يكن ربك (ملك القرى بظلم وأهلها غافلون) وهذا يجري مجرى التعليل أي لأجل أنه لم يكن الله تعالى لهلك أهل القرى بظلم يكون منهم حتى بعث إليهم رسلًا ينبهونهم على حجج الله تعالى ويذكرونهم ويذكرونهم ولا يؤأخذهم بآية وهذا إنما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار في الحجة دون أن يكون ذلك واجباً لأن ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العقاب وقيل معناه أنه تعالى لا يهلكهم بظلم منه على غفلة منهم من غير تنبيه وتذكير من الفراء والجبائي ومثله قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون وفي هذا دلالة واضحة على أنه تعالى منزّه عن الظلم

ولو كان الظلم من خلقه لما صح تنزهه تعالى عنه (ولكل) اي ولكل عامل طاعة او معصية (درجات) بما عملوا (اي مراتب) يفي عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر ولما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج في الارتفاع والانخفاض وايضا يعبر عن تفاضل اهل الجنة بالدرج وعن تفاضل اهل النار بالدرك الا انه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تنظيرا لصفة اهل الجنة (وما ربك) يا محمد او ايها السامع (بناقل) اي ساء (عنا يملون) اي لا يشئ شي من ذلك عن علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفي هذا تنبيه وتذكير للخلق في كل أمورهم

قوله تعالى (١٣٣) وَرَبُّكَ الَّذِي ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٤) إِن مَّا تُوْعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٥) قُلْ يَا قَوْمِ أَغْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ثلاث آيات

❀ القراءة ❀

قرأ ابو بكر عن عاصم مكاتكم على التجميع والباقون مكاتكم على التوحيد وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء والباقون بالباء

❀ الحجة ❀

وجه قراءة مكاتكم على التوحيد انه مصدر والمصادر في أكثر الأمر مفردة ووجه التجميع انه قد يجمع المصدر كقولهم الخيل والاحلام قال

فأما اذا جلسوا في الندى فأحلام عاد وأيد هضم

ومن قرأ من يكون بالياء فلان العاقبة مصدر كالعافية وتأنيثه غير حقيقي فمن أنت فهو كقوله فأخذتهم الصبيحة ومن ذكر فكقوله وأخذ الذين ظلموا الصبيحة وكلا الأمرين جائز

❀ اللفظ ❀

الإنشاء الإبتداء إنشاء الله الخلق اذا خلقهم وابتدأهم ومنه قولهم إنشاء فلان قصيدة والنبأ الاحداث من الاولاد قال نصيب

ولو لا ان يقال صبا نصيب قتلت بنفسي النشأ الصنار

وتوعدون من الايام ويحتمل ان يكون من الوعد والوعد في الخير والايصاد في الشر وقال ابو زيد المكاة المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكاء وقد مكى مكانة

❀ الإعراب ❀

الكاف في قوله كما إنشاء كم في موضع نصب اي مثل ما أنشأكم ومن في قوله ويستخلف من بعدكم بالذلل كقولهم احطيتك من دينارك ثوبا اي مكان دينارك وبه ومن في قوله من ذرية قوم آخرين لا ابتداء للعاقبة وما في قوله ان ما توعدون بمعنى الذي ومن في قوله من تكون له عاقبة الدار في موضع رفع بالابتداء وخبره تكون له عاقبة الدار وتقديره أيا تكون له عاقبة الدار وتكون تليقا ويحتمل ان يكون موضعه نصبا يملون

ويكون في معنى الذي

- المعنى -

لما أمر سبحانه بطاعته وحث عليها ورغب فيها بين أنه لم يأمر بها لحاجة لأنه يتعالى عن النعم والضر فقال (وربك) أي خالقك وسيدك (الذي) عن أعمال عباده لا تنفص طاعتهم ولا تنفص ممصيتهم لأن الذي عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعلمه وصحته وفساده عدده بمنزلة (ذو الرحمة) أي صاحب النعمة على عباده بين سبحانه أنه مع غناه عن عباده ينعم عليهم وإن انعامه وإن كثرت لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم أخبر سبحانه عن قدرته فقال (إن يشأ يذهبكم) أي يهلككم وتقديره يذهبكم بالإهلاك (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أي وينشئ بعد هلاككم خلقاً غيركم يكون خلفكم (كما أنشأكم في الأول) (من ذرية قوم آخرين) تقدمكم وهذا خطاب لمن سبق ذكره من الجن والإنس ويحتمل أن يكون معناه ويستخلف جنساً آخر أي كما قدر على إخراج الجن من الجن والأنس من الأنس فهو قادر على أن يخرج قوماً آخر لا من الجن ولا من الأنس وفي هذه الآية دلالة على أن خلاف المعلوم يجوز أن يكون مقدوراً لأنه سبحانه بين أنه قادر على أن ينشئ خلقاً خلاف الجن والأنس ولم يقل ذلك (إن ما توعدون) من القيامة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وتفاوت أهل الجنة في الدرجات وتفاوت أهل النار في الدرجات (لا ت) لا معاملة (وما أنتم بمعجزين) بمفاتيح وقال بسائقين ويقال بمفاتيح من ملكه وقدرته والاعجاز أن يأتي الإنسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزاً عنه فلي هنا يكون المعنى لستم بمعجزين الله سبحانه عن الاتيان بالمثل والعقاب (قل) يا معلميهم (يا قوم اعلموا على مكانتكم) أي على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعيد بصيغة الأمر وقيل على مكانتكم على طريقته وقيل على حالتكم عن الجاهلي أي أقبلوا على حالتكم التي أنتم عليها فلم يفي بمجازيكم (إني عامل) إخبار عن النبي (ص) أي عامل بما أمرني الله تعالى به وقيل إخبار عن الله تعالى أي عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن أبي مسلم والأول الصحيح (ف سوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أي فستعلمون أين تكون له العاقبة المحمودة في دار السلام عند الله تعالى وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم (أنه لا يفلح الظالمون) أي لا ينظر الظالمون بمطلوبهم وإنما لا يقل الكافرون وإن كان الكلام في ذكرهم لأنه سبحانه قال في موضع آخر والكافرون هم الظالمون وقال إن الشرك لظلم عظيم

قوله تعالى (١٣٦) وَجَعَلُوا لَهُ مِثْلَ مَا دَرَأُوا مِنَ الْحَرِّ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا هُوَ رَبُّكُمْ
وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ هُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (آيَة)

❁ القراءة ❁

قرأ الكسائي برعهم بضم الزاي وهي قراءة يحيى بن ثابت والاعمش وقرأ الباقون بفتح الزاي

❁ الحجة ❁

القول فيه انما لتنان وقيل ان الكسر ايضا لغة ومثله الفتك والفتك والورد والورد والورد

— القصة —

الذرة الخلق على وجه الاختراع وأصله الظهور ومنه ملح ذرأني وذرائي لظهور بياضه والذرة ظهور الشيب قال ﴿وقد علمتني ذرأه بادي بدي﴾ وذرئت لحته اذا شابت والحرث الزرع والحرث الارض التي تثار للزرع والانعام جمع النعم مأخوذ من نعمة الوطء ولا يقال لذوات الخلفاء انعام

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام الى حجاج المشركين وبيان اعتقاداتهم الفاسدة فقال سبحانه (وجعلوا لله) أي كفاراً مكثوناً مقدمهم من المشركين والجلل هنا بمعنى الوصف والحكم (ما ذراً من الحرث) أي بما خلق من الزرع (والانعام) أي المواشي من الابل والبقر والغنم (نصباً) أي خطأ وهنا حذف بدل الكلام عليه وهو وجعلوا للأوثان منه نصيباً (قالوا هذا لله يزعمهم وهذا شركائنا) يعني الأوثان وانما جعلوا الأوثان شركاءهم لأنهم جعلوا لها نصيباً من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوا في نعمهم (فا كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) قيل في مناه أقوال ﴿احدها﴾ انهم كانوا يزعمون لله زرعاً والانعام زرعاً فكان اذا زكا الزرع الذي زرعه الله لم يرك الزرع الذي زرعه للانعام جعلوا بضه للانعام وصرفوه اليها ويقولون ان الله غني والانعام احوج وان زكا الزرع الذي جعلوه للانعام ولم يرك الزرع الذي زرعه الله لم يعملوا منه شيئاً وقالوا هو غني وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للانعام فا كان لله الصنف الضعيف وما كان للصنف النفع على الصنف عن الزجاج وغيره ﴿وثالثها﴾ انه كان اذا اختلط ما جعل للانعام بما جعل لله تعالى ردوه واذا اختلط ما جعل لله بما جعل للانعام تركوه وقالوا الله غني واذا تخرق الماء من الذي لله في الذي للانعام لم يسدوه واذا تخرق من الذي للانعام في الذي لله سدوه وقالوا الله اغني عن ابن عباس وقادة وهو المروي عن ائمتنا (ع) — وثالثها — انه كان اذا هلك ما جعل للانعام بدمه ما جعل لله واذا هلك ما جعل لله لم يبدلوه بما جعل لله للانعام عن الحسن والسدي (ما ما يحكمون) أي ساء الحكم حكمهم هذا

قوله تعالى (١٣٧) وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ يُرْذَلُونَ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ (آية)

— القراءة —

قرأ ابن عامر وحده زين بغض الزاي قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر والباقون زين بالفتح قتل بالنصب اولادهم بالجر شركائهم بالرفع

— الحجة —

شركائهم في قراءة الاكثرين فاعل زين وقتل اولادهم مفعوله ولا يجوز ان يكون شركاء فاعل المصدر الذي هو قتل اولادهم لأن زين جيتذ يبق بلا فاعل ولأن الشركاء ليسوا قاتلين لنا هم مزبنون القتل لهم وأضيف المصدر الذي هو قتل الى المفعولين الذين هم الأولاد وحذف الفاعل وتقديره قتلهم اولادهم كما حذف ضمير الانسان في قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه الخير وأما قراءة

ابن عامر وكذلك زين فإنه استدلّ زين إلى قتل واعمل المصدر عمل الفعل وأضافه إلى الفاعل ونظير ذلك قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فاسم الله هنا فاعل كما أن الشركاء في الآية فاعلون والمصدر مضاف إلى الشركاء الذين هم فاعلون والمعنى قتل شركائهم اولادهم وتقديره أن قتل شركائهم اولادهم وقصص بين المضاف والمضاف إليه بفعل به والفعل مفعول المصدر وهذا قبيح في الاستعمال قال أبو علي ووجه ذلك على ضعفه أنه قد جاء في الشر الفصل قال الطرماح

يعطفن بجوزي المراتع لم ترع
بواديه من قرع القسي الكنائن
وزعموا أن الحسن أنشد هزج القلوص أبي مرادمه فهو شاذ مثل قراءة ابن عامر وذكر سيويه في هذه الآية قراءة أخرى وهو قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم وهو قراءة أبي عبد الرحمن السلمي فحمل الشركاء فيها على فعل مضارع غير هذا الظاهر كأنه لا قبل وكذلك زين قيل من زينه فقال زينه شركائهم ومثل ذلك قوله

ليك يزيد ضارح المحسومة
ومخطب مما تطيح الطوائح
كأنه لا ليل ليك يزيد قيل من يكيه قال يكيه ضارح
❦ اللثة ❦

الارءاء الاهلاك وردى يردى ردى اذا هلك وتردى تردى والمرادة الحجر يتردى من رأس الجبل
— المني —

ثم بين سبحانه خصلة أخرى من خصائص الذميمة قال (وكذلك) اي وكما جمل أولئك في الحرث والانعام ما لا يجوز كذلك (زين لكثير من المشركين) اي مشركي العرب (قتل اولادهم شركائهم) يعني الشياطين الذين زينوا لهم قتل البنات وأدهن احياء خيفة السيلة والفقر والموت عن الحسن ومجاهد والسدي وقيل ان المزيين لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الأوثان عن الفراء والزجاج وقيل هم التواءة من الناس وقيل كان السبب في تزيين قتل البنات ان الثمن بين المتداعين على قوم فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلحوا فأرادت كل امرأة منهن عشيرتها غير ابنة قيس فإنها أرادت من سبأها فحلف قيس لا يولد له بنت الا وأدها فصار ذلك سنة فيما بينهم (ليردوهم) اي يهلكوهم واللام العاقبة لأنهم لم يكونوا مائدين لهم فقصصوا ان يردوهم عن أبي علي الجبائي وقال غيره يجوز أن يكون فيهم العائد فيكون ذلك على التخليب (وليلبسوا عليهم دينهم) اي يخلطوا عليهم دينهم ويلبسوا عليهم الشبهات فيه (ولو شاء الله ما فعلوه) معناه ولو شاء أن يمنهم من ذلك أو يضطرهم إلى تركه لفعل ولو فعل لمنع والحيلولة لا فعلوه ولكن كان يمكن ذلك مثالباً للتكليف (فذرهم وما يفترون) أي اتركهم ودعهم والفراء هم اي كذبهم على الله تعالى فإنه يجازيهم وفي هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول القائل دعه وما اختاره وفي هذه الآية دلالة واضحة على ان تزيين القتل والقتل فعلهم وانهم في إضافة ذلك إلى الله سبحانه كاذبون قوله تعالى (١٣٨) وقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّثْ حَبْرَ لَا يَطْعَمُوا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ يَزِغُهُمْ وَأَنْعَامٌ حَرَّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ عَلَيْهِمْ سَجَرٌ يَهُمْ يَمَ كَانُوا يَفْتَرُونَ (آية)

- القراءة -

قري في الشواذ حرج روي ذلك عن النبيين كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو بن دينار

- الحجة -

الحرج يمكن ان يوول معناه الى الحجر فانها يرجمان في الأصل الى معنى الضيق فان انagram سمي حرجا لضيقه والحرج ايضا الضيق فلي هذا يكون لغة في حجر مثل جنب وجبد فهو من المقلوب

* اللغة *

الحجر الحرام والحجر القل وفلان في حجر القاضي من حجرت حجرا اي في منع القاضي اياه من الحكم في ماله وحجر المرأة وسجروها بالفتح والكسر حطنها

* الاعراب *

اقرأ منصوب بقوله لا يذكرون وهو مفعول له ويحذف ان يكون لا يذكرون بمعنى يفترون فكأنه قال يفترون اقرأ

* المعنى *

ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة أخرى من عقائدهم الفاسدة فقال (وقالوا) يعني المشركين (هذه انعام) اي مواش وهي الابل والبقر والغنم (وحرت) ذرع حجر اي حرام عني بذلك الانعام الزرع الذين جعلوهم لاهلهم واوتاهم (لا يقطعها الا من نشاء بوعدهم) اي لا يأكلها الا من نشاء ان تأخذ له في أكلها وأعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم لا حجة لهم فيه ولا يرهان وكانوا لا يحلون ذلك الا ان قام بخدمة اصنامهم من الرجال دون النساء (وانعام حرمت ظهورها) يعني الانعام التي حرموا الركوب عليها وهي السائبة والبيعة والحام عن الحسن ومجانده وقيل هي الحمالي الذي حى ظهره اذا ركب ولد عندهم فلا يركب ولا يحمل عليه (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) قيل كانت لهم من انعامهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شي من شأنها عن مجاهد وقيل انهم كانوا لا يصيحون عليها عرف الي وال وقيل هي التي اذا ذكروها أهلوا عليها باصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك (اقرأ عليه) اي كذبا على الله تعالى لانهم كانوا يقولون ان الله أمرهم بذلك وكانوا كاذبين به عليه سبحانه (سيجزئهم بما كانوا يفترون) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٣٩) وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ويحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم (آية)

* القراءة *

قرأ ابن كثير وإن يكن بالياء ميتة رفع وقرأ ابن عامر وابو جعفر تكمن بالياء ميتة ورفع وقرأ ابو بكر عن عاصم تكمن بالياء ميتة نصب والياقون يكن بالياء ميتة نصب وفي الشواذ قراءة ابن عباس يختلف وتحاد والاعرج خالصة بالنصب وقراءة سيد بن جبير خالصة وقراءة ابن عباس يختلف والزهري والاعمش خالص بالرفع وقراءة ابن عباس وابن مسعود والاعمش يختلف خالصة مرفوع مضاف

- الحجة -

وجه قراءة الاكثر ان يجعل على ما فيكون تقديره ان يكن ما في بطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن كثير انه لا يمكن تأنيث الميتة تأنيث ذوات الفروج جاز تذكير الفعل كقوله فمن جاءه موعظة من ربه ويعلم ان كان

تامة وتقديره ان وقع ميتة ومن أثبت الفعل فكقوله سبحانه قد جاءكم موعظة ووجه قراءة الي بكون ان ما في بطون الانعام من الانعام لذلك أنها واما خالصة بالرفع على القراءة المشهورة فتقديره ما في بطون الانعام من الانعام خالصة لنا اي خالص فأنت للمبالغة في الخلو كما يقال فلان خالصة فلان اي منفيه والمبالغ في الصفاء والثقة عدده والتاء فيه للمبالغة وليكون ايضا للمصدر نحو الماقية والمابقة والمصدر الياجنسية فيكون اعم وأؤكد ويبدل على ذلك قراءة من قرأ خالص وأما من نصب خالصة وخالصه وجهان — احدهما — ان يكون حالاً من المضمرة في الطرف الذي جرى صلة على ما فيكون كقولهم الذي في الدار قائماً زيد فيكون قوله لذ كورتا خير المبتدأ الموصول — والاخر — ان يكون حالاً من ما على مذهب ابي الحسن في ايجازته تقديم الحال على العامل فيها اذا كان معنى بمد ان يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قائماً في الدار واحتج بقوله سبحانه والارض جميعا قبضته يوم القيامة

المعنى

ثم حكى الله سبحانه عنهم مقالة أخرى فقال (وقالوا) يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم (ما في بطون هذه الانعام) يعني البان الباطي والسبب عن ابن عباس والشبي وتعادة وقيل أجنة البعائر والسبب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد ميتاً كله الرجال والنساء عن مجاهد والسدي وقيل المراد به كليهما (خالصة لذ كورتا) لا يشرّكهم فيها أحد من الإناث من قولهم فلان يخلص العمل لله ومنه اخلاص التوحيد وصبي الذكور من الذكر الذي هو الشرف والذكر أشبه وأذكر من الأنثى (وعمر على ازواجنا) اي ناسنا (وان يكن ميتة) معناه وان يكن جثين الانعام ميتة (فهم فيه شركاء) أي الذكور والإناث فيه سواء ثم قال سبحانه (سيجزئهم وصفهم) اي سيجزئهم العقاب بوصفهم فلما اسقط الباء نصب وصفهم وقيل تقديرهم سيجزئهم جزاء وصفهم فع حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه عن الزجاج (انه حكيم) فيا يفضل بهم من العقاب أجلاً وفي امثالهم عاجلاً (عليه) بما يضلونه لا ينجي عليه شيء منها وقد عاب الله سبحانه الكفار في هذه الآية من وجوه أربعة — احدها — ذبحهم الانعام بغير اذن الله — وثانيها — أكلهم على ادعاء التذكية اقتراباً على الله — وثالثها — تحليلهم للذكور وتصريحهم على الإناث تفرقة بين ما لا يشرق إلا بحكم من الله — ورابعها — تمويههم بينهم في الميتة من غير رجوع الى صمم موثوق به

قوله تعالى (١٤٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ اقْتِرَاءً عَلَىٰ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (آية)

القراءة

قرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء والياقون بالتخفيف

الحجة

التشديد للشكثير والتخفيف يدل على القوة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك

الأعراب

قوله سفها والذين الذين ذكرناهما في قوله اقترأ عليه

— المعنى —

ثم جمع سبحانه بين الترفيقين الذين قتلوا اولادهم والذين حرّموا الحلال فقال (قد خسر الذين قتلوا اولادهم) خوفاً من الفقر وهرباً من الماز وممناه هلكت قوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب الأبدي والخسران هلاك رأس

المال (سفها) اي جهلا وتقديره سفها بما فعلوه سفها والفرق بين السفه والثرق ان السفه عجلة يدعو اليها الهوى والثرق عجلة من جهة حدة الطبع والنفيز (بغير علم) وهذا تأكيد لجهلهم وذهابهم عن الثواب (وسرموا ما رزقهم الله) يعني الأتعام والحراث الذين زعموا انها حجر عن الحسن واعترض علي بن عيسى على هذا فقال الاسم كانت عزمة حتى ورد السم فاقاله غير صحيح وهذا الاعتراض يعمد من حيث ان الر كوب لا يحتاج الى السم وان احتاج الذبيح اليه لأن الر كوب مباح اذا قام بمصلحتها ولأن أكلها ايضا يهد الذبيح مباح (افترأ) اي كذبا (على الله) سبحانه (قد ضلوا) اي ذهبوا عن طريق الحق بفعلوه وحكموا بحكم الشياطين فيما حكموا فيه (وما كانوا مهتدين) الذي شي من الدين والخير والرشاد وفي هذا آيات دلالات على بطلان مذهب المجبرة لأنه سبحانه أضاف القتل والافترأ والحريم اليهم ونزه نفسه عن ذلك وذهبهم على قتل الاطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الأبد على غير جرم

قوله تعالى (١٤١) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّهْمَانَ مَثَابِهَا وَغَيْرَ مَثَابِهَا كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل البصرة والشام وعاصم حصاده بالفتح والياقون حصاده بالكسر

❖ الحجة ❖

ما لمتان قال سيويه جازا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فعال وذلك الصرام والجناد والجرام والجزاز والقطاع والحصاد وربما دخلت اللتان في بعض هذا فكان فيه فعال وفعال

❖ النكتة ❖

الإنشاء أحداث الفعل إجداء لا على مثال سبق وهو كالايجاد . والاختراع هو أحداث الأفعال في الغير من غير مسبب . والخلق هو التقدير والترتيب . والجنان البساتين التي يجتمعها الشجر من النخل وغيره والروضة الخضراء بالنبات والزهر المشرقة باختلاف الألوان الحسنة والعرش أصله الرفع ومنه سمي السرير عرشا لارتفاعه والعرش السقف والملوك عرش الكرم ورفع بعض أغصانها على بعض العريش شبه المودج يتخذ المرأة والاسراف مجاوزة الخلد وقد يكونون بالمجاوزة الى الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان يجاوز حد الحق والعدل قال الشاعر

اعطوا هنيئة يجدها ثمانية ما في عطائهم من ولا صرف

اي ولا تقصير وقيل مضاه ولا افراط

❖ الإعراب ❖

مختلفا أكله نصب على الحال من أنشأ وانما انصب على الحال وان كان يؤكل بعد ذلك يزمان لأحسنين — احدهما — ان المعنى مقدر اختلاف أكله كما في قوله سمرت يوجب له صقر صائدا به غدا اي مقدرا الصيد به غدا — والثاني — ان يكون معنى أكله ثمرة الذبيح يصلح ان يؤكل منه

❖ المعنى ❖

لا يحكى سبحانه عن المشركين انه لم يجعلوا بعض الاشياء للاوثان عقب ذلك البيان بأنه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شيء منها الى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه الا بإذنه فقال (وهو الذي أنشأ) اي

خلق واجد على شال (جنات) أي ساتين فيها الأشجار المختلفة (مروشات) مرفوعات بالدعائم قيل هو ما عرشه الناس من الكروم ونحوها عن ابن عباس والسدي وقيل عرشها أن يجعل لها سحاطا كالحيطان عن أبي علي قال وأصله الرفع ومنه قوله تعالى خاوية على عروشها يعني على أعاليها وما ارتفع منها ما لم تتدك تنصوي بالأرض (وغير مروشات) يعني ما خرج من قبل نفسه في البراري والجبال من أنواع الأشجار عن ابن عباس وقيل معناه غير مرفوعات بل قائمة على أصولها مستغنية عن التبريش عن أبي بكر (أي وأنشأ النخل والزرع (مختلجا أكله) أي طعمه وقيل ثمره وقيل هذا وصف للنخل والزرع جميعا فخلق سبحانه بعضها مختلف اللون والطعم والرائحة والصورة وبعضها مختلجا في الصورة متفقا في الطعم وبعضها مختلفا في الطعم متفقا في الصورة وكل ذلك يدل على توحيده وعلى أنه قادر على ما يشاء عالم بكل شيء (والزيتون والرمات) أي وأنشأ الزيتون والرمات (منشأها) في الطعم واللون والصورة (وغير مثابه) فيها وإنما قرن الزيتون إلى الرمان لأنها متشابهان باكتناز الأوراق في اغصانها (كلوا من ثمره إذا أثمر) المراد به الإباحة أن كان لفظ الأثر قال الجياني وجماعة هذا يدل على جواز الأكل من الثمر وإن كانت فيه حق الفقراء (وأتوا حقه يوم حصاده) هذا أمر بإتيانه الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذي يجب إخراج يوم الحصاد فيه قولان ﴿أحدهما﴾ أنه الزكاة العشر أو نصف العشر عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن أسلم والحسن وسعيد بن المسيب وتادة والضحاك وطاوس ﴿والثاني﴾ أنه ما تيسر مما يعطى المسكين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن أبيه (م) وصلوا ومجاهد وابن عمر وسعيد بن جبير والرياح بن أنس وروى أصحبا أنه الضفت بعد الضفت والجفت بعد الجفت وقال إبراهيم والسدي الآية منسوخة بفرض العشر ونصف العشر لأن هذه الآية مكينة وفرض الزكاة إنما أنزل للمدينة ولما روي أن الزكاة نسخ كل صدقة قالوا ولأن الزكاة لا تخرج يوم الحصاد قال علي بن عيسى وهذا غلط لأن يوم حصاده ظرف لحقه وليس بنظر للارتباط الأمور به (ولا تسرفوا) أي لا تجاوزوا الحد وفيه أقوال ﴿أحدها﴾ أنه خطاب لأرباب الأموال أي لا تسرفوا بأن تصدقوا بالجميع ولا تبقروا العيال شيئا كاضل ثابت بن قيس بن شماس فإنه صرم خمسين نخلا وتصدق بالجميع ولم يدخل منه شيئا في داره لأجله عن أبي العالية وابن جريج ﴿وثانيها﴾ أن معناه ولا تقصروا بأن تمنعوا بعض الواجب والتقصير صرف عن سعيد بن المسيب ﴿وثالثها﴾ أن المعنى لا تسرفوا في الأكل قبل الحصاد كيلا يؤدي إلى بفس حق الفقراء عن أبي مسلم ﴿ورابعها﴾ أن معناه لا تنفقوه في المصبة ولا تنفقوه في غير موضعه وفيه جميع هذا الأقوال الخطاب لأرباب الأموال ﴿خامسها﴾ أن الخطاب للأئمة ومعناه لا تأخذوا ما يحجب بأرباب الأموال ولا تأخذوا فوق الحق عن ابن زيد ﴿سادسها﴾ أن الخطاب للجميع بأن لا يسرف رب المال في الإعطاء ولا الإمام في الأخذ وصرف ذلك إلى غير مصارفه وهذا أعم فائدة (أنه لا يجب المرفقين) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٤٢) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٣) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَذَّكَّرِينَ حَرَّمَ أَمِ الْأَثْنَيْنِ أَمْ أَلَشَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَثْنَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٤) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَذَّكَّرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْأَثْنَيْنِ أَمْ أَلَشَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَثْنَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابن فليح وابن عامر وأهل البصرة المزعز بفتح العين والياقون بسكونها

— الحجة —

قال ابو علي من قرأ المزعز فانه جمع ما عزم مثل خادم وخدم وحارس وحرس ومطلب ومطلب وهو جمع على غير واحد وكذلك المزعز وحكى ابو زيد الأعمش وقالوا المزعز كالكلب والفئتين ومن قرأ المزعز فانه جمع ايضا مثل صاحب وصحب وقاجر وتاجر وراكب وركب وابو الحسن يرى هذا الجمع مشتقاً وبورده في التصغير الى الواحد فيقول في تحقير ركب رويكبون وفي تجر توجيرون وسبويه يراه اسماً من اساء الجموع وانشد ابو عثمان في الاستحجاج لسبويه « اخشى ركبياً او رجلاً عادياً » فتحقيقه له على لفظه يدل على انه اسم للجمع وانشد (وأين ركب واضمون رحالمهم)

— اللفظ —

الحمولة الاصيل يعمل عليه الانتقال ولا واحد لها من لفظها كالكوبة والجزورة والحمولة بضم الحاء هي الاحمال وهي الحمول ايضا وانما قيل للصغار فرش لأمرين — احدهما — لاستواء اسنانها في الصغر والانهطاط كاستواء ما يفرش — والثاني — انه من الفرش وهو الارض المستوية التي يتوطأها الناس والزوج يقع على الواحد الذي يكون معه آخر وعلى الاثنين كما يقال للواحد والاثنين خصم وعدل والاشتغال أصله الشمول يقال شملهم الأمر بشملهم وشملهم الأمر بشملهم شمولاً اذا عمهم ومنه الشال لشمولها على ظاهر الشيء وباطنه بقوتها ولفظها ومن ذلك الشمول للخمير لاشتغالها على الشغل وقيل لأن لها عصفه كعصفه الشال

— الاعراب —

حمولة عطف على جنات اي وانشأ من الانعام حمولة واثنين محمول على انشا ايضا اي ثمانية الزوج اثنين من كذا واثنين من كذا ثمانية الزوج بدل من كذا واثنين من كذا واثنين من كذا بدل من ثمانية وعطف بيان وقوله ما ألد كركين حرم دخلت حمزة الاستفهام على حمزة الوصل وفصل بينها بالألف والواو تسقط حمزة الوصل لثلاث يلبس الاستفهام بالخبر ولو اسقطت لجاز لأن ام تدل على الاستفهام وعلى هذا الوجه اجاز سبويه ان يكون قول الشاعر

فوالله ما ادرى ما كان كنت داريا شعيت بن سهم او شعيت بن منقر

استفهما فيكون تقديره أشعث وما في قوله ام ما اشتملت في موضع نصب بكونه عطفاً على الاثنين وانما قال الاثنين مثني لأنه اراد من الضأن والمزعز

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما عده فيما تقدم من عظم الانعام ببيان نعمته في انشاء الانعام فقال (ومن الانعام) اي وانشأ من الانعام (حمولة وفرشا) تقديره فيه القوال — احدهما — ان الحمولة كبار الاصيل والفرش صغارها عن ابن عباس وابن مسعود بخلاف والحن بخلاف ومجاهد — وثانيها — ان الحمولة ما يحمل عليه من الاصيل والبقر والفرش الغنم عن الحسن في رواية اخرى وتنادة والريح والسدي والضحاك وابن زيد * وثالثها * ان الحمولة كل ما حمل من الاصيل والبقر والحمل والبعال والحميز والفرش الغنم عن ابن عباس في رواية اخرى فكانه ذهب إلى انه يدخل في الانعام الحمار على وجه التبع * رابعها * ان معناه ما يتصفون به في الحمل وما يفرشونه في اللذيق بمعنى الاقتراش الاضطجاع للذيق عن ابى مسلم قال وهو كقوله فلأذا وجبت جنوبها وروي عن الريم بن انس ايضا ان الفرش ما يفرش للذيق ايضا * وخامسها * ان الفرش ما يفرش من اوصافها

وأوبارها ويرجع الصفتان إلى الانعام أي من الانعام لما يجعل عليه ومنها ما يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يفرش ويُسبط عن أبي علي الجبائي (كلوا ما رزقكم الله) أي استعملوا الأكل بما أعطاكم الله ولا تحرموا شيئاً منها كما فعله أهل المجالية في الحرث والانعام وعلى هذا يكون الأمر على ظاهره ويمكن أن يكون أراد قس الأكل فيكون بمعنى الإباحة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه لكم عدو مبين) مضي تفسيره سيف سورة البقرة ثم فسّر تعالى المجولة والفرش فقال (ثمانية أزواج) وتقديره وأنثى ثمانية أزواج أنثى (من الضأن اثنين ومن البقر اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) وإنما أجمل ثم فصل المبعول لأنه أراد أن يقرر على شيء شيء منه ليكون أشد في التوضيح من أن يذكر ذلك دفعة واحدة ومعناه ثمانية أفراد لأن كل واحد من ذلك يسمى زوجاً فالذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر كما قال تعالى امسك عليك زوجك وقيل معناه ثمانية أصناف من الضأن اثنين يعني الذكر والأنثى ومن المزمز اثنين الذكر والأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والمزمز ذوات الشعر منه وواحد الضأن شاتين كقولهم تاجر وتجر والأنثى شاة وذو واحد المزمز ماعز وقيل أن المراد بالانثيين الأهل والوحشي من الضأن والمزمز والبقر والمراد بالانثيين من الإبل والعنبر وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وإنما خص هذه الثمانية لأنها جميع الانعام التي كانوا يحرمون منها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره (قل) يا محمد هؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله تعالى (أألذّ كرين) من الضأن والمزمز (حرم) الله (أم الانثيين) منها (أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) أي أم حرم ما اشتمل عليه رحم الانثى من الضأن والأنثى من المزمز وإنما ذكر الله سبحانه هذا على وجه الاحتجاج عليهم بين به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادعوا من أن ما في بطون الانعام حلال للذكور وحرام على الإناث وغير ذلك ما حرموه فلهم لو قالوا أحرم الذكورين لزمهم أن يكون كل ذكر حراماً ولو قالوا أحرم الانثيين لزمهم أن يكون كل أنثى حراماً ولو قالوا أحرم ما اشتمل عليه رحم الانثى من الضأن والمزمز لزمهم تحريم الذكور والإناث فلن أرحام الانثى اشتملت على الذكور والإناث فيلزمهم بزعيمهم تحريم هذا الجنس أصنافاً وكباراً وذكوراً وإناثاً ولم يكونوا يفلتون ذلك بل كانوا يعضون بالتحريم بضاً دون بعضاً ففقدوا منهم المحبة ثم قال (يتوفى يعلم إن كتمت صادقين) معناه أخبروني يعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرمتموه وتحليل ما حللتموه إن كتمت صادقين في ذلك (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) هنا تفصيل لتمام الأزواج الثمانية (قل) يا محمد (أألذّ كرين حرم) الله بهما (أم الانثيين) ما اشتملت عليه أرحام الانثيين (قد تقدم معناه) (أم كتمت شهداء) أي حضورا (إذ وصاكم الله بهن) أي أمركم به حرمه عليكم حتى تضيغوه إليه وإنما ذكر ذلك لأن طرق العلم إما الدليل الذي يشترك العقلاء في إدراك الحق به أو المشاهدة التي يختص بها بعضهم دون بعض فإذا لم يكن واحد من الأمرين سبقت للذهب والمراد بذلك ما علمتموه بالسمع والكتب المنزلة واتمم لا تقرون بذلك أم شاهدكم الله تعالى به فعلمتموه وإذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم إليه (فمن أنظلم ممن أنكر على الله كذباً) أي من أنظلم لنفسه من كذب على الله وأضاف إليه تحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله (ليضل الناس بغير علم) أي يعمل عمل القاصد إلى الضلال من أجل دعائه إياهم إلى ما لا يثبت بصحته ما لا يأمن من أن يكون فيه هلاكهم هو أن لم يقصد اضلالهم (إن الله لا يعدي القوم الظالمين) إلى التراب لأنهم مستحقون العقاب الدائم بكمهم وضلالهم

قوله تعالى (١٤٥) قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِي إِلَيَّ مَعْصِيَةً إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَلِيلٌ لِّبَشَرٍ لَّهِ بِهِ قَمِينَ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَيْكَ غَوْرٌ رَّحِيمٌ (آية)

❦ القراءة ❦

قرأ ابن كثير وحزمة تكون بالياء مبنية بالنصب وقرأ أبو جعفر وابن عامر تكون بالياء مبنية بالرفع والباقيون بالياء ونصب مبنية وكلهم حَقَّقُوا مبنية غير أبي جعفر فإنه شذَّحها

❦ الحجة ❦

قال أبو علي قراءة ابن كثير وحزمة محمولة على اللحن كأنه قال إلا أن تكون العين والفتحة مبنية ألا ترى أن للمرحم لا يخلو من جواز العبارة عنه بأحد هذه الأشياء وليس قوله إلا أن يكون كقولك جاءني القوم لا يكون زيدا وليس زيدا في أن الضمير الذي يتضمنه من الاستثناء لا يظهر ولا يدخل الفعل علامة التانيث لأن الفعل إنما يكون عاريا من علامة التانيث ومن أن يظهر معه الضمير إذا لم يدخل عليه أن فلما إذا دخله ان فعل جكم سائر الأفعال ومن قرأ بالياء ونصب مبنية فإنه جعل فيه ضميرا ما تقدم وهو أقيس ما تقدم ذكره أي لا أن يكون للموجود مبنية ومن قرأ إلا أن تكون مبنية فالحق علامة التانيث الفعل كما الحق في قوله قد جاءكم وعظة وتقديره إلا أن تقع مبنية

— اللحن —

لما قدم سبحانه ذكر ما حرمه المشركون عقبه ببيان المحرمات فقال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (لا أجد فيها أوحى إلي) أي لو شاء الله تعالى إلي شيئا حرما (على طعام يطعمه) أي على أكل يأكله (إلا أن يكون مبنية أو دما مسفوحا) أي مسفوحا وإنما خص المصوب بالذكر لأن ما يمتثل بالحكم منه ما لا يمكن تقييده منه معونه مباح (أو لحم خنزير) وإنما خص الأشياء الثلاثة هنا بذكر التحريم مع أن غيرها عرم فإنه سبحانه ذكر في المائدة تحريم الخنزير واللحم المفروق والمتردة وغيرها لأن جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة فيكون في حكمها فأجملها هنا وفصل هناك وأجود من هنا أن يقال أنه سبحانه خص هذه الأشياء بالتحريم تعظيها لحرمتها وبين تحريم ما عداها في موضع آخر إما بنص القرآن وإما بوحى غير القرآن وأيضاً فإن هذه السورة مكية والمائدة مدنية فيجوز أن يكون غير ما في الآية من المحرمات إنما حرم فيما بعد والميتة عبارة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية (فإنه رجس) أي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقذر مغفور عنه والرجس أيضا العذاب والماء في قوله فإنه عائد إلى ما تقدم ذكره فلذلك ذكره (أوفسقا) عطف على قوله أو لحم خنزير فلذلك نصبه (أهل لعن الله به) أي ذكر عليه اسم الأضنام والأوثان ولم يذكر اسم الله عليه وسعي ما ذكر عليه اسم الضنم فسقا غروجه عن امر الله واصل الإللال رفع الصوت بالشيء وقد ذكرناه في سورة المائدة (فمن اضطر) إلى تناول شيء مما ذكرناه (غير باغ ولا عاد) قد سبق معناه في سورة البقرة (فإن ربك غفور رحيم) حكم بالرخصة كما حكم بالثفرة والرحمة

قوله تعالى (١٤٦) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْإِنْتِمْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمْ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمْ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغِيْمِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٧) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُورَحْمَةٍ وَاسْمِعَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسَهُ عَنِ الْقَوْمِ الْآسِفِينَ (آيتان)

❦ اللغة ❦

الظفر ظفر الإنسان وغيره ورجل انظر إذا كان طويل الأظفار كما يقال اشتر لطويل الشعر والحوايا

المبايع قال الزجاج واحدا حاوية وسأوياء وحوية وهي ما يجوى في البطن فاجتمع واستند

﴿ الأعراب ﴾

موضع الحوايا يحتمل أن يكون رقعا علقا على الظهور وتقديره أو ما حملت الحوايا ويحتمل أن يكون نصبا علقا على ما في قوله إلا ما حملت فأما قوله أو ما اختلط بنظم فإن ما هذه معطوفة على ما الأول ذلك يجوز أن يكون منصوب الموضع بأنه مفعول ثان لجزياتهم التقدير جزياتهم ذلك يتيمم ولا يجوز أن يرفع بالأجنداء لأنه يصير التقدير ذلك جزياتهم فيكون كقولهم زيد ضربت أي ضربه وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر

— المعنى —

ثم بين سبحانه ما حرمه على اليهود فقال (وعلى الذين هادوا) أي على اليهود في أيام موسى (حرما كل ذي ظفر) اختلف في معناه فقيل هو كل ما ليس يخرج الأصابع كالأظفار والعام والأوز والبط عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وثلاثة ومجاهد والسدي وقيل هو الأظفار فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب والسنائير وما يصطاد بظفره عن الجبائي وقيل كل ذي ظفر وكل ذي حافر من الدواب عن الثعبي والبخي (ومن البقر والغنم حرما عليهم شحومها) أي ما حملت الحوايا من الشحم فإنه غير محرم عليهم أيضا والحوايا هي المبايعات التي لم يحرم عليهم (أو الحوايا) أي ما حملت الحوايا من الشحم فإنه غير محرم عليهم أيضا والحوايا هي المبايعات عن ابن عباس والسنن وسعيد بن جبير وثلاثة ومجاهد والسدي وقيل هي نبات اللبن عن ابن زيد وقيل هي الأسماء التي عليها الشحوم عن الجبائي (أو ما اختلط بنظم) ذلك أيضا مستثنى من جملة ما حرّم وهو شحم الجنب والألثة لأنه على المصص عن ابن جريج والسدي وقيل الآية لم تدخل في هذا لأنها لم تستثن عن الجبائي فكانه لم يستند بنظم المصص قال الزجاج إنما دخلت أو ما هنا على طريق الإباحة كما قال سبحانه ولا تطع منهم أثما أو ككورا والمعنى أن كل هؤلاء أهل ان يسمي فاعص هذا أو اعص هذا أو بليغة في هذا المعنى لأنك إذا قلت لا تطع زيدا وعمرأ فبائز أن يكون نهيته عن طاعتهم في حال ما فإن اطعت زيدا على حدته لم أكن عصيتك وإذا قلت لا تطع زيدا أو عمرأ أو خالدًا فالمعنى أن هؤلاء كلهم أهل أن لا يطاع فلا تطع واحدا منهم ولا تطع الجماعة ومثله جالس الحسن أو ابن سيرين أو الشعبي (ذلك جزياتهم يتيمم) المعنى حرما ذلك عليهم عقوبة لهم يقتلهم الأنياء واخضعهم الربا واستحلّهم أموال الناس بالباطل فهنا يتيمم وهو كقوله بنظم من الذين هادوا حرما عليهم طيبات أحلت لهم وقيل يتيمم ظلهم على أقصم في ارتكابهم للمعصيات وقيل إن ملوك بني إسرائيل كانوا يجتمعون فقراءهم من أكل لحوم الطير والشحوم فحرم الله ذلك بينهم على فقراءهم ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره ويسأل فيقال كيف يكون التكليف عقوبة وهو تابع للمصلحة وتعرض لغواث وجوابه أنه إنما سمي جزاء وعقابه لأن عظيم ما فعلوا من المأثم اقتضى تحريم ذلك وتغيير المصلحة فيه ولولا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك (وإذا لصادقون) أي في الإخبار عن التحريم وعن يتيمم وفي كل شيء وفي أن ذلك التحريم عقوبة لأفعالهم ومصلحة لمن يهدمهم إلى وقت السبع (فإن كذبوك) يا محمد فيما تقول (قتل ربكم ذو رحمة واسعة) لذلك لا يميل عليكم بالعقوبة بل يمهلككم (ولا يرد بأسه) أي لا يدفع عتابه إذا جاء وقته (عن القوم للمجرمين أي المكذبين

قوله تعالى (١٤٨) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَاسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخَرِّجُوهُ

لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُخْرَصُونَ (١٤٩) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَاطِلَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٥٠) قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْبِمُنْ بِعَدُلُونِ (ثلاث آيات)

الفئة

هلم قال الزجاج انها هاء ضمت اليها لموجعا كالكلمة الواحدة فكثر اللغات ان يقال هلم للواحد والاثنتين والجماعة بذلك جاء القرآن نحو قوله هلم البنا ومعنى هلم شهداء كهاتوا شهداء كم ومن الرب من بني ويجمع ويؤنث فيقول للمذكر هلم وللانثى هلم وللجماعة علموا وللمؤنث علمي وللنساء هلمن وفنحت لآنها مدغمة كاتعجت رد يا هلم في الأمر لا لافعال الساكنين ولا يجوز فيها هلم للواحد بالضم كما يجوز في رد الفتح والضم والكسر لأنها لا تنصرف قال ابو علي هي في اللغة الاولى تنزلة رويده وممن تنحدر ذلك من الاسماء التي سميت بها الافعال وفي الأخرى تنزلة رد في ظهور علامات الفاعلين فيها كما يظهر في رد واما هاء الاحق بها فهي التي التثنية لحقت اولها لأن لفظ الأمر قد يحتاج الى استعطاف المأمور به واستدعاء اقباله على الأمر فهو لذلك يقرب من المتأدى ومن ثم دخل حرف التثنية في الايا استجدوا الا ترى انه امر كما أن هذا امر وقد دخل في جمل أخر لصحوا انتم هموا لانه فكما دخل في هذه المواضع كذلك لحقت في لم الا انه كثر الاستعمال معها فغير بالهذف لكثرة الاستعمال كاشياء تغير لذلك نحو لم ابل ولم أدر وما اشبه ذلك مما يغير لكثرة

المعنى

لما تقدم الرد على المشركين لاعتقادهم الباطلة رد عليهم سبحانه هنا مقالتهم الفاسدة فقال (سيقول الذين اشركوا) اي سيحبون هؤلاء للمشركين في اقامتهم على شرهم وفي تعزيمهم ما احسن الله تعالى بأن يقولوا (لو شاء الله ما اشركنا) اي لو شاء الله ان لا نمتدح الشرك ولا نقبل التحريم (ولأنا بآؤنا) واراد منا خلاف ذلك لما اشركنا ولا آباؤنا (ولا حرمتنا من شيء) اي شيئا من ذلك ثم كذبهم الله تعالى في ذلك بقوله (كذلك) اي مثل هذا التكذيب الذي كان من هؤلاء في انه منكر (كذب الذين من قبلهم) وانما قال كذب بالتشديد لأنهم بهذا القول كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله لم ان الله سبحانه امركم بتوحيد الله وترك الاشراك به وترك التحريم لهذه الانعام فكانوا يقولون ان الله تعالى اراد منا ذلك وشاء ولو اراد غيره ما فعلناه مكذبين لرسول عليه السلام كما كذب من تقدمهم انبياءهم فيما اتوا به من قبل الله تعالى (حتى ذاقوا بأسنا) اي حتى قالوا عذابا وقيل معناه حتى اسابوا العذاب المعجل ودل بذلك على ان لهم عذابا مدخر عند الله تعالى لأن اللوق اول ادراك الشيء (قل) يا محمد لم جوابا عما قالوه من ان الشرك بمشيئة الله تعالى (هل عندكم من علم) اي حجة تؤدي الى علم وقيل معناه هل عندكم علم فيما تقولونه (تخبروه لنا) اي فخرجوا ذلك العلم او تلك الحجة لنا بين سبحانه وهنا انه ليس عندهم علم ولا حجة فيما يشيرونه الى الله تعالى وان ما قالوه باطل ثم أكد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم في مقالتهم بقوله (ان تتبعون الا الظن) اي ماتبعون فيما تقولونه الا الظن والتخمين (وان أنتم إلا لمخترصون) اي إلا تكذبون في هذه اللقطة على الله تعالى وفي هذه دلالة واضحة على ان الله سبحانه لا يشاء المعاصي والكفر وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله سبحانه هنا مع قيام الادلة العقلية التي لا يدخلها التأويل على انه سبحانه يتعالى عن ارادة التبيح وجميع صفات الغضب علوا كبيرا (قل) يا محمد اذا عجز هؤلاء عن اقامة حجة على ما قالوه (فله الحجة الباطلة) والحجة البينة الصحيحة الصحيحة للاحكام

وهي التي تقصد الى الحكم بشهادته مأخوذة من الحج اذا قصدوا البالغة هي التي تبلغ قطع عذر المسجوع بأن
 تؤيل كل لبس وشبهة عن نظر فيها واستدراك بها وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لا تدلنا بمتنج الا بالحق
 ونجا يؤدي الى العلم (فلو شاء لهذا كاجمعين) اي لو شاء لأجلكم الى الإيمان وهذا كجميعا اليه بصل الإلهاء
 الا انه لم يفعل ذلك وإن كان فعله حسنا لأن الإلهاء يتنافى التكليف وهذه المشيئة بخلاف المشيئة المذكورة في
 الآية الأولى لأن الله تعالى أثبت هذه وتقي تلك وذلك لا يستقيم الا على الوجه الذي ذكرناه فالأولى مشيئة
 الاختيار والثانية مشيئة الإلهاء وقيل ان المراد انه لو شاء لهذا كالى قيل التواب ودخول الجنة إجماعا من غير تكليف
 ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم للتوب الذي لا يحسن الإجماع بخله ولو كان الأمر على
 ما قاله أهل الجبر من ان الله سبحانه شاء منهم الكفر لكأن الحجة للكفار على الله تعالى من حيث فعلوا ما شاء
 الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين له لأن الطاعة هي امتثال الأمر المراد ولا يكون الحجة لله تعالى عليهم على
 قولهم من حيث انه خلق فيهم الكفر واراد منهم الكفر فأي حجة له عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه ان الطريق
 الموصلى الى صحة هذاهم مسدود غير ثابت من جهة حجة عقلية ولا سمعية وما هذه صفة فهو فاسد لا محالة
 فقال (قل) يا محمد لهم (لم شهدائكم) اي احضروا وهاؤوا شهداءكم (الذين يشهدون) بصحة ما تدعونه
 من (ان الله حرم هذا) اي هذا الذي ذكر محارمه للشرك من البيرة والسالية والوميلة والحرف والالام
 وغيرها (فان شهدوا فلا تشهد معهم) معناه فان لم يجدوا شاهدا يشهد لهم على تحرهما غيرهم فشهدوا بانفسهم
 فلا تشهد انت معهم وانما ناه عن الشهادة معهم لأن شهادتهم تكون شهادة بالباطل فان قيل كيف دعاهم
 الى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب انه امرهم أن يأثروا بالمدول الذين يشهدون بالحق فإذا لم يجدوا ذلك
 وشهدوا لأنفسهم فلا ينبغي ان تقبل شهادتهم او تشهد معهم لأنها ترجع الى دعوى مجردة بعيدة من الصواب وقيل
 انه سبحانه اراد هاتوا شهداء من غيركم ولم يكن احد غير العرب يشهد على ذلك لأنه كان العرب شرائع
 شرعها لأنفسهم (ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا) انعطاب لبي (ص) والمراد امته اي لا تعتقد مذنب
 من اعتقد مذهب هوى ويمكن ان يتخذ الإنسان المذهب هوى من وجوه منها ان هوى من سبق اليه فيقلده فيه
 ومنها ان يدخل عليه شبهة فيخيل بصورة الصحيح مع ان في عقله ما يمنع منها ومنعا ان يقطع النظر دون غايته
 المشقة التي تلحقه فيعتقد للمذهب القاسد ومنها ان يكون تشا على شيء والتمنع اعطاه فيصعب عليه مفارقه وكل ذلك
 مشير مما استحسنه بقله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة وإنما
 ذكر الفريقين وان كانوا كلهم كفارا ليفصل وجوه كفرهم لأن منه ما يكون مع الاقرار بالآخرة كحال
 أهل الكتاب ومنه ما يكون مع الانكار كحال عبدة الاوثان (وهم يريهم يمدلون) اي يحطون له عدلا
 وهو الخلل وفي الآية دلالة على فساد التقليد لأنه سبحانه طالب الكفار على صحة مدعهم وجعل عجزهم عن
 الإتيان بها دلالة على بطلان قولهم وايضا فإنه سبحانه اوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى

قوله تعالى (١٥١) قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِبُوا بِأَمْوَالِ الَّذِينَ
 إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَهُمْ مَا ظَهَرَ
 مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ (آية)

ارتفع الى صدر المجلس والتلاوة مثل القراءة والتلو مثل التلو كمان الحكاية غير المحكي فالتلو والمحكي هو الكلام الاول والتلاوة والحكاية هي الثاني منه على طريق الاعداد والاملاق الإفلاس من المال والازاد ومنه الملقى والتملق لأنه اجتهد في تقرب النفس للطمع في العطية والفواحش جمع فاشة وهو القبيح العظيم القبيح والقيح يقع على الصغير والكبير لأنه يقال الترد قيح الصورة ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح الحسن وليس كذلك الفاحش

✽ الاعراب ✽

ما حرم ربكم في موضع نصب بقوله اتل المعنى اتل الذي حرمه ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجزاء ان يكون في موضع نصب بحرم لأن التلاوة بمنزلة القول فكأنه قال اتل اي شيء حرم ربكم عليكم اعذا ام هذا فجزاء ان يكون الذي تلاه عليهم قوله الا ان يكون ميتة او دماً مسفوحاً ويكون الا تشر كوا به منصوبة بمعنى طرح اللام اي أين لكم الحرام لأن لا تشر كوا لأنهم اذا حرموا ما احل الله فقد جعلوا غير الله في القبول منه بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك مشركين ويجوز ان يكون ان لا تشر كوا به شيئاً محمولاً على المعنى فيكون المعنى اتل عليكم الا تشر كوا اي اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز ان يكون على معنى اوصيكم ان لا تشر كوا به شيئاً لأن قوله وبالوالدين احساناً محمول على معنى اوصيكم بالوالدين احساناً هذا كله قول الزجاج وتشر كوا يجوز ان يكون منصوباً بأن ويكون للأنفي ويجوز ان يكون مجزوماً بلا على الهي واذا كان منصوباً فيكون قوله ولا تقتلوا اولادكم عطفاً بالهي على الغير وجزاء ذلك كما جاز في قوله قل اني امرت أن اكون اول من اسلم ولا تكونون من المشركين وقال جامع العلوم البصير الاصطفاي يجوز ان تقف على عليكم ثم يتبدى بأن لا تشر كوا اي هو ان لا تشر كوا اي هو الا شرارك اي المحرم الاشرار ولا زيادة ويجوز ان يكون ما استغفما فيقف على قوله ربكم ثم يتبدى فيقول عليكم الا تشر كوا اي عليكم ترك الاشرار وهذا وقف ياب وتعام قوله قل تعالوا عند قوله بلقاء ربه يومنون لأن قوله وان هذا صراطي فمعن فتح معطوف على قوله ما حرم اي اتل هذا وهذا ومن كسر فالتقدير قل ان هذا صراطي وكذلك ثم اتينا اي وقل ثم اتينا وهذا كله داخل في التلاوة والقول

✽ المعنى ✽

لما حكي سبحانه عن تحريم ما حرمه عقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (تعالوا) اي اقبلوا وادنوا (اتل) اي اقرأ (ما حرم ربكم عليكم) اي منعكم عنه بالهي ثم بدأ بالتوحيد فقال (ان لا تشر كوا به شيئاً) اي امركم ان لا تشر كوا ولا فرق بين ان تقول لا تشر كوا به شيئاً وبين ان تقول حرم ربكم عليكم ان تشر كوا به شيئاً اذ الذي يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يجتمعه من المعاني في الاعراب وقد قيل ايضاً ان الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشر كوا كقوله سبحانه عليكم اقسكم (وبالوالدين احساناً) اي اوصي بالوالدين احساناً ويدل على ذلك ان في حرم كذا معنى اوصى بتحريمه وامر بتجنبه ولما كانت نعم الوالدين تالية ثم الله سبحانه في الرتبة امر بالاحسان اليهما بعد الأمر بعبادته تعالى (ولا تقتلوا اولادكم من املاق) اي خوفاً من الفقر عن ابن عباس وغيره (نحن نرزقكم وايامهم) اي فإن رزقكم ورزقهم جميعاً علينا (ولا تقرّبوا الفواحش) اي المعاصي والقبائح كلها (ما ظهر منها وما بطن) اي ظاهرها وباطنها عن الحسن وقيل انهم كانوا لا يرون بالزنا في السر بأساً ويتعون منه علانية فحى الله سبحانه عنه في الحالتين عن ابن عباس والضحاك والسدي وقريب منه ما روي عن أبي جعفر (ع) ان ما ظهر هو الزنا وما بطن هو المخالعة وقيل ان ما ظهر افعال الجوارح وما بطن افعال القلوب فالمراد ترك المعاصي كلها وهذا اعم فائدة (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) اعاد ذكر القتل وان كان داخل في الفواحش تنجيماً للشأن وتعليقاً لأمره والنفس المحرم

قلها هي نفس المسلم والمعاذ دون الحرب والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرم قتلها ثلاثة أشياء القود والزنا بعد احسان والكفر بعد إيمان (ذلكم) خطاب لجميع الخلق أي ما ذكر في هذه الآية (وصاكم به) أي امركم به (لعلكم تتقون) أي لكي تفلحوا ما امركم الله تعالى به فتجملوا ما حله لكم وتحرموا ما حرمه عليكم ودل قوله سبحانه وصاكم به على أن الوصية مضمرة في أول الآية على ما قلناه وفي قوله سبحانه أن لا تشرکوا به شيئاً دلالة على أن التكليف قد يتعلق بأن لا يفعل كما يتعلق بالفعل وعلى أنه يستحق الثواب والعقاب على أن لا يفعل وهو الصحيح من المنهج

قوله تعالى (١٥٢) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَتِيمَ الْإِنْسَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٣) وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آياتان)

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر تذكرون بخفيف اللال حيث وقع والباقون بالشديد وقرأ أهل الكوفة غير عامر وإن هذا بكسر الهمزة والباقون بفتحها وكلمهم شدد النون إلا ابن عامر ومقبوب فلم يقرأ إلا بالتحفيف وكلمهم سكن الياء من صراطي إلا ابن عامر فإنه فتحها وقرأ ابن عامر وابن كثير صراطي بالسكن وقرأ حمزة بين الصاد والزاي

— الحجة —

التراءتان في تذكرون متقاربان والاصل تذكرون فمن خفف حذف التاء الأولى ومن شدد ادغم التاء الثانية في اللال وإمامان فتح وإن هذا فلم يحملها على فاتبعوه على قياس قول سيبويه في قوله تعالى لا يزال قريش وقوله وإن هذه امتكم واحدة وأنا ربكم فاعبدون وقوله وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا فيكون على تقدير ولا أن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ومن خفف فقال وإن هذا فإن الخفيفة في قوله يتعلق بما يتعلق به الشديدة وموضع هذا وهم بالاجتهاد وغيره صراطي وفي أن ضمير القصة والحديث على هذه الشريطة يحذف وليست المفتوحة كالكمسورة إذا خففت وعلى هذا قول الأعرابي

في فتية كسيوف الهند قد علموا إن هالك كل من يخفى وينتعل
والهاء التي في قوله فاتبعوه على قول من كسر إن عاطفة جملة على جملة وعلى قول من فتح إن زائدة
[الفتحة]

الاشد وأحداه شد مثل الأثر في جمع شر والآخر في جمع ضر والشد القوة وهو استحكام قوة الشباب والسن كان شد النهار هوارقاه قال عنترة

عهدي به شد النهار كأنما خضب البنان ورأسه بالمعظم
وقيل هو جمع شدة مثل نعمة وانهم وقال بعض البصريين الأشد واحد فيكون مثل الأتك قال سيبويه الذكر والذكر بمعنى وذكر فعل يعمد إلى المفعول واحد فإذا ضاعفت العين يعمد إلى مفعولين كما في قوله يذكرك نيك حين المعجول ونوح الحمامة تدعو هديلاً

ويقول ذكره فذكر فضل مطاوع فعل كما أن تتاعل مطاوع فاعل

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه تمام ما يطلو عليهم فقال (ولا تقربوا مال اليتيم) والمراد بالتقرب التصرف فيه وإنما خص مال اليتيم بالذكر لأنه لا يشتمل على الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع في ماله أشد ويد الرغبة إليه أمد فأكد سبحانه النهي عن التصرف في ماله وأنت كان ذلك واجبا عليه مال كل أحد (إلا بالتي هي احسن) أي بالطريقة أو الطريقة المحسنة ولذلك أنت وقد قيل في معناه اقوال ﴿ أحدها ﴾ أنت معناه ألا يشرى ماله بالتجارة عن مجاهد والضحاك والسدي ﴿ وثانيها ﴾ بأن يأخذ القيم عليه بالأكل المعروف دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي ﴿ وثالثها ﴾ بأن يحفظ عليه حتى يكبر (حتى يبلغ أشده) اختلف في معناه فقيل أنه بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل هو أن يبلغ ثمانين سنة وقال السدي هو أن يبلغ ثلاثين سنة ثم نسخنا قوله حتى إذا بلغوا النكاح الآية وقال أبو حنيفة إذا بلغ خمسا وعشرين سنة دفع المال إليه وقبل ذلك يمنع منه إذا لم يؤنس منه الرشد وقيل أنه لا حد له بل هو أن يبلغ ويكمل عقله ويؤنس منه الرشد فيسلم إليه ماله وهذا أقوى الوجوه وليس بلوغ اليتيم أشده مما يبيع قرب ماله بفقر الأحسن ولكن تقديره ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن على الأبد حتى يبلغ أشده فادفعوا إليه بدليل قوله ولا تأكلوا مما أسرفا وبنار الله يكبروا (وأوفوا) أي أتموا (الكيل والميزان) بالقياس أي بالعدل والوفاء من غير بخس (لا تكلف قسا ولا دمه) أي إلا ما يسما ولا يضيق عنه ويمناه هنا لما كان التعديل في الوزن والكيل على التعبد من أقل القليل يتمد بين سبحانه أنه لا يلزم في ذلك إلا الاجتهاد في التحرز من نقصان (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قرين) أي فقولوا الحق وإن كان على ذي قرينة لكم وإنما خص القول بالعدل دون العمل لأن من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك إلى العدل في العمل ويكون ذلك من أكد الدواعي إليه وقيل معناه إذا شهدت أو حكمت فاعدلوا في الشهادة والحكم وإن كان للقول عليه أو المشهود له أو عليه قرائك وهذا من الأوامر البينة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الأقاير والشهادات والوصايا والفتاوى والقضايا والأحكام والمذاهب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وبهد الله أوفوا) قيل في معنى عهد الله قولان ﴿ أحدهما ﴾ أن كل ما أوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد إليهم بالقيام به عليهم ويصدق القول فيه والدلالة عليه ﴿ والآخر ﴾ أن المراد به التذور والمهود في غير مصيبة الله تعالى والمراد أوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك (ذلكم) أي ذلك الذي تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وإن لا يقرب إلا بالحق وإفناء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحري الحق فيه على مقدار الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالهد (وصاكم) الله سبحانه (به لمحكم تذكرون) أي لكي تتذكروا وتأخذوا به فلا تطرحوه ولا تتلقوا عنه فتركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه (وإن هذا صراطي مستقيما) أي ولأن هذا صراطي مستقيما ومن خفف تقديره ولأنه هذا صراطي مستقيما ومن كسران فإنه إن استأنق قال ابن عباس يريد أن هذا دين الخليفة قوم الأديان واحسنا وقيل يريدان ما ذكر في هذه الآيات من الواجب والمعزم صراطي لأن امتثال ذلك على ما أمر به يؤدي إلى الثواب والجنة فهو طريق إليها وإلى التمسك فيها مستقيما أي قها لا عوج فيه ولا تناقض وهو منصوب على الحال (فاتبوه) أي اتقوا به واعملوا به واعتقدوا صحتهم واحلوا حلاله وحرموا حرامه (ولا تتبعوا السبل) أي طرق الكفر والبدع والشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعادة الأوثان عن ابن عباس (فتفرق) واصله فتفرق (بكم عن سبيله) أي فشتت وتميل وتقالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه أوصى وقيل عن طريق الدين (ذلكم وصاكم به لمحكم تتقون) أي لكي تتقوا عقابه باجتناب معاصيه قال ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخن شي من جميع الكتب وهي معروضة على بني آدم

كلم ومن أم الكتاب من عمل بين دخل الجنة ومن تركه دخل النار وقال كعب الاحبار الذي قس كعب
يده أن هذا لأول شيء في التوراة سم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم الآيات

قوله تعالى (١٥٤) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّعِبَادِهِ يُلَقَّاهُ رِبِّهِمْ يَوْمَنُونَ (١٥٥) وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَازِلُهُ قَاتِبُوهُ وَأَقْوَمُ السَّلَامُ
تَرْحُمُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذي أحسن بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني هذا مستضعف الاعراب عندنا لأنه حلف المبتدأ العائد إلى الذي لأن تقديره على الذي هو أحسن
وإنما يحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة بفعل الذي هو صلتها نحو مروت والذي ضربت أي ضربته ومن القول
بذله وطال الاسم بصلته فحذف الهاء لذلك وليس المبتدأ بنيف ولا فضلة فيحذف تخفيفا لاسيا وهو عائد الموصول
وعلى أن هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيويه عن الخليل أنه سمع ما أتاه والذي قائل لك شيئا وسواً أي والذي
هو قائل لك وقال - لم ارسل الغنثيان في غير الأيام ينسون ما عواقبها - أي ينسون الذي هو عواقبها ويجوز أن يكون
ينسون معلقة كما علقوا نقيضتها التي هي يطمون فيكون - استغفها وعواقبها خير ما تقولك قد علمت من أيوك
وعلى الوجه الأول حمله اصحابنا وقال الزجاج تماماً منصوب بأنه مفعول له وكذلك تفصيلاً وما بعده المعنى آتياه
لهذه اللمة أي التام وتفصيل أنزلناه في موضع رقم بأنه صفة كتاب

- المعنى -

(ثم آتينا موسى الكتاب) قيل في معنى ثم آتينا موسى الكتاب مع أن كتاب موسى قبل القرآن ثم يقتضي
التراخي وجوه ﴿ احدها ﴾ أن فيه حذفاً وتقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا
﴿ وثانيها ﴾ أن تقديره ثم اتل عليكم آتينا موسى الكتاب ويكون طعناً على معنى الثلاثة والمعنى قل
تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل عليكم ما أتاه الله موسى عن الزجاج ﴿ وثالثها ﴾ أنه عطف خبر
على خبر لا طعن معنى على معنى وتقديره ثم أخبركم أنه أعطى موسى الكتاب والذي يؤيده قول الشاعر

ولقد ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

﴿ ورابعها ﴾ أنه يتصل بقوله في قصة إبراهيم ووهبت له إسحاق ويعقوب فقد سبحانه نعمته عليه بما جعل
في ذريته من الأنبياء ثم طعن عليه بذكر ما أنعم عليه بما أتى موسى من الكتاب والنبوة وهو أيضاً من ذرية
من أبي مسلم واستحسنه المقرئ (تماماً على الذي أحسن) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ تماماً على إحصان
موسى فكانه قال ليكمل إحصانه الذي يتسحق به كمال ثوابه في الآخرة عن الريبين والقراء ﴿ وثانيها ﴾
تماماً على المستنيرين من مجاهد وقيل أن في قراءة عبد الله تماماً على الذي أحسنوا فكانه قال تماماً للنعمة على المستنيرين
الذين هو أحسنهم والنون قد تحذف من الذين كما في البيت

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يأم خالد

ويجوز أن يكون الذي للجنس ويكون بمنى من أحسن ﴿ وثالثها ﴾ أن معناه تماماً على إحسان
الله إلى أتاليته عن ابن زيد ﴿ ورابعها ﴾ أن معناه تماماً لكرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا عن الحسن

وتتادة وقال تتادة تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة ﴿ وخامسا ﴾ ان معناه تأما على الذي احسن الله سبحانه الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الحيائي ﴿ وسادسا ﴾ ما قاله ابو مسلم انه يصل بقصة ابراهيم فيكون المعنى تأما لانعمة على ابراهيم وجزائه على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصدق الذي سأل الله سبحانه ان يجعله ولفتلة على تقتضي المضاعفة عليه و قال تماما ولم يأت بقوله على الذي احسن لدل على نقصانه قبل تكسيله (وتفصيلا لكل شي) اي ويبدأ لكل ما يحتاج الى الحق (وهدي) اي ودلالة على الحق والدين يهتدي بها الى التوحيد والعدل والشرائع (ورحة) اي نعمة على سائر المكلفين لا فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد والاحكام (لهمم بقا) ربههم يؤمنون بمعناه لكي يؤمنوا بجزاء ربههم فسمى الجزاء لقاء الله تقضي لثأله مع ما فيه من الايجاز والاختصار وقيل معنى اللقاء الرجوع الى ملكه وسلطانه يوم لا يملك احد سواه شيئا (وهذا كتاب) يعني القرآن وصفه بهذا الرصف لبيان انه مما ينبغي ان يكتب لأنه اجل الحكم (انزلناه) يعني انزله جبرائيل الى محمد (ص) فأضاف النزول الى نفسه توسعا (مبارك) وهو من يأتي من قبله الخير الكثير من الزجاج فالبركة ثبت الخير بزيادته ونسبه وأصله الثبوت ومنه براكا القتال في قوله

وما ينبغي من الغمرات إلا براكا القتال او الفرار

ومنه تبارك الله اي تعالى بصفة اثبات لا أول له ولا آخر وهذا تمظيم لا يستحقه غير الله تعالى (فاتبعوه) أي اعتقدوا وصته واعملوا به وكونوا من اتباعه (واقبوا) معاصي الله ومخالفته ومخالفة كتابه (لحكم ترحبون) اي لكي ترحبوا ولما قال واقبوا لحكم ترحبون مع انهم اذا اتقوا رحبوا لا مطالة لامرئ ﴿ احداهما ﴾ انه اتقوا على رجاء الرحمة لأنكم لا تدرون بما توافقون في الآخرة ﴿ والثاني ﴾ اتقوا لترحبوا اي ليكن الترض بالتقوى مشكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب

قوله تعالى (١٥٦) اَنْ تَقُولُوا اِنَّمَا اُنْزِلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَاِنْ كُنَّا عَنْ وِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٧) اَوْ تَقُولُوا لَوْ اَنَّا اُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا اَهْذَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ مِنْهُ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (آيتان)

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج ان تقولوا معناه عند البصريين كرامة ان تقولوا هم لا يجيئون اضمار لا فلا يقولون جئت ان اكرمك اي لأن لا اكرمك ولكن يجوز فلت ذلك ان اكرمك على اضمار حجة ان اكرمك او كرامة ان اكرمك ويكون الحال ينسب من الضمير او تقولوا نصب تقولوا بأنه مطوف على ان تقولوا اي او كرامة ان تقولوا واقول ارادانه مفعل له على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه واذا كان حذف المضاف بطردجوازه مع غير ان فلان يجوز مع ان اجدر مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائي موضع ان تقولوا نصب اتقوا اي اتقوا يا اهل مكة ان تقولوا ولو انا فتحت ان بعد لو مع انه لا يقع فيه المصدر لأن الفعل مقدر بعد لو فكأنه قيل لو وقع البناء انا انزل الكتاب علينا الا ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا في الشعر قال

لو غيركم علق الزبير بحبله ادى الجوار الى بني العوام

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه لما انزل القرآن قطعا للمعدة وإزاحة لليلة فقال (ان تقولوا) اي كرامة ان تقولوا يا اهل





مكة أو اتلا تقولوا (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اي جماعة من وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وانما خصها بالذكر لشهرتها وظهور امرها اي انزلنا عليكم هذا الكتاب لنقطع حبسكم (وان كنا عن دراستهم لتأخلفين) والمعنى اننا كنا تأخلفين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم ولم يزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لأنهم كفوا اهل دوتنا ولو أريد منا ما أريد منهم لا أنزل الكتاب علينا كما انزل عليهم (او تقولوا) يا أهل مكة لو أننا انزل علينا الكتاب (لكنا اهدى منهم) في المبادرة الى قوله والتسك به لا تا اجود اخذنا واثبت معرفة منهم فان العرب كانوا يدلون بجودة الفهم وذكاة الحس وحدة الذهن وقد يكون الماروف بالشئ اهدى اليه من عارف آخر بأن يعرفه من وجوه لا يعرفها هو وبأن يكون ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الآخر ثم قال تعالى (فقد جاءكم بينة من ربكم) اي حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القرآن (وهدى) يهتدي به الحق الى النعيم اللقيم والثواب العظيم (ورحمة) اي نعمة لمن اتبعه وعمل به (فمن اظلم) لنفسه (ممن كذب بأيت الله وصدق منها) اي اعرض عنها غير مستبدل بها ولا مفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة (سنجزى الذين يصدقون عن آياتنا سوء العذاب) اي يشدة العذاب وهو ما أعد الله للكفار نمرؤ بالله منه (بما كفوا يصدقون) اي جزاء بما كفوا يصدقون عن القرآن ومن أتى به وهو محمد (ص) وفي هذا دلالة على ان انزال القرآن لطف للمكلفين وأنه لو لم ينزله لكان لهم الحجة وإذا كان في منع اللطف عذر وحجة للمكلف فنع القدرة وخلق الكفر اولى بذلك فلن قيل فهل للذين ماتوا من قبل من غرط بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل له ان عذر أولئك كان مطلقا بالقتل وبما تقدم من الاخبار والكتب وهؤلاء ايضا لم يأتيهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى علم ان المصلحة تعلقت بذلك فله ولو علم مثل ذلك فيمن تقدم لأنزل عليهم مثل ما أنزل على هؤلاء. وإذا لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من مصالحهم

قوله تعالى (١٥٨) هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل أنتظروا إنا منتظرون (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي وخلف يأتهم بالياء. وهنا وفي النمل وقرأ الباقون تأتيهم بالثاء. وقد مضى الكلام في امثال ذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم توعدهم سبحانه فقال (هل ينظرون) معناه ما ينتظرون يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم وقال ابو علي الحياتي معناه هل تنتظر انت يا محمد واصحابك الا هذا هو وان انتظروا غيره فذلك لا يتد به من حيث ما ينتظرونه من هذه الاشياء المذكورة لعظم شأنها فهو مثل قوله وما دميت إذ دميت ولكن الله رمى وكما يقال تكلم فلان ولم يتكلم اذا تكلم بما لا يتد به (الا ان تأتيهم الملائكة) قبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل لانزال العذاب والحسف بهم وقيل لعذاب القبر (او يأتي ربك) فيه احوال  احدها  او يأتي أمر ربك بالعذاب فحذف المضاف ومثله جاء ربك من الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز في قوله ان الذين يؤثرون الله اي اوليا. الله وقال ابن عباس يأتي أمر ربك فيهم بالقتل  وتأتيها  او يأتي ربك بمجلائل آياته فيكون حذف الجار فوصل القيل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه وهو قياس الدليل في العقل على ان

الله سبحانه لا يجوز عليه الانتقال ولا يختلف عليه الحال ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى او يأتي إهلاك ربك أيامهم بمذاب عاجل او اجل او بالقيامة وهذا كقولنا قد نزل فلان ببلد كذا وقد أنهم فلان اي قد أوقع بهم من الزجاج (او يأتي بعض آيات ربك) وذلك نحو خروج الدابة او طلوع الشمس من مغربها عن مجاهد وتادة والسدي وروي عن النبي (ص) انه قال بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والذخان وخويصة لحداد اي موته وأمر العامة يعني القيامة (يوم يأتي بعض آيات ربك) التي تضطربهم الى المعرفة ويحول التكليف منها (لا ينعف نفسا لإيمانها لم تكن آمنت من قبل) لأنه ينسد باب التوبة بظهور آيات القيامة ويضطر الله تعالى كل احد الى معرفته ومعرفة الحسنات والمصبات ضرورة ويعرفه انه ان حاول التبيح او ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملجأ الى فعل الحسن وترك التبيح (او كسبت في إيمانها خيرا) عطف على قوله آمنت وقيل في معناه اقوال ﴿ لحدادها ﴾ انه لما قال ذلك على جهة التنبيه لأن الأكثر لما يتنعم بإيمانه حيث من كسب في إيمانه خيرا ﴿ وثانيها ﴾ انه لا ينفع احدا فعل الإيمان ولا فعل خير فيه في تلك الحال لأنها حال زوال التكليف وإنما ينفع ذلك قبل تلك الحال من السدي فيكون معناه لا ينفعه إيمانه حيث من كسب في إيمانه خيرا اي طاعة وبراً لأن الإيمان واكتساب الخير اثنا ينفعان من قبل ﴿ وثالثها ﴾ انه الإيمان في احد الامرين فالمنى انه لا ينفع في ذلك اليوم إيمان نفس اذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم او ضمت الى إيمانها افعال الخير فلانها اذا آمنت قبل تصبها إيمانها وكذلك اذا ضمت الى الإيمان طاعة ففتتها بمضاريد انه لا ينفع حيث من إيمان من آمن من الكفار ولا طاعة من أطاع من المؤمنين ومن آمن من قبل نفعه إيمانه بانفراد وكذلك من أطاع من المؤمنين نفعته طاعته ايضا وهذا اقوى الأقوال واوضحها (قل انتظروا) اتيان الملائكة وتوقع هذه الآيات (فلان متنتظرون) بكم وتوقعوا وفي هذه الآية حث على المساعدة الى الإيمان والطاعة قبل الحال التي لا يقبل فيها التوبة وفيها ايضا حجة على من يقول ان الإيمان اسم لأداء الواجبات والطاعات فلم ينسبها قد صرح فيها بأن اكتساب الخيرات غير الإيمان المجرى لطفه سبحانه كسب الخيرات وهي الطاعات في الإيمان على فعل الإيمان فكانه قال لا ينفع نفسا لم تؤمن قبل ذلك اليوم إيمانها ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفسا لم تكن كسبية خيرا في إيمانها قبل ذلك كسبها الخيرات ذلك اليوم وقد عكس الحكم ابو سعيد في قصده الامر فيه فقال هو خلاف ما يقوله المرجة لانه يدل على أن الإيمان مجرده لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات وليت شمري كيف تدل الآية على ما قاله وكيف حكم نفسه على خصمه فيا الحكم فيه لحصه عليه وهل هذا إلا استدلال من سنن العدل والانتصاف

قوله تعالى (١٥٩) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (آية)

❦ القراءة ❦

قرأ حمزة والكسائي عاصما وفي الروم فارقوا بالآلف وهو المروي عن علي عليه السلام والباقرن فرقوا بالتشديد

❦ الحجة ❦

قال ابو علي من قرأ فرقوا فتعديده يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال اقنؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون تؤمن ببعض وتكفرون ببعض ومن قرأ فارقوا دينهم فالمنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤول الى معنى فرقوا الا ترى انهم لما آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يشعروا

❀ الفقرة ❀

الشيع الفرق التي يالئ بعضهم بضاً على أمر واحد مع اختلافهم في غيره وقيل إن أصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعاً ظهر وشيعت النار إذا التفت عليها الحطب فكذلك تظهرها وقال الزجاج أصله الاتباع يقال شاعكم السلام وشاعكم السلام أي تحكم السلام قال

ألا يا نخلة من ذات عرق برود الظل شاعكم السلام
ويقول أتيتك غدا أو شيه أي أو اليوم الذي تبته فمضى الشيعة الذين يشيع بعضهم بضاً قال الكشي
ومالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعب

❀ المعنى ❀

ثم طُف سببانه على ما قدمه من الوعيد فقال (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) اختلف في المعنيين بهذه الآية على أقوال **❀** أحدها **❀** أنهم الكفار واصناف المشركين عن السدي والحن ونسبتها آية السيف **❀** وثانيها **❀** أنهم اليهود والنصارى لانهم يكفرون بعضهم بضاً عن قتادة **❀** وثالثها **❀** أنهم أهل الضلالة واصحاب الشبهات والبدع من هذه الامة رواء أبو هريرة وعائشة مرفوعا وهو المروي من الباقر عليه السلام بطوا دين الله ادياناً لا كفار بعضهم بضاً وصاروا احزاباً وفرقا (لست منهم في شيء) هذا خطاب للهي (ص) واعلام له انه ليس منهم في شيء وأنه على الماعدة التامة من ان يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لانهم يجتمعون في معنى من المعاني الباطلة وان اختلفوا في غيره فليس منهم في شيء لأنه بري من جميعه وقيل ان معناه لست من مخالفتهم في شيء وإنا هو نهى النبي من مقاديرهم وأمر له بباعدتهم عن قتادة وقيل معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسبها آية القتال عن الكشي والحن (إنا امرهم إلى الله) في مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل امرهم في الانتظار والاستئصال إلى الله وقيل الحكم بينهم في اختلافهم إلى الله (ثم ينصهم) أي يجزيهم ويجازيهم (بما كانوا يفعلون) يوم القيامة فيظهر الحق من الباطل

قوله تعالى (١٦٠) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ لَا يَرْجُوا نَصْرَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

❀ القراءة ❀

قرأ يعقوب عشر منون أمثالها برفع اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبيرة والباقر عن شرمضاد أمثالها مجرور

❀ الحجة ❀

من قرأ عشر أمثالها فالمعنى له عشر حسنات أمثالها فيكون أمثالها حقة للموصوف الذي أضيف إليه عشرون قرأ عشر أمثالها فيكون أمثالها حقة لشعر هذا قول الزجاج وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ضعيف عند المحققين وأكثر ما يأتي ذلك في الشعر والاولى ان يكون أمثالها غير حقة في قوله عشر أمثالها بل يكون محمولا على المعنى فأنشأ الأمثال ١١ كان في معنى الحسنات وحكي عن أبي عمرو أنه سمع عمر بن الخطاب يقول فلان ثوب جاءته كتابي فاحتقرها قال فقلت له اتقول جاءته كتابي قال نعم أليس بصحيفة

❀ الفقرة ❀

الحسنة اسم للأعلى في الحسن ودخول الما للبالغة قال علي بن عيسى دخولها يدل على انها طاعة اما واجب او نديب وليس كل حسن كذلك لأن في الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح ولا ثواب واتقوا من

ذلك ان يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها المأمور بها لاتها لام الهدى والله سبحانه لا يأمر بالمح

❦ المعنى ❦

لما ذكر سبحانه الوعيد على الماصي عقبه بذكر الرعد وتضمين الجزاء في الطاعات فقال (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اي من جاء بالحسنة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر امثالها من الثواب (ومن جاء بالسئة) اي بالحسنة الواحدة من خصال الشر (فلا يجزى إلا مثلاً) وذلك من عظم فضل الله تعالى وجزيل إنعامه على عباده حيث لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يفوق ذنوب المؤمن منا منه عليه وقضلا وان عاقب عاقب على قدر الاستحقاق عدلا وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسئة الشرك عن الحسن واكثر المفسرين وعلى هذا فإن اصل احسن الحسنات التوحيد وأسوأ السيئات الكفر (وهم لا يظلمون) بالزيادة على مقدار ما استحقوا من العقاب ثم اختلف الناس في ان هذه الحسنات العشر التي وعداها الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثوابا ام لا فقال بعضهم لا يكون كلها ثوابا وإنما يكون الثواب منها الواحدة والتسع الزائدة يكون تقضلا ويؤيده قوله لوفيهم اجرهم ويزيدهم من فضله فيكون على هذا معنى عشر امثالها في النعم والمنة لا في عظيم المنزلة ويجوز ان يكون التقضيل مثل الثواب في الكثرة والمنة وان يميز منه الثواب بمقارنة التقضيم والإجلال الذين لولاهما لما حسن التكليف وهذا هو الصحيح وقال قوم لا يجوز ان يساوى الثواب والتقضيل على وجه فيكون على قولهم كل ذلك ثوابا قال الزجاج ان المجازاة من الله عز وجل على الحسنة بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره فإذا قال عشر امثالها وقال كمثل حبة انبت سبع سنابل في كل سنبل مئة حبة وقال فيضاعه له اضعافا كثيرة فالمنى في هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التقدير في الثغور فيضاعف الله سبحانه ذلك باربع عشرة اضعاف إلى سبع مئة ضعف إلى اضعاف كثيرة وقد قيل ايضا في ذلك ان المنى من جاء بالحسنة فله عشر امثال المسحوق عليها والمستحق لا يعلم مقداره إلا الله تعالى وليس المراد امثال ذلك في العدد وهذا كما يقول الإنسان لأخيه لكمن الأجر مثل ما عملت اي مثل ما تستحقه بمسلك وقد وردت الرواية عن العرو بن سويد عن ابي ذر قال حدثني الصادق المصدق ان الله تعالى قال الحسنة عشر اوزيد والسئة واحدة او اغفر قالويل لمن غلبت آحاده اعثاره

قوله تعالى (١٦١) قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَيْرًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦٢) قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَسَلَّيْتُ وَنَسِيتُ وَمَا فِيَّ مِنْ رِبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٣) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (ثلاث آيات كوفي واربعة عند غيرهم)

❦ القراءة ❦

قرأ ابن مامر واهل الكوفة قيا مكسورة التاف خفيفة اليا. والباقون قيا مقبوحة التاف مشددة اليا. وقرأ اهل المدينة عياني ساكنة اليا. وما في بقعتها والباقون عياني يفتح اليا. وما في ساكنة اليا.

❦ الحجة ❦

من قرأ قيا فالقيم هو المستقيم فيكون وصفا للدين كما ان التقدير في قوله دين القيمة دين الله القيمة لأن الله هي مثل الدين ومن قرأ قيا فالرهد مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصحح كما صحح حول وعروض وكان القياس ولكنه شذ كما شذ نحو ثيرة في جمع ثور وبياد في جمع جواد وكان القياس الراو وقال الزجاج انما اعتل قيم لأنه من قام قلنا اعتل قام اعتل قيم لأنه جرى عليه واما حول فإنه جار على غير فعل واما إسكان

الياه في محايي فإنه شاذ عن القياس والاستعمال فإن الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد وإذا كان ما قبلها متحركا نحو ومما تى فالتحج جائز والاسكان جائز قال ابو علي والوجه في محايي يسكون الياء مع شذوذه ما حكى عن بعض البشاديين انه سمع الثقت حلقا البطان بالسكان الاث ميسكون لام المعرفة ومثل هذا ما جوزه يونس في قوله اضربان زيدوا ضربتان زيدا وسيبويه ينكر هذا من قول يونس وقال علي بن عيسى ولو وصله على نية الوقف ناز كما جاز فيه داهم اقتده فلاننا تزد هذه الهاء في الوقف كما تسكن تلك الياء في الوقف

❀ اللغة ❀

اللغة الشريعة مأخوذة من الاملاء كأنه ما يأتي به الشرع ويورده الرسول من الثرائم المتجددة فيله على أمته ليكتب او يحفظ فلما التوحيد والعدل فوليان بالقل ولا يكون فيها اختلاف والثرائم تختلف ولهذا يجوز ان يقال ديني دين الملائكة ولا يقال ماني ملة الملائكة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك ومنه الذبيحة والذبيحة الموضع الذي تذبح فيه النساك قال الزجاج قالنك كل ما تقرب به إلى الله تعالى الا ان الطالب عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذابح إنما يراد به انه يؤدي للناسك اي يؤدي ما افترض عليه مما يتقرب به الى الله

❀ الاعراب ❀

دينا قال ابو علي يحتمل نصبه ثلاثة اضرب احدها انه لما قال هادي دني الى صراط مستقيم استثنى بجري ذكر الفعل عن ذكره ثانيا فقال دينا قيا كما قال اهدنا الصراط المستقيم وان شئت نصبته على اعروا لأن هاديتهم اليه تعريف لهم فحمله على اعروا دينا قيا وان شئت حملته على الاتباع كأنه قال اتبعوا دينا قيا والزموه كما قال اتبعوا ما أنزل اليكم قال الزجاج ملة ابراهيم بدل من دينا قيا وحيثما منصوب على الحال من ابراهيم والمعنى هادي وعرفني ملة ابراهيم في حال حفيفة

❀ المعنى ❀

ثم امر الله نبيه (ص) فقال (قل يا محمد لهؤلاء الكفار ولخلق جيبا (انني هادي) اي داني وارشدني (دني الى صراط مستقيم) وقيل اراد لطف لي دني في الاحتدا ووقفتي لذلك وقد دينا معنى الصراط المستقيم في سورة الحديد (دينا قيا) اي مستقيا على نهاية الاستقامة وقيل ثابتا دائما ينسخ (ملة ابراهيم) انما وصف دين النبي بأنه ملة ابراهيم ترغيا فيه للحرب لجلالة ابراهيم في نفوسها ونفوس كل اهل الاديان لانتساب العرب اليه واتفاقهم على انه كان على الحق (حيفا) اي مخلصا في العبادة لله من الحسن وقيل مائلا الى الاسلام مالا لازما لا رجوع معه من قولهم رجل احنف اذا كان مائل المقدم من خلقه عن الزجاء وقيل مستقيا وانما جاء احنف على التنازل عن الجبائي (وما كان من الشركين) يعني ابراهيم كان يدعو الى عبادة الله ويمنع من عبادة الاصنام (قل ان صلاتي) قد فسرتها معنى الصلاة فيا تقدم (ونسكي) اي ذبيحتي للصح والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقادة والسدي وقيل نسكي ديني عن الحسن وقيل عبادتي عن الجبائي والزجاء وانما ضم الصلاة الى أصل الواجبات من التوحيد والعدل لأن فيها التحطيم لله عند التكبير وفيها ثلاثة القرآن الذي يدور الى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيها الخضوع لله تعالى والتسبيح الذي هو التزبد له (ومحايي ومما تى) اي حياتي وموتي (له رب العالمين) وانما جمع بين صلاته وحياته واحدا من فعله والاخر من فعل الله لا نهما جيبا بتدبير الله وقيل معناه صلاتي ونسكي له عبادة وحياتي ومعاني له ملكا وقدرته على القاض وقيل ان عبادتي له لا نهما بهديته ولطفه ومحايي ومما تى له لأنه بتدبيره وخلق وقيل معنى قوله ومحايي ومما تى لله ان الاعمال الصالحة التي تمنن بالحياة في فنون الطاعات وما يتعلق بالحملات من الرصية والجهنم والبحيرات فتوفيه تنبيه

على انه لا ينبغي ان يجعل الانسان حياته لشهوته وعماه لودته (لا شريك له) اي لا ثاني له في الإلهية وقيل لاشريك له في العبادة وفي الاحياء والإماتة (وبذلك أمرت) اي وبهذا أمرني ربي (واتا أول المسلمين) من هذه الأمة فلان ابراهيم كان أول المسلمين ومن بعده تابع له في الاسلام عن الحسن وقتادة وفيه بيان فضل الاسلام وبيان وجوب اتباعه على الاسلام اذ كان صلى الله عليه وآله أول من سار على الهدى لانه اتى بذلك لتأسيسه ويقتدى بفعله قوله تعالى (١٦٤) قُلْ أَغْفِرُ اللهَ أَنْبِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٥) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (آياتان)

❦ الفة ❦

الرب اذا اطلق أفاد المالك بتصرف الشيء بأتم التصريف واذا أضيف ف قيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصرفه بأتم تصرف المباد وأصله التربية وهي تنشئة الشيء حالاً بعد حال حتى يصير الى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الأعظم والرب المالك لتدبير الشيء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال ويقال وزرير وزرناو وزرير وزرناو وهو الملقب بالوزير الذي هو الملجأ فصال الوزير كحال المتتبع الى غير ملجأ ومنه الوزير لأن الملك يتبع الى في الأمور وقيل ان أصله القتل ومنه قوله ووضعتنا عنك وزرك وكلاهما معتل وواحد الخلائف خليفة مثل صديقة وصحافة وسفينة وسفائن وخلف فلان فلانا يخلفه فهو خليفة اذا جاء بعده

❦ الإعراب ❦

في نصب درجات ثلاثة اقوال — احدها — ان يقع وقع المصدر فكأنه قال رتبة بعد رتبة — والثاني — انه الى درجات فحذفت الى كما حذفت في قولك دخلت البيت وتقديره الى البيت — والثالث ان يكون مفعولاً من قولك ارتفع درجة ورفت درجة مثل اكسنى ثوبا وكسوته ثوبا

❦ المعنى ❦

لما أمر سبحانه نبيه (ص) ببيان الاخلاص في الدين عقبه بأمره ان يبين لهم بطلان افعال المشركين فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار على وجه الانتكار (اغفر الله انبيي رباً وهرب كل شيء) وتقديره يجوز ان اطالب غير الله رباً واطلب الفوز بعبادته وهو مربوب مثلي وأترك عبادة من خلعتي ورباني وهو مالك كل شيء وخالفه ومديره وليس بربوبهم هذا قبح في القول وهو لازم لكم على عبادتكم الاوثان ولا تكسب كل نفس الا عليها) أي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة او معصية الا عليها فليها عقاب ومعصيتها ولها ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله انه لا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أتم عليه من ذلك لانه ليس يبدلني في اكتساب الاثم اكتساب غيري له لانه لا تزر وازرة وزر آخرى أي لا يحمل احد ذنب غيره ومعناه ولا يجازى احد بذنب غيره وقال الزجاج معناه لا تؤخذ نفس غير آئمة بأثم أخرى وقيل ان الكفار قالوا لتبي (ص) اتبعنا وعلمنا وزرك ان كان خطاً فأزله الله هذا وفيه دلالة على فساد قول المجرة ان الله تعالى يعذب الطفل بكفر ابيه (ثم الى ربكم مرجعكم) أي ما لكم ومصيركم (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي يخبركم بالملق فيا اختلافكم فيه فيظهر المحسن من السي (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) اخبر سبحانه

انه الذي جعل الخلق خلافت الارض ومناه ان أهل كل عصر يختلف أهل البصر الذي قبله كما مضى قرن خلفه قرن يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلفه عصر وهذا لا يكون إلا من عالم مدبر عن الحسن والسدي وجماعة وقيل المراد بذلك أمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله جعلهم الله تعالى خلفاء لسائر الأمم ونصرهم على سائر الخلق (ورفع بعضهم فوق بعض درجات) في الرزق من السدي وقيل في الصورة والعقل والعمر والمال والقوة وهذا أولى لأن الأول يدخل فيه ووجه الحكمة في ذلك مع انه سبحانه خلقهم ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من اللطائف الداعية الى الواجبات والمصارفة عن المقتضات لأن كل من كان غنيا في ماله شريفا في نسبه ربما دعاه ذلك الى طاعة من يملكه رغبة في امتثاله ومن كان على ضد ذلك ربما دعاه الى طاعته رغبة من امتثاله ورجاه أن ينقله عن هذه الحال الى حال جلية يتطبع عليها (ليلوكم فيها آثامكم) أي ليعتبركم فيها اعطاكم أي يماسكم معاملة المختبر مفاخرة في العدل وانتقاء من الظلم ومعناه لينظر الثني الى الفقير فيشكر وينظر الفقير الى الغني فيصبر ويفكر العاقل في الأدلة فيعلم ويعمل بما يعلم (ان ربك سريع العقاب) أي عاين نفسه بذلك مع ان عقابه في الآخرة من حيث ان كل ما هوأت قريب فهو إذا سريع وقيل معناه انه سريع العقاب بين اسنقه في دار الدنيا فيكون تحذيرا لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه انه قادر على تسجيل العقاب فاحذروا مصابجه بالعلاك في الدنيا (وانه لغفور رحيم) قابل سبحانه بين العقاب والفرقان ولم يتناول بالتواب لأن ذلك ادعى الى الإفلاق عما يوجب العقاب لأنه لو ذكر التواب لجاز أن يتوهم انه لم يكن منه عصيان وقيل انه سبحانه اختص السورة بالحمد على نمته تمليا وختما بالشفرة والرحمة ليحمد على ذلك

(سورة الاعراف)

هي مكية وقد روي عن قتادة والضحاك انها مكية غير قوله واستلهم عن القرية الى قوله بما كانوا يفسقون فإنها نزلت بالمدينة عدد آياتها مائتان وست آيات حجازي كوفي وخمس بصرى شامي

❦ اختلافها ❦

خمس آيات المصن ويدكم تودون كوفي عظمين له الدين بصرى شامي شفا من النار والحسني على بني اسرائيل حجازي

❦ فضلها ❦

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الاعراف جعل الله بيته وبينه ابليس سترا وكان آدم شقيما له يوم القيامة وروى البيهقي بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الاعراف في كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإن قرأها في كل يوم جمعة كان من لا يحاسب يوم القيامة قال ابو عبد الله (ع) اما ان فيها آياتا محكمة فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها عنده

❦ تفسيرها ❦

لاختتم الله سبحانه سورة الانعام بالرحمة اختص هذه السورة بأنه أنزل كتابا فيه معالم الدين والحكمة فقال

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى (١) ألمص (٢) كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنَذِرَ بِهِ وَتَحْكُمَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) أَتَنْعَمُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (ثلاث آيات كوفي وآيتان في الباقي)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر يذكرون ياء وتاء وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر تذكرون خفيفة الذال وقرأ الباقر تذكرون بتشديد الذال والكان

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي من قرأ تذكرون مشددة أراد تذكرون فأدغم في الذال وإدغامها فيها حسن لأن التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهور أزيد صوتا واقو من المهموس فحسن إدغام الألف في الأزيد ولا يسوغ إدغام الألف في الألف وما في قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهي منه بمنزلة المصدر والمعنى قليلا تذكركم ولا ذكر في الصلة يمد إليها كما لا يكون في صلة إن ذكر ومن قرأ تذكرون فإنه حذف التاء التي أدغمها من شدة الذال وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة ويقوي ذلك قولهم استطاع يستطيع فحذفوا أحد الثلاثة المتقاربة ومن قرأ يذكرون ياء وتاء فوجهه أنه مخاطبة النبي (ص) أي قليلا ما يذكركم هؤلاء

﴿ اللمعة ﴾

قد تقدم ذكر الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة البقرة وذكرنا الأفعال في معانيها وأعرابها فلا معنى لإدغامها وبيننا أن حروف المعياء توصل على نية الوقف فرقا بينها وبين ما يوصل المعاني فعل هذا متى سميت رجلا بالمص وجبت الحكاية وإن سميت بصاد أوقف لم يجب ذلك لأن صاد أوقف لها نظير في الأسماء المفردة مثل باب وفار وليس كذلك المص لأنه بمنزلة الجملة إذ ليس له نظير في المفرد وإنما عد الكوفيون المص آية ولم يدعوا صاد لأن المص بمنزلة الجملة مع أن آخره على ثلاثة أحرف بمنزلة المرفد فلما اجتمع هذان السببان وكل واحد منهما يقتضي عدله ولم يدعوا المولان آخره لا يشبه المرفد ولم يدعوا صاد لأنه بمنزلة اسم مفرد وكذلك كاف ونون ومن قال إن هذه الحروف في أوائل السور أسماء السور فعل قوله إنما سميت بها ولم تسم بالأسماء المتقولة لأنها تتضمن معاني أخر مضافة إلى التسمية وهو أنها فاتحة لما هو منها وإثنا فاصلة بينها وبين ما قبلها ولأنه يأتي من التأليف بعدها ما هو معجز مع أنه تأليف كتأليفها فنهذه المعاني من أسرارها والذكرى مصدر ذكرته كرتة كبراً فصي اسم تذكير وفيه مبالغة ومثله الرجى

﴿ الأعراف ﴾

قال الزجاج اجمع النحويون على أن قوله كتاب أنزل إليك مرفوع بنبر هذه الحروف فالمنى هذا كتاب أنزل إليك ومن قال إن كتاب يرتفع بالمص وتقديره المص حروف كتاب يلزمه اضمار شيئين فيكون المعنى المص يرض حروف كتاب أنزل إليك فيكون قد اضمر المضاف وما أضيف إليه وهذا ليس بجائز فإن قال قائل قد يقول اب ت ث ثمانية وعشرون حرفاً وإنما ذكرت أربعة فمن أين جاز ذلك قيل قد صار

اسم هذه الحروف كلها اب ت ث كما انك تقول الحمد سبع آيات فالحمد اسم جملة السورة وليس اسم الكتاب أم ولا اسم القرآن مأمس وهذا فرق بين قال والذي اخترناه في تفسير المص قول ابن عباس ان المص انا الله اعلم وافضل فيكون يرتفع بعض هذه الحروف ببعض الجملة لا موضع لها وقوله فلا يكن في صدرك حرج دخول الله فيه يحتمل وجهين ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ ان تكون عاطفة جملة على جملة وتقديره هذا صكتاب أنزله اليك فلا يكن بعد إنزاله في صدرك حرج والآخر ان يكون جوابا وتقديره إذا كان أنزل اليك الكتاب لتتذرع فلا يكن في صدرك حرج منه فيكون محولا على معنى اذا وذكى قال الزجاج يصلح أن يكون في موضع نصب ورفع وخفض فالتنصب على قوله أنزل اليك لتتذرع به ولذا ذكر به ذكرى لأن في الانذار معنى التذكير وهذا كما يقال جشك للإحسان وشوقا اليك فيكون مفعولا له واما الرفع فلي تقدير وهو ذكرى وأما الخفض فلي معنى لتتذرع لأن تنذر فيكون تقديره الإنذار ولذا كرر قال علي بن عيسى وهذا الوجه ضيف لأنه لا يجوز أن يحمل الجر على التأويل كما لا يجوز مررت به وزيد

— المعنى —

(المص) معنى تفسيره وما قيل فيه (كتاب أنزل اليك) أي هذا الذي أوحى اليك كتاب أنزل اليك أي أنزله الملائكة اليك بأمر الله تعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه) ذكر في معناه أقوال ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ ما ذكره الحسن ان معنى الحرج الضيق فمعناه ولا يضيقت صدرك لتثعب الفكر خوفا من ان لا تقوم بشيخ ما أنزل اليك حق القيام فليس عليك اكسثر من الانذار ﴿٣﴾ وثالثها ﴿٤﴾ ان معنى الحرج الشك عن ابن عباس ومجاهد وقادة والسدي فمعناه فلا يكن في صدرك شك فيما يلزمك من القيام بمحبة فأما أنزل اليك لتتذرع به ﴿٥﴾ وثالثها ﴿٦﴾ ان معناه فلا يضيقت صدرك من قومك ان يكذبوك ويضيقوك بالسوء فيما أنزل اليك كما قال سبحانه فظلك باخس نفسك على آثامهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا من الفراء وقد روي في الخبر ان الله تعالى لما أنزل القرآن إلى رسول الله (ص) قال إني أخشى ان يكذبني الناس ويثقلوا رأسي فيترسكوه كالحجارة فأزال الله الخوف عنه بهذه الآية وقوله (لتتذرع) أي بالقرآن قال الفراء والزجاج واكثر العلماء انه على التقديم والتأخير وتقديره كتاب أنزل اليك لتتذرع به (وذكرى للمؤمنين) فلا يكن في صدرك حرج منه وقال آخرون هو متصل بقوله فلا يكن في صدرك حرج منه (لتتذرع به) أي كن على اشرار صدر بالانذار ومعناه التخوف بوعده وامثاله وامره ونبيه وليذكروا بما فيه وإياها خص المؤمنين لأنهم المتشعرون به ثم خاطب الله سبحانه المكلفين فقال (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) ويحتمل ان يكون المراد قل لهم يا محمد اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم لأنه قال قبل لتتذرع به والاتباع تصرف الثاني يصرف الأول وتديره بتدبيره فالأول إمام والثاني موتم ووجوب الاتباع فيها أنزل الله تعالى يدخل فيه الواجب والتنب والمباح لأنه يجب ان يتقدي في كل منها ما امر الله سبحانه به كما يجب ان يتقدي في الحرام وجوب اجتنابه (ولا تتبعوا من دونه اولياء) أي لا تتخذوا غيره اولياء تطيعوهم في معصية الله لأن من لا يتبع القرآن صار متبعا لتير الله من الشيطان والأوثان فأمر سبحانه باتباع القرآن ونهى عن اتباع الشيطان ليطمأن ان اتباع القرآن اتباع له سبحانه (قليل ما تذكرون) أي قليلا يامشرون المشركين تذكر كم واتساعكم وهذا استبطاء في التذكر وخرج مخرج الخبر والمراد به الامر فمعناه تذكروا كثيرا

ما يلزمكم من امر دينكم وما اوجه الله عليكم ومعني التذكر ان يأخذ في الذكر شيئا جديداً مثل التفتة والتعلم
قوله تعالى (٤) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا بَأْسًا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ (٥) فَكَانَ
دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (آيتان)

— الاعراب —

كم لفظة موضوعة للتكثير ورب للتقليل وإنما كان كذلك لأن رب حرف وكم اسم والتقليل ضرب
من النفي وكم يدخل في الخبر بمعنى التكثير فأما في الاستفهام فلا لأن الاستفهام موكول إلى بيان المجهول
وإنما دخلها التكثير لأن استفهام العدد عن ان يظهر أو يضبط وإنما يكون لكثرة في غالب الأمروكم
مهمة قال الفرزدق

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاه قد حلبت علي عشاري

فدل بكم على كثرة العلات والخالات وموضع كم في الآية رفع بالابتداء وخبرها اهلكناها ولو جعلتها
في موضع نصب جاز كما تقول في قوله سبحانه افاكل شيء خلقناه بقدر والاول اجود وقيل في دخول
الفاء في قوله فبأها بأسنا بياناً مع ان الفاء لتعقيب اقوال في احدها اهلكناها في حكمنا فبأها بأسنا
والثاني اهلكناها بإرسال ملائكة المذاب إليها فبأها بأسنا والثالث اهلكناها في قوله فكم مني
فأبت نفس الأكرام هي الزيارة قال علي بن عيسى وليس هذا مثل ذلك لأن هذا إنما جاز لأنه قصد
الزيارة ثم الأكرام بها والرابع اهلكناها فصيح أنه جاءها بأسنا وقال الفراء ان الفاء هنا بمعنى
الواو ورد عليه علي بن عيسى بأنه نقل حرف عن معناه بغير دليل وذلك لا يجوز وقوله او هم قاتلون قال
الفراء واو الحال مقدرة فيه وتقديره او هم قاتلون وإنما حذف استخفافاً قال الزجاج وهذا لا يحتاج إلى
ضهير الواو ولو قلت جاءني زيد راجلاً او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتاج إلى واو لأن الذي ذكر
قد عاد إلى الاول ومعنى يأتا اي لا يقال بات يأتا حسناً وبينة حسنة والمصدر في الاصل بات يأتا وإنما
سمي البت يتا لأنه يصلح للبيت فنعى او هم قاتلون اي او جاءهم بأسنا نهاراً في وقت القاتلة فأو دخلت
ها هنا على جهة تصرف الشيء ووقوعه وامارة كذا فهي في الخبرها هنا بمنزلة او في الإباحة إذا قلت جالس
الحسن او ابن سيرين أي كل واحد منهما اهل أن يجالس وأو ها هنا احسن من الواو لأن الواو يتضمن
اجتماع الشيئين لو قلت ضربت القوم قياماً وقعوداً لاوجب الواو أنك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين
ولو قلت ضربتهم قياماً او ضربتهم قعوداً ولم تكن شاكاً فإنها المنى أنك ضربتهم مرة على هذه الحال ومرة
على هذه الحال وأقول أن الاولى أن يكون بياناً مصدراً وضع موضع الحال فيكون بمعنى باتين او قاتلين
فيكون حالاً عن المأاء والميم في جاءهم وموضع ان قالوا الاختيار أن يكون رفاً وأن يكون دعواهم في موضع
نصب كقوله وما كان جواب قوله إلا أن قالوا ويجوز أن يكون في موضع نصب ويكون الدعوى في
موضع رفع إلا أن الدعوى إذا كانت في موضع رفع فلاكثر في اللفظ فاما كانت دعواهم كذا لأن الدعوة
موتة وهي اسم لما تدعيه وتصلح أن تكون بمعنى الدعاء حكى سيبويه اللهم اشر كننا في صالح دعوى
المسلمين وانشد (ولت ودعواها كثيراً صنيح) اي دعواها

- المعنى -

لما تقدم الامر منه سبحانه المكلفين باتباع القرآن والتحذير من مخالفة والتذكير عقب ذلك بتذكيرهم ما نزل به من العذاب وتحذيرهم ان ينزل بهم ما نزل بأولئك فقال (وكم من قرية) أي من أهل قرية فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (اهلكناها) بمذاب الاستئصال (فجاءها بأسنا) أي عذابنا (ياتا) بالليل (أو هم قاتلون) أي في وقت القتل وهي نصف النهار واصله الراحة ثم الإقالة في البيع لانه الراحة منه بالإعفاء من عهده والأخذ بالشدّة في وقت الراحة اعظم في العقوبة فذلك خص الوقين بالذكر (فا) كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا) أي لم يكن دعاء هؤلاء الذين اهلكناهم عقوبة لهم على ما صيهم وكفرهم في الوقت الذي جاءهم شدة عذابنا (إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) يعني اعترفهم بذلك على نفوسهم واقراءهم بهذا القول كان منهم عند معاناة البأس والتيقن بأنه ينزل بهم ويميز أن يكونوا قالوه حين لا يسهم طرف منه ولم يكونوا بعد وفي هنا دلالة على ان الاعتراف والتوبة عند معاناة البأس لا يرفع

قوله تعالى (٦) فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسِلِينَ (٧) فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ مَا يَكُونُ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٨) وَأَلْزَمْنَا بَوْمِيذَ الْحَقِّ فَمَنْ قُلْتُ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنْظَرُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَأْتِيَانَا يِظْلِمُونَ (أربع آيات)

* الفقه *

السؤال طلب الجواب بأدائه في الكلام كان الاستخبار طلب الخبر بأدائه في الكلام والقصاص ما يتلو بعضه بعضاً ومنه القصص لأن قطعه يتلو بعضه بعضاً ومنه القصة من الشر والقصة من الكتاب ومنه القصص لأنه يتلو الجنابة في الاستحقاق ومنه المقاصة في الحق لأنه يسقط ماله قصاصاً عليه والوزن في الفقه هو مقابلة أحد الشئين بالآخر حتى يظهر مقداره وقد استعمل في غير ذلك تشبيهاً به فنهنا وزن الشر بالعرض ومنها قوله فلان وزن كلامه وزنا قال الاخل

وإذا وضعت أباك في ميزانهم وجسوا وشال لبوك في الميزان والحق وضع الشيء موضعه على وجه تقتضيه الحكمة وقد استعمل مصداقاً على هذا المعنى وصفة كما جرى ذلك في الدل قال الله سبحانه ذلك بأن الله هو الحق فجرى على طريق الوصف والتثنية جارية عن الاعتدال اللازم سفلاً وتقيضه الخفة وهي الاعتدال اللازم علواً

* الإعراب *

الفاء في قوله فلنسلن عاطفة جملة على جملة ولما دخلت الفاء وهي موجبة للتنقيب مع تراخي ما بين الأول والثاني وذلك يلقى بشئ لتعريب ما بينهما كما قال سبحانه اقتربت الساعة وقال وما امر الساعة إلا كلعب البصر أو هو اقرب وقال ألم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وإذا ظرف المفاجأة بينهما بعد يومئذ يجوز فيه الإعراب والبناء لأننا ضافته الي مني إضافة غير عضة تقربه من الاسم المركبة وإضافته الى الجملة تقربه من الإضافة الحقيقية ونون لأنه قد قطع عن الإضافة إذ من شأن التنوين ان يعاقب الإضافة

﴿ المعنى ﴾

ولما أنذرهم سبحانه بالعتاب في الدنيا عقبة بالانذار بعتاب الآخرة فقال (فلنسلن الذين ارسل اليهم ولنستلن المرسلين) اقسام الله سبحانه انه يسأل المكلفين الذين ارسل اليهم رسلا واقسم ايضا انه يسأل المرسلين الذين بشتم فيسأل هؤلاء عن الابلاغ ويسأل أولئك عن الامثال وهو تعالى وإن كان علما بما كانت منهم فإنما أخرج الكلام مخرج التهديد والزجر ليتأهب العباد بحسن الاستعداد لذلك السؤال وقيل انه يسأل الأمم عن الاجابة ويسأل الرسل ماذا عملت أممهم فيما جاؤا به وقيل ان الأمم يسألون سؤال توبيخ والاثنياء يسألون سؤال شهادة على الحق عن الحسن واما فائدة السؤال فاشياء منها أن يعلم الخلق انه سبحانه ارسل الرسل وأزاح العلة وانه لا يظلم احدا ومنها ان يعلموا ان الكفار استحقوا العتاب بأفعالهم ومنها ان يزداد سرور أهل الايمان بالثناء الجميل عليهم ويزداد غم الكفار بما يظهر من افعالهم القبيحة ومنها ان ذلك لطف للمكلفين إذا أخبروا به وبما يسأل على هذا ان يقال كيف يصح بين قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فيومثلا لا يسأل عن ذنبه انس ولا جاث وقوله فلنسلن الذين ارسل اليهم فوربك لنستلنهم اجمعين والجواب عنه من وجوه ﴿ احدها ﴾ انه سبحانه نفي ان يسألهم سؤال استرشاد واستعلام وإنما يسألهم سؤال تبيك وتقريع ولذلك قال عقبيه يرف المجرمون بسيماهم وسؤال الاستعلام مثل قوله أين زيد ومن عندك وهذا لا يجوز على الله سبحانه وسؤال التوبيخ والتقريع كن يقول ألم أحسن اليك فكفرت نعمتي ومنه قوله ألم اعد اليكم يا بني آدم ألم تكن آياتي تتلى عليكم وكنفقول الشاعر (أطربا وانت قنصري) أي فكبير السن وهذا توبيخ منه لنفسه أي كيف اطرب مع الكبر والشيب وقد يكون السؤال لتقريع كفول الشاعر

الستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أي أنتم كذلك وفي حذو قوله « وهل يصلح الطار ما أفسد الدهر » أي لا يصلح واما سؤال المرسلين فليس بتقريع ولا توبيخ لم ولكنه توبيخ لكفار وتقريع لهم « وثانيها » انهم لا يسألون يوم القيامة كما قال وقومهم انهم مسؤولون ثم تنقطع مسألتهم عند حصولهم في العقوبة وعند دخولهم النار فلا تنافي بين الخبرين بل هو اثبات لسؤال في وقت ونفي له في وقت آخر ﴿ وثالثها ﴾ ان في القيامة مواقف فني بعضها يسأل وفي بعضها لا يسأل فلا تضاد بين الآيات وأما الجمع بين قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله واقبل بعضهم على بعض يتسألون فهو ان الأول معناه لا يسأل بعضهم بعضا خوفا استخيارا عن الحال التي جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه والثاني معناه يسأل بعضهم بعضا وسؤال تلاوم وتوبيخ كما قال في موضع آخر يتلامون وكنفقوله أغثن صدنا كم عن الهدى إلا بما مثل ذلك كثير في القرآن ثم بين سبحانه ما ذكرناه من انه لا يسألهم سؤال استعلام بقوله (فلنقصن عليهم) أي لنخبرنهم بجميع افعالهم ليعلموا أن اعمالهم كانت مخوفة وليعلم بكل منهم جزاء عمله وانه لا ظلم عليه ولينظر لاهل الوقت احوالهم (يعلم) قيل معناه قص عليهم اعمالهم بأننا عالون بها وقيل معناه يعلمون كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه أي من معلومه وقال ابن عباس معنى قوله فلنقصن عليهم يعلم ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (وما كنا غائبين) عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا وعن

الأسمة فيها أجابوا وذكر ذلك مؤكداً له بأحوالهم والمعنى انه لا يخفى عليه شيء (والوزن يومئذ الحق) ذكر فيه اقوال «احدها» ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه لا ظلم فيها على احد عن معاهد والضحاك وهو قول البجلي «وثانيها» ان الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة فوزن به اعمال العباد الحسنات والسيئات عن ابن عباس والحسن وبه قال الجبائي ثم اختلفوا في كيفية الوزن لأننا لا نأمل اعراض لا يميز عليها الاعادة ولا يكون لها وزن ولا تقدم بأنفسها قبل توزن صفات الاعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة وقيل يظهر علامات الحسنات وعلامات السيئات في الكفتين فيراها الناس من الجبائي وقيل يظهر الحسنات صورة حسنة والسيئات صورة سيئة عن ابن عباس وقيل توزن نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عبيد قال يوثق بالرجل العظيم الحية فلا يزن جناح بعوضة «وثالثها» ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كما قال سبحانه فلا تقي لم يوم القيامة وزناً فمن أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح ومن أتى بالعمل السي الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر عن ابي مسلم وأحسن الاقوال القول الأول وبعبارة الثاني وإنما قلنا ذلك لأنه اشهر من العرب قولهم كلام فلان موزون وافضاله موزونة يريدون بذلك انها واقعة بحسب الحاجة لا يكون ناقصة عنها ولا زائدة عليها زيادة مضرة او داخلية في باب الميت قال مالك بن اساء الفزاري

وحديث الله هو مما ينبت الماعتون يوزن وزناً

منطق ضائب وتلحن احيا نا وخير الحديث ما كان لنا

أي يعرض في الكلام ولا يصرح به وقبل انه من اللحن الذي هو سرعة التهم والغلظة وعلى هذا فيكون معنى الوزن انه قام في النفس مساوياً لتغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين كذلك واما حسن القول الثاني فللمراعاة الخبر الوارد فيه والجري على ظاهره (فمن ثقلت موازينه) لما جمع الموازين لأنه يميز ان يكون لكل نوع من انواع الطاعات يوم القيام ميزان ويميز ان يكون كل ميزان صنفاً من اصناف اعماله ويوزن هذا ما جاء في الخبر ان الصلاة ميزان فمن وفي استوفى (فاولئك هم المفلحون) أي الفائزون بخواص الله (ومن خفت موازينه) فاولئك الذين خسروا انفسهم (بأن استحقوا عذاب الأبد «بما كانوا يأتون» يظنون) أي بجهودهم بما جاء به محمد (ص) من آياتنا وحجبتنا والخسران ذهاب رأس المال ومن اعظم رأس المال النفس فإذا أهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه

قوله تعالى (١٠) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ

(١١) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (آياتان)

« القراءة »

قرأ كل القراء معاش ينير همز وروى بعضهم عن نافع معاش ممدودا مهبوزا

« الحجة »

قال ابو علي معاش جمع معيشة واعل معيشة لأنه على وزن يعيش وزيادة زيادة تخلص الاسم دون

الفعل لم يحتاج إلى الفعل بيت الاسم والفعل كما احتيج اليه فيما كانت زيادته مشتركة نحو المهمة في الخاف وهو اخوف منك ومواقفة الاسم لبناء الفعل توجب في الاسم الاعلال الا ترى انهم اعلوا بابا ونابا ويوم راح لا كانت على وزن الفعل وصححوا نحو حول وغيبة ولومة لما لم تكن على مثال الفعل فمعشيه مواقة للفعل في البناء الا ترى انه مثل يعيش في الزنة وتكسيرا يزيل مشابهته في البناء قد علت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحد فلم يجمع فلم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ ولأن التكسير معنى لا يكون في الفعل إنما يختص به الاسم وإذا كانوا قد صححوا نحو الجولان والميمان مع قيام بناء الفعل فيه لالحته من الزيادة التي يختص بها الاسم فصحيح قولهم مما يش الذي قد زال مشابهة للفعل عنه في اللفظ والمعنى لا اشكال فيه وفي وجوب العدل عن اعلاله ومن أجل فهم فبحارزه على وجه اللفظ وهو ان معيشة على وزن مصيبة فوهما ففيلة فهزها كاهز مصائب ومثل ذلك ما يحمل على اللفظ قولهم في جمع مسيل اسملة فهوهم ففيلة وإنما هو مفعلة وذكر المحققون ان المهمة في هذه الياه إنما تكون إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف وإنما يهز الياه الزائدة لانه لا حظ لها في الحركة وقد قربت من آخر الكلمة ولزمنا الحركة فأوجبوا فيها المهمة وإذا جمعت مقاما قلت مقاوم وانشدوا

وإني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها

اللغة

التسكين اعطاه ما يصح به الفعل مع رفع المنع لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة قد يحتاج إلى آلة وإلى دالة وإلى مسبب ويحتاج إلى ارتفاع المنع فالتسكين عبارة عن جميع ذلك والجلل إيجاد ما به يكون الشيء على خلاف ما كان عليه مثل ان تقول جلت السائر متحر كالأنكسفت فيها الحركة ونظيره التصيير وجعل الشيء اعم من حدوثه لأنه قد يكون بحدوث غيره ما ينشئ به والمعيشة ما يكون وصله إلى ما فيه الحياة من جهة الطعام والمشرب والملبس والخلق احدث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة والتصوير جعل الشيء على صورة من العصور والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة والسجود اصله الانخفاض وحقيقته وضع الجبهة على الأرض

الاعراب

قليلًا نصب بشكرون وتقديره تشكرون قليلًا وما زائدة ويجوز ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره قليلًا شكر

المعنى

ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتسكين في الأرض وما خلق فيها من الارزاق مضافة إلى نفسه السابقة عليهم بأنزال الكتب وارسال الرسل فقال (ولقد مكنكم في الارض) اي مكنكم من التصرف فيها وملكنكم اكلها وجعلناها لكم قرارا (وجعلنا لكم فيها معاش) اي ما تعيشون به من انواع الرزق ووجه التسم والمناقم وقيل يريد المكاسب والاقدار عليها بالعلم والقدرة والآلات (قليلًا ما تشكرون) اي ثم اتم مع هذه النعم التي امتناها عليكم لتشكروا قد قل شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق فقال (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) قال الأخفش ثم هاهنا في معنى الواو وقال الزجاج وهذا خطأ لا يميزه التحليل

وسبويه وجميع من يوثق بعلمه إنما ثم الشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق أولا فالمراد أنا ابتداء خلق آدم ثم صورناه فابتداء خلق آدم (ع) من التراب ثم وقست الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) بعد الفراغ من خلق آدم فثم إنما هو لما بعد وهذا مروى عن الحسن ومن كلام العرب فعلنا بكم كذا وكذا وهم يتنون اسلافهم وفي التنزيل وإذا أخذنا ميثاقكم ورضنا فوقكم الطور أي ميثاق اسلافكم وقد قيل في ذلك أقوال أخر منها أن معناه خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقادة والسدي ومنها أن الترتيب وقع في الأخبار فكانه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم أنا ننخيركم وإنما قلنا للملائكة اسجدوا لآدم كما يقول القائل أنا راجل ثم أنا مسرع وهذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى والقاضي أبو سعيد السرافي وغيرهما على هذا فقد قيل إن المعنى خلقناكم في اصلااب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء عن كومة وقيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع والبصر وسائر الاعضاء من بيان وقول الشاعر

سئلت ربيعة من خيرها أيا ثم أما

فقلت له فمعناه لتجيب أولا عن الاب ثم الامو قوله (فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين) قد مضى الكلام فيه في سورة البقرة

قوله تعالى (١٢) قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٣) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (آيَاتان)

❦ اللغة ❦

الصاغر الدليل بصغر القدر يقال صغر يصغر صغرا وصغارا فهو صاغر إذا رضي بالضم والصغير ومن الصغر ضد الكبير صغر يصغر قال ابن السكيت يقال فلان صغرة ولد أبيه أي اصغر

❦ الاعراب ❦

ما في قوله ما ممتك مرفوع الموضع والمعنى أي شيء ممتك ولا ملنى في قوله الاتسجد المعنى ما ممتك ان تسجد ومثله قوله سبحانه لتلا بطم ومعناه لأن يعلم وقال الشاعر

أبى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فنى لا يمنع الجود قائله

قالوا معناه أبى جوده البخل وقال أبو عمرو بن البلاء الرواية أبى جوده لا البخل بالجاء والمعنى أبى جوده لا التي تبخل الإنسان قال الزجاج وروى فيه وجه آخر حسنا وهو أن يكون لا غير لئو ويكون البخل منصوبا بدلا من لا والمعنى أبى جوده لا التي هي البخل فكانه قال أبى جوده البخل وقد قيل إنما دخل لا في قوله ألا تسجد لأن معناه ما دعاك إلى أن لا تسجد أو ما أخرجك إلى أن لا تسجد

— المعنى —

ثم حكى سبحانه خطابه لإبليس حين امتنع من السجود لآدم بقوله (قال) أي قال الله تعالى (ما ممتك ان لا تسجد) أي ما دعاك إلى أن لا تسجد وما اضطرك إليه لوما ممتك أن تسجد (إذ أمرتك) بالسجود

لأدم (قال) ابليس (اذا خيره من خلقه من نار وخلقته من طين) وهذا الجواب غير مطابق لأنه كان يجب ان يقول متخني كذا لأن قوله اتأخّر منه جواب ان يقول ايكأخبر ولكن فيه معنى الجواب ويجري ذلك جرى ان يقول القتال لتأخيره كيف كنت فيقول انا صالح وكان يجب ان يقول كنت صالحا لكنه جاز ذلك لأنه افاده صالح في الحال مع أنه كان صالحا فيما مضى قال ابن عباس اول من قاس ابليس فأخطأ القياس فمن قاس الذين بشي من رآه قرنه الله بابليس وقال ابن سيرين اول من قاس ابليس وما عبت الشمس والقمر إلا بالقائيس ووجه دخول الشبهة على ابليس انه ظن ان النار اذا كانت اشرف من الطين لم يميز ان يسجد الاشراف للادون وهذا خطأ لأن ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد وقد قيل ايضا ان الطين خير من النار لأنه أكثر منافع للخلق من حيث ان الأرض مستقر الخلق وفيها ما يشبه ومنها يخرج انواع ارزاقهم واغذية وإن يراود بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لأن الثواب لا يكون الا للمكلف المأمور دون المجاد (قال) اي قال الله سبحانه لا ابليس (فاهبط) اي انزل وانحدر (منها) اي من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل عما انت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي هي درجة متبجي امر الله سبحانه وحافظي حدوده إلى الدرجة الدنية التي هي درجة العاصين المضيعين امر الله (فايكون لك ان تكبر) عن امر الله (اي في الجنة او في السماء) فإنها ليست بوضع التكبرين وإنما موضعهم النار كما قال أنس في جهنم مثوى للتكبرين (فاخرج) من المكان الذي انت فيه او المنزلة التي انت عليها (انك من الصاغرين) اي من الأذلاء بالمصيبة في الدنيا لأن العاصي ذليل عند من عماه او بالمدح في الآخرة لأن المذنب ذليل وهذا الكلام إنما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة عن الجبائي وقيل ان ابليس رأسه معجزة تدل على ان ذلك كلام الله وقوله سبحانه فأيكون لك ان تكبر فيها لا يدل على انه يجوز التكبر في غير الجنة فإن التكبر لا يجوز على حال لأنه اظهار كبر النفس على جميع الاشياء وهذا في ضقة الباطل ذم وفي صفة الله سبحانه مدح إلا أن ابليس تكبر على الله سبحانه في الجنة فاخرج منها قسرا ومن تكبر بخارج الجنة منع من ذلك بالامر والهي

قوله تعالى (١٤) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٥) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٦) قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَ لِأَقْدَنَ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٧) ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (أربع آيات)

— الفقه —

الانتظار والامهال والتأخير والتأجيل نظائر ويتبعها فروق وضد الامهال الاعجال والبث الاعلاق في الامر والانتبات الانتلاق والبث والحشر والقشر والجمع نظائر

الاعراب

لأقصد جواب القسم والقسم عذوف لأن غرضه بالكلام التأكيد وهو ضد قوله ص والقرآن ذي الذكركانه حذف الجواب هناك وبقي القسم لأن انترض نظير القسم به ونصب صراطك على المحذوف دون الظرف وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد النهر والبطن اي على الظهر والبطن قال الشاعر

لذن بهز الكف يمسلم منته وقال آخر
فيه كما عمل الطريق الثعلب

كأنى اذ اسمى لأظفر طائرا
مع النجم في جو السماء يصوب
اي لأظفر على طائر

— المعنى —

(قال) يعني ابليس (انتظري) اي امهلي وأخرني في الأجل ولا تخني (الي يوم يمشون) اي يمش من قبورهم للجزاء وقيل معناه انتظري في الجزاء الى يوم القيامة فكانه خاف ان يواجهه الله سبحانه بالعقوبة يدل عليه قوله الى يوم يمشون ولم يقل الى يوم يموتون ومعلوم ان الله تعالى لا يبيح أحدا حيا الى يوم القيامة قال الكلبي أراد الخبيث ان لا يذوق الموت في النفخة الأولى مع من يموت فأجيب بالانتظار الى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ليدوق الموت بين النفتين وهو اربعون سنة وأما الوجه في مسألة ابليس الا ينظر مع علمه بأنه مطرود ملعون فله بأنه سبحانه يظهر الى عباده بالنعم ويصبر بالفضل والكرم فلم يصرفه ارتكابه المصيبة عن المسألة والطمع في الإجابة (قال) اي قال الله سبحانه لا ابليس (انك من المنظرين) اي من المؤخرين (قال) ابليس لما لعنه الله وطرده ثم سأله الانتظار فأجابه الله تعالى الى شيء منه (فيا اغوثي) اي فبالذي اغوثني قيل في معناه أقوال ﴿أحدها﴾ ان معناه بما عثيتني من رحمتك وبجنتك كما قال الشاعر

فمن يلقى خير ابعيد الناس أمره ومن يفور لا يمدح على النسي لا ثما
اي من يجب ﴿وثانها﴾ ان المراد امتحنتني بالسجود لآدم فثبت عنده فذلك قال اغوثي
كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم ﴿وثالثها﴾ ان معناه حكمت بنو ابني كما يقال أضللتني اي حكمت
بضلأتي عن ابن عباس وابن زيد — ورابعها — ان معناه اهلكني بملك ابائيه كما قال الشاعر

معلقة الأتقاء ليس فصيلها برازها درا ولا ميت غوى
اي ولا ميت هلاكا بالتعود عن شرب اللبن ومنه قوله فسوف يلقون غيا اي هلاكا وقالوا غوى الفصيل
اذا فقد اللبن فأت والمصدر غوى مقصور — وخامسها — ان يكون الكلام على ظاهره من التوايه ولا
يبدو ان يكون ابليس قد اعتقد ان الله تعالى يغوي الخلق بأن يضلهم ويكون ذلك من جهة ما كان اعتقده
من الشر (لا أقدر) اي لا أجس (لم) اي لا ولاد آدم (صراطك المستقيم) اي على طريقك المستوي
وهو طريق الحق لا أضلهم عنه بالاغواء حتى اصرفهم الى طريق الباطل كيدهم وعداوة وقول من قال انه
لو كان ما يضل به الايمان هو بعينه ما يضل به الكفر لكان قوله فيا اغوثي مساويا لقوله فيا اهلكتني
يفسد بأن صفة الآلة اذا وقع بها الكفر خلاص صفها اذا وقع بها الايمان وان كانت الآلة واحدة كما ان
السيف واحد يصلح لأن يستعمل في قتل المؤمن كما يصلح أن يستعمل في قتل الكافر ولا يجب من ذلك ان
تكون الصفتان واحدتين أجل انه واحد فلا يمنع ان يكون معنى استعملت آلة الايمان في الضلال والكفر نسي اغوا
وان استعمل في الايمان سميت هداية وان كان ما يصح به الايمان هو بعينه ما يصح به الكفر والضلال (ثم لا تينهم
من بين اديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شائهم) قيل في ذلك أقوال — احدها — ان المعنى من قبل دنياهم

وأخرجهم ومن جهة حسانتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج وتلخيصه اني ازين لهم الدنيا وأخوضهم بالفقر وأقول لهم لا جنة ولا نار ولا بيت ولا حساب وأبطلهم عن الحسنات واشغلهم عنها وأحبب اليهم السيئات وأخضعهم لها قال ابن عباس وإنما لم يقل ومن فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يقل من تحت ارجلهم لأن الايمان منه موحش = وثالثها = ان معنى من بين ايديهم وعن أعينهم من حيث يصبرون ومن خلفهم وعن شاتلهم من حيث لا يصبرون عن مجاهد = وثالثها = ما روي عن ابي جعفر (ع) ثم قال لا تبينهم من بين ايديهم معناه أهون عليهم أمر الآخرة ومن خلفهم أمرهم يجمع الأموال والجنل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم أفسد عليهم أمر دينهم بترزين الضلالة وتقصين الشبهة وعن شاتلهم بتحبيب الفئات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم وإنما دخلت من في القدام والخلفوعن في اليمين والشمال لأن في القدام وانلطف معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجبهة (ولا تجدد أكثرهم شاكرين) هذا اخبار من ابليس ان الله تعالى لا يبعد أكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن ان يكون قد قال ذلك من أحد وجهين إما من جهة الملائكة بأخبار الله تعالى اياهم وإما عن ظن منه كما قال سبحانه وقد صدق عليهم ابليس ظنه فإنه لما استزل آدم ظن ان ذريته ايضا سيجيونه لكونهم أضغف منه والقول الأول اخيار الجبائي والثاني عن الحسن وأبي مسلم

قوله تعالى (١٨) قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ يَبْتَغِ مِنْهُمْ لَأَمْلًا جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٩) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٢٠) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ (٢١) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ (اربع آيات)

❀ القراءة ❀

في الشواذ قراءة الزهري مذموماً على تخفيف الهزرة وقرأ ابو جعفر وشيبة سواتها بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهري وقرأ ابن محض عن هذي الشجرة

❀ الحجة ❀

الوجه في تخفيف السوات انه يحذف الهزرة ويقتي حركتها على الواو فيقال السوة ومنهم من يقول السوة وهو اردأ التنتين وأما هذي الشجرة فإنه الأصل في الكلمة وإنما الهاء في ذه بدل من الياء في ذي وأما الياء اللاحقة بعد الهاء في هذه ونحوه فزائدة لحقت بملأها وتشبها لها بهاء الاضمار في نحو سررت بهي

❀ التثنية ❀

القام الذي اشد العيب قال دامه يذامه مذموماً وذامه يذم ذمياً وذاماً فهو مذم قال الشاعر

صحتك إذ عني عليها غشاوة فلما انحلت قطعت نفسي انخيا

وفي رواية الوها والدر الدفع على وجه الهوان والإذلال دحره يدحره دحراً ودحوراً والوسوسة الدعاء الى أمر بصوت خفي كالهمهمة والخشخشة قال رؤبة

وسوس يدعو مخلصاً رب العلقى
وقال الأعمى سرا وقد أوّى تأوين العلقى

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت
كالاستمان يربح عشرق زجل
والإبداء الأظفار وهو جبل الشيء على صفة ما يصح أن يدرك وضده الاخفاء وكل شيء أزيل عنه
الساخر قضا بدي والمواراة جبل الشيء وراء ما يستره ومثله المساترة وضده المكاشفة ولم يمز ووري لأن الثانية
مدة ولولا ذلك لوجب هز الواو المضمومة والسوأة الفرج لأنه يسوء صاحبه أظهاره وأصل القسم من القسمة
قال أعمى بني نسلبة

رضي لبان ثدي أم تقاسيا
بأسهم داج عوض لا تفترق
والمقاسمة لا تكون إلا بين اثنين والقسم كان من إبليس لا من آدم فهو من باب عاقبت المص وطارت
النمل وعافاه الله وقيل إن في جميع ذلك معنى المقابلة فالمقابلة مقابلة بالجزاء وكذلك المماطة مقابلة للمرز
بالسلامة وكذلك المقاسمة مقابلة في المنازعة بالمين والنصح فقيض النفس يقال نصحته انصحته وهو اخلاص
الفاعل ضميره فيما يظهر من عمله

﴿ الإعراب ﴾

لمن تيمك منهم لأملأن اللام الأولى لا م الابتداء والثانية لام القسم ومن للشرط وهو في موضع رفع
بالإيحاء ولا يجوز أن يكون هنا بمعنى النسيء لأنها لا تغلب الماضي إلى الاستقبال وحذف الجزاء في قوله لمن تيمك
لأن جواب القسم أولى بالذكر من حيث أنه في صدر الكلام ولو كان القسم في حشو الكلام لكان الجزاء
أحق بالذكر من جواب القسم كقولك إن تاتي والله كرمك ويوزان تقول والله إن جاءك فاعرفه بمعنى لا أنسره
ولم يجوز بمعنى لا أنسره كما يجوز والله أضرب زيداً بمعنى لا أضرب ولا يجوز بمعنى لا غرين لأن الإيجاب
لا يد فيه من ثبوت التأكيّد مع اللام وإنما قال منكم على التثنية والمعنى لأملأن جهنم
منك ومن تيمك منهم كما قاله في موضع آخر وقوله إلا أن تكونا تقديره الإكرامه أن تكونا ملكين فحذف
المضاف فهو في موضع نصب بأنه مفعول له وقيل إن تقديره لأن لا تكونا ملكين فحذف لا والأول الصحيح
وقوله أني لكألمن الناصحين تقديره أني لكأنا ناصح ثم فسر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكألمن
متصلاً بالناصحين لأن ما في الصلة لا يجوز أن يتقدم على الموصول ومثله قوله وأني على ذلك من الشاهدين تقديره
وأنأعلى ذلكم شاهد ويثبه بقوله من الشاهدين

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما فعله بإبليس من الإهانة والاذلال وما آتاه آدم من الإكرام والجلال بقوله (قال
أخرج منها) أي من الجنة أو من السماء أو من المنزل الرفيع (مذموراً) أي مذموراً عن ابن زيد وقيل معيباً
عن الجرد وقيل مهاناً لعينا عن ابن عباس وقادة (مدحوراً) أي مطروداً عن مجاهد والسدي (لمن تيمك منهم)
أي من بني آدم معناه من أطاعك واقتدي بك من بني آدم (لأملأن جهنم منك) أي منك ومن ذريتك وكفار
بني آدم (أجمعين) وإنما جمعهم في الخطاب لأنه لا يكون في جهنم إلا إبليس وحزبه من الشياطين وكفار الإنس
وضلالهم الذين اقتادوا له وتركوا أمر الله لأتباعه (وبأأدم أسكن) أنت وزوجك الجنة (هذا أمر بالسكنى
دون السكنون وإنما لم يقل وزوجتك لأن الإضافة إليه قد اغتضت ذكره وأبانت عن معناه فكان الحذف
إحساناً فيه من الإيجاز من غير إخلال بالمعنى (فكلما من حيث شئتما) أباح سبحانه لهما أن يأكلما من حيث

شَاءُوا وَأَيْنَ شَاءُوا وَمَا شَاءُوا (ولا تقربا هذه الشجرة) بالأكل (فتكفونا من الظالمين) أي من الباخسين قومهم
 الثواب العظيم وقد مضى تفسير هذه الآية مشروحا في سورة البقرة (فوسوس لها) أي لا تدعوا (الشيطان)
 الفرق بين وسوس إليه ووسوس له أن معنى وسوس إليه أنه ألقى إلى قلبه للمنى بصوت خفي ومعنى وسوس له
 أنه أوجده الصيحة له سيف ذلك (ليدي لها) أي ليظهر لها (ما ووريه) أي ستر (عنه من سواتهما) أي
 عوراتهما وهذا الظاهر يوجب أن يكون إبليس علم أن من أكل من هذه الشجرة بدت عورته وأن من بدت عورته
 لا يترك في الجنة فإحتمال في إخراجها منها بالوسوسة (وقال ما نعاكم ربكنا عن هذه الشجرة) أي عن أكل
 هذه الشجرة (إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) والمعنى انه أوهمهما انها إذا أكلتا من هذه الشجرة
 تغيرت صورتها إلى صورة الملك وأن الله تعالى قد حكم بذلك وبأن لا تنبد حياتهما إذا أكلتا منها وروي عن
 يحيى بن زكريا كثير انه قرأ ملكين بكسر اللام قال الزجاج قوله مل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبل بدل
 على للملكين واحسبه قد قرأ به ويحتمل أن يكون المراد بقوله إلا أن تكونا ملكين انه أوهمهما ان المنعي عن
 تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونها فيكون كما يقول احدنا لغیر ما نهيت عن كذا إلا أن
 تكون فلانا وإنما يريد أن للمنى إنما هو فلان دونك وهذا للمنى او كد في الشبهة واليس عليها ذكره المرتضى
 قدس الله روحه (وتأصمها) أي وحلف لها بالله تعالى حتى خدعها عن قتادة (إني لكان لئالئاصمين) أي
 المخلصين الصيحة في دعائها إلى تناول من هذه الشجرة ولذلك تأكدت الشبهة عندهما إذ ظنا أن أحدا
 لا يقدر على اليمين بالله تعالى إلا صادقا فدعاهما ذلك إلى تناول الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله إلا أن
 تكونا ملكين على أن الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا لأن إبليس رغبهما بالتناول من الشجرة في منزلة الملائكة
 حتى تناولوا ولا يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة دون منزلته فيعمله ذلك على معية الله وأجاب عنه
 المرتضى بأن قال ما إنكرتم أن تكون الآية محمولة على الوجه الثاني الذي ذكرناه دون أن يكون معناها أن يتغلبا
 إلى صفة الملائكة وإذا كانت الآية محتملة لما ذكره أيضا فما يرفع هذه الشبهة أن يقال ما إنكرتم أن يكونا
 رغبا في أن يتغلبا إلى صفة الملائكة وخلفتهما لما رغبهما إبليس في ذلك ولا تدل هذه الرغبة على أن الملائكة
 أفضل منها لأن الثواب إنما يستحق على الطاعات دون الصور والميزات ولا يمنع ان يكونا رغبا في صور الملائكة
 وهما أنها ولا يكون ذلك رغبة في الثواب إنما يستحق على الطاعات دون الصور والميزات ولا يمنع ان يكونا رغبا في صور الملائكة
 ما يقتضي مزية في الثواب ولا الفضل

قوله تعالى (٢٢) فذلها بنور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصمضان عليهما
 من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهيكما عن لئلكما الشجرة وأقل لئلكما إن الشيطان
 لئلكما عدو مبين (٢٣) قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكونن من
 الخاسرين (٢٤) قال أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى
 حين (٢٥) قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها يخرجون (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم يخرجون يفتح التاء هاءا وفي الروم والزخرف والجاثية لا يخرجون منها يفتح
 الياء ووافقتهم بقوب وسهل هاءا وابن ذكوان هاءا وفي الزخرف وقرأ الباقون جميع ذلك بضم الجاء والياء

- الحبة -

من قرأ بالفتح فحسبته اتفاق الجمع في قوله إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون بفتح التاء وقوله إلى وبهم ينزلون يؤيده أيضا وقوله كما بدأكم تهودون ومن قرأ بالضم فحسبته قوله أبعداكم أنكم إذا مشهوا كنتم ترابا وعظاما إنكم تخرجون وقوله كذلك نخرج للموتى

- اللغة -

دلّاهما قيل أصله من تدلية الدلو وهو أن ترسلها في البئر والنفور اظهار التصمع اعلان الفش وأصل الترحلي الثوب يقال أطوه على غره أي على كسر طيه فالنفور بمنزلة لما فيه من اظهار حال وإخفاء حال وطلق قيل كذا بمعنى جميل يعمل ومثله ظل يعمل وأجداً يعمل وأخضع أصله الضم والجمع ومنه خضع الثمل والمخضع للقب الذي يخضع به الثمل ومنه قوله النبي صلى الله عليه وآله لكنه خاضع الثمل في الحجرة يعني عليها (ع) والإخضاع سرعة الدلو لانه يقطعه بسرعة والبعض هو احد قسمي العدة فأحد قسمي الشجرة بضها واحد قسمي الإثنين كذلك ولا بعض الواحد لأنه لا ينقسم قال علي بن عيسى العنود هو الثاني بصرته في وقت الحاجة إلى معونته والولي هو الداني بصرته في وقت الحاجة إليها والمستقر هو موضع الاستقرار وهو أيضا الاستقرار بمنته لأن المصدر يجي على وزن المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل للاستلزام والحين الوقت قصيرا كان أو طويلا إلا انه استعمل هنا على طول الوقت وليس بأصل فيه

* المعنى *

(فدلّاهما بفنور) أي أوقفهما في المكروه بأن غرهما بيمينه وقيل معناه دلّاهما من الجنة إلى الأرض وقيل معناه غلّاهما وخلّاهما من قولهم تدلى من الجبل أو السطح إذا نزل إلى جهة السفلى من أي مبدية أي حطاهما عن درجتها بفنوره (فلما ذاقا الشجرة) أي ابتدأا بالأكل وتالاهما شيئا يسيرا ولذلك أتى بلفظة ذاقا عبارة عن أنها تناولوا شيئا قليلا من ثمرة الشجرة على خوف شديد لأن الذوق ابتداء الأكل والشرب ليعرف الطعم وفي هذا دلالة على أن ذوق الشيء المحرم يوجب الندم فكيف استيقاؤه وقضاء الوطرسه (بدت لهما سرائرها) أي ظهرت لهما عوراتهما ظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه قال الكلبي فلما اكلا منها تهافتا لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما سرائرها صاحبه فاستحيا (وطفقا يحصقان عليهما من ورق الجنة) أي أخذتا يحصلان ورقة على ورقة ليسترأ سرائرها عن الزجاج وقيل معناه جلا يرتقان وبصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهية الثوب عن قتادة وهذا إما كان لأن المصلحة اقتضت إخراجهما من الجنة وإهابها إلى الأرض لاعلى وجه العقوبة فإن الأنبياء لا يستحقون العقوبة وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة (وناداهما ربهما ألم أنهكما من تلكما الشجرة) أي من تلك الشجرة لكنه لما خاطب اثنين قال تلكما والكاف حرف الخطاب (وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) ظاهر المعنى (قالا) أي قال آدم وحوا عالتهما الله سبحانه ووجهها على ارتكاب الذمهي عنه (ربنا ظلمنا أنفسنا) ومعناه نجسناها الثواب بترك المندوب إليه فانظلم هو النفس ومن ذهب إلى أنها فعلا صغيرة فإنه يحمل الظلم على تنقيص الثواب إذا كانت الصغيرة عنده تنقص من ثواب الطاعات فأنما من قال إن الصغيرة تقع مكفرة من غير أن تنقص من ثواب فاعلم شيئا فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت في الآية فائدة ولا خلاف أن حوا وآدم لم يستحقا العقاب وإنما قالا ذلك لأن من جل في الدين قدمه أكثر على يسير الزلل ندمه وقيل معناه ظلمنا أنفسنا بالتزول إلى الأرض ومفارقة العيش الرغد (وإن لم تنقر لنا) معناه وإن لم تنقر علينا لأن المنقرة هي السرة على ما تقدم بيانه (وترحنا) أي ولم تنفض طيننا بتمسك التي يتم بهما فواتنا نفوسنا من الثواب وبضروب فضلك (لتكونن من الخاسرين) أي من جملة من خسروا ولم يربحوا والإنسان يصح أن ينظم نفسه بأن

يدخل عليها ضرراً غير مستحق فلا يدفع عنها ضرراً أعظم منه ولا يجلب به منفعة توفى عليه ولا يصح أن يكون مقابلاً لنفسه (قال أبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) قد مر تفسيره في سورة البقرة قال الله تعالى (فيها تحيون) أي في الأرض تعيشون (وفيها تموتون ومنها تخرجون) عند البعث يوم القيامة قال الجبائي في الآية دلالة على أن الله سبحانه يخرج المباد يوم القيامة من هذه الأرض التي حيوا فيها بعد موتهم وأنه ينفيها بعد أن يخرج المباد منها في يوم الحشر وإذا أراد إخراجها زجرهم عنها زجرة فيصرون إلى أرض أخرى يقال لها الساهرة وتبقى هذه كما قال فلذا هم بالساهرة

قوله تعالى (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِكُلِّسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ (٢٧) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٨) وَإِذَا قُلُوا فَاخْشَعُوا قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَلَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (ثلاث آيات)

﴿ القوله ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي أما النصب فلأنه حمل على انزل أي أنزلنا عليكم لباسا ولباس التقوى وقوله ذلك على هذا مبتدأ وخبره غير ومن رفع فقال ولباس التقوى قطع اللباس من الأول واستأنف به فجملة مبتدأ وذلك صفة او بدل او عطف بيان ومن قال إن ذلك لم يكن على قوله دلالة لانه يجوز أن يكون على احدا ما ذكرنا وخبر خبر اللباس والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه إذا اخذ به واقرب له إلى الله تعالى مما خلق له من اللباس والريش الذي يتجمل به واضيف اللباس إلى التقوى كما اضيف في قوله فإذا نهاه الله لباس الجوع إلى الجوع والحرف

﴿ اللفظة ﴾

اللباس كل ما يصلح للباس من ثوب او غيره من نحو الدرع وما ينشئ به البيت من نطم أو كسرة واصله الصدر تقول لبسه يلبسه لبسا ولباسا ولبا بكسر اللام قال الشاعر

فلما كشفن اللبس عنه مسحته بأطراف طفل زان غيلا موشيا

والليل الساعد الريان الممتلئ والريش والاقلت متاع الليث من فراش او دثار وقيل الريش ما فيه الجبال ومنه ريش الطائر وقيل انه المصدر من ريشه يريشه وريشا وتشديديه

ريشي منكم وهو اي معكم وإن كانت زيارتكم لماما

قال الزجاج الريش كل ما يستر الرجل في جسده ومعيته يقال ريش فلان أي صار له ما يمشي به وتقول العرب اعطيت رجلا بريشه اي بكسوته وقال ابو عبيدة الريش والريش ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار امتحنته وقلب فائق اي مقترن قال الشاعر

رخيم الكلام قطيع أقيام امسى فو ادسيه بها فانتا

القبيل الجماعة من قبائل شتى فلماذا كانوا من اب ولم واحد فهم قبيلة

المعنى

لما ذكر سبحانه نعمته على بني آدم في تروثه الدار والستر عقبه بذكر النعمة في الملابس والستر فقال (يا بني آدم) وهو خطاب عام لجميع اهل الازمنة من المكلفين كما يصح الإنسان ولدوه وولد ولدته بتقوى الله ويجوز خطاب المذموم إذا كان من المعلوم انه سيوجد ويتكامل فيه شروط التكليف (قد أنزلنا عليكم لباساً) قيل انه أنزل ذلك مع آدم وحواء حين امرا بالانهاض عن الجبائي وهو الظاهر وقيل معناه انه بنيت بالبطر الذي ينزل من السماء عن الحسن وقيل لأن البر كانت ينسب إلى انها تأتي من السماء. كقوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد عن علي بن عيسى وقيل معنى أنزلنا عليكم أطيناكم ووهبنا لكم وكل ما اعطاه الله تعالى لبعده فقد أنزله عليه ليس ان هناك علوا وسفلا ولكنه يجري مجرى التعظيم كما يقال رقت حاجتي إلى فلان ورفعت قضيتي إلى الأمير عن ابي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما قال وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وأنزلنا الحديد من ابي علي الفارسي (يوارى سرائركم) أي يستر عوراتكم (وريشاً) أي أثاثاً عما تحتاجون اليه وقيل مالا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل جمالا عن ابن زيد وقيل خصباً ومما شاعن الأخرى وقيل غيراً وكل ما قاله المفسرون فإنه يدخل فيه إلا ان كلامهم خص بعض الخير بالذكر (ولباس التقوى) هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسيكم التقوى عن الحسن وقيل هو ثياب النكح والتواضع إذا اقتصر عليه لباس الصوف والحش من الثياب عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب السدوع والمقرو والالآت التي يتقى بها من السوء عن زيد بن علي بن الحسين (ع) رآني مسلم وقيل هو خشية الله تعالى من عروة بن الزبير وقيل هو ستر العورة يعني الله فيولدي عورته عن ابن زيد وقيل هو الإيمان من قتادة والسدي ولا مانع من حمل ذلك على الجميع (ذلك خير) أي لباس التقوى خير من جميع ما يلبس (ذلك من آيات الله) أي ذلك الذي خلقه الله وأنزله من جميع الله التي تدل على توجيه (لهمم يذكرون) معناه لكي يشكروا فيها فيؤمنوا بالله ويصبروا إلى طاعته ويتقوا من معاصيه ثم خاطبهم سبحانه مرة أخرى فقال (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان) أي لا يضلكم من الدين ولا يصرفكم عن الحق بأن يدعوكم إلى المعاصي التي قبل اليها النفوس وإنما صح أن ينهي الإنسان بصيغة التثنية للشيطان لأنه ابلى في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا بالمكروه ويقصدنا بالمداوة قاله له يدخل فيه التهيئ لنا من ترك التحذير منه (كما اخرج أبو بكر من الجنة) نسب الاخراج اليه لا كان باغوائه وإن كان خروجاً بأمر الله تعالى وجري ذلك مجرى ذمه لقروهم بأنه ينجس ابتاههم ولما أمر بذلك وتحقق التمس فيها راجع إلى فعل المذموم ولكنه يذكر بهذه الصفة لبيان مقله فعله في عظم الناحشة (يقزع عنها) عند وسوسته ودعائه لها (لباسها) من ثياب الجنة وقيل كان لباسها الظفر عن ابن عباس أي كان شبه الظفر وعلى خلقته وقيل كان لباسها ثوباً عن وهب بن منبه (ليريهما سرائركم) عوراتهما (انه) يعني الشيطان (يواكمهم ووقيه) أي ينسله عن الحسن وابن زيد يدل عليه قوله استخفونته وخديته اولياً. من دوني وقيل جنوده واتباعه من الجن والشياطين (من حيث لا ترونهم) قال ابن عباس إن الله تعالى جعلهم يحجرون من بني آدم مجرى الدم وصوره بني آدم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال قتادة والله ان عدواؤك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله وإلغنا قال ذلك لا إذا كنا لا نراه لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والأغواء فينبغي أن تكون على حذر فيما تجده في انفسنا من الوسواس خيفة أن يكون ذلك من الشيطان وإنا لإبراهيم الشراً لان اجسامهم شفاقة لطيفة تحتاج روثيتها إلى فضل شماع وقال ابن الهذيل وابو بكر بن الاخشيد يجوز أن يكتمهم الله تعالى فيتكشفوا فبراهم حينئذ من يحضرهم واليه ذهب علي بن عيسى وقال اتهم مكنون من ذلك وهو الذي نصره الشيخ الفيد أبو عبد الله رحمه الله قال الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه وهو الأقوى

عندي وقال الجاني لا يجوز أن يرى الشياطين والجن لأن الله عزاسمه قال لا ترونهم وأنا يجوز أن يروا في زمن الانبياء بأن يكشف الله اجسادهم على الانبياء كما يجوز أن يرى الناس الملائكة في زمن الانبياء (إنا جعلنا الشياطين أولياء، لئلا يؤمنوا) أي حكمنا بذلك لانهم يتناصرون على الباطل كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اتاناي حكموا بذلك حكما باطلا وأنا خص الذين لا يؤمنون تنبيها على انهم مع اجتهداهم لا يتمكنون من خيال المؤمنين المتيقنين منهم ولو أنهم يتمكنون من الكفرة والجهال والفسقة الاغفال (ولو أن فلوا فاحشة) كتي به عن المشركين الذين كانوا يبدون سوءاتهم في طوافهم فكان يطوف الرجال والنساء عراة يقولون تطوف كما ولدتنا أمهاتنا ولا تطوف في الثياب التي صارنا فيها الذنوب وهم الحس قال القراء كانوا يعملون شيئا من سيور مقطعة يشدونهم على حقوبهم يسمى حوقا وإن صل من صوف يسمى رهطوا وكانت تضم المرأة على قبلها النسمة فتقول

اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله

يعني الترج لان ذلك يستر سترأ تاما وفي الآية حذف تقديره وإذا فعلوا فاحشة فهوها عنها (قالوا وجدنا عليها آياتنا) قيل ومن أين اخذها آياتكم قالوا (الله امرنا بها) اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم إذا فعلوا ما يظلم قبحه اعتدوا لنفوسهم إنا وجدنا آياتنا يظلمونها وإن آياتهم فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن انهم كانوا أهل اجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فهذا قالوا والله امرنا بها فرد الله سبحانه عليهم قولهم بأن قال (إن الله لا يأمر بالفسح) ثم انكر عليهم من وجه آخر فقال (اتقولون على الله ما لا تعلمون) لأنهم إن قالوا لنقضوا مذهبهم وإن قالوا انهم اقتضوا في قولهم قال الزجاج اتقولون على الله مناه التكذيب عليه

قوله تعالى (٢٩) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٣٠) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (آيتان) تمام الآية الأولى تعودون عند الكوفي ومخلصين له الدين عند البصري

❦ القصة ❦

اصل القسط العدل فإذا كان على جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين، وإذا كان الى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله وأما القاسطون فكانوا لجنم حطب واصل الاخلاص اخراج كل شائب من الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه البادة اليه خالسا دون غيره والبداء فعل الشيء أول مرة والورد فعله في المرة وقد يكون فعل أول خصلة منه يده كبد الصلاة وبدء القراءة وبدأ وأبدأ لثتان والفريق جماعة انفصلت من جماعة والاتخاذ افتحال من الأخذ بمعنى اعداد الشيء لأمر من الأمر والحسان بمعنى الظن وهو ما قرى عند الثقات كون الظنون على ما ظنه مع تعريضه ان يكون على غيره فبالقوة يتبين من انتقاد التقليد والتبجيت والهجيز يتبين من العلم لأن مع العلم التطلع

❦ الإعراب ❦

وأقيموا عطف على ما تقدم من قوله لا يفتنكم الشيطان فتدبروا احذروا للشيطان وأقيموا ووجوهكم عن الي مسلم وقيل ان تقديره أمر ربي بالقسط وقيل وأقيموا وقوله كما بدأكم قال ابو علي الفارسي تقديره كما بدأ خلقكم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه المقامه نصار المخاطبون فاعلين وفريقا حق عليهم الضلالة نصبه ليحلف فعلا على فعل وتقديره وفريقا أضل فأضر أضل لأنه

قد فسر ما بعده فافتي عن ذكره ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمة والتالين أعد لهم عذابا أليما وقال القراء فريقا منصوب على الحال من تومدون وفريقا الثاني عطف عليه ولودقم على تقدير أحدهما كذا والآخر كذا ليعازر كما قال قد كان لكم آية في فتنة الثقتا فنة تقتال في سبيل الله وأخرى كافرة

— المعنى —

لما بين سبحانه أنه لا يأمر بالمشاء وهو اسم جامع للضائع والسيئات عقبه ببيان ما يأمر به من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات فقال (قل) يا محمد (أمر ربني بالقسط) أي بالعدل والاستقامة من مباحده السدي واكثر المفسرين وقيل بالترحم من الضحك وقيل بلا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب من أبي مسلم (وأقموا وجوهكم عند كل مسجد) قيل فيه وجوه ﴿ أحدها ﴾ ان متأنقوها إلى قبة كل مسجد في الصلاة على استقامة من مباحده السدي وابن زيد ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه أقموا وجوهكم إلى الجهة التي أمركم الله بالترجى إليها في صلاتكم وهي الكعبة المراد بالمسجد أوقات السجود وهي أوقات الصلاة عن الجبائي وغيره ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد اذا ادركم الصلاة في مسجد فصلوا ولا تقولوا حتى ارجع إلى مسجدي والمراد بالمسجد مريض السجود من القراء وهو اختيار القرني ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه اقصو المسجد في وقت كل صلاة أمر بالعبادة لما نداء عند الاكرين وحشا عند الاقلين ﴿ وخامسها ﴾ ان معناه انصروا وجوهكم لله تعالى في الطاعة فلا تشركوا به وثنا ولا غيره عن الربيع (وادعوه مخلصين له الدين) وهذا امر بالداء والتضرع إليه سبحانه على وجه الاخلاص أي ارجعوا إليه في الداء بعد اخلاصكم له الدين وقيل معناه واجدوه مخلصين له الدين (كما بدأكم تومدون) قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه - أحدها - ان معناه وادعوه مخلصين فارزكم ميمونون ومجازون وان بعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا انه كما بدأكم في الخلق الأول فلأنه يمشكم تومدون إليه في الخلق الثاني - وثانيها - انه يتصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بدأكم تومدون أي فليس بشكم بأشد من أجدانكم من الزجاج قال ولما ذكره على وجه الاستباج عليهم لأنهم كانوا لا يقرون بالمشاء - وثالثها - انه كلام مستأنف أي يبيدكم بعد الموت فيجازيكم عن أبي مسام قال قتادة بدأكم من القرب وإلى تومدون كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بدأكم لا تموتون شيئا كذلك تموتون يوم القيامة ويروى عن النبي (ص) انه قال تموتون يوم القيامة مرة خلة فبدأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه تموتون على ما متم عليه المؤمن على ليلاته والكافر على كفره من ابن عباس وجابر (فريقا) أي جماعة (هدى) أي حكم لهم بالاعتقاد بقبولهم الهدى أو لطف لهم بما اعتدوا عنده أو هداهم إلى طريق الثواب كما تكرر بيانه في مواضع (وفريقا حق) أي وجب عليهم الضلالة) اذ لم يقبلوا الهدى أو حق عليهم الخذلان لأنه لم يكن لهم لطف ينشرح له صودهم أو حق عليهم العذاب والهلاك بقرهم ويؤيدهم القول الأخير انه سبحانه ذكر الهدى والخلال بعد البرد والبث ثم قال (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) بين سبحانه انه لم يبدأهم بالقربة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان وإنما اتخذوهم أولياء بظاعتهم لهم فيها دحهم إليه (ويحسبون انهم مهتدون) ومعناه وهم مع ذلك يظنون انهم في ذلك على هداية وحق

قوله تعالى (٣١) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣٢) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّقَاقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ فَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (آيَاتان)

❦ القراءة ❦

قرأ تأتم وحده خالصة بالرغم والباقون بالنصب

❦ الحجة ❦

قال ابو علي من دفعه جله خبر المبدأ الذي هو هي ويكون للذين آمنوا تبيناً للخلوص ولا شيء فيه على هذا ومن قال هذا حلر حاض امكن أن يكون للذين آمنوا خيراً وخالصة خبر آخر ومن نصب خالصة كان حالاً بما في قوله للذين آمنوا الا ترى ان فيه ذكراً يعود الى المبدأ الذي هو هي فخالصة حال عن ذلك الذكر والعمل في الحال ما في اللام من معنى الفعل وجبة من رفع ان المعنى هي تخلص للذين آمنوا يوم القيامة وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين في الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها يوم القيامة لهم وانتصاب خالصة على حال اشبه بقوله ان المتقين في جنات وعيوناً اخدين ونحو ذلك ما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره وما يجري مجراه اذا كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على ان العامل في قوله في الحياة الدنيا في تأويل الحال كأنك تقول هي ثابتة ليومئذ مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابو علي في قوله في الحياة الدنيا يشتمل ثلاثة احدها ❦ ان يكون قله في الحياة الدنيا للذين آمنوا خالصة على ان يكون خبر هي قوله للذين آمنوا ويكون في الحياة الدنيا ظرفاً للعامل فيه الظرف الذي هو قوله للذين آمنوا والتقدير هي في الحياة الدنيا ليومئذ مقدار خلوصها يوم القيامة ففي هذا الوجه يجوز تقديرها مقدمة على اللام الجاردة لأنه ظرف للذين آمنوا والظروف وان كان العامل فيها الماني فإن تقديرها عليها جائز وان لم يجوز ذلك في الاحوال ويحتمل ان يكون قوله في الحياة الدنيا متصلاً بالصلة التي هي آمنوا وهي العالمة فيه والمعنى هي للذين آمنوا في حياتهم اي للذين آمنوا لم يكفروا فيها خالصة فموضع في على هذا نصب بآمنوا ويجوز ان يكون في الحياة الدنيا في موضع حال وصلب الحال هو هي والعامل في الحال معنى الفعل وهو قوله للذين آمنوا والمعنى قل هي لم مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ولا يجوز في هذا الوجه ولا في الوجه الذي قبله تقدير تقديم في الحياة على قوله للذين آمنوا اما في الوجه الأول فلا نوله في الحياة صلة الذين ولا يجوز تقديم الصلة على الموصول وأما في الوجه الآخر فلا نوله في موضع الحال والحال لا يجوز تقديمها اذا كان العامل فيها معنى الفعل وهذا الوجه الثالث ذكره ابو اسحاق واما قراءة من قرأ خالصة بالنصب جله منصوباً على الحال على ان العامل في قوله في الحياة الدنيا على تأويل الحال الى آخر كلامه فينبغي ان تعلم ان من نصب خالصة في قراءة جاز ان يكون في الحياة الدنيا ظرفاً للذين آمنوا والعامل فيه معنى الفعل وجاز ان يكون متعلقاً بآمنوا وظرفاً له وجاز ان يكون في موضع الحال كما ذكرنا الوجهان الأولان لا يحتاج معها الى تقدير شيء حتى تعلقه بما قبله اما اذا كان ظرفاً للام الجاردة فعلى الفعل يعمل فيه كما تقول لك ثوب كل يوم واذا كان من الصلة ففعل الظاهر يعمل فيه فأما اذا جعلته حالاً فلهذا فينبغي ان تقدم فلا او اسم فاعل يكون في موضع الحال ويكون في الحياة متعلقاً به ولا يوهبك قول ابى اسحاق الذي ذكرناه انه يلزم ان يقدم قوله في الحياة الدنيا في تقدير الحال لا غير اذا جعلت خالصة منصوباً على الحال فإن الوجهين الآخرين كل واحد منهما مع نصب خالصة على الحال سائق جائز

- المعنى -

لما تقدم ذكرنا انتم الله سبحانه على عباده من لباس والرزق أمرهم في أثرها بتناول الزينة والتسرد والاقتصاد في الأكل والشرب فقال (يا بني آدم) وهو خطاب لساكن المكلفين (خذوا زينتكم عند كل مسجد) اي خذوا ثيابكم التي تزينون بها لصلاتي في الجماعات والامامات عن ابى جعفر الباقر (ع) وقيل عند كل صلاة روي المياشي بسنده ان الحسن بن علي عليه السلام كان اذا قام الى الصلاة لبس اجود ثيابه فقيل له يا ابن رسول الله لم تلبس

اجرد ثيابك فقال ان الله جميل يحب الجمال فأقبل لربي وهو يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد فأقبل ان
 البس اجرد ثيالي وقيل معناه خذوا ما تقربون به عوراتكم وانما قال ذلك لانهم كانوا يثرون من ثيابهم
 للطواف على ما تقدم بيانه وكان يطوف الرجال بالنهار والنساء بالليل فأمرتا بلبس الثياب في الصلاة والطواف من
 جماعة من المفسرين وقيل ان اخذ الزينة هو التشط عند كل صلاة دوي ذلك من الصادق (ع) (وكلوا واشربوا)
 صورته صودة الأمر والمراد الإباحة وهو علم في جميع المباحة (ولا تسرفوا) اي لا تجاوزوا الحلال الى الحرام
 قال مجاهد لو انفقت مثل احد في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مديا في معصية الله لكان اسرافا
 وقيل معناه لا تجزوا عن حد الاستواء في زيادة القدر وقد حكى ابن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال
 ذات يوم لربي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم طمان علم الأديان وعلم الأبدان
 فقال له اي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وجمع نبتا (ص)
 الطب في قوله المدة بيت الداء والحلية رأس كل دواء واعط كل بدن ما مودته فقال الطبيب ما ترك كتابكم
 ولا نبيكم جالينوس طبيا وقيل معناه ولا تأكلوا غرما ولا باطلا على وجه لا يمل وأكل الحرام وان قل اسراف
 ومجاوزة للحد وما استجبته القلاء وعاد بالضرر عليكم فهو ايضا اسراف لا يمل كمن يطبخ القند بآء الورد
 ويطرح فيها المسك وكمن لا يملك الا دينارا فاشترى به طيبا فتطيب به وترك ماله مستجيبين (انه لا يجب
 المسرفين) اي يفضهم لأنه سبحانه قد ذمهم به ولو كان معنى لا يجهلهم ولا يفضهم لم يكن ذما ولا مدحاولا
 حث الله سبحانه على تناول الزينة عند كل مسجد وفذب اليه الأكل والشرب ونهي عن الاسراف وكان قوم
 من العرب يحرمون كثيرا من هذا الجنس حتى انهم كانوا يحرمون السمون والألبان في الاحرام وكانوا يحرمون
 السائب والبخار فتركوا اسم ذلك عليهم فقال (قل) يا محمد (من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
 من الرزق) اي من حرم الثياب التي تزين بها الناس بما اخرجها الله من الأرض لعباده والطيبات من الرزق قيل
 هي المستلذات من الرزق وقيل هي المطلات والأول اظهر لخصوصها يوم القيامة للمؤمنين قل هي اللذين آمنوا
 في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابن عباس يعني ان المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا
 فأكلوا من طيبات طعامهم ولبسوا من جيد ثيابهم وتكلموا من صالح نساءهم ثم تجلس الله الطيبات في الآخرة
 للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء قال الثراء مجازة هي اللذين آمنوا مشركا في الدنيا وهي خالصة لهم
 في الآخرة وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا غير خالصة من الهوم
 والاحزان والمشقة وهي خالصة يوم القيامة من ذلك من الجبائي (كذلك تفصل الآيات) اي كما نيز لكم الآيات
 وتدلكم بها على منافعتكم وصلاح دينكم كذلك تفصل الآيات (قوم يملون) وفي هذه الآية دلالة على
 جواز لبس الثياب الفاخرة وأكل الأطعمة الطيبة من الحلال ودوى اليافيش بأستاده عن الحسين بن زيد عن محمد
 عمر بن علي عن ابيه زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام انه كان يشتري كساء الخمر يجسدين دينارا
 فإذا ضاف تصدق به ولا يرى بذلك بأسا ويقول قل من حرم زينة الله الآية وبأستاده عن يوسف بن ابراهيم قال
 دخلت على ابي عبد الله (ع) وعليه جبة خز وطيلسان خز فنظر اليي فقلت جئت فداك هذا خز ما تقول فيه فقال
 وما بأس بالخز قلت فداه ابريسم قال لا بأس به فقد أصيب الحسين (ع) وعليه جبة خز ثم قال ان عبد الله بن عباس
 لما بشه أمر المؤمنين (ع) الى الخواارج لبس أفضل ثيابه وتطيب بأطيب طيبه وركب افضل مراكمه فخرج اليهم
 فواتهم قالوا يا ابن عباس بينا أنت خير الناس اذ أتيتنا في لباس الجبابة ومراكبهم فتلا هذه الآية قل من حرم
 زينة الله الى آخرها فلبس وتجلل فلان الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال وفي الآية دلالة ايضا على
 ان الاشياء على الإباحة قوله من حرم قالسعد ورد مو كذا لا في العقل

قوله تعالى (٣٣) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٤) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (آياتان)

في الفحة

التحريم هو المنع من الفعل بإقامة الدليل على وجوب تجنبه وصدّه التحليل وهو الإعلال في الفعل بإبيان على جواز تناوله وأصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرماناً فهو محروم واحرم بالحج وحرمه الرجل زوجته واحرمات الجنائيات والمحرم القرابة التي لا يصل تزوجها وحريم الدار ما كان من محرقها والفواحش جمع فاحشة وهي اقبح القبائح وهي الكبائر والبغى الاستطالة على الناس وحده طلب التراس بالهوى من غير حق واصله الطلب وينبغي كذا أي هو أولى ان يطلب والسلطان والبرهان والبيان والفرقان نظائر وحسودها تحسفت قالبيان اظهار المعنى للنفس كل اظهار تقيضه والبرهان اظهار صحة المعنى وافساد تقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى عما التبس به والسلطان اظهار ما يتسلط به على تقيض المعنى بالابطال والامة الجداعة التي يبعثها معنى وأصلها من أمه يومه اذا قصده فالامة الجماعة التي على مقصود واحد والأجل الوقت المضروب لانتفاء المهل لأن بين القدر الأول الذي يضرب لنفس الأجل وبين الوقت الآخر مهلا مثل أجل الدين وأجل الرزق وأجل الوعد وأجل العمر

في المعنى

ثم بين سبحانه المحرمات فقال (قل) يا محمد (إنما حرم ربي الفواحش) أي جميع القبائح والكبائر عن الجبائي وإبي مسلم (ما ظهر منها وما بطن) أي ما علن منها وما خفي وقد ذكرنا ما قيل فيه في سورة الانعام ومعناه لم يحرم ربي الفواحش لما قد بينا قبل ان لفظه إنما محتمة لما ذكرنا فيه لما لم يذكر فذكر القبائح على الاجمال ثم فصل قبيان قال (والإثم والبغى) فكأنه قال حرم ربي الفواحش التي منها الإثم ومنها البغى ومنها الاشرار بالله وقيل ان الفواحش هي الزنا وهو الذي بطن منها والتحريم في الطواف وهو الذي ظهر منها عن مجاهد وقيل هي الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنعاء وما بطن طواف النساء بالليل والإثم قيل هو القنوب والمعاصي عن الجبائي وقيل الإثم ما دون الحد عن الفراء وقيل الإثم الحرام عن الحسن وانشد الاخفش

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم يذهب بالمقول
وقال آخر

نهانا رسول الله ان نقرب الحنا وان تشرب الإثم الذي يوجب الوزر
والبغى الظلم والفساد وقوله (بغير الحق) تأكيد كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقيل قد يخرج البغى من كونه ظلاماً اذا كان بسبب جائز في الشرع كالقصاص (وان تشركوا بالله) أي وحرم الشرك بالله (ما لم ينزل به سلطاناً) أي لم يمه عليه حجة وكل اشراك بالله فهو بهذه الصفة ليس عليه حجة ولا برهان (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) أي وحرم القول على الله بغير علم ثم بين تعالى ما فيه تسلية النبي ﷺ في تأخير عذاب الكفار قال (ولكل أمة أجل) أي لكل جماعة واهل عصر وقت لاستئصالهم عن الحسن

ولم يقل لكل احد لأن ذكر الأمة يقتضي تقارب اعمار أهل العصر ووجه آخر وهو انه يقتضي احلاكم في الدنيا بعد اقامة الحجة عليهم بإتيان الرسل وقال الجبائي المراد بالأجل هنا اجل العمر الذي هو مدة الحياة وهذا اقوى لأنه يعم جميع الأسم (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون) اي لا يتأخرون (ساعة) عن ذلك الوقت (ولا يستقدمون) اي لا يتقدمون ساعة على ذلك الوقت وقبل معناه لا يطلبون التأخر عن ذلك الوقت للأيسر عنولا يطلبون التقدم عليه ومعنى جاء اجلهم قرب اجلهم كما يقال جاء العصف اذا قارب وقته

قوله تعالى (٣٥) يا بني آدم إياي أنصتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن أتني وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٦) والذين كذبوا بآياتنا وأستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (آياتنا)

❦ الاعراب ❦

اما اصله ان الجزاء دخلت عليه ما ولدخلها دخلت النون الثقيلة في يأتيكم ولو قال ان يأتيكم لم يميز وقد شرحنا هذا في سورة البقرة وبيناه وقال سيويه ان حتى واما والا لا يجوز فين الإمالة لأن هذه الالفاظ ألزمت الفتح لأنها اواخر حروف جاءت لمضى ففصل بينها وبين اواخر الاسماء التي فيها الالف نحو جلى وهدى الا ان حتى كتبت بالياء لأنها على اربعة احرف فاشتبهت سكروى واما التي لتخبر شبت بأن التي ضمت اليها ما فكتبت بالالف والا كتبت بالالف لأنها لو كتبت بالياء لاشتبهت الى

❦ المعنى ❦

لما تقدم ذكر النعم الدينية عقبه بذكر النعم الدينية قال (يا بني آدم) هو خطاب يعم جميع المكلفين من بني آدم من جاءه الرسول منهم ومن جاز ان يأتيه الرسول معطوف على ما تقدم (اما يأتيكم) اي ان يأتيكم (رسل منكم) اي من جنسكم (يقصون عليكم آياتي) يعرضونها عليكم ويخبرونكم بها (فمن أتني) انكار الرسل والآيات (وأصلح) عمله وقيل فمن أتني الماصي واجنبها والتقوى اسم جامع لذلك وتقديره فمن أتني منكم وأصلح (فلا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا) اي حججنا (واستكبروا عنها) ايسر عن قبولها (أولئك أصحاب النار) الملازمون لها (هم فيها خالدون) باقون فيها على وجه الدوام والتأبيد

قوله تعالى (٣٧) فمن أظلم ممن أفترى على الله كذباً أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتروّفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (آية)

❦ الفة ❦

النيل وصول النفع الى البعد اذا اطلق فإن قيد وقع على الضرر لأن اصله الوصول الى الشيء من نلت انال نبالا قال امروء القيس

سماحة ذا وبر ذا ووفاء
 واذا سكر والتوفي قبض الشيء بتمامه يقال توفيته واستوفيته

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين قال (فن اظلم من اخرى على الله كذبا) اي لا احد اظلم منه صورته صورقا لاستفهام والمراد به الاخبار او انما جاء بلفظ الاستفهام ليكون مبلغ (او كذب بآياته) البالة على توحده ونبوة رسله (اولئك يتالهم نصيبهم من الكتاب) اي من العذاب الا انه كنى عن العذاب بالكتاب لأن الكتاب ورد به كقوله قد حقت كلمة العذاب على الكافرين عن الحسن وابي صالح وقيل معناه يتالهم نصيبهم من العسر والرزق وما كتب لهم من الخير والشرا فلا يقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربوبية وابن زيد وقيل يتالهم جميع ما كتب لهم وعليهم عن مجاهد وعطية (حتى اذا جاءهم رسلنا) يعني الملائكة اي حتى اذا استوفوا اوزارهم وجاءهم ملك الموت مع اعوانه (يتوفوهم) اي يقبضون ارواحهم وقيل معناه حتى اذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفوهم الى النار يوم القيامة عن الحسن (قالوا) يعني الملائكة (ابن ما كنتم تدعون من دون الله) من الاوثان والاصنام والمراد بهذا السؤال لئيبضهم اي هلا دفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب (قالوا) يعني قال الكفار (خلوا عنا) اي ذهبوا عنا واخذناهم فلا يقدرين على الدفع منا وطلعت صيادتنا يا ايمم (وشهدوا على انفسهم انه كانوا كافرين) اي اقروا على نفوسهم بالكفر

قوله تعالى (٣٨) قَالَ ادْخُلُوا فِي اُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْاِيْنِ وَالْاِنْسِ فِيْ اَنْبَارٍ كُلًّا دَخَلَتْ اُمَةٌ لَنْتْ اُخْتَهَا حَتَّىٰ اِذَا رَكُوعًا فِيْهَا جَمِيْعًا قَالَتْ اُخْرَانًا لَا اُولَآءُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ اَصْلُونَا فَاَنْتَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُوْنَ (٣٩) وَقَالَتْ اُولَآءُمْ لَا اُخْرَانُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُقُوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُوْنَ (آيَاتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو بكر لا يطمون بالياء والباقيون بالراء

﴿ الجية ﴾

وجه القراءة بالياء انه حمل الكلام على كل لانه وان كان المخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للنية فحمل على اللفظ دون المعنى

﴿ الفة ﴾

انخلوا انقاء الشيء عن مكانه يقال خلا عن الشيء كذلك خلت بمعنى مضت لانها اذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها الجين جنس من الحيوان مستورون عن اعين الناس لرقتهم يغلب عليهم التردد في افعالهم كما يغلب على الملك افعال الخير والضعف المثل الرائد على مثله فاذا قال القائل اضعف هذا الدرهم فمعناه اجعل معة درهما آخر لا دينارا وكذلك اذا قال اضعف الاثنين فمعناه اجعلها اربعة وحكي ان المضعف في كلام العرب ما كان ضعيفا والمضاعف ما كان اكثر من ذلك وادار كوا اصله تدار كوا

فادغمت التاء في الدال واجتلب الف الوصل ليكن التطف بالساكن الذي بعده ومناه تلاحقوا

المعنى

(قال ادخلوا) هذه حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيامة وامره لهم بالدخول ويعيرون أن يكون اخبارا عن جله اياهم في جملة اولئك من غير ان يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد انهم جملهم كذلك (في اسم قد خلت) اي في جملة اقوام وجماعات قد مضت (من قبلكم من الجن والانس) على الكفر (في النار) وقيل ان في بمعنى مع اي ادخلوا مع امم كافرة (كلما دخلت امة) من هذه الامم النار (لست اخبا) يعني التي سبقها الى النار وهي اخبا في الدين لا في النسب يريد انهم يلتمون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل يلتم الاتباع القادة والروساء اذا حصلوا في العذاب بد ما كانوا يتوادون في الدنيا يقولون انتم اوردتمونا هذه الموارد فلتنكم الله عن اي مسلم (حتى اذا ادركوا) أي تلاحقوا واجتمعوا (فيها) اي في النار (جسما) اي كان هذا حالهم حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا فيها (قالت آخراهم لا واهم) اي قالت آخراهم دخلوا النار وهم الاتباع لا واهم دخولهم القادة والروساء (دناهم لا واهلنا) اي شربوا لنا ان نتخذ من دونك إلهنا عن ابن عباس وقيل معناه دعونا الى الضلال وحلونا عليه ومنعونا عن اتباع الحق قال الصادق عليه السلام يعني ائمة الجور (فآثم عذابا مضاعفا من النار) اي قاعطهم عذابا مضاعفا قال ابن مسعود اراد بالضعف هنا الحيات والافاعي وقيل اراد بالحد الضعفين عذابهم على الكفر وبالاخر عذابهم على الاغواء (قال) الله تعالى (لكل ضعف) اي لتابع والتبوع عذاب مضاعف لأنهم قد دخلوا في الكفر جسما (ولكن لا تعلمون) ايا المضلون والمضلون ما لكل فريق منكم من العذاب (وقالت اولاهم لا خراهم) اي قال المتبوعون لتابعين (فما كان لكم علينا من فضل) اي تفاوت في الكفر حتى تطلبوا من الله ان يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وقيل معناه قالت الامة السابقة لامة المتأخرة ما كان لكم علينا من فضل في الرأي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعونا وقيل من فضل اي من تخفيف من العذاب (فدعوا العذاب بما كنتم تكسبون) من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم

قوله تعالى (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤١) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (آيتان)

القرأة

قرأ حمزة والكسائي وخلف لا يفتح بالياء والتخفيف وقرأ ابو عمرو بالتاء والتخفيف وقرأ الباقون بالتاء والتشديد وروى في الشواذ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والشعبي وابن جبير حتى يلبج الجمل بالضم والتشديد عن سعيد بن جبير في رواية اخرى وعبد الكريم وحظلة الجمل بالضم والتخفيف وعن ابن عباس ايضا الجمل بضم الجيم وسكون الميم والجمل بضمتين وعن ابن السكك الجمل بفتح الجيم وسكون الميم

الحجة

حجة من قرأ لا تفتح بالتشديد قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحجة من خفف قوله ففتحنا

ابواب السماء وأما الجبل بالضم والتشديد والجبل بالتخفيف وكلاهما الجبل الناطقة من القنب وقيل هو جبل السفينة وقيل الجبال للجموعة وأما الجبل فيجوز أن يكون جمع جبل فيكون مثل اسد واسد ووثن ووثن وكذلك المضموم أيضا كاسد ووثن قال ابن جني وأما الجبل فيسقط أن يكون مخففاً من جبل لطفة الفتحة وإن كان قد جاء عنده قوله

وما كل مبتاع ولو سلف صفقة

يراجع ما قد فاته يرداد

اللغة

السم بفتح السين وضما الثب وبته السم القاتل لأنه ينفذ بطلعه في مسام البدن حتى يصل إلى القلب فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم وسم وجهه سموم وقال الفرزدق

فقتست عن سميه حتى تنفساً وقلت له لا تخش شيئاً ورأياً

يريد بسميه شيء انفع ويصيح السم القاتل سماً وأغياط والمخطاطيرة كاللحاف والملحف والقناع والمنع والأزار والمئزر والقيام والمترم ذكره الفراء وجهن اسم من أسماء النار واشتقاقها من الجهومة وهي الخلف وقيل أخذ من قولهم بثر جهنم أي بعيد قعرها والمهاد الوطاء الذي يقرش ومنه مهد الصبي وقد مهدت له هذا الأمر أي وطأته له والتواشي جمع غاشية وهو كل ما يشاك أي يسرك ومنه غاشية السرج وفلان يشق فلاناً أي يأنيه ويلابسه

الاعراب

قال أبو علي النحويون في نحو غواشي وجوابي قولان ﴿أحدهما﴾ مذهب سيويه والخليل وهو أن الياء حذفت حذفاً لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء انتقص الاسم عن الزنة التي كان التنوين يماقيها ولا يجمع معها فدخلها وإنما حذفت هنا الياء لالتقاء الساكنين كما يحذف حرف اللين في الوقف في نحو والليل إذا يسر وذلك ما كنا نبغ وقد حذفت في الوصل أيضاً وكان الذي حسن ذلك الحذف أنها قد صارت بمنزلة الحركات لأنها قد صارت عوضاً منها بدلالة تماقيها وأنها تحذف في الموضع الذي تحذف فيه الحركة فلما قوي الحذف فيها وكثر وكان هذا الجمع خارجاً عن الأبنية الأولى وبأنها لزمت الحذف والقول الآخر ما حدث السراج عن المبرد عن المازني قال ينظر يونس النحوي وابو زيد والكسائي إلى جواردي وبابه فما كان من الصحيح لا يلحقه التنوين لم يلحقه في المعتل وما كان يلحقه التنوين في الصحيح الحقوه في المعتل قال والذي عليه البصريون هو القول الأول

المعنى

ثم عاد الكلام إلى الوعيد فقال سبحانه (أب الذين كتبوا بآياتنا واستكبروا عنها) أي تكبروا عن قبولها (لا تفتح لهم ابواب السماء) أي لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم كما تفتح لأرواح المؤمنين عن ابن عباس والسدي وقيل لا تفتح لأعمالهم ولذاتهم عن الحسن ومجاهد وعن ابن عباس في رواية أخرى وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال أما المؤمنون فخرق أعمالهم وأرواحهم إلى السماء فتفتح لهم أبوابها وأما الكافر فيصمد بسمه وروحه حتى إذا بلغ إلى السماء نادى مناد أبعطوا به إلى سجين وهو واد بحضرموت يقال له يروحوت وقيل لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة في السماء عن الجبائي

(ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) أي حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة والمعنى لا يدخلون الجنة ابتداءً مثل ابن مسعود عن الجمل قال هو زوج الناقة كأنه استجمل من سألته عن الجمل وهذا كما تقول العرب في التبعيد شيء لا أفضل كذا حتى يشيب التراب وحتى يبيض القار وحتى يؤوب القارطان قال الشاعر

إذا شاب التراب اتيت أهلي وصار القار كالابن الحليب
وقال آخر

فرجني الخير وانتظري آيائي إذا ما القارظ المعزي آيا
وتطبيق الحكم بما لا يتم وجوده ولا يتصور حصوله تأكيد له وتطبيق اليأس من وجوده (وكذلك فجزى المجرمين) أي ومثل ما جزينا هؤلاء نجزي سائر المجرمين المكذبين بآيات الله تعالى (لهم) أي هؤلاء (من جهنم مهاد) أي فراش ومضجع (ومن فوقهم غواش) مثل قوله لهم من فوقهم ظلال من النار وقيل المراد به لحف والمعنى أن النار محيطة بهم من اعلام واسفلهم (وكذلك فجزى الظالمين) قال ابن عباس يرهق الذين أشركوا به واتخذوا من دونه إلهًا

قوله تعالى (٤٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا وِزْرًا وَلَا نُكَلِّفُ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٣) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ فَخَيَّرَ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (آيَاتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ما كنا لنهتدي بشيء واو وكذلك في مصاحف أهل الشام والباقيون مع الواو وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي اورثوها مدغمة وكذلك في الزخرف وقرأ الباقيون اورثوها غير مدغمة

« الحجة »

قال أبو علي وجه الاستغناء عن حرف العطف أن الجملة ملتبسة بما قبلها فاغنى التباسا به عن حرف العطف وقد تقدم ذكر أمثاله ومن ترك الإدغام في اورثوها فتابين المخرجين وكان الحرفين في حكم الانفصال وإن كانا من كلمة واحدة إلا ترى أنهم لم يدغوا ولو شاء الله ما اقتتلوا وإن كانا مثلين لما يكونا لازمين إلا ترس أن تاء اخصل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك اورث قد يقع بعد التاء منها غير التاء فلا يجب الإدغام ووجه الإدغام أن التاء والتاء مهمتان متقاربتان فاستحسن الإدغام لذلك

﴿ الفة ﴾

التل الحقد الذي ينقل بلطفه إلى صميم القلب ومنه التلول وهو الوصول بالحيلة إلى دقيق الخبايا فتومنه التل الذي يجمع البدين والسنق بانتقاله فيهما والصدر ما يصدر من جهة التدبير والرأي ومنه قبل الرئيس صدر والجريان انتحار المانع فالأه يجرى والدم يجري وكل ما يصح أن يجري فهو مانع والنهر الواسع من مجاري الماء ومنه النهار لاتساع ضيائه والنداء الدعاء بطريقة يا فلان

- الاعراب -

لا تكلف نفسا الا وسعها جملة في موضع رفع بأنه خبر الذين آمنوا وحذف العائد الى المبتدأ فكأنه قيل منهم لا من غيرهم نحو قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه ويجوز ان يكون اعتراضا ما بين المبتدأ والخبر ويكون الخبر الجملة التي هي او تلك اصحاب الجنة واذا كان اعتراضا فلا موضع له من الاعراب وان تكلم الجنة بجوز ان يكون ان بمعنى اي لتفسير التثنية فيكون المتي نودوا على وجه التهينة بكلام هذا معناه ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والماء مضمرة والتقدير بأنه تكلم الجنة قال الشاعر

اكشره واعلم ان كلاتنا
على ما ساء صاحبه حريص

- المعنى -

لما تقدم وعيد الكفار بالخلود في النيران اتبع ذلك بالوعد للمؤمنين بالخلود في الجنات فقال (والذين آمنوا) اي صدقوا بآيات الله واعترفوا به ولو يستكبروا عنها (وعملوا الصالحات) اي ما اوجبه الله عليهم لو ندمهم اليه (لا تكلف نفسا الا وسعها) التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة من الكلفة التي هي المشقة اي لا تلزم نفسا الا قدر طاقتها وما دونها لأن الوسع دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله بين اذا جعلته خبراً لأن معناه لا تكلف احدا منهم من الطاعات الا ما يقدر عليه واذا كان اعتراضا بين الكلامين فكأنه لما وعد المؤمنين بالجنات والكافرين بالنيران بين انه لا يكلف احدا منهم الا ما في وسعه وان من استحق النار فمن نفسه اتي (او تلك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) مقيمون (ونزعنا ما في صدورهم من غل) اي واخرجنا ما في قلوبهم من حقد وحسد وعدو في الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضا وان رآه ارفع درجة منه (تجري من تحتهم الانهار) قيل انه في موضع الحال اي يجري ماء الانهار من تحت ايديهم واشجارهم في حال نزعت الغل من صدورهم وقيل هو استئناف (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) اي هدانا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بأن دلنا عليه وعرضنا له بتكليفه ايانا وقيل معناه هدانا لثبوت الايمان في قلوبنا وقيل لنزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة (وما كنا لنهتدي) لما يصيرنا الى هذا التيسير المقيم والثواب العظيم (لولا ان هدانا الله) هذا اعتراف من اهل الجنة بنعمة الله سبحانه اليهم ومعته عليهم في دخول الجنة على سبيل الشكر والتلفذ بذلك لأنه لا تكليف هناك (قد جاءت رسل ربنا بالحق) وهذا اقرار منهم بأن ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله تعالى فهو حق لا شبهة في صحته (ونودوا) اي ويؤادهم مناد من جهة الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك خطابا منه سبحانه لهم (ان تلك الجنة) اي هذه الجنة وإنما قال تلك لأنهم وعدوا بها في الدنيا فكأنه قيل لهم هذه تلك التي وعدتم بها ويجوز ان يكونوا عاينوها فقال لهم قيل ان يدخلوها اشارة اليها تلك الجنة أو رشموها اي اعطيتهموها أو رآها وصارت اليكم كما يصير الميراث لاهله وقيل معناه جعلها الله سبحانه بدلا لكم كما كان أعدكم لكفار لو آمنوا وروي عن النبي (ص) انه قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورشموها (بما كنتم تعملون) اي توحدون الله وهو مومن بقرائضه

قوله تعالى (٤٤) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنَتْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعُوقُونَ عِوَجًا وَغَمًّا بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قال الكسائي وحده نم بكسر العين كل القرآن والباقون بالفتح وقرأ اهل المدينة والبصرة ان مخففة لعنة الله بالرفع والباقون ان مشددة لعنة الله بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال الاخفش نم ونم لغتان فالكسر لعنة كناية وهذيل والفتح لعنة باقي العرب وان التي تقع بعد العلم انا هي المشددة والمخففة عنها وأذن مؤذن معناه اعلم معلم ان لعنة الله ومن خفف ان فلي اعادة اصابها القصة والحديث وتقديره لعنة الله ومثله وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين التقدير انه ولا تخف ان هذه الا واما القصة والحديث يراد منها والمكسورة اذا خففت لا يكون كذلك والفصل بينها ان المفتوحة موصولة والموصولة تقتضي صلتها فصارت لا لقضائها الصلة أشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدر بعدها الضمير الذي هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك

﴿ الإعراب والنية ﴾

قال سيبويه نم عدة وتصديق فإذا استغفمت اجبت بنم قال ابو علي والذي يريد به بقوله عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا وليس يريد انه يجتمع التصديق مع العدة الا ترعى انه اذا قال اتعطيني فقلت نم كان عدولا تصديق في هذا واذا قال قد كان كذا فقلت نم فقد صدقته ولا عدة في هذا فليس هذا القول من سيبويه كقوله في اذا انها جواب وجزاء لأن اذا يكون جوابا في الموضع الذي يكون في جزاء وقوله اذا استغفمت اجبت بنم يريد اذا استغفمت عن موجب اجبت بنم ولو كان مكان الا ييباب النفي لقلت بلى ولم تقل نم كما لا تقول في جواب الموجب بلى قال ألسن بركم قالوا بلى والذين يصدقون في موضع جر بأنه صفة للظالمين وعوجا يجوز ان يكون منصوبا بأنه مفعول به بمعنى يثرون له العوج ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر بمعنى يطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما تقول رجح الفهري اي رجح هذا الضرب من الرجوع وكذلك عند الشك في واشتمل الصا والوج بالكسر يكون في الطريق وفي الدين وبالفتح يكون في الخلقة تقول في ساقه عوج بفتح العين وفي دينه عوج بالكسر

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه ما يجري بين اهل الجنة والنار بعد استقرارهم في الدارين قال (ونادى) اي وسينادي (اصحاب الجنة اصحاب النار) اي اهل الجنة اهل النار ولما ذكره بلفظ الماضي لتجقيق المعنى جعل ما سيكون كأنه قد كان لأنه كائن لا محالة وذلك المبلغ في الردع (ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من الثواب في كتبه وعلى ألسنته (حقا قبل وجدته ما وعد ربكم) من العقاب (حقا) وانما أضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم لأن الكفار ما وعدهم الله بالجنة الا بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكأنهم لم يعدوا بالجنة

وانما سألوهم هذا السؤال لأن الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لأنفسهم من الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشأنه يريد به سرور أهل الجنة وحسرة أهل النار (قالوا نعم) أي قال أهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقاً وصدقاً (فأذن مؤذن بينهم) أي نادى مناد بينهم اسمع الفريقين (إن لعة الله على الظالمين) أي غضب الله وسخطه وأليم عقابه على الكافرين لأنه وصف الظالمين بقوله (الذين يصدون عن سبيل الله) أي يرضون عن الطريق الذي دل الله سبحانه على أنه يؤدي إلى الجنة وقيل منناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله أي دينه والحق الذي دعا إليه (ويمنونها عرجاً) قال ابن عباس منناه يصلون لتبرأ الله ويعظمون مآلهم يسخطه الله وقيل منناه يطلبون لها الوجع بالشبه التي يتبسسون بها ويوهمون أنه يقدح فيها وهي معوجة من الحق بتناقضها (وهم بالآخرة) أي بالدار الآخرة يعني القيامة والبعث والجزاء (كافرون) جاحدون وقيل في المؤذن أنه مالك خازن النار وروي عن أبي الحسن الرضا (ع) أنه قال المؤذن أمير المؤمنين علي (ع) ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره قال حدثني أبي عن محمد بن فضيل عن الرضا (ع) ورواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام أنه قال أنا ذلك المؤذن وبإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس أن علي (ع) في كتاب الله اسم لا يمرها الناس قوله فأذن مؤذن بينهم هو المؤذن بينهم يقول الامة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحبيتي

قوله تعالى (٤٦) وَيَنْهَاهَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَتَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٧) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ ثِلَاثَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (آيَاتان)

❦ الآية ❦

الحجاب الحليز المانع من الادراك ومنه قيل للضرب محبوب وحاجب الأمير وحاجب العين والاعراف الامكنة المرتفعة أخذ من عرف الفرس ومنه عرف الذهب وكل مرتفع من الأرض عرف لأنه بظهوره اعرف مما تخفى قال الشافعي

وظلت بأعراف تعالى كأنها
وقال آخر

كل كنز لحما غياف كالعلم الموفي على الاعراف

يعني تشو من الأرض والسياسة العلامة وهو فعل من سام ابله يسومها اذا ارسلها في المعنى مملعة وهي السائمة وقيل ان وزنه علفي من وسمت قلبت كما قالوا له جاء في الناس وأصله وجه وكما قالوا اضمحل وامضحل وأرض خامة أي وخيمة وفيه ثلاث لغات سيالوسيا بالقصر والمد وسيبيا على زنة كبرياء قال الشاعر «له سيبيا ما يشق على البصر» واللقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولذلك كان طرفا من ظروف المكان يقولون لقاءه فهو حذاءك والابصار جمع بصر وهو الحاسة التي يدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر ويقال له بصر بالاشياء أي علم بها وهو بصير بالأمور أي عالم

- المعنى -

ثم ذكر سبحانه الفريقين في الجزاء فقال (وبينهما حجاب) أي بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار
ستر وهو الأعراف والأعراف سور بين الجنة والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدي وفي التنزيل فضرب بينهم سور
له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب وقيل الأعراف شرف ذلك السور عن الجاني وقيل الأعراف
الصراط عن الحسن بن الفضل (وعلى الأعراف رجال) اختلف في المراد بالرجال هنا على أقوال قبل أنهم
قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فحصلوا
هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وذكر أن بكر بن عبد الله
المرزني قال للحسن بن علي أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فضرب الحسن يده على فخذه ثم قال هؤلاء
قوم جعلهم الله على تعريف أهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا أدري لعل بعضهم معاني هذا
البيت وقيل إن الأعراف موضع عال على الصراط عليه حجرة والعباس وعلي وجعفر مرفون عبيد بياض الوجوه
ومبعضهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس ورواه الثعلبي بالإسناد في تفسيره وقيل أنهم الملائكة في صورة
الرجال مرفون أهل الجنات والنار ويكونون خزنة للجنة والنار جميعا أو يكونون حفظة الأعمال الشاهدين بما في الآخرة
عن أبي مجلز وقيل أنهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل أنهم الشهداء وهم عدول الآخرة عن
الجاني وقال أبو جعفر الباق (ع) ثم آل محمد عليهم السلام لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل
النار إلا من انصروهم وانكروه وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام الأعراف كثبان بين الجنة والنار
يقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من
جندة وقد سبق المحسنون إلى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه أنظروا إلى أخوانكم المحسنين
قد سبقوا إلى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا أصحاب الجنة إن سلام عليكم ثم أخبر سبحانه
أنهم لم يدخلوها وهم يطعمون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطعمون أن يدخلهم الله إياها بشفاعته
النبي والإمام وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار فيقولون ربنا لا تقبلنا مع القوم الظالمين ثم ينادي أصحاب
الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء أهل النار مفرعين لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون هؤلاء الذين
أقسمتم يعني هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيلون بدينكم عليهم ثم يقولون هؤلاء المستضعفين
عن أمر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ويؤيده ما رواه عمر بن شبة وغيره
أن علياً (ع) قسّم النار والجنة ورواه أيضاً بإسناده عن النبي (ص) أنه قال يا علي كافي بك يوم القيامة
ويبدك عصا عوسج تسوق قوما إلى الجنة وآخرين إلى النار وروى أبو القاسم الحسكاني بإسناده رفضه
إلى الأصمعي بن نباتة قال كنت جالسا عند علي (ع) فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية قال ويحبك بالبن
الكوا بمن قف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن نصرنا عرفناه بسياء فأدخلناه الجنة ومن ابتضنا عرفناه
بسياء فأدخلناه النار وقوله (يعرفون كلا بسيماهم) يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الأعراف يعرفون
جميع الخلق بسيماهم يعرفون أهل الجنة بسيماهم المطيعين وأهل النار بسيماهم العصاة (ونادوا أصحاب الجنة)
يعني هؤلاء الذين على الأعراف ينادون بأصحاب الجنة (إن سلام عليكم) وهذا تسليم وتهنئة وضرورة
وهب الله لهم (لم يدخلوها) أي لم يدخلوا الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقادة (وهم يطعمون)

ان يدخلوها وقيل ان الطمع ههنا طمع يقين مثل قول ابراهيم والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول الحسن وابي علي الجبائي (واذا صرف ابصارهم) يعني ابصار الذين على الاعراف (تلقا أصحاب النار) الى جحيم فنظروا اليهم وانما قال صرف ابصارهم لأن نظرم نظر عدواة فلا ينظرون اليهم الا اذا صرف وجوههم اليهم (قالوا ربنا لا تبجلنا مع القوم الظالمين) اي لا تبجلنا وايامهم في النار وروي ان في قراءة عبد الله ابن مسعود وسالم واذا قلبت ابصارهم تلقا أصحاب النار قالوا ربنا عاذا بك ان تبجلنا مع القوم الظالمين وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

قوله تعالى (٤٨) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا يَخُوفُهُمْ عَلَيْهِمْ وَلَاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (آيَاتان)

[الفقرة]

التداء امتداد الصوت ورفعه ونادى نظير دعا الا ان البعاء قد يكون بلامه من غير صوت ولا كلام ولكن بإشارة تبتى من معنى تال ولا يكون النداء الا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع المكروه وهو ضد الأمن وهو الثقة بالتقاء المكروه

﴿ الاعراب ﴾

هو لاء مبتدأ وخبره الذين أقسمتم والاولى ان يكون الذين أقسمتم خبر مبتدأ محذوف التقدير أهؤلاء هم الذين أقسمتم وقوله لا ينالهم الله برحمة جواب أقسمتم وهذا داخل في صلة الذين لأن الذين هنا وصل بالقسم وجوابه ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ ان المبهم لا يوصف الا بالجنس ﴿ والآخر ﴾ انه يبقى المبتدأ بلا خبر

﴿ المعنى ﴾

ثم يرف سببانه خطاب اصحاب الاعراف لأصحاب النار قال (ونادى) اي وسينادي (اصحاب الاعراف رجلا) من اصحاب النار (يعرفونهم بسيماهم) اي بصفتهم يصنعون بأسمائهم وكناهم ويسمون رؤساء المشركين عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الملقق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا (قالوا ما اغنى عنكم جمعكم) الا اموال والعدد في الدنيا (وما كنتم تستكبرون) اي واستكباركم عن عبادة الله وعن قبول الحق وقد كنا نصنعكم فاشتقتم جميع المال وتكبرتم فلم تقبلوا منافقين ذلك المال واين ذلك التكبر وقيل مناه ما نفكم جماعتكم التي استندتم اليها وتحيركم عن الانقياد لأنبياء الله في الدنيا عن الجبائي (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) اي خلقتم الله لا يصيبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم يقولون لهؤلاء (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) اي لا خائفين ولا محزونين على اكل سرور واتم كرامة والمراد بهذا تفرغ الذين زروا على ضعفاء المؤمنين حتى خلقوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطربت أقوال المفسرين في التاثل لهذا القول قال الاكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو كلام الله تعالى وقيل كلام

الملائكة والصحيح ما ذكرناه لأنه المروي عن الصادق (ع)

قوله تعالى (٥٠) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥١) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَأُكُمْ كَمَا نَسَأُ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يُمَحِّدُونَ (آيَات)

❦ اللغة ❦

الإفاضة إجراء المائع من علومته قولهم أفاضوا في الحديث أي أضافوه من أوله لأنه بمنزلة إعلاموا أفاضوا من عرفات إلى المزدلفة صاروا إليها واللهو طلب الهيم بما لا يحسن أن يطلب به واللهب طلب المرح بما لا يحسن أن يطلب به واشتقاقه من العالب وهو المرور على غير استواء

❦ الإعراب ❦

قال إن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ثم قال حرهما ولم يقل حرمة وإن كان التقدير أفيضوا أحد هذين لأنه جاء على قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين فيجوز بحالتهما جميعا وقوله الذين اتخذوا لغير أن يكون في موضع جر صفة للكافرين ويحتمل أن يكون رضا بالابتداء فيكون اخبارا من الله تعالى على وجه الذم لهم

❦ — المني — ❦

ثم ذكر سبحانه كلام أهل النار وما ظهره من الافتقار بدلا عما كانوا عليهم الاستكبار فقال (ونادى) أي وسنادى (أصحاب النار) وهم المخلدون في النار وفي عذابها (أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) أي صبوا علينا من الماء نسكن به العطش أو ندفع به حر النار (أو مما رزقكم الله) أي أصلاكم الله من الطعام عن السدي وابن زيد (قَالُوا) يعني أهل الجنة جوابا لهم (إن الله حرهما على الكافرين) وسأل فيقال كيف يتنادى أهل الجنة وأهل النار وأهل الجنة في الساء على ما جادت به الرواية وأهل النار في الأرض وبينهما أبعد القنات من البعد وأجيب عن ذلك بأنه يجوز أن يزيل الله تعالى عنهم ما يمنع من السماع ويجوز أن يقرى الله أصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) أي أصلا دينهم الذي أمرهم الله تعالى به للهو واللهب دون الدين به وقيل مناه اتخفوا دينهم الذي كان يلزمهم التدين بالواجب من محظوراته لعبا ولهوا فحرموا ما شاءوا واستحلوا ما شاءوا بشهواتهم (وغرهم الحياة الدنيا) أي غرهم بها وبطول البقاء فيها فكان الدنيا غرهم (فالיום ننسأكم كما ننسأ لقاء يومهم هذا) أي تتركهم في العذاب كما تركوا التأهب والعمل لقاء هذا اليوم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل مناه تمامهم مملعة المنسي في النار فلا يجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم وترضوا لتسليان عن الجبائي (وما كانوا بإياتنا يُعبدون) ما في الموضوعين يعني المصدر وتقديره كنسيانهم لقاء يومهم وهذا كونه جاحدين لا يأتنا واختلف في هذه الآية قبل أن الجميع كلام الله تعالى على غير وجه الحكاية عن أهل الجنة وتم كلام أهل الجنة عند قوله حرهما على الكافرين وقيل أنه من كلام أهل الجنة إلى قوله الحياة الدنيا ثم

استأنف تعالى الكلام بقوله قال يوم تقام

قوله تعالى (٥٢) وَلَقَدْ جِئْتُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هَدَىٰ وَرَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
(٥٣) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا نَا وَبِهِ يَوْمٌ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ
رَبِّنَا بِالْحَقِّ قَهْل لَّنَا مِنْ شُغَاءٍ فَتَشَفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدِّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (آياتان)

— اللفظ —

الكتاب صحيفة فيها حروف مسطورة تدل بتأليفها على معان مفهومة والتفصيل والتبيين والتقسيم نظائر
ينظرون اية ينظرون والانتظار هو الاقبال على ما يأتي بالترقم له وأصله الاقبال على الشيء بوجه من
الوجوه والتأويل ما يؤول إليه حال الشيء والتساؤل ذهاب المعنى عن النفس واختلاف المتكلمون فيه فقال ابو
علي الجبائي انه معنى وقال ابو هاشم ليس بمعنى وإنما هو من قبيل السهو وقال القاضي هو ذهاب العلم الضروري
والله ذهب المرتضي

✽ الاعراب ✽

هدى ورجة يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون مفعولا له وقال ابو مسلم مصدروضع موضع الحال
ولو قرئ بالرفع على الاستئناف او بالجر على البدل لجاز الا ان القراءة بالنصب فيشغوا نصب لانهم جواب
الشيء بالغا، وتقديره هل يكون لنا شغاء فشغاة او نرد بالرفع على تقدير او هل نرد فنعمل اي هل يكون
لنا رد فنعمل اي فعل مناخير ما كنا عملناه

✽ المعنى ✽

لما ذكر حال الفريقين بين سبحانه انه قد أتاهم الكتاب والحجة قال (ولقد جهنهم بكتاب) وهو القرآن
(فصلناه) بيناه وفسرناه (على علم) اي ونحن علمون به ولا كانت لفظة عالم مأخوذة من العلم لجاز ان يذكر
العلم ليدل به على العالم كما ان الوجود في صفة الوجود كذلك (هدى) ورجة لقوم يؤمنون) اي دلالة
ترشدهم الى الحق ونتيجته من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين لأنهم المستفهمون به (هل ينظرون الا تأويله)
اي هل ينظرون الا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول متبة أمورهم اليه عن الحسن وقادة ومجاهدين البدي وإنما
أنشأ اليهم مجازا لأنهم كانوا جاحدين لذلك غير متوسمين له وإنما كان ينظر بهم المؤمنون لأنهم بذلك
واعترافهم به وقيل ان تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائي (يوم يأتي تأويله)
اي يوم يأتي عاقبة ما وعدوا به (يقول الذين نسوه من قبل) اي يقول الذين تركوا العمل به ترك
الناس له واعرضوا عنه عن مجاهد والزجاج (قد جاءت رسل ربنا بالحق) اعترفوا بأن ما جاءت به الرسل
كان حقا والحق ما شهد بصحته المتل (هل لنا من شغاء فيشغوا لنا) نقول ان يكون لهم شغاء يشغون
لهم في ازالة العقاب (او نرد) أي لو هل نرد الى الدنيا (فنعمل غير الذي كنا نعمل) من الشرك والمصيبة
(قد خسروا أنفسهم) اي اهلكوها بالعقاب (وصل عنهم ما كانوا يفترون) على الاصنام بقولهم انها آلهة
وانها تشفع لنا

قوله تعالى (٥٤) إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (آية)

❦ القراءة ❦

قرأ اهل الكوفة غير حفص ويعقوب بن شي بالتشديد وكذلك في الرعد والباقون بالتخفيف. وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع والباقون بالنصب

❦ الحجة ❦

قال ابو علي غشي فعل ممتد الى مفعول واحد فاذا قلته بالهمزة او بضميف العين تسدى الى مفعولين وقد جاء التنزيل بالأمسين قال فغشاها ما غشي فاما في موضع نصب بأنه المفعول الثاني وقال فغشيناهم فهم لا يصحون فهذا مفعول بالهمزة والمفعول الثاني عنف والمعنى فغشيناهم المعنى او قد الروية عنهم فاذا جاء التنزيل بالأمسين فكلا الفريقين قرأ بجاء في التنزيل وقوله يغشي الليل النهار كل واحد من الليل والنهار منتصب بأنه مفعول به والفعل قبل النقل غشي الليل النهار ولم يقل يغشي النهار الليل كما قال سرايل تبكم الحر ولم يقل تبكم البرد لعل بذلك من الفحوى ومثل هذا لا يضيق وحجة من نصب الشمس والقمر والنجوم انه حمله على خلق كما قال واسجدوا لله الذي خلقن وحجة ابن عامر قوله وسخر لكم في السموات والأرض وما في السماء الشمس والقمر فاذا أخبر بسخيرهما حسن الأخبار عنهما به كما انك اذا قلت ضربت زيدا استقام ان تقول زيد مضروب

❦ النكتة ❦

قد يتا معنى الاستواء في سورة البقرة عند قوله ثم استوى الى السماء والعرش السري ومنه ولما عرش عظيم والعرش للملك يقال نل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهي خالوة على عروشها والحديث السير السريع بالسوق واحصل البركة الثبات ومنه يراكاه الخيال

❦ الإعراب ❦

قوله حيثما يجوز ان يكون حالا من الفاعل أو المفعول أو منعا جيبا ومثله قوله فأتت به قومها تحمله فان تحمله كذلك ومثله قول الشاعر

متى ما تلقني فردين ترجف روائف اليك وتستطابرا

❦ المعنى ❦

لما ذكر سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه أحج عليهم بتجوداته ومصنوعاته ودلهم بذلك على انه لا معبود سواه فقال مخاطبا لجميع الخلق (ان ربكم الله) أي ان سيدكم مالكم ومنشكم وعدكم هو الله (الذي خلق السموات) أي انشأ أعيانها وابدعها لا من شيء ولا على مثال ثم امسكها بلا معاد يسدعها (والأرض) أي وأنشأ الأرض أوجدها كذلك (في ستة أيام) أي في مقدار ستة أيام من أيام البدنيا ولا شبهة انه سبحانه بقدر على خلق أمثال ذلك في لحظة ولكنه خلقها في هذه المدة لمصلحة ورتبعها على أيام

الأسبوع فابتدأ بالأحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فخلع عليه
سبي الجمعة عن معاهد وقيل ان ترتيب الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على ترتيب ادل على كون قاعه
علما مدبرا يصرفه على اختياره ويحيره على مشيئته وقيل انه سبحانه علم خلقه الثابت والرفق في الأمور عن
سعيد بن جبير (ثم استوى على العرش) أي استوى امره على الملك عن الحسن يعني استقر ملكه واستقام
بعد خلق السماوات والأرض فظهر ذلك للملائكة ولما أخرج هذا على المتعارف من كلام العرب كفولهم
استوى الملك على عرشه إذا انتظمت أمور مملكته وإذا اختل أمر ملكه قالوا ثل عرشه ولمل ذلك الملك
لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير أبدا قال الشاعر

إذا ما بنو مروان ثلث عروشهم
واودت كما اودت اياذ وحير

وقال

بعتية بن الحارث بن شهاب
وقيل مناه ثم استوى عليه بأن رذه عن الجاني وقيل مناه ثم قصد إلى خلق العرش عن الفراء
وجاعة واختاره القاضي قال دل بقوله ثم ان خلق العرش كان بعد خلق السماء والأرض وروي عن مالك
ابن انس انه قال الاستواء غير محمول وكيفية غير معلومة والسؤال عنه بدعة وروي عن ابي حنيفة انه قال
امرؤه كما جاء اي لا تفرو (يوشى) اي يلبس (الليل النهار) يعني يأتي بأحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمة
الليل نيرة الشاوة النهار ولم يقل ويوشى النهار الليل لأن الكلام يدل عليه وقد ذكر في موضع آخر يكور
الليل على النهار ويكور النهار على الليل (يطليه حثيثا) أي يتلوه فيذكره سريرا وهذا توسع يريد أن يأتي في
أثره كما يأتي الشيء في أثر الشيء طالبا له (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أي مذللات جاريات في
مجايرين بتدبيره وصنعه خلقن لمنافع المباد ومن قرأ مسخرات بالنصب قلنه منصوب على الحال (ألا له الخلق
والأمر) إذا فصل بين الخلق والأمر لأن فائدتها مستقلة لأنه يريد بالخلق ان له الاختراع والأمر ان له الأمر
في خلقه بما أحب ويفعل بهم ما شاء (تبارك الله) أي تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال فهو يعني تعالى بدوام
الثبات وقيل مناه تعالى عن صفات المخلوقين والمحدثين وقيل تعالى بدوام البركة أي البركة في ذكر اسمه (رب
العالمين) أي خالقهم ومالكهم وسيدهم

قوله تعالى (٥٥) ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين (٥٦) ولا
تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من
المحسنين (آياتان)

❖ القراءة ❖

قرأ أبو بكر من عاصم خفية بكسر الحاء والباقون بضمها وهما لتان

❖ الآية ❖

التضرع التذلل وهو اظهار الذل الذي في النفس ومثله التضعف ومنه التطلب لأن من الأمور اواصل التضرع
الميل في الجهات ذلا من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرا إذا مال باصبعه يميناً وشمالاً ذلا وخوفا ومنه ضرع الشاة
لأن اللبن ييل إليه ومنه المضارعة المشابهة لأنها تميل إلى شبه والضريم ثبت لا يسن لأنه يميل مسم كل داء

والخفية خلاف العلانية والمهزلة في الاخفاء متقلبة عن الياء، كما أن المهزلة في الناء متقلبة عن الياء بدلالة التنية وقالوا اخفيت الشيء إذا اظهرته قال الشاعر

يخفي التراب باخلافاً ثمانية في أربع مسهن الأرض تحليل

ويمكن أن يكون اخفيت الشيء أي أزلت اظهره وإذا أزلت اظهره فقد كسبه كما أن اشكيت بمعنى أزلت شكائته والخفية الاخفاء والحيفة الخوف والرغبة والطعم توقع المحبوب وضده اليأس وهو القطع بانتفاء المحبوب

❦ الإعراب ❦

تضرعاً وخفية مصدران وضما موضع الحال أي ادعوه متضرعين ومخفيين وقوله وطعماً في موضع الحال أيضاً أي خائفين عقابه وطامعين في رحمته قال الفراء إنما ذكر قريب ولم يوثق ليصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لأن كل ما قرب في مكان لو نسب فهو جار مجر ما يصيبه مسن التانيث والتذكير والوجه في تذكيره هنا أن الرحمة والقرآن والعفو في معنى واحد وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي وقال الأخفش جائز أن يكون أراد بالرحمة هنا النظر فذلك ذكره في مثله قول الشاعر

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

أي ما هذه الصيحة وقول الآخر

إن السباحة والمروءة ضمنا قبرا جرو على الطريق الواضح

❦ المعنى ❦

ثم أمره سبحانه بعد ذكر دلائل توحيده بدعائه على وجه المشروع كافة عبده فقال (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) أي تخشعاً وسراً من الحسن قال بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضماً ثم قال إن كان الرجل قد جمع القرآن وما يشربه جاره وإن كان الرجل قد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الكثيرة في بيته وعند الزور فلا يشعرون به وقد تداركنا أقواماً ما كان على الأرض من أهل يقصدون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون المجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت أن كان إلا مسمياً بينهم وبين ربهم وروى أن النبي صلى الله عليه وآله كان في غزاة فاشرفوا على واد فبصر الناس يهللون ويكبرون ويرفون أصواتهم فقال (ص) يا أيها الناس ادعوا على أنفسكم لما أنتم لا تدعون الأصم ولا غائباً إنكم تدعون سميماً قريباً إنه معكم وقيل إن التضرع رفع الصوت والخفية السر أي ادعوه علانية وسراً عن أبي مسلم ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره (أنه لا يجب المتدنى) في الدعاء قيل هو أن يطلب منازل الأنبياء فيجاءوا الخد في الدعاء عن أبي مجاز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يجب المجاوزين الحد المرسوم في جميع العبادات والدعوات (ولا تقصدوا في الأرض بعد اصلاحها) ومعناه النهي عن قتل المؤمنين وإضلالهم والعمل بالمعاصي في الأرض بعد أن اصلاحها الله بالكعب والرسول عن السدي والحسن والضحاك والكوفي وقيل بعد أن أمر الله بالإصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتباع أوامر الله تعالى فيها وروى عنه أيضاً أنه قال لا تقصدوها بقتل المؤمن بعد اصلاحها ببقائه وتقل لا تقصدوها بالظلم بعد اصلاحها بالعدل وتقل معناه لا تعصوا في الأرض فيفسد الله المطر يهلك الحرت بمحاصيكم عن حمزة وعلى هذا فيكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله إياها بالمطر والحصب وروى ميسر عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال إن الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله شنبه (ص) (وادعوه خوفاً وطعماً) خوفاً من عقابه وطعماً في ثوابه وتقل خوفاً من الرد وطعماً في الإجابة وتقل خوفاً من عدله وطعماً في فضله عن ابن جريج وقيل معناه خوفاً من النيران وطعماً في الجنان عن عطاء (إن رحمة الله قريب من المحسنين)

معناه ان انعام الله قريب إلى فاعلي الاحسان وقيل ان رحمة الله أي ثوابه قريب من المطيعين من سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الاخضر ويؤيده قوله فانظروا إلى آثار رحمة الله كيف يمحى الأرض بعد موتها والاحسان هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضرر الذي يستحق به الذم ومن قالوا بالمراد بالصين من خلعت اطفاله من الاساءة وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضي ذلك بل الذي يقتضيه أن رحمة الله واصله إلى من فعل الاحسان وليس فيه انه لا يصل إلى من جمع الاحسان والاساءة وذلك موقوف على الدلالة

قوله تعالى (٥٧) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَنْفِثُ بِهِنَّ رَحْمَتَهُ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا نَّبَحًا سَفَاءً لِّبَدٍ مِّثِّ فَاَنْزَلْنَا بِهِ لَمَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّعْلَتِ كَذَلِكَ نُفْرِجُ الْكَوْثَىٰ لَكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٨) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير الريح واحدة ونشرا مضومة النون والشين وقرأ أهل المدينة والبصرة الرياح جمع نشربضم النون والشين حيث كان وقرأ أهل الكوفة غير عاصم الريح نشرا بفتح النون وسكون الشين وقرأ ابن عامر الرياح نشرا بضم النون وسكون الشين وقرأ عاصم الرياح بشرأ بالياء ساكنة الشين وقرأ أبو جعفر إلا نكدا بفتح الكاف والباءون بالكسر

— الحجة —

قال ابو علي اعلم ان الريح اسم على فعل واليمين منه واو فانتقلت في الواحد للكسر فأما في الجمع فقصت لأنه لا شيء فيه يجب الاعلال ألا ترى ان الفتحة لا تجب إعلال هذه الواو في نحو قوم وقول فأما في الجمع الكثير فرياح انتقلت ياء للكسرة التي قبلها وإذا كانت انتقلت في نحو دية وديم وحيلة وحيل فان تنقلت في رياح اجدد لوقوع الألف بعدها والألف تشبه الياء والياء إذا فخرت من الواو اوجب فيه الاعلال وكذلك الألف تشبهها بها وقد يجوز ان يكون الريح على لفظ الواحد ويراد به الكثرة كقولهم كثر الدم والدينار والشاء والبعير وان الإنسان في غمر ثم قال إلا الذين آمنوا وكذلك من قرأ الريح نشرا فأفرد ووصفه بالجمع فإنه حمله على المعنى وقد اجاز ابو الحسن ذلك وقال الشاعر

فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الاسم

ومن نصب حمله على المعنى لأن الفرد يراد به الجمع وهذا وجه قراءة ابن كثير وقول من جمع الريح إذا وضعها بالجمع الذي هو نشرا أحسن لأن الحمل على المعنى ليس بكثير كالحمل على اللفظ وأما ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول إذا هبت ريح اللهم اجعلها ريحاً ولا تجعلها ريحاً فلأن عامة ما جاء في التنزيل على لفظ الرياح للسياق والرحمة كقوله تعالى وولمنا الرياح لوائح ويرسل الرياح مبشرات وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله فأهلكوا يوم صرصر عاتية ريح فيها عذاب اليم قال ابو مبيد بن شمر متفرقة من كل جانب وقال ابو زيد انشر الله الموتى انشारा إذا بعثها وانشر الله الريح مثل احيائها فنشرت هي أي حيث والدليل على ان انشار الريح احيائها قول المراد القسسي

وهبت له الريح الجنوب واجبت له ريده يمحى المياه فسمها والريدة الريانة الريح قال (ابودت به ريذانة صرصر) ومن قرأ نشرا يشمل ضربين يجوز ان يكون جمع

يربع نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فإذا جعلته جميع نشور احتل امرين ﴿احدهما﴾ ان يكون النشور بمعنى النشور كما ان الركوب بمعنى المركوب فكان المعنى ربيع او رياح مائشة ويجوز ان يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل ظهور ونحوه من الصفات ويجوز ان يكون نشرا جمع تاشر كشاهد وشهد ونازل ونزل وقيل قال الاعشى «انا مثالكُم يا قومنا قتل» وقول ابن عامر نشرا يمتثل الوجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون على فاعل وفاعل وخفف العين كما خفف في كتب ورسول ويكون جمع فاعل كترل ونازل وما يطى وعيط واما من قرأ نشرا فإنه يمتثل ضربين ﴿احدهما﴾ ان يكون المصدر حالا من الريح فإذا جعلته حالا منها احتل امرين ﴿احدهما﴾ ان يكون النشور الذي هو خلاف الطي كأنها كانت بانقطاعها كالطوية ويجوز على تأويل ابي عبيدة ان تكون متفرقة في وجوها ﴿والآخر﴾ ان يكون النشور الذي هو الحياة في نحو قوله «يا عبيا الميت الناشر» فإذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول أنا نشرا وكذا اي راكضا ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كأنه يرسل الرياح انشارا اي حياة فحفز الزوائد من المصدر كما قال عمر ك الله وكما قال «وان يهلك فذلك كان قدري» اي تقديري ﴿والضرب الآخر﴾ ان يكون شرا يمتصب المصداق من باب صنم الله لأنه إذا قل يرسل الرياح دل هذا الكلام على يرسل تشر الرياح نشر الوتر نشر من قوله «كما تنشر بعد الطية الكتب» ومن نشرت الريح كما ينشر الميت وقرأ عاصم بشرا جمع بشير وبشر من قوله يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشيرا على بشر ككتاب وكتب والوجه في قراءة ابي جعفر نكدا انه لغة في نكد قال الزجاج ويجوز فيه وجهان آخران نكدنا ونكدنا إلا انه لم يثبت بهما رواية

— اللغة —

الإفلال حل الشيء أسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال استقل بجعله استقلالاً واصله اغلالا والحاب النجم الحادري في الساء يقال سحته فانسحب والسوق حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه يقال ساقه واستاقه والبلد هو الأرض التي تجمع الحلق الكثير والبادية كالبلك للارباب ونوعهم من الاكراد والنكد السر المستعم من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدنا ونكدنا فهو نكد ونكد وقد نكد إذا سئل فبخل قال الشاعر

واعط ما اعطيته طينا لا خير في المتكود والناكد

— المعنى —

لما اخبر الله سبحانه في الآية المتقدمة بأنه خلق السموات والأرض وما فيها من الدائم عطف على ذلك بقوله «وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته» ترداد النعمة على بريته اي يملؤها ويجريها منكرة في الأرض او محبة للأرض او مبشرة بالتيقن على ما تقدم بيانه قد علم رحمته وهو المطر «حتى إذا أفلتت» أي حلت وقيل رفعت «سحابا ثقلا» بالاء «سقاء ليلد ميت» أي إلى بلد ميت وموت البلد تعني مزاده ودروس متنازله لا نبات فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لانه رد الضمير إلى نقط السحاب والرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفة حتى إذا اتصل السحاب اتزل المطر «فاتزلنا به الماء» يجوز أن يكون الضمير في به راجعا إلى البلد أي فاتزلنا بالبلد الماء ويجوز أن يكون راجعا إلى السحاب أي فاتزلنا بالسحاب الماء «فاخرجنا به» أي بهذا الماء الماتزل او بهذا البلد «من كل الثمرات» يمتثل أن يكون من لاجئ وض يمتثل أن يكون تبيين الجنس (كذلك تخرج الموتى) أي كما اخرجنا الثمرات كذلك تخرج الموتى بأن نحياها بعد موتها (لعلكم تذكرون) أي لكي تذكروا وتذكروا وتعتبروا بأن من قد عد على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع يربح يرسلها فإنه

يقدر على احياء الاموات بأن يبعدها إلى ما كانت عليه ويخلق فيها الحياة والقدرة واستبدلوا القاسم الباطني بهذه الآية على أن كثيرا من الاشياء يكون بالطبع قال لأن الله تعالى بين انه يخرج الشرائع بالما الذي يقوله من السما ثم قال ولا ينبغي ان ينكر ذلك وإنما ينكر قول من يقول بقدم الطبايم وأن الجدلات قاعلة فأما من قال ان الله تعالى هو الفاعل لهذه الاشياء غير انه يفعلها بآلة مخترعة بلا وسائل وآلة يفعلها بوسائل فلا كرامة في ذلك كما تقول في السبب والسبب وانكر عليه هذا القول اكثر اهل المدل وقالوا ان الله سبحانه اجري العادة باخراج النبات عند انزال المطر مع قدرته على اخراج ذلك من غير مطر لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح الدينية والدنيوية ثم بين سبحانه حال الأرض التي يأتيها المطر فقال (والبلد الطيب) مماء والأرض الطيب ترابيه (يخرج نباته) أي زروعه خروجا حسنا تاميا زاكيا من غير كد ولا عناء (بلذون ربه) بأمر الله تعالى وإنما قال بلذون ربه ليكون ادل على العظمة ونفوذ الإرادة من غير تب ولا نصب (والذي خث لا يخرج إلا نكدا) أي والأرض السبعة التي خث ترابها لا يخرج ريعها إلا شيئا قليلا لا ينتفع به عن السدي ومثله الا عسرا تمتلأ من الخروج ولو اراد سبحانه ان يخرج من الأرض النكدة اكثر ما يخرج من الأرض الطيبة لا يمكنه إلا انه اجري العادة بلخرجه من الأرض الطيبة ليكون ذلك باضا للانسان على طلب الخير من مفاذه ودلالة له على وجوب الاجتهاد في الطاعات فإذا حمل نفسه على ابتغاء الخير اليسير الذي لا يدوم وربما لا يحصل فإن يشتهي النعم الدائم الذي لا يفنى ولا يبدل بالأعمال الصالحة لولى (كذلك تصرف الآيات) أي الدلالات المختلفة (قوم يشكرون) مناه كما بينا هذا المثل بين الدلالات لشاركون وقيل كما صرنا الآيات لكم بالآيات بآية بعد آية وحجة بعد أخرى نصرها قوم يشكرون الله على انعامه عليهم ومن انعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم وتصيرهم سبيل أهل الضلال وامره إياهم تجنب ذلك والعدل منه وروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل ضرب الله تعالى للمؤمن والكافر فأخبر بأن الأرض كلها جنس واحد إلا أن منها طيبة تلين بالمطر ويصنع نباتها ويكثر ريعها ومنها سبعة لا تثبت شيئا فلان تثبت فما لا منفعة فيه وكذلك القلوب كلها لحم ودم ثم منها لين يقبل الوضوء ومنها قاس جاف لا يقبل الوضوء فليشكر الله تعالى من لان قلبه لذكره

قوله تعالى (٥٩) لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٦٠) قال للآمن قومه إنا نراك في ضلال مبين (٦١) قال يا قوم ليس بي ضلالة وليكني رسول من رب العالمين (٦٢) أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون (٦٣) أوعيتكم أنه جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون (٦٤) فكذبوه فأنجيناهم والذين آمنوا في الغلغلة وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمن (ست آيات)

❀ القراءة ❀

قرأ ابو جعفر والكسائي من إله غيره بمحض الراء حيث وقع والباقون بالرفع وقرأ ابو عمرو وحده بقلكم بتخفيف اللام والباقون بتشديد ما

❀ الحجة ❀

قال ابو علي وجه قراءة من جر انه جل غيرا صفة لآله على اللفظ وجعل لكم مستقرا او جعله غير مستقر واضمر الخير والخير ما لكم في الوجود او في العالم او نحو ذلك لا بد من هذا الاضمار إذا لم يجعل لكم مستقرا

لأن الصفة والموصوف لا يستقل بها كلام وحجة من رفع قوله ما من إل إلا الله فكأن قوله إلا الله بدل من قوله من إل كذلك قوله غيره يكون بدلا من قوله من إل وغيره يكون بصفة الاسم الذي يدل إلا وهذا الذي ذكرنا أولى أن يحصل عليه من أن يجعل غير صفة لأل على الموضع فلن قلت ما تنكر أن يكون إلا الله صفة لقوله من إل على الموضع كما قاله لو كان فيها لغة إلا الله صفة لا تهتبل إن إلا يكونها استثناء اعرفوا كل من كونها صفة وإجمعت صفة على التشبيه بشير فلماذا كان الاستثناء أولى حملنا من خالق غير الله على الاستثناء من النبي في المعنى لأن قوله هل من خالق غير الله بصفة ما من خالق غير الله لا بد من اضمار الخبر كأنه ما من خالق إلا الله غير الله ويؤكد ذلك إل إلا الله فهذا استثناء من منفي مثل لا أحد في الدار إلا زيد فأما قراءة حمزة والكسائي هل من خالق غير الله فلي أن جملا غير صفة للخالق وأضمار الخبر كما تقدم والباقرن جملوه استثناء بدلا من المنفي وهو الأولى عننا لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله وما من إل إلا الله وما ابلفكم قالوا فيه أن بلغ تصدى إلى مقول في نحو بلني الخبر فلماذا نقلته تصدى إلى مغولين والنقل يكون بالمرز وتضمين العيون كلا الأمرين جاء به التثني قال سبحانه يأتيها الرسول بلغ إلى قوله فما بلغت رسالته وقال فلن تولوا فقد ابلفكم وليعلم أن قد ابلفوا

● اللغة ●

الملا الجماعة من الرجال خاصة ومثله القوم والنفر والرحط من القراء وسوا بذلك لأنهم يلاوون الحافل والقوم الجسم الذي يقوم بالأمر سوا بالمصدر والابلاغ افعال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة وهو افعال المعنى إلى النفس بأحسن صورة من اللفظ والبلغ الذي ينشئ البلاغة لا الذي يأتي بها على وجه الحكاية والفرق بين الإبلاغ والاداء ان الاداء افعال الشيء على الوجه الذي يجب فيعوضه فلان ادى الدين اداء وفلان حسن الاداء لا يسمع وحسن الاداء لقراءة والرسالات جمع رسالة وهي جملة من البيان يحلها القام بها ليؤديها الم غيره والنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد في المامعة والفتك السفن يقوم على الواحد وعلى الجسم واصله الدور مشتق من قولهم فلك ندي الجارية اذا استدار ومنه الفلكة والفتك

● الإعراب ●

يا قوم حذف يا الإضافة لقوة النداء على التثنية حتى يحذف للترخيم فلما جاز أن يحذف في غير النداء الاجتزاء بالكسرة منها لزم ان يحذف فيه لاجتماع سببين فيها كعني امله لكنني حذف التثنية لاجتماع التثنية ويجوز الإتمام في غير القرآن لأنه الأصل وكذلك الي وكأني فأما ليتني فلا يجوز فيه إلا اثبات التثنية لأنه لم يعرض فيه علة الحذف وأما لم لي فيجوز فيه الوجهان لأن اللام قورية من التثنية رسول من رب العالمين من هنا لابتداء الثانية أي هو ابتدائي بالرسالة وكل مبتدأ بفعل فذلك الفعل منه واصل من أن يكون لابتداء الثانية

● المعنى ●

لما بين الله سبحانه الاداة على وحدانيته ذكر بعده حال من عائد وكذب رسله تسلي لتبينا محمد صلى الله عليه وآله وتثبيتا له على احتمال الاذى من قومه وتحذيرا لهم عن الاقتداء بأولئك فينزل بهم ما نزل بهم وابتدأ بقصة نوح فقال (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) اللام للقسم وقد تأكيد للكلام وتقديره حقا قول لنا حملنا نوحا الرسالة إلى قومه وتحميل الرسالة تكليفه القيام بها وهي منزلة جليلة شريفة يستحق الرسول بتقبلها وقيامه بانجازها من التعظيم والاجلال مالا يستحق بغيره وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس (ع) وهو اول نبي بعد ادريس وقيل انه كان نجارا وولد في العام الذي مات فيه آدم (ع) قبل موت آدم في الثالثة الاولى وبنت في الأنث الثانية وهو ابن اربسانة وقيل بث وهو ابن خسين سنة ولبث في قومه القصة الا خمسين عاما وكان في تلك الافا ثلاثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعهم ليلا ونهارا فلا يذهبهم دعاؤه إلا فرارا وكان يضربه

قومه حتى يمشى عليه فإذا أخاف قال اللهم اهد قومي فانهم لا يطعنون ثم شكاهم إلى الله تعالى ففرغت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة وروي اكثر من ذلك أيضا (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره) اخبر سبحانه انه امرهم بعبادة الله وحده لا اله الا له لم غيره ولا معبود لهم سواه ثم اوعدهم على مخالفته فقال (اني أخاف عليكم مذاب يوم عظيم) انما قال أخاف ولم يقطع لانه جوز أن يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال (قال المؤمن قوم) أي الجماعة من قومه عن الجاهلي وقيل الأشراف والرؤساء الذين يملأون الصدور هوية وجبالا عن أي مسام (انما تترك في ضلال مبين) قيل معناه رؤية القلب الذي هو العلم أي انما لتفلك في ضلال من الحقين ظاهر لدعائك انما إلى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه رؤية البصري تراك باصارتنا على هذه الحال وقيل انه من الرأي الذي هو غالب الظن فكانه قال انما لتفلك (قال يا قوم ليس في ضلالة) هذا اخبار عما جابههم به نوح (ع) أي ليس بي عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب يقال به ضلالة لأن معناه عرض به ذلك كما يقال به جنة ولا يجرز أن يقول به معرفة لانها ليست بما يعرض لصاحبها ولكن يصح أن يقال به جوع وبه علس (ولكني رسول من رب العالمين) الذي يملك كل شيء (بلنكم رسالات ربي) أي اؤدي اليكم ما حملي ربي من الرسالات (وانصح لكم) في تبليغ الرسالة على وجهها من غير تغيير ولا زيادة ولا نقصان (وأعلم من الله) أي من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته (ما لا تعلمون) وقيل امام من دين الله وقيل اطم من قدرته وسلطانه وشدة عقابه ما لا تعلمونه والكل محتال وقيل انما قال ذلك لأن قوم نوح لم يسموا قط ان الله سبحانه عذب قوما وقد سميت الامم بعدهم هلاك من قبلهم الا ترى أن هودا قال جملكم خلفاء من بعد قوم نوح وقال شيب مثل ما اصاب قوم نوح (اوعيت) هذه هنة استفهام دخلت على واو العطف على جهة الإنكار فثبتت الراو مفتوحة كما كانت فالكلار مستأنف من وجه متصل من وجه (ان جاءكم ذكر) أي لأن جاءكم بيان وقيل فبوة ورسالة (من ربكم على رجل منكم لينذركم) أي على بشر مثلكم ليخبركم الغالب إن لم تؤمنوا وقيل أن على هنا بمعنى مع أي مع رجل منكم تعرفون مولده ومنشأه ليطعنكم بموضع الخافقة وإنما انكر عليهم المحجب لانه ليس في لرسالة اليهم ليشرحهم إلى ما فيه صلاحهم موضع تمجب وإنما المحجب من اهل امرهم كيف ووجوب الرسالة إذا كان للخلق فيها مصلحة ادر قد اقتضته الحكمة ودل عليه العقل (ولتقروا) أي ولتقروا بالشرك والمطاصي (ولعلكم ترحمون) أي ولكي ترحموا وقال الحسن ولتقروا دجا ان يرحمكم (فكذبوه) أي فكذبوا نوحا فبدأ دعام إليه (فأنجيناه والذين معه في الفلك) أي فخلصناه والذين كانوا معه في السفينة وهم المؤمنون من عذاب الفرق (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أي وأهلكنا الذين كذبوا بآياتنا بدلاننا بالاء (إنهم كانوا قوما عديين) عن الحق أي ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم إذا كان اعمى القلب ورجل اعمى في البصر قال زهير « ولكني عن علم ما في غد عني »

﴿ قصة نوح (ع) ﴾

قد ذكرنا نسبه وكن من قصته ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بلويه باسناده في كتاب النبوة مرفوعا إلى أبي عبد الله (ع) قال لما بعث الله عز وجل نوحا دعا قومه علانية فلما سمع عقب هبة الله بن آدم من نوح تصديق ما في ايديهم من العلم وعرفوا أن العلم الذي في ايديهم هو العلم الذي جاء به نوح صدقوه وسلموا له فلما ولد قابيل ظنهم كذبه وقالوا إن الجن كانوا قبلنا بعث الله اليهم ملكا فلو أراد أن يبعث الينا بعث الينا ملكا من الملائكة حنات بن سديد عن أبي عبد الله (ع) قال آمن مع قومه ثمانية نفر وفي حديث وهب بن منبه ان نوحا (ع) كان اول نبي نبأه الله عز وجل بعد ادم وكان إلى الامة ما هو دقيق الوجه في رأسه طول مظم العينين دقيق الساقين طويلا جسيا دعا قومه إلى الله حتى انقرضت ثلاثة قرون منهم كل قرن ثلاثمائة سنة يدعوهم سرا

وجهرها فلا يزدادون إلا طغيانا ولا يأتي منهم قرن إلا كان اعنى على الله من الذين قبلهم وكان الرجل منهم يأتي
بأبنته وهو صغير فيقيم على رأس نوح فيقول يا بني إن بقيت بمدي فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يثرون إلى نوح
فيضيرونه حتى يسيل مسامحه وما وحتى لا يعقل شيئا مما يصنع به فيحمل قيرى به في بيت أو على باب داره
مفتيا عليه فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فمدها إبل إلى الدماء عليهم ولم يكن
دعا عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر على الأرض إلى آخر السورة فاعقم الله تعالى أصالاب الرجال وراحام النساء
ولبثوا اربعين سنة لا يولد لهم ولد وقسطوا في تلك الأربعين سنة حتى هلكت أموالهم وصابهم المجد والبلاء
ثم قال لهم نوح استقروا ربكم إنه كان غفارا الآية فاعذر اليهم وانذر فلم يزدادوا إلا كفرا فلما ينسبهم
اقصر عن كلامهم ودعاهم فلم يؤمنوا وقالوا لا نذركم أمهتكم ولا تذرنا وما ولا سواها الآية ينون أمهتهم
حتى فرغهم الله وألهمهم التي كانوا يبدونها فلما كان بعد خروج نوح من السفينة وجد الناس الاصنام سبوا
اصنامهم بأسماء اصنام قوم نوح فالتفت أهل اليمن ويثوع ويعوق وأهل دومة الجندل ضنا سوء ودا وانحرفت
جميع صنماسته نسرا وهذيل ضنا سوء سواها فلم يزالوا يبدونها حتى جاء الإسلام وسنذكر قصة السفينة
والفرق في سورة هود إن شاء الله تعالى وروى الشيخ ابو جعفر بن باويه عن علي بن أحمد بن موسى قال حدثنا
محمد بن ابي عبد الله الكوفي قال حدثنا سهل بن زياد الاذمي قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال
سمعت علي بن محمد (ع) يقول عاش نوح (ع) الفين وخمسة سنة وكان يوما في السفينة فلما نهبت ريح فكشفت
مردته فضحك حام ويافث وزجرهما سام ونهاهم عن الضحك وكان كلما غطى سام ما يكشفه الريح كشفه حام
ويافث فانتبه نوح فرأهم يضحكون فقال ما هذا فأخبره سام بما كان فرغم نوح يده إلى السماء يدعو فقال اللهم
غير ما صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان اللهم غير ما صلب يافث فغير الله ما صلبا فجميع السودان من
صلب حام حيث كانوا وجميع الترك والسلاط وبأجوج والصين من يافث وجميع اليافس سواهم
من سام وقال نوح لحام ويافث جل الله ذريكما خولا لذرية سام إلى يوم القيامة لانه بري وعقبتاني
فلا زالت سمة عروقكم في ذريكما ظاهرة وسمة البري في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا قال الشيخ ابو
جعفر بن باويه القمي رحمه الله ذكر يافث في هذا الخبر قريب لم اروه إلا من هذا الطريق وجميع الاخبار التي
رويتها في هذا المضى فيها ذكر حام وحده وأنه ضحك لما انكشفت صورة ابيه وان ساما ويافث كانا في ناحية
فلنهما ما صنع فأقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان والقبيا عليه الثوب وهو قائم استيقظ أوحى الله عز وجل
إليه الذي صنع حام فلن حملما ودعا عليه وروى ابراهيم بن هاشم عن علي بن الحكم عن بعض أصحابنا
عن أبي عبد الله عليه السلام قال عاش نوح الفتي سنة وخمسة عشرة منها ثمانية وخمسين قبل أن يموت والف
سنة إلا خمسين عاما وهو في قومه بدعهم ومأني علم في عدل السفينة وخمسة عام بعد ما نزل من السفينة
ونضب الماء فمصر الإمصا واسكن ولده البلدان ثم أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام
عليك فرد عليه نوح وقال له ما جاء بك يملك الموت فقال جئتك لأقبض روحك فقال له تدعني اتحول
من الشمس إلى الظل فقال له نعم قل فحول نوح ثم قال له يملك الموت كأن ما ربي من الدنيا مثل قول
من الشمس إلى الظل فامض لما امرت به قال تهبس روحه (ع)

قوله تعالى (٦٥) وَإِلَى عاد أخاهم هودا قال ياقوم أعبدوا الله مآلكم من إله غيرة أفلا تتقون
(٦٦) قال الملائكة الذين كفروا من قومه إنا نراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين

(٦٧) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٨) أَلَيْسَ كُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٩) أَوْعَيْتُمْ أَنْ جَاءَ كُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٠) قَالُوا أَهِيَئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧١) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءَ سَبَّوْهَا أَتُّمَّ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ إِلَيْهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧٢) فَأَتَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ (ثماني آيات)

﴿ الله ﴾

السفاهة خفيا لم وثوب سفيه إذا كانت خفيا قال مخرج السفاهة الجنون بلسة حمير والفرق بين العجب والعجب أن العجب بضم العين عند النفس على قضية لما ينبغي أن يعجب منها وليس كذلك العجب بفتح العين والجيم لأنه قد يكون حسنا وفي المثل لا خير فيه لا تعجب من العجب وارذل منه المتعجب من غير عجب وخلفاء جمع خليفة وهو الكائن بدل غيره ليقوم مقامه في تدييره وهذا الجمع على التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء وجائز أن يجمع على خلافت على اللفظ مثل ظريفة وظرفاء والالاء النعم ويغ واحدنا أربع لغات إلى مثل مي وإلى مثل قفا وإلى مثل رمي وإلى مثل حسي قال الاعشى

ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلى

وروي إلى أيضا وقيل أنه أراد بقوله إلا إلا بالتشديد فخففه وهو العهد والقرابة والوقوع والسقوط والآنزل نظائر والرجس النذاب وقيل الرجس الرجز قلبت الزاي سينا كما قلبت السين ناء في قول الشاعر

الاحلى الله بني السمعات عمر بن يربوع شراد النات

أي الناس «ليسوا بأعفاف ولا أكيات» يهد أكياس

﴿ الاحزاب ﴾

انتصب اخاهم هوذا بقوله ارسلنا في اول الكلام لأن تفصيل القصص يقتضي ذلك والتقدير وارسلنا إلى عاد اخاهم هوذا وصرف هود خلفته كما صرفت جل خلفها يا قوم موضع قومي نصب لانه ندا مضاف ولو وصفته لم يميز في صفته إلا انتصب قوله ولكني رسول استدرك ولكن لأن فيه معنى ما دعاني إلى امركم السفيه ولكن دعاني إليه أي رسول

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على قصة نوح قصة هود فقال (وإلى عاد) وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح (أخاهم) يعني في النسب لا في الدين (هوذا) وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح (ع) عن محمد بن اسحاق وقيل هو هود بن عبد الله بن رياح بن جلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح

عن غيره وكذا هو في كتاب النبوة وإنما قال أخاهم لأنه أبلغ في المحبة عليهم لوذا اختار الرسالة إليهم من هو من قبيلهم ليكونوا إليه أسكن وبه آس وعنه أهم (قال) هود (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) قد مر تفسيره (أفلا تتقون) استفهام يراد به التقرير (قال الملأ الذين كفروا من قومه قد مر تفسيره (إنا لنراك) يهود (في سفاهة) أي جهالة وسفاهة نراك سفيا إلا أنه قال في سفاهة على جهة المبالغة أي نراك منغسبا في سفاهة (وإنا لنظنك من الكاذبين) أي كذبوه ظانين لامتقين عن الحسن والزجاج وقيل إن المراد بالظن هنا العلم كما في قول الشاعر

فقلت لهم ظنوا بالفي مدسج سرائهم في الفارسي المصدر

ومناه ابتوا (قال) هود (يا قوم ليس بي سفاهة) أي لم يحلني على هذا الأخبار السفاهة (ولكني رسول من رب العالمين) هذا تعليم من الله تعالى بأن لا يقابل السفاه بالكلام القبيح ولكن يقتصر الإنسان على نفي ما أخيف إليه عن النفس (أبلغكم رسالات ربي) أي نبوت ربي إنما قال رسالات هنا وفيما تقدم بلفظ الجمع لأن الرسالة متضمنة لأشياء كثيرة من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك فأتى بلفظ يدل عليها وإنما قال رسالة ربي بلفظ الواحد اتى بلفظة مشتملة على هذه الأشياء بطريق الأجمال (وأنا لكم ناصح) فيا ادعوك إليه من طاعة الله وتوحيده (أمين) أي ثقة مأمون في تأدية الرسالة فلا أكذب ولا أغير عن الضحك والبجائي وقيل مناه كنت مأمونا فيكم فكيف تكذبوني عن الكلي (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) أي لا عجب في أن جاءكم نبوة وقيل بمعجزة (وإن رجل منكم) في النسب نشأ بينكم وقيل إن مناه كيف تمجبون من بشة رجل منكم ولا تمجبون من عبادة حجر (لينذركم) لمخوفكم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) مناه واذكروا نعمة الله عليكم بأن جعلكم سكان الأرض من بعد قوم نوح وهلاككم بالمعصيان (وزادكم في الخلق بسطة) أي طولاً وقوة عن ابن عباس وجاعة قال الكلي كان أطولهم مائة ذراعاً وأقصرهم ستين ذراعاً وقيل كان أقصرهم اثني عشر ذراعاً وقال أبو جعفر الباقر «ع» كانوا كأنهم النخل الطوال وكان الرجل منهم ينحو الجبل يديه فيهدم منه قطعة وقيل مناه وزاد في خلقكم بسطة فكانوا أطول من غيرهم بمقدار أن يد الإنسان يده فوق رأسه بأسطاً (فاذكروا آلاء الله) أي نعم الله (لعلكم تفلحون) أي لكي تنموا وتبني الدنيا والآخرة (قالوا اجتئنا) يهود (لنبيد الله وحده ونقذر عبادة) ما كان يبد آياتنا من الأصنام (فأتانا بما تمدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) في أنك رسول الله اليانا وفي نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الأصنام (قال) هود قومهم جواباً عما قالوه (قد وقع عليكم) أي وجب عليكم وحل بكم لا محالة هو كالواقع (من ربكم رجس) أي عذاب (وغضب) والغضب من الله إرادة العذاب بمسحقته ومثله السخط (اتجادلونني) أي اتنازولوني وتخاصمونني (في أسماء سميتوها أنتم وآبائكم) أي في أصنام سميتوها أنتم وآبائكم واختارتم لها أسماء سميتوها آلهة وما فيها من معنى الآية شيء وقيل مناه سميتهم لعبعتها بسميتهم المطر ولاخراته يأتهم بالرزق ولاخراته يشفي المرضى ولاخراته يصحهم في السفر (ما نزل الله بها من سلطان) أي حجة وبرهان وبيته وعليكم البيته بما ادعيتهم وسميتهم وليس علي أن أتكم بالبيته على ما يبدون من دون الله بل ذلك عليكم وعلي أن أتكم بسلطان مبین إن الله تعالى هو المعبود

ولا معبود سواه وفي رسوله (فانظروا) عذاب الله فإنه نازل بكم (إني معكم من المنتظرين) لنزوله بكم عن الحسن والجاني والمفسرين (فأنجيناهم) والذين معه برحة منا (أي فخلصنا هودا والذين كانوا آمنوا معه من العذاب باخراجنا إياهم من بينهم قبل أنزال العذاب بهم) وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا (أي واستأصلنا الذين كذبوا بجهننا بعذاب الاستئصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية (وما كانوا مؤمنين) بالله ورسوله وإننا قال ذلك ليعين أنه كان المعلوم من حاله أنه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قال في موضع آخر ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظنوا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه الآية دلالة على أن قوم هود استوصلوا فلا عقب لهم

﴿ قصة هود ﴾

جدة ما ذكره السدي ومحمد بن اسحاق وغيرهما من المفسرين في قصة هود أن عادا كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشحر والاحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والذهاء ويبرهن ما بين عمان الى حضرموت وكان لهم زرع وظل ولهم اعمار طويلة واجساد عظيمة وكانوا اصحاب اعتنام يعبدونها فيحت الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه وآذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او جعد التجوأت الى بيت الله الحرام بمكة مسلمة وكافرة واهل مكة يؤمنون بالعاليق من ولد عليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العاليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت امه من عاد فبعث عاد وفدا الى مكة يستسقوا لهم فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بشتهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي وهؤلاء مقبون عندي وهم ضيغي استحي ان آمرهم بالخروج الى ما بشوا اليه وشكا ذلك الى قبيته القتيب كانتا تغنيانهم وما الجرادتان فقالا قل شرأ تنهين به لا يدرون من قاله قال معاوية بن بكر

لا يا قيل ويحك قم فهم	لل الله يصبحنا غاما
فيستي أرض عاد إن عادا	قد امسوا ما يبينون الكلاما
وان الوحش تأتهم جهاراً	ولا تحشى لمادي سهاماً
وانتم ههنا فيا اشتهيتم	فاركم وليكم التلما
فصب ودفكم من وفد قوم	ولا تقوا النجاة والسلاما

فلما غتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض انما بشكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال رجل منهم قد آمن يهود سرا والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أعطتم نبيكم سقيتم فزجره وخرجوا الى مكة يستسقون بها لماد وكان قيل بن عزرأس وفد عاد قال يا إلهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فإننا قد هلكنا فأنشأ الله سبحانه سبعابا ثلاثا بضاء وجرها وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختر السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النعمة الى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض مطرنا يقول الله عز وجل

بل هو ما استجتمت به ريح فيها عذاب اليم فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي طائفة
فلم تدع من عاد أحداً إلا اهلك وأعزل هود ومن معه من المؤمنين في حطيرة ما يصيبه ومن معه إلا
ما تلين عليه الجلود وتلتاق الفوس وأما نمر من عاد الطعن ما بين السماء والأرض وتدمعهم بالحجارة فأهلكهم
وروى أبو حمزة الثمالي عن سالم عن أبي جعفر (ع) قال إن الله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح
لأذرت ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب وإسماعيل
ونبيينا صلى الله عليه وآله يتكلمون بالعربية

قوله تعالى (٧٣) وَإِلَى نُوحٍ أَخَاهُ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ
وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ (٧٤) وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سَهْلِهَا قُصُورًا وَتَنْتَحِبُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوَاتًا فَاذْكُرُوا الْآيَةَ
الَّتِي وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ
أَسْتَضَعُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَنْ تَتْلُوا مِنْ دُونِ رِبِّهِمْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّكُمْ تُؤْمِنُونَ
(٧٦) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ (٧٧) فَفَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنَبِّئُنَا إِذْ بَعَدْنَا إِن كُنتَ مِنَ الْوَارِثِينَ (٧٨) فَآخَذَتْهُمْ الرِّجْفَةُ
فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٩) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي
وَلَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحْيُونَ النَّاصِحِينَ (سبع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحده وقال الملا بأثبات الواو والباقون بغير الواو

﴿ الحجة ﴾

قد تقدم المقول في نحو هذا الواو وإن اثباتها حسن وحذفها حسن

﴿ اللغة ﴾

الينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها به والناقة أصلها من التوطئة والتذليل يقال
يعبر منقذ أي مذل موطأ وتوق في العمل جوهره والآية والمعبرة والدلالة والعلامة نظائر والتبوة التمكن
من المنازل يقال بواته منزلاً إذا مكنته منه ليأوي إليه وأصله من الرجوع قال الشاعر
وبوئت في صميم مشرها
فم في قومه مبرها

أي انزلت ومكنت والقصور جمع قصر وهو النار التي لها سور يكون به مقصورة وأصله القصر الذي هو
المجل على منزلة دون منزلة ومنه القصير لأنه دون غيره والقصر الغاية يقال قصرك الموت لأنه قصر عليه
والعشي الفساد يقال عشي بعثي وعاش بعثي والعشر المرح الذي يأتي على أصل النفس وهو من عفر

الحوض أصله قال امرؤ القيس **﴿إلزام الحوض أوعره﴾** والتو تجاوز الحد في الفساد والرجف الاضطراب يقال رجف بهم السفير جردوا إذا اضطرب من قمتهم وارجف الناس بالشيء إذا خاضوا فيه واضطربوا والجثوم البروك على الركبة يقال جثم بجثم جثوما قال جرير

عرفت للتأني وعرفت منها مطايا القدر كالحدا الجثوم

﴿الإعراب﴾

نود جاء مصروفاً وغير مصروف فمن صرفه فعل أنه اسم الحي مذكر ومن ترك صرفه فعل أنه اسم القبيلة كما قال الأبن نودا. كفروا بهم إلا بعدا لنود فصرف الأول ولم يصرف الثاني آية منصوب على الحال لأن معنى قوله هذه ناقة الله أنظروا إلى هذه الناقة آية أي علامة وتأكل في موضع نصب على الحال أي آكلة ومفسدين أيضا نصب على الحال وقوله لمن آمن منهم موضعه نصب بدل من قوله الذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل إلا أنه أعيد فيه حرف الجر وقوله يا صالح اثنا أن وصلته حمزة وإن ابتدأت به لم تميز بل تقول إيتنا وإنما كان كذلك لأن أصله اثنا بـهمزة ففكروا اجتلبها قبلوا الثانية يا لكسرة ما قبلها وإذا وصل تنقط حمزة الوصل فظهر حمزة الأصل

﴿المعنى﴾

ثم حلف سبحانه على ما تقدم قصة صالح قال (وإلى نود أخاهم صالحا) أي وارسلنا إلى نود ونود هنا القبيلة وهو نود بن عابر بن آدم بن نوح وصالح من ولد نود قال (يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من إله غيره) فصدوه (قد جاءكم بينة من ربكم) أي دلالة مبصرة شاهدة على صدقي (هذه ناقة الله لكم آية) أشار إلى ناقة بعينها أصاها إلى الله سبحانه تفضيلا وتخصيصا نحو بيت الله وقيل إنما أصاها إليه لأنها خلقها بلا واسطة وصلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لأنها خرجت من صخرة لمساء تنحطت بها كاتمنخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفقاتي طلبوها وكان لما شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسميم الذين بدله ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن اسحاق وجماعة وقيل إنما أصاها إلى الله لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الاعجاز فيها إنما كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على ما شرحناه (فدروها) أي اتركوها (تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء) أي بقر أو غر (فياخذكم) أي يتألكم (عذاب اليم) أي يوم (واذكروا) اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد (أي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في أن أودى لكم الأرض ومكنكم فيها من بعد عاد (وبوآكم في الأرض) أي أنزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتا تأوون فيها (وتنخسرون من سهلها قسورا) والسهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه شقة على النفس أي تبنون في سهلها الدور والقصور وإنما اتخذوها في السهول ليصغروا فيها (وتنحتون الجبال بيوتا) قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء حصن وادفاً ويرى أنهم لطول اعمارهم يحتاجون إلى أن يبنوا بيوتا في الجبال لأن السقوف والأبنية كانت تبنى قبل بناء اعمارهم (فاذكروا آلاء الله) أي نعم الله عليكم بما أعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الأرض (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) أي ولا تضطربوا بالفساد في الأرض ولا تبالغوا فيه (قال الملا الذين استكبروا) أي تظنوا

ورفضوا أنفسهم فوق مقدارها فيجود الحق للأنفة من اتباع الرسول الداعي إليه (من قومه) أي من قوم صالح (الذين استضعفوا) أي الذين استضعفهم من المؤمنين (لن آمن منهم) انما ذكره لئلا يظن بالمستضعفين أنهم كانوا غير مؤمنين لأنه قد يكون المستضعف مستضعفا في دينه ولا يكون مؤمنا فأزال الله سبحانه هذه الشبهة (اتلمون ان صالحا مرسل من ربه) أي هل تعلمون ان الله سبحانه ارسل صالحا (قالوا اننا بما أرسل به مؤمنون) أي مصدقون (قال الذين استكبروا) لهم حين سماعهم الإيمان والاعتراف بنبوة صالح (انا بالذي آمتم به) أي صدقتم به (كافرون) جاحلون ثم اخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله (فغرو الناقة) أي فغرو الناقة قال الازهري القوم عند العرب قطع عروق البعير ثم جعل النحر عرقا لأن نحر البعير يقره ثم ينحره (وعوا عن امرهم) أي تجاوزوا الهدى في الفساد والمعصية (وقالوا يا صالح اتنا بما تمدنا) من العذاب على قتل الناقة قد قتلناها (ان كنت من المرسلين) ثم اخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله (فأخذتهم الرجفة) أي العبيضة عن مجاهد والسدي وقيل العاصفة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن أبي مسلم وقيل كانت صيحة زلزلت بها الأرض واصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعجة (فأصبحو في ديارهم) أي في بلدتهم وذلك وحده وقيل يريد في دورهم ولما وحده لأنه اراد الجنس كقوله ان الإنسان لفي خسرو وقد ذكر في موضع آخر ديارهم بالجمع (جاثمين) أي صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالزمام الجاثم لأنهم اخترقوا بالعاصفة (فولى عنهم) صالح أي عرض عنهم لأنه انما كان يقبل عليهم للداعية الى الإيمان (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم) أي أدت النصيحة في تبليغ الرسالة (ولكن لا تحبون الناصحين) أي ولكنكم لا تحبون من ينصح لكم لأن من أحب انسانا قبل منه

قصة صالح عليه السلام

وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ أن عادا لما هلك وتوهموا امرها عبرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض فكثروا وعمرؤا وكانوا في سنة من ساءتهم فغوا على اقدوا فسودوا في الأرض وعبدوا غير الله فبست الله اليهم صالحا وكان من اوسطهم نسا وكانوا قوما عربا وروى في الخبر انه لما بعث كان ابن سنت عشرة سنة فبست فيهم بدعهم الى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يبيحونه الى خير وكان لهم سبعون صنما يبدونها رأى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين ان شئتم فاسألوني حتى اسأل الى آلمي فيجيئكم فيا تسألون وان شئتم سألت اهلكم فان اجابوني خرجت عنكم فقد شئتكم وشئتوني قالوا قد انصفت فاصدوا ليوم يفرجوت فيه فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وأكلوا وشربوا ظموا فرغوا دعوهم فقالوا يا صالح سل فاسأله فلم يجبه قال لا أرسله اهلككم تبيني فاسألوني حتى اسأل الى آلمي فيجيئكم الساعة فقالوا يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة وأشاروا الى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الاوبل فان فلت صدقناك وأمنناك فقال الله سبحانه ذلك صالح فاصدعت الصخرة صدعا كادت غرولهم تغرول منه ثم اضطربت كالرأة يا خلعها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبها الى الله عظامهم ينظرون ثم تبعت مقبلا مثلا في العظم فأمن به رهط من قومه ولم يؤمن أكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد بينا ذلك قبل فلماذا كان يومها وضعت رأسها في ما نهم فما ترضه حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع رأسها فتعجب

لهم فيحتلون ما شاؤوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا أوتانهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال أتيت أرض ثمود فدرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت أثر جنيتها فوجدته ثمانين ذراعا وكانت تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا قدر على ان تصدر من حيث ترد لانه يضيق عنها فكانوا في سعة ودعة منها واكلوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمنازل فتفق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر عنها لمظلمها فهموا بقتلها قالوا وكانت امرأة جيلة يقال لها مصدوف ذات مال من اهل ويقر وغنم وكانت اشد الناس عداوة لصالح فذمت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مبرج وجعلت له نفسها على ان يقر الناقة وامرأة اخرى يقال لها عنبزة دعت قدار بن سالف وكان احمر ازرق قصيرا وكان ولد زنا ولم يكن سالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد له فراشه وقالت له اعطيك اي بناتي شئت على ان تقر الناقة وكان قدار عزيزا منيا في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستقروا غواة ثمود فاتبعها سبعة نفر واجتمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره اوحى الله تعالى الي صالح ان قومك سيقرنون فانكبت فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح انه يولد في شهر كم هذا غلام يقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا الشهر الا قتلهاء فولد تسعة منهم في ذلك الشهر فذهبوا ابتاعهم ثم ولد العاشر فأبى ان يذهب ابنته وكان لم يولد له قبل ذلك شيء وكان العاشر ازرق احمر ونبت نباتا نيريا وكان اذا مر بالتمعة فرأوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فتضرب التسعة على صالح لانه كان سب قتلهم ابتاعهم فقتلوا بالله لئلا ينبتوا واهله قالوا فخرج فيرعى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتي النار فنكون فيه حتى اذا كانت الليل وخرج صالح الى مسجده أتياه فقتلهاء ثم رجعا الى النار فكا فيه ثم رجعا قلنا ما شهدنا مهلك اهل وانا لصادقون فيصدقونا يملكون انا قد خرجنا الى سفرتنا وكان صالح لا ينام معهم في القريتين بيت في مسجد يقال له مسجد صالح فاذا اصبح أتاهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا النار وأرادوا ان يخرجوا من الليل سقط عليهم النار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك منهم فلما ذاهم رضع فرجوا وجعلوا يصيحون في القرية اي عباد الله أما رضي صالح ان امرهم بقتل اولادهم اذ قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحاق انما كان تقاسم التسعة على تبيت صالح بعد عقر الناقة وقتل صالح ايام بالذاب قال السدي ولما ولد قدار وكبر جلس مع اناس يصيبون من الشراب فأرادوا ما يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربه الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال قدار هل لكم في ان احقرها لكم قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان امرأة يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثمود فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة اليه حدثته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت مشوقة قدار بن سالف وامرأة اخرى يقال لها اقبال كانت مشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يمتحنان معهما كل ليلة وبشربون الخمر فقالت لها ملكاء ان اتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطعما هو قولا للمهملين ملكاء حزينة لاجل الناقة ولا حل صالح فنحن لا نطعمكما حتى تقرر الناقة فلما أتاهما قالتا هذه المقاتلة لهما قتالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق قدار ومصدع واصحابها السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكن لها مصدع في اصل اخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فالتظلم به عضلة ساقها وخرجت عنبزة وامرت ابنتها وكانت من احسن الناس فاسفرت لقتلهم ثم

زمره فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوها فخرت ورضت رغاء واحدة وتحدرقها ثم طس في لبنها فخرها وخرج أهل البلدة واتقسموا لحما وطبخوه فلما رأى الفصيل ما فعل بأهله هارباً حتى صعد جبلاً ثم رغار رغاء تقطع منه قلوب القوم واقبل صالح فخرجوا يستدرون إليه إنما عقرها ثلاث ولا ذنب لنا قال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فإن ادر كنتموه فسنى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الاربعاء قال لهم صالح تتمتوا في داركم بسني في عيشكم في الدنيا ثلاثة أيام قالت العذراء نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غداً ووجهكم مصفرة واليوم الثاني تصبحون ووجهكم حمرة واليوم الثالث ووجهكم سودة فلما كان اول يوم أصبحت ووجههم مصفرة قالوا اجزاء كم ما قال لكم صالح ولما كان اليوم الثاني احمرت ووجههم واليوم الثالث اسودت ووجههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرائيل (ع) فصرخ بهم صرخة خرفت اسماعهم وفتت قلوبهم وصعدت اكبادهم وكانوا قد تحمقوا وتكفروا وعلوا أن العذاب نازل بهم فماتوا اجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثائفة ولا راعية ولا غنيمة يتنافس إلا اهلكه فاصبحوا في ديارهم موتى ثم ارسل الله إليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم اجمعين فهدم قصنهم وفي كتاب علي بن ابيراهيم فبث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وروى الثعلبي باسناده مرفوعاً عن النبي (ص) قال يا علي اتدري من اشقى الأولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاتر الناقة قال اتدري من اشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلكوني رواية اخرى قال اشقى الآخرين من ينجس هذه من هذه وأشار إلى لحية ورأسه وروى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي (ص) بالحجر في غزوة تبوك قال لا يصحبه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المذنبين إلا أن تكونوا باكين ان يصيبكم النبي اصحابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألو رسولهم الآية فبث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج تشرب ما هم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة ففتوا عن امر ربهم فقروها فأهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارف الأرض ومنازلها إلا رجلاً واحداً يقال له ابو ذغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فبثه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر ابي ذغال فنزل القوم فاجتدوه بأسابهم وشحوا عنه فاستخرجوا ذلك النصف ثم فتح رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه واسرع السير حتى جاز الوادي

قوله تعالى (٨٠) وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨١) أَلَيْسَ لَكُمْ لَتَاتُورَاتُ الرِّجَالِ شَهْوَةٌ مِنَ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨٢) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ عَلَى آلَائِهِ يَبْطِئُونَ (٨٣) فَأَتَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا ثُمَّ كَانَتْ مِنَ الْعَابِرِينَ (٨٤) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْقَطَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وحقق وسهل هنا أنكم لتأتون وكذلك مذهبهم في الاستفهامين يجهلان يكتفون بالاستفهام الأول عن الثاني في كل القرآن وهو مذهب الكسائي إلا في قصة لوط والباقر بهزتين الثانية مكسورة وحققا أهل الكوفة إلا أن حفصا يفضل بينهما بألف وابن كثير وأبو عمرو ورويس يفتقون الأولى ويلينون الثانية إلا أن أبا عمرو يفضل بينهما بالألف

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي كل واحد من الاستفهامين جملة مستقلة لا يحتاج في تمامها إلى شيء فمن ألحق حرف الاستفهام جملة تقام به من الخبر إلى الاستفهام ومن لم يلقها بقاها على الخبر فإذا كان كذلك فمن قرأ أنكم لتأتون الرجال جملة تفسيراً لفاحشة كما أن قوله لذكرك مثل حظ الأنثيين تفسيراً لقصة

﴿ القصة ﴾

قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لأن العجمي لا يشتق من العربي وإنما قال ذلك لأنه لم يوجد إلا علماً في أسماء الأنبياء وقيل أنه مشتق من لط الحوض إذا الرقت عليه الطين وملسته به ويقال هذا لوط بقلبي من ذلك أي الصق والبيعة للتشويق لوصفه بما اتصل به والشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه الفذة وليس كالإرادة لأنها قد تدعو إلى الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية فينا من فعل الله تعالى والإرادة من فعلنا يقال شهِيت شهيوة شهوة قال

واشعث يشهى النوم قتلته ارتحل إذا ما النجوم اعرضت واسيكرت
فقام يعبر البرد لو أن نفسه يقال له خذها بكفك خرت
والأصراف الخروج من حد الحق إلى الفساد والغابر الباقي قال الأعرابي

عض بما أبقى المواسي له من أمه في الزمن الغابر

﴿ الاعراب ﴾

إنما صرف لوطاً لحفته بكونه على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط صاومت الخفة أحد السبين ويحوز في قوله جواب قومه الرفع إلا أن الأجود النصب وعليه القراءة شهوة مصدر وضع موضع الحال وقوله الأمر أنه استثناء متصل لأنه يجوز أن تدخل الزوجة في الأهل على التثنية في الجملة دون التثنية ولم يقل من الغابرات لأنه أراد أنها بمن بقيت مع الرجال ومطراً مصدر ذكر لنا كيد كقولهم ضربه ضرباً

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما تقدم قال (ولوطاً) أي وأرسلنا لوطاً وقيل إن تقديره وإذا ذكر لوطاً قال الأخفش يمتثل للمعنيين جميعاً هنا ولم يمتثل في قصة عاد وثمود إلا أرسلنا لأن فيها ذكر إلى وهو لوط ابن هارون بن تارخ بن أخيه إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل أنه كان ابن خالة إبراهيم وكانت سارة امرأة إبراهيم اخت لوط (إذا قال لقومه لتأتون الفاحشة) أي السيئة المنجية القبح يعني أيان الرجال في أديارهم (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) قيل ما نراذركم على ذكر قبيل قوم لوط عن عمرو بن دينار قال الحسن وكانوا يفضلون ذلك بالبراءة ثم بين تلك الفاحشة فقال (أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) معناه أتأتون

الرجال في اديارهم اشتباه منك اية تشبهونهم خأتونهم وتتركون اتيان النساء اللاتي اباحها الله لكم بل اتم قوم مسرفون اي متجاوزون عن الحد في الظلم والفساد ومستوفون جميع المآب اتيان الذكران وغيره (وما كان جواب قومه) ايلم يحييه عا قال (الا ان قالوا اخروجهم من قريبتكم) قابلوا النصح والوعظ بالسفاهة فقالوا اخرجوا لوطا ومن آمن به من بلدتكم والبراد بالقرية البلدة كما قال ابو عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن البصري والحجاج يريد بالقروي من يسكن المدن انهم اناس يطهرون (اي يخرجون عن اديار الرجال فابوهما يجب ان يدحوا به عن ابن عباس ومجاهد وقادة وقيل مناه ينزهون عن افعالكم وطرائقكم) فأغيثاهم اي فصلنا لوطا من الملائكة (واهلكه) المخلصين بواهل الرجل من يخص به اختصاص القرابة (الامرأته كانت من الثابرين) اي من الباقيين في قومه المتخلفين عن لوط حتى هلكت لأنها كانت على دينهم فلم تؤمن به وقبل مناه كانت من الباقيين في عذاب الله عن الحسن وقادة (وامطرونا عليهم مطرا) اي ارسلنا عليهم الحجارة كالطمر كما قال في آية أخرى وامطرونا عليهم حجارة من سجيل (فانتظر كيف كان عاقبة للجرمين) مناه تفكروا نظر بين القتل كيف كان مآل أمر المتطرفين السيئات والمنطقمين اليها وعاقبة فلمهم من طواب الدنيا بالاستئصال قبل عذاب الآخرة بالخلود في النار

❦ قصة لوط مع قومه ❦

وجلة امرهم فيا روي عن ابي حنيفة الثوري وابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام أن لوطا لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلا فيهم ولم يكن منهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يبيحوه ولم يعطوه وكانوا لا يطهرون من الجنابة بخلا اشحاء على الطعام فأعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجه وذلك انهم كانوا على طريق السيارة إلى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيغان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه وإذا فعلوا ذلك لتبطل التزوة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك فأوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويسطون عليه الجبل وكان لوط سخي كريما يقرى الضيف إذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تهرين ضيفا حاء فنزل بك فانك إن فعلت فضحتا ضيفك فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم امره مخافة ان يقضيه قومه ولما اراد الله سبحانه هذا بهم بث اليهم رسلا مبشرين ومنذرين فلما دعوا عن امره بث الله اليهم جبرائيل (ع) في نفر من الملائكة فأقبلوا إلى ابراهيم قبل لوط فلما رأى ابراهيم ذبح عجلا سمينا فلما رأى ايديهم لا تصل اليه تكبره وأوجس منهم خيفة قالوا يا ابراهيم إنا نرسل ربك ونحن لا نأكل الطعام إنا أرسلنا إلى قوم لوط وخرجوا من عند ابراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع فقال من انتم قالوا نحن ابناء السبيل اخفنا الليلة فقال لوط إن أهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في اديارهم ويأخذون أموالهم قالوا قد أبطلنا فأضفنا فبأه لوط إلى أهله وكانت امرأته كافرة فقال دعنا في اضياف في هذه الليلة فأكتفى أمرهم قالت افضل وكانت العلامة يتعنا وبين قومها انه إذا كان عند لوط اضياف بالتهار تدخن من فوق السطح وإذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرائيل (ع) والملائكة معه بيت لوط وثبت امرأته على السطح فأوقدت نارا فأقبل القوم من كل ناحية يهرعون إليه أي يسرعون ودأب بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه فغضب جبرائيل (ع) ببغضه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا أنهم قد أتاهم العذاب فقال جبرائيل عليه السلام بالوط اخرج من

بينهم أنت وأهلك إلا امرأتك قال كيف أخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عموداً من نور وقال البيع هذا العمود ولا يلتفت منكم أحد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرائيل بينناحه في طرف القرية قتلماً من تخم الأرضين السابعة ثم رفعها في الهواء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصراخ ديوكهم ثم قلبها عليهم وهو قول الله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها وذلك بعد أن أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلك امرأته بأن أرسل الله عليها صخرة فتفتتها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وأمطرت الحجارة على الثائبين فاهلكوا بها وقال الكلبي أول من عمل قوم لوط ابليس الخبيث لأن بلادهم انخسبت فانتجها أهل البلدان فمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعاهم إلى دبره ففككهم في دبره ثم دعاهم بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الأرض إلى ربها فسمعت السماء فصبت إلى ربها فسمع العرش فنج إلى ربها فأمر الله السماء أن تحبسه وأمر الأرض أن تحجبهم

قوله تعالى (٨٥) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَانُهُمْ شَيْعًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ نَكْمٌ مِنِّي مِن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٦) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُؤْتُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٧) وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أَنزَلْنَا بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (ثَلَاثُ آيَاتٍ)

﴿ اللّٰه ﴾

الإيثار إتمام الشيء إلى حد الحق فيه ومنه أيضاً العهد وهو إتمامه بالعمل به والكيل تقدير الشيء بالكيل حتى يظهر مقداره منه والوزن تقديره بالميزان والمساحة تقديره بالذراع أو ما زاد عليه أو نقص والبخس النقص عن الحد الذي يوجب الحق والافساد إخراج الشيء إلى حد لا يتتبع به بدلا من حال يتتبع بها وضده الإصلاح والعهد الصرف عن الفعل بالإغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلاة يقال صد عن الأمر يصد أي منه الموج بكسر العين في الدين وكل ما لا يرى والموج بفتح العين في العود وكل ما يرى كالخائط وغيره والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطرف مأخوذة من أنها تجتمع على الطواف

﴿ الاعراب ﴾

مدین اسم المدينة أو القبيلة لا تصرف للتعريف والتأنيث وجائز أن يكون أصحيا عن الزجاء بكل صراط بمعنى على كل صراط ويميز تصاقب الحروف الثلاثة هنا الباء وعلى وفي قوله لا تقعد بكل صراط وعلى كل صراط وفي كل صراط لأنه اجتمع ماني الألف الثلاثة فيه فإن الباء للإصلاق وهو قد لاصق المكان وعلى للاستلاء وهو قد علا المكان وفي المحل وقد حل المكان ومن آمن في موضع نصب بأنه مفعول به أي وتصدون المؤمنين بالله وإنما قال فاصبروا فحصل الصبر جزاء وهو لازم على كل حال لأن المعنى فسبق

جزا. كل فريق بما يستحقه من ثواب او عقاب كأنه قال فأنتم مصبرون على حكم الله بذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصة شيب فقال (وإلى مدین) أي وأرسلنا إلى مدین (اخاهم شیعا) وقيل إن مدین ابن ابراهيم الخليل فنسبت القبیلة اليه قال عطا هو شيب بن ثوبة بن مدین بن ابراهيم وقال قتادة هو شيب بن نوبيل قال ابن اسحاق هو شيب بن ميكيل بن يشجب بن مدین بن ابراهيم ولم ميكيل بنت لوط وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وهم اصحاب الأيكة وقال قتادة ارسل شيب مرتين إلى مدین مرة وإلى اصحاب الأيكة مرة (فقال يا قوم اعبدا الله ما لكم من إله غيره فعدوا بكم بيعة من ربكم) قد مر تقديره (فأوفروا الكيل والميزان) أي اتقوا ما تكيلونه على الناس بالمكيل وما تزنونه عليهم بالميزان ومناه ادرا حقوق الناس على التام في الماملات (ولا تبغضوا الناس اشياءهم) أي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي البغض الظلم ومنه المثل تحسبا حقاء وهي بائس (ولا تقصدوا في الأرض بعد اصلاحها) يعني لا تصلوا في الأرض بالمعاصي واستغلال المعاصم بعد أن اصلحها الله بالأمر والهيبة وبعة الانبياء وتعريف الحق مصالحهم وقيل لا تقصدوا بأن لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل (ذلكم) الذي امرتكم به (خير لكم) وأمرد عليكم (إن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بالله وإغما على خيبرته بالآيات وإن كان هو خيرا على كل حال من حيث أن من لا يكون مؤمنا بالله وطافا ببنيه لم يمكنه أن يعلم أن ذلك خير له فكأنه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا أن ذلك خير لكم ويمكن أن يكون المراد لا ينفعكم ابفاء الكيل والوزن إلا بعد أن تكونوا مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشيب معجزة على نبوته لأن الله تعالى لم يذكر له دلالة في القرآن وهو غلط لأنه لا يجوز أن يحلي الله تعالى نبياً عن معجزة هذا وقد قال سبحانه قد جاءكم بينة من ربكم فاعرفوا فيها ، باءا جوابا للجزء ويجوز أن يكون له معجزات وإن لم تذكر في القرآن كما أن أكثر آيات نبينا صلى الله عليه وآله ومعجزاته غير مذكورة في القرآن ولم يوجب ذلك نفيا (ولا تقصدوا بكل صراط تودعون) قيل في معناه أقوال (أحدها) أنهم كانوا يقدون على طريق من قصد شيئا للآيات به فيخرفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن وقاتدة ومجاهد ﴿ وقائها ﴾ أنهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم من أي طريقة وبعد الرحمن بن زيد ويمكن أن يكون أراد به أنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شيب فيرجع إلى معنى القول الأول ﴿ وقائها ﴾ أن المراد لا تقصدوا بكل طريق من طرق الدين قطعون له العوج بإيراد الشبه وتقولون لشيب أنه كذاب فلا يفتنكم عن الدين وتترعدونه (وتقصدون من سبيل الله من آمن به) أي تعنون من دين الله من أراد أن يؤمن به من الناس (وقينونها عوجا) الماء راجعة إلى السبيل أي تفرق السبيل عرجا عن الحق وهوان تقولوا هذا كاذب وهذا باطل وما أشبه ذلك من قتادة وقيل معناه تلتصقن لها الزيف من مجاهد وقيل معناه لا تستقيموا على طريق الهدى عن الحسن وقيل تريدون الاعوجاج والدول عن القصد عن الزجاج (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم) أي كثر عدكم قال ابن عباس وذلك أن مدین بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى كثر اولادها قال الزجاج وجائز أن يكون كثركم جعلكم اغنياء بعد أن كنتم فقراء وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة واقدار فكثروهم وجائز أن يكون عددهم قليلا فكثروهم (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعني فكروا في عواقب امر عاد وثمود ولوط وانزال العقاب بهم واستئصال شأقتهم وما حل بهم من البوار (وإن كان طائفة) أي جماعة (منكم آمنوا بالذي أرسلت به) أي صدقوني في رسالي وقبلوا قولي (وطائفة لم يؤمنوا) لم يصدقوني (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) خاطب الطائفتين ومعناه لا ينزكم تفرق الناس عني فإن جيل العاقبة لي وسيجزئ الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله في الدنيا أو الآخرة

دون الدنيا (وهو خير الحاكمين) لانه لا يجوز عليه الجور ولا المظلمة في الحكم وهذا وعيد لهم قال البخاري أمرهم في هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصدق والدين والأياد عليه والكف عنه خير ورشد ولم يأمرهم بالمقام على الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفر وممعية كما يذهب اليه بعض أهل النظر

قوله تعالى (٨٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٥) قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن كُنَّا فِيهِ مَلَائِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَاءَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسَمِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَبِيرٌ الْفَاصِحِينَ (آيتان)

❦ الآفة ❦

الورد الرجوع وهو مثير الشيء إلى حال كان عليها ومنه اعادة الله الخلق وتسمد لفتنة الاعداء في القدر مرة ثانية حقيقة وفي فعل مثله مجازا وكلاهما يسمى اعادة يقول ادعت الكتابة والقراءة ومنه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد علي من فلان مكروه وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وتأويله انه قد لحقني منه مكروه قال الشاعر لأن كانت الأيام احسن مرة إلى فقد عادت لهن ذنوب

الافتراء مشتق من فري الادام وهو مثل الاختلاف والافتعال والملة الديانة التي يجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والأصل فيه تكرار الأمر من قولهم طريق مليل إذا تكرور سلوكه حتى توطأ ومنه اللل وهو تكرار الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الحبة حتى تنضج لتكرور الحبي عليها والفتح الحكم والفتح والفتح الحاكم لانه يفتح باب العلم الذي انطلق على غيره وفتحته في كذا اي قاضيه قال ابن عباس ما كنت ادري ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى بيني وبينها كلام فقالت انطلق افاتحك إلى القاضي أي احاكمك اليه

❦ المعنى ❦

ثم اخبر سبحانه عما دار بينه وبين قومه فقال (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) اي رفعوا انفسهم فوق مقدارها (لنخرجنك يا شعيب) أي نخرجك وأتباعك من المؤمنين بك من بلدنا التي هي وطنك ومستقرك (أو نعودن في ملتنا) أو لنرجعن إلى ملتنا التي كنا عليها لانه كان عندهم وفي ظلمهم انه كان قبل ذلك على دينهم فذلك الملقوا فقط الورد وقد كان عليه السلام يجني دينه فيهم ويمثل انهم ارادوا به قومه فأدخلوه معهم في الخطأ ويمثل أن يكون المراد به أو لتدخلن في ديننا وطريقتنا لأن الورد يذكر ويراد به الابتداء كما قاله الزجاج ويكون بقى الصيرورة ومثله قول الشاعر

تلك المكارم لا قببان من لبن شيئا بماء فسادا بعد ابوالا

وحقيقة المعنى اننا لا نمسكك من اللقاع في بلدنا وأنت على غير ملتنا فلما أن تخرج من بلدنا أو تدخل في ملتنا (قال أولو كنا كارهين) أي قال شعيب لهم اتيدوننا في ملتكم وتردوننا إليها ولو كنا كارهين فلدخل فيها والمعنى إننا مع كراهتنا لذلك لا عرفناه من بطلانه لا نرجع فأدخلهم همة الاستغناء على ولو قيل معنى انكم

لا تقدرون على ردنا إلى دينكم على كره منا فيكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين (قد اقرنا على الله كذا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) أي إن عدنا في ملتكم بأن نحل ما تحاربه ونحرم ما تحرمونه وننسب إلى الله تعالى بعد إذ نجانا الله تعالى منها بأن أقام الدليل والحجة على بطلانها وأوضح الحق لنا فقد اختلقتنا على الله كذا فيها حرناكم الية وما يكون لنا أن نرود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) قيل في معنى هذه المشية مع حصول العلم بأنه سبحانه لا يشاء عبادة الاصنام أقوال **﴿ أعدھا ﴾** أن المراد بالله الشريعة وليس المراد بها ما يرجع إلى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته ما لا يجوز أن تختلف العبادة فيه وفي شريعتهم أشياء يجوز أن يتبدل الله تعالى بها فكانه قال ليس لنا أن نرود في ملتكم إلا أن يشاء الله أن يتبدل بها وينقلنا إليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجائي والفاضي **﴿ وثانها ﴾** أنه سبحانه علم ما لا يكون بنا علم أنه لا يكون على وجه التبديد كما قال ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكقول الشاعر

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كالعين الخليل

فيكون المعنى كما لا يشاء الله عبادة الاصنام والقبائح لأن ذلك لا يليق بعبكته فكذلك لا نرود في ملتكم عن جفرين حرب **﴿ وثالثها ﴾** أن المراد إلا أن يشاء الله أن يعنكم من أكرهنا ويحل بينكم وبينه فنود إلى اظهارها مكرهين ويقرى هذا قوله أو لو كنا كارهين **﴿ ورابعها ﴾** أن نرود الهاء التي في قوله فيها إلى القرية لا إلى الله لأن ذكر القرية قد تقدم كما أن ذكر الله تقدم فيكون تحقيق الكلام إناسفج من قرئتم ولا نرود فيها إلا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار طيكم والغفر بكم فنود فيها **﴿ وخامسها ﴾** ان يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم إلى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلة لأنه لا قال حاكيا منهم أو لتعود في ملتنا كان معناه أو لتكون على ملة واحدة غير مبتلة فحسن أن يقول من بعد الا ان يشاء الله أن يحكمكم معنا على ملة واحدة فإن قيل فكان الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق قلنا بل قد شاء ذلك إلا أنه إنما شاء أن يؤمنوا مختارين ليستقروا الثواب ولم يشأ على كل حال أن لو شاء على كل حال لا جاز الا يقع منهم ذلك فكانه قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبدا إلا أن يشاء الله أن يلجكم إلى الايمان والاجتماع معنا على ملتنا (وسم ربنا كل شيء ملنا) انتصب علما على التمييز وتقديره وسم علم ربنا كل شيء فنقل الفعل إلى نفسه لما فيه من جزالة اللفظ وقضاعة المعنى وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان الله إنما يتبدل بها على حسب ما في المعلوم من الصلوة فالمعنى أنه سبحانه أحاط علمه بكل شيء فهو اعلم بما هو اصلح لنا فيتبدلنا به وقيل ان المراد به أنه علم بما يكون منا من عود أو ترك (على الله توكلنا) في الانتصار منكم وفي كل أمورا (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) هذا سؤال من شبيب ورغبة منه إلى الله في أن يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانصاف إليه سبحانه وان كان من المعلوم ان الله سيقطه لا محالة وقيل ان معناه اكشف بينا وبين قومنا وبين آينا على حق وهذا استعجال منه لتصر (وأنت خير الفاتحين) أي خير الحاكمين والفاصلين

قوله تعالى (٩٠) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ آتَيْتُمْ شُعَبًا مِنْكُمْ إِذْ الْحَمِيرُ رَوْنَ (٩١) فَأَخَذْتُمُ الرِّجْمَ فَأَصَبْتُمُوهُمْ فِي دَائِرِهِمْ جَانِبِينَ (٩٢) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَبًا كَانُوا يَمْشُونَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَبًا كَانُوا فِي النَّاسِرِينَ (٩٣) فَفَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (أربع آيات)

— الفة —

غني بالمكان يفتي غنا وغنيانا أقام به كأنه استغنى بذلك المكان عن غيره والمناقي المنازل واصل الباب الثاني قال حاتم طي

غنيانا زمانا بالتصملك والفتي
فأزادنا بغيا على ذي قرابة
نكلا سقناه بكأسيهما الدهر
والأسي شدة الحزن يقول أسي يأسى وقال (يقولون لا تهلك أسي وتحمل)

✽ الأعراب ✽

إنكم إذا خاسرون جواب القسم وقد سد مسد جواب الشرط من قوله أئن وإذا ما هنا ملأه لأنها وقعت حشر الكلام وما بعدها يستند على ما قبلها الذين كذبوا شيئا الأول في موضع رفع بالابتداء وخبره كأن لم يفتوا فيها وإذا أريد مرة ثانية من غير كناية لتلخيص الأمر في تكذيبهم شياع البيان أنهم الذين حصلوا على الحمران لا من نبوه إلى ذلك من أهل الإيمان وهم في قوله هم الخاسرون فصل وإنما دخل الفصل مع أن المضمر لا يوصف لأنه يحتاج فيه إلى التوكيد لينكس مضاء في النفس وإن الذي بعده من المعرفة لا يخرج ذلك من معنى الجبر وإن كان الأصل في الجبر النكرة

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى الله سبحانه ما قالت الجملة الكافرة الجاحدة بآيات الله فقال (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) أي من قوم شعيب لهابتين منهم (لئن أبتسم شعيبا) في دينه وتركتم دينكم اقتيادا لأمره ونهيه لأن الانبعاث هو طلب الثاني موافقة الأول فيأداهما إليه (إنكم إذا خاسرون) والضران ذهاب رأس المال فكأنهم قالوا إن أبتسموه كنتم بتقوله من ذهب رأس ماله وقيل خاسرون مضمونون عن ابن عباس وقيل بالكون (فأخذتهم الرجفة) أي فأخذ قوم شعيب الزلزلة عن الكلبي وقيل أرسل الله عليهم دمة وحرا شديدا فأخذ بانقاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم يفهم ظل ولا ماء واتضحهم الحر فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الربيع وطيبها وظل السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهمها الله عليهم نارا ودفعت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد القلي وصاروا رمادا وهو عذاب يوم القلعة عن ابن عباس وغيره من المفسرين وقيل بعث الله عليهم صيحة واحدة ففروا عن أبي عبد الله (ع) وقيل إنه كان لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم هم أصحاب الظلة (فأصبحوا في دفرهم) أي منازلهم (جاغين) أي مبتلين لملقن على وجوههم (الذين كذبوا شيئا كأن لم يفتوا فيها) أي كأنهم لم يفتوا بها لأن الملأ كصير كأن لم يكن وقيل كأن لم يفتوا فيها كأن لم يعيشوا فيها مستثنين عن قتادة وقيل كأن لم يعرفوا فيها عن ابن عباس (الذين كذبوا شيئا) عاد اللفظ تأكيداً وتلخيصاً (كانوا هم الخاسرون) مر معناه بين سبحانه أنهم الخاسرون دون من آمن به (تولى عنهم) شعيب أي اعرض عنهم لما رأى اتقال الذئاب عليهم أعراض الأيس منهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي) فيا لمربي فلم تؤمنوا (ونصحت لكم) فلم قبلوا ومضاه أن ما نزل بكم من البلا ولأن كان غنيا فقد استرجعتم ذلك بجهنمكم على أنفسكم (فكيف أسي) أي فكيف أحزن (على قوم كافرين) حل للذئاب بهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف أسي وإن كان على لفظ الاستهزاء فالمراد به النبي لأن جوابه في هذا الموضع لا يصح إلا بالنفي وإنما يدخله معنى الانتكار أيضا لأنه العلة وهذا كما قال السجاء «الطربولانت قسري بمهكذا تسل من شعيب بما يذكر من حاله منهم في مناصحته لهم وتأديته رسالة ربه

اليهم وانه لا ينبغي أن يأسي عليهم مع تجردهم في كفرهم وشدة عثرهم قال البلخي وفي هذا دلالة على انه لا يجوز للسلم أن يدعو للكافر بالخير وانه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين
قوله تعالى (٩٤) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ (٩٥) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَنْتَهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ (آياتان)

[- الفة -]

التبديل وضع احد الشئين مكان الآخر واصل المعنى الترك من قوله فمن عني له من اخيه شيء فمضى قوله عفا تركوا حتى كثروا قال

ولكننا نعص السيف منها بأسوق عافيات الهم كوم
والبنته التجارة وهي الأخذ على غرة من غير مقدمة تؤخذ بالنازلة يقال بنته بيته بنتا وبنته قال « وانكأ شيء حين يفجأك البنت »

✽ الأعراب ✽

اصل يضربون يضربون فادغمت التاء في الضاد ولا يدغم الضاد في التاء لأن في الضاد استطالة وإدغامه الناقص في الزائد ولا يدغم الزائد في الناقص لما في ذلك من الإخلال به وهو في موضع رفع بأنه خبر لعل وبنته مصدر وضع موضع الحال

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه بعد ما اقتص من قصص الانبياء وتكذيب ائمتهم ما نزل بهم من العذاب سنة في امثالهم تسلية لنبيينا صلى الله عليه وآله فقال (وما أرسلنا في قرية) من القرى التي اهلكناها بالعذاب وقيل في سائر القرى من الجبائي (من نبي) وهو من يؤدي منا بلا واسطة من البشر فلم يؤمنوا به بعد قيام الحجة عليهم (إلا اخذنا أهلها) يعني أهل تلك القرية (بالأساء والضراء) لعلهم يضربون) أي ليشبهوا ويعلموا انه مقدمة العذاب ويضربوا يتوبوا عن شركهم ومناقضتهم ويعني بالأساء ما نالهم من الشدة في انفسهم وبالضراء ما نالهم في امورهم وقيل ان البأساء الجوع والضراء الامراض والشدائد من الحسن وقيل ان البأساء الجوع والضراء الفقر عن السدي ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي رفقنا السيئة ووضعنا الحسنة مكانها والسيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن عباس والحسن وقناعة ومجاهدة وسيئة لا تها تسوء صاحبها قال الجبائي جرى في هذا الموضع على سبيل التوسع والمجاز (حتى عفا) أي كثروا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل مستوعن الحسن وقيل اعرضوا عن الشكر عن أبي مسلم (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أي قال بعضهم بعض هكذا عادة الدهر فكثروا على ما اتمم عليه كما كان آباؤكم كذلك فلم ينتظروا من حاكم ففتكوا فأخذناهم (بنته) أي فجأة عيرة لمن يدهم (وهم لا يشعرون) أي لم يعلموا ان العذاب نازل بهم إلا بعد حلوله وحقيقة المعنى في الآية انه سبحانه يدبر خلقه الذين يعصونه بأن يأخذهم قرة بالشدة وقررة بالرأفة فإذا انقضوا على الأمرين جميعا اخذهم فجأة ليكون ذلك اعظم في الحسرة والابتن في القوية نعوذ بالله من سطوة

قوله تعالى (٩٦) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٧) أَقَامِينَ أَهْلَ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَاتَاتًا

وَمَنْ نَّائِمُونَ (٩٨) أَوْ آمِنُ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَعْفٌ وَمَنْ يَلْمِزُونَ (٩٩) أَفَأَمِنُوا
مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

أو أمن يقتض الروا عن ابى واين فليح والباقون أو أمن يسكون الروا إلا ان وشا قرأه على أصله في القاء
حركة الهزئة على الساكن قبلها فقال أو أمن

— الحجة —

قال ابو علي او حرف استعمل على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بمعنى احد الشئين او الاشياء في الخبر
والاستهتام ﴿ والآخر ﴾ ان يكون للاضراب عما قبلها في الخبر والاستهتام كما ان أم المنقطعة في الاستهتام
والخبر كذلك فاما التي تكون لأحد الشئين او الاشياء فمثله في الخبر زيد او عمرو ضربته وجاء زيد او عمرو
كما تقول احدهما جاء واحدهما ضربته وهي إذا كانت للاضابة كذلك ايضا وهو قوله جالس الحسن او ابن
سبرين واما التي تجيء للاضراب بعد الخبر والاستهتام فكقولك اذا اخرج ثم تقول او اقيم اضربت من الخروج
والتبث الاقامة كأنك قلت لا بل اقيم كما انك في قولك انها لا بل أم شا. مضرب من الأول ولا يقع بعدا وهذه
الاجملة ومن ثم قال سيوري في قوله ولا تطعم منهم أمًا او كفورا انك لو قلت او لا تطعم كفورا انقلب المعنى وإذا
كان ينقلب المعنى لأنه إذا انقلب لا تطعم منهم أمًا او كفورا فكأنه قال لا تطعم هذا الضرب ولا تطعم هؤلاء فلولا انهم
ان لا يطعم واحدا منها لأن كل واحد منها في معنى الآخر في وجوب ترك الطاعة له كما جاز له أن يعجبهم
مجالسة الحسن وابن سبرين لأن كل واحد منها اهل للمجالسة ومجالسة كل واحد منها كجبالسة الآخر ولو
قال ولا تطعم منهم أمًا او لا تطعم كفورا كان بقوله او لا تطعم قد اضرب عن ترك طاعة الاول وكان يجوز ان يطعمه
وفي جواز ذلك انقلاب المعنى وزجه قراءة من قرأ أو أمن انه جمل او للاضراب لا على انه ابطال الاول ولكن
كقوله ألم تزيل الكتاب ثم قال لم يقولوا فتراه فجاه هذا ليصروا ضلالتهم فكان المعنى أو أمنا هذه الضروب
من معاقبتهم والأخذ لهم وإن شئت جعلته او التي في قولك ضربت زيدا او عمرا كأنك اردت أفأمنوا إحدى
هذه المعقولات ووجه قراءة من قرأ أو أمن انه ادخل همزة الاستهتام على حرف اللطف كما دخل في نعر قوله
أثم إذا ما وقع وقوله او كما عاهدوا عهدا ومن حجة من قرأ ذلك انه اشبه بما قبله وما بعده الا ترى ان قبله أفأمن
اهل القرى وبعده أفأمنوا مكر الله أولم يعد للذين يؤمنون الارض فكما ان هذه الاشياء صلف حرف دخل عليها
حرف الاستهتام كذلك يكون أو أمن

﴿ القصة ﴾

• البركات الحبرات النامية واصله الثبوت والامن والثقة والطمانية نظاير في اللغة وضد الأمن الحرف وضد
الثقة الرية وضد الطمانية الاتراج والامن الثقة بالسلامة من الحرف والبأس المذاب والبؤس الفقر والاصل
الشدة ورجل يتشى شديد في القتال والنوم تقيض اليقظة وهو سهو يسهو القلب وينشى الدين ويضعف الحس
وينافي العلم يقال تام الرجل ينام نوما وهو حسن النية إذا كان حسن الهيئة والنوم ورجل نومة يسكون الروا إذا
كان خيسا لا يؤبه به ورجل نومه يبتغ الروا إذا كان كثير النوم والنعيم القرو لأن من شأنه ان ينام فيه او لأنه
يفشى كما يفشى النوم والضنى صدر النهار في وقت انبساط الشمس واصله الظهور من قولهم ضما الشمس يضو
ضحا وضحا وفعل ذلك الامر ضاحية إذا ضحا ظاهرا والأضحية لأنها تذبذب عند الضحى يوم العيد قال الخليل
المكر الاحتيال بظواهر خلاف الاضار وقيل ان اصل المكر الالتفاف ومنه ساق مكورة أي ملتفة حسنة

قال ذو الرمة

عجزاء مكمورة خصاصة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب
والمكور شجر - من قال في عتي وفي مكمورة معنى قولك مكور فلان يكمركوا التفت قدبيره
على مكموره لصاحبه

الاعراب

لو معناه تعليق الثاني بالأول الذي يجب الثاني بوجوبه ويتحقق بالتقائه على طريقة كان وإن فيها هذا المعنى على طريقة يكون والقرى بينها أن تعالى الثاني بالأول الذي يمكن أن يكون ويمكن أن لا يكون كقولك إن آمن هذا الكافر استحق الثواب وهذا مقدور وليس كذلك أو لأنها قد تدخل على ما لا يمكن أن يكون كقولك لو كان الجسم قدما لاستنتي من صاتم وإنما وقعت أن بعد لو لأنها وقعت في الموضع الذي يختص بالفعل فلأن لو ليس يدخل إلا على الفعل وإن مع اسمها وشبهها في تأويل اسم مفرد فيكون تقديره لو وقع إن أهل القرى آمنوا فيكون أن مع ما بعدها في موضع رفع بالفعل المقدر بعد لو وإنما دخلت هذه الاستثناء على حرف المطلق من قوله أفأمن أو آمن مع أن الاستثناء للاستئناف والمطلق بخلافه لأنها إنما يشاغبان في المفرد لأن الثاني إذا عمل فيه الأول كان من الكلام الأول والاستئناف قد أخرجه من أن يكون منه وأما في صنف جملة على جملة فيصح لأنه على استئناف جملة بعد جملة

المعنى

ثم بين سبحانه أن كل من أهلكنه من الأمم المتقدم ذكرهم إنما أتوا في ذلك من قبل نفوسهم فقال (ولو أن أهل القرى) التي أهلكتها بسبب جبرودهم وعنادهم (آمنوا) وصدقوا رسلنا (واتقوا) الشرك والمعاصي (فقتلنا عليهم ير كات) أي غزوات ثمانية (من السماء) بل توال المطر (و) من الأرض (بلخراج النبات والتجار كما وعد نوح بذلك أمته فقال يرسل السماء عليكم مدرارا الأيت وقيل بر كات السماء اجابة الدعاء وبر كات الأرض تيسير الحوائج (ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من المعاصي والمخالفة وتكذيب الرسل فحبسنا السماء عنهم وأخذناهم بالضيق عوقبه لهم على فعلهم (أفأمن أهل القرى) المكذبون لك يا محمد (أن يأتيهم بأسنا) أي عذابنا (بياتا) ليلا (وهم نائمون) في فرشهم ومنازلهم كما أتى المكذبين قباهم (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي عذابنا نهارا عند ارتفاع الشمس (وهم يلبسون) أي وهم في غير ما ينفعهم أو يعود عليهم ينفع فإن من اشتغل بدينه وأعرض عن آخرته فهو كاللاعب والممنى بأهل القرى كل أهل قرية يقيم على معاصي الله في كل وقت وزمان وإن نزلت بسبب أهل القرى الظالم أهلها المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وإنما نحن سبحانه هذين الوقتين لأنه أراد أنه لا يجوز لهم أن يأمنوا ليلا ولا نهارا عن الحسن (أفأمنوا مكر الله) أي أفيعد هذا كله آمنوا مذاب الله أن يأتيهم من حيث لا يشعرون عن الجاني قال دخلت النار الخشب وسمي المذاب مكرًا لقوله بهم من حيث لا يطمون كما أن المكر يقول بالمكسور به من جهة الماك من حيث لا يعلمه وقيل أن مكر الله استدراجه إياهم بالصحة والسلامة وطول العمر وتظاهر النعمة (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) يسأل عن هذا فيقال أن الأنبياء والمصومين آمنوا مكر الله وليسوا بخاسرين وجوابه من وجوه **أحدها** أن معناه لا يأمن مكر الله من الذين ينكرون إلا القوم الخاسرون بدلالة قوله سبحانه أن المتقين في مقام أمين **وثانيها** أن معناه لا يأمن عذاب الله للصلاة ولهذا سلموا من مواقة الذنوب **وثالثها** لا يأمن عقاب الله جهلا بحسبته إلا الخاسرون ومعنى الآية الإيانة عما يجب أن يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله تعالى لينسارع إلى طاعته

واجتناب مصابه ولا يستمر الأمن من ذلك فيكون قد خسر في دنياه وآخرته بالهلاك في التبايح
قوله تعالى (١٠٠) أولم يهد للذين يوتون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصنام يذنبونهم
ونطمع أهل قلوبهم فهم لا يسمعون (١٠١) تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطعم الله على قلوب الكافرين
(١٠٢) وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ يعقوب برواية زيد أولم يهد بالنون وكذلك في طه والسجدة وبه قرأ أبو عبد الرحمن السلمي وقناة
وبالقنون بالياء

❖ الحجة ❖

من قرأ نهد بالنون فإنه لتطليم وهذا بقوي أن المعنى في قوله أولم يهد بالياء أولم بين الله سبحانه لهم دون
أن يكون المعنى أولم يهد لهم مشيئتنا أو اصطلاحنا لمن اهلكناه

❖ اللغة ❖

القصص اتباع الحديث الحديث يقال فلان يقص الأثر أي يشبهه ومنه القص لأنه يتبع في التطلم أثر القلم
والنبا الخبر من امر عظيم الشأن ولذلك أخذ منه اسم نبي الوجدان والإيقان والادراك والمصادقة نظائر

❖ الإعراب ❖

نطمع ليس بمعول على أصنامهم لأنه لو حمل عليه لكان ولطمعنا ولكنه على الاستئناف أي ونحن نطمع
من عهد من هنا لتبعض لأنه إذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد الجسيم والاولى أن تكون من مزيدة لتعميم
واستفراق الجنس وقيل أن أصلها لا ابتداء الثانية قد دخلت على ابتداء الجنس إلى انتهائه وإن وجدنا أكثرهم فاسقين
أن هذه هي المخفضة من الثقيلة وإذا خفضت جاز التأنيها من المل وان يليها الفعل لأنها حيث قد صارت خارجة
من شبه الفعل

❖ المعنى ❖

ثم انكر سبحانه عليهم تركهم الاعتبار بين تقديمهم من الامم فقال (أولم يهد) وهو استفهام يراد به
التقرير أي أولم بين الله والبرون أولم تبين عن أين عباس ومجاهد والسدي وقيل معناه أولم يهد ما تولوا من اتباع
القرى وقيل تقديره أولم يهد لهم مشيئتنا لأن قوله أن لو نشاء أصنام في موضع رفع بأنه فاعل يهدي للذين
يوتون الأرض من بعد أهلها (معناه للذين خلقوا في الأرض من بعد أهلها الذين اهلكهم الله بتكذيبهم للرسل
(أن لو نشاء أصنام يذنبونهم) يعني أولم تبين أنا لو شئنا اهلكناهم بقابل ذنوبهم كما اهلكنا الأمم الماضية
قبلهم (ونطمع على قلوبهم) قد ذكرنا معنى الطمع والغنى في أوائل سورة البقرة (فهم لا يسمعون) الرعشة ولا
يقبلونه ثم أخبر سبحانه من أهل القرى التي ذكرها وقص خيبرها فقال (تلك القرى) والمخاطبة للذي عليه السلام
(نقص عليك من أنبائها) لتفكر فيها وتغير قومك بها ليتذكروا ويمتدروا عن الأصمار على مثل حال
أو تلك المتفرق بطول الإهمال في النعم السابقة والمثل للظاهرة (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) أي الدلالات
والحجج وإنما أضاف الرسل إليهم مع أنهم رسل الله لأن المرسل ممالك الرسالة وقد ملك الباد الاتماع بها
والاهتداء بها فيها من البيان (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل) معناه فما اهلكناهم إلا وقد كان في

معلومنا انهم لا يؤمنون ابداً عن مجاهد قال ويريد بقوله من قبل من قبل العلاك وهو بقوله ولو ردوا لاحدا
 لما نهره عنه وقيل معناه ان عتوهم في كفرهم وتوهم فيه يحلهم على ان لا يتركوا إلى الايمان فكلما كانوا يؤمنوا
 بعد ان جاءتهم الرسل بالمعجزات بما كذبوا به من قبل رزيتهم تلك الثبات عن الحسن وقيل معناه ما كان هؤلاء
 الخلق يؤمنوا بما كذب به او اتهمهم من الادم وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فحصل ما مصدق (كذلك
 يطع الله على قلوب الكافرين) قيل ان الله سبحانه شبه الكفر بالصدأ لانه يذهب عن القلوب بعلادة الايمان
 ونور الاسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف وصفاء المرآة ولا صاروا عند امر الله لهم بالايان إلى الكفر جاز
 ان يضيف الله سبحانه الطبع إلى نفسه كما قال زادتهم رجسا إلى رجسهم وان كانت السورة لم تزدهم ذلك من
 جفرين حرب والبطي وجه التشبيه في الكاف ومعناه ان دلالة على انهم لا يؤمنون كالطبع على قلوب
 الكافرين الذين في مثل صفتهم وقيل معناه كما دل الله لكم بالاخبار على انهم لا يؤمنون فكذلك يدل للعائكة
 بالطبع على انهم لا يؤمنون (وما وجدنا لأكثرهم) أي ما وجدنا لأكثر المهلكين (من عهد) أي من وفاء
 عهد كما يقال فلان لا عهد له أي لا وفاء له بالهد وليس يحافظ العهد ويميز أن يكون المراد بهذا العهد ما اودع
 الله العقول من وجوب شكر المسموع واطاعة المالك للحسن واختساب القبايع ويميز أن يكون المراد به ما اخذ على
 المكلفين على السنة الانبياء ان يصدوه ولا يشر كوابه شيئا وهو قول الحسن (واو) وجدنا لأكثرهم لفاسقين) الام
 وان لنا كيد والمعنى واننا وجدنا أكثرهم ناقضين لعهد مغلفين للوعده ويسأل فيقال كيف قال أكثرهم
 وكلهم فمقة وكيف يجوز أن يكون كافر غير فاسق والجواب انه قد يكون الكافر عدلا في دينه غير
 مرتكب لما يجرم في طرقة فلهذا يكون المعنى وان أكثرهم مع كفرهم فاسق في دينه غير لازم للذهب
 ناقض للعهد وقيل الوفاء بالوعد

قوله تعالى (١٠٣) ثُمَّ يثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملأه فظلموا بها فانظر
 كيف كان عاقبة المفسدين (١٠٤) وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين
 (١٠٥) حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد حشركم بينة من ربيكم فأرسل معي
 بني إسرائيل (١٠٦) قال إن كنت جئت بآية فات بها إن كنت من الصادقين (١٠٧) فالتقى
 عصاه فإذا هي ثعبان مبين (١٠٨) ونزع يده فإذا هي بضياء للناظرين (ست آيات)

❦ القراءة ❦

قرأ نافع وحده حقيق على تشديد الباء والباقر بتخفيف الباء

❦ الحجة ❦

قال ابو علي حجة نافع في قوله حقيق على واتصاله بلى من وجهين ❦ احدهما ❦ أن حق الذي هو فعل
 بعدى بلى قال فحق علينا قول ربنا ❦ والاخر ❦ ان حقيق بمعنى واجب فكما أن واجب يتعدى بلى كذلك
 يتعدى حقيق به ومن قرأ حقيق على فجاز تعديته بلى من الوجهين الذين ذكرنا وقد قالوا هو حقيق بكذا
 فيجوز على هذا أن يكون على معنى الباء قال ابو الحسن كما وقعت الباء في قوله بكل صراط توعدون
 موقع على كذلك وقعت على هنا موقع الباء

- اللغة -

البحث الإرسال وهو في الأصل النقل باعتدال بموجب الإسراع في المشي فالتبث بعد الموت نقل إلى حال الحياة والبحث لانتباه نقل بالإرسال عن حالة إلى حالة النبوة والعصا عود كالقضب يابس وأصله الامتناع يسه يقال عصي بالسيف بمعنى إذا امتنع قال جرير

تصف السيوف وغير كم بمعنى بها يا ابن القتون وذلك فعل الصيقل ويقال عصا بالسيف أي اخذه اخذ العصا ويقال لمن استقر بعد تنقل التي عصاه قال

فألفت عصاه واستقرت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر وليست المعصية بمشتقة من العصا لأن العصا من نبات الروا والمعصية من نبات الياه قال

فجاءت بنسج المنكبوت كأنه على عصبوها سابري مشرق وأصل التي من القاء الذي هو الاتصال فآتي عصاه أي أزال اتصالها كان عليه والثعبان الحية الضخمة الطويلة قال الفراء الثعبان أعظم الحيات وهو الذكور وهو مشتق من ثبت الماء ائمه إذا فجرته والمنقب موضع اقتجار الماء فسمي الثعبان لأنه يجري كمنى الماء عند الانفجار والنزع إزالة الشيء عن مكانه الملابس له المتكمن فيه كنزع الرداء عن الإنسان والنزع والقلم والجذب نظائر

﴿ الإعراب ﴾

موضع كيف في قوله كيف كان نصب لأنه خبر كان وتقديره انظر أي شيء كان عاقبة المفسدين وموسى على وزن مفعول والميم زائدة لكثرة زيادتها أولا كالميمزة حتى صارت اغلب من زيادة الألف اخيرا وافعى على وزن افضل لهذه اللمة وموسى لا ينصرف لأنه اسم اعجمي معرفة وموسى الحديد عربي ان سميت به رجلا لم تصرف لأنه موث ومعرفة على أكثر من ثلاثة احرف كالموسمته بناتق لم تصرفه وقرعوت على وزن فعلن مثل برذون قالوا زائدة لأنها جاءت مع سلامة الأصول الثلاثة والنون زائدة لزومها وفعول لا ينصرف لأنه اعجمي معرفة عرب في حال تعريفه لأنه نقل من الاسم العلم ولوعرب في حال تنكيره لا ينصرف كما ينصرف ياقوت في اسم رجل، إلا الحق نصب بانه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ، قوله إن كنت جئت بأية قال ابوالباس للبرد ان هنا لم ينقل الماضي الى معنى الاستقبال من أجل قوة كان لأنها أم الأفعال ولا يجوز ذلك في غيرها وقال ابو بكر السراج المعنى ان تكن جئت بأية أي ان صحت ذلك قال إذا امكن إجراء الحرف على أصله لم يجز اخراجه منه وان ينقل الفعل نقلين إلى الشرط والاستقبال كما ان لم ينقل الفعل إلى التخي والماضي وضير المحاطب في كنت يرجع إلى المكثي ولا يجوز ذلك في الذي لأن الذي غائب فحق ان يعود إليه ضمير الغائب وقد أجازوه إذا تقدمت كتابة المتكلم في نحو قول الشاعر

وإنا الذي قد كنت بكرا بالقتا وتركت تطلب غير ذات سنام
وغرو ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام من قوله

إنا الذي سمعتني أمي حيدره أكيلكم بالسيف كيل السندرة
وعلى هذا يجوز ان الذي ضربك عمرو والوجه ضربه عمرو وقوله فأت بها جاز وقوع الأمر في جواب الشرط

لأن في معنى ان كنت جئت آية فاني الزمك ان تأتي بهذا قد عادلى انه موجب الثاني بوجود الأول
قوله فإذا هي ثمان مئين اذا هذه ظرف مكان ويسى ظرف المفاجأة وهي بخلاف اذا التي هي ظرف زمان
وفها معنى الشرط ويسل فيها جوابها ومثال اذا التي هي ظرف المكان قولهم خرجت فإذا الناس وقوف فإذا
في موضع نصب بكونها ظرفا لوقوف وتقديره فالحضرة الناس وقوف فيجوز ان ينصب وقوف على الحال لأن
اذا ظرف مكان وظروف المكان تكون اخبارا عن الجئت وهذه المسئلة وقعت بين سيبويه والكسائي
لما اجتمعما عند يحيى بن خالد البرمكي فبارواه علي بن سليمان الاخفش قال حدثني احمد بن يحيى ثعلبي ومحمد
ابن يزيد الميردقالا ما ورد سيبويه بنداشقرامه على الكسائي فأتى جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى فقال انا
وليكا وصاحبكما وهذا الرجل قد قدم لذهب بجلي قالوا له فاحمل نفسك فإذا نسجيم بينكما فجما بينهما عند
انيما وحضر سيبويه وحده وحضر الكسائي ومعه الفراء وعلي الآخر وغيرهما من اصحابه فآلوه كيف تقول
كنت أظن القرب أشد لسة من الزنود فإذا هو في او فإذا هو اياها قال اقول فإذا هو في فأقبل عليه
الجمع فقالوا له اخطأت ولخت فقال يحيى هذا موضع مشكل انتلوا ماما مصر يكافن يحكم بينكما قال فقال الكسائي
واصحابه الاعراب الذين على الباب فادخل ابو الجراح ومن وجد معه من كان الكسائي واصحابه يحملون
عنهم فقالوا انا نقول فإذا هو اياها وانصرف المجلس على ان سيبويه اخطأ وحكموا عليه بذلك فأعطاه البرامكة
وأخذوا له من الرشيد وبشوا به الى بلده فابث بعد هذا الامر الا يسيرا حتى مات ويقال انه مات كمداً
قال علي بن سليمان واصحاب سيبويه الى هذه الناية لا اختلاف بينهم يقولون ان الجواب على ما قال سيبويه
فإذا هو في وهذا موضع الرم وهو كما قال علي بن سليمان وذلك ان النصب انا يكون على الحال نحو
خرجت فإذا الناس وقوفاً جاز النصب هنا لأن وقوفاً نكرة والحال لا يكون الا نكرة فإذا انصرفت بطل امر
الحال فإن المنصرفة معرفة والمعرفة لا تكون حالا فوجب للدول عن النصب الى الرم كما تقول فإذا
الناس وقوف

المعنى

ثم عطف سبحانه قصة موسى (ع) على ما تقدم من قصص الأنبياء (ع) فقال (ثم يشأنا من بعدهم) اي
من بعد الرسل الذين ذكرناهم او من بعد الأمم الذين ذكرنا افعالهم (موسى بأياتنا) اي ببدلائنا
وحجبتنا (الى فرعون وملاته) اي اشراف قومه وذوي الأمر منهم (فظلوا بها) اي ظلوا انفسهم يمجدها
عن الحسن والجلاني وقيل فظلوا بوضعها غير مواضعها فبصلوا بدل الإيمان بها الكفر والجحود لأن الظلم
وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقه ولم يقل فذهب موسى (ع) فأدى اليهم الرسالة مكذبوه لأن في
قوله فظلوا بها دلالة عليه (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني ما آل اليه امرهم في الهلاك وقال موسى
يا فرعون اني رسول من رب العالمين (هذه حكاية قول موسى لفرعون وندائه له اني رسول اليك من قبل
رب العالمين مبيث اليك والى قومك قال وهب وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف
وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولا اربعة ايام (حقيق) اي ان
لا أقول على الله الا الحق (قال الزباج مصناه حقيق على ترك القول على الله الا الحق وقال الإمام العلامة
الزمخشري تقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى

الا مثلي ناطقا به ومنه قول العرب فلان يدعي العلم بالطرق فوق ما يدعي هو العلم بها
وقال الفراء مناه حقيق بأن لا أقول علي الله الا الحق فيكون علي بمعنى الباء كما تقول رميت السهم علي
القوس والبقوس وجهه في فلان علي حالة حسنة وبجالة حسنة وقيل معناه حريص علي ان لا أقول علي الله
الا الحق وما فرضه علي من الرسالة عن أبي عبيدة (قد جئتكم بينة) اي بحجة ومعجزة (من وكم) اي
اعطائنا ربحكم (فأرسل معي بني اسرائيل) اي فأطلق بني اسرائيل من عقال التفسير وخلصهم يرجوا الي
الارض المقدسة وذلك ان فرعون والقيط كانوا قد استبعدوا بني اسرائيل واعتقلوهم للاستخدام في الاعمال
الشاقة مثل بناء المنازل وحمل الماء وقتل التراب وما اشبه ذلك (قال) فرعون (ان كنت جئت بأية) اي
حجة ودلالة تشهد لك علي ما تقول (فأت بها ان كنت من الصادقين) في انك رسول الله (فأتني عصاه)
القاء فاه الجواب اي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من يده (فاذا هي ثمان مئين) اي حية عظيمة
بين ظاهرها ثمان مئيت لا يشبه علي الناس ولم يكن مما يخيل انه حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت
حية أخذت قبة فرعون بين فكيفها وكان ما بينهما ثمانون ذراعا فضرع فرعون الي موسى بعد ان وثب من
سريره وهرب منها وحدث وهرب الناس ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وأنا أوثمن بك
فأخذها موسى فادت عصا عن ابن عباس والسدي وقيل كان طولها ثمانين ذراعا (ونزع) يده فاذا هي
بيضاء فلناظرين (هناك قيل ان فرعون قال له هل ملك آية أخرى قال نعم فأدخل يده في جيبه وقيل تحت
ابطه ثم نزعها اي اخرجها منه وأظهرها فاذا هي بيضاء اي لوها ابيض نوري ولها شعاع يغلب نور الشمس
وكان موسى (ع) آدم فيها يروى ثم اعاد اليد الي كفه فادت الي لوها الاول عن ابن عباس والسدي
ومجاهد. سؤال. قيل كيف قال سبحانه هنا فاذا هي ثمان وقال في موضع آخر فلما رآها تهتز كأنها جان
والثمان الحية العظيمة والجان الحية الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة واحدة والجواب ان الايتين ليستا اخباراً
عن هيئة واحدة بل العالمان مختلفان والحالة التي كانت العصا بصفة الجان كانت في اجزاء النبوة
والحالة التي كانت بصفة الثمان كانت عند لقائه فرعون وعلى هذا فلا سؤال وقد اجيب ايضا عن ذلك بأنه
شبهها بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها مع انها في جسم الثمان وكبر خلقه وهذا ابر في باب الاعجاز

❦ حديث الصا ❦

قد ذكر فانيس موسى (ع) في سورة البقرة وأما عصاه فقيل انه اعطاها بابا ملك حين توجه الي مدين وقيل ان
عصا آدم من آس الجنة حين لحط وكانت تدور بين اولاده حتى انتهت النبوة الي شعيب فكانت ميراثا له مع اربعين
عصا كانت لأبائه فلما استأجر شعيب موسى امره بدخول بيت فيه العصي وقال له خذ عصا من تلك العصي فوعدت تلك
العصي بيد موسى فاستردنها شعيب وقال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلاث مرات في كل مرة تقع يده عليها دون
غيرها فتركها في يده في المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجها الي مصر ورأى نارا وأتى الشجرة فناداه الله
تعالى ان يا موسى اني انا الله وأمره بإلقائها فألقاها فصارت خيبة فولى حاربا فناداه الله سبحانه خذها ولا تخف
فأدخل يده بين لحبيها فادت عصا فلما أتى فرعون القاهما بين يديه علي ما تقدم بيناه وقيل كان الأنبياء (ع)
ياخذون العصا تحبها من الخيلاء وقال رسول الله (ص) تمصوا غلظتها من سنن اخواني المرسلين وقال أمير المؤمنين
(ع) قال رسول الله (ص) من خرج في مفروسة عصا من لوز مرّ وتلا هذه الآية ولا توجه تلقاء مدين الي قوله
والله علي ما تقول وكيل أمسه الله من كل سبع ضارب ومن كل لص عاذ ومن كل ذات حمة حتى يرجع الي

أهله ومثله وكان معه سبعة وسبعون من المقيبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها وقيل ان اول من أخذ العصا عند الخطبة في العرب قس بن ساعدة

قوله تعالى (١٠٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ (١١٠) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّاذَا تَأْمُرُونَ (١١١) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١٢) يَا تَوْكُّ يَا كُلَّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (أربع آيات)

— القراءة —

قرأ أهل المدينة والكسائي وخلف أرجه بكسر الهاء بنير حمز بين الجيم والهاء إلا أن ناقصوا الكسائي وخلفا يشمون كسرة الهاء ولا شيم ابو جعفر وقالون عن نافع بل بكسر ان الهاء بنير حمز بين الجيم والهاء وقرأ عاصم وحمز قارجه بنير حمز وسكون الهاء وقرأ الباقون أرجته بالهمز وضم الهاء وفي الشراء مثله وقرأ بكل سحار بألف بعد الهاء كوفي غير عاصم هاتوا في يونس وقرأ الباقون ساحر بألف قبل الهاء في السورتين ولم يخفوا في الشراء أن الألف قبلها هاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي أرجته أفضله من الارزاء وهو التأخير ولا بد من ضم الهاء مع المزة ولا يجوز غيره وأن لا يبلغ الواو احسن لأن الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كأنه جمع بين ساكنين ومن قال أرجته فالحق الواو فلأن الهاء متحركة ولم يلق ساكنات لأن الهاء يفصل بينهما ولو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو اتبع نحو عليها لاجتماع حروف متقاربة مع أن الهاء ليس بمجاز قوي ومن قرأ أرجيني فوصل الهاء ياء فلأن هذه الهاء يوصل في الادراج بواو ياء نحو يهودي وضر يهو ومن قرأ أرجه فلأن في أرجأت لتئين أرججت وأرجيت فإذا قال أرجه كان من أرجيت قال الزجاج زعم الحفلق بالحق أن هذه الهاء لا يجوز اسكانها اعني هاء الاضمار وزعم بعض النحويين ان اسكانها جائز وأن هاء التأنيث يجوز اسكانها واستشهد بيت مجهول وهو

لما رأى ان لادعه ولا شيع مال الى ارطاة حثيف فاضطجع

قال وهذا شعر لا يعرف قائله والشاعر قد يجوز ان يخطئ وحجة من قرأ ساحر قوله فالتى السحر قولنا تبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك قوله سحروا عين الناس وحجة من قرأ سحار انه قد وقفه بليم وذلك يدل على تناهيه فيه وحذقه به فصن لذلك أن يذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر

— اللفظ —

السحر لطف الحيلة في اظهار اعجوبة توهم المعجزة وقال الأزهري السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره واصل السحر خفاء الأمر والسحر آخر الليل خفاء الشخص بيقية ظلمته والسحر الرقة خفاء أمرها ويقال سحر للطر الأرض إذا جادها فقطع ثيابها عن أصوله قلب الأرض ظهرا لبطن يسحرها سحرا والأرض مسحورة فتشبه سحر الساحر بذلك لتخيله إلى من سحره انه يرى الشيء بخلاف ما هو به

﴿ الإعراب ﴾

فإذا تأمرون موضع ما يحتمل ان يكون رها ويكون ذا معنى الذي فيكون بمعنى فأي الذي تأمرون ويحتمل أن يكون نصبا ويكون ما وذا اسما واحدا ويكون بمعنى فأي شيء تأمرون ويأتوك مجزوماً لانه جواب الأمر وعامل

الاعراب فيه محذوف وتقديره فإذ كان ترسل يأتوك والباء في قوله بكل السحر يحتمل أن يكون بمعنى مع أي يأتون ومعهم كل ساحر فيكون في موضع الحال ويحتمل أن يكون للصدبة تقول ذهبت بهواذته وأتيت بهواتيه

❦ المعنى ❦

ثم حكى سبحانه ما قاله اشراق قوم فرعون فقال (قال الملأ من قوم فرعون) لمن دونهم في الرتبة من الحاضرين (إن هذا ساحر عليم) بالسحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم) مناه يريد أن يستعمل بقلوب بني اسرائيل إلى نفسه ويتقوى بهم فيطلبكم بهم ويخرجوكم من بلدكم (فإذا تأمرون) قيل أن هذا قول الاشراق بعضهم لبعض على سبيل المشورة ويحتمل أن يكون قالوا ذلك لفرعون وإنما قالوا تأمرون لفظ الجمع على خطب الملك ويحتمل أيضاً أن يكون قول فرعون لقومه فيكون تقديره قال فرعون لهم فإذا تأمرون وهو قول القراء والجبالي (قالوا ارجه وأخاه) أي قالوا لفرعون أخوه وأخاه هارون ولا تجعل بالحكم فهما بشي فتكون جعلتك حجة عليك عن الزواج وقيل أخوه أي أحسبه والأول أصح لأنه كان يعلم أنه لا يقدر على حبه مع ما رأى من تلك الآيات (وأرسل في المدائن) التي حولك (حاشرين) أي جامعين للسحرة يحشرون من يعلمونه منهم عن معاهد السدي وقيل هم اصحاب الشرط أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلاً عن ابن عباس (يأتوك بكل ساحر عليم) أي يحشرون اليك السحرة ليجمعوا ويمارسوا موسى فيظلموه

قوله تعالى (١١٣) وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين (١١٤) قال نعم وإن كنكم لن من الضالين (١١٥) قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون من المفلين (١١٦) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (أربع آيات)

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الحجاز وحسن إن لنا لأجراً بهززة واحدة على الخبر وقرأ أفن بهزتين مخففتين ابن عامر وأهل الكوفة غير حفص وقرأ أبو عمرو وأنت بهززة ممدودة وقرأ يعقوب غير زيد بهززة غير ممدودة

❦ المحبة ❦

قال أبو علي الاستهتام شبه بهذا الموضع لأنهم يستفهمون عن الأجر وليسوا يقفون على أن لهم الأجر ويقوي ذلك أجابهم في الشراء وربما حذف هززة الاستهتام قال أبو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل أنت من الناس من ينهب إلى أنه على الاستهتام وقد جاء ذلك في الشعر قال

افرح أن أزرأ الكرام وإن
ورث خوداً شصاً نصاً نبلاً
وهذا اقبح من قوله

وأصحب فيهم آمناً لا كعشر
لأن أم يدل على المحبة

❦ الإعراب ❦

نحن يحتمل أن يكون موضعه رفعا ويكون تأكيداً للضمير المتصل في كذا ويحتمل أن يكون فصلاً بين الخبر والاسم ونعم حرف مع أنه يميز الوقف عليه لأنه في الوجوب نظير لا في التثني وإنما جاز الوقف على كل واحد منهما لأنه جواب لكلام يستثنى بدلالته عليه عما يتصل به والواو في قوله وإنكم وإو السلف فكأنه قال لكم ذلك وإنكم لمن القريين وهو في مخرج الكلام كأنه معطوف على الحرف وكسرت الألف من إنكم

لأنه في موضع استئناف بالوعد ولم يكسر لدخول اللام في الخبر لأنه لو لم يكن اللام لكانت مكسورة وإنما دخلت أنت في قوله إما أن تلقى ولم تدخل في إما يعذبهم وإما يتوب عليهم لأن فيه معنى الأمر كأنه قال اختر إما أن تلقى أسيه إما الفاكه وإما القاءنا فموضع إن نصب ويجوز أيضا أن يكون التقدير إما الفاكه مبدؤه به وإما القاءنا فموضع إن هنا يكون نصبا

— المعنى —

(وجاء السحرة فرعون) في الكلام حذف كثير تقديره فأرسل فرعون في المداخن حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون وكانوا خمسة عشر الفا عن ابن اسحاق وقيل ثمانين الفا عن ابن المنكر وقيل سبعين الفا عن عكرمة وقيل خمسة وثلاثين الفا عن السدي وقيل كانوا اثنين وسبعين سحرا اثنان من القطب وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكلبي (قالوا) لفرعون إنما لم يقل فقالوا حتى يتصل الثاني بالأول لأن المعنى لما جاءوا (قالوا) فلم يصلح دخول القاء على هذا الوجه (أني للبالأجر) أي عوضا على عملنا وجزاء بالخير (إن كنا نحن الغالبين) لموسى (قال نعم) أي قال فرعون مجيبا لهم عما سأله نعم لكم الأجر (وإنكم لمن المقربين) أي وأنكم مع حصول الأجر لكم لمن المقربين إلى المنازل الجلية والمرتب العظيمة التي لا يتخطى إليها العامة ولا يحظى بها إلا الخاصة وفي هذا دلالة على حاجة فرعون وذلكه لاستدلال قومه به واحسنوا النظر فيه لنفوسهم لأن من المعلوم انه لم يمتنع إلى السحرة إلا لمجزه وضحه (قالوا) يعني قالت السحرة لموسى (يا موسى أما إن تلقى) ما مكنك من المصا اولا (وأما إن نكون نحن المقتين) لما مننا من المعنى والحبال اولا (قال) لهم موسى (القوا) اتمم وهذا امر تهديد وتقريع كقوله سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل منناه القوا على ما يصح ويحوز لا على ما يفسد ويستحيل وقيل منناه ان كنتم محقين فألقوا (علما القوا سحروا أعين الناس) أي فلما تلقى السحرة ما عندهم من السحر استمالوا سيرة شريك المعنى والحبال بما جعلوا فيها من الزيق حتى فركت بمرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وأنواع التديب والتليس وخيل إلى الناس انما تتحرك على ما تتحرك الحية وإنما سحروا أعين الناس لأنهم أروهم شيئا لم يعرفوا حقيقته ونفي ذلك عليهم لبعده منهم فإنهم لم يظنوا الناس يدخلون فيما بينهم وفي هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لأنها لو صارت حياث حقيقة لم يقل الله سبحانه سحروا أعين الناس بل كان يقول فلما القوا صارت حياث وقد قال سبحانه أيضا يخيل اليه من سحرم انها تسمى (واسترهبوهم) أي استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزواج وقيل منناه ادهبوهم والزعوم عن المبرد (وجاءوا بسحر عظيم) وصف سحرم بالعظم لبعده مرام الحيلة فيه وشدة التديب به فهو لذلك عظيم الشأن عند من يراه من الناس ولا على ما ذكرناه في عدة السحرة وكثرةهم كان مع كل واحد منهم عصا أو سبل فلما القوا وخيل إلى الناس انها تسمى استظلموا ذلك ونجفوه

قوله تعالى (١١٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ أَتَىٰ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٨) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٩) فَفُتِلُوا هُنَالِكَ وَاتَّقَلُوا صَاعِرًا (١٢٠) وَأَتَتْهُمُ السَّحَرَةُ مَجْجِلِينَ (١٢١) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٢) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (سورة آيات)

❦ القراءة ❦

قرأ فخص عن عاصم تلتف خفيفوفي طه والشراء مثله والياقون تلتف بشديد التاف في جميعا

❦ الحجة ❦

تلتف وتلقم واحد وأصله تلتف فحذفت التاء التي للمطابقة في تمل وثبت التاء التي للمضاربة وتلتف

سأكتبه اللام مضارع تلفظ تلفظاً قال الشاعر

أنت عصا موسى التي لم تزل تلف ما يأفكه الساحر

❦ اللغة ❦

الافك قلب الشيء عن وجهه في الأصل ومنه الافك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهة الصواب أصل
الوقوف السقوط كسقوط الحائط والطائر والواقعة النازلة من السماء قال علي بن عيسى الوقوف ظهور الشيء بوجوده
نازلاً إلى مستقره والحق كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة والباطل الكائن بحيث يؤدي إلىهلاك
وهو يقيض الحق لأن الحق كون الشيء بحيث يؤدي إلى النجاة والنجاة الظفر بالبنية من المدو في حال المنازعة
والصاغر الذليل والصغر والصغار الذلة يقال صغر الشيء يصغر صغراً وصغراً وإذا ذل وأصله صغر القدر

❦ الإعراب ❦

أن اتق يجوز أن يكون إن مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر فيكون تقديره وأوحينا إلى موسى بأن
التي أي بالإلقاء ويجوز أن يكون بمعنى أي لأنه تفسير ما أوحى إليه ما يأفكون ما يعني الذي وتقديره تلف
ما يأفكون فيه أي تلف المأفوك الذبيحة حل فيه الافك ومثله والله خلقكم وما تعملون يعني وما تعملون فيه
وما كانوا يعملون فيحتمل أن تكون ما يعني المصدر أي وبطل عملهم ويحتمل أن يكون ما يعني الذبيحة أي
وبطل الحبال والصبي التي عملوا بها السحر وما إذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل في الفعل كما يعمل إن فيه إذا
كانت بمعنى المصدر لأن إن ينقل الفعل تقلين إلى المصدر وإلى الاستقبال ولا ينقله ما إلى الاستقبال تقول
تمعجني ما تصنع الآن وتمعجني ابن تصنع وغيره وحالك دخلت اللام فيه ليند على بد للمكان المشار إليه كما
دخلت في ذلك لبدل المشار إليه فهنا لا بد قليلاً وهناك لما كان أشد بعداً وهو ظرف مبهم وفيه معنى الإشارة
كما إن ذا مبهم وإنما دخلت كاف المخاطبة مع بد الإشارة لتشعر بتأكيد معنى الإشارة إلى المخاطب ليتنبه على
بدل المشار إليه من المكان واليهيد أحق بعلامة التبيين القريب

❦ المعنى ❦

ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال (وأوحينا إلى موسى) أي أوحينا إليه من وجه لم يشر به إلا هو (أن اتق
عصاك) التي منك (فإذا هي تلفت ما يأفكون) مناه فألقاها فصارت ثعباناً فإذا هي تبلع ما يكذبون فيه أنها
حيات عن مجاهد (فوق) أي ظهر (الحق) وهو امر موسى وصحة نبوته ومعجزاته عن الحسن ومجاهد
وقيل وقع الحق بأن صارت الصاحبة في الحقيقة (وبطل ما كانوا يعملون) أي بطل تمويهاتهم عن الجبائي وإنما
ظهر ذلك لهم لأنهم لما رأوا تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة في الصاعطينها انهم سادوا لا يقدر عليه
غير الله تعالى فمن تلك الآيات قلب الصاحبة ومنها أكلها حياهم وعصيمهم مع كثرتها ومنها فناء حياهم وعصيمهم
في بطنها أما بالتفرق وأما بقاء عدد من جوده ومنها عودها عصا كما كانت من غير زيادة ولا نقصان وكل من
هذه الأمور يعلم كل عاقل أنه لا يدخل تحت مقدور البشر فاعتبروا بالوحد والنبوة وصار إسلامهم حجة على
فروع وقومه (فقلوا هنالك) أي قهر فروع وقومه عند ذلك المجمع وبهت فروع وخلى سبيل موسى ومن
تبعه (واقبلوا صاغرين) أي انصرفوا أذلاء مقهورين (وألقى السحرة ساجدين) يعني إن السحرة لما شاهدوا
تلك الآيات وعلموا أنها من عند الله تعالى آمنوا بالله تعالى وبموسى وسجدوا لله أنهمم الله ذلك وقبل أن موسى
وعارون سجدوا لله تعالى شكراً له على ظهور الحق فافتدوا بها فسجدوا معها وإنما قال التي على ما لم يسم فاعله
ليكون فيه معنى القائم مارأوا من عظيم آيات الله بأن دعاهم إلى السجود لله والخضوع له عزت قدرته وأنهم لم
يتألموا أنفسهم عند ذلك بأن وقوا ساجدين وهذا كما يقال أعجب فلان نفسه وإن كان أتى من قبله وليس

يفعل ذلك به غيره (قالوا آمنا) أي صدقنا (رب العالمين) الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما (رب موسى وهارون) خصوصاً بالذكر بعد دخولها في جملة العالمين لأنها دعوا إلى الإيمان بالله تعالى ولشرف ذكرهما وتفضيلهما على غيرهما على طريق المدح والتعظيم لما وقيل انهم فسروا سجودهم بأن قالوا آمنا برب العالمين لثلاث يتوهم متوهم انهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهارون لأن فرعون كان يدعي انه رب العالمين فأزالوا به الإيهام لثلاث يتوهم الجهال انهم غفوا يقولهم رب العالمين فرعون وقال علي بن عيسى يجوز ان يقال ان الله سبحانه لم يزل ربا ولا مروب كما جاز لم يزل أسعيا ولا مسموع لأنها صفة غير جارية على الفعل كما جرى صفة مالك على ملك يملك فالتدور هو المملوك ولا يطلق الرب إلا على الله تعالى لأنه يقتضي انه رب كل شيء يصح ملكه ويقال في غيره رب الدار ورب القوس ومثله خلق لا يطلق إلا عليه سبحانه ويقال في غيره خالق الادم

قوله تعالى (١٢٣) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٤) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ ثُمَّ لَأَسْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٥) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٦) وَمَا نَقِمْ مِنْهَا إِلَّا أَنْ أَنْتَابَآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (اربع آيات)

— القراءة —

قرأ حفص عن عاصم أنتم بهمزة واحدة على الخبر حيث كان والياقون بهمزتين على الاستفهام إلا ان أهل الكوفة إلا حفصا يحققون المزمزتين وغيرهم سخطوا الاولى ولينوا الثانية ولم يفصل احد بين المزمزتين بالـ

— الحجة —

وجه الخبر فيه انه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقرع لم بإيمانهم والإيمان تكار عليهم ووجه الاستفهام انه على جهة التقرع والتوبيخ ايضا ومن حقق المزمزتين فإنه على ما يراه من تحقيقها والمهمزة الثانية ممدودة لأن الألف المنقبة عن المهمزة التي هي فاء من الامن يتصل بها ومن خفف المهمزة الثانية فخصيفها أن يحطها بين بين

❦ النكتة ❦

الصلب الشد على الحشبة وغيرها وأصله من صلاة الشيء والقراء كلهم على تشديد اللام من التصليب. الازهري يقال تمتت على الرجل اتمت وامتت والفصح تمتت. ابن الاعرابي النعمة القوية والانكار قال علي بن عيسى النعمة ضد النعمة والفرق بين النعمة والإساءة ان النعمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة والإساءة لا تكون إلا قبيحة والسيئ مذموم لا محالة والإفراغ صب ما في الأثاء أجمع حتى يخلو مشق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار الجوع والصبر على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل

❦ المعنى ❦

ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند إيمان السحرة فقال سبحانه (قال فرعون آمنتم به) أي اقرتم له بالصدق من (قيل ان آذن لكم) اي من قبل ان أسركم بالإيمان وآذن لكم في ذلك (إن هذا لمكر مكرتوه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) أراد فرعون بهذا القول التليين على الناس وإيهامهم ان إيمان السحرة لم يكن عن علم ولكن لوطاؤهم منهم ليتجهوا مالكم وملكمكم وقيل معناه ان هذا لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها (فسوف تعلمون)

عاقبة اسمكم وهذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي من كل شق طرفا قال الحسن هو أن يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى (ثم لأصلبنكم اجمعين) أي لا أدع واحدا منكم إلا صلبه وقيل إن أول من قطع الرجل وصلب فرعون صلبهم في جذوع الخيل على شاطئ نهر مصر (قالوا) يعني السحرة جوابا لفرعون (إنا إلى ربنا منتقلون) أي راجعون إلى ربنا بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والاقطاب إلى الله تعالى هو الاقطاب إلى جزيته وغرضهم بهذا القول التسلل في الصبر على الشدة لما فيه من الثبوت مع مقابلة وعيده وعيد أشد منه وهو عقاب الله (وما نقم منا إلا أن آتانا بآيات ربنا لما جاءتنا) معناه وما نطمع علينا وما تكره منا إلا إيماننا بالله وتصديقنا بآياته التي جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولا ركبتنا منك مكروها تمدينا عليه إلا إيماننا بآيات ربنا وهي ما أتى به موسى «ع» آمنوا بها إنما من عند الله لا يقدر على مثلها إلا هو (ربنا افرغ علينا صبرا) أي أصب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى لا ترجع كفارا والمراءد اللطف لنا حتى تصبر على عذاب فرعون وتشتجع عليه ولا تقزع منه (وتوفنا مسلمين) أي وقتنا الثبات على الإيمان والإسلام إلى وقت الوفاة وقيل مسلمين عظمين لله حتى لا يردنا البلاء عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من يومه فكانوا أول النهار كفارا سحرة وآخر النهار شهداء بودة وقيل أيضا أنه لم يصل إليهم وعصمهم الله منه

قوله تعالى (١٢٧) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْبِلُ آيَاتِنَا وَمُتَّحِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (آية)

القراءة

روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وأنس ابن مالك وعلمقة وغيرهم ويذكر وأهلك وعن نعم بن منيرة والحسن بخلاف ويذكر بالرفع وعن الأشيب ويذكر يسكون الراء والقراءة المشهورة ويذكر وأهلك وقرأ أهل الحجاز منتقل إجماع بالتخفيف والياقوت منتقل بالتشديد

الحجة

أما الآية فإنه الرواية والعبادة فمن قرأ والإلهك ففساه ويذكر ورويتك عن الزجاج وقيل وعبادتك عن ابن جني قال ومنه سميت الشمس والآلهة والآلهة لأنهم كانوا يعبدونها ومن قرأ ويذكر بالرفع فإنه على الاستثنا أي وهو يذكرك وأما من أسكن فقال ويذكر فإنه كقراءة أبي عمرو إن الله باسمكم وقد مضى الكلام في ذلك ومن نصب ويذكر فإنه على جواب الاستفهام بالواو فيكون المعنى أليكون منك أن تذر موسى وإن يذكرك ويحوز أن يكون عطف على لفسدوا ومن قرأ منتقل بالتخفيف فإنه قد يقع ذلك على التكثير وغير التكثير والتثنية بهذا المعنى أخص وبالوضع أليق

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه (وقال الملأ من قوم فرعون) لما أسلم السحرة قريضا له على موسى (أنذر موسى وقومه لفسدوا في الأرض) أي أتركهم أحياء ليظهروا خلافتك ويدعوا الناس إلى مخالفتك ليلبوا عليك فيفسد به ملكك وأمرك وقيل لفسدوا في الأرض بعبادة غيرك والدعاء إلى خلاف دينك وقيل لفسدوا فيها بالثبوت عليها وأخذ موسى قومه منها وروى عن ابن عباس أنه لما آمن السحرة أسلم من بني إسرائيل سبائة ألف قس وأتبعوه (ويذكر وأهلك) قال الحسن كان فرعون يستعيد الناس ويبعد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها تقربا إليه وقال السدي كان يعبد ما يستحسن من البقر وروى أنه كان يأمرهم أيضا بعبادة البقر

ولذلك اخرج السامري لم عسلا جسدا له خوار وقال هنا إلهكم وإله موسى وقال الزجاج كانت له انصام يبعدها قومه تقربا اليه ومن قرأ وأهلك قال كان فرعون يستعبد الناس بنفسه ولا يبعد شيئا وروي عن مجاهد انه قال كان فرعون يبعد ولا يبعد (قال فرعون) (سقتل ابناءهم) الذين يكون فيهم التجدة والقوة ويصلحون للقتال (ونشجي نساءهم) أي بناتهم نسيجن إذ لا يكون فيهن تجدة وقوة للمهنة والخدمة استذلالا لهن وإن كان فرعون قد قطع طمعه عن قتل موسى وقومه فلم يقل سأقتل موسى وقومه لما رأى من علو أمر وعظم شأنه فانتقل إلى عذاب المستضعفين منهم وهم ابناء بني اسرائيل وبناتهم ليؤهم انه يترك ذلك فيهم ايضا (وإنما فوقهم قاهرون) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٢٨) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْآفَاقُ لِلشَّافِعِينَ (١٢٩) قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ نَأْتِيَنَّهُ وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عِيسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (آيَاتان)

الآية المعنى

قال ابن عباس كان فرعون يقتل ابناء بني اسرائيل فلما كان من امر موسى ما كان أمر بإعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو اسرائيل إلى موسى فعند ذلك (قال موسى لقومه استعينوا بالله) في دفع بلاء فرعون عنهم (واصبروا) على دينكم وعلى اذى فرعون (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) أي ينقلها إلى من يشاء قتل الموارث فيورثكم بعد اهلاك فرعون كما أوزنها فرعون وهذا وعد لهم بحسن العاقبة ليكون داعيا لهم إلى الصبر (والعاقبة للمتقين) معناه تمسكوا بالتقوى في الدنيا فلنحسن العاقبة في الدارين للمتقين والعاقبة ما يؤدى إليه البادئة إلا انه إذا قيل العاقبة له فهو في الخير وإذا قيل العاقبة عليه فهو في الشر كما يقال الدائرة له وعليه والدرة له وعليه (قالوا) أي قال بنو اسرائيل لموسى (أوزينا من قبل أن نأتينا) أي عذبنا فرعون بقتل الأبناء واستخدام النساء قبل أن نأتينا بالرسالة وقيل قبل أن نجئنا (ومن بعد ما جئنا) ايضا وبثوصدا وبأخذ أموالنا وبكفنا الأعمال الشاقة فلم تنفخ بمجيبك وهذا يدل على انه قد جرى فيهم القتل والتعذيب مرتين قال الحسن كان فرعون يأخذ الجزية قبل مجي موسى وبعده من بني اسرائيل فلما قالوا أوزينا من قبل أن نأتينا ومن بعد ما جئنا وهذا الذي قالوه إنما هو استبطاء منهم لا وعدم موسى (ع) من النجاة من فرعون وقومه فيبعد (ع) لم الوعد عن الله تعالى ليتقوا به (قال عيسى ربكم أن يهلك عدوكم) قال الزجاج عيسى طمع واشفاق إلا أن ما يطمع الله فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين عيسى من الله واجب ومعناه اوجب ربكم على نفسه أن يهلك عدوكم فرعون وقومه (ويستخلفكم في الأرض) أي يملككم ما كانوا يملكونه في الأرض من بدم (فينظر كيف تعملون) أي فيرى ذلك يوقعه منكم لأن الله تعالى لا يجازي عباده على ما يملحه منهم إنما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزواج وقيل يمل ذلك ومعناه فيظهر معلومه أي ليتبينكم بالنعمة ليعلم شكركم كما اجلكم بالحنة ليعلم صبركم ومثله وليلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصائرين وموضع كيف نصب وتقديره أعمالا حسنا تعملون أم قبيحا أي شاكرين كنتم لثمتهم أم كافرين وقد حقق الله سبحانه هذا الوعد فأورث بني اسرائيل أرض مصر وتوابعها بعد أن أهلك عدوهم

قوله تعالى (١٣٠) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ السُّيُوفَ وَنَقَصْنَا مِنَ الْقُرْآنِ لَعْلَهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣١) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَئِنَّا هِذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا

طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ آيَاتِ

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الحسن ألا إنما طيرهم عند الله بغير الف

﴿ الحجة ﴾

الطير يجمع طائر في قول أبي الحسن وفي قول صاحب الكتاب الطائر اسم للجمع بئزلة الجبال والباقر غير مكسر وروي عن قطرب أن الطير قد يكون واحداً كأن الطائر واحد ويحوز أن يكون الطائر جمعا كالجمال أنشد ابن الأعرابي

كانه تهتان يوم ماطر على رؤوس كروؤس الطائر

﴿ اللغة ﴾

العرب تقول أخذتهم السنة إذا كانت قحطة ويقال امتت القوم إذا اجتديوا وإنما قيل السنة للمجربة السنة ولم يقل للمغصبة لأنها نادرة في الاقتراد بل الجذب والتأدر احتق بالاقتراد بالذكر لا تحراده بالمعنى الذي ندر به قالوا وجدنا البلاد ممتين أبى جدوبا قال

وأموال اللثام بكل أرض تحبضها الجوائح والسنون

وقال آخر

كان الناس إذ فقدوا عليا نعام جال في بلد سنينا

أي في بلد جذب والتطير الطيرة من الشيء وهو التشاؤم به واشتقاقه من الطير وطائر الإنسان عمله أخذ من ذلك لأن العرب كانت تزجر الطير فتشأم بالبارح وهو الذبى يأتي من جهة الشمال وتبرك بالسائح وهو الذي يأتي من قبل اليمين قال الشاعر

زجرت لها طير الشمال فإن تكن هواك الذي يهوي يصيك اجتنابها ثم كثر ذلك فسمي الإنسان طائره ويقال طار له من القسم كذا وكذا وأنشد ابن الأعرابي

فإني لست منك ولست مني إذا ما طار من مالي الثمين

يريد الزوجة إذا أخذ منها من ماله

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما فعله بآل فرعون وأقسم عليه فقال (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) اللام للقسم وقد يقرب الماضي من الحال لأنه إذا توقع كرت امر قليل قد كان دل على قربه من الحال وآل الرجل خاصته الذين يؤول امره اليهم وأسهم اليه ومعناه ولقد عاقبنا قوم فرعون بالجذب والخصوط (وتقص من الثمرات) أي وأخذناهم مع القسط واجتلب الأرض بقصان من الثمرات (لهم يذكرون) أي يخافون فيوحسون الله فلم يتذكروا وقيل لكي يشكروا في ذلك ويوجعوا إلى الحق قال الزجاج إنما أخذوا بالقضاء لأن أحوال الشدة ترق القلوب وترغب فيها عند الله ألا ترى إلى قوله وإذا مسه الشر فذ دعاء عريض وقيل معناه لكي يتذكروا أن فرعون لو كان إلها لما كان يتسلم لذلك الضر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجرية في الله سبحانه يريد الكفر فإلهه يبين أنه أراد منهم التذكر والرجوع إلى الله (فلماذا جاءهم الحسنة) يعني الخصب والنعمة والسعة في الرزق والسلامة والمافية (قالوا لنا هذه) أي إنا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا ونعمة

أرزاقي في بلادنا ولم يملوا أنه من عند الله سبحانه فيشكروه عليه ويوشكروا النعمة فيه (وإن تمصم ميثمة)
أي جوع وبلاء وقطع المطر وضييق الرزق وهلاك الثمر والمواشي (بطير وإبوس ومن معه) أي بتطيرها فادغمت
النساء في الطاء وتفسيره ينشأوا بهم عن الحسن ومجاهدين زيد وقالوا ما رأينا شرا ولا أصابنا بلاء حتى رأيناكم
(أ لا إنما طأركم عند الله) معناه إلا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من العقاب عند الله فعمل بهم في
الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا عن الزواج وقيل إن معناه إن الله تعالى هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر
الشؤم من الخير والشر والفتح والغفر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله وقال الحسن معناه إلا أن
ما تنشأوا به محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله يوم القيامة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولا يتفكرون ليطلوا

قوله تعالى (١٣٢) وَقَالُوا مَهْمَا نَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَنَسْحَرَنَّهُ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
(١٣٣) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالْفَصَادَ وَالْدمَّ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ آيَاتِ

❖ القراءة ❖

في الشواذ قراءة الحسن الفعل يفتح الغاف وسكون الميم وهو للمروف

❖ اللفظة ❖

الطوفان السيل الذي يمتد بغرفته الأرض وهو أغود من العوف فيها وقيل هو مصدر كالرجعان والتقصان
قال الأخفش واحد طوفان قال أبو عبيدة الطوفان من السيل الباق ومن الموت الدريم والقمل كبار القردان
قال أبو عبيدة هو الحمنان واحلته حمنة وحمنة

❖ الأعراب ❖

معا قال الخليل مه أصلا ما إلا أنهم ادخلوا عليها ما كما يدخلونها على حروف الجواز يقولون اما وفي ما
فغيروا فيها بأن أبدلوا هاء ثلاثا يوم التكرير وصار ما فيها مبالغة في معنى العموم وقال غيره أصلا مه بمعنى
اكف دخلت على مالتى الجواز والفرق بين مها وما أن مها خالصة للجواز وفي ما الاشتراك لأنه قد يكون استخفافا
تارة ويعني الذي آخرى ويحتمل أخروا تأتينا مجزوم وعلامة الجزم فيه حذف الياء ولما حذف الياء الجزم لأنهم من
حروف اللد واللين وهي مجانبة لحركات الأعراب ومن شأن الجزم أن يحذف حركته فلا فاعلم يصادف حركة
عمل في نفس الحرف ثلاثا يمتل من العمل والضمير في به يعود إلى مها وتقديره أي شيء تأتينا به والضمير
في بها يعود إلى آية آيات مفصلات نصب على الحال

— المعنى —

(وقالوا) أي قال قوم فرعون لموسى (معها تأتينا به من آية) أي أي شيء تأتينا به من المعجزات (لنسحرنا
بها) أي لنتموه عليها بها حتى نتفلقا عن دين فرعون (فما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين إشاروا بهذا القول
إلى أسرارهم على الكفر وأنهم لا يصدقونه وإن أنسى جميع الآيات ثم زاد الله سبحانه في الآيات تأكيداً لموسى
موسى (ع) كما قال (فأرسلنا عليهم الطوفان) استخلف فيه قليل هو الماء الغالب الخارج عن العادة البادئ البينان
والقائم للأشجار والزرع عن ابن عباس وقيل هو الموت الدريم الجارف عن مجاهد وعطاء وقيل هو الطاعون بظنة
أهل اليمن أرسل الله ذلك على إبكار آل فرعون في ليلة فاقصصهم فلم يبق منهم إنسان ولا دابة عن وهب بن منبه
وقيل هو الجندري وهم أول من عذبوا به وبقي في الأرض عن أبي قتادة وقيل هو امر من الله تعالى طاف بهم من

ابن عباس رواه ابو غزيان عنه ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (والجراد) هو المعروف والقمل اختلف فيه فقيل هو الذبذبه وصغار الجراد الذي لا أجنحة له والجراد الطيارة التي لها أجنحة عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقادة والكلبي والقمل نبات الجراد عن عكرمة وقيل القمل البراثيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد ابن جبير والحسن وعطاء الخراساني ولذلك قرأ الحسن والقمل وقيل هو السوس الذي يخرج من الحطبة عن سعيد ابن جبير (والنفادح والدلم آيات مفصلات) أي محركات مبيتات ظاهرات وأدلة واضحة عن مجاهد وقيل مفصلات أي بعضها منفصل عن بعض (فاستكبروا) أي تكبروا عن قبول الحق والإيمان بالله (وكانوا قوماً مجرمين) عاصين كافرين

﴿ القصة ﴾

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقادة وعمر بن إسحاق بن يسار ورواه علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي جعفر وإبي عبد الله (ع) دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون متلوياً وأبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر قال همام فرعون ان الناس قد آمنوا بجوسي فانظر من دخل في دينه فاحبسهم فحبس كل من آمن به من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات وأخذهم بالسنين وقصص من الثمرات ثم بث عليهم الطوفان فغرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا إلى البرية وضربوا الخيام وامتلأت بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة وأقام الماء على وجه ارضهم لا يتبدلون على ان يخرجوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فنؤمن لك وترسل ملكاً يبي اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال همام لفرعون لئن خليت بني اسرائيل عليك موسى وأزال ملكك وأبنت الله لم في تلك السنة من الكلال والزرع والجرم ما عشت به بلادهم واخسبت فقالوا ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخسبنا فأبزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن إبراهيم وفي الشهر الثاني من غيره من المفسرين الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم وطعامهم وتأكل الأبواب والقياب والأمنعة وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا بهيمهم من ذلك شيء فعبجوا وضجوا وخروج فرعون من ذلك نزاعاً شديداً وقال لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا الجراد حتى اخلي من بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنه الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وقيل ان موسى (ع) يوز إلى الفناء فأشار بصاه نحو المشرق والمغرب فرجت الجراد من حيث جاءت حتى كأن لم يكن قط ولم يدع همام فرعون ان يبغلي عن بني اسرائيل فأبزل الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن إبراهيم وفي الشهر الثالث من غيره من المفسرين القمل وهو الجراد الصغير الذي لا أجنحة له وهو شر ما يكون واخسبه فأبى على زروعهم وكلها واجتبتها من أصلها فتعبدت زروعهم وحس الأرض كلها وقيل أمر موسى ان يمشي إلى كتيب آخر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فأراه نضرب بصاه فأتاه القمل فكل ما يدخل بين ثوب آدمهم فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيقتل قملاً قال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة اجرة إلى الرحا فلم يرد منها ثلاثة الاقزق لم يصايرها بيلا كان ناشد عليهم من القمل واخسبت اشمارهم واشارهم واشتار صيوتهم وحواشيهم ولزمت جلودهم كأنه البعدي عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لا أكفن عن بني اسرائيل فدعا موسى حتى ذهب القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فكشف عنا القمل فأبزل الله عليهم في السنة الرابعة وقيل في الشهر الرابع النفادح فكانت تكون في طلعهم وشرابهم وامتلأت منها بيوتهم وأبنتهم فلا يكشف أحد ثوباً ولا إناء ولا طعاماً ولا شرباً الا وجد فيه النفادح وكانت تب في قلوبهم فتفسد عليهم ما فيها كان الرجل يمس إلى ذقنه في النفادح ويوم ان يتكلم فيشب الفندع في فيه ويفتح فاه لا كلفه فيسبق الفندع أكلته إلى فيه فلحقوا خنثاً ذى

شديدا فلما رأوا ذلك بكوا وشكروا الى موسى وقالوا هذه المرة تتوب ولا تعود فادع الله ان يذهب عنا الضماد
فلما يؤمن بك وترسل ملك يبي اسرائيل فأخذ عهودهم وموائعهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضماد بعد ما أقام
عليهم سبعا من السبت إلى السبت ثم قضوا العهد وعلدوا لكفرهم فلما كانت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم
فقال ما النيل عليهم دما فكان القبطي يراه دما والامرائيلي يراه ماء فلذا شربه الامرائيلي كأن ماء وإذا
شربه القبطي كأن دما وكان القبطي يقول للامرائيلي خذ الماء في فيك وصبه في في في فكان إذا صبه في فم القبطي
تحول دما وانف فرعون اغتره العرش حتى انه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فلذا مضغها يصير ماءها في
فيه دما فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم ولا يشربون إلا الدم قال زبد بن اسلم الدم اللسبي
سلط عليهم كان الرعاف فأثروا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فتؤمن لك وترسل ملك يبي
اسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يغفلوا عن يبي اسرائيل

قوله تعالى (١٣٤) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ
لَتَنْ كَسِفَتْ عَنَّا الرِّجْزُ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ بِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٥) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ مُّ بَالُوهُ إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ (١٣٦) فَاتَّقِسْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَاقُومُ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ثلاث آيات

❦ الآية ❦

اصل الرجز الليل عن الحق ومنه والرجز فاجبر يعني عبادة الوثن والصلب رجز لانه عقوبة على الميل عن الحق
والرجز رعدة في رجل الناقة لئلا يلحقها تمدل به عن حق سيرها والرجز غرب من الشو اتخذ من رجز الناقة
لانه متحرك وساكن ثم متحرك وساكن في كل اجزائه فهو كالرعدة في رجل الناقة ينزله به ثم يسكن
ثم يستمر على ذلك والحك تقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم البحر قال ذو الرمة

دوية ودجى لبل كأنها ييم قراطن في حافاته ألروم

والنقلة حال تنزوي النفس تنافي النقلة واليقلعة

❦ الاعراب ❦

إذا ظرف المفاجأة على ما تقدم بيانه وليست مضافة إلى الجملة بل هي بمنزلة هناك وقديكهي بالاسم كما تقول
خربت فلذا زيد وفيه وقوع خلاف المتوقع منهم لأنه أتى منهم تقض العهد بدلا من الوفاء فكانه فليأى الرأي
عجب من نكبتهم وإذا هذه جواب لما وشله قوله وإن تصعب سبته بما قدمت ايديهم إذا هم يبتلون ولا يجوز أن
يجاب الشرط بإذ لأن إذ لا يكون إلا الوقت للماضي والجواب إنما يكون بعد الأول ولذلك يصلح فيه التمام
ولا يصلح الواو وحرف الجزاء إنما يطلب الفعل إلى الاستقبال دون الوقت

❦ المعنى ❦

ثم اخبر سبحانه عنهم ايضا فقال (ولما وقع عليهم الرجز) أي العذاب عن الحسن وتفادع ومحامدوهما ما تولى
بهم من الطوفان وغيره وقيل هو الطاعون أصابعهم فأتى من اللطيف سبعون ألف انسان وهو العذاب السادس عن سعيد
ابن جبير وشله ما روي عن أبي عبد الله (ع) انه اصابعهم ثلج احمر ولم يروه قبل ذلك فأتوا فيه وجزوا وأصابهم
ما لم يعمدوه قبله (قالوا) يعني فرعون وقومه (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما تقدمت إليك أن تعدوه
به فلما نجيبك كما اباهلك في آياتك وقيل بما عهد عندك لنا لو آمننا رفع عنا العذاب وقيل بما عهد عندك من

التيوة عن أبي مسلم فعل. هذا يكون الباء بالقسم والمعنى يبق ما أتاك الله من التوبة لما دعوت الله ليكشف هذا عني (لئن كشفت عنا الرجز) أي العذاب (لنؤمنن لك) أي نصدقك في أنك نبى أرسلك الله (ولنرسلن ملك في إسرائيل) أي نطلقهم من الاستخدام وتكليف الأعمال الشاقة (فلا كشفتنا عنهم الرجز) أي فلما دفعنا عنهم العذاب (إلى أجل هم بالقوه) يعني الأجل الذي عرفهم الله فيه وقيل هو الأجل المقدر عن الحسن (إذا هم يشكون) أي يقضون العهد (فأخضعناهم) أي فجزبناهم على سوء صنيعهم بالعذاب ثم فسر ذلك العذاب فقال (فأغرقناهم في اليم) أي البحر (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي فعلنا ذلك بهم جزاء بكذبهم بآياتنا وحجبتنا وبرايتنا الدالة على صدق موسى وصحة نبوته وجسودهم لها (وكانوا عنها غافلين) معناه أنه أنزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول ذلك بهم وقيل معناه إذا عاقبناهم بكذبهم وتعرضهم لأسباب العقلة وعلمهم عمل الغافل عما فيكون وعيداً لهم على الاعراض عن الآيات

قوله تعالى (١٣٧) وَأَوْرَدْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَنَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمَّا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ آيَةٌ

❖ القراءة ❖

قرأ ابن عباس وابو بكر يعرشون بضم الراء والياء تون يكسرهما

❖ المحبة ❖

هما لسان فصيحان والكسر أفصح

❖ اللغة ❖

قال ابو عبيدة يعرشون يبتون بقال عرش مكة أي بناؤها

❖ الأعراب ❖

يعبرون أن يكون مشارق الأرض ومناربها إنما اتصفت بأنه مفعول أوردنا ويعبرون أن يكون ظرفاً على تقدير وأوردناهم الأرض في مشارقها ومناربها وقيل إنما اتصفت مشارق الأرض ومناربها على الظرف للاستضافات والتقدير وأوردنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومناربها التي باركنا فيها وعلى هذا فالهاء في فيها يعود إلى التي والتي حصة للأرض المحذوفة وموضعها نصب بأوردنا

❖ المعنى ❖

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وأوردنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعني بني إسرائيل فإن القبط كانوا يستضعفونهم فأوردتهم الله بأن حكمهم وحكمهم بالتحرف وأباح لهم بذلك بعد إهلاك فرعون وقومه القبط فكأنهم ودرناهم (مشارق الأرض ومناربها) التي كانوا فيها يعني جهات الأرض الشرق والغرب منها يريد به ملك فرعون من أدناه إلى أقصاه وقيل هي أرض الشام ومصر عن الحسن وقيل هي أرض الشام شرقها وغربها عن قتادة وقيل هي أرض مصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني إسرائيل داود وسليمان ملكوا الأرض (التي باركنا فيها) بأخراج الزرع والثمر وسائر صنوف النبات والأشجار إلى غير ذلك من الميرون والأنهار وضروب المتاع (وقمت كلمتك الحسنى على بني إسرائيل) معناه صح كلام ربك بإنجاز الوعد بإهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض وإنما كان الإنجاز تاماً للكلام بتمام الجملة به وقيل إن الكلمة الحسنى قوله سبحانه وزيد أن نبن على

الذين استضعفوا في الأرض الى قوله يستذكرون وقال الحسن وإن كانت كلت الله سبحانه كلها حسنة لأنها وعد بما يجهوت وقال الحسن أراد وعد الله لهم بالجنة (بما صبروا) على اذى فرعون وقومه وتكليفهم أيام ما لا يطيقونه من الاستعداد والأعمال الشاقة (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أي اهلكنا ما كانوا يبنون من الابنية والقصور والديار (وما كانوا يمشون) من الاشجار ومن الاعتاب والتار وقيل يمشون يسبقون من القصور والبيوت عن ابن عباس

قوله تعالى (١٣٨) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٩) إِنْ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعْتُمْ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٠) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

يمكفون بكسر الكاف كوفي غير عاصم والباقون بضم الكاف وهما لثتان

﴿ الفحة ﴾

المجاورة الأخراج عن الحد وجاز الوادي يميز جوازا إذا قطعه وخلفه وراءه وجاوزه مجاوزة واجتازة اجتيازاً واصل البحر من السعة ومنه البحيرة لسة شق اذنها وتبحر في العلم إذا اتسع فيه وقوي تصرفه وعكف على الشيء وانطب عليه وزمه ومنه الاحتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه والتبر من التبار وهو الهلاك ومنه التبر للذهب وسمي بذلك لأن مريم ﴿﴾ أحدها ﴿﴾ أن معدنه مهلكة ﴿والآخر﴾ ما قاله الزجاج انه يقال لكل اثناء مكسر متبر وكسوته تبره

﴿ الإعراب ﴾

كما لهم آله ما هذه كافة للكاف لأن ما بعدها جملة وقال البصير وهو واحد زماناً في هذا القرن ما هاهنا مصدرية أي كما ثبت لهم آله وصلت بالظرف وما ارتفع به كما يوصل بالابتداء والخير في قوله ﴿﴾ كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه ويوميز أن يكون بمعنى الشيء وفي لم ضمير يعود اليه والآلة بدل من ذلك الضمير أو يرتفع بإظهار هي أي هي المفعلة هي وماهم فيه موصول وصلة في موضع رفع بقيام مقام الفاعل قوله متبر وكذلك ما كانوا يعملون فاعل الباطل، أغير الله أبنيتكم ألهاً يعني يتدى إلى مفعولين وطلب يتدعى إلى مفعول واحد لأن معنى قولك بناء الخير إعطاه الخير وليس كذلك طلب لأنه غير مضمير بالطلب وعلى هذا فيكون ألهاً مفعولاً به ثانياً ويكون غير منصوباً على الحال التي لو تأخرت كانت صفة للكرة وتقديره أبنيتكم ألهاً غير الله وقد يميز أن يكون بمعنى أبنيتكم ويكون غير الله منصوباً بأنه مفعول أبنيتكم وتقديره اطلب غير الله لكم مبدوداً فيكون ألهاً منصوباً على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر الله سبحانه عن أحوال بني إسرائيل فقال (وجاوزنا بني إسرائيل البحر) أي قطعنا بهم (البحر) يعني النيل نهر مصر بأن جعلنا لهم فيه طرقاً يابسة حتى عبروا ثم أغرقنا فرعون وقومه فيه (فأتوا)

أي فروا (على قوم يصكفون على اصنامهم) أي يقبلون عليها ملازمين لها مقبين عندها بعبوديتها قال قتادة كان أولئك القوم من لحم وكناتوا نزولا بالرقعة وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن السجل (قالوا يا موسى اجل لنا إلهنا كما لهم آلهة) أي انصب لنا شيئا ننسبه كما لهم أوائل يعبدونها وهذا كفر دجبا قاله الجعلال من قومه دون المؤمنين الأخيار وإنما قالوا ذلك لأن الإنسان يمين إلى ما يراه فيره فيحب ان يكون له مثل ما لغيره وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بمد ما رأوا الآيات المترادفة والمعجزات من حيث توهموا الله بيموز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا ان المبحول لا يكون إلهًا وان الاصنام لا تكون آلهة ويمكن أن يكونوا قد ظنوا انه يجوز أن يتقرب إلى الله تعالى بعبادة غيره وإن اعتقدوا انه لا يشبه الاشياء ولا تشبهه ولم يكونوا مشبهة كما حكى الله سبحانه عن المشركين انهم قالوا ما ننسبهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (قال انكم قوم تجهلون) هذا حكاية عما اجابهم به موسى (ع) أي تجهلون ربكم وعظمت صفاته ولو عرضوه حق معرفته لما قلتم هذا القول عن الجبائي وقيل تجهلون نعمة ربكم فيها صنع بكم عن ابن عباس (إن هؤلاء) يعني القوم الذين عبدوا الاصنام (متبر) أي مدمر مهلك (ما هم فيه) من عبادة الاصنام (وباطل ما كانوا يسئلون) أي باطل علمهم لا يجدي عليهم نفعا ولا يدفع عنهم ضررا فكانه بمنزلة من لم يكن من هذا الوجه فإعلان انتفاء المعنى يدمره أو بأنه لا يصح معتقده فالأول كطللان البناء بالهدم والثاني كطللان إله آخر مع الله لأنه لا يصح في عدمه ولا وجود (قال) يعني قال موسى لقومه بعد ازرائله على الاصنام وعلى من كان يعبدها (اغير الله انبيكم) أي أتمس واطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل بقوله واختار موسى قومه أي من قومه (إلهًا) أي معبودا تسمونه سوى الله (وهو فصلكم على العالمين) أي على عالمي زمانكم عن الحسن والجبائي وقيل معناه هو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها احدا غيركم وهو أن ارسل اليكم رجلين منكم فتكونوا أقرب إلى القبول وخلصكم من اذى فرعون وقومه على اعجب وجه واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم

قوله تعالى (١٤١) واذا أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (آية)

❦ الترواة ❦

قرأ ابن عامر النجاءكم على لفظ الماضي والباقون انجيناكم وقرأ نافع وحده يقتلون بالتخفيف والباقون يقتلون بالتشديد

❦ الحجة ❦

قد مضى الكلام في امثال ذلك مرة بعد اخرى فلا وجه للإطالة بإعادته

❦ السنى ❦

ثم خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما انعم على اسلافهم (واذا أنجيناكم) أي واذا كركوا اذ خلصناكم (من آل فرعون يسومونكم) أي يولونكم اكرها ويحملونكم اذلالا (سوء العذاب يقتلون أبناءكم) أي يكتلون قتل ابائكم (ويستحيون

نساء (كم) اي يستبقونهم الخدمة والمهنة (وفي ذلكم) اي وفي ما فعل بكم من النجاة (بلاء) اي نعمة (من ربكم عظيم) قدرها وقيل سناه في تخليته اياكم وقوم فرعون ابتلاء عظيم وقد مضى تفسير هذا الآية في سورة البقرة قوله تعالى (١٤٢) وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فثم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون أخلصني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (آية) ﴿الله﴾

الفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال والوقت وقت الشيء قدره ولذلك قبل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للأحرام فيها

— النسخة —

ثم بين سبحانه تمام نعمته على بني إسرائيل فقال (واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بشر) ولم يقل أربعين ليلة كما قاله في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه ﴿أحدها﴾ أن العدة كانت ذا العدة عشرة ذي الحجة ولوقال أربعين ليلة لم يعلم أنه كان الابتداء أول الشهر ولا أن الأيام كانت متوالية ولأن الشهر شهر بعينه قاله الفراء وهو معنى قول مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق وأكشكر المفسرين ﴿وثانيها﴾ أنه سبحانه واعد موسى ثلاثين ليلة ليصوم فيها ويتقرب بالعبادة ثم أتمت بشر إلى وقت المناجاة وقبل هي العشر التي نزلت التوراة فيها ولذلك أفردت بالذكر ﴿وثالثها﴾ أن موسى (ع) قال قوموه اني أتأخر عنكم ثلاثين يوماً ليتسهل عليهم ثم زاد عليهم عشرين وليس في ذلك خلف لأنه إذا تأخر عنهم أربعين ليلة قد تأخر ثلاثين ليلة قبلها عن أبي جعفر الباقر (ع) وقريب منه ماروي عن الحسن أن الموعد كان أربعين ليلة في الأصل فاجل هناك وفصل منها على وجه التأكيد (ثم ميقات ربه أربعين ليلة) وإنما قال هذا مع أن ما تقدمه دل على هذه العدة للبيان والتفصيل الذي نسيه الكتاب الفلكلكتولم يذكره لجواز أن يومه أنه أتم الثلاثين بشر منها على معنى كملنا الثلاثين بشر حتى كملت ثلاثين كما يقال كملت العشرة بدرهين وقد مر معنى الواعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا أن أربعين هنا منصوب على الحال وتقديره مددودة أربعين ليلة (وقال موسى) وقت خروجه إلى الميقات (لأخيه هارون أخلصني) اي كن خليفتي (في قومي وأصلح) فنيا بينهم وأجر على طريقك في الإصلاح وقبل مناه وأصلح فأسددهم في حال غيبيته وقبل أصلحهم اي أحلهم على الطاعة (ولا تتبع سبيل المفسدين) اي لا تسلك طريقة العاصرين ولا تكن عورة لظالمين وإنما أراد بذلك إصلاح قومه وإن كان المخاطب به أخاهم (ع) أخاه هارون بأن يخلفه وينوب عنه في قومه مع أن هارون كان نبياً مرسل لأن الرئاسة كانت لموسى (ع) عليه وعلى أمته ولم يكن يجوز أن يقول هارون لموسى مثل ذلك في هذا دلالة على أن منزلة الإمام متفصلة من النبوة وغير داخلة فيها وإنما اجتمع الأمران لأنبياء مخصوصين لأن هارون لو كان له القيام بأمر الأمة من حيث كان نبياً لا احتاج فيه إلى استخلاف موسى إياه وأقامته مقامه

قوله تعالى (١٤٣) ولما جاء موسى ليعثاينا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله

ذَكَوْخَرُ مُوسَى صَعِمًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (آية)

❖ القراءة ❖

جمله دكا بالذاهما وفي الكهف كوفي غير عاصم ووافهم عاصم في الكهف والباقون دكا بالتصير والتنون في المؤمنين

❖ الحجة ❖

قال الزجاج جمله دكا بالتنون معناه جمله مدقوقا مع الارض والذكاوات الروابي التي مع الارض ناشرة عنها لا تبلغ ان تكون جلا قال ابو الحسن لما قال جفله فكانه قال دكه واراد جمله ذادك وقال ابو عبيدة جمله دكاي مندكا وناقدة دكا ذاهبة السنام كأنه جمله كالثقة الدكاه فبقي اكثره والذك المستوي وانشد للاغلب «هل غير غار دك غارا فأنهدم» وقال علي بن عيسى دكا مستويا بالارض يقال دكه يدكه دكا ايسه سخته سحفا

❖ اللمة ❖

التجلي الظهور ويكون تارة بالظهور وتارة بالدلالة قال الشاعر

تجلى لنا بالمشرفة والقنا وقد كان عن وقع الأسنه نائيا

اراد الشاعر ان تدبره دل عليه ويقال للسيد هو ابن جلا اي لا يخفى أمره شهرته وفي خطبة الحجاج انا ابن جلا ومطلع الثنايا متى اضع العمامة ترفوني قال سيويه جلا فعل ماض فكانه قال انا ابن الذي جلا ايسه اوضح وكشف

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال (ولما جاء موسى لميقاتنا) معناه ولما انتهى موسى الى المكان الذي وقتناه وأمرناه بالمصير اليه لنكلمه وننزل عليه التوراة ويسكن ان يكون المراد بالميقات الزمان الذي وقته الله تعالى له ان يأتي ذلك المكان فيه فان لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كما وقعت الاحرام فانها للأمكنة التي لا يميز مجاوزتها لأهل الآفاق الا وهم محرمون (وكلمه ربه) من غير سفير أو وحي كما كان يكلم الأنبياء على السنة الملائكة ولم يذكر من اي موضع اسمه كلامه وذكر في موضع آخر انه اسمه كلامه من الشجرة فجعل الشجرة محلا للكلام لأن الكلام عرض لا يقوم الا بجسم وقيل إنه في هذا الموضع اسمه كلامه من التمام (قال ربي أرني أنظر اليك) اي أرني نفسك أنظر اليك اختلف العلماء في وجه مسأله (ع) الروية مع علمه بأنه سبحانه لا يدرك بالحواس على أقوال ❖ أحدها ❖ ما قاله الجمهور وهو الأقوى انه لم يسأل الروية نفسه وإنما سأله لقومه حين قالوا له ان نؤمن لك حتى نرى الله جرة ولذلك قال (ع) لما أخذتهم الرجفة أهلكنابا فعل السفهاء متافاضا ذلك على السفهاء ويسأل على هذا فيقال لو جاز ان يسأل الروية لقومه مع علمه باستحالة الروية عليه تعالى لجاز ان يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبه ذلك متى شكوا فيه والجواب اننا صرح السؤال في الروية لأن الشك في جواز الروية التي تقتضي كونه جسما يمكن معه معرفة السم وانسه سبحانه حكيم صادق في أخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهة تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا يصح معزة

السمع من حيث ان الجسم لا يجوز ان يكون عينا ولا علما بجميع المعلومات ولابد في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء انه كان يجوز ان يسأل موسى لقومه ما يعلم استجالاته ايضا وان كان دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في دينهم غير انه شرط ان بين النبي في مسأله ذلك علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفا ﴿وَلْتَأْتِيهَا﴾ (ع) لم يسأل الروية بالبصر ولكن سأله ان يعلم نفسه ضرورة بانظار بعض اعلام الآخرة التي تضطره الى المعرفة فترى عن الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال فيخفف المحنة عليه بذلك كما سأل ابواهيم (ع) رب ارفي كيف تحيي الموتى طلبا لتخفيف المحنة وقد كان عرف ذلك بالاستدلال والسؤال وان وقع بلفظ الروية فان الروية يفيد العلم كما يفيد العلم الادراك بالبصر فبين الله سبحانه له ان ذلك لا يكون في الدنيا عن ابي القاسم الجبلي ﴿وَلْتَأْتِيهَا﴾ انه سأله الروية بالبصر على غير وجه التشبيه عن الحسن والربيع والسدي وذلك لان معرفة التوحيد تنصع مع الجبل بمسألة الروية ومعرفة السمع تنصع ايضا معه وهذا ضعيف لان الأمر وان كان على ما ذكره فان الأنبياء لا يجوز ان يخفى عليهم مثل هذا مع جلالة رتبهم وعلو درجهم (قال ابن تراتي) هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني ابدا لأن لن ينفي على وجه التأيد كما قال ولن يتموا ابدا وقال لن يلقوا ذابا ولوا اجتماعوا له (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) على رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لانهم يلقونه بما يعلم انه لا يكون ومتى قيل انه لو كان القرض بذلك التبعيد لملقه سبحانه بأمر يستحيل كما على دخول الجنة بأمر مستحيل من ولوج الجبل في رسم الخياط فجوابه انه سبحانه على جواز الروية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين (فما تحيل ربه للجبل) اي ظهر أمر ربه لأهل الجبل فحفوف والمعنى انه سبحانه اظهر من الآيات ما استدل به من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة وقيل معناه ظهر ربه بآياته التي احدها في الجبل لأهل الجبل كما يقال الحمد لله الذي يقبل لنا بقدرته فكل آية يمدوها الله سبحانه فكانه يتجلى للعباد بها فلما اظهر الآية العجيبة في الجبل صار كأنه ظهر لأهل وقيل ان تقبل بمعنى حتى كقولهم حدث وتحدث وتقديره جلي ربه أمره للجبل اي ابرز في ملكوته للجبل ما تدكدك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله تعالى ابرز من العرش مقدارا فنصر قد كدك به الجبل وقال ابن عباس معناه ظهر نور ربه للجبل وقال الحسن لما ظهر وحى ربه للجبل (جعله دكا) اي مستويا بالارض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ في الارض حتى فني عن الحسن وقيل قطع اربع قطع قطعة ذهب فبحر المشرق وقطعة ذهب فبحر المغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملا وقيل صار الجبل سنة اجبل وقسم ثلاثة بالمدنية وثلاثة بمكة فالتى بالمدنية أحد وورقان ورضوى والتي بمكة ثور وثير وحر او روي ذلك عن النبي (ص) (وخر موسى صفا) اي سقط منشيا عليه عن ابن عباس والحسن وابن زيد ولم يمت بدلالة قوله فلما افاق ولا يقال افاق ليت وانما عاش او حني وأما السجود الذين كانوا معه فقد ماتوا كلم قوله ثم بشنا من بعد موتكم وروي عن ابن عباس انه قال اخذته النشبة عشية الخميس يوم عرة وأظف عشية يوم الجمعة فزلت عليه التوراة وقيل معناه خر ميتا عن قتادة (فلما افاق) من صفته ورجع اليه عقله (قال سبحانه لك)

أبى تنزيها للصن ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيها لك من أن تأخذني بأهل السفهاء من سواك الروية (تبت اليك) من التقدم في المسألة قبل الاذن فيها وقيل انه قاله على وجه الاقتطاع لى الله سبحانه كما يذكر المسيح والتعليل ونحو ذلك من الانفاظ عند ظهور الامور الجليلة (وأنا أول المؤمنين) بأنه لا يراك احد من خلقك عن ابن عباس والحسن وروي مثله عن ابي عبد الله (ع) قال معناه أنا أول من آمن وصديق بآئك لا ثرمة وقيل معناه أنا أول المؤمنين من قومي باستظام سؤال الروية عن الجاني وقيل أول المؤمنين بك من بني إسرائيل عن مجاهد والسدي

قوله تعالى (١٤٤) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٥) وَكُنْتُمْ لَهُ خِيفَةَ الْآلُوحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَابِرَ الْفَاسِقِينَ (آياتان)

❀ القراءة ❀

قرأ أهل الحجاز وروح برسالتى على التوحيد والباقون برسالتي على الجمع وقد مضى الكلام فيه

❀ الفقة ❀

الروح صحيفة مهيأة للكتابة فيها وأصله من الروح وهو اللحم يقال لاح بلوح إذا لمع وتلاها والتلويع التضيير ولوحه السفر غيره تنزيها تبين عليه اثره لأن حاله بلوح بما نزل به والروح الهراء لانه كاللحم في هوبه فالروح الماني بالكتابة فيه والموعظة التحذير بما يزجر عن التيسع ويبصر مواقع المخوف

❀ المعنى ❀

ثم اخبر سبحانه عن عظم نعمته على موسى بالاصطفاء واجلال القدر وأمره إياه بالشكر بقوله (قال) أي قال الله سبحانه (يا موسى إني اصطفيتك) أي اخترتك واتخذتك صفوة وفضلتك على الناس (برسالاتي) من غير كلام (وبكلامي) من غير رسالة وخص الناس لأنه كلم الملائكة ولم يكلم احدا من الناس بلا واسطة سوى موسى (ع) وقيل انه سبحانه كلم موسى على الطور وكلم نبينا محمدا ﷺ عند صدره المتقى (فخذ ما آتيتك) أي تناول ما اعطيتك من التوراة وتمسك بما امرتك (وكن من الشاكرين) أي من المعترفين بنعمتي القاتمين بشكرها على حسب مرتبتها فكما كانت النعمة اعظم وأجل وجب أن تقابل من الشكر بما يكون اتم وأكمل والوجه في تشريف موسى (ع) بالاخصاص بالكلام ان ذلك نعمة عظيمة ومنه جسيمة منه تعالى عليه لانه كلمه وعلمه الحكمة من غير واسطة بينه وبينه ومن اخذ العلم من العالم للعظم كان أجل رتبة من اخذه بمن هو دونه (وكنتم له) يعني لومى (ع) (في الألواح) يريد ألواح التوراة عن ابن عباس وقيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيل كانت من زمرد وطولها عشرة اذرع عن ابن جريج وقيل كانت من زبرجدة خضراء وبقوة هراء عن الكلبي وقيل انها كانتا لوحين قال الزجاج ويجوز في الفقة ان يقال لوحين الواح ويجوز أن يكون ألواحا جمع أكثر من اثنين (من كل شيء) قال الزجاج اعلم الله سبحانه انه اعطاه من كل شيء يحتاج اليه من امر الدين مع ما أراه من الآيات (موعظة) ههنا تفسير قوله كل شيء ويبان لبعض ما دخل تحت (وتفصيلا لكل شيء) يحتاج اليه في الدين من الأوامر والنواهي

والخلال والحرام وذكر الجنة والتأديب وغير ذلك من البير والأخبار وتفصيلا ايضا تفسير قوله كل شيء (فخذها قوة) أي يبد واجتهاد وقيل بصحة عزمة وقوة قلب (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي بما فيها من أحسن المحاسن وبهي الغرائض والتوافل فإنها أحسن من المباحات وقيل معناه يأخذ بالناسخ دون المنسوخ عن الجبائي وهذا ضعيف لأن المنسوخ قد خرج من أن يكون حسنا وقيل إن المراد بالأحسن الحسن وكلها حسن كقوله سبحانه وهو أهون عليه وكقوله ولذكر الله أكبر عن قطرب (سأريكم دار القاسقين) يعني سأريكم جهنم عن الحسن ومجاهد والجبائي والمراد فليكن منكم على ذكر تحذروا أن تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف أمر الله وقيل يريد ديار فرعون وقومه بمصر عن عطية العوفي وقيل معناه سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية من خالفوا أمر الله لتحذروا بها عن قتادة وفي تفسير علي بن إبراهيم ابن معناه يبيحكم قوم فساق يكون الدولة لهم

قوله تعالى (١٤٦) سأصرف عن آياتي الذين يكفرون في الأرض بين الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سيلا لا يتخذوه سيلا وإن يروا سبيلا الذي يتخذوه سيلا ذلك يأتيهم كذبوا بآياتنا وكانوا عافلين (١٤٧) والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (آياتان)

❀ القراءة ❀

قرأ أهل الكوفة غير عاصم الرشد بفتح الراء والشين والباقون الرشد بضم الراء وسكون الشين

❀ الحجة ❀

هما لفتان ويحكى أن أبا عمرو فرق بينهما فقال الرشد الصلاح والرشد في الدين مثل قوله بماء لمت رشنا وتقمروا رشنا فهذا في الدين وقوله فإن آستم منهم رشنا وهو في اصلاح المال والحفظ له وقد جاء الرشد في غير الدين قال

حنت إلى نعم الدهنا فقلت لها أمني بلا أعلى التوفيق والرشد

❀ اللفظ ❀

الرشد سلوك طريق الحق قال رشد يرشد رشادا ورشد يرشد رشدا ورشنا وشدته التي غوى بقوي غيا وغواية والجلوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل واصله الفساد من الحبط وهو داء يأخذ البير في بطنه من فساد الكلال عليه ويقال حبطت الإبل تحبط حبطا إذا أصابها ذلك وإذا عمل الإنسان عملا على خلاف الوجه الذي أمر به يقال احبطه

❀ المعنى ❀

(سأصرف عن آياتي الذين يكفرون في الأرض) ذكر في معناه وجوه ❀ احدها ❀ انه أراد سأصرف عن نيل الكرمة المتعلقة بآياتي والاعتزاز بها كما يتاله المؤمنون في الدنيا والآخرة المستكبرين في الأرض بين الحق كما فعل يقوم موسى وفرعون فإن موسى كان يقتل من القبط وكان أحد منهم لا يمس أن يتاله بمكروه خوفا من الثعبان وعبر بني إسرائيل البحر وغرق فيه فرعون وقومه عن أبي علي الجبائي والآيات على هذا

التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء وفي قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا إيان أن صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم ﴿١﴾ وثانيها ﴿٢﴾ أن معناه سأصرفهم عن زيادة المعجزات التي اظهروا على الأنبياء (ع) بعد قيام الحجة بما تقدم من المعجزات التي ثبتت بها النبوة لأن هذا الضرب من المعجزات إنما يظهر إذا كان في المعلوم أنه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدم من المعجزات فيكون الصرف بأن لا يظهرها جلة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث يتفجع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي لأن ما بعده يليق به من قوله وإن يروا سبيل الرشداً إلى آخر الآية ﴿٣﴾ وثالثها ﴿٤﴾ أن معناه سأمنع الكذابين والمتكبرين آياتي ومعجزاتي وأصرفهم عنها وأخص بها الأنبياء فلا اظهرها إلا عليهم وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا الفتلين يفيد معنى واحداً فليس لأحد أن يقول هلا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون وهذا يطل قول من قال أن الله تعالى جعل النبل في أمر فرعون فكان يجري بأمره ويقف وما شاكل ذلك ﴿٥﴾ ورابعها ﴿٦﴾ أن يكون الصرف معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يفرجها عن كونها أدلة وحججاً ويكون تقدير الآية إني أصرف للبطلين والمكذبين عن القدح في دلالاتي بما أودعها واحكمها من الحجج والبيانات ويجري ذلك مجرى قول أحدنا إن فلاناً منع أعداءه بإفصاحه الحميد وقواخله الكريمة من ذمه وتهجينه وأخرس الستم عن الطعن فيه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه ويكون على هذا قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا رجاء إلى ما قبله بلا فصل من قوله وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخفوه سبيلاً ولا يرجع إلى قوله سأصرف — وخامسها — أن المراد سأصرف عن ابطال آياتي والمنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالأوهلاك واللعن من غير اهلاك فلا يقدرّون على القدح فيها ولا على فهم مبشيتها ولا على منع المؤمنين من اتباعها والإيمان بها وهو نظير قوله والله يصمكم من الناس ويكون الآيات في هذا الوجه القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التي تحتملها الأنبياء عليهم السلام ويكون قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا على هذا متعلقاً أيضاً بقوله وإن يروا سبيل الرشداً إلى ما بعده ومعنى قوله الذين يتكبرون في الأرض أي يرون لأنفسهم فضلاً على الناس وحالاً ليس لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الأنبياء انقضاء من الاتقياء لهم والقبول منهم وقوله (بغير الحق) تأكيد وبيان أن التكبر لا يكون إلا بشير الحق كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق وقد مضى ذكر أمثاله (وإن يروا كل آية) أي كل حجة ودلالة تدل على توحيد الله وصحة نبوة أنبيائه (لا يؤمنوا بها) هذا إخبار من الله تعالى عن هؤلاء بطله فيهم أنهم لا يؤمنون به وبكتبه ورسله وبيان أنه إنما صرفهم عن آياته لذلك (وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخفوه سبيلاً) يعني إن يروا طريق الهدى والحق لا يتخفوه طريقاً لأنفسهم (وإن يروا سبيل الرشداً) أي طريق الضلال (يتخفوه سبيلاً) أي طريقاً لأنفسهم ويعلمون إليه وقيل الرشداً إيان الذي الكفر وقيل الرشداً كل أمر محمود والشيء كل أمر قبيح مذموم (ذلك) إشارة إلى صرفهم عن الآيات وقيل أشارت إلى اتخاذهم طريق التي وترك طريق الرشداً تقديرهم ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا أي بحججنا ومعجزات رسلنا (وكانوا غافلين) أي لا يفكرون فيها ولا يمتثلون بها والمراد بالفتلة هنا التشبيه لا الحقيقة مثل قوله سبحانه سمعكم بذلك أنهم لا أعرضوا عن الانتفاع بالآيات والتأمل فيها أشبهت حالهم حال من كان غافلاً ساهياً عنهم بين منجته وعبد المكذبين فقال (والذين كذبوا بآياتنا لقاء الآخرة) يعني القيام بالثبوت والنشور (حبطت أعمالهم) التي عملوها ولا يستحقون بها مدحاً ولا ثواباً لأنها وقعت على خلاف الوجه

الأمورية فصارت بمنزلة عالم يعمل (هل يجوزون إلا ما كانوا يعملون) صورته صورة الاستغفام والمراة به الإنكار والتوبيخ ومعناه ليس يجوزون إلا ما عملوه أن خيرا فخيروا وإن شرا فشرأ

= النظم =

قبل في وجه اتصال الآية بما قبلها وجوه - (أحدها) - أنه تقدم ذكر المعجزات وما رام فرعون من إبطالها فبين سبحانه بقوله ما صرف عن آياتي أنه يمنع عن إبطال المعجزات فيتصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون - (وثانيها) - أنه لما تقدم ذكر معجزات موسى نبه عقبيه على أنه سبحانه لا يظهر المعجزات على يد من ليس بنبي وأبان عن صدق موسى ومحمد عليهما السلام لكان المعجزة - (وثالثها) - أنه خطاب لموسى وزيادة في البيان عن إتمام ما وعده في إهلاك أعدائه وصرفهم عن الاعتراض على آياته ومعناه خذها آمنة من طعن الطاعنين فلا في ما صرف - (ورابعا) - أن الآيتين اعتراض بين قصة موسى والخطاب لنتيئة محمد ﷺ والمراد أنه يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون عن موسى

قوله تعالى (١٤٨) وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا حَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (آية)

❦ القراءة ❦

قرأ حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء واللام وقرأ يعقوب حليهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرأ الباقون حليهم بضم الحاء وكسر اللام

= الحجة =

من قرأ بضم الحاء فإنه جمع حلي نحو ثدي وقدي وجمعه لاقه أضافه إلى جمع ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضمة إلى الكسرة وأجرى مجراه في قسمي ونحوه ومن قرأ حليهم فلا تواسم جنس يقع على القليل والكثير

= اللفظ =

الاتخاذ اجتباء الشيء لأمر من الأمور فهو لا. اتخذوا العجل لعبادة والحلي ما اتخذوا من الذهب والفضة ويقال حلي الشيء في عيني عجلي حلي وحلا في فمي عجلو حلالة. وحليت الرجل تحلية إذا وصفته بآثري منه وتوحي بكذا تزيف به وتحسن والجسد جسم الحيوان مثل البدن وهو روح وجسد فالروح ما لطف والجسد ما كثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجادات والخرار صوت الثور وهو صوت غليظ وبناء. فقال يدل على الآفة نحو الصراخ والسكات والطماس

❦ الأعراب ❦

موضع من حليهم نصب تقديره اتخذوا حليهم عجلا وجسدا يدل من عجل

❦ المعنى ❦

ثم عاد الكلام إلى قصة بني إسرائيل وما أحدثوه عند خروج موسى (ع) إلى ميقات دبه فقال سبحانه (واتخذ قوم موسى) يعني السامري ومن جرى على طريقته وقيل يعني جميعهم لأن منهم من ساق العجل ومنهم من عبده ومنهم من لم ينكر وأما أنكر ذلك القليل منهم فخرج الكلام على التال (من بعده) أي من

بعد خروج موسى إلى الميقات عن الجبائي وغيره (من حليم) التي استأجروها من قوم فرعون وكانت بنو إسرائيل بمنزلة اهل البنية في القبط وكان لهم يوم عيد يقيمون فيه ويستعيرون من القبط الخلي فوافق ذلك عيدهم فاستأجروا خلي القبط فلما أخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الخلي في ايديهم فاتخذ السامري منها (عجلا) وهو ولد البقرة (جدا) اي مجسدا لا روح فيه وقيل لما ودما عن وهب (له خوار) أي صوت وروي في الشواذ عن علي (ع) جوار بالجم والمهزة وهو الصوت ايضا وفي كيفية خوار السبل مع انه موصغ من ذهب خلاف قتل اخذ السامري قبضة من تراب اثر فرس جبرائيل (ع) يوم قطع البحر قفف ذلك التراب في فم السبل فتحول لما ودما وكان ذلك معتادا غير خارق لعادة وجاز أن يفعل الله تعالى ذلك بجمري العادة عن الحسن وقيل انه احتال بإدخال الريح كما يسمل هذه الآلات التي تصوت بالحيل عن الزجاج والجبائي والبلخي وإنما اخاف سبحانه الصوت اليه لا انه كان معه عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم مهيأ مطاطا فبما ينهم فأدب ان موسى (ع) قد مات لم يرجع على رأس الثلاثين فدعاهم إلى عبادة السبل فأطاعوه ولم يطيعوا هارون وبدوا السبل على مائدة ذكره في سورة البقرة ثم انكر سبحانه ذلك عليهم فقال (الميرزا) اي أطيعوا (انه لا يكلمهم) بما يجدي عليهم نفعا او يدفع عنهم ضررا (ولا يهديهم سبيلا) أي لا يهديهم إلى خير لا يؤدوا إلى شر ليثبتوه دل سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا اليه فأن من لا يتكلم في خير وشر ولا يهدي إلى طريق فهو جبار لا ينفع ولا يضر فكيف يكون لها مبدوا (اتخذوه) اي اتخذوه لها وعبدوه (وكانوا ظالمين) باتخاذهم لها واضمين للعبادة في غير موضعها

قوله تعالى (١٤٩) وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ آية

القرأة

لئن لم يرحمنا بالاء. ربنا بالانصب وتنفر لنا بالاء. كوفي غير حاصم والباقون يرحمنا ويغفر لنا بالياء. ربنا بالرفع

الحجة

من قرأ بالياء. جعل الفعل للنية والرفع ربنا به ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن قرأ بالاء. ففيه ضمير الخطاب وربنا نداء وحذف حرف التنبيه معه لأن عامة ما في التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي ربنا واقتنا ما وعدتنا

الآفة

مضى سقط في ايديهم وقم البلا. في ايديهم اي وجده وجدان من يده فيه يقال ذلك للنادم عند ما يجده كما كان خفي عليه ويقال سقط في يده واسقط في يده ويغفر الف افصح وقيل معناه صار الذي كان يضرب معلقا في يده

المعنى

ثم اخبر سبحانه انهم قدموا على عبادة السبل فقال (ولا سقط في ايديهم) أي فلما لحقهم الندامة (ورأوا) انهم قد ضلوا (أي علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة السبل حين رجع اليهم موسى وبين لهم ذلك) (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) (ويغفر لنا) ما قدمناه من عبادة السبل (لنكونن من الخاسرين) باستحقاق العقاب قال الحسن ان كلهم مبدوا السبل إلا هارون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولا تخي ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعاه وقال غيره إنما عبده بعضهم

قوله تعالى (١٥٠) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسْفًا قَالَ يَشْسَا حَفْتُمُونِي مِنْ
بَعْدِي أَعْلَيْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَيْتُمُ الظُّلُوحَ وَآخِذٌ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ
اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
(١٥١) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ آيَاتُ

❦ القراءة ❦

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة من عاصم ابن ام بالكسر ههنا وفي طه وقرأ الباقون ابن ام نصبا في الموضعين
وروي في الشواذ من مجاهد فلا تشمت بفتح التاء والميم الاعداء بالنصب وروي عن مجاهد ايضا فلا يشمت بالياء.

— الحجة —

من قرأ ابن ام بالفتح فلكثرة استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن ام ويا ابن عم جيلوها اسما واحدا نحو خمسة
شعر قال سيويه قالوا يا ابن ام ويا ابن عم فجيلوا ذلك بقراءة اسم لأن هذا اكثر في كلامهم من يا ابن ابي ويا
غلام غلامي ومن العرب من يقول يا ابن ابي يابنات الياء قال الشاعر

يا ابن ابي ويا شقيق نفسي انت خليتي لدهر شديد

ولأمر شديد قال ابو علي بنى الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصب التي كانت تكون في الاسم المضاعف
للمنادي ولكن بنى على الحركة التي كانت تكون للاعراب كما ان قولهم لارجل كذلك و كما ان مكانك اذا
اردت به الأمر لا تكون الفتحة في الفتحة التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في رويك فان قال قائل فلم
لا تقول انها نصبة والمراد يا ابن ام اما فحذفت الألف كما حذفت يا. الاضافة في غلامي قيل له ليس هذا مثله الا
تري ان من حذف الياء من يا غلام تشبها في يا غلام غلامي فلو كانت الألف مقدرة في يا ابن ام لم يكن تخفف كما
لم تخفف في قوله « يا بنت ما لا تلمي واهمبي » فالألف لا يحذف حيث يحذف الياء. الا ترى ان من قال ما كنا
نخف والليل اذا يسر فحذف الياء من القوافل وما اشبه القوافل من الكلام التام لم يكن منه في نحو قوله
والليل اذا ينشئ والنهار اذا تجلى الا الاثبات فان قلت فقد حذف الألف في نحو قوله « رهط ابن مرحوم ورهط
ابن المل » يريد الملي وانشد ابو الحسن

فلمست بملوك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني

يريد بلهفي فحذف الألف قالوا فيه ان ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة ولا ينبغي
ان يحمل قوله يا ابن ام على هذا قياس من اجاز ذلك ان تكون فتحة الابن نصبة والفتحة في ام ليست كالتي في شعر
من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم من يا بنت ما قال الزجاج ومن قرأ ابن ام بالكسر فلم يضافه الى
نفسه بعد ان جعله اسما واحداً

❦ اللفظة ❦

الاسف التضب الذي فيه تأسف على فوت ما سلف والأسف الحزن والتلف ايضا ويقال خلفه يخلفه بايحب
وبما يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل والمجلة التقدم بالشيء قبل وقته والسرعة عله في اول وقته ولذلك صارت
المجلة مذمومة ويقال مجلة اي سبقت واعتجلت استعجلته والشاقة سرور المذموم. العاقبة يقال شبت بمشاة
واشبهت اشماة عرضه لتلك الحال

* الاعراب *

غضبان منصوب على الحال وهو فلان موته فلي نمر غضبان، وغضبي ولا ينصرف لأن فيه الاتف والنون المضارعين لأنني الثاني في حمراء

- المعنى -

ثم اخبر سبحانه عما فعله موسى (ع) حين رجع من مناجاة ربه ورأى عكوف قومه على عبادة الصلج فقال (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان اسفا) اي حزينا عن ابن عباس وقيل الأسف الشديد التئيب عن ابي الدرداء، وقيل معنى التئيب والأسف ولحدوا فأكروا هاتين كيد واختلاف المفضلين كما قال الشاعر متى أدن منه بنا عني ويعد ، وقيل معناه غضبان على قومه اذعدوا الصلج اسفا حزينا بتلفه على ما فاته من مناجاة ربه (قال بنسبا خلفتوني من يدي) اي بنسبا علمت خلقي وبش الفعل فطعمكم بعد ذهالي إلى ميقات ربي (اعجلتم أمر ربكم) اي مياد ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحو هذا قال الحسن وعد ربكم الذي وعدني من الاربعين ليلة عن ابي مسلم وذلك انهم قدروا انه قد مات لما لم يأت على رأس ثلاثين ليلة وقيل اعجلتم بعبادة الصلج قبل ان يأتيكم أمر من ربكم عن الكلبي وقيل معناه استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته فلما لم تنالوه علمتم إلى عبادة غيره عن ابي علي الجبائي (والتي الاالواح) معناه انه لما دخله من شدة الغضب والجزع على عبادة قومه الصلج عن ابن عباس ودوي عن النبي ﷺ انه قال يوم الله اخي موسى (ع) ليس المخير كالمخير قد اخبره الله بقصة قومه وقد عرف ان ما اخبره ربه حق وانه على ذلك لكهك بما في يديه فرجم إلى قومه وراهم غضب والتي الاالواح وقد تقدم ذكر ما قيل في الاالواح (وأخذ برأس أخيه) يعني هارون (يجره إليه) قيل في معناه وجوه (احدا) احدا ان موسى (ع) لما فعل ذلك مستظنا لفعلهم مفكرا فيما كان منهم كما يفصل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقضي على لحته وبعض على شفته فأجرى موسى (ع) أخاه هارون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الانسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر عن ابي علي الجبائي وهذا من الامور التي تختلف احكامها بالمعادت فيكره ما هو اكرام في موضع استغفانا في غيره ويكون ماعوا استغفانا في موضع اكراما في آخر ﴿وثابها﴾ انه (ع) اراد ان يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لا لوكباره منهم ما صابوا اليه من الكفر والارتداد فصدر ذلك منه كلام بظلام واعلانهم عظم الحال عنده ليقربوا عنه مثله في مستقبل الاحوال ذكره الشيخ المفيد ابو عبد الله النعمان ﴿وثابها﴾ انه اتا جره إلى نفسه ليناجيه ويستبرئ حال القوم منه ولهذا اظهر هارون براءة نفسه ولما اظهر هارون براءته دعاه ونفسه ﴿ورابها﴾ انه لما رأى بهارون مثل ما به من الجزع والقلق أخذ برأسه متوجها له مسكنا فكرة هارون ان يقطن الجهال ذلك استغفانا فأظهر براءته ودعا له موسى إذ التفتهم ﴿وخامها﴾ انه انكر على هارون ما بينه في طعن قوله ما منك اذ رأيتم مثلوا الاتبعين الآية عن ابي مسلم (قال) يعني قال هارون (ابن ام) قال الحسن والله قد كان اخاه لأبيه وأمه الا انه اتا نسبته إلى الام لأن ذكر الام يبلغ في الاستطاف ان القوم استضعفوني يعني ان القوم الذين تركت بين اظهرهم المتخوف في ضمنا (وكلوا يقتلونني) اي هدا يقتلي وقرب ان يقتلوني لشدة انكاري عليهم (فلا تشمت بي الاعداء) اي لا تسرحهم بأن فعل ما يوم ظاهره خلاف التعظيم (ولا تبغضني مع القوم الظالمين) اي لا تبغضني مع عبدة الصلج ومن جعلتهم في اظهار الغضب والموجدة علي (قال) موسى حين تبين له ما تبغضه هارون عليه من خوف التهمة ودخول الشبهة على القوم (ربي اغفر لي ولاخني) وهذا على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه والتعرب إليه لا لان كان رقم منه او من أخيه قبيح كبير او ضير يحتاج ان يستغفر منه فإن الدليل قد دل على ان الاتياب لا يجوز ان يرقم منهم شي من القبيح وقيل انه (ع) بين بهذا ليني اسرائيل انه لم يجر رأسه

إليه لمصيان وجد منه وانما فعله كما يفعل الإنسان بنفسه عند شدته غضبه على غيره عن الجبائي (وادخلنا في رحمتك) اي نعمتك وحننك (وانت ارحم الراحمين) ظاهر المعنى وانما يذكر في آخر الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهة فلان الابتداء بالنعمة يوجب الإقام وسمة الرحمة تقتضي الزيادة فيها فيقال ارحم الراحمين لاستدعاء الرحمة من جهة كما يقال اجود الأجودين لاستدعاء الجود من قبله

قوله تعالى (١٥٢) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٣) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٤) وَلَمَّا مَكَتْ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نَفْسِهِ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ثلاث آيات

[اللغة]

النول المهرق وأصله مد اليد إلى الشيء الذي يبلسه ومنه قولهم نولك ان قتل كذا اي يبنني ان تقطع فإنه يلحقك خيره وسكت اي سكن والسكوت هو الامساك عن الكلام هيئة متأنية بيبسه وهو تسكين آلة الكلام وانما قيل سكت الغضب توسعا ومجازا لأنه لما كان يفور تعدلا على ما في نفس الغضوب عليه كان يتزلة الناطق بذلك فإذا سكتت تلك القوة كان يتزلة الساكت عما كان متكلما به فالسكوت في هذا الموضع أضمن من السكون لضمته معنى سكوته عن الماتية مع سكون غضبه

في الأعراب

قال لرهيم يرهبون ولا يجوز يرهبون لرهيم لأنه اذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار يتزلة ما لا يشد في دخول اللام عليه وقيل انه اذا كان بمعنى من اجله جاز دخول اللام عليه تقدم او تأخر كما قال تعالى ودفع لكم

في المعنى

ثم اودعهم سبطانه فقال (ان الذين اتخذوا العجل) فيه حذف اي اتخذوه إما او مبردا من دون الله (سينالهم غضب) اي سيلتهم على عبادتهم إياه عقوبة (من ربهم) وانما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار لأنه ابلغ في الجزع عن الصبح (وذلة في الحياة الدنيا) يعني صر النفس والمهانة قال الزجاج والذل ما امروا به من قتل انفسهم وقيل ان الذلة اخذ الجزية واخذ الجزية لم يقع فيمن عبد العجل وانما اراد استسلامهم للقتل (وكذلك نجزي المفتريين) اي مثل هذا الوعيد والعذاب والنصب نجزي الكاذبين والتشريعين وانما سوا مفتريين لأنهم عبدوا صيلا وقالوا انه إله فكانوا كاذبين ثم عطف سبطانه على ذلك بقوله (والذين عملوا السيئات) اي الشرك والمعاصي (ثم تلوا من بعدها وآمنوا) اي واستأنفوا عمل الإيمان وقيل معناه تلوا وآمنوا بأن الله قابل للتوبة (ان ربك) يا محمد (من بعدنا) اي من بعد التوبة وقيل من بعد السيئات (لنفورهم) لنفورهم (رحيم) بهم (ولا سكت) اي سكن (من موسى الغضب) وقيل في معناه زالت فورة غضبه ولم يزل الغضب لأن توبيتهم لم يخص وقيل معناه زال غضبه لأنهم تلوا (أخذ الألواح) التي كانت فيها التوراة (وفي نسخها) اي وفيها نسخ فيها وكتب من الجبائي وابي مسلم وقيل وفي نسخها التي كتبت ونسخت منها (هدى) اي دلاله وبيان لا يحتاج إليه من امور الدين (ورحمة) اي نعمة ومنفعة (لأنهم هم لرهيم يرهبون) اي يخشون ربهم فلا يصحون ويصطلون بها فيها وفي الآية دلالة على انه يجوز اتقاء التوراة للغضب الذي يظهر باقائها ثم اخذها للحكمة التي فيها من غير ان يكون اتقاءها رغبة عنها

قوله تعالى (١٥٥) وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِثْبَايَ أَهْلَكْتَنِي بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنِّي إِنِّي إِلا أَنْتَ تَصْلِيهًا مِّنْ شَأْنٍ وَعَدَدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا قَافِرُنَا وَأَرْحَمَنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ آيَةٌ

❁ الفنة ❁

الاختيار ارادة ما هو خير يقال خيره بين أمرين فاختار احدهما والاختيار الايثار بمعنى واحد والتفتنة الكشف والاختبار وقال السيب بن طلح

اذ تستيك بأصلي ناعم قامت لتفتنه بغير قناع
اي لتكشفه وتبرنه

❁ الإعراب ❁

واختار موسى تقديره اختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصبه وإثا حذف من دلالة الفعل عليه مع إيجاز اللفظ قال الفرزدق

ومنا الذي اختير الرجال سباحة وجودا اذا هب الريح الزعازع
وقال غيلان

وانت الذي اخترت المذاهب كلها بوهبين إذ حدث علي الأباقر
وقال آخر

فقلت له اخترها قلو صا سبعة وثابا علينا مثل ثابك في الحيا

❁ المعنى ❁

ثم اخبر تعالى عن اختيار موسى من قومه عند خروجه الى ميقات وبه فقال (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) واختلف في سبب اختياره ليهم ووقته قيل انه اختارهم حين خرج الى الميقات ليكلمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التوراة فيكونوا شهداء له عند بني اسرائيل لا لم يتقوا بجهده أن الله سبحانه يكلمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سألوا الرؤية فأصابتهم الصاعقة ثم احياهم الله تعالى فأبتدأ سبحانه بحديث الميقات ثم اعترض حديث العجل فلما تم عاد الى بقية القصة وهذا الميقات هو الميقات الاول الذي تقدم ذكره من ابي علي الجبائي وابي مسلم وجماعة من المفسرين وهو الصحيح ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره وقيل انه اختارهم بعد الميقات الاول لميقات الثاني بسد عبادة العجل ليتذكروا من ذلك فلما سمعوا كلام الله قالوا ابرأ الله جهره فآخذتهم الرجفة) وهي العلة والحركة الشديدة حتى كانت ان تبين مقاصدهم وخاف موسى عليهم للموت فكسوا ودعا وخاف ان يمتعه بنو اسرائيل على السبعين اذا عاد اليهم ولم يصدقوه بأنهم ماتوا عن السدي والحسن وقال ابن عباس ان السبعين الذين قالوا ان نؤمن لك حتى رى الله جهره فآخذتهم الصلعة كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة واتما أمر الله تعالى موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعوهم فكان فيا دعوا ان قالوا اهلهم اسلمنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا ففكره الله ذلك من دعائهم فآخذتهم الرجفة ورووا عن علي بن ابي طالب (ع) انه قال انما أخذتهم الرجفة من اجل دعاهم على موسى قتل اخيه هارون وذلك ان موسى وهارون وشبير وشبير ابني هارون انطلقوا الى سفح جبل قنات هارون على سرير قنات الله فلما مات دفنه موسى (ع) فلما رجع الى بني اسرائيل قالوا له اين هارون قال توفاه الله فقالوا لا بل انت قتلته

جعدتنا على خلقه ولينه قال فاختاروا من شتم فاختاروا منهم سبعين رجلا وذبح بهم فلما انتهوا الى القبر قال موسى يا هارون اقتل ام مت فقال هارون ما تقتلني احد ولكن توفياني الله فقالوا ان نصي بعد اليوم فاختارهم الرجفة وصعدوا قبل انهم ماتوا ثم احياهم الله وجعلهم انبياء وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة اخذتهم الرعدة فقلقلوا ورجفوا حتى كادت تبين منه مقاصدهم وتقشظ ظهورهم فلما رأى ذلك موسى رحيم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدمهم وكانوا وزراء على الخیر ساء له من مطيعين فعد ذلك دعا بوسكى وتشدربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمأنوا وسعوا كلامهم (قال) اي قال موسى (رب لو شئت اهلككم من قبل وإياي) اي لو شئت اهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف واهلكني معهم فلان ماذا اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم (اهلكنا يا فضل السفاها منا سمعنا النفي وان كان بصورة الانتكاد والمعنى انك لا تهلكنا يا فضل السفاها منا فهذا نألك رغم المحنة بالهلاك مناوما فعله السفاها هو عبادة الجبل ظن موسى انهم اهلكوا لأجل عبادة بني اسرائيل الجبل فهم السفاها وقيل هو سؤال الرومية من جماعة من المفسرين (ان هي الا فتشك) معناه ان الرجفة الا اختيارك وابتلاكك ومحتك اي تشديدك التحذير والتكليف علينا بالصبر على ما انزلته بنا عن سعيدين جبر وإلي العالية والربيع ومثله قوله اولو يرون انهم يقتنون في كل عام مرة او مرتين يعني بذلك الاراض والأسقام التي شدد الله بها التحذير على عباده وانما سمي ذلك فتنة لأنه يشتد الصبر عليها ومثله لما أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آتنا وهم لا يفتنون اي لا يتألمهم شدائد الدنيا وقيل ان المراد ان هي الا عذابك من ابن عباس وقد سمي الله العذاب فتنة في قوله يوم هم على النار يفتنون أي يمدبون فكانه قال ليس هنا الاهلاك الا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة الجبل اذ سألهم الرومية (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) أي تصيب بهذه الرجفة من تشاء وتصرها من تشاء من ابن عباس وتقديره تهلك بها من تشاء وتنجي من تشاء وقيل معناه تضل بترك الصبر على فتنتك وترك الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنتك وتهدي بالرضا بها والصبر عليها من تشاء (انت ولينا) معناه انت ناصرنا والاولى بنا تصرفنا وتحفظنا فاعفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين) اي خير السابقين على عباده والمتجاوزين لهم من جرمهم

قوله تعالى (١٥٦) وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا مُرْسِدُكُمْ
قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَكُتِبَ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ فَيُؤْتُونَ أُكْرَاهًا
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يَوْمِنُونَ (آية)

❦ القراءة ❦

في الشواذ قراءة الحسن وعمره الاسوداي من اساء والقراءة المشهورة من اشاء والوجه فيه ظاهر

— المعنى —

هذا تمام ما قاله موسى في دعائه (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) سأل الله سبحانه أن يكتب لهم الحسنة في الدنيا وهي النعمة وانما سميت النعمة حسنة ولأن كانت الحسنة اسم الطاعة لله لأمرين ❦ أحدهما أن النعمة تقبلها النفس كما أن الطاعة يتقبلها العقل والاخر انها ثمرة الطاعة لله والبا ذكر بلفظ الكتابة ولم يقل واجعل لنا أو اوجب لنا لأن الكتابة اثبت وادوم يقال كتب رزق فلان في الدنيان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مردود الأزمان (وفي الآخرة) معناه واكتب لنا في الآخرة حسنة ايضا كما في قوله ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقيل الحسنة في الدنيا الثنا الجليل وفي الآخرة الرقة وقيل هي في الدنيا التوفيق للأعمال

الصالحة وفي الآية المقرة والجنة (إنا هدانا إليك) أي رجعتا بتوبتنا إليك والهدى الرجوع (قال) الله تعالى مجيباً لموسى (ع) (عذابي أصيب به من أشاء) من عصاني واستحقته بعصيانته وإنشأ عليه بالمشيئة ليومز القرآن في العقل (ورحمتي وسعت كل شيء) قال الحسن وقنادة إن رحمتي في الدنيا وسعت البر والتاجر وهي يوم القيامة لاثنين خاصة وقال علي بن أبي حمزة وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون وذلك أن الكافر يوزن ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فإذا صار في الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمتضيئ بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجهم وقيل معناه أنها تسع كل شيء أن دخلوها فلو دخل الجميع فيها لمolestهم إلا أن فيهم من لا يدخل فيها لظلاله وفي الحديث إن النبي (ص) قام في الصلاة فقال أعزائي وهو في الصلاة اللهم أرعني ومحمد! ولا ترحم معنا أحداً فلما سلم رسول الله (ص) قال لأعرابي لقد تحجرت واسما يريد رحمة الله عز وجل أورده البخاري في الصحيح (فأسكبها للذين يتقون) أي فأسأب رحمتي للذين يتقون الشرك أي يحبونه وقيل يحبون الكبار والميامي (ويوتون الزكاة) أي يخرجون زكاة أموالهم لأنه من أشق القرائن وقيل معناه يطوبون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن وإنما ذهبوا إلى تركية النفس وتطهيرها والذين هم بآياتنا يرمون (أي يعجبنا ويبتغيان صدق نوروي عن ابن عباس وقنادة وابن جريج أنها لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء قال إبليس أنا من ذلك الشيء فنزعها الله من إبليس بقوله فأسكبها للذين يتقون إلى آخر الآية فقالت اليهود والنادي نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها منهم وجعلها لهذه الأمة بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآية

قوله تعالى (١٥٧) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا مَرْغُمُ بِالْمَعرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ آيَةٌ

❦ القراءة ❦

قرأ ابن عامر وحده أصابعهم على الجهم والباقيون أصابعهم على التوحيد

❦ الحجة ❦

قال أبو علي الأصغر مصدر يقع على الكثير لم أفراد قلته يدل على ذلك قوله أصابعهم فاضيف وهو مفرد إلى الكثرة ولا يجزم وقال ربنا ولا تحمل علينا إصراً وقال ينظرون من طرف خفي ولا يريد إليهم طرفهم فالوجه الأفراد كما أفرد في غير هذا الموضع وجمعه ابن عامر كأنه أراد ضرراً من المآثم متعلقة فجمع لاختلافها والمصادر تجمع إذا اختلف ضرورها وإذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضرباً واحداً كقوله

هل من حلوم لأقوام فينذرهم ما جرب الناس من عضي وقضريسي
فإن يجمع ما يختلف من المآثم أبعد ويقوي ذلك قوله وليحملن انتقامهم وانتقالاً مع انتقامهم والتقل مصدر كالشمر والصغر والكبر

— الفة —

قال الزجاج اختلف أهل الفة في معنى قوله عزروه وفي قولهم عزرت فلاتا أعزده وأعزده عزرا قليل معناه رددته وقيل معناه اعتنوه وقيل معناه لته ويقال عزرت بالتشديد نصرت ويقال منعت منه فمعنى عزروه عزروه معناه اعتنوه

من الكفره وقيل نصره والمعنى قريب لأن منع الاعداء منه نصرته ومعنى نزوت قلنا اذا ضربته ضربا دون الحد انه يمتعه بضربه اياه من ملوخته مثل عمله ويجوز أن يكون من عززته أي رددته معناه فلت به ما يرد عن المعصية

الاعراب

قال الزجاج قوله بأسرهم بالمعروف يجوز أن يكون على تقدير يجعلونه مكتوبا عدهم به بأسرهم بالمعروف ويجوز أن يكون بأسرهم بالمعروف مستقفا قال ابو علي لا وجه لقوله يجعلونه مكتوبا انه بأسرهم ان كان يعني أن ذلك ، راد لأنه لا شيء يدل على حذفه ولا ثا لم نعلمهم حذفوا هذا في شيء وتفسيره ان وجدت هنا هو للتصدي الى مضمولين ومكتوبا مفعول ثان والمعنى يجعلون ذكره مكتوبا عدهم في التوراة او اسمه فالمفعول الأول قام مقام المضاف اليه وانما قلنا ذلك لأن المكتوب هو الاسم او الذكر والمفعول الثاني في هذا الباب يجب أن يكون الاول في المعنى قال فاما قوله بأسرهم بالمعروف فهو عندي تفسير لما كتب كما ان قوله لهم مقرة واجر عظيم تفسير لوعدهم وكما ان قوله خلقه من تراب تفسير للمثل فإن قلت لم لا تجعله حالا من المفعول الأول فلان ذلك ممنوع في المعنى ألا ترى ان المعنى إذا كان يجعلون ذكره او اسمه مكتوبا لم يجوز أن يكون بأسرهم حالا منه لأن الاسم والذكر لا يأمران انما يأمران المذكور والمعنى ولا يجوز أن يكون مما في مكتوب من الضمير لأن الضمير هو المفعول الأول في المعنى

المعنى

ثم وصف سبحانه الذين يتقون بسفة أخرى فقال (الذين يتبعون الرسول النبي) أي يؤمنون به ويستقون بنبوته يعني نبينا محمد (ص) الامي ذكر في معناه اقوال احدها انه الذي لا يكتب ولا يقرأ وثانيها انه منسوب الى الأمة والمعنى انه على جبهة الأمة قبل استفادة الكتابة وقيل ان المراد بالأمة العرب لأنها لم تكن تحسن الكتابة وثالثها انه منسوب الى الأم والمعنى انه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابة ورابعها انه منسوب الى أم القرى وهي مكة وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) (الذي يجعلونه مكتوبا عدهم في التوراة والانجيل) معناه يجعلون فضته وصفته ونبوته مكتوبا في الكتابين لأنه مكتوب في التوراة في السفر الخامس (الانجيل) في ما قبلهم لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما اوصيه به وفيها ايضا مكتوب وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جدا وسيلد اثني عشر عظيما وأخوه لأمة عظيمة وفيها ايضا انا الله من سيناء واشرق من ساعير واستلمن من جبال فاران وفي الانجيل بشارة بالفاو قليط في مواضع منها تسليكم فار قليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله وفيه ايضا قول المسيح للحواريين انا انصب وسيا تيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يشكم من قبل نفسه انه لنذكركم بجميع الحق ويظهركم بالأمور المزمعة ويمدحني ويشهد لي وفيه ايضا انه اذا جاء فند اهل العالم (بأسرهم بالمعروف وينهاهم عن الشكر) يجوز أن يكون هذا مكتوبا في التوراة والانجيل ويكون موصولا بما قبله ويانا لن يكتب له رحمة الولاية والمجبة ويجوز أن يكون اجدها من قول الله تعالى مدحا للنبي (ص) والمعروف الحق والشكر الباطل لأن الحق معروف الصحة في العقول والباطل منكر الصحة في العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الارحام والشكر عبادة الاوثان وقطع الارحام عن ابن عباس وهذا القول داخل في القول الأول (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) معناه يبيح لهم المستلذات المحسنة ويحرم عليهم القبايح وما تنافه الاقاص وقيل لعل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث وقيل يحل لهم ما حرمة عليهم رها بينهم واحبارهم وما كان يحرمه اهل البهائية من البحار والسواب وغيرها ويحرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر منها (ويضع عنهم اصرهم) أي ثقلهم شيئا كان على بني اسرائيل من التكليف

الشديد بالقتل وذلك أن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً وجعل توبة هذه الأمة العدم بالقلب حرمة التي (ص) عن الحسن وقيل الأمر هو الهدى الذي كان الله سبحانه أخذه على بني إسرائيل أن يصلوا يوماً في التوراة عن ابن عباس والضحك والسدي ويحجم المنين قول الزجاج الأمر ما عقدته من عقد ثقل (والاغلال التي كانت عليهم) مناه ويضع عنهم اليهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك اليهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعتاق فازومها كما يقال هذا طوق في عتقك وقيل يريد بالاغلال ما امتحنوا به من قتل قوتهم في التوبة وقرض ما يصيبه البول من أجسادهم وما أشبه ذلك من تحريم السبت وتحريم الروق والشعير وقطع الأعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية عن أكثر المفسرين (فالذين آمنوا به) أي بهذا النبي وصدقوه في نبوته (وعزوه) أي عظموه ووقروه ومنعوا عنه أعداءه (ونصروه) عليهم (واتبعوا النور) معناه القرآن الذي هو نور في القلوب كما أن النور في السموات واليابس به الخلق في أمور الدين كما يهتدون بالنور في أمور الدنيا الذي أنزل الله (أي أنزل عليه) وقد يقوم مع مقام على كما يقوم على مقام مع وقيل معناه أنزل في زمانه وعلى عهده ويروى أن النبي (ص) قال لأصحابه أي الخلق أصعب إيماناً قالوا الملائكة فقال الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالتبوء يوحى إليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فحين يا بني الله قال أنا فيكم فما لكم لا تؤمنون إنا هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتاباً في ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله واتبعوا النور الذي أنزل الله (أو تلك هم المفلحون) أي المفلحون بلراد التابعون من المقاب القاتلون بالثواب

قوله تعالى (١٥٨) قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوا لعلكم تهتدون آية

الأعراف

جميعاً نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الإضافة فيه العامل في الحال معنى الصل في رسول الله لأنه لا يجوز أن يتقدم على حرف الإضافة لأنه قد صار بمنزلة العامل

— المعنى —

ثم أمر الله سبحانه نبياً أن يخاطب جميع الخلق من العرب والمجم فقال (قل يا أيها الناس إني رسول الله) أو سألني (إليكم جميعاً) أدعكم إلى توحيد وطاعته واتباعي فيما أؤديه إليكم وإنما ذكر جميعاً للتأكيد ولعلم أنه مبعوث إلى الكافة (الذي له ملك السموات والأرض) معناه الذي له التصرف في السموات والأرض من غير دافع ومنافع (لا إله إلا هو) لا معبود إلا هو ولا شريك له في الإلهية (يحيي ويميت) الأحياء لا يقدر أحد على الإحياء والإماتة سواه لأنه لو قدر أحد على الإماتة لقدر على الإحياء فإن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على عكسه (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله) يعني لم يأمركم بالآيات حتى آمن هو أولاً وعليه زيادة التكليف من أداء الرسالة وبيان الشرائع والقيام بالخدمة (وكلماته) أي يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن (واتبعوا لعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا إلى الثواب والجنة

قوله تعالى (١٥٩) ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٦٠) وقطعناهم أنسي عشرة أسباطاً وولعناهم إلى موسى إذ استسقاه قومه أن أضرب بعصاك الحجر

فَاجْبَسَتْ مِنْهُ اُنْتَا عَشْرَةَ عِيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَانْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْآثَرَ وَالسَّلَوى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَسَكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ (آيَات)

— اللغة —

قال الأزهري السبط الفرقة لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقد جمع فقلل اسباط واشتقاقها من سبط وهو شجر والواحدة سبطة ورجل سبط الشعر وامرأة سبطة وقد سبط شعره سبوطة وهو الذي لا جوده فيه ورجل سبط الأصابع طويلها وسبط الكف ممحها ومطر سبط وسبط متدارك وسباطته سته والسبط في كلام العرب خاصة الاولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرب الذي يجي بد قرن والصحيح ان الاسباط في ولد اسحاق بنزلة القبائل في ولد اسماعيل فولد كل ولد من اولاد يعقوب سبط وولد كل ولد من اولاد اسماعيل قبيلة وانما سموا هؤلاء بالقبائل وهو لاء بالاسباط ليفصل بين ولد اسماعيل وولد اسحاق (ع) ومعنى القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبائل وكذلك الاسباط من السبط كأنه جبل اسحاق بنزلة شجرة وجبل اسماعيل بنزلة شجرة وكذلك يفعل النساير في النسب فيحصل الوالد بنزلة شجرة واولاده بنزلة اغصانها ويقال طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة فهذا معنى الاسباط والسبط

❦ الاحراب ❦

اثنتي عشرة اسباطا يعني اثنتي عشرة فرقة فحذف للمبين ولذلك أنث واسباطا بدل من اثنتي عشرة تقديره وفرقناهم اسباطا وجعلناهم اسباطا ويجوز كسر الشين في عشرة وهو قراءة الاعمش ويعيسى بن وثاب وأما نصت الاسباط

❦ المعنى ❦

ثم عاد الكلام الى قصة بني اسرائيل فقال سبحانه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) اي جماعة يدعون الى الحق ويرشدون اليه (وهم يهدون) اي والحق يهكون ويهدون في حكمهم واختلف في هذه الأمة من هم على اقوال ❦ احدها ❦ انهم قوم من وراء الصين وبينهم وبين الصين وادرجار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والريزم والفساك وعطا وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) قالوا وليس لأحد منهم مال دون صاحبه يملكون بالليل ويضعون بالتهار ويزرعون لا يصل اليهم منا احد ولا منهم الينا وعلم على الحق قال ابن جريج يلحق ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنتي عشرة سبطا تبرا سبط منهم بما صنعوا واغفدوا وسألو الله ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم قنقا من الأرض فساروا فيه سنة ونصف حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حفاء مسلمون يستقبلون قبيلتنا وقيل ان جبرائيل انطلق بالني (ص) ليلق المصراع اليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور تولت بمكة فآمنوا به وصدقوه وأمرهم ان يقيموا مكانهم ويتركوا البيت وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم يكن تولت بفرصة غيرهما فقتلوا قال ابن عباس وذلك قوله وقتلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جثنا بكم لغيا يعني عيسى بن مريم يخرجون معه وروي اصحابنا انهم يخرجون مع قائم آل محمد وروي ان ذا القرنين رآهم وقال لو أمرت بالقتال لسنرت ان أقيم بين أظهركم ❦ وثانيها ❦ انهم قوم من بني اسرائيل تمسكوا بالحق وبشرية موسى (ع) سنة وقت خلافة القوم وقتلهم انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى (ع) فيكون تقدير الآية ومن قوم موسى أمة كانوا يهدون بالحق عن ابي علي الجبائي واتكرر القول الأول وقال لو كانوا ياتين لكانوا كافرين فيجحد نبوة محمد (ص) وليس هذا بشي لأنه

لا يجمع ان يكون قوم لم يبلغهم دعوة النبي (ص) فلا يحكم بكفرهم ويمكن ان يكون بلغهم خبر النبوة وآمنوا
 ﴿ثالثاً﴾ اثم الذين آمنوا بالنبي (ص) مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما وفي حديث أبي
 حمزة الثمالي والحكم بن علفير ان موسى (ع) لما أخذ الألواح قال رب اني لأجد في الألواح أمة هي خير أمة
 اخرجت للناس يأمرون بالعرف ويبنون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد في
 الألواح أمة هم الآخرون في اطلاق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد
 في الألواح أمة كتبهم في صدورهم يقرأونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد في الألواح أمة
 يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويتقاتلون الاعداء الكذّاب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب
 اني اجد في الألواح أمة اذا هم احدهم يحسنه ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرة امثالها وان
 هم يشكروا لم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت عليه سبعة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب
 اني اجد في الألواح أمة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال موسى رب اجعلني من أمة
 احمد (ص) قال ابو حمزة فأعطى موسى آيتين لم يطعها يعني أمة احمد قال الله يا موسى اني اصطفيتك على الناس
 بروحاني وبكلامي وقال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى (ع) كل الرضا وفي
 حديث غير أبي حمزة قال ان النبي (ص) لما قرأ وعن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد اعطى الله
 قوم موسى مثلاً (و قطعناهم اثني عشرة اصباعاً اماً) اي وفرقنا بني اسرائيل اثني عشرة فرقة اصباعاً يعني
 اولاد يعقوب (ع) فانهم كانوا اثني عشر وكان لكل واحد منهم اولاد ونسل فصار كل فرقة منهم سبطاً وأمة
 وانما جعل سبحانه اماً ليشعروا في شريعهم ومطعمهم ويرجع كل أمة منهم الى رئيس فيض الأمر على موسى
 (ع) ولا يقع بينهم اختلاف وتباغض (واوحينا الى موسى اذا استعقبه قومه اي طلبوا منه السبق) ان اضرب
 بصاك الحجر فانجست الانبياس خروج الماء العاري بقلة والاقتجار خروجه بكثرة وكان يتدنى الماء من
 الحجر بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكر هنا الانبياس وفي سورة البقرة الاقتجار والابسة الى
 آخرها مفسرة هناك فلا معنى لاعادته

قوله تعالى (١٦١) وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
 حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفِّرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ خُطِيبَاتُكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦٢) فَبَدَّلَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَسُّ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ آيَاتان

﴿القرأة﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تغفر بالتاء وضما وفتح الفاء والباقون ينفر بالنون وكسر الفاء
 وقرأ أهل المدينة ويعقوب وسهل خطيباتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرأ ابن عامر خطيباتكم بالترديد
 ورفع التاء وقرأ أبو عمرو خطيباتكم بغير همز وعلى جمع التكسير والباقون خطيباتكم على جمع السلامة وكسر التاء

﴿الحجة﴾

من قرأ نثر بالنون فهو على واذ قيل لهم ادخلوا تنفروا لكم أي إن دخلتم غفرتا والفي في البقرة تنفروا والنون
 هناك احسن لقوله واذ قلنا ولما قرأوا من قرأ تنفروا بالتاء مضومة فلا نه قد استند اليها خطيباتكم وهو موث
 فأت وفي العمل المنقول وهو اشبه بقوله واذ قيل لهم قد مضى تفسير مثل هاتين الآيتين في سورة البقرة فلا وجه لاعادته
 قوله تعالى (١٦٣) وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ

إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثْيَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٤) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا أَنَّهُمْ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَكُمْ يُتْلَوْنَ آيَاتُ

— القصة —

قرأه من معذرة بالنصب والياقوت بالرفع وروي في الشواذ عن شهر بن حوشب والي نيك بمد ونوع من الحسن يستون بضم الياء

— الحجة —

من قرأ معذرة بالرفع فقد بدله موعظتها معذرة فيكون خبر مبتدأ محذوف ومن قرأ بالنصب فعلى معنى منتذر معذرة وقال سيويه لو قال رجل لرجل معذرة الى الله واليك من كذا وكذا نصب الى معنى منتذر ومن قرأ بمدون اراد يمدون فأسكن التاء ليذمها في الدال وقتل فتحها الى المين فصار يمدون ومن قرأ بسبتون فمتناه يمدون في السبت كما يقال اشهرنا دخلنا في الشهر واجمعنا دخلنا في الجمعة ومن فتح الياء اراد يفتلون السبت ويقومون عمل يوم السبت فالسبت على هذا فلهم يقول سبت بسبت ميتا اذا عظم يوم السبت

❦ القصة ❦

حيثان جمع حرتوا كثر مايسي العرب السمك الحيتان واليتان وعدا فلان يمدون عدوا واعداء وعدوا واعداء وادوا وظلم واصله مجاوزة الحد الشرع اصله الظهور ومنه الشرعة والشرمة وهو الظاهر المستقيم من المذهب ومنه الشرعة والشرمة لكونهما في مكان ظاهر من النهر ومنه شراع السفينة لظهورها والمندرة والمذرة والمذرى والمندرة واحد مصدر عذرتة عذرتة والمندرة الذي له عذر صحيح والمندرة بالشديد الذي لا عذر لهوهو يربك انه معذون وهو المقصر والمعتذر يقال لمن له عذر ولان لا عذر له وقولهم من يمدوني معناه من يقوم بمدري

❦ الإعراب ❦

إذ يمدون موضع إذ نصب على معنى سلمهم عن عدوهم أي عن وقت ذلك إذ تأتيتهم في موضع نصب أيضا يمدون المعنى سلمهم إذ عدوا في وقت الإتيان شرعا نصب على الحال من الحيتان وموضع الكاف من كذلك نيلوم نصب بيلوهم ويحتمل أن يكون على ويوم لا يستون لا تأتيتهم كذلك أي لا تأتيتهم شرعا فيكون الكاف في موضع نصب على الحال من تأتيتهم ويكون نيلوم مستأقفا والقول الأول ابجود ولم تعظون اصله لا ولكن هذه الألف تختلف مع حرف الجر يقول مع وفيهم وعلام ومع

❦ المعنى ❦

ثم ابتدأ سبحانه بخبر آخر من اخبار بني اسرائيل فقال مخاطبا لنبيه (وسألهم) أي استخبرهم يا محمد وهو سؤال توبيخ وتقرع لاسأل استهزاء (عن القرية التي كانت حاضرة البحر) أي مجاورة البحر وقريبة من البحر على شاطئ البحر وهي ابلة عن ابن عباس وقيل هي مدين عه أيضا وقيل طبرية عن الزهري (اذ يمدون في السبت) أي يظلمون فيه بعيد السمك ويجاوزون الحد في امر السبت (اذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) أي ظاهرة على وجه الماء عن ابن عباس وقيل متتابعة عن الضحاك وقيل رافعة رؤوسها قال الحسن كانت تشرع الى ابوابهم مثل الكباش البيض لأنها كانت آمنة يومئذ (ويوم لا يستون لا تأتيتهم) أي ويوم لا يكون السبت كانت تقوص في الماء واختلف في اهم كيف اصطادوا فقيل انهم اتوا الشبكة في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء الى يوم الاحد وهذا تسبب محظور وروي رواية عكرمة عن ابن

عباس استخفوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان إليها ولا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الأحد وقيل انهم اصطادوها وتناولوها باليد في يوم السبت عن الحسن (كذلك بلوهم) أي مثل ذلك الاختيار الشديد فخيرهم (ما كانوا يفتقرون) أي يفتقروا وعصيانهم وظل المعنى الآخر لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي كان منها يوم السبت ثم استأنف فقال بلوهم (وإذ قالت أمة) أي جماعة (منهم) أي من بني اسرائيل الذين لم يصطادوا وكانوا ثلاثة فرق فرقة قانصة وفرقة ساكنة واعطت فقال الساكنون للواعظين والناهين (لم تعظون قوما الله مهلكهم) أي يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كرامة لوعظهم ولكن لا يأسهم عن أن يقبل أو تلك التوم الوعظ فإن الامر بالمعروف إنما يجب عند عدم الایاس من القبول عن الجبائي وسناه ما ينفع الوعظ من لا يقبل والله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم (أو معذبهم عذاباً شديداً) في الآخرة (قالوا) أي قال الواعظون سيفه سواههم (مسفرة إلى ريمك) مناه معظمتنا إياهم مسفرة إلى الله وتأدية لقرضه في النهي عن المنكر لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم (ولهم) بالوعظ (يتقون) ويرجعون

قوله تعالى (١٦٥) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٦) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَنَاهُ عَنَّا قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ آيَاتِنَا

الترجمة

قرأ أهل المدينة بذياب يئس يكسر الياء غير مهموز على وزن فعل وقرأ ابن طرس بش مهموز على وزن فعل ايضاً وقرأ أبو بكر غير حماد يئس على وزن فيعل والباقون يئس على وزن فيعل وروي في الشواذ عن ابن عباس يئس على وزن فيعل وعن زيد بن ثابت بش على وزن فعل وعن يحيى والسلي بخلاف يئس وعن طلحة بن مصرف يئس وروي ايضاً عن نافع وروي عن مجاهد بالئس على وزن فاعل وعن الحسن بش بكسر الياء ونسخ السين

الحجة

قال أبو علي من قرأ يئس فانه يحتمل امرين ان يكون فيلانا من يؤس يؤس اذا كان شديد اليأس فيكون مثل بذياب شديد وان يكون مصدراً على فيعل نحو التذير والتكبير وقولهم «غدير الحمي من عدوان كانوا حجة الارض» نوحف بالمصدور التقدير بذياب ذي يئس أي ذي يؤس ومن قرأ بذياب بش فانه جعل بش الذي هو فعل اسما فوقف به مثل ذلك قوله إن الله ينهى عن قيل وقال ومثل مذ شب إلى دب ومذ شب إلى دب فلما استعملت هذه الألفاظ اسما وانفصلا فكذلك بش جعله اسماً بعد أن كان فعلاً فصار وصفاً ومن قرأ يئس فانه يكون وصفاً مثل ضيغم وحيدر وقال ولا يجوز كسر العين منه لأن فيل بجاء اخص به ما كان عينه ياء أو واوا مثل طيب وسيد ولم يسم مثل ضيغم وقد جاء في المثل فيل أشد سيوبه «ما بال عينك كالشعب العين» فيبني أن يحمل يئس ممن رواه على الوهم قال ابن جني وإنما جاء في الهمز لمشاهاها سر في اللمة وأما يئس على فيل فانه جاء على يئس الرجل يأسه اذا شيع فكأنه عذاب مقدم عليهم غير متأخر عنهم يجوز أن يكون مقصوداً من يئس فيكون مثل اتق من اتقى وأما يئس في وزن جيش فكأنه اراد بش فنصف الهمزة فصارت بين يين فلما قاربت الياء اسكنها طلباً للحنونة فصارت في اللفظ ياء ونحو من ذلك قول ابن ميادة «وكان يومئذ لها حكمها» اراد يومئذ فنصف وأما يئس فاسم الفاعل من بش وانكر أبو حاتم قراءة الحسن بش وقال لو كان كذا لما كان بدشها من ما بش ما كنعما

* القصة *

قال ابو زيد يقال يؤس الرجل بيؤس بأسا اذا كان شديد البأس وفي البؤس وهو القفر بأس الرجل بيأس يؤس وبأسا وبأساء الاسم والمتو الخروج الى اقتحس الذنوب والمأقي المبالغ في المعاصي والليل المأقي الشديد الظلمة والغاسي الطرود البعد عن الخير من خسات الكلب اذا أقصته فحسأ أي يمد

* المعنى *

(فلما نسوا ما ذكروا به) أي فلما ترك أهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك (انجبتا الذين ينهون عن سوء) أي خلصنا الذين ينهون عن المعصية (واخذنا الذين ظلموا أنفسهم بنشاب بئس) أي شديد (بما كانوا يفسقون) أي يفسقهم وذلك المناب لحقهم قبل أن مسخوا قرودة عن الجبائي ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية أم من الهالكة وروي عن ابن عباس فيهم ثلاثة اقوال أحدها **❦** انه فئت الفرقتان وهلكت الثالثة وبه قال السدي **❦** والثاني **❦** انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناجية وبه قال ابن زيد وروى ذلك عن ابي عبد الله (ع) **❦** والثالث **❦** التوقف فيه روي عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قال قد علمت ان الله تعالى اهلك الذين اخذوا الحيتان وابنى الذين نهوهم ولا ادري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يوافقوا المعصية وهذه حالنا واختاره الجبائي وقال الحسن انه نجا الفرقة الثالثة لأنه ليس شيء يبلغ في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ذكر الوعيد وقد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلككم اوسعذبهم عذابا شديدا وقال قتل المؤمن اعظم والله من أكل الحيتان (فلما عتوا عما نهوا عنه) اي عن ترك ما نهوا عنه يعني لم يتركوا ما نهوا عنه وتعدوا في الفساد والجرأة على المعصية واواى ان يرجعوا عنها (فلما لم كونوا قرودة) اي جعلتهم قرودة (خاشعين) مبدين مطرودين وانما ذكر كرم ليدل على انه سبحانه لا يمتنع عليه شيء واجاز الزواج ان يكون قيل لم ذلك بكلام سمعه فيكون ذلك يبلغ في الآية النازلة بهم وحكي ذلك عن ابي الهذيل قال قتادة صاروا قرودة لما اذنب تعاوى يمدان كانوا رجلا ونساء وقيل انهم بقوا ثلاثة ايام ينظر اليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قل ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة ايام وقيل عاشوا سبعة ايام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل انهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لأن من المعلوم ان القرودة ليست من اولاد آدم كما ان الكلاب ليست منهم ووردت الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى لم يمسخ شيئا فيصلى له نسلًا وعقبًا

* القصة *

قيل كانت هذه القصة في زمن داود (ع) وعن ابن عباس قال — امروا باليوم الذي امرتم به يوم الجمعة فتركوه واخذوا يوم السبت فايدوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بجمعهم فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا ايضا سمنا حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون ثم اتهم الشيطان وقال إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت فانخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة ثم يأخذونها يوم الاحد وعن ابن زيد قال اخذ رجل منهم حوتا وريط سيف ذنبه غيطا وشده الى الساحل ثم اخذه يوم الاحد وشواه فلاموه على ذلك فلما لم يأته المناب اخذوا ذلك واكلوه وباعوه وكانوا نحواً من اثني عشر ألفا فصار الناس ثلاث فرق على ما تقدم ذكره فاعزلتهم الفرقة الناجية ولم تسأكنهم فاصبحوا يوماً ولم يخرج من المعصية احد فنظروا فلم ذاهم قرودة فتفتحو الباب ودخلوا فكانت القرودة تعرفهم وهم لا يعرفونها فبصلت تبكي فلذا قالوا لهم ألم تنهكم قالت برووسها أن نعم قال قتادة صارت الشبان قرودة والشيخ خنازير

قوله تعالى (١٦٧) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَيِّنَ عَلَيْكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٨) وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أَمْصَاثَهُمُ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ آيَات

✽ الاعراب ✽

ومتهم دون ذلك دون في موضع الرفع بالايجاء ولكنه جاء منصوبا للمكان في الظرفية ومثله على قول النبي الحسن لقد قطع ينكم هو في موضع الرفع فجاء منصوبا لهذا المعنى وكذلك في قوله يوم القيامة يفصل بينكم بين في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل وإن شئت كان التقدير ومتهم جماعة دون ذلك حذف الموصوف وقامت صفته مقامه

- المعنى -

ثم خاطب سبحانه النبي فقال (وإذ تأذن ربك) ومثناه وأذكر يا محمد إذ أذن واعلم ربك فلن تأذن وإذن يعني وقيل مثناه تألى ربك أي القسم الذي يسمع بالأذن وقيل مثناه قال ربك عن ابن عباس (ليبين عليهم) أي على اليهود (الي يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي من يذيقهم ويؤليهم شدة العذاب بالقتل واخذ الجزية منهم والمثني به أمة محمد (ص) عند جميع المسلمين وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهذا يدل على أن اليهود لا تكون لهم دولة إلى يوم القيامة ولا عز وأما معنى البشاحنة فهو الاسر والإطلاق والموتة وقيل معناه الخليفة وإن وقع على وجه المصيبة كقوله سبحانه إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (ان ربك لسريع العقاب) لمن يستوجب على البكر والمصيبة (وانه لغفور رحيم) ظاهر المعنى وإنما قال سريع العقاب وإن كان العقاب مؤثرا إلى يوم القيامة لأن كل آت فهو قريب وقيل معناه سريع العقاب لمن شاء أن يماليه في الدنيا (وقطعنا في الأرض أَمْصَاثَهُمْ) معناه وفرقناهم في البلاد فرقا مختلفة وجماعات شتى يعني اليهود عن ابن عباس ومجاهد وإنما فرقهم بأن فرق دواحيهم حتى افرقوا في البلاد وتفرقهم ذل لهم بمنزلة أخذ الجزية لأنهم لا يتماثلون ولا يتماثلون وقيل إنه فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم في دينهم فصلح فريق وعصى فريق ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (مهم الصالحون) أي من هؤلاء الصالحون يعني من بني إسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله ورسوله ويطيعونه (ومهم دون ذلك) أي دون الصالح في الدرجة والمنزلة وهم الذين امتثلوا بعض الأوامر دون بعض وعملوا بعض المحاسن وإنما وصفهم بما كانوا عليه قبل ارتدادهم وكثرهم ذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى (ع) وقيل معناه منهم المؤمنون بمعصية عيسى عليهما السلام ومنهم الكافرون عن عطاء ومجاهد (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) معناه اختبرناهم بالرخاء في العيش والخف في الدنيا والدعة والسعة في الرزق بالشهداء في العيش والمصائب في الآخرة والأموال فكان قال بلوناهم بالنعم والقسم والرخاء والشدّة فلن فعل التمس يقتضي الرغبة إلى الله تعالى في ارتباطها وفعل القسم يقتضي الرغبة إلى الله تعالى في كنفها (لهم يرجعون) أي لكي يرجعوا إلى الله تعالى ويتوبوا إلى طاعته وامتثال أمره وحتى قيل كيف يصح الرجوع إلى أمر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه أن الذهاب عن الشيء قد يقال له ارجع إليه أي صر إليه كما أن من رأى غيره سالكا في المهلك قد يقول له ارجع إلى الطريق المستقيم يريد به إخراجا عن المهلك وقيل إن معناه لهم يرجعون إلى ما عليه أصل القطرة

قوله تعالى (١٦٩) فَخَلَفَ مِنْ بَدْرٍ خَلْفٌ وَرُوْنَا الْكِتَابَ بِأَخْذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْنِهِ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا

يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالَّذِينَ يَقُولُونَ أَفَلَا نَعْلَمُونَ
(١٧٠) وَالَّذِينَ يَسْكُنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ آيَاتَانِ

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر يسكنون يسكنين الميم والبايوت ينتصها وتشديد السين وهما بمعنى واحد وفي الشواذ قراءة السليبي
وإذ أرسوا ما فيه أراد تدارسوا فادغم

﴿ النكتة ﴾

قال الزجاج يقال للقرن الذي يبعث في إثر قرن خلف واخلف ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك قال
التراء يقال هو خلف صدق وخلف صوء قال لبيد

ذهب الذين يعاش في أكناهم

قال علي بن عيسى وقد يوضع احدهما مكان الآخر قال حسان

لنا أقدم الأولى إليك وخلفنا

لأولنا في طاعة الله تابع

والأغلب في الفتح أن يستعمل في المدح . والعرض ما يعرض ويقبل لشيء منه سمي العرض القائم بالجسم
عرضا لأنه يعرض في الوجود ولا يجب له من اللبث ما يجب للأجسام والدرس تكرير الشيء ويقال درس الكتاب
إذا كرر قراءته ودرس المنزل إذا تكرر عليه مرور الأمطار والرياح حتى انمسي أثره واسك وسك وقسك
وانتمسك بالشيء بمعنى واحد أي احتصم به

﴿ الإعراب ﴾

بأخذون عرض هذا الأدنى في موضع النصب على الحال من التفسير في ورثوا وقوله ورثوا الكتاب صفة
ظلف ودرسوا ما فيه عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ عليهم الى قوله الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا
يجوز الوقف من اول الآية إلا على قوله ما فيه وخبر الذين يسكنون قوله انا لا نضيع أجر المصلحين منهم فحذف
منهم لدلالة الكلام عليه كما في قوله السمن متوان يدرهم ويحتمل ان يكون التقدير لا نضيع أجرهم لأن
المصلحين هم الذين يسكنون بالكتاب في المعنى ويجوز أن يكون الخبر مجذوبا وتقديره نضيعهم أجرهم لأننا
لا نضيع أجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن ذكر الملل

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه الأخلاف بعد ذكر الأسلاف فقال (فغلف من يدرهم خلف) معناه فذهب أو أنك وقام
مقامهم قوم آخرون ورثوا الكتاب يعني التوراة فإن الميراث ما صار للباقي من جهة البادي (يأخذون عرض هذا
الأدنى) معناه ما اشرف لهم من الدنيا أخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والتاجر
وجميع متاع الدنيا عرض وقيل انهم كانوا يرتشون ويحسمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحسمون بحق
وكل ذلك عرض خيس واداد بقوله هذا الأدنى هذا الما قبل وقيل اراد عرض هذا العالم الأدنى وهو الدار الآخرة
(ويقولون سيقت لنا) وهذا اختيار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب اذا اشرف لهم شيء من الدنيا
أخذوه حلالا كان أو حراما ويؤمنون على الله المغفرة (وإن يأثمهم عرض مثله يأخذوه) أي وإن وجدوا من الدنيا
مثله أخذوه وهذا دليل على إصرارهم واثم ثمتوا المغفرة مع الإصرار وقيل معناه وإن جاءهم حرام من الرزوة وغيرها
بعد ذلك أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل معناه لا يشعهم شيء

عن الحسن (لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) معناه الميؤخذ على هؤلاء المرتين في الأحكام العاقلة يسير لنا إذا عوتبرا على ذلك الميثاق سيف التوراة أن لا يكذبوا على الله تعالى ولا يغيثوا إليه إلا ما أنزله على رسوله موسى (ع) في التوراة من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها ميعاد المخرة مع الأسرار (ودرسوا ما فيه) أي قرأوا ما فيه فهمذاكرون لذلك وقيل أنه معطوف على قوله ورتوا الكتاب والمعنى فحفظ من بعدهم خلف ورتوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيعوه وتركوا العمل به (والدار الآخرة خير للذين يتقون) معناه ما بعده الله وأوليائه في الدار الآخرة من الثم والثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون معاصي الله (أفلا يتقون) من قرأ بالآلاء فمعناه أفلا تتق هذه الطاعة ومن قرأ بالآلاء فمعناه قل لهم أفلا تتقون أن الأمر على ما أخبر الله به (والذين يمسكون بالكتاب) أي يمسكون به والكتاب التوراة أي لا يحرفونه ولا يكتمونه عن عباده وابن زيد وقيل الكتاب القرآن والتسك به لمة محمد (من) عن عطا (واقموا الصلاة) أي إقاما خاص الصلاة بالذكر للجلالة وموقها وشدة تأكدها (إنا لا نصنع أجر المصلحين) أي لا نصنع جزاء علمهم وتبهم على ما يستحقونه قوله تعالى (١٧١) وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ آية

الفئة

التي قلغ الشيء من الأصل وكل شيء قلغته ثم رميت به فقد نثته ومنه قيل للمرأة الكثيرة الأولاد ناثق لأنها ترمي بالأولاد ربا هذا قول أبي عبيدة وقيل أصل النثق الرنق ومع امرأة ناثق لرفها الأولاد ونثقت المرأة فهي ناثقة ومثاق إذا كثر ولدها وهو قول ابن الأعرابي وقيل أصله الجنب يقال نثقت الغرب من البئر جذبه عن أبي مسلم والظلة كذا اظلك آية متروك من سق أو سحابة أو جناح حائط

المعنى

عاد الكلام إلى قوم موسى (ع) فقال سبحانه (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) معناه وإذا ذكر يا محمد إذ قلنا الجبل من أصله فرضناه فوق بني إسرائيل وكان عسكر موسى (ع) فرسخا في فرسخ فرغ الله الجبل فوق جميعهم (كأنه ظلة) أي غمامة وقيل مقيفة عن عطا (وظنوا أنه واقع بهم) أي علموا وابتقوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن أي قوي في قوسهم ذلك عن الرماني والجبالي (خذوا) أي وقلنا لهم خذوا (ما آتيناكم بقوة) أي خذوا ما الزمناكم من أحكام كتابنا وفرائضه فأقبلوه بجد واجتهاد متكم في كل أوان من غير تقصير ولا توان (واذكروا ما فيه) من الهدى والمواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بما فيه (لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا ربكم وتخالقوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة مشروحا

قوله تعالى (١٧٢) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٣) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٤) وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ آيَاتِ وَلَهُمْ يَرْجُونَ ثلاث آيات

القرأة

قرأ ابن كثير ولعل الكوكة ذريتهم على التوحيد والباقون ذريتهم على الجمع وقرأ أبو عمرو أن يقولوا ويقولوا بالياء والباقون بالياء

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الذرية قد يكون جمعا وقد يكون واحداً فمما جاء فيه جمعا قوله وكنا ذرية من بعدهم وذرية من صلحهم نوح فمن ائرد جعله جمعا فاستثنى عن جمعه لوقوعه على الجمع ومما جاء فيه واحداً قوله رب مهلي من لدنك ذرية طيبة ثم قال إنا آفقه ببشرك يعني وهذا مثل قوله رب مهلي أي بمن لدنك وليا يرثي ويرث من آل يعقوب وأما قراءة أبي عمرو أن يقولوا بالياء فلأن الذي تقدم من الكلام على النية ومن قرأ بالياء فلا نه جرى في الكلام خطاب أيضا فقال الست يربكم وكلا الوجهين حسن لأن النيب هم المتخاطبون في المعنى

✽ الإعراب ✽

من ظهورهم بذلك من قوله من بني آدم والمعنى أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل في تقدير وزنها واشتقاقها فيما تقدم وقوله إن تقولوا تقدريه كرامة أن تقولوا أو لثلا تقولوا وقد مضى الكلام في أمثاله

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه ما أخذ على الخلق من الموائيق بقوله عقيب ما ذكره من الموائيق التي في الكتب جمعا بين دلائل السمع والعقل والإبلاغ في إقامة الحجة فقال (وإذا أخذ ربك) أي وأذكر لهم ما محمد أذخرج ربك (من بني آدم من ظهورهم) أي من ظهور بني آدم (ذريتهم) وأشهدهم على أنفسهم الست يربكم قالوا لي (اختلف العلماء من العام والخاص في معنى هذه الآية وفي هذا الإخراج والأشهاد على وجوه) أحدها أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فصرهم على آدم وقال إني أخذ على ذريتك ميثاقا أن يعبودني ولا يشركوا بي شيئا وعلي أذلهم ثم قال لهم الست يربكم قالوا لي شهدنا أنك ربنا فقاتل للملائكة أشهدوا فقالوا شهدنا وقيل إن الله تعالى جعلهم فعلاء يسمون خطابهم ويفهمونه ثم ردهم إلى صلب آدم والثالث عيسى بن جهمي حتى يخرج كل من أخرج الله في ذلك الوقت وكل من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى ومن كفر وجحد فقد تغير عن الفطرة الأولى عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك آثارا بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة يحملونها تأويلا والآية ورد المحققون هذا التأويل وقالوا أنه ما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنه تعالى قال وإذا أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهوره وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلا يقولوا أنهم كانوا عن ذلك غافلين أو يشكروا بشركا بأنهم وأنهم نشأوا على دينهم وهذا يقتضي أن يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول الظاهر ولد آدم لصلبه وأيضا فإن هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم لا يخلو إما أن جعلهم الله فعلاء أو لم يجعلهم كذلك فإن لم يجعلهم فعلاء فلا يصح أن يبرفوا التوحيد وإن يفهموا خطاب الله تعالى وإن جعلهم فعلاء وأخذ عليهم الميثاق فيجب أن يبتذكروا ذلك ولا ينسوه لأن أخذ الميثاق لا يكون حجة على المخوذ عليه إلا أن يكون ذا كراهة فيجب أن تذكر نحن الميثاق ولأنه لا يجوز أن ينسئ الجميع الكثير والجميع القليل من العقلاء شيئا كانوا عرفوه وميزوه حتى لا يذكر مواحدتهم وإن طال العهد الآتري أن اهل الجفم يرون كثير من أسوال الدنيا حتى يقول اهل الجنة لاهل النار إن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ولو جاز أن ينسوا ذلك مع هذه الكثرة لجاز أن يكون الله تعالى قد كلف الخلق فيما مضى ثم أعادهم إما إليهم وإما إليهم ونسوا ذلك وذلك يؤذي إلى التجاهل وإلى صحة مذهب التناسخية وحكي عن علي بن عيسى عن أبي بكر بن الأشيد أنه جاز أن يكون خبر الذر صحيحا غير أنه قال ليس تأويل الآية على ذلك ويكون قائده أنه فعل ذلك ليجروا على الاعتراف الكرمية في شكر النعمة والاقتراف لله تعالى بالبرية كما روي أنهم ولدوا على الفطرة وحكي أبو المذبل في كتاب الحجة أن اهل البصري وأصحابه كانوا يذهبون إلى أن نسم الاطفال في الجنة نواب عن الإيمان

في الذر ﴿١٧٥﴾ وثانيها ﴿١٧٦﴾ ان المراد بالآية ان الله سبحانه اخبر بني آدم من صلاب آياتهم الى ارحام آياتهم ثم راعاهم درجة بعد درجة وعلقة ثم مضى في انشاء كلامهم بشراسوا ثم حثهم على ان ياتوا راضعين ومكثهم من معرفة دلالته حتى كانه اشهدهم وقال لهم التوبكم فقالوا الى هذا يكون معنى اشهدهم على انفسهم دلهم بخلقهم على توحيدهم وانما اشهدهم على انفسهم بذلك لما جعل في عقولهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وركب فيهم من عجايب خلقه وغرائب صنعته وفي غيرهم فكانه سبحانه ينزله المثلث على انفسهم فكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله وتعدوا امتناعهم به بنزلة المعترف للقرآن لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة ونظير ذلك قوله تعالى فقال لما وللأرض اقبيا طوعا او كرها قالنا آتينا طائعين وان لم يكن منه سبحانه قول ولا منها جواب ومثله قوله تعالى شاهدني على انفسهم بالكفر ومعلوم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسهم لكهم لما ظهر منهم ظهروا لا يتحكمون من دمه فكانهم اعترفوا به ومثله في الشعر

وقالت له العيان سمعا وطاعة وحسرتا كالذر لما يتقرب

وكما يقول القائل جوارحي تشهد بعمتك وكما روي عن بعض السلفاء من قوله سل الأرض من شق انهارك وغرس اشجارك وابنيك شارك فان لم تحبك حوارا اُجانبك اعتبارا ومثله كثير في كلام العرب واشعارهم ونظمهم وشعرهم وهو قول الرمانى والى مسلم وابن الاثير **﴿١٧٧﴾** ونالها **﴿١٧٨﴾** انه تعالى انا عسى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم واكمل عقولهم وقردهم على السن رسلة (ع) بحرفته وبما يجب من طاعته فآفروا بذلك واشهدهم على انفسهم به فلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا انا اشرك آباؤنا من قبل فلهذا هم في ذلك منه سبحانه على انه لا يماق من له عذر رجة منه نطقه وكرما وهذا يكون في قوم خاص من بني آدم ولا يدخل جميعه فيه لأن المؤمن لا يدخل فيه لأنه بين ان هؤلاء المأخوذ ميثاقهم كان لهم سلف في الشرك ولأن ولد آدم لصلبه لم يؤخذوا من ظهور بني آدم فقد خرجوا من ذلك وهذا اختيار الجبائي والقاضي وقوله (شهدنا) حكاية عن قول الملائكة انهم يقولون ذلك اي شهدنا لثلاثا تقولوا ذكره الازهري عن بعضهم وقال ان قوله قالوا الى تمام الكلام وهذا خلاف الظاهر وما عليه المفسرون لأن الكل قالوا شهدنا عن قول من قال الى وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يبرها ذكر في الآية فيفسد أن يكون اخباراً عنهم (ان يقولوا يوم القيامة) معناه لثلاثا يقولوا اذا صاروا الى العذاب يوم القيامة (انا كنا عن هذا غافلين) لم تنبه عليه ولم تهم لنا حجة به ولم تكمل عقولنا فتفكر فيه (او يقولوا اي او يقول قوم منهم) انا اشرك آباؤنا من قبل (حين بلغوا وعقلوا) وكنا ذرية من يدهم (اي اطفالا لا نقل ولا تصلح الفكرة والنظر والتدبر وعلى التأويل الأخير فضاه اني انا قررتكم بهذا فاعطوا على طاعتي وتشكروا واسمعي ولا تقولوا يوم القيامة انا كنا غافلين عما أخذ الله من الميثاق على لسان الانبياء وتقولوا انا اشرك آباؤنا من قبل فلهذا هم في شركهم احتجابا بالتقليد وتسويلا على اي فقد قطعت حاجتك هذه بما قررتكم به من معرفتي واشهدتكم على انفسكم باقراركم بحرفكم ابائي (أضلكننا بما فعل المبطلون) ومعناه ولأن لا تقولوا أضلكننا بما فعل آباؤنا من الشرك وتقدره انا لا نهلككم بما فعلوه وانما نهلككم بفسادكم انتم (وكذلك تفصل الآيات) معناه انا بما ينالكم هذه الآيات كذلك تفصلها للباد وبينا لهم وتفصيل الآيات فميزها لئلا يمكن من الاستدلال بكل واحدة منها (ولهم يرجون) اي ليرجوا الى الحق من الباطل

قوله تعالى (١٧٥) وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَخَ مِنْهَا مَا تَبِعَهُ الشَّيْطَانُ

فَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٧٦) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلِلْنَاهُ كَشَلِّ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَّكَهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٧) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ (١٧٨) مَنْ يَدِّ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا وَلِيكَ لَهُمُ الْغَاسِرُونَ (أربع آيات)

﴿ الآية ﴾

النبا الخبر عن الأمر العظيم ومنه اشتقاق النبوة نبأه الله أي جملة نبيا واخذ الى كذا واخذ اليه سكن اليه واخذ أكثر واصله الزوم على الدوام ورجل مخذ اذا ابطأ عنه الشيب واخذ الى الارض لصق بها قال مالك بن نويرة

بأنباء حق من قبائل مالك وعمر وبن يربوع اقاموا غاخذوا
الله أن يدلج الكلب لسانه من العطش والياث حر العطش وفي حديث سعيد بن جبير في المرأة الهشي
إنما تغطر في رمضان وقيل هو النفس الشديد من شدة الإعياء
— الأعراب —

نصب مثلا لأنه تفسير الضمير في ساء التي هي بمعنى بس فيكون فلا مضيا غير منصوب وقد يره
ساء المثل مثلا وفي الكلام حذف آخر وقد يره ساء المثل مثلا مثل القوم ثم حذف المثل الاول لدلالة المنصوب
عليه وحذف الثاني لقيام المضاف اليه مقامه ولأن المعنى مفهوم

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) أن يقرأ عليهم قصة آخرى من أخبار بني اسرائيل قال (واتل يا قرا) (عليهم) (يا محمد) يا الذي آتياه) أي خبر الذي اعطياه (آياتنا) أي حججنا وبياناتنا (فانسلخ منها) أي فخرج من العلم بما بالجهل كالشي الذي ينسلخ من جلده (فأتبه الشيطان) أي تبه وتبع وأتبع وأتبع بمعنى وقيل معناه لحقه الشيطان وادركه حتى اضله (فكان من التاوين) أي من الهالكين وقيل من الخائنين عن الجائي واختلف في المعنى به قيل هو بلعام بن باعور عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلا على دين موسى (ع) وكان في المدينة التي قصد هلموسى وكانوا كفارا وكان عندما سم الله الأظم وكان اذا دعا الله تعالى اجابه وقيل هو بلعم بن باعورا من بني هاب بن لوط عن ابي حمزة الثمالي ومسروق قال ابو حمزة وبلغنا ايضا والله اعلم انه امية بن ابي الصلت الثقفي الشاعر وروي ذلك عن عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابي روق وكانت قصته انه قرأ الكتب وعلم ان الله سبحانه مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد (ص) حسده ومر على قتي بدر فسال عنهم قيل قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباءه واستشهد رسول الله اختشعوا بعد موته فأنشدته

لك الحمد والثناء والفضل ربنا ولا شيء اعلى منك جدا وامجد

ملكك على عرش السماء مهيم
لزمته تمنو الوجوه وتسجد
وهي قصيدة طرية حتى انت على آخرها ثم انشدته قصيدته التي فيها
وقف الناس الحصاب جميعا
فشقي مملوب وسعيد
والتي فيها

عند ذي العرش تعرضون عليه
يعلم الجهر والسراب الخفيا
يوم يأتي الرحمن وهو رحيم
إنه كان وعده مأثيا
رب إن تعف فالمعافاة ظني
أو تعاقب فلم تعاقب برياً

قال رسول الله (ص) آمن شره وكفر قلبه وانزل الله فيه قوله واتل عليهم نبأ الذي آتينا آية وقيل
انه ابو عامر بن النعمان بن صفير الراهب الذي سماه النبي الفاسق وكان قد تهرّب في الجاهلية وليس السروح
بقدم المدينة قال للنبي (ص) ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها قتال (ص)
لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها قال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريداً وحيداً فخرج الى
أهل الشام وارسل الى المنافقين ان استمعدوا السلاح ثم اتى قيصر واتى بجند ليخرج النبي (ص) من المدينة
فمات بالشام طريداً وحيداً عن سعيد بن المسيب وقيل للمني به متفق اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون
النبي ﷺ كاسرفون ابناهم ويكون معنى قاتلهم منها عرض عن آيات الله وقوله كما فاقمه الشيطان أي خذله
الله وخلى بينه وبين الشيطان عن الحسن وابن كيسان وقيل انه مثل ضربه الله لن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله
عن قتادة وقال ابو جعفر (ع) الأصل في ذلك بلم ثم ضربه الله مثلاً لكل مؤثر هواه على هدى الله من
أهل القبلة وقيل ايضا في الآيات التي اوتيا احوال أخر منها أن المراد بها للمعجزات الدالة على صدق الأنبياء
فلم يقبلها وعري عنها يعني فروع عن ابي مسلم فكانه قال اتل عليهم نبأ فروع اذ آتيناها الحجج الدالة على
صدق موسى فلم يقبلها ومنها ان الآيات الإيمانية والهدى والدين عن الحسن ومنها انها النبوة عن مجاهد
وهذا لا يجوز لأن الأنبياء منزّهون عن ذلك فانهم حجج الله على خلقه (ولو شئنا لرضناهم) أي تلك الآيات
والهاء في رضنا يعود الى الذي آتاه الله آياته فانسلك منها ممتناه ولو شئنا لرضنا منزهته بإيمانه ومعرفته قبل أن
يكفر ولكن ببقائه ليزداد الإيمان فكفر عن الجائي وقبل مناه ولو شئنا لحنا بينه وبين ما اختاره من
المصيبة وهذا اخبار عن كمال قدرته عن البليغ والزجاج (ولكنه اخذ الى الارض) أي ركن الى الدنيا
ومال اليها عن سعيد بن جبير والسدي وممناه ولكنهم مال الى الدنيا بإيثار الراحة والدعة في لذة (واتبع هواه)
أي واتقاد هواه في الالكون الى الدنيا واختيارها على الآخرة ثم ضرب له مثلاً قال (فقله كمثل الكلب أن يحمل
عليه يلهث أو تتركه يلهث) ممتناه فضغته كصفة الكلب ان طردته وشددت عليه يخرج لسانه من فمه وان
تركته ولم تطرده يخرج لسانه من فمه ايضا وتحمل عليه من الحلة لا من الحمل والمعنى ان وعظته فهو ضال وان لم تطه
فهو ضال في كل حال كما ان كل شيء يلهث فإنما يلهث في حال الاعياء والكلال الا الكلب فإنه يلهث
في كل حال ومثله قوله سبحانه سواء عليكم ادعوتهم أم أنتم صامتون وقيل إنما شبهه بالكلب في الخسة
وقصور الهمة وسقوط المنزلة ثم وصف الكلب بالهث على عادة العرب في تشبيههم الشيء بالشيء ثم يأخذون
في وصف المشبه به وان لم يكن ذلك الوصف في المشبه وذلك يكثر في كلامهم عن ابي مسلم وقيل شبهه

بالكلباء اذا خرج لسانه لا يفاته الناس بلسانه حملت عليه او تركته يقال لمن آذى الناس بلسانه فلان اخرج لسانه من القم مثل الكلب ولهم في هذا الموضع صباحه ونجاحه وقبل ان هذا مثل الذي يقرأ القرآن فلا يعمل به عن مجاهد (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) مناه ذلك صفة الذين يكذبون بآيات الله قال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يمتنون هاديا يهديهم ويدعوم الى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتاب (فأقصص القصص) اي فاقصص عليهم اخبار الماضين (لهم يتفكرون) فيتفكرون ولا يغفلون مثل فعلهم حتى لا يعمل بهم ما حل به ثم وصف الله تعالى بهذا المثل الذي ضربه وذكره بأنه (سأ مثلاً) اي بش مثلاً (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) ومنه ثبوت الصفة المضروب فيها المثل أو وقع حال المضروب فيه لأن المثل حسن وحكمة وصواب وانما القبيح صفتهم (وانفسهم كانوا يظنون) اي وانما قصوا بذلك انفسهم ولم يتقصوا شيئا لأن عقاب ما يغفلون من المعاصي يعمل بهم والله سبحانه لا يضره كفرهم ومصبتهم كما لا يفهم إيمانهم وطاعتهم (من يهدي الله فهو المهتد) كتبت ههنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء وأثبت الياء ههنا في اللفظ جميع القراء ومنه من يهده الله الى نيل الثواب كما يهدي المؤمن الى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدي للآيات والغير عن الجاني (ومن يضلل) أي ومن يضله الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على كفره وفسقه (فأولئك هم الخاسرون) خسروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والارتفاع بها وقبل المهتدي هو الذي هداه الله قبل الهداية واجاب اليها والذي أسله الله هو الذي اختار الضلالة فخل الله بينه وبين ما اختاره ولم يمنه منه بالجبر عن البخي

قوله تعالى (١٧٩) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجَيْنِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ (١٨٠) وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨١) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء حيث كان وواقه الكسائي وخلف في التحل والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو الحسن لحدوا لحدلتان والحد في الكلام أكثر قال الشاعر « ليس الإمام بالشحيح المحدث » وفي القرآن ومن يرد فيه بإلحاد

﴿ الفنة ﴾

الذرة والإمشاء والإحداث والخلق نظائر قال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الإشارة والفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الإمادة والصفة كلمة مأخوذة لحد كور من اصل من الأصول لتجري عليه تابعة له والإلحاد البدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه المحدث الذي يخفى في جانب القبر خلاف الضريح الذي يخفى في وسطه وروى ابو عبيدة عن الاحمر لحدت جرت وملت والمحدث ما ريت وجادلت

ابو عبيدة لحقت الميت والحلوت بمعنى واحد

❦ الإعراب ❦

اللام في قوله لجنهم لام العاقبة كما في قوله فالتفتله آل فرعون ليكون لهم عدواً وإنما التقطوه ليكون لهم قرّة عين كما قالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك ومثله قول الشاعر

وام سماك فلا تجزعني فقللموت ما تلد الولادة

وقول الآخر

ولموت تغتدو الودادات سخاها كالأخراب الدهر تبني المساكن

وقول الآخر

أموالنا لذوي الميراث نجعلها ودورنا لأخراب الدهر نبينها

وقول الآخر

يا أم وجرة بعض الوجده اعترفي فكل والدلة للموت ما تلد قال علي بن عيسى هي لام الإضافة تذكر مرة على معنى الملة ومرة على معنى شبه الملة

❦ المعنى ❦

لما بين سبحانه أمر الكفار وضرب لهم الأمثال عقب بيان حالهم في المصير والمآل فقال (ولقد ذرأنا) أي خلقنا (لجنهم كثيرا من الجن والانس) يعني خلقناهم على ان عاقبتهم المصير الى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم ويدل على هذا المعنى قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فآخبر انه خلقهم لعبادة فلا يجوز أن يكون خلقهم لغار وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع يا ذن الله وقد صرفناه بينهم ليدكروا فينظروا لذلك لا تحصى والمراد بالآية كل من علم الله تعالى انه لا يؤمن وبصير الى النار (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق لا أنهم لا يتدبرون ادلة الله تعالى وبيناته (ولهم اعين لا يصرون بها) الرشد (ولهم آذان لا يسمعون بها) لا يعطى لهم بصر عن جميع ذلك اعراض من ليست له آلة الادراك وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله صم بكم عبي الآيات (اولئك كالانعام) أي هؤلاء الذين لا يتدبرون آيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تسلم (بل هم أضل) من البهائم فإنها اذا زجرت ازجرت واذا ارشدت الى طريق اهدت وهؤلاء لكفرهم وعوهم لا يبتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول الدالة على الرشاد الصارفة عن الفساد ولم يذكر بل ههنا الرجوع عن الاول ولكن للإضراب عنه مع بقائه وقيل إنما قال بل هم أضل من الانعام لأن الانعام لم تقط آلة المعرفة والتمييز فلا تلحقها المذمة وهؤلاء اعطوا آلة المعرفة والتمييز فضيعوها ولم يتفقهوا بها ولأن الانعام وان لم تكن مطيعة لم تكن نكاحية وهؤلاء عصاة فهم اسوء حالا منها (اولئك هم الغافلون) عن آياتي وحجبي وعن الاستدلال والاعتبار بتدبرها والتفكر فيها دون البهائم التي هي مسخرة مصرفة وقيل الغافلون عما يحل بهم في الآخرة من العقاب (ولله الاسماء الحسنی) اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنی الحسن مانيها مثل الجواد والرحيم والرازق والكریم وقال إن جميع اسمائه داخله فيها وانها كلها حسنة متضمنة لحسن حسنة فمنها ما يرجع الى صفات ذاته كالعالم والقادر والحی والابدي والتقدير والسميع والبصير ومنها

ما هي صفات فله كالخالق والرازق والمبدع والمحي والميت ومنها ما يعيد التنزيه ونفي صفات القص عنه كالنفي والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحنى ما مالت اليه النفوس من ذكر المغر والرحمة دون السخط والنفقة (فادعوه بها) أي بهذه الاسماء الحسنى ودعاهم بها أن يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والأرض وكل اسم لله سبحانه فهو صفة مفيدة لأن اللقب لا يجوز عليه فإنه بمنزلة الإشارة الى الحاضر وقد ورد في الحديث ان الله تسعة وتسعين اسماً مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة انه وترى يحب الوتر اوردته مسلم في الصحيح (وذروا الذين يلحدون في اسائه) أي دعوا الذين يدلون بأسائه الله تعالى عاصي عليه فيسمون بها اسماهم ويشيرون بها بالزيادة والتقصان فاشتقوا الثلاث من الله والعزى من الرزق ومنات من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسائه بصفونه بالآية بيق به ويسوونه بما لا يجوز تسميته به وهذا الوجه اعم قائدة ويدخل فيه قول الجبائي اراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله وفي هذا دلالة على انه لا يجوز أن يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه (سيجزون ما كانوا يعملون) في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق) اخبر سبحانه أن من جملة من خلقه جماعة وعصبة يدعون الناس الى توحيد الله تعالى والى دينه وهو الحق يرشدونهم اليه (وبه يدلون) أي بالحق يمكنكم وروى ابن جريج عن النبي ﷺ انه قال هي لأمتي الحق يأخذون بالحق يعطون وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلاً (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال الربيع بن انس قرأ النبي ﷺ هذه الآية فقال إن من أممي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم وروى العياشي بإسناده عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال والذي نفسي بيده لتفرقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون هذه التي تنجو وروى عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالان نحن هم

النظم

قبل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ أنه لا بين في الآية المتقدمة حال قوم من الكفار يفتلون عن الحق بين في هذه الآية أن من جملة ما خلق من يهدي الى دينه بالحق ويحكم بالعدل والآخرة يتصل بقوله ذرنا فكانه قال خلقنا قوما صفتهم كذا وكذا وقوما صفتهم كذا قوله تعالى (١٨٢) وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٣) وَأَمْلِ لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَبِينٌ (١٨٤) أُولَئِكَ يَتفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ إِلَّا نَذِيرٌ مَبِينٌ (١٨٥) أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَائِكَةِ آوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونُوا قَدْ آتَفَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٦) مَنْ يَضِلُّ اللَّهُ فَلَآ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْصُونَ (خمس آيات)

الترجمة

قرأ أهل العراق ويذرم بالياء والجزم كوفي غير عاصم والباقون ونذرهم بالتون والرفع

الحجة

من قرأ بالتون فالتقدير واتا نذرهم ومن قرأ بالياء رده الى اسم الله تعالى أي وهو يذرم ويكون

مقطوعا عن الأول على الوجهين ولم يكن جوابا ومن جزمه فإنه عطفه على موضع الفاء وما بعده من قوله فلا هادي له ومثله في الحمل على الموضع قوله فاصدق وأكن لأنه لو لم يلحق الفاء قبل لولا آخرتي اصدق لأن معنى لولا آخرتي اصري اصدق ومثله قول الشاعر

أنى سلكت فأنتني لك ناصح
وعلى انتفاصك في الحياة وازدد

وقول ابي داود

فأبوني بليتكم ليلي
أصالحكم واستدرج نوبا

حمل استدرج على موضع الفاء المحذوفة من قوله فإلي اصالحكم وموضعه جزم



الاستدرج اصله من الدرجة وهو أن يؤخذ قليلا قليلا ولا يباغت كما يرتقي الرائي الدرجة فيتدرج شيئا بعد شيء حتى يصل إلى العلو وقيل اصله من الدرج الذي يطوى فكانه يطوى منزلة بعد منزلة كما يطوي الدرج ويقال درج القوم اذا مات بعضهم في أثر بعض والاملاء التأخير والإمهال من المالى يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة من الدهر بضم الميم وقصها وكسرها أي قطعت منه وأصل الاملاء الاستمرار على العمل من غير لبث من امليت الكتاب ومنه الملاة لفلاة ذات الحر والسراب لا استطاعة المكث فيه والذين القوي والشديد واصله من التثني وهو اللحم اللبظ الذي عن جانب الصلب وهما متتان والكبد والمكر واحد والجنة الجنون وأصله الستر والمكثرت هو الملك الأعظم للمالك الذي ليس بملوك

— المعنى —

لما ذكر سبحانه المؤمنين بمحمد ﷺ الهادين بالحق ذكر بعده الكافرين بآياته فقال (والذين كذبوا بآياتنا) التي هي القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبي ﷺ وكفروا بها (استندرجهم من حيث لا يملكون) إلى الهلكة حتى يقوا فيه بنته كما قال سبحانه بل تأتيهم بنته جهنم فلا يستطيعون ردها وقال فيأتيهم بنته وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون وقيل يجوز أن يريد عذاب الآخرة أي قهرهم إليه درجة درجة إلى أن يقوا فيه وقبل هو من المدرجة وهي الطريق ودرج اذا مشى سر بها أي سناخذهم من حيث لا يملكون أي طريقا سلكوا فإن الطريق كما على ومرجع الجميع إلى ولا يملكون غالب ولا يستقي سابق ولا يفوتني هارب وقيل أنه من الدرج أي سنطويهم في الهلاك ونرضهم عن وجهنا لارض يقال طويت فلانا وطويت أمر فلان اذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة عن الضحك ولا يصح قول من قال ان معناه نستدرجهم إلى الكفر والضلال لأن الآية وردت في الكفار وتضمنت انه يستدرجهم في المستقبل فإن السين تختص المستقبل ولأنه جعل الاستدرج جزاء على كفرهم وعقوبة فلا بد من أن يريد معنى آخر غير الكفر وقوله (وأمل لهم أمعته وامهلم ولا اعاجلهم بالمعوبة) فأنهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم (إن كيدي متين) أي عذابي قوي متين لا يمنعه مانع ولا يبدسه دافع وساء كيدا لزوجهم بهم من حيث لا يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم متين والقول هو الأول (لو لم يتفكروا ما يصاحبهم من حنة) معناه لو لم يتفكروا هو لا الكفار المكذبين بمحمد ﷺ وبنيته في اقواله وافعاله فيعلموا انه ﷺ ليس بمجنون اذ ليس في اقواله وافعاله ما يدل على الجنون وتم الكلام عند قوله لو لم يتفكروا ثم ابتدأ فقال

مابصاحبهم من جنة اي ليس به جنون وذلك ان رسول الله ﷺ صمد الصفا وكان يدعو قريشا فخذوا
 فخذوا الى توحيد الله ويخوضهم عذاب الله قال المشركون ان صاحبهم قد جن بات يلا بصوت الى الصباح
 فانزل الله هذه الآية عن الحسن وقاعدة (ان هو الاذنين ميين) اي ما هو الا مطر موضع المخافة ليقنى ولو وضع
 الا من ليحتمي ومعنى ميين بين امره وقيل ميين لهم عن الله امره فيهم ثم قال (اولم ينظروا) معناه اولم
 يتفكروا (في ملكوت السماوات والأرض) وعجيب صنعها فينظر وافيا نظر المستدل المنير فيستفوا بان لها
 خالقا مالكا ويستدلوا بذلك عليه (وما خلق الله من شيء) اي وينظروا فيا خلق الله من اصناف خلقه
 فيعلموا بذلك انه سبحانه خالق جميع الاجسام فان في كل شيء خلق الله عز وجل دالة واضحة على اثباته
 وتوحيده (وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) اي اولم يتفكروا وينظروا في ان عسى ان يكون قد قرب
 اجلهم وهو اجل موته فيدعهم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولا ينفسهم بما يصيرون اليه بعد الموت من
 أمور الآخرة ويهدوا في الدنيا وفيا يطلبونه من فخرها وشرفها وعزها ومعناه لعل اجلهم قريب بهم لا يعلمون
 (فيأبى حديث بسده) اي بعد القرآن (يؤمنون) مع وضوح الدلالة على انه كلام الله المعجز اذ لم يقدر
 احد منهم ان يأتي بسورة مثله وساء حديثا لانه محدث غير قديم (من يضل الله فلا هادي له) قد ذكرنا
 معناه (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) معناه وتتركهم في خلافتهم يتحيرون واليه في القلب كالمسي في الدين
 قوله تعالى (١٨٧) يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يبليها لوقتها
 إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بفتنة يسألونك كأنك حفي عنها قل
 إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون آية

﴿ الله ﴾

ايان معناه متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشاعر

ايان تقضى حاجتي ايانا اما ترى لنجها ايانا

والساعة هنا الساعة التي يموت فيها الخلق والارساء الاثبات ومرسها ميثها ورسا الشيء يرسو فهو راس
 اذا ثبت وارساء غيره والحفي المستعصي في السؤال وحفي فلان بفلان في المسئلة اذا أكثر عليه وألح قال الاعشى

فان تسألني عني فيا رب سائل حفي عن الاعشى به حيث اصعدا

ومنه احفي شاربته اذا استقصى اخذه وحفيت الدابة تحفى حتى مقصور اذا أكثر عليها ألم المشي والحفا بممدود
 المشي يتغير نعل

﴿ الإعراب ﴾

الكاف في يستلونك المفعول الأول وعن الساعة في موضع المفعول الثاني وايان مرساها مطلق بملول
 السؤال والتقدير قائلين ايان مرساها . مرساها في موضع رفع بالابتداء وايان خبر موبتية مصدري في موضع
 الحال من الضمير في تأتيكم

﴿ النزول ﴾

قل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد اخبرنا عن الساعة متى هي ان كنت نيا فزلت الآية عن ابنت

عباس وقيل قالت قریش یا محمد متى الساعة فنزلت الآية عن قتادة والحسن

﴿المعنى﴾

لا تقدم الوعيد بالساعة سألوها عن وقتها فقال تعالى (يسألونك) يا محمد (عن الساعة) وهي الساعة التي يموت فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي القيامة وهو وقت قيام الناس في الحشر عن أكثر المفسرين وقيل هو وقت قيام الخلق عن الجبائي (أيان مرساها) أي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرساها منتهاها عن ابن عباس وقيل قيامها عن قتادة والسدي (قل) يا محمد إنا علمها عند ربّي أي إنا علم وقت قيامها ومجيئها عند الله تعالى لم يطلع عليه أحد من خلقه وإنا لم ينبر سبحانه بوقتها ليكون السابغ على حذر منه فيكون ذلك ادعى لهم إلى الطاعة وأزجر عن العصية (لا يعلمها لوقتها إلا هو) أي لا يظهرها ولا يكشف عن علمها ولا يبين وقتها إلا هو فلا يعلم أحد سواه متى يكون قبل وقتها وقيل معناه لا يأتي بها إلا هو عن مجاهد (ثقلت في السماوات والأرض) ذكر فيه وجوه ﴿أحدها﴾ ثقل علمها على أهل السماوات والأرض لأن من خفي عليه علم شيء كان ثقيلا عليه عن السدي وغيره قال أبو علي الفارسي أصل هذا قولهم أحطت به علما أي ذل لي فصرت لعلمي به غالبا عليه فنصف علي ولم يثقل كما يثقل ما لا تعلمه عليك ﴿وثانيها﴾ أن معناه عظمت على أهل السماوات والأرض صفتها لما يكون فيها من انتشار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج ﴿وثالثها﴾ ثقل وقوعها على أهل السماوات والأرض لظلمها وخدتها ولما فيها من الحماصة والمجازاة عن الجبائي وابي مسلم وجماعة ﴿ورابعها﴾ أن المراد نفس السماوات والأرض أي لا تطيق السماوات والأرض حملها العظمى وشدها عن قتادة والمعنى انها لو كانت اجزاء لثقل عليها تلك الأحوال من انقطار السماوات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها (لا تأتكم الا بينة) أي فجأة تكون اعظم واهول (يسألونك كأنك حفي عنها) معناه يسألونك عنها كأنك حفي بها أي عالم بما قد أكثرت المسألة عنها عن مجاهد والضحاك واصله من أحفيت في السؤال عن الشيء حتى علمته أي استقصيت فيه وروي عن ابن عباس انه قرأ كأنك حفي بها فلي هذا يكون الجار والمجرور الذي هو عنها محذوفا لدلالة الحال عليها كما يكون في التقدير الأول ويكون الجار والمجرور الذي هو بها محذوفا لدلالة عليها ايضا لا ترى انه اذا كان حقيقا بها فلا يبد أن يسأل عنها كما انه اذا سأل عنها فليس ذلك إلا الخفاوة بها وقيل فيه معنى آخر وهو أن يكون تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بهم أي ياربهم فرحسوا لهم والخفاوة في المسألة هي البشاشة بالمسؤول عنه وقيل معناه كأنك معني بالسؤال عنها فسألت عنها حتى علمتها على هذا فإن السؤال يوصل بين قلاوضع قوله حفي موضع السؤال وصله بين وتقديره كأنك حفي بالمسألة عنها أو تسأل عنها فتعلمها (قل) يا محمد (إنا علمها عند الله) لا يعلمها إلا هو وإنا اعاد سبحانه هذا القول لأنه وصله بقوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقيل أراد بالأول علم وقت قيامها وبالتالي علم كيفيتها وهيأتها وتفصيل ما فيها عن الجبائي قل وهذا يدل على بطلان قول الرافضة أن الأئمة منصوص عليهم باعياتهم إمام بعد إمام الى يوم القيامة لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعلم آخر الأئمة أن القيامة تقوم بيده وذلك خلاف قوله قل إنا علمها عند الله وهذا ضعيف لأنه غير متمنع أن يعلم آخر الأئمة انه لا إمام بعده وإن لم يعلم وقت قيام الساعة ولا انه لا يعلم وقت وفاته بسببه هذا إذا قيل إن

الساعة وقت فناء الخلق او موتهم واذا قيل ان الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يعني الخلق بعد لا يجب أن يعلم متى يحشر الخلق على انه قد وردت الرواية أن التكليف يزول عند موت آخر الأئمة لظهور اشرار الساعة وامارات قيامها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع هذا فيجوز أن لا يعلم وقت قيام الساعة

قوله تعالى (١٨٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ آية

﴿ التزويل ﴾

قيل إن أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسمر الرخيص قبل أن ينزل فحشره فربح فيه وبالارض التي تريد أن تجذب فترتلل منها الى ارض قد اخضت فأنزله الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(قل) يا محمد (لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) أن يملك اياه فملكه بتدبيره اي (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير) يوهانها محذوف آخر وهو قوله ولا اعلم الغيب الا ما شاء الله أن يعلمني ولو كنت اعلم الغيب لادخرت من السنة المخصصة للسنة المجيدة ولا شترت وقت الرخص لايام الفلا، وقيل معناه لاستكثرت من الاعمال الصالحة قبل اقتراب الاجل ولم اشتغل بشيئها ولا خرت الافضل فالأفضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت اعلم ما امال عته من الغيب لاستكثرت من الخير أي لاجتبت في كل ما امال عته من الغيب في امر الساعة وغيرها عن الزجاج (وما مسني السوء) أي وما اصابني الضر والفقر وقيل معناه وما بي جنون كما تزعمون فيكون ابتداء وقيل معناه وما مسني التكذيب منكم لاني اذا كنت علما بكل شي اجبت عن كل ما اسأل عنه فصدقوني ولا تكذبوني وقيل معناه وما مسني سوء من جهة الاعداء لاني كنت اعلم ذلك فاتحرز منه (ان انا الا نذير) مخوف بالعذاب (وبشير) مبشر بالثواب (لقوم يؤمنون) خصهم بالذكر لانهم المستفون بذلك كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وان كان ينذر غيرهم ايضا وفي قوله الا ما شاء الله دلالة على فساد مذهب المجبرة لان الافعال كلها لو كانت مخلوقة لله لا صرح الاستثناء منها لان احدا لا يملك عتدهم شيئا وفي قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير دلالة على ان القدرة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لا امكنه الاستكثار من الخير اذا علم الغيب

﴿ التعليل ﴾

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لا عتد اجابة القوم بأنه لا يعلم الغيب عقبه بأن علم الغيب يختص به المالك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن ابي مسلم وقيل ان الآية في معنى جواب سور المم ايضا فكانت قال اذا قال لا املك ان اسوق الى نفسي نفعا ولا ان ادفع عنها ضرا فكيف اعلم الغيب

قوله تعالى (١٨٩) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَشَاءَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لَنْ آتِيَنَّاهَا لِمَا لَنَكُونُ

مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٩٠) فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَلَّ لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا أَنَا هُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩١) أَشِيرُ كَوْنٌ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ (١٩٢) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٣) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُواكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وأبو بكر شركا بكسر الشين والتونين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الأعرج وعكرمة والباقرن شركاء بضم الشين والمد على الجمع وروى في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فرت به خفيفة وقرأ نافع لا يتبعكم وفي الشراء يتبعهم بالتخفيف والباقرن يتبعكم بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

من قرأ شركا فإنه حذف المضاف وتقديره جلاله ذا شركا وذوي شرك فالقراءتان على هذا يرلان إلى معنى واحد فإن معنى جلاله شركاء جلاله ذوي شرك والضمير في له يعود إلى اسم الله ومن قرأ فرت به خفيفة فإنه ينبغي أن يكون أصله التشديد كقراءة الجماعة إلا أنه حذفه تخفيفا للتلخيص قالوا مست يده أي مستنها وقال أبو زيد

خلا أن المتأق من المطايا أحسن به فمن إليه شوس أي أحسن به وقيل أنه من المربة أي شكت أحلت أم لا وعن الحسن شكت أغلام أم جارية وروى أن عبد الله بن عمر قرأ فارت به وهو من قولهم ما يعود إذا ذهب وجاء وقرأ ابن عباس فاستمرت به ومعناه مرت به مكلفة نفسها ذلك لأن استفضل يأتي في أكثر الأمر بمعنى الطلب ومن قرأ لا يتبعكم فإنه في المعنى مثل القراءة الأخرى قال أبو زيد رأيت القوم فاتبعتهم اتباعا أي ذهبت معهم واتبعتهم اتباعا إذا سبقوك فاستمرت فحومهم ويتبعهم مثل اتبعهم في المعنى اتبعهم تبعا

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الله تعالى ذكر عقبيه ما يدل على وحدانيته فقال (هو الذي تنقكم) واعطى لبي آدم (من نفس واحدة) يعني آدم (ح) (وجعل أي وخلق منها أزواجا) يعني حواء (ليسكن) آدم (اليها) وبأنس بها فلما تشبها أي فلما أصابها كما يصيب الرجل زوجته يعني وطأها وجامعها (حلت حلا خفيفا) وهو الماء الذي حصل في رحمها وكان خفيفا (فرت به) أي استمرت بالحمل على الخلفة قوم وتقنونيقي وتذهب كما كانت من قبل لم يمنحها ذلك الحمل عن شيء من التصرف (فلا اقتلت) أي صارت ذات ثقل كما يقال اغترت الشجرة صارت ذات ثمر وقيل معناه دخلت في الثقل كما يقال أصاف دخل في الصيف واشتد دخل في الشتاء والمعنى لما كبر الحمل في بطنها وتحرك وصارت ثقيلة به (دعوا الله ربنا) يعني آدم وحواء سألا الله تعالى عند كبر الولد في بطنها (لئن أتتنا صالحا) أي اعطينا ولدا صالحا عن أبي سلم وقيل نسلنا صالحا أي معافى سليما صحيح الخلق عن الجبائي وقيل بشرا سويا عن ابن عباس وقيل غلاما ذكرا عن الحسن (لنكون من الشاكرين) لنتمتكن علينا قال الجبائي وإنما قال ذلك لأنهما أرادوا أن يكون لهما أولاد يوتسونها في الموضع

الذي كانا فيه لأنها كانا فريدين مستوحشين وكان اذا غاب احدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشا بلا مؤنس ويحتمل ايضا ان يكون اراد بقوله صالحا مطعيا فاعلا الخير مصاحبا غير مفسد فلما اتاهما الله (صالحا) كالنساء (جلا له شركا في اتاهما) اخلف في من يرجع الضمير الذي في جلا اليه على وجوه
 * احدها * انه يرجع الى التسليم الصالح اي الحافي في الخلق والبدن لا في الدين ولم يأتني لان حواء كانت تلد في كل بطن ذكر وانثى يعني ان هذا التسليم الذين هم ذكر وانثى جلا له شركا فيا اطعاهما من النعمة فأخافاتاك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الاصنام والأوثان عن الجاني (- وثانها) -
 انه يرجع الى النفس وزوجها من ولد آدم لا الى آدم وحواء عن الحسن وقادة وهو قول الاصم قال ويكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها اي من جنسها كما قال سبحانه ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلما تنشئ كل نفس زوجا حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فلما انفلت بصير ذلك الماء لحما ودما وعظا دعا الرجل والمرأة ربحا
 لئن آتيتنا صالحا اي ذكرا سويا لنكونن من الشاكرين وكانت عادتهم ان يلدوا النبات فلما اتاهما يعني الأب والام صالحا جلا له شركا فيا اتاهما لانهم كانوا يسمون عبد العزى وعبد اللات وعبد منات ثم رجعت الكتابة الى جميعهم في قوله (فصلى الله عما يشركون) فالكنائية في جميع ذلك غير متفقة بآدم وحواء ولو كانت متفقة بما قتال عما يشركان وقال ابو مسلم تقدير الآية هو الذنب خفيكم والخطاب لجميع الخلق
 من نفس واحدة يعني آدم وجعل من ذلك النفس زوجا وهي حواء ثم انقضى حديث آدم وحواء ونخص بالذكر المشركين من اولاد آدم الذين سألوها ما سألوها وجلا له شركا فيا اتاهم قال ويجوز ان يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر ومثله كثير في الكلام قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجريتم بهم بربع طيبة فخطب الجماعة بالتفسير ثم خص راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية اخبرت من جملة البشر بانهم مخلوقون من آدم وحواء ثم عاد الذكر الى الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما اعطاه اياه ادعى له شركا في عطيته قال وجاز ان يكون معنى قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذا كان كل واحد من بني آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها وذكر قريبا من قول الاصم قال وقد يبيح مثله في التنزيل وغيره قال سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم * وثالثها * ان الضمير يرجع الى آدم وحواء عليهما السلام ويكون التقدير في قوله جلا له شركا جبل اولادهما له شركا فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فصار جلا وهذا مثل قوله سبحانه اتخذتم السبل واذ قتلتم نفسا والتقدير واذ قتل اسلافكم نفسا واتخذ اسلافكم السبل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه تكون الكناية من أول الكلام الى آخره راجعة الى آدم وحواء وقوله سبحانه فصلى الله عما يشركون * ورابعها * ما روت العامة انه يرجع الى آدم وحواء واتاهما جلا له شركا في التسمية وذلك انها اقلاما زمانا لا يولد لها قري بها ابليس ولم يرقاه فشكوا اليه قال لها ان اصلحت حالكا حتى يولد لك ولد أنسميه باسمي قال انعم وما اسمك قال الحرث فولد لها فسمياه عبد الحرث ذكره ابن فضال وقيل ان حواء حملت أول ما حملت فأتاها ابليس في غير صورته فقال لها يا حواء ما يؤمنك ان تكون في بطنك هبة فقلت لا آدم لقد أتاني أت فأخبرني ان الذي في بطني هبة وارني لا أجد له مثلا فلم

﴿ القراة ﴾

قرأ ابو جعفر وحده يبطشون هنا وفي القصص والذخاين بضم الطاء والباقون بكسرهما وقرأ هشام ويقوب كيدوني بياء في الوقت والرحل وواقفها ابو جعفر ويومعرو واسماعيل في الوصل والباقون بغير ياء في الحالاين وقرأ تنظروني بالياء في الحالاين يقوب

﴿ الحجة ﴾

بطش يبطش ويطش والكسر انصح وقال ابو علي الفراء من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعها في ان الفاصلة آخر الاية كما ان القافية آخر البيت وقد ائتمروا في القوافي حذف هذه اليات قال الامشي
فهل يعني اوتياذ البلاد من حذر الموت ان يأتين
والياء التي هي لام كذلك نحو قوله
يلبس الأحلاس في منزله يديه كاليودي المصل
ومن ثبت فلان الأصل الإثبات

﴿ المعنى ﴾

ثم اتم سبحانه الحجة على المشركين بقوله (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام يريد تدعونهم آلهة (عباد امثالكم) اي مغفورة امثالكم عن الحسن وقيل مملوكون امثالكم من الكلبي وقيل امثالكم في التسخير اي انهم مسفرون مذلولون لاسر الله عن الاخش ولا كانت الاصنام غير مجتعة بما يريد الله بها كانت في معنى العباد فلان القصيد التذليل وطريق معبد موطأ مسلوكة ومنه قوله وتلك نعمة فيها على ان جعلت بني اسرائيل اي ذاللتهم واستخدمتهم ضرورا من الخدمة (فادعهم) هذا الدعاء ليس الدعاء الأول والمراد بفادعهم في مهالككم ولكتف الاسراء منكم (فليستجيبوا لكم) هذه لام الامر على معنى التحريض والتجهيز كما قال هاتوا يوحناكم (ان كنتم صادقين) قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثيرونكم او يجاوزكم ان كنتم صادقين ان لكم عندها منفعة وشوايا او شناعة ونصرة ثم فضل سبحانه بني آدم عليهم فقال (ألم ارجل يشون بها) اي هو لا الاصنام ورجل يشون بها في مصالحكم (لم لهم أيد يبطشون بها) اي ليس لهم هذه الحواس ومعنى البطش التناول والاحتذاء (لم لهم عين يبصرون بها) اي ليس لهم هذه الحواس ولكم هذه الحواس فانتم افضل منهم فلو دعوتهم وعبدتم من له الحياة ومنافعها فتركتم الذم والظلم بذلك لانها مغفورة مبرورة فكيف تعبدون من أنتم افضل منه ثم زاد سبحانه في تهجينهم فقال (قل) يا محمد (ادعوا شركاكم) اي هذه الاوثان التي تزعمون انها آلهة وتشركونها في اموالكم وتبطلون لها حظا من الموائشي وغيرها وتوجعون عبادتكم اليها اشراكا بالله لها (ثم كيدوني) بأجمعكم (ولا تنظروني) اي لا تؤخروني ومعناه ان معبودي يضري ويدفع كيد الكائنات عني ومعبودكم لا يقدر على نصركم فلان قد قدم على ضرافا جتموا انتم فلم اصحابكم وتظاهروا على كيدي ولا تملوني في الكيد والاضرار فلان معبودي يدفع كيدكم عني

قوله تعالى (١٦٦) إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَطُوبَىٰ لِلصَّالِحِينَ (١٦٧) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَهُمْ وَلَا يُفْعَلُ بِهِمْ شَيْءٌ وَلَا يَتَخَفَتُهُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرُهُمْ يَوْمَهُمُ الَّذِي كَانُوا يُدْعُونَ (١٦٨) وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ثلاث آيات

- المعنى -

تم بين سبحانه بعد ان ناصر نبيه ﷺ وحافظه فأمره ان يقول للمشركين (ان ولني) اي ناصري وحافظي ودافع شرهم عني (الله الذي نزل الكتاب) اي القرآن يؤيدني بنصره كما اوله علي (وهو يرسل الصالحين) اي ينصر المؤمنين له المبشرين معاصيه قارة بالغفم منهم وأخرى بالحقبة (والذين تدعون من دونه أكلة لا يستطيعون نصرهم) اي لا يقدرون على ان ينصروكم ولا ان يدفوا عنكم (ولا انفسهم ينصرون) كرد هذا لأن ما تقدم فإنه على وجه التقرير والتوبيخ وما ذكره هنا فإنه على وجه الفرق بين صفة من يجوز له العبادة وصفة من لا يجوز له العبادة فكانه قال ان من عبده ينصرتي ومن تصدونه لا يقدر على نصركم ولا على نصر نفسه (وان تدعوه) يعني ان دعوتهم هولا الذين تبتدونهم من الاصنام (الى الهدى) اي إلى الرشد والمنافع عن الجبائي والفرأ وقيل معناه وان دعوتهم للمشركين الى الدين عن الحسن (لا يسعوا) اي لا يسعوا دعاءكم (وتراهم) فاتحة امينهم نحوكم على ما صودتوهم عليه من العبود وقال الجبائي جعل الله افتتاح عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم اليهم مجازا لأن النظر قلب الحدة الصميمة نحو المرء طلبا لرويته وذلك لا يتأتى في العباد ويقال تناظر المظان اذا تقابلا وقيل معناه لا يقبلوا ومنه سمع الله ان حمده (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يصرون) الحجة يعني مشركي العرب عن الحسن ومجاهد والسدي

قوله تعالى (١٩٩) خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین (٢٠٠) وإما ما ينزعك من الشيطان نزغ فاستمذ بالله إنه سميع عليم (آيات)

* اللغة *

قد مر ما قيل في العفو قوله قل العفو في سورة البقرة والعرف ضد النكر ومثله المعروف والمعرفة وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها للقول وتطمن اليها النفوس قال الشاعر «لا يذهب العرف بين الله والناس» والتزعج الإزعاج بالإغواء وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب وأصل الإزعاج بالحركة زعجه يزعجه زعجا وقيل التزعج التصاد ومنه تزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد قال الزجاج التزعج ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة

* المعنى *

لما أمره سبحانه بتعنيه (ص) بالدعاء اليه وتبليغ رسالته عليه عاين الافعال ومكارد الأخلاق والحاصل فقال (خذ العفو) اي خذ يا محمد ما طامن اموال الناس اي ما فضل من الثقة وكان رسول الله (ص) يأخذ الفضل من اموالهم ليس فيها شيء موق ثم نزلت آية الزكاة فصار مسخوبا بها فلن هذه السورة مكية عن ابن عباس والسدي والضحاك وقيل معناه خذ العفو من اخلاق الناس واقتل المفسد منها عن مجاهد والحسن ومعناه انه أمره بالساحل وترك الاستعصاء في القضاء والاعتصاء وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللهاس وفي غيرها وهو في معنى الخبر المرفوع أحب الله عبدا سبحانه ومشقيا قاضيا ومتضيا وقيل هو العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المواخذة بالإساءة ودوي انه لما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبرائيل من ذلك فقال لا تدري حتى اسأل العالم ثم أتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تغفر عن ظلمك وتطلي من حرمك وتقبل من ظلمك (وامر بالعرف) يعني بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل فله او في الشرع ولم يكن منكرا ولا قبيحا عند العقلاء وقيل بكل خصلة حميدة (واعرض عن الجاهلین) معناه وارض عنهم عند قيام الحجة عليهم والاياس من قبولهم ولا تقابلهم بالسفه صيانة قدرك فلن مجابوبة السفيه تضع من القدر ولا يقال هذه الآية منسوخة بأية القتال لأنها عامة خص عنها الكافر الذي يجب قتله بدليل (ان لا يزيد) انزلت هذه الآية قال النبي ﷺ كيف يا رب والغضب فنزل

قوله (وما ينزعك من الشيطان نزع) ومناه يا محمد ان تلك من الشيطان وسوسة ونخسة في القلب بيايول
للانسان مناه ان عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل مناه وان منك الشيطان من شيء
عالمك من هذه الاشياء (فاستغفله) اي سل الله عز اسمه ان يملك منه (انه سمع) له سموات (عليم)
بالغيبات وقيل سمع لدعائك عليم بما عرض لك وقيل ان النزع اول الوسوسة والمر لا يكون الا بعد السكن
ولذلك فصل الله سبحانه بين النبي ^{صلى الله عليه وسلم} وغيره فقال لاني ^{صلى الله عليه وسلم} ولما ينزعك وقال الناس اذا مسهم طائف
من الشيطان

قوله تعالى (٢٠١) **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** (٢٠٢) **وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ** (٢٠٣) **وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجُنُبُهُمْ قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَافُ مِمَّا رِيَكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

قرأ اهل البصرة وابن كثير والكسائي طيف بغير الت وهو قراءة النخعي والاسود بن زيد وقرأ الباقون طائف
بلاث وقرأ اهل المدينة يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقرن يفتح الياء وضم الميم وفي التواضع من البصري
يمادونهم ومن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الصاد

— الحجة —

الطيف مصدر طاف الخيال لطيف طيفا اذا ألم به في المنام فمناه اذا مسهم خطرة من الشيطان ويكون
الطائف بمناء فطيف كالخطرة وطائف كالطائر والليف اكثر قال

الا يا قومى لطيف النخيا ل ارق من نازح ذي دلال
وقال الامشي

ويصبح عن غيب السرى وكانا ألم بها من طائف الجن اولق

وقال ابو علي حاشا ما جاء في التنزيل فيا يحمد ويستحب امدحت على اقلت كقوله لقا غمهم به من مال عبيد
وامدناهم بفاكهة وتقودني ببال وما كان يجلافة على مدحت قال وتدمهم في طيافهم فهذا يدل على ان الوجه
فتح الياء كما ذهب اليه الاكثر والوجه في قراءة من قرأ يمدونهم انه مثل فيشرهم بحداب ألم فيشره لفسري
والله اعلم ويلاونهم يتناولونهم منه اي يماونونهم وقصر يقصر لثة في اقصر يقصر ويقال اقصر عنه اذا تركه من
قدرة وقصر عنه اذا ضحك منه

❦ الفقه ❦

المسوس الذي به مس جن والمسوس من المياه ما ناله الايدي والاجتباء احتمال من الجبابرة ونظيره الاصطفاء
وهو استخلاص الشيء من مسوس قال علي بن عيسى اصله الاستفراج ومنه الجبابرة الخراج وقيل اصله الجمع من
جيت الماء في الحوض والحوض جاية ليجعا الماء قال القراء اجبتت الكلال واختلقه وارقتة اذا اضمته من
قبل نفس قال ابو عبيدة واخرقته مثل ذلك قال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يتنوء الرجل
يكن اعده قبل ذلك في نفسه والبصائر البراهين والجميع جم بصيرة والبصائر ايضا طرائق الدم قال الاشعر البصيرة
ولما بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يملوها عدت ولى

او البصيرة القوس وجميعها بصائر قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشيء وتبينه

✽ الاعراب ✽

إذا الأولى طرف زمان ويكون لها جواب بمنزلة الجزاء وإذا الثانية طرف مكان بمعنى للفاضة كقولك خرجت فإذا زيد

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه طريقة المثقين إذا عرضت لهم وسوس الشياطين فقال (ان الذين اتقوا الله اجتناب معاصيه) اذا منهم طائف من الشيطان تذكروا قبل معناه اذا وسوس اليهم الشيطان واغرامهم بمصيئته تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس والسدي وقال الحسن يعني اذا طاف عليهم الشيطان وسوسه وقال سيد بن جبير هو الرجل الذي ينضب النضبة فيذكر فيكظم فيظله وبه قال مجاهد وروي عنه ايضا انه قال هو الرجل يهم بالذنوب فيذكر الله فيتركه وقيل طائف غضب وليف جنون وقيل معانها واحد (فلذا هم مبصرون) للرشد (واخوانهم يمدونهم في التي) معناه واخوان المؤمنين من شياطين الجن والانس يمدونهم في الضلال والمصايي اي يزيدهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه (ثم لا يقصرون) ثم لا يكتفون يعني الشيطان عن استغاثتهم ولا يرحمهم عن مجاهد وقائدة وقيل معناه واخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في التي ثم لا يقصر هؤلاء مع ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس والسدي والجالبني وقيل معناه ثم لا يقصر الشياطين عن اغوائهم ولا يقصرونهم عن ارتكاب الفواحش (واذا لم تأتهم بأية قالوا لم اجئناكم) معناه انك يا محمد اذا جئتهم بأية كذبوا بها واذا ابطأت عنهم يفترونها ويقولون هل جئنا به من قبل نفسك فليس كل ما تقوله وحى من السماء من قتادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه اذا لم تأتهم بأية مقترحة قالوا هلا اخترتاهم من قبل نفسك فقال ربك ان يأتيك بها من ابن عباس والجالبني والي مسلم (قل) يا محمد لهم (فاتبوا) يحى الي من ربي اي لست آتي بالآيات من عندي وانما يعطها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا يصب اقتراح الخلق وانما ألقم الرحي ولا اتمده وليس لي ان اسأله انزال الآيات إلا بعد اذنه في السؤال (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل ظاهرة وحيج واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الانسان بها امور دينه (وهدى ورحمة) اي ودلالة تهدي الى الرشاد ونعمة في الدين والدنيا (قوم يؤمنون) خص المؤمنين بالذكر لانهم المختصون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه الآية دلالة على ان افعال النبي ﷺ واقوله تابعة لارحي وان لا يجوز ان يعمل بالاراي والقياس

— النظم —

قل ان هذه الآية اتصلت بقوله يسألونك عن الساعة وتقديره ويسألونك عن الآيات فلذا لم تأتهم بها قالوا لولا اجئناهم اني مسلم وقيل اتصلت بها قبلها من قوله واخوانهم يمدونهم ومعناه ييقنون في الضلالة واذا لم تأتهم بأية يسألون عنها فقالوا كذا

قوله تعالى (٢٠٤) واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون (٢٠٥) واذا كسر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالندوة والاصال ولا نكون من الالفيلين (٢٠٦) ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ثلاث آيات

❦ اللغة ❦

الإنصات السكوت ثم استأج قال ابن الأعرابي نصت وأنصت واستمع الحديث وسكت وأنصته وأنصت له وأنصت الرجل سكت وأنصته غيره عن الأزهري والأصل جمع أصل وأصل جمع أصيل فالأصل جمع الجمع وتصغيره أصيلال على إبدال النون ومثناء المشيات وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس

❦ الأعراب ❦

تضرعا وخيفة مصدران وضما موضع الحال أي متضرعين وخائفين ودون الجهر صلف عليه فيجب أن يكون في موضع الحال أي وغير رافعين أصواتكم حتى يبلغ حد الجهر

— المعنى —

ثم أمر سبحانه بالاستماع للقرآن عند قراءته فقال (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) اختلف في الوقت الأمور بالإنصات للقرآن والاستماع له فقيل إنه في الصلاة خاصة خلف الإمام الذي يؤتم به إذا سمعت قراءته من ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبيرة وسعيد بن المسيب ومجاهد والأزهري وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض وإذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم أجابوه فنهوا من ذلك وأمروا بالاستماع وقيل أنه في الخلعة أمروا بالإنصات والاستماع إلى الإمام يوم الجمعة عن عطاء وعمر بن دينار وزيد بن أسلم وقيل أنه في الخلعة والصلاة جميعا عن الحسن وجماعة قال الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه وأقوى الأقوال الأول لأنه لا حال يجب فيها الإنصات لقراءة القرآن إلا حالة قراءة الإمام في الصلاة فمن على الأمور الإنصات والاستماع فأما خارج الصلاة فلا خلاف أن الإنصات والاستماع غير واجب وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها قال وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي بإسناده عن أبي حمزة عن أبي عبد الله (ع) قال قرأ ابن الكوا خلف أمير المؤمنين (ع) ثلث اشركت ليحبطن عملك وتلكون من تكاسرين فأنصت له أمير المؤمنين (ع) ومن عبد الله بن يعقوب عن أبي عبد الله (ع) قال قلت له الرجل يقرأ القرآن أوجب على من سمعه الإنصات له والاستماع قال نعم إذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع قال الزجاج ويعجز أن يكون فاستمعوا له وأنصتوا أي املوا بما فيه ولا تجاوزوا لأن معنى قول القائل سمع الله دعاءك أجاب الله دعاءك لأن الله سميع عليم وقال الجاني أنها نزلت في ابتداء التبليغ ليطلعوا أو يتفهموا وقال أحمد بن حنبل أجمعت الأمة على أنها نزلت في الصلاة (لحكمكم ترحمون) أي لقرحوا بذلك وبأخباركم به واتقواكم بمواظبة (وأذكروك في نفسك) خطاب لابي طهروا له السلام المراد به عام وقيل هو خطاب لستمع القرآن والمعنى وأذكروك في نفسك بالكلام من التيسير والتوليد والتعديد وروى زرارة عن أحمد (ع) قال معناه إذا كنت خلف الإمام تأتم به فأنصت وسمع في نفسك يعني في الإلهام والإمام في القرآن وقيل معناه وأذكروك في نفسك بالتفكير في نفسك وقيل أراد ذكره في نفسك بصفاته العلية وإسنائه الحسنى (تضرعا وخيفة) يعني يتضرع وخوف يعني في الدعاء فإن الدعاء بالتضرع والخوف من الله تعالى أقرب إلى الإجابة وإنا نحن الذكر بالخش لأننا بعد من الرأى من الجاني (ودون الجهر من القول) معناه ارفعوا أصواتكم قليلا ولا تجروا بها جارا بليغا حتى يكون عدلين ذلك كما قال لا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وقيل إنه أمر للإمام أن يرفع صوته في الصلاة بالقرآن مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس (بالتدو والأصا) أي بالتدوات والمشيات من قتادة والمراد به دولم الذكر واتصاله وقيل إنما خص هذين الوقتين لأنها حال فراغ القلب عن طلب العايش فيكون الذكر فيها الصق بالقلب (ولا تكن من التافئين) عا امرتك به من الدعاء والأذكروك في الآية متوجهة إلى من أمر بالاستماع للقرآن والإنصات وكانوا إذا سمعوا القرآن رفعوا أصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة أو النار عن ابن زيد ومجاهد وابن جريج قال

الجبائي وفي الآية دليل على ان الذين يرضون اموالهم عند الدعاء ويجهرون به خطون وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يمت الى الذكر ويدعو اليه فقال (ان الذين عندك) وهم الملائكة من الحسن وغيره (لا يستكبرون عن عبادته) معناه انهم مع جلالة قدرهم وعلو امرهم يعبدون الله ويذكرونه وفائدته انكم ان استكبرتم عن عبادته فمن هو اعظم حالا منكم لا يستكبر عنها وانما قال عند ربك تشريفاً للملائكة باضافتهم الى نفسه ليرد به قرب المكان تعالى الله عن ذلك وتقدس ومعناه انهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم الا الله تعالى بجلال البشر كما يقال عند الأمير كذا وكذا من الجند والمراد انهم في حكمه ونحت امره وعند فلان كذا من المال ولا يراد به ان ذلك بحضرة وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله اي هو قريب من فضله واحسانه (ويسبحونه) اي يترهونه عالياً يليق به (ولم يستكبروا) اي لم يستكبروا عن عبادته وقيل يعملون وقيل يسجدون في الصلاة من الحسن ولا خلاف ان ههنا سجدة وهي اول سجدة القرآن واختلاف في سجدة التلاوة هل هي واجبة فند ابى خيفة واجبة وعند الشافعي سنة مؤكدة واليه ذهب اصحابنا

سورة الانفال

الانفال هي مدنية من اربع مائتين وستة وتسعون آية نزلت بمكة واذا يكرهك الذين كفروا الى آخره من وقيل نزلت بأسرها في غزاة بدر من الحسن ومكرمة

عدد آياتها

هي سبعون ومسيح آيات شامي وست حجازي بصري وخمس كوفي ﴿اختلفوا﴾ ثلاث آيات ثم يثنيون بصري شامي مقولاً الاول غير الكوفي ينصره والثاني غير البصري

فضلها

ابى بن كعب عن النبي ﷺ انه قال من قرأ سورة الانفال وبرائة فانا شفيع له وشاهد يوم القيامة انه يري من النفاق واحطى من الاجر بعد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومعنى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يعملون عليه ايام حياته في الدنيا وروى المياشي باسناده عن ابى بصير عن ابى جبر الله (ع) قال من قرأ الانفال وبرائة في كل شهر لم يدخله نفاق ابداً وكان من شيعة أمير المؤمنين (ع) حقاً وياً كل يوم القيامة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب وعن محمد بن مسلم عن ابى جبر (ع) قال في سورة الانفال جدد الأثرف

تفسيرها

لما قص الله سبحانه في سورة الاعراف قصص الانبياء وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه وآله افتتح سورة الانفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه وبين قومه فقال

يَسْمِعُ أَفْئِدَةً رَّحِيمٍ

قوله تعالى (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُلِ الْإِنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقَرُّوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ آية

التراوة

قرأ ابن مسعود وسعد بن ابى وقاص وعلي بن الحسين وابو جعفر بن محمد بن علي الباقر وزيد بن علي وجعفر

ابن محمد الصادق عليهم السلام وطلمة بن مصرف يسألونك الأنفال

== الحجة ==

قال ابن جني هذه القراءة بالنصب مودية عن السبب لقراءة الأخرى التي هي عن الأنفال وذلك أنهم إن سألوه عنها تعرضا لطلبها واستلاما لحالها هل يسوغ طلبها وهذه القراءة بالنصب اصح بالنسب الأنفال وبيان من الغرض في السؤال فإن قلنا قلنا هل يصح حملها على حذف حرف الجر كأنه قال يسألونك عن الأنفال فلما حذف عن نصب المتقول كقولهم «امرتك الخيرة فاقبل ما أمرت به» قيل هذا شاذا إنما يجعله الشرع كما القرآن فيخيار له افصح اللغات وإن كان قد جاء واختار موسى قومه واقصدوا لهم كل مرصد فإن الاظهر ما تقدمناه

❦ الفنة ❦

الأنفال جمع نفل والنفل الزيادة على الشيء يقال فنتلك كذا إذا زدته قال ليد
إن تقوى ربنا خير نفل ويلذن الله ريشي وعجل

وعجل النفل الطيبة وفتلك اعطيتك والنافلة عطية الطلوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلاة والنوافل الرجل الكثير العطية

❦ للمضى ❦

(يسألونك) أي يسألك يا محمد جماعة من اصحابك (عن الأنفال) اختلف المقصرون في الأنفال ههنا فقول هي الثمانية التي فيها النبي ﷺ يوم بدر وهو المروي عن عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وقشاعة والضحاك وابن زيد وقيل هي انفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي وقيل هي ما شذ عن المشركين إلى المسلمين من عبد أو جارية من غير قتال أو ما شبه ذلك عن عطاء وقيل هو النبي ﷺ خاصة بعمل به ما شاء وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمته الثمانية من الفرس والزرع والرمح عن ابن عباس في رواية أخرى وروي عنه أيضا أنه سلب الرجل وفرسه بقتل النبي ﷺ ما شاء وقيل هي الخمس الذي جعله الله لأهل المحسن عن مجاهد في رواية أخرى وصحة الرواية عن أبي جعفر وإني عبد الله عليها السلام أنها قالوا إن الأنفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال وكل أرض انتحلت أهلها عنها بغير قتال ويسمونها الفتناء فيا وميراث من لا وارث له وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غضب والآجام ويطون الأودية والأرضون الموات وغير ذلك مساهم مذكور في مواضعه وقالوا هي لله والرسول وبعده لمن قام مقامه فيصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لأحد فيه شيء وقالوا أن ثمانية بدر كانت للنبي ﷺ خاصة فسألوه أن ينطعمهم وقد صح أن قراءة أهل البيت عليهم السلام يسألونك الأنفال فقال الله تعالى (قل) يا محمد (الأنفال لله والرسول) وكذلك ابن مسعود وغيره وإنما قرأوا كذلك على هذا التأويل فلي هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي ﷺ فقال هؤلاء إن اصحابه سألوه أن ينقسم غنيمة بدر بينهم فأعلمهم الله سبحانه أن ذلك لله والرسول دونهم وليس لهم في ذلك شيء وروي ذلك أيضا عن ابن عباس وابن جريج والضحاك وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا إن عن صلة ومناه يسألونك الأنفال أن تعطهم ويؤيد هذا القول قوله (فاتقوا الله) إلى آخر الآية ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة بآية التسمية وهي قوله واعلموا أننا غنمتم من شيء وقال بعضهم ليست بمنسوخة وهو الصحيح لأن النسخ يحتاج إلى دليل ولا تنافي بين هذه الآية وآية المحسن وقال آخرون أنهم سألوا النبي ﷺ عن حكم الأنفال وعليها قالوا لمن الأنفال وتقديره يسألونك عن الأنفال لمن هي ولهذا جاء الجواب بقوله قل الأنفال لله والرسول وقال آخرون أنهم سألوه عن حال الثمانية وقسمتها وانها خلال أم حرام كما كانت حراما على من قبلهم فبين لهم أنها حلال واختلفوا أيضا في سبب سؤالهم فقال ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا

ومن جاء بأسير فله كذا فصار الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبي ﷺ به فقال الشيوخ كنارده أكرم ولو وقت عليكم الهزيمة لرجعتم البنا وجري بيني إلى السرين عمرو الأصمدي أخي بني سلمة وبين سعيد بن معاذ كلام ففرغ الله تعالى الفنائم منهم وجعلها لرسوله بفعل بها ما يشاء فقسما بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت اختلقتنا في الفل وسات فيه اختلاقتنا ففرغ الله من أيدينا فجعلنا إلى رسوله قسمة ينشأ على السواء وكان ذلك في تفرق الله وطاشته وصالح ذات البين وقال سعد بن أبي وقاص قتل أخي عدي يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن أمية وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتفة فجئت به إلى النبي ﷺ واستودعته منه فقال ليس هذا لي ولا لك أذهب فاطرحه في القبر فطرحته ورجعت وبني مالاطمة الألفمن قتل أخي وأخذ سبي وقتل عسي أن يعطي هذا لمن لم يبل بلاتي فما جاوزت الأقبلا حتى جاءني الرسول وقد أنزل الله أن لك الآية فحقت أن يكون قد نزل في شي فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ قال يا سعد انك سأنتي السيف وليس لي وإنه قد صار لي فأذهب فخذ ففعل ذلك وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت الفنائم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شي وما أصاب سرايا المسلمين من شي أثره به فمن حبس منه أبرة أو سلكا فهو ظول فما لو أرسول الله أن يعطيهم منها فنزلت الآية وقال ابن جريح اختلف من شهد بدرا من المهاجرين والأنصار في التنية فكانوا ثلاثا فنزلت الآية فكلها الله رسوله بقسما كما أراه الله وقال مجاهد في الحس بذلك أن المهاجرين قالوا لم يرفع منا هذا الحس ولم يخرج منا فقال الله تعالى قل الأنفال لله والرسول يقسمها كما شاء أو يغفلان منها ما شاء أو يرضان منها ما شاءا فاتفقا الله بقائه محاصيه وأتباع ما يأمرهم به وما يأمرهم به رسوله وأحلوا مخالفة أمرها (واصلها ذات بينكم) أي اصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة وقوله ذات بينكم كتابية عن المنازعة والخصومة والذات هي الحلقة والبنية يقال فلان في ذاته صالح في خلقته وبنيته يعني اصلحوا نفس كل شي بينكم واصلحوا حال كل نفس بينكم وقيل معناه واصلحوا حقيقة واصلحكم كقوله لقد تقاطع بينكم أي وصلحكم والمراد كونوا مجتمعين على ما أمر الله بروسوله وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين أي اصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون عن الزجاج وهذا نهي من الله تعالى من الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر التنية يوم بدر من ابن عباس ومجاهد والسدي والطبراني وروسوله أي اقبلوا ما أمرتم به في الفنائم وغيرها من الزجاج ومعناه وأطبعها فينايا مرانكم به ويثيانكم عنه (إن كنتم مؤمنين) مصدقين لرسوله فيما يأتكم به من قبل الله كما تدعون وفي تفسير الكلبي أن الحس لم يكن مشروعا يومئذ وإنما شرع يوم أحد وفيه أنه لا نزلت هذه الآية عرف المسلمين أنه لا حس لهم في التنية وأنها لرسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله سخط وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله وأطعوا أنما غنمتم من شي فلان لله حسمه أي ما غنمتم بعد بدر وروي أن رسول الله ﷺ قسم غنائم بدر عن يواه أي على سواء ولم يفس

قوله تعالى (٢) إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ كَرِهُوا قَوْلَهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٤) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ثلاث آيات

بسم الله

الوجل والخوف والفرح واحد يقال وجل يوجل ويوجل بالأنفوس يجل أربع ثلاث حكاها سيبويه وأجودها يوجل قال الشاعر

لبرك ما أدري واني لأوجل على أينا تصدو المنية اول

والتوكل هو الثقة بالله في كل ما يحتاج إليه يقال وكلت الأسرلى فلان إذا جلست إليه القيامه والوكيل

القائم بالامر لغيره

❦ الاعراب ❦

حقا منصوب بإدلت عليه الجملة التي هي قوله أو لك هم المؤمنون والمعنى احق ذلك حقا

❦ المعنى ❦

لما قال سبحانه ان كنتم مؤمنين بين صفة المؤمنين بقوله (إنا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي خافت تعظيها وذلك إذا ذكر عديم عقوبته وعده ووعيده على المعاصي بالقطاب واقتداره عليه فلما إذا ذكرت صفة الله على عبادته واحسانه اليهم وفضله ورحمته عليهم وثوابه على الطاعات اطمأن قلوبهم وسكنت نفوسهم الى عفو الله تعالى كما قال سبحانه ألا بذكر الله تطمئن القلوب فلان في بين الآيتين اذ وردتا في حالتين بوجه آخر وهو أن المؤمن ينبغي أن يكون من صفته انه اذا نظر في نعم الله عليه ومنته لديه وعظيم مغفرته ورحمته اطمأن قلبه وحسن بالله فله واذا ذكر عظيم معاصيه ترك أوامره وارتكاب نواهيه وجل قلبه واضطربت نفسه والوجل الخوف مع شدة الحزن ولما يستعمل على الغالب في القلب (واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) معناه واذا قرئ عليهم القرآن زادتهم إيمانه بصرة ويقينا على يقين عن الضحك وقيل زادتهم تصديقهم ما ازل الله اليهم قبل ذلك عن ابن عباس والمعنى انهم يصدقون بالأولى والثانية والثالثة وكل ما يأتي من عند الله فيزداد تصديقهم (وعلى ربهم يتوكلون) أي يغفون أمورهم الى الله فيما يغفونه من السوء في الدنيا وقيل فيما يرجونه من قبول افعالهم في الآخرة (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ينفقون) قد مر تفسيره في سورة البقرة وانما خص الصلاة والزكاة بالذكر لظهور شأنها وتأكد أمرهما وليكون داعياً الى المواظبة على فعلهما (أو لك هم المؤمنون حقا) أي هو لاء المستجيبون لهذه الخصال والمخاضون لهذه الصفات هم الذين استحقوا هذا الاسم على الحقيقة (لهم درجات عند ربهم) يعني درجات الجنة يرتقونها بافعالهم عن عطا وقيل لهم أعمال رفيعة وفضائل استحقوها في إيمان حياتهم عن عباد (ومغفرة) للذنوبهم (ورزق كريم) أي خضير كبير في الجنة وقيل كريم دائم كثير لا يشوبه ضرور ولا ينفذ كدر ولا ينفذ عليه فناء ولا نقصان ولا حساب من قولهم فلان كريم إذا كانت اخلاقه صالحة واستدل من قال ان الإيمان يزيد وينقص وإن افعال الجوارح من الاعمال بهذه الآيات فقال ان الله تعالى نفى ان يكون المؤمن غير متصف بهذه الصفات بلقطة لئلا فكأنه قال لا يكون احد مؤمناً الا ان يكون بهذه الصفات والجواب عنه ان هذه الصفات خيار المؤمنين وأفضلهم فكأنه قال اتفخروا المؤمنون من هذه الصفات والاصناف وليس يتنجس ان يتفاضل المؤمنون في الطاعات وإن لم يتفاضلوا في الإيمان يدل على ذلك أن الإجماع حاصل على أن وجل القلب ليس بواجب ولما هو من للتدويات وإن الصلاة قد تدخل فيها الغرائض والنوازل . والإفتاق كذلك فلعننا ان الإشارة بالآية الى خيار المؤمنين وأما عليهم فلا تدل اذا علم ان من كان دونهم في المنزلة خارج عن الإيمان وقد قال ابن عباس انه سبحانه اراد بذلك ان المتأق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره وإن هذه الاوصاف المذكورة متفية عنه

قوله تعالى (٥) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ
(٦) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٧) وَإِذْ يُدْعِيكُمُ
اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن
يُحِقَّ الْحَقَّ بِكُلِّمَانِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٨) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ اربع آيات

❀ اللغة ❀

المجادة للنازعة الذي يغفل بها عن مذهب إلى مذهب حيث بذلك لشدة وأصل الجدل شدة الغل
ومنه الأجدل الصرقلته ورمز ما جدل شديد الغل وقيل أصله من الجدالة وهي الأرض يقال طمته فجدله
أي لومه على الأرض فكان المجادلين يريد كل واحد منهما أن يرمي بخصمه إلى الأرض والسوق الحث
على المسير والشوكة الحد يقال ما أشد شوكة بني فلان وفلان شاك في الصلاح وشاك من الشك
وشاك مخفف مثل قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل صائف قال الشاعر

فخرهوني اتني انا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم

وأصله من الشوك ودابر الأمر آخره ودابر الرجل عقبه والحق وقوع الشيء في موضعه الذي هو له
قاذا اعتقد شيء بضروره او حجة فهو حق لأنه وقع موضعه الذي هو له وعكسه الباطل

❀ الأعراب ❀

الكاف في قوله كما أخرجك ربك يعلق بما دل عليه قوله قل الانفال لله والرسول لأن في هذا معنى
نزعها من أيديهم بالحق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل تقديره قل الانفال ثابت لله والرسول ثبوتها
مثل ما أخرجك ربك أي هذا كائن لا محالة كما أن ذلك كان لا محالة وقيل إنه يعلق بجادلونك وتقديره
يجادلونك بالحق كما كرهوا إخراجك من بيتك بالحق وقيل أنه يدل فيه معنى الحق بتقدير هذا الذكر الحق كما
أخرجك ربك من بيتك بالحق وقوله إنما لكم في موضع نصب على البدل من إحدى الطائفتين وتقديره يدكم
أن أحد من الطائفتين لكم وتقديره قوله هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم

❀ المعنى ❀

(كما أخرجك ربك من بيتك) يا محمد على التقدير الأول قل الانفال لله بنزعها عنكم مع كراهتكم ومشقة
ذلك عليكم لأنه أصلح لكم كما أخرجك ربك من بيتك مع كراهة فريق من المؤمنين ذلك لأن الخروج
كان أصلح لكم من كونكم في بيتكم والمراد بالبيت هنا المدينة يعني خروج النبي ﷺ منها إلى بدر
ويكون معنى أخرجك ربك دهاك إلى الخروج وإسرك به وحملك عليه كما يقال أضرمت زيدا عرا فضره
وأما على التقدير الثاني هو أن يكون اتصاله بما بعده فيكون معناه يجادلونك في الحق كارهين له كما جادلوك
يا محمد حين أخرجك ربك كارهين للخروج كرهوه كراهية طابع فقال بعضهم كيف نخرج ونحن قليل
والعدو كثير وقال بعضهم كيف نخرج على عياء لا ندري إلى المير نخرج إلى القتال فشبه جدالهم بخروجهم
لأن القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا أخبرتنا بالقتال فكنا نتمد لذلك فهذا

هو جداهم على تأويل مجاهد ولما على التقدير الثالث فمضت ان هذا خير لكم كما ان اخراجك من بيتك على كراهية جماعة منكم خير لكم وقرب منه ما جاء في حديث ابي حنيفة قال قال ناصرك كما اخرجك من بيتك وقوله (بالحق) أي بالوحي وذلك ان جبرائيل (ع) أتاه وأمره بالخروج وقيل مضاه أخرجك ومك الحق وقيل مضاه أخرجك بالحق الذي يجب عليك وهو الجهاد (وان فريقاً من المؤمنين) أي طائفة منهم (لكارهون) لذلك للشقة التي لحقتهم (بمجادلونك في الحق بما تبين) مضاه بمجادلونك فيها دعوتهم إليه بما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ومجادلتهم قولهم هلا خبرتنا بذلك وهم يعلمون انك لا تأمرهم عن الله الا بما هو حق وصواب وكأوا بمجادلون فيه لشدة عليهم بطلون بذلك رخصة لهم في التخلف عنه او في تأخير الخروج الي وقت آخر وقيل مضاه بمجادلونك في القتال يوم بدر بعد ما تبين صوابه وانه مأمر به من ابن عباس وقيل بعد ما تبين انك يا محمد لا تصنع الا ما امرك الله به (كانا يساقون الى الموت وهم ينظرون) مضاه كأن هؤلاء الذين بمجادلونك في لقاء العدو لشدة القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدين له ولكرهتهم له من حيث الطبع كانوا بمنزلة من يساق الى الموت وهم يرون عياناً ويطفرون اليه والى اسبابه (واذ يدرك الله إحدى الطائفتين انما لك من بني واذكروا واشكروا الله اذ يدرك الله ان إحدى الطائفتين لكم اما العير وما النغير (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أي تودون ان يكون لكم العير وصاحبها ابو سفيان بن حرب لتلحقكم مشقة دون النغير وهو الجيش من قريش قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة كني بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة عن قلوب وقيل ذات الشوكة ذات السلاح (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته) مضاه والله اعلم بالصالح منكم فأراد ان يظهر الحق بطلانه ويميز الاسلام ويظهركم على وجهه قريش ويهلكهم على أيديكم بكلماته السابعة وعباته في قوله وقد سبقت كلمتنا لسادتنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله يظهر على الدين كله ولو كره المشركون وقيل بكلماته أي بأمره لكم بالقتال (ويقطع داير الكافرين) أي يستأصلهم فلا يبق منهم احداً يعني كفار العرب (ليحق الحق) أي انما يفضل ذلك ليظهر الاسلام (ويبطل الباطل) أي الكفر باهلاك اهل (ولو كره المجرمون) أي الكافرون وذكر البليغي عن الحسن ان قوله واذ يدرك الله الآية نزلت قبل قوله كما اخرجك بذلك من بيتك بالحق وهي في القراءة بعدها

﴿ قصة غزاة بدر ﴾

قال اصحاب السير وذكر ابو حمزة وعلي بن ابراهيم في تفسيرهما دخل حديث بعضهم في بعض قبل ابو سفيان سير قريش من المشاؤون فيها موالمهم وهي العطينة وفيها اربعمائة راكباً من قريش فندب النبي ﷺ اصحابه للخروج اليها ليأخذوها وقال لعل الله ان يفتلكوها فانتدب الناس فحف بعضهم وتسل بعضهم ولم ينظروا ان رسول الله ﷺ يلقى كيداً ولا حرباً فخرجوا لا يريدون الا ابا سفيان والراكب لا يريدون الا اغنية لهم فلما سمع ابو سفيان بسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو النفاذي فبشه الى مكة وأمره ان يأتي قريشاً فيستغفرهم ويخبرهم ان محمداً ﷺ قد تعرض لميرهم في اصحابه فخرج ضمضم سرية الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأته فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال ان رجلاً أقبل على بئر له يتأذى بالآل غالب اغدوا الى مصارعكم ثم واني بجمه على ابي قحيس

فأخذ حجرا فدهده من الجبل فما ترك دارا من دور قريش الا اصابته منه فلقته فالتفتت فرعفت من ذلك واخبرت
 الناس بذلك فأخبر الناس عتبة بن ربيعة قال عتبة هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرويا فيهم وبلغ
 ذلك ابا جهل فقال هذه نية ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لنتظرن ثلاثا يا أم فلان كان ما رأيت
 حقا والا لتكذب كذابا بيننا انه ما من أهل بيت من العرب الا كذب رجالا ونساء من بني هاشم فلما كان
 اليوم الثالث أتاهم ضيفهم يتادهم باعل الصوت يا آل غالب يا آل غالب الطينة الطينة العير العير ادر كروا وما
 أراكم تبدركون ان محمدا والعصابة من أهل يثرب قد خرجوا يعرضون لعيركم فتهبوا والخروج وما
 بقي احد من عطاء قريش الا اخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم الناس
 ابن عبد المطلب ونزل بن الحارث بن عبد المطلب وقتل بن ابي طالب واخرجوا معهم القيان يضربون
 الدغوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما كان يقرب بدر اخذ عينا قهرم فأخبره
 بهم وفي حديث ابي حمزة بث رسول الله ﷺ ايضا عياله على السير اسه عدي فلما قدم على رسول الله
 ﷺ فأخبر ما بين قاروق العير نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ فأخبره بنفي المشركين من مكة
 فاستشار اصحابه في طلب العير وحرب التغير فقام ابو بكر فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها
 ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب وفي حديث ابي حمزة قال ابو بكر
 انا عالم بهذا الطريق فارق عدي السير بكندا وكندا وساروا وسرنا فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا
 كانوا فرما وهان فقال ﷺ اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال ﷺ اجلس
 فجلس ثم قام القناد فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها وقد آمنت بك وصدقنا وشهدنا ان ما جئت به
 حق والله لو امرتنا أن نخوض بحر الفضا وشوك الهراس لخصناه ملك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل
 لموسى (ع) اذهب انت وربك فقاتلانا هنا قاعدون ولكننا نقول امض لا مردك قاتلنا معك مقاتلون فجزاه
 رسول الله ﷺ خيرا على قوله ذاك ثم قال اشيروا على ايام الناس واتوا بالانصار لاننا اكثر الناس منهم ولا نهم
 حين بايعوه بالبيعة قالوا انا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ثم انت في ذمتنا نمنعك مما نمنع ابناءنا ونساءنا
 فكان ﷺ يخوف ان لا يكون الانصار ترى عليها نصرته الا على من دمه بالمدينة من عدو ان
 ليس عليهم أن ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن مازن فقال يا بني انت وامي يا رسول الله لانك اردتنا فقال
 نعم قال يا بني انت وامي يا رسول الله انا قد آمنت بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق من
 عند الله فمرنا بما شئت وخذ من اموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والله لو امرتنا أن نخوض هذا البحر
 لخصناه معك ولسل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففزع بذلك رسول الله
 ﷺ وقال سيروا على بركة الله فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده
 والله لكانني انظر الى مصرع ابي جحل بن هشام وعبدة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وطلان وطلان وأمر رسول
 الله ﷺ بالرحيل وخرج الى بدر وهو يثر وفي حديث ابي حمزة الثمالي بدر رجل من جهينة والماء ماؤه
 فأتانا سعي الماء باسمه واقبلت قريش وسخوا عبيدها ليستقوا من الماء فآخذهم اصحاب رسول الله ﷺ
 وقالوا لهم من انتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فآين العير قالوا لا علم لنا بالعير فقبلوا يضربونهم وكان رسول
 الله ﷺ يصلي فأنفل من صلاته وقال ان صدقكم ضربتموهم وان كذبكم تركتموهم فأنوه بهم

فقال لهم من اتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جزور قالوا تسعة إلى عشرة قال رسول الله ﷺ القوم تسعة إلى عشرة رجل وأمر ﷺ بهم فحبسوا وبلغ ذلك قريشا ففرغوا وندموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة ابا البخري بن هشام فقال اما ترى هذا النبي والله ما ابصر موضع قلبي خرجنا لنمنع عيرنا وقد اقلت فبشنا بيا وعدونا والله ما اطلع قوم بنوا قط ولوددت ان ما في العير من اموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير قال له ابو البخري انك سيد من سادات قريش فسر في الناس وتجعل العير التي اصاحبها محمد ﷺ واصحابه بنخلود من ابن الحضرمي فانهم ليقلقك قال له علي ذلك وما لي احد منا خلاف الا ابن الحنفلية يعني ابا جحل فسر اليه واعلمه اني حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلي عقله قال قصصت خيابه وابليتته ذلك قال ان عتبة ينصب لمحمد فانه من بني عبد مناف وابنه ممي زيد أن يخذل بين الناس والالات والعزى حتى تقسم عليهم حرب أو تأخذهم اسارى فندخلهم مكة وتسامع العرب بذلك وكان ابو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ وكان ابوسفيان لما جاز بالعير بشت الى قريش فندبى الله عبر كم فارجوا ودعوا محمدا والعرب وادفوه بالراح ما اندفع وان لم ترجعوا فردوا الثياب فلقمهم الرسول فيما بالحفة فاراد عتبة أن يروح فأبى ابو جحل وبنو مخزوم وردوا الثياب من الحفة قال وفتح اصحاب رسول الله ﷺ ما بينهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا فانزل الله سبحانه إذ تستغيثون ربكم وما بعده

قوله تعالى (٩) إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مبدكم بأن من الملائكة مردفين (١٠) وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم (١١) إذ ينشئكم الناس أمة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام (١٢) إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني مبعثكم فشتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرغب فأمر بوا فوق الأعناق وأمر بوا منهم كل بناء (١٣) ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب (١٤) ذلكم فذوقوه وإن للكافرين عذاب النار (ست آيات) وبعد الأقدام آية وكل بناء آية بلا خلاف

القرأة

قرأ أهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال والياقون مردفين بكسر الدال وقرأ أهل المدينة بنشيمكم بضم الياء وسكون الين الناس بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بنشاكم بالالف وضع الياء الناس بالرفع والياقون بنشيمكم بضم الياء وضع النين والتشديد الناس بالنصب وفي الشواذ قرأة الشعبي ما ليطهركم به ما يمني النبي

الحجة

قال ابو علي مردفين يحتمل وجهين احدهما أن يكون مردفين مثلهم كما قالوا اردفت زيدا خلفي

فيكون في الآية للمفول الثاني محذوفاً والآخر لأن يكونوا جاءوا خلفهم قول العرب بنوفلان يردفوننا أي يجيئون بمننا وقال ابو عبيدة مردفين جاءوا بعد وردفني واردفني واحد قال الشاعر

إذا الجوزاء اردفت الشريا ظننت بأل فاطمة الظنونا

وهذا الوجه فكأنه حين لقوله إذ تستغيثون ربكم الى قوله مردفين اي جاثين بعد استغاثكم ربكم وامدادهم اياكم بهم مردفين على هذا صفة لآلف وقال الزجاج معناه يأثون فرقة بعد فرقة ومردفين على اردفوا الناس اي انزلوا بعدهم فيجوز على هذا أن يكون حالاً من الضمير المنسوب في مدرك مردفين يألف من الملائكة وقرأ في الشواذ مردفين ومردفين والأصل فيها مردفين فادغم التاء في السال فلما التقى سا كان حرك الراء لا لتقاء السا كنن فضمت تارة اتباعاً لصفة التليم وكسرت تارة لأن السا كن يحرك بالكسر ومن قرأ يشيكم ويشيكم فكأنه اشبه ما بعده من قوله وينزل عليكم فكأنه مستند الى اسد الله فكذلك ينشئ وينشئ ومن قرأ يشاكم فإنه اسند الفعل الى الناس كما في قوله ما نسا ينشئ واشئ واشئ معناه واحذو قد جاء بهما التنزيل قال سبحانه فاغشيناهم وقال فغشاها ما غشى ومن قرأ ما ليظهركم به فإن ما ههنا موصولة وصلها حرف الجر بما بعده فكأنه قال ما ليظهر كقولك كسوت الثوب الذي لدغ البرد وهذه اللام في قراءة الجماعة ما ليظهركم به هي لام المفول له وهي كقوله انا فحننا لك فحننا ميئنا ليقهر لك الله ويملئ بنفس الفعل واللام التي في قراءة من قرأ ما ليظهركم به اي الذي للطهارة به فستطعمه يحذوف وفيها ضمير لتعلقاً بالمحذوف

اللفظ

الرب الخوف يقال رعبه ارجعه رعباً ورعباً والرب ازعاج النفس بتوقع المكروه واصله التشطع من قولهم رعبت السنام ترجعاً اذا قطعت مستطيلاً فالرب قطع حال السرور بضده من ازعاج النفس بتوقع المكروه ورعب السيل هو رعب اذا امتلأ منه الوادي لأنه انقطع اليه من كل جهة والبان الأطراف من البلدين والرجلين والواحد بئاة ويقال للاصبع بين بئاة واصله اللزوم واصله من ابتأت السجاعة ابنا اذا لزمت قال الشاعر

الا ليتني قطعت منه بئانه ولاقيه في البيت يقطان خادرا

الشقاق العصيات واصله الانفصال يقال شقه فانشق وشاقه شقاقا اذا صار في شق عدوه عليه ومنه اشتقاق الكلام لأنه انفصال الكلمة عما تحتمل في الأصل

الاعراب

العمل في إذ من قوله إذ تستغيثون قوله ويصل الباطل وقيل محذوف وتقديره واذكروا اذ دخل الوجه الأول يكون متصلاً بما قبله وعلى الوجه الثاني يكون مستأنفاً والماء في جملة عائنة الى الامداد لأنّه مستند الكلام وقيل عائنة الى الخير بالمد لأن تقديم ذلك لهم بشارة على الحقيقة وقيل عائنة الى الاراداف وامنة انتصب بأنه مفعل له والعمل فيه ينشئ إذ يوحى في موضع نصب على معنى وما جله الله إلا بشئ في ذلك الوقت ويجوز أن يكون ذلك على تقدير واذكروا إذ ينشئكم الناس وإذ يوحى ذلكم فنسوقوه تقديره لأمر ذلك فيكون خبر مبتدأ محذوف فيكون كما قال الشاعر

وقائلة خولان فانكبح فتاتهم
اي هذه خولان ويجوز ان يكون ذلك منصوب الموضع فيكون مثل قولهم زيداً قاضيه منصوباً بفعل
مضمر يفسره الظاهر وكم في ذلك لا موضع له من الاعراب لانه حرف انطباع وان الكافرين يحتمل ان
يكون موضعه نصيباً وجرأ ورضاً قارضه بالطف على ذلكم فكانه قال الامر ذلكم وان الكافرين عذاب
النار مع ذا والنصب بالطف على قوله اني معكم ومعناه اذ يوحى ربك ان للكافرين والجور على ان يكون
معطوفاً على قوله بأنهم شاقوا الله والرض أبقى بالظاهر ويشاقق بالظهار التضخيم مع الجزم لئلا أهل الجبار
وغيرهم يدغم

﴿النزول﴾

قال ابن عباس لما كان يوم بدر واصطف القوم لقتال قال ابو جهل اللهم اولانا بالنصر فانصره واستغاث
المسلمون فزلت الملائكة ونزل قوله إذ تستغيثون ربكم إلى آخره وقبل ان النبي ﷺ لما نظر إلى كثرة
عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم انتجزي لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تبد في الأرض فزال يصف ربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه من منكبهِ فانزل الله تعالى إذ تستغيثون
ربكم الآية عن عمر بن الخطاب والسدي وابي صالح وهو المروي عن ابي جعفر (ع) قال وما أسى رسول
الله ﷺ وجهه الليل حتى أتى الله على اصحابه التماس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا يثبت فيه
قدم فانزل الله عليهم المطر فذا حتى لبس الأرض وقبت اقدامهم وكان المطر على قريش مثل البرزالي والتي
الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى سألني في قلوب الذين كفروا الرعب

﴿المعنى﴾

ثم ذكر سبحانه ما أتى المسلمين من النصر فقال (إذ تستغيثون ربكم) اي تستجيبون بربكم يوم بدر
من اعدائكم وسألونه النصر عليهم لقتلكم وكثرتهم فلم يكن لكم مغزع إلا التضرع اليه والدعاء له في
كشف الضر عنكم والاستغاثة طلب المونة والقوت وقيل معناه تستنصرونه والفرق بين المستنصر والمستجيب
ان المستنصر طالب الظفر والمستجيب طالب الخلاص فاستجاب لكم والاستجابة هي العطفة على موافقة المسألة
فمعناه فأعانكم وأجاب دعاءكم (اني بمدكم) أي مرسل اليكم مدداً لكم (بأنف من الملائكة مرهفين) اي
متبينين ألفاً آخر من الملائكة لأن مع كل واحد منهم ردفاً له عن الجبائي وقيل معناه مترادفين متتابعين
وكانوا ألفاً بعضهم في أثر بعض عن ابن عباس وقناة والسدي وقيل معناه بأنف من الملائكة جاءوا أعلى
أثر المسلمين عن ابي حاتم (وما جله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) معناه وما جله الله الا مدداً
بالملائكة إلا بشرى لكم بالنصر ولتسكن به قلوبكم وتزول الوسوسة عنها ولا فلك واحد كاف للتدمير
عليهم كما فعل جبريل (ع) بقوم لوط فأهلكهم بريحه واحدة واختلف في ان الملائكة هل كانت يوم بدر أم
لا قيل ما كانت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها كانت قال
علاء بن ابي حمزة بأنف مقاتل من الملائكة فأما ما قاله سبحانه في آل عمران بثلاثة آلاف وخمسة آلاف فإنه
للشارة وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه وروي عن ابن مسعود انه سأله أبو جهل من اين كان يأتيها الضرب
ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة فقال لم غلبونا لا أنتم وعن ابن عباس أن الملائكة كانت يوم بدر وقطت

(وما النصر إلا من عند الله) معناه انه لم يكن النصر من قبل الملائكة وإنما كان من قبل الله لأنهم عباده ينصر بهم من يشاء كما ينصر بنوهم ويحتمل ان يكون المعنى ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء قل العدد أم كثر (ان الله عزيز) لا يتع عن حراجه (حكيم) في أفعاله فيرجع إلى ما تقتضيه الحكمة (إذ يشيكم الناس) قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم أنزل عليكم من بعد الفم أمثما وسأول الناس أول التوم قبل ان ينزل (أمة) أي أمانا (منه) أي من العدو وقيل من الله فإنه لا يأخذه النوم في حال الخوف فأنهم الله تعالى يزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف مسهروا لأن من منبه والأمانة الدعة التي تنافي المخافة وأيضا فإنه قوام بالاستراحة على القتال من العدو (ويُنزل عليكم من السماء ماء) أي مطرا (ليطهركم به) وذلك لأن المسلمين قد سبتم الكفار إلى الماء فزلقوا على كتيبه رمل واصبحوا محدثين ومجنين وأصابهم الظما وسوس الهمم الشيطان قال ان عدوكم قد سبقكم إلى الماء وانتم تصلون مع الجنابة والحديث وتسوخ أقدامكم في الرمل فطهرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة وطهروا به من الحدث وتلبدت به أرواحهم وواحدت ارض عودهم (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل معناه ويذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاعة عن ابن زيد وقيل معناه ويذهب عنكم الجنابة التي اصابكم بالاحتلام (ويربط على قلوبكم) أي ويشد على قلوبكم ومعناه يشجع قلوبكم ويؤكد قوة قلب وسكون نفس وثقة بالنصر (وثبت به الأقدام) أي أقدامكم في الحرب بتبليد الرمل عن ابن عباس وسجادة وقيل بالصبر وقوة القلب عن ابي عبيدة والماء في به ترجع إلى الماء المنزل وقيل إلى ما تقدم من الربط على القلوب (إذ يوحى ربك إلى الملائكة اني معكم) يعني الملائكة الذين أسد بهم المسلمين أي اني معكم بالمعونة والنصرة كما يقال فلان مع فلان على فلان والاياء القاء المعنى على النفس من وجه يخفى وقد يكون نصب دليل يخفى إلا على من اتى الله من الملائكة (فتبوا الذين آمنوا) يعني بشروهم بالنصر وكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول أبروا فإن الله ناصركم عن مقاتل وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن وقيل ثبتهم بأشياء تفوقها في قلوبهم يقولون بما عن الزجاج (ساقى في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الخوف من أوليائي (فاضربوا فوق الأعناق) يعني الزنودس لأنها فوق الأعناق قال عطاء يريد كل هامة وجبهة وجائز أن يكون هنا أمر المؤمنين وجائز ان يكون امرا للملائكة وهو الظاهر قال ابن الأباري ان الملائكة حين أسرته بالقتال لم تعلم ان تعذب بالضرب من الناس فلهذا الله تعالى (واضربوا منهم كل بنان) يعني الأطراف من اليدين والرجلين عن ابن عباس وابن جريج والسدي وقيل يعني أطراف الأصابع اكفى الله به عن جلة اليد والرجل عن ابن الأباري (ذلك) بأنهم شاقوا الله ورسوله) معناه ذلك المذاب لهم والأمر بضرب الأعناق والأطراف وتكبيد المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه حاربوا الله ورسوله ثم اوعده المخالف قتال (ومن) يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب (في الدنيا بالأهلاك وفي الآخرة بالتخليد في النار) (ذلكم فذوقوه) أي هذا الذي أعدت لكم من الأسر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلا (وان الكافرين) أجلا في العاد (عذاب النار) قال الحسن ذلكم حكم الله فذوقوه في الدنيا وان لكم ولسائر الكافرين في الآخرة عذاب النار ومعناه كونوا المذاب كالذائق للطعام وهو طالب إدراك العلم بتناول اليسير بالقلم لأن معظم العذاب بدمه تمام

❦ القصة ❦

ولما أصبح رسول الله ﷺ يوم بدر عبا أصحابه فكان في عسكره فرسان فرس الزبير بن العوام وفرس
 المقداد بن الأسود وكان في عسكره سبعون جحلا كانوا يتماقون عليها وكان رسول الله ﷺ وعلي بن
 أبي طالب (ع) ومرثد بن أبي مرثد الثنوي يتماقون على جبل لمثد بن أبي مرثد وكان في عسكر قريش
 اربع مائة فرس وقيل مائتا فرس فلما نظرت قريش الى قلة اصحاب رسول الله ﷺ قال ابو جهل ما هم الا
 أكلة رأس لو سئنا اليهم عبيدا لا نخلوهم أخذنا باليد فقال حبة بن ربيعة أنرى لهم كميناً او مدداً فبشوا
 عشرين وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً فجعل يفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ﷺ ثم رجع فقال
 ليس لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حلت الموت الناقص أما ترونهم خرسا لا يكلمون ويتلفظون
 تلمظ الافاعي ما لهم ملجأ الا سيوفهم وما أراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بدمهم فارتأوا
 رأيكم فقال له ابو جهل كذبت وجئت فأنزله الله تعالى وإن جنحوا للسلم فاجنح لها فبست اليهم رسول الله ﷺ
 قال يا معشر قريش اني اكره ان ابدأ بكم فخطوني والعرب وارجموا فقال عتبة مارد هذا قوم قط فالحقوا ثم
 ركب جلاله آخر فخطر اليه رسول الله ﷺ وهو يقول بين السكرين وبينى عن القتال فقال
 ﷺ ان يك عند احد خير فند صاحب الجبل الاحمر وان يطيعوه يرشدوا وخطب عتبة فقال في خطبته
 يا معشر قريش أطيعوني اليوم واصصوني الدهر ان محمداً له الـ وذمة وهو ابن عمك فخلوه والعرب فان يك
 صادقاً فأنتم اعلى عينا به وابك يك كاذبا كفنكم ذوبان العرب أمره فضاظ ابا جهل قوله وقال له جئت
 والتفخ سرك فقال يا مصفراسه مثلي يمين وستل قريش ابنا الأم واجين واينا المقدس لقومه وليس درعه
 وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد وقال يا محمد أخرج الينا الكفانا من قريش فبرز اليهم ثلاثة نفر من الانصار
 وانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا انما نريد الأكفاء من قريش فخطر رسول الله ﷺ الى عبيدة بن الحمرث بن
 عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ونظر الى حمزة فقال قم يا عم ثم نظر الى علي بن
 أبي طالب (ع) فقال قم يا علي وكان اصغر القوم فاطلبوا بحكم الذي به الله لكم قد جاءت قريش بغير لائها
 وفخرها تريد ان تطفئ نور الله ويأبى الله الا ان يشم نوره ثم قال يا عبيدة عليك بشية بن ربيعة وقول لحمزة
 عليك بشيبة وقال لمي (ع) عليك بالوليد فمروا حتى اتوا الى القوم فقالوا الكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة
 فضربه على رأسه ضربة فقلت هامته وضرب حبة عبيدة على ساقه فأطعن فسقطا جميعا وحمل شيبة على حمزة
 فضاربا بالسيفين حتى أكلما وحمل أمير المؤمنين علي (ع) على الوليد فضربه على جيل عاتقه فأخرج السيف
 من ابطه قال علي لقد أخذ الوليد يمينه يساراً فضربها هامتي فظننت ان السماء وقست على الارض ثم اعتنق
 حمزة وشيبة فقال المسلمون يا علي أما ترى ان الكلب قد نزع عنك فحمل عليه علي (ع) ثم قال يا عم طأطأ
 رأسك وكان حمزة اطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه على فطح نعله ثم جاء الى عتبة
 وبه رمق فاجز عليه وفي رواية أخرى انه برز حمزة لشيبة وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي (ع) للوليد فقتل
 حمزة عتبة وقتل عبيدة شيبة وقتل علي (ع) الوليد فضرب شيبة رجل عبيدة فقطعه فاستنقذه حمزة وعلي
 وحمل عبيدة حمزة وعلي حتى أتيا به رسول الله ﷺ فاستمير فقال يا رسول الله الله السنت شهيدا قال بلى
 انت اول شهيد من اهل بيتي وقال ابو جهل لقريش لا تمجوا ولا تبطروا كابطر ابناء ربيعة عليهم بأهل يثرب

فأجروهم جزرا وعليكم قرش فخلوهم أخذا حتى ندخلهم مكة فنفرهم خلائهم التي هم عليها وجاء
 أبيس في عبدة سراقه بن مالك بن جشم قال لهم إنا جار لكم ادفوا الي رايتكم فدفوا اليه راية الميرة
 وكانت الراكبة مع بني عبد الدار فنظر اليه رسول الله ﷺ قال لاصحابه غصوا ابصاركم عضوا على التواخذ
 ورفع يده قال يا رب ان تلك هذه المصيبة لا تمبد ثم اصابه النشي فسرى عنه وهو يسلك العرق عن وجهه
 فقال هذا جبرائيل قد أتاكم بألف من الملائكة مردفين وروى ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال
 لقد رأيتهم بدر ان احدا يشير بسيفه الى للشرك فيقع رأسه من جسده قبل ان يصل اليه السيف قال ابن
 عباس حدثني رجل من بني غفار قال اقبلت انا وابن عم لي حتى اصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن
 مشركان ننظر الوقعة على من تكون الدبرة فينا نحن هناك اذ دنت مناصبنا فسمنا فيها جحمة الخليل فسمعت
 قاتلا يقول اقدم حيزم ثم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما انا فكذبت اهلك ثم
 قامسكت وروى عكرمة عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال يوم بدر هذا جبرائيل أخذ برأس فرسه
 حليبه اداة الحرب أوردته البخاري في الصحيح قال عكرمة قال ابو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت
 غلاما لياس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا اهل البيت واسلمت ام الفضل واسلمت
 وكان الياس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير منفرد في قومه
 وكان ابو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبث مكانه الناص بن هشام بن المغيرة وحكذلك
 حسدوا له يخاف رجل الا يث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قرش كبته الله
 واخذوا ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضيقا وكنت اعمل القداح انتحما في هجرة رزم
 ذا الله في الناس فيها انتحت القداح وعندي ام الفضل جالس وقد سرنا ما جاء من الخبر اذ قبل الناس ابو لهب
 يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجر فكان ظهره الى ظهري فينا هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان
 ابن حرب بن عبد المطلب وقد قدم فقال ابو لهب لم الي يا ابن اخي فندك الخبر فجلس اليه والناس قيام
 عليه قال يا ابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس قال لاشي والله ان كان الا ان لقيناهم فنحنهم ككتافنا
 بشاؤوناه بأسرنا كيف شاءوا وايم الله مع ذلك سمعت الناس قينا رجلا ايضا على خيل يلق بين السماء والارض
 ما تبارك شيئا ولا يقوم لها شي قال ابو رافع فرغت طرف الحجر يدي ثم قلت تلك الملائكة قال فرغم ابو لهب
 يده وضرب وجهي ضربة شديدة فتاورته واحتماني ف ضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا
 ضيقا فماتت ام الفضل الى عبود من عبد الحجر فأخذته فضرته ضربة فقتت رأسه شمة منكدة وقالت
 ان تضعني ان غلبت عني سيدة فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع لبال حتى رماه الله بالمدسة فقتله وقد
 تم كره الله اليه او ثلاثا ما يدفنه حتى اتني في يته وكانت قرش تقي المدسة كما يقي الناس الطاعون
 حتى لا يلقوا به بل من قرش ويحكى الا تستحيان ان اباكما قد اتني سيف يته لا تتيهه قالالا فانخشى هذه
 الملائكة قال لا فقلت ما معكما فما غلوه الا قد قال الله عليه من يمد ما يمسه ثم احملوه فدفوه بأهل مكة
 الى جوارهم ولما عليه بالحجارة حتى واروه وروى مقصد عن ابن عباس قال كان الذي اسر الياس ابا اليسر
 كسب سره الخا بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان الياس رجلا جسيما قال رسول الله ﷺ
 لا يبي اليسر كعبت الياس يا ابا اليسر قال يا رسول الله قد اعاني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك

ولا بعده حياته كذا وكذا قال عليه السلام لقد اعانك عليه ملك كريم
قوله تعالى (١٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُتِلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْمَةً فَلَا
تُؤْلُواهُمُ الْأَذْبَارَ (١٦) وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دِرْهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَسَيِّرًا إِلَى
فَتْةٍ قَدْ بَاءَ بِفَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُشَى الْمَصِيرُ (١٧) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ
اللَّهُ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ (ثلاث آيات)

الفقه

اللقاء الاجتماع على وجه المقابلة لأن الاجتماع قد يكون على غير وجه المقابلة فلا يكون لقاء كاجتماع
الأعراس في المحل الواحد والزحف الدنو قليلا قليلا والتزاحف التباين يقال زحف يزحف زحفا وزحفت
القوم إذا دنوت لقتالهم وثبت لهم قال البيهقي الزحف جماعة يزحفون إلى عدوهم مرة ورجعه زحوف والتولية
جبل الشيء يلي غيره يقال ولاد ديرة إذا جعله يليه فهو يمدى إلى مغولين ومنه ولاد البلد من ولايتها لأمارة
وتولى هو إذا قبل الولاية ولولاه نعمة لأنه جعلها تليه والتصرف الزوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف
ومنه الاختراف وهو أن يقصد جهة الحرف لطلب الرزق والمخارف المحدود عن جهة الرزق إلى جهة الحرف
ومنه حروف الهجاء لأنها أطراف الكلمة كحرف الجبل ونحوه والتحصين طلب حيز يمكن فيه المخيل المكان
الذي فيه الجهر والفئة القطعة من الناس وهي جماعة منقطعة عن غيرها وذكر الفقه في هذا الموضع حسن
جدا وهو من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعت

الأعراب

زحفا نسب على المصدر وهو في موضع الحال لأن معناه متزاحفين مجتمعين ومتصرفون متحيزون متصويان
على الحال أيضا ويميز أن يكون النصب فهما على الاستثناء أي إلا أن يكون رجلا متحيزا أو أن يكون منفردا
فينحاز ليكون مع القاتلة ويومئذ يميز أعرابه وبنائه فلا أعراب لأنه متمكن أصيغ على تقدير الأضافة الحقيقية
كقولك هذا يوم ذاك وأما البناء فلأنه أصيغ إلى مبني إضافة غير حقيقية فأشبه الأسماء الموكبة

المعنى

لما أمد الله سبحانه المسلمين بالملائكة وودهم النصر والظفر بالكفار ناهم عقبيه عن القرار فقال
سبحانه (يا أيها الذين آمنوا) قيل انه خطاب لأهل بدر وقيل هو عام (إذا قُتِلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْمَةً) أي
متدائنين لقتالكم قال الزجاج معناه إذا اقتسموهم لقتال (فلا تولوهم الأذبار) يعني فلا تبجلوا ظهوركم
مبا يليهم أي فلا تنهزموا (ومن يؤلهم يومئذ ديره) أي ومن يجعل ظهره إليهم يوم القتال ووجهه إلى جهة
الاعترام وأراد قوله يومئذ ذلك الوقت ولم يرد به بياض النهار خاصة دون الليل (الامتحرفا لقتال) أي
ولا تاركاً موقفاً إلى موقف آخر اصلح لقتال من الأول عن الحسن وقيل معناه لا تنمطوا مستطرداً كأنه
يطلب عودة يمكنه أصابها فيتصرف عن وجهه ويرى انه يفر ثم يكر والحرب كروفر (أو متحيزاً إلى فئة)
أي متحيزاً منضمّاً إلى جماعة من المسلمين يريدون العود إلى القتال ليستعين بهم (قد باء بفضب عن الله)

أي احتل غضب الله واستحقه وقيل رجع بغضب من الله (وماواه جهنم) أي مرجه إلى جهنم (وشس للصبر) وأكثر المفسرين على أن هذا الوعيد خاص بيوم بدر خاصة ولم يكن لهم يومئذ أن يهازوا لأنه لم يكن يومئذ في الأرض فئة للمسلمين فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض وهو قول أبي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقادق والضحاك ووردت الرواية عن ابن عمر قال بثشار رسول الله ﷺ في سرية فلقوا العدو فجأض الناس جيضة وأتينا المدينة خضباناً جا وقلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فتكم وقيل أنه عام في جميع الاوقات وإن من فر من الزحف إذا لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس في رواية أخرى وهو قول الجاثلي وأبي مسلم ثم نفى سبحانه أن يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر قال (فَلْيَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) ولما نفى الفصل عن هو فطه على الحقيقة ونسبه إلى نفسه وليس يفعل له من حيث كانت لفعله تعالى كالسب لهذا الفعل والوادي إليه من إزهاره إياهم وممونه لهم وتشجيع قلوبهم والقاء العرب في قلوب أعدائهم والمشركون حتى قتلوا (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) خطاب للنبي ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره أن جبرائيل (ع) قال للنبي ﷺ يوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها قال رسول الله ﷺ لا أتقى الجمعان ليلي أعطيت قبضة من حصا الوادي فناولوه كفا من حصا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل في عيه وفه ومنخريه منها شيء ثم ردهم المؤمنون يقتلوههم وأسرورهم وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم وقال قتادة والنس ذكر لنا أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بهصاة في مينة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم وقال شامت الوجوه فأنزموها فبلى هذا لنا أضاف الرمي إلى نفسه لأنه لا يقدر أحد غيره على مثله فإنه من عجائب المعجزات (وليولي المؤمنين مه بلاد حسنا) ولينهم عليهم به نعمة حسنة أي فعل ذلك انما على المؤمنين والصدير في منه راجع إلى النصر أي من ذلك النصر ويميز أن يكون راجعا إلى الله تعالى (إن الله سميع) لدعاتكم (عليهم) بأضالكم وضالركم وإنما يقال للنعمة بلاء كما يقال للمضرة بلاء لأن أصل البلاء ما يظهر به الأمر من الشكر والصبر فيخلى سبحانه عباده أي يختبرهم بالنعم ليظهر شكرهم عليها وبالمحن والشدائد ليظهر عندها الصبر الموجب للاجر والبلاء الحسن هاهنا هو النصر والفتنة والاجر والمثوبة

﴿النظم﴾

وقيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجان ﴿أحدها﴾ أنه سبحانه لا أمرهم بالقتال في الآية المتقدمة ذكر عقبتما أن ما كان من الفتح يوم بدر وقهر المشركين ما كان بنصرته وممونه تذ كبر النعمة عن أبي سلم ﴿والآخر﴾ أنهم لما أمروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول أنا قتلنا فلانا وأنا ضلت كذا نزلت الآية على وجه التنبيه لهم لتلايعبوا بأعدائهم قوله تعالى (١٨) ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِمٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ (١٩) إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَوَيْحٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدَكُمْ وَلَنْ تُنْفِي عَنْكُمْ فِئَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا رُءُوسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢١) وَلَا تَسْكُرُوا كَالَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُسْمَعُونَ أَرْبَعُ آيَاتٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الحجاز وابو عمرو ويقرب برواية روح موهن بالتشديد غير منون كيد بالجر على الاضافة وقرأ
الباقون موهن بالتونين والتخفيف كيد بالنصب وقرأ حض عن عاصم موهن بالتخفيف كيد بالنصب وقرأ أهل
المدينة وابن عامر وحض وان الله مع المؤمنين يفتح الآف والباقون بكسر الآف

﴿ الحجة ﴾

من قرأ موهن فإنه من أوهته أي جلته وأهنا ومن شدد فإنه من وهته كما يقال فرح وفرحته وكلامها
حسن ومن قرأ وان الله بكسر الهزة فإنه قطع معاقبه وبقوته أنهم زعموا ان في حرف عبد الله والله مع المؤمنين
ومن فتح الهزة فوجهه أن يكون على تقدير ولأن الله مع المؤمنين أي لذلك لن تنني عنكم فتتكم

﴿ الفتحة ﴾

الاستفتاح طلب التفتح وهو النصر الذي تفتح به بلاد العدو والفتح أيضا الحكم ويقال تفتاحي التفتح واصل
الباب من التفتح الذي هو ضد الاغلاق والانتهاه ترك الفصل لأجل النهي عنه يقال نيته تفتاحي وامرته تفتاحي

﴿ الأعراب ﴾

ذلكم موضعه رفع وكذلك ان الله في موضع رفع والتقدير الامر ذلكم والامر ان الله موهن وكذلك
الوجه فياتقدم من قوله ذلكم فذوقوه وان الكافرين مذاب النار ومن قال ان ذلكم مبتدأ وفذوقوه خبره فقد أخطأ
لأن ما بعده الفاء لا يكون خبرا للبشأ ولا يجوز زيد فبطلان ولا زيد فاضربه الا ان تضمر هذا تريد هذا زيد فاضربه

— المعنى —

(ذلكم) إشارة الى بلاء المؤمنين خاطبهم سبحانه بعد ان أخبرهم بمناه ذلكم الانعام او ذلكم
الذي ذكرتم (وان الله موهن كيد الكافرين) هو القاء الرعب في قلوبهم وتقريع كلمتهم قال ابن عباس يقول اني قد أوهنت
كيد عدوكم حتى قلت جابرهم واسر استراهم (ان تستحقوا فعداءكم التفتح) قيل انه خطاب للمشر كين
فان ابا جهل قال يوم بدر حين اتى الفتيان اللهم اعلنا لرحم واتانا يا لا نعرف فانصر طيعن الحسن ومجاهد
والزهري والضحاك والسدي وفي حديث ابي حمزة قال ابو جهل اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث
فأي الدينين كان اخب إليك وارضى منك فانصر اهل اليوم وعلى هذا فيكون معناه ان تستحقوا لأهدى
الفتنين فقد جاءكم النصر أي نصر محمد واصحابه وقيل انه خطاب للمؤمنين عن طه وابي طي الجاثي ومعناه
ان تستحقوا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي ﷺ قال الزجاج ويعجز ان يكون معناه ان تستحقوا
وتستحقوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله (وان تنهوا أي تمنوا من الكفر وقال الرسول والمؤمنين
فهو خير لكم وان تعودوا ندم) معناه وان تعودوا ايها اللشركون الى قتال المسلمين ندم بأن نصرهم عليكم
وانما همم بقتلكم (ولن تنني عنكم فتتكم شيئا) أي ولن تقدم عنكم جبايتكم شيئا (ولن تكثر وان
الله مع المؤمنين) بالنصر والحفظ يمكنهم منكم وينصرهم عليكم عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وان
تنهوا ايها المسلمون عما كان منكم في الفتائم وفي الاسارى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى
ذلك الصنيع ندم الى الانكار عليكم وترك نصرتكم ولن ينني عنكم حيثن جملكم شيئا اذ منكم
النصر عن طه والجاثي ثم امر سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصرة فقال (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
ورسله) خص المؤمنين بطاعة الله ورسله وان كانت وليمة على غيرهم ايضا لأنه لم يفتد بغيرهم لأمراءهم ما
وجب عليهم ويجوز ان يكون انما خصهم اجلالاً لقدهم ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع (ولا تولوا عنه)
أي ولا تعرضوا عن رسول الله ﷺ (واتم تسمعون) دعاء لكم وامره ونهيها بكم من ابن عباس وقيل

معناه وانتم تسمنون الحجة الموجبة لطاعة الله وطاعة الرسول عن الحسن (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ولم لا يسمعون) في الكلام حذف ومعناه ولا تكونوا كهم في قولهم هذا المنكر فحذف المنهي عنه دلالة الحال عليه وفي ذلك غاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون انهم سمعوا سماع عالم قابل له وليسوا كذلك والسامع بمعنى القبول كما في قوله سمع الله لمن حمده وهؤلاء الكفار هم المنافقون عن ابن اسحاق ومقاتل وابن جريج والجلباني وقيل هم أهل الكتاب من اليهود وقرينة النظر عن ابن عباس والحسن وقيل انهم مشركو العرب لانهم قالوا قد سمعنا لو نشاء قلنا مثل هذا عن ابن زيد

قوله تعالى (٢٢) **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ مَا عَلَّمُوا**
اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّا سَمْعَهُمْ وَكَلَامَهُمْ لَتَوَلَّوْاوَهُمْ مُّعْرِضُونَ (آيات)



الشر اظهار سوء الذي يبلغ من صاحبه وهو نقض الخير وقيل الشر الضر والقيح والخير النفع الحسن وقيل الشر الضر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لانه قد يكون ضررا ما لا يكون شرا بان يقبض شيئا واصل الشر الإظهار من قوله

إذا قيل أي الناس شر قبيحة أشارت كليب بالألف الاصابع

والدواب جمع دابة وهي ما دب على وجه الارض الا انه تقتض في العرف بالحيل

— الحق —

ثم ذم سبحانه الكفار فقال (ان شر الدواب اي شر من دب على وجه الارض من الحيوان) عند الله الصم البكم الذين لا يقولون يعني هؤلاء المشركين الذين لم يتفهموا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يتفقهونه ولا يقولون به فكانت لهم صم بكم لا يفكرون ايضا فيما يسمعون فكانت لهم لم يتفهموا بقولهم ايضا وصاروا كالذواب وقال الباقر (ع) نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن اسلم منهم خير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال لمسيب وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث بن كلفة من بني عبد الدار بن قصي (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) معناه ولو علم الله فيهم قبولا للهدي واقبالا على طلب الحق لاسمعهم ما يذهبون عن استماعه عن الحسن وقيل معناه لاسمعهم الجواب عن كل ما سألوا عنه عن الزجاج وقيل معناه لاسمعهم قول قصي بن كلاب فلانهم قالوا احي لنا قصي بن كلاب ليشهد بنبوته عن الجلباني (ولراسعهم لتولواوهم معروضون) اي لا عرضوا وفي هذا دلالة على ان الله تعالى لا يشم احدا من المكلفين اللطف وانما لا يطلعن يعلم انه لا يتنعم به

قوله تعالى (٢٤) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٥) **وَأَقْوَاتِنَا لَّا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** آيات



قرأ أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وزيد بن ثابت وابو جعفر الباقر (ع) والريبع بن انس وابو العالية تصنيف والقراءة المشهورة لا تصنيف

— الحجة —

قال ابن جني معنى هاتين الآيتين ضدان كما ترى لأن احدهما تصيبن الذين ظلموا خاصة والأخرى لالتصيبن ويمكن ان يكون حذف الالف من لا تصيبن تحقيقا واكتفى بالتمتع منها كما قالوا ام والله لا يكون كذا فحذفوا الف واذهب ابو عثان في قوله يا ايت بفتح الاء انه اراد يا ابتا فحذف الالف تحقيقا فإن قلت فهل يجوز ان تحمله على انه اراد التصيبن ثم اشبع الفتحة فأنشأ عنها الفاقول صدقة يذبح من ذفري غضوب جبرته اراد يلجم ومثله قول ابن هرمه

فأنت من النوازل حين ترمي ومن ذم الرجال بمنزاج

اي ينتزع قيل قوله تعالى فيا يليه واعلموا ان الله شديد العقاب اشبه با ذكرناه وأما الوجه في قوله لا تصيبن فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين ان هذا الكلام جزء خبر وفيه طرف من النهي فلماذا قلت انزل عن البداية لا تطرحك او لا تطرحنك فهذا جواب الأمر بلفظ النهي والمضى انزل ان تتركه لا تطرحك فلماذا أتيت بالنون الحقیقة او التحية كان او كسد للكلام ومثله قوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان والمضى ان تدخلوا لا يحطركم ويجوز ان يكون نهيا بعد أمر فيكون المعنى اتقوا فتنة ثم نهى بعده فقال لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا اي لا تعرض الذين ظلموا لما ينزل بهم معه الذباب ويكون بمعنى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم اتها امرت بالدخول ثم نهتهم ان يحطنهم سليمان فقلت لا يحطركم سليمان وجوزده فلفظ الهي سليمان ومعناه للنمل كما يقول لا أرينك هاهنا قال ابو علي انه حكى القول الاول على وجه احتمال الآية كما قالها القول الثاني فاما القول الثاني فيقول في الحسن ولا يصح منقلا لا قول في الحسن لا قوله لا تصيبن لا يخلو اما ان يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لأن دخول النون فيه يكون لضرورة الشعر كما اتشده سيويه « ومها تشأ منه فزارة تنما » واما ان يكون نهيا بعد امر فاستثنى عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالاولى كما مضى ذكر امثاله من قوله ثلاثة رابهم كلهم وأوتيت اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا هو الصحيح دون الاول قال ومحال ان يكون جواب الأمر بلفظ النهي كما يستحيل أن يكون جواب الشرط بلفظ النهي لأن جواب الأمر في الحقيقة جواب الشرط ولا يجوز ايضا ان يكون اللفظ لفظ النهي والمعنى معنى الجزاء لأن الجزاء خبر فحكه ان يكون على الفاظ الاخبار والفاظ الانبياء لا تجيء على لفظ الامر الا فيما علمته من قولهم اكرم به وما يدل على انه ليس بجزاء دخول النون فيه والنون لا تدخل في الجزاء لما ذكرناه خبر ولا يجوز دخول النون في الخبر الا في ضرورة الشعر نحو

ربما اوفيت في صلح

توضن ثوبي شالات

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه بطاعة الرسول ﷺ فقال (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله ولرَسُولِهِ) اي اجيبوا الله والرسول فيا بأمرانكم به فإجابة الله والرسول طاعتها فيما يدران اليه (اذا دعاكم) لما يحضركم قيل فيه اتوا ﴿ احدها ﴾ ان معناه اذا دعاكم الى الجهاد والام في معنى الى قال التتبي هو الشهادة فأن الشهداء احياء عند الله تعالى وقال الجبائي اي دعاكم الى احياء امركم وعزلت دينكم بجهاد عدوكم مع نصر الله أي اياكم وهو معنى قول القراء ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه اذا دعاكم الى الايمان فإنه حياة القلب والكفر موته من السعي قيل الى الحق من مجاهد ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه اذا دعاكم الى القرآن والعلم في الدين لأن الجاهل موت والعلم حياة والقرآن سبب الحياة والعلم وفيه النجاة والمصعة من تاحة ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه اذا دعاكم الى الجنة لانها من الحياة الدائمة وتمتع الأبد عن ابي مسلم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) أي يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت

فلا يمكنه استدراك ما فات فادروا الى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف عن العجائي قال وفيه بحث على الطاعة قبل حلول المانع وقيل معناه انه سبحانه اقرب اليه من قلبه وهو نظير قوله ونحن اقرب اليه من جبل الورود قلن الحائل بين الشيء وغيره اقرب الى ذلك الشيء من ذلك التبر عن الحسن وقنادة قالا وفيه تحذير شديد وقيل معناه انه سبحانه يملك قلوب القلوب من حال الى حال كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب والايصار فكانهم خافوا من القتل فاعلمهم سبحانه انه يبدل خوفهم أمناً بان يحول بينهم وبين ما يتفكرون فيه من اسباب الخوف وروى يونس بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال انه يحول بين المرء وقلبه معناه لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابدا ولا يستيقن القلب ان الباطل حق ابدا وروى هشام بن سالم عنه عليه السلام قال معناه يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق او ردها لما يشي في تفسيره وقال محمد بن اسحاق معناه لا يستطيع القلب ان يكتم الله شيئا وهذا في معنى قول الحسن (واته اليه تمشرون) معناه واعلموا انكم تمشرون أي تجمعون للجزاء على اعمالكم يوم القيامة ان خيرا فخير وان شرا فشر (واقترأ فتنة لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة) خذهم الله تعالى من هذه الفتنة وامرهم ان يتقوها فكانه قال اتقوا فتنة لا تقربوها فتصينكم لأن قوله لا تصين نفهي مسوق على الأمر ولقط النبي واقم على الفتنة وهو في المعنى للمؤمنين بالاتقاء كقولهم ولا تموتن الا وانتم مسلمون أي احذروا ان يدرحكم الموت قبل ان تملوا واخلف في معنى الفتنة هاهنا فقيل هي العذاب امر الله المؤمنين ان لا يقرأوا التكرين اظهروهم فيهم الله بالعذاب والمحطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله خاصة من ابن عباس والجبائي وقيل هي البلية التي يظهر باطن امر الانسان فيها من الحسن قالوا نزلت في علي وصاروا طاعة والزيرو قد قال الزيد قد رآه هذه الآية زمانا وما اذات من اهله افاذا نعم المؤمنين بها فخالفتا حتى اصابتا خاصة وقيل نزلت في أهل بدر خاصة فاصابتهم يوم الجمل فاستلوا عن السدي وقيل هي الضلالة واقترأ الكلمة ومخافة بعضهم بضاً عن ابن زيد وقيل هي الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم وينضل ضرره على كل احد ثم اختلف في اصابة هذه الفتنة على قولين **احدهما** انها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم اما الظالمون فممنيزون واما المؤمنون فمستحقون مسخون عن ابن عباس وروى انه سئل عنها فقال ابهوا ما ابهم الله **والثاني** انها تخص الظالم لأن الفرض من الناس من الظلم وتقديره واقترأ عذابا يصيب الظلمة خاصة ويقويه قراءة من قرأ تصين الذين ظلموا منكم خاصة باللام فإنه تفسيره على هذا المعنى وقيل ان لا في قوله لا تصين زائدة ويميز ان يقال ان الآف في لا لاوشباع الفتنة على ما تقدم ذكره قال ابو مسلم تقديره احذروا ان يفض الظالم منكم بعذاب اي لا تظلموا اني اتيكم عذاب لا يجبر منه الا من زال عنه اسم الظالم (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتق المحاصي وروى الثعلبي باسناده من حذيفة انه قال اتاكم قرن كظم الليل المظلم يملك فيها كل شجاع بطول وكل راكب مضم وكل خطيب مصقم وفي حديث ابي ايوب الانصاري ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعاد يا عمار انه سيكون يدي هات حتى يقتلف السيف فيها بينهم وحتى يقتل بعضهم بضاً وحتى يبرأ بعضهم من بض فلماذا رأيت ذلك فليك بهذا الاصلاص عن يميني علي بن ابي طالب (ع) فلن سلك الناس كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك وادي علي وخل عن الناس يا عمار ان علي لا يردك عن هدى ولا يبدلك على ردي يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله وواه السيد ابو طالب الهروي باسناده عن علقمة والأسود قالا اتينا أبا ايوب الانصاري الحجز بطوله وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابني القسم الحسكاني وحدثنا عنه ابو الحيد مهدي بن تار الحسني حدثني محمد بن القاسم بن احمد قال حدثنا ابو سعيد محمد بن الفضيل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح الرزمي قال حدثنا عبد الرحمن بن ابي حاتم قال حدثنا ابو سعيد الأشج عن ابي خلف الأحمر عن ابراهيم بن طهمان عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لا تزلت هذه الآية واقترأ فتنة قال النبي صلى الله عليه وآله من ظلم ظليماً فبقي هذا بعد وفاتي فكانت جعد

بقولتي ونوره الانبياء قبلي

قوله تعالى (٢٦) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخطفَكُمْ
الْأَنَاسُ فَأَوَّكَيْتُمْ وَأَيَّدْتُمُ النَّاصِرِينَ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَكُمْ تَشْكُرُونَ آيَةُ

﴿ آيَةُ الْفِتْنَةِ ﴾

الذكر ضد السهو وهو احضار المعنى النفس والاستضاف طلب ضعف الشيء بتوهم حاله والتخطف الاخذ
بسرعة التزاع يقال تخطف وتخطف واختطف

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حالهم السابقة في الفقة والضعف واتهامه عليهم بالنصر والتأييد والتكثير فقال (واذكروا)
معرض المهاجرين (إذ أنتم قليل) في المدد وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الإسلام (مستضعفون) يطلب
ضعفكم بتوهم امرمكم (في الأرض) أي في مكة عن ابن عباس والحسن (تخافون أن يخطفكم الناس) أي
يستلبكم المشركين من العرب أن يخرجهم منها وقيل أنه يعني بالناس كفار قريش عن قتادة وعكرمة وقيل فارس
والروم عن وهب (فأوكم) أي جل لكم مأوى ترجون إليه يعني المدينة ذار الهجرة (وأيديكم بنصروا) أي قواكم
(ورزقكم من الطيبات) يعني الثنائم أسلها لكم ولم يسلها لأحد قبلكم وقيل هي عامة في جميع ما اعطاهم
من الاطعمة اللذيذة (لنفسكم تشكرون) أي لكي تشكروا والمعنى قابلا حالكم التي أنتم عليها الآن
بتلك الحال المتقدمة ليبين لكم موضع النعمة فتشكروا عليها

قوله تعالى (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ (٢٨) وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ خِزْيَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ آيَاتُ

﴿ آيَةُ الْفِتْنَةِ ﴾

الحيانة ممن الحق الذي قد ضمن التأدية فيه وهي ضد الأمانة وأصلها أن تنقص من أمانتك أمانته قال زهير
وبارزة الفقارة لم يخنها قطاف في الركاب ولا خلا

أي لم يقص من قراحتها

﴿ الاعراب ﴾

وتخونوا مجزوم على التهي وتقديره ولا تخونوا من الاخش وهو في معنى قول ابن عباس وقيل أنه نصب على
التلطف مثل قول الشاعر

لأنته عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
وهو في معنى قول السدي

﴿ النزول ﴾

قال صلا سمعت جابر بن عبد الله يقول إن إسماعيل خرج من مكة فأتى جبرائيل (ع) النبي ﷺ
فقال إن إسماعيل في مكان كذا وكذا فأخرجوا إليه واكبوا قال فكتب إليه رجل من المنافقين إن محمدا
يريدكم فخذوا حذركم فأتول الله هذه الآية وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي ﷺ فيفسدونه حتى
يبلغ المشركين وقال الكلبي والزهرى تولى في أبي إبابه بن عبد المنذر الانصاري وذلك أن رسول الله ﷺ
حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه اخوتهم من بني النضير

على أن يسجدوا إلى آخواتهم إلى الأبد عاتوا وادبوا من لرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول ﷺ إلا أن يقولوا
على حكم سعد بن معاذ فقالوا الرسل إلينا إيا لابة وكان مناصبا لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم فبش
رسول الله ﷺ فأطعمهم فقالوا ما ترى يا إيا لابة أنزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لابة بيده إلى حلقائه
الذبيح فلا تقموا فأتوا جبرائيل (ع) فأخبره بذلك قال أبو لابة فوالله ما زالت قدماي من مكانها حتى عرفت أني
قد غتت الله ورسوله فقلت الآية فيه فلما قلت شد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما
ولا شرابا حتى أموت أو يرتب الله لي فكش سبعة أيام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر مشيا عليه ثم تاب
الله عليه فقيل له يا أبا لابة قد تيب عليك فقال لا والله لأأمل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يعطيني
فيها ففعل به ثم قال أبو لابة إن من قام توبتي إن أخرج دار قومي التي أصبت فيها الذنب وإن انتزع من مالي
فقال النبي ﷺ يحزنك الثلث إن تصدق به وهو للمري من أبي جعفر وأبي عبد الله عليها السلام

— المعنى —

ثم أسرههم الله سبحانه بترك الحياة فقال (يا أيها الذين آمنوا) لا تنقروا الله والرسول أي لا تنقروا الله بترك فرائضه
والرسول بترك سنته وشرائعه من ابن عباس وقيل إن من ترك شيئا من الدين وضيمه فقد خان الله ورسوله عن
الحسن (وتنقروا أماناتكم) يعني الأمانات التي أئتمن الله عليها المباد يعني القرائض التي يقول لا تنقصوها عن ابن عباس
وقيل أنهم إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم عن السدي (وانتم تعلمون) ما في الخيانة من الظن والعقاب
وقيل وانتم تعلمون أنها أمانة من غير شبهة (وأعطوا) أي وتحققوا وأيقنوا (لما أموالكم وأولادكم فتنة)
أي بلية عليكم ابتلاء الله تعالى بها فإن إيا لابة حمله على ما فعله ماله الذي كان في أيديهم وأولاده الذين كانوا
بين ظهراتهم (وان الله عنده أجر عظيم) لمن أطاعه وخرج إلى الجهاد ولم يخن الله ورسوله وذلك خير من الأموال
والأولاد بين سبحانه بهذه الآية أنه يجزي خلقه بالأموال والأولاد ليقين الراضي بقسمه من لا يرضى به وإن
كان سيئاته أعلم بهم من أنفسهم ولكن ليعلم الأفاضل التي بها يستحق الثواب والعقاب وإلى هذا أشار أمير
المؤمنين علي (ع) في قوله لا يقول لأحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة لأنه ليس أحد الأوهو مشتمل على فتنة
ولكن من استعان فليستد من مضلات الفتنة فإذن الله تعالى يقول واعلموا أن أموالكم وأولادكم فتنة وقد روي
هذا المعنى عن ابن مسعود أيضا

قوله تعالى (٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنَاقَرْتُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْفَقُوا وَكُفِّرْ عَنْكُمْ مِثْلَهُمْ
وَيَنْفِرْ لَكُمْ وَأَلَهُ ذُو النَّصْلِ الْعَظِيمِ آية

✽ المعنى ✽

(يا أيها الذين آمنوا) أي يا أيها المؤمنون (ان تنقروا الله) أي أن تنقروا الله بانقضاء مآصيه وإدائه فرائضه (يحمل
لكم فرقاتا) أي هداهة ونورا في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد وقيل معناه يحمل لكم
مخرجا في الدنيا والآخرة من مجاهد وقيل يحمل لكم نعمة عن السدي وقيل يحمل لكم فتنا ونصرا كما قال يوم الفرقان
يوم التقي الجسمان من الفرقا وقيل يحمل لكم عزا في الدنيا وتواليا في الآخرة وتقوية وخلافا لأعدائكم وذلائقها
كل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والآخرة من العبادي (ويكفر عنكم سيئاتكم) التي عملوها ويغفر لكم
ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم على خلقه بما أنعم عليهم من أنواع النعم فإذا ابتدأهم بالفضل العظيم من
غير استحقاق كرماء منه وجودا فإنه لا ينهم ما استحقوه بطاعتهم له وقيل معناه إذا ابتدأ بنعيم الدنيا من
غير استحقاق فليعلم أنهم ذاك بنعيم الآخرة باستحقاق وغير استحقاق

﴿النظم﴾

قيل اتصلت الآية بأول السورة من الأمر بالجهاد وتقديره ان تتروا الله ولم تخافوه فيها امركم به من
الجهاد يبطل لكم فرقانا وقيل انتم المرء بالطاعة وترك الضاعة بين بعده ما اعده لمن امتثل امره في الدنيا والآخرة
قوله تعالى (٣٠) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ آيَه

﴿اللقية﴾

المكر الميل الى جهة الشر في خفية قال الازهري المكر من الناس خب وخداع ومن الله جزء وأصل المكر
الافتخاف من قولهم جارية مكسوة قال ذو الرمة

عجزة مكسوة خصاصة قلبي عنها ألواح وطم الجسم والقص

اي ملتفة والفرق بين المكر والتدبر ان التدبر نقض العهد الذي يجب الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء
من غير عقد والاثبات الجس يقال دماه فاقبته اي حسه مكانه واقبته في الحرب اذا جرحه جراحة مثقلة

﴿النزول﴾

قال المفسرون انها نزلت في قصة دار الندوة وذلك ان نفرا من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن
كلاب وقاموا في امر النبي ﷺ فقال مروة بن هشام تترى بديب المنون وقال ابو البختري اخبرني عنكم
تسربوا من اذاه وقال ابو جهل ما هذا برأي ولكن القتلوه بان يجسم عليه من كل بطن رجل فيضربوه باسيافهم
ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصب ابلبس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة
شيخ كبير من اهل نجد وخطا الاولين فاتفقوا على هذا الرأي واسلوا الرجال والسلاح وجاء جبرائيل (ع)
فأخبر رسول الله ﷺ فخرج الى النار وأمر عليا (ع) فبات على فراشه فلما أصبحوا وقتلوا عن الفراش
وجنوا عليا وقد رد الله مكرمهم فقالوا اين محمد قال لا ادري فاقصصوا أثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل
ومرو بالنار رأوا على بابهم النكبات فقالوا لو كان هاهنا لم يكن نسيج النكبات على بابهم فكث فيه
ثلاثا ثم قدم المدينة

﴿المنى﴾

(واذ يكره الذين كفروا) اي واذا كره اذ يحتمل الكفار في ابطال امرك ويدبرون في هلاكك
وهم مشركو العرب منهم ضبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وابو البختري بن
هشام وزمنة بن الاسود وحكيم بن حزام وأميرة بن خلف وغيرهم (ليثونك) اي ليقيدوك ويشبكوك في
الرقائق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل ليشبكوك في الحبس ويسجنوك في بيت عن عطا والسدي
وقيل مناه ليشبكوك بالجرأة والضرب عن ابان بن تغلب والجاني وابو حاتم وانشد

قلقت وبيحك ماذا في صبيحتكم قالو الخليفة امسى مشيتا وجما

(او يقتلوك او يخرجوك) من مكة الى طرف من اطراف الأرض وقيل او يخرجوك على بعب ويطردونه حتى
ينهب في وجهه (ويمكرون ويمكر الله) اي ويدبرون في امرك ويدبر الله في امرهم عن ابي سلم وقيل
ويمكرون في امرك من حيث لا تشع فأحل الله بهم ما اراد من عذابه من حيث لا يشعرون عن الجاني
وقيل يمكرون والله تعالى يميزهم على مكرمهم كما قال سبحانه وجزاهم بينة من الله (والله خير الماكرين)

لأنه لا يمكن إلا ما هو حق وصواب وهو أنزال المكروه بين يستحقه والعباد قد يمحرون مكرها هو ظلم وباطل ومكرهم الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين مبلغ مكر الله فلذلك قال خير الماكرين وقيل منته

خير المجازين على المكر

﴿النظم﴾

الآية اتصت بقوله واذكروا اذ انتم قليل فتدبره واذكروا تلك الحال واذكروا ما مكر الكفار بمكة عن ابي مسلم وغيره وقيل انها تحصل باقربها من قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نجاتا كما جعل لنبي ﷺ واصحابه النجاة من مكر مشركي قريش فاذكروا ذلك قوله تعالى (٣١) ﴿وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٢) ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَرْسِلْ رِجْدًا بَلَاءٍ عَلَيْنَا﴾ (٣٣) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَمَا لَهُمْ آلَاءُ يُعَذِّبُهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولَآئِهِ إِلَّا الضَّالُّونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ اربع آيات

﴿الاعراب﴾

هو الحق هو فعل لا عمل له من الاعراب ويسمى الكوفيين عابدا والحق منصوب بأنه خير كان ويجوز فيه الرفع ولكن لم يقرأ به واللام في قوله ليُعَذِّبُهُمْ لام المجد وأصلها لام الاضافة وانما دخلت في التثنية ولم تدخل في الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفي كما دخلت الباء في خبر ما ولم تدخل في الايجاب وموضع ان من قوله أن لا يعذبهم الله نصب لأن تقديره وما لهم في ان لا يعذبهم الله أي شيء لهم في ذلك لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل الذي هو الاستغفار ونحوه وإنما جاز الحذف مع ان ولم يجز مع المصدر لطول الكلام بالصفة اللازمة من الفعل والفاعل وليس كذلك المصدر

« المعنى »

ثم اخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ومباهتهم الحق فقال (واذا تلى عليهم آياتنا) من القرآن (قالوا قد سمعنا) أي أدركنا بأننا نأمن السماع أدراك الصوت بمجاسة الأذن (لو نشاء لقولنا مثل هذا) إنما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الإتيان بسورة مثله بعد التحدي عبادة وعنادا وقد جعل الإنسان شدة العداوة على ان يقول ما لا يعلم وقيل إنما قالوا ذلك لأنه لم يقطع طمعهم من القدرة عليه في المستقبل اذ القرآن كان مركباً كانت جارية على السمع فطمعوا ان يثاق لهم في ذلك المستقبل بخلاف صيرورة الصحابة في انه قد انقطع طمعهم عن الإتيان بمثله اذ جنس ذلك لم يكن في مقدورهم (ان هذا الأساطير الأولين) منته ما هذه الأحاديث الأولين تلوها علينا وكان قاتل هذا النضر بن الحارث بن كعدة وأسر يوم بدر فقتله رسول الله ﷺ وعنه بن ابي معيط قال يا علي بالنضر ابنيه فأخذ علي بشعره وكان رجلاً جميله شعر فجا به إلى النبي ﷺ قال يا عبد أسألك بالرحم بيني وبينك الا جريش كرجل من قريش ان قتلته قتلتي وان قادهم فادبني قال ﷺ لا رحمه بيني وبينك قطع الله الرحم بالإسلام قدمه

يا علي فاضرب عقه فاضرب عقه ثم قال يا علي علي بشية فأحضر فقال يا عابد ألم تفل لا تصبر قرش اي
 لا يقولون صبرا فقال عليه السلام وأنت من قرش أما أنت عليهن أهل صفورية والله لأنت في الميلاذ اكبر
 من ايك الذي تدعى له قال فن الصبية قال عليه السلام النار ثم قال من قدح ليس منها قال سعيد بن جبيرة قتل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لانه نفر من قرش صبرا المطعم بن عدي والنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
 (واذا قالوا) اي واذا كر يا عباد قالوا اي قال هؤلاء الكفار (الله ان كان هنا) الذي جاء به محمد (هو
 الحق من عندك) دون ما نحن عليه (فامطر علينا حجارة من السماء) كما امطرته علي قوم لوط (اولئنا
 مذبذب اليم) اي شديد مؤلّم والقاتل لذلك النضر بن الحارث ايضا عن سعيد بن جبيرة ومجاهد وروي
 في الصحيحين ان هنا من قول ابي جهل ويسأل هاهنا فيقال لم طلبوا المذاب من الله بالحق وإنما يطلب
 بالحق الخبير والثواب والأجر والجواب انهم كانوا يستقنون ان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمحتج من الله
 وإذا لم يكن حقا لم يصهم شي وقال لم قال امطر من السماء والامطار لا يكون الا من السماء وفي هنا
 جوابان عليه السلام احدهما انه يجوز ان يكون امطار الحجارة من مكان عال غير السماء عليه السلام والثاني انه قيل
 طريق البيان عن ثم قال سبحانه (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) ذكر سبحانه سبب امالهم ومناه وما كان
 الله يذب اهل مكة بذبب الاستئصال وأنت مقيد بين اظهارهم لفضلك وحرمتك يا عابد فان الله تعالى
 يشك رحمة للمالين فلا يذنبهم الا بعد ان يفعلوا ما يستحقون به سلب التعمية وخارجك عنهم قال ابن عباس
 ان الله سبحانه لم يذب قومه حتى اخرجوه منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) معناه وما كان الله
 يعذبهم وفيه بقية من المؤمنين بعد خروجك من مكة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج من مكة بقيت
 فيها بقية من المؤمنين لم يهاجروا وبذر وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله المذاب عن مشركي مكة لحرمه
 استغفارهم فلما خرجوا اذن الله في قمع مكة عن ابن عباس وعطية والضحاك واختاره الجبائي وقيل معناه وما
 يعذبهم الله بذبب الاستئصال في الدنيا وهم يقولون غفرانك ربنا وانما يعذبهم على شرهم في الآخرة عن
 ابن عباس في رواية اخرى ويزيد بن رومان وابي موسى ومحمد بن مبشر وفي تفسير علي بن ابراهيم لما قال
 النبي صلى الله عليه وسلم قرشاني اقتل جميع ملوك الدنيا وأجري الملك اليكم فأجيبوني في ما ادعوكم اليه تملكون به العرب
 وتدين لكم السجود فقال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق الآية حسدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال غفرانك
 اللهم ربنا فانزل الله ما كان الله ليعذبهم الآية ولما هو بقتل رسول الله واخرجوه من مكة انزل الله سبحانه
 وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصعدون عن المسجد الحرام الآية فعذبهم الله بالسيف يوم بدر وقتلوا وقيل
 معناه انهم لو استغفروا لم يذنبوا وفي ذلك استدعاه الى الاستغفار عن ابن عباس في رواية اخرى والسدي
 وقادة وابن زيد قال مجاهد وفي اصلايم من يستغفر وقال عكرمة وهم يسلون فأراد بالاستغفار الاسلام
 وقد روي عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع احداهما فدونكم
 الآخر فتمسكوا به وقرأ هذه الآية وروي ذلك عن قتادة ايضا (وما لهم الا يعذبهم الله) معناه ولم لا يعذبهم
 الله واي أمر يجب ترك تعذيبهم (وهم يصعدون عن المسجد الحرام) اي يمتنعون عن المسجد الحرام اوليائه
 فضنف لأن ما يبدء يدل عليه (وما كانوا أوليائه) اي وما كان المشركون أوليائه المسجد الحرام واث
 سوا في عارته (ان أوليائه لا يلتقون ولكن أكثرهم لا يسلون) معناه وما أوليائه المسجد الحرام الا يلتقون عن الحسن

وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل مناهوما كانوا أولياء الله أن أولياء الله إلا المتقون الذين يتركون معاصي الله ويحجبونها والأول أحسن وسأل فيقال كيف يجمع بين الآيتين وفي الأولى نفي تنذيرهم وفي الثانية إثبات ذلك وجوابه على ثلاثة أوجه ﴿أحدها﴾ أن المراد بالأول عذاب الاصطلام والاستتصال كما فصل بالأمم الماضية والثاني عذاب القتل بالسيف والأمر وغير ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم ﴿والآخر﴾ أنه أراد وما لهم أن لا ينذروهم الله في الآخرة ويريد بالأول عذاب الدنيا عن الجاني ﴿والثالث﴾ أن الأول استدعاء للاستغفار يريد أنه لا ينذرهم بعذاب الدنيا والآخرة إذا استغفروا وتابوا فإذا لم يفعلوا عذبوا ثم يثبت أن استحقاقهم العذاب يصدهم الناس عن المسجد الحرام قوله تعالى (٣٥) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ فَذَوُّوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ آية

﴿القرأة﴾

يروى في الشواذ عن عاصم وما كان صلاتهم بالنصب إلا مكاء وتصدي بالرفع وروي أيضا عن ابن قنبل

﴿الحجة﴾

قال ابن جني لسا ندفع أن جل اسم كان نكرة وخبرها مرفوعة فإما جاءت منه آيات شاذة لكن من وراء ذلك ما ذكره وهو أن نكرة الجنس تفيد مقام مرفوعة الأتراك تقول خرجت فإذا اسد الباب فتجد مناه فإذا اسد الباب ولا فرق بينهما وذلك أنك في الموضعين لا تريد اسدا واحدا معينا ولم تأثر يد واحدا من هذا الجنس وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع في مكاء وتصدي جوازا قريبا كأنه قال وما كان صلاتهم إلا هذا الجنس من الفعل ولا يكون مثل قولك كان قائم أخاك لأنه ليس في قائم معنى الجنسية وإضا فإنه يجوز مع النفي ما لا يجوز مع الإيجاب ألا تراك تقول ما كان انسان خيرا منك ولا تحجز كان انسان خيرا منك

﴿النية﴾

المكاء الصغير والمكاء طائر يكون بالحجاز له صغير بالشديد يقال مكأ مكأ إذا صفر فيه قال حنتره وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريسته كشلق الأعلم والتصدي التصفيق وهو ضرب اليد على اليد ومنه الصدى صوت الجبل ونحوه

﴿المعنى﴾

ثم وصف سبحانه صلاتهم فقال (وما كان صلاتهم عند البيت) يعني هو لا المشركين الصادقين عن المسجد الحرام (الإكاء وتصدي) قال ابن عباس كانت قریش يطوفون بالبيت عمرة يصفرون ويصفقون وصلاتهم مناه دعاءهم أي يقيمون المكاء والتصدي مكان الدعاء والتسبيح وقيل أراد ليس لهم صلاة ولا عبادة وإنما يحصل منهم ما هو ضرب من الهل والعب والسم فالسالمون الذين يطعمون الله ويسدون عنه هذا البيت احتق بمنع المشركين منه وروي أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام قلم رجلان من بني عبد الدار عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره يصفقان بأيديهما فيخططان عليه صلاته فتعلمه الله جيا يدر ولم

يقول ولقية بني عبد الدار (فلقوا العذاب) يعني غلب السيف يوم بدر عن الحسن والضحاك وقيل عذاب الآخر وعلى هذا يكون في الكلام حذف أي قال لهم إذا عفوا ذوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) بتوحيد الله قوله تعالى (٣٦) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** (٣٧) **لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ثلاث آيات بصري آيات عند غيرهم عد البصري يغلبون آية

❦ الآتية ❦

الحسرة الندم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة واصله الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً والتميز اخراج الشيء عما خالفه مما ليس منه والحال بما هو منه يقال مبرزه مبرزه ومازه وبيرزه فامتاز وانما لازمه الركن جمعك شيئاً فوق شيء حتى يجعله ركناً موكماً مرتكفاً وهو المتركب بعضه فوق بعض

❦ النزول ❦

قل نزلت في ابي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد الفين من الاحابيش يقاتل بهم النبي ﷺ سوى من استباحشهم من العرب وفيهم يقول كعب بن مالك

فجئنا إلى موج من البحر وسعلم
فجئنا إلى موج من البحر وسعلم
ثلاثة آلاف ونحن بقية
ثلاثة مئين ان كثرنا قاربم

عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل نزلت في المسلمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمنة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكاهم من قريش وكان كل يوم ينظم واحد منهم عشر جزر وكانت النوبة يوم الهزيمة للعباس عن الكلبي والضحاك ومقاتل وقيل لما احسبت قريش يوم بدر ورجع ظهم الى مكة مشى صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل في رجال من قريش اصحب آباؤهم واخوانهم بدر فكلوا الاسقيات بن حرب ومن كانت له في تلك الغيرة من قريش ثجارة قتالوا يامشرو قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خباركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربه لعلنا ان ندركه ثاراً بين اصيب منا فقلوا فانزل الله فيهم هذه الآية ورواه محمد بن اسحاق عن رجاله

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه اتفاق المشركين اموالهم في معصية الله تعالى قال (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم) في قتال الرسول والمؤمنين (ليصدوا عن سبيل الله) اي لينمنوا بذلك الناس عن دين الله الذي اتى به محمد ﷺ وانما قال ليصدوا وان كانوا لم يقصدوا ذلك من حيث لم يطلوا ان ذلك دين الله لان ظلمهم ذلك كان صلاً عن دين الله وان لم يقصدوا ذلك (فسينفقونها) معناه فسيتبع منهم الاتفاق لها (ثم تكون عليهم حسرة) معناه ثم ينكشف لهم ويظهر من ذلك الاتفاق ما يكون حسرة عليهم من حيث انهم لا يتفقون بذلك الاتفاق لا في الدنيا ولا في الآخرة بل يكون وبالاً عليهم (ثم يغلبون) في الحرب اي يظلمهم

المؤمنون وفي هذا دلالة على صحة النبي ﷺ. لأنه اخبر بالشيء قبل كونه فوجد على ما خبر به (والذين كفروا الى جهنم يحشرون) اي يحشرون الى النار بعد قسرم في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وانما اعد الله للذين كفروا لأن جماعة ممن اتفقوا اسلموا بعد فخص منهم من مات على كفره بوعيد الآخرة (ليميز الله الخبيث من الطيب) معناه ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين (ويجزل الخبيث بضه على بعض) اي ويجزل نفقة المشركين بعضها فوق بعض (فيركه) اي فيجسمه (جيما) في الآخرة (فيجعله في جهنم) فيما قبهم به كما قال يوم يحى عليها في نار جهنم الآية وقيل معناه ليميز الله الكافر من المؤمن في الدنيا بالثبوت والنصر والاسماء الحسنة والاحكام المخصوصة في الآخرة بالثواب والجنة اي في مسلم وقيل بأن يجزل الكافر في جهنم والمؤمن في الجنة ويجعل الخبيث بضه على بعض في جهنم بضيقا عليهم فيركه جيما أي يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم بأن يكون بعضهم فوق بعض في النار مجتمعين فيها فيجعلهم في جهنم اي يداخله جهنم (او تلك هم النار) قد خسروا انفسهم لأنهم اشتروا بانقلاب الاموال في المصيبة عذاب الله في الآخرة

قوله تعالى (٣٨) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّبِعُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تُكُونَ فَتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَإِنْ أَتَوْهُم بِبَصِيرَةٍ أَوْ لَوْ أَنْ تُولَوْا فَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلِيكُمْ نِعْمَ الْغَافِرُونَ (٤٠) ثلاث آيات

== الفنة ==

الانصاف الاقلاص عن الشيء لأجل النعي يقال نياه عن كذا فانهى والرسالة والطريقة والسيرة نظائر قال فلا تجزعن من سنة انت سرتها فأول راضي سنة من يسرها والسلوف التقديم التولي عن الدين الذهاب عنه الى خلافه والتولي فيه هو الذهاب الى جهة الحق ومتابعه

✽ الاعراب ✽

وان تولوا شرط وقوله فاعلموا ان الله مولاكم أمر في موضع الجواب وانما جاز ذلك لأن فيه معنى الخبر فكانه قال فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم

✽ المعنى ✽

ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بدعائهم الى التوبة والايان قال (قل) يا محمد (لذين كفروا ان يتوبوا) اي جوبوا عما هم عليه من الشرك ويتوبوا منه (بغفر لهم ما قد سلف) اي ما قد مضى من ذنوبهم وقيل معناه ان يتوبوا عن المحاربة الى المودة يتفر لهم ما قد سلف من المماقة (وان يودوا قد مضت سنة الاولين) معناه وان يودوا الى القتال واصروا على الكفر فقد مضت سنة الله في آباءكم وعادته في نصر المؤمنين وكبت اعداء الدين والاسرار والاسترقاق وانما ذكر ذلك تحذيرا لهم وضاف السنة اليهم لأنها كانت تجري عليهم وقال سنة من قد سلفنا فأضاف السنة الى الرسل لأنها كانت تجري على ايديهم ثم قال ولا تجد لسنة تحويلا فأضاف الى نفسه لأنه هو المجري لها (وقالتهم حتى لا تكون فتنة) هذا خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين بأن يقاتلوا الكفار حتى لا تكون فتنة اي شرك عن ابن عباس والحسن ومعناه حتى لا يكون

كافر بشير عهد لأن الكافر اذا كان بغير عهد كان عزيزا في قومه يدعوا الناس الى دينه ففكروا الفتنة في الدين وقبل حتى لا يفتن مؤمن من دينه (ويكون الدين كله لله) اي ويجتمع اهل الحق واهل الباطل على الدين الحق فيها يتقدمونه ويعملون به اي ويكون الدين حينئذ كله لله باجماع الناس عليه وروى زرارة وغيره عن ابي عبد الله (ع) انه قال لم يبيح تأويل هذه الآية الا يقولوا قام قائمنا بعد سري من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية وليبغين دين محمد ﷺ ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الارض كما قال الله تعالى يبدونني لا يشركون بي شيئا (فان اتهموا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) معناه فان رجوا عن الكفر واتهموا عنه فان الله يجازيهم باعمالهم مجازاة البصير بما باطنها وظاهرها لا يخفى عليه منها شيء (وان قولوا) عن دين الله وطاعته (فاعلموا) اي المؤمنون (ان الله مولاكم) اي ناصركم وميدكم وحافظكم (نعم المولى) اي نعم السيد والحافظ (ونعم النصير) هو ينصر المؤمنين ويصبرهم على طاعته ولا يخذل من هو ناصرهم قوله تعالى (٤١) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَافُ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيَةٌ

الفتنة

التنبية ما اخذ من احوال اهل الحرب من الكفار قتال وهي هبة من الله تعالى للمسلمين والفني ما اخذ بشير قتال وهو قول عطا ومذهب الشافعي وسفيان وهو المروي عن ائمتنا (ع) وقال قوم التنبية والفني واحد وادعوا ان هذه الآية ناسخة لتي في الحشر من قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل الآية واليتم الذي مات ابوه وهو صغير قبل البلوغ وكل حيوان يقيم من قبل امه الا الانسان فانه من قبل ابيه والمسكين الذي تحمل له الصدقة وهو المحتاج الذي من شأنه ان تسكنه الحاجة عما ينهض به الفتي وابن السبيل المسافر المقطع به في سفره وانما قيل ابن السبيل لأن السبيل اخرجه الى هذا المستقر كما اخرجه ابوه الى مستقره

الاعراب

فان لله خمسة قيل في فتح ان قولان ﴿احدهما﴾ ان تقديره فعل ان لله خمسة ثم حذف حرف الجر ﴿والآخر﴾ انه عطف على ان الاولى وحذف خبر الاولى للدلالة الكلام عليه وتقديره اعلموا انما غنمتم من شيء يجب قسمته فاعلموا ان لله خمسة

المعنى

ثم بين سبحانه حكم التنبية فقال سبحانه مخاطبا للمسلمين (واعلموا انما غنمتم من شيء) اي مما قل او كثر (فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى) اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على اقوال ﴿احدها﴾ ما ذهب اليه اصحابنا وهو ان الخمس يقسم على ستة اسم فسيم لله وثمان للرسول وثمان للسهل مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول ﷺ وسهم ليناى آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم لانباء سبلهم لا يشركم في ذلك غيرهم لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها اوساخ الناس

وعوضهم من ذلك الخمس وروى ذلك الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين (ع) ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام وروي ايضا عن ابي العالية والربيع انه يقسم على ستة اسهم الا انها قالا سهم الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله وهذا القسم بما يقتضيه ظاهر الكتاب وقويه والثاني ان الخمس يقسم على خمسة اسهم وان سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم الى الكراع والسلاح وهو المروي عن ابن عباس وابراهيم وقادق وعطاء الثالثان يقسم على اربعة اسهم سهم ذي القربى القرابة التي في قوله والا سهم الثلاثة لمن ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي والرابع انه يقسم على ثلاثة اسهم لأن سهم الرسول قد سقط بوفاته عديم لأن الأنبياء لا يورثون فيا يزعمون وسهم ذي القربى قد سقط لأن ابا بكر وعمر لم يطالبهم ذي القربى ولم ينكر ذلك احد من الصحابة عليهم وهو مذهب ابي حنيفة واهل العراق ومنهم من قال لو ان علي قراء ذوي القربى منها والاخرون ثلاثة اسهم جاز ولو جعل ذوو القربى اسوة القراء ولا يغرد لهم سهم جاز واختلف في ذوي القربى قيل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لأن هاشم لم يقبل الا منه عن ابن عباس ومجاهد وباله ذهب اصحابنا وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وهو مذهب الشافعي وروى ذلك عن جابر بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال اصحابنا ان الخمس واجب في كل فائضة تحصل للانسان من المكاسب وارباع النجارات وفي الكنوز والمادن والنقوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب ويمكن ان يستدل على ذلك هذه الآية فان في عرف الفقة يطلق على جميع ذلك اسم الفنز والنعمة ونحوه دألي تأويل لا يقول (فان الله خمسة) قالوا اختص الكلام بالله على جهة التبيين والتبرك لأن الاشياء كلها عز وجل والمراد به مصروف الى الجهات القريبة الى الله تعالى والرسول قالوا كان لقبني صلى الله عليه وسلم سهم من خمسة اسهم يصرفه في موته وما فضل من ذلك يصرفه الى الكراع والسلاح والمصالح ولذي القربى قال بعضهم سقط هذا السهم بموت الرسول صلى الله عليه وسلم على ما ذكرناه قال الشافعي يصرف سهم الرسول الى الخيل والكراع في سبيل الله وسهم ذي القربى لبني هاشم وبني المطلب يستحقونه بالاسم والنسب فيشترك فيه الفتي والفقير وروى عن الحسن وقصادة ان سهم الله وسهم الرسول وسهم ذي القربى للإمام القائم من بعده ينفعه على نفسه وصياله ومصالح المسلمين وهو مثل مذهبا (واليتمى والمساكين وابن السبيل) قالوا ان هذه الاسماء الثلاثة لجميع الناس والله يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم وقد بينا ان عندنا يختص باليتمى من بني هاشم ومساكينهم وابناء سيلهم (ان كنتم آمنتم بالله) قال الزجاج يجوز ان يكون ان كنتم آمنتم مقولة فاعلوا ان الله مولا كنتم المولى ونعم النصير ان كنتم آمنتم بالله (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم اتقوا الجحمان) اي فاقنوا ان الله ناصر لكم ان كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم ويجوز ان يكون ان كنتم آمنتم بالله معناه اعلموا ان ما غنمتم من شيء فان الله خمسة والرسول يأسر ان فيه بما يريد ان كنتم آمنتم بالله فاقبلوا ما أمرتم به من النعمة واعلموا به وما أنزلنا على عبدنا اي وآمنتم بما أنزلنا على محمد من القرآن وقيل من النصر وقيل من الملائكة اي علمتم ان ظفركم على عدوكم كان بتا يوم الفرقان يعني يوم بدر لأن الله تعالى فرق فيه بين المسلمين والمشركين بغير عراز هو لا وقع أو تلك يوم اتقوا الجحمان جمع المسلمين وهم ثلاثمائة وثمانون رجلا وجمع الكافرين وهم بين تسعمائة الى الف من صناديد قريش وروسانهم فزعمهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين وأسروا منهم مثل ذلك وكان يوم بدر

يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهراً وقبل كان التاسع عشر من شهر رمضان وقد روي ذلك عن أبي عبد الله (ع) (والله على كل شيء قدير) قد مر تفسيره في سورة البقرة وفي تفسير الثعلبي قال المبالين مر وسألت علي بن الحسين (ع) وعبد الله بن محمد ابن علي عن الخمس فقالوا نقلت لابي ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل قال يتامانا ومساكيننا وروي العياشي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) قال كتب نجدة الحاروري الى ابن عباس يسأله عن موضع الخمس فكتب اليه ابن عباس أما الخمس فإننا نزعناه لنا ونزعم قومنا انه ليس لنا فصرنا عن أبي عبد الله (ع) قال ان الله تعالى لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال

قوله تعالى (٤٢) إِذَا أَنْتُمْ بِالْعُدَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدَّةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاحْتِفَافٍ فِي الْمِعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْفِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٣) إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِكُمْ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفَشَيْتُمْ وَكُنْتُمْ تَنَازَعُونَ وَلَكِنْ اللَّهُ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٤) وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ إِذْ تَقِفْتُمْ فِي آغْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلِلُكُمْ فِي آغْيُنِهِمْ لَيَقْفِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ثلاث آيات

كوفي أربع آيات عند جبرم

القراءة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالعدوة بكسر الهمزة وباء مفتوحة وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم واليزي من ابن كثير حيى بإظهار اليا تين واليا تون حي بالادغام

الحجة

الكسر والضم في العدوة لنتان قال الراعي في الكسر

وعينان حم ما قيهما وقال أوس بن جبر في الضم

وقاس لا يحل الحي عدوته ولو سراعاً وما هو باقبال

ومن ادغم حي فلزوم الحركة في الثاني فجرى مجرى ردوا إذا أخبروا عن جماعة قالوا حيوا فختفوا وقد جاء مدخاً فهو حيوا قال

حيوا بأمرهم كما عيت يبيضتها الحمامة

ومن اختار الاظهار فلامتناع الإدغام في مضارعه وهو يجيأ فاجري الماضي على شاكاة المستقبل

المنة

العدوة شقير الوادي والوادي عدوتان وهما جانباه والجمع عدى وعدى الدنيا ثابتين الاذني من دنوت والقصوى ثابتين الاقصى وما كان من التوت على فلي من بنات الواو فإن العرب تقول الى اليا

فهو الدنيا والعليا استقلوا الراو مع ضم الأول الا ان أهل الحجاز قالوا القصوى فأنظروا الراو وهو نادرو غيرم
يقولون القصيا والاقصى الأمد والقصا بالمدوقصوت منه اقصو اي تباعدت والركب جمع را كب مثل شارب
وشرب وصاحب وصاحب والمو قرار تحته قرار والسفل قرار فوقه قرار والنوم ضرب من السهو يزول معه
معظم الحس والتمام موضع النوم كالضلعج موضع الاضطجاع والقة تقصان عن عدة كما ان الكثرة زيادة
على عدة والفعل ضعف من فزع والفعل منه فشل بفشل والتنازع الاختلاف الذي يماول كل واحد نزاع
صاحبه بما هو عليه والسلامة النجاة من الآفة واسلم الإنسان دخل في السلامة وأسلمه اسلاما
دفعه عن السلامة وسلمه اذا نجاه واستلم الحجر اذا طلب لسه على السلامة والصدر الموضع الأجل يكون
فيه القلب وصدر المجلس أجله لأنه موضع الرئيس والالتقاء اجتماع الاتصال لأن الاجتماع قد يكون
في معنى من غير اتصال كاجتماع القوم في الدار وان لم يكن هناك اتصال ويقال للمسكرين اذا تصافوا التنا
لوقوع العين على العين

الإعراب

انما نصب اسفل لأن تقديره يمكن اسفل او في مكان اسفل فهو في موضع جر فهو غير منصرف ويجوز
أن يكون منصوبا على الظرف على تقدير والركب مكانا اسفل منكم قال الزجاج ويجوز أن ترفع اسفل
على انك تريد والركب اسفل منكم أي أشد تسفلا.

المعنى

ثم بين سبحانه نصرته للمسلمين يدر فقال سبحانه (إذا أنتم) ايها المسلمون (بالمدوة الدنيا) قال ابن عباس
يؤيد والله تقدير على نصركم واتمم أذلة إذا أنتم نزول بشير الوادي الاقرب إلى المدينة (زم) يعني المشر كين
اصحاب الفتن (بالمدوة القصوى) أي نزول بالشير الاقصى من المدينة (والركب) يعني اباسقيان واصحابه
وم العير (اسفل منكم) أي في موضع اسفل منكم إلى ساحل البحر قال الكوفي كانوا على شط البحر ثلاثئة
أمايل فذكر الله سبحانه مقاربة الفتيين من غير ميعاد وما كان للمسلمون فيه من قلة الماء والرمل الذي تسوخ فيه
الارجل مع قلة العدد والمدة وما كان للمشركون فيه من كثرة العدد والمدة ونزولهم على الماء والعير اسفل منهم
وفيها اموالهم ثم مع هذا كله نصر المسلمين عليهم ليعلم ان النصر من عنده سبحانه (ولو تواعدتم لاختفتم في
الميعاد) معناه لو تواعدتم ايها المسلمون للاجتماع في الموضع الذي اجتمعتم فيه ثم بانكم كثرة عددهم مع قلة
عددكم لتأخرتم ففخضتم الميعاد عن ابن اسحق وقيل معناه لاختفتم بما يمرض من الوائق والقواطع فذكر الميعاد
لتأكيد امره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

(ولكن ليقضي الله امرأ كان مشغولا) معناه ولكن قدر الله تعالى القضاء كما وجع بينكم وبينهم على غير
ميعاد منكم ليقضي الله امرأ كان كائنا لا محالة وهو اعزاز الدين وأهله وإذلال الشرك وأهله ومعنى ليقضي يظهر
قضاء إذ الله تعالى قد قضى ما هو كائن ومعنى قوله مشغولا أي واجبا كونه لا محالة يقال للأمر الكائن لا محالة
هذا امر مفروغ منه وقيل معناه ليقم امرا كان في علمه مشغولا لا محالة من إظهار الإسلام واعلاء كلمته على
عبدة الأصنام (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) أي فصل ذلك ليعوت من مات منهم بعد قيام
الحجة عليه بما رأى من المعجزات الباهرة التي ~~قد~~ في حروبه وغيرها ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجة

عليه وقيل ان البيئة هي ما وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس في صدق النبي
 ﷺ فيما اتهم به من عند الله وقيل مناه ليهلك من اهل بعد قيام الحجة عليه فتكون حياة الكافر وقاؤه
 حلا كما له وفيما من الماتحدى بعد قيام الحجة عليه فيكون بقاء من بقي على الايمان حيا له وقوله من بين يدي
 (وان الله لاسليم) لا اوالهم (عليهم) بما في ضماؤهم فهو يجازيهم بحسب ما يكون منهم (اذا يريكم الله) العامل
 في اذا ما تقدم وتقديره انا كمن النصر اذا كنتم بشقير الروادي اذا يريكم الله وقيل العامل فيه معنوف وتقديره
 واذا كرا يا محمد اذا يريكم الله اي يريك الله يا محمد هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر (في منامكم
 قليلا واولا اراكمهم كثيرا) فليثبتوا ولتتأخروا في الامر (مناه يريكم الله في نوبك قليلا لتخبر المؤمنين بذلك
 فيجترى المؤمنون على قتالهم وهذا قول اكثر المسلمين وهذا جائز لأن الرؤيا في النوم هي تصور يتصوره المؤمنون
 في اليقظة ولا يكون إدراكا ولا علما بل كثير مما يراه الانسان في نومه يكون تغييره بالعكس مما رآه كما يكون
 تغيير البكاء ضحكا قال الروائي ابو جعفر ان يري الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به لأن الرؤيا في المنام تقيل
 للمعنى فمن غير قطع وان جاسمه قطع فمن الانسان على المعنى وإنما ذلك على مثل ما يميل السراب ماء فمن غير قطع
 على انه ماء ولا يجوز أن يلهمه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به لأن ذلك يكون جهلا لا يجوز أن يضل الله
 سبحانه والرؤيا على الدرس اقسام رؤيا من الله عز وجل اولها تأويل ودويا من وساوس الشيطان ودويا من غلبة
 الاخلاص ودويا من الافكار وكلها اخذت اسلام الا الرؤيا من قبل الله تعالى التي هي الهام في المنام ودويا التي
 ﷻ هذه كانت بشارة له والمؤمنين بالغلبة وقال الحسن معنى قوله في منامكم في موضع نوبكم أي في عينك
 التي تنام بها وليس من الرؤيا في النوم وهو قول البصري وهذا بعيد لأنه خلاف الظاهر (ولو اراكمهم كثيرا)
 على ما كانوا عليه ليجنب عن قتالهم وضمتهم ولتتأخروا في امر القتال فكان يقول بفسك قتالهم وبعض آخر
 يخالفونهم ويقول بفسك تقدم انت في القتال ويتأخروا بنفسه (ولكن الله سميع) اي سلم المؤمنين عن
 القتل والتنازع واختلاف الكلمة واضطراب الامر بلطفه لهم وإحسانه اليهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم انه
 عليهم بذات الصدور اي بما في قلوبكم يعلم انكم لو علمتم كثرة عدوكم لرغبتهم عن القتال (واذا يريكم
 اذا التقيتم في اعينكم قليلا) الكاف والميم كناية عن المؤمنين والهاء والميم كناية عن المشركين اضاف الرؤيا
 في النوم الى النبي ﷺ لأن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا حقا و اضاف رؤية العين اليهم قل الله المشركين في
 أعين المؤمنين ليست بذلك طمعهم فيهم وجرأتهم عليهم وقل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يتأهبوا لقتالهم
 ولا يكثر ثوابهم فيظن بهم المؤمنون وذلك قوله تعالى ويقللهم في أعينهم وقد وردت الرواية عن ابن مسعود قال
 قلت لرجل يجيئ أترامهم سبعين رجلا فقال هم قريب من مائة وقد روي ان ابا جهم كان يقول خلوهم بالأيدي
 أخذوا ولا تقاتلوهم وحق قيل كيف قلهم الله في أعينهم مع رؤيتهم قالوا فالتقول انه يجوز ان يكون ذلك لبعض
 الاسباب المأثمة من الرواية اما بنابر او ما شاكله فتخلوهم بأعينهم قليلا من غير رؤية عن الصحة لجمعهم وذلك
 لطف من اللطاف الله تعالى (ليضي الله امرا كان مفعولا) إنما كرهه سبحانه مع ذكره في الآية الاولى لتكرر
 الفائدة لأنت المعنى في الآية الاولى جمعهم من غير مهاد ليعني الله امرا كان مفعولا من الالتقاء على تلك الصفة
 والمعنى هنا انه قل كل فريق في عين صاحبه ليعني امرا كان مفعولا من اعزاز الدين بجهادكم وقيل اراد بالأول
 الوعد بالضرورة يوم بدر والثاني الاستمرار على النصر وقيل إنما كرر لتأكيد وإنما قال كان مفعولا والمعنى يكون
 مفعولا في المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار مجزلة ما قد كان ملعمه سبحانه انه كائن لا محالة (والله
 ترجم الأمور) مر معناه

قوله تعالى (٤٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّسَّكُمْ

فَقُلُّونَ (٤٦) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا قَسَمُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٧) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ثَلَاثَ آيَاتٍ

﴿ الآفة ﴾

الربيع الدولة قال عبيد بن الأبرص

كما حينك يوم النصف عن شطب
والفضل للقوم من ربيع ومن عدد
أي من عزة ودولة والبطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه البطار لانه شق
الضم بللمضغ والرياء اظهار الجليل ليرى مع ابطان الفصح
— الأعراب —

فقتلوا منصوب بأشار ان على معنى جواب النفي ولذلك عطف عليه وتذهب ويصدون في محل التنبه بالسطف
على قوله بطرا ورياء الناس وهما مصدران وهما موضع الحال والمعنى يبطرون ويراقون ويصدون ولا يجوز أن
يكون عطفا على خرجوا إذ لا يسلط مستقبل على ماض

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه بالقتال والنيابة في الحرب فقال (يأأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة) أي جماعة كالقوة (فانصبوا)
لقتالهم ولا تهزموا وإنما أطلق الفئة لأن من العلوم ان المؤمن لا يقاتل الفئة الكافرة او الباغية فيحذف للايجاز
(واذكروا الله كثيرا) مستعين به على قتالهم ومتوسعين النصر من قبله عليهم وقيل معناه اذكروا ما وعدكم
الله تعالى من النصر على الأعداء في الدنيا والثواب في الآخرة ليدعوك ذلك إلى الثبات في القتال (لعلكم
تفلحون) أي لكي تنجحوا وتنجحوا بالنصر والغفر بعم والثواب عند الله يوم القيامة (وأطيعوا الله ورسوله) فيها
ياسمانكم به (ولا تنازعوا فتشوا) أي لا تنازعوا في لقاء العدو ولا تحتفلوا فيما بينكم فنجبتوا عن عدوكم
وتفشلوا عن قتالهم (وتذهب ريحكم) معناه تذهب صولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتم وقال الأخفش
دولتكم والربيع ما هنا كناية عن فناء الأمر وجريانه على المراد تقول العرب هبّت ربيع فلان إذا جرى امره
على ما يريد وركبت ريعه إذا ادبر أسره وقيل إن المعنى ربيع البصر التي يبشها الله مع من ينصره على من يفتله
عن قتادة وابن زيد ومنه قوله ~~فقتلوا~~ نصرت بالعيا وأهلكك عاد بالدّبر (واصبروا) على قتال الأعداء
(إن الله مع الصابرين) بالنصر والموتة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) أي بطرين يعني قريشا
خرجوا من مكة ليحرموا عيهم فخرجوا معهم بالقيان والمعازف يشربون الخمر ويمزقون عليهم القيان (ورواء الناس)
قيل أنهم كانوا يذبون بعبادة الأصنام فلا اظهروا التقرب بذلك إلى الناس كانوا مرايين وقيل أنهم وردوا بدرا
ليروا الناس أنهم لا يبالون بالمسلمين وفي قلوبهم من الرعب ما فيه قسسى الله سبحانه ذلك رياء (ويصدون عن
سبيل الله) أي ويمنعون غيرهم عن دين الله (والله بما يعملون محيط) أي عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها ولا يخفى
عليه منها شيء

﴿ القصة ﴾

قال ابن عباس لما رأى ابو سفيان انه احزوه أرسل إلى قريش ان ارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع
حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فيقيم بها ثلاثا وتكثر الجزر

ولطم الطمام ونقي الخمور وتعرف علينا التيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون بها يومنا هذا فوالقوما فسقوا كأفوس
الحايا فاحت عليهم التوايح

قوله تعالى (٤٨) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ
وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقِتْمَانُ كَنَصَ عَلَى عَقِيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَكْرَى مَا لَا
تُرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ آيَةٌ

﴿المعنى﴾

(إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) دخلت الواو عطفًا على حال المشركين في خروجهم بطرا ورقاء الناس يعني
وفي وقت تزين الشيطان أعمالهم وقيل انه يعني واذكروا إِذْ زَيْنَ الشَّيْطَانُ للمشركين اعلم اي حسنها في نفوسهم
وذلك أن إبليس حين لقى سمرم إلى بدر لقتال النبي ﷺ (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) اي
لا يظلمكم احد من الناس لكثرة عددكم وقوتكم (واني) اي مع ذلك (جار لكم) اي ناصر لكم ودافع
عنكم السوء وقيل معناه واني عاهد لكم عقد الأمان من عدوكم من قوله ولا ينجس ولا ينجس عليه (فلمَّا تَرَأَتِ
الْقِتْمَانُ) اي التفت القرمتان (كنص على عقيه) أي رجع القهقري منهزمًا وراءه (وقال اني برئ منكم اني
أرى ما لا ترون) أي رجعت عما كنت ضمنت لكم من الأمان والسلامة لأنني أرى من الملائكة الذين
جاءوا النصر للمسلمين ما لا ترون وكان إبليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه (إني أخاف الله) أي أخاف
عقاب الله على أيدي من أراهم (والله شديد العقاب) لا يطلق عقابه وقيل معناه إني أخاف أن يكون قد دخل
الوقت الذي انتظر اليه فإن الملائكة لا يتركون إلا لقيام الساعة أو العقاب وقال قتادة كلب عدو الله ما به
من غافة ولكنه علم انه لا قوة له ولا منعة وذلك عادة عدو الله ان اعطاه حتى إذا انتهى الحق والباطل اسلمهم
وتبرأ منهم وعلى هذا فيكون قوله ارى ما لا ترون معناه اعلم ما لا تملكون وأخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك
واختلف في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان فقيل إن قرشا لما أجمعت المسير ذكرت الذي ينهوا بين يدي
ابن عبد مناف بن كنانة من الحرب وكاد ذلك ان يثبهم فجاء إبليس في جند من الشيطان تقبدي لهم في صورة
سراقه بن مالك بن جشم الكندي المدلبي وكان من اشراف كنانة فقال لم لا غالب لكم اليوم من الناس واني
جار لكم اي منجبر لكم من كنانة كما قال الشاعر

يا ظالمي أني تروم ظلامي
والله لا من كل الحوادث جاري

فلما رأى إبليس الملائكة تزلوا من الساء وعلم انه لا طاقة له بهم تكلم على عقيه عن ابن عباس والسدي
والكلبي وغيرهم وقيل انه لما التقوا كان إبليس في صف للمشركين أغلًا يبد الحارث بن هشام فكلم على عقيه
فقال له الحارث بأسرقة أين تقعد لنا على هذه الحالة فقال له اني أرى ما لا ترون فقال والله ما أرى إلا جاسيس
يثرب تدفع في صدر الحوت وانطلق وانهم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقه فبلغ ذلك سراقه
فقال والله ما شرعت بمسرح حتى بلغت هزيمتهم فقالوا إنك آتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان
ذلك كان الشيطان عن الكلبي ودوي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل ان إبليس لا يجوز
أن يقدر على خلع صورته وليس صورة سراقه ولكن الله تعالى جعل إبليس في صورة سراقه علما للنبي ﷺ
وإنما فعل ذلك لأنه علم انه لو لم يدع المشركين انسان الى قتال للمسلمين فلوهم لا يخرجون عن ديارهم حتى
يقاهاهم للمسلمون فلوهم من بني كنانة فسوره بصورة سراقه حتى تم المراد في إعراز الدين عن الجاني وجماعة وقيل
ان إبليس لم يحضر في صورة الانسان وإنما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة عن الحسن واختاره البخاري والاول هو

للشهور في التفسير ودرأيت في كلام الشيخ المفيد إلى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (رض) انه يجوز ان يقدر الله تعالى الجن ومن جرى مجراهم على أن يجتمعوا ويعتمدوا بعض جواهرهم على بعض حتى يتمكن الناس من رؤيتهم ويشبهوا بينهم من انواع الحيوان لأن اجسامهم من الرقة على ما يمكن ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع الملوا ويفرقه ويغير صور الاجسام الرخوة ضروريا من التغيير واعيانها لم تزد ولم تنقص وقد استغاض الخبير بأن الجبس تراه لأهل دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد وحضر يوم بدر في صورة سراقه وابن جبرئيل (ع) ظهر لأصحاب رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي قال وغير خيال ايضا ان يغير الله تعالى صورهم ويكثفها في بعض الأحوال فيراهم الناس لضرب من الامتناع

قوله تعالى (٤٩) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُمْ آلَاءُ دِينِهِمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَكَّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى الْمَلَائِكَةِ يَبْصُرُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَنْبَارُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتُمْ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

قرأ ابن عباس وحده إذ تنوفى بآمين والياون يتولى بالياء والياء

❦ الحجة ❦

ومن قرأ بالياء للاستناد العمل إلى الملائكة ومن قرأ بالياء فلأن التأنيث غير حقيقي

❦ الإعراب ❦

العامل في إذ يجوز ان يكون الاجزاء والتقدير ذلك إذ يقول ويجوز ان يكون التقدير اذكر إذ يقول وجواب لو محذوف وتقديره لو رأيت منظرا عظيما لو أمرا عجبيا وحذف الجواب هنا اوجز والبلغ فلان ذكره يخفض وجهها واحدا ومسح الحذف الاحتمال لوجوه كثيرة وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب ❦ احدهما ❦ الرفع بكونه غير ذلك ❦ والثاني ❦ النصب ❦ بأن يكون ملصقا بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد يحتمل ان يكون محله نصبا بتقدير وبأن الله اوجز على الخلاف فيه ويحتمل ان يكون محله رفعما بتقدير وذلك ان الله كما تقول ذلك هنا

❦ المعنى ❦

(إذ يقول المنافقون) هذا ينطبق بما قبله معناه واذا زين لهم الشيطان أعمالهم إذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان (والذين في قلوبهم مرض) وهم الناصكون في الإسلام مع اظهارهم كله الإيمان وقيل انهم نفاق من قريش اسلموا بمكة واحببهم آلهم فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم قيس بن الوليد بن النخيلة وعلي بن امية بن خلف والسام بن مته بن الحجاج والحارث بن زمة وابو قيس بن النخيلة بن النخيلة لا رأوا قلة المسلمين قالوا (غر هؤلاء دينهم) أسبغ غر المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قلتهم لأجل دينهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا النظر لأنهم حين اعتزلوا يقول رسولهم فيين الله تعالى انهم هم المزدورون بقوله (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم) معناه ومن يسلم لأمر الله ويقبض به ويرضه وإن قل عددهم فإن الله تعالى ينصرهم على اعدائهم وهو عزيز لا يفلب فكذلك لا ينقلب من توكل عليه وهو حكيم يضع الامور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة (ولو ترى) يا محمد (إذ يتوكل

الذين كفروا باللائكة) أي يقبضون ارواحهم عند الموت (يضيرون وجوههم وأديارهم) يريد استئثارهم ولكن الله سبحانه كفى عنها عن سيد بن جبير ومجاهد وقيل وجوههم أقبل منهم وأديارهم أديو منهم والمراد يضيرون بأديارهم من قدامهم ومن خلفهم والمراد به قتل بدر عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير واكثر المفسرين وقيل معناه يسيرون باللائكة عند الموت قال الزماني وهذا غلط لانه خلاف الظاهر وروى الحسن قال ابن رجلا قال يا رسول الله إني رأيت يظهر أبي جهل مثل الشراك فقال ^{عنه} ذلك ضرب اللائكة وروى مجاهد أن رجلا قال النبي ^{صلى الله عليه وسلم} إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندد فقال سبقك إليه اللائكة (وذوقوا عذاب الحريق) أي ويقول اللائكة للكفار استخفافا بهم ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة وقيل انه كان مع اللائكة يوم بدر مقامع من حديد كما ضربوا للمشركين بها التثبيت النار في جراحاتهم فذلك قوله وذوقوا عذاب الحريق (ذلك) أي ذلك العقاب لكم (بما قدمت أيديكم) أي بما قدمت وقلمتم وإنما اضاف إلى اليد على التغليب لأن اكثرا الأفعال تكون باليد والمراد بذلك ينجبايتكم الكفر والمعاصي (وإن الله ليس بظالم للعبيد) أي لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث انه إنما عقابهم بجناباتهم على قدر استحقاقهم وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذنب المجبرة في انه يخلق الكفر ثم يمتد عليه وانه يجوز أن يمتد من غير ذنب وان يأخذ بذنب غيره لأن هذا غاية الظلم وقد بالغ عز اسمه في تقي الظلم عن نفسه بقوله ليس بظالم للعبيد

قوله تعالى (٥٢) كَذَابُ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَكْ مُبِرًا نِعْمَةً أَنْعَمَّا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٤) كَذَابُ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ثلاث آيات

الله

الدأب العادة والطريقة يقال ما زال ذلك دأبه ودينه ودينه قال الزجاج الدأب ادملة الفعل دأب بدأب في كذا إذا دام عليه وهو دأب يفعل كذا أي يجري فيه على عادة قال خلدش بن زهير وما زال ذلك الدأب حتى تخافلت والتغير تغيير الشيء على خلاف ما كان بما لا شوهد لشوهد على خلاف ما كان

الإعراب

كذاب . الكلف في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ كما يقول زيد خلقت فموضع خلقت رفع بأنه خبر المبتدأ ولفظه نصب بالاستقرار وتقديره ذابهم كذاب آل فرعون . لم يك أصله يكون فحذفت الواو الجزم ثم حذفت النون استخفافا لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف اخلال للمعنى لأن كان ويكون أم الاتصال ألا ترى أن كل غلط فيه معناه لا تلك إذا قلت ضرب فمعناه كان ضرب ويضرب معناه يكون يضرب فلما قويت بأنها أم الاتصال وكثر استعمالها اجتمعت الحذف ولم يحتمل بظواهرها ذلك مثل لم يمن

المنى

ثم بين سبحانه أن حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم فقال (كذاب آل فرعون) أي عادة هؤلاء المشركين في الكفر بمحمد ^{صلى الله عليه وسلم} كمادة آل فرعون (والذين من قبلهم) في الكفر بالرسول وما أنزل إليهم وقيل معناه بقوة الله تعالى هؤلاء الكفار كبقوة لآل فرعون وآل فرعون أتباعه والفرق بين آل

فرعون وأصحاب فرعون أن الأصحاب مأخوذ من الصحة وكثر في الموافقة في المنهج كما يقال أصحاب الشافعي وإبي حنيفة يراد به الموافقة في المنهج ولا يقال آل الشافعي إلا لمن يرجعون إليه بالنسب والأوكد الأقرب) كفروا بآيات الله) كما كثر هؤلاء (أغضبهم الله) أي فاقبهم الله (بذنوبهم إن الله قوي) أي قادر لا يقدر أحد على منعه عن إحلال العقاب بما يريد (شديد العقاب) لأن استحققه ولا يوصف الله سبحانه بأنه شديد لأن الشديدي هو المتدخل على صفة تفككه وإنما وصف العقاب بالشدة دون نفسه وشبه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله بحال آل فرعون لأن تمجيد العقاب هؤلاء بالإهلاك كتمجيد لاولئك بسلاب الاستئصال (ذلك) أي ذلك الأخذ والعقاب لهم (بأن الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يشكروا ما أنعموا به) أي يشكروا ما أنعموا به لا يشكروا نعمة انعمها على قوم حتى يشكروا هم من أحوالهم المرحية إلى أحوال لا يعجز لهم أن يشكروا بها (وهو أن يستبدلوا المصيبة بالطاعة وكفران النعمة بشكرها وقد سلب الله تعالى النعمة على وجه المصلحة لا على وجه العقاب استعانة لمصلحة يعلمها في ذلك ولكن لا يسلبها فضل النعمة على وجه العقاب إلا بمن استحق العقاب قال السدي النعمة التي انعمها الله عليهم محمد ﷺ انعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوا فنفله إلى الانصار (وأن الله سميع) لأقولهم (عليهم) بضائرهم وبكل شيء (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي كذابهم وطريقتهم في التكذيب بآيات الله عادة هؤلاء (كذبوا بآيات ربهم) أي يحصيه ويثانته (فأهلكناهم بذنوبهم) أي استأصلناهم (واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) أي كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لأنهم قسم فلم نأخذ فريقاً منهم إلا عن استحقاق وإنما كرر قوله كذاب آل فرعون لأنه أراد بالاول بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا وقيل انزل في الاول تشبيه حالهم بآيات الله في التكذيب وفي الثاني تشبيه حالهم بآياتهم في الاستئصال وقيل ان الاول في اغضبهم بالعذاب والثاني في كيفية العذاب وقيل إن آل فرعون كانوا على اسوال مختلفة في المصيبة فيين مشاركة هؤلاء أيامهم في تلك الأحوال

قوله تعالى (٥٥) إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون (٥٦) الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون آيات

الإعراب

فهم لا يؤمنون الفاء المطلقة على جملة وهو في الصلة كأنه قال كفروا مصممين على الكفر فهم لا يؤمنون وإغماض عطف جملة اسمية على جملة فعلية لما فيها من التأكيد إلى معنى الحال وذلك ان صباهم في الكفر وأمرهم عليه أدى إلى الحال في أنهم لا يؤمنون وقوله ثم ينقضون عطف للمستقبل على الماضي لأن الفرض ان من شأنهم نقض العهد مرة بعد مرة في مستقبل أوقاتهم بعد العهد اليهم

المعنى

ثم ذم سبحانه الكفار فقال (إن شر الدواب عند الله) أي شر من يدب على وجه الأرض فيعلم الله أو في حكم الله (الذين كفروا) واستمروا على كفرهم (فهم لا يؤمنون) هذا اختيار عن قوم من المشركين أنهم لا يؤمنون بأبدانخرج للخير على وفق الخبر فأنشأ مشركين ثم وصفهم الله فقال (الذين عاهدت منهم) أي من جملتهم والضيم المائد إلى الذين محذوف أي الذين عاهدت منهم أي من المشركين وقيل ان من مزيدة وإغماضت لأن معنى عاهدت أخذت العهد منهم وكما قال ردف لكم لأن معنى ردف قرب فعمل بما يعمل به وقيل معناه عاهدت معهم قال مجاهد أراد به يهود بني قريظة فلزمهم كانوا قد عاهدوا النبي ﷺ أن لا يضرروا به ولا يأتوا عليه عدواً ثم أأاعليه الأحزاب يوم الخندق وأعانوهم عليه بالسلاح وعاهدوا مرة بعد أخرى فنقضوا

فَاتَّقِ اللَّهَ مِنْهُمْ (ثم يتفقون عليهم في كل مرة) أي كلما عاهدتهم بقضوا العهد ولم يفوا به (وهم لا يتقون) تقض
العهد وقيل لا يتقون عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٥٧) فَلَا مَأْتَقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّ دِيْهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَهُمْ يَدٌ كَرُوبٌ
(٥٨) وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَإِنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ أَبَان

❦ الآية ❦

التقف الغفر والادراك بسرعة والتشريد التريق على اضطراب والغيانة تقض العهد فيما أوفين عليه والتبداء
الغير إلى من لا يطمعه والسواء العدل قال الرازي

فأضرب وجوه القرد الأعداء حتى يجيبوك إلى السواء
أي إلى العدل ومنه قيل للوسط سواء لاعتداله إلى الجهات قال حسان
يا وريح أنضار النبي ورهطه بعد الغيب في سواء الملحد
أي في وسطه وقيل عني بقوله على سواء على استواء في العلم به

❦ الإعراب ❦

أما تتقن وأما تخافن دخلت نون التأكيد لما دخلت ما ولو لم يدخل ما لما حسن دخول النون لأن دخول ما
كدخول القسم في أنه علامة تؤذن أنه من مواضع تأكيد المطلوب من التصديق لأن النون يدخل لتأكيد
المطلوب فيما يدل على الطلب وهي في ستة مواضع النهي والأمر والاستنهام والعرض والقسم والجزاء مع ما

❦ المعنى ❦

ثم حكم سبحانه في هؤلاء المنافقين اليهود فقال لنبيه ﷺ (فلما يتقنهم في الحرب) مناه فلما تصادفهم
في الحرب أي إن غلظت بهم وادركتهم (فشرد بهم من خلفهم) أي فتكل بهم تشكيلا وأثر فيهم تأثرا يشرد
بهم من بينهم ويطردهم ويهجمهم من تقض العهد بأن ينظروا فيهم فيحذروا بهم فلا يتقضوا العهد ويشترقوا في
البلاد مخافة أن تعاملهم يتكلى ما عاهدتهم به وإن يكمل بهم ما مل بهم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقطادة وسعيد
ابن جبير والسدي وقال الزجاج معناه اقبل بهم فعلا من القتل فترق بهم من خلفهم وقيل إن معنى شردهم سجع
بهم بلغة قريش قال الشاعر

أطوف في النواطع كل يوم مخافة أن يشرد بي حكيم

(لهم يذكرون) أي لكي يشدكروا ويخطوا ويتجزوا عن مثل ذلك (وأما تخافن من قوم خيانة) مناه
وإن خفت يا محمد من قوم يبتغي عهد خيافة فيه لأن الخيانة إنما تكون بعد تقدم العهد ولم يظهر منهم تقض
العهد بعد (فإنذ إليهم على سواء) أي فالحق إليهم ما بينك وبينهم من العهد وأعلمهم بأنك قد تقضت ما شرطت
لهم لتكون أنت وهم في العلم بالتقض على استواء ولتبدأم بالقتال من قبل أن تعلمهم تقض العهد حتى لا ينسبك
لولى اللذذ بهم فهذا معنى قوله على سواء وقيل معنى قوله على سواء على عدل أي إن كان بينك وبينهم عهد بغير
مال فأعلمهم بأنك قد تقضت عهدهم وإن كان العهد على مال فإفرد المال عليهم ثم اتقض العهد (لأن الله لا يحب
الخائنين) أي يقضهم بمنافلا تخضع بأن تبدأم بالقتال من غير إعلامهم تقض العهد قال الواقي هذه الآية نزلت
في بني قينقاع وبهذه الآية سار النبي ﷺ إليهم

استطعتهم من قوته ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لآسلموهم
الله يعلمهم وما تغفلوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (٦١) وإن جنحوا
السلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وأبو جعفر وحزمه وحفص ولا يحسنون بالياء والياقون بالتاء وقرأ ابن عامر انهم لا يمحزون بالفتح
والياقون انهم بالكسر وقرأ رويس عن يعقوب ترهبون بالتشديد والياقون ترهبون بالتخفيف وقرأ أبو بكر السلم
بكسر السين والياقون بفتح السين

﴿ الحجة ﴾

من قرأ لا تحسبن بالتاء فالذين كفروا المفعول الأول وسبقوا جملة في موضع نصب بكونها المفعول الثاني
ومن قرأ يحسنن بالياء فلا يخلو من أن يكون جعل الذين كفروا الفاعل وهذا لا يجوز لأن يحسنن لا بد له من
مفعولين ولكنه محمول على أحد ثلاثة أشياء إما أن يكون فاعله التي ~~تقديره~~ وتقديره ولا يحسنن التي ~~تقديره~~
الذين كفروا سيقوا وإما أن يكون تقديره على حذف إن كأنه قال لا يحسنن الذين كفروا ان سيقوا
فصحت أن كان حذفها في تأويل سيقوه في قوله أفتر الله تأمروني أعبد كأنه قال أفتر عبادته تأمروني قال
الرجاج ويقوي هذا الوجه أنها في حرف ابن مسعود انهم سيقوا وإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك حيث أن
أمر وحسب قولهم على حذف إن وأوجهه على هذا فقد صد أن سيقوا سيقوا المفعولين كان قوله ألم حسب الناس أن يتركوا الله
يقولوا أما كذلك وإما أن يكون أضمر المفعول الأول وتقديره ولا يحسنن الذين كفروا انهم سيقوا وإياهم
سيقوا ومن قرأ انهم لا يمحزون وبكسر الألف يكون على الاستئناف كأن قوله ساء ما يمكن منقطع من
الجملة التي قبلها التي هي أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ومن قرأ انهم لا يمحزون جملة متعلق بالجملة
الأولى وتقديره لا تحسبنهم سيقوا لأنهم لا يفوتون ومن قرأ ترهبون فلان رهب يرهب رغبة يعدي تارة بالهمز
وتارة بالتشديد يقال رغبته وارهبه وأما السلم والسلم فليتان ومساهما الصلح

﴿ القصة ﴾

السبق تقدم الشيء على طالب الحق به والاعزاز إيجاد ما يحجز عنه والمعجز معنى جدد إلى على الجبابرة واليه
القسم البلخي وليس معنى عند أبي حاشم واصحابه بل هو عدم القدرة وذهب إليه المرتضى والاعداد انحاء الشيء
لغيره ما يحتاج إليه في امره والاستطاعة معنى يتطاع بها الجوارح الفصل مع افتتاح الميم والرباط شد اسير من المقد
بقالسطه يربطه ربطا واربطة برباطة ورباطا والارهاب لزجاج النفس بالخوف والجروح الميل وبه جاح الطائر
لأنه يميل به في أحد شقيه ولا جناح عليه أي لا ميل إلى مآثم

﴿ الأعراب ﴾

لا يمحزون فتح اللون هو القراءة ويجوز كسرهما على معنى لا يمحزونني ويحذف اللون الأول لا اجتماع
الوتين كما قال الشاعر

تراه كالشام يمل مسكا يسوء للثاليات إذا فليان
يريد فليتي وآخرين من دونهم منصوب على تقدير وترهبون آخرين ويجوز أن يكون على تقدير وأعدوا لهم

ولآخرين فيكون مجروراً عطفاً على الماء والميم

— المعنى —

لما تقدم الأمر بقتال الكفار عقبه سبحانه بوعده النصر والأمر بالإعداد لقتالهم فقال (ولا تحسبن الذين كفروا) معناه (ولا تحسبن بأنهم أعداءكم) الكافرين قد سبقوا أمر الله وأعرضوه وأهم قد فاتكم فإن الله سبحانه يظهر لكم كما وعدكم ويظهر لكم عليهم والوقت يمشي واحد وقيل معناه (لا تحسبن من أظلمت من هذه الحرب أنه قد سبق إلى الهزيمة) والخطاب الرسول ﷺ والمراد به غيره وقيل الله إنما قاله تطبيقاً لقلبه في المارين كما طيب قلبه في المقتولين والمأسورين وعلى القراءة بالياء فاليمين لا يحسبن الكافرون أقسم سابقين أو لا يحسبن الكافرون أنهم سابقون (أنهم لا يمجزون) أي لا يمجزون الله ولا يغتونه حتى لا يمشي الله يوم القيامة عن الحسن وقيل معناه لا يمجزونك عن الجاني (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) هذا أمر منه سبحانه بأن يمدوا بالسلح قبل إلقاء العدو ومعناه وأعدوا المشركين ما قدرتم عليه بما يتقوى به على القتال من الرجال والألح الحرب وروى عتبة بن عامر عن النبي ﷺ أن القوة الربى وعلى هذا فيكون معناه أنه من القوة وقيل إن القوة اتفاق الكلمة واللفظ بالله تعالى والرفية في ثوابه وقيل القوة الحصون عن عكرمة (ومن رباط الخيل) أي ومن ربطها وقاتلها لغزو وهي من أقوى عدد الجهاد وروى عن النبي ﷺ أنه قال ادربوا الخيل فإن ظهرها لكم عز واجرها كثر وقيل إن القوة ذكرها الخيل والرباط الأمل منها عن الحسن وعكرمة (ترهبون به) أي تخفون بما تبعه لهم (عدو الله وعدوكم) يعني مشركي مكة وكفار العرب (آخرين من دينهم) أي وترهبون كفاراً آخرين دون هؤلاء واختلوا في الآخرين قليل أنهم يترقبون عن مجاهد وقيل م أهل فارس عن السدي وقيل م الله اتفقوا لا يميل المسلمون أنهم أعداءهم أعداءهم عن الحسن وابن زبدة (لا تعلمونهم) معناه لا تعرفونهم لأنهم يصلون ويصومون ويقولون لا إله إلا الله الله محمد رسول الله ويتخلطون بالمؤمنين (الله يعلمهم) أي يعرفهم لأنه المطلع على الأسرار وقيل هم الجن وهو اختيار الطبري قال (لأن الأعداء دخل فيه جميع المظالمين بالعصاة فزببق إلا من لا يشاهد) وما تنفخوا من شيء في سبيل الله (أي في الجهاد وفي طاعة الله) (يوف اليكم) أي يوفى بوعدهم ثوابه في الآخرة (وأنتم لا تعلمون) أي لا تفقهون شيئاً منه (وإن جنحوا للسلم) أي مالوا إلى الصلح وترك الحرب (فاجنبها) أي سئل إليها وأقبلها منهم وإنما أنت لأن السلم بمعنى المسئلة (وتوكل على الله) أي احرص بترك إلهك (إنه هو السميع العليم) لا تخفي عليه خافية وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله اجعلوا للمشركين سميت وجدقوم وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية عن الحسن وقوله أنها ليست بمنسوخة لأنها في الرواية لأهل الكتاب والأخرى لبياد الأوثان وهذا هو الصحيح لأن قوله قاتلوا المشركين الآية لا ينافي الأخرى زلتا في سنة تسع في سورة براءة وصالح رسول الله ﷺ وقد نجران بعدها

قوله تعالى (٦٢) وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْصُرُهُ
وَالْمُؤْمِنِينَ (٦٣) وَأَلَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَتَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَتَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ
اللَّهَ أَلَتْ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ آيَةٌ بَصْرِيَّةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ الْبَابِ

❖ آية ❖

المدح والخديعة لغلط المحيرون في الأمر مع إبطال المكروه والتأييد التي يمكن من العمل على أتم ما يصح فيه والأيد القوة والتأييد الجمع على تشاكل واختلاف في التأليف فائتبه بعضهم حتى ونفاه بعضهم والصحيح أنه معنى يجل عجلين ولا يحصل من قلنا إلا قوله

— المعنى —

ثم خاطب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال (وإن يريدوا أن يخدعوك) معناه وإن يريد السدين بطلبون منك الصلح إن يخدعوك في الصلح بأن يقصدوا بالناس الصلح دفع أصحابك والكف عن القتال حتى يقولوا فيبدأوك بالقتال من غير استعداد منك (فإن حسبك الله) أي فإن الذي يتولى كفارتك الله (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) أي هو الذي قواك بالنصر من عنده وأيدك بالمؤمنين الذين ينصرونك على أعدائك (وألف بين قلوبهم) وأراد بالمؤمنين الأنصار وهم الأوس والخزرج عن أبي جعفر (ع) والسدي وأكثر المفسرين وأراد بأليف القلوب إما كان بين الأوس والخزرج من المعادة والقتال فإنه لم يكن حياناً من العرب ينصرونهم من المدونة مثل ما كان بين هذين الحيين فألف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوادرين متحابين ببركة نبينا ﷺ وقيل أراد كل متحابين في الله عن مجاهد (لو اتفقت ما بيني الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) أسية لم يمكنك جمع قلوبهم على الألفة وإزالة خفايا الجاهلية (ولكن الله ألف بينهم) بأن لطف لهم بحسن تدبيره وبالإسلام الذي هداهم إليه (إله عزيز حكيم) لا يتبع عليه شيء يريد فعله ولا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة قال الزجاج وهذا من الآيات العظام وذلك أن النبي ﷺ بث إلى قوم اقتهم شديدة بحيث لو لم ير رجل من قبيلة لطمه قاتل عته قتيله فألف الإرعان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل إياه وإخاه وأخاه فاعلم الله سبحانه أن هذا ما تولاه منهم إلا هو قوله تعالى (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٥) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَسَىٰ أَنْ يَكُنْ فِيكُمْ صُفْعًا فَإِنْ يَكُنْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ وَيُؤْذِنَ اللَّهُ لَهُمُ اللَّهُمَّ وَأَهُمُ مَعَ الصَّابِرِينَ ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

إن يكن منكم مائة بآية فيها كوفي والأول بالثاء بصري صمغاً بفتح الصاد كوفي الا الكسائي والباقر بن يضم الصاد ولكنهم مكثوا العين الا ابا جعفر فإنه قرأ ضمناً على وزن قفلا

❦ الحجة ❦

من قرأ بآية أراد به المذكور بذلك على ذلك قوله تعالى يغلبوا وقرأ أبو عمرو وإن تكن منكم مائة صابرة بالثاء كما كانت مائة وهي قوله صابرة كذلك أنت الفصل ومن قرأ الجيم بالثاء يحمله على اللفظ فاللفظ موثوث والضمف والضمف لثان كالقتر والقتر

❦ الفنة ❦

الإنصاف والوفاء الداعي فيما يدعو إليه من أجل دعائه والتحريض والحض والحث بمعنى وهو الترغيب في الفعل بما يثبت على المبادرة إليه وضده التثني والصبر حبس النفس عما تنازع إليه من ضد ما ينبغي أن يكون عليه وضده الخرج قال

فإن تصبروا فالصبر خير منية وإن تجزعوا فالأمر ما تروان

والتعنيف رفع المشقة والخفة تخفيف الثقل والخفة والسهولة بمعنى والضمف نقصان القوة وهو من الضعف لأنه ذهب ضعف القوة

* الاعراب *

موضع من ابتكك رفع على معنى حبك الله وتباعك من المؤمنين ويحتمل أن يكون نصبا بمعنى ويكني من ابتكك على التأويل لأن الكاف في حبك في موضع جر بالإضافة لكنه مفعول به في المعنى فمطغ على المعنى ومثله قوله تعالى انا منجوك وأهلك وقال الشاعر

إذا كانت الهجاء وانشقت للعصا فحبك والضحاك سيف مهند

الآن مبني مع الألف واللام لأنه خرج عن التمكن بشبه الحرف قال الزجاج عشرون لا يجوز إلا بكسر العين وزعم أهل اللغة أنه كسر أوله كما كسر أول اثنين لأن عشرين من عشرة مثل اثنين من واحد ويدل عليه قسّم ثلاثين كقصّ ثلاثة وكسّم مسمين ككسّم تسعة

* المعنى *

ثم أمر سبحانه بقتال الكفار وحث عليه بقوله (يا أيها النبي حبك الله ومن ابتكك من المؤمنين) أي كالتيك الله ويكنيك شيعوك من المؤمنين وقال الحسن ممتا الله حبك وحسب من ابتكك من المؤمنين أي يكنيك ويكنيهم قال الكلي زلت هذه الآية باليهاء في غزوة بدر قبل القتال (يا أيها النبي حرّض المؤمنين) أي أبعث المؤمنين (على القتال) ورضيهم فيه بناسر أسباب التحريض والترغيب من ذكر الثواب الموعود على القتال ويأمن ما وعد الله لهم من النصر والظفر واختتام الأموال (إن يكن منكم عشرون صابرون) على القتال (يظلبوا مأثمين) من العدو (وإن يكن منكم مائة يغلبوا الفأ من الذين كفروا) واللفظ لفظ الجبر والبراه به الأمر ويدل على ذلك قوله فيما بعد الآن خفف الله عنهم لأن التخفيف لا يكون إلا بعد التكليف (بأنهم قوم لا يفقهون) معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار واخذلان للكفار بأنكم تفقهون أمر الله تعالى وتصدقونه فيما وعدكم من الثواب فيدعوكم ذلك إلى الصبر على القتال والجدي فيه والكفار لا يفقهون أمر الله تعالى ولا يصدقونه فيما وعدكم من الثواب ولما علم الله تعالى أن ذلك يشق عليهم تغيرت المصلحة في ذلك فقال (الآن خفف الله عنهم) الحكيم في الجهاد من وجوب قتال المشرك على الواحد وثبات الواحد للعشرة (وعلم أن فيكم ضعفا) أراد به ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن فإن الذين أسلموا في الاجتهاد لم يكونوا كعلم اقوياء البدن بل كان فيهم القوي والضعيف ولكن كانوا أقوياء البصيرة واليقين ولما كثرت المسلمين واختلط بهم من كان أضعف بقلبا وبصيرة نزل الآن خفف الله عنهم (فإن يكن منكم مائة صابرة) على القتال (يظلبوا مأثمين) من العدو (وإن يكن منكم ألف) صابرة (يظلبوا الفين) نعم (يؤذن الله) أي يعلم الله وقيل بأمره فأمر الله تعالى الواحد بأن يثبت لاثنتين وقضن النصرة له عليهما ولما لم يفصل ولم يأمر من كان قوي البصيرة بأن يثبت لعشرة ومن كان ضعيف البصيرة بأن يثبت لاثنتين لأنهم كانوا يشهدون القتال مختلطين فكان لا يمكن التمييز بينهم ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه أبحاثهم وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم (والله مع الصابرين) أي معونة الله مع الصابرين ومعناه والله مع الصابرين وقيل أن هذه الآية نزلت بعد الآية الأولى بمدة وإن قرن بينهما في المصنف وهي ناسخة للأولى والمعتبر في النسخ والتسوخ بالتزول دون التلاوة وقال الحسن إن التخليط كان على أهل بدر ثم جاءت الرخصة

قوله تعالى (٦٧) مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِرَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٨) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ

فَمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٩) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
عِقَابِهِ ثَلَاثُ آيَاتٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ان تكون له بالباء اسارى وقرأ اهل الكوفة ان تكون له بالباء اسرى والباقر ان يكون له بالياء اسرى

— الحجة —

من قرأ بالباء فلأن الجمع مؤنث ومن قرأ بالياء فلأنهم مذكرون في المعنى وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل قال ابو علي والأسرى ايس من الأسارى لأن اسير الفاعل بمعنى مقبول وذلك يجمع على فعل نحو جريح وجرحى وقيل وقيل واستمر هذا الجمع في الباب وكثر حتى شبه به غيره مما ليس منه ولكن لموافقة مثل مرضى وهلكى وموتى وذلك ان هذه أمور اضلوا بها وادخلوا فيها وهم لما كانوا من فصار لذلك شبهة في قول الخليل وإنما قالوا أسارى على التشبيه بكسالى كما قالوا كسلى على التشبيه بأسرى وقال الأزهري الأسارى جمع الأسرى فهو جمع الجمع

﴿ القصة ﴾

الأسر الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الآخذ له وفلان بأسور أي مشدود وكانوا يشدون للأسير بالقد والبرغمان في الأرض تظليل الحال بكثرة القتل والخن والتلظ والكثافة نظائر وقد انخسه المرض إذا اشتد قوته عليه وانخسه الجراح والعرض مناع الدنيا ساء عرضا لقله لبسه والفرق بين اغلال والمباح ان الاغلال من حل العقد في الصرح والمباح من التوسعة في النمل وإن اجتمعا في الحل والطلب المسئلة وشبهه الحلال به فسي طيبا والقلة قيل للشمس

﴿ الاعراب ﴾

الاء في فكلوا دخلت للجزاء المعنى لقد أحللت لكم الغنم فكلوا وحلالا طيبا منصوب على الحال

﴿ المعنى ﴾

(ما كان لبي) أي ليس له ولا في عهد الله إليه (ان يكون له اسرى) من المشركين لينذريهم أو يمن عليهم (حتى يرضى في الأرض) أي حتى يبالغ في قتل المشركين ويهزم ليدفع عنهم من وراءهم وقال ابو مسلم الإشتان الطلبة على البلدان والتذليل لأهلها يعني حتى يتمسك في الأرض (تريدون عرض الدنيا) هذا خطاب لمن دون النبي ﷺ من المؤمنين الذين رغبوا في اخذ الفداء من الاسرى في أول وقتهم ورغبوا في الحرب للفتنة قال الحسن وابن عباس يريد يوم بدر يقول اخذتم الفداء من الاسرى في أول وقتهم كانت لكم من قبل ان تنفخوا في الأرض وعرض الدنيا مال الدنيا لانه يمرض الزوال (والله يريد الآخرة) أي تريدون عاجل الخلف من عرض الدنيا والله يريد لكم ثواب الآخرة (والله عزيز) لا يظلم الفاسق فاعلموا ما يريد منكم لينصرفكم (حكيم) يجري اماله على ما توجيه الحكمة فصل سبحانه بين ارادة نفسه و ارادة عباده ولو كان ما اراده على ما قاله المجرة لم يصح هذا التفصيل (لولا كتاب من الله سبق لمسك فيما اخذتم عذاب عظيم) قيل في مناهة أقوال ﷺ أحدها ﷺ لولا ما مضى من حكم الله ان لا يذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون وأنه لم يبين لهم ان لا تأخذوا الفداء لعنكم بأخذ الفداء عن ابن جريج ﷺ وثابته ﷺ لولا ان الله حكم لكم بإباحة الفداء والغنم في يوم الكتاب وهو اليوم المحفوظ لمسك فيما استحلتم قبل الإباحة عذاب عظيم فإن

الفتائم لم تقل لأحد قبلكم عن ابن عباس رضي الله عنهما لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن لآستم به واستوجبتم بالإيمان به القرآن لسكن المذاب عن الجاني قالوا المراد به الصفائر رضي الله عنهما ورايها رضي الله عنهما ان الكتاب الذي سبق قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم والمحق لولا ما كتب الله في القرآن اوفي الوحي المحفوظ انه لا يعذبكم والنبى بين اظهركم لعذابيكم (فكلوا ما غنتم حلالا طيبا) هذه اباحة منه سبحانه للمؤمنين ان يأكلوا ما غنموه من اموال المشركين (واتقوا الله) باتقاء معاصيه (ان الله غفور رحيم)

القصة

كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين قتل منهم علي بن ابي طالب عليه السلام سبعة وعشرين وكان الاسرى ايضا سبعين ولم يؤسر احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنجحوا الاسارى وقرنوم في الجبال وساقوم على اقدامهم وقتل من اصحاب رسول الله تسعة رجال منهم سعد بن خيشمة وكان من الفداء من الأوس وعن محمد بن اسحاق قال استشهد من المسلمين يوم بدر احد عشر رجلا اربعة من قريش وسبعة من الانصار وقتل ثمانية وثلثون من المشركين بضعة واربعون رجلا وعن ابن عباس قال لما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر والناس عجبسون بالوفائق بات ساهرا اول الليلة قال له اصحابه ما لك لا تنام قال صلى الله عليه وسلم سمعت نبي عمي العباس عليه السلام في وثاقه فاطلقوه فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عبيدة السلماني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لأصحابه يوم بدر في الاسارى ان شتم قتلهم وان شتم قتلهم واستشهد منهم بدمهم وكانت الاسارى سبعين قتالوا بل فآخذ الفداء فاستمتع به وتقوى به على عدونا وليستشهد منا بدمهم قال عبيدة طلبوا الخيل فقتل منهم يوم احد سبعون وفي كتاب علي بن ابراهيم لما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط خاف الانصار ان يقتل الاسارى قالوا يا رسول الله قتلنا سبعين وم قومك واسمرك اقبل اصلمهم فخذ يا رسول الله منهم الفداء وقد كانوا اخذوا ما وجدوه من الفنائم في عسكر قريش فلما طلبوا اليه وسأله نزلت الآية ما كان لنبي ان يكون له اسرى الايات فاطلق لهم ذلك وكان اكثر الفداء اربعة آلاف درهم واقبل الف درهم فبعت قريش بالفداء اولا فاولا فبعت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من فداء زوجها ابي العاص بن الربيع وبعت فلان لما كانت خديجة جريزتها وكاتب ابو العاص ابن اخت خديجة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الفلانة قال رحم الله خديجة هذه فلاندهي جريزتها بما فاطمته رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط ان يبعث اليه زينب ولا ينما من الحق به فاعده على ذلك ووفى له وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كره اخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه قال يا رسول الله هذا اول حرب لقينا فيه المشركين والافغان في القتل احب الي من استبقه الرجال وقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم واضرب اعناقهم ومكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان اضرب عنقه فلان هؤلاء أئمة الكفر وقال ابو بكر اهلك وقومك استأبهم واستبقهم وخذ منهم فدية فيكون لنا قوة على الكفار قال ابن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نبأ متكم خير عمر وسعد بن معاذ وقال ابو جعفر الباقر (ع) كان الفداء يوم بدر لكل رجل من المشركين بأربعين اوقية والأوقية اربعون مثقالا إلا العباس فان فداءه كان مائة اوقية وكان اخذ منه حين اسر عشرون اوقية ذهابا قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك غنيمة ففاد نفسك وابني اخيك نولوا وغنموا قتال ليس

معي شيء فقال ابن الزهبي الذي سلمته إلى أم الفضل وقلت لمن حدث بي حدث فهو لك والفضل وعبد الله وقثم فقال من اخبرك هذا قال الله تعالى قال شاهدك رسول الله والله ما اطعم على هذا احد الا الله تعالى قوله تعالى (٧٠) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّهُمْ لِيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرٌ أَمْ يُؤْنِسُكُمْ خَيْرًا مِمَّا آخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧١) وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آياتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابو عمرو من الاسارى والباقيون من الاسرى وقد ذكرنا الفرق بين الاسرى والاسارى فيما قبل

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله سبحانه نبيه فقال (يا ايها النبي قل لمن في ايديكم) من الاسارى إنما ذكر الايدي لأن من كان في وثاقهم فهو بمنزلة من يكون في ايديهم لاستيلائهم عليه (من الاسرى) يعني اسراء بدر الذين اخذ منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) اي اسلاما واخلاصا او رغبة في الإيمان وصحة نية (يؤنسكم خيرا) اي يطعمكم خيرا (ما اخذ منكم) من الفداء اما في الدنيا والآخرة واما في الآخرة (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور) للذنوب (رحيم) روي عن العباس بن عبد المطلب انه قال نزلت هذه الآية في وفي اصحابي لأن ممي عشرون اوقية ذهباً فاختفت مني فأعطاني الله مائة عشرين عبداً كل منهم يضرب بجال كبير وادناه يضرب بششرين الف درهم مكان العشرين اوقية واصطاني زمزم وما احب ان لي بما جميع اموال اهل مكة وأنا انتظر المنقر من ربي قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا وقد نوضاً لصلاة الظهر فاصلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ويشتري فأخذ فكان العباس يقول هذا خير ما اخذ منا وأرجو المغفرة (وإن يريدوا خيانتك) مناه وان يرد الذين اطلقهم من الاسارى خيانتك بأن يسلوا حرباً لك او ينصروا عدوا عليك (قد خانوا الله من قبل) بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل بأن اشر كوا بالله واضافوا اليه ما لا يليق به (فأمكن منهم) اي فأسكنك منهم يوم بدر بأن غلبوا واسروا وسيمكنك منهم ثانياً ان خاتوك (والله عليم حكيم) مناه عليهم بما يقولونه وبما في نفوسهم ويجسج الاشياء حكيم فيما يفعله

قوله تعالى (٧٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانصَرَوْا وَلَيْكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَإِنَّا لَنَنْصُرُكُمْ فِي الَّذِينَ قَاتَلْتُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ بَنِيكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة ولا ينهم بكسر الواو وهو قراءة الاعشى ويحيى بن وثاب والباقيون ولا ينهم بفتح الواو

﴿الحجة﴾

قال الزجاج من قرأ بالفتح فلان الولاية من النصرة والنسب بفتح الواو والولاية التي بمنزلة الامارة مكسورة
لفصل بين المؤمنين وقديموز كسر الواو ولأن في تولي بعض القوم بعضاً حبساً من الصناعة والعمل وكل
ما كان من جنس الصناعة فكسور نحو الخطاطة والصباغة وقال ابو عبيدة وابو الحسن من ولايتهم مصدر المولي
وأما في السلطان فالولاية بكسر الواو وهي في الأخرى لغة

﴿الجنة﴾

المهجر قوما مهاجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد وأصله من المهجر ضد الوصل والجهاد تحمل المشاق في قتال
اعداء الدين من جهده الأمر جهداً والايواء ضم الانسان غيره اليه بانزاه عنده وتقريبه يقال آوأميو به
ايواء وآو من آوي اوياء وبت معناه رجعت الى المأوى والولاية عقد النصرة للمواقة في الديانة

﴿النزول﴾

قيل نزلت الآية في الميراث وكانوا يتوارثون بالمهجرة فبطل الله الميراث المهاجرين والانتصار دون ذوي
الارحام وكان الذي آمن ولم يهاجر لم يرث من اجل انه لم يهاجر ولم ينصروا كانوا يصلون بذلك حتى انزل الله تعالى
وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فتسخت هذه الآية وصار الميراث لذوي الارحام المؤمنين ولا يتوارث
أهل ملتين عن ابن عباس والحسن وقادة ومجاهد والسدي

﴿للمنى﴾

ثم حتم الله سبحانه السورة بإيجاب موالاة المؤمنين وقطع موالاة الكافرين قال (ان الذين آمنوا
بالله ورسوله) وبما يجب الايمان به (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا) وقتلوا العدو (بأموالهم
وانفسهم في سبيل الله) اي في طاعة الله واعزاز دينه (والذين آووا) الرسول والمهاجرين بالمدينة اتي جعلوا
لهم مأوى واسكنوهم منازلهم يعني الانتصار (ونصروا كماي ونصروهم بعد الايواء على اعدائهم وبذلوا الحج
في نصرته) أو تلك بعضهم أولياء بعض (اي هؤلاء بعضهم اولى ببعض في النصرة وإن لم يكن بينهم قرابة
من اقربائهم من الكفار وقيل في التوارث عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقادة والسدي وقيل في التناصر
والتعاون والموالاة في الدين عن الاصم وقيل في نفوذ أمان بعضهم على بعض فإن واحداً من المسلمين لو أمن
إنساناً نفذ أمانه على سائر المسلمين (والذين آمنوا ولم يهاجروا) الى المدينة (مالكم من ولايتهم من شيء حتى
هاجروا) اي ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فحينئذ يحصل بينكم التوارث فإن الميراث كان
منقطعاً في ذلك الوقت بين المهاجرين وغير المهاجرين وروي عن ابي جعفر (ع) انهم كانوا يتوارثون بالموالاة
الأولى وقيل معناه ما لكم من موالاتهم ونصرتهم من شيء اي ليس عليكم نصرتهم (وان استنصروكم في
الدين فليكن النصرة) معناه وإن طلبوا يعني المؤمنين الذين لم يهاجروا منكم النصرة لهم على الكفار ولم عظمتهم
في الدين فليكن النصرة والمعونة لهم وليس عليكم نصرتهم في غير الدين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
معناه الا أن يطلبوا منكم النصرة لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم أمان وعهد يجب الوفاء به ولا
تنصروهم عليهم لما فيه من نقض العهد (والله بما تعملون بصير) اي بأعمالهم علانية لا يخفى عليه شيء منها
قوله تعالى (٧٣) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَئَاءِ بَعْضُ الْأَقْلَمِينَ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ

وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٥) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ثلاث آيات

﴿ الفة ﴾

الفتنة أصلها الامتحان ثم تستعمل في أشياء منها الكفر والشرك وذلك نحو قوله تعالى والفتنة اكبر من القتل وقتلهم حتى لا تكون فتنة ومنها العذاب نحو قوله تعالى جل فتنة الناس كذاب الله وقوله ذوقوا فتنكم يعني عذابكم بالتحريق بالنار ومنها المذرة في نحو قوله تعالى ثم لم تكن فتنة من ابي مصدرهم ومنها القتل في نحو قوله ان خيفتم ان يغتنكم اي يبتلكم وقوله على خوف من فرعون ومثله ان يغتنهم ومنها المخرج والابتلاء على اثر البلاء في نحو قوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم وهذا التفصيل مأخوذ من قول الصادق (ع) - والكرم فاعل الكرم والكرم المجد العظيم والشرف قال تلك المكاتب لا قبان من لبن شيئا جاء فعادا بعد ابوالا والرزق الكريم العظيم الواسع

﴿ الإعراب ﴾

قوله فليكن النصر يجوز في العربية فليكن النصر على قولك عليك زيداً ولم يقرأ بها

﴿ المنى ﴾

ثم ذكر سبحانه وتعالى حكم الكافرين فقال (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) اي بعضهم انصار بعض من ابن اسما وقادة وقيل مناصبهم اولى يمتش في الميراث من ابن عباس والي مالك (لا تقبلوه) وتقديره الا تقبلوا ما امرتم به في الآية الأولى والثانية ومفرجه مفرج الخبر والمراد به الأمر وتقديره الا تقبلوا ما امرتم به من التناصروا والتعاون والتجسس من الكفار (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير على المؤمنين الذين لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا المنة بايل إلى الضلال والفساد الكبير ضعف الايمان وقيل ان الفتنة هي الكفر لأن المسلمين إذا والهم تجسسوا على المسلمين ودعوهم إلى الكفر وهذا يوجب التجسس منهم والفساد الكبير صفك الدماء من الحسن وقيل مناه وان لم تقبلوا التوارث بالمجرة ولم تقبلوه بعد ما ادى إلى فتنة في الأرض باختلاف الكلمة وفساد عظيم بتوبة الخارج عن الجماعة من ابن عباس وابن زيد ثم عاد سبحانه إلى ذكر المهاجرين والانصار ومدحهم والثناء عليهم فقال (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) اي صدقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم ووطناتهم يعني من مكة إلى المدينة وجاهدوا مع ذلك في اعلا دين الله (والذين آووا ونصروا) اي ضروهم اليهم ونصروا الذي ^{فليكن} (او تلك هم المؤمنون حقا) اي اولئك الذين حققوا ايمانهم بالمجربة والنصرة بخلاف من أقام بدار الشرك وقيل مناه ان الله حتى ايمانهم بالشارة التي بشرهم بها ولم يكن لهم لم يهاجروا ولم ينصر مثل هذا واختلقوا في ان الهجرة هل تصح في هذا الزمان ام لا قليل لا تصح لأن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} قال لا هجرة بعد الفتح ولأن الهجرة الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الإسلام إلا ان يكون ناددا لا يشتد به وقيل إن هجرة الأعراب إلى الامصار باقية إلى يوم القيامة

عن الحسن والأقرى ان يكون حكم الهجرة باقيا لأن من اسلم في دار الحرب ثم هاجر إلى دار الاسلام كان مهاجرا وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر إلى اعرابية وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لا تنكحوا اهل مكة فإنهم اعراب وإنما سمي الجهاد سبيل الله لأنه الطريق إلى ثواب الله في دار كرامته (لهم مغفرة ورزق كريم) لا يشوبه ما ينضه وقيل الرزق الكريم هاهنا طعام الجنة لانه لا يستحيل في اجوافهم نجوا بسبل يصير كالمك رجلا (والذين آمنوا من بعد) اي من بعد فتح مكة من الحسن وقيل معناه آمنوا من بعد إيمانكم (وهاجروا) يدهجرتكم (وجاهدوا معكم) ايها المؤمنون (فأولئك منكم) أي مؤمنون مثلكم ومن جعلكم وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم وموارثتهم ونصرتهم وان تأخر ايمانهم وهجرتهم (وأولوا الارحام بعضهم اولي ببعض) معناه وذوو الارحام والقرابة بعضهم احق ببيراث بعضهم من غيرهم من ابن عباس والحسن وجماعة المفسرين وقالوا صار ذلك نسخا لما قبله من التوارث بالمعاقدة والهجرة وغير ذلك من الاسباب فقد كانوا يتوارثون بالمؤاخاة فإن الذي ^{وكان} كان أخى بين المهاجرين والانصار (في كتاب الله) اي في حكم الله عن الزاج وقيل في الفرح المحفوظ كما في قوله ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها وقيل في القرآن وفي قوله وأولو الارحام بعضهم اولي ببعض دلالة على ان من كان اقرب إلى الميت في النسب كان اولي بالميراث سواء كان ذا سهم او غير ذي سهم او عصبة او غير ذي عصبة ومن وافقنا في توديت ذوي الارحام يستكتي اصحاب الفرائض والصبة من الآية وذلك خلاف الظاهر (إن الله بكل شيء عليم) ظاهر المعنى واكثر هذه السورة في قصة يهد

تم المجلد الرابع من التفسير وهو الموسوم بكتاب مجمع البيان لطول القرآن



فهرس المجلد الثاني من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الثالث والرابع حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سود النساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال

صفحة	صفحة	صفحة
٥٤ من الذين هادوا يعرفون	٢٧ من النساء	١ سورة النساء
الكلم من مواضع	حرمت عليكم امهاتكم	١ يا أيها الناس اقرأ ربكم
يا أيها الذين أوتوا الكتاب	٣٠ والمحصنات من النساء	٣ وأتوا اليتامى أموالهم وإن ختم
٥٥ إن الله لا يفرق إن يشرك به	٣٣ ومن لم يستطع منكم طولا	ألا تقسطوا في اليتامى
٥٨ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم	٣٥ يريد الله لين لكم والله	٤ وأتوا النساء صدقاتهن
انظر كيف يقترون على الله	يريد أن يتوب عليكم	٧ ولا توتروا السفهاء أموالكم
الكتب	يريد الله أن يطفئ عنكم	٨ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا
٥٩ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من	٣٦ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا	الكتاب
الكتاب أو تلك الذين لم يمتهم الله	أموالكم بغيركم بالباطل	١٠ للرجال نصيب مما ترك الوالدان
٦٠ ألم لهم نصيب من الملك	ومن يقل ذلك عدواتنا وظلما	١١ وإذا حضر القسمة أولو القربى
أيمسدون الناس على ما آتاهم	٣٧ إن تمشيتوا كثائر ما تنهون عنه	وليشئ الذين لو تركوا من
فسهم من آمن به	٣٩ ولا تستنموا فضل الله ببعضكم	خلفهم خذية ضحانا
٦١ إن الذين كفروا بآياتنا والذين	على بعض	١٣ إن الذين يأكلون أموال
آمَنُوا وعملوا الصالحات	٤١ ولكل جعلنا ماله ما ترك	اليتامى ظلما
٦٣ إن الله يامركم أن تولدوا إلا مما تات	الوالدان	١٣ يوصيكم الله في أولادكم
إلى أهلها	٤٢ الرجال قوامون على النساء	١٦ ولكم نصف ما ترك أزواجكم
٦٤ يا أيها الذين آمنوا اطعوا الله	٤٤ وإن خستم شقاق بينهما	١٩ تلك حدود الله ومن يمس الله
٦٥ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم	٤٥ وأبعدوا الله ولا تشركوا به شيئا	ورسوله
آمَنُوا وإذا قيل لهم تعالوا إلى	٤٦ الذين يبخلون ويأمرين الناس	٢٠ واللاتي يأتين الفاحشة من نساءكم
ما أنزل الله	بالخيل	والذات يأتينها منكم
٦٦ فكيف إذا أصابتهم مصيبة	٤٧ والذين يتفقون أموالهم رثاء	٢١ إذا التوبة على الله فذين يعملون
أو تلك الذين يعلم الله ما في	الناس وماذا عليهم لو آمنوا بالله	السوء بجهالة وليست التوبة
قلوبهم	٤٨ إن الله لا يظلم شعاع خذ	لذين يعملون الصالحات
٦٧ وما أرسلنا من رسول إلا بطلاع	٤٩ فكيف إذا جئنا من كل أمة	٢٣ يا أيها الذين آمنوا لا يحمل لكم
٦٨ فلا وربك لا يؤمنون حتى	بشهادة يومئذ الذين كفروا	أن تترثوا النساء كرها
يحكموا	٥٠ يا أيها الذين آمنوا لا تقرروا	٢٥ وإن أردتم استبدال زوج
٦٩ ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا	للصلاة وأقيم سكارى	مكان زوج وكيف تأخذونه
أنفسكم وإذا آتيناكم فدينتهم	٥٣ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا	٢٦ ولا تفكروا ما كنتم آبائكم
ومن يعلم الله والرسول	من الكتاب والله اعلم بأعدائكم	

صفحة	منجزة	منجزة	صفحة
١٤٣	يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق	١٧٤	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا إلى قوله لي صراط مستقيم
١٤٤	يا أهل الكتاب لا تغفروا في دينكم	١٧٥	قد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم إلى قوله وإلى المصير
١٤٦	لن يستخف المسيح أن يكون مبداً في قوله وليا ولا نصيراً	١٧٦	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
١٤٧	يا أيها الناس قد جاءكم بديهم من دينكم إلى قوله ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً	١٧٧	ولمذا قال موسى قومه إلى قوله فتقبلوا خاسرين
١٤٨	يستوثق قل الله يفتيكهم في الكلاله	١٧٩	قالوا يا موسى إن فيها قرمها جبارين إلى قوله إنا ما هنا قاعدون
١٥٠	فأهلها	١٨١	قال رب إني لا أملك إلا نفسي وإني إلى قوله على القوم الناصقين
١٥٠	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود	١٨٢	واقل عليهم نبأ بني آدم بالحق
١٥٢	يا أيها الذين آمنوا لا تطعوا مشائركم	١٨٣	لئن بسطت إلي يدك لتقتلي إلى قوله فأصعب من الخاسرين
١٥٦	حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير	١٨٤	فبعت الله غرابي بيث في الأرض من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل
١٦٠	يسألونك ماذا أحل لهم اليوم أحل لكم الطيبات	١٨٥	إنا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله إلى قوله غفور رحيم
١٦٢	يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة	١٨٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم
١٦٢	واذكروا نعمه الله عليكم يا أيها الذين آمنوا إلى قوله أو تلك أصعب الجسيم	١٩٠	والسارق والسارقة إلى قوله على كل شيء قدير
١٦٦	يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمه الله عليكم	١٩٢	يا أيها الرسول لا يغريك الذين يسارعون في الكفر
١٧٠	ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل فبما تقضهم ميثاقهم	١٩٥	سهلون لا تكذب إلى قوله وما أو تلك بالوثنين
١٧٣	ومن الذين قالوا إنا نصادي أخذاً فميتهم	١٩٧	إنا نازلنا التوراة فيها هدى ونور وكتبنا عليهم فيها
٢٠٠	وقضينا على آفهم إلى قوله فأولئك هم الفاسقون	٢٠١	وانزلنا إليك الكتاب بالحق وإن أحكم بينهم إلى قوله قوم يوقنون
٢٠٣	يا أيها الذين آمنوا إلى قوله فأصعبوا خاسرين	٢٠٥	يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
٢٠٦	يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه	٢٠٩	يا أيها الذين آمنوا إلى قوله فالتالون
٢١٢	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا ولواً ناديتهم إلى الصلاة	٢١٣	اتخذوها زواجاً ولها إلى قوله وإن أكثركم فاسقون
٢١٤	قل هل أتيتكم بشر من ذلك	٢١٦	ولمذا جاءكم ما كنتم صانعون
٢١٨	وقالت اليهود يد الله مغلولة ولولا أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا إلى قوله وكثير منهم ساء ما يعملون	٢٢٢	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك قل يا أهل الكتاب استمعي
٢٢٤	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم	٢٢٥	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم
٢٢٧	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم	٢٢٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم
٢٣٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم	٢٣١	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم

صفحة	صفحة	صفحة
إلى قوله وفي المذاب هم	٢٦٣	وإذ أوحيت إلى الحواريين
خالدون	٢٦٣	إذ قال الحواريون
٢٦٢ ولو كانوا يؤمنون بالله والي	٢٦٥	قالوا زيد أن نأكل منها
إلى قوله مع القوم الصالحين	٢٦٥	قال جيسى بن مريم
٢٦٥ فأتاهم الله بما قالوا إلى قوله	٢٦٧	قال الله إني منزلها عليكم
واتقوا الله الذي أنتم به	٢٦٧	وإذ قال الله يا عيسى بن مريم
مؤمنون		إلى قوله فأنك انت العزيز
٢٦٦ لا يؤخذكم الله بالفقو في	٢٦٩	الحكيم
أيمانكم	٢٦٩	قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
٢٦٨ يأبها الذين آمنوا إنما الحمر	٢٦٩	صالحهم
واليسر إلى قوله فهل أنتم متهمون		الله ملك السموات والأرض
٢٦٩ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول		
٢٦٩ ليس على الذين آمنوا		
٢٦٢ يأبها الذين آمنوا ليلوتكم		
الله بشي من الصيد إلى قوله		
والله عزيز ذو انتقام	٢٧١	عبد آتيا وقضاه
٢٦٥ احل لكم صيد البحر وطعامه	٢٧٢	الحديث الذي خلق السموات
٢٦٦ جبل الله الكعبة البيت الحرام		والأرض
إماما قناس		هو الذي خلقكم من طين
٢٦٨ اعلوا أن الله شديد العقاب	٢٧٣	وهو الله في السموات وفي الأرض
إلى قوله لعلكم تفلحون	٢٧٤	وما تأتيهم من آية من آيات
٢٦٩ يأبها الذين آمنوا لا تسألوا		رهبهم ألم يروا كم أهلكنا
عن شيء إن تبد لكم تسوكم		قبلهم من قرن
٢٥١ قد سألها قوم من قبلكم إلى	٢٧٥	ولوت أن عليك كتابا في قرطاس
قوله وأكلهم لا يقتلون	٢٧٦	وقالوا لولا أنزل عليه ملك
٢٥٣ وإذ قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل		إلى قوله ما كانوا يستهزئون
الله إلى قوله فينبئكم بما كنتم	٢٧٧	قل سيروا في الأرض إلى قوله
تسألون		وهو السميع العليم
٢٥٤ يأبها الذين آمنوا شهادة بينكم	٢٧٩	قل أغير الله اتخذ وليا قل
٢٥٧ فأن شر على أنهما استسقا		إني أخاف إن عصيت ربي
ذلك ادعني يا أوترا بالشهادة	٢٨٠	من يصرف عنه يومئذ
على وجهها	٢٨٠	وإن يمسك الله يضرب وهو
يوم يحسب الله الرسل		القاهر فوق مجاده
٢٦١ إذ قال الله يا عيسى بن مريم	٢٨١	قل أي شيء أكبر شهادة
الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه		
٢٨٢ ومن أعظم من افتدى على الله		
كذبا يوم نحشرهم جينا		
٢٨٣ ثم لم تكن تنتمهم إلا أن قالوا		
انتظر كيف كذبوا على أنفسهم		
٢٨٥ ومنهم من يستمع إليك		
٢٨٧ وهم يهون عنه وينثون		
٢٨٨ ولو ترى إذ وقفوا على النار		
بل بدا لهم ما كانوا فيخفون		
من قبل		
٢٩٠ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا		
ولو ترى إذ وقفوا على ربهم		
٢٩١ قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله		
وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب		
٢٩٣ قد علم أنه ليعز ذلك يقولون		
ولقد كذبت رسل من قبلك		
فصبروا		
٢٩٥ وإن كان كبر عليك أراضهم		
إلى قوله ولكن اكفرهم		
لا يعلون		
٢٩٧ وما من دابة في الأرض		
والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم		
٢٩٩ قل أرايتكم إن أتكم عذاب الله		
بل آية تدعون		
٣٠٠ ولقد أرسلنا إلى اسم من قبلكم		
إلى قوله والحمد لله رب العالمين		
٣٠٢ قل أرايتكم إن أخذ الله منكم		
وأبصاركم إلى قوله يسهم		
الذئاب بما كانوا يسوقون		
٣٠٤ قل لا أقول لكم عندي		
خزائن الله		
٣٠٥ ولا تطرد الذين يدعون ربهم		
إلى قوله أليس الله بأعلم		
بالتاكرين		

الجزء الرابع سورة الأنعام

صفحة	صفحة	صفحة
٣٧٨ وعلى الذين اعدوا حرما .	١٠٢ قاصط منها	٤٢٢ وينها حطب وعلى الاعراف
الى قوله ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين	١٠٢ قال انتظري الى يوم يمشون الى قوله ولا تجد اكفرهم	٤٢٢ رجال . الحق له لا تجملنا مع القوم الظالمين
٣٨٠ يسوق الذين اشركوا . الى قوله وهم يجهلون	١٠٤ قال اخرج منها مذبذبا مذبذبا	٤٢٤ وتادى اصحاب الاصراف
٣٨١ قل تعالوا اتل ما حرم عليكم	١٠٤ الى قوله وقاسمها لاني لكنا	٤٢٥ وتادى اصحاب النار اصحاب الجنة . الذين اتخذوا دينهم
٣٨٣ ولا تقربوا مال اليه . الى قوله ولعلكم تتقون	١٠٦ قد لاهاه يور . الى قوله ومنها	٤٢٦ ولما ولما
٣٨٥ ثم آتينا موسى الكتاب . الى قوله لعلكم تحشون	١٠٨ يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا . الى قوله اتقولون على	٤٢٦ وقد جئناهم بكتاب فصلناه هل ينظرون الا تأويله
٣٨٦ ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا . الى قوله يا كفرا يصدفون	١١٠ قل امرني بالوسط . الى قوله ويجسبون انهم مهتدون	٤٢٧ ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
٣٨٧ هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة	١١١ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد . قل من حرم	٤٢٨ ادم ربكم تضربوا خفية . ولا تقصدوا في الارض ببد
٣٨٨ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا	١١٢ قل انما حرم ديني الفواحش . ولكل امة اهل	٤٣٠ وهو الذي يرسل الرياح يشرا بين يدي رحمة . والبلد
٣٨٩ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها	١١٥ يا بني آدم اما يا آتيناكم رسول منكم . والذين كنوا باياتنا	٤٣١ قد ارسلنا نوحا الى قومه . الى قوله انهم كانوا قوما صدين
٣٩٠ قل انني هادي الى صراط مستقيم . الى قوله واتا اول المسلمين	١١٥ فمن اظلم ممن اقتدى على الله كذبا	٤٣٢ قصة نوح
٣٩٢ قل اغير الله ديني . الى قوله واتنه لغور رحيم	١١٦ قال ادخلوا في امة قد خلعت من قبلكم . الى قوله فذوقوا	٤٣٥ والى عاد اخاهم هودا
سورة الاعراف		
٣٩٣ اختلافاء فضلا . تفسيرها	١١٧ ان الذين كفروا باياتنا	٤٣٨ قصة هود
٣٩٤ اخس الى قوله قليلا ما ذكرن	١١٧ ولشكروا عنها . الى قوله وكذلك نجزي الظالمين	٤٣٩ والى ثمود اخاهم صالح . الى قوله ولكن لا نجبر الناصحين
٣٩٦ وكمن قرية اهلكناها	١١٩ والذين آمنوا وعمالوا الصالحات	٤٤١ قصة صالح
٣٩٧ فلنسان الذين ارسل اليهم . الى قوله يا كفرا يا آتيناكم	١٢١ ونزعنا ما في صدورهم من فل	٤٤٢ والى مدين اخاهم شعيبا . الى قوله وهو خير الامميين
٣٩٩ ولقد مكناكم في الارض	١٢١ النار . الذين يصدون عن	٤٤٨ قال للملا الذين استكبروا من قومه . قد اقتربنا على الله كذبا
٤٠١ قال ما منكم الا مسجد . قال	سبيل الله	

صفحة	صفحة	صفحة
١٩٦	١٧١	١٩٩
واذ نتقنا الجبل فوقهم	يستضعفون	وقال الملأ الذين كفروا من قومه
واذ أخذ ربك من بني آدم	وجاوزنا ببني اسرائيل البحر	الى قوله فكيف آسى
الى قوله ولهم يرضون	إلى قوله وهو فضلكم على العالمين	على قوم كافرين
١٩٨	١٧٢	٢٠١
واقل عليهم نبا الذي أتينا	وإذ أخيناكم من آل فرعون	وما أرسلنا في قرية من نبي
آياتنا الى قوله فأتكلمهم	وواعدنا موسى ثلاثين ليلة	ثم بدلنا مكان الساعة الحسنة
الحاسرون	ولما جاء موسى لميقاتنا	٢٠١
٢٠١	١٧٦	٢٠١
ولقد فرأنا لجهنم كثيرا من	قال ياموسى إني اصطيتك على	الى قوله فلا يأمن مكر الله
الجن والانس الى قوله ويعبدون	الناس برسالاتي وكتبنا له	إلا التزم الحاسرون
٢٠٣	١٧٧	٢٠٤
٢٠٣	في الألواح من كل شيء	أولم يبدل الذين يقرءون الأرض
الى قوله ويذرعهم في طغيانهم	سأصرف عن آياتي الذين	وان وجدنا أكثرهم فاسقين
يسهون	يتكبرون في الأرض	ثم يمشا من بعدهم موسى
٢٠٥	والذين كذبوا بآياتنا	بآياتنا الى قوله ونزع يده
يسألونك عن الساعة إنا نمرساها	٢٧٩	فلماذا هي يضاه فطائرين
٢٠٧	واتخذ قوم موسى من بعده	٢٨٠
قل لا املك لنفسي نقما	ولما سقط في ايديهم	٢٨١
ولا ضرا هو الذي خلقكم	ولما رجع موسى إلى قومه	قال في انفرلي ولاخمي
من نفس واحدة الى قوله	إن الذين اتخذوا الجبل الى	٢٨٣
أدعوتهم لم اتم صامتون	قوله فلهين هم لربهم وهميون	٢٨٤
٢١٠	واختار موسى قومه سينرجلا	٢٨٥
إن الذين قدفون من دون الله	واكتبنا في هذه الدنيا حسنة	٢٨٦
ألم ارجل يمشون بها	الذين يتبعون الرسول الذي	٢٨٨
٢١١	قل يا أيها الناس إني رسول الله	٢٨٩
إنعولي الله الذي نزل الكتاب	ومن قوم موسى أمة	٢٩٠
الى قوله وهم لا يصرون	وتعلمناهم انني مشرة اسباطا	٢٩١
خذ العفو وإما يترغنا من	وإذا قيل لهم اسكنوا هذه	٢٩٢
الشيطان توغ	القرية فبذل الذين ظلموا منهم	٢٩٣
٢١٣	وسألمهم عن القرية التي كانت	٢٩٤
إن الذين اتوا إذا سمع	حاضرة البحر	٢٩٥
طائف من الشيطان الى قوله	فلا نسوا ما ذكروا به	٢٩٦
وعدى ورحمة لرم يومنون	فلا عتروا من ما نهوا عنه	٢٩٧
٢١٤	واذ تأذن ربك ليعق طيعهم	٢٩٨
ولمذا قرئ القرآن فاستمعوا له	وتعلمناهم في الأرض إنا	٢٩٩
واتصوا الى قوله ليسجدون	فخلف من بعدهم خلف	٣٠٠
	والذين يسكون بالكتاب	
سورة الانفال		
٣١٦	٣١٦	٣١٦
عدد آياتها وفضلها وتفسيرها	٣١٦	٣١٦
يسألونك عن الانفال	٣١٦	٣١٦
٣١٨	٣١٨	٣١٨
لما المؤمنون الذين اذا ذكر	٣١٨	٣١٨
الله وجلت قلوبهم الى قوله	٣١٨	٣١٨
ومفخرة ودرز كريم	٣١٨	٣١٨

صفحة	صفحة	صفحة			
٥٢٠	كما اخرجك ربك من بيتك بالحق إلى قوله ولو كره الجرمون	٥٣٨	الله يجعل لكم فرقا	٥٥١	كذاب آل فرعون والذين
٥٢٢	قصة غزاة بدر	٥٤٠	ولكن اكثرهم لا يعلمون	٥٥٢	من قبلهم إلى قوله وكل كانوا ظالمين
٥٢٣	إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إلى قوله وإن للكافرين	٥٤١	وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية	٥٥٣	إن شر الدواب عند الله الذين كفروا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم
٥٢٩	عذاب النار	٥٤٢	إن الذين كفروا يتفقون لهم لهم يصعدوا عن سبيل الله إلى قوله وألئك هم الظالمون	٥٥٤	فأما تنفقههم في الحرب فشردهم
٥٣٠	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا إلى قوله إن الله مبيح عليم	٥٤٣	قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلفوا	٥٥٥	ولا تحسبن الذين كفروا سيقوا إلى قوله إنه هو السميع العليم
٥٣١	ذلكم وأن الله موهن كيدهم	٥٤٤	يغفر لهم ما قد سلفوا	٥٥٦	وإن يريدوا أن يخدعوك وألف بين قلوبهم
٥٣٢	لا يسمعون	٥٤٥	نعم المولى ونعم النصير	٥٥٧	يا أيها النبي حسبك الله على قوله
٥٣٣	إن شر الدواب عند الله	٥٤٦	واعلموا أنا نغتنم من شيء فأن لله شمه	٥٥٨	والله مع الصابرين
٥٣٤	ولو علم الله فيهم خيرا لأسمهم	٥٤٧	إذ أنتم بالمدوة الدنيا إلى قوله وإلى الله ترجع الأمور	٥٥٩	ما كان لشيء أن يكون له أسرى
٥٣٥	يا أيها الذين آمنوا استجبوا واتقوا فتنة لا تصيبن	٥٤٨	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا إلى قوله والله بما	٥٦٠	الذي كفروا بغضهم وأولياءهم
٥٣٥	واذكروا إذا أنتم قليل	٥٤٩	ياملون محيط	٥٦١	بعض إلى قوله إن الله بكل
٥٣٥	يا أيها الذين آمنوا لا تخفوا	٥٥٠	وإذ يقول المنافقون للذين في قلوبهم مرض إلى قوله وإن	٥٦٢	شيء عليم
٥٣٦	الله والرسول إلى قوله وإن	٥٥١	الله ليس بظلام للعبيد		

تصحيح خطأ في ج ٣ ص ٦٤ - ٦٥ : الآية ٥٧ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ثم ذكر الآية التي بعدها برقم ٦٠ بدلا من ٥٨ وسرى الخطأ لآخر السورة فليصحح

وله الحمد في البدء والختام

مَجْمَعُ الْبَيَانِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لِوَلَدِهِ

الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات أو عشرة اجزاء

يكون مجموعه مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفحة

المجلد الثالث

وهو مجلد من خمسة مجلدات

حسب تقزئة المصنف

صدر الجزء الخامس في اواخر شهر صفر والسادس غرة وجب سنة ١٣٥٥

قيمة الاشتراك ليرة عثمانية ما عدا اجرة البريد

[الجزء الخامس]

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التوبة

وهي مدنية كلها وقال بعضهم غير آيتين قد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وقضت مكة سنة ثمان وحج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر وقال قتادة ومجاهد وهي آخر ما نزلت على النبي ﷺ بالمدينة

﴿ عبد آيا ﴾

هي مائة وتسع وعشرون آية كوفي وثلاثون في الباقي

﴿ اختلافا ﴾

ثلاث آيات يرى من المشر كبن بصري غذيا آيا شامي وعاد وثمود حجازي

﴿ اضافها عشرة ﴾

سورة براءة سميت بذلك لأنها مفتتحة بها ونزلت باظهار البراءة من الكفار — التوبة — سميت بذلك لكثرة ما فيها من التوبة كقوله وجوب الله على من يشاء فإن جوبوا يك خيراً لهم ثم تاب عليهم ليتوبوا — الغاضبة — عن سميد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال تلك الغاضبة ما زال ينزل حتى خشينا ان لا يبقى منهم أحد إلا ذكر وسببت بذلك لأنها فضحت المنافقين باظهار نقابهم — المبعثرة — عن ابن عباس ساءها بذلك لأنها تبرى من آمن بها من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء الى الاخلاص وفي الحديث كان يقال لسورتي قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد المتشقتان سميتا بذلك لأنها تبرى من الشرك والنفاق يقال تشقتا اذا برأه وتشقتش المريض من علقه اذا ألقه ويرى منها — البحوث — عن ابي أيوب الانصاري ساءها بذلك لأنها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن سرائهم — المدممة — عن سفيان بن عيينة أي الملكة ومنه قوله قدمم عليهم رهم — الخافرة — عن الحسن لأنها حفرت من قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه — المثيرة — عن قتادة لأنها أثارت مخازيهم ومقاييمهم — سورة العذاب — عن حذيفة بن اليان لأنها نزلت بعذاب الكفار وروى عاصم عن زر بن حبیش عن حذيفة قال يسونها بسورة التوبة وهي سورة العذاب هذه عشرة أسماء

﴿ فضها ﴾

ابن بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له انظر بتمامه وقد مضى ذكره مع ما في مناه في أول الانفال وقد روي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الانفال والبراءة واحد وروي ذلك عن سميد بن المسيب وروى الشنلي بإسناده عن عائشة عن رسول الله ﷺ انه قال ما نزل علي القرآن الا آية أتت حرفاً خلا سورة البراءة وقل هو الله أحد فأنزلنا علي ومعها سبعون ألف صف من الملائكة

كل قول يا محمد استوص بنسبة الله خيرا — علة ترك التسمية — في أولها قراءة وكتابة العلماء والمفسرين فيه أقوال — أحدها — أنها ضمت إلى الانفال بالمقاربة فصارتا كسورة واحدة إذا الأولى في ذكر اليهود والثانية في رفع اليهود عن أبي بن كعب — وثانيها — أنه لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لأن بسم الله الأمان والرحمة ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف عن علي عليه السلام وسفيان بن عيينة واختاره أبو العباس المبرد — وثالثها — ما روي عن ابن عباس أنه قال قلت لعثمان بن عفان ما حكمكم على أن صدمتم إلى براءة وهي من المؤمنين وإلى الانفال وهي من المنافق فجلستموها في السبع الطوال ولم تكتبوا فيها سطر بسم الله الرحمن الرحيم قال كان النبي ﷺ: تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول له ضع هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أول ما نزل من القرآن بالدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا أنها منها وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين أنها منها فوضعناها في السبع الطوال ولم نكتب فيها سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكاننا ندعيان التريدين

— تفسيرها —

لما ختم الله سبحانه سورة الانفال بإيجاب البراءة عن الكفار افتتح هذه السورة بأنه تعالى ورسوله برئان منهم كما أمر المسلمون بالبراءة منهم فقال

قوله تعالى (١) بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٢) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ (آياتان)

❦ الفقه ❦

معنى البراءة انقطاع العصمة يقال برأ يبرأ براءة وتبرء تبرؤا وبرأه أبراء والسبح السير على أهبل يقال ساح يسبح سباحا وسباحة وسبوحا وسباحتا والاعجاز إيجاد المعجز والمعجز ضد القدرة عظمته منتهى معنى والإغراء الإذلال بإغية الفضيحة والعار والغري النكال الفاضح

❦ الأعراب ❦

براءة ترفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذه الآيات براءة ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره في الظرف وهو قوله إلى الذين وجاز أن يكون المبتدأ نكرة لأنها موصوفة والاول ايجاد لا تبدل على حضور المدرك كما تقول لمن تراه حاضرا حسن والله أي هنا حسن

— للمضى —

(براءة من الله) أي هذه براءة من الله (ورسوله) أي انقطاع العصمة ورفع للأمان وخروج من اليهود (إلى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب للنبي ﷺ والمسلمين والمعنى تبرؤا ممن كان بينهم وبينهم عهد من المشركين قالت الله ورسوله برئان منهم قال الزجاج معناه قد برئ الله ورسوله من إعطائهم اليهود الوفاء لهم بماذا أنكروا إذا قيل كيف يجوز أن يقبض النبي ﷺ العهد قالوا فيه أنه يجوز أن يقبض ذلك على أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون العهد مشروطا بأن يبقى إلى أن يرضه الله تعالى برحي وإما أن

يكون قد ظهر من المشركين خيانة وتقص فأمر الله سبحانه بأن ينذ إليهم عهدهم وإمامان يكون موجهين
إلى مدة تنقضي المدة وينقض العهد وقد وردت الرواية بأن النبي ﷺ شرط عليهم ما ذكرناه وروى
أيضا أن المشركين كانوا قد قبضوا الهدأوهوا بذلك فأمره الله سبحانه أن يقض عهدهم ثم خاطب الله سبحانه
المشركين فقال (فسيحوا في الأرض) أي سيروا في الأرض على وجه الملل وتصرفوا في خواتمكم آمنين
من السيف أربعة أشهر فإذا انقضت هذه المدة ولم تسلموا انقطعت العصمة عن دماءكم وأموالكم (واعلموا
أنكم غير مبجزي الله) أي غير فائزين عن الله كما يفوت ما يسبغ عنه لأنكم حيث كنتم في سلطان الله
وملكه (وإن الله مخزي الكافرين) أي مذموم ومهينهم واختلف في هذه الأشهر الأربعة قبل كان ابتداءها
يوم النحر إلى العاشر من شهر ربيع الآخر عن معاهد ومحمد بن كعب القرظي وهو المروي عن أبي عبد
الله (ع) وقيل ابتداءها ليلة أول شهر الأربعة من أول شوال إلى آخر المحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال عن ابن
عباس والزهري قال الفراء كانت المقاتلة آخر المحرم لأنه كان فيهم من كانت مدته خمسين ليلة وهو من
لم يكن له عهد من النبي ﷺ فحصل الله له ذلك وقيل إن من كان له عهد من النبي ﷺ أكثر من
أربعة أشهر حظ إلى الأربعة الأشهر ومن كان له عهد أقل منها رفع اليها عن الحسن وابن إسحاق قيل كان
ابتداء الأشهر الأربعة يوم النحر لشرين من ذي القعدة إلى عشرين من شهر ربيع الأول لأن الخلف في تلك السنة
كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة التالية ذي الحجة وفيها حجة الوداع وكان سبب ذلك النبي الذي
كانوا يفلطونه في الجاهلية على ما سيأتي بيانه إن شاء تعالى عن الجبائي

❦ القصة ❦

اجمع المفسرون وثقة الأخبار أنه لما نزلت براءة رسول الله ﷺ إلى أبي بكر ثم أخذها منه ودفعها
إلى علي بن أبي طالب (ع) واختلفوا في تفصيل ذلك فقيل أنه بشو أمره أن يقرأ عشر آيات من أول هذه السورة وأن
ينبذ إلى كل ذي عهده ثم عطا خلفه فأخذها بقرأها على الناس فخرج على ناقه رسول الله ﷺ العشاء
حق أدرك أبا بكر بندي الحليفة فأخذها منه وقيل إن أبا بكر رجع فقال هل نزل في شيء قال ﷺ لا إلا خيرا
ولكن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني وقيل أنه قرأ على براءة على الناس وكان أبو بكر أميرا على الموسم عن
الحسن وقادة وقيل أنه ﷺ أخذها من أبي بكر قبل الخروج ودفعها إلى علي (ع) وقال لا يبلغ عني
إلا أنا أو رجل مني عن عروة بن الزبير وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وروى أصحابنا أن النبي ﷺ
ولاه أيضا الموسم وأنه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده
عن سالك بن حرب عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ بعث ببراءة مع أبي بكر إلى أهل مكة فلما
بلغ ذا الحليفة بعث إليه فردوه قال لا يذهب هذا إلا رجل من أهل بيتي فبعث عليا (ع) وروى الشعبي عن عروبة
أبي هريرة عن أبي هريرة قال كنت أنادي مع علي حين أذن المشركين فكان إذا صلح صوتي فإني ينادي دهوت
مكانه قال قلت يا أبا عبد الله شيء كنتم تقولون قال كنا نقول لا يحج بعد عنا هذا شرك ولا يطوفن بالبيت
عربان ولا يدخل البيت إلا مؤمن ومن كانت بنته وبين رسول الله ﷺ مدة فإن أباه إلى أربعة أشهر
فإذا انقضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين وروى عاصم بن حميد عن أبي بصير عن أبي
جعفر (ع) قال خلب علي (ع) الناس واخرط سببه فقال لا يطوفن بالبيت عربان ولا يحجن بالبيت مشرك

ومن كانت له مدة فهو إلى مدته ومن لم يكن له مدة فمدته أربعة أشهر وكان خطب يوم النحر وكانت
عشرون من ذي الحجة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وقال يوم النحر يوم الحج
الأكبر وذكر أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن نعيم قال سألت أبا علي (ع) بأي شيء يموت في ذي
الحجة قال يموت بأربعة لا يدخل الكعبة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر
في المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فهدم إلى مدته ومن لم يكن له
عهد فأجله أربعة أشهر وروي أنه عليه السلام قام عند جرة العتبة وقال يا أيها الناس إني رسول الله
اليكم بأن لا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد
عند رسول الله ﷺ فله عهده إلى أربعة أشهر ومن لا عهد له فله مدة قبية الأشهر الحرم وقرأ عليهم سورة براءة
وقبل قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من أول براءة وروي أنه عليه السلام لما نادى فهم إن الله بريء من المشركين
إني من كل مشرك قال المشركون نحن نثبر من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة
عشر حج النبي ﷺ حجة الوداع وقفل إلى المدينة بمكة بقي ذي الحجة والحرم وصفر وليالي من شهر
ربيع الأول حتى لحق بالله عز وجل

قوله تعالى (٣) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ
الشَّارِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَلَعَلَّوْا أَنْتُمْ غَيْرُ مُمْنِنٍ اللَّهُ
يُبَشِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٤) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ
شَيْئًا وَلَا بَطَّيَرُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَكُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ آيَاتُ

❦ القراءة ❦

قرأ يعقوب برواية روح وزيد ورسوله بالنصب وهي قراءة الحسن وابن أبي اسحق وعيسى بن عمرو
وقرأ سائر القراء ورسوله بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمة وعطاء لم ينقصواكم بالضاد للمجبة

❦ الحجة ❦

من قرأ ورسوله بالرفع فإنه على الابتداء وخبره محذوف ويدل عليه ما تقدمه وتقديره ورسوله أيضا
بريئ منهم ويموز أن يكون مطلقا على المضمر في بري وحسن السطف عليه وإن كان غير مؤكد لأن
قوله من المشركين قام مقام التوكيد وذكر سبويه وجها ثالثا وهو أن يكون مطلقا على موضع أن وهذا
وهم منه لأن ابن المفتوحة مع ما بعدها في تأويل المصدر فقد تنبثت عن حكم المبتدأ وصارت في حكم
ليت ولعل وكان في أحدهما معنى يفارق المبتدأ فكلا لا يجوز السطف على مواضعين فكلا لا يجوز السطف
على موضعين وإن كان يجوز السطف على موضعين إن المكسورة كما قال الشاعر

فمن يك امسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لشريب

ولل سبويه توهم أنها مكسورة فحمل على موضعها فقد قرأ في الشواذ إن الله بريء بالكر قلعه
تأول على هذه القراءة ومن نصب عطفه على اسم الله تعالى وعلى هذا فيكون خبره محذوف أيضا ومن قرأ
لم ينقصواكم فمعناه لم ينقصوا أموركم وعهودكم

- اللغة -

الأذان الأعلام يقال أذنته بكذا فأذن أي أعلته فليز قيل إن أصله من التناء الذي يسمع بالاذن ومناه أوصفه في أذنه وتأذن بمعنى أذن كما يقال تيقن وأيقن والمدة والزمان والحين نظائر وأصله من مددت الشيء مدافكأته زمان طويل الفسحة والمدة عند التكميلين اسم للمعزود من حركات الفلك وهو محدث

* الاعراب *

وأذابت عطف على براءة عن الزجاج وقيل إن تقديره عليكم أذان لأن فيه معنى الأمر فيكون مبتدأ وخبره محذوف عن علي بن عيسى ويجوز أن يكون مبتدأ وانظر قوله أن الله يري على حذف الباء كأنه قال بأن الله وعلى الوجهين الأولين يكون موضع أن نصباً على أنه مفعول له وقوله للذين عاهدتم في موضع نصب على الاستثناء وبشر مطوف على معنى الأذان أي أذن وبشر عن أبي مسلم

* المعنى *

ثم بين سبحانه أنه يجب اعلام المشركين براءة منهم ثلاثين يوماً المسلمين إلى التندر فقال (وأذان من الله ورسوله إلى الناس) معناه واعلام وفيه معنى الأمر أي اذنوا الناس يعني اهل العهد وقيل المراد بالناس المؤمن والمشرک لأن الكل داخلون في هذا الاعلام وقوله إلى الناس أي فليسمع أي فليسمع هذا اعلام للمؤمن والمشرک (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه يوم عرفة عن عمرو بن عبد الحميد وعطاء بن وهب وعطاء بن وهب وروى ذلك عن علي (ع) ورواه المصنفين عن النبي ﷺ قال عطاء بن وهب لا كبر الذي فيه الوقوف والحج الأصغر الذي ليس فيه وقوف وهو المرفة وثانيها أنه يوم النحر عن علي وابن عباس وسعيد بن جبيرة وابن زيد والنخعي ومجاهد والشامي والسدي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ورواه ابن أبي أوفى عن النبي ﷺ قال الحسن وسبي الحج الأكبر لأنه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك وثالثها أنه جميع أيام الحج عن مجاهد أيضاً وسفيان فمعناه أيام الحج كلها كما يقال يوم الجمل يوم صفين ويوم بعاث يراى به الحريق والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياماً (إِنْ اللَّهُ يَرِي مِنْ الْمُشْرِكِينَ) أي من عهد المشركين فحذف المضاف (ورسوله) معناه ورسوله أيضاً يري منه وقيل إن البراءة الأولى لنقض العهد والبراءة الثانية قطع الموالاة والاحسان فليس بتكرار (فَإِنْ يَتِمَّ فَهَرِخِرَ لَكُمْ) معناه فإن يتم في هذه المدة أيها المشركون ورجعت عن الشرك إلى توحيد الله (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) من الإقامة على الشرك لأنكم تنجون به من عذابي الدنيا وعذاب الآخرة (وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عن الإيمان وصبرتم على الكفر (فَاعْمَلُوا أَنْكُمْ فِيمَا مَسَّيْتُمْ) أي لا تجزونه عن تعذيبكم ولا تقوتون بأنفسكم من أن يحمل بكم عذابه في الدنيا وفي هذا اعلام بأن الإهمال ليس بعزيز وإنما هو لإظهار الحجة والمصلحة ثم أوعدهم بنذاب الآخرة فقال (وبشر الذين كفروا بنذاب الهيم) أي أخبرهم مكان البشارة بنذاب موج وهو عذاب النار في الآخرة (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) قال القراء استثنى الله تعالى من براءته وبراءة رسوله من المشركين قوماً من بني كنانة وبني ضمرة كان قد بقي من أجلهم تسعة أشهر لم يأتهم إلا أنهم لم يظهروا على المؤمنين ولم ينقضوا عهد رسول الله ﷺ وقال ابن عباس عن أبيه كل من كان يمينه وبين رسول الله ﷺ عهد قبل براءة وبنيي أن يكون ابن عباس أراد بذلك من كان يمينه وبينه عهد هدنة ولم يتعرض له بعد أوة ولا ظاهر عليه عدواً

لأن النبي ﷺ صالح أهل هجر وأهل البحرين وإبنة ودومة الجندل وله عهد بالصالح والجزية ولم ينبد
اليهم ينقض عهد ولا حاربه يبد وكانوا أهل ذمة إلى أن مضى لسبيله ﷺ ووفى لهم بذلك من بعده
(ثم لم ينقضوكم شيئا) منتهى لم ينقضوكم من شروط العهد شيئا وقيل منتهى لم يضرؤكم شيئا (ولم يظاهروا
عليكم أحدا) أي لم يداؤنوا عليكم أي المؤمنون (أحدا) من أعدائكم (فأتوا اليهم عهدهم إلى مدتهم)
أي إلى انقضائه مدتهم التي وقت المعاهدة بينكم أيها (إن الله يحب المتقين) لنقض العهود

قوله تعالى (٥) فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا
وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْبِذُوا أَعْمُ كُلِّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَأَيَّسُوا وَالْقُلُوبُ أَكْرَاهُ فَاقْتُلُوا سَبِيلَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ
ثُمَّ أَبْلُغْهُ أَمْنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (آيتان)

❦ الفقه ❦

الانسلاخ خروج الشيء ما لا به واصله من سلع الثاة وهو نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلاخه
سلخنا وسلوخا والحصر المنع من الخروج عن محيط والحصر والحلب والآخر نفاثر والمرصيد الطريق ومثله
المرقب والمربأ ورصده يرصده ورسدا

❦ الأعراب ❦

قال أبو الحسن الأفش قوله كل مرصد المعنى على كل مرصد فحذفت على والتشد
فناهي اللحم للأضياف نيا وترخصه إذا نضج القدور
المعنى فناهي بالحد فحذفت الباء قال الزجاج كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهباً وذهبت طريقاً
وذهبت كل طريق قال أبو جلي لا يحتاج في هنا إلى تقدير على إذا كان المرصد اسماً للمكان كما أنك إذا
قلت ذهبت مذهباً ودخلت مدخلا إذا جلت المذهب والمدخل اسمين للمكان لا يحتاج إلى على ولا إلى تقدير
حرف جر إلا أنت أبا الحسن ذهب إلى أن المرصد اسم الطريق وإذا كان اسماً للطريق كان مخصوصاً
وإذا كان مخصوصاً وجب أن لا يصل الفعل الذي لا يطغى إليه إلا بحرف جر نحو قدمت على الطريق
إلا أن يبيح في ذلك اتساع نحو ما حكاه سيويه من قولهم ذهبت الشام ودخلت البيت وقد غلط
أبو اسحاق الزجاج في قوله كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهباً وذهبت طريقاً في أن جعل الطريق
ظرفاً كالذهب وليس الطريق ظرف لأنه مكان مخصوص وقد نص سيويه على اختصاصه إلا ترى أنه
جعل قول ساعدة

لئن ماز الكف ينسل منته فيه كما غسل الطريق الثعلب

على أنه قد حذف منه الحرف اتساعاً كما حذف من ذهبت الشام وإذا أثبت ذلك فالمرصد مثله أيضاً في
الاختصاص وإن لا يكون ظرفاً إذا كان اسماً للطريق وقوله أحد فأعرابه أنه مرفوع بفعل مضمر الذي ظهر
تفسيره المعنى وإن استجارك أحد قال الزجاج ومن زعم أنه يرفع أحداً بالابتداء قد أخطأ لأن أن الجزاء

لا يتخلى ما يرضع بالابتداء ويعمل فيما بعده فلو أظهرت المستقبل قلت ان احد يقره ولا يجوز ان أحد
 يتم زيد يتم لا يجوز ان يرضع زيد بفعل مضمر الذي ظهر تقديره ويجزم ولنا جازي في ان لأن ان يلزمها
 الفعل وجواب الجزاء يكون بالفعل وغيره ولا يجوز ان تضمر بعد المبتدأ لأنك تقول هاهنا ان
 تأتي فزيد يقوم فالوضع موضع ابتداء قال ابو علي اعلم ان جواب الشرط وان كان خبر الفعل فالأصل فيه
 الفعل والفاء واذا واقعان موقع الفعل بدلالة ان قوله ويندم على قراءة من قرأ بالجزم فمحصول على الموضع من
 قوله فلا هادي له وأما قول ابي اسحاق لا يجوز ان تضمر وتجزم بعد المبتدأ ولسريه انه لا يجوز ان
 يضمر الفعل فيرفع الاسم الذي يرتفع بالابتداء بالفعل المضمر في نحو قولك ان تأتي فزيد يقوم لأن الجزم
 لا يقع بعد المبتدأ ولكن لا يتعين ان يقع الجزم بعد القاطع في الجزاء كما يقع في الشرط لأن الجزاء موضع فعل
 كان الشرط موضع فعل فالسألة التي منع ابواسحاق اجازتها جائزة لا اشكال في جوازها وهي قوله ان يتم
 احد زيد يتم وقد نص سيبويه على اجازة ذلك قال الزجاج ولنا يجوز الفصل في باب ان لأن أن أم الجزاء
 ولا يزول عنه الى غيره فأما اخواتها فلا يجوز ذلك فيها الا في الشرط قال

فتى واغل يتيهم يميحوه
 وتطف عليه كأس الساقى

- المعنى -

ثم بين سبحانه الحكم في المشركين بعد انتفاء المدة فقال (فلماذا اتسلخ الأشهر الحرم) قيل هي الأشهر
 الحرم المعروفة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد من جماعة وقيل هي الأشهر الأربعة
 التي حرم القتال فيها وجعل الله للمشركين ان يسبقوا في الأرض آمين على ما ذكرناه من اختلاف المفسرين فيها
 وعلى هذا فمنهم من قال معناه فلماذا اتسلخ الأشهر بالتسلخ المحرم لان المشركين من كان منهم لهم عهد امهلا
 أربعة أشهر من حين نزلت براءة ونزلت في شوال ومن لا عهد لهم فأجلهم من يوم تولد النداء وهو يوم عرفة
 او يوم النحر الى تمام الأشهر الحرم وهي بقية ذي الحجة والمحرم كله فيكون ذلك خمسين يوما فلماذا انقضت
 هذه الخمسون يوما انقضت الأجلان وحل قتالهم سواء كان لهم عهد خاص او عام ومنهم من قال معناه إذا اتسلخ
 الأشهر الأربعة التي هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر إذا
 حرمنا فيها كتمان المشركين وجعلنا لهم ان يسبقوا فيها آمين (فاقبلوا المشركين حيث وجدتموهم) اي فضعوا
 السيف فيهم حيث كانوا في الأشهر الحرم وغيرها في الحل او في الحرم وهذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح
 والأمراض منهم (وخذوهم) قيل فيه تقديم وتأخير وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوه وقيل
 ليس فيه تقديم وتأخير وتقديره فاقبلوا المشركين حيث وجدتموهم واخذوهم واحصرهم على وجه التخييد في اشارة
 الصلح من الأمرين وقوله (واحصرهم) معناه واحبسوهم واستقروهم او فادوهم بال وقيل واستمروهم
 دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل سرد) اي بكل طريق وبكل مكان تظنون
 انهم يبرون فيه وضيقوا المسالك عليهم لتسكنوا من اخذهم وقوله لهم معناه قتلهم وأسروهم (فلن تلبوا اي
 رجوا من الكفر والافتادوا تشرع) وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قبلوا اقامة الصلوات وآتوا الزكاة لأن عصبة
 الدم لا تقبل على اقامة الصلاة واداء الزكاة ثبتت أن المراد به القبور (فخلوا سبيلهم) اي دعوهم يتصرفون في
 بلاد الاسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقيل معناه فخلوا سبيلهم الى البيت اي دعوهم يجروا معكم
 (ان الله قدور رسيم) واستدلوا بهذه الآية على ان من ترك الصلاة متعمدا يجب قتله لأن الله تعالى اوجب الامتناع
 من قتل المشركين بشرط ان يتوبوا ويقبوا الصلاة فإذا لم يقبوا هو واجب قتلهم (وان احدين للمشركين استشارك

فأجبه حتى يسمع كلام الله) معناه وان طلب احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم منك الأمان من القتل بعد الأشهر الأربعة ليسم دعوتك واحتياجك عليه بالقرآن فأمنه وبين له ما يريد وامهله حتى يسمع كلام الله ويتدبره ولما خسر كلام الله لأن معظم الأدلة فيه (ثم ابلغه أمانه) معناه فلان دخل في الإسلام تأمل خير الدارين وان لم يدخل في الإسلام فلا تقتله فتكون قد غدرت به ولكن اوصله الى ديار قومه التي يأمن فيها على نفسه وماله (ذلك بأنهم قوم لا يبذلون) اي ذلك الأمان لهم بأنهم قوم لا يطلون الايمان والدلائل فامتهم حتى يسموا ويتدبروا ويوصلوا أن في هذا دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية وفي الآية دلالة على ان المتلوا والمسموع كلام الله لأن الشرع والعرف جلالا للحكاية كهي المحكي يقال هذا كلام سيويوه وشمر امرى القيس ومن ظن ان الحكاية تتارق المحكي لاجل هذا الظاهر فقد غلط لأن المراد ما ذكرناه

قوله تعالى (٧) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْنَاهُ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بَحِيبُ الْغَافِقِينَ (٨) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذُرْمًا يَرَوْنَ كُفْرَكُمْ بِأَفْوَاحِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ آيَات

❦ القراءة ❦

في الشواذ قراءة صكرمة لبلا بيا بعد الهجزة

❦ الحجة ❦

يسكن أن يكون أراد إلا كقراءة الجماعة إلا انه ابدل اللام الاولى يا لتقل الادغام وكسر الهجزة كما قالوا دينار وقيراط والأصل دينار وقراط قولهم دنانير وقرايط وقد جاء مع التضعيف وحده قال ياليتنا أمنا شالت نعماتها أيما إلى الجنة أيما إلى نار

❦ الفة ❦

الظهور العرباتلية واصله خروج الشيء إلى حيث يصح ان يدرك الرقة والانتظار والمراقبة والمراعاة والمحافظة نظائر والرتيب الحافظ والأل الهد مأخوذين الابل وهو البريق يقال ال يزل إلا إذا لم والآلة الحربية للجماعها واذن مولة مشبهة للعربة في تحديدها قال الشاعر

وجدناه كاذبا إلهم وذو الأل والهد لا يكذب
والأل القرابة قال حسان

لمعرك إن الك من قريش كال السقب من رأل النعام

❦ المعنى ❦

لما امر سبحانه ببلد العهد إلى المشركين بين ان الله في ذلك ما ظهر منهم من التند وأمر بأمرهم المهد لمن استقام على الأمر فقال (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع اضارهم التند والنكث وهذا يكون على التسبب او على البعد ويدل عليه ما روي ان في قراءة عبد الله كيف يكون عهد عند الله ولازمة فأدخل الكلام لأن معنى الاول جدد اي لا يكون لهم عهد وقيل معناه كيف يأمر الله ورسوله بالكف عن جماع المشركين ثم استثنى سبحانه فقال (إلا

الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) أي قلن لهم عهد عند الله لأنهم لهم يضرهوا التذديق والحياة لك واختلف في هؤلاء من هم قتييل هم قريش عن ابن عباس وقيل هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله يوم الحديبية فلم يستقيموا ونقضوا العهد بأن اعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يجتازون أمرهم امانا يسلموا واماناً يسلطوا بأي بلادشأوا فأسلموا قبل الأربعة الأشهر عن قتادة وابن زيد وقيل هم من قبائل بكر بنو خزاعة وبنو مدلاج وبنو ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا عهد قريش يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فلم يكن نقضا إلا قريش وبنو الدئل من بكر فأمر بإتلاف العهد لمن لم يكن له نقض إلى مدته وهذا القول أقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة (فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم) معناه فاستقاموا لكم على العهد أي ما داموا باتين معكم على الطريقة المستقيمة فكفونا معهم كذلك (إن الله يحب المتقين) فالتكث والتندر (كيف وان يظهروا عليكم) هاهنا حذف وتقديره كيف يكون لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وإنما حذفه لأن ما قبله من قوله كيف يكون للمشركين عهد يدل على ذلك ومثله قول الشاعر يرثي اخاه قد مات

وخبر تاني أنما الموت بالقرى فكيف وهانا هضبة وقلب
أي فكيف مات وليس بقبرية ومثله قول الحطية

فكيف ولم اعلمهم حدلوكم على معطم ولي احبكم قدوا

أي وكيف تلو منوني على مدح قوم وتذمومتهم فاستغنى عن ذكر ذلك لأنه جرى في القصيدة ما يدل على ما اضروه وهناه كيف يكون لهؤلاء عهد عند الله وعند رسوله وهم يمال ان يظهروا طيبتكم وينظفروا بكم وينبذكم (لا يقرّبوا فيكم إلا ولا ذمة) أي لا يحفظوا ولا يراعيوا فيكم قرابة ولا عهدا والأول القرابة عن ابن عباس والضاحك والعهد عن مجاهد والسدي والجوزع عن الحسن والخلف عن قتادة واليبين عن ابي مبيدة وقيل أن الأول باسم الله تعالى عن مجاهد وروي أن ابا بكر قرئ عليه كلام مسيلة فقال لم يخرج هذا من إلي فأين يذهب بكم ومن قال إن الأول هو العهد قال جمع بينه وبين الذمة وإن كان بمعناه لا اختلاف معنى الغفلان كقوله والقي قولها كذبا ومينا وقال متى اذن منه يتأني عني وبميد (برضوتكم بأقوامهم وتأني قلوبهم) معناه يتكلمون بكلام المرائين لكم لقرضوا منهم وتأني قلوبهم إلا المدادة والتندر ونقض العهد (واكثرهم فاسقون) أي مشركون في الكفر والشرك عن ابن الاخشيد وقال الحيثي أراد كلهم فاسقون لكنه وضع الخصوص موضع المضم المضم وقال القاضي معناه اكثرهم خارجون عن طريق الرضا بالعهد وأراد بذلك رؤساهم

قوله تعالى (٩) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١١) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخِذْ أُولَئِكَ فِي الَّذِينَ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٢) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتَمَّةَ الْكُفَرِ إِنَّهُمْ لَا آيَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٣) أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَتَحْشَرُهُمْ فَإِنَّهُمْ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة والثام أئمة الكفر بهزتين وقرأ الباقون أئمة بهزوة واحدة وبأبعدها وقرأ ابن عباس لا إيمان بكسر الهزة ورواه ابن عقدة بإسناد من عريف بن الوضاح الجعفي عن جعفر بن محمد عليهما السلام والباقر بن يقطين

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي بن عاصم أصله أفعلة ولحدها إمام فإذا جمعت على أفعلة ففيه هززة هي فاء الفعل وي زيد عليها هززة أفعلة الزائدة فيجسم هزتان واجتماع الهزتين في كلمة لا يستعمل بحقيقتها قال الزجاج أصله أفعلة ولكن الميسين لما اجتمعا ادغمت الأولى في الثانية والقيت حركتها على الهززة فصارت أفعلة فأبدل النحويون من الهززة المكسورة الياء قال ومن قال هذا أوم من هذا كان أصله أأم فبصلها وأوا مفتوحة كما قالوا في جمع آدم أوادم قال أبو علي ومن جمع بين الهزتين في أفعلة فصحته أن يسويوه قال زعموا إن ابن أبي إسحاق كان يحقّق الهزتين في أناس معه وقد بشكلم بعينه العرب وهو ردي ووجه من القياس أن تقول إن الهززة حرف من حروف الحلق كالعين وغيره وقد جمع بينهما في نصر كعامة وكع كعجم فكما جاز اجتماع اليمين جاز اجتماع الهزتين قال علي بن عيسى إنما جاز اجتماع الهزتين هنا ثلاثا يجتمع على الكلمة تغيران الإدغام والقلب مع خفة التحقيق لأجل ما بعده من السكون وعلى هذا تقول هذا أوم من هذا بهزتين قال وأما قلبت الهززة من المدة دون حركة ما قبلها لأن الحركة إذا نقلت من الميم إلى الهززة ليان زنة الكلمة فلو ذهبت بقلبها على ما قبلها لكانت منقضا للعرض فيها وأما قوله لا إيمان لهم فمن فتح الهززة قال هو أشبه بالموضع فقد قال نكثوا إيمانهم ومن كسرهما جمعه مصدر أأمنته إمانا خلاف خوفته ولا يريد مصدرا من الذي هو صدق فيكون تكرار الدلالة ما تقدم من قوله فقالوا أئمة الكفر على أن أهل الكفر لا إيمان لهم

﴿ اللغة ﴾

الأيان جمع بين دهر القسم والطمع والاعتدال باليس وأصله الطمن بالرمح والإمام هو المتقدم للاتباع فالإمام في الخير يمتداهو في الشر ضال مضل والهم مقارنة الفعل بالزم من غير ابتاع له وقد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على الزم وقد يستعمل الهم على مقارنة الزم والبذ. فعل الشيء من قبل غيره وهو فعل الشيء أولا والمرة فعل لم يتكرر وهي النعمة من المرو المرة والدفعة والكثرة نظائر

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه خصال القوم فقال (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله) ومعناه اعرضوا عن دين الله وصدوا الناس عنه بشي يسير تالوه من الدنيا واصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ونقيضه البيع وهو المقدر على تسليم المتاع بالثمن ومعنى القام هنا أن اشتراهم هذا اداهم إلى الصد من الإسلام وهذا ورد في قوم من العرب جمعهم أبو سفيان على طامه ليستيملهم على عداوة النبي ﷺ من مجلد وقيل ورد في اليهود الذين كانوا يأخذون الرش من الروم على الحكم بالباطل عن الجاهلي (الهم ساء ما كفرا يملون) أي بس العمل عملهم (لا يقرّبون في مؤمن إلا ولا ذم) سبق معناه والثابتة في الإعادة أن الأولى في صفة الناقضين للهد والتثني في صفة الذين اشتروا بآيات الله قليلا وقيل التأكّد تأكيدهم (وأتلك هم المصدون) أي المجاوزون لحد في الكفر والظلمانيان (فإن تألوا) أي تدمروا على ما كان منهم من الشرك وعزموا على ترك البود إليه وبقيا بالإسلام (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قبلوها وأدوها عند زومها (فأخو أنكم في الدين) أي فهم أخوانكم في الدين فماملوهم ماملة أخوانكم من المؤمنين (وتفضل الآيات) أي نبينا ونبيها ونبيها لعل واحدة منها تميز بها من غيرها حتى يظهر مدلولها على أنهم ما يكونون من الظهور فيها (فهم يملون) ذلك ويتبينونه دون الجهال الذين لا يتفكرون (وان نكثوا) أي

نقضوا (أي هودهم وما خلقوا عليه) أي من بعد عهدهم (أي من بعد أن عقده) (وعلونا في دينكم) أي علوه وقد حوا فيه (قاتلوا الله الكفر) أي رؤساء الكفر والضلالة وخصمهم بالامر بقتالهم لأنهم يضلون اتباعهم قال الحسن وإراد به جماعة الكفار وكل كافر إمام نفسه في الكفر وتغيره في الدعا. إليه وقال ابن عباس وقادة وإراد به رؤساء قريش مثل الحارث بن هشام وأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وكان حذيفة بن اليان يقول لم يأت أهل هذه الآية بعد وقال مجاهد هم أهل فارس والرمم وقرأ علي عليه السلام هذه الآية يوم البصرة ثم قال أما والله لقد عهد إلي رسول الله ﷺ وقال لي يا علي لتقاتلن الفئة الناكسة والفئة الباغية والفئة المارقة (أنهم لا أيمان لهم) من قرأ بفتح الهمزة فمعناه أنهم لا يحفظون العهد واليمين كما يقال فلان لا عهد له أي لا وقاه بالعهد ومن قرأ بالكسر فمعناه لا تؤمنونهم بعد نكثهم العهد ويجعل أن يكون معناه أنهم إذا آمنوا أناسا لا يفرون به ويحتمل أن يكون معناه أنهم كفروا فلا أيمان لهم (لهم ينتهون) معناه قاتلوهم ليشتروا عن الكفر فإنهم لا ينتهون عنه بدون القتال وقيل معناه ليسكنهم في قتلهم انتهاؤهم عن الشرك فلان قيل كيف نفى بقوله لا أيمان لهم ما أثبت بقوله وأن نكثوا أيمانهم قيل له إن الأيمان الذي أثبتا هي ما خلقوا بها وقدوا عليها وألفا نفاقا من بعد لأنهم لم يفوا بها ولم يتسكروا بوجوبها (الاتفاقون) فما نكثوا أيمانهم وهو إخراج الرسول (الالف للاستعظام والمراد بالتضييع والإحجاب ومعناه فلا تقاتلوهم وقد نقضوا عهودهم التي عقدوها واختلف في حوالا. قتلهم هم اليهود الذين نقضوا العهد وخرجوا مع الأخاب وهو إخراج الرسول من المدينة كما أخرجه المشركون من مكة عن الجاني والقاضي وقيل هم مشركو قريش وأهل مكة (وهم يدرك أول مرة) أي يدركهم بنقض العهد من أين اسحاق والجاني وقيل يدركهم بقتال حلفاء النبي ﷺ من خزاعة عن الزجاج وقيل يدركهم بالقتال يوم بدر وقالوا حين سلم إلي لا نصرف حتى نصل عمدا ومن معه (أتحشونهم) أي أتحافون أن ينالكهم من قتالكم مكرهه فلفظه استعظام المراد به تشييع المؤمنين وفي ذلك غاية الفصاحة لأنه جمع بين الترميع والتشييع (فأله أحق أن نخشوه أن كنتم مؤمنين) الحق لا تخشونهم ولا تركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم فإنه سبحانه أحق أن تخافوا عقابه في ترك أمره بقتالهم أن كنتم مصدقين بقتاب الله وثوابه أي أن كنتم مؤمنين فخشية الله أحق بكم من خشية غيره والله أعلم وأحكم

قوله تعالى (١٤) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٥) وَيَذْهَبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَالِمٌ حَكِيمٌ آيَات

(- القراءة -)

في الشواذ قراءة الأعرج وابن أبي اسحاق وعيسى التقي وعمر بن عبد ويزيد بن عبيد بن النصب ورويت عن أبي عمرو أيضا

(- الحجة -)

قال ابن جني إذا نصب قاتوبة داخل في جواب الشرط وإذا رفع فهو استئناف وتقديره في نصب أن تقاتلوهم تكن هذه الأشياء كلها التي أحدا التوبة من الله على من يشاء والوجه قراءة الجماعة على الاستئناف لأنه تم الكلام على قوله ويذهب غيظ قلوبهم ثم استأنف فقال ويتوب الله على من يشاء لأن التوبة منه سبحانه على من يشاء ليست ممية عن قتالهم

— (المعنى) —

ثم أكد سبحانه ما تقدم بأن أمر المسلمين بقتالهم وبشرهم بالنصر والظفر عليهم فقال (قاتلوهم يذهبهم الله بأيديكم) قتلا واسرا (ويغزهم) أي ويذلهم (وينصركم عليهم) أي وينصركم أيها المؤمنون عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني صدور بني خزاعة الذين بيثت عليهم بنو بكر من معاهد والسدي لأنهم كانوا حلفاء النبي ﷺ (ويحبس قيسط قلوبهم) معناه ويكون ذلك النصر شفاء قلوب المؤمنين التي امتلأت غيظا لكثرة ما لهم من الأذى من جهنهم ثم استأنف سبحانه فقال (ويتوب الله على من يشاء) أي ويقبل توبة من طلب منهم مع فرط تقديم رحمة وفضلا (والله على حكيم) علم بتوبتهم إذا تلووا حكيم في أمرهم بقتالهم إذا نكثوا قبل أن يتوبوا ويرجعوا لأن أماله كلها صواب وحكمته في هذا دلالة على نبوة نبينا ﷺ لأنه وافق خبر المخبر

— (النظم) —

والوجه في اتصال قوله ويتوب الله على من يشاء بما قبله شيان ﴿أحدهما﴾ البشارة بأن فيهم من يتوب ويرجع من الكفر إلى الإيمان ﴿والآخر﴾ بيان أنه ليس في قتالهم انقطاع لأحد منهم عن التوبة قوله تعالى (١٦) **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** آية

— (اللفظ) —

الحساب قوة المعنى في النفس من غير قطع وهو مشتق من الحساب لدخوله فيها بحسب به والتوكيد ضد ينافي الفعل المبني في محل القدرة عليه ويشتمل بمعنى أن لا يفعل كقولهم تركهم في ظلمت لا يصيرون والوليعة الدخيلة في القوم من غيرهم والبطانة مثله وليعة الرجل من يختص بدخلة أمره دون الناس الواحد والجمع فيه شرا وكل شيء دخل في شيء ليس منه فهو وليعة قال طرفة

فإن القوافي يتلجن موالجا تضايق عنه أن تولجه الأبر

— (الأعراب) —

لم حرف مطلق يعطف به الاستهزاء ولم حسبتم مطوف على ما تقدم من قوله لا تقاتلون وهو من الاستهزاء المفترض في وسط الكلام فجعل بأمر يفرق بينه وبين الاستهزاء المبني ١٠ لا يفعل ففي الفعل مع تقريب لوقوعه ولم يفعل ففي الفعل بعد الملاح في وقوعه

— (المعنى) —

ثم نبه سبحانه على جلاله وقم الجهاد فقال (أم حسبتم أن تتركوا) ومعناه اظنتم أيها المؤمنون أن تتركوا من دون أن تكلفوا الجهاد في سبيل الله مع الاخلاص (ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم) معناه وبما يظهر ما علم الله منكم فذكر نفى العلم والمراد نفى العلم تأكيداً للنفي والافان الله عز اسمه عالم بما يكون قبل أن كان وبما لا يكون لو كان كيف كان يكون وتقديره اظنتم أن تتركوا ولم تجاهدوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي ولم يعلم الله الذين لم يتخذوا سوى الله وسوى رسوله والمؤمنين بطانة وأولياء يوالونهم ويقشون لهم أسراهم وقال البيهقي فهو أن يكونوا متاعين وهو قول الحسن وفي هذا دلالة على تحريم موالاة الكفار والفاسق والافت بهم (والله خير بما تعملون) أي علم بما لكم فيجازيكم عليها

— (النظم) —

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لا تقدم الأمر بالقتال مطلق عليه بهذا الشرط وهو الاخلاص في الجهاد

على وجه قطع العصاة ليظهر الظفر ويستحق الثواب

قوله تعالى (١٧) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٨) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ آيَاتِنَا

(- القراءة -)

قرأ أهل البصرة وابن كثير مسجد الله على الواحد وهو قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والباقرن مساجد الله

(- الحجة -)

حجة من أفرد الله هي به المسجد الحرام وحجة من جمع الله على به المسجد الحرام وغيره من المساجد ويحتمل أن يكون أراد المسجد الحرام وإنما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه فيكون القراءة بمعنى



الأصل في المسجد هو موضع السجود في العرف ويعبر به من البيت الميأ لصلاة الجماعة فيه والعبادة أن يجتهد منه ما استقر من الأبنية ومنه اشترى إذا زار لأنه يجتهد بالزيارة ما استقر من الحال

(- المعنى -)

لما أمر الله سبحانه بقتال المشركين وقطع العصاة والموالاة منهم أمر جميعهم من المساجد فقال (ما كان للمشركين أن يعبروا مساجد الله) معناه لا ينبغي للمشركين أن يكونوا قواما على عبادة مساجد الله وموتلين لأمرها وينبغي أن يعبروها المسلمون وقيل إن المراد بذلك المسجد الحرام خاصة وقيل هي عامة في جميع المساجد (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أي حال شهادتهم على أنفسهم بالكفر أو مع شهادتهم واختلفت في العبادة للمسجد فقيل هي بدخوله وتوكله كما يقال فلان يسير مجلس فلان إذا أكثر غشائه لأن المسجد تكون عبارته بطلاقة الله وعبادته وقيل هي باستصلاحه ودم ما استقر منه لأنه إنما يعمر للعبادة عن الحيائي وقيل هي بأن يكونوا من أهله أي لا ينبغي أن يترك المشركون فيكونوا أهل المسجد الحرام من الحسن واختلف في شهادتهم على أنفسهم بالكفر كيف هي فقيل هي إن النصراني يسأل ما أنت فيقول أنا نصراني واليهودي يقول أنا يهودي وكذلك المشرك إذا سئل ما دينك يقول مشرك لا يقول أنا غير العرب عن السدي وقيل معناه أن كلامهم يدل على كفرهم كما يقال كلام فلان يدل على بطلان دعواه عن الحسن وقيل هي قولهم ليك لا شريك لك إلا شركا هوانك تلكه وما ملك وقيل شهادتهم بسجودهم لاصنامهم مع إقرارهم بأنها مخلوقة من ابن عباس ومعناه أنهم يشهدون على أنفسهم بأنفسهم وأحوالهم ومن أظهر شيئا وبينه يقال قد شهد به (أو تلك حطت أعمالهم) كالتي هي من جنس الطاعة من المؤمنين أي بطلت لأنهم أوقعوها على الوجه الذي لا يستحق لأجله الثواب عليها عند الله (وفي النار هم خالدون) أي مقبون مؤبدون (إنما يعمر مساجد الله) ولقطة إنها لا تثبت المذكور ونفي بعباده فمعناه لا يعمر مساجد الله بزيارتها وإقامة العبادات فيها أو بعبادتها ودم المسجدين منها (إلا من آمن بالله واليوم الآخر) أي من أتى يوحده الله واعترف بالبيعة (وأقام الصلاة) بمجودها (وآتى الزكاة) أي أطاعها إن وجبت عليه إلى مستحقها (ولم يحش إلا الله) أي لم يحش سوى الله احدا من المخلوقين وهذا رابع إلى قوله انتمشرونهم فانه

أحزان تخموشه اي إن خشيتمهم فقد ساويتهم في الاشراك كما قال فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الآية (فسي أو تلك أن يكونوا من المهتدين) إلى الجنة ونبل ثوابها لأن عسى من الله واجبة عن ابن عباس والحسن وفي ذكر الصلاة والزكاة وغير ذلك بعد ذكر الإيمان بالله دلالة على ان الإيمان لا يتناول افعال الجوارح إذ لو تناولها لما جاز عطف ما دخل فيه عليه ومن قال ان المراد فيه التفصيل وزيادة البيان فقد ترك الظاهر

قوله تعالى (١٩) أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوفون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين (٢٠) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله يأمورهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون (٢١) يثيبهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم (٢٢) خالدين فيها أبنا إن الله عنده أجر عظيم

— (القرأة) —

في الشراة قراءة محمد بن علي الباقر (ع) وابن الزبير واني وجرة السوادي واني جفر السدي القاري أجمعتم سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام وقرأ الضعاف سقاية الحاج والضم وعمرة المسجد

— (الحجة) —

اما سقاة فهو جمع ساق وعمرة جمع عامر واما سقاية فقد قال ابن جني فيه نظر ووجهه ان يكون جمعا جاء به فاعل كمر قهره اذ دخل وخال وظفر وظفر اذ قوتهم وتوام ويري وراء وانسان واتاس ثم أنت كما يثبت من الجوارح أشياء نحو حجارة وصبرة وكان من مدخل من قراءة الجماعة سقاية الحاج وعمرة المسجد إلى هذا إنما هرب من ان يقال الحدث بالجوهر وذلك ان من آمن جوهر وسقاية وعمرة مصدران فلا بد إذن من حذف المضاف أي أجمعتم هذين الفعلين كمثل من آمن بالله فلا رأى أنه لا بد من حذف المضاف قرأ سقاة وعمرة على ما مضى

— الفقه —

السقاية آلة تتخذ لسقي الماء والسقاية مصدر كالسقي أيضا وقيل إنهم كانوا يسقون الحبيج الماء والشراة ويستالون سقاية أيضا والشراة الدلالة على ما يظهر به السرور سبة بشره الوجه كما يقال بشرته ابشره بشرى ورضوان هو معنى يستحق بالاحسان ويدعو إلى الحمد على ما كان ويقاد سخط المصيان والنعيم مشتق من النعمة وهي الاين فأما النعمة بكسر التون فهي منفعة يستحق بها الشكر لأنها كنعمة العيش وابدأ للزمان المستقبل من غير آخر كما ان قط للماضي يقال ما رأيته قط ولا اراه ابدا وجمع الأبد آياد وابد يقال لا افضل ذلك ابدا لا أريد وأبد الآبدن وتأبد المنزل آقي عليه الأبد والأوابد الوحش سميت بذلك لطول أعمارها وقيل لم يمت وحشي حنف اقه وإنما يموت بألة والابدة الداهية

﴿ التزول ﴾

قيل انها زلت في علي بن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب ومطلحة بن شعبة وذلك انهم اقتضوا قتال مطلحة انا صاحب البيت ويدي مفتاحه ولو اشاءت فيموت غالا العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي (ع) ما ادريه ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة اشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد عن الحسن والشعبي وعبد بن كعب القرظي وقيل إن عليا (ع) قال للعباس يا عم ألا تهاجر والا تلتحق برسول الله فقال ألت في

أفضل من الهجرة أعمر المسجد الحرام واستقي حاج بيت الله فنزلت أسلمت سقاية الحاج عن ابن سيرين وسرة الحمداني وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن ابن بريدة عن أبيه قال بنا شية والعباس يتفاخرون إذ مر بها علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال يا هذا تتفاخرون فقال العباس لقد أوتيت من الفضل ما لم يوت أحد سقاية الحاج وقال شية أوتيت عمارة المسجد الحرام فقال علي (ع) استحييت لكما فقد أوتيت على صنوسيه ما لم يؤتيا فقالا وما أوتيت يا علي قال غرمت خراطيمكما باليف حتى أمتنا بالله ورسوله فقام العباس مغضبا يمر ذيله حتى دخل على رسول الله ﷺ وقال أما ترى إلى ما يستقياني به علي فقال ادعوا لي عليا فدعي له فقال ما حملك على ما استقيت به عمك فقال يا رسول الله خدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض فزل جبرائيل (ع) فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول أتل عليهم أسلمت سقاية الحاج الآيات فقال العباس إنا قد رضينا ثلاث سرات وفي تفسير أبي حمزة أن العباس لما أمر يوم بدر أقبل عليه الناس من المهاجرين والانصار فيروقه بالكفر وقطيعة الرحم فقال ما لكم تذكرون مساواتنا وتكتمون محاسنتنا قالوا وهل لكم من محاسن قال نعم والله لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج وتلك العاني فأقول الله تعالى ما كان للمشركين ان يشعروا إلى آخر الآيات

﴿المضي﴾

(أسلمت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله) هنا استفهام معناه الانكار أي لا تحصلوا وفيه حذف يدل الكلام عليه وتقديره أسلمت أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كن آمن بالله حتى يكون مقابلة الشخص بالشخص أو يكون تقديره أسلمت السقاية والعمارة كما يان من آمن بالله حتى تكون مقابلة الفعل بالفعل وسقاية الحاج معيهم الشراب قال الحسن وكان نبيذ زبيب يسقوت الحاج في اللوسم بين الله سبحانه انه لا يغايل هذه الأشياء بالأيان بالله (واليوم الآخر) وبالجماد في سبيله فله لا مساواة بين الأمرين (لا يستون عند الله) في الفضل والثواب (والله لا يهدي) إلى طريق ثوابه (القوم الظالمين) كما يهدي اليه من كان عارفاً به فاعلا لملاحة حبب لمصيبة ثم ابتدأ سبحانه فقال (الذين آمنوا) أي صدقوا واعتبروا بوحداية الله (وهاجروا) أوطانهم التي هي دار الكفر إلى دار الإسلام (وجاهدوا في سبيل الله) أي تحملوا المشاق في ملاقات أعداء الدين (بأموالهم) واتقسم اعظم درجة عند الله (من غيرهم من المؤمنين الذين لم ينفلوا هذه الأشياء) (وأولئك هم الفائزون) أي الظافرون بالنية (يشرهم ربح) يرحمة في الدنيا على السنة الرسل وما بين في كتبهم الثواب الموعود على الجهاد (برحمة منه ورضوان) في الآخرة (وجنت لهم فيها نعيم مقيم) أي دائم لا يزول ولا ينقطع (خالدين فيها أبدا) أي دائمين فيها مع كون النعم مقبلا لهم (إن الله عنده أجر) أي جزاء على العمل (عظيم) أي كثير متضاعف لا يبلشه نعمة غيره من الخلق

قوله تعالى (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكَفَرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٤) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَتَنَسَّوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ رَضَوْهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ آيات

﴿ التوبة ﴾

قرأ ابو بكر عن عاصم وعشيرةكم على الجمع والباقر وعشيرةكم على التوحيد

﴿ الحجة ﴾

من أورد فلان الشيرة يقع على الجمع وقال ابو الحسن العرب لا تجمع الشيرة عشيرات وإنما تقول عشائر ومن جمع فلان كل واحد من المخاطبين له شيرة

﴿ اللفظ ﴾

الاستحباب طلب المحبة ويموز ان يكون استحب بمعنى أحب كما ان استحباب يكون بمعنى ايجاب فيكون كأنه طلب محبة فوقع له والشيرة الجماعة ترجع إلى عقد واحد كالشيرة ومنه المعاشرة والاعتراف انقطاع الشيء من مكانه إلى غيره من قرنت القرحة إذا قشرتها والقرب القشر والقرص التثبيت في الشيء حتى يجي وقده والقرص والتثبيت والتظفر والتوقف نظائر وتقيضه التعجل

﴿ النزول ﴾

روي عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام انها نزلت في حاطب بن ابى بنشمه حيث كتب الى قريش يخبرهم بخبر النبي ﷺ لما اراد فتح مكة

﴿ المعنى ﴾

ثم نعى الله سبحانه المؤمنين عن الموالاة الكافرين وإن كانوا في النسب الاقربين فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تلتصقوا بأنسابكم واخلواكم اولياء) وهذا في امر الدين فأما في امر الدنيا فلا بأس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه وصاحبها في الدنيا معروفا قال ابن عباس لما امر الله تعالى المؤمنين بالمعرة وارادوا المعرة فهم من تملت به زوجته ومنهم من تلقى به ابواه واولاده فكانوا يمتنعونهم من المعرة فيتركون المعرة لأجلهم فيمن سبحانه ان امر الدين مقدم على النسب ولذا وجب قطع قرابة الابوين فالأجنبي أولى (إن استحبوا الكفر على الإيمان) أي إن اختاروا الكفر وآثروه على الإيمان قال الحسن من تولى المشرك فهو مشرك وهذا إذا كان راضياً بشركه (ومن يتولهم فهم كفار) فترك طاعة الله لأجلهم واطاعهم على اسرار المسلمين (فأولئك هم الظالمون) تقوسهم والباخسون حقها من الثواب لأنهم وضوا الموالاة في غير موضعها لأن موضعها أهل الإيمان (قل) يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن المعرة الى دار الإسلام (ان كان أبائكم) الذين ولدوكم (وأبائكم) الذي ولدوكم وهم الأولاد الذكور (وأخوانكم) في النسب (وأزواجكم) اللاتي عقدتم عليهن عقدة النكاح (وعشيرتكم) أي وأقاربكم (وأموال) اقربتموها أي اكتسبتموها واتصلتموها وجمعتموها (وتجارة تخشون كسادها) أي تخشون انها تتكسد إذا اشتغل بطاعة الله تعالى والجهاد (وما كن) اخترقوها لا تقسم ويعجبكم المقام فيها (أحب اليكم) أي أثر سيف قوسكم واقرب إلى قلوبكم (من الله ورسوله) أي من طاعة الله وطاعة رسوله (وجهاد في سبيله) أي ومن الجهاد في سبيل الله (قريصوا) أي انتظروا (حتى يأتي الله بأمرة) أي يحكمكم فيكم وقيل يقربكم على اختياركم هذه الأشياء على الجهاد وطاعة الله إما عاجلاً وإما أجلاً وفيه عيب شديد من الحسن والجلال وقيل ينفع مكة عن مجاهد وقال بعضهم وهذا لا يصح لأن سورة توبة نزلت بعد نزع مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) مضي تفسيره

قوله تعالى (٢٥) لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثير لكم فلم تقن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

(٢٦) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٧) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلاث آيات

❦ اللغة ❦

الموطن الموضع الذي يقع فيه صاحبه وهو مقل من الوطن واستوطن بالمكان إذا اتخذ وطنًا. حين اسم واد بين مكة والطائف والإعجاب السرور بما يتمتع به والعجب السرور بالنفس والروح السعة في المكان وضده الضيق وقولم مرحبًا معناه آتيت سعة والسكينة الطمأنينة والأمانة وهي فيلة من السكون قال الشاعر
 لله قبر عالما ماذا أجبن م لقد أجبن سكينته ووقارا
 والجنود الجوع التي تصلح للحروب

— الإعراب —

موطن لا ينصرف لأنه جمع ليس على مثال الآحاد ويوم حين أي وفي يوم حين عطف على مواطن أيه ونصركم في يوم حينين وإنما صرف حيننا لأنه اسم للذكر وهو واد ولو ترك صرفه على أنه اسم للبقعة لجاز قال الشاعر

نصروا نبهم وشدوا أزرهم
 وبما في قوله جار مجتبه مصدرية أي برحبها وسعها

❦ المعنى ❦

لما تقدم أمر المؤمنين بالقتال ذكرهم بعده بما أتاهم من النصر حالا بعد حال فقال (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) (اللام للقسمة فكأنه سبحانه أقسم بأنه نصر المؤمنين أي عانهم على أعمالهم في مواضع كثيرة على ضفتهم وقلة عددهم حكا لهم على الانتصاع اليه ومفارقة الأهلين والاقربين في طاعته وورد عن الصادقين (ع) أنهم قالوا كانت المواطن ثمانين موطنًا وروي أن المتوكل استعصى شكايه شديدة فقدر أن يتصدق بماله كثير انشأه الله فلما عوفي سأل العلماء عن حد المال الكثير فاختلفت أقوالهم فأشهر عليه أن يسأل أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى (ع) وقد كان جبه في داره فأمر أن يكتب إليه فكتب يتصدق بثمانين درهما ثم سأله عن العلة في ذلك فقرأ آية وقال عدتنا تلك المواطن فبلغت ثمانين موطنًا (ويوم حينين) أي وفي يوم حينين (إذ أعجبكم كثرتكم) أي ثم مرتكم وصرتهم معجبين بكثرتكم قال قتادة وكان سبب انهزام المسلمين يوم حنين أن بعضهم قال حين رأى كثرة المسلمين أن نطلب اليوم عن قلة فانهزموا بعد ساعة وكانوا اثني عشر ألفًا وقيل أنهم كانوا عشرة آلاف وقيل ثمانية آلاف والأول أصح وأكثر في الرواية (فلم تقن حكمك شيئًا) أي فلم يدفع عنيكم كثرتكم سوءًا (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) أي برحبها والبلاء بمعنى مع والمعنى ضاقت عليكم الأرض مع سعتها كما يقال أخرج بنا إلى موضع كذا أي معنا والمراد لم تجدوا من الأرض موضعًا فتراد إليه (ثم وليتم مديونين) أي وليتم عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتمهم أديار كدواهم ثم (ثم أنزل الله سكينته) أي رحمته التي تسكن إليها النفس ويزيل معها الخوف (على رسوله وعلى المؤمنين) حين رجعوا إليهم وقتلواهم وقيل على المؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله علي والعباس في قمر من بني هاشم عن الضحاك بن مزاحم وروي الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن الرضا أنه قال السكينة ربح من الجنة تخرج طيبة لها صورة

كمسور توجه الإنسان فشكلهم مع الأنبياء اوردده الباشي مستدا (وأقول جنوداً لم تروها) أراد به جنوداً من
 الملائكة قبل ان يلا محنة في أول يوم حين تقوية قلوب الملائكة وتبشيعهم ولم يباشروا القتال يومئذ ولم يقتلوا إلا يوم
 بدر خاصة عن الجانب (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأمر وسلب الاموال والاولاد (وذلك جزاء الكافرين) اي وذلك
 العذاب جزاء الكافرين على كفرهم ﴿ثم يتوب الله من بعد﴾ ذلك على من يشاء ﴿ذكر سبحانه﴾ ثم في ثلاثة مواضع
 مقاربة ﴿الاول﴾ ﴿ثم وليتم مديري﴾ عطف على ما قبله من الفعل وهو قوله خاتمت عليكم ﴿والثاني﴾ ﴿ثم أنزل﴾
 الله سكينته عطف على وليتم مديري ﴿والثالث﴾ ﴿ثم يتوب الله عطف على أنزل﴾ وإنما حسن عطف المستقبل
 على الماضي لأنه يشاكله لأن الاول تذكير بجمعة الله والثاني وعد بجمعة الله والتمنى ثم يقبل الله توبة من تاب
 عن الشرك ورجع الى طاعة الله والإسلام وندم على ما فعل من التيسر ويجوز ان يريد ثم يقبل الله توبة من انهزم
 من بعد هزيمته ويجوز ان يريد يقبل توبتهم عن اعجابهم بالكثرة وإنما عطفه بالشيئة لأن قبول التوبة بفضل من الله
 ولو كان واجبا على ما قاله أهل الوعيد لما جاز تطبيقه بالشيئة كالا يجوز تطبيق الثواب على الطاعة بالشيئة ومن
 خالف في ذلك قال إنما عطفها بالشيئة لأن منهم من له لطف يصلح به ويتوب ويؤمن عنده ومنهم من لا لطف له
 منه (والله غفور) اي ستار للذنوب (رحيم) يساهد

﴿القصه﴾

ذكر أهل التفسير وأصحاب السير ان رسول الله ﷺ لما فتح مكة خرج منها متوجها الى حنين لقتال
 هوازن وتبقي في آخر شهر رمضان اوفي شوال من سنة ثمان من الهجرة وقد اجتمع رؤساء هوازن الى مالك بن
 عوف النصري وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذريعتهم ونزلوا بأوطاس قال وكان دريد بن الصمة في القوم
 وكان رئيس جيشهم وكان شيخا كبيرا قد خضب بصره من الكبر فقال بأي واد أتم قالوا بأوطاس قال تصم بحال
 انخل لاحتن غرس ولا سهل دهن مالي اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وغوار البقر ونشأ الشاة وبكاء الصبيان
 فقالوا ان مالك بن عوف ساق مع الناس ابناءهم وأموالهم ونساءهم ليقاتل كل منهم عن أهله وماله فقال دريد راعي
 شأن ورب الكعبة ثم قال انتم في جبالكم فلا جاءه قال يمالئناك اصيبت رئيس قومك وهذا يوم له ما بعده رد قومك
 إلى عليا بلادهم والى الرجال على من انخل فإنه لا ينضك إلا رجل سيفه وفروسه فإن كانت لك لحق بك من وراءك
 وإن كانت عليك لا تكون فضحت في أملاك وعيالك فقال له مالك إنك قد كبرت وذبح علمك وعقلك
 وعقد رسول الله ﷺ لواءه الأكبر ودفعه إلى علي بن أبي طالب «ع» وكل من دخل مكة براءة
 أسره أن يحملها وخرج بعد ان اقام بمكة خمسة عشر يوما وبث إلى صفوان بن أمية فاستأمرته مائة درع فقال
 صفوان عارية أم غصب فقال ﷺ عارية مضمونة مؤداة فأعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج من مسلمة
 الفتح الفا رجل وكان «ع» دخل مكة في عشرة آلاف رجل وخرج منها في اثني عشر ألفا وبث رسول الله
 ﷺ رجلا من اصحابه فأتاه إلى مالك بن عوف وهو يقول لقومك ليصير كل رجل منكم أهله وماله
 خلف ظهره وأكسروا جفون سيفكم وأكثروا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر فإذا كان سه غبش الصبح
 فأحاروا حملة رجل واحد لهدوا القوم فإن محمدا لم يلق احدا يحسن الحرب والمال رسول الله ﷺ باصحابه النداء
 انحدرو سيه وادي حنين فخرجت عليهم كتاب هوازن من كل ناحية وانهمت جو سلم وكانوا على المقدمة
 وانهمزوا وراهم دخل الله تعالى بينهم وبين عدوم لا يصيبهم بكفرتهم وبقي علي «ع» ومعه الراية يقاتلهم في قر
 قليل وسرا المنهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيء وكان الباس بن عبد المطلب أخذ بلجام بنته رسول
 الله ﷺ والفضل عن يمينه وابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره ونزل بن الحرث وريضة بن الحرث في
 تسعة من بني هاشم وعاشر هاشم بن أم ايمن وقتل يومئذ وفي ذلك يقول الباس

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة
وقولي إذا ما الفضل كر بسيفه
وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
على القوم أخرى يا بني ليرجعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه
لما قاله في الله لا يتوجع

ولما رأى رسول الله ﷺ هزيمة القوم عنه قال العباس وكانت جبوريا سبتا اصعد هذا
الغرب فناد يا مشرك المهاجرين والانصار يا اصحاب سورة البقرة يا أهل يمة الشجرة إلى اين ترون هذا رسول
الله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجسوا وقالوا ليك ليك وتبادر الانصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى
قال رسول الله ﷺ الآن حيي الوطيس « انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب » ونزل النصر من عند الله
تعالى وانهمزت هوازن هزيمة فبعضه فعمرو سيف كل وجه ولم يزل المسلمون في آثارهم وبم مالك بن عوف قد دخل
حصن الطائف وكمل منهم زهاء مائة رجل واغتم الله المسلمين اموالهم ونساءهم وامر رسول الله بالذراري والاموال ان
تحدروا إلى الجعران فوولي على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي ومضى ﷺ في أثر القوم فوافي الطائف في طلب مالك
ابن عوف فحاصر أسد الطائف بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف وأتى الجعرانة وقسم بها غنائم حين
واوطاس قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله
لميقنوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء يعني رسول الله فقلنا ارجل
يضي الوجوه فقالوا لنا شاعت الوجوه ارجسوا ارجسوا وركبوا اكنافنا فكانوا ابلها يعني الملائكة قال الزهري
وابن عوف ان شعبة بن عثان قال استديرت رسول الله ﷺ يوم حنين وانا أريد ان اتقله بطلحة بن عثان وعثان
ابن طلحة وكانا قد قتل يوم أحد فاطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت إلي وضرب في صدري وقال أعيذك
بالله يا شعبة فأرعدت فرأيتي فنظرت اليه وهو أحب إلي من محبي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله وان الله
اطلعك على ما في نفسي وقسم رسول الله الغنائم للجعرانة وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن
الرجال والنساء ما لا يدرى عدده قال ابو سعيد الخدري قسم رسول الله ﷺ للمؤمنين من قريش من مائر العرب
ما قسم ولم يكن في الانصار منها شيء قليل ولا كثير فمضى سعد بن عباد إلى رسول الله فقال يا رسول الله ان
هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في قسمك هذه الغنائم في قومك وفي مائر العرب ولم يكن لهم من ذلك
شيء فقال ﷺ فأين انتم من ذلك يا سعد فقال ما انا إلا امرؤ من قومي فقال رسول الله فاجمع لي قومك في
هذه الحظيرة فصنعهم فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر الانصار اولم انكم
ضلالا فهداكم الله ووالة غافلا كما هداه واعداء فآلف بين قلوبكم قالوا بلى يا رسول الله ثم قال الآن يجيئني يا معشر الانصار
نقلوا وما تقول وما يذاخ بجهنك المن لله ولرسوله فقال رسول الله أما والله لو شئتم لقتلتم سعدكم جنتنا طريدا فأذنالك
وعائلا فأسيانك وخائفا فأتانك وعذولا ففصرناك فقالوا المن لله ولرسوله فقال رسول الله ﷺ وجدتم سيف
انفسكم يا معشر الانصار في لاعة من الدنيا تألفت بها فوما ليلسما وكنتكم إلى ما قسم الله لكم من الاسلام
أفلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس إلى رحلم بالشاء والجعر والبعير وتنجبون برسول الله إلى رحالككم
فوالذي نفسي بيده لو ان الناس ملكوا شعبا وملكك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار ولولا الهجرة
لكنت امرءا من الانصار اللهم ارحم الانصار وابعاء الانصار وابعاء ابعاء الانصار فيكمي القوم حتى اخفئت لحام
وقالوا رضىنا بالله ورسوله فسميتهم فترقوا وقال انس بن مالك وكان رسول الله ﷺ امر متاديا فنادى يوم اوطاس ألا
لأنوطأ الحيا إلى حتى يرضعن ولا غير الحيا إلى حتى يسترأن بمحضة ثم أقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله ﷺ
بالجعرانة مسلمين فقام خطيبهم وقال يا رسول الله إننا في الحاضر من السبايا غالاتك وحواضك الا اني كن يكفلك
قلو انا ملكنا ابن ابي سبرة او النعمان بن المنذر ثم أصابنا منها مثل الذي اصابنا منك رجونا عما تدعوا وعطفها وانت خير

الكاثرين ثم اتشد ايأتا فقال ﷺ أي الأسمين أحب إليكم السي أو الاموال قالوا يا رسول الله خيرتنا بين الحب وبين الاموال والحب أحب اليها ولا تتكلم في شاة ولا يميز فقال رسول الله ﷺ اما الذي لي بي هاشم فهو لكم وسواكم لكم المسلمين واشفع لكم فكلوهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله ﷺ الماجرة قاموا فكلوهم فقال النبي ﷺ قد رددت الذي لي هاشم الذي بيدي عليم فمن أحب منكم ان يعطي غير مكروه فليعط فليأخذ القداء وعلي فندوهم فأعطى الناس ما كان بأيديهم منهم إلا قليلا من الناس سألو القداء وارسل رسول الله ﷺ إلى الملك بن عوف وقال إن جيتي مسارا ددت اليك اهلك وما لك وذاك عهدي مائة ناقة فخرج اليه من الطائف فرد عليه أهله وماله واعطاه مائة من الإبل واستعمله على ان اسلم من قومه قوله تعالى (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِمِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آية

﴿ التوبة ﴾

في التواتر قراءة ابن السميع انفاص على الجمع وفي مصحف عبد الله بن مسعود وإن خفتهم عائلة

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني هذا من المصادر التي جاءت على فاعلة كالمائة والمائة واللاعية

﴿ التوبة ﴾

كل مستغفر نجس يقال رجل نجس وامرأة نجس وقوم نجس لأنه مصدر وإذا استعملت هذه اللفظة مع الرجب قيل رجب نجس بكسر التون والهيئة الفقر تقول عال يميل إذا افتقر قال الشاعر وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يفيل

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم النبي عن ولاية المشركين أزال سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام وحظر عليهم دخوله فقال (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) معناه ان الكافرين انفاص (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) أي فانهم عن المسجد الحرام قبل الراد به منهم من دخول الحرم عن عطا قال والحرم كله مسجد وقبلة والعالم الذي أشار إليه هو سنة تسع الذي نادى فيه علي (ج) بالبراءة وقال لا يصح بعد هذا العام مشرك وقيل المراد به منهم من دخول المسجد الحرام على طريق الولاية للموسم والعمرة وقيل منبوا من الدخول أصلاً في المسجد ومنبوا من حضور الموسم ودخول الحرم عن الجاني واختلف في نجاسة الكافر قال قوم من الفقهاء ان الكافر نجس العين وظاهر الآية يدل على ذلك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كتب امنوا البيهود النصراني من دخول مساجد المسلمين واتم به قول الله تعالى إنما للمشركون نجس الآية وعن الحسن قال لا تصافوا المشركين فمن صافهم فليتوضأ وهذا يوافق ما يذهب اليه اصحابنا من ان من صافهم الكافر ويده رطبة وجب ان يشل يده وان كانت ايديها يابستين مسحها بالماء وقال آخرون انفاص الله نجساً غلبت اعتقادهم وانفاصهم وأقواهم واجازوا الذي دخول المساجد قالوا إنما يمتنعون من دخول مكة فجمع قال قتادة ساهم نجساً لأنهم يمتنعون ولا يقتلون ويحذون ولا يتوضؤون فمتنعوا من دخول المسجد لأن الجنب لا يجوز له دخول المسجد (وان خفتهم عيلة) أي قرا وحاجة وكلوا قد خافوا انقطاع المتاجر بفتح المشركين عن دخول الحرم (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) أي فسوف يغنيكم الله من جهة أخرى ان شاء ان

بنيكم بأن يرغب الناس من أهل الآفاق في حل الميرة اليكم رحمة منه ونعمة عليكم قال مقاتل أسلم أهل جدة وصنما وجرش من اليمن وحملوا الطعام إلى مكة على ظهور الإبل والدواب وكفاهم الله تعالى ما كانوا يتخوفون وقبل مناهضتكم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب وقبل بالمطر والهبات وقبل بإباحة التنازع وادأسل عن معنى المشيئة في قوله إن شاء فاقول فيه إن الله تعالى قد علم أن منهم من يبقى إلى وقت فتح البلاد واختتام أموال الأكاسرة فيستغني ومنهم من لا يبقى إلى ذلك الوقت فهذا علته بالمشيئة وقبل إغنا علقه بالمشيئة ليرغب الإنسان إلى الله تعالى في طلب الفنى منه ولعلم أن الفنى لا يكون بالاجتهاد (إن الله عليم بالصالح وتدير العباد وبكل شيء حكيم) فيا يأمر وينهي

قوله تعالى (٢٩) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (آية)

﴿ الآية ﴾

الدين بي في الأصل الطاعة قال زهير

لئن حلت يحو في بني اسد في دين مرو وحالت بيننا فدلك
والجزية فلة من جرى يجري مثل المقدمة والجلسة وهي عطية مخصوصة جزاء لم على تحسكم بالكفر
عقوبة لهم عن علي بن عيسى والصنار الذل والكمال الذي يصغر قدر صاحبه يقال صغر يصغر صغارا فهو صاغر

﴿ الإعراب ﴾

عن يد بي في موضع نصب على الحال أي قدما كما يقال باعه يدا بيد

﴿ الترتيل ﴾

قيل هذه الآية نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بحرب الروم ففزا بسد نزولها غزوة تبوك من
مجاهد وقيل هي على الموم

﴿ المعنى ﴾

ثم بين الله سبحانه أن من الكفار من يجوز تقيته بالجزية قال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعني الذين لا يتصرفون بوحيد الله ولا يقرون بالبعث والنشور وهذا يدل على صحة ما يذهب اصحابنا إليه من أنه لا يجوز أن يكون في جلة الكفار من هو عارف بالله وإن أقر باللسان وإنما يكونون معتقدين لذلك اعتقادا ليس يعلم لأنه صريح في أن أهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن قال أنه يجوز أن يكونوا عارفين بالله قال إن الآية خرجت مخرج الذم لهم لأنهم بمنزلة من لا يقره في عظم الجرم قال الجبائي لأنهم يضيفون إليه ما لا يليق به فكانهم لا يقره وإنما جمعت هذه الأوصاف لهم ولم يذكرها بالكفار من أهل الكتاب للتحريض على قتالهم لما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) موسى وعيسى عليهما السلام من كتمان نعت محمد ﷺ وقيل يعني ما حرمه محمد ﷺ (ولا يدينون دين الحق) وقيل الحق

هنا هو الله تعالى أي دين الله والعمل بما في التوراة من اتباع نبينا عليه السلام وقيل الحق هو الله ودينه الإسلام عن قتادة وقيل مناه ولا يطيعون الله طاعة أهل الإسلام عن أبي عبيدة وقيل مناه ألا يستوفون بالإسلام الذي هو الدين الحق (من الذين اوتوا الكتاب) وصف الذين ذكروا بأنهم من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وقال اصحابنا ان المجوس حكمهم حكم اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) أي تتدأ من يده إلى يد من يرضه اليه من غير نائب كما يقال كلمته فداً بغيره وقيل مناه عن قدرة لكم عليهم وقهر لهم كما يقال كان اليد للفلان وقيل يد لكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم (وم صاغرون) أي ذليلون مهزبون يجرون إلى الموضع الذي يقضى منهم فيه بالشف حتى يؤدوها وقيل هو ان يعطوا الجزية ثنتين والأخف جالس عن عكرمة

قوله تعالى (٣٠) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَمْ لِي يُؤْفَكُونَ (٣١) يَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم والكسائي وسهل عزير منوناً والباقر عزير ابن الله بغير تنوين وقرأ عاصم وحده يضاهون بالهمزة وقرأ الباقر يضاهون بغير الهمزة

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من نون عزيرا جملة مبتدأ وجعل ابنا خبره واذا كان كذلك فلا بد من اثبات التنوين في حال السمة والاختيار لأن عزيرا ونحوه ينصرف عجميا كان او عربيا وأما من حذف التنوين فإنه حذفه على وجهين أحدهما أنه جعل الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد كما جعلهما كذلك في قوله لا رجل ظريف وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين كما يحرك في زيد المائل لأن الساكنين كأنهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة فحذف الأول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال ولا يميز اثبات التنوين في هذا الباب اذا كان صفة وان كان الأصل لأنهم جملوه من الاصول المرفوعة كما ان اظهار الأول من التثنية في نحو ظنوا لا يميز في الكلام فإذا كانا بمنزلة اسم مفرد والمفرد لا يكون جملة مستقلة بنفسها مفيدة في هذا النحو فلا بد من اضمار جزء آخر يقدر انضمامه اليه ليتم جملة ويجعل الظاهر اما مبتدأ او خبر مبتدأ فيكون التقدير صاحبنا ونسبنا أو نبينا عزير ابن الله ان قدرت المضمر المبتدأ وان قدرت بعكس ذلك جاز بهذا أحد الوجهين والوجه الآخر ان لا تصلها اسما واحدا ولكن يميل الأول من الاسمين المبتدأ والآخر لغيره فيكون المعنى فيه على هذا كالمعنى في اثبات التنوين وتكون القراءة متفتحة الا انك حذف التنوين لالتقاء الساكنين وعلى هذا ما يروى من قراءة بعضهم احد الله الصمد فحذف التنوين لالتقاء الساكنين وقد جاء ذلك في الشعر كثيرا قال الشاعر

جميل الذي أمج داره اخو الحمد ذو الشية الاصلع

وقال «وحاتم الطائي وهالب المني» قاما بضاهون قد قال الزجاج اصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهزة واشتقاقه من قولهم امرأة ضياء وهي التي لا يثبت لها ثدي وقيل هي التي لا تحيض ومعناها انها قد اشبهت الرجال في انه لا ثدي لها وكذلك اذالم تحض وضياء ضلاء الهزة زائدة كما زيدت في شأل وغرقى البيض ولا نعلم الهزة زيدت غير اول الا في هذه الاشياء ويجوز ان يكون كبريلوان كانت بنية ليس لها في الكلام نظير قال ابو علي ليس قوله بضاهون من امرأة ضياء لأن هذه الهزة زائدة غير اصلية وليس بفعل لأنه لو كان اياه لكان مكسور الصدر وإنما ادخله في هنا ما دامه من اشتقاق بضاهون وقد يجوز ان تنجي الكلمة من غير شذوثة وذلك أكثر من ان يحصى

اللقية

الحبر العالم الذي صنعه تسمير الماني بحسن البيان عنها وهو الحبر والحبر بفتح الحاء وكسر الهاء والرهبان جمع الراهب وهو الخاشعي الذي يظهر عليه لباس انشئة وقد كثر استعماله على متنبكي النصارى

المعنى

ثم حكى الله سبحانه عن اليهود والنصارى اقوالهم الشنيعة قال (وقالت اليهود عزير ابن الله) وقال ابن عباس القائل لذلك جماعة معه جاؤا الى النبي ﷺ منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاسين قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك قبل وإنما قال ذلك جماعة منهم من قبل وقد اترسوا وان عزيرا اهل النبوة من ظهر قلبه وقد علمه جبرائيل (ع) فقالوا انه ابن الله الا ان الله تعالى اخصاف ذلك الى جميعهم وان كانوا لا يقولون ذلك اليوم كما يقال ان الطوارج يقولون بتضيق اطفال المشركين وإنما يقوله الازارقة منهم خاصة ويدل على ان هذا مذهب اليهود انهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول ﷺ (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواهم) معناه انهم اخترعوا ذلك القول بافواهم لم يأثمهم به كتاب ولا رسول وليس عليه حجة ولا برهان ولا له صحة وقيل انه لم يذكر القول مقرنا بالافواه الا اذا كان ذلك القول زورا كقوله يقولون بافواهم ما ليس في قلوبهم (بضاهون) يشابهون عن ابن عباس وقيل يوافقون عن الحسن (قول الذين كفروا) يعني عباد الاوثان في عبادتهم اللات والعزرى ومناة الثالثة الاخرى عن ابن عباس ومجاهد والقراء وقيل في عبادتهم الملائكة وقولهم انهم بنات الله (من قبل) اي ضاهت النصارى قول اليهود من قبل قالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله عن قتادة والسدي وقيل شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم الكافرة عن الحسن (قاتلهم الله) اي لعنهم الله عن ابن عباس قال ابن الاقباري المقاتلة اضلها من القتل فلماذا اخبر عن الله بها كانت بمعنى اللعنة لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك (اني يؤكوت) اي كيف يصرفون عن الحق الى الاثر الذي هو الكذب فكانه قال لا يدعوا مالوا الى ذلك القول (اتخذوا اخبارهم) اي علماءهم ورواهتهم (اي عبادهم) اربابا من دون الله (روى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالوا اما والله ما صاموا ولا صلوا ولكنهم احلوا لهم حراما وحرما عليهم حلالا فانابوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون وروى الثعلبي باسناده عن عدي بن حاتم قال اتيت رسول الله ﷺ وفي عتي صليب من ذهب فقال لي يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحت ثم اتهمت اليه وهو يقرأ من

سورة البراءة هذه الآية اتخذوا احمارهم ودهانهم اربابا حتى فرغ منها فقلت له انا لسا نبيدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله حرمونه ويهبطون ما حرم الله تستحلونه قال قلت لي قال فذلك صادقهم (والمسيح ابن مريم) اي اتخذوا المسيح اهلان دون الله (وما امروا الا ليعبدوا) اي لم يصبواوا حادوا الله تعالى (لا اله الا هو) اي لا تتحق العبادة الا له ولا يستحق العبادة سواه (سبحانه) تنزيها له (عما يشركون) اي عن شركهم وعما يقولونه وعما لا يليق به

قوله تعالى (٣٢) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٣) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ آيَات

الله

الاطفاء اذهب اذهب نور النار ثم استعمل في اذهب كل نور والأفواه جمع فم وأصله فوه فحذفت الهاء وايدلت من الواو مي لأن ه حرف صحيح من مخرج الواو مشا كل لما والأفواه الامتناع بما طلب من المعنى قال الشاعر «وإن أرادوا غلظتنا أي معنا من الظلم»

الإعزاز

قوله إلا ان يتم نوره لما دخلت إلا لأن في آيت ضرباً من الجحد تقول آيت أن أفضل كذا فيكون معناه لم أفضل كذا قال الشاعر

وهل لي أم غيرها ان تركتها أي الله إلا أن اكون لها إيتا

قال الزجاج في الآية حذف تقديره يأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره قال ولا يكون الإعزاز جوداً ولو جاز ذلك على ان يكون فيه طرف من الجحد لجاز كرهت إلا أخاك مثل آيت إلا ان لبيت الحذف مستعمل معها

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم (يريدون أن يطفئوا نور الله) وهو القرآن والإسلام عن أكثر المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لأنها يهتدى بها كما يهتدى بالنور عن الجبائي قال ولما سعى سبحانه للحجج والبراهين أنواراً سعى معارضتهم لذلك اطفاء ثم قال (بأفواههم) لأن الاطفاء يكون بالأفواه وهو النسخ وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتقصيف كيدهم لأن الله يوتر في الأنوار الضعيفة دون الأقياس العظيمة (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) معناه ويحتم الله إلا أن يتم نوره وهو القرآن وأسس الإسلام وحججه على التمام وأصل الإلزام والامتناع دون الكراهية على ما ادعته المجردة ولهذا تقول العرب فلان يأبى الشيء وهو ابى الضيم ولا مدسة في كراهية الضيم لأنه يتوسى فيه القوي والضعيف وإنما المدسة في الامتناع او للضم منه (ولو كره الكافرون) أي على كره من الكافرون (هو الذي أرسل رسوله) محمداً وحمله الرسالات التي يؤذيها إلى ياسته (بالمهدي) أي بالحجج والبيئات والدلائل والبراهين (ودين الحق) وهو الإسلام وما تضمنته من الشرائع التي يستحق عليها الجزاء والثواب وكل دين سواه باطل يستحق به العقاب (ليظهره على الدين كله) معناه ليعلي دين الإسلام على جميع الأديان بالمحبة والغبلة والتهر لما حتى لا يبقى على وجه الأرض دين إلا امتولوا ولا يظل أحد أهل الإسلام بالمحبة وهم يظنون أهل سائر الأديان بالمحبة وأما الظهور بالغبلة فهو ان كل طائفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية من نواحي أهل الشرك ولحقهم قهر من جهتهم وقيل

أراد عدد نزول عيسى بن مريم لا يبقى أهل دين إلا أسلم أو أدى الجزية عن الضحاك وقال أبو جعفر (ح) إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد فلا يبقى أحد إلا أفر بمحمد وهو قول السدي وقال الكلبي لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك وقال المقصد بن الأسود سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام إما من عزز وإما بذل ذليل إما يمزق فيسلطهم الله من أهله فيمزوا به وإما يذلهم فيبدون له وقيل إن الماء في ليطهره عائدة إلى الرسول ﷺ أي يعلمه الله الأديان كلها حتى لا يبقى عليه شيء منها عن ابن عباس (ولو كره المشركون) أي وإن كرهوا هذا الدين فإن الله يظهره رغما لهم

قوله تعالى (٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَا كُولُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٥) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ آيَاتَان

❦ الفقرة ❦

الكنز في الأصل هو الشيء الذي جمع بعضه إلى بعض ويقال للشيء المجمع مكتنز وناقصة كناز اللحم مجمعة قال قطوبيه سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى وسميت الفضة فضة لأنها تنفض أي تنفق فلا يبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فائهما والاحياء جعل الشيء حارا في الاحساس وهو فوق الاسخا وشدته التبريد يقال حمى يحمي حمى واحماه غيره والكي الصاق الشيء الحار بالمضو من البدن

❦ الأعراب ❦

الذين يكتزون موضعه نسب لأنه معطوف على اسم إن ويكون المعنى وإن الذين يكتزون الذهب والفضة ولا يأكلونها ويجوز أن يكون رفعا على الاستئناف وذكر في قوله ولا ينفقونها وجوه ❦ أحدها ❦ أنه أراد لا ينفقون الكنوز فرجع الضمير إلى ما دل عليه الكلام ❦ والثاني ❦ أنه لا ذكر الذهب والفضة دل على الأموال فكانه قال ولا ينفقون الأموال ❦ والثالث ❦ أن الذهب مؤنث وهو جمع واحدة ذببة وهذا الجمع الذي ليس بينه وبين واحدة إلا الهاء يذكّر ويؤنث ثم لا اجتماع في التأنيث وكان كل واحد منهما يؤخذ عن صاحبه في التركة على قول جمهور العلماء كالتالي الواحد ورد الضمير اليهما بلفظ التأنيث ❦ والرابع ❦ أنه أكتفي بأحدهما عن الآخر للإيجاز ورد الضمير إلى الفضة لأنها أقرب إليه كما قال حسان

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنوبا
وقد مر ذكر أمثاله فيما مضى

❦ المعنى ❦

ثم بين سبحانه حال الأحبار والرهبان فقال (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) أي يأخذون الرشى على الحكم عن الحسن والحياتي وأكل المال الباطل غلظه من الجهات التي يحرم منها إلا أنه لما كان معظم التصرف والتملك للأكل وضع الأكل موضع ذلك وقيل إن معناه يأكلون منافع أموال الناس من الطعام فكانهم يأكلون الأموال لأنها بمنزلة الأكل كما قال الشاعر

ذرا لا كلين الماء لوما فما يرى يتألون خيرا بعد أكلهم الماء

اي ثمن الماء (ويصدقون عن سبيل الله) اي يمتنون غيرهم عن اتباع الإسلام الذي هو سبيل الله التي ذعاهم إلى سلوكها وعن اتباع محمد ﷺ (والذين يكتزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) أي يجمعون المال ولا يؤدون زكاته فقد روي عن النبي ﷺ انه قال كل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان ظاهرا وكل مال ادبت زكاته فليس يكتز وان كان مدفونا في الارض وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والسدي قال الجبائي وهو اجماع وروي عن علي عليه السلام ما زاد على اربعة آلاف فهو كنز ادى زكاته او لم يؤدوا مدوا فهو نفقة وتقدير الآية والذين يكتزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله ويكتزون النفقة ولا ينفقونها في سبيل الله فيحذف المطوف من الأول لدلالة الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني لدلالة الأول عليه في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وتقديره والذاكرات الله واكثر المفسرين على ان قوله والذين يكتزون على الاستشاف وان المراد بذلك ما سوا الزكاة من هذه الامة وقيل انه مطوف على ما قبله والاولى ان يكون محولا على المومنين في الترتيبين (فبشرهم بذاب اليم) اي اخبرهم بذاب موعود وروي سالم بن ابي الجعدان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال يا الذهب تبا للنفقة يكرهها ثلاثا فشق ذلك على اصحابه فساءله عمر فقال يا رسول الله أي المال يخذ فقال لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا وزوجة مومنة تعين أحدكم على دينه (يوم يحسب عليها في نار جهنم) اي يوقد على الكنوز أو على الذهب والنفضة في نار جهنم حتى تصير نارا (تفكرو بها) اي بذلك الكنوز المعاة والاموال التي منعا حتى الله فيها بأعيانها (نجياهم وجنوبهم وظهرهم وبواطنهم) هذه الاعضاء لانها منظم البدن وكان ابو ذر الصاري يقول بشر الكاذبين بكي في الجباه وكي في الجيوب وكي في الظهر حتى ياتي الحرق في أجوافهم وفي هذا المعنى الذي أشار اليه ابو ذر خست هذه المواضع بالكي لأن داخلها جوف بخلاف اليد والرجل وقيل انما خست هذه المواضع بالذهب لأن الجبهة محل الوسم فظهرها والجانب محل الألم والظهر محل الحدود وقيل لأن الجبهة محل السجود فلم تقم فيه بحقه والجانب يقابل القلب الذي لم يطمئن في مستقده والظهر محل الأوزار قال يحملون أوزارهم على ظهورهم عن الماوردي وقيل لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جيبته وزوى عينيه وطوى عنه كشمه وولاه ظهره عن أبي بكر الوراق (هنا ما كنزتم لأتقسكم) أي يقال لهم في حال الكفاي أوبعد هنا جزاء ما كنزتم وجهنم المال ولم تؤدوا حق الله عنها وجعلتموها ذخيرة لأتقسكم (فدفعوا ما كنتم تكتزون) أي فدفعوا المذاب بسبب ما كنتم تكتزون أي تجمعون وتتمنون حتى الله منه فيحذف لدلالة الكلام عليه وقال رسول الله ﷺ ما من عبد له مال ولا يؤدي زكاته إلا جمع يوم القيامة صفائح يحسب عليها في نار جهنم فتسكوى به جيبته وجنبا وظفيرة حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سيده إما إلى الجنة وإما إلى النار أوردته مسلم بن الحجاج في الصحيح وروي ثوبان عن النبي ﷺ قال من ترك كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيران يتيمه ويقول وبلغ ما أنت يقول أنا كنزك الذي تركت بعدك فلا يزال يتيمه حتى يلقاه يده فيقصمها ثم يتيمه سائر جسده وروي الخطابي بإسناده عن الأعشى عن المروزي بن سويد عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة فلما رأيته قد أقبلت قال م الأخرسون ورب الكعبة م الأخرسون ورب الكعبة قال فدخلني غم وبعثت اتقن وقلت هذا شيء حدث في قال قلت من هم فذاك أبي وأمي قال الاكثرون إلا من قال بالمال في عباد الله هكنا هكنا ومن خلفه وقليل ما م وروي عن أبي ذر انه قال من ترك قضاء او حرام كوي به يوم القيامة

قوله تعالى (٣٦) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمْ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِمْ أَنْتُمْ كُمْ وَقَاتِلُوا

الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقُولُونَ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ آية

القراءة

قرأ أبو جعفر اثنا عشر واحد عشر وتسعة عشر يسكون العين والباءون يفتحها

الحجة

الوجه في ذلك ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد وبني الأول منها لأن كسدر الاسم والثاني منها لتضمنه معنى واو العطف جعل تسكين أول الثاني دليلا على انها قد صارا كالاسم الواحد

اللفظ والأعراب

كافة بمعنى الإحاطة مأخوذ من كافة الشيء وهي حرفه وإذا اتبع الشيء إلى ذلك كف عن الزيادة وأصل الكف المنع ومنه المكثوف وهو المنع البصر وكافة تصب على المصدر ولا يدخل عليها الألف واللام لأنه من المصادر التي لا تنصرف لوقوعه موقع ما وجبما بمعنى المصدر الذي في موضع الحال المؤكدة فهو في لزوم التكرار نظير اجتمعين في لزوم المعرفة هذا قول الفراء وقال الزجاج كافة تصب على الحال وهو مصدر على فاعله كالمائة والمائة وهو في موضع قاتلوا المشركين يحيطين بهم باعتقاد مقاتلهم ولا يفتي ولا يجمع فلا يقال قاتلواهم كقاتل ولا كالين كما انك اذا قلت قاتلواهم عامة لم تكن ولم تجمع وكذلك خاصة هذا مذهب النحويين

المعنى

لما ذكر الله سبحانه وعيد الظالم لنفسه يكثر للال من غير اخراج الزكاة وغيرها من حقوق الله منه انقص ذلك ان يذكر البهي عن مثل حاله وهو الظلم في الاشهر الحرم الذي يؤدي إلى مثل حاله أو شر منه في المنقلب فقال (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) أي عدة شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهرا وإنما تبعه الله المسلمين ان يحيطوا بنهيمهم على اثني عشر شهرا ليوافق ذلك عدد الألهة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب والشهر مأخوذ من شهرة الأمر لحاجة الناس اليه في معاملاتهم وعمل ديونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله (في كتاب الله) معناه فيا كتب الله في الوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على أنبيائه وقيل في القرآن وقيل في حكمه وقضائه عن أبي مسلم وقوله (يوم خلق السماوات والأرض) متصل بقوله عدد الله والعامل فيها الاستمرار وإنما قال ذلك لأنه يوم خلق السماوات والأرض أجرى فيها الشمس والقمر وبسيرها تكون الشهور والأيام وبها تعرف الشهور (منها أربعة حرم) أي من هذه الاثني عشر شهرا أربعة أشهر حرم ثلاثة منها مرد ذو القعدة وذو الحجة والحرم واحد فدرهوه رجب ومعنى حرم انه يعظم انتهاك الحرام فيها أكثر مما يعظم في غيرها وكانت العرب تعظمها حتى لو ان رجلا قتل قاتل أبيه فيها لم يجهه لحرمها وإنما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكف عن الظلم فيها ليعظم منزلتها ولأنه ربما أدى ذلك إلى ترك الظلم أصلا لانتفاء الفاتر وانكسار الحمية في تلك المدة فإن الأشياء تجر إلى إشكالها وشهور السنة الحرم هي بذلك لتحریم القتال فيه وحفر سمي بذلك لأنسكة تصفر من الناس فيه أي تقبل وقيل لأنه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم وقال أبو عبيدة سمي بذلك لأنه صفرت فيه أوطا بهم عن البن وشهرا ربيع سميا بذلك لأنبيات الأرض ولصراعها فيها وقيل لارتياح القوم أي إقامتهم ومجاديان سميتا بذلك لجمود الله فيها ورجب سمي بذلك لأنهم كانوا يربون فيه أي يعظمونه يقال رجبته ورجبته بالتخفيف والتشديد قال الكيمت

ولا غيرهم ابني لنفسي جنة ولا غيرهم عن أجل وأزجب

وقيل سمي بذلك لترك القتال فيه من قولهم وجل أوجب إذا كان أقطع لا يمكنه العمل وزوي عن النبي

وَقَالَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهْرًا يُقَالُ لَهُ رَجَبٌ مَلُوءٌ أَشَدُّ يَاضًا مِنَ التَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ الصَّلِ مِنْ صَاحٍ يَوْمًا مِنْ رَجَبٍ شَرِبَ مِنْهُ وَشَمِيعَانِ سَمِي بِذَلِكَ لِشَبِّ الْقِيَاسِ فِيهِ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو وَرَوَى زِيَادُ بْنُ مَيْمُونٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِنَّمَا سَمِيَّ شَمِيعَانِ لِأَنَّهُ يَشْبَعُ فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ لِرَمَضَانَ وَشَهْرِ رَمَضَانَ سَمِيَّ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَرْضَى الذُّنُوبَ وَقِيلَ سَمِيَّ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ الْحَرِّ وَقِيلَ إِنَّ رَمَضَانَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَشَوَّالٌ سَمِيَّ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْقِيَاسَ كَانَتْ تَشْوِلُ فِيهِ أَي تَبْرَحُ عَنْ أَمَكْنَتِهَا وَقِيلَ لِشَوَّالِ الْبُوقِ إِذْ نَاقَهَا فِيهِ وَذُو الْقَعْدَةِ سَمِيَّ بِذَلِكَ لِغُرُوبِهِ فِيهِ عَنِ الْقِتَالِ وَذُو الْحِجَّةِ لِقَضَاءِ الْحُجَّجِ فِيهِ (ذَلِكَ) الدِّينَ الْعَلِيمَ) أَي ذَلِكَ الْحِسَابُ الْمُسْتَقِيمُ الصَّحِيحُ لِأَمَّا كَانَتْ الْعَرَبُ تَقَعُّلُهُ مِنَ النَّسِيِّ وَمِنْهُ قَوْلُهُ الْكُفْرُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ أَيْ حَسَبِهَا وَسَمِيَّ الْحِسَابُ دِينًا لِوُجُوبِ الدَّوَامِ عَلَيْهِ وَلِزَوَامِهِ كَزَوَامِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ ذَلِكَ الْقَضَاءُ الْمُسْتَقِيمُ الْحَقُّ عَنِ الْكِبَرِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ ذَلِكَ الدِّينُ تَمِيدُ بِهِ فَهُوَ اللَّزَامُ (فَلَا تَقْظَلُمُوا فِيهِ) أَي فِي هَذِهِ الشُّهُورِ كُلِّهَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ فِيهِ هَذِهِ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ الْأَرْبَعَةُ عَنْ قَتَادَةَ وَاسْتَخَرَهُ الْقُرَّاءُ قَالُوا لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ الْأَنْفِي عَشْرَ شُهُورٍ لَقَالَ فِيهَا (انْقَسَمَ) بِتَرْكِ أَوَّلِهَا اللَّهُ وَارْتِكَابِ تَوَلَّيْهِ وَإِذَا عَادَ الضَّمِيرُ إِلَى جَمِيعِ الشُّهُورِ فَلَمْ يَنْهَ يَكُنْ نَعِيًا عَنِ الظُّلْمِ فِي جَمِيعِ الْعُمُرِ وَإِذَا عَادَ إِلَى الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ فَتَائِدَةُ التَّخْفِيفِ أَنَّ الطَّاعِقِينَ أَكْثَرُ نَوَابِهَا وَالْمَعْصِيَةُ أَكْثَرُ عَقَابِهَا وَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ الشَّرِيفَةِ وَالْبَقَاعِ الْمَقْدَمَةِ (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) أَي قَاتِلُوهُمْ جَمِيعًا مُؤْتَلِفِينَ غَيْرَ مُتَخَفِينَ (كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) أَي جَمِيعًا كَذَلِكَ فَتَكُونُ كَافَّةً حَالًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَيُجِيزُ أَنْ تَكُونَ حَالًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَي قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ جَمِيعًا وَلَا تَجَسَّكُوا مِنْهُمْ بَعْدَ وَلَا ذِمَّةً إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحِزْبِ وَأَعْطَاهَا عَنْ صِفَارٍ وَالظَّاهِرُ هُوَ الْأَوَّلُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ قَاتِلُوهُمْ خُلُقًا بَعْدَ سَلَفٍ كَمَا أَنَّهُ يَخْتَلِفُ بَعْضُهُمْ بِسَفَا فِي قِتَالِهِمْ عَنِ الْأَسْمِ (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بِالْبَصَرَةِ وَالْوَلَايَةِ وَفِي هَذِهِ آيَةُ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّ الْإِجْتِهَادَ فِي السُّنَنِ بِالشُّهُورِ الْقَهْرِيَّةِ لَا بِالشَّمْسِيَّةِ وَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ مُطْلَقَةٌ بِهَا وَذَلِكَ لِمَا عَلَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيهِ مِنَ الْمَصْلُحَةِ وَاسْتِوَالَتِهِ فَكَذَلِكَ عَلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ

قوله تعالى (٣٧) إِنَّمَا النَّسِيَّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا لَهُمْ سَوَءَ أَعْمَالِهِمْ وَأَنَّهُ لَا يَهْدِيهِ الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ آية

﴿القرائة﴾

قرأ أبو جعفر النسي بالتشديد من غير همز وقرأ جعفر بن محمد عليهما السلام والزهرية النسي مخففاً في وزن الهدى بنشر همز وروى عن ذلك أيضاً عن شبل عن ابن كثير والباقون النسي بالمد والهمز وقرأ يضل يضم الياء وفتح الصاد اهل الكوفة غير ابى بكر وقرأ يضل يضم الياء وكسر الصاد ابو تيبة وفيه من طريق ابن مقسم عن ابى عمرو وروى عن يعقوب والباقون يضل بفتح الياء وكسر الصاد

— الحجة —

قال ابو علي النسي مصدر كالنذير والفكر وعذر الحلي ولا يجوز ان يكون فعلاً بمعنى مفعول كما قاله بعض الناس لأنه ان حمل على ذلك كان معناه إنما للوخر زيادة في الكفر والموخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة في الكفر وإنما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليست له تلك الحرمة فأما نفس الشهر فلا وأما ما رووه من النسي بالياء فذلك يكون على ابتدال الياء من الهمزة ولا اعلمها لغة في التأخير كما ان ارجبت لغة في ارجأت وما روي من النسي بتشديد الياء فعلى تخفيف الهمزة وليس هذا القلب مثل القلب في النسي بالياء لأن النسي بتشديد الياء على وزن فيل فتخفيف قياسي كما ان مقروءة في مقروءة تخفيف قياسي وليس

النبي كذلك وذكر ابن جني فيه ثلاثة أوجه **﴿أحدها﴾** أن يكون أراد النبي ثم خفف بأن أبدلت الهمزة بـاء كما قال الشاعر **﴿لعمري التراب فوقه إلهاء﴾** أراد إلهاء **﴿والثاني﴾** أن يكون فعلا من نسبت لأن النبي إذا أخر فكأنه نسي **﴿والثالث﴾** وفيه الصنعة أن يكون أراد النبي على فعيل ثم خفف وأدغم فصار النبي ثم قصر فعلا بمحض ياءه فصار نسي ثم أسكن عين فعل فصار نسي كما قيل في صبيح سمع وفي طيب رطب وفي جديب جذب فأما قوله بضل فليس يه بضل إشكال ولا في بضل لأن المضل لثيرة ضال بضمه اضلال غيره فأما بضل فالمعنى فيه أن كبارهم وأشرفهم بضلوتهم بمعلمهم على هذا التأخير في الشهور وقرئ في الشواذ بضل بفتح الياء والضاد وهذه لغة اعني ضللت أضل

اللفظة

قال أبو زيد نأت الإبل في عظمتها يوما أو يومين أو أكثر من ذلك والمصدر النسي يقال نأت الإبل عن الخوض أساعها نساء إذا غارت عاتقها والمواطأ قالوا الله يقال وأما في الشعر إذا قال يبتين لي قافية واحدة وأطأ مثله

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر السنة والشهر عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النبي فقال (إنما النبي زيادة في الكفر) يعني تأخير الأشهر الحرم مما رتبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الأربعة وذلك بما تستسكت به من ملة إبراهيم واسماعيل وهم كانوا أصحاب غارات وحروب فربما كان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يفترون فيها فكانوا يؤخرون تحريم الحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمنا ثم يزول التحريم إلى المحرم ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة قال ابن عباس ومعنى قوله زيادة في الكفر أنهم كانوا أطلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله قال القراء والذي كان يقوم به رجل من كثانة يقال له نصيب بن ثعلبة وكان رئيس الموسم يقول أنا الذي لا أعاب ولا أعاب ولا يردلي قضاء فيقولون نعم صدقت استأشرا وأخرعنا حرمة الحرم وأجملها في صفر وأحل الحرم فيفضل ذلك والذي كان ينسأها حين جاء الإسلام جنادة بن عوف بن أمية الكتافي قال ابن عباس وأول من سن النبي محروبا علي بن قمة بن خندف وقال أبو مسلم بن أسلم بل رجل من بني كثانة يقال له القلمس كان يقول اني قد نأت المحرم العام ومما العام صفران فإذا كان العام القابل فقيتا فيجملها محرمين قال شاعرهم «ومنا نلبي الشهر القلمس» وقال الكسيت

وشحن الناسون على معد شهر الحلال فجمعا حراما

وقال مجاهد كان المشركون يصحون في كل شهر عامين فبحروا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حج النبي **﴿صلى الله عليه وسلم﴾** في العام القابل حجة الوداع فوافقت في ذي الحجة فلذلك حين قال النبي **﴿صلى الله عليه وسلم﴾** وذكر في خطبته إلا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أراد عليه السلام الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها وعاد الحج إلى ذي الحجة وبطل النبي (يضل به الذين كفروا) أي يضل بهذا النبي الذين كفروا ومن قرأ بضم الياء فمتاه بضلون به غيرهم واضلأهم أنهم فعلوا ذلك ليضلوا الناس الأشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها وأوجب الحج في بعضها فيستحلون ترك الحج في الوقت الذي هو واجب فيه ويؤجونه في الوقت الذي لا يجب فيه وجوزوا ذلك عليهم حتى ضلوا باتباعهم (يضلونه عاما ويؤجونه عاما) أي يضلون الشهر الحرام حلالا إذا احتاجوا إلى القتال فيه ويحلون الشهر الحلال حراما ويقولون شهر شهر وإذا لم يحتاجوا إلى القتال لم يضلوا ذلك (ليواطئوا عدة ما حرم الله) سناه أنهم لم يملوا شهرا من الحرم إلا حرموا ما كانه شهرا من الحلال

ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرم ليكون موافقه في العدد وذلك للمواظاة (زين لهم سوء أعمالهم) أي زيف لهم اتصهم لو زين لهم الشيطان سوء أعمالهم عن الحسن وقيل معناه استصنعوا ذلك بهولهم (والله لا يهدي القوم الكافرين) من تصديره

قوله تعالى (٣٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٩) إِنَّا نَنْفِرُ وَابْعِثُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَتَرَوْهُ شَيْئًا وَلَا تَعْلَمُونَ قَوْلُهُمْ قَدِيرٌ آيَاتُ

● ● ●

التفرج الخروج إلى الشيء لأسرع عليه ومنه قور الدابة يقال قورت الدابة قورا وقروا إلى الفجر قروا وقروا
والتناقل تحاكي اظهار نقل النفس ومثله التناطو وعنده التصرع والمتاع بالاحتجاج بما يظهر للحواس ومنه قولهم تجتمع
بالرياض والمناظر الحسان ويقال للأشياء التي لها اثمان متاع تشبها به والاستبدال جعل احد الشيئين بدل الاخر
مم الطلب له

❁ الاغراب ❁

اننا نقتسم الاعلـام وأهلـه قاعـلـهم ادعـمت النـاء في النـاء لـمـاسـبـها لـما نـم ادخـلت النـب الوـحـل لـيـمـكـن الـابـتـداء بـها
ومثـله اـدار كـوا واتبـع في قـول الشـاعـر

تولى الضجيج إذا ما استأقها خصرها عنب المضاق إذا ما اتابع القبل

﴿ النزول ﴾

قالوا لما رجع رسول الله ﷺ من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وذلك في زمان ادراك الثار فأحبوا
 النقام في المسكن والمال وشق عليهم الخروج إلى القتال وكان (ع) فلما خرج في غزوة إلا كفى عنها ووري بغيرها
 إلا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة المدو ليتأهب الناس فأخبرهم بالذي يريد فلما علم الله سبحانه يتأهب
 الناس أنزل الآية

❖ المفاتيح

ثم عاتب سبحانه المؤمنين في القتال عن الجهاد فقال (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم) أي دعاكم رسول الله ﷺ وقال لكم (اتقوا في سبيل الله) أي اخرجوا إلى جهادكم المشركين وهو ههنا غزوة تبوك من الحسن وجمادى (انانظروا إلى الأرض) أي تناظروا وتمعنوا إلى الإقامة في الأرض التي أنتم عليها قال الجاهلي هذا الاستبطاء بخصوص بغفر من المؤمنين لأن جميعهم لم يتناظروا عن الجهاد فهو عموم أريد به الخصوص بدليل (أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة) هذا استفهام يراد به الإنكار ومعناه أترمتُم الحياة الدنيا الثمينة على الحياة في الآخرة الباقية في السعي الدائم (فاستمتع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) أي فما فوائد الدنيا ومقاصدها في فوائد الآخرة ومقاصدها إلا قليل لا تقطاع هذه ودوام تلك ثم عاتب سبحانه بالتهديد والوعيد فقال (ان لا تنفروا يذبكم الله عنا يا أياها) ومعناه ان لا تخرجوا إلى القتال الذي دعاكم إليه الرسول وتقدموا عنه يعذبكم الله عما بالجهنم في الآخرة وقل في الدنيا (ويستبدل) بكم (قوماً غيركم) لا يستخلفون عن الجهاد وقل لم أجد فارس عن معبد بن سبيو وقل لم أهل اليمن عن أبي روق وقل لم الذين أسلموا بعد نزول هذه الآية عن

الجائي (ولا تنصروه شيئاً) أي ولا تضربوا الله بهذا القعود شيئاً لأنه غني لنفسه لا يحتاج إلى شيء عن الحسن وإبي علي وقيل معناه ولا تضربوا الرسول شيئاً لأن الله عصمه من جميع الناس وينصره بالملائكة فأقوم بآخرين من المؤمنين (والله على كل شيء قدير) فهو القادر على الاستبدال بكم وعلى غير ذلك من الأشياء قال الواجج وهذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد

قوله تعالى (٤٠) **الْإِنْتَصِرُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَمَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّنَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** آية

﴿ التوبة ﴾

قرأ يعقوب وحده كلمة الله بالنصب والياقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

من نصب عطفه على قوله وجمل كلمة الذين كفروا السنى وجمل كلمة الله هي العليا ومن رفع استأنف وهو أبلغ لأنه يفيد أن كلمة الله هي العليا على كل حال

﴿ الاعراب ﴾

ثاني اثنين نصب على الحال والعرب في هذا مذهبان ﴿ أحدهما ﴾ قولهم هذا ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة وخامس خمسة أي أحد اثنين واحد ثلاثة واحد أربعة واحد خمسة ﴿ والآخر ﴾ قولهم ثالث اثنين وخامس أربعة يعني أنه ثلث اثنين وخمس أربعة فالأول إضافة حقيقية محضة والثاني إضافة غير محضة أي هو في تقدير الاتصال إذ هما في الغار يدل من قوله إذ أخرجه الذين كفروا وضم احد الزمانين في موضع الآخر لتقاربها

— المعنى —

ثم أعلمهم الله سبحانه أنهم لم يتركوا نصر رسولهم بغيره ذلك شيئاً كما لم يضره قلة ناصريه حين كان بمكة يوم به الكفار فنزل الله نصره فقال (الانتصروا فقد نصره الله) معناه إن لم تنصروا الذي **ﷺ** على قتال العدو فقد فعل الله به النصر (إذ أخرجه الذين كفروا) من مكة فخرج يريد المدينة (ثاني اثنين) يعني أنه كان هو وأبو بكر (إذ هما في الغار) ليس معهما ثالث أي هو أحد اثنين ومعناه فقد نصره الله منفرداً من كل شيء إلا من إبي بكر والغار الثقب العظيم في الجبل وأراد به هنا غار ثور وهو جبل بمكة (إذ يقول لصاحبه) أي إذ يقول الرسول لأبي بكر (لا تحزن) أي لا تحزن (إن الله معنا) يريد أنه مطلع علينا عالم بمآلاتنا فهو يعطينا وينصرنا فقال الزهري ما دخل رسول الله **ﷺ** وأبو بكر الغار أرسل الله زوجاً من حمام حتى يأسا في أسفل الثقب والعنكبوت حتى تتسرع فيتألفا جاء مصراقة بن مالك في طلبها فرأى يبيض الحمام ويتألف العنكبوت قال لو دخله أحد لانتكسر البيض وتتسرع بيت العنكبوت فأنصرف وقال النبي **ﷺ** اللهم اعم ابصارهم فعميت ابصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون بيننا وشمالاً حول الغار وقال أبو بكر لو نظرنا إلى أقدامهم لرأونا وروى علي بن إبراهيم بن هاشم قال كان رجل من خزاعة فيهم يقال له أبو كرز لما زال بغفو أثر رسول الله **ﷺ** حتى وقف بهم باب الغار فقال لهم هذه قدم محمد **ﷺ** هي والله لبست القدم التي في القفا وهذا قدم أبي فصافة أواجه وقال ما جازوا هذا المكان إلا أن يسكروا فوجدوا صدوا في الساء أو دخلوا في الأرض وجاء فارس من الملائكة في صورة الانس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم اطلبوه في هذه الشاب فليس هنا وكانت العنكبوت تسبح على باب الغار وتزل رجل من قریش فبال على باب الغار فقال أبو بكر قد أبصرنا يا رسول الله فقال **ﷺ** لو أبصرنا ما استقبلونا بهودناهم (فأقول الله سكينته

(عليه) يعني على محمد ﷺ أي التي في قلبه ما سكن به وعلم أنهم غير واصلين إليه عن الزواج (وأبده) أي قواه ونصره (يجوز لم أتروا) أي بلائكة يضربون وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه عن الزواج وقيل مناه قواه بلائكة يدعون الله تعالى له عن ابن عباس وقيل مناه وأعانه بالملائكة يوم بدر وأخبر الله سبحانه أنه صرف عنه كيد أعدائه وهو في النار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر عن مجاهد والكلبي وقال بعضهم يجوز أن تكون الماء التي في عليه راجعة إلى أبي بكر وهذا بعيد لأن الفائت قبل هذا أو بعده فهو دال على النبي ﷺ بلا خلاف وذلك في قوله إلا تنصروه فقد نصره الله وفي قوله إذا أخرجه وقوله لصاحبه وقوله فيما بعده وأبده فكيف يتخللها ضمير عائذ إلى غيره هذا وقد قال سبحانه في هذه السورة ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال في سورة التفتح أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقد ذكرت الشيعة في تفصيص النبي ﷺ في هذه الآية بالسكينة كلاماً رأينا الأعراب عن ذكره أخرى ثلاثاً يسبغاً تناسب إلى شيء (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) مناه أن الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة دنية وإراد به أنه مثل وعيدهم النبي ﷺ وتخويفهم إياه وأبطله بأن نصره عليهم فغير عن ذلك بأنه جعل كلمتهم السفلى لا أنه خلق كلمتهم (وكلمة الله هي العليا) أي هي المرتفعة المنصورة بغير جعل جاعل إلا أنها لا يجوز أن تدعو إلى خلاف الحكمة وقيل أن كلمة الكفار كلمة الشرك وكلمة الله هي كلمة التوحيد وهي قوله لا إله إلا الله فمعناه جعل كلمة الكفار السفلى بأن جعلهم ذلة أسفلين وأعلى كلمة الله بأن أعز الإسلام والمسلمين (والله عزيز) في انتقامه من أهل الشرك (حكيم) في تديبه

قوله تعالى (٤١) اتقوا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٤٢) لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لأتبعوك ولكن بددت عليهم الأنفة وسحقفون بالله لو استطنوا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون (٤٣) عفا الله عنك ليم آذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الأعمش لو استطنوا بضم الواو وقد مضى الكلام فيه في أوائل سورة البقرة

﴿ اللفظ ﴾

القاصد السهل المقصد عن غير طول لأنه ما يقصد لهولته وسمي العدل فصداً لأنه ما ينبغي أن يقصد والشقة القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها ويحمل أن يكون من الشق الذي هو الناحية من الجبل ويحمل أن يكون من الشقة والشقة السفر والمسافة وقريش يضمون الشين وقيس يكسرونها وقريش يضمون العين من بدت وقيس يكسرونها

— المعنى —

ثم أمر سبحانه بالمجاهد وبين تأكيد وجوبه على المباد فقال (اتقوا) أي اخرجوا إلى الغزو (خفافاً وثقالاً) أي شباناً وشيوخاً عن الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم وقيل نشاطاً وغير نشاط عن ابن عباس وحماد وقيل مشاقيل وغير مشاقيل عن الحكم وقيل اغنياء وفقراء عن أبي صالح وقيل أراد بالخفاف أهل السرية من المال وقلة العيال وبالثقال أهل الميسرة في المال وكثرة العيال عن الفراء وقيل مناهة ركباناً ومشاة عن أبي عمرو وعطية الوفي وقيل ذا صنعة وغير ذي صنعة عن ابن زيد وقيل عزاباً ومتأهلين عن بيان والوجه أن يحمل على الجميع فيقال

معناه اخرجوا الى الجهاد خف عليكم او شق على أي حالة كنتم لأن احوال الإنسان لا تخلو من أحد هذه الأشياء (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) وهذا يدل على ان الجهاد بالنفس والمال واجب على من استطاع بها ومن لم يستطع على الوجهين فعليه ان يجاهد بما استطاع (ذلك خير لكم) معناه ان الخروج والجهاد بالنفس والمال خير لكم من التثاقل وترك الجهاد الى مباح (ان كنتم تعلمون) ان الله عز اسمه صادق في وعده وعيده وقيل معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا ان هذا خير قال السدي لما نزلت هذه الآية اشتد ثقلها على الناس فتنسجها تعالى بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (لو كانت عرضا قريبا) معناه لو كان ما دعوتهم اليه غنية حاضرة (وسفراً قاصدا) اي قريبا هينا وقيل قاصدا أي ذا قصد نحو تاجر ولا ين عن المرد وقيل سهلا متوسطا غير شاق (لا تيمك) طمعا في المال (ولكن بعدت عليهم الشقة) اي للمساكنة يعني غزوة تترك أسروا فيها بالخروج الى الشام (وسيفلحوا بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) معناه ان هؤلاء مستغفرون اليك في قومهم عن الجهاد ويصفون لو استطعنا وقدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم اخبر سبحانه انهم (يكونون أنفسهم) بما اسروهم من الشرك وقيل بالبين الكاذبة والمعدر الباطل لا يستحقون عليها من العقاب (والله يعلم انهم لكاذبون) في هذا الاعتذار والحلف وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا ﷺ اذ أخبر أنهم سيفلحون قبل وقوعه فحلفوا وكان مخبره على ما أخبر به وفيه أيضا دلالة واضحة على أن القدرة قبل الفعل لأن هؤلاء لا يخلو اما ان يكونوا مستطيعين من الخروج قادرين عليه ولم يخرجوا أو لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا لو انهم قدروا في المستقبل لخرجوا فإن كان الأول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وان كانت الثانية فقد كذبهم الله تعالى في ذلك وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك أيضا وجوب تقدم القدرة على المقدور فإن حلوا الاستطاعة على وجود الآلة وعدة السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضرورة فإن حقيقة الاستطاعة القدرة على ان لا يكون عدم الآلة والعدة عذرا في التأخر فبعد القدرة اصلا أحرمه وأولى أن يكون عذرا في ثم خاطب النبي ﷺ بما فيه بعض العتاب في اذنه لمن استأذنه في التأخر عن الخروج معه إلى تبوك قال (صلى الله عليه وسلم) في التأخر عنك قال قتادة وعمر بن ميمون الثمان فلعنه النبي ﷺ لم يؤمر بها اذنه المناقذين وأخذ العدا من الاسارى ضائبه الله كما تسمعون وهذا من لطيف المصائب بدأه بالسفر قبل العتاب وهل كان هنا الاذن قبيحا ام لا قال الجبائي كان قبيحا ووقع صغيرا لانه لا يقال في المباح لم فعلته وهذا غير صحيح لانه يجوز ان يقال فيما غيره افضل منه لم فعلته كما يقول القائل لغيره إذا رآه يهاب اخاه لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه وان كان يجوز له سائبته بما يشق عليه وكيف يكون اذنه لم قبيحا وقد قال سبحانه في موضع آخر فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل معناه اذام الله لك العفو لم أذنتم هؤلاء في الخروج لأنهم استأذنوا فيه فمقابلوا خرجوا لا رادوا الخيال والفساد ولم يعلم النبي ﷺ ذلك من سرورهم عن ابي مسلم (حتى يبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) أي حتى تعرف من له المقدر منهم في التخلف ومن لا عذر له فيكون اذنتك لمن أذنت له على علم قال ابن عباس وذلك ان رسول الله ﷺ لم يكن يعرف المناقذين يومئذ وقبل انه (ع) لتأخيرهم بين الظن والإقامة متوعدا لهم ولم يأذن فاعتز القوم بذلك وفي هذا اخبار من الله سبحانه انه كان الاول ان يلزمهم الخروج معه حتى إذا لم يخرجوا أظهر نفاقهم لأنه متى أذن لهم ثم تأخروا لم يعلم اتفاق كان تأخرهم

أم لتبهره وكان الذين استأذوه منافقين ومنهم جد بن قيس ومنقب بن قشير وهما من الأنصار
قوله تعالى (٤٤) لَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٥) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَمَنْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (آيات)

المعنى

ثم بين سبحانه حال المؤمنين والمنافقين في الاستئذان قال (لا يستأذك) أي لا يطلب منك الاذن
في القدوم عن الجهاد مملك بالماذير الفاسدة وقبل مناه لا يستأذك في الخروج لأنه مستغن عنه بدعاك
إلى ذلك بل يتأهب له عن أبي مسلم (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم)
والمعنى في أن يجاهدوا فحذف في فاضى الفعل (والله عليم بالمتقين) قال ابن عباس هنا تميز للمنافقين حين
استأذوه في القدوم عن الجهاد وغدر المؤمنين في قوله لم يذهبوا حتى يستأذوه والمعنى أنه لم يخرجهم من صفة
المتقين إلا لأنه علم أنهم ليسوا منهم (لما يستأذك) في التأخر عن الجهاد والتخلف عن القتال مملك وقيل في
الخروج لأن المناق لنا يستأذك في الخروج تلقا ولا يتأهب كما يتأهب المؤمنون عن أبي مسلم (الذين
لا يؤمنون بالله) أي لا يصدقون به (واليوم الآخر) يعني بالبعث والنشور (وارتابت قلوبهم) أي اضطربت
وشكت (فهم في ريبهم يترددون) فهم في شكهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع
مرات متتارة مثل التغير وأراد به المنافقين أي حوصون الاذن لشكهم في دين الله وفيهو عبد المجاهدين ولو
انهم كانوا غلصين لوقوا بالنصر وشواب الله فبادروا إلى الجهاد ولم يستأذكوه فيه

قوله تعالى (٤٦) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وقيل أقموا مع القاعدين (٤٧) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَافَكُمْ
يَبْشُرُوكُمْ بِالْفِتْنَةِ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٨) لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ
وَقَلْبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (ثلاث آيات)

الفئة

العدة والاهبة والالة نظائر والانبعاث الانطلاق بسرعة في الأمر وظلان لا يبعث في الحاجة أي
ليس له نفاذ فيها والتثبيط التوقيف عن الأمر بالترديد فيه ومثله الترهيب والخبال الفساد والخيال الموت
والخبال الاضطراب في الرأي والخبل بسكون الباء وضحا الجنون والخبل فساد الأعضاء قال
إني ليني لستم يد إلا يدا مضبوطة الضد

والإيضاح الإصرار في السير قال امرو القيس

أرانا موضعين لحتم غيب ونفسر بالطعام والشراب
ورعبا قالوا الركب وضع بنبر الف ووسمت الناقة تضع وضاً ووضعوا وأوضعها إضعا قال
باليتي فيها جذع اخب فيها وأضع

خلاكم أي بينكم مشتق من التخلل وفي الحديث تراصوا بين الصفوف لا يتخلل الشياطين كأنها نبات
حذف والتقلب تصرف الشيء يميل اعلاه اسفله ورجل حوّل قلبه كأنه قلب الآراء في الأمور ويحوّلها

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين قال (ولو أرادوا الخروج) مع النبي ﷺ نصرته له أو رغبة
في جهاد الكفار كما أراد المؤمنون ذلك (لأعدوا له عدة) أي لاستعدوا للخروج عدة وهي ما يمد لأمر
يحدث قبل وقوعه والمراد لأعدوا أهبة الحرب من الكراع والسلاح لأن إمدارة من أراد أمراً أن يتأهب له
قبل حدوثه (ولكن كره الله أن يباهد) معناه ولكن كره الله خروجهم إلى الفزو لعله لهم لو خرجوا لكانوا
يمشون بالنسيئة بين المسلمين وكانوا عيوناً للمشركين وكان الضرر في خروجهم أكثر من الفائدة (فتبطلهم) عن
الخروج الشيء عجزوا عليه لا عن الخروج الذي أمرهم به لأن الأول كفر والثاني طاعة ولا ينبغي أن
يقال كيف كره الله إنباهم بعد ما أمرهم به في الآية الأولى لأنه إنما أمر بذلك على وجه الذنب عن الدين ونية
الجهاد وكره ذلك على نية التضريب والفساد كره غير ما أمر به ومعنى تبطلهم بطأهم وخذلهم لما يعلم
منهم من الفساد (وقيل أقصدوا مع القاعدتين) أي وقيل لهم أقصدوا مع النساء والصبيان ويحصل أن يكون قائلون
لهم ذلك أصحابهم الذين نهم عن الخروج مع النبي ﷺ للجهاد ويحصل أن يكون ذلك من كلام النبي
ﷺ لهم على وجه التهديد والوعيد لا على وجه الإذن ويجوز أن يكون أيضاً على وجه الإذن لهم
في التمرد الذي عاتب الله تعالى عليه إذ كان الأولى أن لا يأذن لهم ليظهر التماس نفاهم قال أبو مسلم هذا
يدل على أن الاستئذان كان في الخروج وإن الأذن من النبي ﷺ لهم كان في الخروج لأنه إذا كره
الله سبحانه خروجهم وأراد قودمهم وأذن النبي ﷺ في قودمهم فلا يحب عليه ولكنهم استأذنا في الخروج
تلقا وأرادة الفساد فأذن النبي ﷺ لهم فيه ولم يعلم خباياهم فلم الله تعالى ذلك من نياتهم ومنهم من
الخروج إذ كره خروجهم ثم بين سبحانه وجه الحكمة في كراهية إنباهم وتبطلهم عن الخروج فقال (لو
خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً) معناه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم إلى الجهاد ما زادوكم بخروجهم إلا
شراً وفساداً وقيل غدراً ومكرًا عن الضحّاك وقيل يزيد عجزاً وجننا عن ابن عباس أي أنهم كانوا يجنبونكم عن
لقاء العدو بهويل الأمر عليكم (ولأنهم خلاكم) أي لأنهم سرعوا في الدخول بينكم بالتضريب والإفساد
والنسيئة يريد ولسوا فيما بينكم بالتفريق بين المسلمين ويكون قد بدؤوا وأعدوا الإبل وسطكم وقيل معناه
لا وضموهم لئلا يتخللوا بينكم حتى يدخل بينهم فيقول ما لا ينبغي (يوتركم الفتنة) يمدوا الإبل
وسطكم ومعنى يوتركم يوترون لكم أو يفكم أي يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة وقيل معناه يوتركم
أن تكونوا مشركين والفتنة الشرك عن الحسن وقيل معناه يوتركم بالعدو ويضربونكم أنكم منهزمون وأن
عدوكم سيظهر عليكم عن الضحّاك (وفيكم ساعوت لهم) أي وفيكم عيون المنافقين يتقلون إليهم
ما يسمعون منكم عن مجاهد وابن زيد وقيل معناه وفيكم قائلون منهم عند سماع قولهم يريد ضفة المسلمين
عن قتادة وابن إسحاق وجماعة (والله عليم بالظالمين) أي هؤلاء المنافقين الذين ظلموا أنفسهم لما أضموهم
عليه من الفساد منهم عبد الله بن أبي وجدة بن قيس وأوس بن قبيط ثم أقسم الله سبحانه قال (لقد ابتغوا
الفتنة من قبل) الفتنة اسم يقع على كل سوء وشر والمعنى لقد طلب هؤلاء للمنافقون اختلاف كلمتهم

وتثبت اهلناكم وانفراق آرائكم من قبل غزوة تبوك اية في يوم أحد حين انصرف عبد الله بن ابي
 باصحابه وخذل النبي ﷺ فصرف الله سبحانه عن المسلمين فقتلهم وقيل أراد بالفتنة صرف الناس عن
 الايمان والقاء الشبهة الى صفاء المسلمين عن الحسن وقيل أراد بالفتنة الفتك بالنبي ﷺ في غزوة تبوك
 ليلة العبة وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على التثنية ليقتكوا بالنبي ﷺ عن سعيد بن جبير
 وابن جريج (وقبل ذلك الامور) أي احتالوا في توهين أمرهم وايقاع الاختلاف بين المؤمنين وفي قتلك بكل
 ما اسكنهم فيه فلم يقدروا عليه وقيل انهم كانوا يريدون في كيدهم وجها من التدبير فاذا لم يمت ذلك فيه تركوه
 وطلبوا المكيدة في غيره فهذا قلب الامور عن ابي سلم (حتى جله الحق) معناه حتى جاء النصر والظفر
 الذي وعد الله به (ونظر أمر الله) أي دينه وهو الاسلام على الكفار على رءسهم (وهو كارهون) أي في حال
 كراهتهم لذلك ففي جملة في موضع الحال

قوله تعالى (٤٩) وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَنْفِي اِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
 بِالْكَافِرِينَ (٥٠) اِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَاِنْ تُصِيبَكَ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا قَدْ اَخَذْنَا اَمْرًا مِّنْ قَبْلُ
 وَيَتَوَلَّوْاْ وَهُمْ فَرِحُونَ (٥١) قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا اِلَّا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ هَلْ قَرَّبُوا بَنِي اِلٰهٍ اِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَىٰ رَيْبًا مِّنْكُمْ اَنْ يُصِيبَكُمْ
 اللّٰهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ اَوْ اُيْذِنَا فَنَقَرَّ بِصَوْرٍ اِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ (اربع آيات)

❦ القراءة ❦

القراءة المشهورة قلن يصيبنا وقرأ طلحة بن مصرف قل هل يصيبنا وكذلك هو في مصحف ابن مسعود

❦ التناول ❦

قل ان رسول الله ﷺ لما استنفر الناس الى تبوك قال انفروا لعلكم تفتنون بنات الاصغر فقام جد
 ابن قيس اخو بني سلمة بن بني الخزرج فقال يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني بينات الاصغر فاني اخاف
 ان اخفن بين قال قد اذنت لك فانزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي الايات عن ابن عباس ومجاهد
 فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لبني سلمة من سيدكم قالوا جد بن قيس غير انه يجمل جبان
 فقال عليه السلام وأي داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجسد بشر بن البراء بن المعرور فقال
 في ذلك حسان بن ثابت

وقال رسول الله والقول لاحق	بن قال ائنا من نلدون سدا
قلنا له جد بن قيس على الذي	نبتله فينا وان كان اتكدا
فقال واي الداء ادوى من الذي	رमितم به جدا وان كان امجدا
وسود بشر بن البراء جلوده	وحق لبشر ذي الندا ان يسودا
اذا ما اتاه الوفد اتهب ماله	وقال خذوه انه عائد غدا

— اللحن —

(ومنهم اي ومن المنافقين (من يقول ائذن لي) في السجود عن المجاهد (ولا تفتني) بينات الاصغر

عن ابن عباس ومجاهد قال الفراء سميت الروم أصفر لأن حبشيا غلب على ناحية الروم وكان له نبات قد أخذ من بياض الروم وسواد الحبشة فكان صفرا لسا وقيل معناه لا تؤمنني أي لا تؤمنني في الأوثان بالصبيان لمخالفة أمرك بالخروج إلى الجهاد وذلك غير متيسر لي عن الحسرت وقصداء الجبائي والزجاج (إلا في الفتنة سقطوا) معناه إلا في المعصية والكفر وقصوا بمخالفتهم أمرك في الخروج والجهاد وقيل معناه لا تمذهني بكليف الخروج في شدة الحر إلا قد سقطوا في حر أعظم من ذلك وهو حر نار جهنم عن أبي مسلم ويبدل عليه قوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا (وإن جهنم لمحطلة للكافرين) أي ستحيط بهم فلا مخلص لهم منها (إن تصيبك حسنة تسوءهم) هذا خطاب من الله سبحانه النبي ﷺ ومعناه إن تلك نعمة من الله وقبح وغيبة يحزن المنافقون (وإن تصيبك مصيبة) معناه وإن تصيبك شدة ونكبة وآفة في النفس أو المال (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أي أخذنا حذرنا واحترزنا بالقيوم من قبل هذه المصيبة عن مجاهد ومعناه أخذنا أمرنا من مواضع الملكة فسلمنا عما وقصوا فيه (ويؤثروا وهم فرحون) أي رجوا إلى يومهم فرحين بما أصاب المؤمنين من الشدة (قل) يا محمد لهم (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) أي كل ما يصيبنا من خير أو شر فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من أمرنا وليس على ما يظنون ويتوهمون من أهانتنا من غير أن يرجع أمرنا إلى تدبير عن الحسن وقيل معناه لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا وإنا نظفر بالأعداء فتكون النصره حسني لنا أو تقتل فتكون الشهادة حسني لنا أيضا أي قد كتب الله لنا ما يصيبنا وعدنا ما لنا فيه من الحفظ عن الزجاج والجبائي (هو مولانا) أي هو مالكا ونحن عبده وقيل هو ولينا وناصرينا يحفظنا وينصرنا ويؤمل حمايتنا ودفع الضر عنا (وعل الله فليؤكل المؤمنون) هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين بالوكل عليه والرضا بتدبيره وتقديره فليؤكل على الله المؤمنون (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (هل تربصون بنا إلا أحدهم الحسنين) معناه هل تنتظرون لنا إلا أحدي الخصميتين الحميدتين والتمنتين العظيمتين إما الغلبة والفتنة في العاجل وإما الشهادة مع الثواب الدائم في الآجل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وهل وإن كان حرف الاستفهام فعناه هنا التقرع بالتربص المؤدي صاحبه إلى قل ما يكرهه من خيبة وفوز خصمه ومن هلاكه ونجاة خصمه ومن شقوته وسعادة خصمه (وهن تربص بكم) أي وهن تتوهم بكم (أن يصيبكم الله بضرب من عذبه أو بأيدنا) أي يوقع الله بكم عذابا من عذبه يهلككم به لو بأن ينصرتا عليكم فيقتلكم بأيدنا (تربصوا) صورته صورة قالا سر والبراد به التهديد كقولهم اعملوا ما شئتم لأنه لو كان أمرا لهم لكانوا في تربصهم بالمؤمنين القتل مطمئين الله (أنكم تربصون) أي منتظرون إما الشهادة والجنة وإما الفتنة والاجر وإما البقاء في الذل والعري وإما الموت أو القتل مع المصير إلى النار لكم وهذه الآية تفسر قوله تعالى قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا وقيل معناه تربصوا هلا كنا فإننا تربصون هلاككم وقيل تربصوا مواعيد الشيطان في إبطال دين الله وهن تربصون مواعيد الله في إظهار دينه ونصرته نبيه واستئصال مخالفيه

قوله تعالى (٥٣) قُلْ أَتَقِفُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنِ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ

(٥٤) وَمَا مَسَّهِمْ أَنْ تَقِيلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ

إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارْهُونَ (٥٥) فَلَا تُمْحِطْكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْجَنَّةِ الَّذِينَ آذَيْنَا وَنَزَّهَنَّا أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم أن يقبل بالياء والياقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

وجه القراءة بالياء أن الفعل مسند إلى موث في اللفظ ووجه الياء أن الثاني ليس بمقتضي فجاز أن يذكر كما جاء فن جاده موحدة

﴿ اللفظ ﴾

الطوع الاقباد بإرادة لم يعمل عليها والكره فعل الشيء بكراهة حل عليها والمنع أمر يضاد الفعل وينافيه وهو على وجهين منع أن يفعل ومنع أن يفعل به فهو لاء منوا من أن يفعل بهم قبول نفقتهم والزق الخروج بصورة وأصله الملاك وكل هالك زاهق زهق يزحق زهوقا والزاق من الدواب السمين الشديد السمن لأنه هالك يقتل بدنه في السير والكر والفرو زهق فلان بين ايدي القوم إذا ذهب سابقا لهم حتى يهلك منهم والإعجاب السرور بما يعجب منه يقال أعجبتني حديثه أي سرني

﴿ الأعراب ﴾

انفقوا طوعا أو كرها لفظ امر ومعناه منى الشرط والجزاء المعنى أن انفقتم طائمين أو مكهربين لن يتقبل منكم ومثله من الشعر قول كثير

اسئني بنا أو احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

فلم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها أن إساءت أو أحسنت فهو على عهدنا فكانه قال أن أحسنت أو إساءت فلا تلامي قال الزجاج فإن قال قائل كيف يكون الأمر في معنى الخير قيل له إذا كان في الكلام دليل عليه جاز كما يكون لفظ الخير في معنى الأمر والدعاء كفواك غفر الله لزيد ورحمه الله ومعناه اللهم اغفر له وارحمه وقوله ان تقبل في موضع نصب وتقديره من ان تقبل واتهم كفروا بالله في موضع رفع المعنى ما منهم من قبول نفاقهم إلا كفرهم ويحوز أن يكون التقدير وما منهم الله منه إلا لأنهم كفروا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه أن هؤلاء المنافقين لا ينفقون بما ينفقونه مع إقامتهم على الكفر فقال (قل) يا محمد هؤلاء (انفقوا طوعا أو كرها) أي طائمين أو مكهربين (لن يتقبل منكم أنكم كنتم قوما فاسقون) معناه وإنما لم يتقبل منكم لأنكم كنتم متمردين عن طاعة الله والله سبحانه إنما يتقبل من المؤمنين المخلصين (وما منهم من أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله) أي وما يجع هؤلاء المنافقين يثابروا على نفاقهم إلا أنهم كفروهم بالله وبرسوله وذلك مما يحيط الأفعال وينبع من استحقاق الثواب عليها (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) أي متهاولين والمعنى لا يؤدوها على الوجه الذي أمروا أن يؤديوها على ذلك الوجه (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) لذلك لأنهم لما يصلون وينفقون لرياء والتسديد بالإسلام لا لابتغاء مرضاة الله تعالى وفي هذا دلالة على أن النفاق مخاطبون بالشرائع لأنه سبحانه ذمهم على ترك الصلاة والترك لكونها واجبة عليهم لا يذموا بتركها (فلاتمحيطكم)

أموالهم ولا أولادهم) الخطاب لذي ^{الدينار} والمراد جميع المؤمنين وقيل يريد لا تعجبكم أي لا تأخذ بقلبك ما تراه من كثرة أموال هؤلاء المنافقين وكثرة أولادهم ولا تنتظر إليهم بعين الإحباط (أن يريد الله أن يذيعهم بها في الحياة الدنيا) قد ذكر في معناه وجه ^{أحد} أن فيه تقديرا وتأخيرا أي لا يسرك أموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليذيعهم بها في الآخرة عن ابن عباس وقساحة فيكون الطرف على هذا متعلقا بأموالهم وأولادهم ومثله قوله تعالى فآلهه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجون والتقدير فآلهه إليهم فانظر ماذا يرجون ثم تول عنهم ^{ثاني} أن معناه إنما يريد الله أن يذيعهم بها في الدنيا بالتشديد عليهم في التكليف وأمرهم بالإففاق في الزكاة والتزود فيكونها على كره منهم ومثقة إذ لا يرجون به ثوبا في الآخرة فيكون ذلك مذبا لهم عن الحسن والحسين ^{ثالث} أن معناه إنما يريد الله ليذيعهم بها في الدنيا بأي شيء الأولاد مع حرمان المصنف بهما عن زين ^{رابع} أن معناه إنما يريد الله ليذيعهم بها في الدنيا بأي شيء الأولاد وغنيمة الأموال عند تمكن المؤمنين من أخذها وغنما فيحسبون عليها فيكون ذلك جزاء على كفرهم عن الجاني ^{خامس} أن المراد يذيعهم بجسدها وسفلهما وجهها والبخل بها والحرص عليها وكل هذا عذاب وكذلك غروجهما منها بالوت لأنهم ينافقونها ولا يدرون إلى ماذا يصيرون واللام في قوله ليذيعهم يحتمل أن يكون بمعنى أن لا يحصل أن يكون لأم العاقبة والتقدير إنما يريد الله أن يلي لهم فيها ليذيعهم (وترفع أنفسهم) أي تهاك وتكذب بالوت (وهم كافرون) جملة في موضع الحال أي حال كونهم كافرين والإرادة تعلق بزور أنفسهم لا بالكفر وهذا كما تقول أريد أن أضربه وهو ماض فالإرادة تعلق بالضرب لا بالصيان

قوله تعالى ٥٦ وَيَحْلِفُونَ بِأَنَّهُمْ لَمَسْكُمْ وَمَا مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ يَوْمَ يُفْرَوْنَ ٥٧ لَوْ يَخْلُفُونَ مَلِجًا أَوْ مُفَارَاتٍ أَوْ مُدْخِلًا لَوْ كُورًا إِلَيْهِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ آيَاتان

﴿القرأة﴾

قرأ يقرب وسهل أو مدخلا بفتح الميم وسكون الدال وهو قراءة ابن أبي إسحاق والحسن والباقران مدخلا وفي الشواذ قراءة مسلمة بن حارث ومدخلا بضم الميم وسكون الدال وقراءة الأعرج مدخلا بتشديد الدال والحاء وقراءة أنس وهم يحسبون رواه الأعمش عنه

﴿الحجة﴾

أما قوله مدخلا في القرأة إثارة فأسهل مدخلا لكن التاء تبدل بعد الدال دالا لأن التاء مهموسة والدال مجبورة والتاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد أخف ومن قرأ مدخلا فهو من دخل يدخل مدخلا ومن قرأ مدخلا فهو من أدخله مدخلا قال

الحمد لله مسينا ومصيحنا بالحيز صيحنا وفي ومسنا

ومن قرأ مدخلا بتشديد الدال والحاء جله متدخلا ثم ادغم التاء في الدال وفي رواية الأعمش أنه سمع أنما يقرأ يحسبون فقال وما يحسبون قال يحسبون ويحسبون ويشتدون واحد

﴿النية﴾

الفرق اتزاج النفس بتوقع الضرر وأصله من مفارقة الأموال حال الاتزاج والعليا الموضع الذي يتحصن فيه ومثله العقل والموئل والمعتصم والمعدن والمخارات جمع مفارقة مفعلة من غار الشيء في الشيء يفر إذا دخل منه في موضع يساره والغاز الثقب في الجبل والمدخل المسلك الذي يتنفس بالدخول فيه وهو مقتل والجراح بضی المار مسرا على وجهه لا يرد شي عنه وقيل هو المشي بين الشيتين قال مهمل

لقد جمعت جماعاً في دماهم
والجرح الراكب هو له قال

خلعت عذارى جامعا ما يردني
عن اليض امثال المني زجر زاجر

﴿المني﴾

ثم انظر سبحانه سرا من لسر القوم قتال (ويعلقون بالله انهم لنكسرهم) اي يقسم هؤلاء المتأفقون انهم لن
جملتكم ايها المؤمنون اي مؤمنون امثالكم (وما هم منكم) اي ليسوا مؤمنين بالله كما انتم كذلك
(ولكنهم قوم يفرقون) اي يخافون القتل والاسرار لم يظهروا الايمان (لويجدون ملجأ) اي لو يجد هؤلاء المتأفقون
حرزا من ابن عباس وقيل حصنا عن قتادة (ابن مغازات) اي غاراتا في الجبال عن ابن عباس وقيل سرايب من صلا
(او مدخلا) اي موضع دخول يا وبن اليه عن الضحاك وقيل نفقا كنفق اليربوع عن ابن زيد وقيل اسرايا في الارض
عن ابن عباس والي جفر (ج) وقيل وجها يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ عن الحسن (لولا اليه) اي
لعدوا اليه وقيل لا عرضا عنكم اليه (وهم يصيحون) اي يسرعون في الذهاب اليه ومعنى الآية انهم من خبت
دخلهم سوء سريرتهم وحرصهم على انقاذ ما في نفوسهم من النفاق والكفر لو اساءوا شيئا من هذه الاشياء
لا روا اليه ليجهروا بما يضره وانه عرضوا عنك

قوله تعالى (٥٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا
مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخِفُّونَ (٥٩) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آلَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ آيَاتان

﴿القراءة﴾

قرأ يعقوب يلزمك بضم الميم وهي قراءة الحسن والاعرج والباقون بكسر الميم

﴿اللمزة﴾

يقال لمز الرجل المز ولزمه اذا بهته وكذلك هزمه قال الشاعر

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة وإن تعيبت كنت الهامز الهما

وقيل الهمز اليب بكسر الين وضمها اي يكسرجه اذا غاب واللامز اليب على وجه السادة وقيل لا عاري
أتهمز القادة قال امر بهمزها فأوقع الهمز على الأكل والهمز كالهمز

﴿الانزول﴾

عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله ﷺ يقسم قسا وقال ابن عباس كانت غنائم هوازن يوم
حنين اذ جاءه ابن ابي ذى الحليفة التميمي وهو حرقوص بن زهير أصل الحوارج فقال اعدل يا رسول الله فقال
ويك ومن يعدل إذا لم اعدل فقال هو يا رسول الله ائذني فأضرب عنقه فقال النبي ﷺ دمه قالون له اصحابا
يختر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية فينظر في قدذه
فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رزاقه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نعله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرت والم
آيتهم رجل اسود في إحدى ثدييه او قال في إحدى يديه مثل ثدي المرأة او مثل البضة تدرد يخرجون على فقرة
من الناس وفي حديث آخر فلا يخرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم فقتلوا ومنهم من يلزمك الآية قال ابو سعيد
الخدري أشهد اني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد ان عليا (ج) حين قتلهم وأنا معه جبي بالرجل على

النت الذي نمت رسول الله ﷺ رواه التلمي بأسناده في تفسيره وقال الكلبي ثلثت في المؤفة قلوبهم وهم المناقون قال رجل منهم يقال له ابن الجواز لم يقسم بالسرية فأزول الله الآية وقال الحسن أتاه رجل وهو يقسم فقال الست تزعم أن الله تعالى أمرك أن تضم الصدقات في الفقراء والمساكين قال بلى قال فما لك تضمها في رعاة التزم قال أني الله (ع) موسى (ع) كان داعي غم فلما دلى الرجل قال عليه السلام احذروا هذا وقال ابن زيد قال المناقون ما يعطيا محمد إلا من أحب ولا يؤثر بها الأهواء فقلت الآية

— المعنى —

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (وممنهم) أي من هؤلاء المناقون (من يلزمك في الصدقات) أي يعيبك ويظن عليك في أمر الصدقات (فإن أعطوا منها) أي من تلك الصدقات (رضوا) وأقروا بالعدل (وإن لم يعطوا منها إذا هم يستظنون) أي يضيئون ويصيبون وقال أبو عبد الله (ع) أهل هذه الآية أكثر من ثلثي الناس (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) معناه ولو أنهم رضوا. المناقون الذين يطلبون الصدقات ويطلبونها بغير رضا بها رضوا بها إعطاهم الله ورسوله (وقالوا) مع ذلك (حسبنا الله) أي كفانا الله أو كافينا الله (سيرونا الله من فضله ورسوله) أي سيطينا الله من فضله واتممه ويططينا رسوله مثل ذلك وقالوا (إنا إلى الله راجعون) في أن يؤسم طينا من فضله فينبغي عن أموال الناس وقيل يعني راجعون إليه فيا يططينا من الثواب ويصرف عنا من العذاب وجوابه لم يخوف وتقديره لكان خيرا لهم وأعود عليهم وحذف الجواب في مثل هذا الموضع ابلغ على ما تقدم يانه

قوله تعالى (٦٠) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَفَّقَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالنَّارِ مِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آيَةٌ

❦ الإعراب ❦

قال الزجاج فريضة منصوب على التوكيد لأن قوله إنما الصدقات لهؤلاء كقولك فرض الله الصدقات لهؤلاء.

❦ المعنى ❦

ثم بين سبحانه أن الصدقات فقال (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) ونهاه ليست الصدقات التي هي زكاة الأموال إلا لهؤلاء. واختلف في الفرق بين الفقير والمساكين على قولين ❦ أحدهما ❦ أنها صنف واحد وإنما ذكر الصنف تأكيداً للأمر وهو قول أبي علي الجبائي وأليه ذهب أبو يوسف ومحمد فقالا فيمن قال ثلث مالي للفقراء والمساكين وقلان نصف الثلث ونصفه الآخر للفقراء والمساكين لثما صنف واحد والآخر وهو قول الأئمة ثلثين لثما صنفان وهو قول الشافعي وأبي حنيفة فإنه قال في المسألة المذكورة أن ثلثان ثلث الثلث وثلثي الثلث للفقراء والمساكين ثم اختلف هؤلاء على أقوال قيل إن الفقير هو المسكين الذي لا يسأل والمساكين الذي يسأل عن ابن عباس والحسن والزهرري ومجاهد ذهبوا إلى أن المسكين مشتق من المسكنة بالمسأة وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) وقيل إن الفقير الذي يسأل والمسكين الذي لا يسأل وجاء في الحديث ما يدل على ذلك فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال ليس المسكين الذي يرد الأكله ولا الأكلان والشرمة والشرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنياً فينبهه ولا يسأل الناس شيئاً ولا يظفر به فيصدق عليه وقيل الفقير هو الزمن المحتاج والمسكين هو الصحيح المحتاج عن قادة وقيل الفقراء المهاجرون والمساكين غير المهاجرين عن الضحاك وإبراهيم ثم اختلفوا من وجه آخر فقيل إن الفقير أسوأ حالا من المسكين فإن الفقير هو الذي لا شيء له والمسكين الذي له ثلثة من البش لا تكفيه وبالله ذهب الشافعي وأبو الأنباري واحتجوا

بقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وبأن الفقير مشتق من قار الظهر فكان الحاجة قد كسرت قار ظهره وقيل ان المسكين اسوأ حالا من الفقير فإن الفقير الذي له بئنة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وهو قول أبي حنيفة والفتي وابن دريد وأمة اللغة وانشد يونس

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفقى الميال فلم يترك له سبد
فساء فقيراً وجعل له حلوبة وأجابوا عن السفينة بأنها كانت مشتركة بين جماعة ولكل واحد منهم الشئ
اليسير وايضا فإنه يجوز ان يكون مساكين على وجه الرحمة كما جاء في الحديث مساكين أهل النار
وقال الشاعر

مساكين أهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر
وقيل انهم كانوا يعملون عليها اجارة فأضيفت اليهم (والعاملين عليها) يعني سماء الزكافو جياتها (والموافقة
قلوبهم) وكان هؤلاء قوما من الأشراف في زمن النبي ﷺ وكان يطعمهم سهام الزكاة ليتأنفهم به
على الإسلام ويستعين بهم على قتال العدو ثم اختلف في هذا السهم هل هو ثابت بعد النبي ام لا قيل هو ثابت في كل
زمان عن الشافعي واختاره الجاني وهو المروي عن أبي جعفر (ع) إلا انه قال من شرطه ان يكون هناك
إمام عادل يتأنفهم على ذلك به وقيل ان ذلك كان خاصا على عهد رسول الله ﷺ ثم سقط بعده
لأن الله سبحانه أمر الإسلام وقهر الشرك عن الحسن والشعي وهو قول أبي حنيفة واصحابه (وفي الرقاب)
يعني في فك الرقاب من العنق وأراد به المكاتبين واجاز اصحابنا ان يشتري منه عبد مؤمن اذا كان في
شدة ويستق ويكون ولأوله لأرباب الزكاة وهو قول ابن عباس والحسن ومالك (والثامرين) وهم الذين
ركبتهم الديون في غير معصية ولا اسراف يقضي عنهم الديون (وفي سبيل الله) وهو الجهاد بلا خلاف
ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين وهو قول ابن عمر وعطاء وهو اختيار البلخي وجعفر بن بشر
قالوا يعني من المساجد والناظر وغير ذلك (وابن السبيل) وهو المسافر المقطع به يعطى من الزكافوان كان غنيا في بلده
ذا يسار وانما سمي ابن السبيل لزومه الطريق فنسب اليه كما قال الشاعر

انا ابن الحرب وبني وليدا إلى ان شئت واكنهلت لداقي
وقيل هو الضيف عن قتادة (فريضة من الله) اي مقدرة واجبة قدرها الله وحننا (والله عليهم) بحاجة
خلقهم (حكيم) فيا فرض عليهم ووجب من اخراج الصدقات وغير ذلك

قوله تعالى (٦١) وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلٍّ أَدْنَىٰ خَيْرٍ لَّكُمْ يَوْمُنِ
بِاللهِ وَيَوْمُنِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
(٦٢) بِعَلْفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْا بِكُمْ إِنَّا كَانُوا مُؤْمِنِينَ
(٦٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللهُ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ
(ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم في رواية الاعمش والبرجي عن ابي بكر قل اذن خير لكم بالضمة والتنوين فيها وهو قراءة الحسن وقناة وعيسى بن عمر وغيرهم وقرأ الباقر اذن خير لكم بالاضافة وقرأ نافع اذن خير ما كتبه النزال في كل القرآن وقرأ حمزة وحده وروحة الذين آمنوا بالجو والباقر وروحة بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اذن في الآية اذا خفت او ثقلت فإنه يميز ان يطلق على الجملة وان كانت عبارة عن جارحة منها كما قال الخليل في التائب من الازل انه سميت به لكان التائب البازل فسميت الجملة كلها به وقالوا الرئيس هو عين القوم والرئيسة هو عينهم ويجوز فيه شي آخر وهو ان الاسم يجري عليه كالوصف له لوجود معنى ذلك الاسم فيه كقول جرير

تبدو فقدي جمالا زانه خضر اذا تارأت السود المناكب

فأجرى المناكب وصفا عليهن يريد انهن من الحارة والدمامة كالمناكب وقال آخر

فلولا الله والمهر المفضي لأبت وانت غريال الاهداب

فجعله غريالاً لكثرة الحروق فيه من آثار الطعن وكذلك قوله هو اذن أجرى على الجملة اسم الجارحة لما أراد به من كثرة قاستاله لما فيها لاضفاء بها ويجوز ان يكون فلا من اذن بأذن اذا اذا استمع ومنه قوله تعالى واذنت لربها اي استمعت وقوله اذن في اي استمع لي وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي قلتنى بالقرآن ضلي هذا يكون معناه انه كثير الاستماع مثل أنف وسجع قال ابو زيد رجل اذن اذا كان يصدق بكل ما يسمع وقوله اذن خير لكم بالاضافة وهو الاكثر في القراءة فمعناه انه اذن خير اي مستمع خير وصالح لكم ومصح اليه لا مستمع شر وفساد ومن قرأ اذن خير لكم قال الزجاج معناه من يستمع منكم فيكون قريبا منكم قابلاً للهدى خير لكم قال ابو علي ومن رفع وروحة كان المعنى هو اذن خير لكم وروحة جله الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه وعلى هذا وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويجوز ان يقدر حذف المضاف من المصدر واما الجر في رحمة فلي العطف على خير كأنه اذن خير وروحة فإن قلت فيكون اذن رحمة فإن هذا لا يمنع لأن الاذن في معنى مستمع في الأقوال الثلاثة التي تقدمت فكانت مستمع رحمة فجاز هذا كما جاز استمع خير الا ترى ان الرحمة من الخير فإن قلت فلا استغنى بشمول الخير الرحمة وغيره اعني تقدير عطف الرحمة عليه قال قول فيه ان ذلك لا يمنع كما لا يمنع اقراء باسم ربك الذي خلق ثم خص قال خلق الإنسان وان كان قوله خلق نعم الإنسان وغيره فكذلك الرحمة اذا كانت من الخير لم يمنع ان تعطف فخصص الرحمة بالذكر من ضرورب الخير لتلبية من ذلك في وصفه وكثرته كما خصص الإنسان بالذكر وان كان الخلق قد عمه وغيره والبعد بين الجار وما عطف عليه لا يمنع من العطف الا ترى ان من قرأ وقيله يارب انما يخلصه على وعنده علم الساعة وعلم قبله

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين الأحق والأصلح ان الأحق قد يكون من غير صفات الفضل كقولك زيد أحق بالمال والأصلح لا يقع هذا الموضع لأنه من صفات الفعل وتقول الله أحق بأن يطاع ولا تقول اصلح والمحادثة مجاوزة لحد البشاعة وهي المخالفة والمجانبة والمادة نظائر واصله المنع والمحادثة ما يمتري الإنسان من

النزق لأنه يمنه من الواجب والخزي الموان وما يستحي منه

✽ الاعراب ✽

اذن خير خبر مبتدأ محذوف ومن لم يصف جمل خبرا صفة لاذن واللام في قوله يؤمن المؤمن على حد اللام في قوله ردف لكم أو على المعنى لأن معنى يؤمن يصدق فدى باللام كما عدى مصدقا به في نحو قوله مصدقا لما بين يديه وقيل انما دخلت اللام للفرق بين إيمان التصديق وإيمان الامان قوله فإن له نار جهنم يجوز ان يكون العامل في ان احد أمرين اما ان يكون على تقدير حذف الجار على معنى فلان له نار جهنم أو فإن له نار جهنم واما ان يكون اعاد انت الاولى على التكرير للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج وأقول ان هذا على مذهب أبي الحسن وابي علي الفارسي يرتفع قوله ان له نار جهنم بشرط مضر محذوف من هذا الموضع لطول الكلام وتقديره انه ان له نار جهنم والمعنى انه وجوب نار جهنم ويميز ان يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير فأمره أو شأنه ان له نار جهنم ولا يميز ان يرتفع بفضل مضر لأن الفصل لا يقع بعد الفاء في جواب الشرط وانما يدخل الفاء في جواب الشرط إذا كان مبتدأ أو خبرا أو جملة فعلية غير خبرية نحو قوله تعالى اني نذرت هذا مذهب سيويه قال الزجاج ولو قرئ فإن له بكسر الهمزة على وجه الاستئناف لكان جائزا فيكون كقولك انه نار جهنم غير انه لم يقرأ به أحد.

✽ النزول ✽

قيل نزلت في جماعة من المنافقين منهم الجلاس بن سويد وشاس بن قيس وعش بن حير ورفاعة بن عبد المنذر وغيرهم قالوا ما لا ينبغي فقال رجل منهم لا تفعلوا فإننا نخاف ان يبلغ محمدا ما تقولون فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا ثم تأتبه فيصدقنا بما نقول فإن محمد اذن سامعة فأنزل الله الآية وقيل نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل له الحرث وكان رجلا اذ لم احر العينين اسعف الخدين مشوه الخلقة وكأف يتم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين قيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه تقول ما شئنا ثم تأتبه ونهض له فيصدقنا وهو الذي قال فيه النبي ﷺ من أراد ان ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحرث عن محمد بن اسحاق وغيره وقوله يملفون بالله لكه ليرشك الآية قيل انها نزلت في رطل من المنافقين فلقوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله ﷺ من تبوك اتوا المؤمنين يستذرون اليهم من تخلفهم ويملفون ويصدقون فنزلت الآية عن مقاتل والكلبي وقيل في جلاس بن سويد وغيره من المنافقين قالوا لئن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحير وكان عديم غلام من الأنصار يقال له عامر ابن قيس فقال والله انما يقول محمد حق وأنتم شر من الحير ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فداهم فسلم فملفوا ان عامرا كذاب فنزلت الآية عن قتادة والسدي

✽ المعنى ✽

ثم رجع سبحانه إلى ذكر المنافقين قال (ومنهم) أي ومن هؤلاء المنافقين (الذين يؤذون النبي) والأذى قد يكون بالفعل وقد يكون بالقول وهو هنا بالقول (ويقولون هو اذن) معناه انه يستمع الى ما يقال له ويصني اليه وبقوله (قل) يا محمد (اذن خير لكم) اي هو اذن خير يستمع إلى ما هو خير لكم وهو الوحي وقيل معناه هو يسمح الخير ويصل به ومن قرأ اذن خير لكم فمناه قل كونه اذنا أصليكم لكم لأنه

قبل عذركم يستمع اليكم ولو لم يقبل عذركم لكان شرا لكم فكيف تصيرونه بما هو خير لكم وأصلح (يؤمن بالله يؤمن للمؤمنين) معناه لا يضره كونه اذنا فانه اذنت خير فلا يقبل الا الخبر الصادق من الله ويصدق المؤمنين ايضا فيما يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فانما المؤمن تصديقه لهم على هذا القول وقيل يؤمن المؤمن اي يؤمنهم فيما بقى اليهم من الايمان ولا يؤمن للمنافقين بل يكونون على خوف وان حلفوا (ورحة للذين آمنوا منكم) اي وهو رحمة لهم لانهم انما نالوا الايمان بهدايته ودعائه اياهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) في الآخرة (يملفون بالله لكم ليرضوكم) اخبر سبحانه ان هؤلاء المنافقين يفسون بالله ان الذبيح بقتلهم عنهم باطل اعتذاركم وطلبوا ليرضوكم (والله ورسوله احق ان يرضوه) اي والله ورسوله احق وأولى بأن يطلبوا مرضاهم لان كانوا مؤمنين بمصدقين بالله مقرين بنبوة نبيه محمد ﷺ وتقديره والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه فحذف التخييف والدلالة للكلام عليه كما قال الشاعر

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف

والمنع نحن بما عندنا راضون وانت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التقرير والتوبيخ لهؤلاء المنافقين (ألم يعلموا) اي وما يعلموا (انه من يحد الله ورسوله) اي من تجاوز حدود الله التي أمر الكافرين ألا يتجاوزوها وانما قال ألم يعلموا لمن لا يعلم على وجه الاستبطاء لهم والتخفيف عن عمله أي هلا علموا بعد ان مكثوا من عمله وقيل هو امر بالعلم اي يجب ان يعلموا بهذا الخبر والدلائل وقيل معناه ألم يخبرهم النبي ﷺ بذلك عن الجبائي (فان له نار جهنم خالدا فيها) أي دائما (ذلك الخزي) أي الهوان والذل (الظيم).

قوله تعالى (٦٤) يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون (٦٥) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أولئك أولياؤه ورسوله كنتم تستهزون (٦٦) لا تتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نفس عن طائفة منكم تلذذ بطائفة يأنهم كانوا مجرمين ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حاصم ان نف وتلذذ فيها بالنون طائفة بالنصب وقرأ الباقون ان ينف بالياء وضما وفتح الفاء تلذذ بالياء وضما طائفة بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ ان نف قوله ثم عفونا عنكم ومن قرأ ان ينف فالمنع معنى نف وما تلذذ بالياء فلان الفعل في اللفظ مستند الى موث ظاهر

﴿ الفتنة ﴾

الحذر اعداد ما ينفي الضرر ورجل حذرتي مظن حذر ورجل حذر بان كثيرا الحذر شديد الفزع والمناق الذي يظهر من الايمان خلاف ما يطنه من الكفر مشتق من ناقاه اليربوع لأنه يخفي بابا ويظهر بابا ليكون اذا

اتي من احدهما خرج من الآخر والخوض دخول القدم فيما كان مائعا من الماء والطين ثم كثر حتى استعمل في غيرة واللب فل ما فيه سقوط المنزلة لتجلب الذمة كفضل الصبي ولذلك قالوا ملاعب الاسنة اي انه لشجاعته يقدم على الاسنة كفضل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره والاعتذار اظاهرا ما يقتضي العذر والالزام الانقطاع عن الحق إلى الباطل يقال جرم الثور إذا صرعه ونجرت السنة نصرت

﴿التزل﴾

قيل نزلت في اثني عشر رجلا وقفوا على السببة ليفتكوا برسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وامره ان يرسل اليهم ويضرب وجوه رواحلهم وعمار كان يقود دابة رسول الله ﷺ وحذيفة يسوقها قال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فصر بها حتى نغام فلما نزل قال لحذيفة عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله ﷺ انه فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة ألا تبش اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول الحرب لا ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم عن ابن كيسان وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) مثله الا انه قال اتمروا بينهم ليقتلوه وقال بعضهم لبعض ان فلن يقول انا كنا نخوض ونملب وان لم يظن قتله وقيل ان جماعة من المنافقين قالوا في غزوة تبوك يظن هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيأت هيأت فاطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال اجسوا على الركب فدعاهم فقال لهم قتلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونملب حلفوا على ذلك فنزلت الا يقولن ما أنهم يقولون «الفتح» عن الحسن وقادة وقيل كان ذلك عند منصرفه من غزوة تبوك إلى المدينة وكان بين يديه أربعة نفر اول ثلاثة يستهزئون ويضحكون واحدهم يضحك ولا يتكلم فنزل جبريل واخبر رسول الله ﷺ بذلك فدعا عار بن ياسر وقال ان هؤلاء يستهزئون بي وبالقرآن اخبرني جبرائيل بذلك ولئن سألتهم ليقولن كنا نتحدث بمحدث الركب فانهم عار وقال لهم مم تضحكون قالوا نتحدث بمحدث الركب فقال عار صدق الله ورسوله احرقتم احرقكم الله فأقبلوا إلى النبي ﷺ يستندون فأنزل الله تعالى الآيات عن الكلابي وعلي بن ابراهيم وابي حمزة وقيل ان رجلا قال في غزوة تبوك ما رأيت اكذب لسانا ولا اجبن عند اللقاء من هؤلاء يعني رسول الله ﷺ واصحابه فقال له عرف بن مالك كذبت ولكنك منافق واراد ان يخبر رسول الله ﷺ بذلك فجاء وقد سبقه الوحي فجاء الرجل مستذرا وقال انما كنا نخوض ونملب فيه نزلت الآية عن ابن عمر وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب وقيل ان رجلا من المنافقين قال ليحدثنا محمد ان ناقة فلان بوادي كذا وكذا وما يدري ما النبي فنزلت الآية عن مجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن ابي ردهة عن الضحاك

﴿المنى﴾

ثم اخبر سبحانه عنهم فقال (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبهم بما في قلوبهم) فيه قولان ﴿احدهما﴾ انه اخبار بأنهم يخافون ان يشعروا شرارهم ويحذرون ذلك عن الحسن ومجاهد والجبائي واكثر المفسرين والمنى انه يحذرون من ان ينزل الله عليهم اي على النبي والمؤمنين سورة تغير عما في قلوبهم من النفاق والشرك وقد قيل ان ذلك الحذر لما اظهروه على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق لأنهم حين رأوا رسول الله ﷺ ينطق في كل شيء عن الوحي قال بعضهم لبعض أخطروا ألا ينزل

وحي فيكم يتاجون بذلك ويضحكون عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا يخافون ان يكون عليه السلام صادقا فينزل عليه الوحي فيفضحون عن الجبائي وقيل انهم كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا عن مباحث ﴿والثاني﴾ ان هذا اللفظ لفظه الخبر ومناه الامر هو كقولك ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تحبهم بما في قلوبهم من النفاق وحسن ذلك لان موضع الكلام على التصديق (قل استهزوا) مناه قل يا محمد لم هؤلاء المنافقين استهزوا اي اطلبوا الهوى وهو وعيد بلفظ الامر (ان الله مخرج ما تحذرون) اي يظهر ما تحذرون من ظهوره والمعنى ان الله بين لئيبه باطن حالكم ونفاقكم (ولئن سألتهم عن طغيانهم في الدين واستهزائهم بالنبي ﷺ وبالسليين) ليقولن انما كنا نخوض ونلعب (والام لتأكيد القسم ومناه لقالوا كنا نخوض خوض الركب في الطريق لا على طريق الجد ولكن على طريق اللعب والله فكان عذرم اشد من جرمهم (قل) يا محمد (ابالله وآياته) اسبغ حجبه وزيانه وكتابه (ورسوله) محمد ﷺ (كنتم تستهزون) ثم امر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقول لم هؤلاء المنافقين (لا تحذروا) بالمآذير الكاذبة (قد كفرتم بما اعانكم) اي فانكم بما ضلتموه قد كفرتم بما ان كنتم مظهرين الايمان الذي يحكم لمن انظره بأنه مؤمن ولا يميز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين الثواب ثم يرتدون على ما تقرر بالدليل وذكر في غير هذا الموضع ان المؤمن لا يميز ان يكفر (ان نف عن طائفة منكم نضب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) اي كافرين مصرين على النفاق هذا اخبار منه سبحانه انه ان عفا عن قوم منهم اذا قاوا يذب طائفة اخرى لم يتوبوا واقاموا على النفاق والطائفة اسم الجماعة على الحقيقة لانه اسم لما يليف بغيره ويحيط به وقد سمي الواحد طائفة على معنى انها نفس طائفة وقد ورد القرآن بذلك في قوله وليشد عنايبها طائفة من المؤمنين فقد ورد في الآثار عن ائمتنا (ع) ان اقل من يحذر عنايبها واحد من المؤمنين فصاعد وروي ان هاتين الطائفتين كانوا ثلاثة نفر فهذا اثنان وضحك واحد وهو الذي تاب من نفاقه واسمه مخشى بن حجير فمعا الله عنه

قوله تعالى (٦٧) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٨) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِي حَسْبِهِمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيمٌ (٦٩) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلَافِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخُلَافِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلَافِهِمْ وَخُضِعْتُمْ لِكَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٧٠) أَلَمْ يَأْتِئِهِمْ نَبَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ أربع آيات

﴿الفة﴾

الاستمتاع طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المأكل والمشرب والمتاع والخلاف التصيب سواء

كان عاجلاً أو آجلاً وقال الزجاج النصب الذي هو عند صاحبه واخر الحظ والموتفكات جمع موتفكة قد انقضت بهم الأرض أي انقضت

— الإعراب —

موضع الكفار من قوله كالذين من قبلكم نصب أي وعدكم الله على الكفرة كما وعد الذين من قبلكم والكفار في قوله كما استمتع كالذين خاضوا نصب بأنه صفة لمصدر محذوف وتقديره استمتعتم استمتاعاً مثل استمتاعهم وخضتم خوفاً مثل خوضهم قال جامع العلوم النحوي البصير كالذي خاضوا تقديره على قياس قول مسيوه كالذي خاضوا فيه خضف في فصار كالذي خاضوه ثم حذف الهاء وهو على قول يونس والآنخس الذي مصدره والتقدير كالخوض الذي خاضوا فيه ومثل هذا اختلاهم في قوله ذلك الذي يشير الله عباده على قول مسيوه تقديره يبشر الله به على قول يونس والآنخس ذلك تبشيراً الله عباده

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه أحوال أهل النفاق قال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أي بعضهم من جملة بعض وبعضهم مضاف إلى بعض في الاجتماع على النفاق والشرك كما قولنا من فلان وفلان مني أي امرئ واحد وكلتنا واحدة وقيل معناه بعضهم على دين بعض عن الكليبي وقيل بعضهم من بعض على لحوق مقت الله بهم جميعاً عن أبي سلم (يأمرن بالنكر) أي بالشرك والمعاصي (وينبون عن المعروف) أي عن الفضائل الحسنة التي أمر الله بها وحث عليها (ويقضون أيديهم) أي يسكون أموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاة عن الحسن وتعادة وقيل معناه يسكون أيديهم عن الجهاد في سبيل الله عن الجبائي (نسوا الله قسيهم) أي تركوا طاعته وتركهم في النار وترك رحمتهم وأثابهم عن الأصم وقيل معناه جملوا الله كالنسي حيث لم يفكروا في أن لهم صانئاً يشيهم ويصحبهم لينتهم ذلك عن الكفر والافعال القبيحة فيحصلهم سبحانه في حكم النسي عن الثواب وذكر ذلك لآزدواج الكلام لأن النسيان لا يبرز عليه تعالى (إن المنافقين هم الفاسقون) أي الخارجون عن الأيمان بالله ورسوله وعن طاعته وقيل الفاسقون الترددون في الشرك (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) أخبر سبحانه أنه وعد الذين يظهرون الإسلام ويعطون الكفر النار وكذلك الكفار ولو تأملنا فصل النفاق من الكفر وإن كان النفاق كراً للبين الوعيد على كل واحد من الصنفين (خالدين فيها) أي دائمين فيها (هي جهنم) معناه نار جهنم والقطاب فيها كفاية دنوهم كما يقول عذبتك حسب ما فعلت وحسب فلان ما نزل به أي ذلك على قدر فعله (ولنهم الله) أي أبدهم من جهنم وغيره (ولهم عذاب مقيم) أي عذاب دائم لا يزول (كالذين من قبلكم) أي وعدكم الله على النفاق والاستهزاء كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم عن الزجاجة والجبائي وقيل معناه فعلكم كمثل الذين من قبلكم من كفار الأمم التالية (كانوا أشد منك قوة) في أيديهم (وأكثر أموالاً وأولاداً) فلم ينضم ذلك شيئاً وحل بهم عذاب الله تعالى (فاستمشوا بخلاتهم) أي يصيبهم وحظهم من الدنيا بأن صرفوها في شهواتهم المحرمة عليهم وفيها ناههم الله عنه ثم اهلكوا (فاستمتعتم بخلاتكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاتهم) أي فاستمتعتم أنتم أيضاً بخلتكم في الدنيا كما استمتعوا هم (وخضتم خاضوا) أي وخضتم في الكفر والاستهزاء بالمؤمنين كما خاض الأولون (أو تلك الذين حبست أعمالهم) التي تقع

طاعة من المؤمنين مثل الاتفاق في وجوه الخير وصلة الرحم وغيرها (في الدنيا والآخرة) إذ لم يستحقوا عليها ثواباً في الآخرة ولا تطالبون بجيالا في الدنيا لكفرهم وشركهم (وأولئك هم الخاسرون) خسروا أنفسهم وأهلكوا ما فضل المصافي المردية إلى الملاك ووردت الرواية عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية ما أشبه الله بالبارحة كالذين من قبلكم هولاء بنو إسرائيل شبهنا بهم لا اعلم إلا أنه قال والذي نفسي بيده لتبصم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه وروى مثل ذلك عن أبي هريرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال تأخذن حكا أخذت الإصبع من قبلكم ذراعاً بذراع وشبراً بشبر وباعاً ببيع حتى لو أن أحداً من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب قال فهل الناس الإصبع وقال عبد الله بن مسعود أتتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سماً وهدياً تبعون علمهم حذو القلعة بالقعدة غير أني لا أدري أتنبهون العجل أم لا وقال حذيفة المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ قلنا وكيف قال أولئك كانوا يجفون نفاقهم وهولاء أعلنوه أورد ذلك جميعاً الثعلبي في تفسيره ثم قال سبحانه (ألم يأتهم) أي ألم يأت هولاء المنافقين الذين وصفهم (نبأ الذين من قبلهم) أي خبر من كان قبلهم (قوم نوح وعاد وقود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين) ذكر سبحانه الأمم الماضية والقرآن السابقة وأنه سبحانه أهلكها ودرس عليها لتكذيبها رسلاً ثلاثاً يأمنون أن يزل بهم مثل ما نزل بأولئك فأهلك سبحانه قوم نوح بالترق وعاداً قوم هود بالريح العصرصر وثمود قوم صالح بالرجفة وقوم إبراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود وأصحاب مدين وهي البلدة التي فيها قوم شيب بظلم يوم الظلة وقيل إن مدين اسم نبت البلدالية وقد مر ذكره (والموفكتات) أي المقلبات وهي ثلاث قرى كان فيها قوم لوط ولذلك جمعها بالآف والثلاثاء عن الحسن وقتادة وقال في موضع آخر والموفكتة أخرى فبها على طريق الجنس أهلكهم الله بالحسف وقلب المدينة عليهم (اتعم رسلم بالبيئات) أي بالحجج والمعجزات (فما كان الله ليظلمهم) أي ما يظلمهم الله بأهلأهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي ولكن ما لبثهم باستحقاق إذ كذبوا رسل الله كما فعلتم فأهلكهم بكفرهم وصيانتهم

قوله تعالى (٧١) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطْعَمُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧٢) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِش الْمَصِيرُ ثلاث آيات

❦ الفة ❦

المدن والاقامة والحلود نظائر ومنه الممدن قال الاعشى

فإن يستضيفوا إلى حكمة يضافوا إلى راجع قذ عدن
والرضوان مصدر رضي يرضي رضي ورضواناً والجهد ممارسة الأمر الشاق واصله من الجهد

❦ المعنى ❦

لما ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بقبائح خصلهم اقتضت الحكمة أن يذكر المؤمنين ويصفهم بعد أوصافهم

ليصل الكلام بما قبله اتصال النقيض بالنقيض فقال (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) اي بعضهم انصار بعض يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وموالاه حتى ان المرأة تهي اسباب السفر لزوجها واذا خرج وتحفظ غيبة زوجها وهم يد واحدة على من سواهم (يا أيرون بالمرءف) وهو ما اوجب الله فسخه اورغب فيه عقلا او شرعا (ويؤمنون بالله والرسوله) اي يداومون على فعل الصلاة واخراج الزكاة من اموالهم ووضعا حيث امر الله تعالى بوضعا فيه ويتشاورون طاعة الله ورسوله ويتبعون اراءها ورضاهم (او تلك سيرهم الله) اي الذين هذه صفتهم يرحمهم الله (في الآخرة إن الله عزيز حكيم) أي قادر على الرحمة والعذاب واضع كل واحد منهما موضعه وفي الآية دلالة على ان الأمر بالمرءف والشهي عن المكسر من فروض الأعيان لانه جعلها من صفات جميع المؤمنين ولم يخص قوما منهم دون قوم (وعند الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) اي من تحت أشجارها الانهار واللا فيها (خالدين فيها وما سكن طيبة) طيب العيش فيها بناها الله تعالى من اللآلئ والياقوت الأحمر والزرجد الأخضر لا اذى فيها ولا نصب ولا نصب من الحسن (في جنات عدن) اي في جنات اقامة وخذوقيل هي بطنان الجنة اي وسطها من ابن مسعود وقيل هي مدينة في الجنة وفيها الرسل والانبيا والشهداء وأمة الهدى والناس حولهم والجنان حولها عن الضحاك وقيل إن عدنا اهل درجة في الجنة وفيها عين التسليم والجنان حولها بحديقة بها وهي منطقة من يوم خلقها الله عز وجل حتى يتقلا أهلها الانبيا والصدوقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدرد والياقوت والذهب قهقري ريح طيبة من تحت العرش تندخل عليهم كشبان المسك الأبيض عن مقاتل والكلبي وردي عن النبي ﷺ انه قال عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تنظر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيين والصدوقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك (ودرسان من الله أكبر) رفع على الابتداء اي ورضا الله تعالى منهم أكبر من ذلك كله قال الجاني لما صار الرضوان أكبر من الثواب لانه لا يوجد شيء منه إلا بالرضوان وهو الداعي اليه الموجب له وقال الحسن لأن ما يصل إلى القلب من السرور بروضان الله أكبر من جميع ذلك وإننا رفع روضان لأنه استأنفه لتعظيم كما يقول القائل اعطيتك ووصلتك ثم يقول وحسن رأيي فيك ورضائي عنك خير من جميع ذلك (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك النعيم الذي وصفه هو النجاح العظيم الذي لا شيء اعظم منه ثم امر سبحانه بالجهاد فقال (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف والقتال (والمنافقين) واختاروا في كيفية جهاد المنافقين فقيل ان جهادهم باللسان والوطن والتخويف عن الجاني وقيل جهادهم بالقائمة الحدود عليهم وكان نصيبهم من الحدود أكثر وقيل هو بالانواع الثلاثة محب الامكان يريد باليد فإن لم يستطع فباللسان فإن لم يستطع فبالقلب فإن لم يقدر فليكنهم في وجههم عن ابن مسعود روي في قراءة أهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين قالوا لأن النبي ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين وإنسا كان يتألفهم لأن المنافقين لا يظهرن الكفر وعلم الله تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرن الإيمان (واغلظ عليهم) ومثناه واسمهم الكلام الفيلظ الشديد ولا ترق عليهم (ومأواهم جهنم) اي مقرهم ومقامهم ومسكنهم جهنم يريد مأوى الثوريين (وبئس المصير) اي بئس المرجع وللمأوى

قوله تعالى (٧٤) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَؤُلَاءِ جَمَاعَةٌ يَنْبَلُوْنَ وَمَا تَقْوُوا إِلَّا أَنْ أَعْتَابَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ عَذَابًا لِيَمَّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

﴿ الآفة ﴾

الهم مقارنة الفعل بتقليبه في النفس تقول هم بالنسي بهم ما وليس الهم من العزم في شيء إلا ان يبلغ نهاية القوة في النفس والتبيل لحرق الأمر يقال نال ما اشتى أو نعى أي أدركه ونقم منه شيئا أي انكر قال ما تقموا من بني أمية إلا أنهم يحملون ان غضبوا والفضل الزيادة في الخير ما وأما الفضل فهو الزيادة من الخير الذي كان تقاد عليه ان يفعله وان لا يفعله

﴿ النزول ﴾

اختلف في من نزلت فيه هذه الآية فقيل ان رسول الله ﷺ كان جالسا في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني الشيطان فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدهاه رسول الله ﷺ فقال علام تشعني أنت واصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فصفوا بالله ما قالوا فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس وقيل خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك فكفروا إذا خلا بعضهم ببعض سيوا رسول الله ﷺ واصحابه وعلفوا في الدين فنقل ذلك حذيفة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم ما هذا الذي يلقي منكم فصفوا بالله ما قالوا شيئا من ذلك عن الضحك وقيل نزلت في جلاس بن سويد بن الصامت وذلك ان رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقين فسلمهم رجسا وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقا فبا يقول فنحن شر من الحدير فسمعه عامر بن قيس فقال أجل والله ان محمدا صادق وانتم شر من الحدير فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فأمرها رسول الله ﷺ ان يعلقا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فخطب بالله ما قال ثم قام عامر فخطب بالله قد قاله ثم قال اللهم أنزل على نبيك الصادق منا الصديق فقال رسول الله ﷺ والمومنون آمن فتنزل جبرائيل (ع) قبل ان ينفرا بهذه الآية حتى بلغ قارن يتربوا بك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فبا قال لك لقد قتله وأنا استغفره وأتوب إليه فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه من الكلي ومحمد بن اسحاق ومجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول حين قال لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الأعراس منها إلا ان من قتادة وقيل نزلت في اهل القبة فلزمهم اتسمروا في ان يتألوا رسول الله ﷺ في عقبه عند مرجعهم من تبوك وأرادوا ان يقطعوا اتساع رحلتهم ثم ينضخوا به فاطله الله تعالى على ذلك وكان من جملة معجزاته لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا بوحي من الله تعالى فساد رسول الله ﷺ في القبة وعلم وحذيفة معه احدها يقود ناقته والاخر يسوقها وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكان الذين هموا بقتله اثني عشر رجلا اودعهم عشر رجلا على الخلاف فيه فرمهم رسول الله ﷺ وسامهم بأسلحتهم واحدا واحدا من الزجاج والواقدي والكلي والقصة مشروحة في كتاب الواقدي وقال الباقر عليه السلام كانت ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب

﴿ المعنى ﴾

ثم اظهر سبحانه اسرار المنافقين فقال (يحقون بالله ما قالوا) يعني انهم حلقوا كاذبين ما قالوا ما حكي عنهم ثم حرق عليهم ذلك واتهم سبحانه بانهم قالوا ذلك لأن اللام في (لقد قالوا) لا الم القسم و(كلية الكفر) كل كلمة فيها جحد لنعم الله تعالى كانوا يطمنون في الاسلام (و كفروا بعد اسلامهم) أي بعد اظهار اسلامهم يعني ظهر كفرهم بعد ان كانوا مسلمين (وهو ما علم بانالوا) قيل فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ انهم هموا بقتل النبي ﷺ لية القبة والتخفيف بنائته عن الكلي ومجاهد وغيرهما ﴿ وثانيها ﴾ انهم هموا باخراج الرسول من المدينة فلم يلبثوا ذلك من قتادة والسدي ﴿ وثالثها ﴾ انهم هموا بالفساد والضرب بين اصحابه ولم يتألوا ذلك عن الجاني (وما تقموا إلا أن اغنامهم الله ورسوله من فضلهم) معناه انهم عملوا بضد الواجب فقبلوا موضع شكر

النعمة ان تقبوا وبياضهم تقبوا فيا ليس يوضع للنعمة فانه لم يكن للمسلمين ذنب يتقونه منهم بل الله تعالى اباح لهم التائبين وأغناهم بذلك تقابلوا بالنعمة بالكفران وكان من حقهم أن يقابلوها بالشكر وقد مر هذا المعنى عند قوله قل يا عامل الكتاب هل تقبون منا الآية في سورة المائدة وإنما لم يقل من فضلها لأنه لا يحسم بين اسم الله واسم غيره في الكتاية تقبلا لله ولذلك قال النبي ﷺ لمن سمعه يقول من أسأع الله ورسوله فقد اعتدى ومن عصاه فقد غوى بشى خيلب القوم انت فقال كيف اقول يا رسول الله ﷺ قال قل ومن يصح الله ورسوله وهكذا القول في قوله سبحانه والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل إننا لم يقل من فضلها لأن فضل الله سبحانه منه وفضل رسول الله من فضل الله (فلان يتوبوا بك خير لهم) أي فإن يشبه هؤلاء المناقون ويرجعوا إلى الحق يمكن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة فلأنهم يتألون بذلك رضا الله ورسوله والجنة (وإن يتولوا) أي يعرضوا عن الرجوع إلى الحق وسلوك الطريق المستقيم (يعذبهم الله عذابا أليما) مؤلا (في الدنيا) بسايتهم من الحسرة والغم وسوء الذكر (وفي الآخرة) بعذاب النار (وما لهم في الأرض) أي ليس لهم في الأرض (من ولي) أي حب (ولا نصير) ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله

قوله تعالى (٧٥) وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٦) فَلَمَّا آتَانَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ جَمَلًا يَدَّ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٧) فَأَعَقَبَهُمُ النَّارُ فَيَقُولُ يَوْمَئِذٍ لِّأَيُّ يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ يَدُّ أَخْلَدُوا اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٨) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

اربع آيات

في الآفة

الماعدة هي أن تقول على عهد الله لأفعلن كذا فلو أنه يكون بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره لأن الله تعالى قد حكم بذلك وقدر وجوبه عليه في الشرع والبطل من السائل لشدة الاعطاء ثم صار في الشرع المنع الواجب لأن من منع الزكاة فهو مجمل قال الرمازي لا يجوز أن يكون البخل من الواجب لشدة الاعطاء كما قال زهير

إن البخل ملوم حيث كان ولا سكن الجواد على علاته هم

قال لأنه يلزم على ذلك أن يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة الاعطاء وكان من قضى ديننا عليه يكون جوادا لأنماذى الواجب من غير مشقة وإنما قال زهير ما قاله لأن البخل حفة نفس قال ومن منع مالا يضره بذله ولا ينفعه منعه ما تدعو إليه الحكمة فهو مجمل لأنه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة في النفس وإن لم يرجع إلى ضرر الشدة من غير ضرر معقولا كما يصفون الجورة بأنها لينة لاجل الشدة وأعبه وأورثه وأداه نظاير وقد يكون اعتبه بمعنى جازاه قال النابغة

فمن أطاع فأعقبه بطاعته كذا أصاعك وأدله على الرشد

ومن عصاك فأعقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

والبحري الكلام الغني يقال ناجيته وتناجوا واتبعوا وفلان نجى فلان والجمع أنجيه قال

إني إذا ما القوم كانوا أنجيه واضطرب القوم اضطراب الأريشه

وأصله من النجوى وهو البدكان المتناجين قد جاءوا من غيرهما وقيل هو من النجوة أي المكان المرتفع الذي لا يصل إليه السيل فكانها رجعا حديثها إلى حيث لا يصل إليه غيرها

﴿ الاعراب ﴾

معنى لا معنى إذا لأن لما التائب عليها الجزاء وهي اسم يقع في جواب متى يقال متى كان كذا فيقول السامع لا كان كذا ولما ولولا يكونان لا معنى بخلاف ان وإذا فانها لا يستعمل إلا أن لولا على تقدير نفى وجوب الثاني لانقضاء الأول ولما يدل على وقوع الثاني لوقوع الأول فلما أتاهم من فضله المنقول الثاني عذوف تقديره فلما أتاهم ما تمناه من فضله لتصدقن أصله لتصدقن إذا غلبت التاء في الصاد

﴿ التزول ﴾

قيل تزلت في ثلبة بن حاطب وكان من الانصار فقال لنبينا ﷺ ادع الله أن يرزقني مالا فقال يا ثلبة قليل تودى شكره خير من كثير لا تطيقه أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهابا وقضاء لمارت ثم الله بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بك يا ثلبة تزلت في ثلبة بن حاطب فقال ﷺ اللهم ارزق ثلبة مالا قال فأتته غفائمت كما يشبو الدود غضاقت عليه المدينة فتشقى منها فنزل واديا من أوديتها ثم كثرت نسوا حتى قباذ عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة وبث رسول الله ﷺ إليه المصدق ليأخذ الصدقة فأبى وبخل وقال ما هذه إلا أخت الجزية فقال رسول الله ﷺ يا وبيح ثلبة يا وبيح ثلبة وأمر الله الآيات عن أبي أمامة الباهلي روى ذلك مرفوعا وقيل إن ثلبة أتى مجلسا من الانصار فأشهدهم فقال لئن آتاني الله من فضله تصدقت منه وأتيت كل ذي حق حقه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فبات ابن عم له فودته مالا ولم يف با قال فنزلت من ابن عباس وسعيد ابن جبير وقاعدة وقيل تزلت في ثلبة بن حاطب ومثب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف قال لئن رزقنا الله مالا لتصدقن فلما رزقها الله المال تجلأ به من الحسن وعجابه وقيل تزلت في رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس وثلبة بن حاطب ومثب بن قشير عن الضحاك وقيل نزلت في حاطب بن أبي مسلمة كان له مال بالثام فأبلى عليه وجهه لذلك جهدا شديدا فقطعت لئن آتاه الله ذلك المال ليصدقن فأتاه الله تعالى ذلك فلم يفعل من الكلبى

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (ومنهم) أي من جهة المنافقين الذين تقدم ذكرهم (من عاهد الله لئن آتانا من فضله) أي لئن أعطانا من رزقه (لتصدقن) أي لتصدقن على الفقراء (ولكنون من الصالحين) بأنفاقه في طاعة الله وصلة الرحم ومواساة أهل الحاجة (فلما أتاهم من فضله) أي أعطاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمناه من الأموال (بجملوا به) أي شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهود ومنعوا حق الله منه (وتولوا) عن فعل ما أمرهم الله به (وهم معرضون) عن دين الله تعالى (فأصعبهم نقا في قلوبهم) أي فأورثهم بخلهم بما أوجبوا الله تعالى على أنفسهم التفائق في قلوبهم وأداهم إلى ذلك من الحسن كأنهم حصلوا على التفائق بسبب البخل وهذا كمن يقول لا يئنه أعطاك حبة فلان ترك التمل وقيل مناه أعطيهم الله بذلك حرمان التوبة كما حرم إبليس عن مجاهد وأراد بذلك أنه دنأ على أنه لا حوب كما دنأ من حال إبليس على أنه لا حوب لأنه سلب عنه قدرة التوبة (إلى يوم يلقونه) أي يلقون جزاء البخل فذكر البخل وأراد به جزاءه كقوله سبحانه اعلمهم كراما اشتدت به الريح وعلى القول الثاني فمناه إلى يوم يلقون الله أي اليوم الذي لا يملك فيه النعم والضر إلا الله تعالى وهذا الخبر من الله تعالى عن هؤلاء المنافقين أنهم يموتون على التفائق وكأف ذلك معجزة لنبينا ﷺ لأنه خرج مخبوءه على وفق خبره (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) بين

سبحانه ان هذا اذا اصلهم بغلهم السي وهو اخلاصهم الوعد وكذبهم (ألم يعلموا) اي ألم يعلم هؤلاء المنافقون (ان الله يعلم سرهم) اي ما يخفون في انفسهم (ونجواهم) ما يتناجون به بينهم وهذا احتشامهم براء به التوبيخ والمعنى انه يجب عليهم ان يلزموا ذلك (وان الله علام الغيوب) جمع غيب هو كل ما غاب عن الاحساس ومعناه يعلم كل ما غاب عن الباد وعن ادراكهم من موجود او معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه لأن فضلا صفة مائة وفي قوله فأغضبهم نفاقا في قلوبهم الآية دلالة على ان بعض المعاصي قد يدعو الى بعض لأنهم لما تناهوا بآداء هذا الحق دعاهم ذلك الى الثبات على النفاق الى الملتصق كذلك يدعو بعض الطاعات الى بعض وعلى ذلك ترتيب الشرائع وفيه دلالة على ان الاخلاف والخيانة والكذب من اخلاق أهل النفاق وقد صرح في الحديث عن النبي ﷺ انه قال للمنافق ثلاث علامات اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خاف

قوله تعالى (٧٩) الَّذِينَ يَلْزِمُونَ الطَّوْعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٨٠) أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ آيات

في اللغة

الطوع اصله المنطوع ادغمت التاء في الطاء لأنها من مخرجها والطاء افضل منها بالاستعلاء والاطباق والمنطوع كل فعل يستحق المدح بفضله ولا يستحق الذم بتركه ونظيره النافلة والفضيلة والجهد والجهد بمعنى وهو الجهد على النفس بما يشق وقيل بينهما فرق والجهد بالفتح في العمل والضم في التوت عن الشيء وقيل الجهد بالفتح المشقة والضم الطاعة عن الشيء

الاعراب

يبيح ان يكون موضع الذين يلزمون بأن يكون بدلا من الماء والماء في قوله ومنهم من عاهد الله ويحصل ان يكون مضاعفا على الابتداء وخبره سخر الله منهم وهذا اولي وقوله في الصدقات من صلة يلزمون ولا يكون من صلة الطوعين لأنه فصل بينهما قوله من المؤمنين والذين لا يجدون عطف على الذين يلزمون

في المعنى

ثم وصفهم الله بصفة أخرى (قال الذين يلزمون) اي يسيون (الطوعين) المنطوعين بالصدقة (من المؤمنين) ويطعون عليهم في الصدقات (والذين لا يجدون الا جهدهم) اي ويسبون الذين لا يجدون إلا طاقتهم فيصدقون بالليل قبل اتاه عبد الرحمن بن عوف بصرة من دراهم تملأ الكف واتاه عليه بن زيد الحارثي بصاع من تمر وقال يا رسول الله عملت في التخل بصاعين فصاعتركنه لأهلي وصاعا اقرضته ربي وجاء زيد بن اسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نبل ان عبد الرحمن رجل يحب الربا ويستبيح الذك بذلك وانت الله غني عن الصاع من التمر فانيوا المكث بالربا والمثل بالاقبال (فيسخرون منهم) أي يفتخرون بهم منهم (سخر الله منهم) اي جازاهم جزاء سخرتهم حيث صاروا إلى النار (ولهم

عذاب اليم) اي موجع مؤلم وروي عن النبي ﷺ انه سئل فقيل اي الصدقة افضل قال جهد المقل (استغفر لهم او لا تستغفر لهم) صيته صيغة الأمر والمراد به المبالغة في الایاس من المغفرة بأنه لو طلبها طلب الأمور بما هو تركها ترك المنعي عنها لكان ذلك سواء في ان الله تعالى لا يغفلها كما قال سبحانه في موضع آخر سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة ظن يغفر الله لهم) الوجه في تعليق الاستغفار بسبعين مرة المبالغة لا السدد المخصوص ويحري ذلك مجرى قول القائل «لو قلت لي ألف مرة ما قبلت» والمراد اني لا اقبل منك فكذلك الآية والمراد بذلك فيها نفي الغفران جملة وقيل ان العرب تبالغ بالسبعة والسبعين ولهذا قيل للأسد السبع لأنهم تأولوا فيه لقوته انها ضوعفت له سبع مرات واما ما ورد ان النبي ﷺ يستغفر للكفار وذلك غير جائز بالاجماع وقد روي انه قال لا يمول عليه ولا يتضمن ان النبي ﷺ يستغفر للكفار وذلك غير جائز بالاجماع وقد روي انه قال لو علمت انه لو زدت على السبعين مرة غفر لهم لعلت ويحتمل ان يكون النبي ﷺ يرجو ان يكون لهم لطف يصلحون به فزعم على الاستغفار لهم فلما بين الله عز اسمه انه ليس لهم لطف ترك ذلك ويحتمل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يعلم بكفرهم ونفاقهم ويحتمل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يغير بأن الكافر لا يغفر له أو قبل ان يمنع منه ويجوز ان يكون استغفاره لهم واقفا بشرط التوبة من الكفر فمنعه الله منه واخبره بأنهم لا يؤمنون أبدا فلا فائدة في الاستغفار لهم والله أعلم بحقيقة الأمر (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) معناه ان حرمان المغفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) مر معناه قوله تعالى (٨١) فرح السخفون بقدومهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجهادوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرب قل تار جهنم أشد حرا لو كانوا يتفقهون (٨٢) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٣) فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج قتل لن تغربوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالعود أول مرة فاقصدوا مع الخائفين ثلاث آيات

اللقمة

المخلف المتروك خلف من مضى ومثله المؤخر عن مضى والفرح ضد التهم وهو لذة في القلب ببيل المشتى ومثله السرور وقال البصريون من المتعة ان السرور والتم يرجعان إلى الاعتقاد فالسرور اعتقاد وصول منفعة إليه في المستقبل أو دفع ضرر مظنون عنه أو مملوم والتم اعتقاد وصول ضرر إليه في المستقبل أو فوت منفعة عنه وإلى ذهب المرتضى قدس الله روحه والخلاف مصدر خالفت مخالفة وخلافا وزعم ابو عبيدة ان معناه بد وانشد

عقب الربيع خلافتهم فكأننا
بسط الشواطب يبتحن حصيدا
والشواطب النساء يتدنن الأديم بد ما يقدرته والتخالف كل من تأخر عن الشاخص والمتخلف جمناه
والضحك حال نفع وانبساط يظهر في وجه الإنسان عن تعجب مم فرح والبكاء حال تقبض يظهر عن
غم في الوجه مع جري الدموع على الخد

﴿الاعراب﴾

خلاف نصب على المصدر بمعنى المفعول له إذا جعلته بمعنى المخالفة وإذا جعلته بمعنى خلف فهو نصب على الظرف فليضحكوا بما ضحكتم لا م الأمر ولم تسكن لام الإضافة لأنها تؤذن بصلها لجر المناسب لها فلذلك ألزمت الحركة مع أن العوامل في الأسماء أقوى من العوامل في الأفعال جزاء نصب على المصدر أي يجوزون جزاء على الضام التي اكتسبها

﴿المعنى﴾

ثم أخبر سبحانه أن جماعة من المنافقين الذين خلفه النبي ﷺ ولم يرجع معه إلى تبوك استأذنه في التأخر فأذن لهم فخرجوا بقودم فقال (فرح المخلفون بتقدمهم) أي بقودم عن الجهاد (خلاف رسول الله) أي بعده وقيل مناه لمخالفهم النبي ﷺ (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وانضمهم في سبيل الله) ظاهر المعنى (وقالوا) أي قالوا للمسلمين ليصدهم عن الفزو (لا تنفروا في الحرب) أي لا تخرجوا إلى الفزو سراعا في هذا الحرب وقيل بل مناه قال بعضهم بعض ذلك طلبا للراحة والدة وعدولا عن تحمل المشاق في طاعة الله ومرشاته (قل) يا محمد له (نار جهنم) التي وجبت لهم بالتخلف عن أمر الله تعالى (اشدحوا) من هذا الحرب فهي أولى بالاحتراز والحذر عنها إذ لا يمتد هذا الحرب في جنب ذلك الحرب (لو كانوا يفتقون) أوامر الله تعالى ووعده ووعيده (فليضحكوا قليلا وليكفوا كثيرا) هذا تهديد لهم في صورة الأمر أي فليضحكوا قليلا ولا المناقرين في الدنيا قليلا لأن ذلك يفتي وأن دام إلى الموت ولأن الضحك في الدنيا قليل لكثرة أحوالها وهومها وليكفوا كثيرا في الآخرة لأن ذلك يوم مقداره خمسين الف سنة وهم فيه يكونون فصار يكافون كثيرا (جزاء بما كانوا يكرهون) من الكفر والتفارق والتخلف بقدر عن الجهاد قال ابن عباس إن أهل التفارق ليكون في النار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع ولا يكسحون بنوم وروى ابن مالك عن النبي ﷺ أنه قال لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيتم كثيرا (فإن رجلكم الله) يا محمد أي فإن ردك الله من غزوتك هذه وسفرتك هذا (إلى طائفة منهم) أي من المنافقين الذين تخلفوا عنك وعن الخروج منك (فاستأذنوك الخروج) ملك إلى غزوة أخرى (قل لن تجزوا معي أبدا) إلى غزوة (ولن يتأنلوا معي عدوا) ثم بين سبحانه سبب ذلك فقال (إنكم رضيتم بالقعود أول مرة) أي عن غزوة تبوك (فأنصدموا مع المنافقين) في كل غزوة واختلف في المراء بالخالفين قليل مناه مع النساء والعصبيان عن الحسن والضحاك وقيل مع الرجال الذين تخلفوا من غير عذر عن ابن عباس وقيل مع المخالفين قال الفراء يقال عبد خالف وصاحب خالف إذا كان مخالفا وقيل مع الخساسة والأذنياء يقال فلان خالفه إذا كان أدونهم وقيل مع أهل الضاد من قولهم خلف الرجل على أهله يخلف خلوا إذا فسد وتبدل خالف أي فاسد وخلف فم الصائم إذا تبترت رية وقيل مع المرضى والرمي وكل من تأخر لنقص عن الجباية

قوله تعالى (٨٤) وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمَّاوُا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٥) وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ آيَات

﴿الاعتراب﴾

مات جثة في موضع جر صفة لاحد وتقديره على احد ميت منهم وابدا منصوب لأنه ظرف لقوله تصل
وانما كسران من قوله انهم كفروا وان كان في موضع التعليل لتحقيق الاخبار بأنهم على الصفة التي ذكرها

﴿المعنى﴾

ثم نعى سبحانه نبيه ﷺ عن الصلاة عليهم فقال (ولا تصل) يا محمد (على احد منهم) اي من
المتأقين (مات ابدا) أي بعد موته فإنه عليه السلام كان يصلي عليهم ويجري عليهم احكام المسلمين (ولا تقم
على قبره) أي لا تقف على قبره للدعاء فإنه (ع) كان إذا صلى على ميت يقف على قبره ساعة ويدعو له فيها
الله تعالى عن الصلاة على المتأقين والوقوف على قبورهم والدعاء لهم ثم بين سبحانه سبب الأمرين فقال (انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون) فاصلى رسول الله ﷺ بعد ذلك على مناق حتى قبض وفي هذه الآية
دلالة على أن القيام على القبر للدعاء عادة مشروعة ولولا ذلك لم يخص سبحانه بالنبي عنه الكافر وروي أنه
ﷺ صلى على عبد الله بن أبي واليسه قبضه قبل ان ينهى عن الصلاة على المتأقين عن ابن عباس
وجابر وقادة وقبل إنه ﷺ أراد ان يصلي عليه فأخذ جبرائيل بشويه وتلا عليه ولا تصل على أحد منهم
الآية عن انس والحسن وروى انه قيل لرسول الله لم وجهت بقبضك اليه يكفن فيه وهو كافر فقال ان قبضي
لن تقضي عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل بهذا السبب في الاسلام خلق كثير فروي أنه أسلم
الف من الخوارج لما رأوه يطلب الاستشفاء بشوب رسول الله ﷺ ذكره الزجاج قال والاكثر في الرواية
أنه لم يصل عليه (ولا تسجلك أمواهم وأولادهم) الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة (انما يريد الله
أن يهديهم بها في الدنيا) بما يلحقهم فيها من المصائب والنعوم وبما يأخذها منهم المسلمون على وجه العنتمة وبما
يشق عليهم من اخراجها في الزكاة والاتفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الاسلام فيشدد عليهم فيكون
ذلك عذابا لهم (وتزحف انفسهم) أي تهلك بالوث (وهم كفرون) اي في حال كفرهم وقد مضى تفسير
مثل هذه الآية وانما كرر لئلا يترك في موطنين مع بعد أحدهما عن الآخر ويبيح ان يكون الأتيان في فرقين
من المتأقين فيكون كما يقول القائل لا تسجلك حال زيد ولا تسجلك حال عمرو عن الجبائي

قوله تعالى (٨٦) وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ أُسْتَذَكَّ ذَٰلِكَ وَأُولَٰئِ
الَّذِينَ هُمْ أَطْوَلُ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا مَعَ الْفَاقِعِينَ (٨٧) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِحَ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَمَهْمَ لَا يَقْنَهُونَ (٨٧) لَيْكِنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أربع آيات

— (الفتنة) —

قال الزجاج انما الف الفاتنة تختلن عن الجهاد ويبرز أن يكون جمع خالفة في الرجال والخالف والخالفة الذي
هو غير نجيب ولم يأت في فاعل فواعل صفة الا في حرفين قالوا فارس وفوارس وهالك وهالك والطبع
والخلف بمعنى واحد والخيبرات النافع التي تسكن النفس اليها وترتاح لها من النساء الحسنان وغيرهن من نعيم

الجنان واحدا خيرة قال الشاعر

ولقد طمنت مجامع الريلات وربلات هند خيرة الملكات
وقل المبرد الخيرات الجوارى الفاضلات جمع خيرة وقيل يجوز ان يكون خيرة التشديد فخشفت نحو
هيرت وهين والاعداد حمل الشيء مهيئا لتبهر وأصله من العدد لأنه قد عدد الله جميع ما يحتاج الى تقديره
له من الأمور ومثله اتخاذ الاعتاد

﴿الاعراب﴾

أن آمنوا في موضع نصب يحذف حرف الجر على تقدير بأن آمنوا اي بالايمن ولا يجوز الحذف مع
صرح المصدر

﴿المعنى﴾

ثم بين سبحانه غام اخبار المنافقين قال (واذا أنزلت سورة) من القرآن على محمد ﷺ (أن آمنوا بالله) اي بأن آمنوا هو خطاب المؤمنين وامرهم بأن يدوموا على الايمان ويتمسكوا به في مستقبل الاوقات
ويدخل فيه المنافق ويشأوله الامر بأن يستأنف الايمان ويترك النفاق (وجاهدوا مع رسوله) اي اخرجوا
الى الجهاد معه فكانه قال آمنوا أنتم وادعوا الى الايمان غيركم (استأذنتك) اي طلب الاذن منك في القعود
(أولوا الطول) اي أولوا المال والقدرة والنفى عن ابن عباس وغيره (منهم) اي من المنافقين (وقالوا ذرنا)
اي دعنا (نكن مع القاعد) اي المتخلفين عن الجهاد من النساء والصبيان (والناحق هؤلاء) انهم
أقرب على الجهاد (ورضوا بأن يكونوا مع الخولاف) اي رضوا لنفسهم أن يقعدوا مع النساء والصبيان
والمرضى والمقعدين (وطم على قلوبهم) ذكرنا معنى الطمع فيما تقدم قال الحسن هؤلاء قوم قد بلغوا الحد
الذي من بلته مات قلبه (فهم لا يفقهون) أوامر الله ونواهي ولا يتدبرون الأدلة ثم مدح النبي ﷺ
والمؤمنين قال سبحانه (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم) ينفقونها في سبيل الله ورضاه (وأنفسهم)
يقاتلون الكفار ثم أخبر سبحانه عما أعد لهم من الجزاء على اتقادهم الله ورسوله فقال (وأولئك لهم الخيرات)
من الجنة ونعيمها وقبل الخيرات المتاع والمدح والتعظيم في الدنيا والثواب والجنة في الآخرة (وأولئك هم
الفلحون) اي الظافرون بالوصول الى البقية (أعد الله لهم) اي هيا وخلق لهم (جنان تجري من تحنها)
الانهار خالدين فيها) معنى تفسيره في غير موضع (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره (الفوز العظيم) والفوز
النجا من المهلكة الى حال التسوسمبت المهلكة مقارة تفاولا لما بالنجا وانما وصفه بالتظيم لأنه حاصل على
وجه الدوام وبالأعزاز والالجلال والاكرام

قوله تعالى (٩٠) وجاء المذنبون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم آية

﴿القراءة﴾

قرأ يعقوب وقتية المذنبون يسكون المين وتخفيف الذال وهي قراءة ابن عباس والضحاك ومجاهد
والباقر بن عيسى المين وتشديد الذال

— (الحجة) —

من قرأ بالتخفيف أراد الذين يأثون بالعد ومن قرأ بالتشديد أحمل أمرين ﴿ أحدهما ﴾ ان يكون المراد المتصدرون كان لهم عذر أو لم يكن وإنما ادغم التاء في الدال لتقرب مخرجهما ﴿ والثاني ﴾ انه أراد المقصرون من التذير فالعذر المقصر الذي يريك انه معذور ولا عذره والعذر البالغ الذي له عذر والمتذير يقال لمن له عذر ولين لا عذره قال لبيد « ومن يبك حولا كاملا قد اعتذر » أي أي يذر

— المعنى —

لما تقدم حديث المخلفين صنف الله تعالى الاعراب منهم صنفين قال سبحانه (وجاء المنذرون من الاعراب) أي المتصدرون الذين يعتذرون وليس لهم عذر عن أكثر المفسرين وقيل هم المنذرون الذين لهم عذر وهم نفر من بني غفار عن ابن عباس قال ويدل عليه قوله وقد الذين كذبوا الله ورسوله فطف الكاذبين عليهم فدل ذلك على أن الأولين في اعتذارهم صادقون وقيل معناه الذين يتصدرون بصورة أهل العذر وليسوا كذلك (ليؤذن لهم) في التخلف عن الجيائي (وقد الذين كذبوا الله ورسوله) أي وقصمت طائفة من المنافقين من غير ان يعتذروا وهم الذين كذبوا فيما كانوا يظهرونه من الإيمان (سيبب الذين كفروا منهم عذاب أليم) قال ابو عمرو بن العلاف في هذه الآية كلا الفريقين كان مسبباً قوم فعدوا ولو جنح آخرون قطعوا يريد أن قوما تكلفوا عذراً بالباطل وتخلف آخرون من غير تكلف عذروا بظواهره علة جراحة على الله ورسوله

قوله تعالى (٩١) لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٢) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ (٩٣) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَا رِضْوَانُ يَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ثلاث آيات

﴿ الفنة ﴾

النصح اخلاص العمل من التش والاحمل اعطاء المركوب من فرس أو بهيمة أو غير ذلك تقول حملة بجمعه حملاً إذا اعطاه ما يحمل عليه قال

ألفني عندم خفان يعملي عليها إني شيخ على سفر

والفيض الجاري عن ملاء من قوهم قاض الأثناء بما فيه والحزن ألم في القلب بفوت أمر مأخوذ من حزن الأرض وهي الأرض التليظة المسلك

— الاعراب —

حزنا نصب لأنه مفعول له أي يكون الحزن ولا يبدوا منصوب بأن وموضع ان لا ينجوا نصب تقديره لأن لا يبدوا حذف الجار فوصل الفعل

﴿النزول﴾

قيل إن الآية الأولى نزلت في عبد الله بن زائدة وهو ابن أم مكتوم وكان ضريب البصر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله إني شيخ ضريب خفيف الحال خفيف الجسم وليس لي قائد فهل لي رخصة في التخلف عن الجهاد فسكت النبي ﷺ فأنزل الله الآية عن الضحاك وقيل نزلت في عائذ بن عمرو واصحابه عن قتادة والآية الثانية نزلت في البكائين وهم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب وعليه بن زيد وعمرو بن نطعة وابن غنمة وهؤلاء من بني النجار وسالم بن عبيد وهرم بن عبد الله وعبد الله بن عمرو ابن عوف وعبد الله بن مغل من مزينة جاؤا إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله احلفنا أنه ليس لنا ما نخرج عليه فقال لا أجدا ما احلفكم عليه عن ابي حمزة الثمالي وقيل نزلت في سبعة نفر من قبائل شتى أتوا النبي ﷺ فقالوا احلفنا على الخفاف والبنال عن محمد بن كعب وابن اسحاق وقيل كانوا جماعة من مزينة عن معاهد وقيل كانوا سبعة من قراء الانصار فلما بكوا حصل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب النضري ثلاثة عن الرازي قال وكان الناس يتوبكون مع رسول الله ﷺ ثلاثين الفا منهم عشرة آلاف فارس

﴿المضى﴾

ثم ذكر سبحانه أهل العذر فقال (ليس على الضعفاء) وهم الذين قوتهم ناقصة بالزماناة والمبزر عن ابن عباس وقيل هم الذين لا يقدرون على الخروج (ولا على المرضى) وهم اصحاب العلل المائسة من الخروج (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني من ليست معه نفقة الخروج وآله السفر (خرج) أي ضيق وجناح في التخلف وترك الخروج مع رسول الله ﷺ (إذا نصحوا لله ورسوله) بأن يخلصوا العمل من الشئ ثم قال سبحانه (ما على المحسنين من سبيل) أي ليس على من فعل الحسنة الجميل في التخلف عن الجهاد طريق فتعريف في الدنيا والعذاب في الآخرة وقيل هو عام في كل حسن والإحسان هو إصالة النفع إلى الغير ليستفهم به مع تبره عن وجوه التسبب ويصح ان يحسن الإنسان إلى نفسه ويحمد على ذلك وهو اذا فعل الأفعال الجميلة التي يستحق بها المدح والثواب (والله غفور) أي سائر على ذوي الاعتدال بقبول العذر منهم (رحيم) بهم لا يلزمهم ما فوق طاقتهم ثم عطف عليه قال (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) أي ولا على الذين اذا جاؤوك يسألونك مركباً يركبونه فيخرجون منك إلى الجهاد اذ ليس معهم من الأموال والظهر ما يمكنهم الخروج به في سبيل الله (قات لا أجدا ما احلفكم عليه) أي لا أجدا مركباً يركبونه ولا ما اسوي به أمركم (قولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون) أي وجوا عنك وأعينهم تسيل بالدمع حزناً ان لا يجدوا ما يركبونه من الدواب وينفقونه في الطريق ليخرجوا معكم ولحزمهم على الخروج المضى وليس على هؤلاء ايضاً حرج في التخلف عن الجهاد وليس عليهم سبيل الدم والعقاب (انما السبيل) والطريق بالعقاب والحرج (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) أي يطلبون الأذن منك يا محمد في مقام ومعهم من ذلك اغنياء متمكنون من الجهاد في سبيل الله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) من النساء والصبيان ومن لا حراك به (وطمع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) قد تقدم بيانه

قوله تعالى (٩٤) يَتَذَرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ

يَا أَيُّهَا اللَّهُ مَنْ أَخْبَارَكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٥) سَيَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَقْبَلْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ
فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَهُمْ بِجَنَّةٍ جَزَاءَ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) يَخْلُقُونَ لَكُمْ
لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ثَلَاثُ آيَاتٍ

التنزيل

قيل نزلت الآيات في جد بن قيس ومنصب بن قشير واصحابها من المنافقين وكواثبتين رجلا ولما قدم
النبي ﷺ المدينة تراجعت نبوك قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم عن ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله
ابن أبي حلف النبي ﷺ ان لا يختلف عنه بعدها وطلب الى النبي ﷺ ان يرضى عنه عن مقاتل

المعنى

ثم اخبر الله سبحانه عن هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ﷺ قال (يستندون اليكم) من
تأخرهم عنكم بالأباطيل والكذب اذا رجعت اليهم اي اذا انصرفتم الى المدينة من غزوة تبوك (قل) يا
محمد (لا تتندروا لن نؤمن لكم) اي لستنا نصدقكم على ما تقولون (قد نبأنا الله من اخباركم) اي قد أخبرنا
الله واعلمنا من اخباركم وحقيقة أمركم ما علمناه كذبكم وقيل انه أراد به قوله سبحانه لو خرجوا فيكم
ما زادكم الا خيالا الآية (وسيرى الله عليكم ورسوله) أي سيعلم الله فيما بعد ورسوله عليكم هل تتوبون
من نفاقكم أم تميتون عليه وقيل معناه سيعلم الله أفعالكم وعزائمكم في المستقبل وينظر ذلك لرسوله فيعلمه
الرسول بأعلامه إياه فيصير كالشيء المرئي لأن أظهر ما يكون الشيء أن يكون مرئيا كما علم ذلك في الماضي
فأعلم به الرسول (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) اي ترجعون بعد الموت الى الله سبحانه الذي يعلم ما غاب
وما حضر وما يخفى عليه السر والعلانية (فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) اي ينشركم بأعمالكم كلها حسنها وقبيحها
فيجازيكم عليها اجمع (سَيَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ) اي سيقسم هؤلاء المنافقون والمتخلفون فيما يستندون به اليكم
ايها المؤمنون (اذا اقبلتم اليهم) انهم انما اختلفوا المنزل (لترضوا عنهم) اي تصفحوا عن جرمهم ولا توبخوهم
ولا تنفروهم ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين قال (فأعرضوا عنهم) اي اعراض ردوا نكارا وتكذيبا
ومقت ثم بين عن سبب الإعراض قال (انهم رجس) اي نجس ومعناه انهم كالشيء الممتن الذي يجب الاجتناب
عنه فاجتنبوهم كما تجتنب الأنجاس (وما واهم جنم) اي مصيرهم وما لهم ومستقرهم جهنم (جزاء) ما كانوا
يكسبون (اي مكافأة على ما كانوا يكسبونه من الماصي) يخلقون لكم لترضوا عنهم) اي طلبا لرضايتكم عنهم
ايها المؤمنون (فإن ترضوا عنهم) ليجلحكم بحالهم (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) اخرجين من
طاعة الى معصيته لئلا يترهم انه اذا رضي المؤمنون قد رضي الله المراد بذلك انه اذا كان الله لا يرضى
عنهم فينبئكم لكم ايضا ان لا ترضوا عنهم وفي هذا دلالة على ان من طلب بفضله رضا الناس ولم يطلب رضا
الله سبحانه فإن الله يسخط الناس عليه كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ انه قال من التمس رضا
الله يسخط الناس رضي الله عنه ارضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله يسخط الله عليه وسخط الله الناس

قوله تعالى (٩٧) الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَثَنًا قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُونَ حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٨) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَقْرًا وَيَتَوَبَّعُ بِكُمْ الدُّوَابَّ عَلَيْهِمْ ذَاتُ السَّوَاءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٩) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْيَوْمُ الْآخِرُ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مُرْغَبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلُّوا إِلَى اللَّهِ رُسُلًا إِلَّا إِلَهُا قُرْبَةً لَهُمْ مَبْدُخْلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

قرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بضم السين وفي سورة الفتح مثله والباقون بفتح السين وقرأورش واسماعيل عن نافع قرينة بضم الراء والباقون قرينة بسكون الراء

❦ الحجة ❦

قال ابو علي الدائرة لا تخلو اما ان تكون صفة او بمنزلة العاقبة والمآفة والصفة اكثر في الكلام فينبغي ان يجعل عليها فالمنى عليها انها خلقة تحيط بالانسان حتى لا يكون له منها مختص واضيفت الى السوء او الى السوء على الوجهين على وجه التأكيد والزيادة في التبيين ولولم تنصف لهم هذا المعنى منها كما ان نحو قوله شمس النهار كذلك السوء الراداة والفساد وهو خلاف الصدق الذي في قولك ثوب صدق وليس الصدق من صدق الانسان كما ان السوء ليس من سوءه في المعنى وان كان اللفظ واحدا بذلك على ذلك انك اضفته الى ما لا يجوز عليه الصدق والكذب في الاخبار واما دائرة السوء بالضمه فكقولك دائرة الزينة ودائرة البلاء فالجما في جواز اضافة الدائرة اليها من حيث اريد بكل واحد منهما الرذالة والفساد فمن قال دائرة السوء فتقديره الاضافة الى الرذالة والفساد ومن قال دائرة السوء فتقديره دائرة الضرر والمكره من قولهم سوءته مساة ومساية والمعيان متقاربان قال ابو الحسن دائرة السوء كما تقول رجل السوء وانشد

و كنت كذئب السوء لما راى دما
بصاحبه يوما احال على الدم
واما قوله قرينة فالاصل حركة الراء والاسكان للتخفيف كما في الرسل والكتب والاذن والطنب
واما قربات فينبغي ان يشترط لانه اذا قل ما اصله التخفيف نحو الظلمات والفرقات فان قر الحركة الثانية
في الكلمة الواحدة اجدر ومثل قولهم قرينة وقرينة يسرة ويسرة هدنة وهدنة حكاة محمد بن يزيد

== الفته ==

رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد ورجل اعراي اذا كان ساكنا في البادية والعرب صنفان عدنانية وقحطانية والفضل لمدنية برسول الله ﷺ واجدرا مأخوذ من جدر الحائط يسكون الدال وهو اصله واساسه والمغرم الغرم وهو نزول نائمة بالمال من غير خيانة واصله لزوم الأمر ومنه قوله ان غناها كان غراما اي لازما وحسب غرام اي لازم والغريم يقال لكل واحد من المتنازعين لزوم احدهما الآخر وغرته كذا اي الزمت اياه في ماله والغريم لا يتنازعه ومنه الغريم بالضم الطام لزوم الامسار واصله التمسك بالشيء لماقبة والدوائر جمع دائرة هي من حوادث الدهر وقيل الحال المتقلبة عن النعمة الى البقيت الدائرة الدولة والقربى هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة

❦ الاعراب ❦

اجدر ان لا يعلموا ان في موضع نصب لأن الباء محذوفة والمعنى اجدو بترك العلم تقول انت جدير
أن تفعل وجدير بأن تفعل اي هذا الفعل ميسر لك واذا حذف الباء لم يصلح إلا بأن وان اثبت الباء صلح
بأن وغيرها تقول انت جدير بأن تقوم وجدير بالقيام وإنما صلح مع ان الحذف لأن ان يدل على الاستقبال
فكانها عوض من المحذوف وصلوات الرسول عطف على قوله ما ينفع وموضعه نصب وتقديره ويتخذ النعمة
وصلوات الرسول ويتخذ قربات وقيل صلوات مطوف على قربات على معنى يطلبون بالاتفاق قربة الله وصلوات
الرسول عن الجاني

❦ المعنى ❦

لما تقدم ذكر المناقنين بين سبحانه أن الأعراب منهم أشد في ذلك وأكثر جهلا فقال (الأعراب
أشد كفرا ونفاقا) يريد الأعراب الذين كانوا حول المدينة وانما كان كفرهم أشد لأنهم أقسى واجقى
من أهل المدن وهم ايضا ابدن من سباع التنزيل وانذار الرسل عن الزجاج وممنه أن سكان البوادي اذا كانوا
كفاراً او منافقين فهم أشد كفرا من أهل الحضر لبداهة عن مواضع العلم واستماع الحجج ومشاهدة المعجزات
وبركات الوحي (واجدر أن لا يعلموا حدود ما نزل الله على رسوله) اي وهم احرى وأولى بأن لا يعلموا حدود
الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما يحكم به عليهم (ومن الأعراب من
يتخذ ما ينفع مفرماً) اي ومن منافقي الأعراب من يمد ما ينفع في الجهاد وفي سبيل الخير مفرماً لحقه لأنه لا يرجو به ثواباً
(ويحرص بكم الدوائر) أي ويستظر بكم الدوائر اي صروف الزمان وحوادث الايام والاعواق المضمومة قال الزجاج
والفراء كانوا يحرصون بهم الموت او القتل فكانوا ينتظرون موت النبي ﷺ ليرجعوا الى دين المشركين
واكثر ما يستعمل الدائرة في زوال النعمة الى الشدة والفاقة الى البلاء ويقولون كانت الدائرة عليهم وكانت
الدائرة لهم ثم رد سبحانه ذلك عليهم فقال (عليه دائرة السوء) اي على هؤلاء المناقنين دائرة البلاء يعني
أن ما ينتظرون بكم هؤلاء حق بهم وهم الملبون بايها (والله سميع) لقلوبهم (عليم) بنياتهم لا ينغى عليه
شيء من حالاتهم ثم بين سبحانه من الأعراب المؤمنين المخلصين فقال (ومن الأعراب من يؤمن بالله
واليوم الآخر) ومنهم من يرجع الى سلامة الاعتقاد في التصديق بالله وبالقيامة والجنة والنار (ويتخذ
ما ينفع قربات عند الله) اي ويريد بنفعته في الجهاد وغير ذلك من اعمال البر قربات جمع قربة وهي الطاعة
اي طاعات عند الله وتعميم امره ورعاية حقه وقيل مناه يتقرب الى الله بانفاقه ويطلب بذلك ثواباً ورضاء
(وصلوات الرسول) اي دعاؤه بالخير والبركة عن قتادة وقيل استغفاره عن ابن عباس والحسن ومناه
انه يرغب في دعاء النبي ﷺ (الا انها قرية لهم) مناه الا ان صلوات الرسول قرية لهم تقربهم
الى ثواب الله ويجوز ان يكون للمنى ان نفقتهم قرية لهم الى الله (سيدخلهم الله في رحمته) هنا وعد منه
سبحانه بأن يرحمهم ويدخلهم الجنة وفيه مبالغة بأن الرحمة غمرتهم ووسستمهم ان الله غفور للذنوب (رحيم)
بأهل طاعته وهما من الفاظ المبالغة في الوصف بالنعمة والرحمة

قوله تعالى (١٠٠) وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ آيَةٌ

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب والانصار بالرفع وهي قراءة عمر بن الخطاب والحسن وقادة والقراءة المشهورة والانصار بالجر وقرأ ابن كثير وحده من تحتها بزيادة من وكذلك هو في مصاحف مكة وقرأ السابقون تحتها بشير من وعليه سائر المصاحف والمعنى واحد

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالرفع عطفه على قوله السابقون ومن قرأ بالجر عطفه على المهاجرين وأما قوله والذين اتبعوهم بإحسان فيجوز أن يكون معطوفاً على الانصار في رضى وجره ويجوز أن يكون معطوفاً على السابقون وإن يكون معطوفاً على الانصار أولى لقربه منه

﴿ الأعراب ﴾

السابقون مبتدأ والأولون صفة من المهاجرين تبين لهم والذين اتبعوهم ان حلتهم على السابقون كان مرفوعاً وإن حلتهم على الانصار كان مجروراً وبشر الاسماء كلها رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم عطف على رضي قالو عطف على قوله خالدين فيها أبداً

﴿ الترتول ﴾

قبل نزلت هذه الآية فيمن صلى الى القبلتين عن سعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وقادة وقيل نزلت فيمن بايع يمة الرضوان وهي يمة المدينة عن الشعبي قال ومن اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الاولين وقيل هم اهل بدر عن عطاء بن رباح وقيل هم الذين اسلموا قبل الهجرة عن الجبائي

— المعنى —

لما تقدم ذكر المناقبين والكفار عقبه سبحانه بذكر السابقين الى الإيمان قال (والسابقون الأولون) أي السابقون الى الإيمان وإلى الطاعات وإنما مدحهم بالسبق لأن السابق الشيء يسبقه غيره فيكون متبوعاً وبغيره تابع له فهو إمام فيه وداع له الى الخير يسبقه اليه وكذلك من سبق الى الشر يكون اسوأ حالاً لهذه الأمة (من المهاجرين) الذين هاجروا من مكة الى المدينة وإلى الحبشة (والانصار) أي ومن الانصار الذين سبقوا نظراءهم من أهل المدينة الى الإسلام ومن قرأ والانصار بالرفع لم يحصلهم من السابقين وجعل السبق للمهاجرين خاصة (والذين اتبعوهم بإحسان) أي بأفضل الخير والدخول في الإسلام بدمهم وسلوك منهاجهم ويدخل في ذلك من يحمي بدمهم الى يوم القيامة (رضي الله عنهم ورضوا عنه) أخبر سبحانه أن رضي عنهم فاعلمهم ورضوا عنه الله سبحانه لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم به وبتبنيهم (و أعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) أي يتقون بقاء الله متممين (ذلك الفوز العظيم) أي الفلاح العظيم الذي يصرف في جنبه كل نعيم وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين ومن بعدهم على غيرهم لما لهم من أنواع الشقة في نصره الدين فيها مفارقة المشائر والأقربين ومنهاية المألوف من الدين ومنها

والمرء أصله اللامسة ومنه صرح مرد أي ملس والامرء الذي لا شعر على وجهه والمرءاء الرملة التي لا تنبت شيئا ذكره علي بن عيسى وقيل أصله الظهور والمراد الذي ظهر شره وشجرة مرداء إذا تساقط ورقها فظهرت عوداتها ورجل امرء الظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفة ومرد الرجل يرد مردوا إذا عتا وخرج من الطاعة وأعيا خبثا ومنه شيطان مرد ومريد وفي المثل ترد مرد وعز الأبقى وما حصنان

الاعراب

ومن أهل المدينة مردوا أي قوم مردوا فحذف الموصوف ويحوز أن يكون التقدير ومن أهل المدينة ناقون مردوا على النفاق فصل بين الصفة والموصوف بالظرف وآخرون احترفوا مطوف على قوله من الاعراب مناقون وكذلك وآخرون مرجون وإن شئت قدرت ومنهم آخرون

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر المناقنين قال سبحانه (ومن حولكم) أي ومن جملة من حولكم يعني حول مدنيكم (من الاعراب) وهم الذين يسكنون البدوا إذا كانوا مطبوعين على العربية (مناقون) يظهرون الإيماء ويطنون الكفر وقيل أنهم جبهة ومزينة واسلم واشمع وغفار وكانت منازلهم حول المدينة (ومن أهل المدينة) أيضا مناقون وإنما حذف لدلالة الأول عليه (مردوا على النفاق) أي مروا على النفاق وتجروا عليه عن القراء وقيل معناه أقاموا عليه لم يتوبوا منه كما تاب غيرهم عن ابن زيد وابن بن تليق وقيل معناه لجوافيه وأبوا غيره عن ابن إسحاق وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره ومن حولكم من الاعراب مناقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة أيضا مثل ذلك عن الزجاج (لا تعلمهم) يا محمد أي لا تعرفهم (نحن نعلمهم) أي نعرفهم (ستعذبهم مرتين) فيه أقوال أحدها أن معناه تعذبهم في الدنيا بالقضية فإنه النبي ﷺ ذكر رجالا منهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته وقال اخرجوا فإنكم مناقون ويعذبهم في القبر عن ابن عباس والسدي والكلبي وقيل مرة في الدنيا بالسبي والقتل ومرة في الآخرة بنذاب القبر من مجاهد وروى حبيب عنه عذبوا بالجويع مرتين وقيل أحداها أخذ الزكاة منهم والأخرى عذاب القبر عن الحسن وقيل أحداها غيظهم من أهل الإسلام والأخرى عذاب القبر عن ابن إسحاق وقيل إن الأولى ضرب الملائكة وجوههم وأديارهم عند قبض أرواحهم والأخرى عذاب القبر وقيل إن الأولى إقامة الحدود عليهم والأخرى عذاب القبر عن ابن عباس وكل ذلك محتمل غير أننا نعلم أن المرتين مما قيل إن يردوا إلى عذاب النار) ثم يردون إلى عذاب عظيم) أي يرجعون يوم القيامة إلى عذاب مؤبد في النار (وآخرون احترفوا بدينهم) يعني من أهل المدينة ومن الاعراب آخرون أقروا بدينهم وليس برأى إلى المناقنين والاحتراف الإقرار بالشئ عن مرة (خطبوا عملا صالحا وآخر سيئا) يعني أنهم يفعلون فضلا جميلا ويفعلون فضلا سيئا سيئة قبيحة والتقدير وعملا آخر سيئا (عسى الله أن يتوب عليهم) قال المشركون عسى من الله وأجابة وإنما قال عسى حتى يكونوا بين طمع واشفاق فيكون ذلك ما يبعد من الإنكار على العفو وأعمال التوبة وفي هذا دلالة على بطلان القول بالإحباط لأنه لو صح الإحباط لكان أحد العاملين إذا طرأ على الآخر أحبطه وأبطله فلم يحسب فلا يكون قوله خطبوا معنى وقال بعض التابعين ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية وقد يستعمل لفظ الحائط في الجسم من غير امتزاج يقال خلط الدرهم والدنانير وقيل إنه يجري مجرى قولهم استوى

الماء والحشة أي مع الحشة وقيل إن خلط بالتخفيف في الخير وخلط بالثبديد في الشر (إن الله غفور رحيم) هذا تطيل لقبول التوبة من العصاة أي لأنه غفور رحيم

﴿التزول﴾

قال أبو حمزة السبلي بلغنا أنهم ثلاثة نفر من الانصار ابوابية بن عبد الله بن وديعة واوس بن حذاف
تخلفوا عن رسول الله ﷺ عندما خرجوا إلى تبوك فلما بلغتهم ما نزل الله فيمن تخلف عن بيته ايتقوا بالهلاك وارتقوا
انفسهم يسواري المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله ﷺ فسأل عنهم فذكر له انهم اقسوا ان لا يحلوا
انفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ يعلمهم وقال رسول الله ﷺ وانا اقسى لا اكون اول من حلهم الا
ان اؤمر فيهم بأمر فلما نزل على الله ان يتوب عليهم عند رسول الله ﷺ اليهم فاعلمهم فانطلقوا فاجابوا يأمرهم الى
رسول الله فقالوا هذه اموالنا التي خلقتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا قال (ع) ما امرت فيها فنزل خذ من أموالهم
صدقة الآيات وقيل انهم كانوا عشرة رهط منهم ابو لبابة عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقيل كانوا ثمانية
منهم ابو لبابة وهلال وكرم وابو قيس من سبيد بن جبر وزيد بن اسلم وقيل كانوا سبعة من قتادة وقيل
كانوا خمسة ويروي عن ابي جعفر الباقر (ع) انها نزلت في ابي لبابة ولم يذكر غيره معه وسبب نزولها فيه ما جرى
منه في بني قريظة حين قال ان نزلتم على حكمه فهو الذبيح وبه قال مجاهد وقيل نزلت فيه خاصة حين تأخر
عن النبي ﷺ في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية على ما تقدم ذكره عن الزهري ثم قال ابو لبابة يا رسول
الله ان مسن توبتي ان اجد دابة قسومي التي اصب فيها الذنب وانا انقطع من مالي كله قال ببزيك يا ابا
لبابة التلت وفي جميع الاقوال اخذ رسول الله ﷺ ثلث اموالهم وترك الثلثين لأن الله تعالى قال خذ من
اموالهم ولم يقل خذ اموالهم

قوله تعالى (١٠٣) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك
سكّن لهم والله سميع عليم (١٠٤) ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ
الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم (١٠٥) أو قل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
وسنردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون ثلاث آيات

﴿القراءة﴾

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ان صلاتك وفي هود صلاتك على التوحيد وقرأ الباقون ان صلواتك
صلواتك على الجميع قال ابو علي الصلاة في لغة الدماء قال الاعشى في العشر
وقابلها الريح في دنيا وصل على دنيا وارثهم

﴿الحجة﴾

فكان معنى صل عليهم ادع لهم فان دعاهم تكلم اليه نفوسهم وتطيب بها فاقامهم صلى الله على رسوله وملائكته فلا
يقال فيه انه دعاه لهم من الله تعالى كما لا يقال في تحويل المسلمين ونحوه انه دعاه عليهم ولكن المعنى فيه
ان هؤلاء ممن يستحق عندكم ان يقال فيهم هذا النبو من الكلام وكذلك قوله بل عبت ويسفرون فيمن ضم
اليه وهذا منعب سيويه فإذا كانت الصلاة مصدرا وقع على الجميع والمفرد على فقط واحد كصوت الحبر فلذا
اختلف جاز ان يجزم باختلاف ضروره كذا قال ان انكر الاصوات فأما من زعم ان الصلاة اولى لأن الصلاة
لكثرة الصلوات القليل فلم يكن قوله متجاليا لأن الجزم بالثاء قد يقع على الكثير كما يقع على القليل بقوله وهم

في الثقات آمنون وقوله ان المسلمين والمسلمات وقوله ان الصديقين والمصدقات فقد يقيم هذا الجمع على الكثير كما يقيم على القليل

﴿الاعراب﴾

قوله تطهرهم انما اقدم لأحد أمرين اما ان يكون صفة للصدقة ويكون اناء. الثاني ويكون قوله يا ايها الذين آمنون التقدير صدقة مطهرة واما ان يكون اناء خطابا للنبي ﷺ والتقدير فلذلك تطهرهم بها فتكون صفة للصدقة (ايضا) ويكون الضمير في بها للصدقة الموصوفة واما وتزكيتهم فلا يكون الا للخطاب وقيل ان تطهرهم يعجز ان يكون على الاستئناف وحمله على الاتصال اولى

﴿المعنى﴾

ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ وامره باخذ الصدقة من اموالهم تطهيرا لهم وتكفيرا لسيئاتهم فقال (خذ) يا محمد (من اموالهم) ادخل من التبيين لأنه لم يجب ان يصدق بالجميع وانما قال من اموالهم ولم يقل من مالهم حتى يشتمل على اجناس المال كلها وهذا يدل على وجوب الأخذ من سائر اموال المسلمين لاستوائهم في احكام الدين الا ما خصه الدليل (صدقة) قيل اراد بها الامرياء يأخذ الصدقة من اموال هؤلاء الثانيين تشديدا لتكليفه وليست بالصدقة المفروضة بل هي على سبيل الكفارة للذنوب التي اصابوها من الحسن وغيره وقيل اراد بها الزكاة المفروضة عن الجاهلي واكثر اهل التفسير وهو الظاهر لأن حمله على الخصوص يشير دليل لا وجه له فيكون امرا بأن يأخذ من المالكين للتعاطي الزكاة من الورق اذا بلغ مائتي درهم ومن الذهب اذا بلغ عشرين مثقالا ومن الابل اذا بلغت خبسا ومن البقر اذا بلغت ثلاثين ومن النعم اذا بلغت اربعين ومن الغنات والشاء اذا بلغت خمسة اوسق (تطهرهم وتزكيتهم بها) معناه تطهرهم تلك الصدقة من دنس الذنوب وتزكيتهم انت بها اي تنسبهم الى الزكاة وتدور لهم بما يصيرون به اذكيا. وقيل معناه تطهرهم انت وتزكيتهم انت بها فيكون كلا التبيين مضافا الى النبي ﷺ (وصل عليهم) هذا امر من الله تعالى للنبي ﷺ ان يدعوا لمن يأخذ منه الصدقة ومعناه ادع لهم بقول صدقاتهم كما يقول الداعي جرك الله فينا عطيت وبارك لك فيما ابتيت ودوي عن النبي ﷺ انه كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم وقال عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة فأتاه ابن ابي اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اوردته البخاري ومسلم في الصحيح (ان صلاحك سكن لهم) اي ان دعواتك ما تسكن نفوسهم اليه وقيل رحمة لهم عن ابن عباس وقيل وقار وطأنة لهم ان الله قد قبل منهم من قتادة والكلبي وقيل تثبت لهم من ابي صيدة (والله سميع عليم) يسمع دعاءك لهم ويعلم ما يكون منهم في الصدقات (الميطرا) ان الله هو يقبل التوبة عن عباده واستقام يراد به التوبة على ما يجب ان يعلم بالخطأ اذا رجع الى نفسه وفكر خيرا فيه عليه علم وجوبه وانما وجب ان يعلم ان الله يقبل التوبة لأنه اذا علم ذلك كان ذلك داعيا له الى فعل التوبة والتسك بها والمساعدة اليها وما هذه صرته يجب العلم به ليحصل به الفوز بالتواب والخلاص من العقاب والسبب فيه انهم لما سألوا النبي ﷺ ان يأخذ من اموالهم ما يكون كفارة لذنوبهم امتنع من ذلك انتظارا لأن من الله سبحانه فيه فيبين الله انه ليس بقول التوبة الى النبي ﷺ وان ذلك الى الله عز اسمه فلو انه الذي يقبلها (وبأخذ الصدقات) اي يتقبلها ويضمن الجزاء عليها قال الجاهلي جعل الله اخذ النبي والمؤمنين للصدقات اخذا من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بأمره وقد ورد الخبر عن النبي ﷺ انه قال ان الصدقة تقم في يد الله قبل أن تصل الى يد السائل والمولد بذلك انها تنزل هفا للتزليل ترغيبا للعباد في فعلها وذاك يرجع الى تضمن الجزاء عليها (وان الله هو التواب الرحيم) عطف على ما قبله ولذلك فتح ان وقدم تفسيره (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون) هذا امر من الله سبحانه لنبيه ان يقول للمكلفين اعلوا ما امركم الله به عمل من يعلم انه مجازا على فعله فان الله يسرى عليكم وانما ادخل سين الاستقبال لان ما لم يحدث لا يتلقى به الروية فكانه قال كل ما تعملونه يراه الله تعالى وقيل اود بالروية هاهنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد اي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله اي يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى يراه المؤمنون قيل اراد بالمؤمنين الشهداء وقيل اراد بهم الملائكة الذين هم الحلقة الذين يكسبون الاعمال ودوى اصحابنا ان اعمال الأمة تعرض على النبي ﷺ في كل اثنين وخميس فيعرضها وكذلك تعرض على ائمة الهدى عليهم السلام فيعرضونها وهم المشيرون بقوله والمؤمنون وانما قال يسرى الله مع انه سبحانه عالم بالاشياء قبل وجودها لأن المراد بذلك انه سبحانه موجودة بعد ان عليها مدومة وكونه عالما بانها ستوجد هو كونه عالما بوجودها اذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك (وستردون الى عالم الثيب والشهادة) اي سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلانية (فينصركم) اي ينصركم (بما كنتم تعملون) ويجازيكم عليه

قوله تعالى (١٠٦) وآخرون مرجون لأمر الله إما يهديهم وإما يتوب عليهم وآله

عليهم حكيم آية ﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة والكوفة غير الي بكرة مرجون بنيرهمز والباقيون مرجون بالهمز

﴿ الحجة ﴾

قال الازهري الإرجاء يهزم ولا يهزم إرجأت الأمر وإرجيته آخرته وإرجأت الجامل ذنته لأن يفرج ولعنا فبهي مرجى ومرجئة وإرجت بنير همز ايضا

﴿ الزول ﴾

قال مجاهد وتبادت الآية في حلال بين امية الواقفي ومراة بين الربيع وكعب بن مالك وهم ممن الارس والخروج وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه ولما تخطف ثوبتيامن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله ﷺ فقال والله مالي من عند ولم يعتد اليه بالكذب فقال (ع) صدقت فرحتي يقضي الله فيك وجاء الآخرون فقالوا مثل ذلك وصدقا فعلى رسول الله ﷺ عن مكاتبهم وامرناهم باعتزاهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فاقاموا على ذلك غسبين ليلة وبني كعب خيمة على سلع يكون فيها واحد وقال في ذلك

ابعد دور بني القين الكرام وما شادوا علي بنيت البيت من سبغ

ثم نزلت التوبة عليهم بعد الغسبين في الليل وهو قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الايقا أصبح المسلمون يستندونهم ويشرونهم قال كعب فبحث الى رسول الله في المسجد وكان (ع) اذا سريستشر كان وجهه فقة قمر فقال لي ووجهه يرق من السرور ابشر بنير يوم طلع عليك شرقه منذ ولدتك امك قال كعب قلت امن عند الله ام من عندك يا رسول الله فقال من عند الله وتصدق كعب بثلاث ماله شكرا لله على توبته

— المعنى —

ثم خلف سبحانه على ما قبله من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فقال (وآخرون مرجون لأمر الله) اي مؤخرون موقوفون لا يرد من امر الله تعالى فيهم (اما يهديهم وإما يتوب عليهم) فلفظة اما وقوع احد الشيئين والله سبحانه عالم بما يصير اليه امرهم ولكنه سبحانه خاطب الياد بها منهم وبمناه ولكن كان امرهم عندكم على هذا في الخوف والرجاء وهذا يدل على صحة مذهبا في جواز العفو من الصاة لأنه سبحانه بين ان قوما من الصاة يكون امرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم فعا منهم ويدل ايضا على

ان قبول التوبة تفضل من الله سبحانه لانه لو كان واجبا لما جاز تعليقها بالمشيئة (والله علم) بما يؤول اليه حالهم (حكيم) فيما يقبله بهم

قوله تعالى (١٠٧) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرُّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٨) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى النَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ أَنْ يَبْطُغُوا بِاللَّهِ وَبِالْمُطَهَّرِينَ (١٠٩) أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شِقَاقٍ حَرَامٍ فَأَنزَلَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١١٠) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيسَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

أربع آيات

﴿ التوبة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو والباقرن بالواو وقرأ نافع وابن عامر أسس بضم الألف بنيانه بالرفع في الموضعين وقرأ الباقرن أسس بنيانه فيها وفي الشواذ قراءة نصر بن حاصم أس بنيانه على وزن فعل وقراءة نصر بن علي أسس بنيانه وأس بنيانه وقرأ ابن عامر وحزمة وحجاج ومجيبي عن أبي بكر وخلف جرف بالتخفيف والباقرن جرف بالتثنية وقرأ يقرب وسهل إلى أن على أنه حرف الجر وهو قرأه الحسن وقنادة والحسدري وجماعة ودرواه العبري عن أبي عبد الله وقرأ الباقرن إلا أن مشددة اللام وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحزمة وخص وسهل ورويس عن يقرب تقطع بفتح التاء والتشديد وقرأ روح تقطع بضم التاء مخففا وقرأ الباقرن تقطع بضم التاء مشدداً

﴿ الحجة ﴾

من أتى الواو في الذين ملطه على ما تقدم والتقدير ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ومن حذف الواو ابتداءً الكلام واضمر الخبر بعده كما اضمر في قوله ان الذين كفروا ويصدون من سبيل الله والمسجد الحرام إلى قوله والبلاد والمضى فيه يتقدم منهم أو يذهبهم ونحو ذلك وحسن الحذف في الموضعين لطول الكلام بالمبتداء وصلته ويجوز أن يكون على أن تضرع ومنهم فيكون تقديره ومنهم الذين اتخذوا كما اضمرت الحرف مع الفعل في قوله وأما الذين أسودت وجوههم أكثرتم بعد إيمانكم أي يقال لهم أكثرتم ولا يجوز أن يكون الذين بدلًا من قوله وآخرون مرجوح لأن المرجحين لأمر الله غير الذين اتخذوا مسجداً ضاراً فلا يجوز أن يدلوا عنهم ومن قرأ أسس بنيانه بنى الفعل للمفاعل كما أضاف البيان إليه في قوله بنيانه فالصدر مضاف إلى الفاعل والباقي والمؤنس واحد ومن بقى الفعل للمفعول به لم يجد أن يكون في المضى كالأول لأنه إذا أسس بنيانه فيؤلى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له فاما من قرأ أس بنيانه في الموضعين وأساس بنيانه بالإضافة فلأنها بمعنى واحد وجمع الأساس أساس كقتل وأقتل وجمع الأساس أساس وليس وأما الحرف فالأصل فيه ضم اللين والاسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل والطلب والطلب ومن قرأ إلا أن تقطع قلوبهم فمما تبلى وتقطع بالي أي لا تبلى قلوبهم بالايان أبداً ومن قرأ تقطع بضم التاء فهو في المضى مثل الأول إلا أن الفعل أضيف إلى التقطع المبني للطلب بالوت وفي الأول اسند إلى القلوب لما كانت هي البالية وهذا مثل مات زيد وسقط الحائط ونحو ذلك ما اسند فيه الفعل

إلى من حدث فيه وإن لم يكن منه وتقطع يستند الفعل فيه إلى القطع المبني وإن لم يذكر في اللفظ فاستند الفعل الذي هو تميز القلوب في الحقيقة إلى القلوب ومن قرأ إلى أن تقطع فإنه جعله على التانية وزعموا أن في حرف إلى حق المات وهذا يدل على أنهم يمترون على نفاثهم فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان واخذوا به من الكفر

❦ اللغة ❦

الضراب هو طاب الضرب وعاولته كما أن الشقاق مطبولة ما يشق يقال ضاربه مضارة وضرابا والارصاد الارتياب تقول رصدي رصده رصدا وارصد له ارصادا قال الكسائي رصده رصده وارضده ارضده والبيان مصدر قال ابو علي وهو جمع على حد شعية وشيعر لأنهم قالوا بنية في الواحد قال اوس

كبنية القرى موضع وحلها وأثار رصتها من الدف الحق

وجاء بناء المصدر على هذا المثال في غير هذا الحرف نحو النفران وليس ببناء جمع بناء لأن فعلا إذا كان جمعا نحو كسبان وقصبان لم تلحقه تاء التانيث وقال ابو زيد يقال بيت ابني وبنيا وبناء وبنية ووجهها البني قال

بني السماء فسواها ببنيها ولم تعد باطناب ولا عمد

فالبناء والبنية مصدران ومن ثم قوبل به القرائ في قوله جبل لكم الأرض فراشا والبناء بناء فالبناء لما كان قدما للبناء قوبل به القرائ الذي هو خلاف البناء والتقوى خصلة من الطاعة يحترق بها من القربة والتقى صفة مدح لا تطلى إلا على مستحق الثواب وواد تقوى مبذلة من الياء لأنها من وقيت وإنما أبدلت للفرق بين الاسم والصفة في الأبنية مثل خزيا وشفا جرف الشيء وشغره وجرفه نهايته في المساحة ويشي شفران وجرف الوادي جانبته الذي ينصرف للماضيه ومن الحرف والاعتراف هو الاعتلاع الشيء من أصله وهار الجرف يورودا فهو هار وتورود وانهار ويقال أيضا هار يهار وهار أصله هائر وهو من القلوب كما يقال لا شيء به إذا دار فهو لا شيء والاصل لاث وكما قالوا شاكى السلاح أي شاكك قال

فتمرفوني انني انا ذاك شاكى سلاحي في الحوادث معلم

وكما قال السجاج (لا شيء بالاشاء والميري) أي مطيف وقال ابو علي والمهز من هائر منقلبة عن الرواد لأنهم قالوا تهود البناء إذا تقاطع وتداعى وفي الحديث سار الليلة حتى انهار الليل ثم سار حتى تهود فهذا في الليل كالكلى والتشبيه بالبناء والانهيار والانهيار يتقاربان في المعنى كما يتقاربان في اللفظ

❦ الأعراب ❦

قد ذكرنا أعراب قوله والذين اتخذوا في الحجة ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره لا تقم فيه أبدا كما تقول والذي يدعوك إلى التي فلا تسع الدعاء وتقديره فلا تسع الدعاء وكذلك التقدير في الآية لا تقم في مسجدكم أبدا فحذف للاختصار ويجوز أن يكون خبر الذين قوله أقم أسس بنيانه أي أقم أسس بنيانه من هؤلاء أم من أسس الذين اتخذوا ضرابا منصوب على أنه مفعول له وكذلك ما بعده والمعنى اتخذوه للضراب والكفر والتفريق والارصاد فلما حذف اللام أفضى الفعل نصب ويجوز أن يكون مصدرا محمولا على المعنى لأن اتخاذهم المسجد على غير التثنية معناه ضاربوا به ضرابا من أول يوم دخلت من في الزمان والاصل منذ بدء هذا الاكثر استعمالا في الزمان ومن جائز دخولها أيضا لأنها الأصل في ابتداء التانية والتبويض ومنه قول زهير

لمن الديار بقنة الحجر أقوم من خبيج ومن شهر

وبروى من دهر وقد قيل إن المعنى من مرجح ومن شهر وإن تقوم في موضع نصب أي أحب أن تقوم

فيه وفيه منصوب الموضع بقوله تقرر وفيه من قوله فيه رجال في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ مقدم عليه والمبتدأ رجال ولا يجوز ان يكون مرفوع الموضع بكونه وصفاً لمسجد بل هو على الاستئناف والوقف التام على قوله الحق ان تقرر فيه ثم استؤنفت الكلام قتيلاً فيه رجال وانما قلنا ذلك لأنك لو جعلت الظرف الذي هو فيه وصفاً للمسجد لكانت فصلت بين التكررة وصفتها بالحجر الذي هو الحق وقوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله قال ابو علي القول فيه أنه يجوز ان تكون الحادثة ونعت بين البائتين ويجوز ان يكون بين البائتين قلواً عادلان بين البائتين كان المعنى المؤسس بنيانه متيقاً خير ام المؤسس بنيانه غير متق لأن قوله على شفا جرف يدل على ان بنيانه غير متق لله تعالى ولا خاش له ويجوز ان يقدر حذف المضاف كأنه أبناء من أسس بنيانه متيقاً خير ام بناء من أسس بنيانه على شفا جرف والبيان مصدر اوقف على المبني مثل الحاق إذا متيت به المخلوق وضرب الامير إذا عنيت به المضروب وكذلك نزع اليمين يدالك على ذلك انه لا يخلو من ان يراد به اسم الحدث او اسم العين فلا يجوز ان يكون الحدث لأنه انما يرأس المبني الذي هو عين وبين ذلك ايضا قوله على شفا جرف والحدث لا يعلو شفا جرف والجاري قوله على تقوى من الله وقوله على شفا جرف هار في موضع نصب على الحال تقديره أفمن أسس بنيانه متيقاً خير ام من أسس بنيانه غير متق أو متقياً على بنيانه وفاعل انهار البيان اي انهار البيان بالباي في نار جهنم لأنه مصيبة وفعل لا كرهه الله تعالى من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن امال هار فقد احسن لما في الزاء من التكرير فكانت لفظة براين مكسورتين ويجب كثرة الكسرات تحسن الامالة ومن لم يعل فلا تترك الامالة هو الأصل وقوله الا ان تقطع قلوبهم موضع ان تقطع نصب تقديره الا على تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة ينفذ مع ان ولا يخلط مع المصدر ومعنى الا هنا حتى لأنه استثناء من الزمان المستقبل والاستثناء منه منه اية فاجتمعت مع حتى في هذا الموضع على هذا المعنى

﴿القول﴾

قال المفسرون ان بني عمرو بن عرف اتخذوا مسجداً فبعضوا إلى رسول الله ﷺ ان يأتيهم فأنهم وصلى فيه فعددهم جماعة من المنافقين من بني فتم بن عوف فقالوا نبي مسجدنا فضلي فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثني عشر رجلاً وقيل خمسة عشر رجلاً منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحرث فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء فلما فرغوا منه اتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله اننا قد بنينا مسجداً لذي النلة والحاجة واليلة المطيرة واليلة الثانية واتنا نحب ان تأتينا فتصلي فيه لنا وتدعو بالبركة فقال ﷺ اني على جناح سفر ولو قدما اتيناكم ان شاء الله فصلينا لكم فيه فلما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك تزالت عليه الآية في شأن المسجد

﴿المعنى﴾

ثم ذكر سبحانه جماعة اخرى من المنافقين بنوا مسجداً لتفريق بين المسلمين وطلب الفوائد للمؤمنين فقال (والذين اتخذوا مسجداً) والمسجد موضع السجود في الأصل وصار بالعرف اسماً لبقعة مخصصة بنيت للصلاة فالاسم عرفي فيه معنى اللقنة (ضارا) أي مضارة يعني للضرر بأهل مسجد قباء أو مسجد الرسول ﷺ ليقال الجتمع فيه (وكنوا) اي لإقامة الكفر فيه وقيل اردت انه كان اتخذهم ذلك كنوا بالله وقيل ليكفروا فيه بالظن على رسول الله ﷺ والإسلام (وتفريقاً بين المؤمنين) اي لاختلاف الكلمة وابطال الألفة وتفريق الناس عن رسول الله ﷺ (وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) اي ارضدوا ذلك المسجد واتخذوه واعدوا لأي عامي الراهب وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل وكان من قصته انه كان قد تربع في الجاهلية وليس السرح فلما قدم النبي ﷺ المدينة حمده وحزب عليه الأحزاب ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف

فلما سلم أهل الطائف حل بالشام وخرج إلى الروم وتنصر وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل مع النبي ﷺ يوم أحد وكان جينا فضله الملائكة وسمى رسول الله ﷺ إياهم القاصرون وكان قد أرسل إلى المنافقين أن استعدوا وابنوا مسجداً فأمرني أذهب إلى قيسر وأتي من عنده مجنود وأخرج محمد بن المدينة فكان هؤلاء المنافقون يتوقون أن يبعثهم أبو عاصم فأتى قبل أن يبلغ ذلك الروم (وليطعن أن أردنا إلا الحسنى) سمته أن هؤلاء يطعنون كاذبين ما أردنا بناء هذا المسجد إلا القصة الحسنى من التوسعة على أهل الضعف والعدة من المسلمين فأطلع الله نبيه على فساد طويتهم وخبت سريرتهم فقال (والله يشهد أنهم لكاذبون) وكفى لمن شهد الله سبحانه بكذبه خزياً فوجه رسول الله ﷺ عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف الجعفي ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عمرو بن عوف فقال لما انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأهدما وحرقا وروى أنه بث عمار بن ياسر ووحشياً فحرقا وأمر بأن يخذل كنانة يلقى فيها الجيف ثم نهى الله سبحانه أن يقوم في هذا المسجد فقال (لا تقم فيه أبداً) أي لا تعمل فيه أبداً يقال فلان يقوم بالليل أي يصلي ثم أقسم قال (المسجد) أي والله لمسجد أسس على التوسعة أي بني أصله على تقوى الله وطاعته (من أول يوم) أي منذ أول يوم وضع أساسه عن المبرد (أحق أن تقوم فيه) أي أولى بأن تصلي فيه واختفى في هذا المسجد فقتل هو مسجد بقاء عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير وقيل هو مسجد رسول الله ﷺ عن زيد بن ثابت وابن عمر وأبي سعيد الخدري وروى عن النبي ﷺ قول هو مسجدني هذا وقيل هو كل مسجد بني للإسلام وأريد به وجه الله عن أبي مسلم ثم وصف المسجد وأهله فقال (فيه) أي في هذا المسجد الذي أسس على التقوى (رجال يمجون أن يظفروا) أي يمجون أن يصلوا الله تعالى متطهرين بأبغ الطهارة وقيل يمجون أن يظفروا من الذنوب عن الحسن وقيل يمجون أن يظفروا بلاء عن الفاظ والبول وهو المروي عن السيد بن الباقر والصادق عليها السلام وروى عن النبي ﷺ أنه قال لأهل بقاء ماذا تعملون في طهركم فإن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء قالوا نسل أثر النائط فقال أنزل الله فيكم (والله يحب المطهرين) أي المتطهرين ثم قرر سبحانه الفرق بين المسجدين فقال (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) قد مضى بيانه والمراد أن الله تعالى شبه بنيانهم على نار جهنم بالبنا على جنب نهر هذا صفته فكأن من بنى على جانب هذا النهر فإنه ينهار بناؤه في الماء ولا يثبت فكذلك بناء هؤلاء ينهار ويسقط في نار جهنم يعني أنه لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق فإن عمل المؤمن المتقي ثابت مستقيم مبني على أصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واهٍ ساقط والآية في قوله أفمن الف استفهام يراد به الإنكار هاهنا وليس معنى خير في الآية أفضل بل هو كما يقال هذا خير وهذا شر وقال الشاعر

والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور

وأما قوله وافعلوا الخير فإن معناه وافعلوا الأفضل وقوله (فأهله) في نار جهنم أي يومه ذلك البناء في نار جهنم (والله لا يهدي القوم الظالمين) مر يأنه وروى عن جابر بن عبد الله أنه قال رأيت المسجد الذي بني ضراباً يخرج منه الدخان (لا يزال يبناهم الذي ينوون في قلوبهم) أي لا يزال يبناهم الذي ينوون شكاً في قلوبهم فيا كان من أظهار إسلامهم وبنائهم على التقوى وقيل إن معناه حرازة قلوبهم وقيل حسرة قلوبهم يترددون

فيها (الا ان قطع قلوبهم) مناه الا ان يموتوا والمراد بالآية انهم لا ينزعون عن الخطيئة ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم كما اذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به من الكفر وقيل مناه الا ان يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم فمما واسعا على قلوبهم (والله عليم) اي عالم بجهنم في بناء مسجد الضارر (حكيم) في امره بقضه والمنع من الصلاة فيه

قوله تعالى (١١١) إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يَفْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٢) الْمَآبِدُونَ الْمَآبِدُونَ السَّاعِيُونَ الرَّاكِبُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ آيَاتُ

(- القراءة -)

قرأ أهل الكوفة غير عاصم فيقتلون بضم الباء ويقتلون بفتح الباء والباقون فيفتح الباء ويقتلون بضمها وفي قراءة أبي وعبد الله بن مسعود والأعشى التائبين المابدين بالياء الى آخرها وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام

(- الحجة -)

قال أبو علي من قرأ فيقتلون ويقتلون تقدم الفعل المستند الى الفاعل فلا ينهم يقتلون أولا في سبيل الله ويقتلون ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المستند الى المفعول به جاز ان يكون في المعنى مثل الاول لأن المعلوم بالواو يجوز ان يراد به التقديم فإن لم يقدر فيه التقديم كان المعنى في قوله فيقتلون بعد قوله يقتلون يقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل واما الرض في قوله التائبون المابدون فليقطع والاستئناف أي هم التائبون ويكون على المدح وقبل انه رفع على الابتداء وخبر محذوف بعد قوله والمافظون لحدود الله أي لهم الجنة ايضا عن الزجاج وقيل انه رفع على البدل من الضمير أي يقتلون أي يقاتلون التائبون وأما التائبين المابدين فيحمل ان يكون جرا وان يكون نصبا لما الجر فلي ان يكون وصفا لمؤمنين أي من المؤمنين التائبين واما النصب فلي اضمار فل بمعنى المدح كأنه قال اعني وامدح التائبين

❦ اللغة ❦

السائح من ساح في الأرض يسبح سبيحا اذا استمر في الذهاب ومنه السبح الماء الجاري ومن ذلك يسمى السائح سائحا لاستمراره على الطاعة في ترك المشي

❦ الإعراب ❦

وعدا نصب على المصدر لأن قوله اشترى يدل على انه وعد ومثله صنع الله الذي اتقن كل شيء وفطرة الله التي فطر الناس عليها

المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين والمنافقين عقب سبحانه بالترغيب في الجهاد قال (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة) حقيقة الاشتراء لا تجوز على الله تعالى لأن المشتري إنما يشتري ما يملكه وهو عز اسمه مالك الاشياء كلها لكنه مثل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً في أنه ذكر لفظ الشراء والقرض تطفلاً لتأكيد الجراء ولما كان سبحانه ضمن الثواب على نفسه عن ذلك بالاشتراء وجعل الثواب ثمناً والطاعات مثمناً على ضرب من المجاز واخبر انه اشترى من المؤمنين انفسهم بذلوقها في الجهاد في سبيل الله واموالهم ايضاً ينفقونها ابتغاء مرضاة الله على ان يكون في مقابلة ذلك الجنة وروي عن الأعمش انه قرأ بالجنة وهي قراءة عمر بن الخطاب والجهاد قد يكون بالسيف وقد يكون باللسان وربما كان جهاد اللسان ابلغ لأن سبيل الله دينه والدعاء الى الدين يكون اولاً باللسان والسيف تابع له ولأن إقامة الدليل على صحة المدلول أولى وإيضاح الحق بوياته أخرى وذلك لا يكون الا باللسان وقد قال النبي ﷺ يا علي لأن يهدي الله على يدك نسمة خير مما طلعت عليه الشمس وإنما ذكر سبحانه شراء النفس والمال لأن العبادات على ضربين بدنية ومالية ولا ثالث لهما ويروى أن الله سبحانه تاجر المؤمنين فأعطى لهم الثمن فجعل ثمنهم الجنة وكان الصادق (ع) يقول إيا من ليست له همة أنه ليس لأبدانكم عن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واتشد الأصمعي الصادق (ع)

اثامن بالنفس النفيسة ربها
فليس لها في الخلق كلمه ثمن
بما تشتري الجنات إن أنابتها
بشيء سواها إن ذلكم غبن
إذا ذهبت نفسي بدنياً أصبحت
فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن
(يتأملون في سبيل الله) هنا بيان للقرض الذي لأجله اشتراهم (فيقتلون) المشتريين (ويقتلون) اي يقتلهم المشركون يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قتلوا او قتلوا ومن قرأ فيقتلون ويقتلون فهو المختار عن الحسن لأنه يكون تسليم النفس الى المشتري اقرب والبائع إنما يستحق الثمن بتسليم المبيع (وعدا عليه حتماً) معناه ان ايجاب الجنة لهم وعد على الله حتى لا شك فيه وتقديره وعدهم الله الجنة على نفسه وعداً حقاً صدقاً واجباً لا خلف فيه (في التوراة والانجيل والقرآن) وهذا يدل على ان اهل كل ملة امرؤا بالقتال وعدوا عليه الجنة عن الزنجار (ومن اوفى بعهده من الله) معناه لا احد اوفى بعهده من الله لأنه يفي ولا يخلف بحال (فاستبشروا بيمينكم الذي بايتم به) فافرحوا بهذه البايعة حتى ترى آثار السرو في وجوهكم بسبب هذه البايعة لأنكم بستم الثمن من مالكم واخذتم منه ولا تكذبتم بتم قلتا يباي و زنا لبايتم (وذلك هو الفوز العظيم) اي ذلك الشراء والبيع الظاهر الكبير الذي لا يقاربه شيء ثم وصف الله سبحانه المؤمنين الذين اشترى منهم الانفس والاموال بأوصاف فقال (التائبون) اي الراجعون الى طاعة الله والمتطهرون اليه التادمون على ما فعلوه من التائبين (المابدون) اي الذين يبدون الله وحده ويتذللون له بطاعته في اوامره ونواهيه وقبل هم الذين اخذوا من ابدانهم في ليهم ونهارهم فبدوا الله في السراء والضراء عن الحسن وتقاداة (الماعدون) اي الذين يعمدون الله على كل حال عن الحسن وقبل هم الشاكرون لنعم الله على وجه الاخلاص له (التائبون) اي الصائبون عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير

وبجاهد وروي مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال سياحة امتي الصيام وقيل هم الذين يسبحون في الأرض فيستبرون بنجائب الله تعالى وقيل هم طلبة العلم يسبحون في الأرض لطلب علمهم عن عكمة (الراكون الساجدون) أي المؤمنون الصلاة المفروضة التي فيها الركوع والسجود (الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر) ادخل الواو هنا لأن الأمر بالمعروف يتضمن النهي عن المنكر فكأنهما شي واحد ولا نه فرق النهي عن المنكر بالأمر بالمعروف شيء أكثر للواضع فأدخل الواو ليدل على المقارنة (والحافظون لحدود الله) أي والقائمون بطاعة الله عن ابن عباس يعني الذين يؤدون فرائض الله وأوامره ويحفظون نواهي الله لأن حدود الله وأوامره ونواهيه وإنما دخل الواو لأنه جاءه هو أقرب إلى المطفوف (وبشر المؤمنين) هذا أمر النبي ﷺ أن يشر المصدقين بالله المتعريفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة إذا جمعوا هذه الأوصاف وقد روى أصحابنا أن هذه صفات الثلاثة للمصومين عليهم السلام لأنه لا يكاد يجمع هذه الأوصاف على تمامها وكما لها ضميرهم ولقي الزهري علي بن الحسين (ع) في طريق الحج فقال له تركت الجهاد وصومته وأقبلت إلى الحج والله سبحانه يقول أن الله اشترى من المؤمنين الآية (ع) قال (ع) له أتم الآية الأخرى الثابتون العابدون إلى آخرها ثم قال إذا رأينا هؤلاء الذين هذه معتقدهم فالجهاد معهم أفضل من الحج

قوله تعالى (١١٣) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٤) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ آيَاتنا

الفئة

اصل الاداء من التأوه وهو التوجع والتحنن يقال تأوه تأوها وتأوها تأويها قال المصنف البدي

إذا ما قتت ادخلها بلبيل تأوه آهة الرجل الحزين

ولو جاء منه فمل مصر فالكان آء يؤءوها مثل قال يقول قولوا والعرب تقولوا به من كذا بكسر الواو وتسكين الهمزة قال

فأوه بذكرها إذا ما ذكرتها ومن بعد ارض دونها وساء

والامة تقول اوه وفيه خمس ثلث اوه بسكون الواو وكسر الهمزة واوه واوه بالتثنية واوه واوه

== المعنى ==

(ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) ومعناه ليس للنبي والمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين الذين يبدونهم الله إلهاً آخر والذين لا يوحدهونه ولا يقرنون له ليهته (ولو كانوا أولي قربى) أي ولو كان الذين يطلبون لهم المغفرة أقرب الناس إليهم (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي من بعد أن يعلموا أنهم كفار مستحقون للخلود في النار وفي تفسير الحسن أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ ألا تستغفروا بالنا الذين ما تروا في البهاية فأنزل الله سبحانه هذه الآية وبين أنه لا ينبغي للنبي ولا مؤمن أن يدعو لكفار ويستغفر له وقوله ما كان للنبي يبلغ من أن يقول لا ينبغي للنبي لأنه يدل على قبضه وإن الحكمة تنفع منه ولو قال لا ينبغي لم يدل على أن الحكمة تنفع منه وإنما كان يدل على أنه لا ينبغي أن يعتقاره ومعناه لم يجعل الله في دينه ولا في حكمه أن يستغفروا للمشركين ولو دعاهم ردة للقرابة وشفقة الرحم إلى الاستغفار لهم بعد ما ظهر أن لهم عذاباً عظيماً ثم بين سبحانه الوجه في استغفار إبراهيم لأبيه مع كونه كافراً سواء كان أباه الذي ولده أوجده

لأنه أوعده على ما رواه أصحابنا فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) أي لم يكن استغفاره له إلا صادراً عن موعدة وعدها إياه واختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو إبراهيم وأبوه قنيل إن الموعدة كانت من الأب وعدها إبراهيم أنه يضمن أن استغفر له فاستغفر له لذلك (فلما تبين له أنه عدو لله) ولا يفي بما وعد (تبرأ منه) وترك الدعاء له وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقائدة الأتاهم قالوا اتبعتين عداوته لما مات على كفره وقيل إن الموعدة كانت من إبراهيم قال لأبيه أني استغفر لك ما دمت حياً وكان يستغفر له مقيداً بشرط الإيمان فلما آس من إيسائه تبرأ منه وهذا يوافق قراءة الحسن إلا عن موعدة وعدها إياه بالآية ويقويه قوله لا قول إبراهيم لأبيه لاستغفركم وما أملاكك من الله من شيء (إن إبراهيم لأوله) أي دعاء كثير الدعاء والبركة عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل الأولاء الرحيم بعباد الله عن الحسن وقائدة وقيل هو الذي إذا ذكر النار قال أوه عن كعب وقيل الأولاء المؤمن بلقة الحبشة عن ابن عباس وقيل الأولاء المؤمن المستيقن من مجاهد وعكرمة وقيل الأولاء الضيف عن النخعي وقيل هو الراجع عن كل ما يكره الله من وجع غن عطا وقيل هو الحاشم المتضرع ربه عبد الله بن شداد عن النبي ﷺ وقيل هو المسح الكثير الذكر لله سبحانه من عتبة بن عامر وقيل هو التائه شققاً وفرقاً للمتضرع يقينا بالإجابة ولزوماً للطاعة عن أبي عبيدة قال الزجاج وقد انتظم قول أبي عبيدة أكثر ما روي في الأولاء (حليم) يقال بلغ من حلم إبراهيم (ع) أن رجلاً قد أذاه وشتمه فقال له هداك الله وقيل الحليم السيد عن ابن عباس وأصله أنه الصبور على الأذى الصغوح عن الذنب

﴿التنظيم﴾

ما تقدم ذكر الكفار والمنافقين والمنع من موالاتهم والصلاة عليهم والقيام على قبرهم للدعاء لهم نهي من دعائهم بعد موتهم ولما نهى الله النبي والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين ذكر قصة إبراهيم وعده في الاستغفار لأبيه وأما قوله إن إبراهيم لأواه حليم فلما اتصل بسا قبله بأنه إذا كان له صفة الرأفة والرحمة يكون في دعائه أخضر وعلى خلاص اقربائه من العذاب أحرص ومع ذلك تبرأ منه لا يمشي من فلاحه

قوله تعالى (١١٥) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٦) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِحْسِي وَيَسِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ آيَاتُ

(- التزول -)

قيل مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل أن تنزل الفرائض فقال المسلمون يا رسول الله اخواننا السدين ماتوا قبل الفرائض ما منزلهم فنزل وما كان الله ليضل قوماً الآية عن الحسن

﴿المضي﴾

(وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم) أي وما كان الله ليحكم بضلالة قوم بعد ما حكم بهدائهم (حتى) يبين لهم ما يتقون (من الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية فلا يتقون فعد ذلك يحكم بضلالهم وقيل وما كان الله لمعذب قوماً فيضلهم عن الثواب والكرامة وطريق الجنة بعد إذ هداهم ودعاهم إلى الإيمان حتى يبين لهم ما يستحقون به الثواب والعقاب من الطاعة والمعصية وقيل لما نسخ بعض الشرائع وقد غلب أناس وهم مملوون بالأمر الأول إذ لم يعلموا بالأمر الثاني مثل تحويل القبلة وغير ذلك وقد ملت الأولون على الحكم الأول مثل النبي ﷺ عن ذلك فأقول الله الآية وبين أنه لا يعذب هؤلاء على الوجه إلى القبلة الأولى حتى يسموا

بالسخر ولا يعملوا بالناسخ فيحسبوا يعذبهم عن الكلي (إن الله بكل شيء عليم) يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه علماً لنفسه (إن الله له ملك السماوات والأرض) الملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير (يحيي ويميت) أي يحيي الجناد ويميت الحيوان (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أي ليس لكم سواه حافظ يفظنكم وولي يتولى امركم ولا فاعل ينصركم ويدفع العذاب عنكم

﴿التنظيم﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها ان الله سبحانه لما حرم على المؤمنين ان يستقروا للمشركين بين مسجانه انه لا يأخذهم بذلك إلا بعد ان يدلهم على تخريبه عن مجاهد ووجه اتصال الآية الثانية بما قبلها الحضي على ما تقدم ذكره من أجهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم لا أنهم عبيد من له ملك السماوات والأرض بأمرهم بما يشاء ويدبرهم على ما يشاء عن علي بن عيسى

قوله تعالى (١١٧) لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ النَّسْرِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَهُوفٌ رَحِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ آيَاتَانِ

﴿القراءة﴾

قرأ حمزة وخفس عن عاصم يزيغ بالياء وهي قراءة الأعمش والباقر تزيغ بالياء والقراءة المشهورة الذين غفلوا وقرأ علي بن الحسين زين العابدين (ح) وابو جعفر محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وابو عبد الرحمن السلمي خالفوا وقرأ عكرمة وذر بن حيش وعمرو بن عبيد خالفوا بفتح الخاء واللام خفيفة

﴿الحجة﴾

قال ابو علي يميز ان يكون فاعل كاد احد ثلاثة اشياء ﴿الأول﴾ ان تضمن فيها القصة والحديث ويكون تزيغ الخبر وجاز ذلك فيها وإن كان الأصل سببه اضمار القصة إنما هو في الابتداء لأن الخبر لازم لكاد فأشبهه المواصل المتأخلة على الابتداء لزوم الخبر له قال ولا يجوز ذلك في عسى لأن عسى قد يكون فاعله المفرد في كثير من الأمر فلا يلزمه الخبر كقوله عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم فإذن كان كذلك لم يستعمل الضمير الذي يشمله كاد كما لم يستعمله سائر الافعال التي تسند إلى فاعليها ما لا يدخل على المبدأ ﴿والثاني﴾ ان يضم في كاد ذكر ما تقدم لما كان النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار قبلاً واحداً وفريقاً واحداً جاز أن يضم في كاد ما دل عليه ما تقدم ذكره من القليل والحزب والفريق ونحو ذلك من الأسماء المفردة الدالة على الجمع وقال منهم فحمل على المسمى مثل قوله آمن بالله واليوم الآخر ثم قال فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك فاعل كاد على هذا الوجه ﴿الثالث﴾ أن يكون فاعل كاد القلوب وتقديره من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ ولكنه قدم تزيغ كما تقدم غير كان وجاز تقديمه وإن كان فيه ذكر من القلوب ولم يمتنع من حيث يجتمع الأضمار وقبل الذكر لما كان الية به التأخير كما لم يمتنع ضرب غلامه زيد لما كان التقدير به التأخير فأما من قرأ يزيغ بالياء فيجوز أن يكون قد ذهب إلى ان في كاد ضمير الحديث فيرتفع قلوب يزيغ فذكر وإن كان فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل ومن قرأ تزيغ بالياء جاز أن يكون ذهب إلى ان القلوب مرتفعة بكاد وجاز أن يكون الفعل المسند إلى القصة أو الحديث يؤثرت إذا كان في الجملة

التي يفسرها مؤث كقوله فلماذا هي شاحصة ابصار الذين صكفروا وجزا تأييث هي التي هي ضمير القصة لذكو
الابصار المؤثرة في الجملة التي هي التفسير فكذلك يؤث الذي في كاد لذكر المؤث في الجملة المتأخرة فتقول
كادت وتقدم التأء التي هي علامة التأنيث في تاء تزيع وتزيغ على هذا للقلوب وهي مرتقبة به ويجوز الحاق التأء
بكد من وجه آخر وهي ان ترفع قلوب فريق بكاد فتلقه علامة التأنيث من حيث كان مسنداً إلى مؤث
ومن قرأ خلقوا فتأويله اقاموا ولم يجرسوا ومن قرأ خلقوا فمعناه عائد إلى ذلك لأنهم إذا خلقوهم اقاموا فقد
خلقوا هناك

❦ لقطة ❦

الزيع ميل القلب عن الحق ومنه قوله لما زاغوا أزاع الله قلوبهم وزاغت الشمس إذا مالت وزاغت عن الطريق
جزا وعدل والتخفيف تأخير الشيء عن مضي فأما تأخير الشيء عنك في المكان فليس بتخفيف وهو من انقلب
الذبيو عن مقابل جهته الوجه يقال خلقه ابي جمل خلقه فهو مخلف ورجت البلاد إذا اتست والرحب السعة
ومنه مرحباً واهلاً اي رحب ببلادك واهلكت والقيق ضد السعة والثان هنا يعني القيقن كما في قول ديدنين الصفة

فقلت لهم خلنوا بألقي ملجج سراتهم في الفارسي المسرد

❦ النزول ❦

نزلت الآية الأولى في غزوة تبوك وما لحق المسلمين فيها من السرة حتى هم قوم بالرجوع ثم تداركهم
لطف الله سبحانه قال الحسن كان الشرة من المسلمين يخرجون على يمين يمتقبونهم ينهضون كعب الرجل ساحة
ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم الشعر المسوس والتمر اللدود والاهالة السخنة وكان الثمر منهم
يخرجون ما معهم من التمرات ينهضون فإذا بلغ الجوع من احدم اخذ الثمرة فلا كما حتى يجد طعاماً ثم يعطيها
صاحبه فينمضها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم فلا يبقى من الثمرة إلا التواة فالورا
وكان ابو خيشمة عبد الله بن خيشمة تخلف إلى ان مضى من سير رسول الله ﷺ عشرة أيام ثم دخل يوماً على
امراتين له في يوم حار في عريشين لما قد رتبناهما ويردنا للماء وحياتنا له الطعام فقام على العريشين وقال سبحانه الله
رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في التمشع والريح والمز والتر يجعل سلاحه على عاتقه
وابو خيشمة في ظلال باردة وطعام مهين وامراتين حسناوين ما هذا بالنصف ثم قال والله لا اكل واحدة ممكاً كلة
ولا ادخل عريشاً حتى القى بالني ﷺ فأتاه ناضحه واشتد عليه وتزود وتوارحل وامراته تكلمانه ولا يكلمها
ثم سار حتى إذا دنا من تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق فقال النبي ﷺ كن ابا خيشمة اولى لك فلما دنا
قال الناس هذا ابو خيشمة يا رسول الله فأتاه راحلته وسلم على رسول الله ﷺ فقال (ع) اولى لك فعصده
لحديث فقال له خيراً ودعاً له وهو الذي زاغ قلبه للمقام ثم ثبت الله وأما الآية الثانية فلما نزلت في شأن كعب
ابن مالك وسارة بن الربيع وهلال بن امية وذلك انهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يفرجوا معه لاجل حق
ولكن عن توائن ثم ندوا فلما قدم النبي ﷺ المدينة جاءوا اليه واحتدوا وفي يكلمهم النبي ﷺ وتقدم إلى
المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نسائهم إلى رسول الله ﷺ فقلن له
يا رسول الله فتنزلهم فقال لا ولكن لا يقربوكن فضاقت عليهم المدينة فخرجوا إلى رؤوس الجبال وكان اهاليهم
يشتون لهم بالطعام ولا يكلموهم فقال بعضهم لبعض قد هجرتا الناس ولا يكلمتنا أحد منهم فهلا تهاجروا فخرجوا
فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان وبقيوا على ذلك خمسين يوماً يتضرعون إلى الله تعالى ويطوبون اليه فقبل الله تعالى
توبتهم وانزل فيهم هذه الآية

❦ الفقرة ❦

الصادق هو التآكل بالحق السائل به لأنه صفة مدح ولا يطلق إلا على من يستحق المدح على صدقه

❦ المعنى ❦

ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين المصدقين بالله القرين بآية فيه وَالَّذِينَ آمَنُوا فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اتقوا معاصي الله واجتنبوها (وكونوا مع الصادقين) الذين يصدقون في أفعالهم ولا يكذبون ومعه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله وصاحبهم وراقبهم كقولك أنا مع فلان في هذه المسئلة أي اتقوا به فيها وقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فأمر سبحانه بالاعتداء هؤلاء الصادقين المتقين وقيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة بن عبد المطلب وسفيان بن أبي طالب ومنهم من ينتظر يعني علي بن أبي طالب (ح) وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كونوا مع الصادقين مع علي وأصحابه وروى جابر عن أبي جعفر «ع» في قوله وكونوا مع الصادقين قال مع آل محمد وَالَّذِينَ آمَنُوا وقيل مع النبيين والمصدقين في الجنة بالعمل الصالح في الدنيا عن الضحاك وقيل مع محمد وَالَّذِينَ آمَنُوا وأصحابه عن نافع وقيل مع الذين صدقت قلوبهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله وَالَّذِينَ آمَنُوا ولم يتخلفوا عنه عن ابن عباس وقيل إن معنى مع هنا معنى من فكأنه أمر بالكون من جملة الصادقين وبعضه قراءة من قرأ من الصادقين والمعنيان متقاربان هنا لأن مع المصاحبة ومن للتبويض فإذا كان من جملةهم فهو معهم وبضهم وقال ابن مسعود لا يصالح من الكذب جد ولا هزل ولا أن يعد أسدكم صبيه ثم لا يتجزأه أقرأوا إن شتمت هذه الآية هل ترون في الكذب رخصة

قوله تعالى (١٢٠) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَلُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢١) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَجِّهِمْ اللَّهُ أَحْسَنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيَاتَان

❦ الفقرة ❦

الرجبة طلب النعمة يقال رغب فيه إذا طلب النعمة به ورغب عنه إذا طلب النعمة به وركه والظلم شدة العطش والنصب التعب وظله الوعب قال التائبة

كليني لهم يا أئمة ناصب وليل أقالبه بطي الكواكب

والخمسة الحجة وأصله خمور البطن للمجاعة ورجل نحيس البطن وامرأة مخمصة ضامرة البطن واللوطي الأرض والنيظ اختناض الطبع بما يرى مما يسوقه يقال غاظله يغيظه

❦ المعنى ❦

لما قص الله سبحانه قصة الذين تأخروا عن الخروج مع النبي وَالَّذِينَ آمَنُوا إلى غزوة تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك وتركهم منه وانه قال توبة من ندم على ما كان منه لرأفته بهم ورحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ

لم والأزواء على ما كانوا فعلوه فقال (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) ظاهره خير ومناه نهي مثل قوله ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي ما كان يجوز وما كان يحل لأهل مدينة الرسول ومن حولهم من سكان البوادي أن يتخلفوا عنه في غزاة تبوك وغيرها بنبر عذر وقيل أنه مزية وجهية واشجع وغضار واسلم (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي ما كان يجوز لهم ولجميع المؤمنين أن يطلبوا فتح نفوسهم بقرى يبتغونها دون نفسه وهذه فريضة ألزمهم الله إيلها لحق رسول الله ﷺ فيها دعاء إليه من الهدى الذي احتدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان وقيل مناه ولا يرغبوا لأنفسهم بالخلف والدعة ورسول الله في الحر والمشفقة يقال رغبت بفتي عن هذا الأمر أي ترفعت عنه بل عليهم أن يصلوا أنفسهم وقاية للبي ﷺ (ذلك) أي ذلك الذي لم والزجر عن التخلف (بأنهم لا يصيبهم ظمأ) أي عطش (ولا نصب) أي ولا تعب في إبدانهم (ولا غمضة في سبيل الله) أي ولا جماعة وهي شدة الجوع في طاعة الله (ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار) أي لا يضعون أقدامهم موضعا يغيظ الكفار وطؤهم إياه يعني دار الحرب فإن الإنسان يغيظه وينفضه أن يبطأ غيره موضعه (ولا ياتلن من عدو نيلا) أي ولا يصيبون من المشركين أصبا من قتل أو جراحة أو مال أو أسر ينهمهم ويغيظهم (إلا كتب لهم به عمل صالح) وطاعة وقيمة (إن الله لا يبيع أجر المحسنين) أي الذين يعملون الأفعال الحسنة التي يستحق بها المدح والثواب وفي هذا تحريض على الجهاد وأعمال الخير (ولا يفتقون حقة صغيرة ولا كبيرة) أي ولا يفتقون في الجهاد ولا في غيره من سبل الخير والمعروف نفقة قليلة ولا كثيرة يريدون بذلك اعزاز دين الله وقنع المسلمين والتقرب بذلك إلى الله تعالى (ولا يقطعون واديا) أي ولا يجاوزون واديا (إلا كتب لهم) ثواب ذلك (ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي يكسب طاعاتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم ويبد من فضله حتى يصير الثواب أحسن وأكثر من عملهم وقيل إن الأحسن من صفة فعلهم لأن الأعمال على وجوه واجب ومندوب ومباح وإنما يجازي على الواجب والمندوب دون المباح ليقع الجزاء على أحسن الأعمال وقيل مناه ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال ابن عباس يرضيهم بالثواب ويدخلهم الجنة بنبر حساب والأيمان تدلان على وجوب الجهاد مع رسول الله ﷺ وحظر التخلف عنه وقد اختلف في ذلك فقيل المراد بذلك جميع من دعاه النبي ﷺ إلى الجهاد وهو الصحيح وقيل المراد به أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل أنه خاص في النبي ﷺ ليس لأحد أن يتخلف عنه في الجهاد إلا لعذر فأما غيره من الأمة فيجوز التخلف عنه عن قتادة وقيل إن ذلك لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله عن الأوزاعي وابن المبارك وقيل إن هذا كان في إبداء الإسلام وفي أمه قلة فأما الآن وقد كثرت الإسلام وأهل فلو أنه تنسوخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية عن ابن زيد وهذا هو الأقوى لأنه لا خلاف إن الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل أحد لصار من فروض الأحيان

قوله تعالى (١٢٢) وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نُقِرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٤) وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْسَرُ إِلَيْكُمْ زَادَتْ هَذِهِ آيَاتًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَوْهُمْ يُسَبِّحُونَ (١٢٥) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ أَرْبَعُ آيَاتٍ

❦ الآفة ❦

النفقة تعلم النفقة والنفقة العلم بالشئ وفي حديث سلمان انه قال لامرأة ففقت أي علمت ولهفت فأما ففقت بضم الفاء فمعناه صارت فقيمة وقد اختص في العرف بمل الأحكام الشرعية فيقال لكل عالم بها فقيه وقيل النفقة نعم المعاني المستبقة ولذلك لا يقال الله سبحانه فقيه والمخذ تجب الشئ بما فيه من المصرة قال الزجاج غلظة وغلظة وغلظة ثلاث لغات قال أبو الحسن قراءة الناس بالكسر وهي العرية والبراد بالزسر في الآية الشك فلو أنه فساد في القلب يحتاج إلى العلاج كما أن النساد في البدن يحتاج إلى مداواة ومرض القلب عضل وعلاجه أعسر ودواؤه أعر وأحياؤه أقل

❦ الإعراب ❦

لولا نفر من قبلنا قمر وهي التحضيض إذا دخلت على الصل فلذا دخلت على الاسم فمتاها امتناع الشئ لأجل وجود غيره لينفقوا أي لينفقهم باقوم لأنه إذا قر طائفة منهم نفقة من بقي منهم وإن شئت فمتاها لينفقهم لأنهم من قمر منهم إذا رجع استعمل من بقي فصار كلهم فقهاء وهم يستبشرون جملة في موضع الحال وكذلك قوله وهم كفرون

❦ القول ❦

قيل كان رسول الله ﷺ إذا خرج غازيا لم يتخلف عنه إلا المنافقون والمعذرون فلما أنزل الله تعالى صوب المنافقين وبين قاتلهم في غزاة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزاة بنفوزها رسول الله ﷺ ولا سرية ابتداء للرسول الله ﷺ بالسرايا إلى النزو قمر المسلمون جميعا وتركوا رسول الله ﷺ وحده فأقول الله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا الآية عن ابن عباس في رواية الكشي وقيل انها تولت في ناس من اصحاب رسول الله ﷺ خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا وخسبا ودعوا من وجدوا من الناس على الهدى فقال الناس وما راكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجسمتموا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي ﷺ فأقول الله عز وجل هذه الآية عن مجاهد

« المعنى »

لما تقدم الترغيب في الجهاد بأبلغ اسباب الترغيب وتأنيب من تخلف عنه بأبلغ اسباب التأنيب بين في هذه الآية موضع الرخصة في تأخر من تأخر عنه فقال سبحانه (وما كانت المؤمنون لينفروا كافة) وهذا تقي معناه الذي اي ليس المؤمنون ان ينفروا ويخرجوا إلى الجهاد باجمعهم ويتركوا النبي ﷺ فريدا وحيدا وقيل معناه ليس عليهم ان ينفروا كلهم من بلادهم إلى النبي ﷺ ليعلموا الدين ويضعوا ما وراءهم ويخلوا ديارهم عن الجاهلي (فلولا قمر من كل قبيلة منهم طائفة لينفقوا في الدين) اختلف في معناه على وجوه ❦ احدها ❦ ان معناه فهلا خرج إلى النزو من كل قبيلة جماعة وبقى مع النبي ﷺ جماعة لينفقوا في الدين يعني الفرقة القاعدتين يشتملون القرآن والسنة والفرارض والأحكام فلذا رجعت السرايا وقد نزل بدمهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا إليهم ان الله قد أنزل بعدكم على نبيكم قرآنا وقد تعلمته فتعلمه السرايا فذلك قوله (ولينفروا قومه إذا رجعوا إليهم) أي وليعلموهم القرآن ويخوفوهم به إذا رجعوا إليهم (لعلهم يحذرون) فلا يعملون بخلافه عن ابن عباس في رواية الرباعي وقادة والفسحاك وقال الباقر (ع) كان هذا حين كثرت الناس فأمرهم الله ان نفر منهم طائفة وتقيم طائفة للنفقة وإن يكون النزو نوبا ❦ وثانيها ❦ ان النفقة لا ينذر بوجوبها إلى الفرقة النافرة وخسبا الله تعالى على النفقة ترجع إلى المنفقة فتجدها بمعنى لينفقوا في الدين ليجسروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينفروا قومه من الكفار إذا رجعوا إليهم من

الجهاد فيخبرهم بنصر الله النبي والمؤمنين ويخبرهم أنهم لا يبدلون لهم يقتلون أبيهم
 أن يقاتلوا النبي ﷺ فيقول لهم ما نزل بأصحابهم من الكفار عن الحسن وإلى سلم قال أبو سلم اجتمع
 قنطرة ثواب الجهاد والتفقه في الدين وانذار قومهم ﷺ وثالثها أن التفقه راجع إلى النافذة والتقدير ما كان
 لجميع المؤمنين أن ينفروا إلى النبي ﷺ ويغلبوا ديارهم ولكن لا ينفروا إليه من كل ناحية طامعة لتسمع كلامه
 وتعلم الدين منه ثم ترجع إلى قومها فتبين لهم ذلك وتنفذهم عن الجبائي قال والمراد بالفر هنا الخروج للطلب العلم
 والتفقه وأن الإنسان يتفقه في الفرية مالا يمكنه ذلك في الوطن ثم بين سبحانه ما يجب تقديمه فقال (يا أيها الذين
 آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار) أي قاتلوا من قرب منكم من الكفار الأقرب منهم فالأقرب في (يا أيها الذين
 والدار وقال الحسن كان هذا قبل الأمر بقتال المشركين كافة وقال غيره هذا الحكم قائم الآن لأنه لا ينبغي
 لأهل كل بلد أن يخرجوا إلى قتال الأبعد ويدعوا الأقرب والأدنى لأن ذلك يؤدي إلى الضرر وربما يمتنعهم
 ذلك عن المضي في وجهتهم إلا أن يكون بينهم وبين الأبعد موادة فلا بأس حينئذ بمجاوزة الأقرب إلى الأبعد
 على ما يراه المتولي لامور المسلمين ولو قال سبحانه قاتلوا الأبعد فلا يمكنه ذلك لا يبعد لا يبعد يبتدئ
 منه كما للأقرب وفي هذا دلالة على أنه يجب على أهل كل ثغر الدفاع عن أنفسهم إذا خافوا على بقية الإسلام
 وإن لم يكن هناك إمام عادل وقال ابن عباس لمروا أن يقاتلوا الأدنى فالأدنى من عدوهم مثل قريظة والتضير
 وخير وذلك وقال ابن عمر أنهم الروم لأنهم سكان الشام والشام أقرب إلى المدينة من الرقا وكان الحسن إذا
 سئل عن قتال الروم والترك والدليم تلا هذه الآية (وليجهلوا فيكم غلظة) أي شجاعة عن ابن عباس وقيل
 شدة عن مجاهد وقيل صرا على الجهاد عن الحسن والمعنى وليجهلوا فيكم غلظة (أي شجاعة عن ابن عباس وقيل
 ليكون زجرا لم (واعلموا أن الله مع المتقين) عن الشوك أي معيتم وتناصرهم ومن كان الله ناصر لم يغلبه
 أحد فاما إذا ناصر سبحانه بالمحبة فإنه يجوز أن يطلب بالرب لضرب من المحنة وشدة التكليف عاد الكلام إلى
 ذكر المنافقين فقال سبحانه (وإذا ما أزلت سورة) في القرآن (فمنهم) أي من المنافقين (من يقول على وجهه
 الإيمان كراي يقول بضمهم لبعض (أيكم زادتم هذه) السورة (إيمانا) وقيل معناه يقول المنافقون للمؤمنين الذين في إيمانهم
 ضيف إيمانكم زادته هذه السورة إيمانا أي يقينا وبصيرة (أما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) معناه فأما المؤمنون المخلصون
 فزادتهم تصديقا بالبراهين مع إيمانهم بالله عن ابن عباس ووجه زيادة الإيمان أنهم كانوا مؤمنين بما قد نزل من
 قبل وأما بما أنزل الآن (وهم يستشرون) أي يسرون ويشر بضمهم بعضا قد نهلت وجوههم وفرحوا
 بنزولها (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك وتناق (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) أي حقا وكفرا إلى
 قناعتهم وكفرهم لأنهم يشكون في هذه السورة كما شكوا فيما تقدمها من السور فذلك هو الزيادة وسمي الكفر
 رجسا على وجه الذم له وأنه يجب تجنبه كما يجب تجنب الإرجاس وأضاف الزيادة إلى السورة لأنهم يزدادون
 عندها رجسا ومثله كفى بالسلامة داء وقول الشاعر «وحبك داء إن تصح ومثلا» (وماتوا وهم كافرون) أي
 وادلهم شكهم فبما أنزل الله تعالى من السور إلى أن ماتوا على كفرهم وأبوا غير ما ب

قوله تعالى (١٢٦) **أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّةَيْنِ ثُمَّ لَا يَنْتَوُونَ**
وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ (١٢٧) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاهَا كُفْرًا مِنْ أَحَدٍ
 ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ قُلُوبِهِمْ يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٨) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا أَقْبَلْتُ حَسْبِي

الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم اربع آيات

❦ القراءة ❦

قرأ أولا ترون البناء حمزة ويعقوب وهي قراءة أبي والقراءة المشهورة من انتمسكم بضم الفاء وقرأ ابن عباس وابن علي وابن محيصن والزهرى من انتمسكم بفتح الفاء وقيل انها قراءة فاطمة «ع»

❦ الحجة ❦

من قرأ بالبناء فهو خطاب للمؤمنين ومن قرأ بالياء فهو تقرير للمنافقين بالاعراض عما يجب أن لا يعرفوا عنه من التوبة والإفلاح عما هم عليه من الضلال ومن قرأ من انتمسكم بفتح الفاء فمنا من اشرفكم ومن خياركم يقال هذا أقس المتاع أي أجوده وخياره واشتقائه من النفس وهي اشرف ما في الانسان

❦ الفقه ❦

العزيز الشديد والعز في صفات الله تعالى منته المتبحر القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريد والمنة امتناع الشيء بما يتصور منه ما يحال منه وهو على ثلاثة أوجه امتناع الشيء بالقدرة او بالقلة او بالصعوبة والمنة لثناء الشدة والأذى الذي يفيق به الصدر وعتت الدابة يمتعت عتتا إذا حدثت في قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه منه الجري فكأنه شق عليه الجري وكنة عتوت شاقة المصعد وحسي الله أي كافي الله وهو من الحساب لأنه تعالى يبطي بحسب الكفاية التي تنفي عن غيره ويزيد من نعمه ما لا يبلغ إلى حد ونهاية إذ نعمه دائمة ومنته متواترة متظاهرة والتوكل تفويض الأمر إلى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته

(الاعراب)

أولا يروى الروا المصطف دخلت عليها حمزة الاستعانة ويحتمل الرواية ان تكون التصديفة إلى مفعولين وان تكون من رؤية العين فلذا كانت التصديفة إلى المفعولين يسدان مسددا وإن كانت من رؤية العين يكون ابلغ ما عنتم ما مصدرية وتقديره عزيز عليه عنكم فهو في موضع رفع بعزيز وقوله لا اله الا هو جملة في موضع الحال وتقديره حسي الله مستحقا لإخلاص العبادة والإقرار بالوحدانية وجو القراءة كلهم العظيم على انه صفة العرش ولو قرئ بالرفع على أن يكون صفة لرب العرش لجاز

❦ المعنى ❦

ثم نبه سبحانه على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي ان ينظروا ويتدبروا فيه فقال (أولا يرون) أي أولا يعلم هؤلاء المنافقون وقيل معناه أولا يبرصرون (انهم يشتون) أي يتحشون (في كل عام مرة او مرتين) أي دفعة او دفعتين بالأمراض والأوجاع هو رافد الموت (ثم لا يتوبون) أي لا يرجعون عن كفرهم (ولام يذكرون) أي لا يتذكرون نعم الله عليهم وقيل يتحشون بالمجاهد مع رسول الله ﷺ وما يرون من نصرة الله رسوله وما يتال أعداؤه من القتل والسبي عن ابن عباس والحسن وقيل بالقمط والجوع عن مجاهد وقيل يهلك استارهم وما يظهر من حيث سرائرهم عن مقاتل وقيل بالبلاء والجللاء ومنع القطر وذعاب الثيار عن الضحاك (ولما ما أتوت سورة نظر بعضهم إلى بعض) معناه ولما أتت سورة من القرآن وهم حضور عند النبي ﷺ كرهوا ما يسمعون ونظر بعضهم إلى بعض نظر إيمنون به (هل يراكم من أحد) ولما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يمشرون أن يعلم بهم فكأنهم يقول بعضهم لبعض هل يراكم من أحد ثم يقومون فينصرفون ولما يفعلون ذلك مخافة أن تنزل آية تفضيهم وكانوا لا يقولون ذلك بأنفسهم ولكن ينظرون نظر من يقول لغيره ذلك القول فكأنه يقول ذلك وقيل معناه ان المنافقين كان ينظر بعضهم إلى بعض نظر تمت وطمن في القرآن ثم يقولون هل يرانا أحد من

لما اهلكوا لما كانوا في المعلوم انهم لو بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسول الذين اتواهم والكتب التي جاؤهم بها واستدل ابو علي الجبائي بهذا على ان بقية الكافر واجبة إذا كان المعلوم من حاله انه يؤمن فيما بعد (كذلك يجري القوم الجرمين) اي كذلك نمذب القوم المشركين في المستقبل إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجة عليهم وعلينا انهم لا يؤمنون ولا يصلحون (ثم جئناكم) يالمة محذ (خلائف في الأرض من بعدهم) اي من بعد القرون التي اهلكناهم ومنها اسكنناكم الأرض خلفهم (لننظر كيف تعملون) اي لنرى عملكم اين يقع من عمل اولئك أهتدون بهم فستحقون من العقاب مثل ما استحقوه ام تؤمنون فستحقون الثواب وإنما قال لننظر ليدل على انه سبحانه يعامل البعد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء فيجازه به على ما يظهر منه دون ما قد علم انه يفعله مظهرة في السدل والنظر في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى لأنه إنما يكون بالقلب وهو التفكير والعين وهو قلب الحدة نحو الرئي التماس الروية مع سلامة الحاسة واحد هذين لا يجوز عليه سبحانه وإنما يستعمل ذلك في صفاته على وجه المجاز والاتساع فإن النظر إنما هو لطلب العلم وهو سبحانه يعامل عباده معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه

قوله تعالى (١٥) وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِرَأْسِ
خَيْرٍ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِلَهُ مِنْ تِلْكَ نَفْسِي إِنْ أَنْتَ إِلَّا مَا يَوْحِي إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ
إِنْ حَصِيتُ رُبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٦) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ
فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ
كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْجُرْمُونَ ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

في رواية ابي ربيعة عن البرقي عن ابن كثير ولا دراكم فسطها لا ما دخلت على ادراكه وامال في ادراكه
وادراك في جميع القرآن ابو عمرو وحركة والكسائي وخلف وروي في الشواذ عن ابن عباس والحسن
ولا ادريكم به

❦ الحجة ❦

قال ابو علي حكى سيوه درته ودرت به والاكثر في الاستعمال بالباء وبين ذلك قوله ولا ادراكه
ولو جاء على اللغة الاخرى لكان ولا ادراكه وقال الدردي كالقطن والشمرة وهي مصادر يراد بها ضروب
من العلم اما الدراية فكالمعاني والدلالة فكان الدراية للتأني والعمل لعم الشيء وعلى هذا المعنى ما تصرف
من هذه الكلمة أنشد ابو زيد

فإن عزالك الذي كنت تدري إذا عشت لبث خادر بين اشبل
وتدري اي فخل ومته الدردي في قول اكثر الناس الخليل الذي يستبر به الصايد من الوحش كأنه فخل
به ودريت الرجل لايتيه وخالته وإذا كان الحرف على هذا فالداري في وصف القديم سبحانه لا يسوغ
فأما قول الرازي (لاهم لأدري وانت الداري) فلا يكون حجة في جواز ذلك لأنه استعجاز ذلك لما تقدم

من قوله لا أدريه كاجاز فن اعتدى عليكم فاعدوا عليه وان تسخروا منا فإنا نسخر منكم وأيضا فإن الأعراب يذكرون أشياء يمتنع جوازها كما قالوا

لاهم ان كنت الذي بهدي ولم تغيرك الأمور بهدي
وقال الآخر « لو خالفت الله عليه حرمه » فأما الهمة على ما حكى عن الحسن وغيره فلا وجه له لأن الدرء الدفع قال ابن جني يجوز ان يكون لها وجه وان كان فيه ضعف وصحة وهوان يكون أراد ولا ادريكم به ثم قلبت الياء الفا لا فتتاح ما قبلها وان كانت ما كتبه تقولهم في يأس يا اس وفي يئس يائس وقال قطرب ان لغة عقيل في اعطيتك ان يقولوا اعطائك ثم همز الألف على لغة من قال في الباز هباز وفي العالم والظالم والنابل السالم والظالم والنابل ومن قرأ ولا دريكم به فتمناه ولا علمكم الله تعالى به فيكون نفيًا لتلاوة وآياتنا للعلم وعلى قراءة الجماعة يكون نفيًا للأمرين جميعا

❦ اللغة ❦

التقاء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ظرفا فيقال هو تقاء هو لقاء كما يقال هو حذاء وقبائه وتجاهه وإزاه والعمر يفتح العين وسكون الميم والعمر بضمها البقاء واذا استعمل في القسم فالفتح لا غير

❦ النزول ❦

قيل نزلت في خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن مغيرة ومكرز بن حفص وعمر بن عبد الله بن ابي قيس العامري والناصر بن عامر بن حاشم قالوا لاني عليه السلام أنت بقرآن ليس فيه ترك عبادات اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبا او بدله تكلم به من تلقاء نفسك عن مقاتل وقيل نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد أنت بقرآن غير هذا فيه ما سلكه عن الكفاي

❦ المعنى ❦

ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال (واذا تلى عليهم آياتنا) المنزلة في القرآن (بينات) أي واضحات في الحلال والحرام وسائر الشرائع وهي نصب على الحال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يؤمنون بالبعث والنشور فلا يخشون عقابنا ولا يطعمون في ثوابنا (أنت بقرآن غير هذا) الذي تملوه علينا (او بدله) فاجعله على خلاف ما نقرؤه والفرق بينهما ان الايتان بغيره قد يكون منه وتبدله لا يكون الا برفعه وقيل معنى قوله بدله غير احكامه من الحلال او الحرام أرادوا بذلك زوال الخطر عنهم وسقوط الأمر منهم وان يخلي بينهم وبين ما يريدونه (قل) يا محمد (ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي) أي من جهة نفسي وناحية نفسي ولأنه مجرب فلا أقدر على الايتان بمثله (ان اتبع الا ما يوحى الي) أي ما أتبع الا الذي أوحى الي (اني) أخاف ان عصيت ربي (في اتباع غيره) عذاب يوم عظيم (أي يوم القيامة) ومن استدلل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنّة لا يجوز فقد أبدله لأنه اذا نسخ القرآن بالسنّة وما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم فإنا نقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يبدله من قبل نفسه بل يكون تبدله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرآنا ويؤيد ذلك قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي الا يوحى (قل) يا محمد (لو شاء الله ما تلوته عليكم) معناه لو شاء الله ما تلوتم هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله علي (ولا ادراككم به) أي ولا اعلمكم الله به بأن لا ينزله علي فلا اقراءه عليكم فلا تملونه (قد لبث فيكم عمرا من قبله) أي قد مكثت واقمت بينكم

الكافرون هذا ساحر كذاب وقد تقدم قوله أوحينا إلى رجل منهم فمن قرأ ساحر أراد الرجل ومن قرأ ساحر أراد الذي أوحى ساحر

❦ اللغة ❦

الآية العلامة التي تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن مفصل بالآيات مضمين بالحكم النافية للشبهات والحكيم هنا بمعنى المحكم فيل بمعنى مفعل قال الاعشى
وغرية تأتي الملوك حكيمة
وأشد أبو عبيدة لأبي ذؤيب

يواعدني عكاظ لنزلته ولم يشمر إذا أنى خليف
أي مخلف من اختلفه الوعد وقبل هو بمعنى الحاكم ودليله قوله ليحكم بين الناس فيا اختلفوا فيه قال
الازهري القدم الشيء الذي تقدمه قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه وقبل القدم المقدم كالقبض
والقبض قال ابن الاعرابي التقدم المتقدم في الشرف وقال السجاني
فل بنو الموالم عن آل الحكم وتر كوا الملك للملك ذي قدم
وقال الازهري فلان يمشي القدمية والتقدمية اذا تقدم في الشرف وقال أبو عبيدة والكسائي كل
سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم ويقال لفلان قدم في الإسلام وهو موثق يقال قدم حسنة قال
حسن

لنا القدم العليا اليك وخلفنا لأولنا في طاعة الله تابع
وقال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر

❦ الإعراب ❦

أضيفت آيات الى الكتاب لأنها ابعاض الكتاب كما ان سورة اياهه وان أوحينا في موضع رفع بأنه
اسم كان وجها خيره واللام في قوله للناس يتلقى بمجنون كان صفة لمحب فلما تقدم صار حالا كقوله
«العره موحشا طلل قديم» وان شئت كان ظرفا لكان وان أنذر في موضع نصب تقديره أوحينا بأن أنذر فحذف
الجار فوصل الفعل وان لم تقدم صدق كذلك موضعه نصب بقوله وبشر ولو قرئ أن لهم بالكسر لكان
جائزا لأن البشارة في معنى القول الا أنه لم يقرأ به وأخيف قدم الى صدق كما يقال مسجد الجامع

❦ للمنى ❦

قد مضى الكلام في معاني الحروف المعجمة المذكورة في أوائل السور مسن قبل (تلك آيات الكتاب
الحكيم) معناه ان الآيات التي جرى ذكرها او الآيات التي أنزلت على محمد ﷺ هي آيات القرآن
المحكم من الباطل المنوع من الفساد لا كذب فيه ولا اختلاف وقيل تلك أي هذه السور آيات الكتاب
الحكيم أي اللوح المحفوظ وسماه حكما لأنه ناطق بالحكمة وقيل لأنه جمع العلوم والحكمة وقيل لأنه
وصف الكتاب بالحكيم لأنه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ولأنه يؤدي الى المعرفة التي تميز بها طريق
الملاك من طريق النجاة (أكان للناس عجا ان أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس) هذه ألف استفهام

المراد به الإنكار وقيل ان المراد بالناس هنا أهل مكة قالوا انجب ان الله سبحانه لم يبع رسولا يرسله الى الناس الا نبيهم ابي طالب والتقدير اكان يجعلونا الى رجل من الناس بأن ينذرهم عجا ومساء لماذا تصيبون ان أوحينا الى رجل منهم وليس هذا موضع التعجب بل هو الذي كان يجب فعله عند كل العقلاء فان الله تعالى لما اكل لعباده عقولهم وكلفهم معرفة واداء شكره وعلم انهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك الا بفلاح يدعوم اليه ومنبه ينههم عليه وجب في الحكمة أن يصل ذلك لم بين سبحانه الوجه الذي لأجله بعث ما الذي أوحى اليه قال ان انذر الناس اي اخبرهم بالذاب وخوفهم به (وبشر الذين آمنوا ان لم قدم صدق عند ربهم) اي عرضهم ما فيه الشرف والخلود في نعيم الجنة على وجه الاكرام والإجلال لصالح الاعمال وقيل ان لم قدم صدق اي أجرا حسنا ومنزلة رفيعة بما قدموا من اعمالهم عن ابن عباس ورؤي عنه ايضا ان المعنى سبق لم السعادة في الذكر الأول ويؤيده قوله ان الذين سبق لم منا الحسنى الا يقول هو تقديم الله تعالى اياهم في البعث يوم القيامة بيانه قوله «ع» نحن الآخرون السابقون يوم القيامة وقيل ان التقديم الحسنى من البعد واليد اسم الحسنى من السيد للفرق بين السيد والبعد وقيل ان معنى قدم صدق شفاعته عند الله تعالى لم يوم القيامة عن ابي سعيد الخدري وهو المروي عن ابي عبد الله «ع» قال الكافرون (ان هذا ساحر مبین) يعضون النبي أي قالوا هذا ساحر مظهر للسر وما أتى به سحر بين على اختلاف القراءتين والسحر ضل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يوم انه معجز وهذا يدل على عجزهم عن مفاضة القرآن ولذلك عدلوا الى وصفه بالسحر

قوله تعالى (٣) إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ أَمْرِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٤) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر المدني انه يبدأ بفتح الهزة وهو قراءة الاعشى والباقرن بكسرها

﴿ الحجة ﴾

من قرأ انه فقديده وعد الله حقا لانه يبدأ الخلق ثم يعيده اي من قدر على هذا الأمر العظيم فإنه غني عن اخلاف الرعد وان شئت كان فقديده وعد الله حقا انه يبدأ الخلق فيكون في محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعدا قال ابن جني ولا يجوز ان يكون انه منصوبه الموضع بنفس وعدا لانه قد وصف بقوله حقا والصفة اذا جرت على موصوفها اذنت بشامه وانتفاء اجزائه ولا يكون تاما اذا كان ما بعد الصفة من صلتها فأما قول الخطبة

ازمعت يا أسامينا من نوالكم ولن ترى طاردا لحر كائس

فإن قوله من نوالكم ليس من صلة بأس بل مطلق بفعل يدل عليه قوله يا أسامينا فكانه قال فبدأ

يشت من نوالكم وقال الفراء من فتح جله مفعول حقاً كما في قول الشاعر
أحقا عباد الله أن لست زائراً
بينينة او يلقى الثريا رقيبها

== اللمة ==

القسط العدل ومنه القسط النصب والقسط بفتح القاف والجور والقسط بفتح القاف والسين اعوجاج في
الرجلين والحجيم الماء الذي اسخن بالنار اشد اسخن قال المرتضى الأصغر

في كل يوم لها مقطرة فيها كباء معد وخيم

الإعراب

جميعا نصب على الحال وعد الله منصوب على المصدر لأن قوله اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وحقا
منصوب على أحق ذلك حقا عن الزجاج وأضيف المصدر في قوله وعد الله الى الفاعل لا لم يذكر الفعل كما
في قول كعب بن زهير

تسمى الوشاة جنابها وقيلهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

أي ويقولون قيلهم

المعنى

(ان ربكم) أي خالقكم ومنشئكم ومالك تدبيركم وتصريفكم من امره. ونبيه والذي ينبغي عليكم عبادته
(الله الذي خلق السماوات والارض) اي اخترعها وأنشأها على ما فيها من عجائب الصنعة وبيدائع الحكمة
في ستة ايام بلا زيادة وتقصا مع قدرته على إنشائها دفعة واحدة والوجه فيه ان في ذلك مصلحة للملائكة
وعبرة لهم وتبريرهم إذا أخبروا عن ذلك وكذلك تصرف الانسان حالا بعد حال وانخراج النار والازهار
شيئا بعد شيء مع قدرته على ذلك في اقل من لمح البصر لأن ذلك أبعد من توم الاتفاق فيه (ثم استوى
على العرش) مر تفسيره في سورة الاعراف وقيل ان العرش المذكور هنا هو السماوات والارض لأنهن من
بنائه والعرش البناء واما العرش العظيم الذي تسبده سبحانه الملائكة بالخفوف به والإعظام له وعناه بقوله
الذين يصلون العرش ومن حوله فهو غير هذا وقيل ان ثم هنا بمعنى الواو وقيل ان ثم دخل على التدبير وتقديره
أي ثم استوى عليه بإنشاء التدبير من جهته كما يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره فإن
تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش ولهذا ترفع الأيدي في دعاء الخواص نحو العرش (يدبر الأمر) اي يقدره
وينفذه على وجهه ويرتبه على مراتبه على احكام عواقبه وهو مأخوذ من الدور (ما من شفيع إلا من بعد
إذنه) إنما قال هذا وإن لم يجر ذكر للشفعاء لأن الكفار كانوا يقولون الأصنام شفعاوتنا ضد الله فيمن
سبحانه ان الشفيع إنما يشفع عنده إذا أذن له في الشفاعة وإذا كانت الأصنام لا تنقل فكيف تكون شفاعة
مع انه لا شفيع عنده احد من الملائكة والنبين إلا بإذنه وامره (ذلكم الله ربكم) اي انت الموصوف بهذه
الصفات هو إلهكم (فاعبدوه) وحده لأنه لا إله الا له لكم سواء ولا يستحق هذه الصفات غيره ولا تبدوا
الأصنام (أفلا تذكرون) حثهم سبحانه على التذكر والتفكير فيما أخبرهم به وعلى تعرف صحتهم (المرجعكم
جميعا) المرجع يحصل معنيين أحدهما أن يكونا بمعنى المصدر الذي هو الرجوع والآخر أن يكون بمعنى
موضع الرجوع أي اليه موضع رجوعكم يكون إذا شاء (وعد الله حقا) أي وعد الله تعالى ذلك عباده وعدا

حقا صدقا (انه يبدو الخلق ثم يعيده) اي يتنسى الخلق ابتداء ثم يعيدهم بعد موتهم (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي ليوثمهم جزاء اعمالهم (بالقسط) اي بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا (والذين كفروا لم شراب من حميم) اي ماء حار قد انتهى حرقه في النار (وعذاب اليم) وجيع (بما كانوا يكفرون) أي جزاء على كفرهم ﴿النظم﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه قال أكان للناس عجا قالوا وكيف لا تعجب ولا علم لنا بالمرسل فقال ان ربك الله ويعجز ان يكون على انه لما قال أكان للناس عجا وكان هذا حكما على الله سبحانه فكانه قال أفحكسون عليه وهو ربكم قال الاصم ويحتمل ان يكون هذا ابتداء خطاب للخلق جميعا احتج الله بما على عباده بما بين من بدائع صنعه في السموات والارض وفي انفسهم

قوله تعالى (٥) هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون (٦) إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون آيات

﴿القرأة﴾

قرأ اهل البصرة وابن كثير وحفص والسجلي بفصل بالياء. والباقر بنفصل بالنون

﴿الحجة﴾

من قرأ بالياء ثلاثة تقدم ذكر الله سبحانه فأفسره في الفصل ومن قرأ بالنون فمثل قوله تلك آيات الله تتلوه

﴿الفتة﴾

المجلد إيجاد ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها والضياء ينجز ان يكون جمع ضوء كسوط صياط وحوض وحياض وينجز ان يكون مصدر ضاء بضوء ضياء وضوءا مثل عاذ يوذ عبادا وعذا وقام يقوم قياما وعلى اي الوجين كان فالضاف محذوف وتقديره جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور ويكون جعل النور والضياء لكثرة ذلك فيها والاختلاف ذهاب كل واحد من الشيتين في جهة اخرى فاختلاف الليل والنهار ذهاب احدهما في جهة الضياء والاخر في جهة الظلام والليل عبارة عن وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني وليل ويلة مثل ثمر وغرة والنهار عبارة عن تساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس والنهار واليوم بمعنى واحد إلا ان في النهار فائدة اتساع الضياء

﴿المعنى﴾

ثم زاد سبحانه في الاحتجاج لتوحيد فقال (هو الذي جعل الشمس ضياء) بالنهار (والقمر نورا) بالليل والضياء ابلغ في كشف الظلمات من النور وقبه صفة زائدة على النور (وقدره منازل) أي وقدر القمر منازل معلومة (لتعلموا به) وبما ناله (عدد السنين والحساب) وأول الشهر وآخره وانقضاء كل سنة وكتبها وجعل الشمس والقمر آيتين من آيات الله تعالى وفيهما اعظم الدلالات على وحدانيته تعالى من وجوه كثيرة منها خلقهما وخلق الضياء والنور فيها ودورانها وقربها وبعدها ومشارقتها ومغاربها وكسوفها وفي بث الشمس الشاع في العالم وتأثيرها في الحر والبرد وانخراط النبات وطبخ الثمار وفي تمام القمر وسط الشهر وقصافته

في الطرفين لتمييز أول الشهر وآخره من الوسط كل واحد من ذلك نعمة عظيمة من الله سبحانه على خلقه ولذلك قال (ما خلق الله ذلك الا بالحق) لأن في ذلك منافع الخلق في دينهم ودنياهم ودلائل على وحدانية الله وقدرته وكونه علما لم يزل ولا يزال (فصل الآيات) أي نشرها ونبينها آية آية (فقوم يعلمون) فيطون كل آية حظا من التأمل والتدبر وقيل ان المعنى في قوله وقدره منازل الثنية أي قدر الشمس والقمر منازل غير الله وحده للايمجاز اكتفاء بالمعلوم كما مر ذكر امثاله فيما تقدم وكما في قول الشاعر

وماني بأمر كنت منه والدي برينا ومن حول الطوي رماني

فإن الشمس تقطع المنازل في كل سنة والقمر يقطعها في كل شهر فلما زيد الحساب وتمت الشهور والسنوات والشتاء والصيف يتبادرهما يوم مجاريهما في تدويرهما (لا في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في الساعات والأرض) أي خلقه فيها على ما يقتضيه الحكمة في السماوات من الافلاك والكواكب السائرة وغير السائرة وفي الأرض من الحيوان والنبات والجماد وأنواع الارزاق والنعم (لايات) أي خبيجا ودلالات على وحدانية الله (فقوم يعلمون) معاصي الله ويخافون عقابه وخصهم بالذكر لاختصاصهم بالارتفاع بها

قوله تعالى (٧) إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٨) أُولَئِكَ مَا أُنْمِ الْأَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٠) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (أربع آيات)

— (القراءة) —

في الشواذ قراءة ابن محيص ويعقوب ان الحمد لله

— (الحجة) —

وهذه القراءة تدل على ان قراءة الجماعة ان الحمد لله لما هو على أن ان مخففة من الثقيلة كما في قوله

في قتيبة كسيوف المعتد قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتبل

فيكون على تقديره انه الحمد لله ولا يجوز أن تكون أن هنا زائدة كما زيدت في قوله

ويوما ثوافينا بوجه مقسم كأن غلية تمطو إلى وارق السلم
أي كطية

— الفة —

الغلة والسهر من النظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس وقيضه القطة والدعوى قول يدعى به إلى امر والتحية التكرمة بالخال الجلية ولذلك يسمون الملك التحية قال (من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحية) وهو مأخوذ من قولهم احياء الله حياة طيبة

— المعنى —

ثم انه سبحانه اوعد الفائزين عن الأداة المتقدمة للكافرين بالمعاد فقال (ان الذين لا يرجون لقاءنا) أي لقاء جزائنا ومنازه لا يطعمون في ثوابنا واضافه إلى نفسه تعظيلا به ويجعل أن يكون المعنى لا يجانفون

عقابنا كما يكون الرجاء بمعنى الخوف كما في قول المنزلي

إذا سمعت النمل لم يرج لسمها ~~فقتلها~~ وخالفها في بيت نوب عواسل

جسـل سبحانه ملاقة ما لا يقدر عليه إلا هو ملاقة له كما جل اثبات ملائكته آياتا له في قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فنجيهم للأمر (ورضوا بالحياة الدنيا) أي متوا بها واخاروها فلا يملون إلا لها ولا يمتدنون إلا لأجلها مع سرعة فاتها ولا يرجون ما وراءها (واطمأنوا بها) أي وسكنوا إلى الدنيا بأنفسهم وركنوا إليها بقلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) أي ذاهبون عن تأملها فلا يمتدنون بها (أو لك ما واهم النار) أي مستقرهم النار (يا كافرين) من المعاصي ثم وعد سبحانه المؤمنين بما وعد الكافرين فقال (إن الذين آمنوا) أي صدقوا بالله ورسله (وعملوا الصالحات) أي وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة (يهديهم ربهم بإيمانهم) إلى الجنة (تجزيهم من تخمهم الأنهار في جنت النعيم) أي تجري بين أيديهم الأنهار وهم يرونها من علو كما قال سبحانه قد جعل ربك فتنك سريا ومعلوم أنه لم يعجل السري الذي هو الجدول فتحها وهي قاعدة عليه وإنما أراد أنه جعله بين يديها وقيل معناه من تحت سياتينهم وأسرهم وقصورهم عن الجاني وقوله بإيمانهم يعني به جزاء على إيمانهم (دعواهم فيها) أي دعاء المؤمنين في الجنة وذكرهم فيها أن يقولوا (سبحانك اللهم) يقولون ذلك لا على وجه العبادة لأنه ليس هناك تكليف بل يثبتون بالتسبيح وقيل أنهم إذا مر بهم الطير في الهواء يشتمونه قالوا سبحانك اللهم فأنسيم الطير فيقع مشربا بين أيديهم وإذا قصروا منه الشهوة قالوا الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حيا كما كان يكون مفتتح كلامهم في كل شيء التسبيح ومختتم كلامهم التحميد فيكون التسبيح في الجنة بدل التسمية في الدنيا عن ابن جريج (وتحيتهم فيها سلام) أي تحيتهم من الله سبحانه في الجنة سلام وقيل معناه تحية بعضهم بعض فيها أو تحية الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليك أي سلمت من الآفات والمكاره التي ابتلي بها أهل النار وقد ذكرنا معنى قوله (واخردعواهم إن الحمد لله رب العالمين) وليس المراد أن ذلك يكون آخر كلامهم حتى لا يتكلموا بعده شيء بل المراد أنهم يعملون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكره عن الحسن والجبائي قوله تعالى (١١) وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُوا لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٢) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيات

(- القراءة -)

قرأ ابن عامر ويعقوب بقضى بفتح التثنية وأجملهم منصوب والباقيون لقضي على ما لم يسم فاعله أجملهم بالرفع

الحجة

قال أبو علي اللام في قوله لقضي إليهم جواب لو في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير والمنى الله أعلم ولو يعجل الله للناس دعاء الشر أي ما يدعون به من الشر على أنفسهم في حال ضجر أو بطر استعجاله بربهم دعاء الخير فأضاف المصدر إلى المفعول فحذف الفاعل كقوله تعالى لا يسأم الإنسان من دعاء

الخير في حذف ضمير الفاعل والتقدير اولو يسجل الله للناس الشر استنجالاً مثل استنجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم قال ابو عبيدة لقضي اليهم أجلهم معناه لفرغ من أجلهم وانشد لأبي ذؤيب

وعليهما من ردتان قضاها داود أو صنع السوايق قبع
ومثل ما أنشده قول الآخر

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بوائقي في أكمامها لم تفتق
والمنى لفرغ من أجلهم ومدتهم المضروبة للحياة وإذا انتهت مدتهم المضروبة للحياة هلكتوا وهذا قريب من قوله ويدعوا الإنسان بالشر دعاهم بالخير وكان الإنسان عجولا وقالوا المبت مقضى كأنه قضى لإدانات وقضى فعل : التقدير استوفى أجله وفرغ منه قال ذو الرمة

إذا الشخص فيها هذه الأكل أغمضت عليه كإغماض المقضي هيجولها
المنى أغمضت هيجول هذه البلاد على الشخص الذي فيها فلم يرتقه في الأكل كإغماض المقضي فهو البت
واما ما يتعلق به الجار من قوله لقضي اليهم فكأنه لما كان معنى قضى فرغ وكان قولهم فرغ قضى بعدا
الحرف في قوله

الآن فقد فرغت الى غير فهذا حين صرت لهم عذابا
وفي التنزيل سترغ لكم اياها التقلان امكن ان يكون الفعل يمدى باللام كما يمدى بالي وباللام في قوله بأن ربك أوحى لها فلما كان معنى قضى فرغ ملحق بها الى كذلك ملحق بقضي ووجه قراءة ابن عامر لقضي اليهم أجلهم على اسناد الفعل الى الفاعل ان الذكر قد تقدم في قوله ولو يجعل الله للناس فقال لقضي على هذا ومن حجة في ذلك قوله ثم قضى أجلا واجل مسمى عنده فهذا الأجل الذي في هذه الآية هو الأجل المضروب للمحيا كما ان الأجل في قوله لقضي اليهم أجلهم كذلك فكما اسند الفعل في الأجل المضروب للحياة الى الفاعل في قوله ثم قضى أجلا عند الجميع كذلك اسنده ابن عامر في قوله لقضي اليهم أجلهم الى الفاعل ولم يسند الى الفعل المبني للمفعول وبدل على ان الأجل في قوله ثم قضى أجلا اجل المحيا ان قوله وأجل مسمى عنده اجل البعث بين ذلك قوله ثم انتم تقترون اي انتم اياها المشرقون تشكون في البعث ومن قرأ لقضي فبنى الفعل للمفعول به فلا نه في المنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل

— الإعراب —

قوله لجنبه في موضع نصب على الحال تقديره دعائنا متبطلا لجنبه او دعائنا قائما ويحوز ان يكون تقديره إذا مس الإنسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قاعدا ودعائنا وموضع الكاف من كذلك نصب على المفعول ما لم يسم فاعله أي زين للمفسرين عملهم مثل ذلك

❦ المنى ❦

ثم عاد الكلام الى ذكر المائلين الى الدنيا الملهثين اليها النافلين عن الآخرة قال (ولو يجعل الله للناس الشر) اي اجابة دعوتهم في الشر إذا دعوا به على أنفسهم وأهليهم عند التيقظ والضرر واستجلبوه مثل قول الانسان رغبني الله من بينكم وقوله لولده اللهم السنه ولا تبارك فيه (استنجالهم بالخير) اي يري كما يجعل لهم اجابة الدعوة بالخير إذا استجلبوها (لقضي اليهم أجلهم) اي لفرغ من اهلاكهم ولكن الله

تعالى لا يعجل لهم الهلاك بل يمهلهم حتى يوتوا وقيل مناه ولو يعجل الله للناس العقاب الذي استحقوه بالمعاصي كما يستعملونهم خير الدنيا وربما أجبروا إلى ما سألوه إذا اقتضت المصلحة ذلك لغفوا لأث بنية الإنسان في الدنيا لا لتحمل عقاب الآخرة بل لا تحتمل ما دونه والله سبحانه يوصله اليهم في وقته وسمي العقاب شرار من جهة المشقة والأذى الذي فيه وفائدته أنه لو تمسكت العقاب لزال التكليف ولا يزول التكليف إلا بالموت وإذا عولوا بالموت لم يبق أحد (فقد الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) أي فندع الذين لا يخافون البعث والحساب يتعمهون في كفرهم وعدولهم عن الحق إلى الباطل وترددهم في الظلم والعصاة شدة الحيرة ثم أخبر سبحانه عن قلة صبر الإنسان على الضرر والشدائد فقال (وإذا مس الإنسان الضر) أي المشقة والبلاء والمحن من الدنيا (دعانا لجنبه) أي دعانا لكشفه مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) أي على أي حال كان عليها واجبه في الدعاء وسؤال العافية وليس غرضه بذلك نيل الثواب الآخرة وإنما غرضه زوال ما هو فيه من الألم والشدة وقيل إن تقديره وإذا مس الإنسان الضر مضطجعا أو قاعدا أو قائما دعانا لكشفه وفيه تقديم وتأخير (فلما كشفنا عنه ضره) أي فلما أزلنا عنه ذلك الضرر ووهبنا له العافية (مر) أي استمر على طريقته الأولى مرغا من شكرنا (كان لم يدعنا إلى ضره) أي كان لم يدعنا قط لكشف ضره ولم يسألنا إزالة الألم عنه (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) أي كما زين لهم الشيطان وأقرانهم القوادة ترك الدعاء عند الرخاء زينوا للمسرفين أي للمشركين عملهم عن الحسن ويحتمل أن يكون زين للمسرفين بعضهم لبعض وإلصق لم يصف التزيين اليهم فهو كقولهم فلان معجب بنفسه وقد حث الله سبحانه بهذه الآية الذين منحوا الرخاء بعد الشدة والعافية بعد البلية على أن يتذكروا حسن صنعه الله اليهم وجزيل نعمته عليهم ويشكروا على ذلك وينبأوه إدامته ذلك لديهم وبذلك على وجوب الصبر عند المحنة احتسابا للأجر وإيقاظا لثواب والذكر

قوله تعالى (١٣) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٤) ثُمَّ جَعَلْنَا كُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ آيَات

❦ التمة ❦

القرون جمع قرون وهو أهل كل عصر سوا ذلك لقارئة بعضهم لبعض ومنه قرن الشاة لقارنته آخر بإزائه والقرن بكسر القاف هو المقاوم لقرينه في الشدة

❦ الأعراب ❦

موضع كيف نصب بقوله تعملون وتقديره لتنظر أخيرا تعملون أم شرا ولا يجوز أن يكون معمول تنظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل في ما بعده

❦ المعنى ❦

ثم أخبر سبحانه عما نزل بالأمة الماضية من الثلاث وحذر هذه الأمة عن مثل مصارعهم فقال (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) بأنواع العقاب (لما ظلموا) أنفسهم بأن أشركوا وعصوا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرة والدلالات الواضحة (وما كانوا ليؤمنوا) هذا إخبار بأن هذه الأمة

لما اهلكوا لما كانوا في المعلوم انهم لو بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسول الذين اتهم والكتب التي جاؤهم بها واستدلوا بها على الجبائي بهذا على ان تبقى الكافر واجبة إذا كان المعلوم من حاله انه يؤمن فيأبى ذلك بنزلي التورم المجرمين) ايس كذلك منب التورم المشركين في المستقبل إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجة عليهم وعلنا انهم لا يؤمنون ولا يصلحون (ثم جعلناكم) يالمة محمد (خلاف في الأرض من بعدكم) اي من بعد التورم التي اهلكناهم ومعناه اسكنناكم الأرض خلفهم (لننظر كيف تعملون) اي لنرى عملكم اين يقع من عمل او تلك أعتدونهم فستحقون من العقاب مثل ما استحقوه ام تؤمنون فستحقون الثواب وإذا قال لننظر ليدل على انه سبحانه يعامل السبد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء فيجازه به عمل ما يظهر منه دون ما قد علم انه يفعله مظهرة في السدل والنظر في الحقيقة لا يبيز على الله تعالى لأنه إنما يكون بالقلب وهو التفكير واليمين وهو قلب الحقة نحو الرئي التماسا لرويته مع سلامة الحاسة واحد هذين لا يبيز عليه سبحانه وإنما يستعمل ذلك في صفاته على وجه المجاز والاتساع فلو النظر إنما هو لطلب العلم وهو سبحانه يعامل عباده معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازهم بحسبه

قوله تعالى (١٥) وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنبَغُ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَمْسَتْ بِرَأْيٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ يَدَّبُّ الْقُلُوبَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ يُدَبِّلَهُ مِنْ ثِقَلَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُؤْمِرُنِي إِلَى إِيَّيْ أَخَافُ إِنْ حَصِيتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٦) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ ثلاث آيات

القرة

في رواية ابي ربيعة عن البرقي عن ابن كثير ولا دراك فحصلها لا ما دخلت على ادراكه وامال في ادراكه وادراك في جميع القرآن ابو عمرو وحركة والكسائي وخلف وروي في الشواذ عن ابن عباس والحسن ولا ادريكم به

الحجة

قال ابو علي حكى سيوبه درته ودرت به والاكثر في الاستعمال بالباء وبين ذلك قوله ولا ادراكه ولو جاء على اللغة الأخرى لكان ولا إدراكه وقال الدرية كالفطنة والشجرة وهي مصادر يراد بها ضروب من العلم اما الدرية كالعادية والدلالة فكان الدرية الثاني والتسل لم الشيء وعلى هذا المعنى ما تصرف من هذه الكلمة أنشد ابو زيد

فإن غزالك الذي كنت تدري إذا شئت لبث خادر بين اشبل
وتدري اي فخل ومنه الدرية في قول اكثر الناس الخمل الذي يستتر به الصائد من الوحش كأنه يفتل به وداريت الرجل لاسبه وخاتته وإذا كان الحرف على هذا فالداري في وصف القديم سبحانه لا يسوخ فأما قول الرازي (لاهم لأدري وانت الداري) فلا يكون حجة في جواز ذلك لأنه استجاز ذلك لما تقدم

من قوله لا أدريه كاجاز فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وان تسخروا منا فإنا ندرهم وأيضاً فإن الأعراب يذكرون أشياء ينتج جوازها كما قالوا

لأهم ان كنت الذي بهدي ولم تنفرك الأمور بهدي
وقال الآخر « لو خالفت الله عليه حرمه » فأما الهزة على ما حكى عن الحسن وغيره فلا وجه له لأن الدرء المدفع قال ابن جني يجوز ان يكون لها وجه وان كان فيه ضعف وصحة وهوان يكون أراد ولا ادريكم به ثم قلبت الياء الساكنة لا فتتاح ما قبلها وان كانت ساكنة فتحرّك في يأس يا اس وفي يئس يائس وقال قطرب ان لغة قبيل في اعطيتك ان يقولوا اعطائك ثم همز الألف على لغة من قال في البار البار وفي العالم والخاصم والتابل العالم والخاصم والتابل ومن قرأ ولا دريكم به فمناه ولا عليكم الله تعالى به فيكون نفيًا للتلاوة وأبانتا للعلم وعلى قراءة الجماعة يكون نفيًا للأمرين جميعاً

§ اللغة §

التقاء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ظرفاً فيقال هو تلقاءه كما يقال هو حذاء وبقائه وتجاهاه وإزاده والعبر بفتح العين وسكون الميم والعبر بضمها البقاء واذا استعمل في القسم فالفتح لا غير

§ النزول §

قيل نزلت في خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن مغيرة ومكرز بن حفص وعمر بن عبد الله بن ابي قيس العامري والحاص بن عامر بن عاصم قالوا النبي ﷺ أنت بقرآن ليس فيه ترك عبادتنا اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبا او بدله تكلم به من تلقاء نفسك عن مقاتل وقيل نزلت في السهميين قالوا يا محمد أنت بقرآن غير هذا فيه ما نسلكه عن الكافي

§ المعنى §

ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال (واذا تكلى عليهم آياتنا) المنزلة في القرآن (بينات) أي واضحات في الحلال والحرام وسائر الشرائع وهي نصب على الحال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يؤمنون بالبعث والنشور فلا يخشون عقابنا ولا يطمعون في ثوابنا (أنت بقرآن غير هذا) الذي تتلوه علينا (او بدله) فاجله على خلاف ما تروه والفرق بينهما ان الإتيان به قد يكون معه وتبدله لا يكون الا برضه وقيل معنى قوله بدله غير احكامه من الحلال او الحرام أرادوا بذلك زوال الحظر عنهم وسقوط الأمر منهم وان بخلي بينهم وبين ما يريدونه (قل) يا محمد (ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي) أي من جهة نفسي وناحية نفسي ولا أنه مجزئ فلا أقدر على الإتيان بمثله (ان اتبع الا ما يوحى الي) أي ما أتبع الا الذي أوحى الي (اني) أخاف ان عصيت ربي (في اتباع غيره) عتاب يوم عظيم (أي يوم القيامة) ومن استدلل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنّة لا يجوز فتدبر لأنه اذا نسخ القرآن بالسنّة وما يقوله النبي ﷺ فإنما يقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يبدله من قبل نفسه بل يكون تبدله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرآناً ويؤيد ذلك قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي الا يوحى (قل) يا محمد (لو شاء الله ما تلوته عليكم) مثناه لو شاء الله ما تلوته هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله علي (ولا ادراككم به) اي ولا اعلمكم الله به بأن لا ينزله علي فلا اقراء عليكم فلا تملونه (فقد لبث فيكم عمرا من قبله) اي قد سكنت واقمت بينكم

هرا طويلا من قبل إنزال القرآن فلم أقره عليكم فلا تملونه ولا ادعيت نبوة حتى أكرمني الله تعالى به (أفلا تعقلون) أي أفلا تفكرون فيه يقولكم قطعوا أن المصلحة فيها أنزل الله تعالى دون ما تقرونه قال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب والثبات يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فيضهم أعظم من بعض أقدار على الاستدلال من بعض (فمن أظلم ممن اختار على الله) أي لا أحد أظلم ممن اختار على الله (كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون) أي المشركون عن الحسن فلو قيل أليس من ادعى الربوبية أعظم ظلما من المدعي للنبوة قلنا إن المراد بقوله من ادعى على الله كذبا من كفر بالله تعالى فقد دخل فيه من ادعى الربوبية وغيره من أنواع الكفار فكأنه قال لا أحد أظلم من الكافر

قوله تعالى (١٨) وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِئُوهُ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩) وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا أَمَةٌ وَاحِدَةٌ فَأَخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٠) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغِيبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنْ يَرِىَ مِنْكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ثَلَاثَ آيَاتٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ تتركون بالياء أهل الكوفة غير عاصم وكذلك في النحل في موضعين وفي الروم والياقوت كل ذلك بالياء.

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فقلوه انتبهون الله ومن قرأ بالياء احتدل وجعين ﴿ أحدهما ﴾ على قل كأنه قيل هل قل أنت سبحانه وتعالى عما يشركون والوجه الآخر أن يكون هو سبحانه تراه نفسه عما أقره فقال ذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (ويمبدون من دون الله ما لا يضرم ولا ينفعهم) أي ويمبدون هؤلاء المشركون الأصنام التي لا يضرم أن تتركوا عبادتها ولا ينفعهم أن يبدوها فإن قيل كيف ذمهم على عبادة الصنم الذي لا ينفع ولا يضرم مع أنه لو نفع وضر لكان لا يجوز أيضا عبادته قلنا عبادة من لا يقدر على أصول النعم وإن قدر على النعم والضر إذا كان قبيحا فمن لا يقدر على النفع والضر أصلا من المباداة تكون مباداة اقبح واشتم فلذلك خصه بالذكر (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا أنا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله وإن الله أذن لنا في عبادتها وأنه سيشفعنا فيها في الآخرة وتوهموا أن مباداة أشد في تعظم الله سبحانه من قصده تعالى بالعبادة فبصورا بين قبيح القول وقبيح الفعل وقبيح التوهم وقيل معناه هؤلاء شفعاؤنا في الدنيا لا صلاح مباشرنا عن الحسن قال لأنهم كانوا لا يقولون بالباطل بدلالة قوله واقسموا بالله جهد أيمانهم لآيتن الله من يوت (قل أنتبهون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض) أمر سبحانه فيه ^{بالتعجب} أن يقول لهم على وجه الإلزام انتبهون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الأصنام وكونها شائعة لأن ذلك لو كان صحيحا لكان تعالى به عاقل فني عليه بذلك نفى المعلوم ومعناه أنه ليس في السماوات ولا الأرض إلا ما عني الله ولا أحد يشفع لكم يوم القيامة وقيل معناه انتبهون الله بشريك أو شقيق لا يعلم شيئا كما قال ويمبدون من دون الله ما لا يعلم لهم رزقا من السموات والأرض فكذلك وصفهم بأنهم لا يطمون في السموات والأرض شيئا

(سبحانه وتعالى ما يشركون) أي تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك في استحقاق العبادة (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلقوا) فيه أقوال **﴿ احدها ﴾** أن الناس كانوا جميعا على الحق وعلى دين واحد فاختلقوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه ثم قيل انهم اختلقوا على عهد آدم وولده عن ابن عباس والسدي ومجاهد والجبائي وأبي مسلم ومتى اختلقوا قيل عند قتل أحد أبنائه أخاه وقيل اختلقوا بعد موت آدم (ع) لأنهم كانوا على شرع واحد ودين واحد إلى زمن نوح وكانوا عشرة قرون ثم اختلقوا عن أبي روق وقيل كانوا على ملة الإسلام من لدن إبراهيم (ع) إلى أن فتره عمرو بن لحي وهو أول من غير دين إبراهيم وعبد الصم في العرب عن طياريدل على صحة هذه الأقوال قراءة عبد الله وما كان الناس إلا أمة واحدة على هدى فاختلقوا عنه **﴿ وثانيها ﴾** أن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعة على الشرك والكفر عن ابن عباس والحسن والكلي وجاعة ثم انتفخ هؤلاء فقبل كانت أمة كافرة على عهد إبراهيم ثم اختلقوا فتنفروا فممنهم مؤمن ومنهم كافر عن الكلبي وقيل كانت كذلك منذ وفاة آدم إلى زمن نوح عن الحسن وقيل لراد به العرب الذين كانوا قبل بعث النبي **﴿ وثالثها ﴾** أنهم كانوا مشركين إلى أن بعث النبي **﴿ ورابعها ﴾** ما من به قوم وبقي آخرون على الشرك وسئل (ع) من هذا التقيل كيف يجوز أن يطبق أهل عصر على الكفر حتى لا يوجد مؤمن يشهد عليهم والله تعالى يقول فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد واجيبوا عن ذلك بأنه يجوز أن يكون أهل كل عصر وإن لم يخل عن مؤمنين يشهدون عليهم فربما يقولون في عصر وإنما يتبع الاسم الأعم وعلى هذا يقال دار الإسلام ودار الكفر وفي تفسير الحسن ما كان الناس إلى مبعث نوح إلا ملة واحدة كافرة إلا الحامصة قلن الأرض لا تخلو من أن يكون لله تعالى فيها حجة **﴿ وثانيها ﴾** أن الناس خلقوا على فطرة الإسلام ثم اختلقوا في الأديان (ولولا كلمة سبقت من ربك) من أنه لا ياجل المصدا بالمعقوبة انعاما عليهم في التثافي بهم (قضى بينهم) أي فصل بينهم (فيا فيه يقتفون) بأن يهلك الناصاة وينجي المؤمنين لكنه أغمرهم إلى يوم القيامة تفضلا منه إليهم وزيادة في الانعام عليهم ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار قتال (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أي هلا أنزل على محمد آية من ربه تضرط الحق إلى المعرفة بصدقه فلا يجتاجون بها إلى النظر والاستدلال ولم يطلبوا معجزة تدل على صدقه لانه **﴿ ورابعها ﴾** قد أنعم بالمعجزات الدالة على نبوته وإنما لم يلجئهم الله إلى ما التمسوه لأن التكليف يمنع من الاضطرار إلى المعرفة فإن الترض بالتكليف التحريض للثواب ولو كانت المعرفة ضرورة لما استحقوا ثوابا فكيف وكان يكون ذلك ناقضا لفرض (قل إنما النبي لله) معناه قل يا محمد إن الذي يعلم الصب ويعلم مصالح الأمور قبل كونها هو الله العالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها لا تخفى عليه خافية فيعلم ما في انزاله صلاح فيقرله ويعلم ما ليس في انزاله صلاح فلا يقرله ولذلك لا يفعل الآية التي اقترحوها في هذا الوقت لا في ذلك من حسن تدبير (فانظروا) أي فانظروا عتاب الله تعالى بالتمر والقتل في الدنيا والعقاب في الآخرة (أي معكم من المنتظرين) لأن الله تعالى وعد في النصرة عليكم وقيل مناه فانظروا اذلال الكافرين فلاني منتظر اعزاز المؤمنين

قوله تعالى (٢١) وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢٢) هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ يَحْمِلُكُمْ فِيهِمُ غَوَاةٌ جَاءَتْكُمْ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ أَلْدِينِ لَنْ تَنْجِيَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٣) فَلَمَّا أَتَاهُمْ إِذَا هُمُ بِبَنَاتٍ فِي الْأَرْضِ يُعَذِّبُ

الْحَقُّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا بَيْنَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِنِّي أَمَرْتُ جَعْلَكُمْ فَنَنْشُرْكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ثَلَاثَ آيَاتٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ روح وزيد عن يعقوب وسهل يكررون بالياء. والباقون بالياء. وقرأوا بشركم بالنون والشين من التثنية أو جعفر وابن عامر والباقون يسيرون بالسين والياء. من التثنية وقرأ حض وحده متاع بالنصب والباقون بالرفع

(- الحجة -)

من قرأ يكررون بالياء. فقلوه إذا هم مكر في آياتنا ومن قرأ بالياء. فللخطاب أي قل لهم يا محمد إن رسل الله يكتبون ما هم يكفرون ومن قرأ يسيرون بقرينه قوله فامشوا في مناكبها وكلا من رذقه وقوله قل سيروا في الأرض ويقال سار الدابة وسرته وسيرته قال (فلا تجزمن من سنة انت سرتها) وقال ليد

فبينان حرب ان تبوء بحجبه وقد يقبل الضمير الذليل المسير

ومن قرأ بشركم فحجته قوله وبث منها رجالا كثيرا ونساء. وقوله وما بث فيها من دابة والبت للتفريق والتكر في المعنى وأما متاع الحياة الدنيا فقد قال الزجاج من رفع فعل وجوب ﴿ احدها ﴾ ان يكون متاع الحياة الدنيا خيرا لقوله بئسكم ﴿ والآخرة ﴾ ان يكون خيرا المبتدأ على انفسكم ومتاع الحياة على اضلالهم ومن نصب فعل المصدر أي تتضمن متاع الحياة الدنيا قال أبو علي قوله على انفسكم بمجمل تأويلين ﴿ احدها ﴾ ان يكون متعلقا بالمصدر لأن فعله يتعدى بهذا الخرف الا ترى إلى قوله بنى بضما على بعض ثم بنى عليه وإذا كان الجار من صلة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا فيكون منه ما يفي بضمكم على بعض متاع الحياة الدنيا وليس ما يقرب إلى الله ويجوز ان يكون على متعلق بمحذوف فيكون خيرا بالمصدر وفيه ذكر يعود إليه فيكون كقولك الصلاة في المسجد فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل ومفعوله محذوف والمضى إذا بنى بضمكم على بعض بها يدل على انفسكم ويكون كقولك ولا يحق المكر الذي إلا بأعله ومن نصب احتمل النصب وجوب ﴿ احدها ﴾ أن يكون على من صلة المصدر ويكون الناصب لمتاع هو المصدر الذي هو البني ويكون خبر المبتدأ محذوفا وحسن حذفه لطول الكلام ولأن بئسكم يدل على تبغون فيحذف الحذف لذلك وهذا الخبر لو اظهرته لكان يكون مكروه او مذموم او منهي عنه ونحو ذلك ﴿ والآخرة ﴾ ان يكون على انفسكم خبر المبتدأ فيكون متاع منصوبا على وجوب ﴿ احدها ﴾ تتضمن متاعا فيدل انتصاب المصدر عليه ﴿ والآخرة ﴾ أن يضرب تبغون لأن ما يجري مجرى ذكره قد تقدم كأنه لو اظهره لكان تبغون متاع الحياة الدنيا فيكون مفعولا له ولا يجوز ان يتعلق المصدر بالمصدر في قوله انا بئسكم فقد جعلت على خبراً لقوله انا بئسكم لفصلك بين الصلة والموصول

﴿ الفنة ﴾

التفسير التحريك في جهة تمتد كالسير الممدود والبر الأرض الواصلة التي تقطع من بلد إلى بلد ومنه البر الاتساع الخيبر والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافته والفتك السفن وسبيت فلكتا لدورانها في الماء وأصله الدور ومنه فلكة المنزل وفتك ثدي الجارية إذا استدار والفتك يكون جمعا وولمدا وهو ههنا جمع والمصاف الرياح الشديدة وعصف الرياح فهي عاصف وعاصفة قال

حتى إذا عصفت ريح مزعزة فيها قطار وورد صوت زجل

﴿ الاعراب ﴾

جواب إذا الأولى في إذا الثانية وإنما جعل إذا جوابا لكونها بمعنى الجملة لا فيها من معنى المفاجأة وهي تلفظ

مكان وهو كقوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقطعون ومناه أن تصبهم سيئة قتلوا وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا وجرت بهم ابتداء الكلام خطاب وبعد ذلك اخبار عن غائب لأن كل من أقام الغائب مقام من يحاط به جاز له أن يردده إلى الغائب قال كثير

أسيئي بنا أو أحسن لا ملومة
وقال عشرة

شطت مزار الماشقين فأصبحت
عسر على طلابك ابنة مخزم
وقوله فلما اتجهام إذا هم يتنون للمني فلما اتجهام بنوا

— المني —

ثم اخبر سبحانه عن خميس فهاهم فقال (وإذا أذقنا الناس رحمة) يريد بالناس الكفار فهو عموم يراد به الخصوص (من بعد ضرا) أي راحة ورضا بعد شدة وبلاء وحقيقة الذوق فيها له طعم يوجد أنما يكون طعمه بالهم وإنما قال أذقناهم الرحمة على طريق البلاغة لشدة ادراك الحاسة إياها (إذا هم مكروا في آياتنا) أي فهم يمتثلون لدفع آياتنا بكل ما يجدون السبل إليه من شهوة أو تحليط في مناظرة أو غير ذلك من الأمور القاسية وقال مجاهد مكروهم استعزأهم وتكذبهم (قل) يا محمد لهم (الله أسرع مكرا) أي اقتدره على المكر ومناه أن يأتيهم من الغائب أسرع مما أتوه من المكر أي أوقف في حقه وقيل أن مكروه سبحانه أنزله العقوبة بهم من حيث لا يشعرون (أن رسلنا) يعني الملائكة الحفظة (يكتبون ما تمكرون) أي ما تدبرون من سوء التدبير وفي هذا غاية الترهيب والتهديد من وجهين أحدهما أنه يحفظ مكروهم ^{﴿﴾} الآخر أنه أقدر على جزائهم وأسرع فيه ثم امتنع الله سبحانه على خلقه بأن عدد نعمه التي يفطها بهم في كل حال فقال (هو الذي يسركم في البر والبحر) أي يمكنكم من المسير في البر والبحر بما هيأ لكم من آلات السير وهي خلق الدواب وتسييرها لكم لتركبوها في البر وتحملوا عليها أثقالكم وهيأ السفن في البحر وإرسال الرياح المختلفة التي تجري بالسفن في الجهات المختلفة (حق إذا كنتم في الفلك) خص الخطاب براكب البحري إذا كنتم راكبي السفن في البحر (وجرت بهم) أي وجرت السفن بالناس لما دكبوها عدل عن الخطاب إلى الإخبار عن الغائب تصرفا في الكلام على أنه يجوز أن يكون خطابا لمن كان في تلك الحال وإخبارا لغيرهم من الناس (يبيع طيبة) أي يبيع لينة يستعملونها (وفرحوا بها) أي سرروا بذلك الربح لأنها تباعهم مقصودهم من أي مسلم وقيل فرحوا بالسفينة حيث حملتهم وأمتتهم (جاءتها ربيع عاصف) أي جاءت السفينة ربيع عاصف شديدة العيوب الهائلة (وجاءهم الموج من كل مكان) من البحر والموج اضطراب البحر ومناه وجاء راكبي البحر الأمواج العظيمة من جميع الوجوه وظنوا أنهم أحيط بهم أي اقتروا أنهم دنوا من الهلاك وقيل غلب على ظنهم أنهم سيهلكون لما أحاط بهم من الأمواج (دعوا الله) عند هذه الشدائد والأحوال والتجأوا إليه ليكشف ذلك عنهم (مخلصين له الدين) أي على وجه الإخلاص في الاعتقاد ولم يذكروا الأوثان والاصنام لهم بأنهم لا اتفهم ههنا شيئا قالوا (لئن أنجيتنا يا رب (من هذه) الشدة) لنكونن من الشاكرين) أي من جملة من يشكرك على نعمة وقوله جاءتها ربيع عاصف جواب قوله إذا كنتم في الفلك وقوله دعوا الله جواب قوله وجاء راكبي البحر أمواج عظيمة (أي خلصهم الله تعالى من تلك المحن) إذا هم يتنون في الأرض بغير الحق) أي يصلون فيها بالمعاصي والفساد ويشغلون بالظلم على الأنبياء وعلى المسلمين (يا أيها الناس إنما نبهكم على اتقاكم متاع الحياة الدنيا) أي بني بضعكم على بعض وما يتألونه به متاع في الدنيا وإنما تأتونه لبعثكم المأجلة وإيتارها على ما يقرب إلى الله تعالى من الطاعات وقد مر بيان قبل (ثم ألبنا مرجسكم) في الآخرة (فنفيكم بما كنتم تعلمون) أي فنجزيكم

بأعالمكم لأننا ابتناها عليكم وهي كلمة تهديد ووعيد

== (الغفر) ==

قيل إنما اتصل قوله هو الذي يسيركم الآية بما قبله لأنه تفسير لبعض ما أجمل في الآية المتقدمة التي هي قوله وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضرا مستهم من أبي مسلم وقيل أنه متصل بما تقدم في السورة من دلائل التوحيد فكأنه قال إنكم الذي جبل الشمس ضياء والقمقور نوراً وهو الذي يسيركم

قوله تعالى (٢٤) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَسَاءٍ أَزْنَنْتَاهُ مِنَ السَّاءِ فَأُخْطِلُ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمْرٌ نَائِلٌ أَوْ نَهَارٌ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٥) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آيَاتُ

﴿ القراءه ﴾

في الشواذ قراءة الاعرج والشعي واي العاليه ونصر بن عاصم والحسن بخلاف وا زينت وقراءة الي عثمان وا زينت

﴿ الحجة ﴾

اما زينت فاصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي وسكنت الزاي فاجتلبت لها الف الوصل واما ا زينت فلم تنه على انقلت اي جاءت بالزينة وا زينت اجرد في العربية لأن ا زينت الأجود فيه لانت مثل اقال وابع واما ا زينت فوزنه انما ات واصله ا زينت مثل ادهمت واسرادت إلا أنه كره الالتقاء الساكنين فحركت الألف فانتقلت هذه كقول كثير

وللأرض أما سودها فتجلبت بياضاً وأما يبضها فادهامت

﴿ الفة ﴾

الزخرف كمال حسن الشيء ويقال زخرفته اي حسنه ومنه زُخرفت الجنة لأهلها اي زينت بأحسن الأنوان وغني بالمكان اقام به والمناخي المنازل قال النابغة

غنيت بذلك اذهم لك جيرة منها بعطف ومسالمة وتودد

والدعاء طلب الفعل بما يقع لأجله والداعي إلى الفعل خلاف الكسوف عنه والفرق بين الدعاء والأمر ان في الأمر ترغيباً في الفعل وزجراً عن تركه وله صيغة تنهي عنه والدعاء ليس كذلك وكلامها طلب وأيضاً فإن الأمر يقتضي ان يكون الأمر دون الأمر في الرتبة والدعاء يقتضي ان يكون فوقه

== (المنى) ==

لما تقدم ما يوجب الترتيب في الآخرة والتهديد في الدنيا عقبه سبحانه بذكر صفة الدارين فقال (إنما مثل الحياة الدنيا) اي صفة الحياة الدنيا او شبه الحياة الدنيا في سرعة فنائها وزوالها (كساء انزلناه من السماء) وهو المطر (فاختلط به) اي بذلك المطر (نبات الأرض) لأن المطر يدخل في خلل النبات فيختلط به وقيل معناه فاختلط بسببه ينض النبات والبعض فاختلط ما يأكل الناس بما يأكل الأنعام وما يبتاع بابتعكه ثم فصل ذلك فقال (ما يأكل الناس) كالصوب والبار والبقول (والأنعام) كالعشيش وسائر انواع المراعي وقد قيل في التشبيه والمثبه به في الآية أقول ﴿ احدها ﴾ انه تعالى شبه الحياة الدنيا بالماء فيا يكون به من الانتفاع ثم الانتقال وبقائها ﴿ ثانيها ﴾ انه شبهها بالنبات على ما وصفه من الاعتراض به ثم المصير إلى الزوال عن الحيائي وبي مسلم وثالثها ﴿ انه تعالى شبه الحياة الدنيا بحياة مقددة على هذه الأوصاف ﴾ (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها)

اي حسنوا وبهجتها بنواع الألوان واجناس النبات وغير ذلك (وازيئت) اي تزييت في عين رائيتها (وظن اهلها) اي مالكمها (انهم قاعدون عليها) اي على الانتفاع بها ومناه بلغت المبلغ الذي ظن اهلها انهم يحسدونها ويقعدون على غلتها او ادائها (أناها امرنا لئلا أو نهارا) أي أناها عذابنا من يرد او يرد ومثله مناه أناها حكتنا وقضاونا بلوكلها وإلأناها (فبصلها حصيدا) أي محصودة ومناهها مقطوعة مقطوعة ذاهبة يابسة (كان لم تن بالامس) أي كان لم تقم على تلك الصفة بالامس ومناه كان لم تكن ولم توجد من قبل (كذلك تفصل الآيات قوم يتفكرون) اي مثل ذلك نفي الآيات قوم يتفكرون فيها فيمتدحون بها ولما بين سبحانه ان الدنيا تنقطع وتبقى بالموت كما يفنى هذا النبات بفنونه الآفات ونبيه على الترفع ازوالها والتمتع عن الاعتقاد بأحوالها ورغب عقبيه في الآخرة فقال (والله يدعو إلى دار السلام) قيل ان السلام هو الله تعالى فإن الله تعالى يدعو إلى داره وداره الجنة من الحسن وقتادة وقيل دار السلام الدار التي يسلم فيها من الآفات من الجاني والسلام والسلامة واحمد مثل الرضاع والرضاعة قال

تحيا بالسلامة ام بذكر وهل لك بعد رهطك من سلام

وقيل سببت الجنة دار السلام لأن اهلها يسلم بعضهم على بعض والملائكة تسلم عليهم ويسلم ربهم عليهم فلا يسعون إلا سلا ولا يرون إلا سلا وبعضه قوله تحيتم فيها سلام وما اشبهه (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) قيل يهدي من يشاء إلى الايمان والدين الحق بالتوفيق والتيسير والاطراف وقال الجاني يريد به نصب الأدلة لجميع المكلفين دون الاطفال والمجانين وقيل مناه يهدي من يشاء في الآخرة إلى طريق الجنة الذي يسلكه المؤمنون ويمدله الكافرون إلى النار

قوله تعالى (٢٦) الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزِيَادَةً وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قُتْرٌ وَلَا ذُلٌّ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْشِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنْ آفَةٍ مِنْ أَفَصَرٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قُطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ آيات

(- القراءة -)

قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب وسهل قطعا ساكنة الطاء والباقرن قطعا بفتحها

- الحجة -

الطلع جمع قطعة من الليل والطلع الجزء من الليل الذي فيه ظلمة

﴿ الفنة ﴾

الرمح حلق الامر ومنه رمح الفنام اذا لحق بالرجال ورهقه في الحرب اذكه قال الازهري الرمح اسم من الارماق وهو أن يعمل الإنسان على ما لا يطيق ومنه سارقه صودا والكسب اجتلاب النعم والجزاء والمكافاة والقر للشار والفترة النعمة والفترة الدخان ومنه الاقتار في المشقة

﴿ الاعراب ﴾

جزاء سيئة في ارتفاعه وجهان ﴿ احدها ﴾ ان يكون مبتدأ وخبر، يمشلها على زيادة الباء في قول ابي الحسن لأنه وجد في مكان آخر وجزاء خيثة سيئة مثله ويجوز ان يكون الباء متعلقة بجزء معذوف تقديره جزاء سيئة كالن يمشلها كما تقول انما بك وأمرى يبدك وه اشبه ذلك ﴿ والآخر ﴾ ان يكون فعلا باضار فعل تقديره استقر لهم جزاء سيئة يمشلها ثم حذف استقر فبقي لهم جزاء سيئة يمشلها ثم حذف لهم لدلالة الكلام

على ان هذا مستقر لهم ويجوز ان يكون جزاء سيئة مبتدأ والجبر محذوف لتقديره لهم جزاء سيئة بمثلها او جزاء سيئة بمثلها كائن هذا قد اُجازه ابو الفتح وقوله وترفعهم عطف على كسبوا وجزاء يفضل بينهما بقوله جزاء سيئة بمثلها لأنه من الاعتراض الذي بين الأول ويسدده ويشبهه مظهرا قال ابو علي ان اجريته على قطع ما كنهه الطاء فيحصل نصبه على وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون صفة لقطع على قياس قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وصف الكتاب بالفرد بعد ما وصفته بالجملة واجريته على النكرة ﴿والآخر﴾ ان يكون حالا من الذكر الذي في الظرف يعني قوله من الليل وان اجريته على قطع مفتوحة الطاء لم يكن صفة له ولا حالا من الذكر الذي في قوله من الليل ولكن يكون حالا من الليل والعامل في الحال ما يتعلق به من الليل وهو الفعل المختل ومثل ذلك في إرادة الوصف بالسواد قول الشاعر

وردية مثل الساء اعتسفها وقد صبغ الليل الحمى بسواد

اي سودتها الظلمة وقال غيره يجوز ان يكون مظهرا صفة لقطع على قول الشاعر
لو ان مدحة حي تشرن احدا احبى اياك ان ياللي الاعاديح

— المعنى —

ثم بين سبحانه أهل دار السلام فقال (الذين احسنوا الحسن) ومعناه الذين احسنوا العمل وأطاعوا الله تعالى في الدنيا جزاء لهم على ذلك الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الحالة الجامعة لذات والتميم على اكمل ما يكون وأفضل ما يمكن وهو تأتيت الأحسن (وزيادة) ذكر في ذلك وجوه ﴿احدها﴾ ان الحسن الثواب المستحق والزيادة التعضل على قدر المستحق على طاعتهم من الثواب وهي المضافة المذكورة في قوله فله عشرين ألفا من ابن عباس والحسن ومجاهد وقادة ﴿وثانيها﴾ الزيادة هي ان ما اعطاهم الله تعالى من النعم في الدنيا لا يحاسبهم به في الآخرة عن ابي جعفر الباقر (ع) ﴿وثالثها﴾ ان الزيادة غرة من لؤلؤ واحدة لها اربعة ابواب عن علي (ع) وقيل الزيادة ما يأتيهم في كل وقت من فضل الله مجبدا ﴿ورابعها﴾ ان الزيادة هي النظر إلى وجهه الله تعالى ودوي ذلك من ابي بكر وأبي موسى الأشعري وغيرهما وقد بين الله سبحانه الزيادة في موضع آخر بقوله ليوفيهم اجرهم يزيدهم من فضله (ولا يرهق وجوههم قفر ولا ذلة) اي لا يلبس وجوههم سوادا عن ابن عباس وقادة وقيل غبار ولا ذلة اي هوان وقيل كابة وكسوف من قتادة وروى الفضيل بن يسار عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ما من عين تفرقت بسائها إلا حرم الله ذلك الجسد على النار فان غاضت من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قفر ولا ذلة (او لك اصحاب الجنة هم فيها خالدون من معناه) والذين كسبوا الليثات) اي اكسبوها وارتكبوها (جزاء سيئة بمثلها) اي لهم جزاء كل سيئة بمثلها يعني يجوزون بثل امثالهم اي قدم ما يستحق عليها من غير زيادة لأن الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب لأن ذلك تقضل يحسن فله ابتداء فامثل هنا مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان (وترفعهم ذلة) اي يلبسهم هوان وذلة لان العقاب يقارنه الاوهنة والاذلال (ما لهم من الله من عاصم) اي ما لهم من حافظ وامنع يدفع عقاب الله عنهم (كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) اي كأنها البست وجوههم ظلمة الليل والمراد وصف وجوههم بالسواد كقوله سبحانه ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة (او لك اصحاب النار هم فيها خالدون) ظاهر المراد

قوله تعالى (٢٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ قَوْلَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَرَلَيْسَ بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَمْجُدُونَ (٢٩) فَكُفَى بِآلِهِ شَهِيدًا

يَتَّبِعُوا وَيَسْتَكُنُّمْ إِنَّ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٣٠) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ تبلوا بالثاء لعل الكوفة غير عاصم وروح وزيد عن يعقوب والباقر تبلوا بالباء

(- الحجة -)

قال أبو علي من قرأ تبلوا فمعناه تغيب من قولهم البلاء ثم التواء أي الاختيار المعنى عليه ينبغي أن يكون قبل التواء ليكون التواء عن علم يقدر ما يوجه ومعنى اختيارها ما أسلفت أنه أن قدم خيرا أو شرا جوزي عليه كما قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن عمل مثقالا فلفسه وغير ذلك من الآي ومن قرأ تبلوا فله من التلاوة التي هي القراءة دليله قوله فأولئك يقرأون كتابهم وقوله اقرأ كتابك ويكون تبلوا تتبع من قولهم تلا القرينة النفل إذا أتيتها النفل قال

على ظهر عادي كأن أرومه رجال يتلون الصلاة قيام
فيكون المعنى يتبع كل نفس ما أسلفت من حسنة أو سيئة قال
قد جعلت دلويا تستليني ولا أحب تبع القرين
أي تستبيني من ثقلها

﴿ اللفظة ﴾

التأويل التفريق مأخوذة من قولهم زلت الشيء عن مكانه أزيله وزيلته للكثرة من هذا إذا غيبت عن مكانه وزايلت فلانا إذا فارقت هناك أي في ذلك المكان وهو ظرف هنا للقريب وهنالك للبعد وهنالك لما بينها قال زهير هنالك أن يستخلوا المال يخلوا وإن يسألوا يعطوا وإن يسروا يملوا والاسلاف تقدم امر لا بعده فمن اسلف الطاعة لله جوزي بالثواب ومن اسلف المصيبة جوزي بالعقاب

﴿ الاعراب ﴾

جميعا نصب على الحال مكانكم قال الزجاج هو منصوب على الأمر والمعنى انظروا مكانكم حتى يفصل بينكم والعرب تنوع فتقول مكانك وانتظري وهي كلمة جرت على العويد وأقول ان الصحيح عند المحققين ان مكانك ودونك من أسماء الأفعال فيكون مكانكم هنا اسما لا لزوما مبنيا على الفتح وليس بمنصوب نصب الظروف وكما لا محل له من الاعراب إذ هو حرف الخطاب وانتم رفع تأكيد لضمير في مكانكم وشركاؤكم صلف عليه وهذا كما تقول في قولهم عليك زيد ان الكاف حرف الخطاب لا محل له من الاعراب وعلى ههنا اسم لفلان وليس يعرف وكفى بالله شهيدا قال الزجاج شهيدا منصوب على التمييز ان شئت وان شئت على الحال ان كنا ان منزلة ما التفي أي ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين قاله الزجاج وأقول الصحيح أن إن هذه هي المخففة من الثقيلة وإذا كانت مخففة من الثقيلة يلزمها اللام ليرفع بينها وبين النافية والتقدير أنا كنا عن عبادتكم غافلين وهنالك منصوب بتبلوا إلا أنه غير شامكن واللام زائدة كسرت لالتقاء الساكنين

﴿ المعنى ﴾

ولما تقدم ذكر الجزاء بين سبحانه وقت الجزاء فقال (ويوم نحشرهم جميعا) أي فيحشر الخلائق اجمعين أي

تجمعهم من كل اوب إلى الموقف (ثم يقول للذين اشر كوا) في عبادتهم مع الله غيره وفي اموالهم فقالوا هذا لله وهذا لشركانا (مكانكم انتم وشركاؤكم) اي اثبتوا والزموا مكانكم انتم مع شركاؤكم يعني الاوثان فقد صبحتموه في الدنيا فاصبحهم في المحشر وقيل معناه اثبتوا حتى تسألوا عن قولهم وقومهم انهم مسؤولون (فزيلايهم) أي فميزنا وفرقنا بينهم في المثلثة فأناتنا للمشركين على حدة لم عبادتم الأوثان وأسألتنا أصنام على حدة لم عبادتم وبأي سبب عبادتم وهذا سؤال تفرع وتبيكيت عن الحنن ومثله وإذا المودة مثلت بأي ذنب قتلت وقيل معناه فزيلايهم وبين الأوثان خيراً انتم الشركاء وانقطعت اسبابهم (وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون) أي يحيمهم الله ويطلقهم فقالوا ما كنا نشر بأفئكم إيانا تعبدون عن معاهد وقيل ان شركاؤهم من كانوا يعبدونهم من الشياطين وقيل هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وفي كيفية جمعهم لعبادتهم إياه قولان ﴿احدما﴾ انهم يقولون ذلك على وجه اهانتهم بالرّد عليهم اي ما اعتدنا بذلك لكم ﴿والآخر﴾ ان المراد انكم لم تعبدونا بأمرنا ودعائنا ولم يرد انهم لم يعبدوه اصلاً لأن ذلك كذب لا يجوز ان يقع في الآخرة لكنهم ملجئين إلى ترك التقييم عن الجبائي وهذه الآية نظير قوله إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية (فكنى بالله شهيدا) اي فاصلاً للحكم (بيننا وبينكم) ايها المشركون (إن كنتم من عبادكم لغافلين) مر معناه وهذا إذا كان المراد به الملائكة فإنهم عما ادعوه غافلون لأنهم لم يشعروا بذلك ولا أمروا به وإن كان المراد الأصنام فلم يكن لها حس ولا علم وهذا غاية في الزام الحجة حيث اختاروا العبادة من لم يدعم التبرأ ولم يشعر بها (هناك تبوأ كل قس ما اسلفت) أي في ذلك المكان وفي تلك الحال وفي ذلك الوقت تجرب وتعلم كل قس ما قدمت من خير او شر وترى جزاءه على القراءة بالتاء معناه تقرأ كل قس جزاء عملها وجزاء ما قدمت (وردوا إلى الله مولاهم الحق) لين وردوا إلى جزاء الله وإلى الموضع الذي لا يملك أحد فيه الحكم إلا الله الذي هو مالكهم وسيدهم وخالقهم والحق صفة لله تعالى وهو القديم الدائم الذي لا ينفى وسواؤه يبطل وقيل الحق هو الذي يكون معنى اللفظ حاصله على الحقيقة فأنه جل جلاله هو الحق لأن معنى الإلهية حاصل له على الحقيقة (وخل عنهم ما كانوا يفترون) اي بطل وهلك عنهم ما كانوا يدعونه بالقرآنهم من الشركاء مع الله تعالى قوله تعالى (٣١) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَدَأَ الْحَقُّ إِلَّا الْفُلَّالَ فَأَبَى تَصْرُفُونَ (٣٣) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن حابر كملت ههنا وفي آخرها على الجمع وكذلك في سورة المؤمن والباقرين على التوحيد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ على التوحيد احمل وجهين ﴿احدما﴾ ان يكون جعل ما أوعده بالتاسقون كلمة وإن كانت في الحقيقة كالتأنيدهم قد بسمون القصيدة كلمة والخطبة كلمة ﴿والآخر﴾ ان يكون كلمة ربك التي يراد بها الجنس قد اوقعت على بعض الجنس كما اوقع اسم الجنس على بعضه في قوله وانكم لتعبدونهم عليهم مصححين وبالبال وقول الشاعر «يطن شريان بعوي عنده الذنب» تأني من جمع قوله جعل الكلم التي توعدوا بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال كملت وكلاهما وجه

﴿الاعراب﴾

كذلك حقت الكفا في موضع نصب أي مثل اضالم جناهم ربك وقوله انهم لا يؤمنون بملك من
كلمة ربك أي حقيق عليهم انهم لا يؤمنون ويجوز ان يكون على تقدير حقت عليهم الكلمة لأنهم لا يؤمنون
ويكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب

﴿المعنى﴾

ثم قرر سبحانه أدلة التوحيد واليتم عليهم فقال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (من يرزقكم) أي من
يخلق لكم الأرزاق (من السماء) بإززال المطر والنبث (ومن الأرض) بإخراج النبات وأنواع الثمار والرزق
في اللغة هو العطاء الجاري يقال رزق السلطان الجند إلا ان كل رزق فإن الله هو الرزاق به لأنه لو لم يطلعه على
يد ذلك الانسان لم يجر شيء فلا يطلق اسم الرزاق إلا على الله تعالى وبقيده في غيره كما لا يطلق اسم الرب
إلا عليه وبقيده في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة ولا يجوز أن يخلق الله حيوانا يريد تربيته إلا ويرزقه
لأنه إذا أراد بقاءه فلا بد له من الغذاء (أن يملك السمع والبصر) معناه أن من يملك أن يصفى لكم الاسماع
والأبصار فيقويها وينورها ولو شاء لسلب نورها وحسها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)
قيل معناه ومن يخرج الانسان من الطلقة والطفلة من الانسان وقيل معناه ومن يخرج الحيوان من بطن أمه إذا
ماتت أمه ويخرج غير التام ولا البالغ حد الكمال من الحي وقيل معناه ومن يخرج المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن (ومن يدبر الأمر) أي ومن الذي يدبر جميع الأمور في السماء والأرض على ما توجبه الحكمة
(فيقولون الله) أي فيستترون بأن الله تعالى يفعل هذه الأشياء وإن الأصنام لا تقدر عليها (فقل أفلا تتقون)
أي فقل لهم عند اعتراضهم بذلك أفلا تتقون عقابه في عبادة الأصنام وفي الآية دلالة على التوحيد وعلى حسن
المحاجة في الدين لأنه سبحانه حاج بها المشركين وفيها دلالة على أنهم كانوا يقررون باطلاق وإن سكانوا
مشركين فإن جمهور الغفلة يقررون بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة الفلاسفة ومن اتى بالصانع على هذا
صفتان موحد يعتقد ان الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره ومشرك وهم شركان فصرح جلوا لله شريكا في
ملكه بضاده وبنائوه وهم الثنوية والمجوس ثم اختلفوا فمنهم يثبت لله شريكا قديما كالكاثوية ومنهم من
شريكا محدثا كالمجوس وضرب آخر لا يجعل لله تعالى شريكا في حكمه وملكه ولكن يجعل له شريكا في
العبادة يكون متوسطا بينه وبين الصانع وهم اصحاب المتوسطات ثم اختلفوا فمنهم من جعل الواسيط من الاجسام
العلوية كالنجوم والشمس والقمر ومنهم من جعل المتوسط من الأجسام السفلية كالأصنام ونحوها تعالى الله عما
يقول الزائفون عن سيئه علوا كبيرا (فذلكم الله) ذلك إشارة إلى اسم الله تعالى الذي وصفه في الآية
الأولى بأنه الذي يرزق الخلق ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي والكفار والمسلمين ومنهم جميع
الخلق غير سبحانه ان الذي يفعل هذه الأشياء (ربكم الحق) الذي خلقكم ومعبودكم الذي له معنى الإلهية
ويحق له العبادة دون غيره من الأصنام والأوثان (فمادما بعد الحق إلا الضلال) استهزاء بعبادته بالشرع
موضع الحجة إذ لا يجد المصيب محيدا عن الاقرار به إلا لا يذكر ما لا يلحق إليه والمعاد به ليس بعد الذهاب عن
الحق إلا الوقوع في الضلال لأنه ليس بينها واسطة فإذا ثبت ان عبادته هو الحق ثبت ان عبادة ما سواه باطل
وضلال (فأنى تصرفون) أي فكيف تعملون عن عبادته مع وضوح الدلالة على أنه لا معبود سواه (كذلك
حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) معناه ان الوعيد من الله تعالى للكفار بالثبات في الصحة كالقول
بأنه ليس بعد الحق إلا الضلال وقيل ان معناه مثل انصرفهم عن الإيمان وجبت العقوبة لهم أي جناهم بهم بمثل
ما فعلوا من الانصراف وهذا في قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون ومعناه سبق علم ربك في هؤلاء أنهم لا يؤمنون
وقيل معنى قوله أنهم لا يؤمنون أو أنهم لا يؤمنون أي وجبت العقوبة عليهم لذلك

قوله تعالى (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ (٣٥) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُبْعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُكُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الكوفة غير عاصم أمن لا يهديه ساكنة الماء خفيفة الدال وقرأ أهل المدينة غير وروث يهدي ساكنة الماء مشددة الدال وقرأ أبو عمرو وأبن كثير وأبن عامر وروح وزيد عن يعقوب يهدي يفتح الياء والماء وتشديد الدال إلا أن أبا عمرو أشار إلى فتحة الماء من غير اشباع وقرأ عاصم غير حماد ويحيى ورويس عن يعقوب يهدي يفتح الياء وكسر الماء وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى عن أبي بكر عن عاصم يهديه بكسر الياء والماء والتشديد

❦ الحجة ❦

قوله يَهْدِي وَيَهْدِي وَيَهْدِي أصل جميعها يهدي يفتح الهمزة وإن اختلفت الفاعلة ادغموا التاء في الدال لما فيها لها فأنعم من جيز واحد ثم اختلفوا في فريك الماء فمن قرأ يهدي التي حركة الحرف المدغم وهو التاء على الماء ومن قرأ يهديه بكسر الماء فإنه حرك الماء بالكسر للاتقاء الساكنين ومن سكن الماء جمع بين الساكنين ومن اشم الماء ولم يسكن فالأشام في حكم التصريك ومن كسر الياء مع المهاء اتبع الياء ما بعدها من الكسرة وهو ردي للقل الكسر في الياء

— الإعراب —

قوله فاللهم كيف تحكون ما مبتدأ ولكم خبره وكيف منصوب بقوله تحكون لا يفتي من الحقيق شيئاً يجوز أن يكون قوله شيئاً مفعول يفتي ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي لا يفتي من الحق غناء وكذا قيل في قوله لا تجزي نفس عن قس شيئاً قالوا هو مفعول تجزي وقالوا هو مصدر أي جزاء وكذلك قوله ولا تشركوها به شيئاً قالوا هو مفعول تشركوها قالوا هو مصدر أي لا تشركوها به أشرأكا وكذلك قوله يهديني ولا يشركون في شيئاً

❦ المعنى ❦

ثم احتج سبحانه عليهم في التوحيد بالحجاج آخر فقال (قل) يا محمد هؤلاء المشركين (هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) أي هل من هذه الأصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة وقيل الذين جعلتموهم شركاء في أموالكم كما قال وهذا لشركائكم من يبدؤ الخلق بالإنشاء بعد أن لم يكن وهو النشأة الأولى ثم يعيده في النشأة الثانية (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) معناه فإن قالوا ليس من شركائكم من يقدر عليه أو سكتوا فقل أنت لم الله هو الذي يبدأ الخلق بأن ينشئه على غير مثال ثم يفنيه ثم يعيده يوم القيامة (فأنت تؤفكون) أي كيف تصرفون عن الحق وتظنون عن الإيمان ثم استأنف الحجاج فقال سبحانه (قل) يا محمد (هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) أي هل من هذه الأصنام من يهدي الناس إلى الرشد وما فيه الصلاح والنجاة والخير بدلالة ينصها وحجة يظهرها فلا بد من أن يهتدوا بها (قل) أنت لم (الله) هو الذي يهدي

الحق) إلى طريق الرشاد يقال هدبت إلى الحق وهدبت للحق بمعنى واحد (أفنى يهدي إلى الحق) معناه أفنى يهدي غيره إلى طريق التوحيد والرشد (أحق أن يتبع) أمره وتبنيه (أم من لا يهدي) أحداً (إلا أن يهدي) أو لا يهتدي هو إلا أن يهدي والاصنام لا تهتدي ولا تهدي أحداً وإن هدبت لانها موات من حجارة وضوها ولكن الكلام قول على أنها ان هدبت اهتدت لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ووصفت بصفة من يعقل وإن لم يكن في الحقيقة كذلك ألا ترى إلى قوله سبحانه ويبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون وقوله إن الذين تدعون من دون الله عباد أكاذيباً فإن موات ألا ترى أنه قال فادعهم فليستجيبوا لكم ألمهم أرجل يمشون بها الآية وكذلك قوله وإن تدعوهم لا يسמעوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم فأجري عليه اللفظ كما يجري على من يعلم وعلى هذا فوله (إلا أن يهدي) إلى بمنزلة حتى فكأنه قال امن لا يهتدي حتى يهدي أم من لا يعلم حتى يعلم ومن لا يستدل على شيء حتى يدل عليه وإن كان لو دل أو علم لم يستدل لم يعلم ولو هدى لم يهتد بين الله سبحانه بذلك جهلهم وقلة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر والسالم وقال البخعي لا يهدي ولا يهتدي بمعنى واحد يقال هدجته فهدى أي اهتدى وقيل إن المراد بذلك الملائكة والجن لأنهم يهتدون إذا هدوا وقيل المراد به الرؤساء والمضلون الذين يدعون إلى الكفر وقيل إن المعنى في قوله لا يهدي إلا أن يهدي لا يتحرك إلا أن يتحرك ولا ينتقل إلا أن ينتقل كقول الشاعر (حيث يهدي ساقه قلعة) أي يحمل وقيل معناه لا أن يركب الله فيه آلة التمييز والمدايق ويرزقه فهما وعقلا فإن هدي حيثما اهتدى (فألهم) قال الزجاج هذا كلام تام كأنه قال أي شيء لكم في عبادة من لا يضر ولا ينفع (كيف تتحركون) هذا تعجب من حالهم أي كيف تقضون بأن هذه الأصنام آلهة وانها تستحق العبادة وقيل كيف تتحركون لاتسركم بما لا توجه الحجة ولا تشهد بصحة الأدلة (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً) أي ليس يتبع أكثر هؤلاء الكفار إلا ظناً الظن الذي لا يجدي شيئاً من تقليد آبائهم ورؤسائهم (إن الظن لا يثبت من الحق شيئاً) لأن الحق إنما ينتفع به من علمه سقاً وعرفه معرفة صحيحة والظن يكون فيه تجويز أن يكون المظنون على خلاف ما ظن فلا يكون مثل العلم (إن الله علم بما يفعلون) من عبادة غير الله تعالى فيجازيهم عليه وفيه ضرب من التهديد

قوله تعالى (٣٧) وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٨) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْتَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٩) بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِهِ بِمَا كَانُوا يَحْطِطُونَ عَلَيْهِمْ وَلَكَّا يَأْتِيهِمْ نَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ أَرَبَعْ آيَاتٍ

(- اللغة -)

القرآن عبارة عن هذا الكلام الذي هو في أعلى طبقات البلاغة مع حسن النظام والجزالة والتفصيل والتقسيم والتميز نظامي وضد التلبس والتغليب والسورة جملة منزلة محيطية بآيات الله كالحق حقه والبناء والاستطاعة حالة للحي تنطاع بها الجوارح للفعل وهي مأخوذة من الطرح والقدرة مأخوذة من القدر فهي معنى يمكن أن يوجد بها الفعل والا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى

والاستقبال قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة يريد بالغا الكعبة وكل نفس ذائقة الموت أي ستذوق

✽ المعنى ✽

(ألان أولياء الله لا خوف عليهم) بين سبحانه ان المؤمنين لله الذين تولوا القيام بأمره وتولاهم سبحانه يحفظه وحياطه لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب (ولا هم يحزنون) أي لا ييأسون واختلف في أولياء الله فقيل هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من شياخ الخير والاختيار عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم المتحابون في الله ذكر ذلك في خبر مرفوع وقيل هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وقد يهيم في الآية التي بعدها عن ابن زيد وقيل انهم الذين أدوا فرائض الله واخلدوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل هذه الدنيا ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله لمایشهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر ثم اتفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة فأولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدموا منه لا خرتهم وهو المروءة عن علي بن الحسين عليه السلام وقيل هم الذين توالى أفعالهم على مواقف الحق (الذين آمنوا) أي صدقوا بالله واعتبروا بوحديته (وكانوا يتقون) مع ذلك معاصيه لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة (فيه أقوال **﴿﴾** أحدها **﴿﴾** أن البشري في الحياة الدنيا هي ما بشرهم الله تعالى به في القرآن على الأعمال الصالحة ونظيره قوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه الآية عن الزباج والفراء **﴿﴾** وثانيها **﴿﴾** ان الإشارة في الحياة الدنيا بشارة للملائكة (ع) للمؤمنين عند موتهم بأن لا تغفلوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة عن جماعة الزهري والضحاك والجبائي **﴿﴾** وثالثها **﴿﴾** انها في الدنيا رؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه او ترى له في الآخرة بالجنة وهي ما يبشرهم للملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى ان يدخلوا الجنة يبشرونهم بها حالا بعد حال وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبي **﴿﴾** وروي عقبه بن خالد عن أبي عبد الله (ع) انه قال يا عقبه لا يقل الله من العباد يوم القيامة إلا أخذا الدين الذنبه اجتم عليه وما بين احدهم وبين ان يرى ما تقر به عينه إلا ان يبلغ نفسه إلى هذه وادى يديه إلى الوريد الخير بطوله ثم قال ان هذا في كتاب الله وقرأ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة الآية وقيل ان المؤمن يفتح له باب إلى الجنة في قبره فيشاهد ما اعد له في الجنة قبل دخولها (لا تبدل لكلمات الله) أي لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب ولا خلاف في قوله يوضع كلمة أخرى مكانها بدلا منها لأنها حق والحق لا خلف فيه بوجه (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك الذي سبق ذكره من الإشارة في أحوال الدنيا وفي الآخرة هي النجاة العظيمة التي يصرف في جنبها كل شيء (ولا يحزنون قولهم) ظاهره والحي والمراد به التسلية التي **﴿﴾** عن أقوالهم المؤذية وهو مثل قولهم لا رأيتك هنا أي لا تسكن هنا فن كان هنا رأيته وكذلك المراد بالآية لا تميا بأذاهم فن عا به آذاه اذاهم (ان المرة لله جميعا) فيمنعهم منك بمنته ويدفع اذاهم عنك بقدرته وقيل معناه لا يحزنك قولهم انك ساحر او محجن فينتصر لك الله عليهم وسيلهم ويتنقم منهم لك فإنه عزيز قادر عليه (هو السميع العليم) بسمع أقوالهم ويعلم ضآلهم فيجازيهم عليها ويدفع عنك شرهم ويرد كيدهم وضرهم

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه لما تقدم ذكر المؤمن والكافر بين عقبيه ان اولياءه لا خوف عليهم وقيل لما ذكر انه يحصي اعمال خلقه بشر من تولاه وذكر ما اعد لهم ووجه اتصال قوله ولا يحزنك قولهم بما تقدم انه يحصل بقوله وان كذبوك فلا يحزنك قولهم وقل لي عمل ولكم عملكم وقيل انه يتصل بما قبله فكأنه قال إذا كنت من اولياء الله ومن اهل البشارة فلا ينبغي ان تحزن بطن من بطن عليك ووجه اتصال قوله هو السميع

العلم بما قبله أنه يسمع قولهم ويجازيهم فلا يحزنك ذلك
قوله تعالى (٦٦) أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَشِيعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ آيَاتَانِ

❦ الآية ❦

الفرق بين الجبل والقمل أن حمل الشيء يكون بأحداث غيره كجمل الطين خرقا ولا يكون فعله إلا بأحداثه
والفرق بين الجبل والتفجير أن تغير الشيء لا يكون إلا بتغييره على خلاف ما كان وجعله يكون بتغييره على
مثل ما كان كجمل الإنسان نفسه ما كنا على استدامة الحال وإنا قال والنهار مبصر وإنا يصرفه تشبيها ومجازا
واسمارة في صفة الشيء بيبه على وجه المبالغة كما يقال مر كاتم وليل فأم ومثله قول جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى وغت وما ليل المطلي بناثم
وقال رؤبه «قد نام ليلي وتجلى ممي»

❦ المعنى ❦

أما سأل الله سبحانه نبيه ﷺ بقوله ولا يحزنك قولهم فأنهم لا يفوتوني بين بعد ذلك ما يدل على صحته فقال
(ألا إن الله من في السموات ومن في الأرض) يعني القلاء وإذا كان له ملك القلاء فما عداهم تابع لهم وإنا
خص القلاء تشبيها (وما يشيع الذين يدعون من دون الله شركاء) يشمل ما هاجنا وجهين ❦ أحدهما ❦ أن
يكون بمعنى أي شيء فكأنه قال وأي شيء يشيع الذين يدعون من دون الله شركاء تشبيها فصلهم ❦ والآخر ❦ أن
أن يكون نافية أي وما يتبعون شركاء في الحقيقة ويحمل وجهها ثالثا وهو أن يكون ما معنى الذي ويكون
منصوبا بالمطع على من ويكون التقدير والذي يتبع الأصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء فمحذوف الماعذ
من الصلة وشركاء حال من ذلك المحذوف وإن جعلت ما نافية فقوله شركاء ينتصب بیدعونه والماعذ إلى الذين
الواو في يدعون ويكون قوله أن يتبعون مكررا لطول الكلام وتقف في هذا القول على قوله ومن في الأرض
وسمى ذلك القول على قوله شركاء (أن يتبعون إلا الظن) أي ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء إلا الظن
لتقديم أسلافهم في ذلك أو لشبهة دخلت عليهم بأنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى (وإن هم إلا يخرصون)
أي ويسوا إلا كاذبين بهذا الاعتقاد والقول (هو الذي جعل لكم الأيل لتسكنوا فيه) معناه أن الذي يملك من
في السموات ومن في الأرض هو الذي خلق لكم الأيل لسكونكم ولأن يزول التعب والكلال عتكم بالسكون فيه
(والنهار مبصر) أي يجعل النهار مبصرا مضيئا تبصرون فيه وتهتدون به في حوائجكم بالبرصار (إن في ذلك
لآيات) أي لحجبا ودلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر على ذلك غيره (لقوم يسمعون) الحجج
سماع تدير وتفهيم وتعلل

قوله تعالى (٦٨) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٩) قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْعَلُونَ (٧٠) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ثلاث آيات

﴿الاعراب﴾

متاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذاك أو هو متاع وقوله لا يفلحون وقف تام ويجوز ان يكون متاع مبتدأ محذوف الخبر وتقديره لهم متاع

﴿المنى﴾

ثم حكى الله سبحانه عن صف من الكفار انهم اضافوا اليه اتخاذ الولد وهم طائفتان ﴿احداهما﴾ كفار قريش والرب فانهم قالوا الملائكة بنات الله ﴿والأخرى﴾ النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله قال سبحانه (قالوا اتخذ الله ولدا) ولما قال قالوا وان لم يكن سبق ذكرهم لأنهم كانوا بمحضرة النبي ﷺ وكان يعرفهم وتصح الكناية عن المعلوم كما تصح عن المذكور (سبحانه) أي تنزيها له عما قالوا (هو النبي) عن اتخاذ الولد ثم بين سبحانه الوجه فيه فقال (له ما في السموات وما في الأرض) وعنايه إذا كان له ما في السموات وما في الأرض ملكا وملكاه هو النبي عن اتخاذ الولد لأن الإنسان اذا اتخذ الولد ليتقوى به من ضعف أو ليستغني به من فقر والله سبحانه منزّه عن ذلك وإذا استحتم اتخاذ الولد حقيقة عليه سبحانه استحتم عليه اتخاذ الولد على وجه النبي (ان عندكم من سلطان هذا) أي ما عندكم من حجة وبرهان بهذا (أتقولون على الله ما لا تعلمون) هنا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بين سبحانه الوعيد لهم على ذلك فقال (قل) يا محمد (ان الذين يفترون) أي يكذبون (على الله الكذب) باتخاذ الولد وغير ذلك (لا يفلحون) أي لا يفلحون بشي من الثواب وأصل الاقتراء من القطع من فريت الأديم أي قطعته فمناه يقطعون الكذب الذي يكذبون به على الله تعالى وقوله (متاع في الدنيا) معناه لهم متاع في الدنيا يمتنعون به أياما قلائل ثم تنقضي وقوله (ثم ألينا مرجعهم) أي ثم إلى حكمنا مصيرهم (ثم نذيقهم العذاب الشديد) وهو عذاب النار (بما كانوا يكفرون) أي يكفروهم

قوله تعالى (٧١) وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى آلِهِمْ قَوْلٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَاجِمُونَ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧٢) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَ لَكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٣) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمِنْ مَعْنَاهُ فِي أَلْطَفِ وَجْهِنَا هُمْ خَلَّافٌ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ثلاث آيات

﴿الترادة﴾

قرأ يعقوب وحده وشركاؤه بالرفع وهو قراءة الحسن وابن أبي اسحق وإبي عبد الرحمن السلمي ونعيسى النخعي وقرأ الباقون وشركاؤه بالنصب وفي الشواذ قراءة الأعرج وعاصم والجحدري والزهرى فاجمعوا أمركم مشقوقة الميم موصولة المنة من جمع

﴿الحجة﴾

من قرأ فاجمعوا أمركم وشركاؤكم بالرفع رفعه على المطف على الضمير في اجمعوا وساغ عطفه على

الضمير من غير تو كيد من أجل طول الكلام بقوله امركم وإذا جاز في قوله سبحانه ما أشر كنا ولا أبأوتنا
 انت تكفي من طول الكلام بلا وان كانت بعد حرف السطف مكان الاكتفاء من التوكيد بأحوال طول
 من لا وهو أيضا قبل الواو كما ان التوكيد لو ظهر لكان قبلها أخرى فلو قال قائل قم وزيد كان أقبح من
 ان يقول قمت وزيد وذلك لأن المطوف عليه في قم وزيد ضمير مستكن لا لفظ له فهو أضعف من ضمير
 المخاطب أو المتكلم في قمت لأنت له لفظا وهو التاء وقمت وزيد أضعف من قمتا وزيد لأنت نا من
 قمتا أنت لفظا من التاء في قمت وأما شركاءكم بالنصب فقد قيل فيه انه منصوب على إضمار فعل كأنه قيل
 وادعوا شركاءكم قالوا وكنا هو في مصحف أبي وقيل قد يره فاجعوا امركم واجمعوا شركاءكم لأن اجمعوا
 يدل عليه وذهب المحققون إلى انه مفعول معه وتقديره مع شركائكم كما انشد سيبويه

فكفونا انتم وبني إبيكم مكان الكلبيين من الطحال

وقال اجعت الأمر وجمعت الأمر واجعت كل الأمر أي عزمت عليه قال الموزع اجعت الأمر
 أقصم من اجعت عليه قال أبو الهيثم اجمع امره إذا جملته جمعا بعد ما كان متفرقا قال « هل اغدون يوما
 واصرني جميع »

في اللغة

الغمة ضيق الأمر الذي يوجب الحزن والغمة والكربة والضغطة والشد تنظائر وقضية الفرجة وقيل غمة منطلي
 تقطيع خبره مأخوذ من غم الهلال إذا حال دون رواجه غيم

المعنى

ثم امر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقرأ عليهم اخبار نوح فقال (واقل عليهم نيا نوح) أي خبره (لأن
 قال لقومه) الذين يمش اليهم (يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي) أي شق وعظم عليكم أقالمي بين أظهركم
 (ونذ كبري) أي وعظي وتنبهي أياكم (بآيات الله) أي بخصبه وبناته على صحة التوحيد والعدل والنبوة
 والمعاد وبإعلان ما تدبثون به وفي الكلام حذف هو قوله وعزمت على قلبي وطردني من بين أظهركم (فعل
 الله توكلت) جمل جواب الشرط مع انه متوكل عليه في جميع أحواله ليسين لهم انه متوكل في هذا التفصيل
 لما في اعلامه ذلك من زجرهم عنه لأن الله تعالى يكفيه أمرهم ومناة فألى الله فوخت أمري وبه وقت ان
 يكفيني امركم (فاجعوا امركم وشركاءكم) مناه فأعزموا على امركم مع شركائكم وانفقوا على امر واحد من
 قلبي وطردني ولا تضربوا فيه فتختلف أحوالكم فيما تلقوني به وهذا تهديد في صورة الأمر وقيل مناه
 اعزموا على امركم وادعوا شركاءكم (ع) انه لا يرتدع عن دعائهم وعيب أكتهم مستعينا بالله عليهم
 وأتانا بأنه سبحانه يصصه منهم وقيل أراد بالشركاء الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وقيل أراد من
 شاركهم في دينهم (ثم لا يكن امركم عليكم غمة) أي لا يكن امركم عليكم غما وحزنا بأن ترددوا فيه
 وقيل مناه ليكن امركم ظاهرا مكتوبا ولا يكون منطلي مبها مستورا من غممت الشيء إذا سترته وقيل
 مناه لا تأتوه من غير أن تشاوروا ومن غير أن يجتمع رأيكم عليه لأن من حاول أمرا من غير أن يعلم
 كهب يأتي ذلك كان امره غمة عليه (ثم اقضوا إلي ولا تنظرون) أي انقضوا إلي فاقضوني ان وجدتم
 اليه سبيلا ولا تؤخروني ولا تمهلوني عن ابن عباس وقيل معنى اقضوا إلي افضلوا ما تريدون وادخلوا إلي لأنه

بمعنى افرغوا من جميع جهلكم كما يقال خرجت اليك من الهدة وقيل مناه توجعوا الي وروي عن بعضهم انه قرأ ثم افضوا الي أي أسرعوا الي من الفضا لأنه اذا صار الى الفضا تمكن من الاسراع وهذا كان من معجزات نوح (ع) لأنه كان وحيداً مع نفر يسير وقد اخبر بأنهم لا يتقدرون على قتله وعلى ان ينزلوا به سوا لأن الله تعالى ناصرهم وحافظه عنهم (فان توليتهم) أي ذهبتهم عن الحق واتباعه ولم يتقبلوه ولم تنظروا فيه (فا سألتم من امر) أي لا اطلب منكم أجراً على ما أوذيه اليكم من الله فيقتل ذلك عليكم وقيل مناه ان اعرضتم عن قبول قولي لم بضرفي لاني لم اطلع فيما لكم ففوتني ذلك بتوليكم عني ولما يعود الضرر عليكم (ان اجرى به إلا على الله) أي ما يجري الا على الله في القيام بأداء الرسالة (وامرت ان اكون من المسلمين) أي امرني الله بأن اكون من المسلمين لأمر الله بطاعته فبأنها خير ما يكتسبه العباد (فكذبوه) يعني انهم كذبوا نوحاً أي نسبوه الى الكذب فيما يذكره من انه نبي الله وان الله بشه اليهم ليدعهم الى طاعته (فجبناه ومن معه في الفلك) أي في السفينة (وجعلناهم خلاف) أي جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاء لمن هلك بالغرق وقيل انهم كانوا ثمانين نفساً وقال البلخي يجوز ان يكون أراد جعلناهم رؤساء في الأرض (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أي اهلكنا باقي اهل الأرض اجمع لكذبهم لنوح (ع) (فانظر) ايها السامع (كيف كان عاقبة المنذرين) أي المخوفين بالله وعذابه أي كيف اهلكهم الله

قوله تعالى (٧٤) ثُمَّ بَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا يُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٥) ثُمَّ بَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٦) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٧) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٨) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْلَمَ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَعْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ خُشِعَ آلَتَا

﴿ القراءه ﴾

روى حماد ويحيى عن ابي بكر وزيد عن يعقوب ويكون لكيا الكبرياء بالياء والباقون بالياء

== (الحجة) ==

الوجه في الباء ان تأتيت الكبرياء غير حقيقي وقد فصل ايضاً بين وبين الفعل ومن قرأ بالياء فلائث لفظه لفظ التأنيث

== (النية) ==

الاجرام اكتساب السيئة واصله القطع والفت السرف من الأمر يقال لغته يلفته لفتاً وامرأة افوت ذات زوج لما ولد من غيره لأنها تلتفت إلى ولدها عنها

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قصته من بشه بعد نوح فقال (ثم بثنا من بعده) أي من بعد نوح واهلاك قومهم (رسلاً) يريد

ابراهيم وهوذا وصالحا ولوطا وشعيا (الى قومهم) الذين كانوا فيهم بعد أن تناسلوا وكثروا (فجاءهم بالبينات) أي فأتوهم بالبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم الشاهدة بنبوتهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أي لم يكونوا ليصدقوا بيئي أو لك الأقيام الذين يمت اليهم الرسل بما كذبت به اوتاهم الذين هم قوم نوح أي كانوا مثلهم في الكفر والعنوت وقبل مناهل لم يكن منهم من يؤمن من بعد هذه الآيات بما كذبوا به من قبلها بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البينات وبعدها عن أي مسلم والبلخي (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) أي نجعل على قلوب الظالمين لنفوسهم الذين تمدوا حدود الله سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذم بها ويصر بها الملائكة كما فعلنا ذلك بقلوب هؤلاء الكفار وقد مر معاني العليم والحمد فيا تقدم (فدعنا من بعدكم) أي من بعد الرسل أو من بعد الامم (موسى وهارون) (ع) نبين مرسلين إلى فرعون وملائته أي وروساء قومه (بآياتنا) أي بأدلتنا ومعجزاتنا (فاستكبروا عن الاقياد لها والايمان بها) وكانوا قوما مجرمين (عاصين لربهم مستحقين العقاب الدائم فلما جاءهم أي جاء قوم فرعون) (الحق من عندنا) يعني ما أتى به موسى من المعجزات والبراهين (قالوا إن هذا لسحر مبين) أي ظاهر (قال موسى) لهم (أتقولون الحق لما جاءكم أسحر هذا) أي اتقولون لمعجزاته سحر والسحر باطل والمعجز حق وهما متضادان (ولا يفلح الساحرون) أي لا يظفرون بحجة ولا يأتون على ما يدعونه بينة وإنما هو قومه على الضعفة (قالوا) يعني قال فرعون وقومه لموسى (أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) أي لتصرفنا عن ذلك (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك عن عبادته وقبل السلطة والسلطان والأصل أن الكبرياء استحقاق صفة الكبر في أعلى المراتب في الأرض أي في أرض مصر وقبل أن ياد اسم الجنس والمراد به الابتكار وإن كان اللفظ لا يستفهم فلقوا بالشبهة في التهم على رأي آبائهم وإن من دعاهم إلى خلافه فظاهر أمره أنه يريد التأثير عليهم فلم بطبعه (وما نجح لكما يومئذ) أي مصدقين فيا تدعيانه من النبوة

قوله تعالى (٧٩) وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٨٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَتَأْتُمُونِي بِكُلِّ مَلْفُونٍ (٨١) فَلَمَّا أَتَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِعُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلَ الْفَاسِقِينَ (٨٢) وَيَحِقُّ لِلَّهِ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ اربع آيات

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الكوفة غير حاصم بكل سحر بالتشديد والباقيون ساحر على وزن فاعل وقرأ أبو جعفر وابو عمرو السحر بقطع الألف ومدها على الاستفهام والباقيون السحر موصولة على انطباع

❦ الحجة ❦

قد بينا الوجه في سحر وساحر في سورة الاعراف وأما قوله السحر فارت ما في قوله ما جئتم به في موضع رفع بالابتداء وجتم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والكلام استفهام والسحر يدل من ما المبتدأ ولزم أن يلحق السحر الاستفهام ليساوي البديل منه في أنه استفهام ألا ترى أنه ليس في قولك السحر استفهام وعلى هذا قالوا كم مالت اعشرون أم ثلاثون فبصلت الشرون والثلاثون بدلا من كم والحق أم لأنك

في قولك كم درهما مالك مدع ان له مالا كما انك في قولك اعشرون ام ثلاثون مالك مدع أحد الشئين ولا يلزم ان تضمر السحر خبرا على هذا لأنك اذا ابتدأت من المبتدأ صار في موضعه وصار ما كان خبرا لما ابتدأت منه في موضع خبر البدل ومن قرأ ما جئتم به السحر كان ما في قوله موصولا وجبتم به الصلة والماء المجرورة عائدة على الموصول وخبر المبتدأ الذي هو الموصول السحر وبما يقوي هذا الوجه ما زعموا انه في حرف عبد الله ما جئتم به سحر فلي هذا يكون تقديره الذي جئتم به السحر وعلى الوجه الأول وهو ان يكون ما استفهما فقد يره اي شيء جئتم السحر واما وجه الاستفهام مع علم موسى انه سحر فإنه مثل قوله «أنت قلت الناس اتخذوني واهي إلهين من دون الله في انه للتقرير

❦ المعنى ❦

(وقال فرعون) حكى الله سبحانه عن فرعون انه حين اعجزه المعجزات التي ظهرت لموسى (ع) ولم يكن له في دفعها حيلة قال لقومه (اتوني بكل ساحر عليم) بالسحر يلغى في صله وإنما طلب فرعون لكل ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى وحتى لا يفوته شيء من السحر بتأخر بعضهم وإنما قل ذلك للجهل بأن ما أتى به موسى من عند الله وليس بسحر وبعد ذلك علم انه ليس بسحر فأنذرت ما قال سبحانه لقد علمت ما أنزل هؤلاء الأرب السبلوات والأرض بصائر وقيل انه علم انه ليس بسحر ولكنه ظن ان السحر بقاربه مقاربة تنبيه (فلما جاء السحرة) الذين طلبهم فرعون وأمر بإحضارهم وموسى حاضر فقال لهم موسى اتقوا ما أنتم ملقون بوفي الكلام حذف يدل عليه الظاهر وتقديره فلما أتوه بالسحرة وبالجمال والمعنى قال لهم موسى (اتقوا ما أنتم ملقون) اي اطرحوا ما جئتم به وقيل معناه اطرحوا ما أنتم فاعلون وهذا ليس بأمر بالسحر ولكنه قال ذلك على وجه التحدي والإلزام اي من كان عنده ما يقاوم المعجزات فليقله وقيل انه امر على الحقيقة بالإلقاء لظهور علته وتوهمه بقدرته على قوة القوا لانه اراد أن يجمع ما أنتم ملقون في المستأنف فلو اقتصر على القوا ما افاد هذا المعنى والإلقاء اخراج الشيء عن اليد إلى جهة الأرض ويشبه بذلك قولهم التي عليه مسالة والتي عليه رداء (فلا القوا) اي فلا التفت السحرة سحرهم (قال موسى) لهم (ما جئتم به السحر) اي الذي جئتم به من الحيل والمعنى السحر ادخل عليه الآلاف والالام للعهد لأنهم لما قالوا لما أتى به موسى انه سحر قال (ع) ما جئتم به هو السحر عن القراء (ان الله سيطلع) اي سيطلع هذا السحر الذي فعلتموه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) معناه ان الله لا يبيح عمل من قصد افساد الدين ولا يعضيه ويبطله حتى يظهر الحق من الباطل والحق من الباطل (ويحيى الله الحق) أي يظهر الله الحق ويحققه ويثبت به وينصر أهله (بكلمات) قيل في معناه اقوال ❦ أحدها ❦ ان معناه بوعد موسى «ع» وكان وعده النصر فأنجز وعده عن الحسن ❦ وثالثها ❦ ان معناه بكلامه الذي صيغ به معاني الآيات التي أتاهناب عن الجبائي ❦ ورابعها ❦ سبق من حكمة في الوحي المحفوظ بأن ذلك سيكون (ولو كره المجرمون) ظهور الحق وإبطال الباطل وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كاهم في حقهم وذلك على وجهين ❦ أحدهما ❦ بالحجة فهذه النصرة مستمرة على كل حال «والثاني» بالتنبؤ والتقرير وهذا يختلف بحسب المصلحة لأن المصلحة قد تكون بالتحلية تارة وبالطهارة أخرى

قوله تعالى (٨٣) فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَكِن الْمَسْرُوفِينَ (٨٤) وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ

إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِآيَةِ فَلَيْتَ نَوَكَلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٥) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٦) وَنَحْنُ بِرُجْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ أربع آيات

== الفتنه ==

الفتنة الجباة من نسل القبيلة وقد تقدم القول في أصلها ووزنها والفتنة أصلها البلية وهي معاملة تظهر الامور الباطنة يقال فتنه الذهب إذا أحرقت بالنار ليظهر الخالص وقوله يومهم على النار يغنون أي يحرقون لما فيه من انهار حالهم في الضلال وقوله والفتنة أشد من القتل مضاء التعذيب الرد عن الدين لما فيه من اظهار النصره اشد

== الإعراب ==

يا قوم حذف منه يا لإضافة اجزاء بالكسرة منها وهو في النداء احسن من اثباتها بقوة النداء على التشهير والفاء في قوله فقالوا فاء العطف وجواب الامر كما تقول قال السائل كذا قال للجيب كذا وانما جازت الفاء في الجواب ولم تميز الواو لأن الفاء ترتب من غير مهلة فهي مواهقة لمني وجوب الثاني بالاول وليس كذلك الواو

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه من آمن من قوم موسى (ع) فقال (فأمن لموسى) أي لم يصدق موسى في ما ادعى من النبوة مع ما اظهره من المعجزات الظاهرة (الا ذرية من قومه) أي اولاد آمن قوم فرعون وقيل أراد من قوم موسى (ع) وهم بنو اسرائيل الذين كانوا يصرون واختلف من قال بالاول وقيل انهم قوم كانت أمهاتهم من بني اسرائيل وآبائهم من القبط فاتبعوا أمهاتهم وأخوالهم عن ابن عباس وقيل انهم أناس ينسبون من قوم فرعون منهم امرأة فرعون ومومن آل فرعون وجارية وامرأة هي مشاطة امرأة فرعون عن عطية عن ابن عباس وقيل انهم بعض اولاد القبط لم يستجب آباؤهم موسى واختلف من قال بالثاني قيل هم جماعة من بني اسرائيل أخذهم فرعون لتعلم السحر وجعلهم من أصحابه فأمنوا بموسى عن الجبائي وقيل أراد مؤمني بني اسرائيل وكانوا ستمائة الف وكان يعقوب دخل مصر منهم باثني وسبعين انسانا فقالوا حتى بلغوا ستمائة الف وانما ساهم ذرية على وجه التصغير لضعفهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقال مجاهد أراد بهم اولاد الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء (على خوف من فرعون) يعني آمنوا وهم خائفون من معرفة فرعون (ومثلهم) ومن اشرافهم وروى ساهم قال الزجاج وإنما جازأ أن يقال ومثلهم لأن فرعون ذو اصحاب يأثروا له وقيل ان الضمير في مثلهم راجع إلى الذرية لأن آباؤهم كانوا من القبط وكانوا يخافون قومهم من القبط أن يصرفهم عن دينهم ويذبوهم (ان يغتنبهم) أي يصرفهم عن الدين يعني ان يمنحهم لمحة لا يمكنهم الصبر عليها فيصرفون عن الدين وكان جنود فرعون يذبون بني اسرائيل فكان خوفهم منه ومنهم (وان فرعون لعال في الأرض) أي مستكبر باغ طاغ في ارض مصر ونواحيها (وانه لمن السرفين) أي من المجاوزين الحد في الصيان لا تادعي الربوبية واسرف في القتل والغلب والاسراف التجاوز عن الحد في كل شيء (وقال موسى) قومه الذين آمنوا به (يا قوم

إِنْ كُتِمَ آمَتُمْ بِاللَّهِ، كَمَا تَظْهَرُونَ (فعلية توكلوا) إِنْ كُتِمَ مُسْلِمِينَ (أي فاستندوا أموركم) إِلَيْهِ إِنْ كُتِمَ مُسْلِمِينَ عَلَى الْحَقِّقَةِ وَإِنَّا أَعَادَ قَوْلَهُ إِنْ كُتِمَ مُسْلِمِينَ بِعَدْوِ قَوْلِهِ إِنْ كُتِمَ مُسْلِمِينَ بِاللَّهِ لِيُشِيرَ الْمَعْنَى بِاجْتِمَاعِ الصَّافِيَيْنِ الصَّادِقِينَ وَالْإِقْتِيَادِ أَيْ إِنْ كُتِمَ آمَتُمْ بِاللَّهِ فَاسْتَسْلَمُوا لِأَمْرِهِ وَفَائِدَةُ الْآيَةِ بَيَانُ وَجُوبِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ عِنْدَ نَزُولِ الشَّدَةِ وَالسَّلَامِ لِأَمْرِهِ فَهُوَ بِحَسَنِ تَدْبِيرِهِ وَانْقِطَاعِ الْإِلَهِ (قَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا) أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ عَنْ حَسَنِ طَاعَتِهِ لَهُ وَهُمْ قَالُوا اسْتَدْنَا أَمُورَنَا إِلَى اللَّهِ وَاقْتِنِ (وَبِنَا لَا تَهْلُنَا فَتَنَةُ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أَيْ لَا تُمْكِنُ الظَّالِمِينَ مِنْ ظُلْمَانَا بِمَا يَحْسِنَانَا عَلَى أَظْهَارِ الْإِنْصِرَافِ عَنْ دِينِنَا عَنْ مُجَاهِدٍ وَقِيلَ مَنَاهُ رَبَّنَا لَا تَظْهَرْ عَلَيْنَا فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ فَيَفْتِنُوا بَنِي الْكُفَّارِ وَيَقُولُوا لَوْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ لَمَا ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ عَنِ الْحَسَنِ وَابِي مُجَازٍ وَرَوَى زَوَادَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَابِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِنْ مَنَاهُ لَا تَسْلُطْهُمْ عَلَيْنَا فَتَفْتِنَهُمْ بِنَا وَفُجِنَا، وَخَلَصْنَا (بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) أَيْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَاسْتِمَادِهِمْ إِيَّانَا وَخَذَعَهُمْ جَعَانَتَهُ بِالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ وَالْمَعْنَى الْخَلِيسَةِ

قوله تعالى (٨٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يَبُوتَا وَأَجْعَلُوا يُيُوسُفَ نَبِيَّةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٩) قَالَ قَدْ أَجِيبْتُ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتِجِيبَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَسْلَمُونَ ثَلَاثُ آيَاتٍ

(—) (القرأة) —

قُرْآنُ ابْنِ عَامِرٍ وَلَا تَتَّبِعَنَّ خَفِيفَةُ النَّوْنِ وَالْبَاقُونَ بِالتَّشْدِيدِ

﴿ الْحَبِيبَةُ ﴾

مَنْ قُرَأَ بِالنُّونِ الشَّدِيدَةِ كَسَرُهَا لَوْ قَرَعَهَا بَدَأَ الْفَتْحُ فَشَبَّهَتْ نُونُ الْآخِثِينَ فِي رَجُلَانِ وَلَمْ يَبْعُدْ بِلَا نُونٍ السَّاكِنَةُ قَبْلَهَا لِسُكُونِهَا وَخَفِيفَتُهَا صَارَتْ الْمَكْسُورَةُ كَأَنَّهَا وَلِيتِ الْآفُ وَمَنْ قُرَأَ بِالتَّخْفِيفِ فَلَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَ خَفِيفَ التَّخْفِيفِ لِتَضَعِيفِ كَأَخْفَوْا رَبُّوَانُ وَغَوْهَا إِلَّا أَنَّهُ حَذَفَ الْأَوَّلِي مِنَ الْمُثْنَيْنِ كَأَبْدَلُوا الْأَوَّلِي مِنَ الْمُثْنَيْنِ فِي غَوْهَا بِرِطَابٍ وَدِيَارٍ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّ الْحَذْفَ لَوْ لَحِقَ الثَّانِيَةَ لَزِمَ الْإِتْقَانُ السَّاكِنِينَ وَالتَّقَاءُ السَّاكِنِينَ عَلَى هَذَا الْخِلَافِ غَيْرِ مَأْخُذٍ بِهِ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَإِنْ شُكَّ كَانَ عَلَى لَفْظِ الْخَيْرِ وَالْمَعْنَى الْأَمْرُ كَقَوْلِهِ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِمْ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا تَنْصَارُ وَالِدَةٌ بَوْلَهَا أَيْ لَا يَنْبَغِي ذَلِكَ وَإِنْ شُكَّ جَعَلْتُهُ حَالًا مِنْ اسْتِقْيَا وَالتَّقْدِيرُ اسْتِقْيَا غَيْرَ مُتَّبِعِينَ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ

فَلَا اسْقَى وَلَا يَسْقَى شَرِيبِي وَيُرْوِيهِ إِذَا أَوْدَتْ مَائِي
وَكُتُولُ الْفَرْزُوقِ

بِأَيْدِي رَجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سِيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكُنْ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سَلْتِ

— (الفتنة) —

تَبَوَّءَا أَيْ اتَّخَذَا بِقَالَ تَبَوَّءَا نَفْسَهُ بَيْنَا أَيْ اتَّخَذَهُ وَبَوَّاءَتْ هِيَ بَيْنَا أَيْ اتَّخَذَتْهُ لَهُ وَيَقَالُ إِنْ تَبَوَّءَ وَبَوَّءَ بِمَعْنَى

اي اتخذ بيتا مثل بدل وتبدل وخلص وتخلص قال ابو علي تبرء فعل يصدق إلى مفعولين واللام في قوله لقمكما كالتي في قوله ردف لكم ويقوي ذلك قوله واذا بونا لآل إبراهيم مكان البيت فدخلت اللام على غير المطاوع كما دخلت على المطاوع في قوله تبرءا لقمكما والطمس محو الاثر يقال طمس عيه اطمسها طمسا وطموسا وطمست الريح آثار الديار والطمس تنير إلى الدثور والدورس قال كعب بن زهير

من كل نضاجة الذفرى إذا عرقت عرضتها طامس الأعلام مجهول

﴿ الاعراب ﴾

مصر غير منصرفة لأنموث مرة ولوصفت لطفها كما تصرف هند لكان جائزا وترك الصرف اقبس وقوله يبرأ مفعول به وليس بظرف مكان لا اختصاصه والبيت هنا كالعرف في قوة تعالى لنبوءتهم من الجنة غرقا فلا يؤمنوا يحدل وجين من الاعراب والنصب والجزم فأما النصب ففيه وجان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون على جواب صيغة الأمر بالفاء ﴿ والاخر ﴾ ان يكون عطفا على ليضلوا اي ليضلوا فلا يؤمنوا وهذا قول المبرد وعلى هذا فيكون قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضا واما الجزم فيكون على وجه الدعاء عليهم وتقديره فلا آمنوا ومثله قول الاعشى

فلا يتبسط من بين عينك ما انزوى ولا تلقني إلا وأنفك راغم

(المعنى)

(واوحينا إلى موسى وأخيه) أي أمرناهما (ان تبرءا لقمكما بمصر يوتا) اي اتخذوا لمن آمن بكما بمصر يعني البلدة المعروفة بيوتا تسكنونها وتأوون اليها (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف في ذلك قيل لما دخل موسى مصر بعد ما اهلك الله فرعون أمروا باتخاذ مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وان يجعلوا مساجدهم قبالته أي الكعبة وكانت قبلتهم إلى الكعبة عن الحسن وتظيره في بيوت اذن الله ان ترفع الآية وقيل ان فرعون أمر بتخريب مساجد بني اسرائيل ومنهم من الصلاة فأمرؤا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلون فيها خوفا من فرعون وذلك قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي صلوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم وقيل معناه اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا عن سعيد بن جبير (واقبلوا الصلاة) أي أدبروها واطلبوا حل فطها (وبشر المؤمنين) بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب وانواع النعيم والاططاب لموسى (ع) عن ابي مسلم وقيل الخطاب لمحمد ﷺ (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وسلا) اي اعطيت فرعون وقومه (زينة) يزينون بها من الخي والياب وقيل الزينة الجمال وحصنة البدن وطول القامة وحسن الصورة (واموالا) يظنون بها في الحياة الدنيا وانما اعطاهم الله تعالى ذلك للإنعام عليهم مع ثمره من وجود الاستعداد (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اللام للعاقبة والمعنى وعاقبة امرهم انهم يضلون عن سبيلك ولا يجوز ان يكون لام الترض لانقاذ علمنا بالادلة الواضحة ان الله سبحانه لا يبعث الرسول ليأمر بالخلق بالضلال ولا يرشد ايضا منهم الضلال وكذلك لا يؤتمهم المال ليضلوا وقيل معناه لتلا يضلوا عن سبيلك فحذفت لا كقوله شهدنا ان تحولوا يوم القيامة أي لتلا يقولوا وحذف ذلك لدلالة الضل عليه وقيل انه لام الدعاء والمعنى ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال وانما قال ذلك لطمه بأنهم لا يؤمنون من طريق الوحي وفائدته اظهار التبرؤ منهم كما يلحق إبليس ويدل عليه انه اعاد قوله (ربنا اطمس على اموالهم) فسد ذلك

على انه اراد به الدعاء عليهم والمراد بالطمس على الأموال تغييرها عن جنتها - إلى جهة لا يتفق بها قال مجاهد
وقادة وعامة اهل التفسير صارت جميع أموالهم حجارة حتى السكر والفانيد (واشدد على قلوبهم مناهة فتم
على المقام يبلغم بعد اهلاك أموالهم فيكون ذلك اشد عليهم وقيل مناهة أمتهم بعد سلب أموالهم واهلكهم
وقيل انه عبارة عن الخذلان والطبع (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) قد ذكرنا وجوهه وقيل مناهة انهم
لا يؤمنون إلا بان الجاه حتى يروا العذاب وهم مع ذلك لا يؤمنون ايمان اختيار أصلاً ثم اخبر سبحانه انها جواب
لما الدعوة قال (قال) اي قال الله تعالى لموسى وهارون (قد اجيبتم دعوتكما) والداعي كان موسى «ع» لأنه
كان يدعو وكان هارون يؤمن على دعائه فساهموا معن عن معونة الربيع واي العالمة واكثر المفسرين ولأن معنى
التأمين اللهم استجب هذا الدعاء (فاستجيا) اي فأتينا على ما امرنا من دعاء الناس إلى الإيمان بالله تعالى
والانذار والوعظ قال ابن جريج مكث فرعون بعد هذا الدعاء اربعين سنة وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع»
(ولا تبمان شبل الذين لا يعلمون) نهاما سبحانه عن ان يتبما طريقة من لا يؤمن بالله ولا يبره ولا يعرف
اتباهه عليهم السلام

قوله تعالى (٩٠) وَجَاوَزْنَا بَيْنَ ليراثيلَ الْبَحْرِ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَيْتًا وَعَدُوًّا
حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ
السَّالِكِينَ (٩١) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩٢) فَأَلْقَوْا نَجِيحَكَ
يَبْدُوكَ لِتَكُونَ مِنَ الْخَلْقِ آيَةً وَإِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَتَافِلُونَ ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

قرأ اهل الكوفة غير حاصم آمنت انه يكسر الالف والباقون انه بالفتح وروي من ابي جعفر وانفس الان
بإلقاء حركة المنزة على اللام وحذف المنزة وقرأ نجيحك خفيفة وتقبه وسهل والباقون نجيحك بالشد
وفي الشواذ قراءة الي بن كعب وعبد بن السميع نجيحك بالحاء
(الحبة) -

قال ابو علي من قرأ آمنت انه بالفتح فلأن هذا الفعل يصل بمجرى البحر في نحو يؤمنون بالنبي فلما حذف
حرف البحر وصل الفعل إلى انفسار في موضع نصب او جر على الخلاف في ذلك ومن قرأ آمنت انه بالكسر
حده على القول المضمر كأنه قال آمنت وقلت انه واضار القول في هذا النوع كثير وقال علي بن عيسى من كسر
إنه جعل بدل من آمنت ومن فتح جعل معول آمنت واما الآن فان لام المعرفة إذا دخلت على كلمة اولها المنزة
فحذفت المنزة كان في تخفيفها وجهان ﴿احدها﴾ ان يلقى حركتها على اللام وتقرهزة الوصل فيقال الحبر
وقد حكى ذلك السيوري وحكى ابو الحسن ان اناسا يقولون لحبر فيحذفون المنزة التي للوصل قال ﴿ثاني﴾
فقد كنت تخفني حب سمراء حقيقة فيج لان منها بالذي أنت بانح
فأسكن الحاء لا كانت اللام متحركة ولو لم يمتد بالحركة كما لم يمتد بها في الوجه الاول لحرك الحاء بالکسر
كما يحرك في بيع اليوم ونجيحك ونجيحك في مبي ولحد اي تلقك على نية من الارض قال اوس بن حجر
فمن بنجوته كمن بمعوته والمستكن كمن عيشي بقرواح
والقرواح حيث لا ماء ولا شجر ومن قرأ نجيحك بالحاء فإنه تفعلك من الناحية اي ينصلك في ناحية ومن

نصبت الشيء فتحتى أي باعدته فتباعد فصارت في ناحية قال الحطيت

فتحتى فالجلى منى بعيداً أراح الله منك العالين

﴿الفة﴾

المجاورة الخروج من الحد من إحدى الجهات الأربع والاتباع طلب اللحاق بالأول اتبعه اتباعاً وتبعه بغير وحكى أبو عبيدة من الكسائي أنه قال إذا أريد أنه اتبعهم خيراً أو شراً قالوا يقطع الهمة وإذا أريد به أنه اقتدى بهم واتبع أثرهم قالوا بتشديد التاء ووصل الهمة والبنى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو والعدوان الظلم والنجوة الأرض التي لا يعلوها السيل وأصلها من الارتفاع

﴿الأعراب﴾

بفيا وعدوا مقول له وقيل انها مصدران في موضع الحال أي في حال البنى والعدوان الآن فصل بين الزمان الماضي والمستقبل مع أنه إشارة إلى الحاضر ولهذا بني كما بني ذا وعرف الآن بالالتواء وامر يتضمن حرف التثنية لأن ما مضى بمنزلة المضارع في المعنى في أنه ليس له صورة والحاضر في معنى المصارع في صفة الصورة والماضي في قوله الآن محذوفه وتقدمه الآن آمنت

— المعنى —

ثم بين سبحانه مآل آل فرعون وقومه فقال (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر) أي جاوزناهم البحر حتى جاوزوه سالمين بأن يستأجرهم البحر وفرقنا لهم الماء اتني عشر فرقاً (فاتبعهم فرعون وجنوده بنياً وعدواً) أي ليخربوا عليهم ويظلموهم وذلك أن الله سبحانه لا أجاب دماء موسى امره بإخراج بني إسرائيل من مصر لئلا يخرج وتبعهم فرعون وجنوده مشرقين حتى انتهوا إلى البحر وامر الله سبحانه موسى (ع) فضرب البحر بصاه فانفلق اتني عشر فرقاً وصار لكل سبط طريق يابس فارتفع بين كل طريقين الماء كالجليل وصار في الماء شبه الحروق فجعل بعضهم ينظر إلى بعض فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر راوا البحر بتلك الهيئة فهاوا دخول البحر وكان فرعون على حصان ادهم فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس وديق وخاض البحر وميكائيل يسوقهم فلما شم ادهم فرعون ريح فرس جبريل (ع) انسل خلفه في الماء واقتحمت الحيرول خلفه فلما دخل آخرهم البحر وهم أولهم ان يخرج انطبق الماء عليهم (ع) حتى إذا أدركه الفرق لم يبق له وحل إليه الفرق وايقن بالهلاك (ع) قال آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وانا من المسلمين (ع) وكان ذلك إيماناً إلهياً لا يستحق به الثواب فلم ينفع إيمانه (الآن) وقد عصيت قبل فيه اضمار أي قيل له الآن آمنت حين لا ينفع الإيمان ولا يقبل لأنه حال الإلطاء (وقد عصيت) بترك الإيمان في حال ما ينفعك الإيمان فعلا آمنت (قبل) ذلك (وكنتم من القسدين) في الأرض يقتل المؤمنين وادعاء الإلهية وأنواع الكفر واختلف في مقاتل هذا القول فقيل قاله جبريل (ع) وقيل ذلك كلام الله تعالى قاله له على وجه الإهانة والتوبيخ وكان ذلك معجزة لموسى عليه السلام وروى علي بن إبراهيم بن هاشم في مسنده عن الصادق عليه السلام قال ما أتى جبريل رسول الله ﷺ إلا كتبني حزينا ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون فلما امر الله سبحانه بنزول هذه الآية نزل وهو ضاحك مستبشر فقال له حبيبي جبريل ما أتيتني إلا وبئت الحزن في وجهك حتى الساعة قال نعم يا محمد لا غرق والله فرعون قال آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل فأخبرت حاة فرضتها في فيه ثم قلت له الآن وقد عصيت قبل وكنتم من القسدين ثم خفت ان تلحقه الرحمة من عند الله فيعذبني على ما فعلت فلما كان الآن وأمرني أن أؤذي اليك ما قلته انا لفرعون آمنت وعلمت ان ذلك كان لله رضا (فالويلم نعيمك بيدك) اختلف في مناه فقال أكثر المفسرين مناه لأن فرق فرعون وقومه أكثر بعض بني إسرائيل فرق فرعون وقالوا هو اعظم شأناً من ان يفرق فأخرجهم الله حتى دأوه فذلك قوله فالويلم

ننجيك اي نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرقع بيدك أي بجسدك من غير روح وذلك انه طفا عربا وقيل معناه مخلصك من البحر وانت ميت والبدن الدرع قال ابن عباس كانت عليه درع من ذهب يعرف بها فالمنى زلفك فرق الماء يدعك المشهورة ليعرفك بها (تكون لمن خلقك آية) اي تكون تكاللا لمن خلقك فلا يقولوا مثل مقاتل من الكلبي وقيل انه كان يدعي انه رب قبين امره وأنه عبد وفيه من الآية انه فرق مع القوم وخرج هو من بينهم وكان ذلك آية عن الزجاج (وان كثيرا من الناس عن آياتنا غافلون) يعني ان كثيرا من الناس عن التفكير في دلالاتنا والتدبر لحجبتنا وبيئاتنا غافلون اي ذاهبون

قوله تعالى (٩٣) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَبِمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ آيَةً

— (الاعراب) —

المبوء يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون مكانا ويكون المفعول الثاني من بوءت على هذا محذوف كما حذف من قوله وبوأك في الأرض ويجوز ان ينتصب المبوء نصب المفعول به على الاتساع وان كان مصدرا فقد أجاز ذلك سيبويه في قوله أما لضروب فأنت ضالاب

— (المعنى) —

ثم بين سبحانه حال بني اسرائيل بعد اهلاك فرعون فقال (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوء صدق) اعبر سبحانه عن نعمة عليهم بعد ان اهانهم واهلك عدوهم يقول مكانهم مكانا محمودا وهو بيت المقدس والشام واذا قال مبوء صدق لان فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب وقيل معناه انزلناهم في موضع خصب وامن يصدق فيا يدل عليه من جلاله النعمة وقال الحسن يريد به مصر وذلك ان موسى عبر ببني اسرائيل البحر ثانيا ورجع الى مصر وتبوأ مساكن آل فرعون وقال الضحاك هو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات) اي مكانهم الاشياء الفينة وهذا يدل على سعة ارزاق بني اسرائيل (فاختلفوا حتى جاءهم العلم) معناه فاختلفوا في تصديق محمد ﷺ يعني اليهود كانوا مقرين به قبل مبث حتى جاءهم العلم وهو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ من ابن جاس وقال الفراء العلم محمد ﷺ لأنه كان معلوما عندهم ينته فلما جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم وقيل ان معناه فاختلف بنو اسرائيل الا من بعد ما جاءهم العلم باحق في يد موسى وهارون فلمهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجي موسى فلما جاءهم آمن به بعضهم وثبت على الكفر بعضهم فصاروا مختلفين (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا اخبار منه تعالى بأنه الذي يتولى الحكم بينهم يوم القيامة في الأمور التي يختلفون فيها فلن مع بقاء التكليف لا يرفع الخلاف قوله تعالى (٩٤) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَتَذَّبَأَكَ الْحَقُّ مِنَ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٥) وَلَا تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٦) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٧) وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

قد تقدم اختلاف القراء في كلمة وكللت والوجه في ذلك

❦ الفقه ❦

الامتناع طلب الشك مع ظهور الدليل وهو من مري الضرع وهو مسجل في قوله تعالى لا تعجل بالحق حتى ياتوا بك بالبر

— (الاعراب) —

النون في قوله فلا تكونن نون التأكيد وهي لا تدخل في غير الواجب لأنك لا تقول أنت تكونن ودخلت في القسم على هذا الوجه لأنه يطلب بالقسم التصديق وإنما بنى الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلتين كل واحدة مركبة مع الأخرى مع أن الأولى ساكنة واقتضت حركة بناء. لالتقاء الساكنين ولو جاءتهم كل آية قالوا أفتنسى أنت كل لأنها مضافة إلى مؤنث ولقطة كل للمذكر والمؤنث سواء. والرواية في الآية رواية العين لأنها تعدت إلى مفعول واحد والمذهب وإن كان الياً وهو لا يصح أن يرى فلو أنه تفرق أسبابه فهو بمنزلة ما يرى

— المعنى —

ثم بين سبحانه صحة نبوة محمد ﷺ فقال (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فمثل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) اختلف المفسرون في معناه على أقوال أولها قال الزجاج أن هذه الآية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها وفي السورة ما يدل على بيانها فإن الله سبحانه يحاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالعنى قالون كنتم في شك فاسألوا والدليل عليه قوله في آخر السورة يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا ابعث الذين تصبون من دون الله ولكن ابعث الله الذي يتوفاكم الآية فأعلم الله سبحانه أن نبيه عليه السلام ليس في شك ومثل هذا قوله يا أيها النبي إذا طعنتم النساء فقال طعنتم والخطاب للنبي ﷺ وحده وهذا مذهب الحسن وابن عباس وأكثر أهل التأويل وروى عن الحسن وقادة وسعيد بن جبير أنهم قالوا إن النبي ﷺ لم يشك ولم يسألوا هو المراد أيضاً من أبي عبد الله (ع) ﴿وتأنيها﴾ أن الخطاب لرسول الله ﷺ وإن لم يشك وطعن الله سبحانه أنه غير شاك ولكن الكلام خرج مخرج التقرير والافهام كما يقول القائل لبعده أن كنت مبدي فأطعن ولا يبعث أن كنت والذي تقتطع علي ولولده أن كنت ابني فبرني يريد بذلك المبالغة وربما خرجا في المبالغة ما يستحيل أن يكون بكك السماء لموت فلان أي لو كان بككي ساء على ميت بكك عليه وكذلك هنا يكون للمعنى لو كنت ممن يشك فشككت فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك عن الفراء وغيره ﴿وتأنيها﴾ أن المعنى فإن كنت أيها المخاطب أو أيها السامع في شك مما أنزلنا إليك على لسان نبينا محمد ﷺ فيكون الخطاب لغيره ﴿ورابعاً﴾ ما ذكره الزجاج أنه يجوز أن يكون إن في معنى ما فيكون المعنى ما كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب أي لساناً نريد بأمرك أن تسأل لأنك شاك ولكن لتزداد أيماناً كما قال إبراهيم (ع) حين قال له أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالزيادة في التعريف ليست ما يعطل صحة العقيدة وإنما هي سؤال أهل الكتاب مع جحد أكثرهم لنبوته فيه قولاً ﴿أحدهما﴾ أنه أمره بأن يسأل مؤمنين أهل الكتاب كمحمد الله بن سلام وكعب الأحبار وتيسم الداروي واشباههم من ابن عباس ومجاهد والضحاك (ع) والآخرون أن المراد سلوهم عن صفة النبي ﷺ ليسر به في كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفة وهذا القول أقوى لأن هذه السورة مكية وابن سلام وغيره إنسا سلموا بالمدينة وقال الزهري أن هذه الآية نزلت في السماء فإن صح ذلك فقد كفي المؤمنة ورواه أصحابنا أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام وقيل أيضاً أن المراد بالشك الضيق والشدة بما ينشأ من نعمهم وإذا هم أي إن طقت ذرعاً بما تلقى من أذى قومك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك كيف صبر الأنبياء على أذى قومهم فأصبر كذلك (قد جاءك الحق من ربك) يعني بالحق القرآن والإسلام (فلا تكونن من المشركين) أي الشاكين (ولا تكونن من الذين

كذبوا بأيات الله (أي من جملة من يبعد آيات الله ولا يصدق بها) فتكون من الحاسرين (أي فأنك إن فعلت ذلك كنت من الحاسرين ولم يقل من الكافرين لأن الإنسان قد علم شدة تحمره وتأسفه على خسران ماله فكيف إذا خسر دينه ونفسه (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) معناه إن الذين أخبر الله عنهم ماله فكيف إذا خسر دينه ونفسه (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) معناه إن الذين أخبر الله عنهم بغير شرط أنهم لا يؤمنون ففى الإيمان عنهم ولم ينف عنهم القدرة عليه فإذن نفي القبل لا يكون نفيًا للقدرة عليه كما أن الله سبحانه نفى عن نفسه مغفرة المشركين ولم يكن ذلك نفيًا لقدرة على مغفرتهم وقيل معناه إن الذين يجب عليهم سخط ربك عن قتادة وقيل معناه يجب عليهم وعيد ربك (ولو جاءتهم كل آية) أي كل معجزة ودلالة ما يقتضونها (حتى يروا العذاب الأليم) الموجع فيصبروا ملجأين إلى الإيمان وفي هذا اعلان بأن هؤلاء الكفار لا لطف لهم في المعلوم يؤمنون عنده إيمان اختيار

قوله تعالى (٩٨) فلولا كانت قرية آمنت فنضنا إيمانها الإقوم يونس لما آمنوا كشفنا

عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتاعهم إلى حين آية

﴿الإهراق﴾

لولا معنى هلا وهي تستعمل على وجهين ﴿أحدهما﴾ التضييق ﴿والآخر﴾ التائب كقولك في التضييق هلا تلي زيدا حاله في وفي التائب هلا امتنع من الفساد الذي دبت إليه قال الشاعر

تمدون عقر النيب أفضل مجد كم بني ضو طرى لولا الكمي المقنعا

أي هلا تقرون الكمي وكانت قرية. كان هذه هي التامة لا تحتاج إلى خبر وآمنت فنضنا إيمانها صفة لقرية لأن الجبل قد تقرم مقام الصفة للتكرة والاقوم يونس استثناء متصل واقم على المعنى لا على ظاهر اللفظ فكأنه قال هلا آمن أهل قرية والجلبع مشتركون في هذا التائب وقوم يونس مشي من الجميع ومثل هذا الاستثناء في قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن انجينا منهم وقال الزجاج الا قوم يونس استثناء منقطع وتقديره لكن قوم يونس لما آمنوا ومثله قول النابغة

وقفت فيها أصيلا لا أساقها عيت جوا بواوما بالربيع من أحد

الا اوارى لا لا ياما أينها والنوي كالحوض بالمطلومة الجلد

وحكى القراء في البيت لا أن ما أينها وقال جسم الشاعر بين ثلاثة أحرف في النفي لا وإن وما وقرا بعضهم يونس ويوسف بكسر النون والسين أراد أن يجعل الاسمين عريين مشتقين من آسف وأنس وهو شاذ

﴿المضى﴾

لما ذكر سبحانه أن إيمان فرعون لم يقبل عند معارضة العذاب وصل ذلك بذكر إيمان قوم يونس قبل نزول العذاب فقال فلولا كانت قرية آمنت فنضنا إيمانها الا قوم يونس (قيل إن معناه هلا كان أهل قرية آمنوا في وقت ينفعهم إيمانهم. أعلم الله سبحانه أن الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب ولا عند حضور الموت الذي لا يشك فيه ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب عن الزجاج قال وقوم يونس لم يقع بهم العذاب إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب فمثلهم مثل الغليل الذي يثيب في مرضه وهو يرجو النافية ويخاف الموت وقيل إن معناه لم يكن فيها خلا أن يؤمن أهل قرية بأجمعهم حتى لا يشذ منهم أحد الا قوم يونس هلا كانت القرى كلها هكذا من الحسن وقيل معناه فما كانت قرية آمنت فنضنا إيمانها يريد بذلك لم يكن هذا معروفا لأمة من الأمم كثر ثم آمنت عند نزول العذاب وكشف عنهم أي لم أقل هذا بأمة قط الا قوم يونس لما آمنوا عند نزول العذاب كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم وهو قوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) عن

قتادة وابن عباس في رواية عطاء. وقيل انه اراد بقرله فلولا كانت قرية آمنت قوم نوح فإنه قد جاءهم المذابح يوما فيوما كما جاء قوم يونس الا ان قوم يونس استذكروا ذلك بالتوبة وارتكوا تلك المستند كواصف اهل القرية انهم سبوا قوم يونس ليرفعهم به بعض التعريف اذ كان اخبر عنهم على سبيل الاخبار عن النكر عن الجاني وهذا الذي ذكره انما كان يصح لو كان الا قوم يونس مرفوعا فكان يكون صفة القرية او بدلا منه على معنى ملاكان قوم قرية آمنوا الا قوم يونس ولم يقرأ احد من القراء بالرفع (ومثلهم الى حين) وهو وقت انقضاء آجالهم

(- القصة -)

وكان من قصة يونس على ما ذكره سعيد بن جبير والسدي ووهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا يبنونى من ارض الموصل وكان يدعومهم الى الاسلام فابوا فأخبرهم ان المذابح مصبحهم الى ثلاث ان لم يتوبوا فقالوا ان لم نجرب عليه كذا فانظروا فلان بات فيكم تلك الليلة فليس بشي وإن لم يبت فاعلموا ان المذابح مصبحكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس من بين اظهروهم فلما اصبحوا يتشاهم المذاب قال وهب اغامت السماء غيبا اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم وقال ابن عباس كان المذاب فوق رؤوسهم قدر ثلثي ميل فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا الى الصيد بأنفسهم ونسائهم وصيانتهم ودوابهم ولبسا السرح وانظروا الى الإنسان والتوبة واخلصوا الذين فرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والآنظم فعن بعضا الى بعض وعلت اصواتها واختلطت اصواتها باصواتهم وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم المذاب بعد ما اظلمهم قال عبد الله ابن مسعود بلغ من توبة اهل نينوى ان يوادوا المظالم بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الجير وقد وضع عليه اساس بنيانه فيقتله ويرده وروي عن ابي مخنف انه قال لما غشي قوم يونس المذاب مشوا الى شيخ من بيعة طابهم فقالوا له نزل نبي المذاب فيا ترى قال قولوا يا حي يا قيوم الموتى يا حي لا اله الا انت فقالوا فانكشف عنهم المذاب وروي من علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن جميل قال قال ابو عبد الله (ع) كان فيهم رجل اسمه مليح عابدا آخر اسمه دوييل عالم وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهيه ويقول له لا تدع عليهم فان الله يستجيب لك ولا يجب هلاك عبادك فقبل يونس قول العابد فدعا عليهم فادعى الله تعالى اليه انه يأتيهم المذاب في شهر كذا في يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم فلما كان اليوم الذي نزل بهم المذاب قال لهم العالم افزعوا الى الله فله يومحكم ويزد المذاب منكم فخرجوا الى المغارة وفرقوا بين النساء والاولاد وبين سائر الحيوان والاولاد هائموا بكروادعوا فقلوا فصرف عنهم المذاب وكان قد نزل بهم وقرب منهم وور يونس على وجهه مخاطبا كما حكى الله تعالى عنه حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا سفينة قد شحنت وادادوا ان يدفعوها فسالهم يونس ان يجعلوه فعلوه فلما توسط البحر بمت الله عليهم حوتا عظيما فحس عليهم السفينة فقاموا فوقع من بينهم السهم على يونس فأخرجوه فألقوه في البحر فالتهم الحوت وور يفي الماء. وقيل ان الملايين قالوا نفزع فسن اصابته القرعة القيامة في الماء فالتهم الحوت فادعى الله ابقا فوتمت القرعة سبع مرات على يونس فقام وقال انا الابد الا يقى والقي نفسه في الماء فالتهم الحوت فادعى الله الى ذلك الحوت لاتؤذ شجرة منه فاني جعلت بطنتك سجدة ولم اجعل طعامك فلبث في بطنه ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعين يوما وقد سأل بعض اليهود امير المؤمنين عليا عليه السلام عن سجن طاف اقطار الارض بصاحبه فقال له يا يهودي هو الحوت الذي حبس يونس في بطنه فدخل في بحر قزقم حتى خرج الى بحر مصر ثم سار منها الى بحر طبرستان ثم خرج من الدجلة قال عبد الله بن مسعود ابتلع الحوت موت اخر فأمر به الى قوار الارض وكان في بطنه اربعين ليلة فنأدى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب

الله له قاهر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالقرع المشط فأثبت الله عليه شجرة من يتعطين فجعل يستظل تحتها ووكّل الله به وعلا يشرب من لبنها فيست الشجرة فسكى عليها فادعى الله تعالى اليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون احدث ان اهلكهم فنجح يونس فإذا هو بسلام يرعى فقال من أنت قال من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فاخبرهم التلام ورد الله عليه بدنه ورجع الى قومه وآمنوا به وقيل انه (ع) ارسل الى قوم غير قومه الاولين

قوله تعالى (٩٩) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْذِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (١٠٠) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرُّجُوسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ آيَاتان

﴿ التّراة ﴾

قرأ ونجمل بالنون حاد ويحیی من ابی بکرو والبقون بالیا.

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالنون فآمنه ابتداء بالإخبار من الله ومن قرأ بالیا. فلأنه تقدم ذكر الله تعالى فسكى عنه

﴿ الة ﴾

المشيئة والارادة الاثر والاختيار نظائر ولما يختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بين في موضعه قال علي بن عيسى النفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ونفسه وذاته واحد إلا انه قد يوسد بالنفس ولا يوسد بالذات والنفس مأخوذة من النفاسة

— (الاعراب) —

كلهم تأكيد لمن وجما نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

لا تقدم ان إيمان الملأ غير نافع بين سبحانه ان ذلك لو كان يضم لآمره اهل الارض عليه فقال (ولو شاء ربك) يا محمد (لا من من في الأرض) أي لا من أهل الأرض (كلهم جميعاً) زمناه الاخبار عن قدرة الله تعالى وانه يقدر على ان يكره الحق على الايمان كما قال ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت اصنامهم لها خاضعين ولذلك قال بعد ذلك (أفأنت تكرر الناس حتى يكونوا مؤمنين) زمناه انه لا ينبغي ان تريد اكرامهم على الايمان مع انك لا تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريد له لأنه ينافي التكليف ولأراد بذلك تسلية النبي ﷺ وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على إيمانهم عنه وفي هذا ايضاً دلالة على بطلان قول المجبرة انه تعالى لم يزل كان شاكياً وانه لا يوصف بالقدرة على ان يشاء لأنه تعالى اخبر انه لو شاء لقد لكن لم يشأ فذلك لم يوجد ولو كانت مشيئة انزالية لم يصح تعليلها بالشرط فصح ان مشيئته فعلية ألا ترى انه لا يصح ان يقال لو علم سبحانه ولو قدر كما صح ان يقال لو شاء ولو اراد (وما كان لنفس ان تؤمن إلا بإذن الله) معناه انه لا يمكن احد ان يؤمن إلا بإطلاق الله تعالى له في الايمان وتكليفه منه ودعائه اليه با خلق فيه من العقل الموجب لذلك وقيل ان اذنه هاهنا امره كما قال يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم عن الحسن والجبائي وحقيقة الاذن المطلقة في الفصل بالأمر وقد يكون الاذن بالإطلاق في الفعل برفع الشبهة وقيل ان اذنه هنا علمه اي لا تؤمن نفس إلا بعلم الله من قولهم اذنت لكذا إذا سمعته وعلته واذنته علمته فيكون خيرا

من عليه سبحانه لجميع الكائنات ويجوز ان يكون مبنى اعلام الله للمكلفين بفضل الايمان وما يدعوهم إلى فعله ويمنهم عليه (ويحمل الرجز على الذين لا يقولون) معناه ويحمل المذاب على الذين لا يتذكرون حتى يقولوا فكأنهم لا يقول لهم من قتادة وابن زيد وقيل معناه ويحمل الكفر عليهم أي يحكم عليهم بالكفر وينهم عليه عن الحسن وقيل الرجز النضب والسخط عن ابن عباس وقال الكسائي الرجز التذو والرجز والرجس واحد قال ابو علي وكان الرجز على ضربين ﴿احدهما﴾ ان يكون في معنى المذاب ﴿والآخر﴾ ان يكون بمعنى القدر والنصب أي يحكم بأنهم رجز كما قال سبحانه انما المشركون نجس

قوله تعالى (١٠١) قُلْ اَنْظُرُوا مَا ذِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا نُنْفِى الْاَيٰتِ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُوْنَ (١٠٢) قَهْلَ يَنْتَظِرُوْنَ اِلَّا مَثَلِ اَيَّامِ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاتَنظَرُوا نَفْسِيْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِيْنَ (١٠٣) ثُمَّ تَنجِيْ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِيْنَ ثلاث آيات

(- القراءة -)

قرأ الكسائي برواية نصير ويعقوب برواية روح وزيد ثم تنجي رسلنا خفيفة ودوي عن روح التشديد أيضا فيه والباقر تنجي بالتشديد وقرأ الكسائي وحض عن حاصم ويعقوب وسهل تنجي المؤمنين خفيفة والباقر تنجي بالتشديد

﴿الحجة﴾

حجة من قال تنجي قوله فأنجاه الله من النار وحجة من قال تنجي قوله ونبيين الذين آمنوا وكلاما حسن قال الشاعر ونجى ابن هند سابع ذو خلافة
أجش هزيم والرماح دوان

﴿الفتنة﴾

النظر طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب ادراكه بالعين والتدبر جمع تدبر وهو صاحب التدبر والانتظار هو الثبات لتوقع ما يكون من الحال تقول انتظري حتى الحلق ولو قلت توقضي لم تكن قد أمرته بالثبات والمثل في المجلس ما سد احدهما مسد صاحبه فإيا يرجع إلى ذاته والمثل في غير المجلس ما كان على معنى يقربه من غيره كقربه من جده كشبهه أعمال الكفار بالرباب والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الارتقا عن الملاك وكذلك السلامة مأخوذة من ابطاء الشيء من غير نقصة اسلمته إليه اذا أعطيته سلا من غير أفة

﴿الأعراب﴾

وجه التشبيه في كذلك انجاة من بقي من المؤمنين كنجاة من مضى في آتة حق على الله واجب لهم ويحمل ان يكون العامل في كذلك تنجي الأول وتقديره تنجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء ويحمل ان يكون العامل فيه تنجي الثاني وحقا نصب على المصدر أي يحق حقا وقيل انه نصب على الحال وان كان قظه لفظ المصدر عن أبي مسلم قال جامع العلوم النجوي الضمير ويجوز ان ينصب حقا بدلا من كذلك او وصفا ولا يجوز ان ينصب كذلك وحقا جميعا بقوله تنجي رسلنا لأن الفعل الواحد لا يصل في مصدرين ولا في حالين ولا في استثناءين ولا في مفعولين معها وقد بين ذلك في موضعه فإن جعلت كذلك من صلة تنجي وجعلت حقا من صلة قوله تنجي المؤمنين أي تنجي المؤمنين حقا كان الوقت على كذلك

﴿المنى﴾

ثم بين سبحانه ما يزيد في تنبيه القوم وارشادهم فقال (قل) يا محمد إن يسألك الآيات (انظروا ماذا في السماوات والأرض) من الدلائل والبر من اختلاف الليل والنهار ومجاري النجوم والأفلاك وما خلق من الحياض والبحار وأنبأ من الأشجار والثمار وأخرج من أنواع الحيوانات فإن النظر في أفرادها وجملتها يدعو إلى الإيمان وإلى معرفة الصانع وحججه وعلوه وقدرته وحكمته (وما تنزي الآيات والنذر من قوم لا يؤمنون) مناه وما تنزي هذه الدلائل والبراهين الواضحة مع كثرتها وظهورها ولا الرسل المخوفة عن قوم لا يظنون في الأدلة تفكرا وتدبرا ولا يريدون الإيمان وقيل ما تنزي مناه أي شيء تنفي عنهم من اجتلاب نعم أو دفع ضرر إذا لم يستدلوا بها فيكون ما للاستيفهام وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية حثف بها وقال وما تنفي الحجج عن قوم لا يقبلوها وقال أبو عبد الله عليه السلام لا أسرى برسول الله ﷺ جبريل بالبراق فركبها فأتى بيت المقدس فلقى من لقي من الأنبياء ثم رجع فأصبح يحدث أصحابه أني أتيت بيت المقدس ولقيت اخواني من الأنبياء فقالوا يا رسول الله كيف أتيت بيت المقدس إليه قال جاءني جبرائيل بالبراق فركبها وآية ذلك أني مرت بعر لآني سفان على ماء لبني فلان وقد اضلوا جلاهم احمر وهم في طلبه فقال القوم بعضهم لبعض انما جاءه ركب يسرع ولكنكم قد أتيتهم الشام وعرفتموها فأسألوهم عن أسواقها وأربابها وتجارها فأسألوهم عن ذلك وكان ﷺ إذا سئل من الشيء لا يعرفه شئ ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه قال فيينا هو كذلك إذ الله جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله ﷺ فإذا هو بالشام فقالوا له أين بيت فلان ومكان كذا فأجابهم في كل ما سأله عنه فلم يؤمن منهم إلا قليل وهو قول الله تعالى وما تنزي الآيات والنذر من قوم لا يؤمنون ثم قال أبو عبد الله (ع) فتعود بالله أن لا تؤمن بالله آمنا بالله ورسوله (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم) مناه فهل ينتظر هؤلاء الذين أمروا بالإيمان فلم يؤمنوا وبالنظر في الأدلة فلم ينتظروا إلا العذاب والهلاك في مثل الأيام التي هلك من قبلكم من الكفار فيها قال قتادة أراد به وعاقب الله في جاد ونمود وقوم نوح جبريل عن الملاك بالأيام كما يقال أيام فلان يراد به أيام دولته وأيام محنته والفتن لفظ الاستفهام والمراد به النفي وتقديره ليس ينتظرون إلا ذلك (قل فانتظروا إلي معكم من المنتظرين) أي قل يا محمد لهم فانتظروا ما وعدنا الله من العذاب فلوني منتظر معكم من جميع المنتظرين لا وعد الله به (ثم تنجي رسلا والذين آمنوا) من بينهم وفصلهم من العذاب وقت نزوله وقيل من شرور أعمالهم ومكرهم (كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) قال الحسن مناه كنا إذا أهلكنا أمة من الأمم الماضية نحيينا بينهم ونحيينا الذين آمنوا به أيضا كذلك إذا أهلكنا هؤلاء المشركين نحييناك يا محمد والذين آمنوا بك وقيل مناه كذلك حقا علينا أي وأجابا علينا من طريق الحكمة تنجي المؤمنين من طباب الآخرة كما تنجيهم من عذاب الدنيا وقال أبو عبد الله (ع) لأصحابه ما يفسدكم من أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنه من أهل الجنة إن الله تعالى يقول كذلك حقا علينا تنجي المؤمنين

قوله تعالى (١٠٤) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَكَّلُكُمْ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٥) وَأَنْ أَقِيمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ (١٠٧) وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْ لِي فِتْنًا فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ أربع آيات

* اللغة *

الشك وعرف في الحق وتيقظه كمن يشك في كون زيد في الدار فإنه لا يكون لإحدى الصفتين عنده مزية على الأخرى فيقت وهو معنى غير الاعتقاد عند أبي علي الجبائي والي هاشم ثم رجع عنه أبو هاشم وقال ليس بمعنى وهو اختيار القاضي والثوري قبض الشيء على التلم والاكامة نصب الشيء وتيقظه الاضجاع وأقام بالمكان استمر فيه كاستمرار القيام في جهة الانتصاب والمهسة والمطابقة والمجامعة نظائر وضعا المبينة والكشف رفع السائر الماتمن من الإدراك فكان الضر هنا سائر جمع من إدراك الإنسان .

(سـ) (الاعراب) —

ان كنتم في شك شرط وجوابه في قوله لا ابد وإما صح ذلك لأن مناه ان كنتم في شك فلا تطمئني في تشكيكي حتى ابد غير الله كعبادتكم

* المعنى *

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ بالبراءة من كل معبود سواه فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني) أسوأ أم لا (فلا أريد الذين تصيدون من دون الله) لشككم في ديني (ولكن أريد الله الذي يتوفاكم) أي يقدر على إماتتكم وهذا يتضمن تهديدا لهم لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم ومضى قيل كيف قال ان كنتم في شك من ديني مع اعتقادهم بطلان دينه فاجابه من وجوه **أحدها** **الثاني** ان يكون التقدير من كان شاكا في أمري فهذا حكمه **والثاني** أنهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدونه في أنفسهم عند ورود الآيات **والثالث** ان فهم من كان شاكا قلب ذكرهم (وامر ان اكون من المؤمنين) أي وامرني ان اكون من المصدقين بالترديد واخلص العبادة له (وان اقم وجهك) هذا حلف على ما قبله فكانه قال وقيل لي واقم وجهك (فدين) أي استقم في الدين بإقبالك على ما امرت به من القيام بأعباء الرسالة وتحمل امر الشريعة بوجهك وقيل معناه وأقم وجهك في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة (حقيقا) أي مستقيا في الدين (ولا تكونن من المشركين) هذا نهي عن الاشتراك مع الله سبحانه غيره في العبادة (ولا تدع من دون الله ما لا يضرك) ان اطلعت (ولا يضرك) ان صيته وتركته أي لا تدعه ألما كما يدعو المشركون الأوثان آفة وإلما قال ما لا يضرك ولا يضرك مع الله لو وقع وضر لم تحسن عبادته ايضا لأمرين **أحدهما** ان معناه مالا يضرك تقع الأم له ولا يضرك ضرره **والثاني** انه إذا كان عبادة غيره لا ممن يضرك وينفع قبيحة عبادة من لا يضرك ولا ينفع اتبع (قلون فقلت فإنك إذا من الظالمين) معناه فإن خالفت ما أمرت به من عبادة غير الله كنت ظالما لنفسك إذ خالفت الضر الذي هو العقاب عليها وهذا الخطاب وان كان متوجها إلى النبي ﷺ في الظاهر فالمراد به أمته (وان يسلك الله بضر) معناه وان أحل الله بك ضرا ممن بلا أو شدة أو مرض (فلا كشف له إلا هو) أي لا يقدر احد على كشفه غيره كأنه سبحانه لا يبين ان غيره لا ينفع ولا يضرك به ببيان كونه قادرا على النفع والضر (وان يردك بغير) من صحة جسم ونعمة وخصب ونحوها (فلا راد لنفسه) أي لا يقدر على منعه أحد وتقديره وان يردك خيرا ويجوز فيه التقدير التأخير يقال فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير (يصب به) أي بالخير (من يشاء من عباده) فيحليه على ما تقتضيه الحكمة ويعلمه من الصلوة (وهو القنود) للقنود عباده (الرحيم) بهم

قوله تعالى (١٠٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَعْدَى قَائِمَاتِهِدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ قَائِمًا يَضِلَّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٩) وَأَتَّبِعْ مَا يوحى إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ

حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۚ آيَاتُ

(المنى) -

ثم ختم الله سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسلياً للنبي ﷺ والوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين فقال عز اسمه (قل) يا محمد مخاطباً للكافرين (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن ودين الاسلام والادلة الدالة على صحته وقيل يريد بالحق النبي ﷺ ومسيراته الظاهرة (فمن اعتدى) بذلك بأن نظر فيه وعرفه حقاً وصواباً (فليأتني نفسه) معناه فان منافع ذلك من الثواب وغيره يعود عليه (ومن ضل) عنه وعدل من تأمله والاستدلال به (فلانما يضل عليها) أي على نفسه لأنه يعني عليها (وما انا عليكم بوكيل) أي وما انا بمخلف لكم من الهلاك إذا لم تنتظروا اتمم لانفسكم ولم تملوا بما يحلها كما يحفظ الوكيل مال غيره والمنى انه ليس علي إلا البلاغ ولا يلزمي ان أجعلكم مهتدين وان اتجكم من النار كما يجب علي من وكل علي متاع ان يحفظه من الضرر (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على اذى الكافرين وتكذيبهم (حتى يحكم الله) بينك وبينهم باظهار دينه واعلاء أمره (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يحكم إلا بالعدل والوراب

سورة هود

هي مكية كلها في قول الاكثرين وقال قتادة إلا آية وهو قوله واقم الصلاة طرفي النهار فتأخرت بالمدينة

﴿ عدد آياتها ﴾

هي مائة وثلاث ومشرونة آية كوفي وآيتان شامي والمدني الاول وآية في الباقي

﴿ اختلافها ﴾

سبع آيات يروي ما تترك كون كوفي في قوم لوط غير البصري من سجيل مكي شامي والمدني الأخير كتم مومنين حجازي منصور وانا حاملون مراني شامي والمدني الاول مستقلين مراني شامي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اصلي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدقني هو كذب به وهود وصالح وشيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء وروى الثعلبي باسناده عن ابي اسحق عن ابي حنيفة قال قيل يا رسول الله قد اسرع اليك الشيب قال شيبني هود وانها وفي رواية اخرى عن انس بن مالك عن ابي بكر قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبني هود وانها وفي رواية اخرى وهم يتساءلون وهل اناك حديث الناشية وروى المياشي عن الحسن بن علي الوشاح عن ابن سنان عن ابي جعفر عليه السلام قال من قرأ سورة هود في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيين وحسب حساباً يسيراً ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لا ختم الله سبحانه سورة يونس بذكر الوحي في قوله واتبع ما يوحى اليك اقتضت هذه السورة بيان ذلك
الوحي فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (٢) ألا تعبدوا إلا الله إني لكم منه نذير وبشير (٣) وأناستغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير (٤) إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير

أردم آيات

﴿ الفنة ﴾

الاحكام منع الفعل من الفساد والحكمة للمعرفة بما يتم الفعل من الفساد والنقص وبما يميز القبيح من الحسن والناقد من الصالح والحكيم في صفات الله سبحانه ويشمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بمعنى محكم فهو فعل بمعنى مفعول اي محكم أمثاله فيكون على هذا من صفات فله فلا يوصف به فإما لم يزل ﴿ والثاني ﴾ ان يكون بمعنى عليم فيكون من صفات ذاته فيوصف بأنه حكيم لم يزل

﴿ الأعراب ﴾

قال الزجاج كتاب مرفوع بأضمار هذا كتاب وقال بعضهم كتاب خير الر وهذا خطأ لأن كتاب احكمت آياته ليس هو الر وحدها وإن لا تعبدوا في موضع نصب لتقديره فصلت آياته لأن لا تعبدوا ويشمل ان يكون على تقدير أمركم بأن لا تعبدوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه وإن استغفروا مطوف عليه ومعنى لا تأتي قوله إلا الله ايجاب للمذكور بعدها ما بقي من كل ما سواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الأعراب لما بعد ما يتبعكم جزم جواب قوله وإن استغفروا وبكم وإن تولوا يريد تولوا فعلمت إحدى التامين تنفيها وإين كثير بفهم التأمل الأولى في الثانية ويشدد

- المعنى -

قد بينا تفسير (الر) والافتاويل التي فيها في أول البقرة فلامنى لأعادته (كتاب) يعني القرآن أي هو كتاب (احكمت آياته ثم فصلت) ذكر فيه وجوه ﴿ احدهما ﴾ ان مناه احكمت آياته فلم ينسخ منها شيء كما نسفت الكتب والشرائع ثم فصلت ببيان الحلال والحرام وسائر الاحكام من أين جاس ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه احكمت آياته بالرأى والتمحي ثم فصلت بالوعد والوعيد والتوبيخ والتعجب عن الحسن والي العاقبة ﴿ وثالثها ﴾ احكمت آياته جملة ثم فرقت في الانزال آية بعد آية ليكون للكلف اسكن من النظر والتدبر من مجاهد ﴿ ورابعها ﴾ احكمت في نظنها بأن جعلت على ابلغ وجوه القضاة حتى صار مجزأ ثم فصلت بالشرع والبيان القروض فكانه قيل محكم النظم فصل الآيات من أبي مسلم ﴿ وخامسها ﴾ اتقنت آياته فليس فيها خلل ولا باطل لأن الفعل المحكم ما قد اتقنه فاعطى حتى لا يكون فيه خلل ثم فصلت بأن جعلت متتابعة بعضها أثر بعض (من لدن حكيم) أي ان هذا الكتاب أناكم من عند حكيم في أحواله وتدابيره (خبير) أي عليم بأحوال خلقه ومصالحهم وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محقق لأنه وصفه بأنه احكمت آياته ثم فصلت والاحكام من صفات الافعال وكذلك التفصيل ثم قال من لدن حكيم وهذه الإضافة لا تصح إلا في المحدث لأن القديم يستحيل أن يكون صادرا من غيره وقوله ألا تعبدوا إلا الله اجماع أنزل هذا الكتاب ليأمركم (أن لا تعبدوا إلا الله) ولكي لا تعبدوا إلا الله كما يقال كتبت إليك ان لا تخرج من الدار وإن لا تخرج بالنصب والجزم (إني لكم منه نذير وبشير) هذا اخبار من النبي ﷺ أنه مخوف من مخالفة

الله وعصاؤه بأليم العقاب مشر على طاعة الله بجزيل الثواب (وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) ومعناه اطربوا
 المتقرة واجعلوا غرضكم ثم توصلوا إليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا إليه في
 المتأنف متى وقعت منكم المعصية من الجبائي وقيل أن ثم ههنا بمعنى الواو عن القراء وهذا لأن الاستغفار
 والتوبة واحد فتكون التوبة تأكيداً للاستغفار (يستكم متاعنا حسناً إلى أجل مسمى يعني انكم متى استغفرتوه
 وتبتم إليه يستكم في الدنيا بأنهم السابغة في الحفظ والدمعة والأمن والمنة إلى الوقت الذي قدر لكم أجل
 الموت فيه وقال الزجاج يريد بيقبكم ولا يستأهلككم بالعذاب كما استأصل أهل القرى الذين كفروا (ويؤت
 كل ذي فضل فضله) قيل إن الفضل يعني التفضيل والافضل أي ويصل كل ذي الفضل على غيره حال أو كلام
 أو عمل بيد أو رجل جزء إفضاله فيكون الماء في فضله عائداً إلى ذي الفضل وقيل إن معناه يعطي كل ذي عمل
 صالح فضله أي ثوابه على قدر عمله فلن من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة وعلى هذا فالأولى
 أن تكون الماء في فضله عائداً إلى اسم الله تعالى (وان تولوا) أي عرضوا عما امرؤا به وقيل معناه وانكثروا
 انتم أي تعرضوا فصنف إحدى التائين ولذلك شدد ابن كثير في رواية البرقي عنه (ظرفي اخاف عليكم عذاب
 يوم كبير) أي كيد شأنه وهو يوم القيامة وهذا الخوف ليس في معنى الشك بل هو في معنى اليقين أي قتل لهم
 يا معلمي اعلم أن لكم عذاباً عظيماً وانما وصف اليرم بالكبير لظلم ما فيه من الأوهال (إلى الله مرجعكم)
 أي في ذلك اليوم إلى حكم الله مصيركم لأن حكم غيره يزول فيه وقيل معناه إليه مصيركم بأن يبددكم للجزاء
 (وهو على كل شيء قدير) بقدر على الإعادة والبث والجزاء فاحذروا مخالفته

قوله تعالى (ه) **أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَغْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْفُونَ رَبَّهُمْ يَحْمِلُهُمْ**
مَأْسِرُونَ وَمَا يُمْلَوْنَ إِنَّهُ عَزِيزٌ يُدَارِ الصُّدُورَ آيَةٌ

﴿ التَّوَاتُة ﴾

روي عن ابن عباس بخلاف ومجاهد ويحيى بن يعمر وعن علي بن الحسين وأبي جعفر محمد بن علي وزيد
 ابن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام يشنون صدورهم على مثال يقول وعن ابن عباس أيضاً يشنون ومن مجاهد
 يشنون دروي ذلك أيضاً من مروة الأمشي

﴿ الحجة ﴾

أما يشنون على مثال يقول فهو من امثلة المبالغة تقول امش بالبلد فلذا كثر ذلك قلت امش وشب وكذلك
 اطول واخشوب واخشوش وأما يشنون ويشين فقد قال ابن جني انهما من لفظ الش وهو ما شى وضمف من
 الكلا. واقتد أبو زيد

تكملي القوق اكلة من ن وثيشن

بالمزة اصله يشنان فركت الألف لسكونها وسكون النون الأولى فانقلب ميزقوا ما يشنون فاصله يشنون فلزم
 الادغام لتكرير العين اذا كان غير ملحق فاسكنت النون الأولى ونقلت كسرتها إلى الواو وادغمت النون في النون فصار يشنون

﴿ التفة ﴾

اصل التي الحلف تقول تتيته عن كذا أي علقته ومنه الاتنان لحلف احدهما على الآخر في المعنى ومنه التنا
 لحلف المتكاتب في المدح ومنه الاستثناء لأنه حلف عليه بالإخراج منه والاستخفاء طلب خفاء الشيء يقال استخفى
 وتغشى بمعنى وكذلك استغشى وتغشى قالت الحساء

ادعي النجوم وما كلفت رعيها وتارة التمشي ففضل اطماري

﴿الاعراب﴾

الامتناع التنبه ولا حظ لها في الاعراب وما يطعها مبتداً

-(النزول)-

قيل نزلت في الاخس بن شريق وكان حلو الكلام يلقى رسول الله ﷺ بها يحب وينطوي بقلبه على ما يكره من ابن عباس وروى التياشي باسناده عن ابي جعفر (ع) قال اخبرني جابر بن عبد الله ان المشركين اذا مروا برسول الله ﷺ طأ طأ اقدمه رأسه وظهروه هكذا وظل رأسه بشربه حتى لا يره رسول الله ﷺ فانزل الله هذه الآية

﴿الحنى﴾

لما تقدم ذكر القرآن بين سبحانه فلمهم عند سماعه فقال (الا انهم) يعني الكفار والمنافقين (يشنون صدورهم) اي يطوفونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن وقيل مناه يعنون صدورهم لكيلا يسموا كلام الله سبحانه وذكره عن قتادة وقيل يشنون على عداوة النبي ﷺ عن القراء والازجاء قيل انهم اذا قدموا مجلسا على مادة النبي ﷺ والسعي في امره بالفساد انضم بعضهم الى بعض وثنى بعضهم صدره الى صدر بعض يتناجون (يستخفوا منه) اي يخفوا ذلك من الله تعالى على القول الاخير فلونهم كانوا قد بلغ من شدة جهلهم بالله أن ظنوا انهم اذا نثروا صدورهم على سبيل الانقاء لم يعلم الله تعالى اسرارهم وعلى الاقوال الأخر مناه يستروا ذلك من النبي ﷺ (ألا حين يستشون ثيابهم) مناه انهم يتطون بثيابهم ثم يتناوضون فيما كانوا يدورونه على النبي ﷺ وعلى المؤمنين فيكتسونه من ابن عباس فيمن الله سبحانه انه (يعلم ما يرون وما يملنون) وقت ما يتطون بثيابهم ويصلونها غشا فوقهم لا يسمي انه يتجدد له العلم في حال استنشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الأزل (انه طيم بذات الصدور) يريد بها في النفوس من ابن عباس وبحقيقة ما في القلوب من المضمرات وقيل انه كنى باستنشاء ثيابهم من الليل لأنهم يتطون بظلمته كما يتطون بثيابهم

قوله تعالى (٦) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى أَقْدِرَ قَهْرًا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُقَاسِمَ أَتْلُكُمْ أَتْلُكُمْ أَحْمَنَ عَمَلًا وَلَكِنَّ إِنْ كُنْتُمْ مُعْذِرِينَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٨) وَلَكِنَّ آخِرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابُ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجْهَرُ بِهِ الْيَوْمَ بِآيَاتِهِمْ لَيْسَ مَرْفُوعًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَكْبِرُونَ (ثلاث آيات)

﴿الفة﴾

الدابة الحي الذي من شأنه ان يندب وقد صار في العرف مختصا بنوع من الحيوان وقد ورد القرآن بها على الأصل في قوله وما من دابة والله خلق كل دابة

﴿الاعراب﴾

اللام في قوله لنن لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لأنها دخلت على ان التي للجزء اولام الابتداء إنما هي للاسم او ما ضارع الاسم في باب ان وجواب الجزاء مستثنى عنه بجواب القسم لأنه اذا جاء في صدر

الكلام غلب عليه كما انه إذا تأخر وتوسط النبي يوم يأتيهم نصب على الطرف من مصروف اي ليس يصرف
الغذاب عنهم يوم يأتيهم الغذاب

- المعنى -

(وما من دابة في الأرض) اي ليس من دابة تدب على وجه الأرض ويدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالى على وجه الأرض من الجن والانس والطير والأنعام والوحوش والهولم (إلا على الله رزقها) اي إلا والله سبحانه يتكفل برزقها ويوصلها اليها ما لا تقتضيه المصلحة وتوجه الحكمة (ويعلم مستقرها ومستودعها) اي يعلم موضع قرارها والموضع الذي اودعها فيه وهو اصلاص اليا. وارحام الامهات من مجاهد وقيل مستقرها حيث تأوي اليه من الأرض ومستودعها حيث تموت وتبعث منه من ابن عباس والريسم وقيل مستقرها ما يستريح عليه صلاصها ومستودعها ما يصير اليه (كل في كتاب مبين) هنا اخبار منه سبحانه ان جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو الفوح المحفوظ وإنما أثبت سبحانه ذلك مع انه عالم لذاته لا يغرب عن علمه شيء من مطلقاته لما فيه من اللطف للملائكة أو لمن يخبر بذلك (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بأنه اشتملها في هذا المقدار من الزمان مع قدرته على ان يخلقها في مقدار لمح البصر والوجه في ذلك انه سبحانه اراد ان يبين بذلك ان الامور جارية في التدبير على منهاج الحكمة منشأة على ترتيب لا في ذلك من المصلحة والمراد بقوله ستة ايام ما مقداره مقدار ستة ايام لأنه لم يكن هناك ايام بعد فأن اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها (وكان عرشه على الماء) في هذا دلالة على ان العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض وكان الماء قلما بقدرته الله تعالى على غير موضع قرار بل كان الله يحكمه بكماله قدرته وفي ذلك اعظم الاشارة لأهل الإنس والكفر الذين ان المراد بقوله عرشه بناؤه يدل عليه قوله وما يعرشون أي ينون والمعنى وكان بناؤه على الماء فأن البناء على الماء ابداع واصعب من ابي مسلم (ليلوكم انكم احسن عملا) معناه انه خلق الخلق ودير الامور ليظهر احسان المحسن فأنه الترض في ذلك اي ليعلمكم معاملة المبتلي المختبر لئلا يتوهم انه سبحانه يجازي العباد على حسب ما في معلومه انه يكون منهم قبل ان ينزلوه وفي قوله احسن عملا دلالة على انه قدير يكون فعل حسن احسن من حسن آخر لأن حقيقة لفظة افضل يقتضي ذلك (ولئن قلت) يا محمد لهم (انكم مبعوثون من بعد الموت) بحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين) أي ليس هذا القول إلا تحويه ظاهر لا حقيقة له ومن قرأ سحر فالمراد ليس هذا بمنون النبي ﷺ الاساحر قال الجاني وفي الآية دلالة على انه كان قبل خلق السموات والأرض الملائكة لأن خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه الا ان يكون فيه لطف لمكلف يسكنه الاستدلال به فلا بد اذا من حي مكلف وقال علي بن عيسى لا يستعمل ان يكون في الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين فلا يجب ما قاله الجاني وهو الذي اختاره المرتضى قدس الله روحه (ولئن اخبرنا عنهم العذاب اني امة مدعوة) معناه ولئن اخبرنا من هؤلاء الكفار عذاب الاستتجال الى اجل مسمى ووقت معلوم والامة الخلق كما قال سبحانه واذكر بعد امة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقيل الامة اي الى جماعة يتشبهون فيصرون على الكفر ولا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقرم نوح عن علي بن عيسى وقيل معناه الى امة بعد هؤلاء فكيفهم فيصرون فتقتضي الحكمة اهلاكم واقامة القيامة عن الجاني وقيل ان الامة المدعوة هم اصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ثلثمائة وبضعة عشر رجلا كعدة اهل بدر يجتمعون في ساعة واحدة كما يجتمع قزح الغريف وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ليقولن على وجه الاستهزاء (ما يبعثه) اي أي شيء يؤخر هذا العذاب عنا ان كان حقا (الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) اي ان هذا العذاب الذي يستبطلونه اذا نزل بهم في الوقت القدور لا يقدر احد على صرفه عنهم إذا اراد الله ان يأتيهم بولا لا يتسكن من

إذعابه عنهم أذار الله أن يأتيهم به (وعلق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي ونزل بهم الذي كانوا يسخرون
بهم نزول المذاب ويحقونه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها أنه لما قال سبحانه يعلم ما يسرون وما يعلنون قال عقيدته وكيف ينبغي على
الله سره ولا وهو يرزقهم وإذا وصل إلى كل واحد رزقه ولم ينسه فليعلم أنه يعلم سره وقوله ويعلم مستورها
ومستودعها يدل على ما ذكرنا ثم زاده بياناً بقوله وهو الذي خلق السموات الآية فلئن أصل الخلق التقدير الذي
لا يقتل بالثمنان والزيادة وذلك لا يتم إلا من العالم لذاته

قوله تعالى (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ (١٠)
وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمًا بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ (١١) إِلَّا
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ثلاث آيات

﴿ الفقه ﴾

الذوق تناول الشيء بالتميز لإدراك الطعم وسعى الله سبحانه إحلال الذات للإنسان أذقة لسرعة زوالها
تشبهاً بما يذوق ثم يزول كما قيل «إحلام نوم أو كظلم زائل» والزرع قلع الشيء من مكانه واليوس فعل
من يش والياس القلع بأن الشيء الترمق لا يكون ونقيضه الرجاء والنماء انهم يظهر أثره على صاحبه والغراء
مضرة تظهر إحلال بها لأنها أخرجت ما خرج الأحوال الظاهرة مثل حرها وحبها مع ما فيها من المبالغة والفرح
والسرور من الظاهر وهو افتتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم والمصيح أن الغم والسرور من جنس الاعتقادات
وليسا بجنسين من الأعراض من الناس من قال انهما جنان والفخور الذي يكثر فخره وهو التناول بتعدد المناقب
وهي صفة ذم إذا أطلقت لا فيها من التكبر على من لا يجوز أن يتكبر عليه

— « الأعراب » —

اللام في لئن لتولية القسم وليست لقسم والتقدير والله لئن أذقنا الإنسان منا رحمة أنه ليؤس فلم نجواب
القسم الذي هيأته اللام إلا أنه من جنس جواب الشرط وواقم موقعه ومثله قول الشاعر
لئن عاد لي جد العزيز بثلها ولمكنني فيها إذاً لا أقبلها

أي والله لا أقبلها لو كانت جواب أن لكان لا أقبلها الذين صبروا في موضع نصب على الاستثناء من الإنسان
لأنه اسم الجنس فهو كقوله أن الإنسان لقي خسر إلا الذين آمنوا وقال الزجاج والأخشع أنه استثناء ليس من
الأول والمعنى لكن الذين صبروا والأول قول النراء

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال الإنسان فيما قابل به نعمه من الكفر فقال (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة) أي أحلنا
به نعمه من الصفة والكفاية والسعة من المال والولد وغير ذلك من نعم الدنيا (ثم نزعناها منه) أي سلبنا تلك
النعمة عنه إذا رأينا المصلحة فيه (أنه ليؤس) أي فنوط وهو الذي سته وعادته اليأس (كفور) وهو الذي
عادته كفران النعمة ومعنى الآية مصروف إلى الكفار الذين هذه صفتهم لجهلهم بالصانع الحكيم الذي لا يعطي ولا
يمنع إلا ما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح (ولئن أذقناه) أي أحلنا به ولطيفنا (نعماً بعد ضراء مسة)
أي بد بلاصابتها (ليقولن ذهاب السيئات عني) أي ذهبت الحاصل التي تسوء صاحبها من
جهة فنور طبعه عنه وهو هنا يعني الشدة والألام والأمراض عني فلا تعود إلي ولا يزدى شكر الله عليها

(انه لنرجح فخور) ينرجح به وينفر به على الناس فلا يصبر في المحنة ولا يشكر عند النعمة (الا الذين صبروا) معناه الا الذين قابلوا الشدة بالصبر والنعمة بالشكر (وصلوا الصالحات) أي وانظروا على الأعمال الصالحة (اولئك لهم مغفرة ولجز كبير) وهو الجنة

قوله تعالى (١٢) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ كَثِيرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَأُكُ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ سُورَةَ الْمُنَافِقَاتِ وَادْعُوا مَنْ أَسْطَعَتْكُمْ مِنْ ذُنُوبِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤) فَإِنْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِإِذْنِ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ثلاث آيات

الفئة

ضائق وضيق بمعنى واحد إلا ان ضائق هنا أحسن لوجهين أحدهما أنه عارض والاخر أنه اشكل بقوله تارك والكسر اللال للدخول سمي بذلك لاجتماعه وكل مجتمع من لحم وغيره مكثف وصار في الشرع اسم ذم لكل مال لا يفرج منه حق الله تعالى من الزكاة وغيره وان لم يكن مدفوناً واقرى واخلف واخترق وخلق وخرص وخرق إذا كذب والاستعانة في الآية طلب الإجابة بالتصديق في فعلها ويقال استجاب واجاب بمعنى واحد والفرق بين الإجابة والطاعة ان الطاعة موافقة الإرادة الجاذبة إلى العمل برغبة او رهبة والإجابة موافقة الداعي إلى الفعل من اجل انه دعا به

(الاعراب)

ان يقولوا في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كرامة ان يقولوا فغذف المضاف وقيل ان يقولوا في موضع جر بدلا من الماء في قوله ضائق به صدرك ام يقولون افتراه ام هذه مقطعة ليست بالمعادلة وتقديره بل يقولون افتراه وهو تقرير بصورة الاستفهام

الزول

روي عن ابن عباس ان رؤساء مكة من قريش اتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ان كنت رسولاً فحول لنا جبال مكة ذبياً أو اثنتا بلاثمة يشهدون لك بالنبوة فأمر الله تعالى فلعلك تارك الآية وتروى العياشي بأسناده عن أبي عبد الله (ع) ان رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام اني سألت ربي ان يؤمني بي ويهلك ففضل وسألت ربي ان يهلك ويسمي فضل فقال بعض القوم والله لصاح من جر في شن بال اجب الينا بما سألك محمد ربه فهل سألته ملكاً يعضده على عنقه او كذباً يستعين به على فاقته فنزلت الآية

(المعنى)

ثم امر سبحانه رسوله بالثبات على الأمر وحسنه على حجاج القوم بما يقطع السد فقال (فلعلك تارك بض ما يوحي إليك) أي ولعلك تارك بض القرآن وهو ما فيه سب آلهم ولا تبليهم إياه دفناً لشرهم وخوفاً منهم (وضائق به صدرك) أي ولعلك بضيق صدرك بما يقولونه وما يلحقك من اذاهم وتكذيبهم وقيل باقتراحهم (ان يقولوا) أي كرامة ان يقولوا أو مخافة ان يقولوا (لولا انزل عليه كثر) من المال (أو جاء معه ملك) يشهد له فليس قوله فلعلك على وجه الشك بل المراد به التخي عن ترك اداء الرسالة والحث على اداها كما يقول احدنا لنبيه وقد علم من جاله انه يطعمه ولا يعضيه ويدعوه غيره إلى عصيانه لعلك تترك بعض ما أمرك به القول

فلان وإنما يقول ذلك ليؤنس من يدعو إلى ترك أمره فمعناه لا تترك بعض ما يوحى إليك ولا يضق صدرك
بسبب مقاتلتهم هذه (إنما أنت نذير) أي منذر (والله على كل شيء وكيل) أي خفيظ يجلب الفزع إليه ويدفع
الضرر عنه (أم يقولون اقترابه) معناه بل يقولون اختلق القرآن واخرعه واتي به من عند نفسه وقيل انهم يعارضونه
وقد يريه أيكذبونكم فيها أتيتهم به من القرآن أم يقولون اقترابه على ذلك وحذف للدلالة ما بقي على ما بقي وعلى
هذا فيكون أم هذه هي متصلة (قل) يا محمد لم (فأتوا بشر سور مثله منتريات) أي ان كان هذا منتري على الله
كما زعمتم فأتوا أنتم بشر سور مثله في النظم والقصاحة منتريات على زعمكم فإن القرآن تزل يلتصق وقد نشأت أنا
بين أظهركم فإن لم يمكنكم ذلك فاعلموا انه من عند الله تعالى وهذا صريح في التحدي وفيه دلالة على جبهة
اعجاز القرآن وانها هي البلاغة والقصاحة في هذا النظم المخصوص لأنه لو كان جبهة الاعجاز غير ذلك لما قنع
في المعارضة بالاقتراف والاختلاق لأن البلاغة ثلاث طبقات فأعلى طبقاتها محجور وأدناها وأسطها يمكن للتحدي
في الآية وإنما وقع في الطبقة العليا منها ولو كان وجه الاعجاز الصرفة (؟) لكن الركيك من الكلام أبلغ في باب
الاعجاز والمثل المذكور في الآية لا يجوز ان يكون المراد به مثله في الجنس لأن مثله في الجنس يكون
حكايته فلا يقع بها التحدي وإنما يرجع ذلك إلى ما هو متعارف بين العرب في تحدي بعضهم بعضا كما اشهر من
منافسات امرئ القيس وعلمقة وحمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وجبري والفرزدق وغيرهم وقوله (وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) معناه ادعوهم ليعينكم على معارضة القرآن ان كنتم صادقين في قولكم
إني اقترابه ويريد بقوله من استطعتم من خلف نبينا محمد ﷺ من جميع الأمم وهذا غاية ما يمكن في التحدي
والمحاجة وفيه الدلالة الواضحة على اعجاز القرآن لأنه إذا ثبت ان النبي ﷺ قد قام به وادعاهم بالقتل
والأمر بعد ان عاب دينهم وأتتهم وثبت انهم كانوا امرص الناس على إبطال امره حتى بدلوا بهجهم وأموالهم
في ذلك فإذا قيل لهم اتروا انتم مثل هذا القرآن وادحضوا حجة ذلك اليسر وأموه عليهم من كل ما يمكنكتموه
فعدوا عن ذلك وصاروا إلى الحرب والقتل وتكلف الأمور الشاقة فذلك من ادل الدلائل على عجزهم إذا قدروا
على معارضة مع سهولة ذلك عليهم لفضله لأن العاقل لا يمدل عن الأمر السهل إلى الصعب الشاق مع حصول
الغرض بكل واحد منهما فكيف ولو يلتموا غاية أمانهم في الأمر الشاق وهو قتلهم ﷺ لكن لا يحصل غرضهم
من إبطال أمره فإن الملقى قد يقتل فإن قيل لم ذكر التحدي مرة بشر سور مرة بسورة مرة بمحدث مثله
فالجواب ان التحدي إنما يقع بما يظهر فيه الاعجاز من منظوم الكلام فيجوز ان يتحدى مرة بالأقل ومرة بالأكبر
(فإن لم يستجيبوا لكم) قيل انه خطاب للمسلمين والمراد فإن لم يجيبكم هؤلاء الكفار إلى الايمان بشر سور
مثله معارضة لهذا القرآن (فاعلموا) أيها المسلمون (انما أنزل القرآن) (بم الله) عن معاده واختار الجليلي وقيل
هو خطاب للكفار وتقديره فإن لم يستجب لكم من تدعوهم إلى المعادة ولم يتنبأ لكم المعارضة فقدقات عليكم
الحجة وقيل ان الخطاب للرسول ﷺ أي فإن لم يجيبوك وذكره لفظ الجمع تقنيا والغرض التنبيه على اعجاز
القرآن وأنه المنزل من عند الله سبحانه على نبيه ﷺ وذكره في قوله بسم الله وجوه ﷻ أحصاها ان
معناه ان الله عالم به وبأنه حق منزل من عنده ﷻ وثانها ﷻ ان معناه بسم الله موافق تأليفه في علو طبقة واته
لا يقدر احد على معارضة ﷻ وثالثها ﷻ انه أنزله الله على علم برتيبه ونظمه ولا يعلم غيره ذلك (وان لا إله الا هو) أي
أعلموا انه لا إله الا هو لأن مثل هذا المعجز لا يقدر عليه إلا الله الواحد الذي لا إله الا هو (فهل أنتم
مسلمون) أي هل أنتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام الله مستملون متقادون له متفقون لتوحيد
وهذا استفهام في معنى الأمر مثل قوله فهل أنتم متنبئون

قوله تعالى (١٥) من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها

لَا يَخْشَوْنَ (١٦) أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيَات

﴿ القراءه ﴾

روي في الشواذ قراءه الجيواين مسعود واطلا ما كانوا يعملون

— (الحجة) —

الوجه فيه ان يكون باطلا منصوبا يعلمون وما مزيدة لتوكيد فكأنه قال واطلا كانوا يعملون ومثله قوله
أم هؤلاء أيكم كانوا يعملون

— (القفه) —

الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة يقال زانه بزيته وزينه يزيه تزيينا والتزينة تأدية
الحق على تمام والبخش تقصان الحق وكل ظالم باخس لأنه يظلم غيره بتقصان حقه وفي المثل «تحسبها حقها وهي باخس»

﴿ الاعراب ﴾

قال القراء كان هذه منازلدة وتقدري من يرد الحياة الدنيا وقال غيره معناه ان يصح انه كان كقوله سبحانه
ان كان قميصه قد من دبر ولا يجوز مثل ذلك في غير كان لأنها ام الأفعال قال ابو علي الشرط والجزاء لا يمتنعان
إلا فيما يستقبل فصرف الجزاء يحيل معنى الماضي إلى الاستقبال لا محالة ولو جاز وقوع الماضي بعدها على معناها
لما جزمت ألا ترى ان لو لم تجزم وان كان فيها سنى الشرط والجزاء لوقوع الماضي بعدها على بابها نحو لو جئتني
أمس لا كمرثك

﴿ المعنى ﴾

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أي زهرتها وحسن بهجتها ولا يريد الآخرة (نوف اليهم أعمالهم
فيها) أي ثوبه عليهم جزاء أعمالهم في الدنيا فانما (وم فيها لا يبخسون) أي لا يتقصون شيئاً منه واختلف في
معناه فقيل ان المراد به المشرقون الذين لا يصدقون بالبعث يعملون أعمال البر كمسلة الرجم واعطاء السائل
والكف عن الظلم واغائة المظلوم والأعمال التي يحسنها العقل كبناء القنابر ونحوه فإن الله يجعل لهم جزاء
أعمالهم في الدنيا جوسيع الرزق وصحة البدن والامتناع بما غولهم وصرف المكابر عنهم عن الضحاك وتنادفواين
عباس ويقال ان من مات منهم على كفره قبل استيفاء الموتى وضع الله عنه في الآخرة من العذاب بقدره أما ما ثواب
الآخرة فلا حظ لهم فيه وقيل المراد به المنافقون الذين كانوا يفترون مع النبي ﷺ للتيمة دون نصرة الدين
وثواب الآخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بأن جعل لهم نصيباً في التيمة عن الجبائي وقيل ان المراد به أهل الريا
فإن من عمل عملاً من أعمال الخير يريد به الرياء لم يكن لعمله ثواب في الآخرة ومثله قوله تعالى ومن كان يريد
حسرت الدنيا أو ندمتها وما له في الآخرة من نصيب وفي الحديث ان النبي ﷺ قال يشر والله بالنساء والتمسكين
في الأرض ومن عمل منهم عملاً فليدنا لم يكن له نصيب في الآخرة (أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ)
ظاهر المراد (وحيط ما صنعوا فيها) فلا يستحقون عليه ثواباً لأنهم أوقوه على خلاف الوجه المأمور به بقاؤه عليه
(وباطل ما كانوا يعملون) أي بطل أعمالهم التي عملوها لنير الله تعالى وهذا يحقق ما ذهبت إليه من ان الإحباط
عبارة عن ابطال نفس العمل بأن يقع على غير الوجه الذي يستحق به الثواب وذكر الحسن في تفسيره ان
رجلاً من اصحاب النبي ﷺ خرج من عند الله فأذا جارية عليها ثياب وهيئة فجلس عندها فقلت فأهوى
يده إلى عارضها فحضت فأقبها بصره ومضى خلفها فلقية حائط فخدش وجهه فسلم انه اصاب بذنبه فأقر رسول الله

فذكر له ذلك فقال أنت رجل عجل الله عقوبة ذنبك في الدنيا إن الله تعالى إذا أراد بعبد شراً أرسلناه من آياته حتى يوافي به يوم القيامة وإذا أراد به خيراً أرسلناه من آياته عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا

التنظيم

وجه اتصال الآية بما قبلها أنه سبحانه لما قال فهل أنتم مسلمون فكان قائلاً قال إن أظهرنا الإسلام لسلامة المال والنفس يكون ماذا فقال من أراد الدنيا دون الآخرة سواء أَرادها باظهار الإسلام أو أَرادها بسائر الساعي فصيله هنا

قوله تعالى (١٧) أَقَمْنَ كَانَتْ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدُنَّهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ لَكُمْ بُرْهُنٌ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كُمْ كَاثِرُونَ (٢٠) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ لَا يُفْقَرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ

ست آيات

الفقه

البينة الحجة القاطعة بين الحق والباطل والبر والفساد التي يثبت بها الحق على غيره قال عرضت الكتاب على فلان وعرضت الجند ومضى العرض على الله أنهم يفتون في المقام الذي يريه العباد للمطالبة بالأعمال فهو كالعرض عليه سبحانه والافتاد جمع شاعده فهو كصاحب واصحاب وقيل جمع شهود كشرى واشراف والوجع العدول عن طريق الصواب يقال في الدين عوج بالكسر وفي الصماء عوج بالفتح فرقاً بين ما يرى وما لا يرى فبحلول السهل للسهل والصعب للصعب أعني التفتع والكسر والاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه إيقاعه وحقيقة الاستطاعة القوة التي تنطاع بها الجارحة للفعل ولذلك لا يقال في الله تعالى أنه مستطيع وأصل الجرم القطع ولا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذلك إلا أنه كثر حتى صار كلثل وهو قول الشاعر

ولقد طعنت أبا عينه طعنة جرمت فزاره بعدها أن يغضبوا

أي طعنتهم إلى الغضب فرواية الفراء في فزاره التصب والمضى كسبهم أن يغضبوا وروى غيره يرفصا يعني أن الفعل لما

(الأعراب)

من كان على يمينه من ربه خيره محذوف وتقديره أفرن كان على يمينه من ربه وعلى الأوصاف التي ذكرتها كن لا يمين له ومثله حذف جواب لو في قوله

واقسم لو شي اتانا رسوله
سواله ولكن لم نجد لك مدفعا

وكتاب موسى عطف على قوله وتلووه شاهد به أي كان يتلوه كتاب موسى قبله ونسب إلى ما ذكره من حفظه الخ لا أن كتاب موسى معرفة وقوله وم بالآخره هم كالفرد كرر قوله م مرتين كما قال ابيدكم انكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم نغربون كرر انكم مرتين ووجه انه لما طال الكلام كرر مرة أخرى للتوكيد لا جرم قال سيوبه جرم فعل ماض ولا رد لتلوهم كقوله وتصف ألتهم الكذب ان لهم الحسن لا جرم ان لهم التار قال لا اي ليس لهم الجفة ثم قال جرم اي كسبهم قولهم ان لهم الحسن ان لهم التار وقيل جرم يعني وجب اي وجب ان لم التار

معنى الآية

(أقمن كان على بينة من ربه) استفهام يراد به التقرير وتقديره هل الذي كان على يوهان حجة من الله والمراد بالبينه هنا القرآن والمعنى بقوله أقمن كان على بينة النبي ﷺ وقيل للمعني به كل حق يدين بحجة وبينه لأن من يتناول القلاء وقيل بهم المؤمنون من أصحاب محمد ﷺ عن الجبالي (ويتلو شاهد منه) أي ويشهده من يشهد بصحته منه واختلف في معناه فقيل الشاهد جبرائيل (ع) يتلو القرآن على النبي ﷺ من الله تعالى عن ابن عباس ومجاهد والزجاج وقيل شاهد من الله تعالى محمد ﷺ وروي ذلك عن الحسين بن علي عليه السلام وابن زيد واختاره الجبالي وقيل شاهد منه لسانه أي قتل القرآن بلسانه من محمد بن علي اخي ابن الحنفية والحسن وقادة وقيل الشاهد منه علي بن ابي طالب عليه السلام يشهد للنبي ﷺ وهو منه وهو المروي عن ابي جعفر وعلي بن موسى الرضا عليهما السلام ورواه الطبرسي بإسناده عن جابر بن عبد الله عن علي عليه السلام وقيل الشاهد ملك يحفظه ويسدده عن مجاهد وقيل بينة من ربه حجة من عقله واذن البينة اليه تعالى لأنه ينصب الأدلة العقلية والشريعة ويتلوها شاهد منه يشهد بصحته وهو القرآن عن ابي مسلم (ومن قبله) أي ومن قبل القرآن لأنه مدلول عليه فيما تقدم من الكلام وقيل معناه ومن قبل محمد ﷺ (كتاب موسى) يتلوها يشهد بالتصديق لأن النبي ﷺ بشر به موسى في التوراة (إماما) يؤتم به في أمور الدين (ورحمته) أي ونعمة من الله تعالى على عباده وقيل معناه ذا رحمة أي سبب الرحمة لمن آمن به (أو لك يؤمنون به) معناه أو لك الذين هم على بينة من ربه يؤمنون بالقرآن وقيل يحمد ﷺ وتقديره الآية أقمن كان على بينة من ربه وبصيرة كن ليس على بينة ولا بصيرة إلا أنه اختصر وقيل تقديره أقمن كان على بينة من ربه ويتلوها شاهد منه على صدقه ويتقدمه شاهد فأن بهذا كله كن أراد الحياة الدنيا وزينتها ولم يؤمن ثم أخبر عنه فقال (أو لك يؤمنون به) وقوله (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) معناه ومن يكفر بالقرآن أو بمحمد ﷺ من مشركي العرب وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالنار موعده ومصيره ومستقر موافق الحديث ان النبي ﷺ قال لا يسمع في أحد من الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي الا كان من أصحاب النار (فلا تكن من ربة) أي في شك (منه) الخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين وقيل ان تقديره لا تك أيها الانسان او أيها السامع في مرة من ربه أي من أمره وإزالته (إنه الحق من ربك) الهاء راجع إلى القرآن وقيل إلى محمد ﷺ وقيل معناه انب انظر الذي أخبرتك به حق من عند الله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بصحته وصدقته لجعلهم بالله تعالى وجعلهم لثبوته ﷺ (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي لا أحد أظلم منه إلا انه خرج مخرج الاستفهام ليكون ابلغ (أو لك يعرضون على ربهم) يوم القيامة أي يوقنون موثقا يراهم الخلاق المطالبة بما عملوا ويسألون عن أعمالهم ويجازون عليها (ويقول الأَشهاد) يعني للملائكة يشهدون على العباد وهم المحفوظة عن مجاهد وقيل هم الأنبياء عن الضحاك وقيل هم شهداء كل عصر من أمة المؤمنين (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) أي كذبوا على رسل ربهم وأضافوا إلى الله ما لم ينزله (ألا لعنة الله على الظالمين) هذا ابتدء خطاب من الله تعالى وقيل هو من كلام الأَشهاد ومعناه ألا لعنة الله على الذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليهم وغيرهم بإحلال

الآلام عليهم ولعنة الله إجماعه من رحمتهم وصف سبحانه الظالمين الذين لهم نفاق (الذين يصدون عن سبيل الله) أي ينوون الخلق ويصرفونهم عن دين الله وقد يكون ذلك بإلقاء الشبهة اليهم وقد يكون أيضا بالتزغيب والترهيب والاطماع والتهديد وغير ذلك وإنما جاز تمكين الصاد عن سبيل الله من هذا الفساد لأنه مكلف بالامتناع منه وليس في منعه لطف بأن يصرف عن الفساد إلى الصلاح فهو كشبهة التبيح الذي به يصح التكليف (ويغفرونها عرجا) أي ويطلبون لسبيل الله زنا عن الاستقامة وعدولا عن الصواب وقيل إن بينهم الموعج هي زيادتهم وتقصايتهم في الكتاب ليتخير الأدلة ولا يستقيم صفة النبي ﷺ كما كان يفعلها اليهود وقيل هي إيرادهم الشبه وكتمانهم المراء وتغريفهم التأويل (وم بالآخرة) أي بالقيامة والبعث والشور والثواب والعقاب (م كافرون) أي جاحدون غير مقرين (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله وأنهم الذين يصدون عن سبيل الله بأنهم لم يكونوا فاعلين في الأرض ربان فيها من الله تعالى إذا أراد أحلاهم كما يهرب المارِب من عدو قد جسد في طلبه وإنما خص الأرض بالذكر وإن كانوا لا يفتوتون الله ولا يفرجون عن قبضته على كل حال لأن معاني الأرض هي التي يهرب إليها البشر ويصنعون بها عند المخاوف فكأنه سبحانه تقي أن يكون هؤلاء الكفار عاصم منه ومنع من عذابه (وما كان لهم من دون الله من أولياء) معناه أنه ليس لهم من ولي ولا ناصر يصرفونهم ويجمعونهم من الله سبحانه عما يريد إبقاعه بهم في الدنياهن الكفرة وفي الآخرة من أنواع العذاب (يضاعف لهم العذاب) قيل في معناه وجوه ﴿أحدها﴾ أنه لا يقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون عليه وعلى سائر المعاصي كما قال في موضع آخر زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يكفرون ﴿وثانيها﴾ أن معناه أن كل ما مضى ضرب من العذاب يضاعف ضرب آخر من العذاب مثله أو فوقه كذلك دائما مؤبدا وكل ذلك في قدر الاستحقاق ﴿وثالثها﴾ أنه يضاعف العذاب على رؤسائهم لكونهم عظماء وعظماءهم اتسمهم ولداعاهم الاتباع إليه وهو عذاب الضلال وعذاب الصد عن الدين (ما كانوا يستطيون السم وما كانوا يصرون) فيه وجوه ﴿أحدها﴾ يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيون السم فلا يسمون دما كانوا يستطيون الإبصار فلا يصرون عتادا وذهابا عن الحق فاستطقت الباء عن الكلام كما في قول الشاعر

نفالي اللحم للإضياف نيا ونبله إذا نضج القدور

أراد نفالي باللحم من الفراء والبليخي وهذا وجه رابع من معنى قوله يضاعف لهم العذاب ﴿وثانيها﴾ أنه لا يستحقهم استماع آيات الله وكرهاتهم تذكريها وتفهيمها جروا مجرى من لا يستطيع السم وإن ابصارهم لم تفهمهم مع اعراضهم عن تدبر الآيات فكأنهم لم يصروا وبما يجري هذا المجرى قول الأعشى

ودع هريرة أن الركب مرقل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقد علمنا أن الأعشى كان يقدر على الدواع وإثباته في الطاقة عن قبه من حيث الكرامة والاستحقاق ﴿وثالثها﴾ أنه إنما في ذلك آلهتهم وأوثانهم وتقدير الكلام أولئك الكفار وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب وقال غيراً عن الآلهة ما كانوا يستطيون السم وما كانوا يصرون وروي ذلك عن ابن عباس وفيه أدنى بند ﴿ورابعا﴾ أن ما هنا ليست لتفي بل تجري مجرى قولهم لأوأصلك ما لا يحضم والمغنى أنهم معذون ما داموا أحياء (أولئك الذين خسروا أنفسهم) من حيث فعلوا ما استحقوا بالعقاب فلهلكوا فذلك خسروا أنفسهم وخسروا النفس اعظم الخسائر لأنه ليس عنها عوض (وضل عنهم ما كانوا يفترون) مضى بيانه مبراراً (لاجرم) قال الزجاج لا تقي لا ظنوا أنه ينفعهم كأن للمنى لا ينفعهم ذلك جرم (أنهم في الآخرة هم الأخسرون) أي كسب ذلك القتل لهم الخسران وقال غيره معناه لا بد ولا محالة أنهم وقيل معناه حقا ويستعمل في أمر يقطع عليه ولا يرتاب فيه أي لا شك إن هؤلاء الكفار هم أخسر الناس في الآخرة

﴿التلوة﴾

اتصلت الآية الأولى بقوله قل فأتوا بشئ من عند الله والبراد أنهم إذا لم يأتوا بذلك قتل لهم أفعين كان على بينة من لا يكون معه بينة وقيل اتصلت بقوله من كان يريد الحياة الدنيا أي من كان يجتهد في الدين كمن كان همه الحياة الدنيا وزينتها ووجه اتصال الآية الثانية وهي قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أنه سبحانه أراد أن يبين حال العاقل والعاقل فكأنهم قالوا وما بشرنا أن لا نعرف ذلك فاجيبوا بأن من لا يعرف الله لا يأمن أن يكذب على الله ومن أظلم ممن كذب على الله

قوله تعالى (٢٣) إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْأُجْنَةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٤) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْحَىٰ وَالْأَسْمِ وَالْبَصِيرِ وَالْأَسْمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ آيَات

﴿الفتحة﴾

الإخبات الطمانينة أو أصلها الاستواء من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة فكان الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه والثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الأول والمعنى عبارة عن فساد آلة الرؤية وليس بمعنى يضاد الإبصار وكذلك الصمم عبارة عن فساد آلة السمع لأن الصحيح أن الإدراك أبداً ليس بمعنى

— المعنى —

لما تقدم ذكر الكفار وما أعد الله لهم من العذاب عقب سبحانه بذكر المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله واعتقدوا وحدانيته (وعملوا الصالحات) التي أمرهم الله تعالى بها ورجعهم فيها (واخبتوا إلى ربهم) أي اتأناوا وتضرعوا إليه عن ابن عباس وقيل معناه اطمأنوا إلى ذكره عن معاهد وقيل خضعوا له وخشعوا إليه عن قتادة والكل مختار وقيل إن معناه واخبتوا لربهم فوضم إلى موضع اللام كما قال سبحانه أوحى لما معنى أوحى إليها وقال ينادي للاربعان (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ظاهر المعنى ثم ضرب سبحانه مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أي مثل فريق المسلمين كالصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأن المؤمن يتقنع بحوائصه لاستتماله لها في الدين والكال لا يتنفع بها فصارت حوائصه بمنزلة المندوم وإنما دخل الواو ليبين أن حال الكافر كحال الأعمى على حدة وكحال الأصم على حدة وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعاً (هل يستويان مثلاً) أي هل يشوي حال الأعمى والأصم وحال البصير والسميع عند عاقل فكأن لا تستوي هاتان الحالتان عند العقلاء كذلك لا تستوي حال الكافر والمؤمن (أفلا تذكرون) أي أفلا تتفكرون في ذلك فتعلموا صحة ما ذكرناه

قوله تعالى (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) الْأَلْبَدُ وَالْإِلَٰهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِيمِ (٢٧) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَأْتِيكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلًا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِي أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَأَذِينَ (٢٨) قَالَ يَأْقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْتَوْنِ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِي فَصَيِّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مَكُومَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ أَرْبَع آيَات

﴿ القراءه ﴾

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزرة إني لكم بكسر الميم والباقون أني بفتحها وقرأ أبو عمرو ونصير عن الكسائي بادي الرأي بالهمزة وقرأ الباقر بادي الرأي بالياء غير مهموز وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر فسميت بضم الميم وتشديد الميم والباقر فسميت بفتح الميم عتقا

-(الحجة)-

قال أبو علي من فتح إني فإنه يحملها على أرسلنا أسبى أرسلنا بآني لكم نذير مبين فإن قيل لو كان محمولا عليه لكان أنه لأن نوحا اسم الغيبة قيل هذا لا يجتمع لأن الخطاب بعد الغيبة في نحو هذا سائغ ألا ترى قوله وكتبنا له في الألواح ثم قال فخذها بقوة ومن كسر فالوجه فيه أنه حمله على القول المضمر لأنه مما قد أضر كثيرا في القرآن قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام أي يقولون سلاما وقال الذين اعتقدوا من دونه أولياء ما نمدبهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي قالوا ما نمدبهم فإن قلت فهلا رجعت قراءه من قرأ أن على قراءة من كسر لأن قوله ألا تميدوا محمول على الإرسال وإذا نحت أن كان اشكلا بما بعدها فلها ما يحيا على الإرسال يقال لك أن من كسر قال يجوز أن يكون قوله إني لكم وما بعده محمولا على الاعتراض بين الفعل وما يتصل به مما بعده كما كان في قوله قل إن الهدى هدى الله اعتراضا بينما في قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم فكذلك قوله إني لكم نذير مبين لأن التقدير ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه أن لا تميدوا إلا الله وأما قوله بادي الرأي فقد حكى أبو علي عن الجبائي أنه قال يقال أنت بادي الرأي يريد ظاهر الرأي لا بهز بادي وبادي الرأي أي مهموز فمن لم يهز أراد أنت فيها بدا من الرأي أي أنت ظاهر الرأي ومن هز أراد أنت أول الرأي وبنياده قال أبو علي المعنى فيمن قال بادي الرأي يلامه فحمله من بدا الشيء إذا ظهر أي ما ابتعث إلا إلا راعى فيها ظهر لهم من الرأي إن لم يتصوره ينظر فيه ولا يبين لهم ومن هز أراد ابتعوك في أول الأمر من غير أن يجسوا للرأي بفكر وروية فيه وهاتان الكلمتان يتقاربان في المعنى لأن الهمزة في اللام معناه إبداء الشيء وأوله واللام إذا كانت واوا كان المعنى الظهور وإبداء الشيء يكون ظهورا وإن كان الظهور قد يكون إبداء وغير إبداء فلذلك يستعمل كل واحد مكان الآخر وجازى اسم الفاعل أن يكون ظرفا كما جاز في قيل نحو قريب وملي لأن فاعلا وفعلين يتماثلان على المعنى نحو عالم وعلم وشاهد وشهد وحسن ذلك إضافته إلى الرأي وقد أجروا المصدر أيضا في إضافته إليه في قولهم إما جحد رأي فأني منطلق فهذا لا يكون إلا ظرفا وفعل إذا كان مصدرا وفاعلا قد يتفقان في أشياء وقد يجوز في قول من هز فقال بادي الرأي إذا خفف الهمز أن يقول بادي الرأي فيقلب الهمزة ياء لأن كسار ما قبلها فيكون كقولهم مير في جمع ميرة وذئب في جمع ذئبة والماثل في هذا الظرف هو ذئبك ابتعثك التقدير ما ابتعثك في أول رأيهم أو فيما ظهر من رأيهم أولا وإذا قلنا فآخر الظرف واقع بعد إلا الظرف ولو كان بدل الظرف غيره لم يهز ألا ترى أنك لو قلت ما أعطيت إسدا إلا زيدا درهما فأوتيت بعد الإسمين لم يهز لأن الفعل أو معنى الفصل في الاستثناء يصل إلى ما انتصب به بتوسط الحرف ولا يعمل الفعل بتوسط الحرف إلى أكثر من مفعول ألا ترى أنك إذا قلت استوى الماء وانطبت ففصب الخشب لم يهز أن تتبعه أسما آخر تنصبه فكذلك المسمى إذا ألحقته ألا وأوتيت بعدها اسما مفردا لم يهز أن تتبعه آخر ولو قلت ما ضرب القوم إلا بعضهم بعضا لم يهز وتصحها ما ضرب القوم أحدا إلا بعضهم بعضا تبدل الإسمين بعد إلا من الأسامين قبلها قال جامع العلوم البصير التحوي أن أبا علي حمل بادي الرأي هنا على أنه ظرف لما قبله ثم رجع عن مثله في قوله وما كان ليشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب فحمله على فصل آخر دل عليه بكلمه على تقدير أو يكلمه الله من وراء حجاب قال والظرف في الآيتين عندنا محمول على النسل قيل إلا لأن الظرف قد يكتفي

فيه برأيه الفصل انتهى كلامه واقول ان ما قاله فيه نظر لأن ابا علي قال في تلك الآية لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاما تاما فيما بعده وليس ما قبل إلا في هذه الآية كلاما تاما فإن قوله الذين هم اراذلنا فاعل لقوله اتبعك فلذلك فرق بين المومنين ورجع كلام ابي علي واما تحقيق الميزة وتفصيلها في الرأي فأهل تحقيق الميزة يخفونها وأهل التخفيف يبدلون منها الألف وكذلك ما اشبهه من نحو الياس والراس والناس ومن قرأ عصيت بالتخفيف بقوي قوله اجتاعهم على التخفيف في قوله سبحانه عصيت عليهم الأبناء وهذه مثلها ويحوز في قوله عصيت أسران احدما ان يكون عمومهم عنها الآن والرحمة لا تسمى وإنما يعنى عنها فيكون كقولهم ادخلت القنطرة في رأسي ونحو ذلك مما يقلب إذا لم يكن فيه اشكال وفي التزييل فلا تخشين الله عطف وعده وبسلة وقال الشاعر

ترى الثوب فيها مدخل ظل رأسه
وسائرته بادى الى الشمس اجمع
والآخر أن يكون بمعنى خيت كقول الشاعر
ومعه اطرافه في محله

اي خي الهدى لأن الهدى ليس بذى جارية تلحقها هذه الآفة ومن هنا يقال السحاب الماء لا يخافه ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن هنا قول الشاعر « ولكنني عن علم ما في غديم » قال وقولهم اتاني صكة عمي إذا أتى في الماجر قوشة تاجر يشتمل عدلتا تأويلين **﴿﴾** احدهما **﴿﴾** ان يكون المصدر أضيف إلى المعنى كما قالوا ضرب ألفت أي الضرب الذي يحدث عنه التلف **﴿﴾** والآخر **﴿﴾** ان يكون عمي تصغير اعى على وجه الترخيم واضيف المصدر إلى المفعول به كقولك من دعاء الخير والتقدير صكة اخر الاعى والمعنى ان الحر من شدته كأنه يعنى من أصابه والمصدر في الوجهين ظرف نحو مقدم الحاج وخفوق النجم ومن قرأ عصيت اعتبر قراءة أبي والأعشى فهما علىكم وإستناد الفعل إلى المفعول به سيف عصيت قريب من عى هنا في المعنى

﴿﴾ اللغة ﴿﴾

الردل الخبيس الخفي من كل شيء والجمع اردل ثم يجمع على اراذل كقولك كلب وأكلب وأكلاب ويجوز ان يكون جمع الارذل فيكون مثل أكلب جمع الأكبر والرأي الرؤبة من قوله يرونهم مثليهم رأي العين اي رؤبة العين والرأي أيضا ما يراه الإنسان في الأمر وجمعه آراء

﴿﴾ الإعراب ﴿﴾

ان لا تعبدوا إلا الله يشتمل ان يكون موضع تعبدوا من الاعراب نصبا بأن ويجعل أن يكون جزما بالنعى وقوله عذاب يوم أليم يجوز ان يكون تقديره يوم أليم عذابه فصنف المضاف الذي هو عذاب واقم المضاف اليه الذي هو الضمير مقامه فاستكن في اليم ويجوز ان يكون وصف اليوم بالألم لأن ألم في بقم ويجوز في غير القراءة أليما فيكون صفة لعذاب وقوله اتبعك وفاعله الذي هو الذين هم اراذلنا في موضع نصب بأنه مفعول ثان لتزييل إن كان بمعنى تملك وفي موضع الحال إن كان من رؤبة العين وقوله انزلكوها فيه ثلاث ضمائر ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب فجاءت على احسن ترتيب بدأ بالتكلم لأنه أخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب ولو أنشأ بالفعل لجاز لتباعده من العاقل بما فرق بينه وبينه فأشبه ما ضربت إلا إياك وما ضربني إلا أنت وإجاز القراء انزلكوها بتشكين للميم جملة بمنزلة عضد وعضد وكبد وكبد ولا يجوز ذلك عند البصريين وإنما يجوزون ذلك في ضرورة الشعر كقول امرئ القيس

فاليوم اشرب غير مستحب
إنما من الله ولا واغل

و كقول الآخر

وناع • يتغيرنا بملك سيد

تقطع من وجد عليه الأنامل

وقول الآخر «إذا أخرجني قلت صاحب قوم» يريد يا صاحب قوم

والله اعلم

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب عقب ذلك سبحانه بذكر اخبار الأنبياء تأكيذا لذلك وتخيلا للقوم وتسلية للبي عليه السلام وبدأ بقصة نوح عليه السلام فقال (ولقد ارسلنا نوحا إلى قوميه إلى لكم نذير مبين) وقدمت بيانه (أن لا تعبدوا إلا الله) أي افندكم أن لا تعبدوا إلا الله عن الزواج يريد لأن توحدا لله وتتركوا عبادة غيره وبدأ بالدعاء إلى الإخلاص في العبادة وقيل انه دعاهم إلى التوحيد لأنه من أم الأمور إذ لا يصح شيء من العبادات إلا بعد التوحيد (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) إنما قال أخاف مسخ أن عقاب الكفار مقطوع عليه لأنه لم يسل ما يؤل إليه حاقبة امرهم من إيمان أو كفر وهذا لطف في الاستدعاء واقرّب إلى الإجابة في الغالب (فقال الملأ الذين كفروا من قوميه) أي من قوم نوح عليه السلام «ع» (ما ترك إلا بشرا مثلكا) ظنا منهم أن الرسول إنما يكون من غير جنس المرسل إليه ولم يعلموا أن البشّة من الجنس قد تكون أصلح ومن الشبهة أهدى (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) أي لم يتبعك الملأ والاشراف والرؤساء منا وإنما اتبعك اخسائنا الذين لا مال لهم ولا جاه (بادي الرأي) أي في ظاهر الأمر والرأي لم يتدبروا ما قلت ولم يتفكروا فيه وقال الزواج معناه اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ومن قرأ بالهزم فالهزم اتبعوك أجده الرأي أي حين ابتدأوا ينظرون ولو فكروا لم يتبعوك وقيل معناه أن سيف مبتدأ وقوع الرؤية عليهم يعلم أنهم أراذلنا واسفلتنا (وما نرى لكم علينا من فضل) أي وما نرى لك ولقومك علينا من فضل فلو الفضل إنما يكون في كثرة المال والمثقلة سيف الدنيا والشرف في النسب وإنما قالوا ذلك لأنهم جهلوا طريقة الاستدلال ولو استدلوا بالمعجزات الدالة على نبوته لعلوا أنه نبي وإن من آمن به مؤمن ومن خالفه كافر وعرفوا حقيقة الفضل وهكذا عادة أرباب الدنيا يستعقرون أرباب الدين إذا كانوا فقراء ويستزدلونهم وإن كانوا هم الأكرمين الأفضلين عند الله سبحانه (بل نطعنكم كاذبين) هذا تمام الحكاية عن كفار قوم نوح قالوه لنوح ومن آمن به (قال) نوح لقومه (يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي) أي على برهان وحجة يشهد بصحة النبوة وهي المعجزة وقال ابن عباس على بينة أي على يقين وبصيرة ومعرفه من ربي وعظمته واختلاف في قول نوح عليه السلام (ع) هذا انه جواب عمادا فقيل انه جواب عن قولهم بل نطعنكم كاذبين فكأنه قال إن تطوفوني كاذبا فما تقولون لو كنت على خلافه وعلى حجة من ربي واضحة لا تصدقوني وقيل بل هو جواب عن قولهم ما ترك إلا بشرا مثلكا أي وإن كنت بشرا فإذا تقولون إذا اتيتكم بحجة دالة على صدقي ألا تصدقوني وفيه يات أن الرسالة إنما تظهر للمعجزة فلا معنى لاختيار البشرية وقيل هو جواب عن قولهم ما ترك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا فكأنه قال إنهم احتصموا بالله وما أتاكم من البينة والرحمة فقالوا بذلك الرقة والفضل واتمم قسمهم بالدنيا الدنية الفانية فأقسم في الحقيقة الأراذل لا هم وقيل هو جواب عن قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فكأنه قال لا تتبعوا المال والجاه فالذين ألوا جواب اتباع الحجة والدلالة ويجوز أن يكون جوابا عن جميع ذلك (وأتاني رحمة من عبدي) رد عليهم بهذا جميع ما أدعوه والرحمة والنصرة هي منها النبوة أي وإعطاني نبوة من عبدي (فصميت عليكم) أي خفيت عليكم لقلة تدبركم فيها (أألم بكموها واتمم لما كانوا) أي أتريدون مني أن أكرهكم على المعرفة وألجسكم إليها على كره منكم هذا غير مقدور في الماء كناية عن الرحمة فيدخل فيها النبوة والدين وسائر الصم وقيل معناه أنكم منكم قبولها تصدق المضاف ويجوز أن يكون الماء كناية عن البينة ويكون المراد أن علي إن أدلكم بالبينة وليس علي

ان اضطررکم الى معرفتها

قوله تعالى (٢٩) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا مَلَاقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٣٠) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ
إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣١) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ
إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا

لَمِنَ الظَّالِمِينَ ثلاث آيات



الطرد الإبعاد على جهة الموان وتطارد الأقوال حمل بعضها على بعض والازدراء الاحتقار احتمال من الزاوية
بالمفرد ثبت عليه إذا عبته وازوت به إذا قصرت به قال الشاعر

رأوه فازدروه وهو خرق وينفع أهله الرجل القبيح
ولم يخشوا مقالته عليهم وتعت الرغوة اللين الصريح



ثم انكر نوح استغاثهم التكليف والماعل إنما يستقل الأمر إذا التزم مؤنة ثقله فقطع هذا العذر بقوله
(ويا قوم لا أستلکم علیہ مالا) اي لا اطلب منكم على دعائكم إلى الله اجرا فتمتعون من إجابتي خوفا من
اخذ المال (إن أجري إلا على الله) اي ما نواله وما أجري في ذلك إلا على الله (وما أنا بطارد الذين آمنوا)
اي لست اطرد المؤمنين من عندي ولا ابصم على وجه الإهانة وقيل انهم كانوا سألوهم طردهم ليؤمنوا له أمه من
ان يكونوا معهم على سواء عن ابن جريج والزجاج (انهم ملاقوا ربه) وهذا يدل على انهم سألوهم طردهم
فأعلمهم انه لا يطردهم لأنهم ملاقوا ربه فيجازي من ظلمهم وطردهم بجزائه من العذاب عن الزجاج وقيل
معناه انهم ملاقوا نواب ربه فكيف يكونون اراذل وكيف يجوز طردهم وهم لا يستحقون ذلك عن
الجباقي (ولكني أراكم قوما تجهلون) الحق وأعلمه وقيل معناه تجهلون ان الناس إنما يتفاضلون بالدين لا بالدنيا
وقيل تجهلون فيما تسألون من طرد المؤمنين (ويا قوم من ينصرفني من الله إن طردتهم) معناه من يمتني من عذاب
الله إن أنا طردت المؤمنين فكانوا خصائي عند الله في الآخرة (أفلا تذكرون) اي أفلا تتفكرون تعلمون
ان الأمر على ما قلته وقرئ على بن عيسى بين التفكير والتذكر بأن التذكروا طلب معنى قد كان حاضرا للنفس
والتفكر طلب معرفة الشيء بالقلب وإن لم يكن حاضرا للنفس وليست النصرة للذكورة في الآية من الشفاعة في
شيء لأن النصرة هي المنع على وجه المالية والقهر والشفاعة هي المسألة على وجه الخضوع فلا دلالة في الآية على نفي
الشفاعة للمذنبين على ما قاله بعضهم (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) هذا تمام الحكاية عما قاله نوح لقومه
ومعناه اني لا ارفع قسي فوق قدرها فأدعي ان عندي مقدرات الله تعالى فأفضل ما أشاء وأعطي ما أشاء وأمنع
من أشاء عن الجباقي والي سلم وقيل خزائن الله مغايص الله في الرزق وهذا جواب لقولهم ما نراك إلا بشرا مثنا
او قولهم وما نرى لكم علينا من فضل (ولا أعلم الغيب) اي ولا ادعي علم الغيب حتى أدلكم على منافصكم
ومضاركم وقيل لا أعلم الغيب فأعلم ما تسرونه في قوسكم فيكون جوابا لقولهم ان هؤلاء الذين آمنوا بك
اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم اي فسيلي قبول إيمانهم الذي ظهر لي ولا يعلم ما يضررونه إلا الله تعالى (ولا

أقول في ملك) فأخبركم بغير السماء من قبل نفسي وإنما أنا بشر لا أعلم الأشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا أقول إني روحاني غير مخلوق من ذكر وأنتى بل أنا بشر مثلكم خصني الله بالسالة (ولا أقول لفلان تزدرى أعينكم) أي لا أقول لمولاه المؤمنين الذين تستقونهم وتستحقونهم وتحقرهم أعينكم لما تزرون عليهم من زبى القراء (لن يؤثيم الله خيراً) أي لا يعظم الله في المستقبل خيراً على أعمالهم ولا يثيبهم عليها بل إعظام الله كل خير في الدنيا من التوفيق ويعطيهم كل خير في الآخرة من الثواب (الله أعلم بما في ضمير) أي بما في قلوبهم من الإخلاص وغيره (إني أذا لمن الظالمين) أن طردتم تركنانياً لظاهر إيمانهم أو قلت قيم غير ما أعلم

قوله تعالى (٣٢) قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثر جدالاتنا فأتينا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٣٣) قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين (٣٤) ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون (٣٥) أم يقولون افتراء قل إنا بآية قطيعة إجماع وأنا بريء مما تجرمون أربع آيات

اللمعة

الجدال والمجادلة اللتان بما يقتل الخصم من منعه بجملة أو شبهة وهو من الجدل شدة القتل ويقال للعتق أجدل لأنه من أشد الجوارح والجدال والمراد بمعنى غير أن المراد منموم لأنه محاسبة في الحق بعد ظهوره كزبي المضرع بعد دوروه وليس كذلك الجدال والفرق بين الحجاج والجدال أن المطلوب بالحجاج ظهور الحقيقة والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب والاعتماد هو الموت بالمرب والفرق بين القراء الكذب وقبول الكذب أن قول الكذب قد يكون على وجه تقليد الإنسان فيه لغيره وأما افتراء الكذب فهو اختلاله من قبل نفسه واجرم وجرم بمعنى قال

طريد عشرة ورهين ذنب بما جرمت يدي وجنى لثاني

اللمعة

ثم حكى الله سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم فقال (قالوا يا نوح قد جادلتنا) أي خاصتنا وأججتنا (فأكثر جدالاتنا) أي زدت في مجادلتنا على مقدار الكفاية وفي بعض الروايات عن ابن عباس (فأكثر جدلاتنا والمعنى واحد) فأتينا بما تعدنا من المذاب (إن كنت من الصادقين) في أن الله تعالى يهدينا على الكفر أي لئلا نؤمن بك ولا تقبل منك (قال) نوح (إنما يأتيكم به الله إن شاء) أي لا يأتي بالسلب إلا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه غيره فإن شاء صلب وإن شاء آخر (وما أنتم بمعجزين) أي لا تقوتونه بالمرب (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) ذكر في تأويله وجوه ﴿احملها﴾ إن كان الله يريد أن يغويكم من رحمته بأن يجرمكم ثوابه ويعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم وقد سعى الله سبحانه المقاب غيا بقوله فسوف يلقون غيا ويشهد بصحة ما قلناه قول الشاعر

فمن يلقى خيراً يحمد الناس أمره ومن يفول يندم على الغي لاثماً

ولما خيب الله سبحانه قوم نوح من رحمته وثوابه وأعلم الله نوحاً (ع) بذلك في قوله لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن قال لهم لا ينفعكم نصحي مع إشاركم ما يوجب خيبتكم والمذاب الذي جره إليكم فيج الفالكهم وأذا طراً شرط على شرط كان الثاني مقدماً على الأول في المعنى وإن كان موخراً في اللفظ والتقدير ولا ينفعكم نصحي

ان كان الله يريد أن يغويكم ان اردت ان انصح لكم ﴿ وثانيها ﴾ ان المني ان كان الله يريد عقوبة اغواكم الخلق واذلائكم اياهم اي يريد عقوبكم على ذلك ومن عادة العرب أن تسمى العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه كما في قوله سبحانه وجزاء سيئة مئة مثلاً ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم وقد مر فيما مضى امثال ذلك ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه ان كان الله يريد ان يهلككم فلا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتم قولي واستمسكتم بالله تعالى حكم بأن لا يقبل الايمان عند نزول العذاب عن الحسن وقد حكمي عن العرب انهم قالوا اغويت فلانا يعني اهلكتموه يقال غوي الفصل اذا سد من كثرة شرب الخمر ﴿ ورابعها ﴾ ان قوم نوح كانوا يعتقدون ان الله تعالى يفضل عباده عن الدين وان ما هم عليه بارادة الله لولا ذلك لغيره وواجبهم على غلظه فقال لهم نوح على وجه التصريح من قولهم والانتكار لذلك ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وهذا هو المحكي عن جسر بن حرب وانما شرط التصريح بالارادة في قوله ان اردت ان انصحكم مع وقوع هذا التصريح مستظاهراً الى الحجة عليهم الا انهم ذهبوا الى انه ليس بصح فقال لو كان نصحا ما قم من لا يقبله ولا يجوز ان يكون المراد بالاغواء في الآية فعل الكفر أو الدعا الى الكفر والحمل عليه على ما يعتقد الجيزة لقيام الأدلة على ان خلق الكفر وارادته من اقبح القبائح كما لا مر به وكما لم يجز ان يأمر به فكذلك لا يجوز ان يفعل ويأمر به ولا فله لو جاز منه الإشغال لجاز منه ان يبحث من يدعو الى الضلال ويظهر المعجزات على يده وفي هذا ما فيه (هو ريبك واليه ترجعوت) اي هو خالفكم ورازقكم والى حكمه وتدييره تصيرون فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افترأه) قيل انه يعني بذلك محمداً ﷺ والمراد ابو من كفار نوح بما اخبرهم به محمد ﷺ ان نيا قوم نوح (ح) ام يقولون افترأه محمد ﷺ من تلقا نفسه (قل) لهم يا محمد (ان الفريسة) واختلقت كما تزعمون (فلي اخبرني) اي عقوبة جرمي لا تؤخّلون به (وانا بريء مما تعبدون) اي لا اؤخذ بهرمكم عن مقاتل وقيل يعني به نوح (ح) وانه يقول على الله الكذب عن ابن عباس

﴿ النظم ﴾

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها على القول الاول انها متصل بقوله ام يقولون افترأه قل فأتوا بشر سورة

قوله تعالى (٣٦) وَاَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٧) وَأَصْحَمُ أَفْئَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ (٣٨) وَيَصْنَعُ أَفْئَكَ وَكَلِمًا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٩) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُغْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْمِنٌ أَرْبَعُ آيَاتٍ

﴿ التلوة ﴾

الابتساح حزناً في استكاثه وانشاء ابو عبيدة

ما يقسم الله اقبل غير مبشس منه واقعد كريماً ناعماً بالبال

وهو اتصال من البؤس وقد يكون البؤس بمعنى الفقر ايضاً والصنع جعل الشيء موجوداً بعد ان كان معدوماً ومثله الفصل وينفصلان من الحدوث من حيث ان الصنعة يقتضي صانعاً والفعل يقتضي فاعلاً من حيث اللفظ وليس كذلك الحدوث لانه يفيد تجدد الوجود لا غير والصناعة الحرفة التي يكسب بها والفعل السعيه ويكون واحداً

وجما والسخرية اظهار خلاف الاضطراب على وجه يفهم منه استنصاف العقل ومنه السخرية التذليل يكون استنصافا بالظهر والفرق بين السخرية واللب ان في السخرية خديعة واستنصافا ولا يكون الا بصيوان وقد يكون اللب بجماد والحلول النزول للمقام وهو من الحل خلاف الارتحال وحلول المرض وجوده في الجوهر من غير شغل حيزو المصحح للحلول الصريح

- الأعراب -

سوف ينقل النقل من الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التصوف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور من يأتيه قيل سيف من هذه قولان ﴿ احلها ﴾ أبت يكون بمعنى اي فكأنه قال ابنا يأتيه عذاب يخزيه ﴿ والآخرة ﴾ ان يكون بمعنى الذي والمعنى واحد ومن اذا كانت للاستفهام استغنت عن الصلة كما استغنت كيف وكم عن الصلة واذا كانت بمعنى الذي فلا بد لها من الصلة لأن البيان مطلوب من المسؤول دون السائل

في المعنى

(واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اعلم الله سبحانه نوحا انه لن يؤمن به احد من قومه في المستقبل (فلا تبشئ) اي لا تنتم ولا تحزن (بما كانوا يفعلون) والعقل لا يدل على ان قوما لا يؤمنون في المستقبل وإنما طريق ذلك السمع فلما علم ان احدا منهم لا يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم دعا عليهم فقال رب لا تقل على الارض من الكافرين ديارا أنك ان تنهرهم بضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا ككثارا فلما اراد الله سبحانه اهلاكم امر نبيه باخذاذ السفينة له وقومه فقال (واصنع الفلك) اي اعمل السفينة لتركبها وانت ومن آمن بك (يا عيسى) اي برأى منا عن ابن عباس والتأويل يحفظنا اياك حفظ الراي لغيره اذا كان يدفع الضرر عنه وذكر الاعين لنا تأكيد الحفظ وقيل اراد بالاعين اللامعة الموكلين بك وبحضرتهم وهم ينظرون يا عيسى اليك وإنما اضاف ذلك الى قسه اكراما وتعظيما لهم قوله (ووحينا) معناه وعلى ما اوحينا اليك من مفتها وسالها عن النبي وسلم وقيل الى ادب وحيثما كان استمعها وذلك انه (ع) لم يعلم صنعة الفلك فعلمه الله تعالى عن ابن عباس اي فلما نوحى اليك بما تحتاج اليه من طوله وعرضه وهيأته (ولا تخاطبي في الدين) ظلموا انهم مفرقون . اسي لا تأتاني الغم عن هؤلاء الذين كفروا من قومك ولا تشفع لهم فلهم مفرقون عن قريب وهذا غاية سيف الوعيد كما يقول الملك لوزيره لا تذكر حديث فلان بين يدي وقيل انه حتى به امرأته واجه وانما نهاه عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب اليه وليسرف عنه مأثم المالاة للظنفة (ويصنع الفلك) اي وجعل نوح (ع) يصنع الفلك كما امره الله تعالى وقيل واخذ نوح في صنعة السفينة بيده فبصل بنحتها ويسويها وارض عن قوله (وكما هو عليه ملا من قومه سخروا منه) اي كلما اجتاز به جماعة من اشراف قومه وروسا لهم وهو يعمل السفينة عزوا من فعله وقيل انهم كانوا يقولون له يا نوح صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل إنما كانوا يسخرون من عمل السفينة لأنه كان يعملها في البر على صفتين الطول والعرض ولا ماء هناك يحمل مثلاً فكانوا يشاحكون ويستهجون من عمله (قال) أي كان يقول لهم (ان تسخروا منا فلما نسخر منكم كما تسخرون) والمراد ان تستهجوننا في هذا العمل فلما تستهجونكم عند نزول العذاب بكم كما تستهجوننا عن الزجاج وقيل معناه فلما نجازيكم على سخرتكم عند الفرق والهلاك وأراد به تعذيب الله اياهم ففسى الجزاء باسم المجزي به ويحتمل أن يريد فلما نسخر منكم عند الفرق على وجه الثمانية لاجل وجه السفن (فسوف تعلمون) اي اسق بالسخرية أو تعلمون عاقبة سخرتكم (من يأتيه عذاب يخزيه) لهذا إهداء كلام من نوح والأظهر أن يكون متصلا بما قبله اي فسوف تعلمون ابنا يأتيه عذاب يبيته ويهضمه في الدنيا ويكون يخزيه صفة العذاب (ويحل عليه عذاب مقيم)

أي وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة

❦ القصة ❦

قال الحسن كان طول السفينة ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها مئة ذراع وقال قتادة كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وارتفاعها ثلاثين ذراعاً وبها سفين في عرضها وقال ابن عباس كانت ثلاث طبقات طبقة الناس وطبقة للأنام والدواب وطبقة الهوام والوحش وجعل أسفلها الوحش والسباع والهوام وأوسطها الدواب والأنام وركب هو ومن معه في الأعلى ممماً يحتاج إليه من الزاد وكانت من خشب الساج وروبت حائلة عن النبي ﷺ أنه قال مكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى حتى إذا كان آخر زمانهم فرس شجرة فقطعت وذهبت كل مذهب قطعها وجعل يعمل على سفينته وقومه يرون عليه فيسألونه فيقول اعمل سفيناً فيسرفون منه ويقولون تعمل سفيناً على البر فكيف تجري فيقول سوف تملكون فلما فرغ منها وقار التورود وكثر الماء في السلك خشيت لم صبي عليه وكانت تحبه حباً شديداً فخربت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى انتهت إلى الجبل فلما بلغ الماء رقبتهما دفعت يديها حتى جذب بها الماء فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي وروى علي بن ابراهيم عن أبيه من صفوان عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال لا أراد الله إهلاك قوم نوح أقدم الدواب أربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولا فرغ نوح من اتخاذ السفينة إمره الله تعالى أن ينادي بالسريانية أن يجمع إليه جميع الحيوانات فلم يبق حيوان إلا وقد حضر فادخل من كل جنس من اجناس الحيوانات زوجين ما خلا الثور والأسود والنمر وانهم لا شكروا إليه سرقين الدواب والتفرد دعا بالخنزير فمسح جبينه فطس فطس من أنفه زوج فأداه فقتلوا فلما كثروا وشكروا إليه منهم دعا بالأسد ومسح جبينه فطس فطس من أنفه زوج وكان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلاً وفي حديث آخر أنهم شكروا إليه المدة فأمر الله القليل فطس فطس فطس بالخنزير وروى الشيخ أبو جعفر في كتاب النبوة بإسناده عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله (ع) قال إن مع نوح من قومه ثمانية نفر

قوله تعالى (٤٠) حتى إذا جاء أمرنا وقار التورود قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل (٤١) وقال أركبوا فيها يسر أمرهم مجريها ومرسها إن ربي لغفور رحيم (٤٢) وهي تجري يوم في مخرج كالجالال ونادى نوح أبنته وكان في مزل يا بني أركب معنا ولا تكن مع الكافرين (٤٣) قال سأوليس إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال يتبعها الموج فكان من المترفين أركب آيات

❦ القراءة ❦

قرأ حص من عاصم من كل زوجين متونا وفي المؤمنين كذلك وقرأ الباقر من كل زوجين مضافاً وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر مجريها بفتح الميم والباقر بضم الميم وافترقا على ضم الميم في برسيها الأمايري في الشاذ عن ابن عباس أنه فتح الميم فيها وقرأ عاصم يا بني أركب معنا بفتح الباء والباقر بالكسر وروى عن علي أبي طالب (ع) وأبي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعروة بن الزبير ونادى نوح ابنته وروى

من عكرمة ابنها وعن السدي ابنه وعن ابن عباس ابنه على الوقت

الحجة

الوجه في قراءة خص ما قاله ابو الحسن ان الاثنين زوجان قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والمرأة زوج الرجل والرجل زوجا قال وقد يقال للاثنين ها زوج قال لبيد

من كل محفوف يظل عصبه زوج عليه كلة وقرامها

قال ابو يعنى من قرأ من كل زوجين كان قوله اثنين مقولاً لمحل والمضى احمل من الأزواج إذا كانت اثنتين زوجين فالزوجان في قوله من كل زوجين يراد بهما الشياخ وليس يراد بهما الناقص من الثلاثة ومثل ذلك قول الشاعر

فاعمد لما يملو فما لك بالذي لا تستطع من الأمور يدان

إذا يريد تشديد انتفاء قوته عنه وتكثيره وبين هذا المعنى قول الفرزدق

وكل رفيقي كل رحل وإن هما تماحلى القنا قوما هما اخوان

فرفقان اثنان لا يكونان رفيقي كل رحل وإذا يريد الرفقاء إذا كانوا رفيقين ومن ثون فقال من كل زوجين فحذف المضاف اليه من كل وثنون فالمعنى من كل شيء ومن كل زوج زوجين اثنين فيكون انتصاب اثنين على انه صفة لزوجين فإن قلت فالزوجان قد فهم انهما اثنان فكيف جاز وصفها بقوله اثنين فإننا جاز ذلك بالتأكيد والتشديد كما قال لا تتخذوا آلهين اثنين وقد جاء في غير هذا من الصفات ما مصرفه إلى التأكيد كقولهم أمس الدار ونفخة واحدة ونمجة واحدة قال ومائة الثالثة الأخرى قال ابو علي ويحوز في قوله بسم الله مجربيا ومرسما ان يكون حالاً من شيتين من الضمير الذي في قوله اركبوا ومن الضمير الذي في فيها فإن جعلت قوله بسم الله خبر مبتدأ مقدما في قول من لم يرفع بالطرف ارجعت قوله مجربيا مرتقا بالطرف لم يكن قوله بسم الله مجربيا إلا جهة في موضع الحال من الضمير الذي في فيها ولا يجوز أن يكون من الضمير الذي في قوله اركبوا لأنه لا ذكر فيها يرجع إلى الضمير ألا ترى ان الطرف في قول من رفع بالطرف قد ارتفع به الظاهر في قول من رفع في هذا النحو بالابتداء قد جعل في الطرف ضمير مبتدأ فإذا كان كذلك خلت الحجة من ذكر يعود إلى ذي الحال من الحال وإذا خلا من ذلك لم يكن إلا حالا من الضمير الذي في فيها ويجوز أن يكون بسم الله حالا من الضمير الذي في قوله اركبوا على أن لا يكون الطرف خبرا من الاسم الذي هو مجربيا على ما كان في الوجه الأول ويكون حالا من الضمير على حد قولك خرج بشيابه وركب في سلاحه والمضى ركب مستعدا بسلاحه ومتلبسا بشيابه وفي التثنية وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به فكان المعنى اركبوا متبركين باسم الله ومتسكين بذكر اسم الله ويكون في باسم الله ذكر يعود إلى المأمورين فإن قلت فكيف يكون اتصال المصدر الذي هو مجربيا بالكلام على هذا فإنه يكون متعلقا بما في باسم الله من معنى الفعل وجاز قطعه به لأنه يكون ظرفا على نحو مقدم الخارج وخوف النجم كأنهم كانوا متبركين بهذا الاسم ومتسكين به في وقت الجري أو الاجراء والرسو أو الارساء على حسب الخلاف بين القراء فيه ولا يكون الطرف متعلقا بركبوا لأن المعنى ليس عليه ألا ترى ان المعنى لا يراد اركبوا فيها في وقت الجري والثابت في المعنى اركبوا الآن متبركين باسم الله في الوقتين الذين لا ينفك الركوب فيها من الاجراء والارساء ليس يراد اركبوا وقت الجري والرسو فموضع مجربيا نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه المعنى وفي الوجه الأول رفع بالابتداء أو بالطرف ويدل على انه في الوجه الأول رفع وإن كان ذلك الفعل الذي كان يتلقى به لا يعتز به إلا أن قول الشاعر أنشد الأصمعي

بأي أنت وفوك الأنشب كأنما زر عليه الزنرب

وحجة من فتح مجربا قوله وهي تجري بهم ولو كان مجربا لكان وهي تجرهم وحجة من ضم ان جرت بهم وأجرتهم يتقديان في المعنى يقال جرى الشيء وأجرت به وجرت به وأما قوله يا بني فقد قال ابو علي الكسري في اليا. الوجه في يا بني وذلك ان اللام من اين ياء او واو حذفت في اين كما حذفت في اسم واثنين فلماذا حذرت الحقت ياء التحقيق فلزم ان ترد اللام الذي حذفت لأنك لو لم تردها لوجب أن تحرك بالتحقيق مجرعات الاعراب وتناقيا عليها وهي لا تحرك ابدا بعركة الاعراب ولا غيرها ألا ترى ان من حذف الهزة الساكن ما قبلها في نحو الحب لم يضل ذلك في العز نحو الفاس (؟) إنما يبدل من الهزة ياء. ويدغم فيها ياء التحقيق كما يغل ذلك مع ياء. خطية وواو مقرونة ونحو ذلك من حروف المد التي لا تتحرك فلماذا كتبت ان ياء التحقيق أجريت بالتحقيق هذا المجري علمت انها لا تتحرك كما لا تتحرك حروف المد التي أجريت بالتحقيق مجرعا فلو لم ترد اللام مع ياء التحقيق وجعلتها معذوفة في التحقيق كما حذفتها في التكسير لزم اليا. التي بالتحقيق الانقلاب كما لزم سائر حروف الاعراب فيبطل دلالتها على التحقيق كما ان الألف في التكسير لو حركتها لبطلت دلالتها على التكسير ولذلك رددت اللام فلماذا رددت اللام وأخضتها إلى نفسك لجشمت ثلاث ياءات الأولى منها التي بالتحقيق والثانية لام التعل والثالثة التي للاضافة تقول هذا بني فلماذا غديت جاز فيها وجهان اثبات اليا. وحذفها فن قال يامادي فأتيت بقياس قوله ان يقول بني ومن قال يامباد قال يا بني فحذف اليا. التي للاضافة وأبقى الكسرة دالة عليها وهذا الوجه هو الجيد عندهم ومن قرأ يا بني بالفتح فاقول فيه انه أراد به الإضافة كما أرادها في قوله يا بني إذا كسر اليا. التي هي لام التعل مكانه قال يا بني بياثيا. الإضافة ثم أبدل من الكسرة الفتحة ومن اليا. الألف فصار يا بيا كما قال الشاعر «يا بنت عما لا نومي واهبي» ثم حذف الألف كما كان حذف اليا في يا بني وقد حذفت اليا. التي للاضافة إذ أبدلت الألف منها أنشد ابو الحسن

فلست بمدرك ما قالت مني بلهف ولا بليت ولا لواني

فأظهره لهما قال ابو حنن ووضعت الألف مكان اليا. في الإضافة مطرد واجازيا زيدا أقبل إذا أردت الإضافة فقال وعلى هذا قراءة من قرأ يا أبت لتبصد ويقوم لاسألكم وأنشدوه وهل جزع ان قلت وا ابتاهه وأما من قرأ وقادى نوح ابنه فإنه أراد ابنها كما روي من عكرمة والمضى ابن امرأته لأنه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه وأهلك فضنف لأت تخفيها كما قلناه في بني بالفتح ويا أبت وأما قراءة السدي ابنه فإنه يريد به التندية ومع على الحكاية أي قال له يا ابنه ووا ابنه فأما ابنه بالسكون فلي ما جاء في نحو قوله «ومطوي مشتاق له أرقان»

في اللغة

الفرق الثلثان واصله الارتفاع فاد القدر يفر قورا وقوررا وفوران ارفعهم ما فيه بالثلاث ومنه قولهم فعل ذلك من فوره أي من قبل ان يسكن والإرساء اساءك السفينة بما تقف عليه يقال إرساه الله فرست قال حنفة

فصبرت نفسا عند ذلك حرة ترسو إذا نفس العبدان تطلع

واللوح جهم مرجة وهي قطعة عظيمة ترتفع من جملة الماء الكثير والصفة الدم

(سورة الاعراب)

حتى متعلق بقوله واصنع التلک بأعيننا. لاعاصم ركب عاصم مع لاقيني لأنها بالتركيب صاروا كاسم واحد وقيل انه بني لتضمن معنى من لأن هذا جواب هل من عاصم وحج العراب ان يكون وفق السؤال فكان يجب ان يقول لا من عاصم إلا أن من حذفت وتضمن الكلام معناه فبني الاسم لذلك وهذا الوجه حسن واليوم خبر والمعلم فيه المذخور لا قوله عاصم لأنه لو عمل فيه عاصم لصار من صله فكان يجب تنوينه لأنه يشبه المضاف كما تقول لا ضاربا زيدا في دارك ولم يقرأ أحد لا عاصم اليوم وقيل ان خبره قوله من امر الله والتقدير إذا عصية

كائن من أمر الله في اليوم واليوم معقول الطرف وإن تقدم عليه كما جاز كل يوم لك ثوب ولا يجوز أن يتلقى اليوم بنفس امر لأن امر مصدر فلا يتقدم عليه ما في صلته ومن دمه فيه ثلاثة أقوال ﴿احدها﴾ أن يكون استثناء متعللاً لأن التقدير الامن من رحمة الله فيكون من مفعول واستثناء من عاصم وعاصم فاعل فكأنه قال لكن من رحمة الله معصوم ﴿وثانيها﴾ أن يكون المعنى لا عاصم الا من رحمتنا فكأنه قال لا عاصم الا الله ﴿والثالث﴾ أن عاصم هما بمعنى معصوم وتقديره لا معصوم من امر الله الا من رحمة الله وقد يأتي فاعل بمعنى مفعول كقوله في عيشة راضية اي مرضية وما دافق اي مدفوق وقال الخطيب

دع المكابر لا ترحل لبنيها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

اي المكسور على التولين الآخرين يكون الاستثناء متصلاً وقال ابن كيسان لما قال لا عاصم كان معناه لا معصوم لأن في نفي العاصم نفي المعصوم ثم قال إلا من رحم فاستثناء على المعنى فيكون متصلاً
— المعنى —

ثم أخبر سبحانه عن اهلاك قوم فرح فقال (حتى إذا جاء امرنا) والمعنى فذلك حاله وحالهم حتى إذا جاء قضاء بتزول الغاب (وفار التنور) بلقاء اي ارتفع الماء بشدة اندفاع وفي التنور اقوال ﴿اولها﴾ إنه تنور الجارية وأنه تنور كان لا دم فار الماء منه علامة نوح (ع) اذ نبع الماء من موضع غير معهود وأخبره منه من ابن عباس والحسن ومجاهد ثم اختلف في ذلك فقال قوم ان التنور كان في دلو نوح (ع) بين وده من ارض الشام وقال قوم بل كان في ناحية الكوفة وهو المروي عن أنسنا (ع) وروي المفضل بن عمر عن ابي جند الله (ع) في حديث طويل قال كان التنور في بيت عيوز مؤمنة في دير قبله مينة مسجد الكوفة قال قلت فكيف كان يدهن ويخرج الماء من ذلك التنور قال نعم ان الله احب ان يري قوم نوح آية ثم ان الله سبحانه ارسل عليهم المطر فيفيض فيفاض الفرات فيضاً وفاضت البيوت كلها فيفاض ففرقه الله وانجى نوحاً ومن معه في الشفة فقلت فكيف لبث نوح في الشفة حتى نضب الماء فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعة ايام يلباها فقلت له ان مسجد الكوفة قديم فقال نعم هو مصلى الانبياء وقد صلى فيه رسول الله ﷺ حين اسري به الى السماء قال له جبرائيل (ع) يا محمد هذا مسجد ابيك آدم ومصلى الانبياء فانزل فصل فيه فنزل فصل فيه ثم ان جبرائيل (ع) خرج به الى السماء وفي رواية اخرى ان الشفة استقلت بها فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوماً يلباها وروي ابو عبيدة الحذاء عن ابي جعفر (ع) قال مسجد كوفان وسطه روضة من رياض الجنة الصلاة فيه بسبعين صلاة صلى فيه النبي وسبعون نبياً فيه فار التنور وجرت الشفة وحوسرة بابل ومجمع الانبياء عليهم السلام ﴿وثانيها﴾ أن التنور وجه الارض من ابن عباس والزهري وعكرمة واختاره الزجاج ويؤيده قوله وضرعنا الارض عيرنا ﴿وثالثها﴾ ان معنى قوله وفار التنور ظلم القجر وظهرت امارات دخول النهار وتقضي الليل من قولهم نور الصبح تنويراً وروي ذلك من علي (ع) ﴿ورابعها﴾ ان التنور ارض الارض وشرعها والمعنى نبع الماء من الاسكنة المرتفعة فشبهت بالثناير لظوها عن قتادة ﴿خامسها﴾ ان فار التنور معناه اشتد غضب الله عليهم ووقت نعمتهم كما تقول العرب حسي الوطيس اذا اشتد الحرب وفار قدر القوم اذا اشتد حربهم قال الشاعر

يفور علينا قدرهم فننهب ونفطأها عنا اذا حميا غلا

يريد بالقد الحرب ونهبها نسكتها وهذا أبعد الاقوال من الاثر وحمل الكلام على الحقيقة التي تشهد بها الرواية الاولى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين (اي قلنا لبرح (ع) لا فار الماء من التنور اجل في الشفة بمن كل جنس من الحيوان زوجين اي ذكر وانثى وقد ذكرنا المعنى في حجة القراءتين (واهلك) اي واحمل اهلك وولئك (الا من سبق على القول) اي من سبق الوعد باهلاكه والاخبار بأنه لا يؤمن وهي امراته الحائنة واسمها

واغلة وادبها كتمان (ومن آمن) أي واخل فيها من آمن بك من غير اهلك ثم اخبر سبحانه فقال (وما من معه الا قليل) أي الا نفق قليل وهم ثمانون انسانا في قول الاكثرين وقيل اثنا وتسعون رجلا وامرأة وبنوه الثلاثة ونسأدهم فمهم ثمانية وسبعون نفسا وحمل معه جسد آدم (ع) من مقاتل وقيل عشرة أنفس عن ابن اسحاق وقيل ثمانية أنفس عن ابن جريج وثلاثة ودوي ذلك عن ابني عبد الله (ع) وقيل سبعة أنفس من الأعمش وكان فيهم بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وثلاث كائنا لهم فالعرب والروم وفارس واصناف العجم ولد سام والسودان من العيش والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين والقفالية ويأجوج ومأجوج ولد يافث (وقال اركبوا فيها) أي وقال نوح لمن آمن معه اركبوا في السفينة وفي الكلام حذف تقديره فلما قار التندور ووقف نوح على ما دله الله عليه من هلاك الكفار قال لأهله وقومه اركبوا فيها (بسم الله معبرها ومرسها) أي متبركين باسم الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسلها أي اثباتها وحسبها وقيل معناه بسم الله اجرواها وارسلوها وقد ذكرنا تفسيره في الحجة وقال الضحاك كانوا اذا ارادوا ان تجري السفينة قالوا بسم الله معبرها فجرت واذا ارادوا ان تقف السفينة قالوا بسم مرسها فوقفت (ان ربي لغفور رحيم) هذا حكاية مما قاله نوح لقومه ووجه اتصاله بآيته انه لما ذكرت النجاة بالكرب في السفينة ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة لتجلبا بالاطاعة كما اجتلبت النجاة بكرب السفينة (وهي تجري بهم في موج كالجبال) معناه ان السفينة كانت تجري بنوح ومن معه على الماء في امواج كالجبال في عظمها وارتفاعها ودليل تشبيها بالجبال على ان ذلك لم يكن موجا واحدا بل كان كثيرا ودوي عن الحسن ان الماء ارفع فوق كل شيء وفوق كل جبل ثلاثين ذراعا وقال غيره خمسة عشر ذراعا وقيل ان سفينة نوح سارت لئشر مضين من رجب فسارت ستة اشهر حتى طافت الارض كلها لا تستقر في موضع حتى اتت لجرم فطافت بموضع الحكمة امسوا وكان الله سبحانه من المرحوم وروى اصحابنا عن ابني عبد الله (ع) ان نوحا ركب السفينة في اول يوم من رجب فضاء وأمر من معه أن يصوموا ذلك اليوم وقال من صام ذلك اليوم تبعته عنه النار مسيرة سنة (وتنادي نوح ابنه) كتمان وقيل ان اسمه يام (وكان في منزل) أي في قطعة من الارض غير القطعة التي كان نوح فيها حين ناداه وقيل معناه كان في فلاحية من دئ أبيه أي قد اعتزل دينه وكان نوح يظن انه مسلم فلذلك دعاه وقيل كان في منزل من السفينة (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) دعا ابنه إلى أن يركب معه في السفينة ليسلم من الفرق قال الحسن كان يوافق اياه فلذلك دعاه وقال ابو مسلم دعاه بشرط الايمان ومعناه يا بني آمن بالله ثم اركب معنا ولا تكن على دين الكافرين وعلى القول الأول يكون معناه لا تتخلف مع الكافرين فتغرق معهم فأجاباه ابنه (قال سأري إلى جبل) أي سأرجع إلى ماوى من جبل (يعصمني من الماء) ان يعصمني من آفات الماء (قال) نوح (لا حاصم اليوم من امر الله إلا من رحم) أي لا مانع ولا دافع اليوم من عذاب الله إلا من رحمه الله فأبانه فأمن بالله يرحمك الله (وحال بينهما الموج فكان) أي فصار (من المرفقين)

قوله تعالى (٤٤) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْ مَاءَكَ وَيَأْسَمِاهُ أَقْلِمِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ آية

الفئة

البلغ اجراء الشيء في الحلق إلى العرف والافتلاح اذهب الشيء من اصله حتى لا يرى له أثر يقال اقلمت السهم إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شيء منه واقلع عن الأمر إذا تركه رأسا

المعنى

ثم بين سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان فقال (وقيل يا ارض ابلمي ماءك) أي قال الله سبحانه للارض

غير بالرفع وقرأ ابن كثير فلا تسألن مشددة النون مفتوحة وقرأ ابو عمرو ويعقوب وسهل فلا تسألني خفيفة النون
مبشدة الياء وقرأ أهل الكوفة خفيفة النون بنير ياء وقرأ أهل المدينة غير قالون فلا تسألني مشددة النون مشددة
الياء وقرأ ابن عامر وقالون فلا تسألن مشددة النون مكسورة بنير ياء

الحجة

قال ابو علي من قرأ انه عمل فنون فالمراد ان سواك ما ليس لك به علم غير صالح ويجعل ان يكون
الضير في انه لا دل عليه قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فيكون تقديره ان كوزك مع الكافرين
وانسياذك اليهم وتركك الركوب معنا والدخول في جملتنا عمل غير صالح ويجوز أن يكون الضير لآين نوح كأنه
جعل عملا غير صالح كما يجعل الشيء شيئا كثرة ذلك منه كقولهم الشر زهير او يكون المراد انه ذو عمل
غير صالح فصفه المضاف ومن قرأ انه عمل غير صالح فيكون في المعنى كقراءة من قرأ انه عمل غير صالح وهو
يجعل الضير لآين نوح وتكون القراءة ثلث متعنتين في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ ومن ضف هذه القراءة بأن
العرب لا تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عمل غير حسن قالوا فيه انهم يقيمون الصفة مقام الموصوف عند
ظهور المعنى فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا يعني فعلت فلا صوابا وقلت قولنا حسنا صوابا في ربيعة

أيها القائل غير الصواب خير النصيح وأقل عتاي

وقال ايضا

وكم من قتيل ما ينأ به دم ومن علق وهن إذا لفه منا
ومن مالى عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجرة البيض كالدمي

اراد وكمن من انسان قتيل وظنائه كثيرة ومن قرأ فلا تسألن بفتح اللام ولم يكسر النون على السؤال
إلى مفعل واحد في اللفظ والمعنى على التعدي إلى مفعل ثان ومن كسر النون هاءنا قلونه يدل على تعدية السؤال
إلى مفولين (أحدهما) اسم المتكلم والآخر اسم الموصول وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع
النونين كما حذفت النون من قولهم انى كذلك وكما حذفت النون من قوله «يسوء الغاليات إذا غلبتي» وأما
اتباء الياء في الرسل فهو الأصل وحذفها انشغال الكسرة بدل عليها

الاعراب

قوله ما ليس لك به علم يجمل قوله به في الآية ويجوز (أحدهما) أن يكون كقوله كان جزائي
بالصا ان اجلداه إذا قدمت بالصا وكقوله وكأنا فيه من الزاهدين وإلى لكما لمن الناصحين وانا على ذلكم من
الشاهدين وزعم ابو الحسن أن ذلك إما يجوز في حروف الجر والتقدير فيه للتطبيق بجمعر يفسره هذا الذي ظهر
بعد وإن كان لا يجوز تسلمه عليه ومثل ذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين فانتصب يوم
يرون بأ دل عليه لا بشرى يومئذ ولا يجوز لا بعد لا هذه ان يتسلط على يوم يرون وكذلك اني لكما لمن الناصحين
متعلق بأ دل عليه النصح المظهر والتقدير اني تصاح لكما لمن الناصحين وكذلك به في قوله ما ليس لك به علم
يتعلق بأ يدل عليه قوله علم المظاهر وان لم يجوز أن يعمل فيه والوجه الآخر أن يكون متعلقا بالمتستر وهو العامل فيه
كمتعلق الظرف بالمباني كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به في الآية مبتدلة فيه والعلم يراد به العلم المتيقن الذي
يعلم به الشيء على الحقيقة ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله فلن علمتموهن مؤمنات ونحو
ما يعلمه الحاكم بشهادة الشاهدين وقرار المقر بما يدعي ونحو ذلك مما يعلم به العلم المظاهر الذي يسمع الحاكم
الحكم بالشيء معه تلك من اتباع القيب تلك مبتدأ ومن اتباع القيب الخبر ونوحها اليك خبر ثان وإن شئت
كان في موضع الحال اي تلك كانت من اتباع القيب موحة اليك وإن شئت كان تلك مبتدأ ونوحها الخبر والجار

من صلة نوحها أي تلك نوحها اليك من آباء النبي ولا يجوز أن يكون من زيادة على تقدير تلك آباء النبي لأنها لا تزداد في الوجوب ويجوز على قول الآخر

« المعنى »

ثم حكى سبحانه قام قصة نوح (ع) فقال (ونادى نوح ربه) نداء تظميد ودعاء (فقال رب إن ابني من اهلي وإن وعدك الحق) معناه يا مالكي وخالقي ورازقي وعدتي بتبعية اهلي وإن ابني من اهلي وإن وعدك الحق لا خلف فيه فنبهه إن كان ممن وعدتي بنجاته (وأنت احكم الحاكمين) في قولك (قال) الله سبحانه (يا نوح انه ليس من اهلك) وقد قيل في معناه أقوال **« احدها »** انه كان ابنه لصلبه والمعنى انه ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم منك لأن الله سبحانه قد استثنى من اهله الذين وعده ان ينجم من أراد اهلاكم بالقرق فقال إلا من سبق عليه القول من ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة واختاره الجبائي **« وثانيها »** ان المراد بقوله ليس من اهلك انه ليس على دينك فكان كفره اخبره من ان يكون له احكام اهله من جماعة من الفسرين وهذا كما قال النبي عليه وآله السلام سليمان اهل البيت وإننا أراد حلي ديننا وروي عن علي بن مهزيار من الحسن بن علي الرضا (ع) قال قال ابو عبد الله (ع) ان الله تعالى قال لنوح انه ليس من اهلك لأنه كان مخالفا له وجعل من اتبعه من اهله يؤيد هذا التأويل ان الله سبحانه قال معنى طريق التمثيل إنه عمل غير صالح فبين انه إنما خرج عن احكام اهله لكفره وسوء عمله وروي عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفا له في العمل والنية فمن قيل انه ليس من اهلك **« وثالثها »** انه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنما ولد على فراشه فقال (ع) انه ابني على ظاهر الامر فاعلم الله تعالى أن الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته من الحسن ومجاهد وهذا الوجه بعيد من حيث ان فيه منافاة القرآن لأنه تعالى قال ونادى نوح ابنه ولان الانبياء يجب ان يتزكوا من مثل هذه الحال لأنها تثير وتشين وقد نزه الله انبياءه عما دون ذلك توفيرا لهم وتخليها ما يفر من القبول منهم وروي عن ابن عباس انه قال ما زلت امرأة نبي قط وكانت الحايضة من امرأة نوح انها كانت تنسبه إلى الجنون والحايضة من امرأة لوط انها كانت تدل على اضيافه **« ورابعها »** انه كان ابن امرأته وكان ربيعه وبعضه قراءة من قرأ ابنه بفتح الهاء وابنها والمتمد المول عليه في تأويل الآية القولان الأولان (انه عمل غير صالح) قد ذكرنا الوجه في القراءتين واختار المرتضى (رض) في تأويله ان التقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح واستشهد على ذلك بقول الحسناء

ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان اظنار

ترتعب ما رمت حتى إذا اذكرت فانما هي اقبال وادبار

أرادت فلم تسمي ذلك اقبال وادبار قال ومن قال ان المعنى إن سواك ايبي ما ليس بك به علم عمل غير صالح فإن من استمع من أن يقع على الانبياء شيء من القبايح يدفع ذلك فلذا قيل له فلم قال (فلا تسأني ما ليس لك به علم) وكيف قال نوح رب اني اعز بك أن أسألك ما ليس لي به علم قال لا يستنع أن يكون نهي من سؤال ما ليس لك به علم وإن لم يقع منه وان يكون تعذر من ذلك وإن لم يوقه كما نهي الله سبحانه نبيه عن الشرك في قوله لنن اشركت ليجعلن عملك وإن لم يميز وقوع ذلك. منه وإنما سأل نوح (ع) نجاة ابنه بشرط المصلحة لا على سبيل القسط فلما بين الله تعالى ان المصلحة في غير نجاته لم يكن ذلك خارجا عما تضمنه السؤال وقوله (إني اعطاك) أي احذرك والوعظ الدعاء إلى الحسن والزجر عن القبيح على وجه الترهيب والترهيب (أن تكون من الباهلين) معناه لا تكون منهم قال الجبائي يعني اني اعطاك لئلا تكون من الباهلين ولا شك ان وعظه سبحانه يصرف عن الجهل ويترفع عن القبيح (قال) نوح عند ذلك (رب اني اعز بك أن أسألك ما ليس

لي به علم) أي احتشم بك إن أسألك ما لا أعلم أنه حوالب وانك تعلمه ومعنى العباد بالله الاعتصام به طلبا للنجاة ومعناه هنا الخضوع والتذلل لله سبحانه ليوقفه ولا يهلكه إلى نفسه ولمعنا حذف يا من قوله رب وألغى في قوله يا نوح لأن ذلك نداء تنظيم وهذا نداء تنبيه فوجب أن يأتي بحرف التنبيه (ولم لا تنقر لي وتوحي أن كن من الخاسرين) إنما قال ذلك على سبيل التخشع والاستكانة لله تعالى وإن لم يسبق منه ذنب ثم حكي الله سبحانه ما أمر به نوحا حين استقرت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال (قيل يا نوح اهبط) أي ازل من الجبل أو من السفينة (سلام منا) أي سلامة منا ونجاة وقيل بصية وتسلم منا عليك (وبركات عليك) أي ونعم دائمة وخيرات فلبية ثابتة حالا بعد حال عليك (وعلى أمم عن معك) يعني الأمم الذين كانوا معه في السفينة من المؤمنين والامة الجامعة الكثيرة المتفقة على ملة واحدة وقيل معناه وعلى أمم من ذرية من معك وقيل يعني بالأمم سائر الحيوان الذين كانوا معه لأن الله تعالى جعل فيها البركة (وأمم منعتهم ثم يسهم منا عذاب اليم) معناه أنه يكون من نلهم أمم منعتهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون وتهلكهم ثم يسهم بعد الهلاك عذاب مؤلم وإنما ارتفع أسم لأنه استأنف الاخبار عنهم وروي عن الحسن أنه قال هلك المشركون في الدنيا لأن الجبل يغلب عليهم والقلعة فلا يضحكون إلا في الدنيا وعمارتها وملادها ثم أشار سبحانه إلى ما تقدم ذكره من إخبار قوم نوح فقال (تلك) أي تلك الأنباء (من آيات النيب) أي من إخبار ما غاب عنك معرفته ولو قال ذلك كان جائزا لأن المصدر قد يكسب عنها بالتذكير كما يكسب بالتأنيث يقولون قدم فلان فحسرت بها أي بقدمته وفرحت به أي بقدموه (نوحيا اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هنا) أي ان هذه الأخبار التي أعلمناكم لم تكن تعلمها أنت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل إيماننا اليك لأنهم لم يكونوا أهل كتاب وسبق وقيل من قبل هذا القرآن ويان القصص فيه (فاصبر) أي فاصبر على القيام بأمر الله وعلى أذى قومك يا محمد كما صبر نوح على أذى قومه وهذا أحد الوجوه التي لأجلها كرر الله قصص الأنبياء عليهم السلام ليصبر النبي ﷺ على ما كان يقاسم من أمور الكفار الجاهل حالا بعد حال (ان العاقبة للمتقين) أي ان العاقبة المحمودة وخاتمة الخير والتمرة للمتقين كما كانت لنوح (ع)

قوله تعالى (٥٠) وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيري إن أنتم إلا مفترون (٥١) يا قوم لا أسئلكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون (٥٢) يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين (٥٣) قالوا يا هود ما جئنا بنبية وما نحن بباركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين (٥٤) إن نقول إلا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال إني أشهد الله وأشهدوا إني بريء مما تشركون (٥٥) من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (٥٦) إني نزلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بما صنعتها إن ربي على صراط مستقيم (٥٧) فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرؤنه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ (٥٨) ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناكم من عذاب غليظ (٥٩) وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله

وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَبِيدٍ (٦٠) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِنَفْسِكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا بِهِمْ إِلَّا بِنِعَالٍ لِأَعْدَاءِ قَوْمِ هُودٍ احدى عشرة آية كوفي وعشر في الباقيين عد الكوفي ما تشركون آية

القطر الشق عن رأس الله كما ينظر الورق عن الشجر ومنه نظر الله الخلق لأنه بمنزلة ماشق عنه فظهر للمداد الدار الكبير المتابع على قدر الحاجة إليه دون الزائد المصد للضرر ومقابل للعلامة كقولهم معطار ومقدمات ترك من قومهم عراه يعروه إذا أسابه قال الشاعر [من القوم يعروه اجتراءً وما أمَّ] والفرق بين الإنظار والتأخير أن الإنظار إهمال لينظر صاحبه في أمره والتأخير خلاف التقدير والتأنيص قصاص الشر وأصله الاتصال من قومهم مغاظة تناسي مغاظة إن كانت الأخيرة متصلة بالأول قال (في تناسيها بلاقية) وقال أبو العجم

ان يس رأسي اسقط المناصي كأنما فرقه المناصي
أي يجاذب ليصل به في مرة • العنيد العاتي الطاغى عند يئس عتودا إذا تعبر وعند عن الأمر إذا حاد
جه فهو عائد وعتود

— (الاعراب) —

أخام نصب بتقدير ارسلنا كأنه قال وارسلنا إلى عاد أخام وهو دا عطف بيان وعاد مصروف لأن المراد به
الحي وقد يقصد به البقية فلا يصرف قال

لو شهد عاد في زمان عاد لا قبرها مبارك الجلال (٩)

غيره من ضم الراء حمل الصفة على الموضع ومن جره حمله على اللفظ قوله إن قول إلا اعتراك بعض آلعتا
يسوء وقال صاحب كتاب كشف الجامع التحوي أن حرف تفي لحقت قول ففت جميع القول إلا قولاً واحداً
ومو قولهم اعتراك بعض آلعتا يسوء والتقدير ما تقول قولاً إلا هذه المثالة والقول يدل على المصدر وعلى الظرف
وعلى الحال ويجوز أن يذكر القمل ثم يستثنى من مدلوله ما دلل عليه من المصادر والظروف والأحوال فنقول
اعتراك مستثنى من المصدر الذي دل عليه قولك كقولهم تعالى أفما نحن بعينين إلا موتنا الأولى فنصب موتنا
على الاستثناء لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دل عليه قوله بعينين وما جاء من ذلك في الظروف قوله ويوم
نحشرهم كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة من النهار فساعة استثناء مما دل عليه يلبثوا من الأوقات وما جاء من ذلك في
الحال قوله ضربت عليهم الذلة أبنا نقولوا إلا بجعل من الله التقدير ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال أبنا
نقولوا إلا متمسكين بجبل أي يهد من الله انتهى كلامه وقوله فإن تولوا تقديره فإن تولوا فنحذف إحدى التائين
لدلالة الكلام عليه وقوله بعداً لمعاد منصوب على المصدر أي يعلمهم الله بعداً فوق بعداً موقع إبعاد كما وقع نبات
موقع إنبات في قوله والله أنيقكم من الأرض نباتاً

— (المعنى) —

ثم عطف سبحانه قصة هود على قصة نوح فقال (وإلى عاد أخاهم هوداً) أراد أخاهم في النسب دون الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده والطاعة دون الأصنام (ما لكم من إله غيره) دخول من يفيد التعميم هي إن يكون لهم معبود يستحق العبادة غير الله عز اسمه (إن أنتم إلا مفترون) أي ما أنتم إلا كاذبون في قولكم إن الأصنام آلهة (يا قوم لا أسألكم عليه أجراً) أي لست أطلب منكم على دعائي أنكم إلى عبادة الله سواء

(إن أجري إلا على الذي فطرني) أي ليس جزائي إلا على الله الذي خلقتني (أفلا تعقلون) عني ما أقول لكم فتعلمون أن الأمر على ما أقوله (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) قد بينا وجه تقديم الاستغفار على التوبة في أول هذه السورة (يرسل الساء عليكم مددرا) أي يرسل المطر عليكم متتابعاً متواتراً دأراً وقيل أنهم كانوا قد اجتدوا فوعدهم هود أنهم إن تابوا انحصب ببلادهم وامرعت وهادم وأثرت اشجارهم - وذكركم غلظهم ينزل الغيث الذي يمشون به وهذا مثل قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب (ويزدكم قوة لربى قوتكم) فسرت القوة هنا للمال والولد والشدة وكل ذلك مما يتقوى به الإنسان قال علي بن موسى يريد عزاً لربى عزكم بكثرة عددكم واموالكم وقيل قوة في إيمانكم إلى قوة إبدانكم (ولا تتولوا) عما أدعوكم إليه (عبرم) أي مشركين كافرين (قالوا يا هود ما جئنا بنبية) أي بحجة ومعجزة تبين صدقك (وما نحن بتاركى أهلكنا عن قولك) أي لسا بتاركى عبادة الأصنام لأجل قولك وقيل إن عن جعلت مكان البلاء فعمناه بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين وإنما حملهم على دفع البينة مع ظهورها أشياء منها تقليد الآباء والرؤساء ومنها اتقاهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها ومنها أنه دخلت عليهم الشبهة في صحتها ومنها اعتقادهم لأصول فاسدة دعهم إلى جسدنا وإنما حملهم على عبادة الأوثان أشياء منها اعتقادهم أن لعبادتها نفعهم إلى الله زلفى ومنها أن الشيطان ربما ألقي إليهم أن عبادتها تحفظهم في الدنيا ومنها أنهم ربما اعتقدوا مذهب المشبهة فالتفتوا الأوثان على صورته عدم فبدوها (إن تقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء) هذا تمام الحكاية عن قوم هود جواباً لهود والمعنى لسا تقول فيك إلا أنه أصابك بعض آهتنا بسوء فنجعل عقابك لشتمك لما وسبك إياها ذهب إليه ابن عباس ومجاهد (قال) أي قال هود لقومه (إني أشهد الله واشهدوا) أي وأشهدكم أيضاً بسند أشهاد الله (إني يرى ما تشركون من دونه) أي إن كنتم تزعمون أن الهةكم عاقبتني لطيفي عليها فإني على بصيرة في البراءة ما تشركونه مع الله من الهةكم التي تزعمون أنها أصابني بسوء وإنما أشهدكم على ذلك وإن لم يكونوا أهل شهادة من حيث كانوا كفاراً فساأنا إقالة الحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم فقال هذا القول اعتذاراً وإنذاراً وقيل أنه أراد بقوله أشهدوا واعلموا كما قال شهد الله اسمه علم الله (فكيدوني جميعاً) لا تتفرون) أي فاحتالوا واجتهدوا أنتم والهةكم في أنزال مكروه في ثم لا تمهلوني قال الزجاج وهذا من أعظم آيات الأنبياء أن يكون الرسول وحده وامنه متعاوناً عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع واحد منهم ضربه وكذلك قال نوح لقومه فاجمعوا أمركم وشركاءكم الآية وقال نبينا ﷺ فإن كان لكم كيد فكيدون ومثل هذا القول لا يصدر إلا عن هو واثق بصر الله وأنه يحفظه عنهم وبصحة منهم ثم ذكر هود (ع) هذا المعنى فقال (إني توكلت على الله ربي وربكم) أي فوضت أمري إلى الله سبحانه متمسكاً بطاعته تاركاً لمصيته وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه (ما من دابة إلا هو أخذ بها من تحتها) أي ما من حيوان يدب على وجه الأرض إلا وهو ماله لها يصرفها كيف يشاء، ويقهرها ويذل الأخذ بالناصية كتابه عن القهر والقدرة لأن من أخذ بالناصية غيره فقد قهره وأذله (إن ربي على صراط مستقيم) أي أنه سبحانه مع كونه قاهراً على عدلها بما على عباده والمعنى أنه يمدد ولا يجور وقيل معناه إن ربي شيء تدبير عباده على طريق مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب فهو يجري على سبيل الصواب وقيل ما يقتضيه الحكمة (فإن تولوا) هذا حكاية عما قاله هود (ع) لقومه والمعنى فإن تولوا ويوحز أن يكون حكاية ما قاله سبحانه لهود والمعنى فإن تولوهم (ف) قل لهم (قد أبلغكم بما أُرسلت به إليكم) أي ليس ذلك لتقصير مني في إبلابكم وإنما هو لسوء اختياركم في اعراضكم عن نصحي فقد أبلغكم جميع ما أوحى إلي (ويستخلف ربي قوماً غيركم) أي ويهلككم ربي بكفركم ويستبدل بكم قوماً غيركم كي يوحدهم ويمبدونه (ولا تضروهم شيئاً) يعني إذا استخلف غيركم فيجلبهم بدلاً منكم لا تقدرون له على ضرر وقيل معناه لا تضرونه فيؤليكم

وأعراشكم شيئاً ولا ضرر عليه في أهلاككم لأنه لم يختلفكم لحاجة منه اليكم (إن ربي على كل شيء خفيظ) يحفظه من الهلاك إن شاء ويهلكه إذا شاء وقيل معناه إن ربي يحفظني عنكم وعن إذاكم وقيل معناه إن ربي على كل شيء من أعمال عبادي خفيظ حتى يجازيهم عليها (ولما جاء امرأتا) يهلك عاد (نحيباً هوداً) والذين آمنوا معه) من الهلاك وقيل أنهم كانوا أربعة آلاف (برحمة لنا) أي بما أوتيناكم من الهدى والبيان عن ابن عباس وقيل برحمة منا أي بجمعة منا وهي النجاة أي أنجيناكم برحمة لئلا يهلككم عذاب الله لا التناق (وقع (ونجيناكم من عذاب غليظ) أي كما نجيئناكم من عذاب الدنيا نجيئناكم من عذاب الآخرة والغلظ الغثيل العظيم ويحتمل أن يكون هذا صفة للعذاب الذي عقب به قوم هود ثم ذكر سبحانه كفر عاد فقال (وتلك) أي وتلك القليلة (عاد جحدوا) أيات ربه) يعني معجزات هود الدالة على صحة نبوته (وعصوا رسله) إنما جمع الرسل وكان قد بعث إليهم هود لأن من كذب رسولا واحداً فقد كذب جميع الرسل ولأن هوداً كان يدعوهم إلى الإيمان به وبين قسمة من الرسل وما أنزل عليهم من الكتب فكذبوا بهم جميعاً فلذلك عصوه) واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أي واتبع السفلة والسقاط الرؤساء وقيل لأن الجبار من يقتل ويضرب على غضبه والعنيد الكثير العناد الذي لا يقبل الحق) واتبعوا سبغ هذه الدنيا لئلا) أي واتبع عاد بعد أهلاكهم في الدنيا بالإبعاد عن الرحمة فإن الله تعالى أبعد من رحمة وتعيد المؤمنين بالدعاء عليهم بالحق (وهو القيامة) أي وفي يوم القيامة يبعثون من رحمة الله كما بسوا في الدنيا منها ويلعنون بأن يدخلوا النار فإن اللعنة الداء بالإبعاد من قولك لعنة إذا قال عليه لعنة الله وأصله الإبعاد من الخير (ألا) إهداء وتوبيه (إن عاداً) كفروا ربه) أراد بهم فحذف الباء كما قالوا امرئك ظهير أي بالخير (ألا بعداً لعد قوم هود) أي أبعدهم الله من رحمة فيبعثوا بعداً قوله تعالى (٦١) وَإِلَى ثُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتَوَبَّوْا إِلَيْهِ وَإِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦٢) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لَنَا لَلْفِي سَكًّا مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ (٦٣) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُصْرَفِي مِنْ أَهْلِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْصِيرٍ (٦٤) وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوْهَا نَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوْهَا بِسَوْءِ مَا خَذَ كُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٥) فَتَمْرَوْهَا فَقَالَ تَمْتَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٦) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٧) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِثِينَ (٦٨) كَانَ لَمْ يَتَوَفَّيْهَا إِلَّا إِنَّ ثُودَ كَفَرُوا رَهُمْ إِلَّا بَعْدَ ثُودَ ثَمَانِي آيَاتٍ

القرأة

قرأ أهل المدينة غير اساميل والكسائي والبرجي والشعوني عن أبي بكر عن عاصم ومن خزي يومئذ ففتح الميم ههنا وعذاب يومئذ في المارج والياقوت بكسر الميم على الإضافة وقرأ حمزة وشعبي عن عاصم ويعقوب إلا أن ثود غير ثون في جميع القرآن وقرأ الباقون ثوداً بالتثنية ههنا وفي القرطاني والنكيزوت والجم لا أنه مكتوب

بالألف في هذه المواضع واو بكر عن عاصم يقرأ وتود في والتجم بتير تنوين وينون الباقي وروى عنه البرجي
ومحمد بن غالب عن الأعشى في والتجم بالتوين أيضا وقرأ الكسائي وحده ألا بعنا لشمود بالجر والتنوين والباقيون
لشمود بفتح الدال

-(الحجة)-

قال ابو علي قوله ومن خزي يومئذ يوم في قوله يومئذ ظرف فتمت او كسرت في المعنى إلا انه اتسع فيه
فجعل اسما كما اتسع في قوله بل مكر الليل والنهار فأضيف المكر اليها وإنما هو فيها فكذلك العذاب والخزي
والفرع في قوله من فرغ يومئذ اشفن إلى اليوم والمعنى على ان ذلك كله في اليوم كما ان المكر في الليل والنهار
يدلك على ذلك قوله ولعذاب الآخرة أشد من ذلك ولا يميزهم الفرع الاكبر وقوله ففرغ من في السموات ومن في
الأرض وقوله رجا أنك من تدخل النار فقد أخزيت واما من كسر الميم من يومئذ فلان يوما اسم معرب فأضيف
اليه ما أضيف من العذاب والخزي والفرع فأنجز بالاضافة ولم يفتح اليوم فتبينه لإضافته إلى المعنى لأن المضاف
مفصل من المضاف اليه ولا يلزمه الإضافة فلا لم يلزم الاضافة المضاف لم يلزم فيه البناء يدلك على ذلك أنك
تقول ثوب خز ودار زيد فلا يجوز فيه إلا الاعراب وإن كان الاسمان جملا بمعنى الحرف فلم يلزمها البناء كما
يلزم ما لا ينفك منه معنى الحرف نحو أين وكيف ومعنى فلا لم يبين المضاف للاضافة وإن كان قد عمل عمل الحرف
من حيث كان غير لازم كذلك لم يبين يوم للاضافة الى ان لأن اضافته لم تلزم كما لم يبين المضاف وإن كان
قد عمل عمل المضاف اليه بمعنى اللام او بمعنى من لما لم تلزم الاضافة واما من فتح فقال من عذاب يومئذ ومن
خزي يومئذ ففتح مع انه في موضع جر فلا يضاف بكسبي من المضاف اليه التصريف والتشكي ومعنى الاستشهام
والجزاء في نحو غلام من تضرب وغلام من تضرب اضربه والتي في نحو قومهم ما اخذت باب اداسه اذ فلا كان
يكسبي من المضاف اليه هذه الاشياء اكسبى منه الاعراب والبناء ايضا اذا كان المضاف من الأسماء الشائعة
نحو يوم وحسين ومثل ويشبه بهذا الشاع الأسماء الشائعة المبنية نحو أين وكيف ولو كان المضاف مخصوصا نحو
رجل وغلام لم يكسب منه البناء كما اكسبى منه الاسماء الشائعة فمما جاء من ذلك قوله

علي حين عاتبت المشيب على الصبا

وقلت ألما اصعب والشيب وازع

ومن ذلك قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون فمثل في موضع رفع في قول سيويه وقد جرى وصفا على
الشكرة إلا انه فتح للاضافة إلى ما ومن ذلك قول الشاعر

وتداعى منخره بدم

مثل ما أثر حماض الجبل

لما اضاف مثل إلى المتي وكان اسما شائعا بناء ولم يصره وذهب ابو عثمان إلى انه جبل مثلا مسع ما بمنزلة اسم
واحد فينبى مثلا على الفتح ولا دلالة قاطعة على هذا القول في هذا البيت وإن كان ما ذهب اليه مستقيا فاما الكسرة
في إثر للالتقاء الساكنين وذلك ان إذ من حكمها أن تضاف الى الجملة من الاجداء والخبر فلما انقطعت عنها
الاضافة نوت ليدل التنوين على ان المضاف اليه قد حذف فكسرت النون لكونها وسكون التنوين وقال
في صرف ثمود وترك صرفه ان هذه الأسماء التي تجري على التباين والاحياء على شروب ﴿﴾ احدها ﴿﴾ أن
يكون اسما لشيء والاب ﴿﴾ والآخر ﴿﴾ ان يكون اسما لقبيلة ﴿﴾ والثالث ﴿﴾ ان يكون الغالب عليه الأب والحي
والقبيلة ﴿﴾ والرابع ﴿﴾ أن يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهين ولا يكون لأحد الوجهين مزية على الآخر
في الكثرة فمما جاء على انه اسم المعنى قومهم ثقيف وقريش وكل ما لا يقال فيه بنو فلان واما ما جاء اسما لقبيلة
فتميم قالوا تميم بنشر قال سيويه سمعناهم يقولون قيس ابة غيلان وتميم صاحبة ذلك وقالوا تطلب ابة وأهل قال

لولا فوارس تغلب ابنة وائل تزل العدو عليك كل مكان

واما ما غلب عليه اسم الحي او القيلة فقد قالوا بلعله بن اعصر وقالوا يصروا بلعله فاسمها اسأل افعال سيبويه ولكن شجبل اسم الحي ويعوس لم يميل للاسم القيلة وتيم اكثر من يجعله اسم القيلة ومنهم من يجعله اسم الأب فأما ما استوى فيه ان يكون اسما للقيلة وان يكون اسما للحي فقال سيبويه هو ثمود سبأ فها مرة للقيلتين ومرة للحيين وكثرتها سواء قال وعاداً وثمودا وقال الا ان ثمودا كفروا ربههم وقال وآتينا ثمود الناقة فلماذا استوى في ثمود ان يكون مرة للقيلة ومرة للحي فلم يكن لحمله على احد الوجهين مزية في الكثرة فمن صرف في جميع المواضع كان حسنا ومن لم يصرف في جميع المواضع كان حسنا وكذلك ان صرف في موضع ولم يصرف في موضع آخر إلا انه لا ينبغي ان يخرج عما قرأت به القراء فلان القراءة سنة متبعة ومن ذلك قول الشاعر

كسا الله حي تغلب ابنة وائل من اللوم اظفارا بطيئا نصولها

فقال حي ثم قال ابنة وائل فجمع بين الحي والقيلة وأما قوله -

أولئك أولى من يهود لمُدحة إذا انت يوماً قلتها لم توتب

فقد قامت الدلالة على أن يهود استعملت على انها القيلة وليس للحي في قوله أولئك أولى من يهود لأن يهود لو كان للحي لسرف وانشد ابو الحسن

فوت يهود واسلمت جيرانها صبي لما فعلت يهود صنام

وكذلك جاء في الحديث تقسم يهود ومثل يهود في هذا مجوس في قول الشاعر «كنار مجوس تستمر استماره» إلا ترى انه لو كان للحي دون القيلة لانصرف

❖ اللفظة ❖

الإشياء إيجاد اجزاء من غير استماتة بشي من الاسباب وانشأ فلان حديثا لو شعرا والاستثمار جعل القادر يصير الأرض كعمارة الدار ومنه العمرى في الفقه وهو أن يقول اصليتك هذه الدار عمري او عمرك واللمس واللمس بمعنى وفرق علي بن عيسى بينهما بأن اللمس قد يكون بين جمادين واللمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الادراك والخبر واللمس السقوط على الوجه وقيل هو القصد على الركبة وخفي بالمكان إذا أقامه والمخفى المنزل قال النابغة

غثيت بذلك إذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد

وأصل الغنى الاكتفاء ومنه الغنى بالمال والثناء بالمدح والصوت الذي يكفى به والثناء الاكتفاء بحال الشيء ومنه غنى بالمكان لا كثافته بالإقامة فيه

❖ الأعراب ❖

أدركت له فمعلول له ههنا لأنه معلق كما يعلق إذا دخل الجملة لام الاجزاء سببه مثل قوله قد رأيت لزيد خير منك فكذلك الجزاء وجوابه انت الأولى الفاء وجواب ان الثانية عذوف وتقديره ان عصيته فمن ينصرفني إلا انه استغنى بالأول فلم يظهر ومن ينصرفني صورته صورة الاستفهام ومنه التي فكأنه قال فلا ناصر لي من الله ان عصيته وإنما جاز التاء رأيت هنا لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد لو انتردت عن غيرها وهو يعلق بمحتاجه دون تفصيل لفظها وقوله فيأخذكم جواب النهي بالفاء ولذلك نصبه وتقديره لا يقع منكم سبها بسوء فلان يأخذكم عذاب قريب أي فاحذروا عذاب عاجل إياكم وأيام أصله أيام قلبت الواو ياء وادغمت الياء الأولى فيها

﴿ المعنى ﴾

ثم حلف سبحانه على ذلك قصة صالح فقال (واولى نوح اناهم صالحا) وكان نوح يوادى القرى بين المدينة والشام وكان عاد يمين عن الجبالي (فقال لهم) صالح (يا قوم اعبدا الله ما لكم من اله غيره) معنى تسيده (هو اناكم من الارض) أي ابدأ خلقكم من الارض لأنه خلق آدم من الارض ومرجع نسبكم اليه (واستمروا فيها) أي جعلكم عمار الارض بأن مكنتكم من عمارتها وأوحى بكم إلى السكنى فيها وقيل معناه وأمرها لكم مدة اعماركم من العمرى عن مجاهد وقيل معناه وأطال فيها اعماركم عن الضحاك قال وكانت اعمارهم من ألف سنة الى ثلاثمائة سنة وقيل معناه امركم من عمارتها بما تحتاجون اليه من المساكن والزراعات وغرس الأشجار وفي هذا دلالة على فساد قول من حرم المكاتب لأنه سبحانه أمتن على عباده بأن مكنتهم من عمارة الارض ولو كان ذلك محرما لم يكن لذلك وجه (فاستغفروهم ثم تويا اليه) أي فاستغفروهم عن الشرك والذنوب ثم دموا على التوبة (إن ربى قريب) برحمته لمن وحده (محيب) لمن دعاه (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أي كنا نرجو منك الخير لما كنت عليه من الأحوال الجميلة قبل هذا القول فالآن بشنا منك ومن خيرك لا يبدعك ما أبدعت وقيل معناه كنا نرجوك ونظنك عونا لبنا على ديننا (أأنهنا أن نعبد ما بعد آبائنا) استغفروهم معناه الانكار كأنهم أنكروا أن يعبدوا الانسان عن عبادة ما عبده آبائهم (وأنا لاني شك بما تدعوننا اليه) من الدين (مريب) موجب للريبة والتهمة إذ لم يكن آبائنا في جهالة وضلالة (قال) صالح لهم (يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي) مر بيانه فيما قبل (وأتاني منه رحمة) أي وأعطاني الله منه نعمة وهي النبوة (فمن ينصرتني من الله ان عصيته) أي فمن يمنع غضاب الله عني ان عصيته مع نعمته على (فما تزدوني غير تحسير) أي ما تزدوني بقولكم أأنهنا أن نعبد ما بعد آبائنا غير نسبي إياكم إلى الخسارة والتحسير مثل التحسيس والتعسير قال ابن الاعرابي يريد غير تحسير لكم لآلئ وقال ابن عباس ما تزدوني إلا بصيرة في خسارتكم وقيل معناه ان أجبتكم إلى ما تدعونني اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) أشار إلى ناقته التي جعلها الله معجزته لأنه سبحانه أخرجهما لهم من جوف صخرة يشاهدونها على تلك الصفة وخرجن كما طلبوه وهي حامل وكانت تشرب يوما جميع الماء فتنفرد به ولا ترد الماء معها دابة فإذا كان يوم لا ترد فيه وردت الواردة كلها الماء وهذا اعظم آية ومعجزة وانتصبت آية على الحال من ناقته الله فكانه قال انتبهوا إليها في هذه الحال والمعنى ان شككم في نبوت هذه الناقة معجزة لي وأضافها إلى الله تشريفا لما كإقبال بيت الله (قدروها تأكل في أرض الله) أي فآثر كوها في حال أكلها فحكون تأكل في أرض الله جملة منصوبة الموضع على الحال ويجوز أن يكون مرفوعا على الاستئناف والمعنى فإنها تأكل في أرض الله من العشب والنبات (ولا تمسوها) أي لا تصيبوها (بسوء) قتل أو جرح أو غيره (فإخذكم) ان قتلتم ذلك (غضاب قريب) أي عاجل فيهلككم (فمروها) أي عقرها بعضهم ورخصي به البعض وإنما عقرها امر نوح وضربت به العرب المثل في الشوم (فقال) صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) أي تلهذوا بما تريدون من المذلات الحسنة من المناظر والأصوات وغيرها بما يدرك بالحواس في بلادكم ثلاثة أيام ثم يحل بكم العذاب بعد ذلك ويقال البلاد دار لأنها تجمع أهلها كما تجمع الدار أهلها ومنه قولهم ديار ربيعة وديار مصر وقيل في داركم يعني دار الدنيا وقيل معنى قوله تمتعوا في داركم عيشوا في بلدكم وجبر عن الحياة بالتمتع لأن الحي يكون متمتا بالحواس قالوا لما عقرت الناقة صمد فصليها الجبل وردعا ثلاث مرات فقال

صالح لكل رغبة أجل يوم فاصفرت الروانهم أول يوم ثم احترت في الندم ثم اسودت اليوم الثالث فهو قوله (ذلك وعد غير مكذوب) أي ان ما وعدكم به من العذاب ونزوله بعد ثلاثة أيام وعد صدق لا كذب فيه وروى جابر بن عبد الله الانصاري أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس وقال يا أيها الناس لا تسألوا نبينكم الآيات فهو لا قوم صالح سألوا نبينهم ان يبعث لهم النافقة كانت تردمن هذا الفسخ فاشرب ماء يوم ورودها ويحيطون من لبنها مثل الذي كانوا يشربون من ماءها يوم غلبا ففترأ من أمر ربهم فقال تنموا في داركم ثلاثة أيام وكان وعدا من الله غير مكذوب ثم جاءهم الصيحة فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهم إلا رجلا كان في حرم الله فتمه حرم الله من عذاب الله تعالى يقال له ابورغال قيل له يا رسول الله من ابورغال قال ابو ثقيف (فلما جاء امرنا بجنبا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) مر تفسيره في قصة عاد (ومن خزري يومئذ) قال ابن الانباري هذا مطروف على محذوف تقديره نجيتهم من العذاب ومن خزري يومئذ اسية من الخزري الذي لزمهم ذلك اليوم والخزري السيب الذي نظهر فضيخته ويستحي من مثله (ان ربك هو القوي) أي القادر على ما يشاء (العزير) الذي لا يمنع عليه شيء ولا يمنع عما أوراده (وأخذ الذين ظفروا الصيحة) قيل ان الله سبحانه أمر جبرائيل فصاح بعد صيحة ماتوا عندها ويحوز ان يكون الله تعالى خلق تلك الصيحة التي ماتوا عندها (فأصبحوا في ديارهم) أي منازلهم (جاثمين) أي ميتين واقفين على وجوههم ويقال جاثمين أي قاعدين على ركبهم وإنما قال فأصبحوا لأن العذاب أخذهم عند الصباح وقيل أتمم الصيحة ليلا فأصبحوا على هذه الصفة والمرب تقول عند الامر العظيم واسوء صباحاه (كان لم يفتنوا فيها) أي كأن لم يكونوا في منازلهم قط لاقطاع آثارهم بالهلاك إلا ما بقي من اجسادهم الدالة على الخزري الذي نزل بهم (الا ان نوح كفروا ربهم الا بدأ نوح) قد سبق تفسيره قوله تعالى (٦٩) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٧٠) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تُصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَ لَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطَ (٧١) وَأَمَرُّهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ قَالُوا لَا تَكُونُوا فِى شَكٍّ مِنْهَا بَلْ أَنْتُمْ مِنْهَا عَجَبٌ عِجْبٌ قَالُوا أَنْتُمْ نَجَسٌ (٧٢) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٧٣) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً اللَّهُ وَبَرَّ كُنْهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٤) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرِى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطَ (٧٥) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٦) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَأَنْتُمْ أَتٰيَعُمُ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ سبع آيات عند البصريين ثمان عند غيرهم لم يعد البصري في قوم لوط آية

❦ القصة ❦

قرأ حمزة والكناني قال سلم بكسر السين وسكون اللام هنا وفي القاريات وقرأ الباقون قال سلام وقرأ يعقوب بالنصب لعمر وحذرة وحفص عن عاصم وقرأ الباقون ويعقوب بالرفع في الشواذ قراءة الاعشى وهذا يعلى شيخ بالرفع

* الحجة *

قال ابو علي اخبر ابو اسحاق عن محمد بن يزيد قال السلام اربعة اشياء مصدر سلت والسلام شجر قال الاسلام وحرم السلام جمع سلامة والسلام اسم من اسماء الله تعالى وقوله دار السلام يعني ان يكون مضافا الى الله تعالى وما يحصل ان يكون دار السلامة من العقاب فمن حصل فيها كان على خلاف من وصف بقوله وبأية الموت من كل مكان واما انتصاب قوله سلاما فلاه لم يحك شيئا تكلموا به فيحكي كما يحكي الجبل ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل كما ان القائل لوذا قال لا اله الا الله قلت حقا او قلت اخلاصا اعلمت القول في المصدرين لانك ذكرت معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذي هو جلة تحكي فكذلك نصب سلاما في قوله قالوا سلاما لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس القول بينه فأما قوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سيويه زعم ابو الخطاب ان مثله يريد مثل قولك سبحان الله الذي تفسره براءة الله من البوء وقولك للرجل سلاما تريد مسلما منك لا ابتلي بشيء من امرك فسلمي هذا المعنى وجه ما في الآية قال وزعم ان قول أمية

سلامك ربنا في كل خير يريا ما يعيبك الذموم

على قوله بربك ربنا من كل سوء واما قوله قال سلام فسلام مرفوع لأنه من جلة الجملة المحكية والتقدير فيه سلام عليكم فعذو الخبر كما حذف من قوله فصير جميل أي صبر جميل امثل او يكون المعنى أمرني سلام وشأنني سلام كما ان قوله فصير جميل يصلح ان يكون المحذوف منه المبتدأ ومثل ذلك قوله فاصفح عنهم وقل سلام على حذف المبتدأ الذي سلام خبره واكثر ما يستعمل سلام بغير ألف ولا م وذلك لأنه في معنى الصفاء فهو مثل قولهم خير بين يديك ولا كان في معنى المنسوب استجيز فيه الابتداء بالتركة فمن ذلك قوله قال سلام عليك عأسفرك ربني وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم وسلام على عبادي الذين اصطفى وقد جاء بالألف واللام قال سبحانه والسلام على من اتبع الهدى والسلام على يوم ولدت وزعم ابو الحسن ان في العرب من يقول سلام عليكم ومنهم من يقول السلام عليكم فالذين ألحقوا الألف واللام حملوه على اليهود والذين لم يلحقوه حملوه على غير اليهود وزعم ان من يقول سلام عليكم فلا يتون وحل ذلك على وجهين * أحدهما * انه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الأصل من نحو قولك لم يك ولا ادر ويوم يأت * والآخر * انه لما أكثر استعمال هذه الكلمة وفيه الألف واللام حذفها منه لكثرة الاستعمال كما حذف من المهم قالوا «الام ان عامر الفجور» قد حبس الخليل على يسور» واما من قال سلم فان سلما يحتمل امرين * أحدهما * ان يكون بمعنى سلام فيكون المعنى امرنا سلم او سلم عليكم ويكون سلم في الآية بمعنى سلام كتولهم حل وحلال وحرهم حرام فيكون على هذا قراءة من قرأ سلام وسلم بمعنى واحد وإن اختلف القنطان * والآخر * أن يكون سلم خلاف العدو والحرب لأنهم لما كفوا عن تناول ما قدمه اليهم فكروهم وأوجس الخيفة منهم قال انا سلم ولست بحرب ولا عدو فلا يمتنعوا من تناول طعامي كما يمتنع من تناول طعام العدو ومن قرأ ومن وراء اسحاق يعقوب بالرفع كان رفعه بالاجتماع او بالنظر في قول من رفعه ومن فتح قال يعقوب احتل ثلاثة اضرب * أحدها * أن يكون يعقوب في موضع جر أي فبشرنا بها باسحاق ويعقوب قال

ابو الحسن وهذا اقوى لانها بشرت بها قال وفي اعمالها خفف لانتك فصلت بين الجار والمجرور بالظرف
 ﴿والآخر﴾ أن تعمده على موضع الجار والمجرور كقوله «إذا ما تلقينا من اليوم او غدا» وكقراءة من
 قرأ وحورا صينا بمد يطاق عليهم بكذا ومثله «ولست بالجال ولا الحديد» ﴿والثالث﴾ أن يحمل على فعل
 مضمر كأنه قال فبشرناها باسحاق ووهنا له يعقوب فأما الأول فقد نص سيبويه على فتح مثله نحو مرت
 يزيد اول من أمس وأمس عمرو وكذلك قال ابو الحسن لو قلت مرتت يزيد اليوم وأمس عمرو لم يحسن
 وأما الحل على الموضوع على حد مرتت يزيد وعمرو فالفصل فيه ايضا قبيح كما قبح الحل على الجر. وذلك ان
 الفعل يصل بحرف العطف وحرف المطف هو الذي يشرك في الفعل وبه يصل الفعل الى المفعول به كما يصل
 بحرف الجر ولو قال مرتت يزيد قائما يحمل الحال من المجرور لم يميز التقديم عند سيبويه لأن الجار هو الموصل
 للفعل فكما قبح التقديم عنده لضمف الجار العامل كذلك الحرف العاطف مثل الجار في انه يشرك في الفعل
 كما يوصل الجار الفعل وليس نفس الفعل العامل في الموضوعين جميعا وإذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف
 في العطف على الموضوع وقبح ايضا الفصل في الرفع والنصب كما قبح في الجر لأن العاطف فيها مثله في الجار
 وليس العامل في نفس الرفع والنصب كما ان العامل فيها بمد حرف العطف ليس الجار إنما يشركه فيه العاطف
 وقد جاء ذلك في الشعر قال الأعمش

يوما تراهما كشبه اودية الحمه من ويوما أديها نفلا

فصل بالظرف بين المشترك في النصب وما اشركه فيه فإذا قبح الفصل في الحل على الموضوع كما قبح
 الفصل في الحل على الجار فينبغي أن يحمل قراءة من قرأ يعقوب بالنصب على فعل آخر مضمر يدل عليه
 بشرنا كما تقدم ولا يحمل على الوجين الآخرين وأما الرفع في قوله شيخ فبجه وجوه ﴿أحدها﴾ ان يكون
 بعلي خبر المبتدأ وشيخ بدل من بعلي فيكون كأنه قال هذا شيخ ﴿والآخر﴾ ان يكون شيخ خبر مبتدأ
 محذوف ويكون هذا بعلي كلاما تاما يحسن الوقف عليه و﴿الثالث﴾ ان يكون بعلي بدلا من هذا وشيخ
 هو الخبر فيكون تقديره بعلي شيخ و﴿الرابع﴾ ان يكون بعلي وشيخ جميعا خبرا عن هذا كقولك هذا
 حلوا حامض اي قد جمع الخلاوة والحوضه فكذلك ههنا تقديره هذا جميع البعولة والشيخوخة قال ابن جني
 وهنأ وجه خامس لكنه على قياس مذهب الكسائي وذلك انه يعتقد في خبر المبتدأ أبدا ان فيه ضميرا وإن
 لم يكن مشتقا من الفعل نحو زيد أخوك وهو يريد النسب فإذا كان كذلك قياس مذهب ان يكون شيخ
 بدلا من الضمير في بعلي لأنه خبر عن هذا

﴿اللمة﴾

العجل ولد البقرة والعجل لمة فيه وجهه البطيول وسمي بذلك لتمجيد أمره بقرم ميلاده والحنيذ
 المشوي وهو الحنوذ فليل بمعنى مفعول يقال حنذته يحنذه حنذا قال الساج «ورهباً من حنذه أن تعرجا»
 يعني الحز الوحشية قال الزجاج الحنيذ المشوي بالحجارة وقيل الحنيذ المشوي حتى يقطر والعرب تقولوا حنذا
 هذا القرس أي اجعل عليه الحمل حتى يقطر عرقا وقيل الحنيذ المشوي فقط وقيل هو السميطة ويقال نكرته
 وانكرته بمعنى واحد ونكرته اشد مبالغة وهي لمة هذيل والحجاز وانكرته لمة تميم قال الأعمش وجمع بين التين
 وانكرته وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلبا

وقال ابو ذؤيب

فنكره ففقرن فامترست به هوجاء هادية وهاد جرشع
والايماس الاحساس واوجس وتوجس أي أحس قال ذو الرمة

وقد توجس ركزا مفقر ندس بنبأة الصوت ما في سمعه كذب
ويقال أوجس خوفا أي أضرروا لبيل الزوج وأصله التائم بالأمر يقولون لتختل الذي يستغني بـاء
الساء عن حتى الأنهار والعيون بيل لأنه قائم بالأمر في استثنائه عن تكلف السقي له ومنه قيل الرب
والصاحب بيل والمحب يبريه على المصدر وعلى المحب منه تقول هذا أمر عجب ولا يجوز العجب من
أمر الله تعالى لأنه يجب أن يعلم أنه قادر على كل شيء من الأجناس لا يجزئه شيء وما عرف سببه لا يتعجب
منه والمجدد الكريم يقال مجد الرجل يجد مجادة إذا كرم قال الشاعر

رفعت مجد تميم يا هلال لما رفع الطرف على العليا بالعمد
والروع الإفراع يقال راعه يروعه إذا افزعه قال حنرة

ما راعني إلا حمولة أهليا وسط الديار تسف حب الحمض
وارتاع ارتبعا إذا خاف والروع بضم الراء النفس يقال التي في روعي أي في نفسي وسيت بذلك
لأنها موضع الروع والرد والدفع واحد وتقيضه الأخذ والفرق بين الرد والدفع أن الدفع قد يكون إلى
جهة التقدم والغلف والرد لا يكون إلا إلى جهة الخلف

- « اعراب » -

فأبث أن جاء أي ما أقام حتى جاء بسجل وإن جاء في موضع نصب بوقوع لبث عليه كأنه قال
فأبثا عن مجيئه بسجل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل وقال القراء ويحتل بكوت موضعه
ربما بأن يصل أن جاء فاعل لبث فكأنك قلت فما لبث مجيئه بسجل والباء يولياني يعني لبث أن يكون ألف
نسبة ويحتل أن يكون يا إلاضافة فانتقلت ألفا ومنه الإيذان بوردو الأمر المظلم كما تقول العرب
يا قدواهي أي تعالى فإنه من أحيائك لحضور ما جسر من أشكالك ويجوز الوقف عليه بغير هاء والاختيار
سيفي الكلام أن يوقف عليه بالهاء يا ويلته قال الزجاج إما المصحف فلا يخالف ولا يوقف عليه فإن اضطر
واقف إلى أن يقف وقف عليه بغير هاء بالاختيار وأما الميزان في قوله ألد ففيه ثلاثة أوجه إن شئت
خففت الأولى وحقت الثانية قلت يا ويلتي ألد وإن شئت حققت الأولى وخففت الثانية وهو الاختيار
قلت يا ويلتي ألد وإن شئت حققتها جميعا قلت ألد وشيخا منصوب على الحال قال الزجاج الحال هاهنا
نصبها من لطيف النحو وذلك أنك إذا قلت هذا زيد قائما فإن حكنت قصد أن تغير من لا يعرف زيدا
أنه زيد لم يميز أن تقول هذا زيد قائما لأنه يكون زيدا ما دام قائما فإذا زال عن القيام فليس يزيد وإنما تقول
الذي يعرف زيدا هذا زيد قائما فيعمل في الحال التنبيه والمعنى ألد زيد في حال قيامه أو أشير لك إلى زيد
في حال قيامه لأن هذا إشارة إلى ما حضر وقال غيره إن شئت جعلت العامل فيه معنى التنبيه وإن شئت
جعلت العامل فيه معنى الإشارة وإن شئت عملت فيه مجموعهما وكذا ما جرى مجراه تقول هذا زيد مقبلا
ولا يجوز مقبلا هذا زيد لأن العامل ليس بفعل محض فإن قلت ما مقبلا ذا زيد وجعلت العامل معنى الإشارة

لم يميز وإن جعلت العامل معنى التنبيه جاز. يبادلتنا في موضع نصب لأنه حكاية حال قد مضت وإلا فالجيد ان تقول لما قام قمت ويضف ان تقول لما قام اقوم وعلى هذا فيكون جواب لما عوفوا لدلالة الكلام عليه ويكون تقديره قلنا ان ابراهيم لحليم او ناديه يا ابراهيم اعرض عن هذا ويجوز ان يكون تقديره أخذ يبادلتنا واقبل يبادلتنا ويجوز أن يكون لما كان شرطاً لماضي وقع المستقبل فيه في معنى الماضي كما أن أن لما كان شرطاً للمستقبل وقع الماضي فيه في معنى المستقبل

معنى المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم ولوط فقال سبحانه (ولقد جاءت رسلنا) يعني الملائكة وانما دخلت اللام لتأكيد الخبر ومعنى قد هنا ان السامع قصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد لتوقع فباعت لتوذن ان السامع في حال توقع واختلف في عدد الرسل قيل كانوا ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل عن ابن عباس وقيل كانوا اربعة عن ابي عبد الله «ع» قال والرابع اسمه كرويل وقيل كانوا تسعة عن الضحاك وقيل احدى عشر عن السدي وكانوا على صور الثلاث أنوا (ابراهيم) الخليل «ع» (البشرى) اي بالبشارة باسحاق وبنوته وانه يرثه يعقوب بن الحسن والسدي والجاني وروي عن ابي جعفر «ع» ان هذه البشارة كانت باسما عيل «ع» من هاجر وقيل البشارة بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) هذه حكاية ما قال رسل الله تعالى لابراهيم «ع» اي سلمنا سلاما بنى الدعاء له وقيل معناه أصبت سلاما اذا اصطاك الله سلاما اي سلامة كما يقال أهلا ومرحبا وكان نعية من الملائكة لابراهيم «ع» (قال) ابراهيم عييا لهم (سلام) وقد مر تفسيره (قالت) أن جاء يسجل حنيد) اي لم يتوقف حتى جاءهم على عادته في اكرام الاضياف وتقديم الطعام اليهم بسجل مشوي لأنه ترم انهم اضياف لكونهم على صورة البشر وكان ابراهيم يحب الضيفان فجاوزه على احسن الوجوه اليه وصار لذلك من السنة أن يسجل الضيف الطعام وقيل ان معنى حنيد نضيح بالحجارة المحمية في خد من الارض عن ابن عباس ومجاهد وقادة وقيل ان الحنيد ما حفرت له في الارض ثم غشته وهو فضل أهل البادية عن الفراء وقيل حنيد مشوي يقطر ماؤه عن ابن علية (فلا رأى) ابراهيم (ايديهم) يعني ايدي الملائكة (لاتصل اليه) اي الى السجل (نكرم) اي انكرمهم (وأوحى منهم خيفة) اي اخضر منهم خوفا واختلف في سبب الخوف قيل انه لما رآهم شبها اقوياء وكان ينزل طرقا من البلد وكانوا يمتنعون من تناول طعامه لم يأمن ان يكون ذلك لبلا. وذلك ان أهل ذلك الزمان إذا أكل بعضهم طعام بعض أمنه صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا اي أثبت الحرمه بيننا بأكله الطعام وقيل انه ظنهم لصوصا يريدون به سوءا وقيل انه ظن انهم ليسوا من البشر وانهم جاؤا الان مرعظيم وقيل علم انهم ملائكة فخاف ان يكون قومه المقصودين بالعذاب حتى (قالوا) له (لاتخف) يا ابراهيم (إنا ارسلنا الى قومك لوط) بالعذاب والا هلاك لا الى قومك وقيل انهم دعوا الله فأحميا السجل الذي كان ذبحه ابراهيم وشواه فطفر ورعى فلم حينئذ انهم رسل الله (وامرأته) سارة بنت هاران بن ياحوز بن ساروع بن ادعوى بن فالغ وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابراهيم عن وهب وقيل انها كانت بنت خاله وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس معهم عن مجاهد وقيل كانت قائمة تعطي وكان ابراهيم جالسا وفي قراءة ابن مسعود وامرأته قائمة وهو جالس (فضجكت) قيل هو الضحك المروف

الذي يعترى الانسان الفرح وقد يكون للتعجب فضحكت تعجبا من غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم عن قادة وقيل تعجبا من امتناعهم عن الأكل وخدمتها أيام بضها ولهذا يقال «وشر الشدايد ما يضحك» وقالت عبيلا لا ضيفا فخدمهم بأعسا تكومة لهم ولم لا يتناولون من طعامنا وقيل ضحكت لأنها قالت لا ابراهيم انضم لوطا ابن اختك اليك فاني اعلم انه سيزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت عن الزجاج وقيل تعجبا وسرورا من البشارة بأسحاق لأنها كانت قد هربت وهي ايسة ثمان وتسعين سنة او تسع وتسعين سنة وكان قد شاخ زوجها وكان ابن تسع وتسعين او مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يورث لها ولد في حال شبابها وعلى هذا فيكون في الكلام تقدم وتأخير وتقدير فبشرناها بأسحاق ويعقوب فضحكت بعد البشارة وروي ذلك عن ابي جعفر «ع» (فبشرناها بأسحاق) اي بآبن يسمى اسحاق نبيا (ومن وراء اسحاق يعقوب) يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وقيل الورا ولد الولد عن ابن عباس اي فبشرناها بآبي بين وبين وهو اسحاق ابوه نبي وابنه نبي وقيل ان ضحكت بمعنى حاضت عن مجاهد وروي عن الصادق «ع» ايضا يقال ضحكت الارنب أي حاضت والضحك مفتاح الضاد الحيف وفي لسان العرب بن كعب ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع أو البسر والضحك الطلع وأشد يضحك في الضحك معنى الحيف قول الشاعر

وضحك الأرناب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا

قال الفراء ولم اسمه من ثقة والوجه فيه ان يكون على طريق الكتابة قال الكتي

فأضحكت السباع سيوف سعد لتقتل ماذفن ولا ودينا

(قالت) سارة (يا ويلي ألد وانا عجوز) أي هذا شيء عجيب ان ألد وقد شخت من زوج شيخ ولم تشك في قدرة الله تعالى ولكن إنما قالت ذلك لكونه خارجا عن العادة كما ولي موسى مديرا حين اقبلت عصاه حية حتى قيل له الخيل ولا تخف وإلا فهي كانت عارفة بأن الله تعالى يقدر على ذلك ولم ترد بقولها يا ويلي الدماء على نفسها بالويل ولكنها كثر تجري على الفراء النساء إذا طرا عليهن ما يمتصين منه وقيل انها لم تعجب من قدرة الله ولكنها أرادت أن تعرف هل تتحول شابة أم تلد على تلك الحال وكل ذلك عجيب (وهذا بلي شيئا) اي هذا الذي تعرفونه بلي وهو شيخ (إن هذا) الذي بشرت به (لشيء عجيب قالوا) اي قالت الملائكة لما حيين تعجب من أن تلد بعد الكبر (أنعجين من أمر الله) ومعنى الاستهتام هنا التنبيه والتوقيف أي أنعجين من ان يفعل الله تعالى ذلك بك ولزورك (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي ليس هذا موضع تعجب لأن التعجب إنما يكون من الأمر الذي لا يعرف سببه ونعمة الله تعالى وكثرة خيراته الثابتة الباقية عليكم وهذا يحصل ان يكون اخبارا عن ثبوت ذلك لهم وتذكيرا بجمعة الله وبركاته عليهم ويحصل أن يكون دعاءهم بالرحمة والبركة من الملائكة فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم يا أهل البيت كما يقال أنتعجب من كذا بآبارك الله فيك وبرحمك الله ومعنى بأهل البيت أهل بيت ابراهيم «ع» وإنما جعلت سارة من أهل بيته لأنها كانت ايسة عمه ولا دلالة في الآية على ان زوجة الرجل من أهل بيته على ما قاله الجبائي وروي ان امير المؤمنين «ع» س يقوم فلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ومستفرته ورضواته فقال «ع» لهم لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لا يتنا ابراهيم «ع» رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (انه حميد) أي محمود على اتماله وقيل الحميد الذي يحمده عباده على الطاعات (حميد) اي كريم وهو المبتدىء بالطيبة قبل الاستحقاق وقيل معناه واسع القدرة والنعمة عن ابي مسلم وروي ان سارة قالت لجبرئيل «ع» ما آية ذلك فأخذ يده عودا يابس فلواه بين اصابعه فاهتز اخضر عن السدي فلما ذهب عن ابراهيم الروح) أي الخوف والفرع الذي دخله من الرسل (وجاءه البشرى) بالولد (يبادل بيته قوم لوط) اي يجادل رسلنا ويسألهم في قوم لوط وتلك المجادلة انه

قال لهم ان كان فيها خمسون من المؤمنين أنهلكونهم قالوا لا قال فأرسلهم قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا فاعلم ان فيها لتنجينه وأهله عن تضادة وقيل انه جادلهم وقال بأبي شيء استحقوا عذاب الاستئصال وهل ذلك واقع لا محالة أم هو تخويف ليرجعوا إلى الطاعة بأي شيء يهلكون وكيف يحيى الله المؤمنين عن الجباية ولا سألهم سؤال مستقص سمي ذلك السؤال جدلا لأنه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض (إن إبراهيم خليل أواه) سر معناه في سورة براءة (منيب) راجع إلى الله تعالى في جميع أموره متوكل عليه وفي هذا إشارة إلى أن تلك للمجادلة من إبراهيم (ع) لم تكن من باب ما يكره لأنه مدحه بالعلم وبأن ذلك كان في أسر يتعلق بالرحمة ورقة القلب والرأفة وذلك لأنه رأى الخلق الكثير في النار فتأوه لهم (يا إبراهيم اعرض عن هذا) هو حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم (ع) فلما نادته بأن قالت يا إبراهيم اعرض عن هذا القول وهذا الجدل بين قوم لوط وانصرف عنه بالذكور والفكر (انه قد جاء أمر ربك) بالعذاب فهو نازل بهم لا محالة (وانهم آتيتهم عذاب غير مردود) يعني غير مدفوع عنهم أي لا يقدر أحد على رده عنهم

قوله تعالى (٧٧) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٨) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَعْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٩) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٨٠) قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آتَوْنِي إِلَى رُكْنِي شَدِيدٍ (٨١) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ اللَّهِ إِنَّا نَصِلُوكَ لَنَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مُنْضَوٍّ (٨٣) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ سبع آيات بلا خلاف وتام الآية السادسة عند المدني الأخير قوله سجيل وعند الباقرين قوله منضود

(- القراءة -)

في الشواذ قراءة سعيد بن جبير والحسن بخلاف وعيسى الثقفي ومحمد بن مروان من اطهر لكم بالنصب والقراءة المشهورة اطهر بالرفع وقراءة شيبه أوأوي بالنصب والقراءة العامة بالرفع وقرأ أهل الحجاز فاسر بأهلك وإن اسر موصولة الهمز والياقون فاسر وإن اسر يقطع الهمزة حيث كان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو إلا امرأتك بالرفع والياقون بالنصب

(- الحجة -)

أما قوله من اطهر لكم فإن سيويه شفع هذه القراءة ابن سريان في نسخة قال ابن جني وإنما صح ذلك عنده لأنه ذهب إلى انه جبل من فصل ولا يستبين الجزأين الذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك نحو ظننت زيدا أو غيراً منك وكان زيد هو العالم ويجوز أن يكون يأتي من جملة من مبتدأ وخبر فهو مفعول اطهر لمؤلا كقولك زيد اخوك هو وأن يكون اطهر حالاً من هو أو من يأتي والمامل فيه معنى الإشارة كقولك

هنا زيد هو قائما ومن قرأ أو أوى بالنصب فيكون تقديره لو أن لي بكم قوة أو أويا إلى ركن شديد ويكون منصبا
بإضمار أن وعليه بيت الكتاب

فلولا رجال من كرام اعزة وآل سبيع أو أسوأك علما
والتقدير أو إن أسوأك فكأنه قال أو أياك مسألتي ومن قرأ فأمر بأهلك بإثبات المزة في اللفظ أو بغير
المزة فلن سرى وأسرى معناهما سارا ليلا قال التائبة

أمرت عليه من الجوزاء سارية
ويروى سرت وقال امرؤ القيس

سريت بهم حتى تكل مطيهم ونحى الجياد ما يقدن بأرسان

وقال سبحانه سبحانه الذي أسرى عبده ومن قرأ إلا لمرأتك نصبا فإنه جبل الكلام قبله مستقلا بنفسه
فنصب مع الفتي كما ينصب مع الإيجاب والوجه الأقيس الرفع على البدل من أحدلان معنى ما أتاني أحد إلا زيد
ما أتاني إلا زيد فكأنه انتقوا فها أتاني إلا زيد على الرفع وكان ما أتاني أحد إلا زيد بمنزلة وبمعناه اختاروا الرفع
مع ذكر أحد وما يقوي ذلك أنهم في الكلام وأكثر الاستعمال يقولون ما جاءني إلا امرأة فيذكر حمل على
المعنى ولا يكادون يؤمنون ذلك إلا في الشعر كما في قول الشاعر «فأقيت إلا الصلوح الجراشع» وقول ذي الرمة
«وما بيت» إلا الصعيرة والألواح والعصب» وروى أن في حرف عبد الله أو أبي فأسير بأهلك بقطع من الليل
إلا أمرتك وليس فيه ولا يفتن منكم أحد وهذا يقوي قول من نصب



اصل سي بهم سوي بهم من سوء فأسكت الواو وقلت كسرتها إلى السين ويقال سومه في ك يقال
شكته فشكل ومررتة لسر والفرق بين سوء والفيح أن سوء ما يظهر مكروهه لصاحبه والفيح ما ليس القادر
عليه أن يقبله ويقال ضاق فلان بأمره ذوعا إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر خلاصا وعصبا الشديدا في
الشر خاصة وأصله من الشد يقال عصبت الشيء أي شدته وعصبت فخذ الناقة لتشد وثاقة صوب ويوم عصيب
وعصيب كأنه التماس على الناس بالشر أو يكون الف شره بعنه يعض قال الشاعر

فأنك إن لم ترض بكرين وأل يكن لك يوم بالعراق عصيب
وقال عدي بن زيد

و كنت لراز خصمك لم أعرد وقد سلوك في يوم عصيب
وقال الرازي

يوم عصيب يعصب الأبطالا
والإمراع الإمراع في الشئ قال مهمل

فجأوا بهرعون وهم أنارى بقودهم على رغم الأثوف
وقال صاحب المن الإمراع السوق الخيول قال أبو سلمة والقرآن بالسوق أشبه والركن معتمد البناء بد
الأساس وركنا الجبل جانيه قال الرازي

يأوي إلى ركن من الأركان في عدد ظلس ومجدبان
والشدة تجمع بمصه التثكل وقد تكون الشدة ثقيا يسر منه التحلل والقطع القطعة العظيمة تقضي من

الليل وقيل نصف الليل كأنه قطع نصفين والاتفات احتمال من الفت وهو الي يقال لفت فلانا عن رأيه أي صرفه وامرأة فوت لما ولد من غير زوجها وكأنها تلت إلى ولدها ومنه الحديث في صفة النبي ﷺ أنه كان إذا التفت التفت مما أي كان لا يلوي عقبة عيرة والسجيل فارسي مرعب أي سنك وكل حجارة وطنين وقال أبو عبيدة هو الحجارة الشديدة واشد لأن مقبل

ورجله يضربون البيض ضاحية ضربا تواضي به الأبطال مسجينا

وسجين وسجيل بمعنى واحد والعرب تماق بين النون واللام فقلت النون هاتما لاما وقيل أنه مشتق من اسجله أي اعطيه تخديره أنها من مثل العطية في الادوار وقيل أنه من السجل وهو الدلو المظلمة لتخديره أنها من مثل السجل في الإرسال وقيل أنه من اسجته إذا أرسلته وكأنها مرسله عليهم وقيل أنه من السجل وهو الكتاب فكأنها سجلت لهم والمراد كتب الله عليهم إن يهديهم بها والمنفود من نفدت الشيء ينفذ على بعض والمسومة من البهاء وهي العلامة ومنه السائمة وهي المرسل في المرعى وذلك أن الإبل السائمة تختلط في المرعى فيبجل عليها البقاء لتعنيها

الاعراب

يعرعون إليه في موضع نصب على الحال من قبل ومن بعد ميثان على الضم فلما اضيفوا اعرابا لوان إلى يكمن قوة جواب لو محذوف بدل الكلام عليه وتقديره غلت بينهم وبينكم أنه مصيبها ما أصابهم الهاء في أنه صغير الشأن والحديث ومصيبها مبتدأ وما أصابهم موصول وصلة في موضع الرقم بكونه فاعل مصيبها وقد صد مسد خير المبتدأ من سجيل في موضع نصب بكونه صفة لحجارة أي كاتبة من سجيل مسومة صفة أخرى لحجارة فيجوز أن يكون نصب على الحال من الضمير للسكن في منفود

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن آتيان الملايكة لوطا بعد خروجهم من عند إبراهيم «ع» وما جرى بينهم وبين قوم لوط فقال (ولما جاءت رسلنا لوطا) أي لما جاءوه في صفة الأدميين (سي بهم) أي ساءه بمجيئهم لأنه خاف عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) أي ضاق بمجيئهم ذرعه أي قلبه لما رأى لهم من جمال الصورة وحسن الشارة وقد دعه إلى الضيافة وقومه كانوا يسارعون إلى أمثالهم بالقاشية وقيل معناه ضاق يحفظهم من قومه ذرعه حيث لم يجد سبيلا إلى حفظهم وكان قد علم عادة قومه من الميل إلى الذكور وقد آتوه في صورة الظلمان لردواصله إن الشيء إذا ضاق ذرعه لم يسع له ما اتسع فاستمر ضيق الذرع عند تعذر الامكان كما استمر الاتساع (وقال هذا يوم عصب) أي حال شديد كثير الشر التف الشر فيه بالشر وإنما قال ذلك لأنه لم يعلم أنهم رسل الله وخاف عليهم من قومه أن يفضحهم وقال الصادق (ع) جاءت الملايكة لوطا وهو في ذراعة قرب القرية فسلموا عليه ورأى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعائم يبيض فقال لهم لتزل تخدعهم وشوا خفه فقال في نفسه أي شيء صنعت في بهم قومي وأنا أعرفهم فالتفت إليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله وكن قد قال الله لجبرائيل لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرات فقال جبرائيل هذه واحدة ثم مشى لوط ثم التفت إليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله فقال جبرائيل هذه الثالثة ثم دخل ودخلوا معه حتى دخل منزله فلما رأته امرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فضفت فلم يسمعا فدخلت فلما رأوا الدخان أقبلوا يهرعون فلذلك قوله (وجاء قومه يهرعون إليه) أي يهرعون في المشي لطلب القاشية عن قتادة وبماجه والسيدي وقيل معناه يساقون وليس هناك سائق غيرهم فكان بعضهم يسوق بعضا عن أبي مسلم والهاء في اليد كناية عن لوط (ومن قبل) أي ومن قبل آتيان

للملائكة وقيل ومن قبل نبي قوم لوط الى ضيفانه وقيل من قبل مجيئهم الى داره عن الجبائي وقيل إنه من قبل بطة لوط اليهم (كانوا يعملون الشيات) اي يعملون الفواحش مع الذكور (قال) لوط (يا قوم هؤلاء يتأثمون من أنظر لكم) معناه ان لوطا لما هموا بأشيافه وجاهاوا بذلك قالوا جلباب الحياء فيه عرض عليهم فكاح باجته وقال من أجل لكم من الرجال فدعاهم الى اللحل واختلف في ذلك فقيل أراد بانه لصلبه عن قتادة وقيل أراد النساء من أمته لأنهن كاليث له فلان نبي ابو أمته واخوانه أمهاتهم عن مجاهد وسعيد بن جبير واختلف ايضا في كيفية عرضهن فقيل بالتزويج كان يجوز في شرعه تجوز المؤمنين الكافر وكذا كان يجوز ايضا في بئس الإسلام وقد زوج النبي ﷺ بنته من أبي العاص بن الربيع قبل ان يسلم ثم نسخ ذلك وقيل أراد التزويج بشرط الإيمان عن الزجاج وكانوا يغلطون بانه فلا يزويهن منهم لكفرهم وقيل انهم كان لهم سيدان مطمان فيهم فأراد أن يزوجهما بنفيه زعورا وورثياه (فأتقوا الله) اي فاتقوا عقاب الله في موافقة الذكور (ولا تجزئوا في شيء) اي لا تلزموني عارا ولا تلحقوا بي فضيحة ولا تغصبوني بالمحجوم على أضيائي فإن الضيف إذا نزل به معرفة لحق عارها المضيف (اليس منكم رجل رشيد) أي اليس في جملكم رجل قد أصاب الرشد فيعمل بالمعروف وينهي عن المنكر ويؤجر هؤلاء عن قبيح فعلهم ويجوز ان يكون رشيد بمعنى مرشد اي يرشدكم الى الحق (قالوا لقد علمت ما لنا في بئسك من حق) هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بانه ودعاهم الى الكاحح المباح أي ما لنا في بئسك من حاجة لأن ما لا يكون لئسان فيه حاجة فإنه يرض عنه كما يرض عما لا حق له فيه فلذلك قالوا من حق وقيل معناه ما لنا فيهن من حق لا فالا فتزويهن وكانوا بقرون بأن من لم يتزوج بالمرأة فإنه لا حق له فيها عن الجبائي وابن اسحاق قال قول الأول محمول على المعنى والقول الثاني على ظاهر القبط (وانك لتعلم ما تريد) أي تعلم ميلنا الى الفئان دون النساء فلا لم يقبلوا الموعظة تأسف لوط على فقد تمكثه من دفعهم بأن (قال لو ان لي بك قوة) أي منة وقدره وجماعة أقوى بها عليكم فأدفعكم عن أضيائي (أو أدوي إلى ركن شديد) أو أنضم الى عشيرة ميمعة تنصرتي وشيعة تحميني لدفعكم ولكن لا يمكنني ان افعل ذلك قال الصادق عليه السلام فقال جبرئيل لو يعلم أي قوة له قال فكأروهم حتى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل ان يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا اهوى جبرئيل بأصبعه فغرم ففجعت أعينهم وهو قوله فطمست أعينهم قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبياً بعد لوط إلا في عز من عشرته ومنعة من قومه وروى عن النبي ﷺ انه قال رسم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد وهو مودة الله تعالى ولما رأته الملائكة ما لقيه لوط من قومه (قالوا يا لوط إنا نرسل ريك) ارسلنا لهما لهما فلا تتم (لن يصلوا اليك) اي لا يأتونك بسوء أبداً (فامر بأهلك) اي سر بأهلك ليلا وقال السدي لم يؤمن بلوط إلا اجماع (بقطع من الليل) اي في ظلمة الليل عن ابن عباس وقيل بمد طائفة من الليل عن قتادة وقيل في نصف من الليل عن الجبائي (ولا يلتفت منكم أحد) قيل في معناه وجوه ﴿ أحدهما ﴾ لا ينظر أحد منكم وراءه عن مجاهد كأنهم تعبدوا بذلك للتجاة بالطاعة في هذه العبادة ﴿ والثاني ﴾ لا يلتفت أحد منكم إلى ماله ولا متاعه بالمدينة وليس معنى يلتفت من الرؤية عن الجبائي كأنه أراد سببه ان النظر اليهم عبرة فلم يصحوا عنها ﴿ والثالث ﴾ ان معناه ولا يشتغل منكم أحد عن ابن عباس ﴿ والرابع ﴾ انه أمرهم أن لا يلتفتوا إذا سمعوا الوجبة والمدة (إلا امرأتك) وقيل انها الفتى حين سمعت الوجبة فثقلت يا قومها فأصابها حجر فقتلها وقيل إلا امرأتك معناه لا تمس بها (انه مصيبا ما أصابهم) أي يصيبها من العذاب ما أصابهم امروء ان يغفلوا في المدينة (إن موعدهم الصبح اليس الصبح قريب) لما أنذر الملائكة لوطا بأنهم يهلكون قوم لوط قال لهم اهلكوهم الساعة لنفيق صدورهم وشدة غيظهم عليهم فقالوا ان موعد اهلكهم الصبح لم يبعث الصبح ظلنا وجهه خير إن لأن الموعد هو الصبح وإنما قالوا له اليس الصبح قريب تسلياً له وقيل إنما قال لهم اهلكوهم الساعة فقالوا

ذلك وفي هذا دلالة على ان الله سبحانه إنما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وإن ضاق صدر القوي به ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقات هلاكهم لأن النفوس فيه أودع والناس فيه أجمع (فلما جاء أسنا) فيما قال ﴿أحدهما﴾ جاء امرنا الملائكة بهلاك قوم لوط ﴿والثاني﴾ جاء العذاب كأنه قيل كن على التعظيم على طريق المجاز كما قال الشاعر

فقال له العيان سمعا وطاعة ، وحدثنا كالدر لما يتب

وعلى هذا فالأمر هو قس العذاب ﴿والثالث﴾ جاء أسنا بالعذاب (جئنا عليها سافها) أي قلبنا القرية اسفلها اعلاها فإن الله تعالى أمر جبرائيل «ع» فأدخل جناحه تحت الأرض فرمعا حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونياح الكلاب ثم قلبها ثم خفف بهم الأرض فهم يتجلبطون فيها إلى يوم القيامة فلي هذا يكون معنى جئنا جعل بأمرنا وإنما اضافها إلى نفسه لانه أمره به (وأمرنا عليهم حجارة) أي وأمرنا على القرية أي على القاتنين منها حجارة عن الجبائي وقيل امطرت الحجارة على تلك القرية حين رمها جبرائيل وقيل إنما امطرت عليهم الحجارة بعد أن قلبت قريبهم تنظيها للعقوبة وقيل كانت أربع مدائن وهي للموتفكت سدوم وعاموراء ودوما وصوبام واعظمها سدوم وكانت لوط يسكنها قال ابو عبيدة يقال مطر في الرحمة وامطر في العذاب (من سجل) أي منك كل عن ابن عباس وسعيد بن جبير بين بذلك صلاحها ومباينتها للبرد وأنها ليست من جنس ما جرت به عادتهم في سقوط البرد من النجوم وقيل ان السجين الطين عن قتادة وعكرمة ويؤيده قوله ليرسل عليهم حجارة من طين وروي عن عكرمة أيضا انه بحر معلق في الهواء بين الأرض والسماء منه انزلت الحجارة وقال الضحاك هو الأجر وقال القراء هو طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الأرواح وقال كان أصل الحجارة طينا فشدت عن الحسن وقيل ان السجيل ساء الدنيا عن ابن زيد فكانت تلك الحجارة منزلة من السماء الدنيا (من صفة سجل) هو من صفة سجل أي نضد بعضها على بعض حتى صار حجارة عن الربيع وقيل مصروف في تنابع أي كان بعضها في جب بعض عن قتادة وقيل يتبع بعضها بعضا عن ابن عباس (سومة) هي من صفة الحجارة أي معلمة جميل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب وقيل مطوقة بها نفخ من حمرة عن قتادة وعكرمة وقيل كان مكتوبا على كل حجرة منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها سناء لا تشاكل حجارة الأرض عن ابن جريج وقيل مضمومة عن الحسن والسدي وقيل مشعورة (عند ربك) أي في علم ربك وقيل في خزائن ربك التي لا يعلمها غيره ولا يحصر فيها احد إلا بأمره (وماهي من الظالمين يميند) أي وما تلك الحجارة من الظالمين من انك يا محمد يميند أراد بذلك ارباب قريش وقال قتادة ما اجار الله منها غلاما بعد قوم لوط فانقوا الله وكونوا منه على حذر وقيل يعني بذلك قوم لوط يريد انهم لم تكن تقطعهم وذكر أن سجيما بقي معلقا بين السماء والأرض اربعين يوما يتوقع به رجلا من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منه فأصابه قال قتادة وكانوا اربعة آلاف الف

قوله تعالى (٨٤) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَيْعًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْتَقِمُوا آلَ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِنِّي وَلَا رَأَيْتُمْ بِخِيعَةٍ وَأَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مَّحِيطٍ (٨٥) وَيَا قَوْمِ اقْوُوا أَنفُسَ الْكَفَالِ وَالْمِزَانَ لَا تَفْسُدُوا النَّاسَ أَشْيَاءُهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٦) يَقِئَ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٧) قَالُوا يَا شُعْبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَن تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَقْعَلُ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ

الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنَا كُفْرًا عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٩) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٩٠) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩١) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقْتَ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمَتُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِمِيزٍ (٩٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمْهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٣) وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ لِي عُامِلٌ سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ بَأْسِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا لِي يَوْمَ تَأْتِي سَكْرَتُكُمْ رَبَّيْ (٩٤) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبِرُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ (٩٥) كَانُوا يَنْقُوتُهَا إِلَّا بَعْدَ لَمَدَيْنِ كَمَا بَدَأْتَ نُعُودُ اثْنَا عَشَرَ آيَةً

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر أصلاً بك غير زوا على التوحيد والباقيون أصلاً بك بالواو على الجمع وفي الشواذ قراءة السلمي بدت نوحاً بضم النون

❦ الحجة ❦

أما بعد فيكون في الخير والشر ومصدره البعد وبسبب الشر خاصة ومصدره البعد ومنه أبعد الله فإنه متقول من بعد لأنه دعاء عليه وقراءة السلمي متفقة القتل مع مصدره وإنما السؤال عن قراءة الجماعة إلا بعداً للمدنيين كما بدت نوحاً وطريق ذلك أن يكون البعد بمعنى البعد فيكون أبعد الله بمعنى لحنه الله ومنه قوله

ذعرت به القطا ونفبت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

اسم البعد فالإرماد الشيء قص له فقد التقى معنى بعد مع معنى يمدن هنا

— الفقه —

الوزن تعديل الشيء بغيره في الخفة والثقيل بآلة التعديل وإذا قيل شعر موزون فمعناه معادل بالعروض والتوقيف من الصواب إلا أنه اختص بهذا الاسم ما اتفق وقوح الصواب عنده وليس ذلك جسا بینه وإنما هو بحسب ما يعلم الله تعالى وإنما لم يكن الوقوف للطاعة إلا الله تعالى لأن أحدا لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواء سبحانه والشفاق والمشاقة للمباعدة بالمداوة إلى جانب المباينة وشقها والفق فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى وقد صار علما لضرب من علوم الدين وهو علم يمدول الدلائل السمعية وأصول الدين علم يمدول الدلائل العقلية والرهط عشيرة الرجل وقومه وأصله الشد والترهيط شدة الأكل ومنه الرهطاء جحر اليربوع لشدة وتوسيمه ليحيى فيه ولده والرجم الرمي بالحجارة والأعز الأقوى الأمتنع والأعز تقضى الأذل والظهوري جبل الشيء وراء الظهور حتى ينسأ ويقال لكل من لا يعبأ بأمر قد جبل فلان هذا الأمر بظهور قال

تيم بن قيس لا تكون حاجتي بظهر فلا يما علي جوابها

✽ الاعراب ✽

أو ان قل موضع ان نصب على معنى أو تأسرك ان تترك أو ان قل في امواتا مانشاء فهو مطلق على ما بعد
آيتونا والتقدير اصلناك تأمر كان ترك عبادة آياتنا أو فعل ما نشاء في امواتا ولا يجوز أن يكون قوله ان قل
مطلقا على قوله ان تترك لأن المعنى يصير فاسداً وأوحنا يتركها في قولك جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله ان
يكن غنياً أو فقيراً فأنه أولى بها ولم يقل به وموضع من في قوله من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب له
وجهان من الاعراب ﴿احدهما﴾ أن يكون مطلقاً بقوله تملكون فيكون استعمالهما وتقديره فسوف تملكون
من المخزي ومن الكاذب ويجوز أن يكون من هو كاذب على هذا معنى الذي هو كاذب ويكون مطلقاً
على الماء من يخزيه أي ويخزي الذي هو كاذب ﴿والثاني﴾ أن يكون من في قوله من يأتيه معنى الذي
ويكون من هو كاذب عطفاً عليه وادخلوا هو في قوله من هو كاذب لأنهم لا يقولون من قائم ولا من قاعد وإنما
يقولون من قام ومن يقوم ومن القائم ومن القاعد وقد ورد ذلك في الشعر قال الشاعر

من شارب مريع بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار

كان لم يفتوا فيها يحمل أن يكون كأن تخفة من الحقيقة أن يضم فيها كما يضم في ان من قوله وآخر
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ويجوز أن يكون ان التي تنصب الفعل ويكون مع الفعل بمعنى المصدر
✽ المعنى ✽

ثم خلف سبحانه قصة شعب على ما تقدمها من قصص الأنبياء عليهم السلام فقال (وإلى مدفن) أي وارسلتنا
إلى اهل مدفن (انعام شيبا) فصف اهل واقام مدفن مقامه ومدفن اسم القبيلة أو المدينة التي كانوا فيها فلذلك
لم ينصرف عن الزواج وقيل مدفن بن ابراهيم نسبوا اليه (قال يا قوم اميدوا ان الله ما لكم من إله غيره) قد سبق
تفسيره (ولا تنقصوا المكيال والميزان) أي ولا تنقصوا حقوق الناس بالتطفيف عند الكيل والوزن (إني أراكم
نجير) أي يرخس السعر والحطب عن ابن عباس والحسن والمعنى انه حذرهم التلاذ وهو زيادة السعر وزوال النعمة
وحلول النعمة إن لم يترو وقيل أراد بالحير المال وزينة الدنيا عن قتادة وابن زيد والضحك والمعنى اني أراكم في
كثرة الأموال وسعة الأرزاق فلا حاجة بكم إلى نقصان الكيل والوزن (واني أخاف عليكم عذاب يوم
يحيط) وصف اليوم بالإحاطة بمعنى انه يحيط بذنوبهم بجميع الكفار ولا يفلت منه احد منهم واراد يوم القيامة عن
الحياتي وهو من صفة العذاب على الحقيقة لأن اليوم يحيط بذنوبهم بدلا من احاطته بصرته وذلك اظهر في الوصف
وأهول في النفس (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) أي أوفوا حقوق الناس في الكيلات والوزن
بالمكيال والميزان بالعدل (ولا تبغضوا الناس) أي ولا تنقصوا الناس (أشياءهم) أي اموالهم في معاملاتهم
(ولا تشوا في الأرض فسادين) أي ولا تسوا بالفساد ولا تضربوا في الأرض بقية الله خيركم ان كنتم مؤمنين
البقية بمعنى الباقي أي ما أبقي الله تعالى لكم من الحلال بعد اقام الكيل والوزن خير من البغض والتطفيف
وشرط الايمان في كونه خيرا لهم لأنهم ان كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة هذا القول من ابن عباس وقيل معناه
إبقاء الله النعم عليكم خير لكم مما يحصل من النفع بالتطفيف عن ابن جبر وقيل معناه طاعة الله خير لكم من
جميع الدنيا لأنها يبقى قواها أبداً والدنيا تقنى من الحسن ومجاهد ويؤيد قوله والباقيات الصالحات
خير عند ربك قواها الآية وقيل بقية الله رزق الله من الثوري (وما أنا بملككم بحفيظ) أي وما أنا بحافظ نعم
الله تعالى عليكم ان يزيلها عنكم وأوفا يحفظها الله عليكم فاطلبوا بقاء نعمه بطاعته وقيل معناه وما أنا بحافظ
لأمالككم وإنما يحفظها الله فيجازيكم عليها وقيل معناه وما أنا بحافظ طيكم كيكم ووزنكم حتى توفوا

الناس حقوقهم ولا تظلموهم وانما علي ان اتهاكم عنه (قالوا يا شعيب اصلاتك تأمرك أن نترك ما يبدع آبائونا) فقالوا ذلك لأن شعيبا كان كثير الصلاة وادعة عن الشهوات عن الفسقة والمنكر فقالوا اصلاتك التي تزعم انها تأمر بالخير وتنهاي عن الشر أمرتك بهذا عن ابن عباس وقيل معناه أدبناك يا أمرك بترك دين السلف عن الحسن وعطاء والى مسلم قالوا كنى عن الدين بالصلاة لأنها من أجل أمر الدين وإنما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء (أو أن فعل في أموالنا ما نشاء) معناه اصلاتك تأمرك بترك عبادة ما يبدع آبائنا وأبو بكر فعل ما نشاء في أموالنا من البعس والتطفيف (إنك لأنت الحليم الرشيد) قيل انهم قالوا ذلك على وجه المزور والتهكم وأرادوا به ضد ذلك أي السفه الناري عن ابن عباس وقيل انهم قالوا ذلك على التحقيق أي انك أنت الحليم في قومك فلا يليق بك ان تخالفهم والحليم الذي لا يجادل بالعقوبة مستحقها والرشيد المرشد (قال) شعيب (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) مر تفسيره (وروى عنه رزقا حسنا) قيل ان الرزق الحسن ههنا الثروة وقيل معناه هدائي لدينه ووسم على رزقه وكان كثير المال عن الحسن وقيل كل نعمة من الله سبحانه فهو رزق حسن وفي الكلام حذف أي أفاعل مع ذلك عما أتاه عليه من عبادته وإنما حذف للدلالة على ما أتاه (وما أريد أن أخافكم إلى ما اتهاكم منه) أي لست اتهاكم من شيء وأدخل فيه وانما اختار لكم ما اختاره لنفسي ومعنى ما أخافكم إليه أي ما أقصد بجلالكم إلى ارتكابه من الزجاج وهذا في معنى قول الشاعر

لأنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقيل معناه وما أريد اجتراح منعة إلى نفسي بما اتهاكم منه أي لا أمرك بترك التطفيف في التكيل والوزن لتكون منعة ما يحصل بالتطفيف (إن أريد إلا الإصلاح) أي لست أريد بما أركم به وإنما لكم منه الإصلاح أمركم في دينكم ودنياكم (ما استطعت) أي ما قدرت عليه وتمكنت منه (وما توفيقي إلا بالله) معناه وليس توفيقي في أمثالي في أمثالي ما أتكم به إلا انتباه صوابكم عنه إلا بالله فلا يوفق غيره أي ليس ما لطف بهي وقوتي بل بعمرة الله ولطفه وتيسره (عليه توكلت) والتوكل على الله الرضا بتدبيره مع تقويض الأمور إليه والتسليم بطاعته (واليه أنيب) أي واليه أرجع في العاد عن معاهد وقيل إليه أرجع بعلمي وتبني عن الحسن ومعناه اني اعلم اعلمي كلها لوجه الله (ويا قوم لا يجرمنكم شقائي) أي لا يكسبكم خلافي ومعاداتي (أن يصيبكم) عذاب العاجلة عن الزجاج وقيل معناه لا تحبلنكم عداوتي على مخالفة وبكم فيصيبكم من العذاب مثل ما أصاب من قبلكم عن الحسن وكان سبب هذه العداوة دعاؤه لكم إلى مخالفة الآباء والأجداد في عبادة الأوثان وما يقتل عليهم من الأيفاء في الكيل والميزان (مثل ما أصاب قوم نوح) من الهلاك بالفرق (أو قوم هود) بالربح القم (أو قوم صالح) بالرجة (وما قوم لوط منكم بعيد) أي هم قريب منكم في الزمان الذي بينه وبينكم من قتادة وقيل معناه ان دارهم قريبة من داركم فيجب أن تخطوا بهم (واستنقروا ربكم ثم تروا إليه) أي اطلبوا المغفرة من الله ثم تصلوا إليها بالتوبة وقيل معناه استنقروا لهاضي وانقروا في المستقبل وقيل استنقروا ثم دعوا على التوبة وقيل استنقروا في العلالة ثم اضروا الندامة في القلب من الماضي (إن ربي رحيم) بعباده فيقبل توبتهم ويغفر عن ماضيهم (وودد) أي أحب لهم ومعناه يريد لمنافعهم وقيل معناه متودد إلى عباده بكثرة انعامه عليهم وقيل ودود يعني الوالد أي يودهم إذا أطاعوه وورى عن النبي ﷺ انه قال كان شعيب خطيب الأنبياء (قالوا) أي قال قوم شعيب له حين سمعوا منه الوعظ والتخويف (يا شعيب ما نفقه كثيرا بما تقول) أي ما نفهم منك معنى كثير من كلامك وقيل معناه لا نفعل كثيرا منه ولا نعمل به وهذا كقولك إذا أمرك إنسان بشيء لا تريد ان تفعله لا اعلم ما تقول وانت تعلم ذلك أي لا افهمه وإنما قالوا ذلك بعدما ألزمهم الحجية (وإنا نراك فينا ضيقا) أي ضيق البدن عن الحياتي وقيل ضعف البصر عن شيان وقيل أعمى وكان شعيب أعمى

من فتادة وسعيد بن جبير قال الزجاج وحيد تسمي المكفوف ضيفا وهذا كما قيل ضري أي قد ضر بذهاب بصره وكذلك قد ضعف بذهاب بصره وكف عن التصرف وهذا القول ليس بسديد لأن قوله فبنا يوده ألا ترى أن قوله فبنا يوده لا يكون كلاما لأن الأسمى قد يكون أسمى ففهم وفي فهمهم وقيل ضيفا أي مبيتا عن الحسن واختلف في أن النبي ﷺ هل يجوز أن يكون أسمى فقيل لا يجوز لأن ذلك ينفر وقيل يجوز أن لا يكون فيه تغيير ويكون بقرّة سائر الليل والأمراض (ولولا دهلك لرجناك) أي لو لا حرمة مشيركم وقومك لقتلناك بالمجادرة وقيل مناه لشتبك وسبيتك (وما انت علينا بعزيز) أي لم ندع قتلك لنزلك علينا ولكن لأجل قومك قال الحسن وكان شبيب في عز من قومه وكان من إشرافهم وما بعث نبي بعد لوط إلا في عز من قومه (قال) شبيب (يا قوم ارحموا أئمة عليكم من الله) أي أمثلي وقومي اعظم حرمة عندكم من الله فتكون أذاني لأجل مشيركي ولا تتكفونه الله الذي يشي اليكم (واتخفوه وراكم ظهيرا) أي اتخفتم الله وراكم ظهوركم يعني تستمونه فالأمر عائد إلى الله عن ابن عباس والحسن وقيل العاء عائدة إلى ما جاء به شبيب عن مجاهد والمعنى ونبتكم ما أرسلت به اليكم وراكم ظهوركم وقيل الهاء عائدة إلى أمر الله عن الزجاج أي نبذتم أمر الله وراكم ظهوركم وتركتموه (لن ربي بما تعملون عيط) أي عصى لأعمالكم لا يفوته شيء منها وقيل مناه غير بأعمالكم فيجازيكم بها عن الحسن (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) أي اعملوا على حالتكم هذه والمكانة الحال التي يتكئ بها صاحبها من عمل وهذا تهديد في صورة الأمر وتقديره كأنكم إذا امرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر والطغيان وفي هذا نهاية الحزني والهوان وقيل مناه اعملوا على ما عيكنكم أي اعملوا اتهم على ما تقولون واصل أنا على ما أقول وقيل مناه اعملوا على ما اتهم عليه من دينكم ونحو قوله لكم دينكم ولي دين وفي هذا دلالة على أنه ليس من قومه (إني عامل) على ما أمرني ربي وقيل إني عامل على ما أتاه عليه من الانتذار (سوف تعلمون) أينا المخطئ الجاني على نفسه وقيل مناه سوف تبين لكم وتعلمون في حابة الأمر (من يأتيه عذاب يخزيه) أي يهينه ويفضحه ويظهر الكاذب من الصادق وتقديره ومن هو كاذب يخزي بذهاب الله فعذب (وارتقوا إلى معكم رقيب) أي انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب إني معكم منتظر حلول العذاب بكم وقيل مناه انتظروا العذاب واللعنة وأنا انتظر الرحمة والثواب والنصرة من ابن عباس وقيل مناه انتظروا مواعيد الشيطان وأنا انتظر مواعيد الرحمن ودوي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول العبد الصالح وانتقوا إلى معكم رقيب (ولما جاء امرأنا نعيينا شميا والذين آمنوا معه يومئذ آمنوا) مضى تفسيره (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبرئيل صيحة فماتوا (فأصبحوا في ديارهم جاثين كأن لم يسئروا فيها) مضى تفسيره قبل (الا بعدا لمدن كما بعثت ثور) الا بعدوا من رحمة الله بعدا كما بعثت ثور وقيل الا هلاكهم كما هلكت ثور وتقديره الا اهلككم الله فبعدوا بعدا قال البلخي يجوز أن تكون الصيحة صيحة على الحقيقة كما دوي ويجوز أن تكون ضرا من العذاب اهلككم الله واصطلمهم تقول الرب صاح الزمان بهم إذا هلكوا وقال امرؤ القيس

فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل
ومني صيح في حجراته اخذب واهلك قالوا وإنا شبه حالهم بحال ثور خاصة لأنهم أهلكوا بالصيحة كما
هلكت ثور بجل ذلك مع الرحمة

قوله تعالى (٩٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٧) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَرْفَعُوْنَ رِشْدِيهِ (٩٨) بِقَدَمِ قَوْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ

وَيَسِّرُ الرِّزْقَ أَلْوَرْدُ (٩٩) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لِمَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسِّرُ أَلْرَفْدُ أَلْوَرْدُ (١٠٠)
 ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠١) أَوْ مَا ظَلَمْتُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
 فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِيَهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ
 (١٠٢) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَفِي ظِلَالِهِ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٣) إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ثَمَانِي آيَاتٍ

❦ الفنة ❦

يقال قدمت القوم المدهم فلما إذا مشيت أمامهم واتبعوك الازهري قدم يقدم وقدم وقدم واقدم واستقدم
 بمعنى الورد ورود الماء الذي يورد والاول والوارد والجميع اوراد والاراد إيجاب الورد في الماء او ما يقوم مقامه
 قال الشاعر

يرد المياه حاضرة ونفيسة ورد القطة إذا سبال التبع
 وقال ليد

فوردنا قبل فرأط القطة إن من ورجي تنليس النهل
 واصل الورد الاشراف على الدخول وليس بالدخول قال عنترة

فلما وودن الماء زرقا جامه وضمن عصي الحاضر المتخيم

والرشد العون على الأمر يقال رفته يرفده وفدا وفندا يفتح الرء وكسرهما قال الزجاج كل شيء جعلته عوناً
 لشيء أو استندت به شيئاً فقد رفته به يقال حملت الحائط واستندته وارقدته وفدته بمعنى واحد ويقال رفته
 وارقدته إذا اعطاه والاسم الرفد لأن العطاء عون المطلي والحصيد بمعنى المصود والحصد قطع الزرع من الأصل
 وهذا زمن الحصاد يفتح الحاء وكسرهما ويقال حصدهم بالسيف إذا قتلهم وتببب من تببب يده أي خسرته
 قال جرير

عرابة من بقية قوم لوط ألا تبا لما فعلوا تبا
 والفرق بين الغائب والألم إن الغائب استمرار الألم قال مبيد

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

❦ المعنى ❦

ثم غطف سبحانه قصة موسى (ع) على ما تقدم من قصص الأنبياء فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي
 بهجبتنا ومميزاتنا الدالة على نبوته (وسلطان مين) أي وحجة ظاهرة مخلصة من تليس وتزوير على أنهم ما يمكن
 فيه والسلطان وإن كان في معنى الآيات فإننا عطنه عليها لأن الآيات حجج من وجه الاشارة العظيم بهاد السلطان
 حجة من جهة القوة العظيمة على المبطل وكل عالم له حجة يقهر بها شبهة من نازعه من أهل الباطل فله سلطان وقد
 قيل إن سلطان الحجة أنفذ من سلطان الملكية والسلطان متى كان محققاً حجة وجب اتباعه وإذ كان بخلافه لا يجب
 اتباعه قال الزجاج السلطان إننا سمي سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه واشتقاقه من السليط الذي يستخاض به (إلى
 فرعون وملائكة) أي قومه وقيل اشراف قومه الذين تملأ الصدور هيبتهم (فاتبعوا امر فرعون) وتركوا امر الله
 تعالى (وما أمر فرعون برشيده) أي مرشد ومثله ما هو بهاد لهم إلى رشد ولا قائد إلى خسر فأمر فرعون كان

على ضد هذه الحلال لأنه دأب إلى الشر وصاد عن الخير وفي هذا دلالة على أن نقطة الأمر مشتركة بين القتل والقتل والمراد هاتنا وما فعل فرعون برشيد (يقدم قومه يوم القيامة) يعني ان فرعون يشي بين يدي قومه يوم القيامة على قضيته حتى يهجم بهم على النار كما كان يقدمهم في الدنيا يدعوهم إلى طريق النار وإنا قال (فأوردهم) على نقط الماضي والمراد به التسجيل لأن ما صلغه عليه من قوله يقدم قومه يوم القيامة يدل عليه عن الجاني وقيل انه مطوف على قوله فأتبعوا امر فرعون (وبسبب الورد المورود) أي بسبب الماء الذي يردونه عطاشا لحياء نفوسهم (النار) إنا أطلق سبحانه على النار اسم الورد المورود لطابق ما يرد عليه أهل الجنة من الأثمار والعيون وقيل معناه يش للداخل المدخول فيه النار وقيل بسبب الشيء الذي يرد النار وقيل بسبب النصيب المقسوم لهم النار وإنا أطلق فقط بسبب وإن كان عدلا حسنا لا فيه من البر والشفقة (وأتبعوا في هذه) يعني احرقوا في الدنيا (لعنة) وهي الترق (يوم القيامة) يعني لعنة يوم القيامة وهي عذاب الآخرة وقيل معناه اتبعهم الله في الدنيا لعنة بإرصادهم من الرحمة واتبعهم الأنبياء والمؤمنون بالدعاء عليهم باللعنة ويتبعهم الله العنة في القيامة حتى لا تتفرقهم العنة حيث كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنتهم (بسبب الرغد المرفود) أي بسبب المطاء المطلى النار واللعنة وإنا ساء رعدا لأنه في مقابلة ما يبلى أهل الجنة من أنواع التيميم وقال قتادة ترافدت عليهم لعنتان من الله لنعق الدنيا ولنسقي الآخرة وسألناهم عن الآخرة (ذلك) أي ذلك النابأ (من آباء القري) أي من أخبار البلاد (تنصه عليك) أي تذكره لك وتنبه لك يا محمد (منها قائم وحديد) أي من تلك الديار معور وخراب قد أتى عليه الأحلاك ولم يسر فيأبى وقيل معناه قائم على بنائه لم يذهب أصلا وإن كان خاليا من أهله قد هلك وباد أهله من ابن عباس (وما ظلمناهم) بأهلاكهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بأن كفروا وارتكبوا ما استحقوا به الهلاك فكان ذلك ظلمهم لأنفسهم (فما اخذت منهم آلتهم) أي أوثاقهم (التي يدعون من دون الله من شيء) لا جاء امر ربك (أي عذاب ربك) وقيل امر ربك بأهلاكهم (وما زادهم غير تزيين) أي غير تخمير من معاهد وقادة والمعنى لم يزيدوهم شيئا غير الهلاك والحساد وإنا أضف الإهلاك إلى الأصنام لأنها السبب في ذلك ولولم يعبدوها لم يهلكوا وإنا قال يدعون من دون الله لأنهم كانوا يسونها آلهة ويطلبون الخواص منها كما يطلبها الموحدون من الله (وكذلك أخذ ربك) أي وكما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب أخذ ربك (إذا أخذ القري) أي أخذ أهلها وهو ان ينقلهم إلى العقوبة والهلاك (وهي ظالمة) من صفة القري وهو في الحقيقة لأهلها وسكانها وغزوهم وكما قصصنا من قرية كانت ظالمة في الصحيحين من النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى جعل الظلم حتى إذا أخذ ليقطع ثم قرأ هذه الآية (ان اخذه أليم شديد) معناه ان اخذه الله سبحانه العظام المؤلم شديد الألم (إن في ذلك لآية) أي ان قيا قصصنا عليك من إهلاك من ذكرنا على وجه العقوبة لهم على كفرهم لعبادة وتبصرة وعلمة عظيمة (لمن خاف عذاب الآخرة) أي لمن خشى عقوبة الله يوم القيامة وخش الحائظ بذلك لأنه هو الذي ينتقم به بالدبر والتفكير فيه (ذلك يوم مجروح له الناس) أي يجمع فيه الناس كلهم الأولون والآخرين منهم لجزاء والحساب والهاء في له راجعة إلى اليوم (وذلك يوم مشهود) أي يشهده الحلائق كلهم من الجن والانس وأهل السماء وأهل الأرض أي يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه وفي هذا دلالة على اثبات المعاد وحشر الحلق

قوله تعالى (١٠٤) وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ (١٠٥) يَوْمَ بَاءَتْ لَا فُكْلُمْ قَسْ إِلَّا بِأَذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٦) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٧)

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ قَسَالٌ لِّمَا يَرِيدُ (١٠٨) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِئْسَ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ خَمْسَ آيَاتٍ

— (القرأة) —

قرأ يعقوب وما يؤخره بالياء. والباقون بالنون وقرأ يأت بغير ياء. ابن عامر وأهل الكوفة غير الكسائي والباقون يأتي بإتبات الياء. وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر سمعوا بضم السين والباقون سعدوا بالفتح

— (الحجة) —

من قرأ يؤخره بالياء. فلأنه رده إلى قوله اخذ ربك ومن قرأ بالنون فلأنه ابتداء. والياء. في المعنى كالنون وقوله يوم يأت قال الزجاج الذي يجتأه النحويون يوم يأتي وهنيل يحذف هذه الياءات كثيرا وقد حكى سيويه والخليل أن العرب تقول لا ادر تحذف الياء. وتجترى بالكسرة إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال قال أبو علي من أثبت الياء. في الوصل والوقف فهو القياس البين وأما من حذفها في الوقف إذا قال يوم يأت فلأنها وإن تكن في فاصلة اسكن ان تشبها بالفاصلة لأن هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة في الوصل بدلالة أنهم حذفوها كما حذفوا الحركة فكما ان الحركة تحذف في الوقف فكذلك ما اشبهها من هذه الحروف كان في حكمها فأما من حذفها في الوصل والوقف فلأنه جعلها في الوصل والوقف بقرعة ما استعمل محذوفا مما لم يكن ينبغي في القياس ان يحذف نحو لم يك ولا أد ومثله قول الشاعر

كفكك كف لا تبقي دوما جودا وأخرى تمعط بالسيف الدما

حذف الياء من تعلي وليس هنا ما يوجب حذفها وأما قوله سعدوا فقد قال أبو علي حكى سيويه سعد بسعد سعادة فهو سعيد وينبغي ان يكون غير متحد كما ان خلافه الذي هو شقي كذلك وإذا كان كذلك كان ضم السين مشكلا إلا ان يكون سمي فيه لغة خارجة عن القياس او يكون من باب فعل وفعله نحو غاص الماء وغصته وحزن وجزته ولهم استشهدوا على ذلك بقولهم مسعود وأنه يدل على سعد ولا دلالة قاطعة في ذلك لأنه يجوز ان يكون مثل اجته الله فهو ميتون وأجبه فهو محبوب فالقول جاء في هذا على انه حذف الزيادة عنه كما حذف من اسم القاتل في نحو قوله وارسلنا الرياح لواقع يعني ملاحق فجاء على حذف الزيادة فعلى هذا يكون اصله اسعد فحذف الزائد ومن الحذف قول الشاعر « يخرج من اجواز ليل غاض » يريد مضي

❦ الآية ❦

الشقاء والشقاوة والشقة بمعنى والياء. في شقي منقبة عن واو والسعادة ضد الشقاوة والزفير اول نفاث الحمار والشيء آخر نفاثه قال روي

حشر في الجوف صهيلا او شوق حتى يقال ناهق وناهق

والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنفخ الصلوح وأصل الزفير الشدة من قولهم للشديد الحلق مزفور والزفر الحمل على الظهر خاصة لشدة والزفر السيدلته يطبق حمل الشدائد وزفرت النار إذا سمع لها صوت من شدة ترقدها والشيء صوت قطيع يخرج من الجوف بد النفس واصله الطول المقطوع من قولهم جبل شامق والخلود الكون في الأمر ابدا والديموم البقاء ابدا ولهذا يوصف سبحانه بأنه دائم ولا يوصف بأنه خالد والجد التطلع يقال جده مجده وجد الله داوهم قال النابغة

يجزئ السلوقي المضاعف نسجه ويوقد بالصفاح نار الحباب
ويقال جذها جذ السير الصليانة وهي بنت

❦ الأعراب ❦

يوم يأتي لا يخلو أن يكون قاعل يأتي ضمير اليوم المضاف إلى يأتي واليوم المتقدم ذكره فلا يجوز أن يكون قاعله ضمير اليوم الذي أخيف إلى يأتي لأنك لا تقول جئتكم يوم يسرك سروره إياك ويكون لها. عائلة إلى يوم فيصير اليوم مضافاً إلى الفعل المسند إلى ضميره وأما تعرف الفعل فيه بالفعل فيكون كأنك إنما عرفت اليوم بنفسه ونظير ذلك قولك هذا يوم حره ويوم يده وأما. واليوم وهذا غير جائز وكذلك لا يجوز أن تضيف الظرف إلى جملة معرفة بضميره وإن كانت من مبتدأ وخبر مثل أن تقول آتيك يوم ضحوته باردة وليلة أولها مطير فإن نوت قلت آتيك يوماً ضحوته باردة أو ليلتها مطير جاز لأنه خرج بالتأني من حد الإضافة وهذا قول أبي حنيفة المازني وإذا قد ثبت ذلك فقد ثبت أن في يأتي ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود أي يوم يأتي هذا اليوم الذي تقدم ذكره لا تكلم نفس الأولونه يجوز أن يكون هذه الجملة حالاً من الضمير في الحين والبرهة وليس على وضع النهار وقوله لا تكلم نفس الأولونه يجوز أن يكون هذه الجملة حالاً من الضمير في يأتي ويميز أن يكون صفة ليوم المضاف إلى يأتي لأن يوم مضاف إلى يأتي والفعل نكرة فلا تعرف يوم بالأم خافة إليه فيجاز أن يوصف بالجملة كما توصف النكرات بالجميل والمعنى لا تكلم فيه نفس حذف فيه أو حذف الحرف وأوصل الفعل إلى المقول ثم حذف الضمير من الفعل الذي هو صفة كما يحذف من الصلة ومثل ذلك قولهم الناس وجلان رجل أكرمت ورجل اعنت وإذا جعلته حالاً من الضمير في يأتي وجب أن تقدريه أيضاً ضميراً يعود إلى ذي الحال وتقديره غير متكلم فيه هذا كله قول أبي علي وأقول أن الظاهر أن قوله يسرهم يأتي ظرف لقوله لا تكلم نفس إلا بألفه ومعلوم له وهذا الوجه لا يحتاج فيه إلى تقدير محذوف كما في الوجهين اللذين ذكرتهما فيكون أولى وإنما يضاهي يوم إلى الفعل لأنه اسم زمان والفعل يناسب الزمان من حيث أنه لا يتجولونه وأما يتصرف بتصرفه وأنه لا يكون حادثاً إلا وقتاً كما أن الزمان لا يبقى وقوله لا تكلم أي لا تكلم فعطف إحدى التائين كما في قول الشاعر

والعين ساكنة على أطلالها عوداً تأجل بالقضاء بهامها
أي تتأجل وصلاً منصوب بما دل الكلام عليه فكانه قال استطاهم التميم عطاه

❦ المعنى ❦

ثم أخبر سبحانه عن اليوم المشهود وهو يوم القيامة فقال (وما تؤخره) أي وما تؤخر هذا اليوم (إلا لأجل محدود) وهو أجل. قد عده الله تعالى لعله أن صلاح الخلق في إدامة التكليف عليهم إلى ذلك الوقت وفيه إشارة إلى قربته لأن ما يدخل تحت المد فكان قد نفذ وأما قال لأجل ولم يقل إلى أجل لأن الأجل يدل على القرض وإن الحكمة اقتضت تأخيرهم وإلى لا يدل على ذلك (يوم يأتي) أي حين يأتي القيامة والجزاء (لا تكلم نفس إلا بألفه) أي لا يتكلم أحد فيه إلا بألفه. الله تعالى وأمره ومناه أنه لا يتكلم فيه إلا بالكلام الحسن المأذون فيه لأن الخلق ملجأون هناك ترك التبايع فلا يقع منهم فعل التبيع وأما ما هو غير قبس قوله مأذون فيه عن الجاني والظاهر أن يقال مناه أنه لا يتكلم أحد في الأجرة بكلام ناقص من شناعة ووسيلة إلا بألفه فإن قيل كيف يحجم بين هذه الآية وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيشدون وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان على أنه سبحانه قال في موضع آخر وقهرهم إتهم مسؤولون وعمل هذا الظاهر للتبايع فالجواب أن يوم القيامة يشتمل على مواقف قد أذن لهم في الكلام في بعض تلك المواقف ولم يؤذن لهم

في الكلام في بعضها عن الحسن وقيل ان معنى قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون لجة وإنما ينطقون بالقرار
بذنبهم ولوم بعضهم بعضا وطرح بعضهم الذنوب على بعض وهذا كما يقول القائل لمن تكلم بكلام كثير
فارغ من الحجة ما تكلمت بشي ولا نطقت بشي فسمي من يشكلم بها لاجحة فيه غير مشكلم كقوله سبحانه
صم بكم عني وهم كانوا يسمعون ويتكلمون ويصرون الا انهم في انهم لا يقبلون الحق ولا يتأملون بمنزلة
الصم البكم الممي وكلا الوجهين حسن وأما قوله فيومئذ لا يسأل من ذنبه إس ولا جان فسئله انهم لا
يسألون عن ذنوبهم لتعرف من حيث ان الله سبحانه علم اعمالهم وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وتقرير
لا يجاب الحجة عليهم كما في قوله وقهرهم انهم مسؤولون فأثبت سبحانه سؤال التقريع في آية ونفى سؤال
التعرف والاستسلام في أخرى فلا تناقض وقوله (فنهض شقي وسعيدا) اخبار منسبانه بأنهم قسدا شقياء وهم
المستحقون للعقاب وسعداء وهم المستحقون للثواب والثعابة أسباب البلاء والسعادة قوة أسباب النعمة والثقي من
شقي يسوء عمله في مصيبة الله والسعيد من سعد بحسن عمله في طاعة الله والظهير في قوله فمنهم يعود الى الناس
في قوله ذلك يوم مجسوع له الناس وقيل انه يعود الى قس في قوله لا تكلم نفس الا بإذنه لان النفس اسم
الجنس (فأما الذين شقوا في النار) يعني ان الذين شقوا باستحقاقهم العذاب جزاء على اعمالهم القبيحة داخلون
في النار وإنما وصفوا بالشقاوة قبل دخولهم النار لأنهم على حال تؤذهم الى دخولها وأما ما روي من النبي ﷺ
انه قال الشقي من شقي في بطن أمه فلان المراد بذلك ان المعلم من حاله انه يشقى بارتكاب القبائح التي تؤذيه
الى عذاب النار كما يقال لابن الشيخ الهرم انه يتيم بمعنى انه سيئهم (لهم فيها زفير وشهيق) قال الزجاج الزفير
والشهيق من اصوات المكرويين المعزوين والزفير من شديد الأتقن وقيمه بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق
الأتقن الشديد المرتفع جدا بمنزلة آخر صوت الحمار وعن ابن عباس قال يريدندامة ونفسا عاليا وبكاء لا يتقطع
(خالد فيهما ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) اختلف العلماء في تأويل هذا في الآيتين وعلمنا
المواضع المشككة في القرآن والاشكال فيه من وجهين ﴿احدهما﴾ تحديد الخلود ببدء السموات
والأرض ﴿والآخر﴾ معنى الاستثناء بقوله إلا ما شاء ربك فالأول فيه اقوال ﴿احدهما﴾ ان
المراد ما دامت السموات والأرض مبدئين اي ما دامت سما الآخرة وارضها وهما يقينان اذا أُعيد ابدان الافناء
عن الضحك والعباتي ﴿وثانيها﴾ ان المراد ما دامت سموات الجنة والنار وارضها وكل ما ملك فاعلم
فهو سماء وكل ما استقر عليه قلمك فهو أرض وهذا مثل الأول او قريب منه ﴿وثالثها﴾ ان المراد ما
دامت الآخرة وهي دائمة ابدا كما ان دوام السماء والأرض في الدنيا قدر مدة بقائها عن الحسن ﴿ورابعها﴾ انه
لا يراد به السماء والأرض بينهما بل المراد التبييد فإن العرب الفاظا للتبييد في معنى التأيد يقولون لا أفعل ذلك
ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والأرض وما نبت الثيب وما اطلت الايام وما اختلف الحرة والدرة
وما ذر شارق وفي اشياء ذلك كثرة فلما منهم ان هذه الاشياء لا تتغير ويبردون بذلك التأيد لا التوقيت فتعاطفهم
سبحانه بالمراف من كلامهم على قدر عقولهم وما يعرفون قال عمرو بن مديكرب

وكل أخ مفارقة أخوه لمرأىك الا الفرقدان

وقال زهير

الا لا أرى على الحوادث بأقيا ولا خالدا الا الجبال الرواسيا

والا السماء والنجوم وورينا وأيامنا معدودة والايالا

لأنه توهم ان هذه الاشياء لا تتغير وتخلد ولما الكلام في الاستثناء فقد اختلفت فيه اقوال العلماء على
وجوه ﴿احدها﴾ انه استثناء في الزيادة من العذاب لاهل النار والزيادة من العيم لاهل الجنة والتقدير

إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لتير لي عليك ألف دينار إلا الاثنين الذين اقروا شكاها وقت كذا فالألفان زيادة على الألف بنحو شك لأن الكثير لا يستثنى من القليل عن الزجاج والفراء وعلي بن عيسى وجماعة وعلى هذا فيكون إلا بمعنى سوى أي سوى ما شاء ربك كما يقال ما كان معنا رجل إلا زيد أي سوى زيد ﴿وأنانيا﴾ أن الاستثناء واقم على مقامهم في اللعشر والحساب لأنهم حينئذ ليسوا في جنة ولا نار ومدة كونهم في البرزخ الذي هو ما بين الموت والحياة لأنه تعالى لو قال خالدين فيها أبدا ولم يستثن لفظ الطمان أنهم يكونون في النار والجنة من لدن نزول الآية أو من بعد انقطاع التكليف لفصل الاستثناء فائدة عن المأزني وغيره واختاره البلخي فإن قيل كيف يستثنى من المخلود في النار ما قبل السخلول فيها فالجواب أن ذلك جائز إذا كان الأخبار به قبل دخولهم فيها ﴿وثالثها﴾ أن الاستثناء الأول يتصل بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقديره إلا ما شاء ربك من اجتناس العذاب الخارجة عن عذق الضربين ولا يتعلق بالاستثناء بالمخلود وفي أهل الجنة يتصل بما دل عليه الكلام فكأنه قال لهم فيها نعيم إلا ما شاء ربك من أنواع النعيم وإنما دل عليه قوله عطاء غير مجذوذ عن الزجاج ﴿ورابعها﴾ أن يكون إلا بمعنى الواو أي وما شاء ربك من الزيادة عن الفراء واشتهد على ذلك بقول الشاعر

وأرى لما حاراً باغدره السب

مدان لم يدوس لها رصم

الارماداً هامداً رفعت

عنه الرياح خوالد سمح

قال والمراد بالارماد بالارماد والارماد كان الكلام متناقضاً وهذا القول قد ضعه محققو التحسين ﴿وخامسها﴾ أن المراد بالذين شقوا من أهل التوحيد الذين ضمو إلى إيمانهم وطاعتهم ارتكبا للمعاصي فقال سبحانه أنهم معاقبون في النار إلا ما شاء ربك من اخراجهم إلى الجنة وأيضاً ثواب طاعتهم اليهم ويجوز أن يريد بالذين شقوا جميع الداخلين إلى جهنم ثم استثنى بقوله إلا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم ممن استحق الثواب ولا بد أن يوصل إليه وتقديره إلا ما شاء ربك أن يخرجهم جوعيده من النار ويدخله الجنة وقد يكون ما يعني من قال سبحانه سبيح لله ما في السموات وقالت العرب عند سماع الرعد سبحات ما سبعت له وأما في أهل الجنة فهو استثناء من خلودهم أيضاً لما ذكرناه لأن من ينقل إلى الجنة من النار وخلد فيها لا بد في الاختيار عنه بتأييد خلوده أيضاً من استثناء ما تقدم فكأنه قال خالدين فيها إلا ما شاء ربك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنة فما في قوله ما شاء ربك هنا على باب الاستثناء من الزمن والاستثناء في الأول من الأحيان والذين شقوا على هذا القول هم الذين سجدوا بأعينهم وإنما أجرى عليهم كل لفظ في الحال الذي تليق به فإذا أدخلوا النار وعوقبوا فيها فهم من أهل الشقاء وإذا نقلوا منها إلى الجنة فهم من أهل السعادة وهذا قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وإبي سعيد الخدري وقادة والسدي والضحاك وجماعة من المفسرين وروى أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يفضل الله عليهم فيخرجهم من النار إلى الجنة فيكونون أشقياء في حال سعادته في حال أخرى وقال قتادة قاله اعلم بتشيئه ذكر لنا أن ناساً يصيهم سفع من النار بذنوبهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته يسمون الجهننيين وهم الذين أخذ فيهم الوعيد ثم أخرجوا بالشفاعة قال وحدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال يخرج قوم من النار قال ولا تقول ما يقوله أهل سروراء وهذا القول هو المختار للمول عليه ﴿وسادسها﴾ أن تعليق ذلك بالشيء على سبيل التأكيد للخلود والتبييد للغروج لأن الله تعالى لا يشاء إلا تظليهم على ما حكم به فكأنه تعليق لما لا يكون بما لا يكون لأنه لا يشاء أن يخرجهم منها ﴿وسابعها﴾ ما قاله الحسن أن الله سبحانه استثنى ثم عزم بقوله إن ربك فعال لما يريد أنه أراد أن يظلمهم وقرب منه ما قاله الزجاج وغيره أنه استثناء تشبيه

العرب وتعلمه كما تقول والله لآخرين زيدا إلا ان أرى غير ذلك وانت عازم على ضربه والمضى في الاستثناء على هذا اني لو شئت أوت لا اضربه لتلت ﴿ وثامنا ﴾ قال يحيى بن سلام البصري انه يعني بقوله إلا ما شاء ربك ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم من الفريقين واحتج بقوله تعالى وميق الذين كفروا إلى جهنم زمرا وميق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا قال ابن الزمعة قد دخل بعد الزمعة فلا بد ان يقع بينهما تفاوت في الدخول والاستثناء ان على هذا من الزمان ﴿ وثامنا ﴾ ان للمنى خالدون في النار دائمون فيها مدة كونهم فيه القبور ما دامت السماوات والارض في الدنيا وإذا فتننا وعدتنا انقطع عقابهم إلى أن يبعثهم الله للحساب وقوله إلا ما شاء ربك استثناء وقع على ما يكون في الآخرة اورد الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وقال ذكره قوم من اصحابنا في التفسير ﴿ وعاشرها ﴾ ان المراد إلا ما شاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثناء لأهل التوحيد من ابي مجلز قال هي جزاؤهم وإن شاء سبحانه تجاوز عنهم والاستثناء يكون على هذا من الأعيان (واما الذين سعدوا) أي سعدوا بطاعة الله وانتهائهم عن المعاصي (ففي الجنة) يكونون في الجنة لخالدين فيها ما دامت السماوات والارض أي مدة دوام السماوات والارض (إلا ما شاء ربك) يتأق فيه جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الظلود في النار إلا ما مضى ذكره من جزاء اخراج بعض الأشقياء من تناول الوعيد لهم وإخراجهم من النار بعد دخولهم فيها فلان ذلك لا يتأق في ههنا لإجماع الأمة على ان من استحق الثواب فلا بد أن يدخل الجنة وانه لا يخرج منها بعد دخوله فيها (علاء غير مجلوز) أي غير مقطوع

قوله تعالى (١٠٩) فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَنُوقِفُكُمْ فَهُمْ يَنْصِبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١١٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأُخْلِغَ فِيهِ وَكُولاَ كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ فَتُصْبِحُ مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١١) وَإِنْ كَلَّا لَيُوقِفْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١٢) فَاسْتَعِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَرْبَعُ آيَاتٍ

في القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر وحزمة وحض وان كلا لا تشديد النون والميم وقرأ اهل البصرة والكسائي وسخط وان كلا تشديد النون لا تشديد الميم وقرأ نافع وابن كثير وان كلا خفيفة النون لا خفيفة الميم وقرأ ابو بكر عن عاصم وان كلا خفيفة النون لما شدة الميم وفي التواذ قراءة الزهري وسليمان بن ارقم لا بالتونين وقراءة بن مسعود وان كل بالرفع إلا ليوفيهيم

(- الحجة -)

قال ابو علي من قرأ وإن كلا لا تشديد وتخفيف لا فوجه بين وهو انه نصب كلا بأن وأن يقتضي ان يدخل على خبرها او اسمها لام فدخلت هذه اللام وهي لام الإنداء على الخبر في قوله لا وقد دخلت في الخبر لا لاجل الاخرى وهي التي تليها القسم ويختص بالدخول على الفعل ويلزمها في أكثر الأمر احدي التونين فلما اجتمعت اللامان واتقتنا في تلي القسم واتقتنا في اللفظ فصل بينهما كما فصلوا بين إن واللام فدخلت ما لهذا للمضى وإن كانت زائدة لفعل كما جلبت النون وإن كانت زائدة في نحو وما ترين من البشر احدا وكما صارت عوضا من الفعل في قوله امالا بالامالة وفي قوله

فان قومي لم ياكلهم الضيع

اباخراسة اما انت ذا فخر

وبلى هذا الوجه في البيان قول من خفف إن ونصب كلا وخفف لما قال سيوبه محدثنا من نقي به انه سمع من العرب من يقول ان عمرا لم يطلق قال وأهل المدينة يقرأون كلا لا جميع لدينا محضرون يخفون وينصبون كما قالوا «كان نديبه خفان» ووجه النصب بها مع التخفيف من التماس ان ان مشبعة في نصبها بالمثل والتمثل يعمل محذوف كما يعمل غير محذوف وذلك في نحو لم يك زيد مطلقا فلا تك في مربة وكذلك لا ادرا ما من خفف ان ونصب كلا وثقل لا فقرأته مشكلة وذلك اننا إذا نصب بها وإن كانت محقة كانت بمنزلة مشككة ولما إذا شددت كانت بمنزلة إلا وكذلك قراءة من شدد لما وثقل ان مشكلة وذلك أن ان إذا ثقلت وإذا خففت ونصب بها فهي في معنى التثنية فكلا لا يحسن تثنيان ان زيدا إلا منطلق كذلك لا يحسن تثنيان ان وثقل لما فأما جمعي لما في قولهم نشدتك الله لما فعلت وإلا فقلت فقال الخليل الوجه لتعلمن كما تقول اقسمت عليك لتعلمن وأما دخول إلا ولما فلان المعنى الطلب فكأنه اراد ما أسألك إلا فعل كنذا ولم يذكر حرف التثنية في التثنية لأن كرا نرادا كما جاء في قولهم شرا هو ذانا باني مانع ولاشرو ليس في لا يقسمي هي ولا طلب فإن قال قائل لمن ما فادغم البون في الميم بعد ما قلبها ميا فلان ذلك لا يسوغ ألا ترى أن الحرف المدغم إذا كان قبله ساكن نحو قوم مالك لم بقوا لا دغما فيعي ان تحرك الساكن الذي قبل الحرف المدغم فإذا لم يحز ذلك فيه وكان التثنية اسهل من الحذف فلان لا يجوز الحذف الذي هو اذهب سيف باب التثنية من تحريك الساكن اجدر على ان في هذه السورة ميت اجتمعت في الادغام أكثر مما كان يجتمع في لمن ما ولم يحذف منها شيء وذلك قوله على اسم من معك فإذا لم يحذف شيء من هذا فان لا يحذف ثم اجدر وقد روي انه قد قرأ وإن كلا لا متونا كما قال وتا تكون التثنية اكلا لا توصف بالصدر فلان قال ان لا فيس ثقل إنما هو لا هذه وقف عليها بالألف ثم ابهر في الوصل جري الوقت فذلك ما يجوز في الشعر ووجه الاشكال فيه ايمن من هذا الوجه وقد حكى عن السكاسي انه قال لا اعرف وجه التثنية في ما ولم يبعد في ما قال ولو خفف خفف ان ورفع كلا بعدها لجاز تثنيان لما مع ذلك على أن يكون المعنى ما كان ليوفيتهم فيكون ذلك كقوله وإن كل ذلك لا متاع الحياة الدنيا ولكن ذلك ايمن من النصب في كل والتثنية لما وينبغي أن يقدر المضاف اليه كل نكرة ليحسن وصفه بالنكرة ولا يقدر اضافته إلى معرفة فيستمع ان يكون لا وصفا له ولا يجوز ان يكون حالا لأنه لا شيء في الكلام عاملا في الحال هذا كله كلام ابني علي وقال غيره في معنى ما بالتشديد اربعة اوجه **احدها** قول القراء انما يعني لمن ما فعلت احدى المينات الثلاث على ما تقدم ذكره **والثاني** القراء

وإني لما اصدر الأمر وجهه ١ إذا هو احيى بالسبيل مصادره

والثاني انما يعني إلا كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى إلا فعلت عن الزواج وقال القراء هذا لا يجوز إلا في اليمين كما قاله ابو علي **والثالث** انما محقة شددت التأكيد عن الملازم قال الزواج هذا لا يجوز لأنه إنما يجوز تخفيف الشدد عند الضرورة فأما تشديد المنع فلا يجوز بمجال **والرابع** انما من لمست الشيء إذا جمعه إلا انما بيت على فعل فلم تصرف مثل ترى فكأنه قال وان كلا جميعا ليوفيتهم ويدل عليه قراءة الزمري بالثنتين وقال ابن جني تقدير هذا وان كلا ليوفيتهم ريك اعلمهم لا أي توفية جامعة لاعلمهم جميعا وعصلا لاعلمهم تحصيلها فهو كقولك قياما لأقومن وذكر الشيخ علي ابن أبي الطيب رحمه الله عليه في وجه آخر فقال ما هنا محذوف وتقديره وان كلا لا عملوا ليوفيتهم ريك اعلمهم والحذف في الكلام كثير قال الشاعر

إذا قلت خيروا إن ليلى لعلها جري دون ليلى مائل القرن اعضب

والمراد لعلها تلتقي او تصلي او نحو هذا فهذا وجه خامس فأما إذا خففت ان فاتصبا كلام مع حمل ان على التثنية مشكل وقد ذكر فيه ان يكون التقدير وإن م إلا ليوفيتهم كلا لو وإن هم اخي كلا إلا ليوفيتهم وهذا

الوجهان سرغوب وهما وعلى الجملة فإن تشديد الميم من لامع تشديد إن وتثنيته شكل عند المحققين إذ لا يأتي
سيف لا هذه معنى لم ولا معنى الحين ولا معنى إلا ولا يعرف لما معنى سوى هذه ومن قرأ وأن كل الياقوتهم فمناه
ما كل الأرواح ليوفيتهم كقولك ما زيد إلا لأخرجه أي ما زيد إلا المستحق لأن يقال فيه هذا ويجوز أن يكون
عقبة من العقبة والا زائدة كما في قول الشاعر

أرى الدهر إلا متجنونا بأهله وما طالب الحاجات إلا معللا

أي أرى الدهر متجنونا بأهله وعلى ذلك تأولوا بيت ذي الرمة

حراجيج ما تنفك إلا مناخاة على الحشف أو يرمي بها بلدا قفرا

أي ما تنفك مناخاة والا زائدة

❦ الفقة ❦

المربة بكسر الميم وضمة الشك مع ظهور الدلالة للشبهة وهي مأخوذة من مري ضرب الناقة. ليدر بمدد وروه
والضبيب الحظ وهو القسم الموصول له ومنه انصباء الورثة والاختلاف ذهاب كل واحد إلى جهة غير جهة الآخر
وهو على وجهين اختلاف التقيضين وهذا يجوز أن يصح ما قرأ ❦ احدهما ❦ مبطل لصاحبه والآخر اختلاف
الجنين كاختلاف المتشبهين في جهة القبلة فهذا يجوز أن يصح ما والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة وأن
لا يعدل بينا وشالاً والبطيان تجاوزا المقدر في التساد

— (الاعراب) —

ومن تاب موصول وصلة في موضع رفع بالمطوف على الضمير المتكسر في استقم يجوز أن يكون مطوفاً
على البناء من استم ويكون التقدير في الأول استقم أنت ومن تاب ملك وفي الثاني كما امرت أنت ومن تاب
ملك ويجوز أن يكون من تاب منصوب بالموضع يكونه مفعولاً معه

❦ المعنى ❦

(فلا تك في مربة) أي في شك (ما يعبد هؤلاء) من دون الله تعالى أنه باطل وانهم يصيرون عبادة لهم
إلى عذاب النار (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعني ما يعبدون غير الله تعالى الا على جهة التقليد كما
كان آباؤهم كذلك (وإنما لو قوم نصيبهم) أي إذا لم يظلموا جزاء أعمالهم وعقاب أعمالهم وإني (غير منقوص)
عن مقدار ما استحقوه أيهم سبحانه بهذا القول عن السوء وقيل معناه أنا نصليهم ما يستحقونه من العقاب بعد
أن نوفيهم ما حكمنا لهم به من الخير في الدنيا عن ابن زيد (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب)
يعني التوراة (فاختلف فيه) يريد أن قومه اختلفوا فيه أي في صحة الكتاب الذي أنزل عليه وأراد بذلك
تسليم النبي ﷺ عن تكذيب قومه إياه وجحدهم للقرآن المنزل عليه فينب أن قوم موسى كذلك فعلوا بموسى
فلا تحزن لذلك ولا تتم له (ولو لا كلمة سبقت من ربك) أي لو لا خير الله السابق بأنه يؤخر الجزاء إلى يوم
القيامة لا علم في ذلك من المصلحة (لقضي بينهم) أي ليجل الثواب والعقاب لأهله وقيل معناه لفصل الأمر
على القائم بين المؤمنين والكافرين بجماعة هؤلاء وهؤلاء أو لك (وإنهم لي في شك منه مريب) يعني إن الكافرين
لي في شك من وعد الله ووعده مريب والرب أقوى الشك وقيل معناه إن قوم موسى لي في شك من نبوته (وإن
كلاً) من الجاحدين والمخالفين وقيل لرب كلاً من التريقين المصدق والمكذب جميعاً (لما ليوفيعم ربك
أعمالهم) أي يطيعهم ربك جزاء أعمالهم وإني تأنا إن خيراً فخير وإن شراً فشر (أنه بما يعملون مخير) يعني أنه
عليه بأعمالهم ويأمن استحقاقهم من الجزاء عليها لا يخفى عليه شيء من ذلك (فاستقم) أي تأمجد (كما امرت) أي
استقم على الوعد والالتزام والتمسك بالطاعة والأمر بها والدعاء عليها والاستقامة هو أداء الأمور به والاتصاف من

المنهي عنه كما امرت في القرآن (ومن تاب ملك) أي وليستقم من تاب ملك من الشرك كما مروا عن ابن عباس وقيل مناه ومن رجع إلى الله وإلى نبيه فليستقم أيضا أي فليستقم المؤمنون وقيل استقم انت على الأداء وليستقيموا على القول (ولا تظنوا) أي لا تجاوزوا أمر الله بالزيادة والتقصان فتخرجوا عن حد الاستقامة وقيل مناه ولا تظنوا فيكم التهمة فتخرجوا عن حد الاستقامة عن الجباي وقيل مناه لا تمصوا الله ولا تتخالفوه (انه) بما تعملون بصير) أي علم بأعمالكم لا تغنى عليه منها خافية وروى الواحدي بإسناده عن ابراهيم بن ادم عن مالك بن دينار عن ابى مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ لو سلمتم حتى تكونوا كلخنايا وصمتم حتى تكونوا كالآلاتاد ثم كان الاثنان احب اليكم من الواحد تظنوا حد الاستقامة وقال ابن عباس ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له اسرع إليك الشيب يا رسول الله شيبتي هود والواقعة

التنظيم

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه لما قص نأ الامم واهلها كمكفرهم اخبر عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه والله يوفيههم جزاء اعمالهم وقيل انه سبحانه بين فيما قبل اختلاف الامم على آياتهم تكذيباً لهم ثم بين آية هذه الآية ان خلاف هؤلاء كخلاف أولئك خلاف كثير لا خلاف اجتهاد عن ابى مسلم وكذلك اتصال الآية الثانية فإنه بين فيها ان تكذيب هؤلاء الكفار بالذي آتيناك كتكذيبهم لو تكذبوا بالكتاب الذي آتينا موسى

قوله تعالى (١١٣) ولا تركبوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون (١١٤) وأقيم الصلاة طر في النهار وروزلنا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (١١٥) وأصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين (١١٦) فلو لا كان من القرؤين من قيلكم أولوا بقة يهنون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أجمنا منهم وأتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (١١٧) وما كان ربك ليهلك القرى يظلم وأهلها مصلحون خمس آيات

الترجمة

قرأ ابو جعفر وزلنا بضم اللام والباءون بفتح اللام

الحجة

من قرأ زلنا بفتح اللام فلو جمع زلفة وهي المنزلة قال السجاج

ناج طواة الاين بما رجفا طي الليالي زلنا فزلنا

ومن قرأ بضم اللام فلو انه واحد مثل الحلم وسائر ان يكون جمعا على زليف من الليل فيكون مثل قرب وقرب قال الزجاج والزلف بالفتح اسود في الجمع وما علمت ان زلنا يستعمل في الليل وهو منصوب على الظرف

الفتحة

الركون إلى الشيء هو السكنون اليه بالبلغة له والانصات اليه وتقبضه التفرود عنه والصبر حبس النفس عن الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق وضده الجرح قال

فإن تصبروا فالصبر خير منية وإن تميزوا فالأمر ما تروا

وهو مأخوذ من الصبر المراد به لأنه يجزع مرادة الحق بجس النفس عن الخروج إلى المشي وما بين على الصبر شيان ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ العلم بما يقب في كل وجه وعادة النفس له ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ استشعار ما في لزوم الحق من العز والأجر بطاعة الله واليقية ما بقي من الشيء بعد ذهابه وهو الاسم من الإتياء ويقال في فلان بقية أي فضل مما يمدح به وغير كأنه قيل بقية خير من الخير الماضي واتروا أي عودوا لقرعة بالنعيم والخذة وذلك أن القرعة عادة النعمة قال

تهدي رؤوس المترفين الضداد إلى أمير المؤمنين المتداد

أي المسؤول وإنما قيل للمتسم مترف لأنه مطلق له لا يتم من تنعمه

﴿١﴾ اعراب

فحسبك منصوب لأنه جواب الهي بالناء وتقديره لا يكن شكك ركون إلى الظالمين فمس النار إياكم ثم لا تصرون ارتفع وتصرون على الاستئناف طرقي النار منصوب على اللطف وزلفاً مطوف عليه - إلا قليلاً استثناء مقطوع بمعنى لكن عن الزجاج تقديره لكن قليلاً بمن أنجيتهم منهم نهوا عن الفساد

﴿٢﴾ المعنى

ثم نعى الله سبحانه عن اللذاعة في الدين والميل إلى الظالمين فقال (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) أي ولا تميلوا إلى المشركين في شيء من دينكم عن ابن عباس وقيل لا تدانوا الظلمة عن السدي وابن زيد وقيل أن الركون إلى الظالمين للهي عنه هو الدخول معهم في ظلمهم وإظهار الرضا بظلمهم أو إظهار موالاتهم فأما الدخول عليهم أو مخالطتهم ومشاركتهم دفناً لشرهم فصالح عن القاضي وقريب منه ما روي عنهم «ع» أن الركون للمودة والصنيعة والطاعة (فحسبك النار) أي فيصيبك عذاب النار (وما لكم من دون الله من أولياء) أي ما لكم سواه من أضرار يدفعون عنكم عذاب الله وفي هذا بيان أنهم متى خالفوا هذا الهي وسكنوا إلى الظالمين فالتهم النار ولم يكن لهم ناصر يدفع عنهم عقوبة لهم على ذلك (ثم لا تصرون) أي لا تتصرون في الدنيا على اعتدائكم لأن نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين (وأقم الصلاة) أي أدها وأتم بأعمالها على وجه التام في ركوعها وسجودها وسائر فروضها وقيل معناه أعملها على استواء وقيل أدم على فعلها (طرقي النار) وزلفاً من الليل (قيل أراد بطرقي النار صلاة الفجر والمغرب) وزلف من الليل صلاة المشاء الآخرة والزلف أول ساعات الليل عن ابن عباس وابن زيد قالوا وترك ذكر الظهر والعصر لأحد امرين إما لظهورهما في أنها صلاتا النهار فكانت قاله وأتم الصلاة طرقي النهار مع المعرفة من صلاة النهار وأما لأنها مذكورتان على السبع للطف الأخير لأنها بعد الزوال فها أقرب إليه وقد قال سبحانه (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وذلوك الشمس زوالها) وهذا القول هو المروي عن أبي جعفر «ع» وقيل صلاة طرقي النهار الفداة والظهر والعصر وصلاة زلف الليل المغرب والمشاء الآخرة عن الزجاج وبنه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرظي والحسن قالوا لأن طرف الشيء من الشيء وصلاة المغرب ليست من النهار قال الحسن قال رسول الله ﴿١﴾ المغرب والمشاء زلفتا الليل وقيل أراد بطرقي النهار صلاة الفجر وصلاة العصر (إن الحسنة بذهبن السيئات) قيل في معناه أن الصلوات الخمس تكون ما يمتنع من الذنوب لأنه عرف الحسنة بالالف واللام وقد تقدم ذكر الصلاة عن ابن عباس وأكثر المفسرين وذكر الواحدي بإسناده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال كنت مع سليمان تحت شجرة فأخذ غصناً يأبى منها فزهه حتى تحأت ورقه ثم قال يا أبا عثمان ألا تسألني أن أعمل هذا قلت ولم تقبله قال هكذا فعله رسول الله ﴿٢﴾ وأنا معه تحت شجرة فأخذ منها غصناً يأبى فزهه حتى تحأت ورقه ثم قال

ألا تأتي يا سلمان لم فعل هذا قلت ولم فعلته قال ان السبل إذا توحاً فأحسن الرضوء ثم صلى الصلوات الخمس
تحات خطاياها كما يصبحت هذا الورق ثم قرأ هذه الآية وأتم الصلاة إلى آخرها وبإستاده عن أبي امامة قال بينما
رسول الله ﷺ في المسجد ونحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله اني احببت حذا فأقمه علي
فقال هل شهدت الصلاة معنا قال نعم يا رسول الله قال فإن الله قد غفر لك حدك او قال ذلك وبإستاده عن
الحرف عن علي ابن ابي طالب «ع» قال كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد فنظر الصلاة فقام رجل
فقال يا رسول الله اني احببت ذنباً فأعرض عنه فلما نفي النبي ﷺ الصلاة قام الرجل فأعاد القول فقال النبي
ﷺ أليس قد صليت معنا هذه الصلاة وأحسنت لها الطهور قال بلى قال فلما سكتة ذنوبك وروى
اصحابنا عن ابن محبوب عن ابراهيم الكرخي قال سكتت عند أبي عبد الله «ع» إذ دخل عليه رجل من أهل
المدينة فقال له من أين جئت ثم قال له تقول جئت من هنا وهناك لغير معاش تطبه ولا لملل اجر تكسبه
أنظر بماذا تطعم يومك وليلتك واعلم ان ملكاً لك كما هو كلاك بك يحفظ عليك ما نصح ويطلع على مراك
الذي تخفيه من الناس فاستحي لا تستحق منة فلما سكت يوماً ولا تحقر حنة وإن حضرت
حدك وقأت في عينك فلما سرتك يوماً واعلم انه ليس شيء أضر عاقبة ولا أسرع ندامة من الخطيئة وإنه ليس
شيء أشد طلباً ولا أسرع دركاً للخطيئة من الحسنة أما انها لتدرك الذنب العظيم القديم الذي عند عامله
تجشده وتسقطه وتذهب به بعد اثباته وذلك قول الله سبحانه ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى
للفاسقين وروى عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت احدهما عليهما السلام يقول ان علياً عليه السلام قبل
على الناس فقال أي آية سيف كتاب الله أرجى عندكم فقال بعضهم إن الله لا يفرق أن يشرك به إلا بفعل
حسنة وليست إياها وقال بعضهم ومن يعمل سوءاً ويظلم سوءاً قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم قل يا عبادي
الذي اسرفوا لا تقصطوا من رحمة الله قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم والذين إذا فعلوا فاحشة الآية قال حسنة
وليست إياها قال ثم اجتمع الناس فقال ما لكم يا معشر المسلمين فقالوا لا والله ما عندنا شيء قال سمعت حبيبي
رسول الله ﷺ يقول أرجى آية سيف كتاب الله وأتم الصلاة طرقي النهار وقرأ الآية كلها قال يا علي والذي
بعثني في الحق بالحق بشيراً ونذيراً ان احداً لم يقوم من وضوءه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله
بوجهه قلبه لم ينزل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه فإن أصاب شيئاً بين الصالحين كان له مثل ذلك حتى عد
الصلوات الخمس ثم قال يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كمنبر جابر على باب احد كما يظن احدكم لو كان
في جسده درن ثم اغسل سيف ذلك النهر خمس مرات أو كان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس
لأمتي وقيل ان الحسنات يذهبن السيئات معناه ان الدوام في فعل الحسنات يدعو إلى ترك السيئات فكأنها يذهبن
بها وقيل ان المراد بالحسنات الثوبة فلما يذهب السيئات بأن تسقط عقابها لأنه لا خلاف في ان القواب يسقط
عند الثوبة (ذلك ذكرى للذاكرين) يعني ان ما ذكره من ان الحسنات تذهب السيئات فيه تذكار وموعظة لمن
تذكر به وفكر فيه (واصبر) قيل معناه واصبر على الصلاة كما قال وأمر أهلك بالصلاة واصبر عليها (فإن الله
لا يضيع أجر المستسين) أي المصلين عن ابن عباس وقيل معناه اصبر يا محمد على أذى قومك وتكذيبهم
إياك وعلى القيام بما اقرضه عليك وعلى اداء الواجبات والامتناع عن المباحات فإن الله لا يهمل جزاء المحسنين
على إحسانهم ولا يبطئ بل يكافئهم عليه أكل الثواب (قلوا كان من القرون من قبلكم أولوا بية) أي حلال
كان والا كان ومعناه الذي وتقديره لم يكن من القرون من قبلكم قوم ياتون (يبتون عن الفساد في الارض)
أي كان يجب أن يكون منهم قوم بهذه الصفة مع انهم الله تعالى عليهم بكامل العقل وبصفة الرسل اليهم واقامة
الحجج لهم وهذا تعجب وتوبيخ هؤلاء الذين سلوكوا سبيل من قبلهم في الفساد نحو عاد وثمود والقرون التي عدوا

القرآن واخبر بها إلهان العجب منهم كيف لم تكن من جلتهم بقية في الأرض بأمرهم فيها بالمرء
 وينهون عن المنكر وكيف اجنسون على الكفر حتى استأصلهم الله بالذاب وأنواع العقوبات لكفرهم بالله وما يصيبهم
 له وقل أولو بقية معناه ذوو دين وخير وقيل معناه ذوو بركة وقيل ذوو تمييز طاعة (إلا قليلا من أنبيائهم)
 المعنى أن قليلا منهم كانوا يهتدون عن الفسادهم الأتباع والصالحون الذين آمنوا مع الرسل فأنجيهم من العذاب الذي
 نزل بقومهم وإنما جعلوا هذا الاستثناء منقطعاً لأنه إيجاب لم يتقدم فيه صيغة النفي وإنما تقدم نهجين خرج مخرج
 السؤال ولو رفع الجاز في الكلام (واتبع الذي ظلموا ما أترفوا فيه) أي واتبع المشركون ما عودوا من التمس
 والتستم ولما دار الذلت على أمور الآخرة واشتغلوا بذلك عن الطاعات (وكانوا) أي وكان هؤلاء للمتعمون
 البطرون (عمرين) مصرين على الجرم وفي الآية دلالة على وجوب النفي عن المنكر لأنه سبحانه ذمهم بترك
 الذي عن الفساد واخبر بأنه أنهى القليل منهم لتعظيم عن ذلك ونه على أنه لو نهي الكثير كما نهي القليل لما هلكوا
 ثم اخبر سبحانه أنه لم يهلك إلا بالكفر والفساد فقال (وما كان ربك ليهلك القري بظلم وأهلها مصلحون) وذكر
 في تأويله وجوه أحدها أن المعنى وما كان ربك ليهلك القري بظلم منه لهم ولكن إنما يهلككم بظلمهم
 لأنفسهم كما قال إن الله لا يظلم الناس شيئاً الآية وثانيها أن معناه لا يؤاخذكم بظلم واحدكم مع أن أكثرهم
 مصلحون ولكن إذا عم الفساد وظلم الأكثرين عذبهم وثالثها أنه لا يهلككم بشركم وظلمهم لأنفسهم
 وم يصابون الحق بينهم أي ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق في الجملة أن يهلككم الله بالذاب عن
 ابن عباس في رواية عطاء والواد في قوله وأهلها وأو الحال وروي عن أبي جعفر أنه قال وأهلها مصلحون ينصف
 بعضها بعضهم

﴿التنظيم﴾

وجه اتصال قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلك الآية بما قبلها أنه تعالى لما ذكر إهلاك الأمم الماضية
 والقرون الخالية عقب ذلك بأنهم أتوا في أملاكهم من قبل قوسهم ولو كان فيهم مؤمنون بأمرهم بالصالح
 وينهون عن الفساد لما استأصلهم رحمة منا ولكنهم لما همهم الكفر استحقوا عذاب الاستئصال

قوله تعالى (١١٨) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٩)
 إِلَّا مِنْ رَحْمَةٍ رَبِّكَ وَلَئِكَ خَلَقْنَاهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
 أَجْمَعِينَ (١٢٠) وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ أَلْسُنٍ مَا نَشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكُ فِي هَذِهِ الْحَقُّ
 وَمَرْعَظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢١) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ
 (١٢٢) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٣) وَفِي غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أربع آيات كريمة وبصري ست
 آيات عند غيرهم وللخلاف في لا يزالون مختلفين وإننا عاملون

﴿الترجمة﴾

قرأ أجمع الأسماء بضم الياء وفتح الجيم وكسرهما ناقص وحسن والباقيون يرجع بفتح الياء وقرأ عما تعملون
 بالشاء هنا وفي آخر العمل أهل المدينة والشام وسقوب وحسن والباقيون بالياء

* الحجة *

من ضم الياء من يرجع فقلوه ثم ردوا إلى الله مولا من الحق والمعنى رد أسرم إلى الله ومن فتح الياء فقلوه والأسر يؤمن بالله والمعتان متقاربان ومن قرأ يائنا في تعملون جعل الخطاب للنبي ﷺ وأمه وهو أعلم بأهله ومن قرأ بالياء وجهه إلى من تقدم ذكره من الكفار وفيه ضرب من التهديد

* القصة *

القصص الخبر عن الأمور بما يتلو بضمه بعضاً لأنه من قصة يقصه إذا اتبع أثره لأنه لا يجمع أثر من يغير عنه والباء الخبر بما فيه عظم الشأن يقولون لهذا الأمر بآ والتثنية تمكين إقامة النبي من الثبوت يقال نبته بضمكته ونبته بضمكته ونبته بالدلالة على نبوته ونبته بالخبر عن وجوده والقواد القلب مأخوذ من اللقأ وهو المشوى قال كأنه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفئذ

والمكانة الطريقة التي يتمكن من العمل عليها وله مكانة عند السلطان أي جاء وقدر والانتظار طلب الإدراك لما يأتي من الأمر لأنه من النظر والفرق بين الانتظار والترجي أن الترجي للخير خاصة والانتظار في الخير والشر

* الاعراب *

إلا من رحم ربك قال الزجاج هو استثناء على معنى لكن وتقديره لكن من رحم ربك فإنه غير مختلف وقوله لا ملأن جهنم جواب القسم وتقديره يمينا لا ملأن كما تقول حقني لأضربك وبدا لي لأضربك وكل فعل كان تأويله كتاباً أو بطني أو قيل لي أو اتقى إلى فإن اللام وإن يصلحان فيه فتقول بدا لي لأضربك وبدا لي إن أضربك ولو قيل وتمت كلة ربك إن ملأ جهنم كان صواباً وكلا قصص عليك نصب على المصدر وتقديره وكل القصص قصص عليك وقيل أنه نصب على الحال فقدم الحال قبل العامل كما تقول كلا ضربت التوم ويحجز أن يكون نصبا على أنه مفعول به وتقديره وكل الذي يحتاج إليه قصص عليك ويكون ما قبله به فؤادك بدلاً منه قاله الزجاج وقوله لما ملأون لما متظرون لو دخلت النار فإنا لا نأفد إن الثاني لأجل الأول وسيحتمل لم يدخل ذلك

* المعنى *

ثم أخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال (ولو شاء ربك لجلل الناس امة واحدة) أي على ملة واحدة ودين واحد فيكونون مسلمين صالحين عن قتادة وذلك بأن يلجئهم إلى الإسلام بأن يخلق في قلوبهم العلم بأنهم ملأوا ربوا غير ذلك لصوامع لكن ذلك بتأني التكليف ويبطل الفرض بالتكليف لأن الفرض يستحق الثواب والجزاء يتبع من استحقاق الثواب فذلك لما يشاء الله ذلك ولكنه شاء أن يؤمنوا باختيارهم ليستحقوا الثواب وقيل معناه لو شاء ربك لجعلهم امة واحدة في الجنة على سبيل التفضل لكنه اختار لهم أعلى الدرجتين فكفهم ليستحقوا الثواب عن أبي مسلم وقيل معناه لو شاء ربك لرفع الخلاف فيأيدهم (ولا يزالون مختلفين) في الأديان بين يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك عن مجاهد وقاتدة وطحا والأعمش والحسن في إحدى الروايتين عنه وفي الرواية الأخرى عنه أنهم يختلفون في الأديان والأحوال والتفسير بعضهم بضمه وقيل معناه يختلف بعضهم بضائفة الكفر تقليداً من غير نظر فإن قولك خلف بعضهم بضاً وقولك خلفوا سواء كان قولك فعل بعضهم بضاً وقولك خلفوا سواء كان قولك فعل (إلا من رحم ربك) من المؤمنين فإنهم لا يختلفون ويجمعون على الحق عن ابن عباس والمعنى لا يزالون مختلفين بالباطل إلا من رحمهم الله بضم اللطاف لم الذي يؤمنون عده ويستحقون به الثواب فإن من قدم صورته ناج من الاختلاف بالباطل (ولذلك خلقهم) اختلف في معناه فقيل يريد بالرحمة خلقهم عن ابن عباس ومجاهد وقاتدة والفسحاء

وهذا هو الصحيح واعترض على ذلك بأن قيل لو أراد الله ذلك لقال ولتلك خلقهم لأن الرحمة موثقة وهذا باطل لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي فلماذا ذكر فعلي معنى التفضل والامام قد قال سبحانه هذا رحمة من ربي وإن رحمة الله قريب ومثله قول امرئ القيس

كخزعوبة البانة المنفطر

برهرة رودة رخصة

ولم يقل المنفطر لأنه ذهب إلى انفس وقال

من لي من بعدك يا عامر

قامت تبكيه على قبره

قد ذل من ليس له ناصر

تركتني في الدار فارغة

ولم يقل ذات غربة لأنه أراد شخصاً ذا غربة وقالت الخساء

ونيران حرب حين شب وقودها

فذلك يا هند الرزية فاعلمي

أراد الرزة وفي امثال ذلك كثرة على ان قوله إلا من رحم ربك كما يدل على الرحمة بدل ايضاً على أن يرحم فلا يجمع ان يكون المراد لأن يرحموا خلقهم وقيل ان المعنى ولا اختلاف خلقهم والامام ابي زيد ان الله خلقهم وعلم ان عاقبتهم تول إلى الاختلاف المذموم كما قال ولقد ذرأنا لجنهم من الحسن وصلاً ومالك ولا يميز على هذا أن يكون اللام للعرض لأنه تعالى لا يميز ان يريد منهم الاختلاف المذموم إذ لو أراد ذلك منهم كانوا مطيعين له في ذلك الاختلاف لأن الطاعة حقيقتها موافقة الإرادة والأمر ولو كانوا كذلك لما استعصوا عقاباً وأما إذا حمل معنى الاختلاف على ما قاله ابو مسلم فيجوز أن تكون اللام للعرض وقيل إن ذلك إشارة إلى اجتماعهم على الإيمان وكوهم فيه امة واحدة ولا محالة ان الله سبحانه لهذا خلقهم ويؤيد هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (وقال) المرتضى قدس الله روحه قد قال قوم أن معنى الآية ولو شاء ربك أن يدخل الناس بأجمعهم الجنة فيكونوا في رسول جميعهم إلى التمس امة واحدة لفعل وأجروا هذه الآية بحري قوله ولو شئت لأتينا كل نفس هداها في أنه أراد هداها إلى طريق الجنة ففعل هذا التأويل يمكن أن يكون لفظة ذلك إشارة إلى ادخالهم اجمعين الجنة لأنه تعالى إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها (وبت كلمة ربك) أي وصل وحيه ووعيده الذي لا خلف فيه بتمامه إلى عبادته وقيل تمت كلمة ربك (صدقا) بأن وقع مخبرها على ما غير به عن الجبائي وقيل مناه وجب قول ربك عن ابن عباس وقيل معنى حكم ربك عن الحسن (لأملأ جهنم من الجنة والناس اجمعين) يكفرهم (وكلا) أي وكل القصص (نقص عليك من انباء الرسل) أي من اخبارهم (ما تكتب به فؤادك) أي ما تقوي به قلبك وتطيب به نفسك وتزيدك به ثباتاً على ما أنت عليه من الإنذار والصبر على اذى قومك الكفار (وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل في هذه الدنيا عن قتادة وقيل في هذه الآيات عن الجبائي والحق الصلح من الأتباء والوعيد والوعيد وقيل مناه وجاءك في ذكر هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع الحق في أن الخلق يبعثون بانصابتهم في قوله وإنا لموفهم نصيبهم وإن كلا لما ليوفينهم وقد جاء في القرآن كله الحق ولكنه ذكرها هنا تو كيداً وليس إذا قيل قد جاءك في هذا الحق وجب أن يكون لم يأتك الحق إلا فيه ولكن بعض الحق لو كد من بعض عن الزجاج (وموعظة) أي وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله وتزجر الناس عن المعاصي (وذكرى للمؤمنين) تذكرهم الآخرة (وقل) يا محمد للذين لا يؤمنون (اعملوا على مكائسكم) هذا مثل قوله اعلموا ما شئتم (إنا عاملون) على ما أمرنا الله تعالى به وقد سرت تفسير هذه الآية فيما مضى (واظنوا) أي توقوا ما بعدكم ربكم على الكبر من العقاب (إنا منتظرون) ما يمدنا على الإيمان من الثواب وقيل انتظروا ما يمدكم الشيطان من الغرور والتمطرون

ما بعدنا ربنا من النصر والعلو عن ابن جريج (والله غيب السماوات والأرض) مناه والله علم ما غاب في السماوات والأرض لا يبقى عليه شيء منه عن الضحاك وقيل مناه والله مالك ما غاب في السماوات والأرض وقيل مناه والله خزان السماوات والأرض عن ابن عباس ووجدت بعض المشايخ عن تسم بالمعلون والشتيع قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا الموضع من تفسيره فقال هذا يدل على أن الله سبحانه يختص بيلم الغيب خلافا لما تقول الرافضة أن الأئمة يعلمون الغيب ولا شك أنه عني بذلك من يقول بأئمة الإثني عشر ويدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبي ﷺ فإن هذا دأبه وديده فهم يشتم في مواضع كثيرة من كتابه عليهم ونسب التضامع والقبائح اليهم ولا علم أحدا منهم امتياز الوصف بيلم الغيب لا أحدا من الخلق فلماذا يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا يعلم مستفاد وهذه صفة التقدم سبحانه العالم لذلك لا يشر كونهما أحد من المخلوقين ومن اعتقد أن غير الله سبحانه يشارك في هذه الصفة فهو خارج عن ملة الإسلام فأما ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ورواه عنه الخاص والعالم من الاخبار بالغائبات في خطب لللاحم وغيرها مثل قوله يومئذ به إلى صاحب الزنج كافي به بالحنف وقد سار بالميش الذي ليس له غبار ولا لجب ولا قطعة لحم ولا صهيل خيل يشهدون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام وقوله يشير إلى مروان أما إن له امرأة كلقة الكلب أفه وهو أبو الأكمش الأرمية وسنقل الأمة منه ومن ولده مواتا آخر وما نقل من هذا الفن عن أئمة الهدى عليهم السلام من أولاد مثل مقاتله أبو عبد الله «ع» لعبد الله بن الحسين وقدما جمع هو وجماعة من العلوية والعباسية ليأبوا إبنه محمدا والله ما هي اليك ولا إلى إبيك ولكنها لهم وأشار إلى العباسية وإن إبيك لقتولان ثم نهض وتوكل على يد عبد العزيز بن عثمان الزهري فقال له أرايت صاحب الرداء الأصفر يعني أبا جعفر المنصور قال نعم فقال أنا والله نجده يقتله فكأن كمالا ومثل قول الرضا «ع» يورك قبر بطوس وقبران ينفذان قتيل له قد عرفنا ولحدنا فما الآخر فقال متعرفوه ثم قال قبري وقبر هارون هكذا وضم أصبيه وقوله في القصة المشهورة لأبي حبيب النخعي وقد ناوله قبضة من التمر لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك وقوله في حديث علي بن أحمد الوشاحين قدم سرو من الكوفة ملك حلة في الفسطاط ألقاني دفعتها إليك أهلك وقالت لشر في يمينها فيروزجا والحديث مشهور إلى غير ذلك مما روي عنهم عليهم السلام فإن جميع ذلك متفق عن النبي ﷺ بما أحاطه الله عليه فلا معنى لنسبة من روى عنهم هذه الأخبار للشهورة إلى أنه يعتقد كونهم عالمين بالغيب وهل هذا الاصب قبيح وتفضيل لهم بل تكفير لا يرضيه من هو بالمذهب خبير والله يحكم بينه وبينهم واليه المصير (واليه يرجع الأمر كله) أي إلى حكمه يرجع في المعاد كل الأمور لأن في الدنيا قد يملك غيره بعض الأمر والشيء والنفق والفسر (فاعبه وتوكل عليه) يريد أن من له ملك السماوات والأرض واليه يرجع جميع الأمور فحقيق أن يعبد ويقتل له ويتوكل عليه ويوقش به (وما ربك بظالم) أي يساء (عما تعملون) أي عن أعمال عباده بل هو عالم بها وعماز كلامهم عليها ما يستصعبه من ثواب وعقاب فلا يجوز لك يا محمد إرضاهم منك وتوكلهم القبول منك وروي عن كعب الأحبار أنه قال خلق الله التوراة

خاتمة هود

سورة يوسف

مكية وقال المحدث عن ابن عباس غير أربع آيات نزلن بالمدينة ثلاث من أولها والرابسة لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين

﴿ عدد آياتها ﴾

مائة وأحدى عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابن بن كسب عن النبي ﷺ قال علوا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أنما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكك بينه هون الله تعالى عليه سكوات الموت واعطاء القوة ان لا يحسد مسلما وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرأ سورة يوسف في كل يوم او في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجاهه مثل جلال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين وقال فيها انها كانت في التوراة مكتوبة وروى اسماعيل بن ابي زياد عن ابي عبد الله عن ابيه عن آياته عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ لا تنزلوا نساءكم الفرف ولا تملوهن الكتابة ولا تملوهن سورة يوسف وعلوهن الفرف وسورة النور

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة هود بذكر قصص أنبياء الرسل اختتم هذه السورة بأن من تلك القصص قصة يوسف (ع) وإخوته وانما من احسن القصص فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ تَكُنْ أَتَى الْكِتَابَ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ثلاث آيات

— الاعراب —

قرآن عرياني وجان أحدهما ﴿ قرأتا ﴾ تنصب بأنه ببل من الهاء في أنزلناه مكانه قالنا أنزلناه ﴿ قرأتا ﴾ والثاني ﴿ انه توطئة للحال لأن عريبا حال وهذا كما قول مررت يزيد رجلا صالحا فخصب صالحا على الحال ويحمل رجلا توطئة الحال وقوله بما أوحينا إليك هذا القرآن الترات نصب وإنه وصف لممول أوحينا وهو هذا او بدل او عطف بيان قال الزجاج ويميز الجر والرفع جميعا في الكلام وإن لم يقرأ بها أما الجر فمحل البدل بما أوحينا إليك اي هذا القرآن وأما الرفع فمحل ترجعنا ما أوحينا إليك كان قائلنا قال ما هو قبل هذا القرآن

— (المعنى) —

(ال) قد سبق الكلام فيه في أول البقرة وإننا لم يد آية لأنه على حرفين ولا يشاكل رؤوس الآتي وعدله آية لأنه يشبه رؤوس الآتي (تلك آيات الكتاب) قيل في معنى الإشارة بتلك وجوه ﴿ أحدها ﴾ انه إشارة الى ما سأتى من ذكرها على وجه التوقُّع لها ﴿ الثاني ﴾ انه إشارة الى السورة اي سورة يوسف آيات الكتاب المبين ﴿ والثالث ﴾ ان معناه هذه الآيات تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة كما قال

الم ذلك الكتاب عن الزجاج والمبين) المظهر لحلال الله وحرامه والمباني المرادة فيه عن مجاهد وقادة
والمبين والمبين واحد والبيان هو الدلالة (إنا أنزلناه) يعني القرآن أي أنزلناه هذا الكتاب وقيل أنزلنا خبر
يوسف وقصته عن الزجاج قال لأن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا عنكم آل يعقوب من
الشام إلى مصر وعن قصة يوسف (ع) قال أنا أنزلناه (قرأنا عريا) على مجازي كلام العرب في محاوراتهم
وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال أحب العرب لثلاث لأنني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي
(لعلكم تقولون) أي لعلوا جميع معانيه وتعموا ما فيه وقيل معناه لعلوا أنه من عند الله إذ كان عريا وعجزتم
عن الإتيان بمثله في هذه الآية دلالة على أن كلام الله سبحانه محدث وأنه خير الله أنه وصفه بالأنزال وبأنه
عربي ولا يوصف بذلك القديم سبحانه (نحن قمص عليك أحسن القصص) أي نبين لك أحسن البيان عن
الزجاج وهذا كقولهم صحت أحسن الصيام وقمت أحسن القيام بما يكون اتصافه على أنه قائم مقام المصدر
فالغنى نبين لك أحسن تبين وأحسن إيضاح (بما أوحينا إليك) أي بوحينا إليك (هذا القرآن) ودخلت
الباء لتبيين القصص إذ القصص تكون قرآنا وغير قرآن والقصص ههنا بوحى القرآن وقيل إنما سمي القرآن
أحسن القصص لأنه بلغ النهاية في الفصاحة وحسن المباني وعذوبة الالفاظ مع التلاوة المثلثاني للتأثير والاشكال
بين المقاطع والفواصل وقيل لأنه ذكر فيه أخبار الأمم الماضية وأخبار الكائنات التي تجتمع ما يحتاج إليه
العباد إلى يوم القيامة بأعظم لفظ وتهذيب في أحسن نظم ولزيب وقيل أراد بأحسن القصص قصة يوسف
وحدها لأنها تتضمن من الفوائد والنكت والثرائب مالا يفضته غيرها ولأنها تمت امتدادا لا يمتد غيرها
مثلا وقوله أحسن القصص يدل على أن الحسن ينفاضل ويصاغر لأن لفظة أفضل حقيقة ذلك وإنما يصاغر
بكثرة استحقاق المدح عليه ويسأل عن هذا فيقال هل يجوز أن يسمى الله سبحانه قاصا فيقال لا لأنه في
العرف إنما يستعمل فيمن تمسك بطريقة مخصوصة وهذا كما أنه سبحانه لا يسمى مملا ولا مقفيا وإن وصف
نفسه بأنه علم القرآن وأنه يفتيك في النساء وقوله (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) معناه وما كنت من
قبل أن أوحينا إليك هذا القرآن أو من قبل نزول القرآن عليك إلا من الغافلين عن الحكم التي في القرآن
لا تعلم شيئا منها وقيل من الغافلين عن قصة يوسف وعن الحكم التي فيها

قوله تعالى (٤) إذ قال يوسف لأبيه يآبأت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين (٥) قال يآبأت لا قصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن
الشیطان للأنسان عدو مبين (٦) وكذلك يجتليك ربك ويملك من تأويل الأحاديث ويتم
نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أنما على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم
حكيم ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

قرأ أبو جعفر وابن عمر يا أبت بفتح التاء والباثون بكسرهما وابن كثير وقف على الباء يا أبة والباثون
بالتاء وروي في الشواذ عن أبي جعفر ونافع وعطلة بن سليمان أحد عشر بسكون البين والقراءة بفتحها وقرأ

الكسائي الاباء الحارث وفتية بالمالة زواياك والرويا في جميع القرآن وروى ابو الحارث عنه ضحروياك ومالة الباقي وفتية آمال الرويا تهبون قط وقرأ خلف في اختباره بالمالة فيه الفولام والباون بالتخميم وخفف الهمة في جميع ذلك ابو جعفر وورش وشجاع والترمذي الا ان بابا جعفر يدغم الواو في الياء فيجملها بيا مشددة
(- الحجة -)

قال الزجاج من قرأ يا أبت بكسر التاء فلي الأضافة الى نفسه وحذف الياء لأن ياء الأضافة تحذف في التاء. وأما ادخال تاء التانيث في الأت فإنا دخلت في التاء خاصة والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة التانيث ويوصف بما فيه تاء التانيث فالأسم نحو نفس وعين والصفة نحو غلام يقظة ورجل ربة فلزمت التاء في الأت عوضا من ياء الأضافة والوقف عليها يا أبه بالماء وإن كانت في المصنف بالتاء وزعم القراء انك اذا كسرت وقفت بالتاء لا غير واذا فتحت وقفت بالتاء والماء ولا فرق بين الكسر والفتح وأما يا أبت بالفتح فلي أنه ابدل من ياء الأضافة الفاء ثم حذفت الألف كما يحذف ياء الأضافة وقيت الفتحة قال ابو علي من ضح لله وجان ~~من~~ احدهما ~~من~~ ان يكون مثل يا طلحة اقبل ووجه قول من قال يا طلحة ان هذا النحر من الاجزاء التي فيها تاء التانيث أكثر ما يدعى مرخا فلما كان كذلك رد التاء المحذوفة في الترخيم اليه وترك الآخر يجري على ما كان يجري عليه في الترخيم من الفتح فلم يستد بالماء واحدهما والوجه الآخر ان يكون أراد يا أبا فحذف الألف كما يحذف التاء فتبقى الفتحة دالة على الألف كما ان الكسرة تبقى دالة على الياء والدليل على قوة هذا الوجه كثرة ما جاءت هذه الكلمة على هذا الوجه كقول الشاعر «وهل جزع ان قلت وأبناهما» وقول الهذلي

ويا أبا لا تزل حذفا فإنا نحذف بأن نخدوم

وقرئ روية «يا أبا تملك اوصاكا» فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم الزموا القلب والحذف على ان ابا عثمان قدرأ ذلك معروفا في جميع هذا الباب وأما وقف ابن كثير على الياء فلأن التاء التي لتانيث يدل منها الياء في الوقف فيغير الحرف بذلك في الوقف كما غير التنوين اذا انفتح ما قبله بأن ابدل منه الألف ومن قرأ أحد عشر بسكون العين قال ابن جني سبب ذلك عني ان الاسمين لا جعلنا كالأسم الواحد وبني الأول منها لأنه كعدد الاسم من عجزه جعل لسكون أول الثاني دليلا على انها قد صارا كالاسم الواحد وكذلك بقية العدد الى تسعة عشر الاثني عشر واثنى عشر فإنه لا يسكن العين لسكون الألف والياء قبلها قال الزجاج الرويا فيها أربع لغات رويا بالهمزة ورويا بالواو من غير همز وريا على الادغام وريا بكسر الراء قال ابو علي الرويا مصدر كاليشري والسقا والبقيا والشودي الا انه لما صار اسما لهذا التخييل في المنام جرى مجرى الاسماء كما ان دراما كثر في كلامهم فله قولهم لله درك جرى مجرى الاسماء وخرج من حرك الأعمال فلا يسئل واحد منها افعال المصادر وما يقوي خروجه عن احكام المصادر تكثيرهم لها روى فصار بمنزلة ظلم والمصادر في الأكثر لا تكسر والرويا على تحقيق الهمز فان خفت قلبها في اللفظ والواو تدغم الواو في الياء وإن كانت قد تقدمت ساكنة كما قلب في نحو طي ولي لأن الواو في تقدير الهمزة فهي لذلك غير لازمة فلا يقع الاحتياج بها وقد كسرا ولها قوم قالوا ريا فهو لا قلبوا الواو قلبا على غير وجه التخفيف ومن ثم كسروا الفاء كما كسروا من قولهم قرن الوى وقرورني

— اللغة —

الرويا تصور المعنى في المنام على توم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فلذا تصور الانسان المعنى توم انه يراه والكيد طلب الحيلة واللام في يكيدوا لك لام التدبيرة كما تقول قدمت لك طعاما وقدمت اليك طعاما وشكرت لك وشكرتك يقال كاده يكيد كيدا وكاده والاجباء اختيار معالي الأمور للمعجبي وأصله من جيت الماء في الحوض اذا جمته

— الاغراب —

تقدير العامل في اذ يجوز ان يكون اذ كذا قال اذ كذا قال يوسف قال الزجاج ويجوز ان يكون على نقص عليك اذ قال وقد غلط في هذا لأن الله تعالى لم يقص على نبيه ﷺ هذا القصص في وقت قول يوسف (ع) و كذا منصوب على التمييز وقوله رأيتهم كمر الروية تو كيدا ولأن الكلام قد طال والمعنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر لي ساجدين ولم يقل ساجدت لأنه لا وصف هذه الاشياء بالسجود كما يوصف الآدميون بذلك اجري فعلها مجرى فعل القلاء وكما قال يا أيها النبل ادخلوا مساكنكم وموضع الكاف من قوله وكذلك نصب والمعنى ومثل ما رأيت يمينيك ربك ومثل

— (المعنى) —

ثم ابتدأ سبحانه بقصة يوسف (ع) قال (إذ قال يوسف لأبيه) يعقوب (ع) وهو اسرائيل الله ونعمناه عبد الله الخالص ابن اسحاق نبي الله بن ابراهيم خليل الله وفي الحديث ان النبي ﷺ قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) اي رأيت في منامي قال ابن عباس ان يوسف (ع) رأى في المنام ليلة الجمعة ليلة القدر أحد عشر كوكبا نزل من السماء فوجد له ورأى الشمس والقمر نزل من السماء فوجد له قال فالشمس والقمر أبواه والكواكب إخوته الأحد عشر وقال السدي الشمس أبوه والقمر خاتمه وذلك أن أمه راحيل قد ماتت وقال ابن عباس الشمس أمه والقمر أبوه وقال وهب كان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان أحد عشر عصا طولا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة ثب عليها حتى اقتلمتها وغطتها فوصف ذلك لأبيه فقال له إياك ان تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن اثني عشرة سنة ان أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدت لها فقصها على أبيه (فقال) له لا تقصص رؤياك على إخوتك الآية وقيل انه كان بين رؤياه وبين مصير أبيه وإخوته الى مصر اربعمائة سنة عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثمانون سنة عن الحسن ولما طال الكلام كرر رؤيتهم وأباهم لأن كيدوكيل أراد بالرويا الأولى روية الأعيان والاشخاص وبالروية الثانية روية سجودهم واختلف في معنى هذا السجود قيل انه السجود المعروف على الحقيقة للكرمه لا لعبادته وقيل مناه الخضوع له عن الجبائي كما قال الشاعر « ترى الأكرمية سجدنا للحراف » وهذا ترك الظاهر ويقال ان اخوته لما بلغهم رؤياه قالوا ما رضي أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه (قال) يعقوب يا بني (لا تقصص رؤياك على اخوتك) اي لا تخبرهم بذلك (فيكيدوا لك كيدا) اي فيحسدوك او يقابلوك بما فيه هلاكك وذلك ان رؤيا الإتياموحي وعلم يعقوب ان اخوة يوسف يبرفون تأويلها ويخافون علو يوسف عليهم فيحسدونه وينتونه التوائل (ان الشيطان للانسان عدومين) اي ظاهر

العداوة فليقي بينهم العداوة ويحلمهم على انزال المكره بك (و كذلك) اي كما أريك هذه الروايات تكملة لك وأبين ان اخوتك يضمنون لك او يسحبون لك (يحببوك ربك) اي يصطفيك ربك ويختاروك لثبوتك عن الحسن وقيل الحسن الخلق والخلق (وبذلك من تأويل الأحاديث) قيل معناه وبذلك من تفسير الروايات لأن فيه أحاديث الناس عن رؤياهم وساء تأويله لأنه يوئول أمره الى ما رأى في المنام عن قتاد وقول ابن زيد كان أعبر الناس الروايات وقيل معناه وبذلك عواقب الأمور بالنبوة والوحي اليك فتمل الأشياء قبل كونها معجزة لك لأنه أضاف الصلح الى الله وذلك لا يكون الا بالوحي عن انبياء مسلم وقيل تأويل أحاديث الأنبياء والأهم يعني كتب الله ودلائله على توحيدهم والمشروع من شرائعهم أمور دينه عن الحسن والجبائي والتأويل في الأصل هو المتنبى الذي يؤول اليه المعنى وتأويل الحديث فيه الذي هو حكمه لأنه اظهر ما يؤول اليه أمره مما يجتهد عليه وفائدته (وتم نعمته عليك) بالنبوة لأنها منتهى نعيم الدنيا وقيل انعام النعمة هوان يحكم بدوامها على تخليصها من شائب بها هذه النعمة التامة وخلوصها بما ينقصها ولا يطلب ذلك الا من الله تعالى لأنه لا يقدر عليها سواه وقيل معناه وتم نعمته عليك بأن يهوج اخوتك اليك حتى تنعم عليهم بملابسهم اليك (وعلى آل يعقوب) اي وعلى اخوتك بأن يثبتهم على الاسلام ويشرحهم بمكانك ويهيل فيهم النبوة وقيل يتم نعمته عليهم بانقاذهم من المحن على يديك (كما أنتم على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق) اي كما أتم النعمة على ابراهيم بالخلقة والنبوة والنجاة من النار وعلى اسحاق بأن غداه عن الذبح فبقي عظيم عن عكرمة وقال انه الذبح وقيل بأخراج يعقوب واولاده من صلبه عن أكثر المفسرين قالوا وليس هو الذبح وانما الذبح اسحاق (ان ربك عليم) عين يصلح الرسالة (حكيم) في اختيار الرسل وقيل عليم بأحوال خلقه حكيم في قضاءه

قوله تعالى (٧) لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين (٨) إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين (٩) أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين (١٠) قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السباع إن كنتم فاعلين أربع آيات

❦ القراءة ❦

قرأ ابن كثير آية السائلين والباقيون آيات وقرأ أهل المدينة غيابة الجب والباقيون غيبة الجب وفي الشواذ قراءة الأعرج غيابة مشددة وقراءة الحسن غيبة الجب وقرأ أهل المدينة والكسائي مبين اختلاصهم التنوين والباقيون بالكسر

❦ الحجة ❦

قال ابو علي من قرأ آية على الأفراد جعل شأنه كله آية وقوبه قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية فكل واحد منهما على انفراد يجوز أن يقال فيه آية فأرد مع ذلك ومن جمع جعل كل حال من أحواله آية على ان المفرد المنكر في الإيجاب يقع دالا على الكثرة كما يقع كذلك في غير الإيجاب قال الشاعر
قتلا بتقتيل وضربا بضربكم
جزاء العطاش لا ينام من الشار

وأما الغيبة فكل شيء غيب شيئا عن أبي عبدة وأند

فإن أنا يوما غيبتي غيبة
فسيروا بسيري في العشرة والأهل
والجب الركية التي لم تلو فمن أفرد فالوجه فيه أن الجب لا يخلو من أن يكون له غيبة واحدة أو
غيابات وغيابة المفرد يميز أن يعني به الجمع كما يعني به الواحد ومن جمع فإنه يميز أن يكون له غيبة
واحدة ففعل كل جزء منها غيبة كقولهم شابت مفارقة ويثر ذو غيبتين ويميز أن يكون للبشر عدة غيابات
فجمع لذلك وأما غيابات بالتشديد فيكون اسما على ضالة كما جاء التيار للموج والغياد اليوم المذكور والغفار
للخزف وغير ذلك وأما غيبته فيجوز أن يكون حدثا على ضلة من غاب فيكون بمعنى الظلة ويميز أن يكون
موضعا على فعله وأما من ضم التنوين فلا لأنه انتهى الساكنان التنوين والتاقف في اقتلا ولزم تحريك الأول
منها فحركه بالضم ليتبع الضمة الضم كما قيل سر ومد ومن كسر التنوين فإنه لم يتبع الضم كما أن من قال
مد لم يتبع وكسر الساكن على ما يجري عليه أمر تحريك الساكن في الأمر الشائع

❦ اللغة ❦

الآية والعلامة والبيرة نظائر والعصبة الجماعة التي تصعب بعضها لبعض وضع على جماعة من عشرة إلى
خمس عشر وقيل ما بين العشرة إلى الأربعين ولا واحد له من لفظه كالتوم والرهط والتفر والفرق بين
المجبة والشبهة أن الإنسان يجب ولده ولا يشتهيه بأن يميل طبعه إليه ويرى عليه ويريد له الخير والشبهة
منازمة النفس إلى ما فيه اللذة وإنما سمي البئر جبا لأنه قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء من غير طي ومه
المحبوب قال الأعمى

وإن كنت في جب ثمانين قامة
ورقبت أسباب السماء بسلام
وكل ما غيب شيئا عن الحس بكونه فيه فهو غيبة فغيابة البئر شبه لطف أو طاق فوق ما البئر والسيارة
الجماعة المسافرون لأنهم يسيرون في البلاد وقيل هم مارة الطريق والالتقاط تناول الشيء من الطريق ومنه
القطعة والقطيع ومعناه أن يجده من غير أن يحسبه يقال وردت الماء التقاطا إذا وردته من غير أن تحسبه

❦ الأعراب ❦

العامل في قوله إذ قالوا اذكر وتقديره اذكر إذ قالوا ليوسف ويحتمل أن يكون العامل فيه ما في
الآية التي قبله من قوله لقد كان في يوسف وأخوته آيات إذ قالوا واللام في قوله ليوسف جواب القسم
تقديره والله ليوسف وأخوه أحب إلى أمينا مما يحل لكم جواب الأمر وتكونوا جزء لأنه مطوف عليه وروي
عن الحسن تعلقه بعض السيارة بالباء وهذا كما يقال أذهبت بعض أصابعه وقال الشاعر

طول الليالي اسرعت في نقضي

طوبن طولي وطوبن عرضي

فقال اسرعت وطوبن لتأت ليالي ولم يحمله على طول وهو مذكر

❦ المعنى ❦

ثم أنشأ سبحانه في ذكر قصة يوسف فقال (لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين) ومثناه لقد
كان في حديث يوسف وأخوته عبر للسائلين عنهم أحاجيب فنما انهم فاله بالآذي وروا في قتله وإحشوا
على القائه في البئر الحسد مع أنهم أولاد الأنبياء فصنع عنهم عليه السلام لما مكنته الله منهم وأحسن البهم

ولم يميرم بما كان منهم وهذا خارج عن المادة وفيه عبرة لمن اعتبر فيها في منافع الدين ومنها الفرج بعد الشدة والمنحة بعد المحنة ومنها الدلالة على صحة نبينا محمد ﷺ لأنه «ع» لم يقرأ كتابا فعلم انه إله أبائهم ذلك إلا من جهة الوحي فهو بصيرة الذين سأله أن يخبرهم بذلك ومعجزة دالة على صدقه وأخوته هم أولاد يعقوب وكان يعقوب اثنا عشر ولدا لعلبه وكانوا أولاد علة عن الجباني وقيل اسماؤهم روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وريالون ويشجر وأهم لب بنت لبان وهي ابنة خالة يعقوب ثم توفيت لبا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل ابن يامين وولد له من سريتين له اسم أحدهما زلفة والأخرى بلة أربعة بنين دان ونفثالي وحاد وأشر وكانوا اثني عشر ثم أخبر سبحانه عما قالت أخوة يوسف حين سمعن أن يوسف وأول يعقوب إياه قال (إذ قالوا) اي قال بعضهم لبعض (يوسف وأخوه) لأية وأمة بنيامين (أحب إلى أبينا) يعقوب (متا) وذلك أن يعقوب (ع) كان شديد الحب ليوسف وكان يوسف من أحسن الناس وجها وكان يعقوب يوتره على أولاده فحسدهم ثم رأى الرويا فصار حسدهم له أشد وقيل انه «ع» كان يرحمه وأخاه ويقربها لصغرهما فاستثقلوا ذلك وروى أبو حمزة الثمالي عن زين العابدين (ع) ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فينصده به ويأكل هو وعياله منه وإن سائلا موثما صواما اختر بيابه عشة جمعة عند أوان افطاره وكان يجازا غريبا فتهف على بابها واستطعمهم وهم يسمعون فلم يصدقوا قوله فلما يش أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستمر وشكا جوعه إلى الله تعالى وبات طائوا وأصبح صائغا صائرا حاملا لله وبات يعقوب وآل يعقوب بطائا وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم فأبلاهم الله سبحانه بيوسف (ع) وأوحى إليه ان استبد بلاني وأرض بقضائي وأصبر للمصاب فرأى يوسف الرويا في تلك الليلة والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وروى ذلك من ابن عباس أو قريب منه (ونحن عصبة) معناه ونحن جماعة ينصب بعضهم لبعض ويعين بعضنا بعضا اي فنحن أنفع لأبينا وقيل يعني ونحن عصبة لا يعجزنا الاحتياج عليه (إن أبانا نبي ضلال مدين) اي في ذهاب من طريق الصواب الذي هو التمديل بيننا في المحبة وقيل معناه انه في خطأ من الرأي في أمور الأولاد والتدبير الدنيوي ونحن أقوم بأمره مولايه وأمواله وسائر أعماله ولم يردوا به الضلال من الذين لأنهم لو أرادوا ذلك لكنا في كافرا وذلك خلاف الإجماع ولأنهم بالاتفاق كانوا على دينه وكانوا يظلمونه غاية الظلمين ولذلك طلبوا عيته وأصل الضلال العدول وكل من ذهب عن شيء وعدلته فقد ضل وكافر المفسرين على أن أخوة يوسف كانوا أنبياء وقال بعضهم لم يكونوا أنبياء لأن الأنبياء لا يقع منهم القابض وقال المرتضى قدس الله روحه لم يبق لنا الحجة بأن أخوة يوسف الذين فعلوا ما فعلوه كانوا أنبياء ولا يمتنع أن يكون الأسباط الذين كانوا أنبياء غير هؤلاء الأخوة الذين فعلوا يوسف ما قصه الله تعالى عنهم وليس في ظاهر الكتاب أن جميع أخوة يوسف وسائر الأسباط فعلوا يوسف ما حكاه الله من الكيد وقيل يجوز أن يكون هؤلاء الأخوة في تلك الحال لم يكونوا بلقوا الحلم ولا توجه اليهم التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ من التلبان مثل هذه الأفعال ويطلب على ذلك ويلازم ويضرب وهذا الوجه قول البغوي والجباني ويدل عليه قوله نزع وتلب وروى أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة بإسناده عن محمد بن اسماعيل بن بزيع عن حنان بن سدير قال قلت لابي جعفر أكان أولاد يعقوب أنبياء فقال لا ولكنهم كانوا أسباطا أولاد أنبياء ولم ينفقوا الدنيا إلا سمعا فلما وقد كفروا ما صنعوا وقال الحسن كانوا رجالا بالقيين ووقعت ذلك منهم صغيرة ثم أخبر سبحانه عنهم أنهم قال بعضهم لبعض (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) اي اطرحوه في أرض بعيدة عن أبيه فلا يهتدي إليه وقيل معناه في أرض تأكله السباع أو يهلك بغير ذلك (يخجل لكم وجه أبيكم) عن يوسف

وتخلص لكم بحبه والمضى انكم متى قتلتموه او طرحتموه في ارض أخرى خلا لكم ايوم ومن عليكم (وتكونوا من بعده قوما صالحين) اي وتكونوا من بعد قتل يوسف او غيبه قوما صالحين والمضى انكم إذا فعلتم ذلك وبلغتم اغراضكم قيتهم ما فعلتموه وكنتم من جملة الصالحين الذين يعملون الصالحات وهذا يدل على انهم رأوا ذلك ذنباً يصح الثوبة منه عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وتكونوا قوما صالحين في امر دنياكم اي يعود حالكم مع ابيكم إلى الصلاح عن الحسن ومتى يسأل ههنا على قول من جعلهم غير الباقين فقال اليس يدل هذا القول منهم على بلوغهم لطلبهم بالوعيد فالجواب ان المراهق قد يجوز أن يعلم ذلك خاصة إذا كان مريباً في حجر الأنبياء ومن اولادهم واختلف فيمن قال ذلك من اخوته فقال وهب قاله شمعون وقال مقاتل قاله رويين ثم اخبر سبحانه عن واحد من جملة القوم بقوله (قال قاتل منهم) اي من اخوة يوسف (لا تقتلوا يوسف وأخوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) اي القوم في قعر البئر يتناولوه بعض مارة الطرق والمسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى والقاتل لذلك رويين وهو ابن خالة يوسف عن قتادة وابن اسحاق وكان احسنهم رأياً فيه فنهام من قتله وقيل هو يهوذا وكان اقدمهم في الرأي والفضل وأسهم عن الاصم والزجاج وقيل هو لاوي يدها علي بن ابراهيم في تفسيره واختلقوا في ذلك الجب قتيلاً هو بنو بيت المقدس من قتادة وقيل بارض الاردن من وهب وقيل بين مدين ومصر من كعب وقيل على ثلاث فراسخ من مزل يعقوب من مقاتل (إن كنتم فاعلين) معناه إن كنتم فاعلين شيئاً ما تقولون في يوسف فليكن هذا فعلكم فإنه دون القتل السريع وقال ابن عباس يريد إن اضمرتم ما تريدون وقيل الحسن لم يحسد المؤمن فقال ما أنساك حديث بني يعقوب

قوله تعالى (١١) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١٢) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَقِ وَيَلْبَسْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ آيَاتُ

(- القراءة -)

قرأ ابو جعفر والحارثي عن قالون لا تأمنا مشددة النون بلا شدة وقرأ الباقون بالإشمام وهو الإشارة إلى النون للدخبة بالضة وهو اختيار أبي صبيدة وقرأ ابو جعفر واتفق يرتقم ويلبس بالياء فيها وكسر العين من يرتقم وقرأ ابن كثير يرتقم وتلبس بالنون فيها وكسر العين وقرأ ابو عمرو وابن عامر يرتقم وتلبس بالنون فيها وجزم العين وقرأ اهل الكوفة ورويس من يعقوب يرتقم ويلبس بالياء فيها وجزم العين وقرأ روح وزيد من يعقوب يرتقم بالنون وجزم العين ويلبس بالياء. وقد روي ذلك من أبي عمرو وهو قراءة الأخرج وابراهيم البصري وفي الشواذ قراءة الملا بن سيباط يرتقم بالياء وكسر العين ويلبس رفعا وقراءة أبي رجا يرتقم ويلبس

(- الحجة -)

قال الزجاج يجوز في تأمنا أربعة أوجه إشمام النون مع الإدغام - الضم وهو الذي حكاه ابن مجاهد عن القراء والاشباع بالضة والإدغام من غير إشمام لأن الحرفين من جنس واحد وتأمننا بالانها ووقف النون الأولى لأن النونين من كلمتين وتسمنا بكسر التاء لأن ما ضيه على فعل كما قالوا تعلم وتعلم وقراءة يحيى بن وثاب وهذه القراءة مخالفة لمصنف وإن كانت في العربية جائزة ولما قوله يرتقم ويلبس فقد قال ابو علي قراءة من قرأ يرتقم بالنون وكسر العين ويلبس بالياء حسن لأنه سهل الارتقاء والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الضرع واستند العقب إلى يوسف لصفه ولا لزم على الضعيف في اللب والدليل على صغر يوسف قول اخوته وإنا له لحافظون ولو كان كبيراً لم ينجح إلى حفظهم ويدل على ذلك قول يعقوب وأخاف أن يأكله الذئب وإنا نبالغ الذئب على من لا دفاع به من شيخ كبير او من صبي صغير قال

اصبحت لا اعمل السلاح ولا
والذئب اخشاه ان مردت به
ولما الارتقاء فهو اقتال من رعبت مثل شويت واشتويت وكل واحد منهما متدى الى مقبول به قال الأعشى
ترمي السفح فالكيب فذاقوا
وقال آخر
رَعَتْ بَارِضَ الْبَهِيِّ جَحْمًا وَبُسْرَةً
واملك رأس البعير ان قرا
وحدي واخشي الرياح والمطرا
فروض القطا فذات الرمال
وصمما حتى آتتها نصالها

وقد يستقيم أن يقال نرتقم وإنا نرتقم إبلهم فإنا قال أبو حبيدة ووجه ذلك أنه كان الأصل يرتقم إبلنا ثم حذف
إضافا واستند القائل إلى المتكلمين فصار نرتقم وكذلك نرتقي على يرتقي إبلنا ثم حذف المضاف فيكون نرتقم
وقال أبو حبيدة نرتقم نلهم وقد يكون هذه الكلمة على غير معنى للنل ولكن على معنى النيل من الشيء كقولهم في
النيل الصيد والرتمة وكان على هذا النيل والذلول ما يحتاج إليه الحيوان وقد قال الأسيوطي (مصدر النوار يراعي نية
وتما) وعلى هذا القول غاروا رأيت مرتقم إبلنا لمواضع الذي فيه فهذا لا يكون على اللوه لاجتماعه مع راقع كقولهم
فأما من قرأ نرتقم ونلهم بالنون فيكون نرتقم على يرتقم إبلنا أو على انفتاحها ما يحتاج إليه وينال معنا وأما نلهم
فحكي أن أبا عمرو قيل له كيف يقولون نلهم وهم أتباع فقال لم يكونوا يومئذ أتباعا فلو صحت هذه الحكاية
هذه وصح عنده هذا التاريخ وإلا فقد قال الشاعر

جلدت جداد بلاعب و تقشعت
غمرات قالت ليتہ حیران

فكان اللاب ناعنا الذي لم يتشر في اهله فدخله بض الهوتا فهذا اسهل من الوجه الذي قوبل به الحق
قد روي من النبي ﷺ انه قال لجابر فعلا بكرا تلاجبا وتلاعبك فهذا كأنه يتشاكل بياض وبض وجام
من الجدد روي عن بعض السلف انه كان إذا اكل النظر في عسات الفتة قال احضروا فليس هذا اللب كاللب
في قوله ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب وأما من قرأ بالياء فيما فإن كان يرتع من اللهو كما قسمه ابو
صيلة فلا يمتن أن يخبر به عن يوسف لصغره كما لا يمتن أن ينسب اليه اللب لذلك وان كان يرتع من النيل
من الشئ فذلك لا يمتن عليه ايضا فوجهها بين وهذا ابين من قول من قال ونلعب بالنون لأنهم سألو ارساله
ليتنفس بلبه يد سألوا ارساله ليعلموا هم وأما من قرأ ويلعب بالراء فمظنه استغناء اي هو ممن يلعب كقولك
دربي احسن اليك انا ممن يحسن اليك وأما من قرأ ويرتع فمعناه يرتع باله عصف المقول كما قال الخطبة

متحمة تصون اليك منها
اي تصون الحديث وقال الشفري
كان لها في الأرض نسيا قعصه
أي تقصم حديثها خرا وجمعا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه لهم عند اتفاق آرائهم فيما كانوا عليه من أمر يوسف كيف سألوهم (قلوا يا أبا ناسك لا تأتينا على يوسف) أي مالك لا تتق بنا ولا تتصدقا في أمر يوسف (وإننا له لناصعون) أي مخلصون في إرادة تغييره وفي هذا دلالة على أنه عليه السلام كان يأبى عليهم أن يرسله معهم (أرسله معنا غدا) أي إلى السجاء (وتم زلف) البزم على جواب الأمر والمعنى أن ترسله معنا وتم قلب أي قنع ونجى ونفط ونلهم من الكلي والضحاك وقيل تتحافت فيحفظ بضعا بضعا ونلهم من مجاهد وقيل نرعى وتتصرف والرتم هو التردد

بيننا وشالا عن ابن زيد وأرادوا به اللب المباح مثل الرمي والاستباق بالأقدام وقد روي أن كل لب حرام إلا ثلاثة لب الرجل بقرسه وفرسه وأمله (وإنا له) أي يوسف (لحافلون) أي نحفظه لئلا نرده اليك وقيل نحفظه في حال لبه وقال مقاتل هاهنا تقديم وتأخير وذلك إن اخوة يوسف قالوا له ارسله فقال ليوهم إني ليخزني أن تذهبوا به الآية فمضت قالوا يا أبانا ما لك لا تأتينا على يوسف وإنا له لناصرون وإذا صح الكلام من غير تقديم وتأخير فلا معنى لحمله عليه قال الحسن حمل يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في البلاد إلى أن وصل إليه ابوه ثمانين سنة ولبت بعد الاجتماع ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل انه كان يوسف يوم التقى في الجب عشر سنين وقيل كان له اثنا عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين أو تسع وجمع بينه وبين أبيه وهو ابن أربعين سنة عن ابن عباس وغيره وفي الآية دلالة على ظهور حسدهم ليوسف لأنه كان يحرسه منهم ويمنعه من الخروج معهم ولا يأمنهم عليه

قوله تعالى (١٣) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٤) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٥) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يُعْجِلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَجِّيَنَّهُمْ بِأَمْرِ مَوْلَانَا هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٦) وَجَاءَهُمْ أَبَاهُمْ عِشَاءً يُبْكُونَ (١٧) قَالُوا يَا أَبَانَا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَقَدْ كُنَّا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعٍ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٨) وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ يَدَمٌ كَذِبَ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ست آيات

❦ الفقه ❦

الذئب أصله الهرز وإن خفت جاز وقراءة الكسائي وخلف وأبو جعفر وورش والأشعث واليزيدي بخفيف الهرزة في المواضع الثلاث والباقيون بالهرز وجمع الذئب الذؤب وذئاب وذؤبان وتذابت الريح أنت من كل جهة وحزنت وحزنت لسان والحزن ألم القلب بقرق الحبيب والشعر إدراك الشيء بجل الشعر في الدقة ومنه الشاعر في البدن والمحي والمصير إلى الشيء واحد وقد يكون المصير بالانقلاب كمصير العين خرقا وقد يكون بمعنى الانتقال والمشا آتم النهار ومنه اشتق الأشعث لأنه يستضي بصر ضعيف ويقال المشاء أول ظلام الليل ويقال المشى من زوال الشمس إلى الصباح والمشا من صلاة المغرب إلى الشمة والاشتاق افتحال من السبق واستبقا تبادرا حتى يظهر الأقوى ومنه السابقة وهو على ثلاثة أوجه سبق بالرمي وذلك جائز بالاتفاق وسبق على الخيل والأرمل وذلك جائز عندنا وسبق على الاقتحام وذلك غير جائز بعرض وبه قال الشافعي وعند أبي حنيفة يجوز بعرض وبلا عرض وبه قال قوم من أصحابنا وكذلك القول في الصراع وهم كذب أي مكشوب فيه وهو مصدر وصف به وقيل إن تقديره يدم ذي كذب قال الفراء يجوز أن يقع المصدر موقع المفعول كما يقع المفعول موقع المصدر في مثل قول الشاعر

حتى إذا لم يتركوا العظامه لحما ولا لقوادع مقولا

ولم يجره سيويه وقال المفعول لا يكون مصدرا ويتأول قوله لم خذ ميسورة ودع معسرة وقال يعني به خذ ما يسر له ودع ما عسر عليه وكذلك ليس قوله مقول أي ما يقل به وروي عن عائشة أنها قرأت بهم كذب بالالدال أي دم طري والتوسيل تزيين النفس ما ليس بحسن وقيل هو تقدير معنى في النفس على الطمع في كانه

✽ الاعراب ✽

اللائني قوله تن هي اللام التي يتلقى بها القسم ولما إذا حاسرون جواب القسم فلما ذهبوا به جواب لما
محذوف وتقديره ظلت قسنتهم او كبر ما قصدوا له والكوفيين يقولون الراوي واجموا مقصده وتقديره
اجموا ولا يميز البصريون افعلم الراوي وقالوا لم يثبت ذلك بحجة ولا قياس وما انشد الكوفيين في ذلك قوله الشاعر

حتى إذا قملت بطونكم
وقلبتم ظهر المجن لنا

ورأيتم ابتداءكم شيوا
إن القسم العاجز الحب

وقول امرئ القيس

فلما أجزنا مساحة الحى وانتحى
بنا بطن خبت ذي حفاف عقتقل

قالوا أراد انتحى والبصريون يحسبون الجسيم على حذف الجواب وقوله يكون في موضع نصب على الحال
وعشاء منصوب على الظرف وجزاء أن يكون وهم لا يشعرون من صلة قوله لتبشعهم وجزاء أن يكون من صلة
وأوجنا اي بآباءنا بلوحي وهم لا يشعرون انه نبي قد أوحى اليه ونسب في موضع نصب على الحال وصبر جميل
مرفوع على احد وجهين على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فشأنى صبر جميل او قصبري صبر جميل وهو قول
قطرب او على انه مبتدأ محذوف الخبر والتقدير قصبر جميل امثل واتشد

شكا إلي جملي طول السرى
يا جملي ليس إلي المشتكى

صبر جميل فكلاهما مبتلى

ويجوز في غير القرآن فصبر اجميلا ودوي ذلك من اي ويكون معناه قاصيري يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة

ألا إنامي فصبرا بلية
وقد يتلى الحر الكريم فيصبر

وقال الآخر

أبي الله أن يبقى لحي مجاشة
فصبرا على ما شاءه الله لي صبرا

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه انهم لما اظهروا النصح والشقة على يوسف هم يعقوب ان يبعث معهم وجنهم على حفظه فقال
(إني ليعزني) اي يفيدي (ان تذهبوا به) وتيسوه عنى وقيل معناه يعزني مفارقتي إياي (واخاف) عليه إذا ذهبتم
به إلى الصرا (أن يأكله الذئب وأنتم منه غافلون) فلهذا جملة في موضع الحال والتقديره اخاف ان يأكله الذئب
في حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض اشتغالكم قالوا وكانت ارضهم مذقية وكانت الذئاب ضاربة في
ذلك الوقت وقيل ان يعقوب رأى في منامه كأن يوسف قد شد عليه عشرة اذوتب ليقطوه وإذا ذئب منها يعمي
عنه فكان الارض الشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة ايام فمن ثم قال هذا فلقبهم بالذئب
لا يدرون ودوي عن النبي ﷺ انه قال لا تلقوا الكذب فيكذبوا فان بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب
يأكل الانسان حتى لقبهم بزعم وهذا يدل على ان الخصم لا ينبغي أن يلحق حجة وقيل انه خاف عليه أن يقتله
فكفني عنهم بالذئب مسامرة لهم قال ابن عباس ساهم ذئابا (قالوا لئن أكله الذئب وتغنن عصاة اي جماعة
متخاذلون متناصرون نرى الذئب قد قصده ولا تمنه منه (إنا إذا لحاسرون) أي نكون كالذين قد ذهب عنه
رؤوس ادموالم على رغم منهم وقيل معناه إنا إذا عجزه ضقة قال الحسن والله لقد كثرنا اشوق عليه من الذئب
وقيل معناه إنا إذا لمضيق بلقة قيس عيلان عن المزدج وهما حذف والتقدير انه ارسله معهم اجابة لما سأله
ليؤدي ذلك إلى الإلفة والمجة (فلما ذهبوا به واجموا) اي حزموا جسيما (أن يحمله في غيابة الحب) اي تمر

البشر واتفقت دواعيهم عليه فلأن من دعاه داع واحد إلى الشيء لا يقال فيه انه اجمع عليه فكأنه مأخوذ من اجتماع الدواعي ويدل الألف واللام على انه كان بشرا معروفة معندهم تعينها السيارة وقيل انهم طلبوا بشرا قتل الماء تشبه ولا تفرقه فيطوره فيها وقيل بل جعلوه في جانب منها وقيل ان يعقوب ارسله معهم فأخرجوه مكرما فلما وصلوا إلى الصحراء أظفروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بواحد واحد منهم فلا يفتش وكان يقول يا أبنائه هموا بقتله فمنعهم يهودا منه وقيل منهم لاوي رواه بعض اصحابنا عنهم عليهم السلام فانطلقوا به إلى الحب فجعلوا يدبرونه في البشر وهو يخطو بشقي البشر ثم تزعموا قصيصه عنه وهو يقول لا تقبلوا ردوا علي القسيس أنزاري به فيقولون ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا يوتسك فدلوه في البشر حتى إذا بلغ نصفها التروه ارادة أن يوت وكان في البشر ماء فقتل فيه ثم أدى إلى صخرة فقام عليها وكان يهودا يأتيه بالطعام من السدي وقيل ان الحب اضاه له وعذب ماؤه حتى أغناه عن الطعام والشراب وقيل كان للماء كدرا فضا وعذب وو كل الله به ملكا يحرسه ويطلع عنه مقاتل وقيل ان جبرائيل كان يوتسه وقيل ان الله تعالى أمر بصخرة حتى ارتفعت من أسفل البئر فوقف يوسف عليها وهو عريان وكان ابراهيم الخليل (ع) حين التي في النار جرد من ثيابه ووقف في النار عريانا قائم جبرائيل (ع) بقبض من حريو الجنة فألبسه إياه وكان ذلك عند ابراهيم (ع) فلما مات ورثه اسحاق فلما مات اسحاق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تمويذ وعلقه في عنقه فكان لا يفارقه فلما أتى في البشر عريانا جامه جبرئيل وكان عليه ذلك التمويذ فأخرج منه القميص فألبسه إياه وروى ذلك مفصل من عمر من الصادق (ع) قال وهو القميص الذي وجد يعقوب ربه ولا فصلت المير من مصر وكان يعقوب بنفلسطين فقال إني لأجد ربيع يوسف وفي كتاب النبوة عن الحسن بن محبوب عن الحسن بن عمار عن سمع اني سيار من الصادق (ع) قال لما اتى اخوة يوسف في الحب تزل عليه جبرئيل فقال له يا غلام من طرحت هنا فقال اخوتي لم ترق من ابي حسدي ولذلك في الحب طرحتني فقال أعجب أن تخرج من هذا الحب قال ذلك إلى إله ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال له جبرئيل فان إله ابراهيم واسحاق ويعقوب يقول لك قل اللهم إني اسألك بأنك لالحمد لا إله إلا انت بديع السموات والارض يا ذا الجلال والإكرام ان تصلي على محمد وآل محمد وان تبصلي لي في امري فرجا ومخرجا وترزقني من حيث احسب ومن حيث لا احسب فجعل الله من الحب يومئذ فرجا ومخرجا ومن كيد المرأة مخرجا وأقلمك مصر من حيث لم تحسب وروى علي بن ابراهيم ان يوسف (ع) قال في الحب يا إله ابراهيم واسحاق ويعقوب ارحم ضعتي وقلة حيلتي وصغري وقوله (وأوحينا إليه) يعني إلى يوسف (ع) قال الحسن اصطفا الله النبوة وهو في الحب والبشارة بالنجاة والملك (تنبئتهم بأمرهم هذا) أي لتخبرتهم بتقريب فعلهم بعد هذا الوقت يريد ما ذكره سبحانه في آخر السورة من قوله هل علمتم ما قسمتم بيوسف وأخيه (وهم لا يشعرون) انك يوسف وكان الوحي اليه كالوحي الى سائر الأنبياء. وقال مجاهد وتنادى ارحم الله اليه ونباه وهو في الحب وكان فيا اوحى اليه ان اكتم حالك واصبر على ما اصابك فانك ستخبر اخوتك بما فعلوا بك في وقت لا يبرفونك وقيل يريد وهم لا يشعرون بأنه اوحى اليه وقيل ان معنى قوله لتنبئهم لتخبرهم على فعلهم تقول العرب لا رجل يتوعد بمجازاة سوء فله لا تبتك ولا عرفك اي لا تجازيك وقيل أراد بذلك انهم لما دخلوا مصر عرفهم يوسف وهم له منكرون فأخذ الصاع ونقره فطن فقال ان هذا الجام ليخبرني انه كان لكم أع من أيسكم التمشوه في الحب وبمشوه بشن يخشى فهذا معنى قوله لتنبئهم بأمرهم هذا من ابن عباس ثم بين سبحانه حالهم حين رجوا إلى أبيهم فقال (وجاءوا اباهم) يعني وانتقل اخوة يوسف إلى أبيهم (عشاء) اي ليلا وفي آخر النهار ليلبسوا على أبيهم وليكونوا الجرا على الاعتذار (يكون) وانما اظهروا والبكاء ليومروا انهم صادقون وفي هذا دلالة على ان البكاء لا يوجب صدق دعوى الباك في دعواه قال السدي لا مسلم

بكماءم فزع فقال ما بالكُم (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستيق) أي نشد وتعدو على الاقدام لننظر ابنا اعدى
 واسبق لصاحبه عن البياض والسدي وقيل مناه فتتصل وتترامى فتنتظر أي السهام اسبق إلى القرض عن الزجاج
 وفي قراءة عبد الله تتصل (وتركنا يوسف غلما غلما) أي تركناه عند الرجل ليغفله (فأكله الذئب وما انت
 بمؤمن لنا) أي ما انت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) جواب لو محذوف أي ولو كنا صادقين ما صدقتنا لاهتمامك
 لنا في أمر يوسف ودل الكلام عليه ولم يصغوه بأنه لا يصدق الصادق لأن المعنى لا يصدقهم لاهتمامهم لم يروى
 ظنه بهم لما ظهر له من امارات حسلمه ليوسف وشدة محبة يوسف (وجاءوا على قميصه بدم كذب) معناه ان
 أخوة يوسف جاءوا بأههم ومعه قميص يوسف ملطخا بدم فقالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب وقيل انهم
 ذبحوا سحفا وجعلوا دمه على قميصه عن ابن عباس ومجاهد وقيل ثوبا ولم يمزقوا ثوبه ولم يخطروا بهم ان الذئب
 اذا أكل إنسانا فإنه يمزق ثوبه وقيل ان يعقوب قال لهم ادوني القميص فادوه إياه فقال لهم لما رأى القميص
 صمغيا بيني والله ما وجدت كالدم ذنبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق قميصه عن الحسن وروى انه التقى
 ثوبه على وجهه وقال يا يوسف لقد أكلت ذنبا رجيم أكل لحك وإيش قميصك ومعنى قوله بدم كذب مكنوب
 عليه أو فيه كما يقال ماء سكب أي مسكوب وشراب صب أي مصوب قال الشاعر

تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعتما صفونا

ازداد ناعمة عليهم وقيل انه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قدم من دبر وحين التقى على وجه أبيه فارتد
 بصيرا وحين جاءوا عليه بدم كذب قتله يعقوب على ان الذئب لم أكله لرق قميصه عن الشعبي وقيل انه لما قال
 لهم يغوب ذلك قالوا بل قتله الفصوص فقال (ع) فكيف قتلوه وتركوا قميصه وهم إلى قميصه أحوج منهم إلى
 قتله (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أي قال يعقوب لهم اذ اتهمهم في يوسف لم يأكله الذئب ولم يقتله
 الفصوص ولكن زينت لكم أنفسكم أمرا طمئنته عن قتادة وقيل سهل بضكم بعض أمرا في يوسف غير
 الذي فطمته حتى سهل عليكم فقتلتموه عن أبي مسلم والجبائي وإنما رد يعقوب عليهم يوحي من الله عز اسمه
 وقيل كان ذلك حدثا بصائب رايه وصادق ذهنه (فصر جليل أي قصري صبر جليل لاجز فيه ولا شكوى إلى الناس
 وقيل صبر جليل احسن وأولى من الجزع الذي لا يفتي شيئا وقيل انما يكون الصبر جبلا اذا قصد به وجه الله تعالى وقيل
 الوجه الذي وجب فلما كان الصبر في هذا الموضع واقطاع الوجه المصمود صم وصفه بذلك ذكره المرتضى قدس الله
 روحه وقيل ان البلا ليزيل يعقوب على كبره ويوسف على صغره بلا ذنب كل منهما فأكب يعقوب على حزنه وانطلق
 يوسف في رفق كل ذلك بين الله يروى يوسف حتى أتى بالخرج وكل ذلك امتحان (والله المستعان ما تصفون)
 أي بالله استعين على دفع ما تصفون أو به استعين على تحمل مرارة الصبر عليه ومكث يوسف في الحب ثلاثة أيام

قوله تعالى (١٩) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ
 وَأَسْرُوهُ بِضَاعَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَمْكُرُونَ (٢٠) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا
 فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ آياتان

قراءة

قرأ أهل الكوفة يا بشري بالف بغير ياء الا ان حمزة والكسائي وخلف يملون الراء وعاصم لا يميل والباقر
 يا بشري يفتح الياء وثابت الالف وفي الشواذ قراءة الجحدري وابن أبي اسحاق والحسن يا بشري

الحكمة

قال ابو علي من قرأ يا بشري فأضاف الى الياء التي للمتكلم كان اللالاف التي هي حرف الاعراب عنده موشمان من وجهين **احدهما** انت الالف في موضع نصب من حيث كان نداء مضافا **والآخر** ان يكون في موضع كسر من حيث كان بمنزلة حرف الاعراب الذي في غلامي والدليل على اشتقاقها لهذا الموضع قولهم كسرت يه فلولا ان حرف الاعراب الذي ولي ياء الإضافة في موضع كسر ما كسرت اللام من في فلما كسرت كما كسرت من قولهم فيك وكما نصحت من قولهم رأيت فاك لما كانت في موضع الفتح التي في قولك رأيت غلامك وانضمت في قولك هذا فوك لاتباعه الضمة المقدرة فيها كاتي في قولك هذا غلامك كذلك كسرت يه قولهم كسرت فيوهذا بذلك على انه ليس يرب من مكانين الا ترى انها تبتحر غير الاعراب في قولك كسرت في ياهنا كما تبتحر ككلا الاعراب في رأيت فاك ومن قال يا بشري احتمل وجهين **احدهما** ان يكون في موضع ضم مثل يا رجل لاختصاصه بالنداء **والآخر** ان يكون في موضع نصب وذلك لانك اشبت النداء ولم يخص به كما خُص في الوجه الأول فصار كقوله يا حشرة على العباد الا ان التثوين لم يلحق بشري لانها لا تنصرف فأما من قرأ يا بشري فإن تلك لفظة حذيل قال ابو ذؤيب

سبقوا هوي واعتقوا لسيلهم فتخروا ولكل جنب مهجع
وقال آخر
يطوف لي به عكب في سجد ويطعن بالصلة في قبا
فان تأتارا لي من عكب فلا رويثا أبدا صدنيا
وامثاله كثيرة

اللمعة

الوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء ليستقي وتقول ادليت الدلو اذا ارسلتها في البئر لتعلاها ودلوها اذا اخرجها ملأى والبضاعة قطعة من المال تبجل للتجارة من بضعت الشيء اذا قطعته ومنه المبيع لأنه يضع به الرق والشرى البيع قال الشاعر « وشريت بودا ليقي * من بعد برد كنت حامه » والتمن بدل الشيء من العين او الورق ويقال في غيرهما ايضا مجازا والبخس النقص من الحق يقال يخسه في الكيل او الوزن اذا قصه من حقه فيها

(الاعراب)

قال الزجاج معنى النداء وما في بشرى وما لا يجب ولا يعقل فإنه على تنبيه المتعاطين وتوكيد القصة اذا قلت يا عجباه فكأنك قلت اعجبوا يا أيها العجب هنا من حينك وكذلك اذا قلت يا بشري فكأنك قلت ابشروا يا أيها البشري هنا من آياتك وبضاعة منصوب على الحال وتقديره وأسروه بجانيه بضاعة ودرام في موضع خبر بأنه بدل من ثمن ومعبودة مفعلة الدرهم وكانوا فيه من الزاهدين فيه ليست من صلة الزاهدين والمعنى وكانوا من الزاهدين ثم بين في آية شيء زهدوا فقال فيه فكأنه قال زهدوا فيه وهذا في الظروف جائز ولا يجوز ذلك في المفعولات لو قلت كنت زيدا من الضارين لم يجوز لأن زيدا من صلة الضارين ولا تتقدم الصلة على الموصول

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد القائه في الحب فقال (وجاءت سيارة) اي جماعة مارة قالوا وانما جاءت من قبل مدين يريدون مصر فأنشأوا الطريق فأنطلقوا يهيمون على غير الطريق حتى قربوا قريبا من الحب

وكان الحب في قفرة بعيدة عن السموان وانما هو الرعاة والمخازنة وكان ماؤه ملحا فطلب وقيل كان الحب يظهر الطريق (فأرسلوا واردهم) أي فبعثوا من يطلب لهم الماء يقال يمشون رجلا يقال له مالك بن زعر ليطلب لهم الماء (فأدلى دلوه) أي أرسل دلوه في البئر ليستقي فتعلق يوسف (ع) بالبلبل فلما خرج اذا هو بسلام أحسن ما يكون من الغلمان قال النبي ﷺ اعطى يوسف شطر الحسن والتصف الآخر لسائر الناس وقال كعب الاحبار وكان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوى الخلق ابيض اللون غليظ الساقين والشددين خفيض البطن صخبر السرة وكان اذا تبسم رأيت النور في ضواحه واذا تكلم رأيت في كلامه شعاع النور يثقب عن ثيابه ولا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم (ع) يوم خلقه الله عز وجل وصوره وقطع فيه من روحه قبل ان يصيب المصيبة يقال انه ورث ذلك الجمال من جدته ماريه كانت قد اعطيت سدس الحسن فلما رآه المديني (قال يا بشرى هذا غلام) عن قتادة والسدي وقيل انه نظر في البئر لما اتفق عليه الدلو فرأى يوسف (ع) فقال هذا غلام فأخرجوه عن الجبائي وقيل ان بشرى رجل من اصحابه ناداه عن السدي (وأسرره بضاعة) أي وأسر يوسف الذين وجدوه من رفقاتهم من التجار مخافة ان يطلبوا منهم الشركة معهم في يوسف فقالوا هذا بضاعة لأهل الماء دفوه اليها لئيمه لهم عن مجاهد والسدي وقيل مناه وأسر اخوته يكتمون انه اخوهم فقالوا هو عبد لنا قد أبى وانتهى منا في هذا الموضع فقالوا له بالعبرانية لئن قلت انا اخوهم فتلناك فتأبهم على ذلك لئلا يقتلوه عن ابن عباس (والله عليم بما يعملون) أي بما يعمل اخوة يوسف (وشروه بثمن بخس) أي بأموه بيمين ناقص قليل عن عكرمة والشبي وقيل حرام لأن ثمن الحر حرام عن الفساحك ومقاتل والسدي وسمي الحرام أيضا لأنه لا يركة فيه فهو منقوص البركة (وداهم معدودة) أي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة وقيل انهم كانوا لا يزنون من الدراهم ما دون الاوقية وكانوا يزنون الاوقية وهي الاربعون فما زاد عليها وكانت الدراهم عشرين درهما عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وهو المروي عن علي بن الحسين (ع) قال وكانوا عشرة فاقسموها درهمين درهمين وقيل كانت اثنين وعشرين درهما عن مجاهد وقيل كانت اربعين درهما عن عكرمة وقيل ثمانية عشر درهما عن ابن عبد الله (ع) واختلف فيمن باعه فقيل ان اخوة يوسف باعوه وكان يهودا منتبها ينظر الى يوسف فلما اخرجوه من البئر أخبر اخوته فأثروا مالا وكانوا يباعونه عنه عن ابن عباس ومجاهد واكثر القسرين وقيل باعه الواجدون يهصر عن قتادة وقيل ان الذين اخرجوه من الجب باعوه من السامرة عن الأصم والأصح الأول وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال فلم يزل مالك بن زعر واصحابه يتصرفون من الله الخير سيفه سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف ففقدوا ذلك قال وتفرق قلب مالك ليوسف فأتاه فقال اخبرني من انت فاتبعه له يوسف ولم يكن مالك يعرفه فقال أنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم فالزمه مالك وبكى وكان ما لك رجلا عاقرا لا يولد له فقال ليوسف لو دعوت ربك ان يهب لي ولدا فهدا يوسف ربه ان يجعل له ولدا ويجعلهم ذكورا فولد له اثنا عشر طفلا في كل بطن غلامان (وكانوا فيه من الزامدين) قيل يعني به ان الذين اشتروه كانوا من الزامدين في شرائه لأنهم وجدوا علامة الاحرار وأهلق أهل البر والليل فلم يرغبوا فيه مخافة ان يلصقهم ثمة في استعباده وقيل مناه وكانوا من الزامدين في نفس يوسف لم يشروه للجنود وانما اشتروه للربح وقيل المراد به الذين باعوه من اخوته كانوا غير راغبين في يوسف ولا في شئ ولكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به وكان قصدهم تبئيد يوسف (ع) وكانوا من الزامدين في يوسف لأنهم لم يروا موضع من الله سبحانه وكرامته عليه ولا تافوا بين هذه الاقوال فيجوز حمل الاية على جميعها وقيل ان الذين باعوه بمصر كانوا من الزامدين في شئهم لأنهم علموا انه لقطة وليست بضاعة

قوله تعالى (٢١) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمِّهِ أَكْرَمِي مِثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَاؤُ

تَنَحَّذَهُ وَلَكَّا وَكَذَلِكَ مَكَانًا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن نَّاسٍ مُّبِينٍ الْأَحَادِيثُ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٢) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ آيات

— (الثلة) —

النواء الإقامة والمثوى موضع الإقامة والاكرام اعطاء المراد على جهة الاعظام وهو يتناظم فأعلاه منزلة ما يستحق بالثبوت وادناه ما يستحق بتصلته من الطاعات وأشد جم لا واحد له وقيل هو واحد وان كان على وزن الجمع فهو مثل الآنك وهو الرصاص وقيل انه جمع واحد شدا كما ان واحدا لا شر قال الشاعر

هل غير أن كثر الاشر واهلكت حرب (٢) الملوك أكثرو الاموال

— (الاعراب) —

مصر لا ينصرف لأنه موث معرفة وان ينصتا في موضع رفع لكونه فاعل عسى عسى هذه تامة لأنها تامة فاعلها واللام في قوله ولنعلمه محمولة على تقدير دونا ذلك لتمكنه ولنعلمه

🔍 المعنى

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد ان بيع فقال (وقال الذي اشتراه) اي اشترى يوسف (من مصر) اي من أهل مصر (لأمراته اكرمي مثواه) اي مقام يوسف وموضع تزوله اي حيث له موضعا كراما يشترى بها وتقدير الآية لعموله الى مصر وباعوه وحذف ذلك للدلالة عليه وكان المشتري خازن فرعون مصر وخليفته وصاحب جوده وابسمه قبطير وكان لا يأتي النساء وقيل ان اسمه اظفير وكان يلقب بالعزيز ومن كان بمكانه يسمى بالعزيز ومن يسمي بالعزيز بمن يمكن بمكانه تزوج لسانه فلما عبر يوسف رؤيا الملك سمى العزيز وجعل مكان العزيز وكان باعه مالك بن زعر منه بأربعين دينارا وتزوج نعل وثوبين ابيضين عن ابن عباس وقيل انه عرضه على اليم في سوق مصر فتزايدها حتى بلغ ثمنه ووزنه ووقا وسكا وحريرا عن وهب فاشتراه العزيز بهذا الثمن وقال لأسرته راعيل ولقبها زليخا اكرمي مثواه (عسى ان ينفعنا) اي عسى ان نبيعه فترجع على ثمنه (او تنفعه ولنا) فإنه لا ولد لنا وإنما قال ذلك لما رأى على يوسف من الجمال والفضل والمداية في الأمور وعلى هذا فالعزيز هو خازن الملك وخليفته والملك هو الرئیس بن الوليد رجل من المالقي وقيل ان هذا الملك لم يت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف بعده حي فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل وقال ابن عباس العزيز ملك مصر وكذلك هو سيف حديث علي بن الحسين عليه السلام (وكذلك مكان يوسف في الارض) أي كما آمننا على يوسف بالسلامة والخروج من الحب مكانه في الأرض بأن علفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى صار بذلك متمكنا من الأمر والهي في الأرض التي كانت يستولي عليها الملك وهي أرض مصر (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) وقد مضى مثناه في أول السورة (والله غالب على أمره) أي على أمر يوسف يحفظه ويرزقه حتى يبلغه ما قدّر له من الملك والثبوت ولا يهلكه إلى غيره وقيل مثناه والله غالب على أمره لا يعجزه شيء من تدبيره وأفعاله فهو الفاعل لما يشاء كيف يشاء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان الله غالب على أمره أو أمر يوسف وقيل مثناه لا يعلمون ما يصنع الله يوسف وما يؤول إليه حاله (ولما بلغ) يوسف (أشده) أي حتى شباه وقوته وكان حظه وقيل الاشد من ثلثي عشرة سنة إلى ثلاثين سنة عن ابن عباس ستين سنة وقد اشد أقسى الأشد أربعون سنة وقيل ستون سنة وهو قول الأكثرين ويؤيده الحديث من عمره الله ستين سنة فقد اشد

اليه وقيل ان اجساد الأشد من ثلاث وثلاثين سنة عن مجاهد وكثير من المفسرين وقيل من عشرين سنة عن الضحاك (آيتاه حكا) أي اعطيناه القول الفصل الذي يدعو إلى الحكمة (وعلا) وهو تبين الشيء على ما هو به بما يحل في القلب عن علي بن عيسى وقيل الحكم النبوة والعلم الشريعة عن ابن عباس وقيل الحكم الدعاء إلى دين الله والعلم علم الشرع وقيل أراد الحكم بين الناس والعلم بوجوه المصالح فإن الناس كانوا إذا تخافوا كوابل العزير أمره بأن يحكم بينهم لما رأى من عقله وأصابته في الرأي وقيل هو العلم والعمل به وهو الحكم (وكذلك نجزي المحسنين) أي مثل ما جزينا يوسف بصيره نجزي كل من أحسن أي فعل الأفعال الحسنة من الطاعات وقيل إن المحسنين الصائرون على التواب عن الضحاك وقيل هم المؤمنون عن ابن عباس وقيل أراد محمدا صلى الله عليه وسلم أي كما فعلنا يوسف واعطيناه الملك بعد مقاماته البلاء والشدة كذلك فعل بك يا محمد عن ابن جريج

قوله تعالى (٢٣) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ آية

❖ القراءة ❖

قرأ أهل المدينة والشام هيت لك بكسر الماء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت لك بفتح المله وضم التاء وقرأ الباقون هيت لك بفتح المله والتاء وروى عن علي (ع) وإبي رجا وإبي وائل ويحيى بن وثاب بحث لك بالهمزة وضم التاء وروى ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس وعن عكرمة ومجاهد وبقراءة وروى عن ابن عباس أيضا هيت لك بفتح المله وكسر التاء وروى ذلك عن إبي الأسود وإبي إسحق وإبن عيينة وعيسى التميمي وروى أيضا عن ابن عباس هيت لك أيضا

❖ الحجة ❖

قال الزجاج في هيت لك لغات أجودها هيت لك بفتح المله والتاء قال الشاعر

البلخ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا

ان العراق وإله عتق إليك فليت هيتا

أسيه فاقبل وتعال وسكن قطرب انه أشده يرض أهل الحجاز لطفة

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داع من العشرة هيت

هم يمينون ذا حلم سراعا كالأبيل لا تغادر بيتا

فهذا شاهد لاين كثير وكلها أسماء سعى بها العمل بجزالة ومعها وإبهو الحركات في أوامرهم والاتقاء الساكنين وأما الفتح فلأن قبل التاء ياء فهو كما قيل أين وكيف والكسر لأن الأصل في التاء الساكنين حركة الكسر وأما الضم فلأنها في معنى التائب كما أنها قالت دعائي لك فلا حذفت الاضافة وتضمنت هيت معناه بقيت على الفهم كما بقيت حيث ومنذ وأما هيت بالهمزة وضم التاء فمثل تقول هيت أي هيتة أيه تهايات وقالوا أيتنا همت أتعاه كفتت أجاف وأما هيت لك فتصل مرسع كقولك اصلحت لك واللام تتصلق بضم هيت وهيت وهيت وهيت كما يتصلق بضم هيت في قولك علم لك

❖ اللفظة ❖

المرادوة المطالبة بأمر يفرق والحين ليعمل به ومنه المرود لأنه لا يعمل به ولا يقال في المطالبة يدين راوده وأصله من راد يرود إذا طلب المرعي وفي المثل الراكد لا يكذب أهله وهو في الآية كناية عما تريد البساء

من الرجال والتعليق إطباق الباب بما يعسر فتحه وإنما شدد ذلك لتكثير الإغلاق أو المبالغة في الإيقاظ

✽ الأعراب ✽

مماذا الله نصب على المصدر على تقدير أعوذ بالله مماذا تقول عذت بالله عوذنا وماذلو عيادنا ومماذا

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه عن امرأة العزيز وما همت به فقال (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) أي وطالبت يوسف المرأة التي كان يوسف في بيتها عن نفسه وهي زليخا والمعنى طلبت منه أن يوافيها (وعلفت الأبواب) على نفسها وعليه بابا بعد باب قالوا وكانت سبعة أبواب وقيل أراد باب الدار وباب البيت (وقالت هبت لك) أي حلم لك عن ابن عباس والنسب ومنه أقبل ويأدر إلى ما هو مهيأ لك (قال) يوسف (مماذا الله) أي احتصموا فاستجبر به عما دعوتني إليه وتقديره عياداً بالله أن أجيب إلى هذا فكان (م) أظهر الإيابة وسأل الله سبحانه أن يبيده ويصممه من فعل ما دعه إليه (أنه ربي أحسن شواي) الماء عائدة إلى زوجها عند أكثر المحسرين ومعناه أن العزيز زوجك مالكي أحسن تربيتي وأكرامي وبسط يدي ورفع منزلي فلا أخوته وإنما ساء رباً لما كان ثبت له عليه من الرق في الظاهر وقيل أن الماء عائد إلى الله سبحانه والمعنى أن الله ربي رفع من معلي وأحسن إليّ وجعلني نبياً فلا أعصيه أبداً (أنه لا يفلح الظالمون) دل هنا على أنه لو فعل ما دعه إليه لكان ظالماً وفي هذه الآية دلالة على أن يوسف لم يهجم بالفاحشة ولم يردّها بفتح لأن من م بالفتح لا يقول مثل ذلك

قوله تعالى (٢٤) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَانَ رَبِّهَ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ أَلَسُوهُ وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ آية

✽ التمرية ✽

قرأ أهل المدينة والكوفة للمخلصين بفتح اللام والياقوت بكسر اللام في جميع القرآن

(- الحجة -)

قال أبو علي حجة من كسر اللام قوله أخلصوا دينهم لله ومن فتح اللام فيكون بنى الفعل المفعول به ويكون معناه ومنى من كسر اللام واحد فإذا أخلصوا دينهم فهم مخلصون وإذا أخلصوا فهم مخلصون

✽ الفقه ✽

الهم في الفقه على وجه منها الهم على الفعل كقوله تعالى إذ هم قوم أن يسلبوا اليكر أيديهم أي أرادوا ذلك وعزموا عليه ومنه قول شاذي البرجمي

هممت ولم أفعل وكنت وليتي

وقول حاتم طي

ولله صلوك يشاور همه

وقول الخنساء

وقض مرداساً على الناس جملة

وأن كل م هم فهو فاعله
ومنها خطور الشيء بالبال وإن لم يقع الهم عليه كقوله إذ همت طائفتان منك أن تشلأ والله وليها يعني أن الشل خطر يليها ولو كان الهم ههنا عزمًا لما كان الله وليها لأن الهم على المعصية مصيبة ولا يجوز أن يكون الله ولي من عزم على الفرار عن نصرته عليه وآله السلام ويتوي ذلك قول كعب بن زهير

فكلم فيهم من فارس متوسم
ومن فاعل الخير ان هم او عزم
تفرق بين المم والزم ومنها ان يكون معنى المتعارفة قالوا هم فلان ان يشغل كذا اي كاديفيله قال ذوالرمة
أقول السعود يجرع ماء مالك وقد هم دمي ان تلج أوائله
والدمع لا يهجو عليه الزم ومثناه كاد وقارب وقال ابو الاسود الدؤلي
و كنت متى تههم بينك مرة
لشغل خيرا تقتضيا شالك
وعلى هذا جاء قوله جدا يريد ان ينقض اي يكاد وقال الحارثي

مرید الرحمہ صدر ایہراء وریغ عن دماء بنی عقیل
ومنها الشہوة ویل الطباع بقول القائل فینا تشبہہ وویل طبعہ الیہ ہذا أهم الاشیاء الی وفی شدہ لیس ہذا
من مہی واذا كانت معانی الہم فی القلۃ مختلفۃ یجب ان یتنی عن بیہ اللہ یوسف (ح) ما لا یتلق بہ وہو الزم علی
الفتیح لأن الدلیل قد دل علی ان الانبیاء لا یجوز المماصی والقبائح علیہم واجزا علیہم ما سواہ من معانی الہم
لأن کل واحد من ذلک یتلقی بجمالہ

﴿ المفنى ﴾

(ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى يرحان ربه) اختلف العلماء فيه على قولين ﴿احداهما﴾ انه لم يوجد من يوسف ذنب كبير ولا صغير ﴿والآخر﴾ انه وجد منه العزم على التبيح ثم انصرف عنه فأما الاولون فانهم اختلفوا في تأويل الآية على وجوه ﴿احداهما﴾ ان المم في ظاهر الآية قد تعلق بما لا يصح تعلق العزم به على الحقيقة لانه قال ولقد همت به وهم بها فعلق المم بها وذاتها لا يجوز ان يردا ويمزج عليهما لأن الموجود الباقي لا يصح ان يرد ويمزج عليه فلذا حملنا المم في الآية على العزم فلا بد من تقدير أمر محذوف يمتثل العزم به وقد أمكن ان تعلق عزمه (ع) بشئ التبيح وتحمسه متناولا لغرضها ان يدفعها من نفسه فكأنه قال ولقد همت بالتأشبه منه وأرادت ذلك وهم يوسف (ع) بضربها ودفعها من نفسه كما يقال همت بشلان اي بضربه وإيقاع مكروه به وعلى هذا فيكون معنى الآية ان الله سبحانه اراده يرحانا على ان نأخذ من علمهم به إهلاكه أهلها أو قتلها أو ادعت عليه المروادة على التبيح وقدغنه بأنه دعاهما اليه وضربها لانتعاشه منه فأعبر سبحانه به صرف عنه سوءه والنجاة الذين هما القتل وظن احراف الناشئة وبمكون التقدير لولا ان رأى يرحان ربه فصل ذلك ويكون جواب لولا محذوف كما حذف فيه قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين اي لولا فضل الله لهلكتم ولو تعلمون علم اليقين لم يهلكم التكاثر وشبهه قول امرئ القيس

ولوانها نفس تموت موية ولكنها نفس تساقط أنفسا

يريد قلوبها تس تموت سوية لتفقت وفيت فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه وعلى هذا يكون جواب لولا محذوفا يدل عليه قوله وهم بها ولا يجوز ان يكون قوله وهم بها جوابا بلولا لان جواب لولا لا يتقدم عليه **و** ثانيا **«** ان يجعل الكلام على التقديم والتأخير ويكون التقدير ولقد همم به ولولا ان رأى برهان ربه لم بها ولا رأى برهان ربه ان بهم بها ويجزى ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركك وقد كنت قلت لولا اني خلصتك والى لولا تداركي هلكت ولولا تخليصي اياك لتلت وان كان لا يقع هلاك وقتل ومثله قول الشاعر

فلا يدعني قومي ليوم كريمة لئن لم اعجل ضربة او اعجل

وقال آخر

فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر

وفي التران ان كانت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها وهذا الوجه اختاره ابو مسلم وهو قريب من الأول
 وثالثها * ان معنى قوله هم بها اشتهاها ومال طبعه الى مادته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة هما على سبيل
 التوسع والمجاز ولا فبيح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى وانما يتعلق القبيح بالشيء وقد روي هذا التاويل عن
 الحسن قال أما همها فكان اخبث الهم وأما همها فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء وروي الضحاك عن ابن
 عباس انه قال هما القصد وهمه انه تمنها ان تكون زوجة له وعلى هذا الوجه فيجب ان يكون قوله لو لا
 ان رأى يرهان به متعلقا بمجنونها بشا كما قال لولا ان رأى يرهان به لم يؤمنوا * وقالوا ان قوله ولقد همت
 به وهم بها خرجا متراجعا واحدا فلم يجلسن معها به متعلقا بالقيح وهمه بها متعلقا بغير القبيح وجوابه ان الظاهر
 لا يدل على ما تعلق به الهم فيهما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقيح لشهادة القرآن والآثار به ولا نأمن
 يجوز عليه فعل القبيح والشاهد لذلك من الكتاب قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله وقال نوسة
 في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حيا إنا لنراها في ضلال مبين وقوله حكاية عنها الآن
 حصص الحق انا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ولقد راودته عن نفسه فاستصم والشاهد من الآثار
 اجماع المسلمين على انها همت بالمعصية والفاحشة وأما يوسف عليه السلام فقد دلت الأدلة العقلية لا يطرئ
 اليها الاحتمال والمجاز على انه لا يجوز ان يفعل القبيح ولا يعزم عليه فأما الشاهد من القرآن على انه ما هم بالفاحشة
 فقوله سبحانه كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالنيب وغير ذلك من قوله قل
 سأتى الله ما علمنا عليه من سوء والعزم على الفاحشة من اكبر السوء وأما الفرقة الأخرى فلمهم قالوا فيه ما لا
 يجوز نسبته الى الأنبياء فقال بعضهم انه بعد بين رجلها وحل تكسرها ويوله وقال بعضهم حل السراويل حتى بلغ
 الثمن وجلس منها مجلس الرجل من امرأته وقد زعمه الله سبحانه عن ذلك كله بقوله كذلك لتصرف عنه السوء
 والفحشاء وأمثال ذلك مما عدهناه فأما البرهان الذي رآه فقد اختلف فيه على وجوه * احدها * انه حجة الله
 سبحانه في تحريم الزنا والعلم بالمراتب الذميمة يستحق الزاني عن محمد بن كعب والجباري * وثانيها * انه ما
 آناه الله سبحانه من آداب الأنبياء واخلاق الامم في الصفات وصيانة النفس عن الادناس عن ابي مسلم
 * وثالثها * انه النبوة لما من من ارتكب الفواحش والحكمة الصارفة عن القبيح روي ذلك عن الصادق عليه
 السلام * ورابعها * انه كان في البيت صم فالتفت المرأة عليه ثوبا فقال (ع) ان كنت تستعين من الصم فانا
 أحمق ان استعين من الواحد القهار على بن الحسين زين العابدين عليه السلام * وخامسا انه اللفظ الذي
 لطف الله تعالى به في تلك الحال او قبلها فاختار عده الامتناع عن المعاصي وهو ما يقتضي كونه معصوما لأن المعصية
 هي اللطف الذي يختار عده التزهد عن القبيح والامتناع من فعلها ويجوز ان يكون الرؤية ههنا بمعنى العلم كما
 يجوز ان يكون بمعنى الادراك فأما ما ذكر في البرهان من الأشياء البينة بأنت قيل انه سمع قائلا يقول يا ابن
 يعقوب لا تكونن كالطير له ريش فلذا زنا ذهب ريشه وقيل انه رأى صورة يعقوب عاشا على أنامله وقيل
 انه رأى كفا بدت فيها ينمعا مكتوبا عليها النبي عن ذلك فلم ينته فأرسل الله سبحانه سبيرا (ج) وقال ادرك
 عبدي قبل ان يعيب الخطيئة فرأه عاشا على اسبغ فكل هذا سوء ثناء على الانبياء مع ان ذلك ينافي بالكيفية ويقتضي
 ان لا يستحق على الامتناع من القبيح مديحا ولا ثوبا وهذا من أقبح القول فيه (ع) (كذلك لتصرف عنه السوء)
 أي كذلك أدبناه البرهان لتصرف عنه السوء أي الخيانة (والفحشاء) أي ركوب الفاحشة وقيل السوء الآخر

والنحشاء الزنا (انه من عبادنا المخلصين) أي المخلصين المختارين للثبوت ويكسر اللام للمخلصين في المباداة والتوسيد أي من عبادنا الذين أخلصوا الطاعة لله وأخلصوا انفسهم له وهذا يدل على تآزبه يوسف وجماله وقدره عن ركوب التفتيح والرمع عليه

قوله تعالى (٢٥) واستبأ الباب وقدمت قميصه من دبر وألقيا سيدهما لدى الباب قالت ما جرأتمن أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو هذا لبأليم (٢٦) قال في راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين (٢٧) وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (٢٨) فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كبد كثر إن كبد كثر عظيم (٢٩) يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين خمس آيات

❦ القراءة ❦

في الشواذ قراءة ابن يعمر وابن أبي اسحق ونوح القاري من قبل ومن دبر ثلاث ضبات من غير تنوين

— (الحجة) —

قال ابن جني ينبغي ان يكونا غايين كقوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد كأنه يريد وقدمت قميصه من دبره وإن كان قميصه قد من قبله فلما حذف المضاف إليه أعني الماء وهي مرادة صار المضاف غاية بما كان المضاف إليه غاية له.

❦ اللمعة ❦

القد شق التي طولاً ميل قد الأديم يقال قدده يقده قدلاً فهو مقدود إذا كان ذاهباً في الطول على استواء وفي الحديث كانت ضربات علي بن أبي طالب عليه السلام أبكاراً كان إذا احتل قدواً إذا عترض قطو والقد بكسر اللام السير المقطوع طولاً والالقاء المصادفة قال ذو الرمة

ومعلم الصيد هبال لبقيته التي أباه بذلك الكسب يكسب

أي وجد أباه والكيد طلب الشيء بما يكرهه كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه وبأباه والخطيئة المدول عما تدعو إليه الحكمة إلى ما ترجع عنه ويقال لصاحبه خطأ خطأ فهو خاطئ إذا وقع ذلك منه عن قصد فلو إذا وقع من غير قصد قيل خطأ المقصد فهو خاطئ فاصل الخطأ المدول عن الفرض المحكي بقصد أو غير قصد قال أمية

عبادك يخطؤون وأنت رب بكفيك النايما والحتوم

— الإعراب —

إنما عطف قوله عذاب اليم على الفصل لأن تقديره إلا السجن أو عذاب ومن في قوله قد من دبر ومن قبل لإبداء الناية لأن إبداء القدر كانت منها ومن في قوله من الكاذبين للتبعيض لأنه بعض الكاذبين ولم يقل وشهد شاعده انه ان كان لأنه ذهب منذهب القول في الحكاية كما ان قوله يوصيكم الله في أولادكم كذلك والتقدير يوصيكم الله ان المال للذكر مثل حظ الأنثيين وقوله ان كان قميصه قال ابو الهيثم المبرد مناه انت يكن ويجاز ذلك في كان لأنها ام الباب كما جاز في الصجب ما كان احسن ذنباً ولم يجز ما اصبح احسنه وقال أبو بكر السراج ان يكن بمعنى ان يصبح قد قميصه من دبر وقوله فلما رأى الرؤية هيانتمثل امرين (أحد هما)

ان تكون بمعنى رؤية العين فلا تكون رؤية العين رؤية فقد ويكون قوله قد من دير في موضع الحال وانما يكون رؤية للقيص **والآخر** ان يكون بمعنى العلم وتكون رؤية للقد وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتطيل للذكر على المؤنث

❁ المعنى ❁

(واستيقا الباب) يعني تبادرا الباب أي طلب كل واحد من يوسف وامرأة العزيز سبق إلى الباب أمام يوسف فانه كان يقصد ان يهرب منها ومن ركوب الفاحشة وأما هي فإنما كانت تطلب يوسف لتقضي حاجتها وانما تقصد أن تطلق الباب وتحمه من الخروج وتراوده ثانيا عن نفسه (وقلت قيصة من دير) أي لغت يوسف فجذبت قيصة وشفته طولا من خلفه لأن يوسف كان هاربا وهي تنمو من خلفه وقيل ان يوسف رأى الأبواب قد اقتضت قبل ان الصواب هو الخروج فيخرج هاربا وقيل بل اخذ يفتح الأبواب وادركته فتعلقت بقميصه من خلفه شفته (واقبها سيدها لدى الباب) أي فلما خرجا وجدا زوجها عند الباب وسماه سيدها لأنه مالك أمرها (قالت ما جئوا من اراد بأهلك سوءا إلا ان يسجن او عذاب اليم) يعني ان المرأة سبقت بالكلام للوركة الذنب على يوسف فقالت لزوجها ليس بجوء من اراد بأهلك خيانة إلا أن يسجن أو أن يضرب بالسياط ضربا وجيعا عن ابن عباس قالوا ولو صدق جهل لم تغفل ذلك ولا ترتاعل قسها ولكن خيها إياه كان شهوة (قال هي داودتي عن قسي) لما ذكرت المرأة ذلك لم يجد يوسف بدا من تنزيه نفسه بالصدق ولو كفت عن الكذب عليه لكف عليه السلام عن الصدق عليها فقال هي التي طالبتني بالسوء الذي نسيته اليه (وشهد شاهد من أهلها) قال ابن عباس وسعيد ابن جبير انه صبي سلف للهد وقيل كان الصبي ابن اخت زليخا وهو ابن ثلاثة أشهر وروي عن ابن عباس أنبأني رواية أخرى وفن الحسن وقادة وعكرمة انه شهد رجل حكيم من أهلها بجريرة يوسف واختاره الجاني قال لو كان طفلا لكان قوله مبيها لا يحتاج منه إلى البيان وقيل كان الرجل ابن عم زليخا وكان جالسا مع زوجها عند الباب عن السدي (ان كان قيصة قد) أي شق (من قبل فصدقت) المرأة (وهو من الكاذبين) فيما قال يعني يوسف لأنه كان هو القاصد وهي الدافعة (وإن كان قيصة قد من دير) أي من خلف (فكذبت) المرأة (وهو) أي يوسف (من الصادقين) لأنه المارب وهي السالفة وهذا امر ظاهر واستدلال صحيح (فلما رأى قيصة قد من دير) أي فلما رأى زوجها قيصة يوسف شق من خلف عرف خيانة المرأة (فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) وقيل هو من قول الشاهد وإنما وصف كيدكن بالمطم لأنها حين فاجأت زوجها عند الباب لم يدخلها حشش ولم تتعبر في امرها ووركت الذنب على يوسف (ع) ولأن قليل حيل النساء اسبق إلى قلوب الرجال من كثير حيل الرجال (يوسف اعرض عن هذا) يعني ان الشاهد قال ليوسف يا يوسف اسك عن هذا الحديث أي عن ذكرها حتى لا يفتش في البلد عن ابن عباس وقيل وإنما قاله زوجها وقيل معناه لا تلتفت يا يوسف إلى هذا الحديث ولا تذكره على سبيل طلب البراءة فقد ظهرت براءتك عن أبي مسلم والجاني ثم اقبل على زليخا فقال (واستعري للذنب) أي سلى زوجك لا لا سابقك على ذنبك (انك كبت من الخاطئين) أي من اللذين وقيل انه لم يكن غيورا عليه الله الغيرة لعلقا منه يوسف حتى كفى شره ولذلك قال ليوسف اعرض عن هذا واتعصر على هذا القدر وقيل معناه استعري الله من ذنبك وتولي اليه فإن الذنب كان منك لامن يوسف فلم يهمل كانوا يمدون الله تعالى مع عبادتهم الأصنام

قوله تعالى (٣٠) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًا إِنَّا نَنْتَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣١) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُكْبَرًا

وَأَنفِ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ مَكَانًا وَقَالَ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣٢) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٣) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٤) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ

من بعد ما رَأَوْا آيَاتِ لَيْسَتْنَهُ حَتَّى حَيْثُ سِتْ آيَاتِ

﴿ القراءة ﴾

روي عن علي (ع) وعن علي بن الحسين وعبد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعن الحسن بن مخلاف ونوح بن يسمع
وتادة بن مخلاف ومجاهد بن مخلاف وابن عجمين قد شهبوا بالعين وروي عن أبي جعفر متكا بن ميمر ممشد التاء والباقون
متكلاً بالهمز والتشديد وروي في الشواذ قراءة بمجاهد متكا خفيفة ساكنة التاء وروي ذلك عن ابن عباس وقرأ
ابو عمر وحاشي لله والباقون حاش لله وروي عن ابن مسعود وأبي بن كعب حاش الله وعن الحسن حاش الألف
وفي رواية أخرى عنه حاش لله يسكون الشين وقرأ يعقوب وحده السين إصب إلى يفتح السين والباقون بكسرها

❖ ❖ ❖

قال الزجاج معنى شغفها بالعين ذهب بها كل منهب مشتق من شغفات الجبال أي وؤوس الجبال يقال فلان مشغوف بكلمة أي قد ذهب به الحب أقصى للذهاب وقال ابن جني معناه وصل حبه إلى قلبها فكأن يحرقه لشدته وأصله من البحر بهذا القطران تنصل حرارة ذلك إلى قلبه قال امرؤ القيس

لتقتلني وقد شعفت فوادها كما شحف المهنوءة الرجل الطالبي

وأما القراءة المشهورة شتمها بالعين فمعناه انه خرق شفاف قلبها وهو غلافه فوصل إلى قلبها وأما المشكاة فهو ما يشكك عليه لطعام أو شراب أو حديث واصله موكبا منتقل من وكات مثل مؤتون من الوزن وأمان قرأ متكا فيحوز ان يكون منتقلا من قوله

إذا شرب المرصّة قال اوکی علی ما فی معائنک قدرونا

يقال لو كيت السقا إذا شدته وأما مشكاً فإنهم قالوا المتك الاترج وأحدته مشكة وقيل هو الزمور وما حجة أبي عمرو في قوله حاشي لله فنقول الشاعر

حاشي ابي ثوبان ان به ضنا عن المصلحة والشم

وقال أبو علي لا يخلو قولهم حاش لله من أن يكون الحرف الجار في الاستثناء كما ذكرناه في البيت أو فاعلا من قولهم حاش بيحاشي ولا يميز أن يكون حرف الجار لأن حرف الجر لا يدخل على مثله ولا الحرف لا يندفع إذا لم يكن فيها تضعيف فإذا بطل ذلك ثبت أنها فاعل مأخوذ من المشاء النسبي هو التابعة والمخني أنه صار في حشاه أي سعى ناحية عما قدف به وفاعله يوسف والمخني بعد عن هذا الذي روي به - **هـ** أي تخوفه من الله ومراقبته أمره ومن حذف الألف فكما حذف من لم يك ولا أدر وإذا أريد به حرف الجر يقال حاشا وحاش وحشا ثلاث لغات قال الشاعر

حشار هط النبي فإن فيهم
وأمان قرأ حاش الله فلي أصل اللفظ يكون حرف جر كجاء في البيت «حاشي أبي نوبان» وأما حاش الإكره
فمحذوف من حاشا تقييماً وهو كقولك حاش الميود ومنه قول الشاعر

لن الإله وزوجها معها هند المنود طويلة النعل
وأما حاش الله فمضغ لا لقاء الساكنين فيه ولا مسكن الشين بعد حذف الألف ولا موجب لذلك وأمان
فتح السين من السجى فبسطه مصدرًا ومعناه إن أسجى أحب إلي ومن كسر فلي اسم المكان والبعثي تقول
السجى أحب إلي

❖ اللفظ ❖

العزيز المضع يقدسه عن أن يضم فيه امرء وسى يذك لأنه كان ملكاً ممتعاً بملكه واتساع مقدسه
وقال أبو داود

درة غاص عليها تلجر جلبت عند عزيز يوم ظل
والنقى الغلام الشاب والمرأة فتاة قال أبو سلم والزوجاج وتسمى العرب البديقي والمكر التسلب الجلية إلى
ما يراد من الطيلة وجارية محكومة السابقين أبيه مقولة السابقين وأخذت مأخوذة من التاد وبطلة أخذت والمكنا
الوسادة وهو التمرق النسب بكذا عليه وقيل هو الاترج وأنكر ذلك أبو عبيدة قال ولا يمتنع أن يقال قد
كان في ذلك المجلس فواكه واترج فلما إن يعرف ذلك من هذا القول فلا والأكبار الاعظام والاجلال وقال
قوم سعى أكبرته الهن حفن حين رأينه وأنشدوا قول الشاعر

يأتي النساء على أطهارهن ولا يأتى النساء إذا كبرن أكبارا
وأنكر ذلك أبو عبيدة وقال لا تعرف ذلك في اللفظ ولكنه يجوز أن يكن قد حفن من شدة اعظامهن
إياه والبيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر والسجى المنع عن التصرف بالهيس سجن بسجن سجنًا والاعتصام
الامتناع عن طلب المصيبة والاستصمام طلب المصمة من الله تعالى والصاغرين من الصغار حفر يصغر صغاراً وهو
الذل والموان والصبارقة القلب يقال صبا يصوب صبا فهو صاب قال

إلى هند صبا قلبي وهند مثلها بصبي

وقال

صبا صبوة بل لج وهو لجوج وزالت له بالانعين خدوج

❖ الأعراب ❖

وقال نسوة إنما حذف فيه حرف التأنيث لأنه تأنيث جمع وتأنيث الجمع تأنيث لفظ يطل تأنيث للمضى لأنه
لا يجمع فيه اسم واحد تأنيثان وكذلك يطل تذكير للمضى في رجال وإذا صار كذلك جاز فيه الحمل على
اللفظ والحمل على المعنى فيؤنث ويذكر وقوله ما هذا بشراً نصب بشراً على منحن أهل الحجاز في أعمال ما عمل
ليس في رفع الاسم ونصب الخبر فأما جويم فلا يعملونها قال

لشنان ما أنوي وينوي بنو أبي جميعاً فما هذان مستويان

تمنوا لي الموت الذي يشعب الفتى وكل فتى والموت يلتقيان

ودوي عن الحسن أنه قرأ ما هذا بشراي أي ليس هو بملوك وهو شاذ ولكن كن الخطيئ لا للضمير فلا

موضع له من الاعراب والاسم ذا وهو في موضع رفع على الابتداء والذي لمتني فيه موصول وصلة في موضع خبره وليكون من الصاغرين هذه التورن الخفية التي يتلقى بها القسم وإذا وقت عليها وقتت بالالف تقول وليكونا وهي بجزلة التنوين الذي يوقف عليه بالالف في نحو قولك رأيت رجلاً قال الاعشى

وصل على حين المشايب والضجى ولا تصد الشيطان والله فاعبدوا

اي فاعبدن فأبدل في الوقت من التورن الفاعل بما لم فاعله مصدر مضمر على تقدير بدأ لم بدأ وقد اظهره الشاعر في قوله

ملكك والموعود حق لقاءه بدأ لك من تلك القلوص بدأ

ولا يجوز ان يكون ليسبته في موضع الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلاً

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه شياع هذه القصة فقال (وقال نسوة في المدينة) اي جماعة من النساء في المصر الذي كان فيه الملك وزوجته ويوسف (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) اي امرأة العزيز تدعو ملوكها إلى نفسها ليفتن بها (قد شغفها حباً) أي أحبت حباً دخل شغاف قلبها (انا لئراها في ضلال مبين) أي في خطأ بين ودخاب عن طريق الرشد بدعائها ملوكها إلى التجرورها قال الكلبي من اربع نسوة امرأة ساقى الملك وامراً الخيزر وامراً صاحب الدواب وامراً صاحب السجن وقال مقاتل كثر خمساً وزاد امرأة الحالب (فلما سمعت بمكرهن) اي لما سمعت المرأة بمصيرهن إيهابها وقصدن إشاعة امرها وساء مكرهاً لأن قصدن من هذا القول كان ان تزيين يوسف لما وصف لمن من حسنه فتألف ظاهر الكلام باطنه فسمي ذلك مكرهاً وقيل لأنها انقضت لهن حبها إياه واستكتمتهن ذلك فأظهرته فسمي ذلك مكرهاً (ارسلت اليهن) فاستضافتهن قال وهب انقضت مأدبة ودعت اربعمهن امرأة منهن (واعدت لمن متكأ) اي واعدت لمن وسائد يتكئ عليها من ابن عباس والانساء الميل إلى احد الشقين وقيل اراد بقوله متكأ الطعام من قول العرب اتكأنا عند فلان اي اطعمنا عنده وأصله ان من دعي إلى طعام يمد له المتكأ فيسمى الطعام متكأ على الاستعارة وقال الضحاك كان ذلك الطعام الزاورد وقال عكرمة هو كل ما يهين بالسكين لانه يؤكل في الغالب على متكأ وقال سعيد بن جبير انه كل طعام وشراب على عمومه وبه قال الحسن واما الملك فقد قيل فيه انه الاترج على ما تقدم يانه وقال السدي بل هو المجلس وكل شيء يهين بالسكين يقال له متكأ (وأتت كل واحدة منهن مكسبة) اي واعطت كل واحدة من تلك النسوة مكسبة لقطع به الفواكه والاترج على ما هو الماده بين الناس (وقالت اخروج عليهن) اي وقالت امرأة الملك ليوسف (ع) وكانت قد اجلسته غير مجلسهن فأمرته بالخروج عليهن في حياته اما للخدمة واما للسلام او ليرينه لم يكن يتبعاً له ان لا يخرج لانه بجزلة المبدأ عن الزواج (فلما رأته أكبرنه) اي اعظمته وتجرن في جماله إذ كان كالقمر ليله البدر (وقطن ايديهن) بذلك السكاكين على جهة الخطأ يدل قطع الثوراكه فما احسن إلا بالدمولم يجدن الم القطع لاشغال قلوبهن يوسف (ع) عن مجاهد والمعنى جرحن ايديهن وهذا مستعمل في الكلام تقول الرجل قد قطعت يدي تريد قد خدشتها وقيل انهن اين ايديهن حتى التيقن عن قتاده (وقل حاشي لله) وحاشي لله اي صار يوسف في حشا اي عاجية مما قذف به اي لم يلاسه والمعنى بعد يوسف عن هذا الذي رمي به الله اي تحرفه ومراقبته امر الله هذا قول اكثر المفسرين قالوا هذا تنزيه يوسف عما رمته به امرأة العزيز وقال آخرون هذا تنزيه له من شبه البشر لفرط جماله ويدل على هذا سياق الآية (ما هذا بشراً ان هذا إلا ملك كريم) أي رفع الله منزله عن منزلة البشر فتمرد بالله ان تقول انه بشر ومناه انه منزه ان يكون بشراً وليس صورته صورة البشر ولا خلفته خلقه البشر ولكنه ملك كريم لحبسه ولطافته وروي عن ابني سعيد الخدري قال

سمعت رسول الله ﷺ وهو يصف يوسف حين رآه في الساء الثانية رأيت رجلا صورته صورة القمر ليلة البدر قلت يا جبريل من هذا قال هذا اخوك يوسف وقيل مناه ليس هذا إلا ملك كريم في عتقه قال الجبائي وهذا يدل على ان الملك افضل من بني آدم لأنهم ذكروا من هو في نهاية الفضل ولم ينكر الله تعالى ذلك عليهم وهذا من ريك الاستدلال لأنه سبحانه انما حكى عن النساء اعظامهن ليوسف حين رأين جماله وبهده عن البوه فبينهن بالملك ولم يقصدن كثرة الثواب الذي هو حقيقة الفضل وانما لم ينكره سبحانه عليهن لأنه علم انهن لم يقصدن في تكليهن ماحله عليه الجبائي على ان الظاهر يقتضي انهن تعين ان يكون يوسف من البشر وقطعن على انه ملك وهذا كذب ولم ينكره الله سبحانه عليهن لما علم من انهن بقصدن بذلك تشبیه حاله بحال الملائكة (قالت) امرأة العزيز النسوة التي عذلتها على حبها ليوسف (فذلكم الذي لمتني فيه) اي هذا هو ذلك الذي لمتني في امره وفي حبه وشغفي به جعلت اعظامهن إياه عذراً لما ولعنني هذا الذي اصابكن فيه وروى عن قواحدة ما اصابكن من ذهاب العقل فكيف عذلتني في حي إياه وأنا أنظر اليه آتاء ليلى ونهارى ثم اعترفت ببراءة يوسف وأقرت على نفسها فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع عنه وقيل معاناً امتنع بالله وسأله العصمة من فعل الصحيح وفي هذا دلالة على ان يوسف لم يقع منه قبح ثم توعدته بإيقاع المكروه به ان لم يطعها فيما تدعوه اليه فقالت (ولئن لم يفعل ما أمره لسيجنن وليكونا من الصاغرين) أي وان لم يجبي إلى ما أدعوه اليه ليجس في السجن وليكون من الأذلاء فلما رأى يوسف اصرارها على ذلك وتهديدها له اختار السجن على المعصية (فقال رب السجن احب إليّ مما يدعونني اليه) مناه يا رب ان السجن احب إليّ واسهل عليّ مما يدعونني اليه من الفاحشة وفي هذا دلالة على ان النسوة دعوته إلى مثل ما دعت به المرأة العزيز وفي حديث أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام ان النسوة لما غربن من عندها ارسلت كل واحدة منهن إلى يوسف صراً من صاحبته تسأله الزيارة وتقول انهن قلن له اطع مولتك واقض حاجتها فانها المظلومة وانت ظالم وتقول انهن لما رأين يوسف استأذن المرأة العزيز بأن تخلو كل واحدة منهن به وتدعوه إلى ما ارادته منه إلى طاعتها فلما خلون به دعت كل واحدة منهن إلى نفسها فلذلك قال ما يدعونني اليه وسأله فيقال كيف قال يوسف السجن احب إليّ مما يدعونني اليه ولا يجوز ان يراد السجن الذي هو المكان وان عني به السجن الذي هو المصدر فان السجن معصية كما ان مادعونه اليه معصية فلا يجوز ان يريد فالجواب انه لم ير المحبة التي هي الارادة وانما اراد ان ذلك اخف علي واسهل ووجه آخر ان المعنى لو كان مما اریده لكان ارادتي له اشد وقيل ان معناه توطيئ النفس على السجن احب إليّ من توطيئ النفس على الزنا عن أبي الجبائي (وإلا تصرف عني كيدهن) بألفاظك لأن كيدهن قد وقع وحصل (اصباحهن) امل اليهن او إلى قولن بهوي والصبوة لطفة الهوى (واكن من الجاهلین) اي المستحقين لسفك الدم بالجمل وقيل معناه اكن بمنزلة الجاهلین في فعلی (فاستجاب له ربه فنصره عنه كيدهن) اي فأجاب له ربه فيما دعاه فقصه من مكروهن فان قيل ما معنى سؤال يوسف اللطف من الله وهو عالم بأن الله ينصه لا محالة فالجواب انه يجوز ان تتعلق المسلمة بالالطاف عند الدعاء المجدد متى قيل كيف علم انه لو لا اللطف لرب الفاحشة وإذا وجد اللطف امتنع قلنا لا وجد في نفسه من الشهوة وعلم انه لو لا لطف الله لارتكب التبعي وعلم ان الله سبحانه يصمم انبياءه بالالطاف وان من لا يكون له لطف لا يبش الله نيكاً قال الجبائي في الآية جلالة على جواز الدعاء بما يعلم الله تعالى انه يكون لأن يوسف كان عالماً بأنه ان كان له لطف فلا بد ان يكون الله ينصه ذلك به وسمع هذا سأله ذلك ولا تدل الآية على ما قاله لا فلتاه من انه يجوز ان يكون سألته لتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء ولو لم يدع لم يكن ذلك لطفاً فما سأل إلا ما يجوز ان لا يكون لو لم يدع (انه هو المسيح السلام) اي المسيح لدعاء الداعي العلم بالخلاص في دعائه وما يصلحه من الإجابة او يقصده (ثم بنا لهم) اي ظهر لهم (من

بعد ما رأوا الآيات (وقال لم يقل لمن مع تقدم ذكر النسوة لأنه أراد به الملك وقيل أراد به زليخا واهوا فقلب
للمذكر وأراد بالآيات العلامات الدالة على براءة يوسف وهي قد القمص من دبره وجز الأيدي عن قتادة وغيره
وقيل يريد بالآيات العلامات الدالة على الأياس منه وقوله بدأ فاعله مضمرة وتقديره ثم بدأ لم يبدأ (ليسجنه
حتى حين) ودل ليسجنه عليه فإن السجن هو الذي بدأ لهم قال السدي وذلك أن المرأة قالت لزوجهما إن هذا
الميد قد فضحي في الناس من حيث أنه يجبرهم في روايته عن قسه ولست اطيعن إن أخذت يدي فلما إن تأذن
لي فأخرج وأخذت وإما أن تحبس كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته وقيل إن الغرض من الحبس أن يظهر للناس
أن الذنب كان له لأنه إنما يحبس المجرم وقيل كان الحبس قريبا منها فأرادت أن يكون يقرها حتى إذا شرفت
عليه رآته وقوله حتى حين قيل إلى سبع سنين عن عكرمة وقيل إلى خمس سنين عن الكلبي وقيل إلى وقت ينسى
حديث المرأة معه وينقطع فيه عن الناس خبره عن الجبائي

قوله تعالى (٣٦) وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ
الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْحُسَيْنِ
(٣٧) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا
عَلَّمْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٣٨) وَأَتَيْتُ مَلَّةَ
آبَائِي مِنْ إِزْرَاهِمُ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا
وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ثلاث آيات

الفئة

قال الزجاج كانوا يسمون المملوك في فتيان أن يكون الفتيان حديق أو شيعين وقال غيره يقال
للميد في اللامعة فتاة وفي الحديث لا يقولن أحدكم عهدي وامي ولكن فتاي وفتاتي والتأويل الخبر عما حضر بما
يؤول إليه أمره فيها غلب ولذلك قال قبل أن يأتيكما تأويل القرآن ما يؤول إليه من المعنى أي يرجع إليه والتعليم
تعلم الدلالة المؤدية إلى العلم بالمعنى وقد يكون الإعلام بالمعنى في القلب والانتفاع: الانتفاع وهو طلب
المنافع بالأول

الاعراب

ثم الثانية دخلت للتوكيد لأنه لما دخل بينهما قوله بالآخرة صارت الأولى كاللغة وصار الاعتماد على الثانية
كما قال وهم بالآخرة هم يوقنون وكما قال ايعذبكم أنكم إذا شتم وكشتم تريا وعظما أنكم محرجون

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال يوسف (ع) في الحبس فقال (ودخل معه السجن فتيان) والتقدير فسجن يوسف
ودخل معه السجن فتيان أي شابان حدثان وقيل انهما علو كان الملك مصر الأكبر واسمه وليد بن ريان وكان
احدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه فتى إليه أن صاحب طعامه يريد أن يسمه وظن أن الآخر ساعده
على ذلك ممالأه عليه عن قتادة والسدي (قال احدهما إنني أرا في أعصر خمرًا) هو من رؤيا المنام كان يوسف (ع)
لما دخل السجن قال لأهله إنني أرى رؤيا فقال أحد البدين لصاحبه حلم فلتجربه فسألاه من غير أن يكونا رأيا
شيتا عن ابن مسعود وقيل بل رؤياهما على صحة وحقيقة ولكنهما كذبا في الانتكار عن مجاهد الجبائي وقيل إن

المصلوب منها كان كاذبا والآخر صادقا عن أبي مجلز ورواه علي بن إبراهيم أيضا في تفسيره عنهم (ع) والمعلق قال أحدهما وهو الساقى رأيت أصل حيلة عليها ثلاثة عقائد من عب فنجيتها وعصرتها سيف كأس الملك وسبقته إياها وتقديره عصر عب خمر أي النخب الذي يكون عصيره خمرأ تحذف المضاف قال الزجاج وابن الأثير العرب تسمى الشيء باسم ما يؤول إليه إذا وضع للمني ولم يلبس يقولون فلان يطبخ الأجر ويطبخ الدبس وإنا يطبخ اللبن والعصير وقال قوم إن بعض العرب يسون اللبن خمرأ حكى الأصمعي عن المشورين سليمان أنه لقي امرأته ما عب عب قتال له ما ملك قال خمر وهو قول الضحاك فيكون معناه أني عصر عبأ وروي في قراءة عبد الله والي جيبا أني رأيتني عصر عبأ (وقال الآخر أني أرايتني أهل فوق رأسي خبزأ تأكل الطير منه) معناه وقال صاحب الطلم أني رأيتني كان فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنمش منه (نبينا بتأويله) أي أنخبرنا بتعبيره وما يؤول إليه امره (أنا نراك من المحسنين كما يقول الأحناف والأفغان الجليسة قال الضحاك كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع له وإن احتاج جمع له وإن مرض قام عليه وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقال الزجاج جاء في التفسير أنه كان يمين المظلوم وينصر الضعيف ويعود الطليل قال وقيل من المحسنين أي ممن يحسن تأويل الروايات قال وهذا دليل على أن أمر الروايات صحيح وأنها لم تزل في الأمم السابقة وفي الحديث أن الروايات جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وتأويله أن الأنبياء يجيرون بما سيكروا والروايات قدل على ما سيكروا فيكون المعنى في الآية أنا نملكك أو نملكك من يعرف تسمية الروايات ومن ذلك قول المزمع (ع) قيمة كل امرئ ما يحسنه وقال أبو مسلم نراك من المحسنين البنا أن فسرت لنا الروايات وهو قول ابن أبي اسحاق ثم ذكر لها يوسف (ع) ما يدل على أنه عالم بتفسير الروايات (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) في تمامكما (إلا نباتكما بتأويله) في القطة (قبل أن يأتيكما) التأويل وذلك أنه كره أن يجيها بالتأويل لما على أحدها فيه من البلاء فأعرض من سؤالها وأخذ في غيره من السدي وابن اسحق وقيل أنه لما قدم هذا ليعلم ما خصه الله تعالى به من النبوة وليبلا عنه فقال لا يأتيكما طعام من مزلكما إلا أخبركما بصفة ذلك الطعام وكيف قبل أن يأتيكما كما قال موسى بن مريم (ع) وأنشيكما بما تأكلون وما تدشرون في بيوتكم من الحنن والحيالي (فذلكما مما علمني ربّي) كأنهما قالوا له كيف عرفت تأويل الروايات ولست بكنهن ولا عراف فأخبرهما أنه رسول الله وأنه تعالى علمه ذلك وتعلمه تعالى قد يكون بأن يفعل العلم في قلبه وقد يكون بالوحي وقد يكون بنصب الالة التي يدرك بها العلم (أنني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) معناه أنه لا يستحق هذه الرتبة الخطيرة إلا المؤمنون المخلصون وأنني تركت طريقة قوم لا يؤمنون فلذلك خصني الله بهذه الكرامة (واتبع ملة آباي) أي شريعة آباي (إبراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) أي لا ينبغي لنا ونحن مدد النبوة وأهل بيت الرسالة أن ندين بغير التوحيد (ذلك) أي التمسك بالتوحيد والبراءة من الشرك وقيل النبوة والعلم (من فضل الله علينا) بأن خصنا بها وعلى الناس أيضا لرسالتنا اليوم وإتباعهم إنا واهتداهم بنا (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) نعم الله تعالى وقد كان يوسف (ع) قويا بينهم زمانا ولم يحل الله سبحانه أنه دعا إلى الدين وكثروا يبدون الأحنام لأنه لم يطع منهم في الاستماع والقبول فلبا رآهم عارفين بمرحلتهم مقلبين عليه دجا منهم التبول منه فدعاهم إلى التوحيد على ما أمر الله سبحانه له في قوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقد روي أن صاحبي السجن قالوا له لقد احببتك حين رأيناك فقال لا تحباني فوالله ما احبني أحد الا دخل علي من حبه بلاء احببني معني فحببت إلى السرة واحببني اني فاقببت في الجبهه احببني امرأة الغزى فاقببت في السجن

قوله تعالى (٣٩) يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤٠)

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤١)
 يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْفِي رُبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَنَّا كُلُّ الْغُلَامِ مِنْ رَأْسِهِ
 قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤٢) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ
 فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ أَرْبَعُ آيَاتٍ

❦ الفقه ❦

الصاحب الملامم لتبره على وجه الاختصاص وهو خلاف ملازمة الاتصال ومنه اصحاب الشافعي واصحاب ابني حنيفة واصحاب النبي ﷺ للاختصاص له وكونهم معه في حروبه وصاحب السجن هما الملاممان له بالكون فيه والقيم للقيم واصله من قام بقرم والاستثناء طلب الثبوت والبضع القطعة من الدهر واصله من القطع والبضعة القطعة من اللحم ومنه الحديث قاطمة بضعة مني يؤذي من أكلها
 — (المعنى) —

(يا صاحبي السجن) هذا حكايته ليه يوسف المستفتين له عن تأويل رؤياها اي يلامزمي السجن (أرباب متفرقون خيرام الله الواحد القهار) اي آملاك متباينون من حير وعجب لا تضر ولا تنفع خيلن بمداهم الله الرائد القهار الذي اليه الخير والشر والنعم والضر وهذا ظاهره الاستفهام والمراد به التقرير والزام الحبس والقاهر هو القادر الذي لا يفتن عليه شيء (ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) ابتداء بخطاب اثنين ثم خاطب بلفظ الجمع لأنه قصد جميع من هو في مثل حالهما وقيل انه خطاب لجميع من في الحبس ومعناه ان هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله وسميتموها بأسماء يعني الارباب والآلهة هي اسما فارغة من المعاني لا حقيقة لها ما انزل الله من حجة بعبادتها (ان الحكم الا لله) اي ما الحكم والامر الا لله فلا يجوز العبادة والخضوع والتذلل الا لله (أمران لا تعبدوا الاياه) اي وقد أمرم ان لا تعبدوا غيره (ذلك) اي ذلك الذي بينت لكم من توحيد وعبادته وترك عبادة غيره (الدين القيم) اي الدين المستقيم الذي لا راجع فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قال ابن عباس ما للمطيعين من التوب والمغفرة من العقاب وقيل لا يعلمون صحة ما أقوله لعدو لهم من النظر والاستدلال ثم عبر (ع) رؤياها فقال (يا صاحبي السجن أما احدكما فسقي ربه خمرًا) بدأ بما هو الأعم وهو الدماء الى توحيد الله وعبادته واطار معجزته ثم بشي رؤيا الساقى فروي انه قال أما العاقبة الثلاثة فلزنا ثلاثة لئلا يبقى في السجن ثم يخرجك الملك اليوم الرابع وتعد الى ما كنت عليه واجر على مالكه صفة الرب لأنه عبده فأضافه اليه كما يقال رب الدار ورب الضيعة (وأما الآخر فيصلب فنأ كل الطير من رأسه) يريد بالآخر صاحب الطعام روي انه قال بشي ما رأيت أما السلال الثلاث فلزنا ثلاثة أيام بقي في السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك فنأ كل الطير من رأسك فقال عند ذلك ما رأيت شيئا وكنت الب قال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) اي فرغ من الأمر الذي تسألان وتطلبان سمرته وما قتله لكما قاله نأزلبكما وهو كائن لا مسألة وفي هذا دلالة على انه كان يقول ذلك على جهة الاخبار من النبي بآيوى الى لا كما يبر احدنا الرؤيا على جهة التأويل (وقال) يوسف (الذي ظن انه ناج منها) معناه والذي علم من طريق الوحي انه ناج اي متخلص كما في قوله تعالى إني ظننت اني ملائح حاسيه هذا قول الأكثرين واختيار الجاهلي وقال قتادة الذي ظنه ناجيا لأنه لم يحكم بصدقه فبنا قصه من الرؤيا والأول اصح (أذكرني هندريك) اي أذكرني عند سيدك يا بني

محروس ظالم) فأنا الشيطان ذكر ربه) يعني اتى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى في تلك الحال حتى استنثا
بمخلوق فالتبس من التاجي منها ان يذكره عند سيده وكان من حقه ان يتوكل في ذلك على الله سبحانه (فلبث
في السجن بضع سنين) اي سبع سنين عن ابن عباس وروي ذلك عن علي بن الحسين (ع) والى عبد الله (ع) وقيل
معناه فأنسى الشيطان الساتي ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث في السجن من الحسن ومحمد بن اسحاق
والجاني والى مسلم وعلى هذا فتعديره فأنا الشيطان ذكر يوسف عند ربه وقدرى عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه
قال حببت من ابي يوسف (ع) كيف استنثا بالمخلوق دون الخالق وروي انه (ع) قال اولاً كلمته ما لبث في
السجن طول ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال انا اذا نزل بنا امر فرعنا الى الناس
وروي عن ابي عبد الله (ع) قال جاء جبرائيل (ع) فقال يا يوسف من جعلك احسن الناس قال في قال من جعلك
الى ابيك دون اخوانك قال ربي قال فمن ساق اليك السيرة قال ربي قال فمن صرف عنك المجادة قال ربي
قال فمن انقذك من الجب قال ربي قال فمن صرف عنك كيد النسوة قال ربي قال فون ربك يقول ما دعاك الى
ان تنزل حائك بمخلوق دوني البث في السجن يا قلت بضع سنين وعنه في رواية اخرى قال فبكى يوسف عند
ذلك حتى بكى لبيكاه الحيطان فتأذى ببيكاه اهل السجن فصالحهم على ان يسكني يوماً ويسكت يوماً فكان
في اليوم الذي يسكت اسوء حالا والقول في ذلك ان الاستانة بالعباد في دفع المضار والتخلص من المكارجات
غير منكرو ولا تجب بل ربا يجب ذلك وكان نبينا (صلى الله عليه وآله) يستعين فيما ينوبه بالمجاهرين والانصار وغيرهم ولو
كان قبيحاً لم يقطع فلو صحت هذه الروايات فافاً عوتب يوسف عليه السلام في ترك عاداته الجيدة في الصبر والتوكل
على الله سبحانه في كل اموره دون غيره وقتام ابتلاء وتشديداً واتما كان يكون قبيحاً لو ترك التوكل على الله
سبحانه واقتصر على غيره وفي هذا ترغيب في الاعتصام بالله تعالى والاستانة بهدون غيره عند نزول الشدائد وان
جاز ايضاً ان يستأن بغيره واختلف في البضع فقال بعضهم البضع ما بين الثلاث الى الخمس عن ابي حنيفة وقيل الى السبع
من قطرب وقيل الى التسع من الاصمعي ذكره الزجاج وقول قطرب مروي عن مجاهد وقول الاصمعي مروي عن
قائدة وقال ابن عباس هو ما دون الثرة واكثر المفسرين على ان البضع في الآية سبع سنين قال الكلبي وعنه
السبع سوى الخمسة التي كانت قبل ذلك وروي عن ابي عبد الله (ع) قال علم جبرائيل (ع) يوسف في حبسه قال
قل في دبر كل صلاة فريضة اللهم اجعل لي فرجاً ومفرجاً وادقني من حيث احسب ومن حيث لا احسب وروي شبيب
القرظي عنه (ع) قال لا انقضت المدة واذن له في دعاء الفرج وضع يده على الأرض ثم قال اللهم ان كانت
ذنوبي قد اخلقت وجعبي منك فاني اتوجه اليك بوجه آبائي الصالحين ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
فرج الله عنه قال قتلته لم جعلت فداك اتمو نعم بهذا الدعاء فقال ادعوا بجملة اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت
منك وجعبي فاني اتوجه اليك بوجه نبيك نبي الرحمة علي وفاطمة والحسن والحسين والآمنة عليهم السلام
قوله تعالى (٤٣) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ
سِنَابِلٍ خُضِرٍ وَأَخْرَى بِأَسَافٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٤)
قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٥) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ
أَمْرٍ أَنَا أَنْتَ لَكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٦) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ
يَأْكُلُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعِ سِنَابِلٍ خُضِرٍ وَأَخْرَى بِأَسَافٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَعْلَمُونَ (٤٧) قَالَ زُرْعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَا بَا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُونِي فِي سَنَةٍ إِلَّا قَلِيلًا مَّا تَأْكُلُونَ

(٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُرُونَ (٤٩) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ سبع آيات

(- القراءة -)

قرأ حصص دأباً بفتح الهزة والباقون يسكنونها وقرأ يصرون باتاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن عمر بخلاف والضحاك وقتادة وزيد بن علي (ع) وادكر بعد امه بالياء وقراءة الاشهب القبطي بعد امه بكسر الهزة وقرأ جعفر بن محمد عليها السلام وسبع سنابل وقرأ ايضاً ما قرأتم وقرأ هو والاهرج ويعسى بن عمر وفيه يصرون بياء مضموه وصاد مفتوحة

(- الحجة -)

قال ابو علي انتصب دأباً بجادل عليه ترعون وفيه علاج ودووب فكانه قال تدميون فانتصب دأباً به بالاضمر ولعل التثنية فيه فيكون كشعم وشعم ونهر ونهر ويصرون يجمل امرين احدهما ان يكون من العصر الذي يراد به الضغط الذي يلحق ما فيه دهن او ماء نحو الزيتون والسسم والنب ليخرج ذلك منه وهذا يمكن ان يكون تأويل الآية عليه لأن من المتأولين من يحكي انهم لم يصروا اربع عشر سنة زبناً ولا عنباً فيكون للمعنى تصرون للخبب الذي اتاكم كما كنتم تصرون ابام الخصب من قبل الجلب الذي دفنتم اليه ويكون يصرون من العصر الذي هو الالتجاء الى ما يقدر به من النجاة قال ابن مقبل

وصاحبي قهوة مستوهل زعل
يحول بين حمار الوحش والعصر
اي يحول بينه وبين الملبأ الذي يقدر به النجاة وقال ابو زيد الطائي
صاحداً يستفتي غير مناث
ولقد كان عصرة المنجود
قال ابو عبيدة يصرون ينحون وانشد لابيد

فبات واسرى القوم آخر ليلهم
وما كان وقافاً بدار معصر
فأما من قال يصرون بالياء فانه جبل القاطعين الناس لأن ذكرهم قد تقدم ومن قرأ باتاء وجه الخطاب الى المستثنين الذين قالوا اقتنا ويجوز ان يريدهم وغيرهم الا انه غلب الخطاب على التثنية كما ينقلب التذكير على التأنيث واما الآمة فمر السنيان يقال أمه يأمة اذا نسي انشد ابو عبيدة

امهت وكنت لا انسى حديثاً
كذلك الدهر يوذى بالعقول
والآمة النعمة فيكون المراد بعد ان انعم عليه بالنجاة واما يصرون بضم الياء فيجوز ان يكون من العصرة والعصر للنجاة ويجوز ان يكون من صرعت السطحية ماءها عليهم وفي كتاب علي بن ابراهيم عن ابي عبد الله (ع) قال قرأ رجل على امير المؤمنين علي (ع) هذه الآية فقال يصرون بالياء وكسر الصاد فقال ويحك واي شيء يصيرون اميصرون الحمر فقال الرجل يا امير المؤمنين فكيف اقرأها قال عام فيه يغاث الناس وفيه يصرون مضموه الياء مفتوحة الصاد اي يطرون بعد سني المجاعة ويدل عليه قوله واتزلنا من المعصرات ماء حجاجاً

❦ الآية ❦

الملك التتاد الواسع المقدور الذي اليه السياسة والتدبير والرويا ما يراه النائم ويرجم الى الامة فاما يكون علي وجهه منها ما يكون من الله تعالى وملائكته وهو الذي له تبيين وتأويل ومنها ما يكون من الشيطان ولا تأويل له ومنها ما يكون من جهة النائم واعتقاداته او يكون بقية اعتقاد كان اعتقده والضعف ذهاب السن

والذكر اعجب والاثني معناه وجهها عجاف ولا يجمع افضل على فعال الا هذا واليد والتصير تفسير الرويا وهو من عبور النهر ونحوه والاضئان الاحلام المتبسة والضئ الحزمة من كل شيء وقال القمزي الضئ مثل اليد من الحشيش ومنه وخذ بيدك ضئنا اي قبضة والقبض منه اضئت وقيل الضئ خلط قش اللد وهو غير متشاكل ولا متلائم فشبها به تخليط المنام والاحلام جميع حلم وهو الرويا في النوم ويقال حلم يحلم حلما واحلم فهو حلم والحلم بكسر الحاء ضد الطليق وهو الالة وكان اصل حلم النوم مسن هذا لانه حال اناة وسكون وتأويل الرويا تفسير ما يؤول اليه معناه وتأويل كل شيء تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام والادكار افتعال من الذكر واصله اذ تكرر لكن التاء ابدل منها الدال وادغمت الذال في الدال ويحوز اذ كر بالذال ايضا لان الاجود الدال وهو طلب الذكر ونظيره الاستدكار والتذكر والامة الجماعة توم امر والامة المدة وهي الجملة من الحين والصديق الكثير التصديق للمعنى وقيل هو الكثير الصدق وقيل بناء المبانة والكثرة والفتيا الجواب من حكم المعنى وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يكون قويا والزروع التاء البذر في الارض والفتيات ومنه الزاومة بالثاء او الربيع وتسمى المخافة ايضا وهي مأخوذة من فعل اهل خير والدأب العادة يقال دأب يدأب ذأبا ويقال دأب في عمله يدأب دأبا أي اجتهد وادأبه اذا ادأبا ويذر ودع يعني لم يجزئ منها لحظة الماضي استحيى عن ذلك بتركه والشددة والصلابة والصعوبة نظائر وقيل الشدة تكون في سبعة اصناف في القصد والمدة والزمان والغضب والام والشرب والبدن والاحسان مثل الاحراز احسنه احصانا جله في حرز والثوب هو تقع ياتي على شدة حاجة ينفي المضرة ومنه التيث المطر الذي يأتي في وقت الحاجة قال الازهري غاث الله البلاد يثيتها وقد تيمث الارض فهي ميثية وميثوة واليث للكللا يثيت من ماء السماء وجمعه ثيوت واليثات اصله الروا ومنه الثوث وغوث تعوثا اذا قال واغوثه من يثيثي ويثث ويثث ان يكون من الروا ويثث ان يكون من الياء

الاعراب

ان كنتم الرويا تعبرون هذه الام دخلت لتبين المعنى ان كنتم تعبرون ثم بين باللام فقال الرويا عن الزجاج وهذه الام تزداد في المفعول به اذا تقدم على الفعل تقول عبرت الرويا والرويا عبرت وقد جاء مثله في قوله الذين هم لربهم يرهون وقد جاء فيها ليس بمقدم من للمفعول فهو قوله ردف لكم وآخر لا يتصرف لانه صرف عن جهة صوابها التي جاءت بالالف واللام وهذه جاءت بخاصة بغير الف ولا مفعولها خالفت عدلت عن وجهها تقول هذه النسوة الوسط والكبير ولا قول وسط وكبر وتقول نسوة اخر فلا خالفت اخواتها ترك صرفها وموضعها في الآية الراجعة جزء تقديره وفي آخر اخضت احلام تقديره هي اخضت احلام يوسف المراد به هابوسف ويحوز حذف حرف التاء في المتأدى المفرد العلم قول يزيد اقبل وزيد اقبل قال محمد تفند نفسك كل نفس

ويروى قبالا اراد يا محمد

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن عيب نجات يوسف من السجن وهو انه لما قرب الفرج رأى الملك رؤيا هائلة واشكل تصويرها على قومه حتى عبرها يوسف فقال سبحانه (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان) يعني وقال ملك مصر وهو الوليد بن ديان والعزير وزيره فيارواه الا كثرون اني ارى في منامي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع اي سبع بقرات اخر (عجاف) اي مهازيل قد دخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم ار منها شيئا

(وسبع منيلات خضر) اي وارى في منامي سبع منيلات قد اتفقد جهبا (واخر) أي وسبعا آخر (يابسات) قد احصيت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها (يا ايها الملك) اي جمع الاشراف وقيل جمع السحرة والكهنة وقص رؤياه عليهم وقال يا ايها الاشراف او الجماعة (اخوتي في رؤياي) اي عبروا ما رأيت في منامي ويسروا لي الفتوى فيه وهو حكم الحادثة (ان كنتم للرؤيا تبسرون) معناه ان كنتم عابرين للرؤيا وقيل ان اللام تفيد معنى الى اي ان كنتم توجعون السيرة الى الرؤيا (قالوا اخضت احلام) اي هذه اباطيل احلام عن الكلي وقيل تتخاليط احلام عن قتادة والمعنى هذه منامات كاذبة لا يصح تأويلها (وسا نخبت بتأويل الاحلام) التي هذه صفتها (بالمين) وانا نعلم تأويل ما يصح وكان جل الملك بتأويل رؤيا الملك سبب نجاته يوسف لأن الساقى تذكر حديث يوسف فيخا بين يديه وقال يا ايها الملك اني قصصت انا وصاحب الطعام عن رجل في السجن منامين فخير بتأويلهما وصدق في جميع ما وصف فلان اذنت مضيت اليه واتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا فذلك قوله (وقال الذي نجا منها وادكر بعد امة ان انشكم بأويله فارسلون) عن الكلي وقوله واذكر بعد امة معناه تذكر شأن يوسف وما وصاه به بعد حين من الدهر وزمان طويل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وهما حذف بدل الكلام عليه وهو فارسلون الى يوسف فارسل فأتى يوسف في السجن وقال له (يوسف) اي يا يوسف (ايا الصديق) اية الكثير الصديق فيها تخبر به (اقتنا في سبع بقرات سمان) الى قوله (يابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا واشتبه تأويلها (علي ارجع الى الناس) يعني الملك واصحابه والعلماء الذين جمعهم لتفسير رؤياه (لعلهم يعلمون) فضلك وعلبك فيخرجوك من السجن وقيل لعلهم يعرفون تأويل رؤيا الملك قال يوسف في جوابه معبرا ومسلما اما البقرات السبع العجاف والسنايل السبع اليابسات فالسنون الجلبة واما السبع السمان والسنايل السبع الخضر فانهن سبع سنين مخضبات ذوات نعمة واتم زرعهن فيها فذلك قوله (تزرعون سبع سنين دأبا) اي فأزرعوا سبع سنين متوالية عن ابن عباس اي زراعة متوالية في هذه السنين على عادتكهم في الزراعة مائة السنين وقيل دأبا اية يجد واجتهاد في الزراعة ويجوز ان يكون حالا فيكون معناه تزرعون دائبين (فما حصدتم) من الزرع (فدروه) اتركوه (في سنله) لا تدروه ولا تدوسوه (الا قليلا بما تأكلون) ولما امرهم بذلك ليكون ابقي وابعد من الفساد يعني لن ما اردتم اكله فدوسوه واتركوا الباقي في السنبل وقيل انما امرهم بذلك لأن السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وان بقي مدة من الزمان واذا صفى اسرع اليه الهلاك (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) اي سبع سنين مجذبات صماب تشد على الناس (ياكلن ما قدامتم لهن) معناه تأكلن فيها ما قدامتم في السنين المخضبة تلك السنين ولما اخاف الاكل الى السنين لأنه يقع فيها كما قال الشاعر

نهارك يا مغرور سهو وخفلة وليك نوم والردى لك لازم
وشمعلك فيها سوف تكبره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وقيل اراد بالاكل الافناء والاحلاك كما قال اكل البير لحم الناقة اي ذهب به قال زيد بن اسلم كان يوسف يصنع طعام اثنين فيقره الى رجل فيأكل نصفه حتى كان ذات يوم قره اليه فأكله كله فقال هذا اول يوم من السبع الشداد (الا قليلا بما تمحصون) معناه الا شيئا قليلا مما تحمرون وتدخرون (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه ينفث الناس) معناه ثم يأتي من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يطر الناس من النيث وقيل

يناثون من الثوث والنيث ايمه ينفذون وينجون من القحط (وفيه بصرون) الثار التي تصير في الخصب كالسب والزيت والسسم من ابن عباس ومجاهد وقادة وقيل معناه ينجون من الجذب من المصرة والمصر والاعتصار الاتجام قال علي بن زيد

لو يغير الماء حلقي شرق كنت كالنصمان بالما اعتصاري
وهذا القول من يوسف اخبار عالم يسألوه منه ولم يكن في روبا الملك بل هو مما اطلمه الله تعالى عليه من علم الغيب ليكون من آيات نبوته (ع) قال البغوي وهذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول ان الرويا على ما عبرت اولا لأنهم كانوا قالوا هي اضناث احلام فلو كان ما قالوه صحيحا لكان يوسف لا يتأولها

قوله تعالى (٥٠) وَقَالَ الْمَلِكُ اُتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْتَلْهُمَا بَالِ الْيَسَوةِ الَّتِي قَطَعْنَا بِذِيْنِ اِنْ رَبِّي يَكْفِيهِمْ عَلِيمٌ (٥١) قَالَ مَا خَطْبُكُمْ اِذْ رَاوَدْتُمْ يُوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَاَتُ الْفَزَيْرِ لَنُحْصِيَ الْحَقَّ اَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَاِنَّهٗ لَبِنَ الصَّادِقِينَ (٥٢) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اَخْنُ بِالْغَيْبِ وَاَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي سُبُلَ كَيْدِ الْفَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا اُبْرِئُ نَفْسِي اِنْ اَلْنَفْسُ لَا مَارَةَ يَالسُّوءُ اِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي اِنْ رَبِّي غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ اربع آيات

❦ القراءة ❦

قرأ ما بال النسوة بضم النون الاعمى والبرجي عن ابي بكر عن عاصم والباقر بكسر النون وهما اللتان وقد تقدم ذكر قراءة ابي عمرو حاشا لله بالالف ومربياته

❦ الفقة ❦

الخطب الأمر الذي يعظم شأنه فيخطب الانسان فيه صاحبه يقال هذا خطب جليل قال الزجاج حصص الحق اشتقاقه من الحصاة اي بات حصاة الحق وجهته من حصاة الباطل وقال غيره هو مكرر من قولهم حص شعره اذا استأصل قطعه وازاله عن الرأس فيكون معناه اقتطع الحق عن الباطل بظهوره ويانه ومثله كبروا وككبوا وكف الدمع وكفكفه فهو زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق قال قد حصت البيضة رأسي فما اطعم يوما غير تهجاع وخصص البعير بشفاته في الارض اذا حرك حتى تستبين آثارها فيه قال حيد

وخصص في صم الحصاة ثفاته ورام القيام ساعة ثم صما والكبد الاحتيال سرا لا يفعال الضرر الى التير

❦ الإعراب ❦

ذلك مرفوع بالابتداء وان شئت على خبر الابتداء كأنه قال امري ذلك موضع ما رحم ربي نصب على الاستثناء

- المعنى -

ثم اخبر سبحانه عن اخراج يوسف من السجن فقال (وقال الملك ائتوني به) وفي الكلام حذف يدل ظاهره عليه وهو فلان رجع صاحب الشراب وهو رسول الملك الى الملك بجواب يوسف وتبهره رؤياه قال الملك ائتوني به اي يوسف الذي عبر رؤياي (فلما جاءه الرسول) اي لما جاء يوسف رسول الملك فقال له اجب الملك. ابي يوسف ان يخرج مع الرسول حتى تبين براءته مما قذف به (وقال) لرسول (ارجع الى ربك) اي سيدك وهو الملك (فسئل ما بال النسوة) اي ما حالهن وما شأنهن والمعنى فاسأل الملك ان يعرف حال النسوة (الاتي قطن ابيدين) ليعلم صحة براءتي ولم يفرد امرأة العزيز بالذكر حتى عشرة منه ورعاية ادب لكونها زوجة الملك او زوجة خليفته الملك فخلطها بالنسوة وقيل انه ارادهن دونها لانهن الشاهدات له عليها الا ترى انها قالت الآن حصص الحق وهذا يدل على ان النسوة كن ادعين عليه نحو ما ادعته امرأة العزيز قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك بشأته مازالت في نفس العزيز منه حالة يقول هذا الذي راود امرأتي وقيل اشفق يوسف من ان يراه الملك بين مشكوك في امره متهم بفاحشة فأحب ان يراه بعد ان يزول عن قلبه ما كان فيه وروي عن النبي ﷺ انه قال لقد صبت من يوسف وكرمه وصبره والله يفقر له حين سئل عن البترات المجاف والسبان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني من السجن ولقد صبت من يوسف وصبره وكرمه والله يفقر له حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه لبقيت في السجن ما لبثت لا سرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابقيت العذر انه كان حليفا ذا اناة (ان ربي يكيدهم عليم) اي ان الله عالم بكيدهم قادر على اظهار براءتي وقال ان سيدي الذي هو العزيز عليم بكيدهم استشهده فيما علم من حاله عن ابي مسلم والاول هو الوجه (قال ما تستطيعن اذ راودتن يوسف عن نفسه) مناه ان الرسول رجع الى الملك واخبره بما قاله يوسف (ع) فارسل الى النسوة ودعاهن وقال لهن ما شأنكن وما امركن اذا طلبتن يوسف عن نفسه ودعوته الى انفسكن (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) هذه كلمة تنزيه اي نزهن يوسف مما اتهم به قلن معاذ الله وعياذا بالله من هذا الأمر وما علمنا عليه من سوء وخيانة وما فعل شيئا مما نسب اليه واخترفن براءته وبأنه خيس مظلوما (قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق) اي ظهر وتبين وحصل على امكن وجهه عن ابن عباس ومجاهد وقادة وكان مناه اقطع الحق عن الباطل بظهوره وبانه (انا راودته عن نفسه وانه لمن العبادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي اعترفت بالكذب على نفسها فيما اتهم يوسف به واتا حليفا على الصدق انقطاع طمعها منه فجمع الله ليوسف في اظهار براءته ونزاهته مما قذف به بين الشهادة والاقرار حتى لا يبقى موضع شك (ذلك ليعلم) هذا من كلام يوسف اي ذلك الذي فلت من ردي رسول الملك اليه في شأن النسوة ليعلم الملك او العزيز (اني لم اخنه بالنسب) يعني زوجته ابيه في حال غيبته عني من الحسن ومجاهد وقادة والضحاك وابي مسلم واتصل كلام يوسف بكلام امرأة العزيز لظهور الدلالة على المعنى ونظيره قوله تعالى وجعلوا امرأة اهلا اذلة وكذلك يفعلون وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم يسخره وهو من كلام الملأ ثم قال فلاننا تأمرون وهو حكاية عن قول فرعون قال القراء وهذا من اغضب ما يأتي في الكلام ان يتكلم عن واحد ثم يبدل الى شيء آخر من قول آخر لم يجر له ذكر وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك

الاقرار ليعلم يوسف اني لم اخنه في غيبتة بتوربك الذنب عليه وان خنته بحضرة وعند مشاهدته عن الجاني (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) اي لا يهديهم في كيدهم ومكرهم (وما ابرى نفسي) هذان كلام يوسف عند اكثر المفسرين وقيل بل هو من كلام امرأته العزيز عن الجاني اي ما ابرى نفسي عن سوء وانقياد في امر يوسف (ان النفس لا مارة بالسوء) اي كثيرة الامر بالسوء والشهوة قد تدعو الانسان الى المصيبة والالاف واللام الجنى فيكون المعنى ان كل النفوس كذلك ويميز ان يكون للمصيبة فيكون المعنى ان نعمي بهذه الصفة (الا ما رحم ربي) اي الا من رحمه الله تعالى فصحة بأن لطف له فيكون ما معنى من كقولها ما طالب لكم ويميز ان يكون منها الامدة ما عصم ربي ومن قال انه من كلام يوسف قال انه اراد الدعاء والمناجاة والشهوة ولم يرد الزم على المصيبة اي لا ابرى نفسي بما لا ترضى منه طبع البشر وانما امتنعت عن الفاشحة بحول الله ولطفه وهدايته لا تنفي قال الحسن انما قال وما ابرى نفسي لانه كره ان يكون قد زكى نفسه (ان ربي غفور) بعباده (رحيم) بهم

قوله تعالى (٥٤) وَقَالَ اَلَلَيْكُ اُتُونِي بِهٖ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَبْنَا مَكِيْنَ اُمِيْنَ (٥٥) قَالَ اَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْاَرْضِ اِنِّي حَفِيْظٌ عَلِيْمٌ (٥٦) وَكَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْاَرْضِ يَتَّبِعُوْا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيْبُ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَّشَاۗءٍ وَلَا نَضِيْعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ (٥٧) وَلَا جَزَ الْاٰخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَ اربع آيات

﴿ التراءة ﴾

قرأ ابن كثير حيث نشاء بالنون والقانون بالياء

﴿ المجعة ﴾

قال ابو علي من قرأ بالياء فيشاء مسند الى الغائب كما ان يتبوء كذلك ويقوي ذلك قوله واورثا الجنة يتبوء منها حيث نشاء فكان ان قوله نشاء وفق لفعل التبوئين كذلك قوله حيث يشاء وفق لقوله يتبوء ومن قرأ بالنون فإنه على احد وجهين اما ان يكون اسند للشبهة اليه وهو يوسف في المعنى لأن مشيئة لما كانت قوته واقداره عليها جاز ان ينسب الى الله وان كانت ليوسف في المعنى كما قال سبحانه وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاضيف الرمي الى الله لا كان بقوته وان كان الرمي النبي ﷺ والاخر ان يكون الموضع التبوؤ موضع نك وقرب فالنك فيه قرية الى الله تعالى فهو يشاءه ويرزقه فأما اللام في قوله مكننا ليوسف وقوله انا مكننا له في الارض فيجوز ان يكون على حد التي في قوله ردف لكم والروا تبوؤ يدل على ذلك قوله ولقد مكنناهم فيها ان مكنناكم فيه وقوله يتبوء في موضع نصب على الحال تقديره مكننا يتبوءا حيث يشاء واما قوله حيث يشاء فيحتمل موضعه امرين احدهما ان يكون في موضع نصب بأنه ظرف والاخر ان يكون في موضع نصب بأنه مفعول به ويدل على جواز هذا الوجه قول الشاعر وخلاها عن ذي الاراسكة عاشر اخو الخضر يرضي حيث تكبو النواجز

﴿ القنة ﴾

الاستخلاص طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك كأنه يريد ان يكون خالصا له وفي حديث

سلطان الفارسي (رض) انه كاتبه أهله على أربعين اوقية خلاص ابي ما اخصلته النار من الذهب وكذلك الخلاصة والمكين من المكاة واصله التمكن في الامر يقال ممكن مكاة فهو ممكن اذا كان له قدور وجه يتسكن بها بما يروم والتبوء اتخاذ منزل يرجع اليه واصله من باه نيوه اذا رجع

معنى المعنى

(وقال الملك اتوني به) معناه ان الملك لما تبين له أمانة يوسف وبراءته من السوء وعطه أمر بإحضاره فقال اتوني به (استخلصه لنفسى) اي اجعله خالصا لنفسى ارجع اليه في تدبير ملكتي واعمل على إشارته في معات أموري (فلا كلمه) هنا حذف معناه فلما جاء الرسول يوسف ودعاه خرج من السجن ودخل على الملك وكلمه وعرف فضله وأمانته وعقله لأنه استدل بكلامه على عقله وصفته على أمانته (قال لك اليوم لدينا مكين أمين) اي انتك عندنا ذو مكاة متسكن في المنزلة والقدر ناقد القول والأمر ظاهر الأمانة مأمون ثقة قال ابن عباس يريد مكتك من ملكي وجمات سلطانك فيه كسلطاني وأتممتك فيه قال الكلبي ان رسول الملك جاءه فقال له قم فإن الملك يدعوك والقي ثياب السجن عنك واليس ثيابا جدا فأقبل يوسف وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه وأتى الملك وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك شابا حدث السن قال يا غلام هذا تأويل رؤياي ولم يلبس السحرة ولا الكهنة قال نعم فأقده قدامه وقص عليه رؤياه وروي ان يوسف لما خرج من السجن دعا لاهله وقال اللهم اعطهم عليهم بقلوب الاخيار ولا تعمهم عليهم الاخيار فذلك يكون أصحاب السجن اعرف الناس بالاخبار في كل بلدة وكتب على باب السجن هذا قبور الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشاة الاعداء قال وهب ولما وقف يباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه من جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ولما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بغيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ولما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالمرية فقال له الملك ما هذا الانسان قال لسان عبي اساميل ثم دعا له بالمرية فقال له الملك ما هذا الانسان قال لسان أبائي قال وهب وكان الملك يشكلم بسمين لسانا فكلم يوسف بلسان أجابه بذلك الانسان فأعجب الملك كما رأى منه فقال له اني أحب ان اسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كسف لك عنهن النيل فظلمن عليك من شاطئه تشخب خلاهن لبنافيتا تنظر اليهن ويسجلك حسنن اذ قصب النيل فثار ماؤه وبدأ يسه فخرج من حقه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غير مقلصات البطون ليس لمن ضرور ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كالكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاخطنن بالسان فاقترسهن اقتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطن عظامهن وتمشطن مخن فينا انت تنظر وتمسجن اذا سبع سنابل خضر واخر سود في ميث واحد عروقهن في الترى يوم الماء فينا انت تقول في نفسك اني هذا وهؤلاء خضر مشورات وهؤلاء سود بابسات وللبنت واحد واصولهن في الماء اذ هيئت ربح فدرت الارقات من اليابسات السود على الثمرات انقضت فاشتعلت فيهن النار واحرقتن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الروايات ثم انتهت من نومك مذعورا قال الملك والله ما شأن هذه الروايات وان كانت عجبا عجب مما سمعت منك فأتري في رؤياي ايها الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطام وتزرع زرا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبني الاهراء والخزائن فتجمع الطام فيها بقصبه

وسنبه ليكون قصبه وسنبه لعلها للدواب وتأمّر الناس فيرفضون من طعامهم الخس فيكفك من الطعام الذي جعله لاهل مصر ومن حولها وأتيتك الخلق من النواحي فيتارون منك بحكك ويجمع عندك من الكنوز ما لم يجمع لاحد ذلك قال الملك ومن لي بينا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه فعند ذلك (قال) يوسف (اجلسي على خزان الأرض) الآلاف والالام في الأرض العهد دون الجنس يعني اجلسي على خزان أرضك حافظا وواليا واجل تدبيرها الي (فلم في حفيظ) اي حافظ لما استودعني لحفظه عن ان يجرى فيه خيانة (عليم) بمن يستحق منها شيئا ومن لا يستحق فأضعها مواضعها عن قتادة وابن اسحاق والجباي وقيل حفيظ عليم اي كاتب حاسب عن وهب وقيل حفيظ للتقدير في هذه السنين الجديدة عليم بوقت الجوع حين يقع عن الكلبي وقيل حفيظ لحساب عالم بالالسن وذلك ان الناس يغفون من كل ناحية وتكسبون بفئات مختلفة عن السدي وفي هذا دلالة على انه يجوز للانسان ان يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه فانه عرف الملك حاله ليقمه في الامور التي في اياتها صلاح العباد والبلاد ولم يدخل بذلك تمت قوله سبحانه فلا تزكوا انفسكم قالوا فقال الملك ومن احق به منك فواله ذلك وقيل ان الملك الاكبر فوض اليه امر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه وقيل ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء ولما دخل عليها قال اليس هذا خيرا ما كنت تريدن وولدت له افراتيم وميثا واستوت يوسف ملك مصر وقيل انه لم يتزوجا يوسف واما لما رآته في موكبه بكت وقالت الجدّة الذي جعل الملوك بالمصيبة عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فضعها اليه وكانت من عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم قال لما مات العزيز وذلك في السنين الجديدة افترت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت الناس فقالوا لها ما مضوك لو قدمت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك كان لهم سمو بهذا الاسم فقالت استحي منه فلم يرالوا بها حتى قدمت له فأقبل يوسف في موكبه فقامت اليه زليخا وقالت سبحان من جعل الملوك بالمصيبة عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فقال لها يوسف أنت ثبك قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك في قالت دعني بدم ما يشئت أتهزأ بي قال لا قالت نعم قال فأمر بها فحولت الى منزله وكانت همة فقال لها يوسف الست فلت بي كذا وكذا قالت يا نبي الله لا تلني فأني بليت في بلاء لم يزل به احد قال وما هو قالت بليت بجلك ولم يخلق الله لك نظيرا في الدنيا وبليت بأنه لم تكن بمصر امرأة اجل مني ولا اكثر مالا مني وبليت بزوج عيين فقال لها يوسف فما حاجتك قالت تسأل الله ان يرد علي شباي فقال الله فرد عليها فزوجها وهي بكر وروي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ انه قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقبل اجلسني على خزان الأرض لولاه من ناعته ولكنه أخر ذلك سنة قال ابن عباس فأقام في بيت الملك سنة فلما انصرفت السنة من يوم سألت الإمارة دهاء الأمير فوجه ورداه بسيفه وأمر بأن يوضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كلة من استبرق ثم أمره ان يخرج متوجا لونه كالتلج ووجهه كالتبر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانته له الملوك فدخل بين الناس فأجبه الرجال والنساء وذلك قوله عز اسمه (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) اي ومثل ذلك الاتمام الذي اتممنا عليه اقدرا يوسف على ما يريد في الأرض يعني أرض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) اي

يتصرف فيها حيث يشاء وينزل منها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نشاء) اسيه شخص بنعم الدين والدنيا من نشاء (ولا نضع اجر المحسنين) اي المطيعين وقيل الصابرين عن ابن عباس وقيل انه دعا الملك الى الاسلام فأسلمه عن مجاهد وغيره قالوا واسلم أيضاً كثير من الناس فهذا في الدنيا (ولا اجر الآخرة) اي ثواب الآخرة (خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) غلوصه عن الثواب والشوائب والاقتدار وفيه هذه اشارة الى انه سبحانه يوتي يوسف في الآخرة من الثواب والدرجات ما هو خير مما آتاه الله في الدنيا من الملك والنعمة

سؤال ﴿٥٧﴾ قالوا كيف جاز ليوسفان بطلب الولاية من قبل الكفرة الظلمة وجوابه لانه علم انه يتمكن بذلك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ووضع الحقوق مواضعها وقد جعل الله سبحانه جميع ذلك له من جهة كونه نبيا اماما وكان يصل ذلك من قبل الله تعالى وانما سأل الولاية ليتمكن من الأمور التي له ان يفعلها وايضا فإنه علم انه سبب يوصل به الى الدعاء الى الخير والى روية والديه واخوته وفي الآية دلالة على ان ذلك الثمكين والملك والتدبير كان بلطف الله سبحانه وفضله وفيها دلالة ايضا على جواز تولي القضاء من جهة الباغي والظالم اذا يتمكن بذلك من إقامة احكام الدين وفي قوله يتبوأونها حيث يشاء دلالة على ان تصرفه كان باختياره من غير رجوع الى الملك وانه صار بحيث لا أمر عليه وفي كتاب النبوة الاسناد عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن بنت الياس قال سمعت الرضا (ع) يقول وأقبل يوسف على جمع الطعام فجعم في السبع السنين المنصبة فكسبه في الخزان فلما مضت تلك السنين وأقبلت المجيدة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدرهم والذنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم الا صار في مملكة يوسف وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جواهر الا صار في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية الا صارت في مملكته وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والامام حتى لم يبق بمصر وما حولها عبيد ولا أمة الا صار في مملكته وباعهم في السنة الخامسة بالدور والقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار الا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالزرايع والانهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزعة الا صار في مملكته وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر الا صار عبد يوسف فملك لمرادهم وعبيدهم وأموالهم وقال الناس ما رأينا ولا سمعنا بملك اعطاه الله من الملك ما اعطى هذا الملك حكما وعلمنا وتديروا قال يوسف لملكها أيها الملك ما ترى فيا خزنني ديمي من ملك مصر وأهلها أشتر عطينا يراك قلني لم اصلحهم لأفسدهم ولم انجهم من البلاء لأكون بلايا عليهم ولكن الله تعالى انجاهم على يدي قال له الملك الرأي يراك قال يوسف اني اشهد الله واشهدك أيها الملك اني قد اعتقت أهل مصر كاهنهم ورددت عليهم أموالهم وصبيدهم ورددت عليك أيها الملك خاتك وسريرك وتاجك على ان لا تسير الا بغيرتي ولا تحكم الا بحكمي قال له الملك ان ذلك لزيني وفخري ان لا أسير الا بسيرتك ولا أحكم الا بحكمك ولولاك ما قويت عليه ولا احتديت له ولقد جعلت سلطانا عزيزا لا يرام وأنا أشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأنتك رسوله فأقيم على ما وليتك فإنه لنا معين أمين وقيل ان يوسف (ع) كان لا يتلى شيئا من الطعام في تلك الأيام المجيدة فقيل له فخرج ويدك خزان الأرض فقال (ع) أخاف ان أشبع فأنسى الجيع

قوله تعالى (٥٨) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَرَغَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٩) وَلَمَّا جَوَّزَهُمْ بِيَعَزُّزِهِ قَالَ أُنْتُنِي يُبَاغٍ لَكُمْ مِنْ أَيْبُكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ

الْمُرَلِّينَ (٦٠) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦١) قَالُوا سَنَرَاوُدَ عَنْهُ
أَبَاءً وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦٢) وَقَالَ لِقَتْيَانِهِ أَجْمَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقِلِبُوا
إِلَى أَهْلِيهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ خمس آيات

﴿ القصة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر لقتيانه والباقر بن تميم

-(الحجة) -

قال أبو علي القتيبة جمع قتي في العدد للتبلي والتبائن في الكثير ومثل قتيبة إخوة وولدة في جمع أخ وولد
ونزيرة وقتيبة في جمع نار وقاع ومثل قتيان برقان وخرابان في جمع برق وغرب وجبران وتبجانان في جمع جادو تاج
وقد يقوم البناء الذي لا قليل مقام الذي فكثير وكذلك يقوم الكثير مقام القليل حيث لا قلب ولا امل وذلك
نحو ارجل واقدام وارسان وفي الكثير قولهم ثلاثة شيوخ فلذا فعل ذلك فيا لا املان فيه فان يرفض فيا يودي
الى الاملال والقلب اولى

﴿ القصة ﴾

جهاز البيت متاعه وجهزت فلانا هيات جهاز سفره ومنه جهاز المرأة والرجال اراد به الاوعية واحدهما رحل
وجمعها القليل ارحل قال ابن الانباري يقال للواء رحل والمسكن رحل واصله الشي المد للرجل من وعا
المتاع وسرك البير وحلى ووسن

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه انه لما تمكن يوسف بمصر واحباب الناس ما اصابهم من القحط وقصدوا مصر نزلوا الى يعقوب
ما نزلوا بالناس فجمع يعقوب بنيه وقال لهم يا بني اني ابيع العظم بمصر وان صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه فانه سيحسن
اليكم ان شاء الله فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف فذرك قوله (وجاء إخوة يوسف
فدخلوا عليه ففرهمهم وهم له منكرون) اي جاؤوا ليتأروا من مصر كما امتاز فرهمهم ودخلوا عليه وهم عشرة
وامسك ابن يامين اخا يوسف لانه فرهمهم يوسف وانكروه قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في البئر وبين
ان دخلوا عليه اربعين سنة فلذلك انكروه ولا نهم وأوله ملكا جالسا على السرير عليه ثياب الملوكة ولم يكن
يخطر ببالهم انه يصير الى تلك الحالة وكان يوسف ينتظر قدومهم عليه فكان اثبت لهم فلما نظر اليهم يوسف
وكسوه بالعبادية قال لهم من انتم وما امركم فاني انكرت انكم وفي تفسير علي بن ابراهيم فلما جهزهم
واعطاهم واحسن اليهم في التكيل قال لهم من انتم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة اصابتنا الجهد فجئنا
بختار فقال لعلكم عيون جشم تنظرون عودة بلادي فقالوا لا والله ما نحن ببجواسيس ولما نحن إخوانه بنو آب واحد
وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن ولو تعلم يا بنينا لكرمتنا عليك فآذنه نبي الله وابن قتيانه واتسه
لحزرون قال وما الذي احزنه ففعل حزنه انما كان من قبل سفهمكم وجهلكم قالوا يا ايها الملك لسا بسفهاء ولا
جهال ولا آله الحزن من قبلنا ولكنه كان له ابن كان اصغرنا سنا وانه خرج يوما معنا الى الصيد فاكله الذئب فلم
يزل بعده حزينا كثيرا بايما فقال لهم يوسف كلكم من لب وأم قالوا أيوتا واحد وأمهاتنا شقي قال فما حمل
أباكم على ان سرحكم كلكم ألا حيس واحدا منكم يستأنس به قالوا قد فعل حيس منا واحدا وهو اصغرنا
سنا لأنه آخر الذي هلك من أمه فلما يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تعزلونه حق قالوا يا ايها الملك إنا بلاد

لا يعرفنا أحد فقال يوسف فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين وأنا أرى بذلك قالوا إنا أنا
 يجوز على فراقه وسنأوده عنه قال فدعوا عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فأتقروا إليهم فأصاب القربة
 شعرون وقيل ان يوسف اختار شعرون لأنه كان احسنهم وأيا فيه فخطوه عنده فذلك قوله (ولما جهزهم بجهازهم)
 يعني حمل لكل رجل منهم بغير امدتهم (قال أنتوني بأخ لكم من أبيكم) يعني ابن يامين (الا ترون إلى
 أرف الكيل) اي لا اجنى الناس شيئا وأنتم لهم كيلهم (وانا خير المتزين) اي المضيفين ما أخذ من التزويرو
 الطعام وقيل خير المتزين للأمواد منازلها فتدخل فيه الضيافة وغيرها ما أخذ من المنزل وهو الدار (فون لم تأتوني
 به فلا كيل لكم عندي) اي ليس لكم عندي طعام اكليه عليكم والرد بالكيل الكيل (ولا تقريون)
 اي ولا تقربوا داري وبلادي فخط عليه السلام الرعد بالوعيد (قالوا سنأوده عنه أباه) اي نطلبه ونسأله ان يرسله
 معنا قال ابن عباس معناه نستخذه عنه حتى يخرج معنا (وإنا قاطنون) ما أمرنا به قال وكان يوسف أمر ترجمانا
 يعرف البرجانية ان يكلمهم وكان لا يكلمهم بنفسه ليشبه عليهم فلزمه لو عرفوه رجا كانوا يهيمون في الارض
 حياء من أبيهم فيتركون خدمته وكان في معرفتهم إليه مفيدة (وقال لفتياته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) اي قال
 يوسف لبيده وغلته الذين يكيلون الطعام من قتادة وغيره وقيل لا فوائده اجعلوا ثمن طعامهم وما كانوا جاوابه
 في اوجعهم وقيل كانت بضاعتهم النمل والأدم وقيل كانت الرقيق من قتادة (لهم يعرفونها إذا اقتربوا إلى أهلهم)
 اي لهم يعرفون متاعهم اذا رجعوا إلى أهلهم (لهم يرجعون) بعد ذلك لطلب الليرة مرة أخرى ولتفاضل ذلك
 ليعرفوا ان يوسف اما فعل ذلك إكراما لهم ليرجعوا اليه وقيل انه خاف ان لا يكون عندهم من الورق ما
 يرجعون به مرة أخرى عن الكلي وقيل انه رأى لو ما أخذ من الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إليه فودعه عليهم
 من حيث لا يلبون نقضا وكروا وقيل فعل ذلك لأنه علم ان ديانتهم وأمانتهم تحمليهم على رد بضاعتهم إذا
 وجدوها في رحالهم ولا يعرفون ان الملك أمر بذلك فيرجعون ليردوا ذلك عليه ومتى قيل كيف لم يعرفهم يوسف
 نفسه مع علمه بشدة حزن أبيه وقلقه واحترقه على ألم فراقه فالجواب انه لم يردن له في التعرف استتماما للصحة
 عليه وعلى يقرب ولا علم الله تعالى من الحكمة والصلاح في تشديد البلية ترميضا لمنزلة الأسيرة وقيل انما لم
 يعرفهم بنفسه لأنهم لو عرفوه رجا لم يرجعوا اليه ولم يحملوا أخاه اليه والأول هو الوجه الصحيح

قوله تعالى (٦٣) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا
 نَكَيْلًا وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٤) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَآلَهُ
 خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٥) وَلَمَّا تَتَحَوَّ مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا
 يَا أَبَانَا مَا بَقِيَ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَغَيَّرَ أَهْلُنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَزَادَا كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ
 بَنِي إِسْرَءِيلَ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَأُتَنِّي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا
 آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ أربع آيات

❦ القراءة ❦

قرأ يكتل بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقر بالنون وقرأ خير حافظا بالالف اهل الكوفة غير أبي بكر
 والباقر حفظا بغير الف وفي الشراذ قراءة علقمة ويحيى ردت الينا بكسر الراء

❦ الحجة ❦

قال ابو علي يدل على النون في نكتل قوله وغير اهلنا ونحفظ اخانا وزداد كيل بغير الا ترى انهم قايرون

اعلمهم بما يكتبون فيكون نكتل مثل نمر وايضا فاذا قالوا نكتل جاز أن يكون انهم داخلوا معهم واذا كان باليا لم يدخلهم فيه وعضوا ان في قراءة عبد الله نكتل بالنون وكان النون لقولهم منع منا الكيل لئلا نلينا فارسه نكتل ما منتهه لئله وجه اليا. انه يكتل عليه كما نكتل تمن اماننا ووجه من قرأ غير حفظا انه قد ثبت من قوله ونحفظ انا وقوله واتاه لحافظون انهم قد اضافوا الى انفسهم حفظا فالحق على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تقريظ في حفظهم ليوست كما ان قوله اين شركائي لم يثبت لله شركاء واتى المعنى على الشركاء الذين نسبهم الى فكذلك المعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تقريظ فيه فاما كان كذلك كان المعنى فانه غير حفظا من حفظكم الذي نسبوه الى انفسكم وان كان منكم فيه تقريظ واضافة خبر الى حفظ محال ولكن تقول حفظ الله خير من حفظكم ومن قرأ حافظا فيكون حافظا متصبا على التمييز دون الحال كما كان حفظا كذلك ولا يستحيل الاضافة في فانه غير حافظ وغير الحافظين كما يستحيل في خبر حفظا فون قلت فهل كان ثم حافظ كما ثبت انه كان حفظ لا قدمته فاقول انه قد ثبت انه كان ثم حافظ قوله واتاه لحافظون وقوله يحفظونه من امر الله فتقول حافظ الله خير من حافظكم كما كان حفظ الله خير من حفظكم لأن الله سبحانه حافظه كما ان له حفظا فحافظه خير من حافظكم كما كان حفظه خيرا من حفظكم وتقول هو احفظ حافظ كما تقول هو ارحم لأنه سبحانه من الحافظين كما كان من الارحمين واما قوله ردت فلان فعل من المضاعف والمثل الذين يجيء على ثلاثة اوجه عندهم لغة فاشية واخرى تليها وثالثة قليلة فاقوى الثبات في المضاعف ضم اوله ككسد وعد ورد ثم يليه الاشياء وهو بين ضم الأول وكسره ثم قولهم شد ورد باختلاس الكسرة وهو الاقل واقرى الثبات في المثل الذين كسر اوله نحو قيل وييم ثم يليه الاشياء بين الضمة والكسرة والثالثة اختلاس الضمة نحو قول ويرع واتشد لذى الرمة

دنا البين من مي فردت جمالها وهاج الهوى تقويضها واحتمالها

﴿ اللغة ﴾

يقال كلت فلانا اي اطليته الشيء كيلا واكتلت عليه اخذت منه والأمن اطمئنان القلب الى سلامة الأمر
يقال آمنه يأمنه أمنا والميرة الاعلمة التي تحمل من بلد إلى بلد ويقال مريهم أميرهم ميرا اذا أتيهم بالميرة ومثله اشتراهم امتيارا قال

بعثتك مائرا فمكثت حولا متى يأتي غياثك من يغيث

﴿ الاغراب ﴾

قال الزجاج حفظا منصوب على التمييز وحافظا على الحال ويحوز ان يكون حافظا على التمييز وما في قوله ما يعني استغنام موضعه نصب وللحق اي شيء تريد ويكون المراد به الجحد ويجوز ان يكون ما ايضا تليا كما أنهم قالوا ما نبع شيئا وموضع ان يحاط بكم نصب والمعنى الا الاطاحة بكم اي لا تخشعوا من الاثيان به الا لهذا وهذا يسمى بضم فصوله قال الزجاج والا هذه بمعنى تحقيق الجزاء تقول ما تأتينا الا لأجد الدرهم والا ان تأخذ الدرهم

﴿ المعنى ﴾

(فلما رجوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل) قيل انهم لما دخلوا على يعقوب وسلموا عليه سلاما ضعيفا فقال لهم يا بني ما لكم تسلمون سلاما ضعيفا وما لي لا اسمع فيكم صوت شمعون فقالوا يا ابانا انا جئناك من عدد اعظم الناس ملكا ولم ير الناس مثله سكا وحلا وخشوعا ومسكينة ووقارا ولئن كان لك شبه فلز له يشبهوك ولكننا اهل بيت خلقنا بالبلاء انه اتهمنا وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا باين يابين برسالة منك اليه ليخبره من حزنك وما الذي احزنك وعن سرعة الشيب اليك وذهاب بصرك وقوله منع منا الكيل معناه منا فنيا يستعمل ان لم تأت

منه غشى يعني غشاء والغشاء بالفتح والمد الكفافية وغشى عن كذا فهو غان وغشى القوم في دارهم أقاموا والمغاني المنازل
لأنهم اكتفوا بها والغانية المرأة لأنها تكفي بزوجها عن غيره أو يجمها عن التزين

معنى

(و) لما تجهزوا للمسير (قال) يعقوب (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد ادخلوا من ابواب محترقة)
خاف عليهم المين لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة وكال وهم أخوة اولاد رجل واحد ابن عباس والحسن وقادة
والضحاك والسدي وأبي مسلم وقيل خاف عليهم حسد الناس إياهم وإن يبلغ الملك قوتهم ويطشهم فيحبسهم
أو يقتلهم خوفا على ملكه عن الجبالي وانكر المين وذكر أنه لم يثبت بحجة وجوزة كثير من المحققين ورواها
الطبر عن النبي ﷺ أن المين حق والمين تستنزل الحائق والحائق المكان المرتفع من الجبل وغيره فيصعد (ع)
المين كأنها تحط ذروة الجبل من قوة أخذها وشدة بطشها وورد في الخبر أنه عليه وآله السلام كانت يهود الحسن
والحسين عليهما السلام بأن يقول أعيد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وروي أن
ابراهيم (ع) عوذ ابنه وابنه موسى عوذ ابني هارون بهذه العوذة وروي أن بني الجعفر بن أبي طالب كانوا غلمانا
يضا فالت اسماء بنت حميس يا رسول الله أن المين الهم سريعة انما ترقى لهم من المين فقال ﷺ نعم وروي
أن جبرائيل (ع) رقى رسول الله وعلمه الرقية وهي بسم الله أرقيك من كل عين حاسدة الله يشفيك وروي
عن النبي ﷺ أنه قال لو كان شيء يسبق القدر لسبقته المين ثم اختلفوا في وجه الإصابة بالمين فروي عن
عمرو بن بحر الجاحظ أنه قال لا ينكر أن يتفصل من المين الصابئة إلى التي المستحسن أجزاء لطيفة تتصل به
وتؤثر فيه فيكون هذا المعنى خاصة في بعض الاعين كالمغوص في الأشياء وقد اعترض على ذلك بأنه لو كان
كذلك لما اجتمع ذلك ببعض الأشياء دون بعض ولأن الأجزاء تكون جواهر والجواهر متألدة ولا يؤثر بعضها
في بعض وقال أبو هاشم أنه فعل الله بالمادة لضرب من المصلحة وهو قول القاضي وأبى في شرح هذا الشريف
الأجل الرضي الموسوي قدس الله روحه كلاما أحبت إيراد في هذا الموضع قال أن الله تعالى يفعل للمصالح
بعباده على حسب ما يعلمه من المصالح لهم في تلك الأفعال التي يفعلها فتغير مجتمع أن يكون تغييره نعمة زيد لمصلحة
لمعرو وإذا كان يعلم من حال معرو أنه لو لم يلب زيدا نعمته أقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن الآخرة
بطلته وإذا سلب نعمة زيد للملة التي ذكرناها عوضه فيها وإعطاء بدلها منها عاجلا أو آجلا فيمكن أن يتأول قوله
(ع) المين حق على هذا الوجه على أنه قد روي عنه (ع) ما يدل على أن الشيء إذا عظم في صدور العباد وضع الله
قدره وصغر أمره وإذا كان الأمر على هذا فلا ينكر تغيير حال بعض الأشياء عند نظر بعض الناظرين إليه
واستحصانه له وعظمته في صدره وقضائته في عينه كما روي أنه قال لما سبقت ناته الضياء وكانت إذا سبقت بها
لم يسبق ما رفع الباد من شيء الا وضع الله منه ويحيز أن يكون ما أمر به المستحسن الشيء عند رؤيته من
تمويده بالله والصلاة على رسول الله ﷺ قائما في المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن فلا يغير عند ذلك
لأن الرائي لذلك قد انظر الرجوع إلى الله تعالى والاعادة به فكأنه غير راكن إلى الدنيا ولا مستر بها انتهى كلامه
رضي الله عنه (وما أغنى عنكم من الله من شيء) أي وما ادفع من قضاء الله من شيء أن كان قد قضى عليكم
الإصابة بالمين أو غير ذلك (أن الحكم الله عليه توكلت) فهو القادر على أن يحفظكم من المين أو من الحسد
ويردكم على سالمين (وعليه فيلشو كل المتوكلون) أي وليفوضوا أمورهم إليه وليثقوا به (ولما دخلوا مصر من حيث
أمرهم أبومهم) أي من ابواب متفرقة كما أمرهم يعقوب وقيل كان لهم أربعة ابواب فدخلوها من ابوابها
الأربعة متفرقين (ما كان يقتضي منهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) أي لم يكن دخولهم مصر
كذلك يعني عنهم أو يدفع عنهم شيئا أراد الله تعالى إبقاعه بهم من حسد أو إصابة عين وهو (ع) كان عالما

انه لا يتفق حذرن قدر ولكن كان ما قاله لبيه حاجة في قلبه ففرض يعقوب تلك الحاجة اي ازال به اضطراب قلبه لأن لا يحال على البين مكروه يصيبهم وقيل معناه ان البين لو قدر ان يصيبهم لأصابتهم وهم متفرون كما تصيبهم مجتمعين عن الرجاء قال وحاجة استثناء ليس من الأول يعني لكن حاجة (وانه لنوع علم) اي ذو بغير ومعرفة بالله (لما علمناه) اي لأجل تعليمنا إياه عن مجاهد مدحه الله سبحانه بالعلم والمعنى انه حصل له العلم بتعليمنا إياه وقيل وانه لنوع علم لما علمناه اي يعلم ما علمناه فيعمل به لأن من علم شيئا ولا يعمل به كان كمن لا يعلم فعلى هذا يكون اللام في قوله لما علمناه كاللام في قوله لرويا يعمرون (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) مرتبة يعقوب في العلم عن الجاني وقيل لا يعلم المشركون ما لهم الله أوليائه عن ابن عباس

قوله تعالى (٦٩) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبَشِّرْ بِمَا كَانُوا يُفَعِّلُونَ (٧٠) فَلَمَّا جَهَزْنَاهُمْ جِجَارًا مِمَّنْ سَبَّاقِيهِمْ رَحِلَ أَخِيهِ ثُمَّ أَدْنَى مِنْهُ مُوَدَّةً أَيْتَاهَا الْغَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧١) قَالُوا لَوْ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ (٧٢) قَالُوا تَفْقَدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَكِنْ جَاءَهُ بِحِلٍّ مُبِينٍ وَأَنَّا بِهِ ذَعِيمٌ (٧٣) قَالُوا نَأْتِيهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٤) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٥) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٦) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ رِجَالِهِمْ وَأَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهُمَا مِنْ رِجَالِهِمْ وَأَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَبَ الْيُوسُفُ مَا كَانَ لِأَخِيهِ أَهْلَ دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ثَمَانِي آيَات

❦ القراءة ❦

في الشواذ قراءة أبي رجا صواع الملك يفتح الصاد وقراءة أبي عبد الله بن عوف صوح يضم الصاد ينهز الف وقراءة يحيى بن يعمر صوح يفتح الصاد والفتح معجمة وقراءة أبي هريرة وعياهد بخلاف صاع الملك والقراءة المشهورة صواع الملك وقراءة الحسن من وعاء أخيه يضم الواو وقراءة سعيد بن جبيرة أعاء أخيه بالهمزة وقرأ يعقوب بوسل يرفع ويشاء وإلياه والباقيون بالنون وقرأ أهل الكوفة بدرجات بالتثنية والباقيون بإثنية تنوين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود فوق كل ذي علم عليم

❦ الحجة ❦

الصواع والصاع والصوع وهو الصوع واحد وهو مكيال وأما الصوع فمصدر وضع موضع اسم المصوع اي المصوع وهو مثل الخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد ومن قرأ أعاء فاصله وعاء أبدلت الواو المكسورة حمزة كما قالوا في وسادة اسادة وفي رجاء لستر اجاج ومن قرأ وعاء بالضم فإنه يكون لفظة والهمزة فيه اقيس كما قالوا ادعني وعدوا جودا في وجوه ومن قرأ بدرجات بالتثنية فإن من يكون في موضع نصب على معنى نرفع من نشاء درجات ومن قرأ بأخيه تنوين فإن من يكون في موضع جر بالاضافة وقال ابن جني ان قراءة من قرأ وفوق كل ذي علم عليم يحتمل ثلاثة أوجه احدها ان يكون من باب اضافة المسمى الى الاسم اي وفوق كل شخص يسمى عالما او يقال له عالم عليم مثل قول الحكيم

اليك ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظلمه والب

اي اليكم يا آل النبي اي يا اصحاب هذا الاسم الذي هو آل النبي وعليه قول الاعشى
فكذبوها بما قالت فصبحهم
اي صبحهم الجيش الذي يقال له آل حسان والوجه الثاني ان يكون عالم مصدراً كالباطل وغيره والثالث ان
يكون على منسوب من اعتقد زيادة ذي فكأنه قال وفوق كل عالم عليم
(اللغة) -

يقال آوى الى منزله يا وي اياذا صار اليه واوتيه انا ايواء والاشتاس الاختتام والخلاب البؤس والحزن والسقاية
الإناء التي يسقى منها وهو من السقي وقيل السقاية والصواع ولسد والاذنات والتأذين واحد وهو النداء . يسمع
بالأذن ويقال اذنته بالشيء اي علمته واذنته اكثرت اعلامه والمير القافلة من الحمير وقيل هو القافلة التي فيها
الاجال والأصل للحمير ثم كثر فسمي كل قافلة حميراً وقيل المير الأمل السائرة المركوبة والجمع حيران والحميل
بالكسر لا انفصل وبالفصح لا اتصل وجمه اسمال وحمول والزعيم والكفيل والضمين نظائر والزعم أيضاً الغائم بأمر
النوم وهو الرئيس قالت لى الاعيلية

حتى اذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الحمين زعينا

(الاعراب) -

تالله معناه والله الا ان التاء تختص باسم الله لا يميز تالرحمن وتربي وهو يدل من الواو كما ابدل من التواوي
تراث وتبعاء وتضعة قالوا جزاؤه من وجد في رحله ذكر في اعرابه وسجانه احدها ان يكون جزاؤه
مبتدأ ومن وجد في رحله الخير ويكون المعنى جزاء السرقة الإنسان الموجود في رحله السرقة ويكون قوله فهو
جزاؤه جملة أخرى ذكرت زيادة في الإبانة كما يقال جزاء السارق القطع فهو جزاؤه وموهذا جزاؤه زيادة في البيان
وعلى هذا تكون من موصولة ويكون تقديره استرق الذي وجد في رحله السرقة فحذف المضاف والآخر
ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد سيف رحله فهو جزاؤه جملة شرطية في موضع الخبر والمائد على المبتدأ الأول
من الجملة الأولى جزاؤه من قوله فهو جزاؤه فكأنه قال فهو هواي فهو الجزاء والاعطار ههنا الحسن لتلا يعم في
الكلام لبس قال الزباج ان العرب اذا فحمت أمر الشيء جعلت المائدة اليه اعادة القفط بيته وانشد

لا أرى الموت يسبق الموت شي
نقص الموت ذا الفنى والفقير

وعلى هذا فيكون المعنى قالوا جزاء السرقة ان وجد في رحل رجل منا فالوجود في رحله السرقة جزاؤه
استرقاق وقال صاحب الكشف تقديره جزاء المسروق من وجد في رحله اي انسان وجد الصاع في رحله فعم
نكرة وهو مبتدأ ثان وقوله وجد في رحله صفة لمن وقوله فهو جزاؤه خبر لمن والجملة خبر قوله جزاؤه والتقدير
جزاؤه انسان وجد في رحله الصاع فهو هو الا انه وضع الظاهر موضع المصغر قال وليس في التثنية من نكرة
الا في هذا الموضع وموضع الكاف من كذلك كذا نصب بأنه صفة مصدر محذوف وموضع ان يشاء الله نصب
لما سقطت الباء انضى الفعل اليها نصب والتقدير الا بمشيئة الله

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن دخولهم عليه فقال (ولا دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) اي لما دخل اولاد يعقوب
على يوسف ضم اليه أخاه من أبيه وأمه يمينين واتزله معه عن الحسن وتحمدة وقيل انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا
أخونا الذي اسررنا ان تأتينا به فقال أحسبتم ثم أنزلهم واكرمهم ثم أحاطهم وقال ليجلس كل بي أم على مائدة
فجلسوا فبقي ابن يمين قائماً فردا فقال له يوسف مالك لا تجلس قال انك قلت ليجلس كل بي أم على مائدة

وليس في فهمها بين أم فقال يوسف انما كان لك ابن أم قال لي قال يوسف فما فعل قال زعم هؤلاء ان الذئب أكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي أحد عشر ابناً كلهم اشتقت له اسماً من اسمه فقال له يوسف أراك قد عاينت النساء وشعمت الولد من بعده قال ابن يامين ان لي أباً صالحاً وقد قال لي تزوج لعل الله يخرج منك ذرية تنقل الأرض بالتيه فقال له يوسف تعال فاجلس معي على ما تدعي فقال اخوة يوسف لقد فضل الله يوسف وأخاه حتى ان الملك قد اجلسه معه على ما تدعي روي ذلك عن الصادق (ع) (قال ابن انا خورك) اي اطعمه على انه أخوه وقيل انه قال اننا أخوك مكان أخيك المالك ولم يمتدح له بالنسبة ولم يطلع على انه أخوه ولكن أراد ان يطيب قسه فلا يتبس بما كانوا يعملون اي فلا تسكن ولا تحزن لشيء سلف من اخوتك اليك عن وهب والشعمي (فلما جيزهم بجهازهم اي فلما اعطاهم ما جاؤا طلبه من الميرة وكال لهم الطعام الذي جاؤا لأجله وجعل لكل منهم حمل بئر ويسعى حمل التاجر جهازا (جمل السقاية في رحل أخيه) معناه أمر حتى جعل الصاع في متاح أخيه وانما أضاف الله تعالى ذلك اليه لروقه بأسره وقيل إن السقاية هي المشربة التي كان يشرب منها الملك ثم جعل صاعاً في السنين الشداد القحاط يكال به الطعام وقيل كان من ذهب عن ابن زيد وروي ذلك عن ابني عبد الله (ع) وقيل كان من فضة وذهب عن ابن عباس والحسن وقيل كان من فضة صرصعة بالجواهر عن عكرمة ثم ارتحلوا واطلقوا (ثم أذن مؤذن) اي نادى مناد مسعياً ملماً (أيتها المير) اي القافلة والتقدير يا أهل المير وقيل كانت القافلة من الخمر عن مجاهد (انكم لسارقون) قيل انما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من غير اسره ولم يعلم بما أسره يوسف من جعل الصاع في رحلهم عن الجاني وقيل ان يوسف أمر المنادي بأن يتأدبه به ولم يرد به سرقة الصاع وانما عسى به انكم مرقتم يوسف عن أبيه والقيصوه في الحب عن ابني سلم وقيل ان الكلام يجوز ان يكون خارجاً عرج الاستفهام كما قال انكم لسارقون فأسقطهم الاستفهام كما في قول الشاعر

كذبك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً

ويؤيده ما روي هشام بن الحكم عن ابني عبد الله (ع) انه قال ما سرقوا ولا كذب وفق قيل كيف جاز ليوسف (ع) ان يحزن والده وأخوته بهذا الصنيع ويجعلهم متهمين بالسرقة فالجواب ان الغرض فيه التيسر الى احتياض أخيه عنده ويجوز ان يكون ذلك بأمر الله تعالى وروي انه أعلم اخاه بذلك ليحصله طريقاً الى التصديق به واذا كان ادخال هذا الحزن سبباً مؤدياً الى إزالة غموم كثيرة عن الجميع ولا شك انه يتعلق به المصلحة فقد ثبت جوازها فأما التبريض للهمة بالسرقة فغير صحيح لأن وجود السقاية في رحله يحصل أموراً كثيرة غير السرقة لم يلى هنا من حمله على السرقة مع علمه بأنهم اولاد الأبياء توجهت الالتمة عليه (قالوا) اي قال اصحاب المير (وأقبلوا عليهم) اي على اصحاب يوسف (ماذا تفقدون) اي ما الذي تفقدونه من متاعكم (قالوا) فقد صواع الملك (اي صاعه وسقائه (ولن جاء به حمل بئر) اي وقال المنادي من جاء بالصاع فله حمل بئر من الطعام (وانا به زعيم) اي كفيلاً ضامناً (قالوا) اي قال اخوة يوسف (تالله لقد علمتم) أي أبا القوم (ما جئتكم لفسد في الأرض وما كنا سارقين) قط وانما أضافوا العلم اليهم بذلك مع انهم لم يعلموه لأن معنى هذا القول انكم قد ظهر لكم من حسن سيرتنا وسمايلتنا معكم سرقة بعد أخرى ما تعلمون به انه ليس من شأننا السرقة وقيل انهم قالوا ذلك لأنهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحلهم مخافة ان يكون قد وضع ذلك بغير إذن يوسف اي فإذا كنا متحرجين عن هذا فقد علمتم اننا لا نسرق لأن من رد ما وجد لا يكون سارقاً عن الكلبي وقيل انهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد شدوا أقواء دوابهم كي لا تتناول الحراث والزرع وفي هذا دلالة على ان ما فعله أخوة يوسف به انما كان في حال الضرر وعدم كمال العقل لنفسيهم عن اتهمهم الفساد الذي هو ضد الصلاح (قالوا فما جزاؤهم)

اي قال الذين نادوهم فما جزاء السارق (ان كنتم كاذبين) سيئ قولكم انا لم نسرق وظهرت السرفة وقيل سماء
فما جزاء من سرق (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) اي قال اخوة يوسف جزاء السارق السارق
وهو الإنسان الذي وجد المسروق في رحله وقد بينا تقديره فيما قبل ومساء اثنتي سنة في بني اسرائيل وعند الملك
كان استرقاق السارق عن الحسن والسدي وابن اسحاق والجبائي وكان يسترق سنة وقيل كان حكم السارق في
آل يعقوب ان يشتمل ويسترق على قدر سرقة وفي دين الملك الفرب والضمان عن الضحاك وقيل ان يوسف
سألهم ما جزاء السارق عندكم فقالوا ان يؤخذ برقبته (كذلك يجزي الظالمين) اي مثل ما ذكرنا من الجزاء
تجزئ السارقين يعني اذا سرق استرق وقيل ان ذلك جواب يوسف (ع) لقول اخوته ان جزاء السارق استرقاقه
(فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) اي بدأ يوسف في التفتيش بأوعيتهم لإزالة الهمهمة (ثم استخرجها) يعني
السفينة (ومن وعاء أخيه) واثنا بدأ بأوعيتهم لأنه لو بدأ بوعاء أخيه لطمعوا أنه هو الذي جعلها فيه واثنا قال استخرجها
لأنه أراد به السفينة وحيث قال ولما جاء به اراد به الصاع وقيل ان الصاع يذكر ويؤتى قالوا انا قبلنا على ابن يامين
وقالوا له فضمتنا وسودت وجوهنا متى اخذت هذا الصاع فقتل وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدرهم في
رحلكم (كذلك كدنا ليوسف) اي مثل ذلك الكيد أمرنا يوسف ليكيدنا شيئا له ان يحبس أخاه ليكون
ذلك سببا لوصول غيره الى أبيه اي الهنا يوسف هذا الكيد والحيلة فجازاهم على كيدهم يوسف اي كادهم
في الانبئاء فسلما بهم وقيل ان معنى كدنا صنعنا ليوسف عن ابن عباس وقيل الهنا عن الريح وقيل ديونا ليوسف
بإدلاله قوله وفوق كل ذي علم عليم على انه سبحانه علم من صلاح هذا التدبير ما لم يعلمه غيره عن التتبي (ما كان
ليأخذ أخاه) يعني في دين ذلك الا ان يشاء الله) اي ما كان يمكنه ان يأخذ أخاه في حكم الملك وقضائه وان
يجسه اذ لم يكن ذلك من حكم ملك مصر وأهله عن قتادة وقيل في دين الملك في سلطانه عن ابن عباس وقيل
في عادته في جزاء من سرق ان يستعبد وقيل انه كان عادلا ولولا هذه الحيلة لما كان يمكنه ان يأخذ أخاه الا ان
يشاء الله ان يجعل ليوسف عدوا فيما فعل وقيل الا ان يشاء الله ان يأمره بذلك لأنه كان لا يمكنه ان يقول
هذا أخي وكان لا يمكنه حبه من غير حيلة لأنه كان يكون فطما وكان من سنة آل يعقوب ان يسرق
ويطعمه حكم الملك وأهل مصر ان يضرب ويغرم وجهه يوسف على قولهم والتزم حكمهم النسيه جرى على
لسانهم مبالغة في نفي السرفة عن أنفسهم وكان ذلك مراده وقد شاء الله لأنه بأمره عن الحسن واثنا ساء كيدا
لأنه لولا هذا السبب لم يصيبه له أخذه والكيد ما يفعله فاعله ليوصل به الى غيره ضررا من حيث لا يطمعوا لويلال
منه شيئا من غير أن يطعمه (رفع درجات من شاء) بالمر والنبوة كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وقيل
بالتقوى والتوفيق والعصمة والالطاف الجميلة (وفوق كل ذي علم عليم) يعني ان كل عالم فان فوقه عالما اعلم
منه حتى يستحي الى الله تعالى العالم بجميع المعلومات لذاته فيقف عليه ولا يتعداه وفي هذا دلالة على بطلان قول
من يقول ان الله سبحانه عالم بكل شيء لأنه لو كان كذلك لكان فوقه عليم على ما يقتضيه الظاهر

قوله تعالى (٧٧) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا
لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانَاتٍ وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٨) قَالُوا يَا أَيُّهَا الزَّيْنُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدًا مِنْ مَكَانَتِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٩) قَالَ مَتَادَ أَهْدَى أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا
عِنْدَهُ إِنَّا إِنَّا لَنَظَالِمُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَسْتَبَشَرُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ
قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا كُنْتُمْ فِيهِ يوسُفَ فَلَنْ أَدْرَأَكَ الْأَرْضَ حَتَّى بَأْذَنَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَحْكُمُ اللَّهُ فِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ أَرْبَعُ آيَاتٍ

﴿اللمنى﴾

الأيأس قطع الطمع من الأمر يقال يشي يأيس وأيس يأيس لفة واستغفل مثل أياشياس واستأيس وروى ابو ريمية عن الزبي عن ابن كثير استأيسوا منه واستأيس الرمل ويشي واستأيس بمعنى مثل سفر واستغفرو عجب واستعجب والتجبي القوم يتناجون الواحد والجمع فيه سواء قال سبحانه وقريانه نجيا وانما جاز ذلك لأنه مصدر وصف به والمتناجاة المسارة وأصله من التجوة وهو المرتفع من الأرض فإنه رفع السر من كل واحد الى صاحبه في خفية والتجوى يكون اسما ومصدرا قال سبحانه واذ هم نجوى أي يتناجون وقال في المصدر إنما التجوى من الشيطان وجمع التجي انجبة قال «اني اذا ما القوم كانوا انجبة» ويرح الرجل يراحا اذا تنحى عن موضعه

— الاعراب —

قوله فأسرهما يوسف في نفسه ولم يدها لهم قال الزجاج هنا اضمار على شريطة التفسير لأن قوله تعالى انتم شر مكانا يدل من ما في اسرها والمعنى فأسرهما يوسف في نفسه قوله انتم شر مكانا قال ابو علي ان الاضمار على شريطة التفسير يكون على ضربين ﴿أحدهما﴾ ان يفسر بفرد فهو نعم رجلا زيد فقولك رجلا تفسير للرجل الذي هو فاعل نعم وقد اسمر ﴿والآخر﴾ ان يفسر بجملة وأصل هذا يقع في الإبداء كقوله فإذا هي شاحصة ابصار الذين كفروا وقل هو الله أحد والمعنى القصة ابصار الذين كفروا شاحصة والاسماة أحد ثم تدخل عوامل المبتدأ عليه نحو كانوا اخواتها وإن اخواتها فينتقل هذا الضمير من الإبداء بها كايبتقل سائر المبتدآت كقوله الله من يأتيه بجر ما فإنها لا تعني ابصار وقول الشاعر «وليس منها شفاء الداء مبدول» والذي ذهب ابو اسحاق فيه الى انه مضمر على شريطة التفسير ليس يمتدأ فيأخره التفسير بالجملة الا ترى انها فضلة مذكورة بعد فعل وفاعل وهو قوله اسر فأذا كان مبينا لما اصله المبتدأ لم يجز ان يفسر تفسيره وايضا فلان المضمر على شريطة التفسير لا يكون الا متعلقا بالجملة التي يفسرها ولا يكون متعلقا عنها ولا متعلقا بجملة غيرها وما ذكره ابو اسحاق فالتفسير فيه منفصل عن الجملة التي فيها الضمير الذي زعم انه اضمار على شريطة التفسير فخرج بذلك عما يكون عليه الاضمار قبل التفسير فإن قلت قلتم في حمل الضمير في اسرها قلنا يحتمل ان يكون اضمارا للوجه كانه عليه الاضمار ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل أسر يوسف ابايهم في نفسه ولم يدها لهم في الحال وجاز اضمار ذلك لأنه دل ما تقدم من مقاتل عليه وجاز ان يكون اضمارا للمقالة كانه أسر يوسف مقاتل لأن القول والمقالة واحد ويكون معنى المقالة القول كما ان المخلوق عبارة عن المخلوق اي اكبتها في نفسه وادعها ولم يطرحها ارادة التوبيخ عليها والمجازاة بها انتهى تلخيص كلام ابى علي وقوله شيخنا حفة الأب والكبير حفة الشيخ ومعاذ الله منصوب على المصدر والرب تقول معاذ الله ومعاذة الله وعودنا الله وعوده الله وعياد الله ويقولون اللهم عائلنا بك اي ادعوك عائلنا بك وان تأخذ في موضع نصب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد الان وجدنا متاعنا عنده فلما سقطت من انفي القبل نصب عن الزجاج وقوله اتا إذا لظالمون فيه معنى الجزاء أي إن اخذنا غيره فتعين ظالمون ونجيا نصب على الحال وما في قوله ما فرطتم لنواي ومن قبل فرطتم ويجوز أن تكون مصدرية في موضع رفع بمعنى تفرطكم واقع من قبل فيكون ما فرطتم في يوسف في موضع رفع بالإبداء ومن قبل خبره ويجوز أن يكون في موضع عطف على ان فيكون للمعنى المبتدأ ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا وتفرطكم في يوسف ويحكم عطف على يأذن ويجوز ان يكون بمعنى الان اي لن ابرح الأرض الا ان يحكم الله لي

﴿اللمنى﴾

ثم اخبر سبحانه عن اخوة يوسف انهم (قالوا) ليوسف (ان يسرق) ابن يامين (فقد سرق اخ له) من امه

(من قبل) فليست سرقة بأمر يبيع فإنه اتحدى بأخيه يوسف واختلاف فيها وصفوه به من السرقة على اقوال فقيل ان عمه يوسف كانت تحضه بعد وفاة امه وتحبها شديدا فلما تعرض اراد يعقوب ان يسترده منها وكانت اكبر ولد اسحاق وكانت عندها منطقة اسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر فاختالت وجاءت بالمنطقة وشهدتا على وسط يوسف وادعت انه سرقتها وكان من ستم استرقاق السارق فحبسته بذلك السبب عندها عن ابن عباس والضحك والجلالي وقد روي ذلك عن اثنتا عليهم السلام وقيل انه سرق صنعا لجمه من قبل امه فكسره والقاه على الطريق عن سعيد بن جبير وقادة وابن زيد وقيل انه سرق دجاجة كانت في بيت يعقوب فأعطاهما ساتلا فميروه بها عن صفيان بن عيينة ومجاهد (فأسرها يوسف في قبه) أي فأغنى يوسف تلك الكلمة التي قالوها (ولم يبدعها لهم) أي لم يظهرها (قال انتم شر مكانا) في السرقة لا تكتم سرقة احاكم من ابيكم (والله اعلم باخفون) أي والله اعلم سرقة اخ له ام لا عن الزناج ويكون للمنى انتم اموه حالا من يوسف فلمنه لم يكن له صنيع في المنطقة وكان يتصدق بأذن ابيه ولم تكونوا براء نفا علمتموه به وقيل معناه انتم شر صنعا بما اقدمتم عليه من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم فأنتم شر مكانا عند الله منه أي اسر هذه المقالة في قبه ثم جبر بقوله والله اعلم بما تصفون قال الحسن لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت وانما اعطوا النبوة بعد ذلك والصحيح عندنا انهم لم يكونوا انبياء لأن النبي عندنا لا يجوز ان يقع منه فعل القبيح اصلا وقال البلخي انهم كذبوا في هذا القول ولم يصح انهم كانوا انبياء وجوز أن يكونوا الامسيات غيرهم أو أن يكونوا من اولادهم (قالوا يا اباها العزيز ان له ابا شيئا كبيرا فخذ احدا مكانه) أي بدلا عنه انما قالوا هذا لما علموا انه استحقه فسألوه ان يأخذ عنه بدلا شفقة على والدهم ورفقا في القول على وجه الاسترحام ومعناه كبيرا في السن وقيل كبيرا في القدر لا يجيب ابن مثله (اناراك من المحسنين) إلى الناس وقيل من المحسنين اليها في الكيل ورد البضاعة وسبب الضيافة ونحن نأمل هذا منك لإحسانك اليها وقيل ان فعلت هذا فقد احسنت اليها فأجابهم يوسف بأن (قال معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) أي اعزذ بالله ان أخذ البري يجرم القبح وقال من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تعززا من المكذب (انا إذا للظلمة) أي لو فعلنا ذلك لكننا ظالمين وفي هذا دلالة على ان اخذ البري بالجرم ظلم ومن فعله كان ظلما والله يتعالى ويعدل عن ذلك علوا كبيرا (فلا استياسوا منه) أي فلا يشي اخوة يوسف من يوسف ابن يعقوب إلى ماسألوه من تخليه سبيل ابن يامين معهم (خلصوا نحيها) أي اتفردوا عن الناس من غير أن يكون معهم من ليس منع يتناجون فيما يعملون في ذهابهم إلى ابيهم من غير اخيم ويشيدون في أنهم يرجون ام يعقوب وتلغيصه اغتزلوا عن الناس متناجين وهذا من الفاظ التراف التي هي في النابية القصوى من الفصاحة والايجاز في اللفظ مع كثرة المعنى (قال كيريم) وهو رومين وكان اسمهم وهو ابن خالة يوسف وهو الذي نفي اخوته عن قتله عن قتادة والسدي والضحك وكعب وقيل شمعون وهو كبير في العقل والعلم لا في السن وكان رئيسا عن مجاهد وقيل يهوذا وكان اعظمهم عن وهب والكلبي وقيل لادوي عن محمد بن اسحاق وعن علي بن ابراهيم بن هشام (ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) اراد به الوثيقة التي طلبها منهم يعقوب حين قال ان ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتيني به فذكرهم ذلك (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) أي قسرت في أمره وكتبتم قد علمتم انما كان تردوه اليه سالما ففقتضتم العهد (فلان ابرح الأرض) أي لا ازال بهذه الأرض ولا ازل عنها وهي ارض مصر (حتى يأذن لي ابي) في الرجوع اليه (أو يحكم الله لي) بالخروج وترك اخي هاشما وقيل بالموثوق وقيل بما يكون عدلا لنا عند ابينا عن ابي سلم وقيل بالسيف حتى احارب من حبس اخي عن الجلالي (وهو خير الحاكمين) لا يحكم إلا بالحق قالوا انه قال لم انا اكون حاشا واسلموا انتم الظلماء اليهم فأخبروهم بالواقعة قوله تعالى (٨١) ارجعوا إلى آبيكم فقولوا يا ابانا ان ابناك سرق واشهدنا إلا بما علمنا

وَمَا كُنَّا لِلْقَيْسِ حَافِظِينَ (٨٢) وَسئلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْمِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٣) قَالَ بَلَى سَوَّيْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٤) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَيُّضْتُ عَنْهُ مِنَ الْخُزْنِ قَبْلُ كَظِيمٌ (٨٥) قَالُوا تَأْتِيهِ تَفْتُونًا نَذْرٌ كُرُّ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ خَرَصًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٦) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٧) يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَنُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسَئُوسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

سميع آيات

﴿ التَّوَارُثُ ﴾

في الشواذ قراءة ابن عباس مرق يضم السين وتشديد الراء وكسرها وقراءة الحسن وهشام وعمر بن عبد العزيز من روح الله يضم الراء

— (الوجه) —

معنى مرق يضم السين نسب إلى السرقة فيكون من باب فسقه وفجوره وشبهه إذا نسب إلى هذه الخلال وأما روح الله فيمكن أن يكون من الروح الذي هو من عند الله وبلغته وهدايته ونصته

﴿ التلوة ﴾

القرية الأرض البعيدة لما كن كثيرة وأصله من القرى وهو الجمم يقال قرئت الماء في الخوض ونظيره البلدة والمدينة والمير قد مضى ذكر معناه والكظم اجتراح الخزن وهو أن يمسكه في قلبه ولا يبعثه إلى غيره ويقال ما زلت أعمل كذا وما فشت أفعله إلقاء فاعلم قال أوس بن حجر يصف حرباً

فما فأتت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع

والخوض المشرف على الهلاك يقال رجل حرض وحارص أي فاسد في جسمه وعقله ومنه حرضه على كذا أمرته به لأنه إذا خالف الأمر فكأنه هلك واحرضه أي أقصده قال الرعي

إني امرء لرج بي حب فأحرضني حتى بليت وحتى شغني السقم

والخوض لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر والشكوى حقة ما حده من البلى يقال شكوته إلى فلان شكوى وشكاية وشكواء فأشكاني أي أعباني من إشكواي وأشكائي أيضاً أخرجهي إلى الشكوى واليت الهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمان فيه أي يفرقه وكل شيء فرقه فقد ألبسته ومنه قوله وبث فيها من كل دابة والجنس طلب الشيء بالحاسة والتجسس نظيره وفي الحديث لا تجسسوا ولا تجسسوا وقيل إن معناه واحد ونسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين كقول الشاعر «مضى أدن منه يتأ عني ويبعد» وقيل التجسس بالجمع البحث عن عورات الناس وبلغاء الاستماع لحديث قوم وسئل ابن عباس عن الفرق بينهما قال لا يبعد أحدهما عن الآخر التجسس في الخير والتجسس في الشر والروح الراحة والروح الراحة وأصل الباب من الربيع التي تأتي بالرحمة

— الإعراب —

اسأل القرية أي أهل القرية وإهل المير فعطف المضاف وأقام للمضاف إليه مقامه يا أسفى معناه يا حشرني والأصل يا أسفى إلا أن باء الإضافة يجوز أن يبدل الفاء لطفة الألف والفتحة ويجوز أن يكون الف التثنية

ويكون منناه البيان ان الخالـ حال حزن فكأنه قال يا اسف هذا من اوانك وقوله على يوسف من صلة المصدر
فتأ معناه لا تفتأ حذف حرف التثنية لمع السامع به كما في قول امرئ القيس .

فقلت بين الله ابرح قاعدا ولوضربوا رأسي لديك واوصالي
وإنما جاز ذلك لأنه لا يجوز في القسم تألفه فتصل حتى تقول تألفه لتفعلن او تقول لا تفعل

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه انه قال لهم كيوم في السن او في العلم (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق)
في الظاهر (وما شهدنا) عندك بهذا (إلا بما علمنا) أي بما شهدنا من ان الصاع استخرج من رحله في الظاهر
وبين بهذا انهم لم يكونوا قاطعين على انه سرق وقيل معناه ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق إلا بما علمنا
ان الحكم ذلك ولم نعلم ان ابنك سرق أم لا إلا انه وجد الصاع عنده فحكم بأنه السارق في الظاهر وإنما
قالوا ذلك حين قال يعقوب «ع» لهم ما يدري الرجل ان السارق يؤخذ برقبته ويسترق وإنما علم ذلك بقولكم
(وما كنا لنظن) أي انا لم نعلم الغيب حين سألتك أن تبحث ابن يمين معنا ولم ندر أن امرء يؤل
إلى هذا وإنما قصدنا به الخير ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به عن مجاهد وتصادقه والحسن وقال علي بن عيسى علم الغيب
هو علم من لو شاهد الشيء لشاهده بنفسه لا بأمر يستغيده والعالم بهذا المعنى هو الله وحده سجل اسمه وقيل معناه
ما كنا لسر هذا الأمر حافظين وبه عالمين فلا ندري انه سرق أم كذبوا عليه وإنما اخبرناك بما شاهدنا عن
عكرمة وقيل معناه ما كنا لنظن ابنك حافظين أي انا كنا نحفظه في محضه وإذا غاب عنا ذهب عن حفظنا
يمنون انه سرق ليلا وهم نيام والغيب هو الليل بلغة حمير عن ابن عباس قال أي انا لم نعلم ما كان يصنع في
ليله ونهاره وعجيبه وذعابه (واسئل القرية) أي أهل القرية (التي كنا فيها) والقرية مصر عن ابن عباس والحسن
وتصادقه ومعناه سل من شئت من أهل مصر عن هذا الأمر فإن هذا أمر شائع فيهم فيغير به من شأنه وإنما
قالوا ذلك لأن بعض أهلها كانوا قد صاروا إلى الناحية التي كان فيها أيوهو العرب تسمى الامصار وللدان قري
(والبر التي اقبلنا فيها) أي وسل أهل القافلة التي قدمنا فيها وكانوا من ارض كنعان من جيران يعقوب وإنما
حذف المضاف للإيجاز ولأن المعنى مفهوم وقيل انه ليس في الكلام حذف لأن يعقوب «ع» نبي صاحب
معجز يجوز أن تكلمه القرية والبر على وجه خرق المادة وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا أهل تهمة عند يعقوب
(وإنما تصادقون) فيما اخبرناك به (قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً) هنا حذف كثير بدل الحال عليه تقديره
فلا رجوعا إلى أيهم وقصوا عليه القصة بطولها قال لم ما عندي ان الأمر على ما تقولونه بل سولت لكم أنفسكم
أمراً فيما أنظن (فصدح جميل) أي فأمرى صبر جميل لا جزع منه (عسى الله أن يأتيهم بهم جميعاً) أي عسى الله
أن يأتيهم يوسف وابن يمين ورويل او شمعون او لاوي او يهوذا (انه هو الطيب) بباده (الحكم) في تدبير
الخلق (وتولى عنهم) أي انصرف واعرض عنهم بشدة الحزن لما بلغه خبر حسن ابن يمين وهاج ذلك وجنده
يوسف لأنه كان يئس به (وقال يا أسنى على يوسف) أي على اخوتي حزنني على يوسف عن ابن عباس وروي
عن سعيد بن جبير انه قال لقد أعطيت هذه الأمة عهد المصيبة ما لم يعط لأتباعه قبلهم وإنما الدير اجسوم
ولو اعطيا الأتباع لأعطيا يعقوب إذ يقول يا أسنى على يوسف (وايضت عيناه من الحزن) والبكاء ولما كان
البكاء من أجل الحزن أضاف البكاء اليه وسئل الصادق «ع» ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف قال
حزن سبعين حراً تكلي قيل كيف وقد اخبر انه يرد عليه فقال أنسى ذلك وقيل انه حي ست سنين عن مقاتل
وقيل انه اشرف على المعى فكان لا يرى إلا شيئاً يسيراً (فهو كظيم) والكظيم مهتما بمعنى الكاظم وهو المملوء
من ألم والحزن الممسك للغيظ لا يشكوه لأهل زمانه ولا يظهره بلسانه ولذلك لقب موسى بن جعفر عليها السلام

الكاظم لكثرة ما كان يتجرع من النيط والغم طول أيام خلافته لأبيه في ذات الله تعالى وقال ابن عباس هو المغموم المكروب (قالوا) أي قال ولد يعقوب لأبيههم (تأله تفتؤ لذكر يوسف) أي لا تزال تذكر يوسف (حتى تكون حرشا) أي دقا فاسد العقل عن ابن عباس وابن اسحاق وقيل قريبا من الموت عن مجاهد وقيل هربا باليا عن قتادة والضحاك (أو تكون من المالكين) أي الميتين وإنما قالوا ذلك اشتاقا عليه وتعطفوا ورحمة له وقيل أنهم قالوا ذلك تبرما ببيكته إذ تنص عيشهم بذلك (قال) يعقوب في جوابهم (إنما اشكو بي) أي همي عن ابن عباس وقيل حاجتي عن الحسن (وحزني إلى الله) للمعنى وإنما اشكو حزني وحاجتي واختلال حالي واختشارها إلى الله في ظلم الليالي وأوقات خلواني لا اليكم وقيل البث ما أبدله والحزن ما أخفاه وروي عن النبي ﷺ أن جبرائيل أتاه فقال يا يعقوب إن الله يقرأ عليك السلام ويقول ابشر وليرح قلبك فوعظني لم كتابيتين لنشرهما لك اصنع طعاما للمساكين فإن أحب عبادي إلى المساكين أو تدري لم أذهب بصرك وقوس ظهرك لأنكم ذبتم شاة وأتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئا فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغذاء امر ناديا ينادي ألا من أراد الغذاء من المساكين فليفتح مع يعقوب وإذا كان صائما امر ناديا فنادي ألا من كلف صائما فليطعم مع يعقوب رواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ في صحيحه (واعلم من الله ما لا تعلمون) أي واعلم صدق رؤيا يوسف واعلم انه سي وأنكم مستجدون له كما اقتضاه رؤياه عن ابن عباس وقيل واعلم من رحمة الله وقدرته (ما لا تعلمون) من عطا وفي كتاب النبوة بالاسناد عن سدير الصيرفي عن أبي جعفر الباقر «ع» قال إن يعقوب دعا الله سبحانه في أن يهبط عليه ملك الموت فأجابه فقال ما حاجتك قال أخبرني هل مر بك روح يوسف في الأرواح فقال لا نعم انه حي فقال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) ابن يامين وقيل أتتم لما أخبروه بسيرة الملك قال لعله يوسف عن السدي فلذلك قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ابن يامين أي استخبروا من شأنها واطلبوا خبرهما وانظروا إن ملك مصر ما سمع وطئ أي دين هو فإنه التي في روعي إن الذي حبس ابن يامين هو يوسف وإنما طلبه محكم وجعل الصاع في رحله احتيالا في حبس أخيه عند نفسه (وليتأبسا من روح الله) أي لا تقتلوا من رحمته عن ابن عباس وكتادة والضحاك وقيل من الفرج من قبل الله عن ابن زيد والمعنى لا يتأبسا من الروح الذي يأتي به الله (انه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون) قال ابن عباس يريد أن المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد والبلاء ويشكره ويمجده في الرخاء والكافر ليس كذلك وفي هذا دلالة على أن الفاسق الملى لا يأس عليه من رحمة الله بخلاف ما يقوله أهل الوعيد

سؤال ❀ كيف خفي اخبار يوسف على يعقوب سيف المدة الطويلة مع قرب المسافة وكيف لم يعلمه يوسف بخبره لتسكن نفسه ويؤمل وجهه
الجواب ❀ قال الجبائي الملة في ذلك انه حمل إلى مصر فبيع من عزيز فألزمه داره ثم لبث في السجن بضع سنين فانقطعت اخبار الناس عنه فلما تمكن احتال في إيصال خبره بأبيه على الوجه الذي امكنه وكان لا يأم أن لو بث رسولا اليه ان لا يمكنه اخوته من الوصول اليه وقال المرتضى قدس الله روحه يجوز أن يكون ذلك له ممكنا وكان عليه قادرا لكن الله سبحانه أوحى اليه بأن يعذر عن اطلاعه على خبره تشديداً للمحنة عليه والله سبحانه ان يصيب التكليف وإن يسهله

قوله تعالى (٨٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَتَمَّ جَاهِلُونَ (٩٠) قَالُوا أَهَئِكَ لَأَنْتَ بُيُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ

مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ (٩١) قَالُوا تَأْتِيهِمْ لَقْدَ آتَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩٢) قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٣) أَذْهَبُوا فَيَقْبِضِي هَذَا الْقُوَّةَ عَلَى وَجْهِ أَبِي بَاتٍ بِصَبْرٍ أَوْ تَوْنِي يَا هَلِكُمْ أَجْمَعِينَ

ست آيات

❦ القراءة ❦

قرأ أبو جعفر وابن كثير انك لآت يوسف بكسر الميم وقرأ نافع ويعقوب غير زيد وسهل انك بفتح الميم غير محمود وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب انك بالمد وقرأ الياقوت انك بهزتين وفي الشواذ قراءة ابي انك او انت يوسف وقرأ ابن كثير وحده من يتقي ياء في الوصل والوقف والياقوت يتيها

-(الحجة)-

يدل على الاستفهام قوله لنا يوسف وإنما أجابهم عما استفهاموا عنه قال أبو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي انه على الاستفهام كأنه قال او تلك نعمة فيجوز أن يكون من قرأ انك على هذا فيكون القراءتان متفقتين ولما يحذف حرف الاستفهام فأما في القراءات فإنه يجري على منعهما في اجتماع الميمتين وقد تقدم القول في ذلك وأما قراءة ابي فيكون على حذف غير ان كأنه قال انك لغير يوسف او انت يوسف قال ابن جني فكأنه قال بل انت يوسف فلما خرج خرج التوقف قال انا يوسف وقد جاء عنهم حذف غير ان قال الاضي

ان حلا وان مرتحلا وان في السفر إذ مضوا مهلا

أراد ان لنا محلا وان لنا مرتحلا قال أبو علي قوله من يتقي لا يجعل على نحو قول الشاعر « ألم بأنيك والأبنا تسمى » لأن لنا ونحوه إنما يجيء في الشر ولكن فعل من موصولة فيكون بمنزلة الذي يتقي ويعمل المعطوف على المعنى لأن من يتقي إذا كان من منزلة الذي بمنزلة الجزء الجازم بدلالة ان كل واحد منها يصلح دخول الفاء في جوابه فإذا اجتمعا سيء ذلك جاز أن يعطف عليه كما يعطف على الشرط المجزوم لكونه بمنزلة فهذا كراهه ومثل ذلك قوله فأصديق واكن حلت واكن على موضع الماء ومثله قول من قرأ ويذرم في طغيانهم جزما ويجوز أن تقدر الضمة في قوله ويصبر وتحذفها للاستعفاف كما يخفف نحو عشد وسيم وجاز هذا في حركة الاعراب كجوازها في حركة البناء وزعم أبو الحسن انه سمع رسلا لديهم يكتبون بأسكان اللام من رسلا ويقوي ذلك قراءة من قرأ وجهه ألا ترى انه جعل تته بمنزلة كتب وعلم فاسكن فكذلك يسكن على هذا ويصبر

❦ اللفظ ❦

الازياء في اللفظ السوق والدفع قليلا قليلا ومنه قوله يزجي سحابة قال النابغة

وهبت الريح من تلقاء ذي ارك
تزجي مع الليل من صرادها صرما
وفلان يزجي العيش أي يدفع بالتليل ويكتفي به قال الاضي
الواهب المائة الهجان وعيدها
عودا يزجي خلفها اطفالها

أي يدفع وقال آخر فوحاجة غير مزجة من الحاج وإنما قيل يضاعة مزجة لأنها سيرة ناقصة وإنما يجوز ذلك على دفع من أخذها والآن النعمة وأمله القطع لأنها تقطع المنعم عليه من حال يؤمه والارتباط تفضيل احد الثمين على الآخر ونظيره الاختيار والاجتناب وقبحه الارتباط عليه وأصله من الأثر فإنه يؤثر من له أثر جميل والأثر الاخبار يقال أثر يأتو والمأثرة المكومة لأنها تؤثر والخطأ ضد الثواب يقال خطأ الرجل بخطأ

خطأ وخطأ فهو خاطئ واخطئ بخطأ إخطاء فهو غلطى قال امرؤ القيس

يا لطف هند إذ خططن كاهلا القاتلين الملك الحلالا

التثريب التوبيخ يقال ثرب وأثرب وثرّب عن ابن الأعرابي وقيل التثريب القوم والاقتصاد والتفريق بالذنب قال ابو عبيدة وأصله الاقتصاد وأشد

فصوت عنهم عفو غير مثرّب وتركتهم لعقاب يوم مرمد

وقال ثعلب ثرب وأثرب فلان على فلان أي عدد عليه ذنوبه وقال ابو مسلم هو مأخوذ من الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في القوم والتنصيف والبلوغ بذلك إلى أقصى غاياته

* الاعراب *

هل علمتم استقام المراد به التقرير ما فعلتم يوسف تقديره أي شيء فعلتم يوسف فكان ما سيقه موضع نصب والجملة معلقة بعلمتم وقوله فإن الله لا يضيع أجر المحسنين في موضع الجزم بأنه جواب الشرط وذكر المحسنين نائب عن الضمير العائد إلى من لأن الانتفاء والصبر في معنى الإحسان فكأنه قال لا يضيع جزاءه لأن يوسف هذه لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبره ان ويجوز ان يكون انت فصلا كما علمت فيما تقدم وقوله لا تثريب عليكم فتركب فكرة مفردة مبنية مسح لا على الفتح ولا يجوز أن يتصل عليكم به إذ لو كان كذلك لكان مشبها بالمضاف من حيث يكون عاملا فيما بعده ويكون عليكم من تمامه وكان يجب أن يكون منصوبا منونا كما تقول لا مروراً يزيد عندك وإذا عرفت هذا فإن عليكم هنا فيه وجهان ﴿أحدهما﴾ أن يكون في موضع الخبر على تقدير لا تثريب يثبت عليكم أو ثابت عليكم ثم حذف ذلك وانتقل الضمير منه إلى عليكم حيث سد مسده ﴿والآخر﴾ أن يتصل بضمير ذلك المضمير وصف للتثريب وعلى هذا فيجوز فيه وجهان ﴿أحدهما﴾ أن يكون في محل رفع تقديره لا تثريب ثابت عليكم كما تقول لا رجل غل رفيف ﴿والآخر﴾ أن يكون في محل نصب تقديره لا تثريب ثابتاً عليكم كما تقول لا رجل غل رفيف الصفة وقام الظرف مقامه ويكون اليوم على هذا الوجه خبر لا وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون مشعلاً بالضمير الذي في الخبر ويجوز ان يكون قد تم الكلام عند قوله عليكم وتعلق اليوم بما بعده فيكون تقديره اليوم يقر الله لكم وهذا اختيار الأجنس وهكذا الكلام في قوله لا رب فيه

- (المعنى) -

ولما قال يعقوب لبيته اذهبوا فاحسبوا من يوسف وانه خرجوا إلى مصر (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف (قالوا يا ايها العزيز منا واهلنا الضرب) أي اصابنا ومن يختصنا بالرحمة والحاجة والشدة من السنين الشداد القحط وقيل انهم شكوا ما نالهم من هلاك مواشيهم والبلاء الذي اصابهم (وجئنا بضيافة مزجة) أي نداءكم بها الأيام وتفتقروا وليستما يتسحب به وقيل رديئة لا تؤخذ إلا يوكس عن ابن عباس والجبائي وقيل قليلة من الحسن ومباهد وقادة وابن زيد وابن مسلم واختلف في تلك البضاعة فقيل كانت دراهم رديئة زوفا لا تنفق في غنم الطعام من عسكرة عن ابن عباس وقيل كانت خلق الفراءة والحبل ورت المتاع عن ابن ابي مليكة منه وقيل كانت متاع الاعراب الصوف والسمن عن عبد الله بن الحارث وقيل الصنوبر والحبة الحضراء عن الكلبي ومقاتل وقيل دراهم فسول عن سديد بن جبير وقيل كانت اظفا عن الحسن وقيل الثمال والأدم عن الضحاك وعنه ايضا انها سويق المقل (فلو لنا الكيل) كما كنت توفي في السنين الماضية ولا تنظر إلى قلة بضاعتنا في هذه السنة (وتصدق علينا) أي ساعنا بما بين التقدير وسر لنا بالردى كاتسمر بالبعد وقيل مناه تصدق علينا يرد اخينا عن ابن جريج والضحاك (إن الله يجزي المتصدقين) أي يشيهم على صدقاتهم بأفضل منها وفي كتاب التوبة

منكم ما تقدم من ذنبكم وقيل في صنيعة بي حتى جعلني ملكا وقيل اراد باليوم الزمان فتدخل فيه الاوقات كلها كما قال الشاعر

فاليوم يرحنا من كان يتبعنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعاً

وقيل ان الكلام قد تم عند قوله لا تتوب عليكم ثم ابتدأ بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو دعاء لهم (اذهبوا بقميصي هذا فاغفروا علي وجه الي يأت بصيرا) قيل انه ع لا عرفهم نفسه سالم من ابيه فقال ما فعل ابني بعدي قالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا واطرحوه علي وجهي يمد بصيرا كما كان من قبل قال ابن عباس يأت بصيرا يريد بصيرا ويذهب البياض الذي على عينيه (واترني باهلكم اجمعين) اذا عاد بصيرا وهذا كان معجزا منه إذ لا يعرف انه يعود بصيرا بل تمام القميص علي وجهه إلا بالرحمي وقيل ان يوسف قال إذا ذهب بقميصي من ذهب به اولا فقال يهوذا لما ذهبت به وهو ملطخ بالدم فاخبرته انه أكله الذئب قال فاذهب بهذا ايضا واخبره انه حي وافرجه كما حرثته فحمل القميص وخرج حافيا حاسرا حتى اتاه وكان معه سبعة أرغفة وكانت مسافة بينها ثمانين فرسخا فلم يشرف الأرغفة في الطريق وقد ذكرنا شأن القميص من قبل وروى ايضا الواحدي يستأذنه يرفعه إلى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال ان تمرود الجبار لما اتى ابراهيم في النار نزل اليه جبرائيل بقميص من الجنة وطفقة من الجنة فألبسه القميص واهمده علي الطفقة وقعد معه يحده فكسا ابراهيم ذلك القميص اسحاق وكساه اسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فبسطه في قصبه من فضة وعلفها في عنقه فألقى في الجب والقميص في عنقه فذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا وقال ابن عباس اخرج لهم قصبه من فضة كانت في عنقه لم يل بها اخوته فيها قميص وهو الذي نزل به جبرائيل علي ابراهيم وذكر القصة وقال مجاهد امره جبرائيل ان يرسل اليه قميصك فلان فيه ريح الجنة لا يقع علي ميتة ولا سقيم إلا صح وهو في

قوله تعالى (١٤) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِذُونِ (١٥) قَالُوا نَأْتِيهِ نَافِثُ الْبَنَاتِ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ بَنَاتِنَا مَنكِهُنَّ (١٦) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالُوا أَأَمْلَأُ لَكُمْ رِيحَ يَعْقِبَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٧) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (١٨) قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ خمس آيات

الفصل

الفصل أصله القطع ومنه قيل للحاكم فيصل لأنه يقطع الأمور والتفتيد تضعيف الرأي قال

يا صاحبي دعا لومي وتفتيدي فليس ما فات من أمر مجردود

والفتند ضعف الرأي وقيل ان أصله الفساد قال التائبة

إلا سليمان إذ قال للمليك له قم في البرية فاحدها عن الفتند

أي اسعها عن الفساد

المعنى

(ولا فصلت العير) أي لا خرجت الطائفة وانفصلت من مصر متوجهة نحو الشام (قال ايهم) يعقوب لا ولاد أولاده الذين كانوا عنده (إني لأجد ريح يوسف) روي عن أبي عبد الله (ع) قال لو جد يعقوب ريح قميص يوسف حين فصلت العير من مصر وهو بفلسطين من مسيرة عشر ليال وقيل من مسيرة ثمانين ليال عن ابن عباس وقيل من ثمانين فرسخا عن الحسن وقيل مسيرة شهر عن الأصم قال ابن عباس حاجت ريح فصلت بريح قميص يوسف

بالاستناد من الحسن بن محبوب عن ابي اساميل القراء عن طربال عن ابي عبد الله (ع) في خبر طويل أن يعقوب كتب إلى يوسف بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل من يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صاحب ثمرود الذي جمع له النار ليرحمه بها فجعلها الله عليه يرداوسلا واتجاه منها اخبرك ايها العزيز انا اهل بيت لم يزل البلاء اليانا سريعا من الله ليلوتا عند السراء والضراء وأن المصائب تاتيت علي عشرين سنة اولها انه كان لي ابن سميت يوسف وكان سروري من بين ولدي وقرعة عيني وقرعة فولدي وأن اخوته من غير امه سالوني أن ابشيه معهم يوتج ويلعب فبعثته معهم بكرة فبادرني عشاءا يكونونجاوا على قميصه بدم كذب وزعموا أن الذئب اكله فاشتد لتفقد حزني وكثر عن فراقه بكائي حتى ابيضت عيني من الحزن وانه كان له اخ وكنت به محبا وكان لي انيسا وكنت إذا ذكرت يوسف ضمتني إلى صدي فسكن بعض ما اجد في صدي وأن اخوته ذكروا لي انك سأتهم عنه وأمرتهم ان يأتوك به فإن لم يأتوك به منعتهم الميرة فبعثته معهم ليمتادروا لنا قصا فوجروا الي وليس هو معهم وذكروا انه سرق ميكال الملك وعين اهل بيت لا تسرق وقبده حبسته مني وفيصتي به وقد اشتد قرواه حزني حتى تقوس لذلك ظهري وظلمت به مصيقي مع مصائب تاتيت علي فمن علي بخيلة سيله واطلاقه من حبسك وطيب لنا القمص واسمح لنا في السر وواف لنا الكيل وعجل سراح آل ابراهيم قال فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا يا ايها العزيز مستا واهلنا انظر إلى آخر الآية وتصدق علينا بأخي ابن يامين وهذا كتاب ايها يعقوب اليك في امره يسالك تخيلة سيبله فمن به علينا فأخذ يوسف كتاب يعقوب وقبله ووضع على عينيه وبكى واتحب حتى بلت دموعه القمص الذي عليه ثم اقبل عليهم (وقال هل علمتم ما فعلتم يوسف واخيه) ومناه انه قال لهم هل علمتم ما فعلتم يوسف من اذلاله واباده عن ابيه والفاقة في البر والاجتماع على قتله ويمنه بشن وكس وما فعلتم بأخيه من افراجه عن يوسف والتفريق بينهما حتى صار ذليلا فيا بينكم لا يكلمكم إلا كما يكلم الذليل العزيز وانا لم يذكر اياه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من القم لفرقه تخليا له ورفا من قدده وعلا ان ذلك كان بلاه له ليزداد به علو الدرجة ورومة اللزقة عند الله تعالى قال ابن الاباري هذا استهزاء يعني به تطليم القصة ومناه ما اعظم ما ارتكبتم وما اتق ما اتيتم من تطليم الرحم وتضييع حقه كما يقول الرجل هل تدري من صيت وفي هذه الآية مصداق قوله لتبشتمهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله (إذ انتم جاهلون) اي صبيان عن ابن عباس وقيل شبان عن الحسن ومناه فعلتم ذلك حين كنتم جاهلين جاهلية الصبي في صفوان الشباب حين ينلب على الانسان الجهل ولم ينسجم إلى الجهل في حال الخطاب لانهم كانوا ثائمين نادمين في تلك الحال وكان هذا تلقينا لهم لا يتذكرون به اليه وهذا هو التاية في الكرم إذ ضغ عنهم وقتهم وجه البند وقالوا أأنك لآنت يوسف قيل ان يوسف لا قال لهم هل علمتم الآية تبسم فلما ابصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ للمنظوم بشعوه يوسف (وقالوا) له (أأنك لآنت يوسف) من ابن عباس وقيل رفع التاج عن رأسه فرفوه (قال أنا يوسف) اظهر الاسم ولم يقل انا هو تطليلا لما وقع به من ظلم اخوته فكانت قال انا المظلم المستحل منه للمعرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه الماتبي عن ابن الاباري قال ولهذا قال (وهذا اخي) لأن قصده وهذا المنظوم كلظمي (قدم من الله علينا) بالاجتماع بعد طول الفرقة وقيل من الله علينا بكل خير في الدنيا والآخرة (انه من يتق) اي يتق الله (ويصبر) على المصائب وعن المصاحبي (فإن الله لا يضيع اجر المحسنين) اي اجر من كان هذا حاله والضياع ذهب الشيء من غير عوض (قالوا لله) اي اقساموا بالله سبحانه (قد آتاك الله علينا) اي فضلك واختارك الله علينا بالعلم والعلو والفضل والحسن واللك (وإن كنا لحاطنين) اي ما كنا إلا مضطئين أكفين فيا فلنا وهذا يدل على انهم قدموا على ما فعلوا ولم يصروا عليه (قال يوسف) لا تقرب عليكم اليوم) اي لا تيسروا وتوبخ ولا تقرب عليكم الآن فيا فلتمن (يقول الله لكم) ذنوبكم فإني استغفر الله لكم (وهو ارحم الراحمين) في ضوء

إلى يعقوب وذكر في القصة ان الصبا استأذنت ربهما في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالنعيم
فأذن لها فأتم بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا وقد أكثر الشعراء من ذكرها فمن ذلك قولهم

فإن الصبا ربيع إذا ما تنقسمت على نفس مهوم تجلت همومها
وقول أبي الصغر المفلحي

إذا قلت هذا حين أسلو يبعيني نسيم الصبا من حيث أن يطلع الفجر

وقوله (لولا أن تنقدون) مناه لولا أن تسهوني من ابن عباس ومجاهد وقيل لولا أن تضخوني في الرأي
من ابن اسحاق وقيل لولا أن تكذبوني والقند الكذب من سعيد بن جبير والسدي والضحاك وروي ذلك أيضا
عن ابن عباس وقيل لولا أن تهرمني عن الحسن وقائدة أي تقولون انه شيخ قد هرم وغرف وذهب عقله وتقديره
اني اطلع انها ربيع يوسف لولا أن تنقدون (قالوا الله انك لقي ضلالك القديم) أي قالوا له اشتاقا عليه وترجوا
انك لقي ضلالك القديم من السواب في حب يوسف (ع) وانه كان منهم ان يوسف قد مات منذ سنين ولم يريدوا
بذلك الضلال من الذين وانما ادوا به المبالغة في حب يوسف والأماشي القاسدة فيا كان يجر من مرده بعد موته
من قائدة والحسن وقيل مناه انك لقي شغالك القديم من مقاتل وفي هذا دلالة على ان قسط القديم قد يطلق في
الفتنة على المتقدم في الوجود (فلما إن جاء البشير) وهو يهوذا من ابن عباس وفي رواية أخرى حنه انه ماله بن
ذمر (قاله على وجه فارتد بصيرا) أي التي البشير قبض يوسف على وجه يعقوب فباد بصيرا قال الضحاك عاد
إليه بصره بعد العسى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروده بعد الحزن فقال للبشير ما أهدى ما أتيتك به
هون الله عليك سكرات الموت (قال) يعقوب لهم (ألم أقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون) أي اني
كنت اعلم ان الله يصدق رؤيا يوسف ويكشف التلذذ من أنبيائه بالصبر وكشتم لا تعلمون ذلك قال الحسن
كان الله سبحانه أعلمه بحجائه ولم يعلمه بمكانه (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) فيا فلما (قال)
يعقوب (سوف استغفر لكم ربى انه هو التور الرحيم) إنما لم يستغفر لهم في الحال لأنه أخرهم إلى سحر
ليلة الجمعة عن ابن عباس وطاوس وروي ذلك من أبي عبد الله (ع) وقيل أخرهم إلى وقت السحر لأنه اقرب
إلى إجابة الدعاء من ابن مسعود وأبراهيم التيمي وابن جريج وروي أيضا عن أبي عبد الله (ع) وقيل انه كان
يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة من وهب وقيل انه كان يقوم يصلى اولاده خلفه مشرئين سنة يدعو
ويؤمنون على دعائه واستغفاره لهم حتى نزل قول توبتهم وروي ان جبرائيل (ع) علم يعقوب هذا الدعاء فاجاء
المؤمنين لا تعيب رجائي وبأعوث المؤمنين أغشي وبأعوث المؤمنين اغني وبأعيب التوابين تب على واستعجب لهم

قوله تعالى (٩٩) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِنِّ شَاءَ اللَّهُ
أَمِينٌ (١٠٠) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ
قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقد أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ
نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠١) رَبِّ قَدْ
أَتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَبَلِّغَ الْأَحَادِيثَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ نَوَفِّيْ سُلُكًا وَالْحَقْنِيْ بِالصَّالِحِينَ (١٠٢) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ النَّبِيِّ نُوحِيْهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ
لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ أربع آيات

الاعراب

دخل من في قوله من الملك ومن تأويل الأحاديث جائز أن يكون لتبويض فيكون المراد آتيتي بعض الملك وعلتي بعض تأويل الأحاديث وجائز أن يكون لتبين هذا الجنس من سائر الاجناس فيكون المعنى آتيتي الملك وعلتي التأويل من الزواج قال وقوله توحي الملك من تشاء وتزعج الملك من تشاء ويدل على ان من هاتين تبين الجنس ومثله قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان أي الرجس الذي هو وثن قاطر السماوات والأرض منصوب على وجهين ﴿اجدهما﴾ ان يكون على الصفة لقوله رب لأن المعنى ياربي فهو نداء مضاف في موضع نصب فيكون قاطر السماوات صفة له وجائز أن ينتصب على انه نداء ثان على تقدير ياقاطر السماوات وذلك في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره من انباء التيب ويكون نوحه اليك خبرا ثانيا وإن شئت جعلت نوحه هو الخبر وجعلت ذلك في معنى الذي وقوله من انباء التيب صاته

— المعنى —

(فلما دخلوا على يوسف) هاتما حذف تقديره فلما خرج يعقوب وأهله من ارضهم واتوا مصر دخلوا على يوسف وفي حديث ابن محبوب باسناده عن ابي جعفر (ع) أن يعقوب قال لولده تصدقوا إلى يوسف من يومكم هذا بأهلكم اجعبت فادروا اليه ويعقوب معهم وخالة يوسف لم يأمين فضحوا السحر فرحا وسرورا تسعة أيام إلى مصر فلما دخلوا على يوسف في دار الملك احتق أباه وقبه وبكى ورفضه ورفع خاتمه على سريره الملك ثم دخل منزله واكتحل وادخن ولبس ثياب العز والملك فلما رأوه سجدوا جميعا اعظاما له وشكروا لله عند ذلك ولم يكن يوسف في تلك الشربين سنة يدهن ولا يكتحل ولا يطيب حتى جمع الله بينه وبين ابنته وأخوته وقيل ان يوسف بث مع الشير مائتي راحلة مع ما يحتاج اليه في السفر وسألهم أن يأوه بأهلهم اجعبت فلما ذنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف في الجند وأهل مصر قتال يعقوب يابوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك ثم كلفا قال الكلي على يوم من مصر فلما ذنا بكل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام قال السلام عليك يا مذهب الأحرار وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن ابي حمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال لما أقبل يعقوب إلى مصر خرج يوسف ليستقبله فلما رآه يوسف هم بأن يبرجل له ثم نظر إلى ما حوفاه من الملك فلم يفضل فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرائيل قال له يا يوسف إن الله جل جلاله يقول منك ان تنزل إلى عدي الصالح ما انت فيه ايسر يدك فسطحا فخرج من بين اصابعه نور يقال ما هذا يا جبرائيل قال هذا انه لا يخرج من صلبك نبي ابدا مقبولة بما صنت يعقوب إذ لم تنزل اليه وقوله (آوى اليه ايوه) أي ضمها اليه وأزملها عنده وقال أكثر المفسرين انه يعني بأيوه اياه وخاتمه فسمى الخالة أما كما سى العم ابا في قوله ولم له آياك ابراهيم واسماعيل واسحاق وذلك ان أمه كانت قد ماتت في نفاسها بين يمين قترزها ايوه وقيل يريد اياه وأمه وكانا حين عن ابن اسحاق والجبايى وقيل ان راحيل أمه نشرت من قبرها حتى سجلت له تحقيقا لرواها عن الحسن (وقال) لم قبل دخولهم مصر (ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) والاستثناء يعود الى الأم من وإنما قال آمين لأنهم كانوا فيها خلا يفتنون ملوك مصر ولا يدخلونها الا يجوزهم قال وهب انه دخلوا مصر وهم ثلاثة وسبعون إنسانا وخرجوا مع موسى وم ستائة الف وخم مائة وبضع وسبعون رجلا (ورفع ايوه على العرش) أي رفعها على سريره ملكه اعظاما لها والعرش السرير الرفيع عن ابن عباس والحسن وقادة (وخرها له سجدا)

اي المخطوا على وجوههم وكان تحية الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود والانتشاء والتكفير عن قتادة ولم يكونوا
نحوها عن السجود لئلا في شريعتهم فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة عجلها لهم قال
اعني بن ثعلبة

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفضنا العمارا

وكان من سنة التنظيم يومئذ ان يسجد للمعظم من الزجاج وقيل كان سجدتهم كهيئة الركوع كما يفعل
الأعاجم عن الكلبي وقيل ان السجود كان لله تعالى شكره كما يفعله الصالحون عند تجديد النعم والهبات في قوله
له عائشة الى الله تعالى اي سجدوا لله تعالى على هذه النعمة وتوجهوا في السجود اليه كما يقال صلى لقليلة ويراد
به استقبالها عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قال علي بن ابراهيم وحدثني محمد بن عيسى بن عبد
ابن يعقوب ان يحيى بن اكرم سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل فمرضا على ابي الحسن علي بن محمد
(ع) فكان احداها ان قال اخبرني اسجد يعقوب وولده ليوسف وهم انبياء فأجاب ابو الحسن عليه السلام
اما اسجد يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف وانما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف كما ان السجود من
الملائكة لآدم كان منهم طاعة لله وتحية لآدم فاسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكرا لله تعالى لاجتماع تسليمهم
الم تر انه يقول في شكره في ذلك الوقت رب قد آتيتني من الملك الآية الخبر بتمامه (وقال) يوسف (يا أبت
هنا تأويل رؤياي) اي هذا تفسير رؤياي وتصديق رؤياي التي رأيتها (من قبل قد جعلها ربي حقا) اي صدقا
في الحقيقة وقيل كان بين الرؤيا وتأويلها ثلثون سنة عن الحسن وقيل سبعون سنة عن عبد الله بن شاذب وقيل
اربعمائة سنة عن سلمان الفارسي وعبد الله بن شاذب وقيل اثنتان وعشرون سنة عن الكلبي وقيل ثمان مائة سنة
عن ابن اسحق قال ابن اسحق وولد ليوسف من امرأة العزيز افرام وميشا ورحمة امرأة ايوب وكان بين يوسف
وبين موسى اربعمائة سنة (وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن) اي وقد احسن ربي الي حيث اخرجني من
السجن وانعم علي به (وجاء بك من البدو) اي من البادية فأنهم كانوا يسكنون البادية ويعبرون اغنامهم
فيها فكانت مواشهم قد هلكت في تلك السنين بالقسط فأغنامهم الله تعالى بصيرهم الي يوسف وانما يذأرع) بالسجن
في تملد نعم الله دون اخراجه من الحب كرمنا تليدا بصنيع اخوته به وقيل لأن نعم الله تعالى في اخراجه
من السجن كانت أكثر ولأن السجن طال مدته وكثرت محنته (من بعد ان فرغ الشيطان بيني وبين اخوتي)
اي من بعد ان افسد الشيطان بيني وبين اخوتي وحرض بيني وبينهم وقال ابن عباس مناه دخل بيننا بالفساد
(ان ربي لطيف لما يشاء) اي لطيف في تدبير عباده يدير امرهم على ما يشاء ويسهل لهم الصبر ويبلغه حصلت
هذه النعم علينا من الاجتماع وغيره قال الازهري الطيف من اساء الله سبحانه مناهه الرقيق بمباهه يقال لطف
فلان فلان لطفنا اذا رفق وقال غيرنا الطيف الذي يوصل اليك اربك فيدفع وقيل اللطيف العالم بدقائق الأمور (انه هو
العليم) بجسيم الاشياء (الحكيم) في كل التدابير وفي كتاب النبوة بالاسناد عن ابي عبد الله (ع) قال قال
يعقوب ليوسف يا بني حدثني كيف صنع بك اخوتك قال يا أبة دعني فقال اقسمت عليك الا اخبرتك فقال له
أخذوني واقدوني على رأس الجب ثم قالوا لي اتزع قميصك فقلت لهم إني أسألكم بوجه الي يعقوب ان لاتزعموا
قميصي ولا تبدوا عروتي فرفق فلان السكين علي وقال اتزع فصاح يعقوب ففقط قميصا عليه ثم أفات فقال له
يا بني كيف صنعوا بك فقال يوسف إني أسألك يا أبة ابراهيم واسماعيل واسحق الا اخبرتك قال فتركه وروي
ايضا ان يوسف قال ليعقوب (ع) يا أبة لا تسألني من صنع اخوتي بي وسل عن صنع الله بي قال ابو حمزة بلتنا
ان يعقوب عاش مائة وسبعا واربعين سنة ودخل مصر على يوسف وهو ابن مائة وثلاثين سنة وكان عند يوسف

بمصر سبع عشرة سنة وقال ابن اسحق أقام يعقوب بمصر أربعين سنة ثم توفي ودفن بالشام وقال سعيد بن جبير نقل يعقوب إلى بيت المقدس في ثلوث من ساج ووافق ذلك يوم مات عيسو فدفنا في قبر واحد فمن ثم ينقل اليهود موته إلى بيت المقدس وولد يعقوب وعيسو في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما حينما ماتا سبعمائة وأربعين سنة ثم جمع يوسف إلى مصر بعد أن دفن أباه في بيت المقدس عن وصية منه إليه وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة وكان أول رسول في بني إسرائيل شهات وأوصى أن يدفن عند قبور آبائه وقيل دفن بمصر ثم أخرج موسى عظامه فحمله حتى دفنه عند أبيه وقيل انقضت النبوة بعده إلى رحيل ثم إلى يهوذا وفي كتاب النبوة بالاستناد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال قلت له كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر قال عاش حوالي ثلث قرن كان الحبة لله في الأرض يعقوب أم يوسف قال كان يعقوب الحبة وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمل يوسف في ثلوث إلى أرض الشام فدفنه في بيت المقدس فكان يوسف بعد يعقوب الحبة قلت وكان يوسف رسولا نبيا قال نعم أما تسمع قوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وبالاتقان من أبي خالده من أبي عبد الله (ع) قال دخل يوسف السجن وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومكث فيها ثمان عشرة سنة وبقي بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة سنة وعشرين قالوا ولما جمع الله ميخائيل ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له رؤيا ووسم عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم أن ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله سبحانه نعيلا لا يفنى وتلقته نفسه إلى الجنة فتبى الموت ودعا به ولم يثن ذلك نبي قبله ولا بعده حتى أحد فقال (يب قد آتيتني من الملك) أي أصليتي ملك النبوة وملك مصر (وعلمتني من تأويل الأحاديث) أي تأويل الرؤيا (فاطر السماوات والأرض) أي خالق السماوات والأرض ومنشئها لا على مثال سبق (أنت ولي) أي ناصري ومديري وحافظي (في الدنيا والآخرة) تتولى فيها إصلاح معاشي ومهادي (توفني مسلما) قال ابن عباس ما تمنى نبي تعجيل المات الأيواف لما انتقلت أسباب ملكه لاشتاق إلى ربه وقيل مناه تبتني على الإيمان إلى وقت المات وأمنيتي مسلما والمعني بالصالحين أي بأهل الجنة من الأنبياء والأولياء والصديقين وقيل لما جمع الله سبحانه بينه وبين أبيه وانزله معه أن يجتمع مع آبائه في الجنة فدفنا بذا الدماء والمعني المعني بهم في ثوابهم ودرجاتهم قيل فتوفاه الله تعالى بمصر وهو نبي فدفن في النيل في صندوق من رخام وذلك أنه لما مات تشاح الناس عليه كل من يحب أن يدفن في عهده لما كانوا يربون من ركه فرأوا أن يدفنوه في النيل فيسرق الماء عليه ثم يصل إلى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركا وفي ركه شرعا سواء فكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى (ع) حين خرج من مصر ثم عاد سبحانه بملقام القصة إلى خطاب النبي ﷺ فقال (ذلك) أي الذي قصص عليك من قصة يوسف يا محمد (من أنباء الأنبياء) أي من جملة أخبار الأنبياء (توحه إليك) على السنة الملائكة لتخبر به قومك ويكون دلالة على إثبات نبوتك ومعجزة دالة على صدقك (وما كنت لديهم) أي وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب (إذا اجسوا أمرهم) إذا عزموا على القتال في البئر واجتمعت آراؤهم عليه (وهم يذكرون) أي يحسبون أن أمر يوسف حتى القوه في البئر من الجاني وقيل يذكرون يوسف من ابن عباس والحسن وقناة

قوله تعالى (١٠٣) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ مُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَمَا تَسْلُمُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْرِ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَرَوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٦) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِآيَاتِهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٧) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة عكرمة وعروب بن قائد والأرض يمرون عليها بالرغم وقراءة السدي والأرض نصبا والقراءة المشهورة بالجر

﴿ الحجة ﴾

من رقع أو نصب وقف على السواوات ثم ابتداء بالأرض فالرغم على الابتداء والجملة بعد ما خبره والعائد إلى المبتدأ الهامس عليها والضمر في عنها حائد إلى الآية وأما النصب فيمن مضر تقديره ويعطون الأرض ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود يمضون عليها فلما أضمر الفعل الناصب فسر به بقوله يمرون عليها ومن جر الأرض على قراءة القراء فلأن شاء وقف على الأرض وإن شاء وقف آخر الآية

﴿ اللفظة ﴾

الحرص طلب الشيء بجهاد في إصابته والعالم الجماعة من الحيوان التي من شأنها أن تعلم مأخوذ من العلم وقيل لا حواء الفلك عالم على سبيل التبع للحيوان الذي يتنفع به وهو مخلوق لأجله والناحية المجتلية لشيء بانسائها عليه وغشيته ينشأ إذا غطاء والنشأ النطاء والبقعة الضياء وهو مجيب الشيء من غير توقف

﴿ الأعراب ﴾

وكأن في معنى ك وأصلها أي دخلت عليها الكاف وبنته مصدر وضع موضع الحال تقول لقيته بنته وفتاة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الآيات والمجربات التي لو تفكروا فيها عرفوا الحق من جهتها فلم يتفكروا بين عقبيها ان التفسير من جهتهم حيث رضا بالجهل وليس من جهته سبحانه لأنه نصب الأكلة واليناثولا من جهتك لأنك دعوتهم فقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أي وليس أكثر الناس بمصدقين ولو حرصت على إيمانهم وتصديقهم واجتهدت في دعائهم إليه وإرشادهم إليه لأن حرص الداعي لا ينهي شيئا إذا كان المدعو لا يحب (وما تسألهم عليه من أجر) أي ولا تسألهم على تسليم الرسالة وبيان الشريعة أجرا فيصدقهم ذلك من القول ويستنبههم من الإيذان ويقتل عليهم ما يلزمهم من القراءة فأعذارهم منقطعة (ان هؤلاء ذكر لعالمين) أي ما القرآن إلا موعظة وميرة وتذكير لخلق لجميعين فليست بنذير لهؤلاء خاصة (وكأين من آية) أي كم من حجة ودلالة (في السواوات والأرض) تدل على وحدانية الله تعالى من الشمس والقمر والنجوم في السامو ومن الجبال والشجر والوان النبات واحوال المتقدمين وآثار الأمم السالفة في الأرض (يمرون عليها) ويصبرونها ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) أي هم عن التفكر فيها والاعتبار بها معرضون لا يتفكرون فيها يعني الكفار (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) اختلف في معناه على أقوال ﴿ أحدها ﴾ أنهم مشركو قريش كلوا يقولون بالله خافوا وعييا ويمينا ويعبدون الأصنام ويدعونها آلهة مع أنهم كانوا يقولون الله ديننا ولم يزلوا يذكرون أنوا مشركين بذلك عن ابن عباس والجاني ﴿ وثانيها ﴾ أنها نزلت في مشركي العرب إذ سألوا من خلق السواوات والأرض ينزل المطر قالوا الله ثم هم مشركون وكانوا يقولون في تلبيتهم ليبيك لأشريكك أنك لا شريك لك فقله وما ملك من الضعفاء ﴿ وثالثها ﴾ أنهم أهل الكتاب آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والإنجيل ثم أشركوا بآبائهم القرآن وانكار نبوة نبينا محمد ﷺ عن الحسن وهذا القول مع ما تقدمه ودواء دارم بن قبيصة عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جده عن أبي عبد الله (ع) ﴿ ورابعها ﴾ أنهم المناقرون يظهران الإيمان ويشركون في السر عن البصري ﴿ وخامسها ﴾ أنهم المشبهة آمنوا بالجملة وأشركوا في التفصيل وروي ذلك عن ابن عباس ﴿ وسادسها ﴾

ان المراد بالاشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها مما اوجب الله عليها النار فأشركوا بالله في طاعته ولم يشركوا بالله شرك عبادة فيعبدون معه غيره عن ابي جعفر (ع) وروى عن ابي عبد الله انه قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لاضاع عيالي جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه قتل له لو قال لولا أن من الله علي بفلان لهلكت فقال لا بأس بهذا وفي رواية زرارة ومحمد بن مسلم وحماد بن عمار (ع) انه شرك النعم وروى محمد بن الفضل عن ابي الحسن الرضا (ع) قال انه شرك لا يبلغ به الكفر (أفامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) اي أفامن هؤلاء الكفار ان يأتيهم عذاب من الله سبحانه يعمهم ويحيط بهم وهي من غاشية السرج لأنها تهم بالسر وانما في لفظة التائب على تقدير العقوبة اي عقوبة مجازة ليسيم عن ابن عباس وقيل هو عذاب الاستئصال عن معاد وابي مسلم وقيل هي الصواعق والقوازع والضحاك (او تأتيهم الساعة) يعني القيامة (بنته) اي فبنته على غفلة منهم (وهم لا يشعرون) بقيامها قال ابن عباس تهجم الصيحة بالناس وهم في اسواتهم

قوله تعالى (١٠٨) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُنْشَرِكِينَ (١٠٩) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ آيَات

❦ القراءة ❦

قرأ حفص عن عاصم إلا رجلا نوحى إليهم بالثون حيث كان وقرأ الباقون يوحى بالياء وقطع الحاء الملهة تعقلون ذكرنا الخلاف فيه في سورة الأنعام

❦ الحجة ❦

قال ابو علي الوجه في الثون قوله إنا اوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح والوجه في الياء قوله وأوحى إلى نوح وقيل اوحى إلى

— (الفة) —

السيال الطريق وهو المكان الميأ للسلوك ودين الإسلام طريق يؤدى إلى الحجة والسيال يذكر ويؤث قال فلا تبعد فكل بني اناس فيصبح سالكا تلك السبيل والبصرة ما يصر به الشيء أي يعرف والسير المرور الممتد في جهة ومنه السير واحد السيور لامتدادها في جهة

❦ المعنى ❦

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ ان يبين للمشركين ما يدعو اليه فقال (قل) يا محمد لم (هذه سبيلي) اي طريقي وسبيلي ومنهاجى عن ابن زيد وقيل معناه هذه الدعوة التي ادعو اليها ديني وطريقي عن مقاتل والجبالي ثم نسر ذلك بقوله (ادعو إلى الله على بصيرة) أي ادعو إلى توحيد الله وعدله ودينه على يقين ومعرفة وحجة قاطعة لا على وجه التقليد (انا ومن اتبعني) اي ادعوكم انا وادعوكم ايضا اليه من آمن بي ويدكر بالقرآن والموعظة ويعنى عن معاصي الله قال ابن الأباري ويجوز أن يشم الكلام عند قوله ادعو إلى الله ثم أجدا وقال على بصيرة انا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس انه يعني اصحاب محمد كانوا على احسن طريقة (وسبحان الله) معناه تنزيها

الله عما أشركوا وتقديره قل هذه سبيلي وقل سبحان الله وقيل أنه اعتراض بين الكلامين والرواية مثل قولك قال الله وهو منزّه عن الشركاء سبحان الله (وما أنا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله نداً وكفوا وولداً وفي هذه الآية دلالة على فضل الدعاء إلى الله سبحانه وإلى توحيده وعدله وبعضد ذلك الحديث عنه عليه السلام أنه قال العلماء أمانة الرسل على عباده وفيها دلالة أيضاً على أنه (ج) كان يدعو إلى الله في كل أوقاته وإن كان بين الشرائع في أوقات ما وفيها دلالة أيضاً على أن الواجب في الداعي أن يكون على ثقة وبصيرة ودلالة قاطعة وذلك يوجب فساد التقليد (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى) بين سبحانه أنه إنما أرسل الرسل من أهل الأمصار لأنهم أربح عقلاً وعلماً من أهل البوادي لبعد أهل البوادي عن العلم وأهله عن فتادة وقال الحليم بن يثيب الله نيكاً قط من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء وذلك أن أهل البادية يطلب عليهم القوة والبهاء وأهل الأمصار أحد فطناً (انظر يسروا في الأرض) أي انظر يسر هؤلاء المشركون المتكبرون لثبوتك بأعمد في الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم للمكذبين لرسلهم وكيف أهلكهم الله سبحانه بسباب الاستئصال فيستبرأ بهم ويصدروا مثل ما أصابهم (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يقول هذا صيغتها بأهل الإيمان والطاعة في دار الدنيا إذ أهلكنا عدوم ونجيتهم من شرهم ودار الآخرة خير لهم من دار الدنيا ونعيمها وروي أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لسير من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله سبحانه في غير هذا الموضع والدار الآخرة فالآخرة تمت للدار لأن لجيم الخلق دارين الدار التي خلقوا فيها وهي الدنيا والدار الآخرة هي التي يعادون فيها خلقاً جديداً فإذا قال دار الآخرة فكأنه قال دار الخال الآخرة لأن نفاس حالين حال الدنيا وحال الآخرة ومثل هذا في الكلام الصلاة الأولى وصلاة الأولى فمن قال الصلاة الأولى قبل الصلاة ومن قال صلاة الأولى أراد صلاة الفريضة الأولى والساعة الأولى (أفلا تعلمون) أي أفلا يفهمون ما قبل لهم فيعلمون

قوله تعالى (١١٠) حتى إذا استأنس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرُدُّ بأسنا عن القوم المجرمين (١١١) لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون آيات

(- القراءة -)

قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر كذبوا بالتخفيف وهي قراءة علي وزين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وزيد بن علي وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والأعمش وغيرهم وقرأ الباقر كذبوا بالتشديد وهي قراءة عائشة والحسن وعطاء والزهري وهشام وروي عن ابن عباس بخلاف وجماعة بخلاف كذبوا بالتخفيف وفتح الذال والكاف وقرأ عاصم وأبى عامر ويعقوب ومهل فنجي من نشاء بن واحد وتشديد الحميم وفتح الياء وقرأ الباقر فنجي من نشاء بنونين وتخفيف الحميم وسكون الياء وفي الشواذ عن ابن مجيم فتحا بفتح النون والحميم والتخفيف وعن عيسى التقي ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة بفتح الألف الثلاثة والقراءة بصها

(- الحجة -)

قال أبو علي الضمير في ظنوا في قول من شدد كذبوا للرسل تقديره ظن الرسل أي يفتقروا وظنوا الظن

الذي هو حسان ومعنى كذبوا تلقوا بالكذب كقولهم جنته خطأته وتكذيبهم اياهم يكون بان يقولوا بذلك كقولهم له وان نطقك لمن الكاذبين او بما يدل عليه وان خالته في اللفظ ومن حجة التثني قوله فقد كذبت رسل من قبلك وقوله كذبوا رسلي وقوله الا كذب الرسل وأما من خفف فقال كذبوا فهو من قولهم كذبك الحديث اي لم اصدقك وبني التثني وقد الذين كذبوا الله ورسوله وقياسه إذا اعتبر بالخطأ ان يتعدى إلى مفعولين كما تعدى صدق في قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الأعشى (فصدته وكذبته والبرء ينصفه كذابه) قال سيويه كذب يكذب كذبوا وقالوا كذابا فجاءوا به على فعال وقد خففه الأعشى وقال ذو الرمة

وقد حلفت بالله مئة ما الذي أقول لها إلا الذي أنا كاذبه

والضمير الذي في قوله وظنوا أنهم كذبوا للرسل اليهم وظن الرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم ان لم يؤمنوا اتزل بهم العذاب وإنما ظنوا ذلك لما شاهدوه من امثال الله اياهم وامثالهم لم فإن قلت كيف يجوز أن يجعل الضمير في ظنوا على انه للرسل اليهم والرسل والذين قد تقدم ذكرهم الرسل دون الرسل اليهم قيل إن ذلك لا يتجوز لأن ذكر الرسل يدل على الرسل اليهم لقراءة احدي الاسمين الآخر ولما في لفظ الرسل من الدلالة على الرسل اليهم وقد قال الشاعر

امنك البرق ارقبه فهاجا فبت اخاله دهما خلجا

اي بت اخال الرعد صوت دم فاضر الرعد ولم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه للمقاربة لفظ كل واحد منهما للآخر وبني التثني سرائيل تنكيك الحر واستخفى عن ذكر البرد لدلالة الحر عليه وان شئت قلت ان ذكر كرم قد جرى في قوله انهم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير الذين من قبلهم من مكثني رسل الله فإن ذهب ذهب إلى ان المعنى ظن الرسل ان الذي وعد الله سبحانه اجمع على لانهم قد كذبوا به فقد اتى عطفا لا يجوز أن ينسب مثله إلى الانبياء ولا إلى صالحي عباد الله تعالى وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب إلى ان الرسل قد ضفوا فظنوا أنهم قد اخفوا لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد حدثنا احمد بن محمد قال حدثنا المومل قال حدثنا اساميل بن علية عن ابي الملق عن سعيد بن جبير في قوله حتى إذا استأين الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال ان الرسل يشوا من قومهم ان يؤمنوا وأن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما قالوا لم اتهم نصر الله عند ذلك وأما قوله فتجي من شاء فإن تعجي حكاية الحال لأن القصة مما قد مضى وإنما حكى فعل الحال كما كانت عليه كما ان قوله وان ربك ليحكم بينهم حكاية الحال الكائنة وكان قوله رجاء يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين جاء على الحكاية للحال الكائنة ومن ذلك قوله وكيهم باسط ذراعيه بالمويد فلولاً حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل لانه إذا مضى اختص وصار مبهوداً فتخرج بذلك من شبه الفعل الأخرى أن الفعل لا يكون مبهوداً فكأن اسم الفاعل إذا وصف أو حقر لم يعمل عمل الفعل لزوال شبه الفعل عنه بالاختصاص الذي يحدته فيه التحقير والوصف كذلك إذا كان ما ضيا وما التون الثانية من تعجي في مخافة مع الجبم وكذلك التون مع سائر حروف التيم لا تكون إلا مخافة قال ابو عثان تيمنها معها لحن ولتو مع الحروف ثلاث احوال الادغام والاختفاء والبيان وإنما تدغم إذا كانت مع مقاربتها كما يدغم سائر المقاربة فيما يقاربه والاختفاء فيها مع حروفهم التي لا تقاربه والبيان فيها مع حروف الحلق فأما حذف التون الثانية من الخط فيشبه ان يكون لكراة اجتراح التلحين فيه ألا ترى أنهم كتبوا مثل العليا والدنيا ويحيى ونحو ذلك بالألف فلولا اجتماعها مع الياء لكتبت بالياء كما كتبت حلى ويخشي وما لم يكن فيه ياء من هذا الصو بالياء فكأن نعم كما كرهوا اجتراح التلحين في الخط حذفوا التون وقوى ذلك انه لا يجوز فيها إلا الاختفاء ولا يجوز فيها البيان

فأشبه بذلك الإدغام لأن الاختفاء لا يبيِّن فيه الحرف المخفي كما أن الإدغام لا يبيِّن فيه الحرف المدغم بانه في غير الإدغام فلما وافق التون المدغم في هذا الوجه استعجز حذفه من الخط ومن ذهب إلى أن التون الثانية مدغمة في الجيم فقد غلط لأنها ليست مثل الجيم ولا مقاربة لها وإذا خلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم فيما اجتمع معه ومن قرأ فتجي فلم يره أن على لفظ الماضي لأن القصة ماضية ويقوي ذلك أنه عطف عليه فعل مستند إلى المفعول به وهو قوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ولو كان تجي مستندا إلى الفاعل كقول من خالفه لكان لا يرد بأسنا أشبه ليكون مثل المظوف عليه ومن قرأ تصديق النسيب بين يديه وما بعده بالرفع فيكون التقدير لكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء فصف للبتدا وبقي الخير

(- الثالثة -)

استأنس بمعنى يشك كأنه طلب اليأس لطمه باستتاع الأمر والبأس الشدة وهو شدة الأمر على النفس ومنه اليأس الفتر ومنه لا بأس عليك والقصص الخير يملو بضه بضم من اخبار من تقدم والبررة الدلالة التي تعبر إلى البنية والالباب العقول واحدا لب وإنما سمي بذلك لأنه انفس شيء في الإنسان ولب كل شيء خياره

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن حال الرسل مع إمامهم تسلياً للنبي ﷺ فقال (حتى إذا استأنس الرسل) وها هنا حذف يدل الكلام عليه وتقديره إذا اخترنا العقاب عن الاسم الساقطة المكتوبة لرسالتنا كما اخبرنا عن ابتك يا محمد حتى إذا بلغوا إلى حالة يأس الرسل عن إيمانهم وتحقق بأسهم بالخيار الله تعالى إياهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) أي يتيقن الرسل أن قومهم كذبهم تكذيباً عاصماً حتى أنه لا يصلح واحد منهم عن عائشة والحسن وقادة وإبي علي الجبائي ومن خفف فضاء ظن الاسم أن الرسل كذبهم فيما اخبروهم من نصر الله إياهم وإهلاك أعدائهم عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وإبي مسلم وقيل يجوز أن يكون الضمير في ظنوا راجعاً إلى الرسل أيضاً ويكون معناه وعلم الرسل أن الذين وعدوهم الإيمان من قومهم اخفقوا أو كذبوا فيما اظهروه من الإيمان وروي أن سعيد بن جبير والضحاك اجتمعا في دعوة فستل سعيد بن جبير في هذه الآية كيف يقرأ ما فقال وظنوا أنهم قد كذبوا بالتخفيف بمعنى وظن المرسل اليهم أن الرسل كذبهم فقال الضحاك ما رأيت كالهم قط لو رحلت في هذه إلى اليمن لكان قليلاً وروي ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال كانوا يقرأون بفتحوا ويشوا وظنوا أنهم قد اخفقوا ثم تلا قوله تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه من نصر الله الآية وهذا يبدو غروراً ما فيه (جاءهم) أي جاء الرسل (نصرنا) حين يأبوا بإرسال الصلابة على الكفار (فتجي من نشاء) أي تخلص من نشاء من الصلابة بعد نزولهم والمؤمنون (ولا يرد بأسنا) أي عذابنا (عن القوم المجرمين) أي المشركين (لقد كان في قصصهم) أي في قصص يوسف وأخوته (عبرة) أي فكرة وبصورة من الجهل وموعظة وهو ما أصابه (ع) من ملك مصر والجمع بينه وبين أبيوه وأخوته بعد القائه في الحبس وبمعه وحبه وقيل في قصصهم عبرة لأن نبينا ﷺ لم يقرأ كتاباً ولا سمع حديثاً ولا خاطأ أهله ثم حدثهم به في حسن معانيه وبراعة الفاظه ومبانيه بحيث لم يرد عليه أحد من ذلك شيئاً فهذا من أدل الدلائل على صدقه وصحة نبوته (لا ولي إلا الباب) أي لا ولي له القول (ما كان حديثاً يفترى) أي ما كان ما اداه محمد أو أتزل عليه حديثاً يتخلق كذباً (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن كان تصديق الكتب الذي بين يديه لأنه جاء كما بشر به في الكتب عن الحسن وقادة (وتفصيل كل شيء) أي وبيان كل شيء يحتاج إليه من الحلال والحرام وشرائع الإسلام (وحديثي) أي ودلالة (ورحة) أي وشمعة يتفجع بها المؤمنون علما وعمل (القوم يؤمنون) وإنما خصهم بذلك لأنهم للتصديق به دون غيرهم وبالله التوفيق والصحة وهو حسبي ونعم الوكيل

تم الجزء الخامس من كتاب

مجمع البيان في علوم القرآن

﴿ الجزء السادس ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم
(سورة الرعد)

مكية كلها عن ابن عباس وعطاء وقال الكوفي ومقاتل مكية إلا آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام وقال سعيد بن جبير كيف تكون هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام والسورة كلها مكية وقال الحسن وعكرمة وقادة أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة ولو أن قرأنا سيرت به الجبال وما بعدها

﴿ عدد آياتها ﴾

اربعون وسمي آيات شامي وخمس بصري أربع حجازي ثلاث كوفي

﴿ اختلافها ﴾

خمس آيات لفي خلق جديد الظلمات والنور غير الكوفي الأعمى والبصير وسوء الحساب شامي من كل باب عراقي شامي

﴿ فضلها ﴾

أبى بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل صاحب مني وكل صاحب يكون إلى يوم القيامة وكان يوم القيامة من المؤمنين بعدد الله تعالى وقال أبو عبد الله (ج) من أكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بمصيبة أبدا وإن كان مؤمنا أدخل الجنة بشير حساب وشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته وأخواته

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة يوسف بذلك قصص الأنبياء انتفع هذه السورة بأن جميع ذلك آيات الكتاب وأن الذي أوله هو الحق تعالى فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٢) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الثَّرَى وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُذِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاهُمْ رَبُّكُمْ يُوقِنُونَ آيَاتِ

ولم يعد أحد الر آية وعد الكوفيون طه وحسم آية لأن طه مشاكلة لرؤس الآي التي بعدها بالالف مع انه لا يشبه الاسم المفرد كما شبه صاد وقاف ونون لأنها مجتزأة باب ونوح

﴿ القصة ﴾

العمد والعمد جميعا بمعنى واحد وهما جمع عمود وعماد إلا ان عمدا جمع عمود وعماد اسم للعمد ومثله اديم وادم مثل هاب وأهب وأفيق وأفق

﴿الاعراب﴾

الذي أنزل بهجوز أن يكون موضعه رفعا على الأجنداء ويهجو أن يكون موضعه بالمطف على آيات الكتاب ويكون الحق مرفوعا على اضرار هو ويهجو أن يكون في موضع جر بالمطف على الكتاب وتقديره تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل اليك من ربك ويكون الحق مرفوعا على الاضرار ويهجو أن يكون الحق مجرورا صفة الذي إذا جلسته علفا على الكتاب ولكنه لم يقرأ به أحد من القراء

﴿المعنى﴾

الآخر قد فسرناه في اول البقرة فبيننا ما قيل فيه وروي ان معناه انا الله اعلم وأرى (تلك آيات الكتاب) أي هذه السورة هي آيات الكتاب التي تقدم الوعد بها ليست يهتريك ولا يسمر والكتاب القرآن عن ابن عباس والحسن وقيل ان الكتاب عبارة عن التوراة والانجيل عن مجاهد وقادة ويكون تقديره تلك الاخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والانجيل والكتب المتقدمة والآيات الدلالات المجيبة المؤدية إلى المعرفة بالله سبحانه وأنه لا يشبه الأشياء ولا تشبهه (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق فاختصم بالله واعمل بما فيه وعلى القول الأول فإنه وصف القرآن بصفتين احدهما بأنه صكتاب والاخرى بأنه منزل (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) اي لا يصدقون بأنه منزل وأنه حق مع وضوحه (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها) لما ذكر الله سبحانه انهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق ويريد بالمعد السوراي والدعائم وقيل فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان المراد رفع السماوات بغير عمد واتمم ترونها كذلك عن ابن عباس والحسن وقادة والجبائي وابي مسلم وهو الأصح قال ابن عباس يعني ليس من دونها دعامة يدهمها ولا فوقها علاقة تمسكها قال الزجاج وفي ذلك من القدرة والدلالة لا شيء أوضح منه لأن السماء محيطة بالارض مشيرة منها بغير عمد ﴿والآخر﴾ ان يكون ترونها من تحت العمد فيكون المعنى بغير عمد مرئية فعل هنا تمعدها قدرة الله عز وجل وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد (ثم استوى على العرش) قد مضى تفسيره وإذا حملنا الاستواء على معنى الملك والاقتدار فالوجه في ادخال ثم فيه ولم يزل سبحانه كذلك ان المراد اقتداره على تصرفه وتقليبه وإذا كان كذلك فلا يكاد يقدم سبحانه يوصف به إلا وقد وجد نفس العرش (وعشر الشمس والقمر) أي ذلها لمنافع خلقه ومصالح عباده (كل يجري لأجل مسمى) اي كل واحد منهما يعرجي إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي تكور عندها الشمس ويخسف القمر وتكدر النجوم عن الحسن وقال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما التي يهتبان اليها ولا يجاوزانها وللشمس مائة وثمانون منزلا تنزل كل يوم منزلا حتى تنتهي إلى آخر المنازل فلا تجاوزه وترجع إلى اول المنازل وينزل القمر كل ليلة منزلا حتى ينتهي إلى آخر منازلها (يدبر الأمر) أي يدبر الله كل أمر من أمور السماوات والارض وأمور المخلوق على وجه توجيه الحكمة وتقضية المصلحة (يفصل الآيات) اي يأتي بآية بيّنة أثر آية فصلا مجيزا بعضها عن بعض ليكون أمكن للاعتبار والتفكير وقيل معناه يبين الدلائل لما يجده في السماوات والارض (لعلكم تلقوا ربهكم وتؤمنون) اي لكي توقوا بالهيث والشهود وتعلموا أن القادر على هذه الأشياء قادر على اليث بعد الموت وفي هذا دلالة على وجوب النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى وعلى بطلان التقليد ولولا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى

قوله تعالى (٧) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٨) وَفِي الْأَرْضِ

قَطَعَ مَتَجَاوَرَاتٍ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابٍ وَزَرَعَ وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَغَيْرُ صُنُونٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَضَّلَ
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ آيَات

❦ القراءة ❦

قد ذكرنا الاختلاف في قوله ينقي الليل النهار في سورة الاعراف وقرأ ابن كثير وابو عمر ويعقوب وخفس وزرع ونخيل صنون أو غير صنون جميعا بالرفع والباقون بالجر في الجميع وقرأ خص صنون بضم الصادو كذلك رواية الحلواني عن القواس وقرأ الباقر بكسر الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن وثلاثة صنون وقرأ بقي بالياء ابن عامر وزيد ورويس عن يعقوب وقرأ الباقر تسقى بالياء وقرأ أهل الكوفة غير عاصم وروخ عن يعقوب ويفضل بالياء والباقون بالنون

❦ الحجة ❦

قال ابو علي من رفع قوله وزرع فتقديره وفي الأرض زرع ونخيل صنون فجعله محمولا على قوله وفي الأرض قطع ولم يجعله محمولا على ما في الجنات من الأعتاب والجنة على هذا تقع على الأرض التي فيها الأعتاب دون غيرها كما تقع على الأرض التي فيها الأعتاب والنخيل دون غيرها وبقوسه ذلك قول زهير

كَأَنَّ عَيْنِي فِي غُرْبِي مَقْتَلَةٌ مِنْ النُّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةَ مَحْقَا

فالمنى تسقي نخيل جنة فأما من قرأ بالجر فإنه حمل النخيل والزرع على الأعتاب فكانه قال جنات من أعتاب من زرع ونخيل والدليل على أن الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة قوله جعلنا لأحدهما جنتين من أعتاب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا فكما سميت الأرض ذلت العنب والنخل والزرع جنة كذلك يكون النخيل والزرع محمولين على الأعتاب فتكون الجنة من هذه الأشياء ويقوي ذلك قوله

أَقْبَلَ سَبِيلَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْرُدُ حَرْدُ الْجَنَّةِ الْمَطْلَةِ

والجنة إنما هي ما يكال بالقفيز في أكثر الأسماء قال والصنون فيما يذهب إليه أبو عبيدة صفة للنخيل والمعنى أن يكون من أصل واحد ثم ينشعب من الرؤوس فيصير نخلا ونخيلين قال وقال يسقي بماء واحد لأنها تشرب من أصل واحد وتقتل بعضها على بعض في الأرض كل وهي الثمر وأجاز غيرهم أن يكون الصنون من صفة الجنات وكأنه يكون يراد به في المعنى ما في الجنات وإن جرى على لفظ الجنات وعلى هذا يجوز أن ترفع وإن جررت النخيل لأن الجنات مرفوعة ولم يملك هذا في قراءة السبعة ولما الكسرة التي في صنون فليست التي كانت في صنو كأن الكسرة التي في صنو ليست التي في صنون لأن تلك قد حذفت في التكسير وعاقبتها الكسرة التي يجتلبها التكسير وكذلك الكسرة التي في جنان وانت تريد الجمع ليست الكسرة التي كانت سيف الواحد ولكنه مثل الكسرة التي في ظراف إذا جمعت عليه ظرفا وأما من ضم الصاد من صنون فإنه جعله مثل ذئب وذؤبان وربما تماق فلعلان وفلعلان على البناء الواحد فهو حش وحشان وحشان وأما صنون فيفتح الصاد فليست من أمثلة الجمع المكسر فإن صح ذلك فإنه يكون اسما للجمع لا مثالا له من أمثلة التكسير فيكون بمنزلة الجامل والسام ومثله قولهم السعدان والضميران في الجمع ومن قرأ تسقى بالياء فالمراد تسقى هذه الأشياء ومن قرأ بالياء عمله على الزرع وحده

❦ المعنى ❦

لما ذكر سبحانه وتعالى في الآية من نعمه والآله على عباده في رفع السابوت وتسخير الشمس والقمر ودل بذلك على وحدانيته عقبه بذكر الأرض وما فيها من الآيات فقال (وهو الذي مد الأرض) أي بسطها طولا

وعرضا ليمسكن الحيوانات من النبات فيها والاستقرار عليها (وجعل فيها رواسي) اي جبالا ثوابت لتمسك الارض ولو أراد أن يمسكها من غير جبال لعل إلا انه أسكنها بالرواسي لأن ذلك أقرب إلى الفهم الناس وادعى لهم إلى الاستدلال والنظر (وانهارا) اي وشق فيها انهارا تجري فيها المياه ولولا الانهار لضاع أكثر المياه ولا لممكن الشرب والسي (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) اي وجعل في الأرض من كل الثمرات لما كرمهم ومطعمهم صنفين اسود وأبيض وحلوا وحامضاً وصيفياً وشتوياً وربطاً وباباً عن ابن عباس وقيل الزوج قد يكون واحداً وقد يكون اثنين يقال زوج نعل ونعلين عن ابي عبيدة وإنما قال اثنين للتأكيد والزوج في الحيوانات عبارة عن الذكر والانثى وفي الثمار عبارة عن لونين وقال الماوردي واحد الزوجين ذكر وأُنثى كفضول النخل واناثها وكذلك كل جنس من النبات وإن خفي الزوج الآخر حلو وحامض او عذب ومالح أو أبيض واسود او احمر واصفر فإن كل جنس من النبات ذو نوعين فصارت كل ثمرة زوجين هما ارملة انواع (ينثي) الليل (النهار) اي يلبس ظلمة الليل بضياء النهار والحسن وقيل يدخل الليل في النهار والنهار في الليل عن ابن عباس وقيل مئة بأني الليل ليلح بضياء النهار ويستمره ليسكن الحيوانات فيه وبأني بضياء النهار ليمحو ظلام الليل وينصرف الناس فيه لما يشم (إن في ذلك) اي فيها سبق ذكره (آيات) اي لدلالات واضحت على وحدانية الله تعالى (لقوم يحفكرون) فيها فيستدلون منها على ان لهم صانعاً (وفي الأرض قطع متجاورات) أي ابعاض متقاربات مختلفات في الغايات منها جبل صلب لا يفت شيئا ومنها سهل حر يبتغ منها سبعة لا تثبت عن ابن عباس ومجاهد والضحك بين الله سبحانه باختلاف هذه الارضين مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض في الهيئة والنظر انه قادر على كل شيء من الأصناف المختلفة والمختلفة «وقيل» انها متجاورات بعضها عامس وبعضها غير عامس عن الزجاج (وجنات) اي بساتين (من اعداب وزرع ونخيل صنوان) اي نخلات من أصل واحد (وغير صنوان) اي نخلات من أصول شتى عن ابن عباس ومجاهد وقناة والصنوا اصل يقال هذا صنوه أي أصله عن ابن الأباري وقيل ان الصنوان النخلة تكون حولها النخلات وغير صنوان النخل المتفرق عن البراء بن عازب وسعيد بن جبير وقيل الصنوا مثل والصنوان الامثال ومنها قوله وَيُفَصِّلُ عم الرجل صنو أبيه عن الجبائي (يسق ماء واحد) اي يسقى ما ذكرناه من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المختلفة بماء الأنهار او بماء السماء (ويفضل بعضها على بعض في الأكل) اي ويفضل الله ومن قرأ بالتون فالنقى قفصل فمن بعضها على بعض في الطعام واللون والطيب مع أن البز واحدة والشرب واحد والجنس واحد حتى يكون بعضها حامضاً وبعضها حلوا وبعضها ماساً فلو كانت بالطيب لما اختلف ألوانها وطعمها مع كون الأرض والماء والهواء واحداً وفي هذا أوضح دلالة على ان لهذه الأشياء صانعاً قادراً أحدثها وأبدعها وديها على ما تقتضيه حكمته والأكل الشر الذي يؤكل (إن في ذلك) اي في اختلاف ألوانها وطعمها عن ابن عباس وقيل ان فيما تقدم ذكره (آيات) اي حجاب ودلالات (لقوم يعقلون) دلائل الله تعالى ويتفكرون فيها ويشدولون بها وروي عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول لمي (ع) الناس من شجر شقي وانما وانت من شجر فواحدة ثم قرأ في الأرض قطع متجاورات وجنات من اعداب الآيات قوله تعالى (٥) وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَهَذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ آتَانَا فِيهِ خَلْقٌ بَدِيدٌ أَوَّلَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَبِّعُونَ أَوَّلَٰئِكَ الْأَعْلَافَ فِي أَغْصَانِهِمْ وَأَوَّلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَبْتِ قَبْلَ الْحُسْنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الثَّلَاثُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ثلاث آيات عند الكوفي اربع آيات عند غيرهم

عدواني خلق جديد آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر إذا كنا بنهر استفهام أنا همزة واحدة مطولة وكذلك يفعل بكل استفهامين يستعملان في القرآن يستفهم بالثاني ولا يستفهم بالأول لا في سورة الصافات والواقعة وأما نافع ويعقوب وسهل فإنهم يستفهمون بالأول همزة واحدة غير مطولة ولا يستفهمون بالثاني إلا في سورة النمل والعنكبوت إلا أن قالون عن نافع وزيدنا بن يعقوب عيان همزة مثل أبي جعفر والكسائي أيضاً يستفهم بالأول ولا يستفهم بالثاني إلا في سورة النمل غير أنه يهزم يهزمتين وابن عامر مثل أبي جعفر لا يستفهم في إذا كل القرآن إلا في سورة الواقعة فإنه يستفهم في أنأنا وأنتا جميعاً يهزمتين همزتين بينهما مد أنأنا يهزم ثم يهزم على وزن عاتنا ولا يجمع بين استفهامين إلا هاهنا وفي سورة النمل يستفهم إذا يهزمتين أنأنا يهزمتين والكسائي مثله في هذا الموضع وأبو عمرو يستفهم فيها جميعاً وفي جميع أشباهها همزة واحدة مطولة وابن كثير يستفهم فيها جميعاً همزة واحدة غير مطولة وعاصم وحمة وخلف يستفهمون فيها يهزمتين همزتين كل القرآن وخالف ابن كثير وحسن عن عاصم في حرف واحد في العنكبوت وسنذكره هناك إن شاء الله

= (الحجة) =

قال أبو علي من استفهم في الجملةتين فوضع إذا نصب بفعل مضمر بدل عليه قوله أنا الذي خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نيته ونفسه فكأنه قال أنبث إذا كنا تراءيا ومن لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع إذا أيضاً نصباً ما يدل عليه قوله أنا الذي خلق جديد فكأنه قال أنبث إذا كنا تراءيا وما بعد أن في أنه لا يجوز أن يعمل فيها قبله إنزلة الاستفهام فكأنه قد دلت هذا الناصب لأن الاستفهام لأن الاستفهام لا يعمل فيها قبله كذلك تقدره في أن لأن ما بعدها أيضاً لا يعمل فيها قبلها ومن قرأ إذا كنا من غير استفهام أننا ينبغي أن يكون على مضمر كما حمل من تقدم على ذلك لأن ما بعد الاستفهام منقطع ما قبله

== الفنة ==

العجب والتعجب هجوم ما لا يعرف سببه على النفس والنقل طوق تشد به اليد إلى التقى والاستعجال طلب التعجيل بالأمر والتعجيل تقديم الأمر قبل وقته والسيئة خصلة تسوء النفس وتقيضها الحسن وهي خصلة تسر النفس والمثالب العقوبات وأحدها مثله يفتح الميم وضم التاء ومن قال في الواحد مثله بضم الميم وسكون التاء قال في الجمع مثلات بضمين نحو غرفة وغرفات وقيل في جمعها مثلات ومثلات أيضاً قال الشاعر

ولما رأونا بادياً ركبانا

على موطن لا يخلط الجلد بالهزل

رووه يفتح الكاف في ركبنا

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الأدلة على أنه سبحانه قادر على الإنشاء والاعادة عقبه بالتعجب من تكديهم بالمشهور والظهور فقال (وإن تعجب) يا محمد من قول هؤلاء الكفار في إنكارهم البعث مع الزوارم بإجداً خلق الخلق قد وضعت التعجب موضعاً لأن هذا قول عجب ومسته عجب للمخلوقين فإن معنى العجب في صفات الله لا يجوز لأن العجب انت يشبه عليه سر أمره فيستطرفه (فعجب قولهم) أي فقولهم عجب (أننا كنا تراءيا أننا لبي خلق جديد) أي أنبث ونادى بعد ما صرنا تراءيا هنا بما لا يمكن وهذا منهم نهاية في الاعوجبة فإن الماء إذا حصل في الرحم استحالة علقه ثم مضغه ثم لحماً فإذا مات ودفن استحالة تراءيا فلماذا جاز أن يخلق الإنشاء بالاستحالة الأولى فلم لا يجوز تعلقه بالاستحالة الثانية وسمى الله تعالى الاعادة خلقاً جديداً واختلف المتكلمون فيها يصنع

عليه الاعادة فقال بعضهم كلا يكون مقدورا لقد تم سبحانه خاصة ويصح عليه البقاء يصح عليه الاعادة ولا يصح
 الاعادة على ما لا يقدر على جنسه غيره تعالى وهذا قول ابي علي الجبائي وقال آخرون كلا كان مقدورا له وهو ما
 يبقى يصح عليه الاعادة وهو قول ابي هاشم ومن تابعه فعلى هذا يصح اعادة اجزاء الحياة ثم اختلفوا فيما يجب
 اعادته من الحي فقال ابو القسم البلخي يماذ جميع اجزاء الشخص وقال ابو هاشم يعاد الاجزاء التي بها يتميز الحي
 من غيره ويعاد التأليف ثم رجع عن ذلك وقال تعاد الحياة مع البنية وقال القاضي ابو الحسن تعاد البنية وما عدا
 ذلك يجوز فيه التبدل وهذا هو الاصح (او لك) المنكرون للبعث (الذين كفروا بربهم) اي جحدوا قدرة
 الله تعالى على البعث (واولئك الاغلال في احتاقهم) في الآخرة وقيل اراد به اغلال الكفر اي كثرها غلالا
 في احتاقهم (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) مضي تفسيره (ويستجولونك) اي يستجلبك يا محمد هؤلاء
 المشركون (بالسبية قبل الحسنه) أي بالعداب قبل الرحمة عن ابن عباس ويعاهد أي بالعقاب الذي توقعوا
 به على التكذيب قبل الثواب الذي وعدوا به على الإيمان وذلك حين قالوا فأطع علينا حجارة من السماء وقيل
 يستجولونك بالعذاب الذي توقعهم به قبل الإحسان بالانظار فإن انظار من وجب عليه العقاب احسان اليه
 كانظار من وجب عليه الدين وسماها سيئة لانها جزاء السبية (وقد خلت من قبلهم) اي مضت من قبلهم
 (المثلات) اي العقوبات التي يقع بها الاعتبار وهو ما حل بهم من المسخ والغف والفرق وقد سلك هؤلاء طريقتهم
 فكيف يصحسون على استجبالها وقيل هي العقوبة الفاضحة التي تسيير بها الامثال وتقديره وقد خلت المثلات
 باقوام او خلا اصحاب المثلات لفصل المضاف (وان ربك لنو مقررة للناس على ظلمهم) قال المرتضى (ره) في
 هذه الآية دلالة على جواز للمفتر المذنبين من اهل القبلة لانه سبحانه دلنا على انه يقتر لهم مع كونهم ظالمين
 لأن قوله على ظلمهم اشارة إلى الحال التي يكونون عليها ظالمين ويجري ذلك مجرى قول القائل أنا اود فلانا
 على غدره وأصله على هجره (وان ربك لشديد العقاب) لمن استعفه وروي عن سيد بن المسيب قال لما نزلت
 هذه الآية قال رسول الله ﷺ لولا عفو الله وتجاوز ما هنا احد العيش ولولا وعيد الله وعقابه لاتكل كل
 واحد وتلا مطرف يوما هذه الآية فقال لو ينزل الناس قدر رحمة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت اعينهم ولو يعلم
 الناس قدر عذاب الله وبأس الله ونكال الله وقمة الله ما رقا لهم جمع ولا قررت اعينهم بشئ (ويقول الذين
 كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) مثل التافه والنصا عن ابن عباس وقال الزجاج طلبوا غير الآيات التي اتى بها
 فالتسموا مثل آيات موسى وعيسى فاعلم الله أن لكل قوم هاد والمعنى انه سبحانه بين سوء طريقتهم في اقتراح الآيات
 كما في قوله لن نؤمن لك حتى تتجر لنا من الأرض بنبيوعا إلى قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وكما قالوا اجعل
 الصفا لنا ذبعا حتى نأخذ منه ما نشاء وإنما لم يظهر الله تعالى تلك الآيات لأنه لو اجاب أولئك لافترح قوم آخرون
 آية اخرى وكذلك كل كافر فكان يؤدي إلى غير نهاية (إنما أنتم منذرولكل قوم هاد) فيه أقوال **الصلوات**
 ان معناه إنما أنت منذر اي مخوف واحد لكل قوم وليس اليك انزال الآيات عن الحسن والبيضاوي وعكرمة
 والجبائي وعلى هذا فيكون أنت مبتدأ ومنذر خبره وهاد عطف على منذر وفصل بين الواو والمطوف بالظرف
والثاني ان المنذر هو محمد والمهدي هو الله تعالى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك **ابو حمزة** **الثالث**
 أن معناه إنما أنت منذر يا محمد ولكل قوم هاد بي يهديهم وداع يرشدهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقادة
 والزجاج وابن زيد **والرابع** أن المراد بالمهدي كل داع إلى الحق وسببه رواية اخرى عن ابن عباس قال
 لما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ أنا المنذر وعلي المهادي من يهدي ياتي بك يهدي للمعتدوت وروى الحاكم ابو
 القاسم الحسيني في كتاب شواهد التنزيل بالاستناد عن ابراهيم بن الحكم بن ظهير عن ابيه عن حكم بن جبير عن
 ابي بردة الأسلمي قال دعا رسول الله ﷺ بالظهور وعنده علي بن ابي طالب فأخذ رسول الله ﷺ يده علي يده
 ما تظهر فالزما بصدره ثم قال إنما أنت منذر ثم ردها إلى صدر علي ثم قال ولكل قوم هاد ثم قال انك متارة

الأنام وغاية الهدى وأمير القرى واشهد على ذلك أنك كذلك وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون هاد مبتدأ ولكل قوم خبره على قول سيبويه ويكون مرتفعاً بالنظر على قول الأخفش
قوله تعالى (٨) الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار (٩) عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (١٠) سوا منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار (١١) له معقبات بين يدي ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال أربع آيات

(- القراءة -)

في الشواذ قراءة أبي إبراهيم (١) له معقبات من بين يديه وقرأه من خلفه يحفظونه بأمر الله وروي عن أبي عبد الله (ع) له معقبات من خلفه وروى من بين يديه يحفظونه بأمر الله وروى عن علي (ع) وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي يحفظونه بأمر الله

(- الحجة -)

يجب أن يكون معائب تكسير معيبة غير أنه لما حذف أحد القائلين عوض منها الباء وقوله يحفظونه بأمر الله فتضاء يحفظونه بما يحاذره بأمر الله والمفعول هنا محذوف قال ابن جني وأما قراءة الجماعة يحفظونه من أمر الله فتقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه بما يتخافه فمن على هذا مرفوعة الموضع لأنها صفة للمرفوع الذي هو معقبات وليس هذا على معني يحفظونه من أمر الله أن ينزل به لأنه لو كان كذلك لكانت منصوبة الموضع كقولك خفت زيداً من الأسد والذي ذكرته رأي أبي الحسن فإن قلت فهلا كان تقديره على يحفظونه من أمر الله بأمر الله ويستدل على إرادة الباء هنا بقراءة علي (ع) يحفظونه بأمر الله وجاز أن يكون يحفظونه بأمر الله لأن هذه المصائب كلها في علم الله وإمكانيه فاعلمها عليها فيكون هذا كقولك هربت من قضاء الله بقضاء الله قيل تأويل أبي الحسن ذهب في الاعتداد عليهم وذلك لأنه سبحانه وكل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر وعناونه التي لا يعتد عليهم بتسلطها عليهم فهذا أسهل طريقاً وأرخص في الاعتداد بالنعمة عليهم عرفاً

❦ الفقه ❦

الفيض ذهاب المائع في جهة المعق وغازت المياه قصت وغيشته قصته قال

غيش من عبراتهم وقيل لي ماذا لقيت من الموى ولقينا

التمالي والمالي واحد وتعالى أي جل عن كل ثناء وقيل التعلالي المتدر على وجه يستحيل أن يساويه غيره والسارب الساري الجاري بسرعة والسرب يفتح السين والراء الماء السائل من الزادة قال ذو الرمة

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كل مغرية سرب

وقيل السارب الناهب سب الأرض ومنه قول قيس بن الحليم (أني سربت كنت غير سروب) ويقال خل سربه أي طرده والمعقبات المتأويات التي يختلف كل واحد منها صاحبه ويكون بدلامه وأعمال المعقب أن يكون التي عقيب آخر والمقب الطالب دينه مرة بعد مرة قال الشاعر

حتى تهجر في الرواح وهاجه طلب المعقب حقه المظلوم

ومنه العقاب لأنه يستحق عقاب الجرم والعقاب لأنها تعقب الصيد تطليه مرة بعد مرة وقيل إن واحد المقبات مقب والمجمع مقببة ومقببات جمع الجمع كما قالوا رجالات عن القراء

== الإعراب ==

ما في قوله ما تحمل وما تفيض وما تزداد استهائية وموضعها نصب بالفعل الذي بعدها معناه أي شيء تحمل والجملة معلقة يعلم قال الزجاج سواء منكم من أسر القول ومن جهر به موضع من رفع بسواء وكذلك من الثانية يرتفعان جميعا بسواء لأن سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد وعمرو في معنى ذو سواء لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يرتفع ما بعده إلا على الحذف تقول عدل زيد وعمرو والمعنى ذو عدل زيد وعمرو لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين وإنما ترفع الاسماء أو صافها فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخشاعة

ترتفع ما ترتعت حتى إذا ذكرت فأنما هي أقبال وإدبار

أي ذات أقبال وإدبار وكذلك زيد أقبال وإدبار وهذا مما كثر استعماله أعني سواء فبجري مجرى أسماء الفاعلين ويجوز أن يرتفع على أن يكون في موضع مستوى إلا أن سيبريه يستقيم ذلك لا يجوز مستوى زيد وعمرو لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يتبدأ بها لفظة عن الفعل فلا يتبدأ بها ويجريها مجرى الفعل

المعنى

(الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي يعلم ما في بطن كل حامل من ذكر أو أنثى تام أو غير تام ويعلم لونه وصفاته (وما تفيض الأرحام) أي يعلم الوقت الذي تنقصه الأرحام من المدة التي هي تسعة أشهر (وما تزداد) على ذلك عن أكثر المفسرين وقال الضحاك الفيض نقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك أن النساء لا يلدن لأجل واحد وقيل يعني بقوله ما تفيض الأرحام الولد الذي تأتي به المرأة لأجل من ستة أشهر وما تزداد الولد الذي تأتي به المرأة لأجل مدة الحمل عن الحسن وقيل معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاع الحيض وما تزداد بدم النفس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف وابن زيد (وكل شيء) أي وكل شيء من الرزق أو الأجل أو ما سبق ذكره من الحمل (عنده يقدر) أي يقدر واحد لا يجاوز ولا يقصر عنه على ما توجبه الحكمة (عالم الغيب والشهادة) أي عالم بما غاب عن حس العباد وبما يشاهده العباد لا ينبغي عنه شيء وقيل عالم بالمعوم والموجود والغيب هو المعوم وقيل عالم السر والعلاية عن الحسن والأولى أن يحمل على المعوم ويدخل في هاتين الكلمتين كل معلوم فيه سبحانه بذلك على أنه عالم بجميع المعلومات الموجودة منها والمعلومات منها (الكبير) وهو السيد للكل القادر على جميع الأشياء وقيل هو الذي كل شيء دونه لكامل صفاته ولكونه عالما لذاته قادرا لذاته حيا لذاته وقيل هو الذي كبر عن شبه المخلوقين (المتمال) وهو الذي علا كل شيء بقدرته فلا يساويه قادر وقيل هو المنزه عما لا يميز عليه في ذاته وفعله وعما يقوله المشركون (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) معناه سواء عند الله وفي علمه من أسر القول في نفسه وأخفاه ومن أعلنه وأبداه ولم يضره في نفسه (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) أي ومن هو مستتر بثوار بالليل ومن هو سالك في سره أي في مذهبه ماض في حوائجه بالنهار معناه أنه يرى ما اختفى ظلمة الليل كما يرى ما أظهره ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل أهوال أهله وقال الحسن معناه ومن هو مستتر بالنهار وصحح الزجاج هذا القول لأن العرب تقول انسرب الوحش إذا دخل في كئاسه (المقببات) اختلف في الضمير الذي في له على وجوه أحدها أنه يعود إلى من في قوله من أسر القول ومن جهر به والثاني أنه يعود إلى اسم الله تعالى وهو عالم الغيب والشهادة والثالث أنه يعود إلى النبي ﷺ في قوله إنما أنت منذر عن ابن زيد واختلف في المقبات على القولين أحدهما أنها ثلاثكة بشاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار

ملائكة الليل وهم الحفظة يحفظون على البعد عمله عن الحسن وسعيد بن جبير وتجاهد وبجاهد الجبائي وقال الحسن م اربعة املاك يجتمعون عند صلاة الفجر وهو معنى قوله إن قرآن الفجر كان مشهودا وقد روي ذلك عن أنس بن مالك أيضا (ع) والثاني أنهم ملائكة يحفظونه من المهلك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحيلون بينه وبين المقادير عن (ع) وابن عباس وقيل م عشرة املاك على كل آدمي يحفظونه (ع) والثالث أنهم الأمراء والملوك في الدنيا الذين يمتحن الناس عن المظالم وتكون لهم الاحراس والشرط والمواكب يحفظونه عن عكرمة والضحاك وروي أيضا عن ابن عباس وتقديره ومن هو سارب بالتهار له احراس وأعوان قدر أنهم يحرسونه ولم يتجه احراسه من الله (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله) أي يملكون به كما يملكون الموكل بالحفظة وقيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه عن الحسن وقيل يحفظونه من وجوه المهلك والمطالب ومن الجن والإنس والحوام وقال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فلذا جاء القدر على الحفظ وقيل من امر الله أي بأمر الله عن الحسن وبجاهد والجبائي وروى ذلك عن ابن عباس وهذا كما يقال هذا لاسر بتدبير فلان ومن تدبير فلان وقيل معناه يحفظونه عن خلق الله فيكون من يمتحن عن كما في قوله وأنهم من خوف أي عن خوف قال كعب : لولا أن الله وكل بك ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لخطفتكم الجن (إن الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والمال الجميلة (حتى ينهروا ما بأنفسهم) من الطاعة فيصوت ربهم ويظلم بعضهم بعضا قال ابن عباس إذا اتم الله على قوم فسكرزوها زادهم وإذا كفرزوها سلهم اباهوا وإلى هنا للنبي اشار امير المؤمنين (ع) بقوله إذا اقبلت عليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر (وإذا اراد الله بقوم سوء) أي عذابا وإيفا ساء سوءا لأنه بسوء (فلا مرد له) أي لا مدفع لموقبل معناه إذا اراد الله بقوم بلا من مرض وسقم فلا مرد لبلائه (وما لهم من دونه من وال) يلي امرهم ويجمع العذاب عنهم

الفصل في النظم

اتصلت الآية الاولى بقوله وإن تعجب الآية فإنه احتجاج بالثبوت والمعنى أن من كان بهذه الصفة في القدرة والعلم فإنه يقدر على البعث وقيل انها اتصلت بقوله ويستعملونك بالسيرة قبل الحسنة وقوله لولا انزل عليه آية من ربه يعني ان من يعلم غوامض الامور فهو اعلم بالصالح ولو علم الصالح في ازالة العذاب أو الآية لفعل عن النبي وأبي سلم وقوله له معقبات يصل بقوله وسارب بالتهار عن الجبائي وقيل يصل بقوله عالم الغيب والشهادة ويعلم ما تحمل كل اتي أي كما يعلمهم جعل عليهم حفظة يحفظونهم وقيل يصل بقوله إنما انت منذر يعني انه (ع) يحفظ بالملائكة واتصل قوله إن الله لا يغير ما بقوم إلى آخره بقوله ويستعملونك بالعذاب يعني انه لا ينزل العذاب إلا ان يعلم من جهنم التغير حتى لو علم أن فيهم من يؤمن في المستقبل او يعقب موتا لا ينزل العذاب وقيل بل اتصل بالسارب يعني انه إذا اتي بالمصيبة يمل به حفظه وحاق به عقابه وقيل بل هو على الاطلاق العموم قوله تعالى (١٢) هُوَ الَّذِي يُرْسِلُكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَشِّئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ (١٣) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَأُكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٤) لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَالِقِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٥) وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْأَنْدَادِ وَالْآصَالِ اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الأعرج شديد الحال بفتح اللام وقراءة أبي مجلز بالقندو والايصال

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني الحال مفعل من الحجة قال أبو زيد يقال ما له حجة ولا محالة فيكون تقديره شديد الحجة وتفسيره قوله سبحانه تستدرجهم من حيث لا يطمون وقوله ومكروا ومكر الله والايصال مصدر أصلتا أي دخلنا في وقت الأصيل ونحن موصولون

﴿ اللغة ﴾

يقال اره يره اراءة وهو أن يحصل على صفة الرؤية باظهار المرئي له او يجعله على صفة يرى والسحاب جمع سحابة ولذلك قال النقال ولو قيل التثنية لجاز والصواعق جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء والرعد والبرق ذكرنا معناه في اول البقرة والحال الأخذ بالقطب هاهنا فقال ماله محالة ومحال إذا قاواه حتى يتبين أيها أشد وعملت به عملا قال الاعشى

فرع نبع يهترأ في غصن المجد غزير الندى شديد الحال

والاستجابة والإجابة بمعنى غير ان في الاستجابة معنى الطلب قال (فلم يستجب عند ذاك مجيب) والظلال جمع الظل وهو ستر الشخص ما بآزائه والظل الظليل وهو ستر الشمس اللازم وأما التي فهو الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه ومنه الظلة لسترها والأصالب جمع اصل واصل جمع اصيل فهو جمع الجمع مأخوذ من الأصل فكأنه اصل الليل الذي ينشأ منه وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس وقد يقال في جملة اصائل قال أبو ذؤيبة لعمرى لأنت البيت أكرم اهله واقصد في افئائه بالأصائل

﴿ الاعراب ﴾

خوفًا وطعما لا يتصيان على الغرض لأن ما يتصبب لذلك يجب أن يكون فاعله. وفاعل الفعل الأول واحدا وهاتان الخائف والطامع ليسا بالذي يرى البرق وهما في قوله يدعون ربهما خوفًا وطعما يتصيان على الغرض لأن الخائف والطامع هناك هو الداعي فاعلمة فلم تنجيد مفيد والمضي هاتان يخوفكما بما يريكم خوفًا ويطعكما طعما فالصدر دعوهم موقع الحال وهم يجادلون في الله جاز أن تكون هذه الواو والحال أي يصيب بها من يشاء في حال جدالهم في الله لأنه جاء في التفسير أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فجادله فقال يا محمد سم ريك أمن نحاس أم من حديد أم من لؤلؤ أم من ياقوت أم من ذهب أم من فضة فأرسل الله عليه صاعقة ذهبت بصفته وهو قول انس بن مالك وعجمه ويحوز أن يكون لما تم الله اوصاف ما يدل على توحيده وقدرته قال بعد ذلك وهم يجادلون والكاف من قوله كباسط كفيه يتعلق بصفة مصدر تقديره إلا استجابة كائنة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء هذا إذا كان الكاف سرفًا وإذا كان اسمًا محضًا فالتقدير إلا استجابة مثل استجابة باسط كفيه إلى الماء فلا يكون في الكاف ضمير أي كما يستجيب الماء باسط كفيه إليه واللام في قوله ليلغ فراه يتعلق باسط كفيه وما هو يالغ أي ما الماء يالغ فاه وقيل ما فوه يالغ الماء وقيل ما باسط كفيه إلى الماء يالغ الماء وطوعًا وكرمًا مصدران وضما موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال (هو الذي يريكم البرق خوفًا وطعما) أي تخويفًا وإطعامًا فأقام الخوف والطمع مقام التخويف والإطعام وذكر فيه وجوه ﴿ احلها ﴾ أن للمضي خوفًا من الصواعق التي يكون معها وطعما في النيث الذي يزيل القحط عن الحسنة وإني مسلم ﴿ والثاني ﴾ خوف المسافر من

ابن يضل الطريق فلا يمكنه المسير وطعما للمقيم في نوى الزرع والخير الكثير عن قتادة والضحاك والجبائي
 ﴿الثالث﴾ خروفا لمن يخاف ضرر المطر لانه ليس كل بلد ينشم فيه بالمطر وطعما لمن يرجو الاكتفاء به
 عن الزواج (ويشئ السحاب الثقال) أي ويخلق السحاب الثقال بالماء يرفعهما من الأرض فيجرهما في الجو
 (ويسبح الرعد بحمده) تسبح الرعد دلالة على تنزيه الله تعالى ووجوب حمده فكانه هو المسبح وقيل إن الرعد
 هو الملك الذي يسوق السحاب ويحركه بصوته وهو يسبح الله تعالى ويحمده وروي عن النبي ﷺ انه قال إن
 يرسم سبحانه يقول لو أن عبادي اطاعوا في لاسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس ياتهازل ولم اسمعهم صوت
 الرعد وكان ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وكان ابن عباس يقول
 سبحانه الذي سبحت له وروى سالم بن عبدالله عن ابيه قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق
 قال اللهم لا تغفلنا بنفك ولا تهلكنا بنبذك وعافنا قيل ذلك وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال
 سبحانه الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابه صاعقة فلي دبه
 (والملائكة من خيفته) أي ويسبح للملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته قال ابن عباس إنهم خائفون من الله
 تعالى ليس كخوف ابن آدم لا يعرف أحد منهم على عيبه من على يساره ولا يشغلهم عبادة الله طامع ولا شراب
 ولا شيء (ويُرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) ويصرفها عمن يشاء إلا انه حذف وروي عن ابي جعفر الباقر
 عليه السلام أن الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب ذا كرا (وهم يجادلون في الله) يعني إن هؤلاء
 الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يتخاصمون اهل التوحيد ويحاولون قتلهم عن مذاهبهم بالمجادل لأن معنى
 الجدل قتل انظم عن منعه بطريق الحجاج روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه عن يثقل ان زيد بن
 قيس اخا لزيد بن ربيعة العامري لاهه وعلمه بين طليل وذلك انهما اتيا النبي ﷺ يجادلانه ويريدان الفتك
 به وكان عامر اوصى الى زيد إذا رأيته فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاضم رسول
 الله ﷺ ويراجسه الكلام فدار زيد خلف رسول الله ﷺ ليضربه فاخرط من سيفه شبرا ثم حبه الله
 عنه فلم يقدر على ضربه وجعل عامر يوبى اليه فانفتحت رسول الله ﷺ فرأى زيدا وما يصنع بسيفه فقال اللهم
 اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على زيد صاعقة في يوم صاح صائفة فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت
 ربك تقتل زيدا والله لا ملأنا طاعك خيلا جرذا وفتيانا مردا ولا رطل بكل شجرة فرسا فقال ﷺ الله يملك
 من ذلك فنزل بيت امرأة من سلول وخرج على ركبته في الوقت غدة عظيمة فكان يقول غدة كندة البعير
 وموت في بيت سلولة حتى قتله وفي ذلك يقول لزيد بن ربيعة يرفي اخاه زيدا

اشخي على زيد الخوف ولا
 اذهب نوه السالك والاسد
 فبحني البرق والصواعق بال
 فارس يوم الكريهة النجد

(وهو شديد الحال) أي شديد الأخذ عن علي (ع) وقيل شديد القوة عن قتادة وبجاءه وقيل شديد
 النعمة عن الحسن وقيل شديد القدرة والتمكن عن الزجاج وقيل شديد الكيد للكمار عن الجبائي (له دعوة
 الحق) أي لله سبحانه دعوة الحق واختلف في معنى دعوة الحق على أقوال ﴿احدها﴾ انها كلمة الإخلاص
 شهادة أن لا إله إلا الله من ابن عباس وقاتدة وابن زيد ﴿والثاني﴾ أن الله تعالى هو الحق فدعاؤه دعوة الحق
 ومن دعاه دعا الحق من الحسن ﴿والثالث﴾ انها الدعوة التي يمدى بها الله على اخلاص التوحيد عن
 الجبائي والمعنى أن من دعاه على جهة الاخلاص فهو يبعثه فله سبحانه من خلقه دعوة الحق (والذين يدعون من
 دونه) أي والذين يدعهم الشركون من دون الله لحاجتهم من الأوقاف وغيرها (لا يستجيبون لهم بشيء إلا
 كباطل كذبهم إلى الله) ليعاقبهم بما هو بآئنه) هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله ودعا أن يقضه

يقول ان مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتأوله ويسكن به غلته وذلك الماء لا يبلغ قامه لبعد المسافة بينهما فكذلك ما كان يبعده المشركون من الاصنام لا يصل نفعا اليهم ولا يستجيب دعاءهم عن ابن عباس وقيل كسبسط كفيه إلى الماء أي كالذي يدعو الماء بلسانه ويشير اليه بيده فلا يأتيه الماء من مجاهد وقيل كالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فلت قبل أن يبلغ الماء قامه من الحسن وقيل انه تمثيل العرب لمن يسمى فيما لا يدركه فيقول هو كالتقاضي على الماء عن أبي مبيدة والبلخي وأبي مسلم قال الشاعر

فأصبحت ما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد

وقال الآخر

فإني وإياكم وشوقا اليكم كقابض ماء لم تسعه إقامه

(وماء الكافرين إلا في ضلال) أي ليس دعائهم الاصنام من دون الله إلا في ذهاب عن الحق والصلاب وقيل في ضلال من طريق الإجابة والنفع ثم بين سبحانه كمال قدرته وسعة مملكته فقال (وهو يسجد من في السموات والأرض) يعني الملائكة وسائر المكلفين (طوعا وكرها) اختلف في معناه على قولين ﴿أحدهما﴾ ان معناه انه يجب السجود لله تعالى إلا ان المؤمن يسجد له طوعا والكافر يسجد له كرها بالسيف عن الحسن وقتاده وابن زيد ﴿والثاني﴾ ان المعنى وهو يخضع من في السموات والأرض إلا ان المؤمن يخضع له طوعا والكافر يخضع له كرها لأنه لا يمكنه ان يستمتع من الخضوع لله لا يصل به من الآلام والاسقام عن الجاني (وظلالهم) أي ويسجد ظلالاتهم (بالقدوس والصلوات) أي المشيات قيل ان المراد بالنظر الشخص فان من يسجد يسجد ظله معه قال الحسن يسجد ظل الكافر ولا يسجد الكافر ومعناه عند أهل التحقيق انه يسجد شخصه دون قلبه لأنه لا يريد بسجوده عبادة ربه من حيث انه يسجد لخوف وقيل إن الظلال على ظاهرها والمعنى في سجودها قائمها من جانب إلى جانب وانقيادها بالتسخير بالطول والقصير

قوله تعالى (١٦) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَتُخَذُّنَّ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا فِتْنَةً شُرَكَاءَ خَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ آيَةٌ فِي الْكِتَابِ آيَاتُنَا مَدَنِي وَبَصَرِي ثَلَاثُ آيَاتٍ شَامِي لَمْ يَدْعُ الْكُوفِي الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ وَعَدُ الْأَشَامِي وَحْدَهُ لَا عَمَىٰ وَالْبَصِيرُ

﴿القرأة﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص أم هل يستوي الظلمات بالياء. والباقرن بالياء.

— (الحجة) —

من قرأ بالياء. فلو أنه مسند إلى موثق لم يفصل بينه وبين فاعله بشي كقوله وقالت اليهود وقالت الاعراب وقد جاء في مثل ذلك التذكير كقوله وقال نسوة ومن قرأ بالياء. فلو أنه موثق غير حقيقي

— (المعنى) —

لما بين سبحانه في الآية الأولى انه المستحق لعبادة وان له من في السموات والارض حقه بما يجري مجرى الحجة على ذلك فقال (قل) يا محمد لولا الكفار (من رب السموات والارض) أي من مدبرهم وصورهم على

ما فيها من البادع فلذا استعجم عليهم الجواب ولا يمكنهم أن يقولوا الأصنام (قتل) أنت لهم رب السماوات والأرض وما بينهما من أنواع الحيوان والنباتات والجماد (الله) فإذا أقروا بذلك (قل) لهم على وجه التبييت والتوبيخ فليعلم (أنا اتخذت من دونه أولياء) توجوهن مبادعتكم إليهم فالصورة صورة الاستعظام والرداء به التفرغ ثم بين أن هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه أولياء (لا يعلكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) ومن لا يملك لنفسه ذلك فالأولى والأحرى أن لا يملك لغيره ومن كان كذلك فكيف يستحق العبادة وإذا قيل كيف يكون هؤلاء السائل والمجيب والمزم بقوله قل أنا اتخذت من دونه أولياء فالجواب أنه إذا كان القصد بالحجاء ما يبين من بعدهم بعد لم يستحق ذلك فكانه قال الله الخالق فلماذا اتخذت من دون الله أولياء لأن الأمر الظاهر الذي لا يحجب المحض إلا به لا يمنع أن يبادر السائل إلى ذكره ثم يورد الكلام عليه تفاديا من التطويل ويكون تقدير الكلام أليس الله رب السماوات والأرض فلم اتخذت من دونه أولياء ثم ضرب لهم سبحانه مثلا بعد الزم الحجة فقال (قل هل يستوي الأعمى والبصير) أي كما لا يستوي الأعمى والبصير كذلك لا يستوي المؤمن والكافر لأن المؤمن يعمل على بصيرة ويهدى الله الذي يملك النفع والضر والكافر يعمل على عى ويهدى من لا يملك النفع والضر ثم زاد في الإيضاح فقال (أم هل تستوي الظلمات والنور) أي هل يستوي الكفر والإيمان أو الضلالة والهدى أو الجهل والعلم (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه) أي هل جعل هؤلاء الكفار شركاء في العبادة خلقوا أم لا مثل خلق الله تعالى من الأجسام والألوان والطعوم والألوان والطعوم والألوان والطعوم والألوان والطعوم (فتشابه الخلق عليهم) أي فاشتبه لذلك عليهم ما الذي خلق الله وما الذي خلق الأنثى فقلنا أن الأنثى تستحق العبادة لأن أفعالها مثل أفعال الله فإذا لم يكن ذلك مشتبها إذ كان ذلك كله لله تعالى لم يبق شبهة أنه الإله لا يستحق العبادة سواء (قل) لهم (الله خالق كل شيء) يستحق به العبادة من أصول النعم وفروعها (وهو الواحد) ومعناه أنه يستحق من الصفات ما لا يشقعه غيره فهو قديم لذاته قادر لذاته عالم لذاته حي لذاته غني لا مثل له ولا شبه وقيل الواحد وهو الذي لا يتجزأ ولا يتبعض وقيل هو الواحد في الألعية لا ثاني له في القدم (القهار) الذي يقهر كل قادر سواء ولا يتبعض عليه شيء واستدلت المجبة بقوله الله تعالى خالق كل شيء على أن أفعال العباد مخلوقة لله لأن ظاهر المصوم يقتضي دخول أفعال العباد فيه ويقول أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه قالوا لأنه أنكر أن يكون خالق خلق كخلقه وأجيب عن ذلك بأن الآية وردت حجة على الكفار إذ لو كان الرداء ما قالوا لكان فيها حجة لهم على الله لأنه إذا كان الخالق لمبادعتهم الأصنام هو الله فلا يتوجه التوبيخ إلى الكفار ولا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم أن يقولوا أنك خلقت فينا ذلك فلم توجننا على فعل فعلته فينا فيعطل حينئذ قاعدة الآية وأيضا فإن أكثر أصنامنا لا يطقون على غيره سبحانه أنه يخلق أصلا فضلا من أن يقولوا أنه يخلق كخلق الله ولكن يقولون أن العباد يخلقون ويمجدون ومعنى الخلق مندمم الاختراع ولا يقدر العباد عليه ومن جود منهم إملات فقط الخلق في أفعال العباد فإنه يقول أنه سبحانه إنما نفى أن يكون أحد يخلق مثل خلقه ونحن لا نقول ذلك لأن خلق الله اختراع وابداع وأفعال غيره مفعولة في محل القدرة عليها مباشرة أو مترددا في الغير بسبب حال في محل القدرة ولا يقدر على اختراع الأفعال في الغير على وجه من الرجوع إلا الله سبحانه الذي أبدع السماوات والأرض وما فيها وينشئ الأجناس من الأعراس التي لا يقدر عليها غيره فكيف يشبه الخلق مع هذا التمييز الظاهر على أن مندمم كل حركة هي كسب لله وفعل لله تعالى ولا يتيقن فقد حصل التشابه هنا ونحن نقول أن أحدا يفعل بقدرته محدثة بفعلها الله تعالى فيه والله يفعل لكونه قادرا لذاته قاطرة والتبسيط ظاهر فعلنا أن المراد بقوله خالق كل شيء ما قدمناه من أنه خالق كل شيء يستحق خلقه العبادة

قوله تعالى (١٧) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَايَا

وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ
فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
(١٨) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مِمَّا لَاقَتْهُمْ بِهِ أَوْ لَبَسُوا مِنْهُ لَظَنَوا أَنَّهُ سَوَاءٌ الْحِسَابِ وَمَا أُولَٰئِكَ بِفِئَةٍ مُّشْرِكٍ بِآيَاتِ

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر يوقدون بالياء والباقون بالناء.

❦ الحجة ❦

قال أبو علي من قرأ بالناء فلما قبله من الخطاب وهو قوله قل أنا أنزلتم ويجوز أن يكون خطابا عاما يراد به
الكافة كان المعنى وما يوقدون عليه أيها الموقدون زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل من قرأ بالياء فلأن ذكر
النسبة قد تقدم في قوله أم جبارا لله شركاء ويجوز أن يراد به جميع الناس ويقوي ذلك قوله وأما ما ينفع الناس
فكما أن الناس يعم المؤمنين والكافرين كذلك الضمير في يوقدون وقالوا يوقدون عليه في النار فبصل الطرف
متعلقا بوقدون لأنه قد تقدم على ما ليس في النار كقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فهذا ابتداء يقال على ما ليس في
النار وإن كان يلحقه وجهها ولها

❦ اللغة ❦

الرادى سفع الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر ومنه اشتقاق الندية لأنه جمع المال العظيم الذي
يردى عن التثيل والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان والوزن يزيد وينقص فإذا كان مساويا فهو
القدر وقرأ الحسن بقدرها بسكون الدال وهما لثان يقال أعلى قدر شبر وقدر شبر والمصدر بالتخفيف لا غيرهم
يخصمون في القدر مما بالسكون والحركة قال

ألا يا قوم للثواب والقدر وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدرى

والاحتمال رفع الشيء على الظاهر بقوة الحامل له ويقال ملاصوته على فلان فاحشله ولم ينضبه والزبد وض
التيان وهو خبث التليان ومنه زبد القدر وزبد السيل والجفاء مدود مثل الثناء وأصله المنز يقال جفا الوادي جفا
قال أبو زيد يقال جفأت الرجل إذا صرخته واجفأت القدر بزبدتها إذا القيت زبدتها منها قال القراء كل شيء ينضم
بضه إلى بعض فلو أنه يجي على فمال مثل الحطام والقش والثناء والجفاء والابتداء التاء الحلب في النار واسترقت
النار واتقدت وتقدت والمتاع ما تمت به والمكث الكون في المكان على مرور الزمان يقال مكثت ومكثت
ونكثت أي قلبت

❦ الإعراب ❦

قال جامع العلوم البصير قوله في النار متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله عليه أي وما
توقدون عليه ثابتا في النار ابتغاء حلية أي مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في يوقدون ولا يجوز
أن يكون قوله في النار من صلة يوقدون لأن المعنى ليس على ذلك فالمعنى أنهم يوقدون على الذهب في حال كونه
في النار فافهمه من كلام أبي علي ولم يبدأ إليه غيره وقوله زبد مبتدأ ومثله نعمته والظرف الذي هو قوله بما توقدون
نحوه على قول سيويه وهو مرفوع بالظرف على قول الاخفش وموضع جفاء نصب على الحال أي ينصب على هذه
الحالة قال الشاعر

إذا أكلت سمكا وفرضا ذهبت طولا وذهبت عرضا

أي ذهبت على هذه الحالة والنزول نوع من التمر

« المعنى »

ثم ضرب سبحانه مثلي الحق والباطل « أحدهما » الماء وما يطوه من الزبد « والآخر » ما يتولد عليه النار من الذهب والفضة وغيرها وما يطوه من الزبد على ما وقبه فقال (أنزل من السماء ماء) أي مطرا (انفسات أودية بقدرها) يعني فاحتمل الانهيار الماء كل نهر بقدره الضئيل على قدر ضوره والكبير على قدر كبره فسلات كل نهر بقدره من الحسن وقتاده والجاني وقيل بقدرها بما قدر لها من مائها عن الزجاج (فاحتمل السيل زيدا رابيا) أي طافيا عاليا فوق الماء شبه سبحانه الحق والإسلام بالماء الصافي النافع للخلق والباطل بالزبد الذاهب باطلا وقيل انه مثل القرآن النازل من السماء ثم تحمّل القلوب حظها من اليقين والشك على قدرها فالأولى مثل اليقين والزبد مثل الشك عن ابن عباس ثم ذكر المثل الآخر فقال (وما توردون عليه في النار) وهو الذهب والفضة والرصاص وغيره ما يذهب (ابتداء حلية) أي طلب زينة يتخذ منه الكاذب والفضة (أو متاع) متاع أو ابتغاء متاع يتنعم به وهو مثل جواهر الأرض يتخذ منها الأواني وغيرها (زبد مثله) أي مثل زبد الماء فإن هذه الأشياء التي تستخرج من المادن وتقدم عليها النار ليس إلا الخالص من الحديث لها أيضا زبد وهو خبثها (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل وضرب المثل تسيره في البلاد حتى يشتمل به في الناس (فأما الزبد فيذهب جفاء) أي باطلا متفرقا بحيث لا يتنعم به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والإيمان التي يتنعم بها (فيمكث في الأرض) فينتفع به الناس فمثل المؤمن من اعتقاده كمثل هذا الماء المتنعم به في نبات الأرض وحياة كل شيء به وكمثل نفع الذهب والفضة وسائر الأيمان المنتفع بها ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء وكمثل خبث الحديد وما تفرجه النار من وسخ الذهب والفضة الذي لا يتنعم به (كذلك يضرب الله الامثال لناس) في امر دينهم قال قتادة هذه ثلاثة امثال ضربها الله تعالى في مثل واحد شبه نزول القرآن بالماء الذي ينزل من السماء وشبه القلوب بالأودية والأنهار فمن استقصى في تدبره وتكفر في معانيه اخذ حظا عظيما منه كالنهر الكبير الذي يأخذ الماء الكثير ومن رضي بها اداه إلى التصديق بالحق على الجملة كان اقل خطأ منه كالنهر الضئيل فهذا مثل من شبه الخطاة وسواس الشيطان بالزبد يطو على الماء وذلك من حيث التربة لا عين الماء كذلك ما يقم في النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفوة الماء كذلك يذهب مغايل الشك هباء باطلا ويبقى الحق فهذا مثل ثاب والمثل الثالث قوله وما توردون عليه في النار إلى آخره فالكفر مثل هذا الخبث الذي لا يتنعم به والإيمان مثل الماء الصافي الذي يتنعم به وتم الكلام عند قوله يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله (ولذين استجابوا لربهم الحسنى) عن الحسن والحسين وقيل بل يتصل بما قبله لأن معناه ان الذي يبقى مثل الذين استجابوا لربهم والذي يذهب جفاء مثل الذي لا يستجيب والمراد به الذين استجابوا دعوة الله وآمنوا به وأطاعوا الحسنى وهي الجنة عن الحسن والجاني وقيل معناه النصيحة الحسنى والحالة الحسنى وهي صفوة التراب والجنة أيضا عن أبي مسلم (والذين لم يستجيبوا له) أي له فلم يؤمنوا به (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله مما لا تعدوا به) أي جعلوا ذلك فدية أنفسهم من الذنوب لا يقبل ذلك منهم (أو لئلا لهم سوء الحساب) قيل فيه اقوال « أحدها » ان سوء الحساب أغنهم بذنوبهم كلها من دون ان يفر لهم شيء منها عن ابراهيم النخعي ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث ومن توشح الحساب عذب فيكون سوء الحساب الماتكة « والثاني » هو ان يحاسبوا لتقريب التوبيخ فإن الكافر يحاسب على هذا الوجه والمؤمن يحاسب ليسر بما عده تعالى له من الجاني « والثالث » هو ان لا يقبل لهم حسنة ولا يفر لهم سيئة عن الزجاج

ودوي ذلك عن أبي عبد الله (ع) والرايب ﴿ ان سوء الحساب هو سوء الجزاء فسي الجزاء حساباً لأن فيه اعطاء المستحق حقه (وما أعلم جهنم) أي مصيرهم إلى جهنم (وبش المهاد) أي وبش ما مهدوا لأنفسهم والمهاد الفرائض الذي يوطأ لصاحبه وتسمى النار مهاداً لأنها موضع المهاد لهم

قوله تعالى (١٩) أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذِرُ كُرْ أُولَئِىَ الْأَلْبَابِ (٢٠) الَّذِينَ يُوقُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْمِثَاقَ (٢١) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢٢) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عِشَى الدَّارِ (٢٣) جَنَّاتٌ عِدْنُهَا مِنْ صَلَاحٍ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٤) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ سَنَابِت

— (الفة) —

الالباب القول بولب الشيء أجل ما فيه واخلصه واجوده ولب الإنسان عقله لأنه أجل هافيه ولب النحلة قلبها والميثاق العهد الواقع على احكام والوصل ضم الثاني إلى الأول من غير فاصلة والعرف والغشية والفرع نظرنا وهو انزعاج النفس يا لا يأمن منه من الضرر والسوء ورود ما يشق على النفس والحساب احصاء ما على العاقل وله وهو هاهنا احصاء ما على المجازي وله والسوء اخفاء المعنى في النفس ومنه السرور لأنه لذة تحصيل النفس ومنه السرور لأنه مجلس سرور والدرء الدفع والعدن الإقامة الطويلة وعدن بالمكان يمدن عدنا ومنه المدن والصلاح استقامة الحال والمصلح من فعل الصلاح الذي يدعو إليه العقل والشرع والصالح المستقيم الحال في نفسه والعتقى فعل من العاقبة وهو الانتهاء الذي يؤدي إليه الابتداء من غيرا وش

﴿ الإعراب ﴾

موضع الذين يوقون رفع لأنه صفة لقوله أولو الاباب وقيل انه صفة لمن يعلم وابتداء نصب لأنه مفعول له وجنات عدن يدل من عقي ومن صلح موضعه رقم عطفا على الواو في قوله يدخلونها وجزاء ان يكون نصبا لأنه مفعول معه كما تقول قد دخلوا وزينا أي مع زيد والياء في قوله بما صبرتم يتلحق بمعنى سلام لأنه دل على السلامة لكم بما صبرتم ويجعل ان يتلحق بمحذوف على تقدير هذه الكرامة لكم بما صبرتم وما في قوله بما صبرتم مصدبة تقديره بصبركم وقيل انه بمعنى الذي كأنه قال بالذي صبرتم على فعل طاعته وتجنب مصابه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه الفرق بين المؤمنين والكافر فقال (أفمن يعلم إذا أنزل إليك) يا محمد (من ربك الحق كمن هو أعمى) منه اخرج الكلام مخرج الاستفهام والمراد به الإنكار أي لا يكونان متساويين فإن الفرق بينهما هو الفرق بين الأعمى والبصير لأن المؤمن يبصر ما فيه رشده والكافر يتعمى من الحق فيتعمى ما فيه هلاكه (انما يتذكر أولوا الاباب) أي انما يتذكر كبريائه ويستدل به ذوق العقول والمعركة قال علي بن عيسى وفي هذا حث على طلب العلم والزم له لأنه اذا كانت حال الجاهل كمال الاعمى وحال العالم كمال البصير وأمكن هذا الاعمى ان يستفيد بصرا فما الذي يقبضه عن طلب العلم الذي يخرج به من حال العمى بالجهل إلى حال البصير (الذين يوقون بعهد الله ولا يتقون الميثاق) أي يوثقون ما عهد الله اليهم والزمهم أيه قتلا وسما فالعهد المعقلى ما جعله في عقولهم من اقتضاء صحة أمور وفساد أمور آخر كاختصاص الفعل للفاعل وان الصنائع لا بد ان ترجع

الى صاتم غير مصنوع والا ادى الى ما لا يتناهى وان لم يعلم مدبرا لا يشبهه والهدى الشريعى ما اخذنا لى ^{عنه} على المؤمنين من الميثاق المؤكد باليمين ان يطيعوه ولا يعصوه ولا يرجعوا عما التزموه من اوامر شرعه ونواهيها وقا
كرر ذكر الميثاق وان دخل جميع الاوامر والنواهي في لفظ الهدى لا يظن ظانا أن ذلك خاص قيا بين المبدوء به
فأخبر ان ما بينه وبين العباد من الوثائق كذلك في الوجوب والازوم وقيل انه كرهه تأكيداً (والذين يصلون
ما أمر الله به ان يوصل) قيل المراد به الايمان بجميع الرسل والكتب كما في قوله لا تفرق بين أحد من رسله
وقيل هو صلح محمد وموارثته وموارثته والجهاد معه عن الحسن وقيل هو صلة الرحم عن ابن عباس وروى أصحابنا
ان ابا عبد الله (ع) لما حضرته الوفاة قال اسلموا الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين وهو الانفس سجين دينارا
فقاتلت له أم ولده لتعطي رجلا حل عليك بالشفرة فقال لها ويحك أما تقرئين قوله تعالى والذين يصلون ما أمر الله
به ان يوصل الآية وقيل هو ما يلزم من صلة المؤمنين بأن يتولاهم وينصروهم وينذروهم ويدخل فيه صلة الرحم
وفيه ذلك من الجاني والى سلم وروى جابر عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ^{صلى الله عليه وآله} يا والدين صلة
الرحم يهوان الحساب ثم تلا هذه الآية روى محمد بن الفضل عن موسى بن جعفر الكاظم (ع) في هذه الآية
قال صلة آل محمد ^{صلى الله عليه وآله} معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلي واقطع من قطعتي وهي تجري في كل رحم
وروى الوليد بن ابان عن ابي الحسن الرضا (ع) قال قلت له هل على الرجل في مساله سوى الزكاة قال نعم ابن
ما قال الله والذين يصلون الآية (ويخشون ربهم) اي ويخافون عقاب ربهم في قطعها (ويخافون سوء الحساب)
قد بينا ما قيل فيه وروى هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال سوء الحساب ان يحسب عليهم السيئات ولا يحسب
لهم الحسنات وهو الاستعصاء وروى حماد بن عثمان عن ابي عبد الله (ع) انه قال لرجل يا فلان مالك ولا أخيك قلت
جئت هذا لكي عليه شي فاستقصيت حتى عنه قال ابو عبد الله (ع) اخبرني عن قول الله سبحانه ويخافون سوء الحساب
أترام خافوا ان يعجز عليهم او يظلمهم لا والله ولكن خافوا الاستعصاء والمداقة (والذين صبروا ابتغاء وجه
ربهم) اي الذين صبروا على القيام بما اوجبه الله عليهم وعلى بلاه الله من الامراض والقوبة وغير ذلك ومن معاصي
الله سبحانه طلب ثواب الله تعالى لأن ابتغاء وجه الله هو ابتغاء الله ويكون ابتغاء ثوابه تقول العرب
في تعظيم الشيء هذا وجد الرأى وهذا نفس الرأى لراى المظلم فكذلك وجه ربهم هو نفسه المظلم فلا شيء اعظم
منه ولا شيء يساوي في العظم وقيل ان ذكر الوجه هنا عبارة عن الاخلاص وترك الرياء (واقاموا الصلاة) اي ادوا بما يحلوهما
وقيل داموا على فعلها (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) اي ظاهرا وباطنا (ويدرون بالحسنة السيئة) اي
يدفون بفعل الطاعة المحبة قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح السيى من العمل كما روي عن النبي ^{صلى الله عليه وآله}
انه قال لحاذين جبل اذا علمت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فمعا وقيل معناه يدفعون اساءة من اساء الله بهم بالاحسان
والغو ولا يكافئون كتوله سبحانه ادفع بالتي هي احسن السيئة عن قتادة وابن زيد والقتبي قال الحسن اذا
سرما اسلموا واذا ظلموا عفا واذا قتلوا وصلوا وقيل معناه يدفعون بالتوبة مرة الذنب من ابن كيسان
(أو تلك) يعني ان هؤلاء الذين هذه صفاتهم (لهم عتي النار) اي ثواب الجنة فالدار الجنة وثوابها عتيا التي
هي النارية المحبودة عن ابن عباس والحسن ثم وصف الدار فقال (جنات عدن) اي بساتين إقامة لديم ولا تنفني
وقيل هي الدرجة العليا وسكانها الشهداء والصديقون عن ابن عباس وقيل هي مدينة في الجنة فيها الانبياء والاشراف
والشهداء من الضحك وقيل قصر من ذهب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد او حاكم عدل عن الحسن وعبد الله
ابن عمر ثم بين سبحانه ما يكامل به سرورهم من اجتماع قومهم معهم فقال (يدخلونها ومن صلح من آياتهم
وازواجهم وذرياتهم) اي اولادهم يعني من آمن منهم وصدق بما صدقوا به وذلك ان الله سبحانه جعل من ثواب
الطيب سروره بما يراه في أمه من الحاقهم به في الجنة كرامة له كما قال الحقنا بهم ذريتهم عن ابن عباس وبما جاهد

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب الجنة الثانية وقيل من كل باب من ابواب البر كالصلاة والزكاة والصوم وقيل من ابواب قصودهم وبساتينهم بالنعمة من الله سبحانه والتشفع والهدايا من ابن جاس ويقولون (سلام عليكم عليكم يا صيرتم) والقول يحذف دلالة الكلام عليه والسلام والتحية والبشارة منهم بالسلمة والكرامة واتقاء كل امرئ تشويه مضرة أي سلمكم الله من الاحوال والمكاره يصيركم على شأان الدنيا وعنها في طاعة الله تعالى (فتم عطي الدار) أي تم باقية الدار ما اتمم فيه من الكرامة

قوله تعالى (٢٥). وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٦) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى خَمْسَ آيَاتٍ

الفقرة

الاقابة الرجوع الى الحق بالتوبة انتاب فلان القوم اتلمع مرة بعد مرة ويقال تاب ينوب نوبة اذا رجع مرة بعد مرة وطوبى لمن صلى من الطيب وهو تائب الطيب ولم ينو طوبى بأن يقولوا طوبى كما قالوا ضيزى فقلبرا الرلوا ياء والضة كسرة لأن طوبى اسم وضيزى صفة ففرقا بين الاسم والصفة

الأعراب

الذين آمنوا في موضع نصب ردا على من - المعنى يهدي اليه الذين آمنوا والاحرف تنبيه وابتداء وحسن مآب عطف على طوبى لأن طوبى في موضع رفع

المعنى

لما ذكر سبحانه الذين يؤفون بعهدهم بالصفات التي يستحقون بها الجنة عقبه بذكر من هو على خلاف حالهم فقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) قد ذكرنا معنى عهد الله وميثاقه وصلة ما أمر الله به أن يوصل (ويفسدون في الأرض) بالفساد أي غير الله من ابن جاس وقيل بقتال النبي ﷺ والزمين من الحسن وقيل بالعدل فيها يحاصي الله والظلم لبياده واخراب بلاده وهذا مع (أولئك لهم العنة) وهي الابعاد من رحمة الله والتبعية من جهنم (ولهم سوء الدار) أي عذاب النار والحلوق فيها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع الرزق على من يشاء من عباد محبب ما يعلم من المصلحة وبضيقه على آخرين إذا كانت المصلحة في الضيق (وفرخوا بالصياة الدنيا) أي فرخوا بما أوتوا من حطام الدنيا فرح البطر ونسوا فناء موبقاه امر الآخرة وتقديره وفرح الذين بسط لهم في الرزق في الحياة الدنيا (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) أي ليست هذه الحياة الدنيا بالاضافة الى الحياة الآخرة الا قليل ذاهب لأن هذه فانية وتلك دائمة باقية عن مجاهد وقيل انه مذكور على وجه الصحب أي عجبوا لهم ان فرخوا بالدنيا الثانية وتركوا العليم الدائم والدنيا في جب الآخرة متاع لا خطر له ولا بقاء له مثل القدر والقصعة والتدر يستمتع به زمانا ثم ينكسر عن ابن عباس (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي هل انزل على محمد سجرة من ربه بقرحها ويجوز انهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا انه لم ينزل عليه آية ولم يشهدوا تلك الآيات فقالوا لعلنا

القول جهلا منهم بها (قل) يا محمد (إن الله يضل من يشاء) عن طريق الجنة سوء فضاله وعظم معاصيه وقدمضى القول فيوجو لا لشلال والمضى فلا معنى لإعادته (ويهدي إليه من أناب) أي رجع إليه بالطاعة (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) معناه الذين اعتزلوا بترجيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس إليه والذكر حصول للمعنى للنفس وقديسى العلم ذكر القول الذي فيه المعنى المحاضر للنفس أيضا يسمى ذكرًا وقد وصف الله المؤمنين حينما بآته بطمئن قلبه إلى ذكر الله ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالأول أنه يذكر ثوابه وإمامته وآلاءه التي لا تحصى وإباديه التي لا تجازى فيسكن إليه وبالتالي أنه يذكر عقابه وإحتماله فيخافه ويوجل قلبه (الا يذكر الله تطمئن القلوب) وهذا حث العباد على تسكين القلب إلى ما وعد الله به من النعيم والثواب والطمأنينة إليه فأول وعده سبحانه صادق ولا شيء تطمئن النفس إليه البغ من الوعد الصادق وهو اعتراض وقع بين الكلبيين إذا كان قوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله في موضع رفع بالأجداء ويكون قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدلا منه وقوله طوبى لهم وحسن مآب جملة في موضع الرفع بأنه خير المبتدأ وإذا كان الذين آمنوا الأول في موضع نصب على ما تقدم ذكره فيكون الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ مستأنفا وطوبى لهم غير موصاه الذين يؤمنون بالله ويسملون ما يجب عليهم من الطاعات (طوبى لهم) وفيه اقوال **أحدها** ان معناه فرح لهم وقرعة عين عن ابن عباس **والثاني** غبطة لهم عن الضحاك **والثالث** خير لهم وكرامة عن إبراهيم التيمي **والرابع** الجنة لهم عن مجاهد **والخامس** معناه العيش المليب لهم عن الزجاج والمال المستطابة لهم عن ابن الأثيري لأنه فعل من الملب وقيل أطيب الأشياء لهم وهو الجنة عن الجبائي **والسادس** حيثما يطلب العيش لهم **السابع** حتى لهم عن قتادة **الثامن** نعم ما لهم عن عكرمة **التاسع** طوبى لهم دوام الخير لهم **العاشر** ان طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار النبي **والحادي عشر** وفي دار كل مؤمن منها غصن عن عبيد بن عمير وروى والي هيرة وشهر بن حوشب ورواه عن أبي سعيد الخدري مرفوعا وهو المروي عن أبي جعفر (ع) قال لو أن راكبا مجلدا سار في ظلها مائة عام ما خرج منها ولو أن غرابا طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتى يبيض هرا ما إلا في هذا فارغبوا ان المؤمن نفسه منه في شغل والناس منه في راحة إذا جفن عليه الليل فرش وجهه وسجد لله يتأجج الذبي خلفه في فكأك رقبته الا فكأكذا كمنوا وروى علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رثاب عن أبي عبيدة الخداعي عن أبي عبد الله (ع) كان رسول الله **عليه السلام** يكتر تقييل فاطمة (ع) فأكرت عليه بعض نسائه ذلك فقال **عليه السلام** إنه لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة وأدعاني جبرائيل (ع) من شجرة طوبى وتناولني منها فاكحة فأكلتها فعزل الله ذلك في ظهري ماء فهبطت إلى الأرض ووالمت خديجة فحملت فاطمة فكلما اشتقت إلى الجنة قلبتها وما قبلتها الا وجدت رائحة شجرة طوبى فهي حوراء انسية وروى الثعلبي بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال طوبى شجرة أصلها في دار علي (ع) في الجنة وسنة دار كل مؤمن منها غصن ورواه أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه عن أبياته (ع) قال سئل رسول الله **عليه السلام** عن طوبى قال شجرة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة ثم سئل عنها مرة أخرى فقال في دار علي (ع) قيل في ذلك فقال ان داري ودار علي في الجنة بمكان واحد (وحسن مآب) أيهم ولهم حسن مآب أي مسجع

﴿ التلزم ﴾

وجه اتصال قوله الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر الآية بما قبله انه بين ان قضاهم للمهادت كما لحب الرئاسة

والمناصفة في الدنيا وزهدهم في الآخرة وأخير بأنه ييسر الرزق لمن يري صلاحه فيه ويرزق مقدار الكفاية من علم
ان صلاحه فيه ثم لا ذكر سبحانه سوء عاقبة الكفار عقب ذلك يذكر ما اقترحوه من الآيات وترك تفكيرهم فيها
أنزل من الآيات الخارقة للعادة فقال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ولما استمحلوا للعذاب بين
سبحانه يضل من يشاء الله يهلك من يشاء معجلا ويؤخر عذاب من يشاء عن أبي مسلم قال ولما يقول آية
آيات العذاب وقبل انهم لا اقترحوها الآيات بين انهم لما لم يجابوا الى ذلك لأن في الموعود انهم لا يؤمنون وأنه يهلكهم
قوله تعالى (٣٠) كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَسَتْ لَوْ عَلَيْهِمُ الَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ يَا رَحْمَنُ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ
(٣١) وَكَوْنُ أَنْ قُرْآنًا سِيرَتٍ بِهِ الْخَيْالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الدُّنْيَى بَلْ فِيهِ الْأَمْرُ
جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِشِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
نُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْوَعْدَ
آيَات

﴿ القراءه ﴾

قرأ علي وابن عباس وعلي بن الحسين (ع) وزيد بن علي وجعفر بن محمد وابن أبي مليكة وعكرمة والجلدي
وابو يزيد اللزني أنهم يبين والقراءة المشهورة يباس

(- الحجة -)

قال ابن جني هذه القراءة فيها تفسير قوله أَلَمْ يَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا وروي عن علي بن عياش أنها لغة فخذلن
الضعف قال

ألم يأس الأتوم اني ابنه وان كنت عن أرض العيرة نائبا

وقال سحيم بن وثيل

أقول لأهل الشعب اذ يأسروني ألم يأسوا اني ابن فارس زهديم

وزوي اذ يسروني اي يسمونني اي ألم يسلوا قال ويشبه عدي ان يكون هذا ايضا راجعا الى معنى اليأس
وذلك ان التأمل للشيء المطلب لملحه ذاهب بفكره في جهات معرفته إياه فلمذا ثبت عنه علي شي يعتقد واغرب
عما سواه فلم ينصرف اليه كما ينصرف اليأس عن الشيء عنه ولا بلغت اليه هذا طريق الصنة فيها

﴿ القصة ﴾

المطلب الثوبة تلب ثوب توبا وتوبا والثوبة الفعلة الواحدة والتفسير تصوير الشيء بحيث يسير يقال صار يسير سيرا
وسيره غيره والتقطيع فكثير القطع والقطع تفصيل المتصل والحلول حصول الشيء في الشيء كحصول العرض
في الجوهر وحصول الجوهر في الوعاء والأصل الأول والثاني شبه به والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ومعه
سميت القيامة قارعة واصله من القرح وهو الضرب ومقارعة الأبطال ضرب بعضهم بعضا وقوارع القرآن الآيات
التي من قرأها آمن من الشيطان كأنها تضرب الشياطين اذا قرئت

﴿ التزويل ﴾

زلت الآية الأولى في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعل (ع) اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليامة يمتون مسلمة الكتاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون ثم قال رسول الله ﷺ اكتب هنا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركو قريش لئن كنت رسول الله ثم فأنفك وصعدناك لقد ظلمناك ولكن اكتب عندنا ما صالح محمد بن عبد الله فقال اصحاب رسول الله ﷺ دعنا فأتاهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون فأنزل الله عز وجل كذلك أرسلناك في أمة الآية عن قتادة ومقاتل وابن جريج وقيل نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن عن الضحاک عن ابن عباس ونزلت الآية الأخرى في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية للخزومي جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى النبي ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله بن أمية إن سرنا ان تبطل فسير لنا جبال مكة بالقرآن فأذبحها عاتق تصنع فلونها ارض شقية واجعل لنا فيها عيونا وانهارا حتى نفوس ونزرع فلست كما زعمت اهون على ربك من دلود (ع) حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الربيع فتركها الى الشام فتقضي عليها مسيرتنا وسواها ثم ترجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الربيع فكما زعمت لنا فلست اهون على ربك من سليمان واسي لنا جرك قسما او من شئت من موتانا لنسأله أمق ما نقول أم باطل فلان عيسى (ع) كان يحمي الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله سبحانه ولو ان قرأتا الآية

المعنى

لما ذكر سبحانه النعمة على من تقدم ذكره بالثواب وحسن المآب عقبه بذكر النعمة على من أرسل اليه النبي ﷺ فقال (كذلك أرسلناك) اي كما انعمنا على المذكورين بالثواب في الجنة انعمنا على المرسل اليهم بأرسالك وقيل انت معنى التشبيه انا كما أرسلنا الانبياء في الأمم قبلك أرسلناك (في أمة قد خلت من قبلك أمة) اي في جماعة قد مضت من قبلها قرون وجماعات (لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك) بين الغرض في ارساله وهو ان يقرأ عليهم القرآن ليتدبروا وآياته ويتعظوا بها (وم يكفرون بالرحمن) اي وقريش يكفرون بالرحمن اي ويقولون قد عرفنا الله ولا ندري ما الرحمن كما اخبر عنهم بأنهم قالوا وما الرحمن انسجدا تأمرنا عن الحسن و قتادة وقيل منناه انهم يحسدون بالوحداية (قل) يا محمد (هو ربي) اي الرحمن الذي انكرتموه ربي اي خالقي ومجري (لا إله الا هو عليه توكلت) اي اليه فوضت امري متمسكا بطاعته راضيا بحكمه (واليه متاب) اي مرجعي وقيل منناه الى الرحمن توبيخ (ولو ان قرأتا سيرت به الجبال) اي تجمل به الجبال سائرة فأذهبت من مواضعها وقلعت من أماكنها (او قطعت به الأرض) او شقت فجعلت انهارا وعيونا (او كلم به الموتى) او احياهم به الموتى حتى يعيشوا ويتكلموا وحذف جواب لولان في الكلام دليلا عليه والتقدير لكن هذا القرآن لنظم عمله وعلو امره وجلالة قدره قال الزجاج والذي اتهم وقد قاله بعضهم ان المعنى لو ان قرأتا سيرت به الجبال او قطعت به الأرض او كلم به الموتى لما آمنوا ودليله قوله ولو انزلنا اليوم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وحذف جواب لو بكثرة في الكلام قال امرؤ القيس

فلو انها نفس تجوت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا

وهو آخر القصيدة وقال

وجدك لو شيء أتنا رسوله سواك ولكن لم تجدك مدفعا

(بل لله الأمر جميعا) معناه ان جميع ما ذكر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى وكل تدبير يجري هنا للجرى لله لا أنه لا يملكه سواه ولا يقدر عليه غيره ولكنه لا يفعل لأن فينا أنزل من الآيات مقنا وكفاية المنصفين والامر ما يصح ان يؤثر به وينتهي عنه وهو عام وأصله الأمر تفيض النهي (أفلم يأنس الذين

آمنوا) أي آمنوا بعلومهم ويتبينوا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والبيضاوي وقيل معناه آمنوا يعلم الذين آمنوا علما يتأسوا معه من أن يكون غير ما علموه عن القراء وقيل معناه آمنوا بآس الذين آمنوا من الإيمان هؤلاء الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يؤمنون عن الزجاج قال لأنه قال (إن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أي إن الله لو أراد أن يهدي الخلق كلهم إلى جنته لهداهم لكنه كفهم ليتألوا الثواب بطاعتهم على وجه الاستحقاق وقيل أراد به مشيئة الإلحاء أي لو أراد أن يلبثهم إلى الإحشاء لقد علم على ذلك لكنه يتأني الكليف ويطلب الغرض به (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وبأعمالهم الخبيثة (فأعارة) أي نازلة وداهية تفرعهم ومصيبة شديدة من الحرب والجلب والقيل والامر عليهم على جهة العقوبة والتنبية والزجر وقيل أراد بالقارعة سرايا النبي ﷺ كانت يبعثها إليهم وقيل أراد بذلك ما ذكره من حديث زيد وطاهر (أو تحمل قريبا) من دارهم وقيل إن التاء في تحمل للتأنيث والمعنى أو تحمل تلك القارعة قريبا من دارهم فجاورهم حتى يحصل لهم المخافة منه من الحسن وقتادة والبيضاوي وقيل إن التاء للخطاب والمعنى أو تحمل أنت يا محمد بنفسك قريبا من دارهم (حتى يأتي وعد الله) أي ما وعد الله من فتح مكة عن ابن عباس قال وهذه الآية مدنية وقيل حتى يأتي يوم القيامة عن الحسن (إن الله لا يخلف الميعاد) ظاهر المعنى

النظم

اتصلت الآية الأخيرة بقوله ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه والتقدير إن مثل هذا القرآن أنزل عليهم وهم يطلبون آيات أخر عن الجاني وقيل اتصلت بقوله كذلك أرسلناك الآية لأن المهوم من قوله لتتلو عليهم أنه قرأ عليهم القرآن وأنهم كفروا به

قوله تعالى (٣٢) وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِهِمْ مِنْ قَبْلِكَ فَاَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٣) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ قُلُوبُهُمْ أَمْ نَنْفِثُوهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ بِنَاظِرٍ مِنْ الْقُلُوبِ بِلِزِينٍ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَكْرَمِهِمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٤) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ آلِهَةٍ مِنْ آلِهَةٍ فَلَا تَأْتِي

(القراءة)

قرأ أهل الكوفة يعطوب وصدوا بضم الصاد وكذلك في حم المؤمن والباقر وصدوا بفتح الصاد

الحجة

قال أبو الحسن صد وصدته مثل وجع ورجته قال

صدت كما صد عمالا يحل له ساقى نصارى قبل الفصح صوام

قال عمرو بن كلثوم

صدت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس يحرقها اليمين

وحجة من أسند الفعل إلى الفاعل قوله الذين كفروا وصدوا عن خليل الله وفيه موضع آخر ويصدون عن سبيل الله وصدوكم عن المسجد الحرام فلا أسند الفعل إلى الفاعل في هذه الآية فكذلك في هذه الآية أي صدوا الناس عن النبي ﷺ ومن جى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصد غراتهم والتمتة منهم في كفرهم وقد يكون على نحو ما يقال صد

فلان عن الخير وصد عنه بمعنى أنه لم يفعل خيراً ولا يراد به إن مانعاً منه

❦ الآية ❦

الاستهزاء طلب المزو والمزو اظهار خلاف الاضمار للاستقصاء والاملاء التأخير وهو من الملاوة والملاوان اليل والنهار قال ابن مقبل

ألا يا ديار الحلي بالسبعان الج عليها باللي الملاوان

وقال في التهنئة ليس جديداً ومثل حبيباً أي لتطل أيامك منه والواق المانع فاعل من الوقاية وهو الحجر بما يدفع الأذى والمكروه

❦ المعنى ❦

ثم عزى سبحانه نبيه ﷺ فقال (ولقد استهزى يرسل من قبلك) كما استهزأ هؤلاء بك (فألميت الذين كفروا) أي فألمتهم وأطعت مدتهم ليثوبوا ولتم عليهم الحجة (ثم أخذتهم) أي أهلكتهم وأزلت عليهم عذاباً (فكيف كان عقاب) أي فكيف حل عقابي بهم وهو إشارة إلى تعذيب ذلك العقاب وتعليلهم ثم عاد سبحانه إلى الحجاج مع الكفار (أفن هو قائم على كل قس بما كسبت) معناه أفمن هو قائم بالتدبير على كل قس وحافظ على كل قس أعمالها يجازيها وقيل أفمن هو قائم عليها يوزنها ويحفظها والدفع عنها كمن ليس بهذه الصفات من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر وبطل على هذا الخنوف قوله (وجعلوا لله شركاء) يعني إنا هؤلاء الكفار جعلوا لله شركاء في العبادة من الأصنام التي لا تتقد على شيء ما ذكرنا (قل) يا محمد (سموم) أي مسموم بما يستحقون من الصفات وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق والرازق والمحيي والمميت ويعود المعنى إلى أن الصنم لو كان كما تصور منه أن يخلق الرزق فيمن حينئذ أن يسمى بالخالق والرازق وقيل مسموم بالأسماء التي هي صفاتهم ثم انظروا هل تدل صفاتهم على جواز عبادتهم وإغنائهم أم لا وقيل معناه أنه ليس لهم اسم له مدخل في استحقاق الإلهية وذلك استحراق لم وقيل سموم ماذا خلقوا وهل غشروا أو قعروا وهو مثل قوله أروني ماذا خلقوا من الأرض عن الحسن (أم تبتئونه بما لا يعلم في الأرض) هنا استفهام منقطع بما قبله أي بل أنفخرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلم على معنى أنه ليس ولو كان لهم (أم يظهر من القول) أي أم تقولون عازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له عن مجاهد وقادة والضحاك وعلى هذا فالمعنى أنه كلام ظاهر ليس له سيرة الحقيقة باطن ومعنى فهو كلام فقط وقيل لم يظهر كتاب أنزل الله تعالى سميت الأصنام أمه فينبه أنه ليس لها ذات دليل عقلي ولا سمعي يوجب استحقاق الأصنام الإلهية من الجبالي ثم بين سبحانه بطلان قولهم فقال (بل زين الذين كفروا مكرهم) أي دع ذكر ما كنا فيه زين الشيطان لم الكفر لأن مكرهم بالرسول كفر منهم عن ابن عباس وقيل بل زين لهم الرؤساء والنواة كذبهم وزورهم (وصدوا عن السبل) أي وصدوا الناس عن الحق أو صدوا بأقسامهم عن الحق وعن دين الله (ومن يضلل الله فما له من هاد) سبق متناه في مواضع (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والسي والأسر وقيل بالمصائب والأفراض (ولعذاب الآخرة أشق) أي أغلظ وأبلغ في الشدة على النفس لدوامه وخلوصه وكثرته (وما لهم من الله من واق) أي ما لهم من دافع يدفع عنهم عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٣٥) مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى السكاكين النار (٣٦) والذين آتيناهم الكتاب يعرفون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنه أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به

إِلَيْهِ أَذْعَوْا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ (٣٧) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حِكْمًا تَرَى بَيَاضَ لَوْنٍ أَتَبَّتْ أَهْوَاءُكُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكُمْ مِنْ أَلْفِطِمٍ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقِيٍّ ثَلَاثُ آيَاتٍ

== الفنة ==

الأنهار جمع نهر ونهر كقرد وفارد وجمل وإجمال والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء على وجه الأرض واصله الاتساع ومنه النهار لاتساع الضياء فيه وانتهرت الدماء وسمت مجراها. وقال « ملككت بها كهي فانتهرت فقها » أي وصمته والأكل بضم الهمزة المأكول والأحزاب جمع الحزب وهم الجماعة التي تقوم بالثأب يقال تحزب القوم إذا صاروا حزبا وحزبهم الأسماء بضم أي ظاههم بمكرهه

❦ الأعراب ❦

مثل الجنة التي فيه أقوال ❦ أحدها ❦ أنه يعنى الشبه وغيره مخدوف وتقديره مثل الجنة التي هي كذا أجل ❦ والثاني ❦ أن تقديره فيا قص عليكم مثل الجنة أو مثل الجنة فيا قص عليكم فهو مرفوع أيضا على الابتداء وغيره مخدوف وهو قول سيبويه واختاره أبو علي الفارسي ❦ والثالث ❦ أن متناه صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار تجري من تحتها الأنهار مع ما بعده خبر المبتدأ الذي هو مثل الجنة قالوا وقوله سبحانه وقوله لكل الأمل على متناه الصفة العليا ولم يوترق أبو علي هنا القول

❦ المعنى ❦

لما تقدم ذكر ما أعد الله للكافرين عقبه سبحانه بذكر ما أعد للمتقين فقال (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي شبهها عن مقاتل وقيل صفتها وصورتها من الحسن قال ابن قتبية المثل الشبه في أصل الفنة ثم قد يصير يعنى صورة الشيء وصفته يقال مثل لك كذا أي صورته وصفته وقيل إن مثل مقحم والتقدير الجنة التي وعد المتقون (تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم) يعني أن ثمارها لا تنقطع كثير الدنيا وظلها لا يزول ولا تسخن الشمس عن الحسن وقيل متناه نعيمها لا ينقطع بحوت ولا آفة عن ابن عباس وقيل لذتها في الأفواء بالية عن إبراهيم الجبلي (وظلها) أيضا دائم لا يكون مرة شمسا ومرة ظلا كما يكون في الدنيا (تلك عيسى الذين اتقوا) أي تلك الجنة عاقبة المؤمنين فالطريق إليها التقوى (وعيسى الكافرين النار) أي وعاقبة أمر الكفار النار ولما تقدم ذكر الوعد والوعيد أخبر سبحانه عن المؤمنين والكافرين فقال (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) يريد أصحاب النبي ﷺ الذين آمنوا به وصدقوه اصطوا القرآن وفسحوا بالزهد (ومن الأحزاب من ينكروا بعضه) يعني اليهود والنصارى والمجوس إنكروا بعض مناته وما يختلف أحكامهم عن الحسن وقادة وعامه وقيل الذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ففرحوا بالقرآن لأنهم يصدقون به والأحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين عن ابن عباس قال لأن عبد الله بن سلام وأصحابه أسامهم فله ذكر الرحمن في القرآف مع كثرة ذكره في التوراة فأذن الله قتل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ففرحوا بذلك وكر المشركون بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن إلا الرحمن الهامة ويريد بالأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالمادة ومن ينكر بعضه يعني ذكر الرحمن وهو قوله ومن يكفرون بالرحمن (قل) يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) أي أسمت أن أوجه عبادتي إلى الله ولا أشركه في عبادته أحدا (إليه ادعوا) يعني إلى الله أو إلى الأقرار بوحيدة وصفاته وتوجيه القيادة إليه وحده ادعو (وإليه مآب) أي إليه مرجعي ومصيري أي أرجع وأصير إلى حيث لا يملك الضر والنفع إلا هو وحده فإنه لا يملك يوم القيامة الأمر أحدا من عباده كما ملكهم في الدنيا (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أي كما أنزلنا الكتب إلى من تقدم

من الأنبياء بلسانهم أنزلنا اليك حكمة عربية أي جارية على مناهب العرب في كلامهم يعني القرآن الحكيم جامعاً بين الحكمة كما في قوله وأتيناك الحكم والنبوة وقيل إنما سماه حكماً لما فيه من الأحكام في بيان الحلال والحرام وسماه عربياً لأنه أتى به نبي عربي (ولئن ثبتت أهواءهم) خطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة أي لئن واهتت وطلبت أهواء الذين كفروا والأهواء جمع الهوى وهو ميل الطباع إلى شيء بالشهوة (بعد ما جاءك من العلم) بالله تعالى لأن ما أتيناك من الدلالات والمعجزات موجب للعلم الذي يزول معه الشبهة (ما لك من الله من ولي) أي تأسر بيمينك عليه ويمكك من عذابه (ولا وافي) يقينك منه من ولي في موضع رفع ومن مزيدة

قوله تعالى (٣٨) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٩) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٤٠) وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي تَعْدُّهُمْ أَوْ تَنُفِقَنَّكَ فَأَيُّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل البصرة وابن كثير وعاصم ثبت بالتخفيف وقرأ الباقون يثبت بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي المفسر يحرم ما يشاء ويثبت ما سئفني بتدنية الأول من الثقلين عن تدنية الثاني ومثل ذلك والمخاطفين فزوجهم والمخاطفات والنكاحين الله كثيراً والنكاحات وزعم سيوفه أن العرب من يعمل الأول من الثقلين ولا يعمل الثاني في شيء من كلامهم كقولهم متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً قال الكهيت

بأي كتاب أم بآية سنة ترى جهم عاراً علي وتحسب

فلم يعمل الثاني وهذا والله أعلم بما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الاوقات فأما غير ذلك فلا يحصى ولا يبدل وحجة من قال يثبت قوله واشد تثبيتاً وحجة من قرأ يثبت ما روي عن عائشة كان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة اثبتها وقوله ثابت لأن ثبت مطاوع اثبت

— التزويل —

قال ابن عباس عهروا رسول الله ﷺ بكثرة تزويج النساء وقالوا لو كان نيكاً لشغلته النبوة عن تزويج النساء فنزلت الآية ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك

﴿ المعنى ﴾

(ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) يا محمد (وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) أي نساء وأولاداً أكثر من نسائك وأولادك وكان سليمان (ع) ثلاث مائة امرأة مهيرة وسبعائة مصرية ولداود (ع) مائة امرأة عن ابن عباس أي فلا يثبتني أي يستكر منك أن تزوج وبولدك وروي أن أبا عبد الله (ع) قرأ هذه الآية ثم أوصى إلى صدره فقال نعم والله ذرية رسول الله ﷺ (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) أي لم يكن لرسول يرسله الله أن يجيء بآية ودلالة إلا بعد أن يأذن الله في ذلك ويطلق له فيه (لكل أجل كتاب) ذكر فيه وجوه ﴿إسعادها﴾ أن معناه لكل أجل مقدر كتاب اثبت فيه ولا تكون آية إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب على وجه ما يوجب التدبير فالآية التي اقترحوها لها وقت أجله الله لا على شهواتهم واقترحاتهم عن النبي ﷺ والثاني لكل أمر قضاه الله كتاب كتبه فيه فهو عنده كأجل الحياة والموت وغير ذلك عن أبي علي الجبائي ﴿والثالث﴾

انه من المطلوب والمعنى لكل كتاب ينزل من السماء أجل ينزل فيه عن ابن عباس والضحاك ومعناه لكل كتاب وقت يعمل به فالتوراة وقت والانجيل وقت وكذلك القرآن (يحيى الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) قيل في المحو والاثبات أقوال **﴿١﴾** أحدها **﴿٢﴾** ان ذلك في الاحكام من التاسع والستون عن ابن عباس وقادة وابن زيد وابن جريج وهو اختيار علي بن الحارثي **﴿٣﴾** والثاني **﴿٤﴾** انه يحى من كتاب الحفظه بالمحاة وما لا جزاء فيه ويثبت ما فيه الجزاء من الطاعات والمعاصي عن الحسن والكلبى والضحاك عن ابن عباس والجبالي **﴿٥﴾** والثالث **﴿٦﴾** انه يحى ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلا فيسقط عقابها ويثبت ذنوب من يريد عقابا عدلا عن سعيد بن جبير **﴿٧﴾** الرابع **﴿٨﴾** انه عام في كل شيء فيمحو من الرزق ويزيد فيه ومن الاجل ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابي واثل وقادة وأم الكتاب أصل الكتاب الذي ثبت فيه الحاديات والكافيات وروى ابو قلابة عن ابن مسعود انه كان يقول اللهم ان كنت كتيبتي في الاشياء فامحني من الاشياء واثبتني في السعادة فانك تحو ما تشاء وتثبت وعندهك أم الكتاب وروى مثل ذلك عن أحمد بن حنبل (ع) في دعوائهم للتوراة وروى عكرمة عن ابن عباس قال مما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يحى الله منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب لا يغير منه شيء ورواه عمران بن حصين عن النبي **﴿٩﴾** وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر قال سألت عن ليلة القدر فقال ينزل الله فيها الملائكة والكتب إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنة وما يصيب العباد وأمر ما عنده موقوف له فيه المثبتة فيقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب وروى الفضيل قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول العلم علان علم علمه ملائكته ورسله وانبياءه وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحد يحدث فيه ما يشاء وروى زرارة عن حمران عن ابي عبد الله (ع) قال مما امران موقوف ومخزون فما كان من مخزون امضاه وما كان من موقوف فله فيه المثبتة يقضي فيه ما يشاء **﴿١٠﴾** والخامس **﴿١١﴾** انه في مثل تقتير الارزاق والمغن والمصاب يثبت في أم الكتاب ثم يزيله بالدعاء والصدقة وفيه حث على الاقتطاع اليه سبحانه **﴿١٢﴾** والسادس **﴿١٣﴾** انه يحى بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات يثبت قوله إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات عن عكرمة **﴿١٤﴾** والسابع **﴿١٥﴾** انه يحى ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها كقوله ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين وقوله كم أهلكنا قبلهم من القرون وروى ذلك عن علي (ع) **﴿١٦﴾** والثامن **﴿١٧﴾** انه يحى ما يشاء يعني القمر ويثبت يعني الشمس ويأمنه فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة عن السدي وأم الكتاب هو الوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبديل لأن الكتب المنزلة استخست منه فالنحو والاثبات إنما يقع في الكتب المنقضة لا في أصل الكتاب عن أكثر المفسرين وقيل ان ابن عباس سأل كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه علمون فقال لعبد كن كتابا فكان كتابا وقيل انما سمي أم الكتاب لأنه الأصل الذي كتب فيه أولا سيكون كذا وكذا لكل ما يكون فإذا وقع كتب انه قد كان ما قيل انه سيكون والوجه في ذلك ما فيه من المصلحة والاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدوننا فابلونا ما يكون بما هو مكتوب فيه وعلما ان ما يحدث على كثرتهم فاحصاه الله تعالى وعلمه قيل ان يكون مع ان ذلك اهل في الصدور وأعظم في النفوس حتى كان من تصوره وفكره شاهد له (و اما تريك) يا محمد (بعض الذبى ندم) اي ندم هو لآله الكفار من نصر المؤمنين عليهم شمكتك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال (وتوفيتك) اي وقبضتك الينا قبل ان تترك ذلك وبين يدينا انه يكون بعض ذلك في حياته وبضه بعد وفاته اي فلا تنتظر ان يكون جميع ذلك في أيام حياتك وان يكون ما لا يد ان تراه (فلما عليك البلاغ وعلينا الحساب) اي عليك ان تبينهم ما ارسلناك به اليهم وتقول يا أمراك باقيام به وعلينا حسابهم وبجازاتهم والانتقام منهم إما عاجلا وإما آجلا وفي هذه دلالة على ان الاسلام سيظهر على سائر

الاديان ويبطل الشرك في آيائه ويبعد وفاته وقد وقع المخبر به على وفق الخبر

التنظيم

اتصلت الآية الأولى بما تقدمها من قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه فبين سبحانه أنه بشر كما أن الرسل الذين كانوا قبله كانوا بشرا والبشر لا يقدر على الآيات بل إنما يأتي الله سبحانه بها إذا اتخذه للمصلحة ذلك عن أبي سلمة وقيل أنه لما تقدم ذكر إرساله بين سبحانه أنه أرسل قبله بشرا كما أرسله فعلاه مثل حاله عن القاضي وإنما اتصلت الآية الثانية بقوله لكل أجل كتاب لأن الظاهر اقتضى أن يكون كل مكتوب لا يعجز عنه فبين سبحانه أنه يحكم ما يشاء ويثبت لئلا يتوهم أن المصية مثبتة مع التوبة كما أنها كذلك قبل التوبة عن علي ابن عيسى وقيل لما نزلت وما كانت لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله قالت قريش ما نراك إلا محمد تلك شيئا فلقد فرغ من الأمر فأنزل هذه الآية تنويها وعيدا لهم أن لو شئنا اسدنا من أمرنا ما شئنا ونمحو وكتب في ليلة القدر ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم عن مجاهد وإنما اتصل قوله وأما زينك الآية بما قبله من وعيد الله بالمذاب بين سبحانه أنه يفعل ذلك لا محالة إمامي حياته أو بعد وفاته بشاره له وقيل إنه لما تقدم أن لكل أجل كتابا بين أن لمصالحهم وقضا سيفعله فيه لا محالة لما سيحدث حياته أو بعد وفاته

قوله تعالى (٤١) أُولَئِكَ يَرْوُونَ آثَانَ الْأَرْضِ تَنْفُسُهُمْ أَطَرَفَهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُقَبِّلَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤٢) وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلَّمُ الْكَفَّارُ لِمَنْ عَقَّبَى الْآذَارَ (٤٣) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ثلاث آيات

(القرأة)

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ الواحد والياقون الكفار على الجمع وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي اسحاق والضحاك والحكمين عبيدة ومن عده علم الكتاب بكسر الميم والفتح والقراءة علي والحسن وابن السميع ومن عده معلّم الكتاب

الحجة

قال أبو علي السلم في قوله وسيعلم الكافر هو المتعدي إلى مقولين بدلالة تعليقه ووقع الاستفهام بعده تقول علمت ابن الفلام فقلته مع الجار كما تملته مع غيره في نحو سوف تملعون من تكون له عاقبة النار وموضع الجار مع المجرور نصب من حيث صد الكلام الذي هو فيه صد المقولين لا من حيث حكمت في نحو مورت يزيدان موضع نصب ولكن اللام الجارة كانت متعلقة في الأصل بقل فكان مثل علمت بمن تمر في ابن الجار يتعلق بالمرور والجملة التي هي منها في موضع نصب وقد علق الفصل عنها فاما من قرأ الكافر فأنه جعل الكافر اسما شاملا كالإنسان في قوله أن الإنسان في خسر وزعموا أن لا ألف فيه وهذا الحذف إنما يقع في كل فاعل نحو خالد وصالح ولا يكاد الحذف في فعال وزعموا أن في بعض الحروف وسيعلم الذين كفروا لهذا بقوي الجمع قد جاء فاعل يراد به اسم الجنس اتشد أبو زيد

أن تبخلي يا جمل أو تعطي وتصحي في الظاهر المولي

فهما إنما يكون في الكسوة وليس المراد على كل كافر واحد والجمع الذي هو الكفار والمراد في الآية لا إشكال فيه فأما من قرأ ومن عده علم الكتاب فمعناه ومن فضله ولطفه أم الكتاب ومن قرأ من عده علم الكتاب

فالمعنى مثل ذلك الا ان الجار هنا يتصلق به لم وفي الاول يحذف وعلم الكتاب بشد او م فروع بالظرف على ما تقدم ذكره في قوله ومنهم اميون

❦ اللغة ❦

القص اخذ الشيء من الجملة ثم يستعمل في قصان المنزل والظرف متعنى الشيء وهو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه واطراف الارض نواحيها والتعقيب رد الشيء بعد فصله منه عقب العقب على حيدته اذا رد الكروور عليه بعد فصله عنه ومنه قول لبيد «طلب المقلب حقه المظلوم» والمكر القتل عن البنية بطريق الخيلة والشهيد والشاهد واحد الا ان في شهيد مبالغة والشهادة البيعة على صحة للمعنى من طريق المشاهدة

❦ الاعراب ❦

نقصها من اطرافها جملة منصوبة والموضع على الحال وكذلك قوله لا مقب لحكمه والياء في قوله كفى بالله زائدة قال علي بن عيسى دخلت لتحقيق الاضافتين وجبين جهة الفاعل وجهة حرف الاضافة وذلك ان الفعل لما جاز ان يضاف الى غير فاعله يعني انه امر به ازيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد ونظيره في تأكيد الإضافة قوله لما خلقت بيدي

❦ المعنى ❦

ثم ذكر سبحانه ما يكون الكفار كالبينة على الاعتبار فقال (اولم يروا أنا نأتي الارض نقصها) ايے نقصها (من أطرافها) واختلف في معناه على اقوال ❦ احدها ❦ اولم ير هؤلاء الكفار أنا نقص اطراف الارض بإماتة أهلها ومجازة نقص أهلها من اطرافها كقولهم واسأل القرية اي أفلا يخافون ان تنقل مثل ذلك بهم عن ابن عباس وقادة وعسكره ❦ وثانيها ❦ نقصها بنهاب علمائها وقهاها وبغير أهلها عن عطا ومجاهد والبيهقي وروي نحو ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعن ابي عبد الله (ع) قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار ❦ وثالثها ❦ ان المراد قصد الارض نقصها من اطرافها بالفتوح على المسلمين معناه تنقص من اهل الكفر وزيد في المسلمين يعني ما دخل في الاسلام من بلاد الشرك عن الحسن والضحاك ومقاتل قال الضحاك اولم ير اهل مكة أنا تنقص لمحمد ﷺ ما حولها من القرى وقال الزجاج علم الله تعالى ان يبان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر اي الا يخافون ان تنقص لمحمد ارضهم كما نقصنا له غيرها وقد روي ذلك ايضا عن ابن عباس قال القاضي وهذا القول اصح لأنه يتصل بما وعد من اظهار دينه ونصرته ❦ ورابعها ❦ ان معناه اولم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والنقصان بعد الزيادة عن الجبائي (والله يحكم) اي يفصل الامر لا مقب لحكمه ولا راد لقضائه عن ابن عباس ومعناه لا يقب احد حكمه بالرد والنقض (وهو سريع الحساب) اي سريع المجازاة على افعال العباد على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب ثم بين سبحانه ان مكروهم يضمنل عند نزول العذاب بهم فقال (وقد مكرو الذين من قبلهم) يريد ان الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالؤمنين واحلوا في كفوهم وديروا سيئة تكذيب الرسل بما في وسعهم فاقبل الله مكروهم كذلك يقبل مكرو هؤلاء (فله المكر جميعا) اي له الامر والتدبير جميعا فبرد عليهم مكروهم بنصب الحجج لعماده وقيل معناه فاقه بملك الجزاء على المكر عن ابي مسلم وقيل يريد بالمكر ما يفعل الله تعالى بهم من المكروه عن الجبائي (يعلم ما تكسب كل نفس) فلا يخفى عليه ما يكسبه الانسان من خير وشر لأنه عالم بجميع المعلومات وقيل يعلم ما يكروونه في امر الرسول فيقبل امرهم ويظهر امره ودينه (وسيعلم الكفار ان عقي الدار) هذا تهديد لهم بانهم سوف يعلمون من تكون له عاقبة الجنة حين يدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار وقيل معناه وسيعلمون ان العاقبة المحمودة لكم ام لهم

إذا أظهر الله دينه (ويقول الذين كفروا) لك يا محمد (لست مرسلًا) من جهة الله تعالى إلينا (قل) لهم (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) أي كفى الله شاهداً بيني وبينكم بما أظهر من الآيات وإيمان من الدلالات على نبوتي (ومن عده علم الكتاب) قيل فيه أقوال ﴿﴾ أحدها ﴿﴾ أن من عده علم الكتاب هو الله عن الحسن والفضحاك وسعيد بن جبير واختاره الزجاج قال ويدل عليه قراءة من قرأ ﴿﴾ ومن عده علم الكتاب ﴿﴾ والثاني ﴿﴾ أن المراد به مؤمنو أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام وطلان القارسي وتميم الداري عن ابن عباس وقادة ومجاهد واختاره الجبائي وإنكروا الأولون هذا القول بأن قالوا السورة مكية وهو لا بأسوا بعد الهجرة ﴿﴾ والثالث ﴿﴾ أن المراد به علي بن أبي طالب وأئمة الهدى (ع) عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وروى عن يربد بن معاوية عن أبي عبد الله أنه قال إيانا عني وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي ﴿﴾ وروى عنه عبد الله بن كثير أنه وضع يده على صدره ثم قال عدنا والله علم الكتاب كملاً ويؤيد ذلك ما روي عن الشعبي أنه قال ما أحد أعلم بكتاب الله بعد النبي من علي بن أبي طالب (ع) ومن الصالحين من أولاده وروى عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن السلمي قال ما رأيت أحداً قرأ من علي بن أبي طالب (ع) للقرآن وروى أبو عبد الرحمن أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال لو كنت أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني لأتيته قال فقلت له فلي قال أولم أتته

(سورة إبراهيم)

قال ابن عباس وقادة والحسن مكية إلا آيتان نزلتا في قبلي بدر من المشركين ألم تر إلى الذين يدلو نعمة الله كرمًا إلى قوله فبئس القرار

﴿﴾ عدد آياتها

خمس وخمسون آية شامي أربع حجازي آيتان كوفي آية بصري
﴿﴾ اختلافاً ﴿﴾ سبع آيات إلى النور في الموضعين حجازي شامي وعاد وثمود حجازي بصري وخلق جديد كوفي شامي ولدني الأول ونزعها في الساء غير اللدني الأول والليل والنهار غير البصري عما يعمل الظالمون شامي

﴿﴾ فضلها

إلى ابن كعب قال قال رسول الله ﴿﴾ من قرأ سورة إبراهيم (ع) والحجر أعطي من الأجر عشر حسنات بعد من عبد الأصنام ويهدى من لم يعدها وروى عينة بن مصعب عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة إبراهيم والحجر في ركعتين جميعاً في كل جمعة لم يصبه فقر ولا جنون ولا بلوى

﴿﴾ تفسيرها

لا تختم الله سورة الرعد بآيات الرسالة وأنزال الكتاب اختص هذه السورة ببيان الغرض في الرسالة والكتاب فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (١) اَلْكِتَابَ اَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ الْحَمِيدِ (٢) اَللّٰهُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ
مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٣) الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا اُوَلٰٓئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ثلاث آيات عراقية واربع آيات حجازية شامية

﴿ القراءة ﴾

الله الذي بالرغم مني شامي والباقيون بالبحر

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ بالجرجمله بدلائل الحميد ولم يكن صفة لأن الاسم وان كان مصدرا في الأصل والمصادر
يوصف بها كما يوصف بالسماء الخاضعين فكذلك كان هذا الاسم في الأصل الآله ومعناه ذو العبادة اية
العبادة تجب له قال ابو زيد التالك التلك وانشد لروبة «سبحن واسترجنن عن تألمي» فهذا في انه في الأصل
مصدر قد وصف به مثل السلام والمعدل الا ان هذا الاسم غلب حتى صار في التلبة لكثرة استعمال هذا الاسم
كالمعلم وقد يطلب ما اصله الصفة فيصير بتزلة العلم قال

ونافقة الحميدي بالرملي يته عليه صفيح من تراب وجندل

والأصل النافقة ولما غلب نزع منه الألف واللام كما ينزع من الاعلام نحو زيد وجعفر وربما استعمل في هذا
النحو الوجهان قال

تقدمهم اعراق حذيم بعدما رجا الحقم ادراك العلي والمكرم

وقال «وجلت عن وجوه الأهاتم» ومن قرأ بالرفع قطعه من الأول وجعل الذي الخيرا وجملة صفة واشمر
الخبر ومثل ذلك في القطع قل لي ورني لتأنيكم عالم الغيب من قطع ورفع جعل قوله لا يبرز عنه خبرا لقوله
عالم الغيب والشهادة ومن جر اجري عالم الغيب صفة على الاول وعلى هذا يجوز من يثنا من مرقندا هذا ما وعد
الرحمن ان يثنا شئت جعلت هذا صفة لقوله من مرقندا واشمرت خيرا لقوله ما وعد الرحمن وان شئت جعلت قوله
هذا ابتداء وما وعد الرحمن خيرا

— (اللقنة) —

المزبذبات على الاشياء المتعقد بقدرة من ان يفهم والحميد للحمود على كل حال والاستحباب طلب محبة
الشيء بالعرض لما والمحبة ارادة منافع المحبوب وقد يتضمن معنى ميل الطباع والشهوة والبغية والاختناء الطلب

— المعنى —

(أكر) قد ذكرنا معاني الحروف للقطعة في اوائل السور وذكرنا اختلاف الاقاييل فيه في اول البقرة
(كتاب انزلناه اليك) يعني القرآن نزل به جبرئيل (ع) من عند الله تعالى اي هذا كتاب منزل اليك يا محمد
والله ليس بسحر ولا يشجر (لتخرج الناس) اي جميع الخلق (من الظلمات الى النور) اي من الضلالة
الى الهدى ومن الكفر الى الايمان (بإذن ربهم) اي باطلاق الله ذلك وامره به وفي هذا دلالة على انه سبحانه

يريد الإيعان من جميع للكافرين لأن اللام لا يجوز أن يكون لام العاقبة لأنه لو كان ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين والعلوم خلافه ثم بين سبحانه ما الدور فقال (إلى صراط العزيز الحميد) أي يخرجهم من ظلمات الكفر إلى طريق الله المؤدي إلى معرفته الخيم في سلطانه المحمود في قتاله ونعمه التي انعم بها على عباده (الله الذي له ما في السموات وما في الأرض) أي له التصرف فيهما على وجه لا اعتراض عليه (وويل للكافرين من عذاب شديد) أخبر أن الويل للكافرين الذين يجحدون نعم الله ولا يشكرون يوحداً فيهم من عذاب تنضاف لامة ثم وصف الكافرين بقوله (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) أي يختارون المقام في هذه الدنيا العاجلة على الكون في الآخرة وإنما دخلت على لهذا المعنى ومنهم سبحانه بذلك لأن الدنيا دار اعتقال وفناء والآخرة دار مقام وبقاء (ويصلون عن سبيل الله) أي يمتنعون غيرهم من اتباع الطريق المؤدي إلى معرفة الله ويجوز أن يريد أنهم يعرضون بغفوسهم عن اتباعها (ويغوونها عرجاً) أي يبطئون الطريق عرجاً أي عدولاً عن الاستقامة والسبيل يذكر ويؤثّر وقيل معناه يلتبسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تشهد إلا بباطلته دون مصيبته (أو لك في ضلال بعيد) أي في عدول عن الحق بعيد عن الاستقامة والصواب

قوله تعالى (٤) وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم (٥) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومه من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٦) وإذ قال موسى لقومه أذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ثلاث آيات عراقية أربع في غيرهم

الفئة

التذكير التبريض لذكر الذي هو خلاف السوء والصلار كثير الصبر

الأعراب

أنت اخرج بحمل أن تكون أن بمعنى أي على وجه التفسير ويصلح أن تكون أن التي توصل بالانفال إلا أنها وصلت هنا بالأمر والتأويل الخير كما تقول أنت الذي فعلت والمضى أنت الذي فعل يسومونكم سوء العذاب جملة في موضع الحال

المعنى

ثم بين سبحانه أنه إنما يرسل الرسل إلى قومه بلتهم ليكون اقرب إلى الفهم واقطع للسخر فقال (وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم) أي لم يرسل فيما مضى من الأزمان رسولا إلا بلغة قومه حتى إذا بين لهم فهموا ولا يحتاجون إلى من يترجمه عنه وقد أرسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ إلى الخلق كافة بلسان قومه وهم العرب بدلالة قوله وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً قال الحسن ابن الله على نبيه محمد ﷺ أنه لم يبعث رسولا إلا إلى قومه وبمشة خاصة إلى جميع الخلق وبه قال مجاهد وقيل إن معناه أن ما أرسلناك إلى العرب بلتهم ليتبين لهم الدين ثم أنهم يسيئون للناس كذلك أرسلنا كل رسول بلغة قومه ليظهر لهم الدين ثم استأنف فقال (فيضل الله من يشاء) عن طريق الحق إذا كانوا مستحقين للعقاب (ويهدي من يشاء) إلى طريق الجنة وقيل ليلطف لمن يشاء ممن له لطف ويضل عن ذلك من لا لطف فمن تفكر وتدبر اهتدى وثبت

الله ومن اعرض عنه خذله الله (وهو العزيز الحكيم) ظاهر المعنى ثم ذكر سبحانه ارساله موسى فقال (ولقد ارسلنا موسى (ع) فقال (ولقد ارسلنا موسى بأياتنا) اي بالمعجزات والدلالات (ان اخرج قومك) اي بأن اخرج قومك (من الظلمات الى النور) مر مثناه اي امرناه بذلك وانما اضاف الاخراج اليه لأنهم بسبب دعائه خرجوا من الكفر الى الإيمان (وذكرهم بأيام الله) قيل فيه اقوال ﴿ احبها ﴾ ان معناه وامرناه بأن يذكر قومهم وقائع الله في الأمم الخالية واحلاك من اهلك منهم ليعتدروا ذلك عن ابن زيد والبليغي ويعضده قولهم جئوا بن كثرهم

وايام لنا غير طوال عصيتا الملك فيها ان ندينها

فيكون المعنى الايام التي انتقم الله فيها من القرون الاولى ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى ذكرهم بهم الله سبحانه في سائر ايامه عن ابن عباس والي بن كعب والحسن ومجاهد وقطادة وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) ﴿ والثالث ﴾ انه يريد بأيام الله سنته وافعاله في عبادته من انعام واتقام وكفى بالأيام عتيا لأنها ظرف لهما جامدة لكل منهما عن ابي مسلم وهذا جمع بين القولين المتقدمين (ان في ذلك) التذكير (لايات لكل صبار شكور) اي دلالات لكل من كان عادته الصبر على بلاء الله والشكر على نعمائه وإنما جمع بينهما لأن حال المؤمن لا يخلو من نعمة يجب شكرها او محنة يجب الصبر عليها فالشكر والصبر من خصال المؤمنين فكانه قال لكل مؤمن من لأن التكليف لا يخلو من الصبر والشكر (واذا قال موسى لقومه) والتقدير واذا ذكر يا محمد اذا قال موسى لهم (اذكروا نعمة الله عليكم اذ انبئكم) اي في الوقت الذي انبأكم (من آل فرعون يسمونكم) اي يذيقونكم سوء العذاب (ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) اي يشيقون احياء للاسترقاق (وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) والآية مفسرة في سورة البقرة قال الفراء وإنما دخلت الواو هنا للمطف لأنهم كانوا يذبحون انواعا من العناب سوى الذبيح فجواز المطف فلماذا سدلنا الواو كان يذبحون تقسيرا للعناب

قوله تعالى (٧) **وَإِذَا تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** (٨) وَقَالَ مُوسَى إِنَّ نَكَفَرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنُفِيَّ حَمِيدٌ (٩) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْفَالِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلُنَا بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (١٠) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْذَبُوا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنْزِلْنَا بسلطان مبين اربع آيات في الكوفي خمس آيات في غيره لم يمد الكوفي ثمود آية

بسم الله

التأذن الاعلام يقال آذنت وآذنت وظله اوعد تواعد قال الحرث بن حنظلة

أذنتنا بيتها اسماء رب فاعل من التواء

والأخبار على ما يعظم شأنه يقال لهذا الأمر يا عظيم اي شأن ونبا الله محمدا أو تبا سيلة الكذاب ادعى

البقرة والرب أخبث الشك والرب المثلهم وهو الذي يأتي بما فيه التهمة يقال أراب يريب إذا أتى بما يوجب الريبة

(الاعراب)

قوم نوح وما بعده مجرور بأنه بدل من قوله الذين من قبلكم وفاطر مجرور بأنه صفة لله في قوله أني الله شك ومن في قوله من ذنوبكم لتبقيش وقيل إن من زائدة عن الي عبدة وانكر سيويوه زيادتها في الإيجاب

(المعنى)

لما تقدم ذكر النعمة اتجه سبحانه بذكر ما يلزم عليها من الشكر فقال (واذا تأذن ربكم) التقدير واذا كر إذ أعلم ربكم عن الحسن والبليغ وقيل معناه وإذا قال لكم ربكم عن ابن عباس وقيل أخير ربكم عن الجبالي (لئن شكرتم لأزيدنكم) أي لئن شكرتم لي على نعمي لأزيدنكم في النعم (ولئن كفرتم) أي جحدتم نعمتي (إن عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي وقال أبو عبد الله (ع) في هذه الآية أيما عبد امتعت عليه نعمه فأنور بها بقلبه وحمد الله عليها بلسانه لم ينفذ كلامه حتى يأمر الله له بالزيادة (وقال موسى إن تكفروا) أي تجحدوا نعم الله سبحانه (أنتم ومن في الأرض جميعاً) من الخلق لم تضرروا الله شيئاً وإنما يضركم ذلك بأن تستحقوا عليه العقاب (فلن الله) سبحانه (لئن) عن شكركم (حميد) في أفعاله وقد يكون كثر النعمة بأن يشهد الله بحقيقته أو يجوز في حكمه أو يرد على نبي من الأنبياء فإن الله سبحانه قد انضم على خلقه في جميع ذلك بأن أقام الحجج الواضحة والبراهين الساطعة على صحته وعرض بالنظر فيها للثواب الجزيل (ألم بأنكم) قيل إن هذا الخطاب متوجه إلى أمة نينا يُنَبِّئُ فذكرت بالخيار من تقدمها من الأمم وقيل إنه من قول موسى «ع» لأنه متصل به في الآية المقيدة والمضى ألم يهتكم (بأ الذين من قبلكم) أي أخبار من تقدمكم (قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) أي لا يعلم تفاصيل أحوالهم وعددهم وما فعلوه وفعل بهمن الفتويات إلا الله قال ابن الأنباري إن الله تعالى أهلك أمتاً من العرب وغيرها فاختطمت أخبارهم وغنت آثارهم فليس يعرفهم أحد إلا الله وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النساوين وقيل إن النبي ﷺ كان لا يجاوز في انتسابه معدن عدنان فعلى هذا يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله مستدراً وخيراً (جاءتهم وسلم بالبينات) أي بالآلة والحجج والأحكام والحلال والحرام (فردوا أيديهم في أفواههم) اختفروا في معناه على أقوال **﴿أحدها﴾** إن معناه عضوا على أصابعهم من شدة التنبيل لأنه نقل عليهم مكان الرسل عن ابن مسعود وابن عباس والحياشي **﴿وثالثها﴾** أن معناه جعلوا أيديهم في أفواه الأتباع فكذبوا لهم وردوا ما جاؤوا به فالضير في أيديهم للكفار وفي أفواههم للأنبياء فكأنهم لا سمعوا وعظوا الأنبياء وكلامهم أشادوا بأيديهم إلى أقوال الرسل تسكيناً لهم عن الحسن ومقاتل **﴿وثالثها﴾** أن معناه وضوا أيديهم على أفواههم موين بذلك إلى الرسل أن استكروا عما تدعوننا إليه كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكينه عن الكلام فيكون على هذا القول الضميران للكفار **﴿ورابعها﴾** أن كلاً الضميرين للرسل أي أخذوا أيدي الرسل فوضعوها على أفواههم ليستكروهم ويقطعوا كلامهم فيستكروا عنهم لا يشعرون منهم هذا كله إذا حمل معنى الأيدي والأقوال على الحقيقة ومن حملها على التوسع والمجاز فاختفروا في معناه قتل المراد باليد ما نقلت به الرسل من الحجج والمضى فردوا جميعهم من حيث جاءت لأن الحجج تخرج من الأنفوس من أي مسلم وقيل إن المعنى ردوا ما جاءت به الرسل وكذبوهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه تركوا ما أمروا به وكفروا به وقبلوا لخلق عن أبي عبيدة والأخش قال التتبي ولم يسم أحد العرب تقول رد يده في فيه بمعنى ترك ما أمر به ولما المعنى أنهم عضوا على الأيدي حقاً وغيطاً كقول الشاعر «يودون في فيه شر الحسد» يعني أنهم يفتنون الحسد حتى

بعض على اصابه الشر وقال آخر

قد افنى انامله ازمه فأضحي بعض على الوظيفة

وقيل المعنى ردوا بأقوالهم نعم الرسل اني وعلمهم ونياتهم فوقع في موقف البلاء عن مجاهد قال القراء
الشدني بعضهم

وارغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن سنين لست اذغب

قال أراد ارجب بها يعني بتأله يقول ارجب بها عن لقيط وقيلته (وقالوا انا كفرتا) أي جعلنا (يا أرسلم به) أي يرسلاتكم (وانا فني شك ما تدعوننا اليه) من الدين (مريب) متهم أي يوقن في الرب يكتم انكم تطلبون الرئاسة وتفتنون الكذب (قالت دعوهم) حيثذ لهم (أي الله شك) مع قيام الأدلة على وحدانيته وصفاته (فاطر السموات والأرض) أي خالقها ومنشئها لا يقدر على ذلك غيره فوجب ان يعبد وحده ولا يشرك به من لا يقدر على اخراج الأجسام (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أي يدعوكم إلى الايمان به ليغفر لكم لا يشرككم وقال من ذنوبكم يعني ليغفر لكم بعض ذنوبكم لأنه يغفر ما دين الشرك ولا يغفر الشرك وقال الجبائي دخلت من التبتيض ووضع البعض موضع الجميع توسطاً (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي يؤخركم إلى الوقت الذي ضربه الله لكم أن يميتكم فيه ولا يؤخذكم ببجل العقاب (قالوا) أي قال لهم قومهم (ان اتهم) أي ما اتهم (إلا بشر مثلاً) أي خلق مثلاً (تريدون أن تصدقوا) أي تصدقوا (عما كان يبدى آياتنا) من الأصنام والأوثان (فلو أن سلطان مبین) أي بجملة واضحة على صحة ما تدعونه وبطلان ما نحن فيه ولما قالوا ذلك لأنهم اعتقدوا ان جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمجيزة ولا دالة وقيل انهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهروا فيايبهم وفي هذه الآية دالة على انه سبحانه لا يريد الكفر والشرك وانا يريد الحجة والايمان وانه اتنا بعث الرسل إلى الكفار رحمة وفضلاً وانما ما عليهم ليؤمنوا فانه قال يدعوك ليغفر لكم قوله تعالى (١١) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢) وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا أَذْبَحْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ آيَات

(- المعنى -)

ثم حكى سبحانه جواب الرسل للكفار فقال (قالت لهم دعوهم ان نحن ان نحن الا بشر مثلكم) في الصورة والهيئة ولستنا ملائكة ولكن الله ين على من يشاء أي يصم عليهم بالنبوة وينبئهم بالمجزة فلفظ من الله علينا واصطفاة وبشأ أنبيا. (وما كان لنا ان تأتيناكم سلطان) أي بجملة على صحة دعوانا (إلا بإذن الله) أي بأمره وإطلاعه لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) المصدقون به وبأنبيائه (وما لنا الا التوكل على الله) معناه واني شيء لنا إذا لم نتوكل على الله ولم نفوض أموره إليه وعلى هذا تكون ما للاستفهام وقيل ان معناه ولا وجه لنا ولا عندنا في ان لا نتوكل على الله ولا نشي به فتكون ما هتني وإذا كانت للاستفهام فمعناه التني أيضا (وقد هدانا سبلا) أي عرفنا طريق التوكل وقيل معناه هدايتنا إلى سبيل الايمان ودلنا على معرفته ووقتنا لتوجيه العبادة إليه وان لا نشرك به شيئا وضمن لنا على ذلك جزيل الثواب والمردا ان إذا كنا مهتدين فلا ينبغي لنا ان لا نتوكل على الله (ولنصيرن على ما آذيتونا) فانه تعالى يكفينا امركم وينصرتنا عليكم (وعلى الله

فلينزل المتوكلون ، وإنما قص هذا وأمثاله في القرآن على نبينا ليقتدي بمن كان قبله من المرسلين في تحمل اذى المشركين والصبر على ذلك والتوكل ودوى الوافقي باستنادهم إلى مريم عن أبي الدرداء قال قال الرسول الله ﷺ إذا أذاك البراءة فخذها من الماء فاقرا عليه سبع مرات وما لنا ألا نتوكل على الله الآية وقيل فإن كنتم آمنتم بالله فكفروا شركهم وإذا كنتم عاثم قرش الماء حول فراشك فلذلك تبيت تلك اهية آتنا من شرها

قوله تعالى (١٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٤) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٥) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٦) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٧) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٨) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ . خمس آيات

❖ القراءة ❖

في الشواذ قراءة ابن عباس ومجاهد وابن عيص واستمعوا قراءة ابن أبي اسحاق في يوم عاصف بالاضافة

❖ الحجة ❖

قوله واستمعوا مطروق على ما سبق من قوله فأوحى إليهم ربهم أي وقال لهم استمعوا أي استمعوا الله عليهم واستمعوه بينهم وفي الحديث كان (ص) يستفتح بصالحك المهاجرين أي يستصبر بهم وقيل معناه أنه يقدمهم ويبدأ أمره بهم وكانهم اتوا سنوا القاضي فتاحا لأنه يفتح باب الحق الذي هو مند فقبل عليه وما قبله في يوم عاصف ففتحاه في يوم ريح عاصف فحذف الموصوف وتليت الصفة مقامه وكذلك في قراءة الجماعة في يوم عاصف العاصف هو الريح لا اليوم

(س) اللفظ (س)

الاستفتاح طلب التفتح بالنصر . والحجة اخلاف ما قدر به المنفعة وضده النجاح وهو ادراك الطلبة والجلب يتطلب علو الميزة بما ليس له غاية في الرصف . وإذا وصف البدايات به جبار كان ذما وإذا وصف الله سبحانه به كان مدحا لأن له علو الميزة بما ليس وراءه غاية في الصفة والنييد مباينة العائد والمناد الانتعاض عن الحق مع الطريقة كبروا وبها قال

إذا نزلت فاجعلاني وسطا اني كبير لا اطيع العسدا

والرواء . والخلف واحد وهو الجهة المقابلة لجهة التقدم وقد يكون رواه بمعنى قدام قال

أرجو بنو مروان سمعي وظاعتي وقومي تميم والفلانة وراثيا

قال الزجاج الرواء ما يورى عنك وليس من الاضداد قال النابتة

حلفت ولم اترك لنفسي روية وليس رواه الله المر . مذهب

والصديق التبع يسيل من الجرح أخذ من أنه يُصد عنه تكرما له والقيح دم مختلط يذوقه صديديان لله الذي يسقون فلذلك اعراب باعرابه والتجرح تناول الحروب جرعة جرعة على الاستمرار والاراسغة اجراء الشراب

وشأله ومن قدامه وخلقه عن ابن عباس والجاني (وما هو ميت) أي ومع اثنين أسباب الموت والشدائد التي يكون معها الموت من كل جهة وأنواع العذاب التي كان ميت بدونها في الدنيا لا يموت فيستريح وهذا كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا (ومن ورائه) أي وراء هذا الكفار (عذاب غليظ) وهو الخلود في النار وقيل معناه ومن بعد هذا العذاب الذي سبق ذكره عذاب أشد وأوجع مما تقدم عن الكلبي ثم أخبر سبحانه عما ينال الكفار من الحسرة فيا تكلفوه من الأعمال فقال (مثل الذين كفروا بربهم) وقيل إن معناه مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف أعاداً على ذكره بعد المضاف إليه عن الفراء وقيل معناه ما نقص عليك مثل الذين كفروا عن سيئوه (أعمالهم) في قلة انتفاعهم بها (كرماذ اشتتت به الريح) أي ذوقه ونسفته (في يوم عاصف) أي شديد الريح فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرق والانتفاع به فكذلك هؤلاء الكفار لا يقدرون مما كسبوا على شيء) أي لا يقدرون على الانتفاع بأعمالهم ومثل قوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فيسطناه هباءً منثوراً (ذلك هو الضلال البعيد) يعني أن عملهم ذلك هو الضلال البعيد من النعم وقيل الخطأ البعيد من الصواب عن ابن عباس وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان قول المجيدة لأنه أضاف العمل إليهم ولو كان مخلوقاً له سبحانه لا صح إضافته إليهم

قوله تعالى (١٩) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَٰ نَحْقَ إِن بَشًا بِذُنُوبِهِمْ وَبَٰثٌ يَخْلُقُ جَدِيدَ (٢٠) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢١) وَيَرِثُهَا اللَّهُ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعْآفِلَ أَنْتُمْ مَغْنُومُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِرٍ ثَلَاثُ آيَاتٍ فِي الْكُوفَةِ وَالْمَدِينِ

الاول آيات عند غيرهم

﴿ القصة ﴾

قرأ خاتم السموات ههنا وفي النون اهل الكوفة غير عاصم والباقر خلق

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ خلق فلان ذلك فعل ماض فأخبر عنه بلفظ الماضي ومن قرأ خاتم على اسم الفاعل جعله مثل فاعل السموات لان فاعله بمعنى خاتم

﴿ الفة ﴾

البروز خروج الشيء عما كان ملتباً به إلى حيث يقم عليه الحس يقال برز هتال إذا ظهر له . الضعفاء جمع ضيف والضعف نقصان القوة يقال اخضعه فضف والاستكبار والتكبر والتعبر واحد وهو رفع النفس فوق مقدارها في الوصف والتعبر جمع تابع كالتيب جمع غائب قال الزجاج ويمرؤ ان يكون مصدراً وصف به فيكون بمعنى ذوي تبم واغنى عنه أي دفع عنه فاعناه أي نفى الحاجة منه بما فيه كفايته وحاش يحس حيصا وحير صامتل حاد والحيد الزوال عن المكروه والبزج انزعاج النفس بورد ما يشم وتقيض الصبر قال

فإن تصبرا فالصبر خير مشبة وإن تجزعا فالأمر ما قربان

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه إنما خلق الخلق ليعبده وليرثه لا ليكفروا فقال (ألم تر) أي ألم تعلم لأن الرواية قد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الادراك ليصبر وههنا لا يمكن ان يكون بمعنى الرواية بالصبر والمطاب

لاني ^{عز} والمراد به الأمة (ان الله خلق السنوات والارض) على ما تقتضيه الحكمة والخلق فعل الشيء على تقدير وترتيب (بالحق) أي بقوله الحق وقيل لراد للحق أي ففرض الصحيح والامر الحق وهو الدين والمادة أي ليمدوه فيستحقوا به الثواب من ابن جاس والجاني (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي ان يشأ يهلككم وينفكم ويخلق قوما آخرين مكانكم لأن من قعد على بناء الشيء كان على هدمه اقل اذ لم يخرج عن كونه قادرا (وما ذلك على الله بعزيز) أي وما اهلاككم والقيام بخلق جديد يستعمل ولا تمندل على الله تعالى (وبرزوا لله جميعا) أخبر سبحانه ان الخلق يعززون يوم القيامة له أي يظهر من قلوبهم ويخرجون منها حكم الله فاللفظ لخاصي والمراد به الاستقبال لتحقيق وصحة الوقوع وقيل معناه سيبرزون لله جميعا القادة والأتباع من ابن جاس وهو يصل بقوله ولا يكاد يبينه - لا تقدم ذلك الوعيد بين صفة ذلك اليوم وما يجري بين الاتباع والمتبعين من المجادلة وقال (فقال الضعفاء الذين استكبروا) أي تكبروا عن الايمان فلم يؤمنوا وهم القادة في الدنيا الذين هم الأكابر والرؤساء والقادة في الدين الذين هم علماء السوء (اتا كما لكم تبعا) في الكفر على وجه التقليد فهل اتممتهم من عذاب الله من شيء) أي هل اتمت دافون عنا شيئا من عذاب الله الذي قد نزل بنا ان لم تقدموا على دفع الكل ومن التبعيض (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) أي قال المتبعون للاتباع لو هدانا الله الى طريق الخلاص من العقاب والوصول الى النعيم والثواب لهديناكم الى ذلك والمعنى لو خلاصنا لخلصناكم ايضا لكن لا مطمع فيه لنا ولكم من الجاني واني مسلم وقيل معناه لو هدانا الله الى الرحمة الى الدنيا فخلصنا ما افسدناه لهديناكم وقيل لو هدانا الله بلجابتنا الى الطلب لهديناكم بالمسألة سبحانه ذكر هذين الوجهين القاضي بد الجواب في تفسيره (سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص) يعني ان الصبر والجزع سيات مثلاً ليس لنا محيص ولا مهرب من عذاب الله أي انتقلت حيثنا وينشأ من التجاوت الله سبحانه في هذه الآية على النظر وحذر من التقليد على هذا اشارة امير المؤمنين علي (ع) في قوله لعلهم الهداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله

قوله تعالى (٢٧) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي لَئِنْ كَفَرْتُمْ يَمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده بصري بكسر الياء والباوون بفتحها

(= الحجة =)

قال ابو علي قال الفراء في كتابه في التصريف هو قراءة الاعشى ويحيى بن وثاب قال وزعم القاسم بن معن انه صواب قال وكان ثقة بصيرا وزعم قطرب انه لمة من بني يربوع يزيدون على ياء الاضافة ياء - وانتد ماض اذا ما هم بالمضي قال لها هل لك يا ناقي قالت له ما انت بالمرضي وانتد الفراء ذلك ايضا ووجه ذلك من القياس ان الياء ليست تخطو من ان تكون في موضع النصب او الجر قال ياء في النصب والجر كالياء - فيها وكالكاف في اكرمك وهذا لك فكذا ان الياء قد لخصها الزيادة في هذا كهم والحق ايضا الكاف الزيادة في قول من قال اعطيتكاه واعطيتكاه فيحاكاه سيويه وهما اختا الياء

كذلك المقروء الياء الزائدة في المدققاوا فهي ثم حذفت الياء الزائدة على الياء كما حذفت الزيادة من الياء في قول من قال له أرتان وزعم أبو الحسن أنها لغة فكما حذفت الزيادة من الكاف في قول من قال اعطيكته واعطيتكته كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء وبالجملة حذفت الزيادة من الياء كما حذفت من اختها واقرت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة بقيت الياء على ما كانت عليها من الكسرة وكما لحقت الكاف والها والياء الزيادة كذلك لحقت التاء الزيادة نحو حرميته فاصيته وما اخطأ تديته فلذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللفظة وإن كان غير ما افشى منها وعضه من القياس ما ذكرناه لم يجوز قائل ان يقول ان القراءة بذلك لمن لاستخاضه ذلك في السماع والقياس قال البصير كسر الياء ليكون طبقا لكسرة همزة قوله اني كثرت لأنه اراد الرصد دون الوقف والابتداء باني كثرت لأن الابتداء باني كثرت محال فلما اراد هذا المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من قسما

الفئة

الاصراخ الاغاة باجابة الصارخ ويقال استصرخي فلان فاصرخه أي استغاث فيأخذه

— المعنى —

لما تقدم وعيد الكافر وصفة يوم الحشر وما يجري فيه من الجدل بين الاتباع والمبغضين عقب ذلك سبحانه بكلام الشيطان في ذلك اليوم فقال (وقال الشيطان) وهو ابليس باقناق المشرين يقول لأوليائه الذين اتبعوه (لما قضى الأمر) أي فرغ من الحكم بين الملائق ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار حسن ابن عاص والحسن وقال انه لم يخاطبهم بذلك قال الحسن وهو احقر واخذل من ان يخاطب لولا ان الله اذن فيترينا لأهل النار وقيل انه يوضع له منبر في النار فيرقاه ويستمع الكفار عليه باللائمة عن مقاتل (انه قد وعدكم وعدا من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب (ووعدكم) ان لا يمت ولا نشور ولا جنة ولا نار وقيس ووعدكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصي (فأخفكم) أي كذبكم وقيل لم اوف لكم بوعدكم (وما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم) أي وما كان لي عليكم سلطان الا كراهي والاباء على الكفر والمعاصي ولما كان لي سبيل الوسوسة والدمرة (فاستجبت لي) بسوء اختياركم وقيل مناه ما ظهرت لكم حجة احسن بها عليكم إلا ان دعوتكم فيكون هذا من الاستثناء المنقطع ومناه لكن دعوتكم إلى الضلال واغويتمكم فصلتوني واجبتوني وقيل مناه مقاتي بسوء اختياركم لأنفسكم فلا تلووني على ما حل بكم من العقاب بسوء اختياركم (ولوموا انفسكم) حيث عدتم من امر الله إلى اتباعي من غير دليل وبرهان (ما اتا بصرحكم وما انتم بصرخي) أي ما اتا بصرحكم ولا ميعنكم وما انتم بصرخي ولا ميعن (اني كثرت يا اشركون من قبل اني كثرت) الان يا كان من اشراكم اي مع الله في الطاعة اي جعلت ان اكون شريكا لله تعالى فيا اشركوني فيه من قبل هذا اليوم وقال الزهراء (ع) كثرت يا اشركوني به اي بالله وبغيره بقوله من قبل في وقت آدم (ع) حين امر بالسجود فأبى واستكبر (ان التالين لهم عذاب اليم) قيل انه من قام قول الشيطان لأهل النار وقيل انه ابتداء وعيد من الله تعالى لهم وهو الأظهر وفي هذه الآية دلالة على ان الشيطان لا يقدر على أكثر من الدعا والاغواء واته ليس عليه إلا عقاب الدعة فحسب

قوله تعالى (٢٣) وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام (٢٤) ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (٢٥) تؤتي أكلها كل حين بإذن

رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٦) وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ أَجْثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قُرَارٍ اربع آيات في الكوفي والبصري وثلاث آيات عند الباقرين وثمان في الثانية في السماء

(- القراءة -)

في الشواذ قراءة الحسن وادخل الذين آمنوا يرفع اللام

- الحجة -

قال ابن جني هذه القراءة على ان ادخل من كلام الله كأنه قطع الكلام واستوتف فقال الله وانا ادخل المؤمنين جنات وعلى هذا قوله باذن ربهم أي باذني إلا انه اعادة ذكر الرب ليضيف اليهم فيكون اذهب في الاكرام والتقريب منه لهم

- الفحة -

التحية التثني بالكرامة في المخاطبة واما قوله التحيات لله فلان في ذلك ثلاثة أقوال ﴿ اولها ﴾ المعنى ان الملك لله يقال حيّك الله أي ملكك ﴿ وثالثها ﴾ البقا. فـ يقال حيّك الله أي ابقاك الله فيكون بمعنى احيائك الله كما يقال وصي وادصى ومهل وامهل ﴿ وثالثها ﴾ ان ذلك بمعنى السلام قال التتبي وانا جدم لأنه كان في الارض ملوك يجربون بتحيات مختلفة فيقال لبعضهم آبيت الحسن وبعضهم اسلم واتمم وبعضهم عش الف سنة قليل لنا فلولا التحيات لله أي كل الافاظ التي يجي بها الملوك هي لله والاجثت اجتلاع الشيء من اصله يقال جث وجثت والجنة اخذت منه

﴿ المعنى ﴾

لا تقدم وعيد الكافرين عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال (وادخل الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (وعملوا الصالحات) أي الطاعات (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) قد سبق منه (باذن ربهم) أي بأمر ربهم واطلاقه (تحتهم فيها سلام) مر تفسيره في سورة يونس ثم ضرب الله سبحانه مثلا يقرب من الفهم السامعين ترفيا للخلق في اتباع الحق فقال (ألم تر) أي ألم تعلم يا محمد (كيف ضرب الله مثلا) أي بين الله شيئا ثم فسر ذلك المثل فقال (كلمة طيبة) وهي كلمة التوحيد شهادة ان لا إله إلا الله من ابن عباس وقيل هي كل كلام امر الله تعالى به من الطاعات من أي علي قال وانا ساجدا طيبة لأنها زاكية نائمة لصاحبها بالحيوات والبركات (كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء) أي شجرة زاكية نائمة راسخة اصولها في الأرض عالية أغصانها وفروعها في السماء. واراد به المانة في الرفعة والاصل سافل والفرع عال الا انه يتوصل من الاصل إلى الفرع وروى انس عن النبي ﷺ ان هذه الشجرة الطيبة هي النخلة وقيل انها شجرة في الجنة عن ابن عباس وروى ابن خنفة عن أبي جعفر (ع) ان الشجرة رسول الله ﷺ وفرعها علي (ع) وعصر الشجرة فاطمة وثمرتها اولادها وأغصانها واوراقها شيعتنا ثم قال (ع) ان الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة وان المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة ورقة وروى عن ابن عباس قال قال جبريل (ع) هنيئًا تكون الشجرة وعلي غصنها وفاطمة وورعها والحسن والحسين وعلمها وقيل اراد بتلك شجرة هذه صفتها وان لم يكن لها وجود في الدنيا لكن الصفقة مطومة وقيل ان المراد بالكلمة الطيبة الإيمان وبالشجرة الطيبة المؤمن (توفي أكلها) أي تخرج هذه الشجرة ما يؤكل منها (كل حين) أي في كل سنة اشهر عن ابن عباس وابي جعفر (ع) وقال الحسن وسعيد بن جبير أراد بذلك انه يؤكل ثمرها في الصيف وطلها في الشتاء. وما بين صرام النخلة إلى حملها

سنة اشهر وقال مجاهد وعكرمة كل حين اي كل سنة لأنها تميل في كل سنة مرة وقال سعيد بن المسيب في كل شهرين لأن من وقت ما يعلم النخل إلى صرامه يكون شهرين وقيل لأن من وقت ان يصرم النخل إلى حين يطعم يكون شهرين وقال الربيع عن انس كل حين اي كل غداة وعشية وروي ذلك عن ابن عباس ايضا وقيل مناه في جميع الاوقات لأن ثمر النخل يكثر أولا طلعا ثم يصير بلحا ثم يسرا ثم يطبا ثم يترافى يكون ثمرة موجودة في كل الاوقات ويدل على ان الحين بفترة الوقت قول النابتة في صفة الحية والملدوغ

يأخذها الراقون من سوء محميا تطلقه حيناً وحيناً تراجع

يعني ان السم يخف الله وقتا ويورد وقتا وقيل انه سبطانه شبه الايمان بالنحلة ثبات الايمان في قلب المؤمن كشبات النحلة في منبتها وشبه ارتفاع علمه إلى السماء بارتفاع فروع النحلة وشبه ما يكسبه المؤمنون من بركة الايمان وتوابعه في كل وقت وحين باينال من ثمرة النحلة في اوقات البسة كلها من الرطب والتمر وقيل ان معنى قوله تؤتي اكلها كل حين (باذن ربها) ما يقضي به الائمة من آل محمد عليهم السلام وشبههم في الحلال والحرام (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) اي لكي يتدبروا فيعرفوا القرض بالمثل (ومثل كلمة خبيثة) وهي كلمة الكفر والشرك عن ابن عباس وغيره وقيل هو كل كلام في مصيبة الله تعالى عن ابي علي (كشجرة خبيثة) غير زاكية وهي شجرة الحنظل عن ابن عباس وانس ومجاهد وقيل انها شجرة هذه صفتها وهو انه لا قرار لها في الارض من الحسن وقيل انها الكشوث عن الضحاک وروي ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) ان هذا مثل بني امية (اجتث من فوق الارض) اي اقتطعت واستخرجت واقتطعت جثته من الارض (ما لها من قرار) اي مالتلك الشجرة من ثبات فلو ان الربيع تسفها وتذهب بها فكما ان هذه الشجرة لا ثبات لها ولا بقاء ولا يتنعم بها احد فكذلك الكلمة الخبيثة لا يتنعم بها حاجها ولا يثبت له منها نفع ولا ثواب وروي عن ابن عباس ايضا انها شجرة لم يخلقها الله بعد وانما هو مثل ضربه بهذا وهذا القول حسن لأن الحنظل وغيره قد يتنعم بذلك في الأدوية

قوله تعالى (٢٧) يَثْبِثُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٩) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَنِسَ الْقِرَارُ (٣٠) وَجِئُوا فِيهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَتَّبِعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ أربع آيات

﴿الله﴾

الاحلال وضع الشيء في محل اما مجاورة ان كان من قبيل الاجسام أو بملذخة ان كان من قبيل الاعراض والبوراء الملاك يقال بار الشيء يبور إذا هلك ورجل يور أي هالك وقوم يور ايضا قال ابن الزبير يا رسول الملك إن لساني راتق ما فتق إذا أنا بور والانداد الامثال المتأد ون قال

تهدي رؤوس المترفين الانداد إلى امير المؤمنين المتعاد

﴿الإعراب﴾

جهنم اتصبت على البذل من قوله دار البوار ويصلونها في موضع نصب على الحال من قومهم وان شئت كان حلا من جهنم وان شئت فتمتعا كقولهم تحمله يد قوله فأنت به قومها

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الكلمة الطيبة عقبه به ذكر ما يحصل لصاحبها من الثبوت والكرامة فقال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي يثبتهم في كرامته وثوابه بالقول الثابت الذي وجبهم وهو كلمة الإيمان لأنه ثابت بالبرهان والأدلة وقيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتى لا يزولوا ولا يضلوا عن طريق الحق ويثبتهم بها حتى لا يزولوا ولا يضلوا عن طريق الجنة وقيل معناه يثبتهم بالتمسك في الأرض والصرّة والفتن في الدنيا وبأسكانهم الجنة في الآخرة عن أبي مسلم وقال أكثر المفسرين إن المراد بقوله في الآخرة في القبر والآية وردت في سؤال القبر وهو قول ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن أنس (ع) وروى محمد بن يعقوب الكوفي في كتاب الكافي بإسناده عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين علي (ع) قال إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مثل له ماله وولده وعمله فيلخت إلى ماله فيقول والله أني كنت عليك لمرسماً شحيحاً فإني عندك فيقول خلني كنفك فيلخت إلى ولده فيقول والله أني كنت لك لمحباً وعليكم لمحباً فإذا لي عندكم فيقولون نؤدبك إلى حزنك نؤريك فيها قال فيلخت إلى عمله فيقول والله أني كنت لزامدا وإن كنت علي لتثيلاً فإذا لي عندك فيقول أنا قريبك في قبرك ويوم تتركني عرض أنا وأنت علي ربك قال فإني كنت لله ولياً فإني أطيع الناس ويحسبوا أحسنهم منظرًا وأحسنهم ريشاً فقال أشر بوح ودريعا وجنة نعم ومقدم خير مقدم فيقول له من أنت فيقول أنا عملك الصالح أرحل من الدنيا إلى الجنة وإله يعرف غاسله وينشد حامله إن يجعله فإذا دخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشجارهما ويخندان الأرض بأيابها أصواتها كالرعد القاصف وإبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الإسلام ونبي محمد ﷺ فيقولان نبيك الله فيأخذ يمينه وترضى وهو قوله سبحانه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم يفسحان له سيف قبره مد بصره ثم يفتحان له باباً إلى الجنة ثم يقولان له نعم قرر العين نوم الشاب الناعم فإن الله يقول أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً قال أبو داود كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقيح خلق الله زياً وأخته ريعاً فيقول أشر بزل من حمى وتصلية جميع وإنه ليعرف غاسله وينشد حاملته إن يجعله فإذا دخل القبر أتاه ملكا القبر فالتقيا أكتفاه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقولان له لا أدريت ولا ذهبت فيضربان ناقوسه بمرزبة معها ضربة ما خلق الله من دابة إلا تدع لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له ثم يشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه الفتنة من الزج حتى إن دماغه ليخرج من بين غفقه وجهه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنتشه حتى يبعثه الله من قبره وإنه ليتنقذ قيام الساعة ما هو فيه من الشر ثم يود بالله من عذاب القبر (ويضل الله الظالمين) أي ويضلهم عن هذا التثبيت في الدنيا وفي الآخرة (ويضل الله ما يشاء) من الإهمال والانتقام وضغطة القبر ومساءلة منكروة وكبر لا اعتراض عليه في ذلك ولا قدرة لأحد على منعه وهذا من تمام الترغيب والترهيب ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) يحتمل أن يكون المراد ألم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمة الله بحمد ﷺ أي عرفوا محمدًا كفروا به فبدلوا مكان الشكر كفرًا وروي عن الصادق (ع) أنه قال شن والله نعمة الله التي أنعمها أنعم بها علي عباده وبنا يفوز من فاز ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره ويحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدلوها أقيع التبديل إذ جلولوا مكان شكرها كفرها واختلف في المعنى بالآية فروي عن أمير المؤمنين علي (ع) وابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد أنهم كفار فريش كذبوا نبيهم ونصبوا له الحرب والمداوة وسأل رجل أمير المؤمنين علياً (ع) عن هذه الآية فقال هم الأتجار من فريش بنو أمية وهو المغيرة فأما بنو أمية فتعومهم إلى حين وأما بنو المغيرة فكيف تعومهم يوم بدر وقيل أنهم جيلة بنو الأيهم ومن اتبعوه من

العرب تنصروا ولحقوا بالروم (واصلوا قومهم دار البوار) أي أتولوا قومهم دار الهلاك بأن إخراجهم إلى يدرو قبل معناه أتولوا دار الهلاك وهي النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالنبي وإغوائهم إياهم (جهنم يصلونها وبئس القرار) وهنا تفسير لدار البوار يعني إن تلك الدار هي جهنم يدخلونها وبئس القرار قرار من قرار النار (وجعلوا لله أنداداً) أي وجعل هؤلاء الكفار الذين بدلوا نعمة الله كفراً لله نظراء وامثالاً في العبادة زيادة على كفرهم وحبهم (ليضلوا عن سبيله) أي ليكون عاقبة أسرهم إلى الضلال الذي هو الهلاك وليست هذه اللام لام الترضي لأنهم لم يبدؤوا الأوثان من دون الله وعرضهم أن يهلكوا ومن قرأ ليضلوا بضم الراء فمعناه ليضل الناس عن سبيل الله ثم قال سبحانه عليه سَلَامٌ (قل) هؤلاء الكفار الذين وصفناهم (تتصوا) واتكفوا بما نهون من عاجل هذه الدنيا والمراد به التهديد وإن كان بصورة الاسم (فلنصيركم) أي مرجعكم ومآلكم (إلى النار) والكفون فيها وكان قد يكون

قوله تعالى (٣١) قُلْ لِّلْعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقِيَمُوا الصَّلَاةَ وَيَتَّقُوا مَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣٢) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٣) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٤) وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ

أربع آيات في الكوفي وللدني ثلاث في غيرهم

﴿ القراءه ﴾

قرأ زيد عن يعقوب بن كل ما سألتهم بالتتوين وهو قراءتين عباس والحسن ومحمد بن علي الباقر (ع) وجعفر ابن محمد الصادق (ع) والضحاك وعمرو بن قاتب وقرأ سائر القراء من كل ما سألتهم بالإضافة

— (الحجة) —

أما القراءه بالتتوين فإن المفعول فيها مفعول به أي وأتاكم ما سألتهم من كل شيء سألتهم أن يؤتمروا منه وقال الضحاك إن ما لفتي معناه وأتاكم من كل شيء لم تسألوا إياه أما القراءه على الإضافة فالمفعول فيها محذوف أي وأتاكم سؤلكم من كل شيء سألتهم

﴿ القه ﴾

الخلال مصدر خالته غفلة وخللا أي صادته قال امرؤ القيس

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقلٍ الخلال ولا قال

وقد يكون الخلال جمع خلة ويكون مثل قلة وقلال والدقوب سرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه يقال دأب يدأب دأباً ودقوباً فهو دأجب

﴿ الاعراب ﴾

يقسموا حزم من ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ أنه جواب الأمر الذي هو قل لأن للمضي في قل أن تقل لهم قسم يقسموا الصلاة ﴿ والثاني ﴾ أنه جواب امر محذوف وتقديره قل لعبادي أقيموا الصلاة بضم الراء ﴿ والثالث ﴾ أنه على حذف لام الأمر كما أنه قال قل لعبادي ليقوموا الصلاة وإنما جاز حذف اللام هنا لأن في الكلام دليلاً

على المحذوف ألا ترى ان لفظ الأمر بقل قد دل على الغائب تقول قل لزيد ليضرب عمراً وان شئت قلت قل لزيد يضرب عمراً ولا يجوز ان تقول يضرب زيد عمراً بالجزم حتى تقول ليضرب لأن لام الغائب ليس هنا عوض منها إذا حذفها وقوله لا يع فيه ولا خلال ان شئت رفعت البيع واغلال جميعاً وان شئت فتحتهما وان شئت قصت احدهما ورفعت الآخر وقد شرحنا ذلك فيما مضى

المعنى

(قل يا محمد لبيادي الذين آمنوا) أي اعترفوا بتوحيد الله وعدله عني به أصحاب النبي ﷺ عن ابن عباس وقيل اراد به جميع المؤمنين عن الجبالي (يقموا الصلاة) أي يؤدوا الصلوات الخمس لمواقبتها فإن الصلاة لا تصير قائمة إلا بانقامتهم (وينفقوا عما رزقناهم سرا وعلانية) أي وقل لم ينفقوا من أموالهم في وجوه البر من القرائض والقوافل ينفقون في النوازل سرراً ليدفعوا عن أنفسهم تهمة الرياء وفي القرائض علانية ليدفعوا تهمة النم (من قبل ان يأتي يوم لا يسع فيه) يعني يوم القيامة والمراد بالبيع اعطاء البدل ليخلص به من النار لا ان هناك مباحة (ولا خلال) أي ولا مصادقة وهذا مثل قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا للذين هم بين سبحانه انه المستحق للآلوية فقال (الله النسب على السموات والأرض) أي انشأهم من غير شيء وبدأ بكرهم لعظم شأنهم في القدرة والنعمة (وأزلب من السماء ماء) أي غيثاً ومطراً (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات رزقاً لكم) يعني ان الترض في ذلك ان يؤثركم أرزاقكم (وسخر لكم الفلك) أي السفن والمرالكب (لتجري في البحر بأسره) أي بأمر الله لأنها تسير بالرياح والله هو المهيئ للرياح (وسخر لكم الأنهار) التي تجري بالياه التي ينزلها من السماء ويجري بها في الأودية وينصب منها في الأنهار (وسخر لكم الشمس والقمر) أي ذللت لملككم الشمس والقمر في سيرهما لتنفقوا بضوء الشمس نهاراً وبضوء القمر ليلا وليبلغ بها النوار واليات في النفع الخلد الذي عليه تم النعمة فيها (دائمين) أي دائمين لا يفتران في صلاح الخلق والنباتات ومنافعهم (وسخر لكم الليل والنهار) أي ذللها لكم ومهدهما لملككم لتسكنوا في الليل وتنبهوا في النهار من فضله (وأأتاكم من كل ما سألتموه) معناه ان الإنسان قد يسأل الله العافية فيعطى ويسأله النجاة فيعطى ويسأله النقي فيعطى ويسأله الولد والعز فيعطى ويسأله تيسير الأمور وشرح الصدر فيعطى فهذا في الجملة حاصل في الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه فساد في الدين أو على غيره فأين يذهب به مع هذه النعم التي لا تحصى كثرة عن الله الذي هو في كل حال محتاج إليه وهو مظاهر بالنعم عليه ودخلت من التبيين لأنه لو قال وأأتاكم كل ما سألتموه لاقضى ان جميع ما يسأله العبد يعطيه الله تعالى والامر بتخلاه لأن ما فيه فساد لا يعطيه الله إياه وتقديره وأأتاكم من كل ما سألتم شيئاً وقيل معناه وأأتاكم من كل ما يكم اليه حاجة فما من شيء يحتاج اليه العباد الا وهو موجود في أيديهم وهو كقوله خلق لكم ما في الأرض جميعاً ولم يخص كل واحد من الخلق بإتياء كل ما سألوه وقيل معناه وأأتاكم من كل شيء سألتموه ولم تسألوه فما هنا نكرة موصوفة والجملة صفته وحذف الجملة المطبوعة وهي ما تسألوه كقوله سرايل تقيم الحر والمخي وتقيم البرد وان فيا أجي دليلاً على ما القى (وان تمدوا نعمة الله لا تحصوها) أي لا تقدر على احصائها لكثرتها والنعمة هنا اسم اقيم مقام المصدر ولذلك لم يجمع فيبين سبحانه انه هو المنعم على الحقيقة وانه المستحق للعبادة ويروى عن طليق بن حبيب انه قال ان حق الله تعالى انقل من ان يقوم به العباد فلن نعم الله أكثر من ان تحصى العباد ولكن اصبحوا تالين وامسوا تالين (ان الانسان لظالم) أي كثير الظلم لنفسه (كفار) أي كثير الكفر ان لم يره وقيل معناه ظلم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويجمع بل يرد بالإنسان ما هنا الموم بل هو مثل ما في قوله والعصر ان الإنسان لفي خسر

التنظم

اتصل قوله سبحانه قل لبيادي الذين آمنوا بيقموا الصلاة بما تقدم من قوله قل فتموا فإن مضى كم إلى

الثار فإنه عقب ذلك بالأمر المؤمنين بما يوجب التمسك ومراعاة الأبرار ليكون قد عقب الوعيد بالعهد والعتاب بالثواب واتصلت الآية الثانية بقوله وجعلوا لله أنداداً فإنه سبحانه لما ذكر ما هم عليه من اتخاذ الأنداد لله سبحانه بين بعده أن واجب الوجود المستحق للإلهية الذي يحق له العبادة هو الله الذي خلق السموات والأرض الآية

قوله تعالى (٣٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ

(٣٦) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(٣٧) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادِرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا

الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ هَاهُنَا إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٨)

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٩)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ (٤٠) رَبِّ

اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ (٤١) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ سبعة آيات

القراءة

في الشواذ قراءة الجسدي والقفقي وإبي الجبجبا وجنبي بقطع الحزوة وقرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع» وأبو جعفر الباقر (ح) وجعفر بن محمد «ع» وعبد الله بن وهب في الهم فتح الواو وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزرة وهبيرة عن حمص وقيل دعائي ربنا بل نيات الباء في الوصل وسية رواية البري عن ابن كثير أنه يصل ويثقف بياء وقال قيل أنه يشم الباء في الوصل ولا يثبتها ويثقف عليها بالآلف والباقون دعاء بغير ياء وقرأ الحسن بن علي «ع» وأبو جعفر محمد بن علي «ع» والزهرري وأبوهم النخعي ولولدي «ع» وقرأ يحيى بن يعمر وكولدي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي

— (الحجة) —

يقال جنت الشيء اجنبه جنوباً ومن العرب من يقول اجنبته اجنبه أي تجنبته عن الشيء وكان معنى قوله اجنبني وبني أن تعبد الأصنام احرفني وإياهم عن عبادة الأصنام ومعنى اجنبني اجنبني كالجنب عن ذلك وأما قوله تهوى إليهم يفتح الواو فهو من هوى الشيء أهواه إذا أحبهته وإنما جاز تعديته إلى لأن معنى هوى الشيء ملئ به فكأنه قال تميل إليهم فهو محمول على المعنى ومثله قوله سبحانه أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائك فحدث الرفث بالي واث لا تقول رفثت إلى فلانة وإنما تقول رفثت بها أو معها ولكنه لا كان معنى الرفث تناسل الإفضاء عداه بالي فكأنه قال أحل لكم الإفضاء إلى نسائكم قال ابن جني للمعنى في قراءة الجماعة تهوى إليهم تميل إليهم أي تحبهم فهذا في المعنى كقولهم هو ينحط في هواك أي يخلد إليه ويقع عليه وذلك أن الإنسان إذا أحب الشيء أكثر من ذكره وأقام عليه وإذا كرهه خف إلى سواء وقولم هوى فلانا أي لفظ هوى إلى الشيء يهوى إلا أنهم خالفوا بين المثالين لاختلاف ظاهر الأمرين وإن كانا على معنى واحد متلايين وأما من وصل دعائي بياء فهو القياس من شم الباء في الوصل ولا يثبتها فلذلك الكسرة على الباء قال أبو علي حذف الباء في الوقف أيس من حذفها في الوصل لأن الوقف موضع تغيير فيه الحرف للوقوف عليه كثيراً قال الأعشى

فهل يمتني ارتيادي البلاد من حذر الموت أن يأتين

وقال

ومن شائى كاسف وجهه إذا ما انتسبت له انكرن

ومن قرأ لولدي فلم ينعني اساعيل واسحاق ومن قرأ لولدي فلان الولد قد يكون واحداً وجماعاً تقول العرب ولدك من ذمي عتيك ومناه ولدك من ولده فسال دمك على عتيك عدد ولادته لا من اتخذته ولداً وإذا كان جماعاً فيجوز ان يكون جمع ولد فهو كاسد وأسد ويجوز ان يكون جمع ولد أيضاً فيكون مثل الفلك سيفه انه جمع الفلك

﴿الجنة﴾

الوادي سقى الجبل العظيم ومناه قيل للأ نهار النظام أودية لأن حافاتهما كالجبال لما ومنه الدية لأنه مال عظيم يحتمل في امر عظيم

﴿المنى﴾

(واذ قال ابراهيم) مناه واذ كرو يا محمد واذ قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمناً) يعني مكة وما حولها من الحرم وقيل ان ابراهيم (ع) لما فرغ من بناء الكعبة دعاه بهذا الدعاء وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة وإنما قال هناك بلداً آمناً وقال هنا هذا البلد آمناً معروفاً لأن الكعبة إذا تكررت وأعيدت صارت معرفة ومثله في التنزيل فيها مصباح للمصباح في زجاجة الزجاجية كأنها كوكب فاستجاب الله دعاء ابراهيم (ع) حتى كان الإنسان يرى قائل أبيه فيها فلا يتعرض له ويدنو الوحش فيها من الناس فيأمن منهم (واجتنبني وبني ان نعبد الأصنام) أي والطف لي ولبي لطفاً تحجب به عن عبادة الأصنام ودعاه الأنبياء لا يكون إلا مستجاباً فعل هذا يكون مؤله ذلك خصوصاً حين علم أنه من حاله ان يكون مؤمناً لا يعبد إلا الله ويكون الله سبحانه قد أذن له في الدعاء لم واستجاب دعاءه فيهم (رب انهم أضلّان كثيراً من الناس) مناه ضل بسببهم وعبادتهم كثير من الناس كما يقال لتنتني فلانة يعني اتلفت بعينها لا لأنها علست شيئاً وكما في قول الشاعر

هو بي امرأ منكهم اضل بغيره له ذمة ان الذمام كبير

وإنما اراد ضل بغيره لأن احداً لا يضل بغيره قاصداً الى اضلاله (فمن تبني فلم يهني) يريد فمن تبني من ذريتي الذين اسكنتهم هذا البلد على ديني في عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فلم يهني من مجلتي وحاله كحالني (ومن عصاني فلنك غفور رحيم) أي سائر على العباد معاصيهم رحيم بهم في جميع احوالهم معهم عليهم ثم سكت سبحانه تمام دعاء ابراهيم (ع) وانه قال (ربنا اني اسكنت من ذريتي) أي اسكنت بعض اولادي ولا خلاف انه يريد اساعيل (ع) مع انه هاجر وهو اكبر ولده وروي عن الباقر (ع) انه قال نحن بقية تلك الفترة وقال كانت دعوة ابراهيم (ع) لنا خاصة (بواد غير ذي زرع) يريد وادي مكة وهو الابطح وإنما قال غير ذي زرع لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا زرع ولا ضرع ولم يذكر ضرع لأن من يفيد بعض القوم كما يقال قلنا من بني فلان واكتنا من الطعام وكما قال سبحانه انيضوا علينا من الماء وما رزقكم الله وتقديره اسكنت من ذريتي انساناً أو ولداً عن البلخي (عدد ينك المحرم) انما اضاف اليت اليه سبحانه لأنه ماله لا يملكه احد سواه وما عده من البيوت قد ملكه غيره من العباد ويسأل فيقال كيف سماه يتماً ولم يسمه ابراهيم (ع) بعد والجواب من وجوب احدهما ﴿انه لا كان من المعلوم انه يسميه سماه يتماً والمراد عند بيتك الذي مضى في سابق علمك كونه ﴿والثاني﴾ ان اليت قد كان قبل ذلك وإنما خربه طسم وجديس وقيل انه رفعه الله إلى السماء أيام الطوفان وإنما سماه المحرم لأنه لا يستطيع أحد الوصول إليه إلا بالأحرام وقيل لأنه حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت من الجماع والملاسة بشي من الاقنار والدماء وقيل مناه العظيم الحرمه (ربنا

ليقيموا الصلاة) أي اسكنتهم هذا الوادي ليحلوا على الصلاة ويقيموا بشرائها والام تتلقى بقوله اسكنت
وفصل بينه وبين ما تلقى بقوله ربنا لأن الفصل بالبدا مستحب في هذا وإذا جاء نحو قوله

على حين ألهي الناس جل أمورهم فبدلاً زريق المال ندل العال

آية اندل المال يا زريق فضل البتداء بين المصدر وما تلقى به كان هذا أولى (فاجعل أئمة من الناس
تهوي اليهم) هذا سؤال من ابراهيم «ع» ان يجعل الله قلوب الخلق تفر إلى ذلك الموضع ليكون في ذلك انس
لذته بين يرد عليهم من الوفود وليدر أرزاقهم على مرور الأوقات ولولا لطفه سبحانه بإمالة قلوب الناس إليه
لما للدين كالحج والعمرة وأما التجارة لما صح ان يعيش ما كنوه قال سعيد بن جبيرة لو قال أئمة الناس لحجت
اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال من الناس فهم المسلمون وروى مجاهد انه قال ان ابراهيم «ع» لو قال
أئمة الناس لأزحمت عليه فارس والروم وروى الفضل بن يسار وغيره عن الباقر «ع» انه قال إنما اسر الناس
ان يطوفوا بهذه الاسواق ثم ينفروا إليها فيعلمونا ولا يهتم ويبرشوا علينا نصرهم ثم قرأ هذه الآية وتبين ان معنى
تهوي اليهم ينزع اليهم ويميل عن ابن عباس وقادة وقيل معناه وينزل ويهبط اليهم لأن مكة في غور عن النبي
سلم (وازرهم من الثمرات لعلهم يشكرون) أي لكي يشكروا لك ويسدوك (ربنا انك تعلم ما لا نعلم) وما لا نعلم
هذا اعتراف من ابراهيم «ع» لله سبحانه بأنه يعلم ما يبين الخلق وما يظفرونه وانه لا يخفى عليه شيء مما في الأرض
والسما وقيل ان قوله (وما يخفى على الله من شيء) في الأرض ولا في السما (إنما هو اخبار منه سبحانه بذلك
واجتهاد كلام من جهته لا على سبيل الحكاية عن ابراهيم «ع» بل هو اعتراض عن الجبائي قال ثم عاد إلى الحكاية
كلام ابراهيم «ع» فقال (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق) وهذا اعتراف منه بنعم الله
سبحانه وحده على احسانه بأن وهب له على الكبر كبير سنه ولدين قال ابن عباس ولد له اسماعيل وهو ابن
تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنين عشرة سنة وقال سعيد بن جبيرة لم يولد لابراهيم «ع»
إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة (ان ربي لسميع الدعاء) أي قايله ومجيبه عن ابن عباس ويؤيده قوله سمع الله
لمن حمده (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) تقديره واجعل من ذريتي مقيم الصلاة فحذف الفصل لأن
ما قبله يدل عليه وهذا سؤال من ابراهيم «ع» من الله تعالى بأن يطلع له العالف الذي عبده يقيم الصلاة
ويتمسك بالدين وان يفعل مثل ذلك جماعة من ذريته وهم الذين اسلموا منهم فسألهم مثل ما سأل (انفسه) ربنا
وتقبل دعاء (أي واجب دعائي فإن قبول الدعاء إنما هو الاجابة وقبول الطاعة الانابة) ربنا اغفر لي ولوالدي
واستغل اصحابنا بهذا على ما ذهبوا اليه من ان ابراهيم «ع» لم يكونوا كافرين لأننا سألنا المغفرة لها يوم
القيامة فلو كانوا كافرين لا سأل ذلك لأنه قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فصح ان اياه الذي كان كافراً
انما هو جده لأنه لو اعو على الخلاف فيه ومن قال انما دعا لأبيه لأنه كان وعده ان يسلم فلما مات على الكفر
تبرأ منه على ما روى الحسن فقله فاسد لأن ابراهيم «ع» انما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر وبعد ان وهب له
اسماعيل واسحاق وقد تبين له في هذا الوقت عداوة أبيه الكافر لله فلا يجوز ان يقصده بدعائه (والعالمين
يوم يقوم الحساب) أي واغفر للمؤمنين أيضاً يوم يقوم الخلق للحساب وقيل معناه يوم يظهر وقت الحساب
كما يقال قامت السوق

نظم

اتصلت الآيات بما قبلها لأن النبي عن عبادة الأصنام والأمر بعبادة الله سبحانه قد تقدم فبين الله
سبحانه عقيب ذلك ما كان عليه ابراهيم «ع» من التشدد في انكار عبادة الأصنام والدعاء بما دعا به وقيل
أنه معطوف على ما تقدم من قوله وقد ارسلنا موسى بأياتنا وقيل إنه لا قال وآتاكم من كل ما سئلتوه بين

عقبيه ما دعا به ابراهيم (ج) وسأله اياه واجابه لدعائه وسأله
قوله تعالى (٤٢) وَلَا تَحْجِبْ عَنْهُ غَائِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ
فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٣) مُهْطِئِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْثَدْتُهُمْ هَوَاهُ (٤٤)
وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ
دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ الْأَوَّلَ نَكُونُوا أَقْسَمًا مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٥) وَسَكَتُمْ
فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ
أربع آيات

❦ الفة ❦

الاهطاع الاسراع قال

في مهطع سرع كأن زمامه في رأس جذع من أراك مشذب وقال آخر

بدجلة أهلها ولقد أراهم بدجلة مهطمين الى السماع
اي سرعيت وقيل ان الاهطاع مد المتق والهطع طول المتق قال احد بن يحيى المهطع الذي
ينظر في ذل وخشوع لا يلق بصره والافتاع رفع الرأس وقال الزجاج المقنع الرافع والمقنع المرتفع قال الشاعر
يا كرن العضاء بمقنعات نواجذهن كالحداد الوقيع
اي كالغفوس المهدية يصف ابلا ترعى الشجر والطرف مصدر طرفت عين فلان اذا نظرت وهو ان
ينظر ثم يغمض والطرف العين ايضا وأفثدتهم هواي متجوفة لا تقي شيئا الخوف والغزع شبهها بهوا الجو
قال جسان

الا ابليج ابا سفيان عني فأنت مجوف نجيب هوا وقال زهير

كأن الرجل منها فوق صمل من الظلمان جو جوّه هوا والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد

❦ الأعراب ❦

يوم يأتيهم نصب على انه مفعول به والعامل فيه أنذرهم ولا يكون على الطرف لانه لم يؤمر بالانذار
في ذلك اليوم فيقول صلف على يأتيهم وليس جواب الأمر لانه لو كان جوابا له لجاز فيه النصب والرفع
فالنصب مثل قول الشاعر

يا ناق سيري عتقا فسيحا الى سليمان ففستريحا
والرفع على الاستئناف وتبين لكم كيف فعلنا بهم فاعل تبين عذوف اي تبين لكم فعلنا بهم ولا يكون الفاعل
كيف لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولأن كيف لا يغير عنه ولما يغير به وكيف هنا منصوب بقوله فعلنا

* المعنى *

لما ذكر سبحانه يوم الحساب وصفه وبين انه لا يهمل الظالمين عن غفلة لكن لتأكيد المحبة قال (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) وفي هذا وعيد للظالم وتمزية للظالم ومناه ولا تغفلن الله سبحانه عن عازاة الظالمين على اعلمهم وقيل ان تقديره ولا تحسبن الله لا يماقب الظالمين على افعالهم ولا يتصف بالظالمين منهم (لما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) ومناه انما يؤخر عقابهم وعجازاتهم الى يوم القيامة وهو اليوم الذي تكون فيه الابصار شاخصة عن مواضعها لا تنفض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تنظر عن الجبائي وقيل تشخص ابصارهم الى اجابة الداعي حيث يدعوهم عن الحسن وقيل تبقى ابصارهم مفتوحة لا تنطبق لتعجب والرعب (مهملون) اي مسرعين عن الحسن وسعيد بن جبير وقادة وقيل يريد دناي التفر الى ما يرون لا يطفرون عن ابن عباس ومجاهد (مقني رؤوسهم) اي راضي رؤوسهم الى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس وذلك من هول يوم القيامة وقال مؤرج معناه تاكسي رؤوسهم بلفة قريش (لا يرتد اليهم طرفهم) اي لا ترجع اليهم اعينهم ولا يطبقونها ولا يضمضونها وانما هو نظر دائم (واخذتهم هواء) اي قلوبهم خالية من كل شيء فزعوا خوفاً عن ابن عباس وقيل خالية من كل ضرور وطم في الخير لشدة ما يرون من الاحوال كالهولاء الذي بين السماء والارض وقيل معناه واخذتهم زائلة عن مواضعها قد ارتفعت الى حلقهم لا تخرج ولا تعود الى اماكنها بمنزلة الشيء الناهب في جهات مختلفة المتردد في الهواء عن سعيد بن جبير وقادة وقيل معناه خالية عن غفولهم عن الأخفش (وانذر الناس) معناه ودم ما يحذر على انذارك الناس وهو عام في كل مكلف عن الجبائي وايي مسلم وقيل معناه وخوف أهل مكة بالقرآن عن ابن عباس والحسن (يوم يأتيهم العذاب) وهو يوم القيامة أو يأتيهم العذاب عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل هو يوم المأينة عند الموت والاول اظهر (فيقول الذين ظللوا) انفسهم باركاب المعاصي (ربنا اخرنا الى اجل قريب نجيب دعوتك) اي ردنا الى الدنيا واجعل ذلك مدة قريبة نجيب دعوتك فيها (وتبع الرسل) اي تتبع رسلك فيما يدعوننا اليه فيقول الله تعالى مخاطباً لهم او يقول الملائكة بامرهم (اولم تكونوا اقسمن) اي حلفتم (من قبل) في دار الدنيا (ما لكم من زوال) اي ليس لكم من انتقال من الدنيا الى الآخرة من مجاهد وقيل معناه من زوال من الراحة الى العذاب عن الحسن وفي هذه دلالة على ان أهل الآخرة غير مكلفين خلافاً لما يقول النجار وجماعة لانهم لو كانوا مكلفين لما كان لقولهم اخرنا الى اجل قريب وجه ولكان ينبغي لهم أن يؤمنوا فيتخلصوا من العقاب اذا كانوا مكلفين (وسكنتم في مساكن الذين ظللوا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) هذا زيادة توبيخ لهم وتنفيد اي وسكنتم ديار من كذب الرسل قبلكم فاهلكهم الله وعرضه ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب المبجل عن ابن عباس والحسن ومساكنهم دورهم وقراهم وقيل انهم عاد وثمود وقيل هم المقتولون يبدوا (وخرنا لكم الامثال) وبيننا لكم الاشياء واخبرناكم باحوال الماضين قبلكم لتنبهوا بها فلم تنبهوا ولم تستنظروا قبل الامثال ما ذكر في القرآن مما يدل على انه تعالى قادر على الاعادة كما هو قادر على الانتشاء والابتداء وقيل هي الامثال المنبهة على الطاعة والرجوع عن المعصية عن الجبائي وفي هذه الآيات دلالة على ان الإيمان من فعل السداد لو كان من فعل الله تعالى لم يكن لتضييع العود الى الدنيا معنى

قوله تعالى (٤٦) وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرْتُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَتُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرَتُمْ لَنَزُولٍ
 مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٧) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخِيفًا وَهَيْدٍ وَسُوءِ إِذْ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٨) يَوْمَ
 يُدَالُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٩) وَتَرَى الْجِبْرَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
 مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٥٠) سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَتَفْشَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ (٥١) لِيَجْزِيَ
 اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥٢) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلَعَلَّهُمْ
 أَنْسَأُ هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرُوا الْأَلْبَابِ سبع آيات

القراءة

قرأ الكسائي وحده لتزول بفتح الهمزة الاولى ورفع الثانية والياقوت لتزول بكسر الهمزة الاولى ونصب
 الثانية وفيه الشواذ عن علي (ع) وعمر بن مسعود وابي بن كعب وان كاد مكروهم لتزول وقرأ زيد عن
 يعقوب من قطر ان على كلمتين منوتين وهو قراءة ابي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير والكلبي وقادة
 وعيسى الهمداني والربيع وقرأ سائر القراء قطران

(الحجة)

قال ابو علي من قرأ لتزول بالنصب فإن ان هي النافية فيكون مثل قوله وما كان الله ليطعمكم على النبي
 فنعاه وما كان مكروهم لتزول من الجبال والجبال كأنه أمر النبي ﷺ واعلامه ودلائله اي ما كان مكروهم لتزول
 منه ما هو مثل الجبال في امتناعه من أراد ازالته ومن قرأ لتزول كانت ان هي المنقصة من الثبوت على تنظيم
 امر مكروهم بخلاف القراءة الاولى فيكون كقوله ومكروا مكرا كبيرا اي قد كان مكروهم لظلمه وكبره
 يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في الامتناع على من أراد ازلتها واثباتها ومثل هنا في التنظيم للأمر قول الشاعر

ألم تر صدعا في السماء مينا على ابن لبني الحارث بن هشام

وقال

بكي الحارث الجولان من خوف دبه وحوار من خاشع متضائل

وقال اوس

ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم والقمر الواجب
 ويدل على ان الجبال يعني بها أمر النبي ﷺ قوله بعد فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي قد وعد
 الظهور عليهم والثقله لهم في قوله ليظهره على الدين كله وقوله للذين كفروا مستغلبون وقد استعمل لفظ
 الجبال في غير هذا الموضع في تنظيم الشيء وتفخيمه قال ابن مقبل

إذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها شاعرا مثلي اطب واشعرا

واكثر بيتا شاعرا ضربت به بطون جبال الشعر حتى تيسرا

ومن قرأ وإلّا كاد مكروهم لتزول فهي مخففة من الثبوت ايضا فقديره وانه كساد مكروهم لتزول
 منه الجبال قال ابن جني القطر الصفر والنحاس وهو ايضا الفلز رويانه عن قطرب وهو ايضا الصاد ومنه قدور

المعاد أي قدور الصغر والآتي الذي قد أتى وأدرك أتى الشيء يأتي أتيا وأنا متصور ومنه قوله عز سبحانه
غير ناظرين إنا أي بلوغه وأدراكه قال أبو علي ومنه الالتاء لأنه الطرف الذي قد بلغ غايته المرادة منه من
حرز وصياغة ومنه ذلك قال أمية

وسليمان إذ يسيل له القطر
وأما القطران ففيه ثلاث ثلث قطران على فلان وقطران بفتح القاف واسكان الطاء وقطران بكسر
القاف واسكان الطاء والأصل فيهما قطران فاسكنا على ما يقال في كلمة كلمة وكلمة لغة تميمية قال أبو النجم
جون كأن العرق المنتوحا
ألبسه القطران والمسوحا
وقال

كان قطران إذا تلاها
ترمي به الريح إلى مجراها
﴿الته﴾
البروز الظهور والأصفا جمع الصفد وهو النمل الذي يقرن به اليد إلى العنق ويميز أن يكون السلسلة
التي جمع بها الترتيب والتفرين جمع الشيء إلى نظيره والقران الحبل يقرن به شيان يقال صفدته بالحديد
واصفدته وصفدته قال عمرو بن كلثوم

فأبوا بالنهاب وبالسبايا
وأبنا بالملوك مصفدينا
ومنه اصفدته اصفادا إذا أعطته مالا والصفد العطية وهو من الأول لأن العطية نصف المودة وتقيدها
والى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله هومن وجد الاحسان قيدا تقيدها والاختيار في الحديد صفدته وفي العطية
اصفدته قال الأعشى

تصفيفته يوما فقرب مجلبي
واصفدني على الزمانة قائدا
ومناه واعطاني قايما وقال الأبنية في الصفد الذي هو العطية
هذا الشأن فإن تسمع لقائله
فأعرضت أبيت اللعن للصفد
والسرايل القيص قال عمرو القيس
ومثلك يعضا العوارض طفلة
لعمرب تنسني إذا قتسربالي
وبالبلاغ الكفاية ومنه البلاغة وهو البيان الكافي والبلغ هو الذي يبلغ بلسانه كنه ما في ضميره

﴿الأعراب﴾

مخلف وعده رسله إضافة مخلف إلى وعده إضافة غير محضة لأنها في تقدير الانفصال وعده وإن كان
مجرورا في اللفظ فإنه منصوب في المعنى لأنه مفعل في المعنى فإن الإخلاف يقتضي مفعولين يقال اختلف
زيدا وعده فعل هنا يكون تقديره مخلفا وعده رسله وقيل أنه قرأ في الشواذ مخلف وعده بالنصب رسله
بالجر وهي رديئة تفصل بين المضاف والمضاف إليه وأنشدوا في ذلك «فرجبتها برجة زج القلوص إبي مراده»
ومناه فرجبتها زج إبي مرادة القلوص والمائل في قوله يوم تبدل الأرض مخلف وعده أو انقضاء أي
يتقتم ذلك اليوم أو يكون عذوقا على تقدير وإذا ذكر يوم تبدل الأرض وإن شئت جعلته نعتا لقوله يوم يقوم

الحساب والارض مرفوعة على ما لم يسم فاعله وغير منصوب على انه مفعول ما لم يسم فاعله تقول تبدل الحاتم خاتما آخر إذا كسر وصيغ صيغة أخرى وقد تقول تبدل زيد إذا تغير حاله

﴿ المعنى ﴾

ثم إبان سبحانه عن مكر الكفار ودفعه ذلك عن رسله «ع» تسلياً لبنيينا ﴿ع﴾ قال (وقد مكروا مكروهم) أي وقد مكروا بالأنبياء قبلك ما أمكنهم من المكر كما مكروا بك فصهمهم الله من مكروهم كما عصمك وقبل عني به كصفار قرش الذين دبروا في أمر النبي ﴿ص﴾ واحتالوا عليه ومكروا بالمؤمنين وخصومهم (ومعد الله مكروهم) أي جزاء مكروهم فحذف المضاف كما حذف من قوله ترى الظالمين مشفقين بما كسبوا وهو واقع بهم أي جزاؤه يريد وقد عرف الله مكروهم فهو يجازيهم عليه (وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) أي ولم يكن مكروهم ليبطل حجج القرآن وما ملك من دلائل النبوات فإن ذلك ثابت بالدليل والبرهان والمعنى لا تزول منه الجبال فكيف يزول منه الدين الذي هو أثبت من الجبال وعلى القراءه ألا أخرى فالمنى ان مكروهم وإن بلغ كل مبلغ فلا يزال دين الله تعالى على ما تقدم بيانه ولا يضر ذلك أنبياءه ولا يزول أصروهم ولا سيما امر محمد ﴿ص﴾ فإنه أثبت من الجبال وقد قيل ان المراتد به غرود بن كوش بن كتمان حين أخذ التايوت وأخذ اربعة من النصور فأجاعها أياماً وعلى فوقها لحماً وربط التايوت اليها وطارت النصور بالتايوت وهو وزيره في أنه أن بلغت حيث شاء الله تعالى وظن أنه بلغ السماء ففتح باب التايوت من أعلاه فرأى بعد السماء منه كسجدها حين كان في الارض وفتح باباً من أسفل التايوت فرأى الارض قد غابت عنه فهاه الأسم فصبوب النصور وسقط التايوت وكانت له وجبة عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) أي فلا تظنن الله عز اسمه مخلفاً رسله ما وعدهم به من النصر والظفر بالكفار والظهور عليهم (إن الله عزيز) أي يمتنع بقدرته من أن يتأل باهتضام وهو من الكفار (ذوات مقام يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) قيل فيه قولان ﴿أحدهما﴾ ان المعنى تبدل صورة الارض وهيئتها عن ابن عباس قد روي عنه انه قال تبدل آكلها وأجسامها وجبالها وأشجارها والارض على حالتها تبقى ارضا بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يسمل عليها خطيئة وتبدل السماوات فيذهب بشسها وقمرها ونجومها وكان ينشد

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعرف
وبضده ما رواه ابو هريرة عن النبي ﴿ص﴾ قال يبذل الله الارض غير الارض والسماوات فيسقطها ويعدّها مدّ الاديم السكاظي لا ترى فيها عرجالاً ولا امثائم يزجر الله اخلق زجراً فذا هم في هذه المبدلة مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها ما كان في بطنها وما كان على ظهرها ما كان على ظهرها ﴿والآخر﴾ ان المعنى تبدل الارض وتنشأ ارض غيرها والسماوات كذلك تبدل بنورها وتنفى هذه عن الجبائي وجماعة من المفسرين وفي تفسير أهل البيت «ع» بالاسناد عن زرارة ومحمد بن مسلم وجران بن أعين عن ابي جعفر وإبي عبد الله عليهما السلام قال تبدل الارض خبزة تقيح يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الله تعالى وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وهو قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وروى سهل بن سعد الساعدي عن النبي ﴿ص﴾ انه قال يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقروعة النخيل ليس فيها معلم لأحد

وروي عن ابن مسعود انه قال تبدل الارض بدار خصير الارض كلها يوم القيامة ناراً والجنة من ورائها يرى
كواكبها واكوابها ويلجم الناس العرق ولم يبلغ الحساب بعد وقال كتب تصير الساعات حناتاً ويصير مكان
البحر النار وتبدل الارض غيرهما وروي عن ابي ايوب الانصار قال أتى النبي ﷺ خبر من اليهود فقال
أرأيت لذي يقول الله تعالى في كتابه يوم تبدل الارض غير الارض والساعات فأين الخلق عند ذلك
فقال اضاف الله فلن يجزهم ما لديه وقيل تبدل الارض لقوم ارض الجنة ولقوم بأرض النار وقال الحسن
يخشرون على الارض الساهرة وهي ارض غير هذه وهي ارض الآخرة وفيها تكون جهنم وتقدر الكلام
وتبدل الساعات غير الساعات إلا انه حذف لدلالة الظاهر عليه (وبرزوا لله) اي يظهرون من ارض
قبورهم للمحاسبة لا يستمر شيء ويجعل ذلك بروزاً لله لأن حسابهم معه وإن كانت الأشياء كلها بارزة له
لا يسترها عنه شيء (الواحد) الذي لا شبه له ولا نظير (القيار) المالك الذي لا يضام بقبر عباده بالموت
الزواجم (وثرى الجرمين) يعني الكفار عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر لأنه قدّم ذكرهم (يومئذ)
أي يوم القيامة (مترنين في الأصفاة) اي مجمعين في الاغلال قرنت ايدهم بها الى اعناقهم وقيل يقرن
بعضهم الى بعض عن الجبائي وقيل مشدودين في قرن اي حل من الأصفاة والقيود عن ابي مسلم وقيل
يقون كل كافر مع شيطان كان يضله في غل من حديد عن ابن عباس والحسن وبينه قوله تعالى احشروا
الذين ظلموا وازواجهم اي قراءهم من الشياطين وقوله وإذا النفوس زوجت (سرايلهم) اي قبيصهم (من
قطران) وهو ما يعلل به الابل شيء اسود لزج متين يطلون به فيصير كالقنص عليهم ثم يرسل النار فهم
لتكون اسرع اليهم والبلغ في الاشتعال وأشد في العذاب عن الحسن والزجاج وقيل شمس او صفرة مذاب قد
انتهى حره عن ابن عباس ومجاهد وقادة وجوز الجبائي على القراءتين ان يسربوا سرايلين احدهما من
القطران والآخر من القطر الاتي (وشقى وجوههم النار) اي وتصيب وجوههم النار لا قطران عليها
(ليجزى الله كل نفس بما كسبت) اللام تعلقت بما تقدم اخبر سبحانه انه إنما فعل ذلك بهم لتجزى كل
نفس بما كسبت ان كسبت خيراً بأن آمنّت وأطاعت أتابها الله بالنعيم المقيم وان كسبت شراً بأن كفرت
وجحدت عاقبها بالعذاب الأليم في نار المحيم (إن الله سريع الحساب) ايسر سريع المجازاة وقد سبق
بيانه (هذا بلاغ للناس) هو اشارة الى القرآن عن ابن عباس والحسن وابن زيد وغيرهم أي هذا القرآن عظة
لناس بالغة كافية وقيل هو اشارة الى ما تقدم ذكره اي هذا الوعيد كفاية لمن تدبره من الناس والاول هو
الصحيح (ولينذروا به) اي أنزل لينزلوا وينذروا به وليخوفوا بما فيه من الوعيد (وليطوا لنا هو له واحد)
لا شريك له بالنظر في أدلة التوحيد التي بيّنها الله في القرآن (ولنذكر أولاً الألباب) اي وليتظبه أهل العقول
وذو النعم وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن كاف في جميع ما يحتاج الناس اليه في أمور الدين لأن
جميع أمور الدين جملها وتفصيلها يعلم بالقرآن اما بنفسه واما بواسطة فيجب على المؤمن المجتهد المهتم
بأمور الدين أن يشمر عن ساق الجد في طلب أمور القرآن ويصدق عنايته بمعرفة ما فيه من بدائع الحكمة
ومواضع البيان مكنتها به عما سواه لينال السعادة في دنياه وعقباه وفي قوله وليطوا لنا هو له واحد دلالة
على انه سبحانه أراد من الناس علم التوحيد خلافاً لأهل الجبر في قولهم انه سبحانه أراد من الناس إثبات
التثليث ومن الزنادقة القول بالتثنية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وفي قوله لينذكر دلالة على انه ابداد من

الجسيع التدبر والتذكر وعلى ان العقل حجة لأن غير ذوي العقول لا يمكنهم الفكر والاعتبار

﴿ التلخيص ﴾

انصلت الآية الثانية بقوله وعند الله مكرمهم اي فلا تحسبوا ان الله يخلف وعده بل يجازيهم وينصر رسله وقيل انصلت بقوله وإنما يؤخرهم اي فلا تحسبوه مخلف وعده في العقوبة لكفار بل ان شاء آخر وإن شاء عجل وانصل قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض بقوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي لا يتلفهم وعده لا في الدنيا ولا في الآخرة عن ابي مسلم وقيل المراد به انه ذو انتقام من الكفار ذلك اليوم وانصل قوله ليجزي الله كل نفس بما كسبت بقوله يوم تبدل الأرض

(سورة الحجر)

مكية في قول قتادة ومجاهد وقال الحسن إلا قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله كما أنزلنا على المتقين الذين جملوا القرآن مقلين وهي تسع وتسعون آية بالاجماع

﴿ فضليها ﴾

أبي بن حكيم عن النبي ﷺ قال من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بئذ المهاجرين والأنصار والمستبرئين محمد ﷺ

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة ابراهيم «ع» بذكر القرآن وانه بلاغ وكفاية لأهل الإسلام اختص هذه السورة بذكر القرآن وانه مبين للأحكام فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَقرآن مبين (٢) وما يؤدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٣) ذُرِّيَّتُكُمْ يَكْفُرُوا وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٤) وَمَا أَهْلُكُمْ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَكْتُومٌ (٥) مَا تَسْقِي مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وعاصم دجا يود خفيفة الباء والباقون بالتشديد وروى محمد بن حبيب الشموني عن الاعشى عن ابي بكر بنيتا بالباء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي انشد ابو زيد

ماوي بل ربنا غارة شعواء كاللذعة بالميسم وأنشد ايضا

يا صاحبا ربت. إنسان حسن يسأل عنك اليوم أو تسأل عن

ربما تذكره النفوس من الأمر له فريضة كحل المقال

الار ب من تفتشه لك فاصح ومؤتمن بالخيـب غير امين

رَبِّمَا أَوْفَيْتَ فِي عِلْمِ تَرْفَعُنِ ثَوْبِي شِمَالَاتِ

جارية في رمضان الماضي تقطع الحديث بالإيماء

لقد رزيت كسب بن عوف وربما
فتى لم يكن يرضى بشئ يضيئه

لما لأنها لما كانت كالأساء المبهمة في إيهامها وصفت بأساء الأجناس كأنه قال رب شيء فحق لم يكن كذا فنهذه
الأوجه كلها ممكنة ويجوز في الآية أن يكون ما بقرعة شيء ويود حقه له لأن ما لمسموما يقع على كل شيء
فيجوز أن يعني بها الرذ كانه قال رب ويودوه الذين كفروا ويكون يود في هذا الوجه أيضاً حكاية حال الأتري
أنه لم يكن بعد وهذه الآية في المعنى كقوله ارجعنا نعمل صالحا وكقوله حتى إذا جاء اهدم الموت قال رب
ارجعون وكسبيهم الرد في قوله يا ليتنا زد ولا نكذب ولما قول من قال ربنا بالتخفيف فلا تفسد حرف مضاعف
والحروف المضاعفة قد تحذف وإن لم تحذف غير المضاعف فمن المضاعف الذي حذف أن وإن ولكن وليس كل
المضاعف يحذف لم اعلم الحذف في ثم ولما دخول التاء في ربنا فلن من الحروف ما يدخل عليه حرف التانيث نحو
ثم وثت ولا لات قال

ثم لا يجوز قنني عند ذاكم ولكن سيجزيني المليك فيعقبا
فكذلك أحقت التاء في قولهم ربنا وأنشد الزجاج في تخفيف رب قول الحاددة
أسمي ما يذريك أن رب فتية بأكرت لذتهم بأدكن مترع

قال وقد يسكنون في التخفيف يقولون رب دجل جاني وأنشدوا بيت الغنلي
أزهر إن شب القذال فأنني رب هيضل مرسل لفقت بهيضل
ويقولون دبت دجل ودبت دجل بفتح الراء ورب دجل وربا دجل جاني وربنا دجل فيتمون حكى
ذلك قطرب

(- الأعراب -)

قرآن حلف على الكتاب وإنا حلفه عليه وإن كان الكتاب هو القرآن لاختلاف الفظتين وما فيها من
التأنيدين وإن كانا لموصوف واحد لأن وصفه بالكتاب يفيدانه ما يكتب ويدون ووصفه بالقرآن يفيدانه ما
يؤلف ويجمع بعض حروفه إلى بعض كما قال الشاعر

إلى الملك القرم وابن الحمام وليك الكتبية في المزدحم
وذني الرأي حين تمم الأمور بذات الصليل وذات النجم

ويقال لم جاز ربنا يود الذين كفروا ورب يتقيل وجوابه على وجهين أحدهما أنه ابلغ في التهديد كما تقول
ربنا نعمت على هذا وانت تعلم أنه يتدم ندما طويلا أي بكيفك قليل التدم فكيف كثيره والثاني أنه
يشغلهم الضباب من تحي ذلك إلا في أوقات قليلة

(- المعنى -)

(أر) قد تقدم الكلام في هذه الحروف وأقوال العلماء فيها (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) أي هذه
آيات الكتاب وآيات قرآن يميز بين الحق والباطل وقيل المبين البين الواضح عن أبي مسلم وقيل هو المبين لفساد
والحرام والأوامر والنواهي والأدلة وغير ذلك وقيل المراد بالكتاب التوراة والإنجيل من مجاهد وقيل المراد
به الكتب المنزلة قبل القرآن من كثارة (ربنا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أي ربنا يشن الكفار الإسلام
في الآخرة إذا صار المسلمون إلى الجنة والكفار إلى النار ويجوز أن يتبنوا ذلك وقت اليأس ردوى مجاهد عن
ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويوحى ويستمع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فيستند يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الصادق (ع) ينادي مناد يوم القيامة يسمع الخلائق أنه لا يدخل الجنة إلا مسلم
فمن يود سائر الخلائق اتهم كانوا مسلمين ردوى مرفوعا عن النبي ﷺ قال إذا اجتمع أهل النار في النار

ومعهم من يشاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أنسى عنكم إسلامكم وقد صرتم منا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأغفنا بها فيقسم الله عزوجل ما قالوا فأمر من كان في النار من أهل الإسلام فأخرجوا منها فحيث يقول الكفار يا ليتنا كنا مسلمين (ذوهم يأكفوا ويتشعوا) معناه دهم يأكفوا في دنيائهم أكل الأنعام ويشعوا فيها بما يريدون والتشع التلذذ وهو طلب اللذة حالا بعد حال (وليهم الأمل) أي وتشغلهم آمالهم الكاذبة عن اتباع النبي ﷺ والقرآن يقال الماء الشيء أي شغلته وانساه (فسوف يعلمون) وبال ذلك فيما بعدهم يعمل بهم العذاب يوم القيامة وصادروا إلى ما يمحذرون به وفي هذه الآية إشارة إلى أن الإنسان يجب أن يكون مقصود الهمة على أمور الآخرة مستعدا لموت مسارعاً إلى التوبة ولا يأمل الآمال المردية إلى الصداقة وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال إننا خوف ما أخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الأمل فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة (وما أمكننا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) معناه ولم نترك أهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة إلا وكان لهم أجل مكتوب لا بد أن سيلبثوه يريد فلا يفرح هؤلاء الكفار إلهي إياهم إنما ينزل العذاب بهم في الوقت المكتوب المقدّر لذلك (ما سبق من أمة أجلها وما يستأخرون) أي لم تكن أمة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك ولا تتأخر عن أجلها الذي قدّر لها بل إذا استوفت أجلها أهلكها الله

قوله تعالى (٦) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٧) لَوْ مَا تَأْتِيَنَا بِالْمَلَأِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٨) مَا نَنْزِلُكَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِفَّا مُظْهِرِينَ (٩) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٠) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْرِ الْأَوَّلِينَ (١١) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٢) كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٣) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٤) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ (١٥) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٦) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٧) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٨) إِلَّا مَنْ أَصْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مِبِينٌ ثلاث عشرة آية

(- القراءة -)

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ما تنزل بنون اللامكة بالنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم ما تنزل بضم التاء اللامكة بالرفع وقرأ الباقون ما تنزل بفتح التاء. والراي اللامكة بالرفع وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وفي الشواذ قراءة الزهري سكرت

(- المحبة -)

قال أبو علي حجة من قرأ تنزل قوله تنزل اللامكة والروح فيها وحجة من قرأ نزل قوله وتزل اللامكة تنزيلا وحجة من قرأ تنزل قوله ولو اننا نزلنا بهم اللامكة ووجه التتميل في سكرت ان القيل مسند إلى جماعة فهو مثل مقحة لهم الأبواب ووجه التخفيف ان هذا النحر من القيل المسند إلى جماعة قد يخفف قاله ما زلت أفتح أبوابها غلقها

- اللغة -

الشم الفرق عن الزجاج وكل فرقة شعبة واصله من المشايمة وهي المشايمة يقال شايمة فلان فلانا على امره اي تابعه عليه ومنه شيمه على (ع) وهم الذين تابعوه على امره ودلتوا بإيمانه وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ شيمه على هم القاتلون يوم القيامة وسلك واسلك بمعنى والمصدر السلك والساوك قال عدي بن زيد

و كنت لئاز خصمك لم اعرد
وقد سلوكك في يوم عصب

وقال آخر

حتى إذا أسلوكهم في قاتلة
ثلاً كما تطرد الجمالة الشردا

والروج الصدق في الدجج والمضارع يروج ويروج ابو عبيدة سكرت ابصارها غشيت قال ابو علي فكان سمناه لاينفذ نورها ولا يدرك الأشياء على حقيقتها ومعنى الكلمة انقطاع الشيء من سننه الجاري فمن ذلك سكرالاء وهو رده عن سننه في الجري وقالوا التسكر في الرأي قبل ان يعزم على الشيء وإذا عزم على امر ذهب التسكر ومنه السكر في الشراب إنما هو ان ينقطع عما هو عليه من المصافي حال الصحو فلا يقفد رأيه ونظره على حد نقائه في صحوه وقالوا سكران لا يثبت فعبروا عن هذا المعنى فيه قال الزجاج فسروا سكرت أغشيت وسكرت فحوت وسكنت عن ان تنظر والرب تقول سكرت الربيع سكنت وكذلك سكر الحر قال الشاعر

جاء الشتاء واجتال القبر
وجملت عين الحمرور تسكر

والرجج اصله الظهور ومنه البرج من يروج السماء وبرج الحصن ويقال تعرجت المرأة إذا ظهرت زينتها والرجج المرجوم والرجم الرمي بالشيء بالاعتاد من غير آلة مهية للاصابة فان القوس رمى عنها ولا يرمي بها ورجسته شتمته والشهاب القطعة من النار قال الزجاج والشهب المنقضة من آيات النبي ﷺ والدليل على انها كانت بعد مولد النبي ﷺ ان شعراء العرب الذين كانوا يثلون في السرعة بالبرق والسيل وبالأشياء المسرعة لم يوجد في اشعارهم بيت واحد فيه ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعلومه الذي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها قال ذوالرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية
مسوم في سواد الليل منقضب

* الاعراب *

لو ما دما إلى الفل وتخريض عليه وهو بمعنى لولا وهلا وقد جاءت لو ما في معنى لولا التي لها جواب قال ابن مقبل
لو ما الحياة ولولا الدين عبتكما
ببعض ما فيكما إذ عبتا عودي
الا من استرق السم استنثا منقطع والمعنى لكن من استرق السم يشبه شهاب وقال القراء هو استثناء صحيح لأن الله تعالى لم يحفظلهم من يصد اليها ليقترق السم لكن إذا سمع واداه إلى الكهنة اتبعه شهاب

* المعنى *

(وقالوا) أي قال المشركون للنبي ﷺ (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن في زعمه ودعواه (إنك لمجنون) في دعواك انه نزل عليك وفي توهمك اننا نتبعك ونؤمن بك (لوما تأتينا باللائكة) يشهدون لك على صدق قولك (إن كنت من الصادقين) فيا تدعيه عن ابن جاس والحسن ثم أجابهم سبحانه بالجواب المتعقبات قال (ما ننزل اللائكة إلا بالحق) أي لا ننزل اللائكة الا بالحق الذي هو الموت لا يقيم فيه تقديم وتأخير فيقبض أرواحهم عن ابن جاس وقيل لا ينزل إلا ببذاب الاستئصال ان لم يرتدوا عن الحسن وجهاد والمجاهنة وقيل ما ينزلون في الدنيا إلا بالرسالة من مجلد (وما كانوا إذا) أي حين ننزل اللائكة (منظرين) مؤخرين يحملين أي لا يحملون ساعة ثم زاد سبحانه في البيان فقال (إننا نحن نزّلنا الذكر) أي القرآن (وإننا لحافظون)

عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير عن قتادة وابن عباس ومثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وقيل معناه مشكك بمخطفه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتشقه الأمة وتحفظه عصرا بعد عصر إلى يوم القيامة
قيام المحبة به على الجاعة من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ عن الحسن وقيل يحفظه من كيد المشركين ولا
يمكنهم إبطاله ولا يندرس ولا ينسى عن الجاني وقال القراء يجوز أن يكون الماء في له كتابة عن النبي ﷺ
فكانه قال إن نزلنا القرآن وإننا لمحمد ﷺ حافظون وفي هذه الآية دلالة على أن القرآن محدث إذا نزل
والمحفوظ لا يكون إلا محدثا (لقد أرسلنا من قبلك) يا محمد رسلا من ابن عباس فحفظه المقول لدلالة الإرسال
عليه (في شيع الأولين) أي في فرق الأولين عن الحسن والكاتب وقيل في الأمم والأين عن صلا عن ابن عباس
(وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) وهذا تسلية لهن ﷺ إذ هن كل رسول كان مثلي
بقومه واستهزاؤهم بالرسول لما حلهم على ذلك استيادهم ما دعواهم إليه واستيادهم منه واستكثارهم له
حتى قوموا أنه ما لا يكون ولا يصح مع مخالفتهم لا وجدوا عليه أسلافهم (كذلك نسلكه في قلوب الجاهلين)
فيه قولان ﴿أحدهما﴾ أن معناه إننا نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار بظواهرها عليها وإلقاها
فيها وبأن نفهم إياه وانهم مع ذلك (لا يؤمنون به) ماضين على سنة من تقدمهم في تكذيب الرسل كما
سلكنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم عن البلخي والجاني والمراد أن أعراسهم من القرآن لا يمتنا
من أن ندخله في قلوبهم تأكيذا لمحبة عليهم ﴿والآخر﴾ أن المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبة
لهم على كفرهم والأول هو الصحيح وقد ردوا من جماعة من المفسرين أن المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار
وذلك لا يصح لأنه لم يجز للشرك ذكر وقد جرى ذكر الذكر وهو القرآن ولأنه قال لا يؤمنون به ولو عاد الصبر
في قوله به إلى الشرك لكان الكفار محمدين إذا كانوا لا يؤمنون بالشرك ولا خلاف أن الآية ودعت على سبيل
الذم لهم ولو كان الله سبحانه قد سلك الكفر في قلوبهم لقط عنهم الذم ولا جاز أن يقول لهم كيف تكفرون
وأنتم تتلى عليكم آيات الله لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرن منه وكيف ينكر عليهم هذا الإنكار
وهو الواضح لذلك في قلوبهم وكيف يأمرهم باخراجه من حيث وضعه فيه تعالى وتقدس عن ذلك (وقد خلت
سنة الأولين) أي مضت طريقة الأمم المتقدمة بأن كانت رسالهم تدعواهم إلى كتب الله المنزل ثم لا يؤمنون
وقيل مضت سنة الأولين بأن عرجوا بمناب الاستئصال عند الاتيان بالآيات المقترنة مع أصرارهم على الكفر عن
إني سلم وقيل مضت سنتهم في التكذيب كما أن قومك كنورك عن ابن عباس ثم قال بعد ما تقدم ذكر اقتراحهم
اللايات (ولو كنا عليهم) أي على هؤلاء المشركين (بها من الساء) ينظرون إليه فظنوا فيه يبرجون) أي فظنلت
اللائكة تصمد وتقتل في ذلك الباب عن ابن عباس وقاتلة وقيل فظن هؤلاء المشركون يبرجون إلى الساء من
ذلك الباب وشاهدوا ملكوت السموات من الحسن والجاني والي مسلم (تأواوا فاستكروا بصارة) أي سدت
وعطيت من مجاهد وقيل أغشيت وعيشت عن ابن عباس والكاتب والي عمرو والكاتب وقيل تحييت وسكت
من أن تنظر (بل نحن قوم محسرون) سمعنا محمد ﷺ فلا ننظر ببصر وبخيال الأشياء التي على خلاف
حقيقتها ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال سبحانه (وقد جئنا) أي خلقنا وهياها في الساء يروجا) أي منازل
الشمس والقمر (وزيناها فنانظرين) بالكواكب النيرة عن (إني عبد الله (ع) وهي اثنا عشر رجلا وقيل البروج
النجوم عن ابن عباس والحسن وقاتلة (وحفظناها) أي وحفظنا الساء (من كل شيطان رجيم) أي من جرم مرمي
بالشهب عن أبي علي الجاني والي مسلم وقيل رجيم ملعون مشرؤم عن ابن عباس وحفظ الشيء جله على ما ينبغي
عنه الضياع فمن ذلك حفظ القرآن بدرس حتى لا ينسى وحفظ المال بأحرازه حتى لا يضيع وحفظ الساء من الشيطان
بالمعنى حتى لا يدخلها ولا يبلغ إلى موضع يتسكن فيه من استراق السمع بما عده من الشهاب (الأناس استرق
السمع) والسرقعة عند العرب أن يأتي الإنسان إلى حوز خفية فيأخذ ما ليس له والمراد بالسمع هنا السمع والسمع

الا من حاول أخذ المسحوق من السله في خفيه (فأنتبه) أي لحقه (شهابيين) أي شعله تار ظاهر لأهل الارضيين
لمن رآه ونحن في رأي العين ترى كأنهم يرمون بالنجوم والشهاب عموماً من نور يضيء ضياء النار لشدة ضياءه
وروي عن ابن عباس انه قال كان في الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للنسم
فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل ويخبر به الكاهن فيفتشه الكاهن الى الناس فلا يثبت الله
عيسى (ع) منيراً من ثلاث سموات ولا يثبت محمد ﷺ منيراً من السوات كلها وحرس السماء بالنجوم
فالشهاب من معجزات نبينا محمد ﷺ لأنه لم يزل زمانه وقيل ان الشهاب يحرق الشياطين ويقتلهم عن
الحسن وقيل انه يجزل ويجرق ولا يقتل من ابن عباس

قوله تعالى (١٩) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مُزِينٍ (٢٠) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢١) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُنُوهَ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٣) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ السَّوَّارُونَ
(٢٤) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٥) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَسْرَتِهِمْ
إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ سبع آيات

﴿ التوراة ﴾

قرأ حمزة وحده الريح والياقوت والرياح لواقح

﴿ الحجة ﴾

قال ابو سعيد لا اعرف لذلك وجها إلا ان يريد ان الريح تأتي بمختلفة من كل وجه فكانت بمنزلة الرياح وحكي
الكسائي ارض افعال واراض سباب قال المبرد يجوز ذلك على أن يحمل الريح جنبا وليس يجيد لأن الريح
يفصل بعضها من بعض وسروقة كل واحدة منها والأرض ليست كذلك لأنها بساط واحد

﴿ اللغة ﴾

الرواسي الثوابت واحدا راسية والمراسي ما يثبت به والوزن وضع احد الشئين بازا. الآخر على ما يظهر
به مساواته في المقدار وزيدته والعمايش جمع معيشة وهي طلب اسباب الرزق مدة الحياة وقد يطلها الانسان لنفسه
بالتصرف والتكسب وقد يطلب له فان الله اسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش المني والواقح الرياح التي
تلقح السحاب حتى يحمل الماء أي يبقى اليه ما يحمل به الماء يقال قمت الناقة إذا حملت والقمها التعلل فالواقح في
معنى الملقحات وقيل في لغة ذلك قران (أحدهما) انه في معنى ذات لقاح ومثله هم ناصب أي ذو نصب قال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطي الكواكب

أي منصب وقال نهشل بن جري

ليبك يزيد ضارع لحصومة وخبثط مما تطيح الطوائف

أي المطايح (والآخر) ان الرياح لاقصة يحملها الماء ملقحة بالقائها إليه إلى السحاب ويقال سقته فبا
يشربه يشقه وأسقته بالآلف فبا تشربه ارضه قال علي بن عيسى وقد يحكي أحدهما بمعنى الآخر كقوله نسفكم
مما في بطونه وقال ذو الرمة

وقفت على ربيع لية ناقتي
وأسقيه حتى كاد مما أبته
فمازلت أبكي عنده وأخاطبه
تكلمني أحباره وملاعبه
أي ادعوه بالسقيا

الاعراب

والأرض منصوب بفعل مضارع تقديره ومدتنا الأرض مدتناها كقوله والقرى قدوتها أي وقدوتها القرى قدوتها
ومن لستم له برازقين من في موضع نصب كطاع على معاش والمعاد به العبد والاماء والانعام والدواب عن مجاهد
وقال القراء العرب لا تكاد تجمل من إلا في الناس خاصة فإن كان مع الدواب العبد حسن حينئذ قال وقد يجوز
أن يكون من في موضع جر كطاع الكفاف والميم في لكم وقال المبرد والظاهر المنفوض لا يطف على المضمر
المنفوض نعم مررت بك وزيد إلا أن يضطر شاعر وأنشد القراء

تعلق في مثل السواري سيوفنا
فرد الكعب على العاء في بينها وقال

هلا سألت بندي الجماجم عنهم
وأي نعم ذي القواء المحلق

فرد ابن نمير على هم في عنهم قال ويجوز أن يكون من في موضع رفع لأن الكلام قد تم ويكون التقدير
على قوله ولكم فيها من لستم له برازقين قال الزجاج والأجود من الأقوال الأول ويجاز أن يكون كطاع على تأويل
لكم لأن معنى قوله ولكم فيها معاش أمشاك ومن لستم له برازقين أي رزقناكم ومن لستم له برازقين وإن
من شيء من مزينة شيء مبتدأ وعندها خبر له وخزائنه مرفوع والظرف لأن الظرف جرى مجرى خبر على المبتدأ
لا خلاف في هذا بين سيوييه والاختش

المعنى

لما تقدم ذكر السماء وما فيها من الأدلة والنعم البه بذكر الأرض فقال (والأرض مدتناها) أي يسلطانها
وجعلنا لها طولا وعمرضا (والقينا فيها رولسي) أي طرحنا فيها جبالا ثابتة (وأثبتنا فيها) أي في الأرض (سمن
كل شيء موزون) أي مقدر معلوم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل سمن كل شيء يوزن في العادة
كالذهب والفضة والصخر والنحاس ونحوها من الحسن وقيل يعني بذلك كل ما تخرجه الأرض عن أي مسلم قال
وإنما خص الموزن بالذكر دون المكيل لوجوب **احدهما** أن غاية المكيل تنضم إلى الوزن لأن جميع
المكيلات إذا صار طعاما دخل في الوزن فالوزن أهم **والآخر** أن في الوزن معنى المكيل لأن الوزن
هو طلب المساواة وهذا المعنى ثابت في المكيل فنض الوزن بالذكر لاشتغاله معنى المكيل ورد عليه السيد
الأجل المرتضى قدس الله روحه فقال ظاهر لفظ الآية يشهد بغير ما قاله فإن المراد بالوزن المقدار الواقع بحسب
الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة داخلة في باب البعث ونظير ذلك قولهم كلام فلان
موزون وإفصاه موزونة والمراد ما ذكرناه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على أحد
التأويلين وأنها التمديل والمساواة بين الثواب والعقاب (وجعلنا لكم فيها معاش) أي خلقنا لكم في الأرض
معاش من زرع أو نبات عن ابن عباس والحسن وقيل معاش أي طعام ومشارب تعيشون بها وقيل المعشرف
في أسباب الرزق مدة الحياة (ومن لستم له برازقين) يعني العبد والدواب رزقهم الله ولا ترزقونهم ومعهما يدور
على ما تقدم ذكره في الأعراب وأتى بلفظة من دون قنطة ما لأنه غلب القنطار على غيره (وإن من شيء) أي
وليس من شيء ينزل من السماء وينبت من الأرض (إلا عندنا خزائنه) معناه إلا ضمن ما لكوه والقادرون عليه

وزخائن المسبحاته مقدوراته لأنه تعالى يقدر أن يوجد ما شاء من جميع الأجناس ويقدم من كل جنس على الآخر
له وقيل المراد به الماء الذي منه النبات وهو مخزون عنده إلى أن ينزله وتنبات الأرض وتساها إنما تثبت به الماء
وقال الحسن المطر خزائن كل شيء (وما تنزله) أي وما ينزل المطر (إلا بقدر معلوم) تقتضيه الحكمة وقيل
أنه سبحانه استأجر المخرائن للقدرة على إيجاد الأشياء وعبر عن الإيجاد بالانزال لأن الانزال في معنى الإعطاء
والترزق والمعنى أن الخير كله من عند الله لا يوجد ولا يعلو إلا بسبب المصلحة والحاجة ثم بين سبحانه كيفية الإنزال
فقال (وإرسالنا الرياح لواقع) أي إخراجنا الرياح لواقع أي لمتحة للسحاب بحمة بالمطر (فأنزلنا من السحاب ماء) أي مطرا
(فأسقينا كوه) أي فأسقيناكم ذلك الماء ومكانكم منه (وما أتمم له مجازين) أي وما أتمم أيها الناس له مجازين
ولا محزون بل الله يحفظه ثم يرسله من السحاب ثم يحفظه في الأرض ثم يخرج من العيون بقدر الحاجة ولا يقدر أحد
على إحراز ما يحتاج إليه من الماء في موضع (وإنا لنحن نحيي ونميت) أخبر سبحانه أنه يحيي المخلوق إذا شاء
ويميتهم إذا أراد (ونحن الوادئون) الأرض ومن عليها أخبر أنه يرث الأرض لأنه إذا أفنى المخلوق ولم يبق أحد
كانت الأشياء كلها راجعة إليه يتصرف فيها (وقد علمنا المستقيمين منكم) ولقد علمنا المستأخرين (قيل
فيه أقوال) أحدها ﴿ أن مناه وقد علمنا الماضين منكم وقد علمنا الباقين من معاهد الضمك وقادة
﴿ وثانيها ﴾ علمنا الأولين منكم والأخرين من الشيء ﴿ وثالثها ﴾ علمنا المستقيمين في صفوف
الحرب والمتأخرين عنها من سيدن السبب ﴿ ورابعها ﴾ علمنا المتقدمين في الحرب والمبطلين عنه من الحسن
﴿ وخامسها ﴾ علمنا المتقدمين إلى الصف الأول في الصلاة والتأخرين عنه فإنه كان يتقدم بعضهم إلى الصف
الأول ليدركوا فضيكت وكان يتأخر بعضهم لينظروا إلى إعجاز النساء فنزل الآية فيهم عن ابن عباس ﴿ وسادسها ﴾
أن النبي ﷺ حث الناس على الصف الأول في الصلاة وقال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير
صفوف النساء آخرها وشرها أولها وقال ﷺ أن الله وملائكته يصلون على الصف المتقدم فإذا حرم الناس
وكانت دور بني فعدة بعيدة من المسجد فقالوا لنبين دورنا ولنشترى دورا قريبا من المسجد حتى ندرك الصف
المقدم فنزلت هذه الآية عن الربيع بن أنس فلي هذا يكون المعنى أنا نجازي الناس على نياتهم (وإن ربك هو
يشرحهم) مناه إن ربك يا محمد أو أيها السامع هو الذي يصحهم يوم القيامة ويشرحهم بعد إمامتهم للمجازاة
والمطابقة (أنه حكيم) في أماله (عليم) بما استحق كل منهم

النظم

إنا اتصل بقوله وإنا لنحن نحيي ونميت وما بعده بما ذكره فيما قبل من أنواع النعم فبين سبحانه أنه يرثهم
كل ما خولهم من ذلك ترحيما في الدنيا وترغيا في الآخرة إلى أن يسلم وقيل له لما بين أنواع نعمه مرفوع
بعد أنه لم يخلق ذاك لبقاء وإنما أنعم به عليهم ليكون طريقا إلى نعم الآخرة من القاضي وقيل أنه لا ذكرهم
نعم الدنيا بته بالآباء والامانة وعلمه بجسيم الأشياء وحشر المخلوق على وجوب الانقطاع إليه والعبادة والطاعة له

قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَءٍ مَسْنُونٍ (٢٧) وَالْجَبَانَ
خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُورِ (٢٨) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ
مِنْ حَمَءٍ مَسْنُونٍ (٢٩) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٣٠) فَسَجَدَ
أَلَّا يُكَلِّمَهُ أَجْمَعُونَ (٣١) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢)
قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٣) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتُهُ

مِنْ صَلَاحٍ مِنَ حَمَاءَ مَسْنُونٍ (٣٤) قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَنَّاكَ رَجِيمٌ (٣٥) وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّهُنَةُ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ عشر آيات

﴿ الجنة ﴾

الصلصال الطين اليابس اخذ من الصلصلة وهي القضة ويقال لصوت الحديد ولصوت الرعد صلصلة وهي صوت شديد متردد في الهواء وصل يصل اذا صوت قال

رجعت إلى صوت كجرة حنتم اذا قوعت صفرا من الماء صلت

ويقال الصلصال المتخ اخذ من صل اللحم واصل اذا انتق والحما جمع حمة وهو الطين المتغير الى السواد يقال حمت البشر وأما السنون المصوب من سنت الماء على وجهه اي صيته ويقال سنت بالسين غير معجمة ارسلت الماء. وشنت بالسين معجمة صبت وقيل انه المتغير من قولهم سنت الحديد على السن اذا غرقتا بالتعدد واصلا الاستمرار في جهة من قولهم هو على سنن واحد والسنة الطريقة وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة

يربك سنة وجهه غير مقرقة ملساء ليس بها خال ولا ثندب

قال سيويه جمع الجان جنان فهو مثل حائط وحيطان وراعي والسموم الريح الحارة اخذ من دخولها بلطنها في مسام البدن ومنه السم القاتل يقال سم يومنايسم اذا هبت فيه ريح السموم

— « الاعراب » —

من جعل الجان نجما قال ولم يقل خلقناها كما قال بما في بطونه وبما في بطونها وقوله مالك ان لا تكون نم الساجدين ما مبتدأ ولك خبره والتقدير اي شيء ثابت لك والا تكون تقديره في ان لا تكون فحذف في وهي متعلقة بالخبر ايضا فلما حذفت في انتصب موضع ان لا تكون على قول سيويه وبقي على الجمل على قول الخليل واو الحسن حمل ان على الزيادة ولا تكون في موضع الحال قال وتقديره مالك خارجا عن الساجدين

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه الاحياء والامامة والنشأة الثانية عقبه بيان النشأة الأولى فقال (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم (من صلصال) اي من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة اي صوت عن ابن عباس والحسن وقتادة وأكثر المفسرين وقيل طين صلب يخالطه الكثيب عن الضحاك وقيل متقن عن مجاهد واختاره الكسائي (من حمأ) اي من طين متغير (مسنون) اي مصبوب كانه افروغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة وقيل انه الرطب عن ابن عباس وقيل مسنون مصور عن سيويه قال اخذ من سنة الوجه (والجنان) وهو البليس عن الحسن وقتادة وقيل هو ابو الجن كان آدم ابو البشر عن ابن عباس وقيل هم الجن نسل البليس وهو منصوب بمل مضر معناه وخلقنا الجان (خلقنا من قبل) اي من قبل خلق آدم (من نار السموم) اي من نار لما ربح حارة تقتل وقيل هي نار لا دخان لها والمواعق تكون منها وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان البليس من سجي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وقيل السموم النار الملتبئة عن ابي مسلم وفي هذا اشارة الى أن الانسان لا يفضل باصله وانما يفضل بدينه وعلمه وصالح عمله واصل آدم (ع) كان من تراب وذلك قوله خلقه من تراب ثم جعل من التراب طينا وذلك قوله وخلقته من طين ثم ترك ذلك الطين حتى تثير واسترخى وذلك قوله من حمأ مسنون ثم ترك حتى جف وذلك قوله من صلصال فهذه الاقوال لا تناقض فيها اذ هي اخبار عن حالاته المختلفة (واذا قال ربك للملائكة) تقديره واذا ذكر يا محمد اذا قال ربك للملائكة (اني خالق) اي سأخلق (بشرا) اي آدم وسعي

بشرأ لأنه ظاهر الجلد لا يواريه شعر ولا صوف (من مصلال من حما سنون) مر معناه (فلما سويته) بإتمام خلقته واكمال خلقه وقيل معناه عدلت صورته (وقضت فيه من روعي) والتفخ اجراء الريح في الشيء باعتدال فلما أجرى الله سبحانه الروح في آدم على هذه الصفة كان قد قضى الروح فيه وانما اضاف روح آدم الى نفسه تكريمة وتشريفاً وهي اضافة الملك (فقصوا له ساجدين) اي اسجدوا له قال الكلبي اسبه فغروا له ساجدين (فسجد للملائكة اجمعون) هذا تو كيد بعد تو كيد بعد سيويه وقال المبرد ويدل قوله اجمعون على اجتماعهم في السجود اي فسجدوا كلهم في حالة واحدة قال الزجاج وقول سيويه اجد لأن اجمعون معرفة فلا يكون حالاً (إلا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين) اي امتنع ان يكون معهم فلم يسجد معهم وقد سبق القول في ان ابليس هل كان من الملائكة او لم يكن واختلاف العلماء فيه وما لكل واحد من الفريقين من الحجج وذكرنا ما يتعلق بذلك من الكلام في سورة البقرة فلا معنى للاعادة وان يكون في محل نصب اي انزال الكون مع الساجدين (قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين) قال الزجاج معناه اي شيء يقع لك في ان لا تكون مع الساجدين فمعنى ان نصب يسقط في واقضاء التاسب الى ان وهذا خطاب من الله سبحانه لابليس ومعناه لم لا تكون مع الساجدين تسجد كما سجدوا وانما قال سبحانه بضه على جهة الاشارة كما يقول لأهل النار احضوا فيها ولا تكلمون وقال الجبائي انما قال سبحانه ذلك على لسان بعض رسله لأنه لا يصح ان يحكمه الله بلا واسطة في زمان التكليف (قال) اي قال ابليس محبباً لهذا الكلام (لم اكن لأسجد) اي ما كنت لاسجد وقيل معناه ما كان ينبغي ان اسجد (ليسر خلقته من مصلال من حما سنون) لأنني اشرف اصلاً منه ولم ينزل ان التفاضل بالدين والاعمال لا بالأصل (قال فاخرج منها) اي من الجنة (فلما رجع) اي مشؤوم مطرود ملعون وقيل معناه اخرج من السماء عن ابى مسلم وقيل من الارض فألقه بالبحار لا يدخل الارض إلا كالسارق وقيل رجع مرجوم أي وإن رجعت إلى السماء رجعت بمنزل الشهب التي يرمج به الشياطين عن الجبائي (وان عليك العنة) وان عليك مع ذلك العنة أي الابدان من رحمة الله ولذلك لا يجوز ان يخلص بيمينه (إلى يوم الدين) أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والوارد ان الله سبحانه قد لعنك وأهل السماء والارض لعنوك لعنة لازمة لك إلى يوم القيامة ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بنذاب النار وفيه يابئ الله لا يؤمن قط وقال بعض المسكتين انما قال سبحانه هنا وان عليك العنة بالألف واللام وقال في سورة ص لعني بالاضافة لأن هناك يقول لما خلقت بيدي مضافاً فقال وان عليك لعني على المطابقة وقال هنا مالك ألا تكون مع الساجدين وساق الآية على اللام في قوله ولقد خلقنا الانسان وقوله والجان فأق باللام ايضا في قولهم ان عليك العنة

قوله تعالى (٣٦) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٧) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٨) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٩) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبْعَثُونِي فِي الْأَرْضِ وَلَا فَرْجَ لَهُمْ مِنْهَا وَلَا فَرْجَ لَهُمْ مِنْهَا (٤٠) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤١) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤٢) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٣) وَإِنْ جَهَنَّمُ لَأَكْثَرُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٤) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ نَسْعَ آيَاتٍ

❦ القراءة ❦

قرأ يعقوب صراط علي بالرفع وهي قراءة أبي رجاة وابن سيرين وقناة والضحاك ويعلم وقيس بن عباد وعمرو بن يعقوب وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) والباقيون من القراء قرأوا علي

* الحجة *

قال ابن جني علي هنا كقولهم كرم شريف وليس المراد به علو الشخص والتمية وقال ابو الحسن في قراءة الجماعة هنا صراط علي مستقيم هو كقولك الدلالة اليوم علي اي هذا صراط في ذمتي وتحت ضائي كقولك صحة هذا المال علي وتوفية عدته علي وليس معناه عنده مستقيم علي كقولنا قد استقام علي الطريق واستقر علي كذا وما أجسن ما ذهب اليه ابو الحسن فيه

* القصة *

الإغواء الدماء إلى النبي والاعواء خلاف الارشاد وهنا أصله وقد يكون بمعنى الحكم بالنفي على وجه الذم والتزيين جعل الشيء متقبلا في النفس من جهة الطبع او العقل يحق اويباطل واغواء الشيطان تزويته الباطل حتى يدخل صاحبه فيه

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما سأله إليس عند إياسه من الآخرة فقال عز اسمه (قال رب فانتظري) أي فانتظري وأخبرني (إلى يوم يعثرون) أي يمشرون الجزاء استنظره إليس إلى يوم القيامة لئلا يموت إذ يوم القيامة لا يموت فيه احد فلم يجبه الله تعالى إلى ذلك بل (قال) له (فأنتك من المنتظرين إلى يوم الوقت المعلوم) الذي هو آخر أيام التكليف وهو النفخة الأولى حين يموت الخلائق عن ابن عباس وقيل الوقت المعلوم يوم القيامة انظره الله سبحانه في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة عن الحسن والحسين وإلى سلم وقيل هو الوقت الذي قدر الله أجله فيه وهو معلوم لله سبحانه غير معلوم لأليس فأبهم ولم يبين لأن في بيانه اغراء بالمصيبة عن البلخي واختلف في تجويز إجابة دعاء الكافر وقال الجبائي لا يجوز لأن في إجابة الدعاء تعظيما له وقال ابن الأشيد يجوز ذلك لأن الإجابة كالتمعية في احتمال ان يكون ثوابا وتعظيما وان يكون استصلاحا ولطفا (قال) إليس (رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولا غفريهم اجمعين) قيل فيه اقوال * أحدها * ان الاغواء الأول والثاني بمعنى الاضلال أي كما أضللتني لأضلهم وهنا لا يجوز لأن الله سبحانه لا يضل عن الدين إلا ان يجعل علي أن إليس كان مستعدا للغير * وثانيها * ان الاغواء الاول والثاني بمعنى التخييب أي بما خيبتني من رحمتك لا تخيبتهم بالدماء إلى مصيبتك عن الجبائي * وثالثها * ان معناه بما أضللتني عن طريق جنتك لأضلهم بالدماء إلى مصيبتك * ورابعها * بما كلفني السجود لآدم الذي غويت عنده فيسي ذلك غواية كما قال فزادتهم رجسا إلى رجسهم لما ازدادوا عندها عن البلخي والباء في قوله بما أغويتني قيل ان معناه القسم هنا عن الي عبادة وقيل هي بمعنى السبب أي يكونني غاويا لأزينن كما يقال بطاعته لندخل الجنة وبمصيته لندخل النار وبمغول التزيين عذوف وتقديره لأزينن الباطل لهم أي لأولاد آدم حتى يقيموا فيه ثم استثنى من جملةهم فقال (إلا عبادك منهم المخلصين) ومن الذين أخلصوا عبادتهم لله واعتصموا عن عبادة الشيطان واتقوا عما نهاهم الله عنه ومن قرأ المخلصين بفتح اللام فهم الذين أخلصهم الله بأن وفهم لذلك ولطف لهم فيه ليس للشيطان عليهم سبيل (قال) الله سبحانه (هذا صراط علي مستقيم) قيل فيه وجوه * أحدها * أنه علي وجه التهديد له كما تقول لغيرك اقل ما شئت وطريقك علي أي لا تفوتني عن مجاهد وقادة ومثله قوله إن ربك لبالمرصاد * وثانيها * معناه ان ما نذكره من أسس المخلصين والمغوين طريق مسره علي أي مسر من مسلكه علي مستقيم لا عدول فيه عني وأجازيه كلا من الترفيقين بما عمل * وثالثها * (أن معناه هذا دين مستقيم علي بيانه والهداية اليه) ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (هذا اخيار منه تعالى بأن عبادته الذين يطيعونه ويتوبون إلى أوامره لا سلطان للشيطان عليهم ولا قدرة له على ان يكبرهم على المعصية ويحلمهم عليها ولكن من بجهة فلانما بئنه باختياره قال الجبائي وذلك يدل على ان

الجن لا يقدر على الاصرار يعني آدم لأنه على عمومته ثم استثنى سبحانه من جملة العباد من يبيع إبليس على اغوائه ويقاد له ويقبل منه فقال (إلا من أتبعك من العاوين) لأنه إذا قبل منه صار له عليه سلطان يبدله عن الهدى إلى ما يبدعه إليه من اتباع الهوى وقيل إن الاستثناء منقطع والمراد لكن من أتبعك من العاوين جل ذلك على نفسه سلطاناً (وإن جهنم أجمعين) أي موعده إبليس ومن تبعه (لها سبعة ابواب) فيه قولان (أحدهما) ما روي عن أمير المؤمنين «ع» أن جهنم لها سبعة ابواب يطابق بعضها فوق بعض ووضع إحدى يديه على الأخرى فقال هكذا وإن الله وضع الجنان على الأرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فأصلها جهنم وفوقها لظى وفوقها السطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية وفي رواية الكلبي أسفلها الهاوية وأعلىها جهنم وعن ابن عباس أن الباب الأول جهنم والثاني سقر والثالث سقر والرابع جحيم والخامس لظى والسادس السطمة والسابع الهاوية اختفت الروايات في ذلك كما ترى وهو قول مجاهد وعكرمة والجبالي قالوا أن ابواب النيران كما يطابق اليد على اليد والآخر ما روي عن الضحاك قال النار سبعة ابواب وهي سبعة أدراك بعضها فوق بعض فأعلىها فيه أهل التوحيد يبدون على قدر أعمالهم وأعمارهم في الدنيا ثم يخرجون والثاني فيه اليهود والثالث فيه النصارى والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون وذلك قوله إن للمتقين في الدرك الأسفل من النار وهو قول الحسن وإبي مسلم والقولان متقاربان (لكل باب منهم) أي من العاوين (جزء مقسوم) أي نصيب مفروض عن ابن عباس

قوله تعالى (٤٥) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٦) أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ (٤٧) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٨) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٩) نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٠) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ
ست آيات

الفئة

الفل الحقد الذي ينقل في القلب ومنه الفل الذي يجعل في المنق والتولوا غيابة التي يطوق عارها صاحبها والسرير المجلس الرفيع موطأ السرور وجهه الأمانة والسرور والصب والتب والوهن الذي يلحق من العمل مشتق من الاتصاف لأن صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن الذي يلحقه

المعنى

لما ذكر سبحانه عبادة المخلصين عقبه يذكر حلمه في الآخرة فقال (إن المتقين) الذين يتقون عقاب الله باجتناب معاصيه (في جنات) أي في بساتين خلقت لهم (وعيون) من ماء وخمر وعسل يفور من الفواردة ثم يجري في مجاريها (أدخلوها بسلام) أي يقال لهم أدخلوا الجنات بسلامة من الآفات وبإبرة من المكروه والمضرات (آمين) من الإخراج منها ما كفي النفس إلى انتهاء الضرر فيها (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي وأزلنا عن صدور أهل الجنة ما فيها من أسباب المداوة من الفل إلى الحقد والحسد والتنافس والتباغض (إخواناً) منصوب على الحال أي وهم يكونون إخواناً متوادين يريد مثل الإخوان فيصفو لذلك عيشهم (على سرر) أي كائنين على مجالس السرور (متقابلين) متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض قال مجاهد لا يرى الرجل في الجنة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لأن الأمانة تدور بهم كيف ما شاءوا حتى يكونوا متقابلين في عموم الأحوال وقيل متقابلين في الزيارة إذا تزاوروا استوت مجالسهم ومنالهم وإذا ائقروا كانت منازل بعضهم أرفع من بعض (لا يمسهم فيها) أي في الجنة (نصب) أي عناء وتعب لأنهم لا يحتاجون إلى إصطاب أنفسهم لتحصيل مقاصدهم

إذ جميع العم حاصله لهم (وما هم منها بخارجين) أي يكون فيها مؤيدين ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يخبر عبادَه بكثرة عقوبته ومقرته ورحمته وأوليائه وشدة عذابه لأعدائه فقال (يأيها محمد عبادي أنا المصور) أي كثير السور لذنوب المؤمنين (الرحيم) كثير الرحمة لهم (وان عذابي هو العذاب الأليم) فلا تمولوا على محض غفرائي ورحمتي وخافوا عقابي وقسمتي

قوله تعالى (٥١) وَنَبِيَّهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥٢) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٣) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٤) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ (٥٥) قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَسْكُنُ مِنَ الْقَائِلِينَ (٥٦) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٧) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٨) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٩) إِلَّا آتَى لُوطٌ إِنَّا لَنَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ (٦٠) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لَنَا الْغَايِبِينَ عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحده لم تبشرون خيفة التون مكسورة وقرأ ابن كثير وحده لم تبشرون مشددة التون مكسورة وقرأ الباقون تبشرون مفتوحة التون خفيفة وروى ابو علي الضمير عن روح وغيره عن يعقوب لم تبشروني بإتيات الياء وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط ويقنطوا بكسر التون حيث كان والياقون يفتح التون وقرأ الخجوم خفيفة اهل الكوفة غير حاصم ويعقوب والياقون بالتشديد وقرأ قدرنا بالتخفيف ابو بكر عن حاصم وكذلك في النمل والياقون بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الوجه في قراءة نافع انه أراد تبشروني إلا انه حذف التون الثانية استقلالاً لأن التكرير بها وقع ولم يحذف التون الأولى التي هي علامة الرفع وقد حذفوا هذه التون في كلامهم لأنها زائدة ولأن علامة الضمير الياء من دونها قال

أبالوت الذي لا بدائي ملاق لا أباك تخوفيني

وقال

تراء كاللثام يعل مسكا يسوء الغاليات إذا قليني

والوجه في تشديد ابن كثير التون انه أدهم التون الأولى التي هي علامة الرفع في الثانية المتصلة بالياء التي هي المضمر المنصوب المتكلم ومن فتح التون فلا نه لم يبدئ الفعل إلى الفعل به كما عدى غيره وحذف الفصول به كثير والتون علامة الرفع وقنط وقنط يقنط لثان وكان قنط يقنط اطي ويدل على ذلك اجماعهم في قوله قنطوا وحكى ان يقنط لثان وهذا يدل على ان يقنط أكثر لأن مضارع فعل يعني على يفعل ويفعل وحجة من قرأ لنجومه قوله ونبيينا الذين آمنوا وحجة من قرأ بالتخفيف قوله فأنجاه الله من النار وقدرت بالتخفيف لغة في قدرت يدل على ذلك قول العذلي

ومفرقة عس قدرت لساقتها فخرت كاتابع الريح بالتقلد

والمنى قدرت ضربي لساقتها فخرتها فحذف لدلالة الكلام عليه فمن قرأ قدرنا مختصاً كان في معنى التشديد

﴿ اللغة ﴾

الضيف هو المضيء إلى غيره لطلب القرى وهو يقع على الواحد والاثنتين والجمع لأنه في الأصل مصدر
وصف به وقد يجمع بالأضياف والمضيوف والضيفان والرجل الخوف يقال رجل يوجل ويوجل ويوجل ويوجل
إذا خاف والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة والخطبة والحرم المقطع عن الحق إلى الباطل وهو القاطم لنفسه عن
الحاسن إلى القبيح والناير الباقي فيمن يهلك قال الشاعر

فأوفي محمد مذن غفر له إلا له ما مضى وما غير

-(العراب)-

سلاماً منصوب على المصدر كأنهم قالوا سلمنا إلا آل لوط قال الزجاج هو استثناء ليس من الأول وقوله
الا امرأته استثناء من الباء والميم في قوله إنا لننجيهم وقوله قدرنا أنها لمن النابرين في معنى علمنا أنها لمن النابرين
قال أبو عبيدة في الآية معنى فقهي كان أبو يوسف يتأوله فيها وهو أن الله استثنى آل لوط من المحرمين ثم استثنى
امرأة لوط من آل لوط فخرجت امرأته في التأويل إلى القوم المحرمين وكذلك كل استثناء في الكلام إذا جاء بعد
استثناء آخر دعا للمعنى إلى أول الكلام كقول الرجل لفلان علي عشرة دراهم إلا أربعة إلا درهما فإنه يكون
اقراراً بسبعة وكذلك لو قال له علي خمسة إلا درهما إلا ثلثاً كان اقراراً بأربعة وثلاث

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد عقبه بذكر قصة ابراهيم (ع) وقوم لوط مصداقاً لما ذكره وارشاداً إلى
الدلالة بالمجمل على الآجل فقال (ونبيهم من ضيف ابراهيم) اي وأخبرهم عن اضياف ابراهيم (إذ دخلوا
عليه) يعني الملائكة وإنما سلمهم ضيفاً لأنهم جاءوه في صورة الاضياف (فقالوا سلاماً) اي سلموا عليه سلاماً
على وجه الدعاء والتحية ويشروه بالولد ويهلك قوم لوط (قال) ابراهيم (إنا منكم وولون) أي خائفون
(قالوا لا توجل) أي لا تخف (إنا نبشرك) أي نبشرك بما يسرك (بنلام سليم) اي بولد يكون غلاماً إذا
ولد ويكون علياً إذا بلغ (قال) ابراهيم (ابشروني بالمولود) على أن معني الكبير) أي في حال
الكبر الذي يوجب اليأس عن الولد (فيم تبشرون) أيأس الله تعالى فأفق به أم من جهة اتسكم ومعنى معني
الكبر غيرني الكبير عن حال الشباب الذي يطعم في الولد إلى حال الهرم وقيل معناه عن رأس الكبير (قالوا
بشرناك بالحق) أي قالت الملائكة لابراهيم إنا بشرناك بذلك على وجه الحقيقة بأمر الله (فلا تكن من التاقلين)
اي الياقين فأجابهم ابراهيم (ع) بأن (قال ومن يقطع من رحمة ربه إلا الضالون) أي ومن الذي يأس من
رحمة الله وحسن أخاذه إلا المادلون عن الحق الضالون عن طريق الهدى المجهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ
الكبير وهذا القول من ابراهيم (ع) يدل على أنه لم يكن قانعاً ولكنه استبعد ذلك ففتت الملائكة قوطاً
فنفى ذلك عن نفسه (قال) ابراهيم (ع) بعد ذلك الملائكة (فاخطبكم إنا المرسلون) أي ما الأمر الجليل
الذي يشتم له وما أشأكم وسامهم مرسلين^١ لما علم أنهم ملائكة (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) أي مذنبين
وقيل كافرين أخبروه بهلاكهم واقتصر على هذا لأن من المعلوم أن الملائكة إنا يرسلون إلى المجرمين لهلاك
(إلا آل لوط) استثنى منهم آل لوط وهم خاصته وعشيرته وإنما استثناهم منهم وإن لم يكونوا مجرمين من حيث
كانوا من قوم لوط وعن يث اليم وقيل إن معناه لكن آل لوط (إنا لننجيهم أجمعين) أي نخلصهم أجمعين من
العقاب (إلا امرأته) استثنى امرأة لوط من آل لوط لأنها كانت كفرة (قدرنا إنا لمن النابرين) اي من
الباقيين في المدينة مع المهلكين اي قضينا أنها تهلك كما يهلكون

قوله تعالى (٦١) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطَ الْمُرْسَلُونَ (٦٢) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٣) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٤) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٥) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٦) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٧) وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٨) قَالَ إِنَّ هُوْلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٩) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَمْزُورِ الْكَلِمَ (٧٠) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْمَالِيَنِ (٧١) قَالَ هُوْلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧٢) لَمَرْكَ إِنْهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ اثنتا عشرة آية

❖ الفحة ❖

الاسراء سير الليل يقال سرى يسري سرى وأسرى إسماء لغتان قال امرؤ القيس
سريت بهم حتى تكمل مطيهم
وحتى الجياد ما يقدن بأرسان
والقطع كأنه جمع قطعة مثل يسرة ويسر وتمر والاتباع اقفاء الأثر والاتباع في الذهب والاقفاء
يعنى وخلافه الاجتماع والادبار جمع دبر وهو جهة الخلف والقبيل جهة القدام وقد يكمن بهما عن الفرج والدابر
الاصل وقيل ان الدابر الآخر وعقب الرجل دابره والعمر والعمر واحد غير انه لا يجوز في القسم إلا بالنسب
لأن الفتح اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلمري ولعمرك فلزموا الألف

❖ الاعراب ❖

ان دابر هولا مقلوع موضع ان نصب بأنه بدل من ذلك الأمر لأنه تفسيره ويجوز أن يكون نصبا على
حذف الجار فكأنه قال وقضينا اليه بأن دابرهم مقطوع وقوله مصبحين نصب على الحال ويستبشرون أيضا في
موضع نصب على الحال - لمرك مرفوع على الاجتماع وغيره محذوف والتقدير لمرك قسمي او لمرك ما قسم به
ولا يستعمل اظهار هذا الخبر قال الزجاج ان باب القسم يحذف معه القيل نقول والله لا أقبل وبالله لا أنفلس
والمعنى احلف بالله فحذف الفعل للمعلم به فكذلك حذف خبر الاجتماع لدلالة الكلام عليه

- المعنى -

ثم اخبر سبحانه ان الملازمة لما خرجوا من عند ابراهيم «ع» اتوا لوطا «ع» يشرونه هلاك قومه فقال
(فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون) وإنما قال لم لوط ذلك لأنهم جاءوه على صفة المردعي
هيئة وجمال لم ير مثلهم قط فأنكر شأنهم وقيل انه اراد اني انكر كبريائهم فأنسك لميتش فلي (قالوا)
بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي بالصلاب الذي كانوا يشكون فيه إذا خوفتهم به (وأتيناك بالحق) أي
بالصلاب المستيقن به (وإنا لصادقون) فبما أخبرناك به وقيل معناه وأتيناك بأمر الله تعالى ولا شك ان امره سبحانه
حق (فأسر بأهلك) قطع من الليل (ومعناه سر بأهلك بدر ما يضي أكثر الليل ويبقى قطعة منه (واتبع ادبارهم)
أي اتفقت أثرهم وسكن وراءهم لتسكون عيناه عليهم فلا يتخلف احد منهم (ولا يلتفت منكم احد) أي
لا يلتفت احد منهم إلى ما خلف وراءه في المدينة وهذا كما يقول القائل امض لشأنك ولا ترجع على شيء وقيل
لا ينظر احد منهم وراءه لئلا يروا الصلاب فيزعجوا ولا يحتمل قلبهم ذلك عن الحسن وإبي مسلم (وامضوا حيث
تؤمرون) أي اذهبوا إلى الموضع الذي امركم الله بالذهاب اليه وهو الشام عن السدي (وقضينا اليه ذلك الامر)

اي أعلمنا لوطا وأخبرناه وأوحينا اليه ما تنزل به من العذاب (أن داير هو لاء مقطوع) يعني أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح وهو قوله مصبحين أي داخلين في وقت الصبح والمراد انهم مسأولون بالعذاب وقت الصباح على وجه لا يبقى منهم اثر ولا نسل ولا عقب (وجاء اهل المدينة يستنشقون) يبشر بعضهم بعضا ينزل من هو في صورة الاضياف بلوط ولوطا فرحوا طمعا في ان ينالوا الفجور منهم (قال) لوط لم (إن هو لاء ضيفي فلا تفصحون) فيهم والفضيحة الزام العار والشتار بالإنسان ومعناه لا تلزموني فيهم عاراً بقصدكم ابهام بالسوء (واتقوا الله) باجتناب معاصيه (ولا تفحزون) في ضيفي وانزوي الاتهام اليك الذي يستحي منه (قالوا) اولم تهلك عن العالمين معناه اولم تهلك لن تحيى احداً او تضيف احداً قال الجبائي وهذا القول إنما كان من لوط لقومه قبل أن يعلم انهم ملائكة بنوا لإهلاك قومه وإنما ذكر موثقاً وهو في المعنى مقدم كما ذكر في غير هذه السورة (قال) لوط لم وأشار إلى بياته لصلبه (هو لاء جاتي) فتزوجهن إن كان لكم رغبة في التزويج عن ابن عباس والحسن وقادة وقوله (إن كنتم فاعلين) كناية عن التكاح إن كنتم متزوجين قيل وإنما قال ذلك لروءاء الذين يكونون الاتباع وقد كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ وقد كان ذلك ايضاً جائزاً في صدر شريعتنا ثم حرم عن الحسن والجبائي وقيل انهم كن بنات قومه عرضن عليهم بالتزويج والاستغناء بهن عن الذكر ان الأول اوضح (لعمر ك) أي وحياتك يا محمد ومدة بقائك حيا وقال المبرد هو دعاء ومعناه أسأل الله عمرك قال ابن عباس ما خلق الله عز وجل ولا ذراً ولا يراً قسماً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله القسم بحياة احد إلا بحياته فقال لعمر ك (إنهم في سكرتهم يعمهون) ومعناه انهم لفي غفلتهم يتعمهون وينردون فلا يبصرون طريق الرشد

قوله تعالى (٧٣) فَاخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٤) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ (٧٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٦) وَإِنَّا لَنَسِيرٌ مُّنتَهٍ (٧٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَإِن كَانِ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَنظَالِمِينَ (٧٩) فَأَن تَقْمِنَا مِنْهُمْ وَإِنهَآ لِيَا مَمُوتٍ (٨٠) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ (٨١) وَأَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨٢) وَكَانُوا يَسْتَحْيُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتًا آمِنِينَ (٨٣) فَاخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ (٨٤) فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ اثنتا عشرة آية

(- القراءة -)

قرأ جميع القراء الأيكة هاءاً لأنها مكتوبة بالألف الا ورسا عن نافع فإنه يترك الهزلة ويرد حركتها إلى اللام

الحكمة

إذا خفت الهزلة في الأيكة وقد ألحقها الألف واللام حذفتها وألغيت حركتها على اللام ويجوز فيه إذا استأنف لثنتان فمن قال الحمر قال الأيكة ومن قال الحمر قال الأيكة

(- اللفظ -)

الأيكة الشجر الملتف وجمعها أيك مثل شجرة وشجر قال امية

كبكا الحمام على فرو ع الأيك في الطير الجوانح

وقيل الأيكة النضرة والقوس الناظر في السمة الدالوحي العلامة ويقال وصمت الشيء ومما إذا أثرت فيه بسمة

ومنه الوصي اول المطر لأنه يسم الارض بالنبات وتوسم الرجل طلب كلاً الوصي قال
وأصبحن كاللوم التواعم غنوة على وجهة من طاعن متوسم
وتوسم فيه اخبر إذا عرف سمة ذلك فيه والأمام الطريق والإمام اللين اللوح المحفوظ والإمام في اللغة هو
المتقدم الذي يتبعه من بعده - الحبر اخذ من الحجر الذي هو اللحم ومنه سمي القل حجراً لأنه يتبع من القلائع
❀ الاعراب ❀

انصب قوله مشرقين ومصبحين على الحال - يقال اشرقوا وهم مشرقون اذا صادفوا شروق الشمس وهو
طلوعها كما يقال اصبحوا اذا صادفوا الصبح فمعنى مشرقين مصادفين لطلوع الشمس وان في قوله وان كان
اصحاب الأيكة مخففة من الثقيلة آتئين منصوب على الحال

❀ المعنى ❀

ثم اخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط فقال (فأخذتهم الصيحة مشرقين) اي اخذهم الصوت
الحائل في حال شروق الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) معنى تفسيره في سورة
هود (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) معناه ان فيها سبق ذكره من اهلاك قوم لوط لدلالات المتكسرين
المتبرين عن قتادة وابن زيد وقيل للمتفرسين عن مجاهد وقد صح عن النبي ﷺ انه قال اتقوا فراسة
المؤمن فإنه ينظر جور الله وقال إن لله عبادة يعرفون الناس بالتوسم ثم قرأ هذه الآية وروي عن ابي عبد الله (ع)
انه قال نحن الموصوفون والسبيل فينا مقيم والسبيل طريق الجنة ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره (وانها
ليسيل مقيم) معناه ان مدينة لوط لطريق مسلكها يسلكها الناس في حوائجهم فينظرون إلى آثارها ويبتعدون بها
لأن الآثار التي يستدل بها مقيمة تاجرة بها وهي مدينة سدوم وقال قتادة ان قري لوط قوم بين المدينة والشام
(إن في ذلك لآيات) أي عيرة ودلالة (للمؤمنين) وخص للمؤمنين لأنهم هم الذين اتقواها (وإن كان
اصحاب الأيكة للظالمين) واصحاب الأيكة هم أهل الشجر الذين ارسل اليهم شعيب (ع) وارسل الى أهل
مدائن فأهلكوا بالصيحة واما اصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة التي استرقوا جوارها عن قتادة وجماعة من المفسرين
ومعنى الآية انه كان اصحاب الأيكة للظالمين في تكذيب رسولهم وكانوا اصحاب غياض فصاحبهم الله تعالى
بالحر صيحة ايام ثم أنشأ سبحانه سبحانه سحابة فاستظلوا بها يلتمسون الروح فيها فلما اجتمعوا تحتها ارسل منها صاعقة
فأحرقتهم جميعاً (فانقمنا منهم) أي من قوم شعيب ومن قوم لوط أي عذابنا بما اتقنناه منهم والانتقام هو
المجازاة على جناية سابقة وفرق علي بن عيسى بين الانتقام والمقاب بأن الانتقام هو تقيض الانعام والمقاب هو
تقيض اللواب (وانها لإمام بين) معناه وان مدينتي قوم لوط واصحاب الأيكة بطريق يوم ويجمع ويهتدى به
عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقاتدة وصبي الطريق وإماماً لأن الإنسان يومه وقيل معناه وان حديث مدينتها
لمكتوب مذكور في اللوح المحفوظ او حديث لوط وحديث شعيب عن الجبائي فيكون نظيره قوله وكل شيء
أحصيناه في إمام بين وبين المبين لظاهره ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم صالح فقال (ولقد كذب اصحاب الحجر
الموسلين) والحجر اسم البلد الذي كان فيه قوم ثمود وإنما سموا اصحاب الحجر لأنهم كانوا سكانه كما يسمى الاعراب
الذين يسكنون البوادي اصحاب الصحارى لأنهم كانوا يسكنونها وقيل ان الحجر اسم لواد كان يسكنها هؤلاء
عن قتادة وإنما قال تعالى الموسلين لأن في تكذيب صالح تكذيب الموسلين لأنه كان يدعوهم الى ما دعا اليه
الموسلون وإلى الإيمان بالموسلين فكان في تكذيب احدهم تكذيب الجميع وقيل بعث الله اليهم رسلاً منهم صالح
عن الجبائي (وآتيناهم آياتنا) اي آتيناهم اصحاب الحجر الحبيج والمعجزات والدلالات الدالة على صدق الأنبياء
وقيل آتيناهم الرسل الآيات عن الحسن (فكأنوا بها) اي عن الآيات (مرفضين) اعرضوا عن التفكير فيها

والاستدلال بها (وكانوا يتحون من الجبال بيوتا آمنين) أي وكان قوم صالح في القوة بحيث يتحون من الجبال بيوتا يسكنونها وكانوا آمنين من خرابها وسقوطها عليهم وقيل كانوا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الموت لموتهم (فأخذتهم الصيحة مصبين) أي فأهلكوا بالصيحة في وقت دخوله في الصباح (لما اغشى عنهم) أي فما دفع عنهم العذاب ولم يقتلهم (ما كانوا يكسبون) أي يجمعون من المال والأولاد وأنواع الملاذ قوله تعالى (٨٥) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٧) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٨) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَتْ بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٩) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٩٠) كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِبِينَ (٩١) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ صبح آیات

❦ الفقه ❦

عضين جمع عضة واصله عضة فقصت الواو ولذلك جمعت عضين بالنون كقatal عزة وعزون والأصل عزوة والتضعية التفرق مأخوذ من الأعضاء يقال عضيت الشيء أي فرقته وبشفته قال روبة « وليس دين الله بالمضي » وقال آخر

تلك ديار تأزم المآزما
وعضوات تقطع الأهازما

وقيل أصل عضة عضة فحفزت الماء كما حذفت من شفة وشاة وأصلها شفة وشامة بدلالة أن الجمع شفاء وشياه بالماء والتصغير شفة وشوية

❦ المعنى ❦

(وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) معناه وما خلقناها عبثا بل لما اختصته الحكمة وهي انا قد تميدنا أهلها ثم نجازهم بما عملوا (وإن الساعة) وهي يوم القيامة (لا تية) أي جائية بلا شك بعذابهم وقيل بمجازاة الخلاق كلهم وقيل هو تفسير قوله إلا بالحق (فاصفح الصفع الجميل) أي فأعرض يا محمد عن مجازاة المشركين وعن مجاوزتهم وأعرض عنهم فحوا جيلًا واختلف في الآية فقيل أنها مشوقة بآية القتال عن ابن عباس وقطادة ومجاهد والفساك وقيل لا تسخ فيه بل هو فيما بين النبي ﷺ وبينهم لا فيما أمر به من جهة جهادهم أمره بالصفع عنهم في موضع الصفع لقوله فأعرض عنهم وعظمهم عن الحسن قال القاضي والصفع ممدوح في سائر الحالات وهو كالخلم والتواضع وقد يلزمنا الصفع الجميل مع لزوم التشدد في أمر الجهاد وحكي عن علي بن أبي طالب (ع) إن الصفع الجميل هو العفو من غير عتاب وقيل هو العفو بغير تمتين وتوبيخ (إن ربك هو الخلاق) للاشياء (العليم) جدير خلقه فلا يخفى عليه ما يجري بينكم ويجوز أن يؤيد أن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم أن الصفع أصلح الآن إلى أن يؤمر بالسيف ثم ذكر سبحانه ما خص به نبيه ﷺ من الصم فقال (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) وقد تقدم الكلام فيه وإن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب وهو قول علي (ع) وابن عباس والحسن وابن العلية ومعيد بن جبير وإبراهيم ومجاهد وقطادة وروي ذلك عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليها السلام وقيل هي السبع الطوال وهي السور السبع من أول القرآن وإنما سميت مثاني لأنها ينشئ فيها الاختيار والمبر عن ابن عباس في رواية أخرى وابن مسعود وابن عمر والفساك وقيل المثاني القرآن كله لقوله كتابا مثانيه مثاني عن أبي مالك وطائوس وروي نحو ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومن قال هي فاتحة الكتاب

اختلوا سيفسبب تسميتها مثافي فقيل لأنها تنقى قراءتها سيف الصلاة عن الحسن وإبي عبد الله (ع) وقيل لأنها تنقي بها مع ما يقرأ من القرآن عن الزواج وقيل لأن فيها التناء مرتين وهو الرحمن الرحيم وقيل لأنها مقسومة بين الله وعبيده على ما روي في الخبر وقيل لأن نصفها ثناء ونصفها دعاء وقيل لأنها نزلت مرتين متظليما وتشرطالما وقيل لأن حروفها كلها مشاة نحو الرحمن الرحيم إياك وإياك والصراط وصراطا وقيل لأنها تنقي أهل النسق عن النسق ومن قال المراد بالثاني القرآن كله فإن من في قوله من الثاني يكون للتعريض ومن قال انها الحمد كان من الثنيين وقال الرازي

نشدتكم بقول القرآن أم الكتاب السبع من مثافي

ثنتين من أي من القرآن والسبع سبع الطول الدواني

(والقرآن العظيم) تقديره وآيتناك القرآن العظيم وصفه بالعظيم لأنه يتضمن جميع ما يحتاج اليه من أمور الدين بأوجز لفظ وأحسن نظم وأتم معنى (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أي لا ترفعن عينك من هؤلاء الكفار إلى ما متعناهم وأمتعنا عليهم بهامثا لا سيف التمتع من الأموال والأولاد وغير ذلك من زهرات الدنيا فإنها في مرض الزوال والفتنة مع ما يتبعها من الحساب والجزاء وعلى هذا فيكون أزواجا منصوبا على الحال والمراد به الأشباه والأمثال وقيل إن معناه لا تنظرن إلى ما في أيديهم من التمتع التي هي أشباه بشيه بعضها بعضا فإن ما أمتعنا عليك وعلى من أتمك من أنواع التمتع وهي الثبوة والقرآن والإسلام والفنوح وغيرها كثر وأوفر مما أتمكهم وقيل إن معناه ولا تنظرن ولا تظعن سيف عينيك ولا تدمعا إلى ما متعنا به أعتافا من المشركين والأزواج الاصناف ويكون على هذا نمولا به في الله رسوله عن الرغبة في الدنيا فصطر عليه أن يدعيه إليها وكان رسول الله لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا (ولا يحزن عليهم) أي على كتمان قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب عن الكلي وقيل لا تحزن عليهم بما يصيرون اليه من عذاب النار بكفرهم عن الحسن وقيل لا تحزن لأنهم أتمت عليهم دونك عن الجبائي (واخفض جناحك للمؤمنين) أي ألن لهم جانبك وارفق بهم عن ابن عباس والعرب تقول فلان خاضع الجناح إذا كان وفورا سليا وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم خفضه فالمن تواضع للمؤمنين لكي يشمك الناس سيف دينك (وقل آتي أنا التنذير المبين) معناه وقل آتي أنا المعلم يوضح المخافة ليعتق المبين لكم ما تحتاجون اليه وما أرسلت به إليكم (كما أنزلنا على المؤمنين) الذين جعلوا القرآن عضين) أي أن معناه أنزلنا القرآن عليك كما أنزلنا على المؤمنين وهم اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن عضين) أي فرفقوه وجعلوه أعضاء كأعضاء الجوز فأمثروا ببعضهم وكفروا ببعضه عن قتادة قال آمنوا بما وافق دينهم وكفروا بما خالف دينهم وقيل ساهم مقتسمين لأنهم اتسموا كتب الله تعالى فأمثروا ببعضهم وكفروا ببعضه عن ابن عباس والآخر أن معناه آتي أنذركم عذابا كما أنزلنا على المؤمنين الذين اتسموا طرق مكة يصلون عن رسول الله ﷺ والإيمان به قال مقاتل وكانوا ستة عشر رجلا بينهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة لا تنفروا بالخارج منا والمديعي الثبوة فأقول الله بهم عذابا فأمثروا شريعتهم ثم وصفهم فقال الذين جعلوا القرآن عضين أي جزأهم أجزاء فقالوا سحر وقالوا أساطير الأولين وقالوا مقترى عن ابن عباس

﴿النظم﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها هو أن الأمم لما خلقوا الحق أهلكوا لأن الله تعالى ما خلق السموات والارض إلا بالحق وإن الساعة آتية الجزاء وإن جميع ما خلق الله يرجع إلى عالم بديوه واتصل قوله ولقد آتيناك سبحا من الثاني بقوله فاصنع الصنع الجليل فإنه سبحانه لما أمره بالفتح عن أذنانهم بين ما خضع الله به من العلم وما له من الحجة عليهم واتصل قوله كما أنزلنا على القول الأول بهذا أي كما أنزلنا عليهم أنزلنا إليك القرآن وعلى

القول الثاني يصل بقوله انا الذي

قوله تعالى (٩٢) فَوَرِّكَ لَئْسَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٤) فَاصْدَعْ
بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَمْجُلُونَ مَعَ
أَهْلِ آلِهِ آخَرٍ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٨) فَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٩) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ثَمَانِي آيَات

﴿ الفة ﴾

الصدع والفرق والفصل نظائر وصدع بالحق إذا تكلم به جهارا قال ابو ذؤيب
كَأَنَّهُن رِيَابَةٌ وَكَأَنَّهُ

والصدع الصبح قال « كَانَ يَاضُ غَرَمَهُ الصَّدِيعُ »

﴿ الاعراب ﴾

فاصدع بما تومر ان جعلت ما معنى الذي كان العائد من الصلة إلى الموصول محذوفا ويكون تقديره على
استعمال الضيغة فيه فاصدع بما تومر بالصدع به ثم تحذف الياء التي في في في فاصدع ولا يجوز الاضافة
مع لام المعرفة فتعذف لام المعرفة توصلا يحذف إلى الاضافة فيصير بما تومر بصدعه ثم يحذف المضاف ويقم
المضاف إليه مقامه فيبقى بما تومر به ثم يحذف حرف الجر على حد قولك امرتك الخير في امرتك بالخير فيصير بما
تومره ثم تحذف العائد المنصوب من الصلة على ما قد تكرر بيانه في مواضع فيصير بما تومر وهذا من لطائف
امرار النحو وإن جعلت ما مصدرية كان على تقدير فاصدع بالأمر كما تقول عجب عجب مما فعلت والتقدير عجب
من فعلك ولا يحتاج هنا إلى عائد يعود إلى ما لأنه حرف وحكي يؤنس التصوي عن رؤيته أنه قال في هذه
القطعة اصصح ما في القرآن

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه كفرهم بالقرآن وتمضيهم له بين حبيب ذلك لبيبه ^{والتعريف} انه ^{والتعريف} يسألهم عما فعلوه وبما جازهم
عليه فقال (فوريك) يا محمد (لستلهم اجمعين) اسلم نفسه وأضاف نفسه إلى نبيه ^{والتعريف} تشريفا له وتنبها
للخلق على عظيم منزلته عنده لئلا هو لاء الكفار سؤال توبيخ وتقرع بأن قول لهم لم عصيت وما جعلكم
في ذلك فيظهر عدد ذلك خزيمه وفيضيتهم عدد تمرد الجواب (عما كانوا يعملون) معناه عما عملوا فيها عملوا
عن سفیان بن عيينة وقيل عن لا إله إلا الله والإمام يرسله عن الكلبي وقيل عما كانوا يعملون وبماذا أجازوا
المسلمين عن أبي العالية (فاصدع بما تومر) أي اظهر وأعلن وصرح بما أمرت به غير خائف عن ابن عباس وابن
جريج ومجاهد وابن زيد وقيل معناه فافرق بين الحق والباطل بما أمرت به عن الجبائي والأخفش وقيل أين ما تومر
به وأظهره عن الزجاج قال السدأويل الصدع في الزواج وفي الحائضان تبين بعض الشيء عن بعض (وأعرض عن
المشركين) أي لا تخاضهم إلى أن تومر بتألمهم وقيل معناه لا تلحق اليهم ولا تخف عنهم عن أبي مسلم وقيل
وأعرض عن عبادهم إذا أدرك عن الجبائي (إنا كفييناك المستهزين) أي كفييناك شر المستهزين واستهزاهم
أهل كتابهم وكانوا نخبة قريش الماصين بالوفا والوليد بن المغيرة وأبو زمعهو الأسود بن المطلب والاسود بن عبد
بنو شالح بن قيس بن ابن عباس وصعيد بن جبير وقيل كانوا ستة رهط عن محمد بن ثور وسادسهم الحارث بن
الطلاطة وأمه عيلة قالوا وأبى جبرائيل الذي ^{والتعريف} والمستهزون يطوفون بالبيت مقام جبرائيل ورسول الله إلى

جبه فمر به الوليد بن المغيرة المخزومي فأوى يده إلى ساقه فمر الوليد على قين غزاة وهو يمر ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فتمسه الكبير أن يخفض رأسه فيزعيها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضا حتى مات ومرو به العاص بن وائل السهلي فأشار جبرائيل إلى رجله فوطئ العاص على شوكة فدخلت في اخمص رجله فقال لدغت فلم يزل يحكمها حتى مات ومرو به الاسود بن المطلب بن عبد مناف فأشار إلى عينه فعمي وقيل رماه بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك ومرو به الاسود بن عبد بنو فأسار إلى بطنه فاستسقى فمات وقيل أصابه السموم فصار اسود فأتى أهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول قلبي رب محمد ومرو به الحارث بن الطلائع فآوى إلى رأسه فاستغط فبيحا فمات وقيل إن الحرث بن قيس أكل حوتا ملحا فأصابه العطش فما زال يشرب حتى أهدأ بطنه فمات ثم وصفهم سبحانه بالشرك فقال (الذين يعملون مع الله إما آخر) أي اتخذوا معه إلهًا يعبدونه (ف سوف يعلمون) هذا وعيد لهم وتهديد (ولقد نمل لك) يا محمد (يضيق صدرك) أي قلبك (بما يقولون) من تكذيبك والاستهزاء بك وهذا تعزية من الله تعالى لبيه وتطيب لقلبه (فبسمحمد ربك) أي قل سبحانه الله وبمحمد (وكن من الساجدين) أي المصلين عن الضحاك وابن عباس قال - وكان رسول الله ﷺ إذا سزته أمر فزع إلى الصلاة وقيل مناه أحمد ربك على نعمة اليك وكن من الذين يسجدون لله ويوجهون بعبادتهم إليه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي إلى أن يأتيك الموت عمن ابن عباس والحسين وعماهد وقيل حتى يأتيك اليقين من الخير والشر عند الموت عن قتادة وسمي الموت يقينا لأنه موث به ويحتمل أن يكون أراد حتى يأتيك العلم الضروري بالموت والخروج من الدنيا الذي يزول منه التكليف قال الزجاج المني عبد ربك أبد الآبدين ولو قال عبد ربك بنير توقيت لجاز أن يكون الانسان مطيعا إذا عبد الله مرة فلا ذنابل حتى يأتيك اليقين فقد أمر بالإقامة أبدا ما دام حيا

(سورة النحل)

ارسلن آية من أولها مكية والباقي من قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا ليوثهم إلى آخر السورة مدنية عن الحسن وقطادة وقيل مكية كلها غير ثلاث آيات نزلت في انصراف النبي ﷺ من أحد وإن صافتم صافقوا إلى آخر السورة نزلت بين مكة والمدينة عن ابن عباس وعطاء الشامي وفي إحدى الروايات عن ابن عباس بعضها مكية وبعضها مدني فالله من أولها إلى قوله ولكم عذاب عظيم والمدني قوله ولا تشعروا بهد الله ثمنا قليلا إلى قوله بأحسن ما كانوا يعملون

﴿ عدد آياتها ﴾

مائة وثان وعشرون آية ليس فيها اختلاف

﴿ فضلها ﴾

أبني بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها لم يحاسب الله تعالى بالنعم التي أنعمها عليه في دار الدنيا وأعطى من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية وإب مات في يوم تلاحوا أو ليلة كان له من الأجر كالنبي مات فأحسن الوصية وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر «ع» قال من قرأ سورة النحل في كل شهر كفي للفرق في الدنيا وسبعين نوعا من أنواع البلاء أهوته الجنون والجذام والبرص وكان مسكنة في جنة عدن وهي وسط الجنان

﴿تفسيرها﴾

لا تخف الله سبحانه سورة الحجر يوعيد الكفار كان افتتاح هذه السورة يوعيدهم ايضاً فقال
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) اَنِّي اَمُرُّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ
 (٧) يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُوا آيَاتِنَا

﴿القراءة﴾

تشركون بالله كوفي غير عاصم والياقون بآلاء الملائكة بفتح التاء والزاي والتشديد ورفع للملائكة
 روح وزيد عن يعقوب وسهل وهي قراءة الحسن والياقون ينزل بالياء بكسر الزاي ونصب الملائكة وابن كثير
 وابو عمرو يحفظان ينزل على أصلها وكذلك رويس عن يعقوب والياقون يشددون

﴿اللمعة﴾

قيل ان التيسير بالتشديد في اللمعة على اربعة اقسام ﴿الاول﴾ التنزيه كقوله سبحانه الذي أمرني ﴿والثاني﴾ بمعنى الامتناء كقوله لولا تسبحون أي تستنون بقولكم إن شاء الله ﴿والثالث﴾ بمعنى الصلاة كقوله
 فلولا انه كان من المسبحين ﴿والرابع﴾ بمعنى النور كما جاء في الحديث فلولا سبحات وجهه أي نوره والروح
 يأتي على عشرة اقسام الروح حياة النفوس بالارشاد والروح الرحمة كما ورد في القراءة فروح وربان والروح
 النبوة كقوله بقي الروح من أمره على من يشاء من عباده والروح عيسى روح الله لأنه خلق من غير بشر وقيل
 من غير فعل وقيل لكونه رحمة على عباده بما يدعوم إلى الله والروح جبرائيل (ع) والروح الفصح يقال أحييت
 النار يروحي أي يضيئ قل ذو الرمة يصف الزند والزندة

فلما بدت كفيته وهي طفلة بطلساء لم تكل خراعاً ولا شبرا

وقلت له ارفعها اليك وأحيا بروحك واقته لها قيته قدرا

والروح الوحي في قوله وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا وقيل انه جبرائيل والروح ملك في السماء من
 اعظم من خلق الله فإذا كان يوم القيامة وقف صفاً والملائكة كلهم صفاً والروح روح الانسان وقال ابن عباس
 في الانسان روح وقس فالنفس هي التي يكون فيها التمييز والكلام والروح هو الذي يكون به التليط والنفس
 فإذا نام العبد خرجت منه وبقي روحه وإذا مات خرجت منه وروحه ما

﴿اللمنى﴾

(أنى أمر الله) فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان معناه قرب أمر الله تعالى بمقاب هؤلاء المشركين
 المتبينين على الكفر والتكذيب عن الحسن وابن جريج قال الحسن ان المشركين قالوا اني نزلنا بسباب الله
 فقال سبحانه ان أمر الله أت وكل ما هو آت قريب دان ﴿وثانيها﴾ ان امر الله احكامه وفرائضه عن
 الضحاك ﴿وثالثها﴾ ان امر الله هو يوم القيامة عن الجبائي وروي نحوه عن ابن عباس وعلى هذا الوجه
 فيكون أنى بمعنى يأتي بوجه وقوع الماضي مهنا لصدق الخبر بما اخبر به فصار بمنزلة ماقد مضى ولأن سبحانه قريب
 أمر الساعة فجعله اقرب من ملح البصر وقال اقربت الساعة (فلا تستعجلوه) خطاب للمشركين المكذبين يوم
 القيامة ولعذاب الله المستعجلين به وكانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم فامطر علينا حجارة من
 السماء وتقديره قل هؤلاء الكفار لا تستعجلوا القيامة والعذاب فإن الله سيأتي بكل واحد منها في وقته وحسبه

كما تقتضيه حكمته (سبحانه وتعالى عما يشركون) هذه كلمة تنزهه الله تعالى عما لا يليق به وصفاته وتنزيهه له من أن يكون له شريك في عبادته أي جل وتقدس وتنزه من أن يكون له شريك تعالى وتعظم وارتفع من جميع صفات النقص (ينزل الملائكة) أي ينزل الله الملائكة أو تنزل الملائكة (بالروح من أمره) أي بالوحي عن ابن عباس وقيل بالقرآن عن ابن زيد وهما واحد وصحي روحا لأنه حياة القلوب والنفوس بالإرشاد إلى الدين وقيل بالنبوة عن الحسن وقوله من أمره أي بأمره بأمرة الله أي بأمره لأنه لا أحد لا يحفظه من أمره (على من يشاء من عباده) بمن يصلح للنبوة والفاخرة بينه وبين خلقه (أن انذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) هنا تفسير الروح المنزل وبطل منه فإن المعنى تنزل الملائكة بأن انذروا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا أي مروه بوحيدي وبأن لا يشركوا بي شيئا ومعنى فاتقون فاتقوا مخالفتي وفي هذا دلالة على أن الغرض من بقية الأفياء الانذار والدعاء إلى الدين

﴿ التعليل ﴾

وجه اتصال قوله سبحانه وتعالى بما تقدم أن الكفار كانوا يستعجلون العذاب على وجه التكذيب به ويكذبون البعث والقيامة فيبين سبحانه أنه منزه عما يصفون به فإن الحكيم إذا كلف وجب أن يجازي المكلف بترك المجازاة فيبعث وقيل أنهم كانوا ينكرون قدرة الله تعالى سبحانه على إعادة الخلق فنزه نفسه عن قولهم واتصل قوله ينزل الملائكة بما تقدم فإنه سبحانه لا أوعدهم بالعذاب بين أنه ينزل الملائكة للتخويف وأنه لا يأخذ أحداً من المشركين حتى يستجيب عليه بالنذر وقيل أنه سبحانه بين أن الحال حال التكليف لا حال أول العذاب وإن الصلاح الآن أنزل الملائكة إلى النبي ﷺ بالوحي والكتاب للانذار ويان الأدلة ولذلك اتبعه بذكر الأدلة .

قوله تعالى (٣) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٥) وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٦) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٧) وَنَحْمِلُ أَسْفَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّيْسَ بِكُفْرَانًا بِاللَّهِ إِلَّا يَشُقُّ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر يثقب الأنفس بفتح الشين والباءون بكسرها

﴿ الحجة ﴾

الشيء والشيء بكسر الشين ونحوها يعني وكلاهما المشقة قال عمرو بن ملقط وهو جليلي « وأخيل قد قميت أربابها الشيء » وقد تشعب الرواية والرواية بفتح الشين

﴿ اللغة ﴾

الأنعام جمع نموي الإبل والبقر والغنم سميت بذلك لعمدة مشيها يختلف الحافر الذي يصلب مشيها والدف ما استندت به ودفق يومتا دفقا فهو دفي والراحة رد الماشية بالمشي من مراعيها إلى مراكها والمكان الذي يراعى فيه مراح والسرور خروج الماشية إلى المرعى بالنعدة يقال سرحت الماشية سرحا وسرحا وسرحا أهلها قال

كأن بقايا الأثر فوق متونه مدب الدبا فوق النفا وهو سارح والاتقال جمع التقل وهو المتاع الذي يتقل حمله

✽ الاعراب ✽

والانعام منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده والتقدير وخلق الانعام خلقها وقوله لكم فيها دفء جملة منصوبة الموضم على الحال من الانعام والتقدير كأنه بهذه الصفة

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر بحث الملائكة للاقتدار وبيان التوحيد وشرائع الاسلام اتبعه سبحانه بالاحتجاج على الخلق بالخلق وتعداد صنوف الانعام فقال (خلق السماوات والارض والخلق) ومثله انه خلقها السيد ليسا على معرفته ويتوصل بالنظر فيها إلى العلم بكل مقدورته وسكنته وقيل خلقها لينتقم بها في الدين والدنيا وليعلم بالخلق (تعالى عما يشركون) أي تقدس عن أن يكون له شريك ثم بين سبحانه دلالة أخرى فقال (خلق الإنسان من نطفة) والنطفة الماء القليل غرانه بالعارف صار اسماء النمل (فأذا هم خصم مبين) اختصرها هنا ذكر قلب احوال الإنسان لذكره ذلك في امسكة كثيرة من القرآن فالمنى انه خلق الإنسان من نطفة سيالة ضيقة مهينة دبرها وصورها بعد أن قلبها حالا بعد حال حتى صارت انسانا يتأصم عن نفسه ويدين عما في ضميره فينب سبانه انقص لحوال الإنسان ولكنها منها على كمال قدرته وعظمته وقيل غصيم مجاهد بالباطل مبين ظاهر الخصومة عن ابن عباس والحسن فعلى هذا يكون المعنى انه خلقه وسكنته فأخذ يخاصم في نفسه وفيه تريض فاحش ما اوتى به الإنسان من تضييق حق نعمته الله عليه ثم بين سبحانه نعمته في خلق الانعام فقال (والانعام خلقها) مثله وخلق الأنعام من الماء كما خلقكم منه يدل عليه قوله والله خلق كل دابة من ماء واكثر ما يتناول الأنعام الابل ويتناول البقر والتم ايضا وفي اللغة هي ذوات الاخفاف والاخلاف دون ذوات الحوافر (لكم فيها دفء) أي لباس عن ابن عباس ومجاهد وقيل ما يستدفأ به ما يعمل من صوفها ووبرها وشعرها عن الحسن فيدخل فيه الاكسية واللحف والمدرسات وغيرها قال الزجاج اخبر سبحانه أن في الأنعام ما يدفئنا ولم يقل ولكم فيها ما يكتفكم من البرد لأن ما سدر من الحر متر من البرد وقال في موضع آخر سراويل تقيكم الحر فظم انها تقي البرد ايضا فكذلك هاهنا وقيل ان مثله وخلق الانعام لكم أي للمنافعكم ثم ابتداء وأخبر وقال فيها دفء من الحسن وجماعة (ومتافم) مثله ولكم فيها منافع اخر من الحمل والركوب والثارة الأرض والزرع والنسل (ومنها تأكلون) أي ومن لحومها تأكلون (ولكم فيها جمال) أي حسن منظر وزينة (حين تربون) أي حين تردونها إلى مراعيها وهي حيث تأوى إليه ليلا (وحين تسرحون) أي حين تسفلونها بالهداة إلى مراعيها واحسن ما يكون النعم إذا راحت نظاما ضرورها مستلثة بطونها متضبة اسنمتها وكذلك إذا سرحت إلى المراعي رافقة وورسها فيقول الناس هذه جمال فلان ومواسيه فيكون له فيها جمال (وتحمل انتقالكم) أي امتنحكم (إلى بلد لم تكونوا باليه إلا بشق الأنفس) أي وتحمل الإبل وبضن البقر احوالكم التحيلة إلى بلد بعيدة لا يمكنكم أن تبلغوه من دون الأجمال إلا بكلفة ومشقة تلحق انفسكم فكيف تبلغونه مع الاحمال لولا أن الله تعالى سخر هذه الانعام لكم حتى حملت انتقالكم إلى أين شئتم وقيل إن الشئ نعمته الشطر والنصف فيكون المراد الابان يذهب شطر قوتكم أي نصف قرة الأنفس وقيل مثله تحمل انتقالكم إلى مكة لأنها من بلاد الغلات عن ابن عباس وعكرمة (إن ربكم لروؤف) أي ذو رافة (رحيم) أي ذو رحمة ولذلك انعم عليكم بخلق هذه الانعام ابتداء منه بهذه الانعام

قوله تعالى (٨) وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْحَبِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩)
وَعَلَىٰ أَفْئِدَةٍ قَصْدٍ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَكَوْشَاءٌ لَّهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٠) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١١) بَنَيْتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ

وَالْأَعْنَابُ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٢) وَسَفَرٌ لَّكُمْ اللَّيْلُ
وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْفَرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٣)
وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حماد ويحيى عن أبي بكر عن عاصم ثبت بالثون والباثون بالياء وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم
مسفرات كلها بالرفع وقرأ حصص من عاصم والشمس والقمر بالنصب والنجوم مسفرات بالرفع وقرأ الباقون
كل ذلك بالنصب

(- الحجة -)

من قرأ يثبت بالياء فلما تقدم من قوله هو الذي أتى قاليا اشكل بما تقدم من الافراد الثون لا يتنم ايضا
ويقال ثبت البقل وأثبت الله قال ابو علي والنصب في قوله والشمس والقمر احسن ليكون مطروعا على ما قبله ودخلا
في امرابه ألا ترى أن ما في التنزيل من نحو قوله وكلا ضربنا له الامثال والظالمين اعد لهم عذابا باليا يختار فيه
النصب ليكون مثل ما يطفئ عليه ومشاكلا له فكذلك هنا إذا حمل ذلك على التفسير كان اشبه فلون قلت فقد
جاء مسفرات بهذه الاشياء المنصوبة المصوبة على سفر فلون ذلك لا يتنم لان الحال تكون مؤكدة ومجيئ
الحال مؤكدة في التنزيل وغيره كثير فقوله وهو الحق مصدقا وانا ابن دارة معروف « وكفى بالناهي من اساءه
كان » ويقرى النصب قوله تعالى وسفر لكم الشمس والقمر دائبين فكما حمل هنا على التفسير كذلك في الاخرى
وكذلك النجوم قد حملت على التفسير في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر
وكان ابن عامر قطعه من سفر ثلاثا بجعل الحال مؤكدة فابتدأ الشمس والقمر والنجوم وجعل مسفرات خبراعها
ويدل على جواز ذلك انه إذا جاء سفر لكم الشمس والقمر والنجوم علم من هذا انها مسفرات فجاز الاخبار
بالتفسير عنها لذلك وأما حصص فلوننا رفع والنجوم مسفرات لانه لا يصح أن يقال وسفر النجوم مسفرات قطعا
مقابلها فلي هذا يكون حجة من نصب أن يقدر فلا آخر وتقديره وجعل النجوم مسفرات

﴿ الفحة ﴾

التقص استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا قصد إلى ما يريد والرائد المائل من الحق والشجر ما ينبت
من الأرض وقام على ساق وله ورق وجمعه اشجار ومنه المشجرة لتدخل بعض الكلام في بعض كشدخل ورق
الشجر وقال الازهري الشجر ما ينبت من الأرض قائم على ساق أو لم يقيم ليسون من الاسامة يقال أسست الايل
إذا رميتها واطلقها فترعى متصرفة حيث شئت وسامت هي إذا رعت وهي تسوم وإيل سائمة ويقال سميتها إذا
قصرتها على مرعى بينه وسميتها الحنف إذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل سيم فلان خفا إذا ذل واحتضم
قال الكسيت في الاسامة.

واما كان مسجى ففقدناه وقد المسيم هلك السوام

وقال آخر

وأسكن ما عسكت يظن واد وأعلن إن ظننت فلا اسيم

وذهب قوم إلى أن السوم في السيم من هذا لأن كل واحد من المتباينين يذهب فيما يبيعه من زيادة فمن ارتقصاته
إلى ما يهواه كما تذهب الساعة حيث شئت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فسله قوم على أن

المواشي لا تمام قبل طلوع الشمس ثلاثين وحده آخرون على أن البيع في ذلك الوقت مكروه لأن البيع لا يتكرر عبوه فيدخل في بيع التمر المنهي عنه والذئب انطواد الشيء بالبحر يصاد به ذئباً وذئباً وفطره واقتاده نفاذه وملح ذئباً في ظاهر الياض

الاعراب

نصب النحل والنبال والحكيم على انها مفعول في المعنى أي وخلق النحل والنبال والحكيم ونصب زينة لأنها مفعول للمعنى وخلقها زينة وما ذئباً ما يحسب الذي يورثه نصب على تقدير وخلق ما ذئباً لكم وقيل هو في موضع الجواب بالظن على ذلك أي أن في ذلك وفيها ذئباً لكم . مستقلاً نصب على الحال والواو ناهية

المعنى

ثم صنف سبحانه على ما عده من صنوف انعامه فقال (والنحل) أي وخلق لكم النحل (والنبال) والنبال الحبوب لتركبوها في حوائجكم وتصرفاتكم (وزينة) أي ولتزينوا بها من الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم من الحبوب ما يركبونه ويتجملون به وليس في هذا ما يدل على تحريم أكل لحومها وقد روى البخاري في الصحيح مرفوعاً إلى أسماء بنت أبي بكر قالت أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ﷺ (ويخلق ما لا تعلمون) من أنواع الحيوان والنبات والحديد لئلا تفككم (وعلى الله قصد السبيل) أي يبين قصد السبيل عن ابن عباس ومعناه واجب على الله في هداه يبين الطريق المستقيم وهو يبين الهدى من الضلالة والحلال من الحرام ليقيم الهدى والحلال ويختبئ الضلالة والحرام وهذا مثل قوله إن علينا هدى (ومنها جائر) معناه من السبيل ما هو جائز أي عاقل من الحق (ولولاهم لهداكم أجمعين) إلى قصد السبيل بالأولياء والقهر فلو أنه قادر على ذلك وقيل معناه لهداكم إلى الجنة والثواب تفضلاً من الجاني وأبي مسلم وقيل إن معنى الآية وعلى الله المرء ومن الطريق التي المر فيها على الله جائز وكلاهما على الله لا يخرج أحداً عن قبضته وحكمه كقوله إن ربك لم يرصد وقيل على الله مريد السبيل القصد والسبيل الجائر واليه مرجع كل واحد منهما لا يخرج واحد عن سلطانه ولو أراد أن يجعل الجميع على الحق لفعل ومن عدل عن الطريق المستقيم فليس ذلك لعجز من الله تعالى ثم عد سبحانه نعمة أخرى دالة على وحدانيته فقال (هو الذي أنزل من السماء ماء) أي مطراً (لكم منه شراب) أي لكم من ذلك الماء شراب تشربونه (ومنه شجر) فيه وجاهت **﴿﴾** أحدهما **﴿﴾** أن يكون المراد منه شرب شجر أوسني شجر فحذف المضاف والآخر أن يكون المراد من جهة الماء شجر ومن سقيه وأنباه شجر فحذف المضاف إلى الماء في منه كما قال زهير

بجوامدة الدراج فالتشام

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

أي أمن ناحية أم أوفى وقال أبو ذؤيب

فبت أخاله دهما خلاجا

أمنك البرق أرقبه فهاجا

أي أمن جهتك وقال الجديدي

بقيت على حجاج خلون طوال

لن السديار عفون بالتهاطل

أي على مر حجاج والمعنى وبنت منه شجر نبات (فيه تسميون) أي ترعون انعامكم من غير كلفة والتزام موصلة لعلها (بنبت لكم به الزرع والزيدون والنخيل والأعاب ومن كل الثمرات) أي بنبت الله لكم بذلك اللط هذه الأشياء التي عددها لتتفمروا بها (إن في ذلك لآية) أي دالة وحجة واضحة (قوم

يتفكرون) فيه فيعرفون الله تعالى به وخص المتفكرين فيه لأنهم المتفكرون به (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر) قد مضى بيانه والسخرير في الحقيقة للشمس والقمر لأن النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر الى وقت غروب الشمس والليل حركات الشمس تحت الأرض من وقت غروب الشمس الى وقت طلوع الفجر إلا أنه سبحانه أجرى السخرير على الليل والنهار على سبيل التجوز والاتساع (والنجوم مسخرات بأمره) مضى بيانه (إن في ذلك) السخرير (آيات) أي دلالات (لقوم يعقلون) عن الله وينبشون أن السخرير لذلك على هذا تقدير الذي لا يختلف لأجل منافع خلقه ومصالحهم والمدير لذلك قادر عالم حكيم (وما ذره لكم في الأرض) أي سخر لكم ما خلقه لكم في الأرض أي لقوام أبدانكم من الملابس والمطاعم والمتاع من انواع الحيوان والنبات والمعادن ومائر النسم (مختلفة الألوانه) لا يشبه بعضها بعضاً (إن في ذلك لآية) أي دلالة (لقوم يذكرون) أي يتفكرون في الأدلة فينظرون فيها ويشعطلون ويشعرون بها

قوله تعالى (١٤) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلُّوْا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَنَسَخَّرْ جُؤًا مِنْهُ حَلِيَةً تَلْبَسُوْنَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيْهِ وَلِتَبَيَّنُوْا مِنْ فَضْلِهِ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُوْنَ (١٥) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّ أَنْ يَقْبِضَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لِّمَلَكُمْ تَهْتَدُوْنَ (١٦) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُوْنَ (١٧) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ (١٨) وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الحسين وبالنجم بضم النون

﴿ الحجة ﴾

هو جمع نجح مثل سقف وسقف ودرهم ودرهم

﴿ الفة ﴾

المخرشق الماء من عن بين وشال مخرت السفينة الماء تمخر مخرها فهي مخرقة والمخر أيضا صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها ومخر الأرض شقها للزراعة ومخرها بالماء إذا أرسل عليها الماء لتنطيب والمهد الميل ميمنا وشالا وهو الاضطراب ماد يمد مينا والعلامة صورة يمل بها المعنى من خط أو لفظ أو إشارة أو هيئة وقد تكون رضية وقد تكون يرهانية

﴿ الاعراب ﴾

قوله أن يقيد بكم في موضع نصب بأنه مقول له وتقديره كراهة أن يقيد بكم وانتصب قوله وانهارا لوسبلا بمحذوف تقديره وجعل لكم انهارا لدلالة قوله التي عليه لأنه لا يجوز أن يكون عطفا على التي وشله قوله فلفتها تبتا وما بارداه وقول الآخر

تسمع في اجوافهم صردا وفي اليدئ جساء ويردا

أي وترى في اليدئ يسا وقرقا وعلامات منصوب عطفا على قوله وانهارا وسبلا وقيل وخلق لكم علامات

المعنى

ثم عدد سبحانه نوما آخر من انواع نعمه فقال (وهو الذي سخر البحر) اي ذله لكم وسهل لكم الطريق الى ركوبه واستخراج ما فيه من المنافع (لتأكلوا منه لما) اي تصطادوا منه انواع السمك وأكلوا حمله (طريا) ولا يجوز ان يهزم طريا لأنه من الطراوة (وتخرجوا منه حلية) يعني اللآلئ التي تخرج من البحر بالنوص (تلبسوها) وتزينونها بها وتلبسوها تضاءلوا ولا تسخيرها سبحانه ذلك لكم لما تقدم على الدون منه والنوص فيه (وترى الفلك مواهر فيه) اي ترى أيها الإنسان السفن شواق في البحر وقواطع الماء من مكرمة وقيل جوارى من ابن عباس (ولتبشروا من فضله) اي والفرح به للتجارة وتطلبوا من فضل الله تعالى (ولعلكم تشكرون) اي ولكي تشكروا الله على نعمه ليفيدكم منها وييسر لكم والوار انما دخلت في ذلك للدلالة على ان الله سبحانه أراد جميع ما ذكره انما منه على عباده (والقي في الأرض رواسي) اي جبالا عالية ثابتة واحدها راسية (ان قيد بكم) الأرض اي كراهة ان قيد بكم أولئنا قيد بكم اي تحرك وتضطرب (وانهارا) اي وجبل فيها انهارا (وسبلا) اي طرقا لكي تجروا الماء في الانهار إلى بساتينكم وحيث تريدون وتهتدوا بالطرق إلى حيث شئتم من البلاد وقيل أراد بالأنهار التيل والفرات ودجلة وسيمان وجيمان وأمثالها (لعلكم تهتدون) قد ذكرنا منها وقيل تهتدوا بها الى توحيد الله (وعلامات) وجبل لكم علامات اي معالم تعلم بها الطرق وقيل العلامات الجبال يهتدى بها نهارا (وبالنجم هم يهتدون) ليلا من ابن عباس والمراد بالنجم الجنس اي جميع النجوم الثابتة وقيل تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتداء وبالنجم هم يهتدون وقيل ان العلامات هي النجوم ايضا لأن من النجوم ما يهتدى بها ومنها ما يكون علامات لا يهتدى بها من قتادة ومجاهد وقيل أراد به الاحتذاء في القلة قال ابن عباس سألت رسول الله ﷺ عنه فقال الجدي علامة قبلكم وبه تهتدون في يوم مجركم وقال ابو عبد الله (ع) نحن العلامات والنجم رسول الله ﷺ وقال ان الله جعل النجوم أمانا لأهل السماء وجبل أهل بيتي أمانا لأهل الأرض (أفمن يخلق كمن لا يخلق) معناه أفمن يخلق هذه الأشياء في استحقاق العبادة والركنية كالأصنام التي لا تخلق شيئا حتى يسوى بينها في العبادة وبين خالق جميع ذلك (أفلا تذكرون) اي أفلا تذكرون أيها المشركون فتعيرون وتعرفون ان ذلك من الخطأ الفاسد وجبل من في الابل لما اتصل بذكر الخلق ثم عطف سبحانه على ذلك تذكركم نعمه فقال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) معناه (وإن أردتم تعداد نعم الله سبحانه عليكم ومعرفة تفاصيلها لم يمكنكم احصاؤها ولا تمليدها وإنما يمكنكم ان تعرفوا جملها بين سبحانه ان من وراء النعم التي ذكرها نعماء لا تحصى (ان الله لغفور) لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه (رحيم) بكم حيث لم ينقطعها منكم بتقصيركم في شكرها

قوله تعالى (١٩) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُلْكَونَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢١) أَمْوَالٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَتَانُ يَمْشُونَ (٢٢) إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاَلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بآلَاخِرَةٍ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٣) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَكْتُمُونَ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ

القرأة

والذين يدعون بالياء عاصم غير الاعشى والرجسي عن ابي بكر ويعقوب وسهل والباقران باتنا.

الحجة -

من قرأ آياتنا فلا نوابه وما قبله خطاب ومن قرأ بالياء وجه الخطاب الى النبي ﷺ ويكون الخبر عن المشركين

المعنى

لا قدم سبحانه الدماء إلى عبادته بذكر نعمة وكمال قدرته عقب بيان علمه بسيرة كل أحد وعلى نيته ثم ذكر بطلان الإشراف في عبادته فقال (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) أخبر سبحانه أنه يعلم ما يسرونه وما يظهره فيجازيهم على أفعالهم إلا بما يخفى عليه الجلي والخي من أحوالهم (والذين يدعون من دون الله) إنما لا يفلحون شيئا وهم يظنون) يعني الأصنام لا يمكنها خلق شيء بل هي مخلوقة مربية منهموت من الحجر والخشب ونحوها مما هو مخلوق فله تعالى ثم قال (اموات) أي هي اموات (غير أحياء) أكد كونها اموات بقوله غير أحياء. لنفي الحياة عنها على الإطلاق فإن من الاموات من سبق له حالة في الحياة وله حالة منتظرة في الحياة بخلاف الأصنام فإنه ليس لها حياة سابقة ولا منتظرة وقال موات ولم يقل اموات وإن كان الاموات جمع الميت الذي كان فيه حياة فزالت لأنهم صور والأصنام على صور العقلاء. وهياتهم وعملوها معاملة العقلاء تسمية واعتقادا ولذلك قال لا يفلحون شيئا وهم يظنون (وما يشعرون أيا نبيشون) مثناه وما تشع هذه الأصنام متى بحث عن القراء وقيل في الآية أن معناه هم اموات يعني أن الكفار في حكم الاموات لأنها بهم غن الحق والدين ولا يدرون متى يمشون وقيل أن المعنى لا تدري الأصنام متى يبعث الخلق من الجاني وأيان في موضع نصب يمشون وقرئ في الشواذ إيان بكسر المعزة والتثنية اقصر واصح ثم خاطب سبحانه عباده فقال (إلهكم إله واحد) لا يقدر على ما يستحق به العبادة من خلق أصول النعم سواء فاقبوا على عبادته (فالذين لا يؤمنون بالآخرة فسيولهم منكرة) أي جاعدة للحق تستبعد ما يرد عليها من المواقف (وهم مستكبرون) من الانتقاد للحق ذاهبون عنه دافون له من غير حجة والاستكبار طلب الترفع بترك الإذعان للحق ثم قال سبحانه (لا جرم) أي حقا وهو بقوله المين قال الحليل وهو كلمة تحقيق ولا يكون إلا جوابا لقول فطوا كذا فيقول السامع لا جرم يندمون وقال الزجاج معناه حتى أن الله ووجب أن الله ولا رد لقولهم قال الشاعر

ولقد طمعت أبا عينة طمعة جرمت فزادة بعدها أن يقضوا

المعنى احقت فزادة بالنصب وقال أبو مسلم أصله من الكسب فكأنه قال لا يحتاج في معرفة هذا الأمر إلى اكتساب علم بل هو معلوم (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) وهذا تهديد لهم بأنه عالم بجميع أحوالهم فيجازيهم على أفعالهم وأفعالهم (أنه لا يجب المستكبرين) أي المتكبرين الذين يفتنون أن يكونوا أتباعا للآباء أي لا يريد ثوابهم وتطعيمهم

قوله تعالى (٢٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَطَائِرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ (٣٦) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَىٰ اللَّهُ بِبَنَاتِهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْمَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٧) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَقَوْلُ الْبَنِ سُوءٌ كَامِلٌ الَّذِينَ كُنتُمْ تَسْتَفْتُونَ فِيهِمْ قَالِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٨) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَوْءٍ إِلَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليس مثوى التَّكْبِيرِينَ

ست آيات

(القراءة)

قرأ نافع وحده تشاقرون بكسر النون والباقيون بفتحها وقرأ حمزة وخلف في الموضعين يتوفاهم بالياء. والباقيون بالياء. وفي الشواذ قراءة مجاهد عليهم السقف بضم السين وروي عن أهل البيت (ع) فأني بينهم من القواعد

(الحجة)

قد تقدم الوجه في قراءة نافع في سورة الحجير عند قوله فهم تبشرون فأما قراءة حمزة يتوفاهم بالياء فلأن الفعل مقدم والامالة حسنة في هذا النحر من الفعل ومن قرأ بالياء فلأن الجملة مؤنثة كما جاء. وإذا قالت الملائكة



قد مضى معنى الأساطير والأوزار في سورة الانعام والقواعد الأساس والروضة القاعدة وقواعد المردج مشيات اربع مقرضات في اسفله وتشاقق الخلاف في المعنى وتشاقق تكوتون في جانب والمسلمون في جانب ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الإمام وعن جماعة المسلمين شق عصا المسلمين أي صار في جانب عنهم فلم يكن مجتمعا معهم في كلمتهم وهو مأخوذ من الشق الذي هو النصف كأنه صار في شق غير شقهم

(الاعراب)

ما أنزل ما مبتدأ وذاعني الذي والمعنى أنزل ربكم وأساطير مرفوعة على الجواب كأنهم قالوا الذي أنزل أساطير الأولين وتقديره وإذا قيل لهم هذا القول فأنذني قام مقام فاعل قيل هو المصدر لا الجملة لأن الجملة نكرة والفعل يجوز اضماره والمضمر لا يكون قط نكرة بل هو أعرف الطرف وقوله ومن أوزار الذين يضلونهم من زيادة على قول الاخشي اي وازار الذين يضلونهم وعلى قول سيبويه هو صفة مصدر محذوف وتقديره وازاروا من اوزار الذين يضلونهم وما يزدرون في موضع رفع كما يرفع بمد بش ونعم وتقديره وبش الشيء وزرهم فا حرف موصول ويذرون صله وظالمى انفسهم نصب على الحال اي في حال ظلمهم انفسهم

(المعنى)

ثم ابان سبحانه عن احوال المشركين والقولهم فقال (وإذا قيل لهم) اي لمشركي قريش (ماذا أنزل ربكم) على محمد ﷺ (قالوا أساطير الأولين) اي أجدوا فقالوا هذا المنزل في زعمكم هو عندنا لحديث الأ وبن الكاذبة عن ابن عباس وغيره ويروى انها نزلت في المقسمين وهم ستة عشر رجلا خرجوا إلى عقاب مكة ايام الحج على طريق الناس على قل عقبة اربعة منهم ليصدوا الناس عن النبي ﷺ : وإذا سألهم الناس عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا أحاديث الأولين والباطلهم عن الكلابي وغيره (ليحلوا أوزارهم كلمة يوم القيامة) اللام للعاقبة والمعنى كان عاقبة امرهم حين فعلوا ذلك ان حلوا أوزار كفرهم تامة يوم القيامة (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) أي ويضلونهم مع أوزارهم بعض أوزار الذين أضلواهم عن سبيل الله واغروهم عن اتباع الحق وهو وزر الاضلال والاعتراف ولم يحلوا وزر غوايتهم وضلالهم وقوله بغير علم معناه من غير علم منهم بذلك بل جاهلين به وعلى هذا ما روي عن النبي ﷺ انه قال ايا داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل اجرهم من غير ان ينقص من اجرهم شيئا وايا داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليه فإن عليه مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من أوزارهم شيئا (ألا ساء ما يزدرون) أي بش الحيل حيلهم وهو ما يصلونهم من الآثم لأنه إذا تحمل الله ودخل النار كان سببا فكيف إذا تحمله بسبب فعل غيره (قد مكر الذين من قبلهم) أي من قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم من جهة التكذيب وغيره وهذا على سبيل التسلية لتبيننا ﷺ والوعيد لقوم (فأني الله) بنينهم من القواعد (أي أتى اسر الله بنينهم التي بنوها من جوانب قواعدها فهدمها عن ابن عباس قال يعني غرود بن كتمان بن صرحا طويلا ورام منه الصرد إلى الساء ليقاثل اهله أعزبه فأرسل الله رسلا فالت رأس

الصرح في البحر وخر عليهم الباقي وقال الزجاج من القواعد يريد من أساطين البناء التي تعمد وقيل هو تحت نصر
 وقيل إن هذا مثل ضربه الله سبحانه لاستصالحهم ولا قاعدة هناك ولا سقف والمضى فأتى الله مكرهم من أصله
 أي عاد ضرر المكر عليهم وبهم عن الزواج وابن الأباري وهذا الوجه أيق بكلام العرب كما قالوا أتني فلان
 من مأمنه أي الله الهلاك من جهة مأمنه ولما أسند سبحانه الإتيان إلى نفسه من حيث كان تحريب قواعدهم من
 جهته (فخر عليهم السقف من فوقهم) إنما قال من فوقهم مع حصول العلم بأن السقف لا يكون إلا من فوق
 لا أدوجه ﴿ومنها﴾ أنه هو كيد كما تقول لمن خاطبته قلت أنت كذا وكذا وكما يقال مشيت ورجلي وكلمت
 بلساني ﴿ومنها﴾ إنما قال ذلك ليدل على أنهم كانوا تحت الإنسان فديقول ليتي قدتهم علي وإن لم يكن
 هو تحتهم ﴿ومنها﴾ إن يكون علي في قوله فخر عليهم بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم
 أي خر عن كفرهم وجسدتهم بالله وآياته والمواد من أجل كفرهم كما يقال اشتكى فلان من دواء شربه وعلى
 دواء شربه أي من أجل الدواء قال الشاعر «أرسي عليها وهي فرع اجسم» أراد أرمي ضار ولولا علي هذا
 المعنى فخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم لجاز أن يتهم متهم إن السقف خرو ليس لهم تحت والعرب لا تشمل
 لفظة علي في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه (وألمهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي جاءهم
 عذاب الاستئصال من حيث لا يعلمون لأنهم ظنوا أنهم علي حق فكانوا لا يتوقعون العذاب وهذا مثل قوله
 فاتهم الله من حيث لم يحتسبوا (ثم يوم القيامة ينزيهم) معناه ثم أنه تعالى مع ذلك يذللهم وينضهم يوم القيامة
 على رؤوس الخلائق ويعينهم بالعذاب أي لا يقتصر بهم على عذاب الدنيا (ويقول) على سبيل التوبيخ لهم
 والتعجيب (أين شركائي) الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة على زعمكم (الذين كنتم تشاقون فيهم)
 أي تعادون المؤمنين على قراءة فتح التورون وعلى الكسر تعادوني فيهم (قال الذين أوتوا العلم) بالله تعالى أريدته
 وشراكم من المؤمنين وقيل هم الملائكة عن ابن عباس (إن الحزني اليوم والسوء على الكافرين) أي إن الهوان
 اليوم والعذاب الذي يسوء على الجاحدين لنعم الله المنكروين لتوحيدهم وصدق رسله (الذين تتوفاهم الملائكة
 ظالمي أنفسهم) الذين في موضع جر بأنه بدل من الكافرين أو صفة لهم ومعناه الذين يقبض ملك الموت وأمراته
 أرواحهم فآثروا الدنيا وهم ظالمون لأنفسهم بإصرارهم على الكفر (فآثروا السلم) أي استسلموا للحق وانقادوا
 حين لا ينفعهم الاتقياد والأخذان (ما كنا نعمل من سوء) أي يقولون ما كنا نعمل عند أنفسنا من سوء أي من
 معصية فكذبهم الله تعالى وقال بلى قد علمتم (إن الله عليم بما كنتم تعملون) في الدنيا من المعاصي وغيرها
 وقيل أنه يقول لهم ذلك المؤمنون الذين أوتوا العلم والملائكة (فادخلوا أبواب جهنم) أي طبقت جهنم
 ودخلكا (خالدين فيها فليس مثنى المتكبرين) أي يس مقل المتعظمين عن قبول الحق واللام لتوكيد
 قوله تعالى (٣٠) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا
 فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَبَرٌ وَلَعِمَ دُولُ الْمُتَّقِينَ (٣١) جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا
 غُرُوبٌ مِّنْ ثَمَرِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣٢) الَّذِينَ تَرَوُا تَمَثَّلُوا لَمْ يُغْنِ
 عَنْهُمْ الْعِلْمُ بِمَا يُفْعَلُ وَلَا يَنْفَعُهُمْ شَأْنُهُمْ يَلْمِزُونَكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَنزَلَ حُسْنًا وَمَا يَحْكُمُونَ (٣٣) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن
 تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن
 كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٤) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ

﴿ الإعراب ﴾

ماذا أنزل ربكم ما وذا هنا كالشيء الواحد وتقديره أي شيء أنزل وبكم وخيرا منصوب على أنه جواب ماذا أي أنزل خيرا وقوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يجوز أن يكون تقديرا لقوله خيرا ويجوز أن يكون ابتداء كلام ولهم دار المتقين المخصوص بالمدح محذوف للمعنى ولهم دار المتقين دار الآخرة والمبين لقوله دار المتقين جنات عدن وتقديره هي جنات عدن فيكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون جنات عدن مرتفعة بالابتداء وتكون المخصوصة بالمدح والتقدير جنات عدن نعم دار المتقين

(المعنى) -

لا قدم سبحانه ذكر أقوال الكافرين فيما أنزله على نبيه ﷺ عقبه بذكر أقوال المؤمنين في ذلك فقال (وقيل للذين اتقوا) الشرك والمأصبي وهم المؤمنون (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي أنزل الله خيرا لأن القرآن كله هدى ونشأ وغير (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه للمحسنين في هذه الدنيا حسنة مكافأة لهم وهي الثناء والمدح على أسنة المؤمنين والهدى والتوفيق للأحسان (ولدار الآخرة خير) أي وما يصل إليهم من الثواب في الآخرة خيرا ما يصل إليهم في الدنيا ويجوز أن يكون الجعم من كلام المتقين وإجاز الحسن والزجاج كلا الوجهين وقوله (ولهم دار المتقين) أي والآخرة نعم دار المتقين الذين اتقوا صواب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقيل معناه ولهم دار المتقين الدنيا لأنهم تناولوا بالصل فيها الثواب وإجزاء من الحسن وقيل معناه ولهم دار المتقين (جنات عدن يدخلونها) كما يقال نعم الدار دار يزلها (تجري من تحتها الأنهار) سبق معناه (لهم فيها ما يشاؤون) أي يشتهون من النعم (كذلك يجزي الله المتقين) أي كذلك يجازي الله الذين اتقوا معاصيه (الذين تروغاهم الملائكة طيبين) أي طيبين الأعمال طاهري القلوب من دنس الشرك وقيل معناه طيبة نفوسهم بالمصير إليه لطمعهم بما لهم عنده من الثواب وقيل طيبين أي صالحين بأعمالهم الجميلة وقيل بطيب وفاتهم فلا يكون صورية فيها (يقولون سلام عليكم) أي تقول الملائكة سلام عليكم أي سلامة لكم من كل سوء (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) قيل أنهم لما بشروهم بالسلامة صارت الجنة كأنها دارهم وهم فيها قروهم ادخلوا الجنة بمعنى حصلت لكم الجنة وقيل إنما يقولون ذلك عند خروجهم من قبرهم (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك) قد مضى تفسيره في سورة البقرة والاتباع (كذلك فعل الذين من قبلهم) أخبر سبحانه أن الذين مضوا من الكفار فعلوا مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل وجحد التوحيد فأهلهم الله فأ الذي يؤمن هؤلاء من أن يهلكهم الله (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسم يظلمون) بالمأصبي التي استحقوا بها الهلاك (فأصابهم سيئات ما عملوا) أي عقاب سيئاتهم فسمى العقاب سيئة كما قال وجزاء سيئسيئة مثلها (وحاق بهم) أي وحل بهم جزاء (ما كانوا يستهزئون)

قوله تعالى (٣٥) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَقُلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٦) وَلَقَدْ بَشَّرْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رُسُلًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٧) إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هَذَا فَمَنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة لا يهدي بفتح الياء، والباء تون بضم الياء، وفتح الدال ولم يخففوا في يضل انها مضمومة الياء، مكسورة الضاد

(- الحجة -)

قال ابو علي الرابع على اسم ان هو الذكر الذي في قوله يضل في قراءة من قرأ يهدي ومن قرأ يهدي فمن جعل يهدي من هديته جاز ان يعود الذكر الفاعل الذي فيه إلى اسم ان ومن جعل يهدي في معنى يهتدي وجعل من يضل مرتقا به فالراجع إلى اسم ان الذكر الذي في يضل كما كان كذلك في قول من قال يهدي والراجع إلى الموصول الذي هو من الياء المحذوفة من الصلة تقديره يضل والمضى ان من حكم باضلاله كفره وتكذيبه فلا يهدي ومثل هذا المعنى قوله فمن يهديه من يهد الله تقديره من يهد اضلال الله إياه والمفعول محذوف أي من يهد حكمه باضلاله ومن قرأ لا يهدي فهو في المعنى كقول من يضل الله فلا هادي له وهذا كقول والله لا يهدي القوم الظالمين وقوله وما يضل به إلا الفاسقين فموضع من نصب بيدي وقد قيل ان يهدي في معنى يهتدي بدلالة قوله لا يهدي الا ان يهدي فموضع من على هذا وقع كما انه لو قال يهدي كان كذلك وقوله لا يضل من قولك ضل الرجل واضله الله أي حكم باضلاله كقولك كفر زيد وكفره الناس أي نسبوه إلى الكفر فقالوا انه كافر كما ان اسقته قلت له سقاك الله قال ذو الرمة

واسقيه حتى كاد مما ابته تكلمي احجاره وملاعبه

- اللمة -

البلاغ والابلاغ ايصال المعنى إلى الغير والحرص طلب الشيء مجدا واجتهاد يقال حرص حرصا وحرص حرصا يحرس يحرس بكسر الراء في الماضي وفتحها في المستقبل لمة وقد روي في الشواهد عن الحسن واوامهم ان حرص بفتح الراء والأول لمة أهل الحجاز والأصل من السحابة الحارصة وهي التي تقشر وجه الأرض وشعبة حارصة التي تقشر جلدة الرأس وكذلك الحرص كان صاحبه ينال من نفسه لشدة اهتمامه بما هو حريص فيه

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى حكاية قول المشركين فقال (وقال الذين اشرکوا) مع الله إلها آخر (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) أي لو أراد الله ما عبدنا من دونه شيئا من الأصنام والأوثان (نحن ولا آباؤنا) الذين اتبعنا بهم (ولا حرمتنا من دونه من شيء) من البهيرة والسائبة وغيرهما بل شاء ذلك منا وأراد بذلك فعلنا فأنكر الله سبحانه هذا القول عليهم وقال (كذلك) أي مثل ذلك (فصل الذين من قبلهم) من الكفار والضلال كذبوا رسل الله وجحدوا آياته قالوا مثل قولهم وقولوا مثل فعلهم (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليس عليهم إلا إبلاغ الرسالة وقد سبق بيان مثل هذه الآية في سورة الانعام (ولقد بشتا في كل أمة) أي في كل جماعة وقرن (رسولا) كما بشتاك يا محمد رسولا إلى امتك (ان اعبدوا الله) أي يقول لهم اعبدوا الله (واجتنبوا الطاغوت) أي عبادة الطاغوت وأن هذه هي الفسرة ويعني بالطاغوت الشيطان وكل داع يدعو إلى الضلالة (ففهم من هدى الله) معناه ففهم من هداه الله بأن لطف له بما علم انه يؤمن بحده فأنفس ذلك اللطف هداية ويعجز ان يريد فهم من هداه الله إلى الجنة بإيمانه ولا يجوز ان يريد بالهداية هنا نصب الأدلة كما في قوله فأما ثمود فهديناهم لآلئهم سبحانه سوى سبغ ذلك بين المؤمنين والكافرين (ومنهم من حقت عليه الضلالة) معناه ومنهم من اعرض عما دعاه اليه الرسول فخذله الله فثبتت عليه الضلالة ولزمته فلا يؤمن قط وقيل معناه وجبت عليه الضلالة وهي العذاب والهلاك وقبل معناه ومنهم من حقت عليه عقوبة الضلالة عن الحسن وقد سعى الله سبحانه المقاب ضلالا بقوله ان المجرمين في ضلال وسر (فسيروا في الأرض) أي ارض المكذبين الذين

عاقبهم الله ان لم تصدقوني (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي فانظروا كيف حقت عليهم العقوبة وحلت بهم فلا تسلكوا طريقهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم (ان تحرص على هدام) أي على ان يؤمنوا بك فإن الله لا يهدي من يضل (هذا تسلية لبي) ^{وَلَا يَسْتَرْجِعُ فِي دَعَائِهِ لَنْ لَا يَفْلَحَ بِالْإِجَابَةِ لَانْعَاكِهِ فِي الْكُفْرِ} وأشار على ان ذلك ليس لتقصير وقع من جهته ^{وَلَا يَسْتَرْجِعُ} واعلامه انهم لا يؤمنون أبداً واذا كانوا هكذا فإن الله لا يهديهم بل يضلهم على المعنى الذي فسره الله قبل (وما لم من ناصرين) أي ليس لهم من ناصر يتصرم ويخلصهم من العقاب وفي هذا بيان ان الاضلال في الآية ليس المراد به ما ذكره اهل الجبر

قوله تعالى (٣٨) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٤٠) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ثَلَاثُ آيَاتٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب وبس مثله والباقيون بالرفع

﴿ المحبة ﴾

من نصب فإنه يحمه على ان قال الزجاج الرفع على فهو يكون على معنى ان ما أراد الله فهو يكون بالنصب على غيرين ^{﴿ احدهما ﴾} ان يكون عطفا على ان تقول ^{﴿ والآخر ﴾} ان يكون نصبا على جواب كن قال ابو علي ان الذي أجاز من النصب على ان يكون جواب كن لم يميز أحد من اصحابنا غيره لأن كن وان كان على لفظ الأمر فليس المقصد به هنا الأمر انا هو والله اعلم ^{﴿ الاخبار ﴾} عن كون الشيء وحدونه

﴿ الاعراب ﴾

جهد ايمانهم مصدر وضع موضع الحال والتقدير يجتهدون اجتهدا في ايمانهم وهذا مثل قولهم طلبته جهداً أي تجهد جهداً وعداً منصوب لتوكيد المعنى فإن المعنى على يعيثنهم الله وعد الله ذلك وعدا. وقوله ليبيّن الامم فيه يتعلق بالبعث ايضا أي يعيثنهم ليبيّن لهم وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ويجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أي ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ليبيّن لهم اختلافهم وقولنا مرفوع بالاقتداء وخبره ان تقول والمعنى انما قولنا لكل مراد قولنا له كن

— التناول —

فالوا كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه فوقع في كلامه والذي ارجوه بعد الموت انه لكنا فقال المشرك وانك لتزعم انك تبث بعد الموت واقسم بالله لا يبث الله من يموت فانزل الله الآية عن اهل العالية

— المعنى —

ثم حكى سبحانه عن المشركين نوعا آخر من كفرهم فقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي حلفوا بالله مجتهدين في ايمانهم والمعنى انهم قد بلغت في القسم كل مبلغ (لا يبث الله من يموت) أي لا يبشر الله أحداً يوم القيامة ولا يحيي من يموت بعد موته ثم كذبهم الله تعالى في ذلك فقال (لي) يحشرهم الله ويعيثنهم (وعدا) وعدمه به (عليه) المجازة وتحقيقه من حيث الحكمة (حقا) ذلك الوعد ليس له خلف اذ لو لا البعث لما حسن التكليف لأن التكليف انما يصح للإثابة من عرض به (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) صحة ذلك لكفرهم بالله وجحدهم نية أنبيائه وقيل لا يعلمون وجه الحكمة في البعث فلا يؤمنون به (ليبيّن لهم الذين يختلفون فيه) هذا بيان من الله تعالى انما يبشر الخلائق يوم القيامة ليبيّن لهم الحق فيما كانوا فيه يختلفون فيه في دار الدنيا

لأنه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيامة الذي يزول معه التكليف (وليس الذين كفروا منهم كانوا كاذبين في الدنيا في قولهم ان الله لا يبعث احدا بعد موته واذا تلقى اللام بقوله ولقد بشنا غلثي بشنا إلى كل أمة رسولا ليبن لهم ذلك الرسول ما يخفون فيه ويهديهم إلى طريق الحق وينبهم عليه (انا قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) قد ذكرنا نفسه في سورة البقرة والمراد به هاهنا بيان انه قادر على البعث لا يتعد عليه ذلك فإنه اذا أراد شيئا كانه

قوله تعالى (٤١) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِيْ آهْوِيْن بَعْدَ مَا ظَلَمُوا لَبِئْسَ نَتِيْجَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤٢) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٤) يَا بَنِيَّاتِ وَالْزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أربع آيات

القراءة

قرأ حصص نوحى بالنون وقد تقدم ذكره في سورة يوسف وروى عن علي (ع) لتوبتهم بالفاء والقراءة لتوبتهم بالياء

-(الحجة) -

قال ابن سني نصب حجة ههنا أي نفس اليهم إحسانا ووضع حجة موضع الإحسان كأنه واحد من الحسن دال عليه ودل قوله لتوبتهم على ذلك الفصل لأنه إذا اقرهم على الفصل بأطالة مذهبهم فقد احسن اليهم كما قال ليستغفروهم في الأرض كما استغفروهم من قبلهم وذلك ضد ما يعمل بالمصالح الذين يمتثلهم بذنوبهم وجرائم أفعالهم

التنزيل

الآية الأولى نزلت في المذنبين بمكة مثل صهيب وعمار وبلال وخباب وغيرهم مكنتهم الله بالمدينة فذكر ان صهيبا قال لأهل مكة انا رجل كبير ان كنت معكم لم ينفعكم وان كنت عليكم لم يضركم فغضبوا مالي ودعوني فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر ربح البيع يا صهيب ويرى ان عمر بن الخطاب كان إذا أعطى احدا من المهاجرين عطاء قال له غنمنا ما وعدك الله في الدنيا وما آخره لك أفضل ثم تلا هذه الآية

المعنى

(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) متناه والذين فارقوا أوطانهم وديارهم وأهلهم فراراً بدينهم واتباعاً ليهبهم في الله أي في سبيله لاجتناء مصلحته من بعد ما ظلمهم المشركون وعدوهم بمكة وبخسهم حقوقهم (لتوبتهم في الدنيا حسنة) أي بلدة حسنة بدل أوطانهم وهي المدينة عن ابن عباس وقيل لتعطيتهم حالة حسنة وهي النصر والفتوح وقيل ما استولوا عليه من البلاد ونصح لهم من الولايات (ولأجر الآخرة أكبر) مما أعطيتهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي لو كان الكفار يعلمون ذلك وقيل متناه لو علم المؤمنون تفاصيل ما أعد الله لهم في الجنة لآذادوا مروراً وحسراً على التمسك بالدين (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) هذا وصف للمؤلاء المهاجرين أي صبروا في طاعة الله على اذى المشركين وفرضوا أمورهم إلى الله تعالى ثقة به ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (وما أرسلنا من قبلك) إلى الأمم الماضية (إلا رجالاً) من البشر (نوحى إليهم) أي

(- القراءة -)

قرأ أولم تروا بالباء أهل الكوفة غير حاصم والباقون بالياء وكذلك في المنكوبت وقرأ أهل البصرة تنقيوه بالياء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

حجة الياء ان ما قبله غيبة وهو قوله ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم اوبأخذهم اولم يروا ومن قرأ بالياء أراد جميع الناس والتأنيث والتذكير في قوله يقيوه خلافاً حينئذ وقد تقدم ذكر ذلك في عدة مواضع

﴿ الفة ﴾

التخوف التنقص وهو ان يأخذ الأول فالأول حتى لا يبق منهم أحد وتلك حالة يخاف منها الفتاة ويتخوف الملاك يقال تخوفه الدهر قال الشاعر

تخوف السير منها تامكا قرأ
أي ينقص السير سنامها بعد نحو كه وقال آخر

تخوف عدوهم مالي واهدي
سلاسل في الخلق لها صليل

قال الفراء تخوفته وتخوفته بالحاء واغذاء اذا تقصت من حافاته قال المبرد لا يقال تخوفته وإنما يقال تخيفته بالياء والتخيف التخلف من الشيء يقال فاء النبي يقى اذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس يستغوبه في المسلمين لما يهود عليهم وقتا بعد وقت من الغراج والتناثم ويمد فاء بزيادة المزة نحو فاء والضعيف نحو فاء الظل وليأه الله فتياً والذي ما نسخه ضوء الشمس والظل ما كان قائماً لم تنسخه الشمس قال الشاعر

فلا الظل من يرد الضحي تستطيع
ولا القي من بعد العشي تذوق
فجمل الظل وقت الضحى لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت وجمع التي اياه وفيه قال
أرى المال اياه الظلال فتارة
يؤوب وأخرى يحيل المال حابه

وقال النابغة الجديدي

فسلام الآله يغدو عليهم
وافاقال عن اليمين على التوحيد والشائل على الجمع لأنه أراد باليمين الإيمان كما قال الشاعر

بني الشامتين الصخر ان كان هدني
رزق شيلي محذوف في الضراغم
والمنى يا فواه وقال آخر

الواردون ويتم في ذرى سبأ
قد غص اعتاقهم جلد الجواميس
والداخر الخاضع الصاغر قال

فلم يبق إلا داخر في مخيس
ومنجحر في غير أرضك في جحر

﴿ المعنى ﴾

ثم اوعى سبحانه المشركين فقال (أن آمن الذين مكروا السيئات) فالتفت لفظ الاستعظام والراد به الانكار ومناه اي شيء آمن هؤلاء القوم الذين ديروا التنازع السيئة في توهين امر النبي ﷺ واطفائه نور الدين وابناء المؤمنين من (ان يخسف الله بهم الارض) من تحطم عقوبة لهم كما خسف بقارون (او يأتيهم المناب من حيث لا يشعرون) قال ابن عباس يعني يوم بدر وذلك انهم اهلكوا يوم بدر وما كانوا يقدرون ذلك ولا يتوقعونه

(أو بأخذهم في تقليم) يعني أو أن يأخذهم المذاب في تصرفهم في أسفارهم وتجارتهم وقيل يريد في تقليم في كل الأحوال لئلا ونهارا فيدخل في هذا تقليم على الفرش بينا وشمالا عن مقاتل (فما هم بمعزيين) أي قليلا بقاتنين وما يريد الله بهم من الملاك لا يمتنع عليه (أو بأخذهم على تخوف) قال أكثر المفسرين معناه على تنقص إما بقتل أو بموت أي ينقص من أطرافهم ونواحيهم فيأخذ منهم الأول فالأول حتى يأتي على جميعهم وقيل معناه في حال تخوفهم من المذاب أي بمنزلة أهل قرية ويخوف به أهل قرية أخرى فيتخوفون أن ينزل بهم من المذاب ما نزل بالاولى عن الحسن وقيل معناه على تنقص من الأموال والأغصان باللبايا والاسقام أن لم يملئهم بعذاب الاستئصال لينبه غيرهم ويترجم عن الجبائي (فإن ربكم لرؤوف رحيم) بكم ومن رآفته ورحمته بكم أنه أمهلهم لتوبوا وترجعوا ولم يعاجلكم بالمعقوبة ثم بين سبحانه دلائل قدرته فقال (أولم يردا إلى ما خلق الله من شيء) معناه ألم ينظروا هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانية الله تعالى وكذبوا به ^{ويعتبرون} إلى ما خلق الله من شيء له ظل من شجر وجبل ونباء وجسم قائم (ينفخ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله) أي ينميل ظلاله عن جانب اليمين وجانب الشمال وأضاف الظلال إلى مفرد ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال لأن الذي يعود إليه الضمير واحد يدل على الكثرة وهو قوله ما خلق الله ومعنى تنفير الظلال بينا وشمالا أن الشمس إذا طلعت وابتدت توجه إلى القبلة كان الظلال قدماكم وإذا ارتفعت كان عن يمينكم فإذا كان بعد ذلك كان خلفكم فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تنفيره عن اليمين والشمائل عن الكلبي ومعنى سجدوا الظل لله دورانه من جانب إلى جانب لأنه مستعمل متفاد مطيع للتسخير وهذه الآية كقوله وظلالهم بالغدو والآمال وقد مر تفسيره وقيل أن المراد بالظل هو الشخص بينه وبدل على ذلك قول علقمة

لما نزلنا رفعا ظل أخية وفار للقوم باللحم المراجيل
ألا ترى أنهم لا ينصبون الظل وإنما ينصبون الأخية ويقوي ذلك قول عماره
كأنهن الفتيات اللص كأن في أظلالهن الشمس
أي في أشخاصهن وقول الآخر

يجب أفياء الظلال عشية على طرق كأنهن سبوح

أي أفياء الشخص فلي هنا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الأجسام التي عنها الظلال (وم داخرون) أي أذلة صاغرون قد نبه الله هنا على أن جميع الأشياء تنخفض له بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومديرها بما لا يلبط ولم يكن لها قوام طرفه عين فهي في ذلك كالسجد من العباد يشله الخاضع بذله ثم قال سبحانه (وهو يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة) أي يسجد لله جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ومعنى من سجد قوله من دابة تبين الصفه أي الذي هو دابة تدب على وجه الأرض (والملائكة) أي وتسجد له الملائكة وتنخفض له بالعبادة وإنما خص الملائكة بالذكر تشريفا لهم ولأن اسم الدابة يقع على ما يدب ويمشي وهم اولو الأجنحة فصفة الطير ان اغلب عليهم (وم لا يستكبرون) عن عبادة الله تعالى وهذا من صفات الملائكة لأنه قال (ينفذون ربه من فوهم ويفعلون ما يؤمرون) وإنما قال من فوهم لوجهين أحدهما أن المراد يخافون عقاب ربهم وأكثر ما يأتي العقاب المهلك إنما يأتي من فوق الآخر أن الله سبحانه لما كان موصوفا بأنه عال متعال بمعنى أنه قادر على الكمال حسن أن يقال من فوهم ليدل على أنه في أعلى مراتب القادرين وعلى هذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال ذلك مخافة الاجلال واختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف معظمين مجبلين ومثله في المعنى قوله وهو التواضع فوق عباده وقوله اخبارا عن فرعون وانا فوهم قاهرهم وذهب بعضهم إلى أن قوله من فوهم من صفات الملائكة والمعنى أن الملائكة من فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من

داية يخافون الله مع علو رتبتهن فلا ينصفهن من دونهم اولى وقد صرح عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى ملائكة في السماء السابعة ساجدا منذ خلقهم الى يوم القيامة ترعد قرائتهم من مخافة الله تعالى لا تنظر من دموعهم قطرة الا صارت ملكا فاذا كان يوم القيامة رفضوا رؤوسهم وقالوا ما عبدناك حق عبادتك اوردته الكلبي في تفسيره

قوله تعالى (٥١) وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥٢) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٣) وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ آيَاتِهِ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرِعُونَ (٥٤) ثُمَّ إِذَا كُفِّرَتْ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ خمس آيات .

❦ الآية ❦

وصب الشيء صبوا إذا دام ووصب الدين وجب وقال ابو الاصول
لا يتبني الحمد القليل بقاؤه يوما يذم الدهن اجمع واصبا
والوصب الالم الذي يكون عن الالام يدوام العمل مدة قال
لا يغمز الساق من أين ومن وصب : ولا يعض على شرسوفه الصفر
والجوار الاستئانة برفع الصوت ويقال جأر الثور يجأر جواراً إذا رفع صوته من جوع أو غيره قال الاعشى
وما ايلي على هيكمل بناه وصلب فيه وصارا
يرواح من صلوات الملك طورا سجودا وطورا جوارا
وبتاء الأصوات على فعال وقيل نحو الصراخ والبكاء والعويل والصغير والفعال أكثر

❦ الاعراب ❦

ذكر اثنين تو كيدا لقوله إلهين كما ذكر الواحد في قوله إله واحد واصب نصب على الحال وما بهم موصول
وصله في موضع الرفع بالابتداء ودخلت التاء في خبره وهو قوله فمن الله تقديره فهو من الله ولا فعل هاهنا لأن
قوله بكم قد تضمن معنى الفعل فإنه بمعنى وما حل بكم من نعمة

— المعنى —

لما بين سبحانه دلائل قدرته وإلهيته حقه بالتبني على وحدانيته فقال (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين)
أي لا تبدوا مع الله إله آخر فتشركوا بينها في العبادة لأنه لا يستحق العبادة سواء وذكر اثنين كما يقال
فعلت ذلك لأمرين اثنين وقيل ان تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يريد به نفسه وغيره (وإنما هو إله واحد)
وانما لإثبات المذكور وتبي ما عبده فكأنه قال هو إله واحد لا إله غيره (فإيائي فارهبون) أي ارهبوا عتائي
وسطواني ولا تخشوا غيري وورد عن بعض الحكماء انه قال هناك ربك أن تتخذ إلهين فالتخلف أكلة عبيدت
نفسك وهواك ودنياك وطبعك ومزادك وعبدت الخلق فأنت تكون موحداً (وله ما في السموات والأرض) ملكا
وملكا وخلقا (وله الدين واصب) أي وله الطاعة دائمة واجبة على الدوام عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقادة
ومعناه سبحانه الذي يبد دائما وغيره إنما يعبد في وقت دون وقت وقيل معناه وله الدين خالصا عن الفراء أي
يجب على العبد ان يعطيه مخلصا وقيل معناه وله الملك دائما لا يزول (أفغير الله تتقون) أي أفغير الله تخشون

وهو استفهام فيه معنى التوبيخ أي فكيف تميدون غيره ولا تتقونه (وما بكم من نعمة فمن الله) معناه ان جميع ما بكم وما لكم من النعم مثل الصحة في الجسم والسعة في الرزق وغرهما فكل ذلك من عند الله ومن جهته (ثم إذا مسك الضر) مثل المرض والشدة والبلاء وسوء الحال (فالله يجتبرون) أي فالله يتضرعون في كشفه واليه ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة لصرفه (ثم إذا كشف الضر عنكم) معناه ثم إذا دفع ما حل بكم من الضر ودفع ما مسكم من المرض والضر (إذا فريق منكم يرميهم يمشركون) أي دعا طائفة منكم إلى الشرك يرميهم في العبادة جهلاً منهم يرميهم ومقابلة لنعمه بالكفران والعصيان وهنا عجب من فعل العاقل المميز (ليكفروا بما آتاهم) معنى اللام هاهنا هو الياءات عن العلة التي لأجلها وقع الفعل والمعنى انهم يجزلة من اشرك في عبادة ربه ليكفروا بما آتاه من النعمة كأنه كان لا غرض له في شركه إلا هذا والمعنى لأن يكفروا بانعامنا عليهم ورزقنا إياهم وقيل ان اللام للامر على وجه التهديد أي لينفكوا ما شاقوا فانه ينزل الله بهم عقاب كقرم ويوافق هذا القول ما رواه مكحول عن أبي رافع قال حفظت عن رسول الله ﷺ فيمنعوا فسوف يطلعون بالياء فيعابوا فإن يمتنعوا يكون مطوفاً بجزوم ويجوز أيضاً ان يكون مطوفاً منصوباً والمعنى لأن يكفروا فيمتنعوا فقولوه (استمعوا فسوف تطلعون) يكون اجداً خطاب لهم على التهديد والوعيد يقول فتمنعوا ايها الكفار في الدنيا قليلاً فسوف تطلعون ما يحل بكم في العاقبة من العقاب والى المناب وحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى (٥٦) وَيَجْعَلُونَ لَكَ لَا يَطْلُونَ نَصِيحًا مَا رَزَقْنَاهُمْ قَدْ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَقْتَرُونَ (٥٧) وَيَجْعَلُونَ لَكَ الْبَنَاتِ سَبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٨) وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٩) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٦٠) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَقَدْ جَاءَ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْغَزِيْرُ الْحَكِيْمُ خمس آيات

الفقه

يقال ظل يفعل كذا إذا فعله في صدر النهار ويقال ظللت اظل ظلولا ومثله اضعى غير انه كثر حتى صار مجزلة أخذ بفعل والكظم المقوم الذي يطبق فاه لا يتكلم لقم النسب به مأخوذ من الكظامة وهي اسم لما يشد به في القربة والكظامة ايضاً القيد والقفد والكظامة ايضاً البئر ومنه الحديث ان النبي ﷺ اتى كظامة فترعاً ومسح على قدميه وجمعا كظائم والمهون الهوان والمشقة وهي لفظة قريش قال الحليشة فلما خشيت الهون والعين ممسك على رغبة ما أثبت الخيل حافره ودست الشيء في التراب أدسه دسا إذا أخفيته والتماسة حية صاء تندس تحت التراب

الأعراب

ولهم ما يشتهون ان شئت جعلت ما في موضع نصب يعني يطلعون لهم البين الذين يشتهون م ويكون قوله سبحانه اعتراضاً بين المظوف والمظوف عليه وان شئت جعلته في موضع رفع على الاستئناف فيكون مرفوعاً على الاجداء ولهم غيره أو مرفوعاً على ان الظرف عمل فيه على ما ذكرنا من الاختلاف فيه فيما مضى والهاء في يمسكه يعود إلى قوله ما يشد به فلذلك ذكر وقيل معناه ويجعلون للأصنام الذين لا يطلعون ولا يجعلون نصيباً من الأصنام والزرع فكأنه عن لفظة ما في قوله لا يطلعون بالواو لأنهم جعلوا الأصنام هنا مجزلة العقلاء عن أبي علي الفارسي وقال ايضاً يجوز ان يكون تقديره ويجعلون لا يطلعون له نصيباً ويكون الضمير ان

في يعملون ويعلمون للمشركين وحذف الموصولان

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه فعلاً آخر من أفعال المشركين دالاً على جهلهم فقال (ويعلمون لما لا يعلمون) والواو في يعلمون تعود إلى المشركين أي لما لا يعلمون انه يضر وينفع (نصيباً مما رزقهم) يتقربون بذلك إليه كما يجب ان يقرب إلى الله تعالى وهو ما حكى الله عنهم في سورة الأنعام من الحُرث وغير ذلك وقولهم هذا لله يزعهم وهذا لشركائنا من مجاهد وقادة وابن زيد ثم أقسم تعالى فقال (تالله لتسألن) في الآخرة (عما كنتم تنفرون) أي تكذبون به في دار الدنيا لتلزموا به الحجة وتماقروا بعد اعترافكم على انفسكم ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من جهالاتهم فقال (ويعلمون الله البينات) أي ويثبتون الله البينات ويضيقون إليه البينات وهو قولهم لللائكة بآيات الله كما قال سبحانه وجعلوا لللائكة الذين هم عباد الرحمن آياتاً ثم نزه سبحانه عنه عما قالوا فقال (سبحانه) أي تنزيهاً له عن اتخاذ البينات (ولهم ما يشتهون) أي ويعلمون لا تقسم ما يشتهون ويحبونه من البين دون البينات وعلى الوجه الآخر ولهم ما يحبونه يعني البين (وإذا بشر أحدهم بالأنثى) أي وإذا بشر واحد منهم بأنه ولد له بنت (غل وجهه سوداً) أي صار لون وجهه مقتمراً إلى السواد لما يظهر فيه من اثر الحزن والكراهة فقد جعلوا لله ما يكرهونه لا تقسم وهذا غاية الجهل (وهو كظم) أي كظم غيظاً وحزناً (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعني ان هذا الذي بشر بالبت يستخفي من القوم الذين يستخبرونه عما ولد له ما استكفاه الله وخجلا وحياء من سوء ما بشر به من الأنثى وقيحه عنده (أنيسكه على هون أم يدسه في التراب) يعني يميل نفسه ويدبر في امر البنت المولودة له أنيسكه على ذل وهوان أم يخفيه في التراب ويدفنه فيها وهو الوأد الذي كان من عادة العرب وهو ان احدهم كان يضر حفرة صغيرة وإذا ولد له انثى جعلها فيها وحشا عليها التراب حتى تموت تحته وكانوا يفعلون ذلك غفلةً للفرطين فيطمع غير الأكفاء فيهن (ألا ساء ما يمكرون) أي يس الحكم ما يحكونه وهو ان يعملوا لتونسهم ما يشتهون ولهم ما يكرهون وقيل مناه ساء ما يحكونه في قتل البينات مع مساواتهن للبين في حرمة الولادة ولعل الجارية خير من الغلام وروي عن ابن عباس انه قال لو عطاء الله الناس في الناس لما كان الناس لأنه ليس احد الا ويحب ان يولد ذكر ولو كان الجيم ذكوراً لما كان لم أولاد فيفني الناس ثم قال سبحانه (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى) أي هؤلاء الكفار الذين وصف الله بالولد صفة السوء أي الصفة القبيحة التي هي سواد الوجه والحزن والله الصفة العليا من السلطان والقدره وقيل له صفات النفس من الجهل والكفر والضلال والمعنى وصفه بالحدوث والضعف والعجز والحاجة إلى الايادى وقتل البينات خوف الفقر والله صفات الإلهية والاستغناء عن الصاحبة والولد والربوبية واخلاص التوحيد ويسأل فيقال كيف يمكن الجمع بين قوله سبحانه وتعالى والله المثل الأعلى وقوله فلا تضربوا لله الأمثال والجواب ان المراد بالأمثال هناك الاشياء أي لا تشبهوا الله بشيء والمراد بالمثل الاعلى هنا الوصف الأعلى الذي هو كونه قديماً قادراً عالم حياً ليس كمثل شيء وقيل ان المراد بقوله المثل الاعلى المثل المضروب بالحق وقوله فلا تضربوا لله الأمثال الأمثال المضروبة بالباطل (وهو المزير) أي القادر الذي لا يتبع عليه شيء (الحكيم) الذي يضع الأشياء مواضعها على ما هو حكمته وصواب وفي الآية دلالة على انه لا يضاف لله تعالى إلا دون فإن الله سبحانه قد عاب للمشركين باضافتهم إليه ما لا يرضونه لا تقسم فانما كره الانسان اضافة القبيح الى نفسه للنقص الذي فيه فكيف يجوز ان يضيفه الى الله تعالى

قوله تعالى (٦١) وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦٢) وَيَجْهَلُونَ لَهُ

مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (٦٣) تَأْتِيهِمْ لَقْدَأُ أُرْسِلْنَا إِلَىٰ آمِهِمْ مِنْ قَبْلِكَ قَوْمٍ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٤) وَمَا نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٥) وَأَنَّهُ أَتَزَلَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَآخَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ خمس آيات

﴿التراجم﴾

قرأ تافع وتبية عن الكسائي مفروطون سا كنة الفاء مكسورة الراء خفيفة وقرأ ابو جعفر «ع» مفروطون مفتوحة الفاء مكسورة الراء مشددة والباقون مفروطون سا كنة الفاء مفتوحة الراء خفيفة وروي عن الأخرج بفتح الراء وتشديده

-(الحجة)-

قال الزجاج اما تفسير مفروطون فبهاء عن ابن عباس متروكون وقيل مسجلون ومعنى الفوط في اللغة التقدم وقد فرط بني قول أي تقدم فمضي مفروطون مقدمون إلى النار وكذلك مفروطون بالتشديد يفسرون فسر متروكون فهو كذلك أي قد جعلوا مقدمين في العذاب أبداً متروكين فيه ومن قرأ مفراطون فالمنى انه وصفهم الله بأنهم فرطوا في الدنيا ولم يعملوا فيها للأخرة وتصديقه قوله يا حسرتا على ما فرطت في جيب الله ومن قرأ مفراطون فالمراد أنهم أفرطوا في مصيبة الله كما تقول افرط فلان في مكروهه وتأويله انه أثر المجز وقدمه قال ابو علي وكأنه من افرط أي صار ذا فرط مثل أظف وأجرب فهو مقطف وجرب ففناه انهم ذوو فرط إلى النار وصبق إليها

﴿الاعراب﴾

الكذب مفعول تصف وان لم الحسق بدل من الكذب وتقديره وتصف ألسنتهم ان لم الحسنى أي تصفون ان لم مع هذا الفصل القبيح الجزاء الحسن وان لم النار في موضع نصب مجرم والمعنى جرم فعلهم هذا أي كسبان لم النار وقيل ان في موضع رفع عن قطرب قال معناه انه وجب ان لهم النار وانهم مفراطون فيها لتبين لهم أي لان تبين لهم الجار والمجرور في محل النصب بأنه مفعول له وكذلك قوله وهدي ورحمة وكلامها معطوف على ما قبله بأنه مفعول له أيضاً أي أنزلنا عليك الكتاب بياناً وهدي ورحمة قال الزجاج ويجوز هذا في موضع وهدي ورحمة بالرفع فيكون المعنى وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لبيان وهو مع ذلك هدي ورحمة

﴿المنى﴾

(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهما من دابة) أخيراً سبحانه انه لو كان بمن يؤاخذ الكفار والمعاصاة بذنوبهم ويماجلهم بالمعقوبة لما ترك على وجه الأرض أحداً ممن يستحق ذلك من الظالمين وإنما قال عليها ولم يجز ذكر للأرض في الظاهر لأن الكلام يدل عليه فإن العلم حاصل بأن الناس يكونون على ظهر الأرض ومثله كثير في عوارات العرب يقولون ما بين لايتها مثل فلان يمتون للمدينة واصبحت باردي يديدون القنات إذ اللاجان بالمدينة والاصباح لا يكون إلا غدة وقولاً (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أي يمهلهم إلى وقت معلوم مسمى وهو يوم القيامة وقيل إلى وقت يملحه الله تعالى انه لا يكون في بقائهم فيه مصلحة لأنهم لا يؤمنون ولا يخرج من نلهم مؤمن وإنما يؤخرهم تفضلاً منه سبحانه ليراجعوا التوبة أو لما في ذلك من المصلحة واختلف أهل العدل

في من المعلوم من حاله انه لا يؤمن فيها بعد هل يجوز احترامه فقال بعضهم يجوز لأن التكليف أفضل فلا تجب التيقية وهو قول أبي هاشم وأبي هاشم واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وقال آخرون لا يجوز احترامه ويجب تيقية وهو قول البلخي وأبي علي الجبائي وإن اختلفا في علته فقال الجبائي لأنه مفسدة وقال البلخي لأنه الأصل واليه ذهب الشيخ المفيد أبو عبد الله وقيل إن معنى الآية لو يؤخذهم بذنوبهم لحبس المطر عنهم حتى تهلك كل دابة عن السدي وعكرمة «سؤال» متى قيل انب المكلف الظالم يستحق العقوبة بظلمه فما بال الحيوانات تؤخذ بغير جرم «فجوابه» ان المذنب الظالم عقوبة ولغير الظالم عبرة وعبرة فيكون كالأعراض النازلة بالأولياء وغير المكلفين فيعززون عنها وقيل مناه لو هلك الآباء يكرههم لم يوجد الأبناء وقيل إنهم إذا هلك الظلمة ولم يبق مكلف لا يبقى غيرهم من الحيوانات لأنها إنما خلقت للمكلفين فلا فائدة في بقائها بهم (فإن ذابها أجلبهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قد سبق مناه فيما مضى ثم حكي سبحانه عن الكفار فقال (ويجلبونهم ما يكرهون) يعني البئس أي يحكمونهم بما يكرهونه لا تقسم (وتصف السنتهم الكذب) أي وتغير ألسنتهم بالكذب وهو ما يقولون (إن لهم الحسنى) وهي البتة وقيل مناه تصفون إن لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن والثبوة الحسنى وهي الجنة وغيره فإن المشركين كانوا يقولون إن كان ما يقول محمد من الله البتة والآخرة حق فنحن من أهل الجنة وروي عن معاذ أنه قرأ وتصف السنتهم الكذب بضم الذال والياء فحمل هذا يكون الكذب وصفاً للألسنة جميع كاذب أو كذوب ثم رد سبحانه قولهم فقال (لا جرم إن لهم النار) أي ليس الأمر على ما وصفوا جرم فعلهم وقولهم أي كسب إن لهم النار والمفسرون يقولون مناه حقاً إن لهم النار أو لا بد أن لهم النار (وإنهم مفرطون) أي مقدمون أي مجلبون إلى النار ثم أقسم سبحانه فقال (فإنهم قد أرسلنا إلى أمم من قبلك) يا محمد (فبين لهم الشيطان أعمالهم) أي كفرهم وغلالهم وتكذيبهم الرسل (فويل لهم اليوم) معناه إن الشيطان ولهم اليوم في الدنيا يتولونه ويتبعون اغواءه فما يوم القيامة فيتبرأ بعضهم من بعض عن أبي سلم وقيل مناه فهو ولهم يوم القيامة أي يحكمهم الله تعالى إلى الشيطان إياهم من رحمته (ولهم عذاب اليم) أي ولتتابع والتتابع عذاب مؤلم وجيع ثم بين سبحانه أنه قد أقام الحجة وإزاح اللغو وضع الحجة فقال (وما نزلنا عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن (إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) معناه إلا وقد أردنا منك أن تكشف لهم ما اختلفوا فيه من دلالة التوحيد والعدل وتبين لهم الحلال والحرام (وهدى) أي وأنزلناه دلالة على الحق (ورحمه لقوم يؤمنون) ثم أخبر سبحانه عن نعمته على خلقه فقال (والله أنزل من السماء ماء) أي غيثاً ومطرأ (فأحيا به) أي بذلك الماء (الأرض بعد موتها) أحياها بالنبات بعد جدوبها وقحطها (إن في ذلك لآية) أي حجة ودلالة (لقوم يسمعون) أي يستصغنون أدلة الله ويفكرون فيها ويمتدبرون بها

قوله تعالى (٦٦) وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَمَبْرَةٌ نَسُواكُمْ مِمَّا فِيهَا فَلَوْلِمَنِ يَرْبُوهُمْ مِنْ يَتَرَفَّقُونَ وَدَمَ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٧) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأعنَابِ تَخْذُلُونَهُ مِنْهُ مَسْكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٦٨) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٩) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونٍ شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٧٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ السُّمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ قَدِيرٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر وآبو بكر عن عاصم ويعقوب وسهل نسفيكم ينتعج الثور هائنا وفي المؤمنين والبالون نسفيكم بضمها في المؤمنين وقرأ أبو جعفر في المؤمنين نسفيكم بالثاء

﴿ الحجة ﴾

قيل بين سقيت واسقيت فرق وهو ان سقيته معناه تولته ليشرب واسقيته معناه جعلت له ماء يشربه وقيل سقيته ماء واسقيته سألت الله ان يسقيه وعليه بيت ذي الرمة

واسقيه حتى كاد بما أتيه تكلمني اججاره وملاعه

وقيل إذا سقاء مرة يقول سقيته وإذا سقاء دائما يقال أسقيته عن أبي عبيدة وقيل ما مجنى واحد واستدل

ببيت لبيد

سقى قومي بني مجد واسقى غيرا والقبائل من هلال

فانه أتى بالفتن

﴿ اللغة ﴾

الميرة والعلة من التظائر وهو ما يعتبر به والفرد الثقل الذي ينزل إلى الكرش وساخ الطعام في الحلق وسوغته واستمته السكر في اللغة على أربعة أوجه ﴿ الاول ﴾ ما أسكر من الشراب ﴿ والثاني ﴾ ما طعم من الطعام قال الشاعر « جعلت عيب الأكرمين سكرا » أي جعلت ذمهم طعما لك ﴿ والثالث ﴾ السكن ومنه ليلة ساكرة أي ساكنة قال الشاعر « وليست يطلق ولا ساكرة » ويقال سكرت الريح سكنت قال « وجعلت عين الحور تسكر » ﴿ والرابع ﴾ المصدر من قولك سكر سكرًا ومنه التسكير التحجير في قوله سكرت ابصارنا والذلل جمع الذلول يقال ذابة ذلول بين الذل ورجل ذلول بين الذل والذلة والردل الدون الردي وكذلك الرذائل يقال رذل الشيء يورذل رذالة وإرذالنا

﴿ الأعراب ﴾

الهاء في بطونه إلى ماذا يعود اختلف فيه فقيل ان الأنعام جمع والجمع يذكر ويؤنث فجهل هائنا على لفظة يذكر وجاء في سورة المؤمنين على لغة من يؤنث وقيل انه رد على واحد الأنعام وأنشد الجرجي « وطاب البات الفلاح فبرد » ورد إلى الذين عن القراء وقيل ان الأنعام والتمم سواء فحمل على المعنى كما قال الصلتان العبيدي

ان الساحة والمروءة ضمنا قبرا بمر على الطريق الواضح

فكانه قال شيثان ضمنا وقال الاعشى

فإن تهديني ولي لمة فإن الحوادث أودى بها

حمله على الحدائث ويعجز ان يكون التقدير نسفيكم ما في بطون المذكور وقيل ان من بدل على التبعيض فكانه قال نسفيكم ما في بطون بعض الأنعام لأنه ليس لجميعها لبن وقوله تتخذون منه الضمير في منه إلى ماذا يعود فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ انه يعود إلى المذكور ﴿ والثاني ﴾ انه يعود إلى معنى الثمرات لأن الثمرات والشر سواء وكذا الهاء في قوله فيه شفاء بالظرف على المنعذين وتقديره شراب ثابت فيه شفاء وإذا عاد الضمير إلى الثمرات ارتفع شفاء بالظرف لم يجر على مذكور قبله لكيلا يعلم بمد علم شيئا ان نصبت شيئا يعلم وهو مغيب ميبوه كنت قد حملت الثاني واضمرت المفعول في يعلم على شريطة الضمير وان اعلمت يعلم وهو مغيب التراء

اضمرت لعل مغفولا وفصلت بين المعمول والعامل فجعلت بين مجازين بخلاف مذهب سيويه

❦ المعنى ❦

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد وعجائب الصنعة وبإدلائل الحكمة بقوله (وان لكم في الأنعام) يعني الإبل والبقرة والخنزير (لميرة) أي لمعة واعتبار أو دلائل على قدرة الله تعالى (نسقيكم بما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً) وروى الكوفي عن ابن عباس قال إذا استقر الفلف في الكرش صار اسفلغفرنا واعلاه دماً ووسطه لبناً فيجري الدم في المروق واللبن في الضرع ويبقى الفرف في الكرش ما هو فذلك قوله من بين فرث ودم لبناً خالصاً لا يشوبه الدم ولا الفرف (سائماً للشاربين) أي جائزاً في حلقهم والكبد مسلطاً على هذه الأصناف فيقسمها على الوجه الذي اختصه التدبير الإلهي بين سبحانه لأن ينكر البعث أن من قدر على إخراج لبن أيضاً سائغ من بين الفرف والدم من غير أن يختلط بها قادر على إخراج اللب من الأرض من غير أن يختلط شيء من لبناتهم بألبان غير ثم قال (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً) قيل معناه ولم يجز لنا إخراج الله لكم من ثمرات النخيل والاعناب عن الحسن وقيل معناه من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكراً والعرب تضرع ما لموصولة كثير أقال سبحانه وإذا رأيت ثم رأيت نبياً أمي ما قبل أن تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب شيء تتخذون منه سكراً (ورزقاً حسناً) فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه والاعناب عطف على الثمرات أي ومن الثمرات الاعناب شيء تتخذون سكراً وهو كل ما يسكر من الشراب كالخمر والرزق الحسن ما أحل منها كأكل والزبيب والرب والوطب والتمر عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقادة ومجاهد وغيرهم وروى الحاكم في صحيحه بالاستناد عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية فقال السكر ما نحرى من ثمرها والرزق الحسن ما أحل من ثمرها قال قتادة نزلت الآية قبل تحريم الخمر ونزل تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة قال أبو مسلم ولا حاجة إلى ذلك سواء كان الخمر حراماً أم لم يكن لأنه تعالى خاطب المشركين وعدد إصنافه عليهم بهذه الثمرات والخمر من أشرفهم فكانت نعمة عليهم وقيل إن المراد بالسكر ما يشرب من أنواع الأشربة بما يحل والرزق الحسن ما يؤكل والحسن الذبيذ عن النبي والجباقي فالمعنى تتخذون منه أصنافاً من الأشربة والأطعمة وقد أخطأ من تعلق بهذه الآية في تحليل البيذ لأنه سبحانه إنما أخبر عن فعل كانوا يمارطونه فأبى رخصة في هذا اللفظ الوجه فيه أنه سبحانه أخبر أنه خلق هذه الثمار لينضوا بها فالتخذوا منها ما هو محرم عليهم ولا فرق بين قوله هذا وبين قوله تتخذون أي أنكم دخلتم فيكم (إن في ذلك لآية) أي في دلالة ظاهرة (لقوم يعقلون) عن الله تعالى ذلك ويتفكرون فيه بين الله سبحانه بذلك أنكم تستخرجون من الثمرات عصيراً يخرج من قشر قد اختلط به فكذلك الله يستخلص ما تريد من الميت بما هو مختلط به من الزراب (وأوصى ربك إلى التحل) أي أوصى إلهنا عن الحسن وابن عباس ومجاهد وقيل جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله عن غيرها عن الحسن قال أبو عبيد القاسم في كلام العرب على وجوه منها وصي النبوة ومنها الإلهام ومنها الإشارة ومنها الكتاب ومنها الأسرار فوحي النبوة في قوله أو يرسل رسولا فيوحي بأمره والإلهام في قوله وأوصى ربك إلى التحل وأوصينا إلى أم موسى والأشارة في قوله فأوحى إليهم أن سبحوا قال مجاهد معناه أشار إليهم وقال الضحاك كتب لم والأسرار في قوله يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وأصل الوحي عند العرب أن يلقي الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار والاختفاء وأما ما روي عن ابن عباس أنه قال لا وحي إلا القرآن فإن المراد به أن القرآن هو الوحي الذي نزل به جبرائيل على محمد ﷺ دون أن يكون أنكر ما قلناه ويقال أوحى له وأوحى إليه قال المجاج «أوحى لها القرآن فاستقرت» والمعنى إن الله تعالى ألهم التحل اتخاذ المنازل والمساكن والأدكار والبيوت في الجبال والشجر وغير ذلك وتقديره (أن اتخذني من الجبال بيوتا) للصل ولا يقدر على مثلها أحد (ومن الشجر وما يعرشون) أي ومن الكرم لأنه

الذي يمرض ويتخذ منه العریش وفيه لعتان يمرضون ويمرضون بضم الواو وكسرهما وقد قرئ بها وقيل معنى يمرضون يبتون والعرش سقف البيت عن الكلبي والمعنى ما بيني الناس لها من خلاياها التي تصل فيها ولولا إلهام الله إياها ما كانت تأوي إلى ما بي لها من يوتها وإنما أتى بلفظ الأمر وإن كانت النحل لا تنقل الأمر ولا تكون مأمورة لأنه لا أتى بلفظ الوحي اجري عليه لفظ الأمر اتساعاً (ثم كل من كل الثمرات) أي من أنواع الثمرات من أي ثمرة شئت (فالسلكي سبل ريك) أي فادخلي سبل ريك التي جعلها الله لك (ذلاً) أي مذلة مطوعة للسلوك واسمة يمكن سلوكها فيكون قوله ذلاً مصفة للسبل وهي منصوبة على الحال وهو قول مجاهد وقيل ذلاً أي مطيحة لله منقادة مسخرة ويكون من صفة النحل عن قتادة (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) وهو السلس فإن ألوانه مختلفة لأش منه ما هو شديد البياض ومنه ما هو أصفر ومنه ما يقرب إلى الحمرة وذلك أن النحل تتناول ألواناً مختلفة من النبات والزهر فيجعلها الله تعالى عللاً على ألوان مختلفة يخرج من بطونها ألواناً تلقية من ألوانها كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم وإنما قال سبحانه من بطونها ولم يقل من فيها لئلا يظن أنها تلقية من فيها ولم يخرج من بطونها (فيه شفاء للناس) من الأدواء عن قتادة وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال عليكم بالشفاء من القرآن والسبل وقيل معناه فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه عن السدي والحسن وروي عن مجاهد أن إلهام في فيه راجعة إلى القرآن أي القرآن فيه شفاء للناس يعني ما فيه من الحلال والحرام والفتيا والاحكام والأول قول أكثر المفسرين وهو الأقوى إذ لم يسبق للقرآن ذكر وفي النحل والسبل وجوه من الاعتبار منها اختصاصه بخروج السبل من فيه ومنها جعل الشفاء من موضع السبل فإن النحل يلسع ومنها ما ركب الله من البدائع والجائبات فيه وفي طبعه وتفتي أثره وبقى فقدته الخلل نظامها وزال قوامها وتفرقت شذر مندر وإلى عنها ويدبر أمرها ويسوسها وهي تبعه وتفتي أثره وبقى فقدته الخلل نظامها وزال قوامها وتفرقت شذر مندر وإلى هذا المعنى فيما قال أشار أمير المؤمنين (ع) في قوله أنا يصوب المؤمنين (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) معناه إن فيها ذكراً من بدائع صنع الله تعالى دلالة بينة أن تفكر فيه ثم بين نعمته علينا في خلقنا واخراجنا من عدم إلى الوجود فقال (والله خلقكم) أي أوجدكم وأنتم عليكم بضروب النعم الدينية والدنيوية (ثم توفاكم) وبقيضكم أي يميتكم (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أي أدون العمر وأوضعه أي يقيه حتى يصير إلى حال الهرم والخرف فيظهر نقصان في جوانحه وحواسه وعقله ورووا عن علي (ع) أن أرذل العمر خمس وسبعون سنة وروى عنه مثل ذلك عن النبي ﷺ وعن قتادة تسعون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيئاً) أي ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكان لا يعلم شيئاً مما كان علمه وقيل ليقل علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه (إن الله عليم بمصالح عباده) (قدير) على ما يشاء من تدبيره وتقدير أحواله

قوله تعالى (٧١) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْسِهِمْ رِزْقُهُمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ (٧٢) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ بِكَافِرُونَ (٧٣) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٤) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر عن عاصم فيجدون بالتاء والياء

﴿ الحجة ﴾

الوجه في القراءة بالياء انه يراد به غير المسلمين لأنه لا يخاطب المسلم فيحسب نعم الله والوجه في القراءة بالتاء قل لهم أفئمة الله التي تقدم اختصاصها فيجدون ويقوي الياء قوله وبمنة الله هم يكفرون

— (اللغة) —

الحفدة جمع حافد واصل الحفد الاسراع في العمل ومنه ما جاء في الدعاء واليك نسعى ونخضع وهو البحر يخذل حفداً إذا صار يسرع في سيرة قال الراعي

كلفت مجهولها نوقاً يمانية إذا الحداة على اكائها حذوا

ومنه قيل للاحوان حدة لاسراعهم في الطاعة قال جميل

حشد الولائد حولها واستسلمت بأكفهن إزممة الاجمال

— (الاعراب) —

فهم فيه سواء جملة اسمية وقعت موقع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النبي بالتاء والتقدير فيستورا شيئاً اتصب على احد وجهين اما ان يكون بدلاً من رزقاً بمعنى انه لا يملك لهم رزقاً قليلاً ولا كثيراً وهو قول الاخفش واما ان يكون مفعولاً لقوله رزقاً فكأنه قال ما لا يملك لهم ان يرزق شيئاً وهو مما عمل من المصادر للنونة

﴿ المعنى ﴾

ثم عدد سبحانه نعمة منه أخرى فقال (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فوسع على واحد وقرر على آخر على ما توجبه الحكمة (فما الذين فضلوا يرادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء) اختلف في معناه على قولين ﴿ احدهما ﴾ انهم لا يشركون عبيد في اموالهم وأزواجهم حتى يكونوا فيه سواء ويرون ذلك قصاً فلا يرضون لأنفسهم به وهم يشركون عبيدي في ملكي وسلطاني ويوجهون العبادة والترب اليهم كما يوجهونها إلي عن ابن عباس ومجاهد وقادة قال ابن عباس يقول إذا لم ترضوا ان تجعلوا عبيدكم شركاء فكيف جعلتم عيسى إلهاً معه وهو عبده وتزلت في نصارى نجران ﴿ والثاني ﴾ ان معناه هؤلاء الذين فضلهم الله في الرزق من الأحرار لا يوزنون على كبرهم بل الله تعالى رازق الملاك والماليك فإن الذي ينفع للمولى على ملوكه إنما ينفعه بما رزقه الله تعالى فانه تعالى رازقهم جميعاً فهم سواء في ذلك (أفئمة الله فيجدون) أي أنبئهم الصمة التي عددها واقتصمتها فيجد هؤلاء الكفار ثم عدد سبحانه نعمة أخرى فقال (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) أي جعل لكم من جنسكم ومن الذين تلدونهم نساء يجعلن أزواجاً لكم لتكثروا اليهن وتأنسوا بهن (وجعل لكم من أزواجكم) يعني من هؤلاء الأزواج (بين) تسرون بهم وتزيتون بهم (وسخدة) اختلف في معناه ف قيل هم الخدم والأعران عن ابن عباس والحسن وعكرمة وفي رواية الوالي هم اختان الرجل على جاته وهو المروي عن أبي عبد الله وعن ابن مسعود وابراهيم وسعيد بن جبير وقيل هم البنون وبنو البنين عن ابن عباس في رواية أخرى ونصه عنه ايضاً أنهم ذو امرأة الرجل من غيره في رواية الضحاك وقيل البنون الصغار من الاولاد والحفدة الكبار منهم يسعون معه عن مقاتل (ورزقكم من الطيبات) أي الأشياء التي تشطيبونها قد أباحت لكم وإنما دخلت من لأنه ليس كل ما يستطيبه الإنسان رزقاً له وإنما يكون رزقه ماله التصرف فيه وليس لأخدمته

منه (أفبالباطل يؤمنون) يريد بالباطل الأوثان والأصنام وما حرم عليهم وزينه الشيطان من البحائر وغيرها أي أفبذلك يصدقون (وبنعمة الله) التي عددها (هم يكفرون) أي يجهلون ويريد جمعة الله التوحيد والقولان ورسول الله ﷺ عن ابن عباس (ويصدقون من دون الله ما لا يملك لم رزقا) أي لا يملك ان يرزقهم (من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون) شيئا مما ذكرناه وقيل ان رزق السماء الغيث الذي يأتي من جهتها ورزق الأرض النبات والثمار وغير ذلك من انواع النعم التي تخرج من الأرض (فلا تضرروا الله الأمثال) أي لا تفعلوا لله الأشياء والأمثال في العبادة فإنه لا شبه له ولا مثل ولا أحد يستحق العبادة سواء وإنما قال ذلك في افتادهم الأصنام ألمة عن ابن عباس وتعادة (ان الله يعلم) ان من كاذب إنما فإنه منزعه عن الشركاء (وانتم لا تعلمون) ذلك بل تجهلون ولو تفكرتم لعلمتم وقيل معناه والله يعلم ما عليكم من المفرة في عبادة غيره وانتم لا تعلمون ولو علمتم لتركتم عبادتها

قوله تعالى (٧٥) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْنا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٦) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَأَيِّاتٍ يُخَيِّرُ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٧) وَلَقَدْ غِيبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةٍ الْبَصِيرُ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن مسعود وعقلمة الحسن ومجاهد ابننا يوجه وروي عن عقلمة بوجه يفتح الجيم

(الحجة)

قال ابن جني اما بوجه يكسر الجيم فعلى حذف المفعول أي أيننا يوجه وجهه وحذف للم به وأقول ان نظيره ما جاء في الخبر «أيننا الوجه الذي سمعنا» ومعناه أيننا اوجه وجهه ركابي وسعد قيله أي كل الناس مثل قبيلتي في الضحاح وأما بوجه يفتح الجيم فمعناه أيننا يرسل أو يبعث لا يأتي بغير

﴿ التلوة ﴾

الابكم الذي يولد اخرس لا يفهم ولا يفهم وقيل الابكم الذي لا يمكنه أن يتكلم والكل الثقل يقال كل من الأمر بكل كذا إذا نقل عليه فلم يبعث فيه وكلت السكين كلولا إذا غلظت شفتها وكل لسانه إذا لم يبعث في القول لغلظه وذهب أحده فالاصل فيه الغلظ المانع من التفوذ والتوجيه الارسال في وجه من الطريق يقال أوجهته إلى موضع كذا فوجهه إليه

﴿ الاعراب ﴾

ومن رزقناه مننا رزقا حسنا رزقا مفعول ثان لرزقناه وفي هذا دليل على ان رزق يمتد إلى مفعولين ألا ترى ان قوله رزقا حسنا لو كان مصدرًا لما جاز ان يقول فهو ينفق منه لأن الاتفاق إنما يكون من المال لا من الخبز النسيه هو المصدر

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه للمشركين أمر ضلالتهم فقال (ضرب الله مثلا عبداً ملوكاً لا يقدر على شيء) أي بين الله مثلاً فيه بيان المقصود تقريباً للخطاب إلى أمهاتهم ثم ذكر ذلك المثل فقال عبداً ملوكاً لا يقدر من أمره على شيء (ومن رزقناه منا رزقاً حسناً) يريدون رزقناه وملكناه مالا ونعمة (فهو ينفق منه سرا وجهوا) لا يخاف من احد (هل يستون) ولم يقل يستويان لأنه أراد بقوله ومن رزقناه وقوله عبداً ملوكاً الشيع في المجلس لا التخصيص يريد ان الاثنين المتساويين في الحق إذا كان احدهما مالكا قادرا على الاتفاق والآخر عاجزاً عن الاتفاق لا يستويان فكيف يستوي بين العباد والحق لا تمقل ولا تتحرك وبين الله عز اسمه القادر على كل شيء الحق الرازق لجميع خلقه وهذا معنى قول المجاهد والحسن وقيل ان هذا المثل للكافر والمؤمن فإن الكافر لا خير عنده والمؤمن يكسب الخير من ابن عباس وقادته أنه الله سبحانه بذلك على اختلاف حالهما بدءاً إلى حال الرمن وصرف عن حال الكافر (الحمد لله) أي للشكر لله على نعمه وفيه إشارة إلى ان النعم كلها منه وقيل معناه قولوا الحمد لله الذي دلنا على توحيد ومعرفة وهدانا إلى شكر نعمته وأوضح لنا السبل إلى جنته (بل أكثرهم لا يعلمون) يعني ان أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ان الحمد لله وان جميع النعمة مني ثم ضرب سبحانه مثلاً آخر فقال (وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه وقيل معناه لا يقدر ان يدبر امر نفسه (وهو كل على مولاه) أي تقل ووبال على وليه الذي يتولى أمره (أبنا يوجهه لا يأتي بخير) معناه انه لا منفعة لمولاه فيه أبنا يرسله في حاجة لا يرجع بخير ولا يهتدي إلى منفعة (هل يستوي هو) أي هذا الأبكم الموصوف بهذه الصفة (ومن يأمر بالعدل) أي من هو فصيح يأمر بالعدل والحق ويدعو إلى الثواب والبر (وهو على صراط مستقيم) أي على دين قويم وطريق واضح فيما يأتي به ويؤد والمراد انهما لا يستويان قط لأنه لا جواب لهذا الكلام إلا المعنى وهذا كما قال أفندي كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون وقيل في معنى هذا المثل أيضاً قولان ﴿ أحدهما ﴾ انه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهة ومن لا يؤمل منه واصل الخير كانه من الله تعالى فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة ﴿ والآخر ﴾ انه مثل للكافر والمؤمن فالأبكم للكافر والذي يأمر بالعدل والمؤمن عن ابن عباس وقيل ان الأبكم حاشم بن عمرو الحارث القرشي وكان قليل الخير يجادي رسول الله ﷺ عن مقاتل ثم وصف سبحانه نفسه مؤكداً لما قدم ذكره من اوصاف الكبر قال (والله فيب السموات والأرض) ومعناه انه المتقسط يعلم السب وهو ما غلب عن جميع الخلائق ما يصح ان يكون معلوماً قال الحيائي ويمكن ان يكون المعنى وفيه ما غلب عنكم ما في السموات والأرض ثم قال (وما امر الساعة) في قدرته (إلا كلم البصر) أي كطرف العين وقيل كرد البصر قال الزجاج وما امر اقامة الساعة في قدرته (إلا كلم البصر أي لا يتخذ عليه شيء) (او هو أقرب) من ذلك وهو مباينة في ضرب المثل به في السرعة ودخول أو هلالاً احد امرين اما للابتداء على انه على إحدى هاتين المثلتين واما لكلم المخاطب وقيل معناه بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو قادر على اقامة الساعة وعلى كل شيء يريد ان لا يتغير مباينة في صفة القادر

﴿ النظم ﴾

وجه اتصاله با قبله ان امر القيامة من الأمور الثابتة ومن اعظمها واعلمها لا فيمن الثواب والعقاب والانصاف والانتصاف والساعة اسم لإمالة الخلق وحياتهم

قوله تعالى (٧٨) وَأَلَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَمَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُم

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٩) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْشَأَنَاءَ مَا يُسَكِّنُ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ يَدَيْكُمْ مَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَنَنْتُمْ مِنْ يَدَيْكُمْ وَإِقَامَتَكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ثَلَاثُ آيَاتٍ

— (القراءة) —

قد ذكرنا القراءة في امهاتكم في سورة النساء وقرأ ابن عامر وحزمة ويقرب وسهل وخلف ألم تروا بالباء والياقون بالياء وقرأ اهل الكوفة وابن عامر ظننكم ساكنة العين والياقون بفتح العين.

— (الحجة) —

من قرأ ألم تروا بالياء فلانه يدل عليه ما قبله من قوله وجعل لكم السمع وللمسم تشكرون ومن قرأ بالياء فانه على وجه التنبيه لمن تقدم ذكرهم من الكفار والظلم والظلم بفتح العين وسكونها لتثان ومثله النهر والنهر والشمس والشمس قال الاعشى

قد اشرى الراح قد تعلمين يوم المقام ويوم الظن

قال ابو علي ولا يجوز ان يكون الظن مخففا عن الظن كما ان عضدا مخفف عن عضد وكذا مخففا عن كنف الا ترى ان من قال ذلك لم يخفف نحو جل ورسن كما ان الذي يقول والليل اذا يسر وذلك ما كنا نبع لا يقول والليل اذا يش وحرف الحلق وغيره في ذلك سواء

❦ اللغة ❦

الامهات اصله الامات ولكن الهاء زيلت مؤكدة كما زادوها في اهرقت الماء والاصل اركت والافئدة جمع فؤاد كما يقال غراب واغربة ولم يجمع الفؤاد على اكثر العدد بل يقل فيه فئدان كما قالوا غرابان الجوالهواء البعيد من الارض وابعد منه السكالك والافوح وواحد السكالك سكلكة من الزجاج قال الشاعر

ويلمها في هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الارض مطلوب

والسكن كل ما يسكن اليه والسكن ايضا السكن قال القراء السكن بفتح الكاف الدار وبسكونها اهل الدار ومنه الحديث ان الروانة تشبع السكن واصله من السكون الذي هو ضد الحركة وهما من جنس الإكوان التي يكون الجسم بها كالنار في الجهات ومنه السكين لأنه يسكن حركة المنبرح والأشعث متاع البيت الكثير من قوتهم شر أثبت أي كثير او اث البت يأت اذا كثرت والتف وكذلك الشعر ولا واحد للأثاث كما انه لا واحد لمتاع قال الشاعر

أهاجتك الظلمات يوم بانوا بندي الزبي الجميل من الأثاث

— (الاعراب) —

قوله لا تعلمون شيئا في موضع نصب على الحال من الكاف والميم وقوله شيئا يجوز ان يكون منصبا على المصدر أي لا تعلمون علما ويجوز ان يكون مفعولا ويكون تعلمون بمعنى تعرفون لاقتصاره على مفعول واحد وانما ومتاعا نصب بجعل أي يجعل لكم اثنا ومتاعا

— (المنى) —

ثم عدد سبحانه نساء له آخر فقال (والله اخرجكم من بطون امهاتكم) منعا عليكم بذلك واتهم (لالتعلمون)

شيئا من منافسكم ومضاركم في تلك الحال (وجعل لكم السم والابصار والأفئدة) أي تفضل عليكم بالحراس الصحيحة التي هي طرق إلى العلم بالمدركت وتفضل عليكم بالقلوب التي تتقنون بها الأشياء اذ هي حل المعارف (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروه على ذلك وتجدوه ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الدلائل بدلالة أخرى فقال (ألم تروا) أي ألم تشكروا وتنتظروا (إلى الطير مسخرات في جو السماء) أي كيف خلقها الله خلقا يمكنها معها التصرف في جو السماء. حادثة ومنعددة وذامية وجانية مذلات لطيران في الهواء بأجنحتها تطير من غير أن تعتمد على شيء (ما يمكنه إلا الله) أي ما يمكنه من السقوط على الأرض من الهواء إلا الله فيسلك الهواء تحت الطير حتى لا يقر في كاسك الماء تحت السائح في الماء حتى لا يقر في فيه فيجبل امساك الهواء تحتها امساكها على التوسع فلنسكرنها في الجو لما هو فعلها فالمنى ألم تنتظروا في ذلك فتعلموا ان ما مسخرها ومدبرها لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه شيء وأنه لما خلق ذلك ليعتبروا به فيصلوا إلى الثواب الذي عرضهم له ولو كان قبل ذلك ليجرد الأنعام على العبد لكان حسنا لكنه سبحانه وتعالى ضم إلى ذلك التريض للثواب (ان في ذلك لآيات) أي دلالات على وحدانية الله تعالى وقدرته (لقوم يؤمنون) لأنهم الذين انتقموا به ثم عدد سبحانه نعمها آخر في الآية الأخرى فقال (والله جعل لكم من يربوكم سكنا) أي موطئا تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر والمدرد وذلك انه سبحانه خلق الحبس والمد والالة التي يمكن بها تسقيف البيوت وبناءها (وجعل لكم من جلود الأنعام) يعني الانطاع والادم (بيوتا تستخفونها) أي قبائلا وخياما تحف عليكم حملها في اسفاركم (يوم ظنكم) أي ارتحالكم من مكان إلى مكان وقيل معنى الظن سير اهل البوادي لنجسة أو حضور ماء أو طلب مرتع (يوم اقامتكم) أي اليوم الذي تتولون موطئا تقصون فيه أي لا يتقل عليكم في الحالتين (ومن أصوافها) وهي الضأن (وأوبارها) وهي اللابل (وأشعارها) وهي للعز (الثا) أي مالا عن ابن عباس وقيل نوعا من متاع البيت من القرائش والأكسية وقيل طنافس وبيطا وقياد وكسوة والكل متقارب (ومتاعا) تستمتعون به ومما شاءتجرون فيه (إلى حين) أي إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل إلى وقت الموت عن الكلبي ويمثل ان يكون أراد به موت المالك أو موت الأنعام وقيل إلى وقت البلى والفتنا وفيه إشارة إلى انها فانية فلا ينبغي للمائل ان يجتازها على نعيم الآخرة

قوله تعالى (٨١) والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأمكم كذلك ينعم نعمته عليكم لعلكم تسلمون (٨٢) قالوا فأنسا عليك البلاغ المبين (٨٣) يرفون نعمت الله ثم ينكرونها أو كثروا الكافرون (٨٤) ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعبرون (٨٥) وإذ أرا الذين ظلموا العذاب فلا يحفف عنهم ولا هم ينظرون خمس آيات

﴿ آية ٨١ ﴾

الأكنان جسم كمن وهو الموضع الذي يستتر صاحبه فيه ويقال كنت الشيء في كنه أي صته واكتنته أي أخفته وكل ما لبسته من قيص أو درع أو جوشن أو غيره فهو كمن قال الزجاج والغب الموحدة يقال غتب عليه يغتب إذا وجد عليه فإذا فاوضه ما غتب عليه قالوا عاقبه وإذا رجع إلى مسرته قيل اغتب والاسم الغتبي وهو رجوع المتروك عليه إلى ما يرضي الطالب واستغبه طلب منه ان يغتب قال ابو مسلم الاستغاب مأخوذ من الغتاب

والغيب واصله ديبغ الاديم وهو عتابه وفي المثل إذا يطالب الاديم ذو البشرة يقال عتبت على فلان واستتبتة إذا
أنكرت منه فعلا واستتتته عنه وادرت اصلاحه واعتبك فلان إذا صار لك إلى ما تحب وزال عما تكره

الاعراب

فإن تولوا شرط وتقديره فإن تولوا لم يلزمك تقصير من أجل توليهم فإن الذي عليك هو البلاغ إلا أنه حذف
الجزء لدلالة الكلام عليه . للذين كفروا في محل الرفع لوقوع الأذن عليه

(المعنى)

ثم عدد سبحانه نعمها آخر أضافها إلى ما مدحه قبل من نعمه فقال (والله جعل لكم ما خلق) من الاشجار
والابنية (ظلالا) أي أشياء تستظلون بها في الحر والبرد (وجعل لكم من الحيات اكنا) أي مواضع تسكنون
بها من كهوف وقبور وقاوون إليها (وجعل لكم سراويل) أي قيصا من التطن والكتان والصوف عن ابن
عباس وقناة (تقيكم الحر) ولم يقل وتقيكم البرد لأن ما وقى الحر وقى البرد وقفا خص الحر بذلك مع أن
وقايتها للبرد أكثر لأن الذين غوطبوا بذلك أهل حر في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقي الحر أكثر عن صلا على
أن العرب تكفي بذكر واحد الشيئين عن الآخر للعلم به كما قال الشاعر

وما ادري إذا جمعت أرضا أوريد الخير أيها يليش

فكنى من الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه ذكره القراء . (وسراويل تقيكم بأسكم) يعني بدروع الحديد
تقيكم شدة الطين والضرب وتدفع عنكم صلاح أعدائكم (كذلك) أي مثل ما جعل لكم هذه الأشياء
وأنعم بها عليكم (يتم نعمته عليكم) يريد نعمته الدنيا ويدل عليه قوله (لكم تسلمون) قال ابن عباس
منه لكم ما أهل مكة تسلمون أنه لا يقدح على هذا غيره فتوحده وتصدقوا رسوله (فإن تولوا فإنا عليكم
البلاغ المبين) هذا تليق فهي ^{التي} ومنه فإنا عرضوا من الإيمان بك يا محمد والقبول منك وعن التبر لما
عدته في هذه السورة من النعم وبنت فيها من الدلالات فلا عجب عليك ولا لوم فإنا عليك البلاغ الظاهر وقد
بلغت كما أمرت والبلاغ الاسم والتبليغ المصدر مثل الكلام والتكليم ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال (يعرفون
نعم الله ثم ينكرونها) أي يعرفون نعم الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم وأكمال عقولهم وخلق
أنواع المنافع التي ينتفعون بها لهم ثم أنهم مع ذلك ينكرون تلك النعم أن تكون من جهة الله تعالى خاصة
بل يضيفونها إلى الأوثان ويشكرون الأوثان عليها يقولون وزقنا ذلك بشفاعه أكلتنا فيشركونهم معه فيها وقيل
أن معاصيهم عن محمد ^{صلى الله عليه وسلم} وهو من نعم الله سبحانه ثم يكذبونه ويحسدونه من السدي (وأكثرهم الكافرون)
إنا قال أكثرهم لأن منهم من لم تقم الحجة عليه إذ لم يبلغ حد التكليف فصره أو كان ناقص العقل ما أوفاه ولم
تبلغه الدعوة فلا يقيم عليه اسم الكفر وقيل إنا ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه أن فيهم من يؤمن وقيل أنه من
الخاص في الصفة العام في المعنى من الجائي وقريب منه قول الحسن أراد جميعهم الكافرون وإنا نأخذ من البعض
استقاراً له أن يذكره وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة أنه ليس لله تعالى على المكافر نعمة وإن جسيم
ما فيه بهم إنا هو خذلان وقعة لأنه سبحانه نص في هذه الآية على خلاف قولهم (ويورد نبت من كل أمة
شهيدا) يعني يوم القيامة بين سبحانه أنه يبعث فيه من كل أمة شهيدا وهم الأنبياء والمدول من كل عصر يشهدون
على الناس بأعمالهم وقال الصادق (ع) لكل زمان وأمة إمام يبعث كل أمة مع إمامها وقائده بعث الشهداء مسم
علم الله سبحانه بذلك أن ذلك أهل في الغنى وأعظم في تصد الحلال وأشد في الفضيلة إذا قامت الشهادة بمحضرة
المأمع جلالة الشهود وعداوتهم عند الله تعالى ولا أنهم إذا علموا أن المدول عند الله يشهدون عليهم بين يدي الخلاق
فإن ذلك يكون زجراً لهم من المعاصي وتقديره (وإذا كان يوم نبت) ثم لا يؤذن للذين كفروا .) أي لا يؤذن لهم

في الكلام والاعتذار عن ابن عباس كما قال ولا يؤذن لهم فيضدّون وقيل معناه لا يؤذن لهم في الرجوع إلى الدنيا وقيل معناه لا يسمح منهم الضد يقال أذنت له أي استمعت كما قال عدي بن زيد

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ما ذي مشار

عن أبي مسلم (ولا هم يستبشرون) أي لا يستبشرون ولا يستصلحون كما كان يفعل بهم في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف ومعناه لا يسألون أن يرضوا الله بالكف عن معصية يرتكبونها (وإذا رأى السدين ظلموا العذاب) معناه إذا رأى الذين أشركوا بالله تعالى النار (فلا يخفف عنهم) العذاب (ولا هم ينظرون) أي لا يجهلون ولا يترخون بل عذابهم دائم في جميع الأوقات فإن وقت التوبة والتندم قد فات

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله فان تولوا يا قبله انه سبحانه لم ينبه ^{عليهم} ان يذكرهم بهذه التهمة ويحجب عليهم بهذه الحجة فان اسلموا فذلك وان اعرضوا فلا شيء على الرسول فانما عليه البلاغ المبين فقط ووجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها وهي قوله ويوم نبئ من كل أمة شهيدا انها اتصل بقوله فانما عليك البلاغ لأن المعنى انا نجازيهم على أعمالهم يوم نبئ من كل أمة شهيدا وقال أبو مسلم انه عطف على قوله والله خلقكم ثم يتوفاكم يريد ثم يبعثكم يوم يبعث من كل أمة شهيدا

قوله تعالى (٨٦) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرُّكُمْ كَأَنَّهُمْ قَالُوا رَبَّنَاهُ لَا يَأْمُرُ كَاوُتَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٧) وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الْمَسْكَرَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٨) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٩) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٩٠) إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَبُنْعَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ بِعِظَتِكُمْ لَكُمْ تَذَكُّرُونَ خمس آيات

﴿ التلوة ﴾

تقول القيت الشيء إذا طرحته والقى الشيء الملقى والقيت إليه مقالة أي قلته له وتلقاها إذا قبلها والسلام الاستسلام والانقياد والتبيان والبيان واحد - الأزهري قال العرب تقول بيت الشيء تبينا وتبينا

﴿ المعنى ﴾

ثم إن سبحانه عن حال المشركين يوم القيامة فقال (وإذا رأى الذين أشركوا شرعناهم) يعني الأصنام والوثنيين الذين أشركوهم مع الله في العبادة وقيل ساءهم شرعناهم لأنهم جعلوا لهم نصيبا من الزرع والأصنام فهم إذا شرعناهم على زعمهم (قالوا ربنا هو لا) شرعناهم لأنهم جعلوا لهم نصيبا من الزرع والأصنام التي أشركوها مع الله في العبادة واضلوا عن دينك فنعلمهم بعض عذابنا (فألقوا إليهم القول) انكم لكاذبون (معناه فقالت الأصنام وسائر ما كانوا يعبدونه من دون الله بأنطلق الله تعالى إليهم لهؤلاء انكم لكاذبون في أفعالكم بعبادتنا ولكنكم اخترتم الضلال بسوء اختياركم لا تقسمكم وقيل انكم لكاذبون في قولكم اننا آلهة والتاء المعنى إلى النفس اظهار لها حتى تذكره متبذرا عن غيره (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) معناه

واستسلم للمشركون وما جدواهم من دون الله لأمر الله وانقادوا لحكمه يومئذ عن قتادة وقيل معناه ان المشركين
زال عنهم نخوة الجاهلية وانقادوا قسرا لا اختيارا واعتقروا بما كانوا ينكروه من توحيد الله تعالى (وطل عنهم
ما كانوا يقولون) أي بطل ما كانوا يألمونه ويشنونه من الأماشي الكاذبة من ان آلهتهم تشفع لهم وتنتفع الذين
كفروا وصدوا من سبيل الله) أي امرؤوا عن دين الله وقيل صدوا غيرهم عن اتباع الحق الذي هو سبيل الله وقيل
صد المسلمين عن البيت الحرام عن أبي مسلم (زدهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) أي فلبتاهم على
صددهم عن دين الله زيادة على عذاب الكفر وقيل زدهم الأفاعي والعقارب في النار لما اتى باب كائنهم الطوال
عن ابن مسعود وقيل هي انهار من صغر مذاب كالنار يمشون بها عن ابن عباس ومقاتل وقيل زيدوا حيات
كأمثال القيلة والبخت وعقارب كالنمل الدلم من سعيد بن جبير (ويوم تبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم)
أي من أمثالهم من البشر ويجوز ان يكون ذلك الشهيد نبيهم الذي ارسل اليهم ويجوز ان يكون المؤمن الماروفون
يشهدون عليهم بما فعلوه من المخاصي وفي هذا دلالة على ان كل عصر لا يجوز ان يخرج عن يكون قوله حجة على
أهل عصره وهو عدل عند الله تعالى وهو قول الجبائي واكثر أهل العدل وهذا يوافق ما ذهب اليه اصحابنا وان
خالقهم في ان ذلك العدل والحيطة منه هو (وجنابك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يريد على قومك وامتك
وانما افرد بالذكر تشريفا له وتم الكلام هاتما ثم قال سبحانه (وتولنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيان لكل
شيء) أي بيانا لكل امر مشكل ومعناه يبين كل شيء يحتاج اليه من امور الشرع فإنه ما من شيء يحتاج للخلق
اليه في امر من امور دينهم الا وهو مبين في الكتاب اما بالتخصيص عليه وبالاحاطة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ
والحجج القاطنين مقامه أراجاع الامة فيكون حكم الجسيم في الحاصل مستقادا من القرآن (وهدي ورحمة)
أي ونزلنا عليك القرآن دلالة إلى الرشاد ونعمة على الخلق لما فيه من الشرائع والاحكام ولأنه يؤدي إلى نسم
الآخرة (ويشرى للمسلمين) أي بشارة لهم بالثواب الدائم والنعيم المقيم (ان الله يأمر بالعدل) وهو الاتصاف
بين الخلق والتعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل ولا عوج (والاحسان) إلى الناس وهو التفضل ونظف الاحسان
جامع لكل خير والاغلب عليه استعماله في التبرع بآباء المال وبذل السعي الجليل وقيل العدل الترحيد والاحسان
أداء القرائن عن ابن عباس وعطاء وقيل العدل في الأفعال والاحسان في الأقوال فلا يفضل إلا ما هو عدل ولا يقول
إلا ما هو حسن وقيل العدل ان ينصف وينصف والاحسان ان ينصف ولا ينتصف (وربنا ذي القربى) أي
وبأمركم بإعطاء الأقارب حقه بصلتهم وهذا عام وقيل المراد بذوي القربى قرابة النبي ﷺ الذين ارادهم
الله بقوله فإن الله غسه بالرسول والذي القريبى على ما مر تفسيره وهو المروي عن أبي جعفر (ع) قال نحن هم
(ويهيئ عن الفسقاء والمنكروا) أي اجمع بين الأوصاف الثلاثة في النهي مسم ان الكل منكروا فاحش
ليبين بذلك تفصيل ما نهى عنه لأن الفسقاء قد يكون ما يفضله الإنسان في نفسه من التبعي ما لا يظهره والمنكر
ما يظهره فلهذا لما يجب عليهم انكاره والبني ما يتناول به من الظلم تبعه وقيل ان الفسقاء الزنا والمنكر
ما ينكره الشرع والبني الظلم والكبر عن ابن عباس وقيل ان العدل استواء السيرة والملائية والاحسان ان
تكون السيرة أحسن من الملائية والفسقاء والمنكر ان تكون الملائية أحسن من السيرة عن سفيان بن عيينة
(يعظكم لحكمكم تذكرون) معناه يعظكم بما تضمنت هذه الآية من مكالم الأخلاق لكي تذكروا
وتتفكروا وترجعوا إلى الحق قال عبد الله بن مسعود هذه الآية أجمع آية في كتاب الله للخير والشر قال قتادة
أسر الله سبحانه بمكارم الأخلاق ونهاهم عن سفاسف الأخلاق وجاءت الرواية ان عثمان بن مظعون قال كنت
اسلمت استحياء من رسول الله ﷺ لكثرة ما كان يعرض علي الإسلام ولم يقر الإسلام في قلبي فكنت ذات
يوم عنده حال تأله ففش بصره نحو السماء كأنه يستعظم شيئا فلما سري عنه سأله عن حاله فقال نعم بينا أنا
أحدثك إذ رأيت جبرائيل في المراء فألقى بيده الآية ان الله يأمر بالعدل والإحسان وقرأها علي إلى آخرها فتر

الإسلام في قلبي واثبت عمه ابا طالب فأعبرته فقال يا آل فريش اتبعوا محمداً ^{عليه السلام} ترشدوا فإنه لا يأمركم إلا بكمالكم الأخلاق وآتيت الوليد بن المغيرة وقرأت عليه هذه الآية فقال ان كان محمد قاله فنعلم ما قالوا قاله ربه فنعم ما قال قال فأقر الله أقرايت الذي تولى واعطى قليلاً واكدي يعني قوله فنعلم ما قالوا يعني قوله واكدي انه لم يقم على ما قاله وقطعه وعن عكرمة قال ان النبي ^{صلى الله عليه وسلم} قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن أخي اعد فأعد فقال ان له حلاوة وان عليه لطاوة وان اعلاه مشر وان اسفله لمدق وما هو قول البشر

﴿النظم﴾

وجه اتصال قوله وتولنا عليك الكتاب تياتا لكل شيء بما قبله انه سبحانه لا يبين ان الانبياء تشهد على أمهم يوم القيامة بين حقبة انه سبحانه قد كلف الجميع وأراح عليهم في التكليف بأن أتول القرآن بما فيه من البيان والمداينة والرحمة والشارة لأهل الأيمان واتهم إذا عوقبوا فأنقوا في ذلك من قبل نفوسهم وهذا كله ما يدخل في الشهادة ووجه اتصال قوله ان الله يأمر بالعدل الآية بما قبله انه سبحانه لما ذكر القرآن بين حقبة ما يأمر به يعني منه فيه وقيل انه يتصل بقوله ويوم تبعث كأنه قال بعد ذكر القيامة والشهود انه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم فأعلموا انه سبحانه لا يظلم احداً بل يعدل ويتفضل ولذلك جاء بالشهود ليشهدوا على أمهم انهم اتوا فيا لا قوة من المذاب من أجل انفسهم

قوله تعالى (٩١) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْأَيْمَانَ بَدْوً كَيْدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ (٩٢) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَقَصَّتْ غَزَاهاً مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ فِيَّ أَرَبِيٍّ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُوءُ اللَّهُ بِهِ وَلِيْنٌ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٣) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَفْضِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلْنَ عَنْكُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرُلُ قَدَمٌ بَعْدَ بُوْئِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ أَرْبَعُ آيَاتٍ

﴿الشرح﴾

التوكيد التشديد واوكد عقدك أي شدة وهي لغة أهل الحجاز وأهل نجد يقولون اكنت تأكيداً والاكنت الانتقاض واحداً نكت والنكت المصدر وهذا قول لا نكتة فيه أي لا خلف وكل شيء نقض بعد التثنية فهو انكاث جلا كان او غزواً والجل مشتق أي منتقض ومنه سموا من تابع الإمام طائفاً ثم خرج عليه طائفاً لأنه نقض ما وكده على نفسه بالأيمان واليهود كضل الناكثة غزواً والدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقيل الدخل الدخل والحديفة وانما قيل الدخل لأن داخل القلب على ترك الوفاء والظاهر على الوفاء قال ابو عبيدة كل امرئ يكن صديقاً فهو دخل وكما دخله عيب فهو مدخول وادبى افضل من الربا وهو الزيادة ومنه الروية والربا في المال وادبى فلان للزيادة التي تريدها على غزية في رأس ماله قال الشاعر

واسم خطي كأن كموه نوى القسيب قد ادبى ذراعاً على العشر

﴿الاعراب﴾

انكاثا منصوب لأنه في معنى المصدر دخلا بينكم منصوب لأنه مقول له والمضي تتخذون ايمانكم للدخل

والنشر وقوله ان تكون امة على تقدير بان تكون امة هي اربى موضع اربى دفع مبتدأ وخبره كلاما في محل النصب بانه خبر كان وقال الفراء ان موضع اربى نصب وهي عمادوهذا لا يجوز لأن الفصل الذي يسميه الكوفيون عبادا لا يدخل بين النكرة وخبره وقد اخطأ أيضا بأن شبه ذلك بقوله تجدد عند الله هو خيرا فالله الهاء في تجدد مرفوعة وهاهنا نكرة فلا يشبه ذلك ويجوز ان تكون الجملة صفة لامة ولا يحتاج تكون إلى خبر لا أنه بمعنى يحدث ويقع وامة قاعلة وتقديره كراهة ان تكون فهو مفترى له ولولا يكون عند الكوفيين

— المعنى —

لا تقدم ذكر الأمر بالعدل والاحسان والنهي عن المنكر والدوان عقبه سبحانه بالأمر بالرفاء بالعهد والنهي عن نقض الأيمان فقال (واورثوا بعد الله إذا عاهدتم) قال ابن عباس الوعد من العهد وقال المفسرون العهد الذي يجب الرفاء به والوعد هو الذي يضمن فله وعاهد الله ليفطنه فله يصير واجبا عليه (ولا تنقضوا الأيمان بعدتوكيها) هذا نهي منه سبحانه عن نكث الأيمان هو ان ينقضها بمخالفة موعدها وارثا كتابها بخلاف عقدها وقوله بعدتوكيها أي بعد عقدها واورثها وتوحيها باسم الله تعالى وقيل بعد تشديدها وتلطيفها بالزعم والقدر على اليقين بخلاف لو لم يكن عن ابي مسلم (وقد جئتم الله عليكم كذبا) أي حسيبا فيا عاهدتموه عليه وقيل كذبا بالرفاء وذلك ان من حلف بالله فكانه اكفل الله بالرفاء بما حلف وقيل انه قولهم الله علي كليل أو وكيل وقيل أراد به ان التكليف بالشيء يكون خطيئا له والإنسان انما يؤكد الأمر على نفسه بذكر اسم الله تعالى على جهة اليقين ليحفظ سبحانه ذلك الأمر (ان الله يعلم ما تخطون) من نقض العهد والرفاء به فليأثم ان تلغوه وقد تضمنت وهذه الآية نزلت في الذين يابسون النبي ﷺ على الاسلام فقال سبحانه للمسلمين الذين يابسون لا يحملنكم قسلة المسلمين وكرة المشركين على نقض البيعة فإن الله حافظكم أي اثبتوا ما عاهدتم عليه الرسول واكفوه بالأيمان وقيل نزلت في قوم خالفوا قوما فيباعدتهم قوما وقالوا نحن أكثر منهم واغزى فانقضوا ذلك العهد وخالفوا (ولا تكونوا كالتى نقضت غزها من بعد قوتها) أي لا تكونوا كالامراء التي غزت ثم نقضت غزها من بعد امراد وقتل الغزول وهي امرأة حسان من قريش كانت تغزل مع جواربها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن ان ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها ولسها ويطع بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة وكانت تسمى خرقاء مكة عن الصكلي وقيل انه مثل ضربه الله تعالى شبه فيه حال ناقض العهد عن كان كذلك (انكثارا) جمع نكث وهو النزل من الصوف والشعر يوم ثم ينكث وينقض لينزل ثاقية (تنخذون ايمانكم دخلا بينكم) أي دخلا وخيانة وبكرا وذلك انهم كانوا يجتفون في عهودهم ويضربون الحياطة وكان الناس يسكنون إلى عهدهم ثم ينقضون العهد فقد اغتدوا ايمانهم مكرا وخيانة (ان تكون امة هي اربى من امة) أي لا تنقضوا العهد بسبب ان يكون قوم أكثر من قوم وامة اعلى من امة ولاجل ذلك وتقديره ولا تنكثوا ايمانكم متخفيها دخلا وغدرا وخديعة لمداراتكم قوما هم أكثر عددا من حقتهم له ولتفتكم وكثرتهم بل عليكم الرفاء بما حقتهم والحفظ لا عاهدتم عليه (انما يلوكم الله به) أي انما يستبدكم الله بالأمر بالرفاء والهاء على الامر وتحقيقه اتيها ما علمكم مالملة المتعبد ليقم الجزاء بحسب السبل (وليبين) أي وليفصلن (لكم يوم القيامة ما كنتم فيه) أي في صحنه (تحتفلون) ويظهرون لكم حكمه حتى يعرف الحق من الباطل (ولو شاء لجعلكم امة واحدة) أي لجعلكم مهتدين يعني به مشيئة القدرة كما قال ولو شاء الله لجعلهم على الهدى (ولكن يضل من يشاء) بالخلاف لان بالحقكم عليه بالضلال (ويهدي من يشاء) بالتوفيق وبالحقكم عليه بالهداية وقد ذكرنا مساني الضلال والهدى في سورة القدره ولتستلن عما كنتم تعملون) من الطاعات والمأصبي فستجازون على كل منها بقدره (ولا تنخذوا ايمانكم دخلا بينكم) نهي سبحانه عن الخلف على امر يكون باطله بخلاف ظاهره فيضمر خلاف ما يظهر أي يضرر الخلف

والحنث فيه (فزل قدم بعد ثبوتها) هذا مثل ضربه الله تعالى ومثناه فضلوا عن الرشيد بعد ان تكونوا على هدى يقال زل قدم فلان في امر كننا اذا عدل عن الصواب وقيل مثناه فيسخط الله عليكم بعد رضاه عنكم لان ثبات القدم تكون برضاه الله سبحانه وزلة القدم تكون بسخطه وقيل انها نزلت في الذين يأسوا رسول الله ﷺ على نصرة الاسلام وأهله فنها عن تقص ذلك (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله) أي تذوقوا العذاب بما منتم الناس عن اتباع دين الله (ولكم) مع ذلك (عذاب عظيم) يريد عذاب الآخرة وروي عن سلمان الفارسي « ره » انه قال تهلك هذه الأمة بتقص مواثيقها وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال نزلت هذه الآيات في ولاية علي (ع) وما كلف من قول رسول الله ﷺ سلموا على علي باصرة المؤمنين

﴿ التلخيص ﴾

وجه اتصال قوله ولو شاء الله لجلدكم امة واحدة الآية بما قبله انه اخبر في الآية المتقدمة انه يبين لهم في الآخرة الحق من الباطل والمحق من المبطل بيان ضرورة فأخبر عقيب ذلك انه يقدر على ذلك أيضا في الدنيا ولكنه لم يفعل ذلك ليستحق الناس الثواب بأعمالهم

قوله تعالى (٩٥) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٦) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٨) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٩) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (١٠٠) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ست آيات

﴿ التلخيص ﴾

قرأ ابو جعفر وابن كثير وعاصم ولنجزين بالنون والباقون بالياء وروي عياش عن ابي عمرو بالنون ايضا

﴿ الحجة ﴾

حجة الياء وما عند الله باق والنون في المعنى مثل الياء

﴿ التلخيص ﴾

النقاد الفناء ونقد الشيء ينفد نقادا إذا فني وانفد القوم إذا فني زادهم وناقض الرجل مثل حاكمه ومثناه يرجع إلى ان كل واحد من الخصمين يريد نقاد حجة الآخر ومنه الحديث ان نافذتهم نافذوك ومن الناس من يرويه بالقاف والمعنى ان قلت قالوا لك والباقي هو الموجود المستمر وجوده وقيل الموجود عن وجود من غير فصل وشده الغائي وهو الممدوم بعد الوجود واختلف المتكلمون في الباقي فقال البلخي انه يبقى بمعنى هو بقاء وقال الاكثرون لا يحتاج إلى معنى به يبقى والبقاء هو استمرار الوجود والاستمادة طلب المماز استفعال من العود والمباذ والله سبحانه وماذ من عاذبه وقال النبي ﷺ المرأة التي قالت له اعدو

بالله منك لقد عنت بماذا ظننت بأهلك وأصل السلطان من التسلط وهو التهمر وإنما سميت الحجة سلطاناً لأن
الحصم به يهزم وقيل اشتق من السليط وهو دهن الزيت وسميت الحجة سلطاناً لأخضاء نهاوفي الحديث عن
ابن عباس أرايت علياً وكان عيبيه سراجاً سلبطاً

﴿الاعراب﴾

ما عند الله اسم ان وهو فصل وخير وخيره وما عندكم مبتدأ وينفد خبره وكذلك ما عند الله باق وانما
قال ولنجزيهم بلفظ الجمع لأن لفظ من يقع على الواحد والجمع فرد الضمير على المعنى

== النزول ==

قال ابن عباس ان رجلاً من حضرموت يقال له عبدان الأشعر قال يا رسول الله ان امرأ القيس
الكندي جاورني في أرضي فاقطع من أرضي فذهب بها مني والقوم يملكونني لصادق ولكنه أكرم
عليهم مني فسال رسول الله ﷺ امرأ القيس عنه فقال لا أدري ما يقول فأمره ان يحلف فقال عبدان
انه فاجر لا يبالي ان يحلف فقال ان لم يكن لك شهود فخذ بيته فلما قام ليحلف انظره فانصرفا فنزل قوله
ولا تشتروا بعهد الله الآياتان فلما قرأهما رسول الله ﷺ قال امرؤ القيس اما ما عندي فينفذ وهو صادق
فيا يقول لقد اقطعت أرضه ولم أدر كم هي فليأخذ من أرضي ما شاء ومثلها معها بما اكلت من تمرها فنزل
فيه ومن عمل صالحاً الآية

﴿المعنى﴾

لما تقدم ألمني عن تقضى المهاد أكد سبحانه فقال (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) اي لا تغالوا عهده
بسبب شيء ييسر تناوله من حطام الدنيا فكفونا قد بستم عظيم ما عند الله بالشيء الخفيف (ان ما عند الله هو خير
لكم) معناه ان الذي عند الله من الثواب على الوفاء بالمهود خير لكم واشرف مما تأخذونه من عرض الدنيا على
تقضيها فإن القليل الذي يبقى خير من الكثير الذي ينفى فكيف بالكثير الذي يبقى في مقابلة القليل الذي
ينفى (ان كنتم تعملون) الفرق بين الخير والشر والتفاوت الذي بين القليل والفاني والكثير الباقي (ما عندكم
ينفذ وما عند الله باق) بين سبحانه بهذا ان العلة التي لأجلها كان الثواب خيراً من متاع الدنيا هو ان الثواب
الذي عند الله يبقى والذي عندكم من نعيم الدنيا ينفى ثم اخبر سبحانه انه يجزي الصابرين فقال (ولنجزيهم الذين
صبروا) اي لكافئ الذين ثبتوا على الطاعات وعلى الوفاء بالمهود (اجرهم) وثوابهم (باحسن ما كانوا يعملون)
اي بالطاعات من الواجبات والمندوبات فإن افعال المكلف قد تكون طاعة وقد تكون مباحاً لا يقع الجزاء
عليه ولا يستحق عليه أجر ولا حمد لذلك قال سبحانه باحسن فإن الطاعة احسن من المباح وهذا يدل على فساد
قول من يقول انه لا يكون حسن احسن من حسن (من عمل صالحاً من ذكر او أنثى وهو مؤمن) هذا وعدم
الله سبحانه اي من عمل عملاً صالحاً سواء كان ذكراً او أنثى وهو مع ذلك مؤمناً بمصدق بتوحيد الله مقرر صدق
انبيائه (فلنجزيه حياة طيبة) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان الحياة الطيبة الرزق الحلال عن ابن عباس وسعيد
بن جبير وعطاء وناثيا ﴿ انها الفعالة والرضا بما قسم الله من الحسن ووهب وروي ذلك عن النبي ﷺ
﴿ وثالثها ﴾ انها الجنة عن قتادة ومجاهد وابن زيد قال الحسن لا يطيب لأحد حياة الا في الجنة وقال ابن زيد
الا ترى الى قوله يا ليتني قدمت حياتي ﴿ ورابعها ﴾ انها رزق يوم يوم ﴿ وخامسها ﴾ انها حياة طيبة في القبر
(ولنجزيهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) مر تفسيره وإنما كرره تأكيداً (فاذا قرأت القرآن فاستمع
يا له من الشيطان الرجيم) معناه اذا اردت يا محمد قراءة القرآن فاستمع بالله من شر الشيطان المرجوم المطرود

المعروف وهذا كما يقال إذا أكلت فأغسل يديك وإذا صليت فكبر ومنه إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا وجوهكم والاستعاذة استدفاع الأذى بالأعلى على وجه الخضوع والتذلل وتأبلاً واستعانة بالله ومنه استعاذة الشيطان عند قراءة آية تسلم في التلاوة من الزلل وفي التأويل من الخطأ والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارج الصلاة وقد تقدم ذكر اختلاف القراء في لفظ الاستعاذة في أول فاتحة (إنا) يعني الشيطان (ليس له سلطان) أي تسلط وقدره (على الذين آمنوا بالله) وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى أنه لا يقدر على أن يكرههم على الكفر والمعاصي وقيل معناه ليس له حجة على ما يدعوههم إليه من المعاصي عن فتادة (إنا سلطانه على الذين يتولونه) معناه إنا تسلطه على الذين يطيعونه فيقبلون دعاءه ويستمعون أمراً (والذين هم به) أي بسبب طاعته (مشركون) بالله وقيل معناه والذين هم بالله مشركون أي بشركون مع الله سبحانه غيره في العبادة عن مجاهد

النظم

اتصل قوله فإذا قرأت القرآن الآيات بما تقدمه سبحانه من الأمر بالطاعات فمقتب ذلك بالاستعاذة من الشيطان الأمر بالمعاصي تحذيراً منه وإنما خص بالقرآن لأن القرآن هو العمدة في جميع أمور الدين وقيل اتصل بقوله أو تلك عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ثم اعترض ذكر الأوامر والنواهي ثم عاد الكلام إلى ذكر القرآن والأمر بالاستعاذة عند قراءة آية

قوله تعالى (١٠١) وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠٢) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٣) وَلَقَدْ تَمَلَّكُوا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٤) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يُعَذِّبُهُمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٥) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ يلحدون بفتح الياء والماء أهل الكوفة غير عاصم والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء وروي في الشواذ عن الحسن السان الذي يلحدون إليه بالالف واللام

الحجة

حجة من قرأ يلحدون قوله ومن يرد فيه بإلحاد ومن قرأ يلحدون فلان لحدة لفة في الحد وذلك إذا مال ومنه أخذ الحد لأنه في جانب القبر ويكون الضم أرجح من حيث لفة التنزيل

اللمعة

التبديل في اللمعة رفع الشيء وضع غيره مكانه يقال بدله وأبدله واستبدل به بمعنى والسان المضطرب والمعروف ويقال لكمة لسان وتقول العرب للقصيدة هذه لسان فلان قال الشاعر

لسان السوء تهديها النيا وحنت وما حبستك إن تحينا

المعنى

ثم قال سبحانه يخبرنا عن أحوال الكفار (وإذا بدلنا آية مكان آية) معناه وإذا نسخنا آية وآتيناهم مكانها آية

أخرى إما نسخ الحكم الثلاثه وإما نسخ الحكم مع بقاء الثلاثه (والله اعلم بما ينزل) معناه والله اعلم بمصالح ما ينزل
 فيزل كل وقت ما توجبه المصلحة وقد تختلف المصالح باختلاف الاوقات كما تختلف باختلاف الاجناس والصفات
 (قالوا انما انت مقتر) اي قل للمشر كوث انما انت كاذب على الله قال ابن عباس كانوا يقولون يسخر محمد
 باصحابه يا مرمهم اليوم يا مروجدا يا مرمهم يا مروه الكاذب يا تيمم بما يقول من عند نفسه (بل اكثرهم لا يعلمون)
 اسيه لا يعلمون انه من عند الله او لا يعلمون جواز النسخ ولا في سبب ورد النسخ (قل) يا محمد (نزله روح
 القدس) اي انزل النسخ جبرائيل (ع) (من ربك الحق) اي بالامر الحق الصحيح الثابت (ليست الذين
 آمنوا) بما فيه من الحبيب والآيات فيزدادوا تصديقا وبقينا ومعنى تثبيته استدعاؤه لهم بالطاعة ومعوته الى القباب
 على الإيمان والطاعة (وهدي) اي وهو هدى فيكون هدى خبر مبتدأ محذوف (وبشرى للمسلمين) اي
 بشارة لهم بالجنة والثواب (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) يقول سبحانه انما نعلم ان الكفار يقولون
 ان القرآن ليس من عند الله وانما يعلم النبي ﷺ بشر قال ابن عباس قالت قرش انما يعلمه بلعام وكان
 قينا بمكة روميا نصرانيا وقال الضحاك اراد به سلمان الفارسي (ره) قالوا الله يتعلم القصص منه وقال مجاهد
 وقطادة ارادوا به عبداً لبني الحضرى روميا يقال له عيش او عائش صاحب كتاب اسلم وحسن اسلامه وقال
 عبد الله بن مسلم كانت غلامان في الجاهلية نصرانيان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار واسم الآخر
 خير كانا صديقين يقرآن كتابا لهما بلسانهم وكان رسول الله ﷺ رجلا مر مجدا واستمع لقراءتهما قالوا
 انما يتعلم منهما ثم الزهم الله تعالى الحجة واكذبهم بأن قال (لسان الذي يلحدون اليه اعجبي) اي لغة
 الذي يصيغون اليه التعليم ويصلون اليه القول اعجبية ولم يقل عجمي لأن العجمي هو المنسوب الى العجم
 وإن كان فصيحاً والاعجبي هو الذي لا يفصح وإن كان عربياً الا ترى ان سبويه كان صعباً وان كان لسانه
 لسان الله العربية وقبل يلحدون اليه يرمون اليه ويرعون انه يملك اي لسان هذا البشر الذي يزعمون انه
 يملك اعجبي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في اعلى طبقات البيان (وهنا) القرآن
 (لسان عربي مبين) اي ظاهره لا يشكك بيني اذا كانت العرب تمجز عن الاثنيان بثله وهو بلتهم
 فكيف يأتي الأعجبي بثله قال الزجاج وصفه بأنه عربي اي صاحبه يتكلم بالعربية ثم اتبع سبحانه هذه
 الآية بذكر الوعد لكفار على ما قالوه فقال (ان الذين لا يؤمنون بأيات الله) اي بجميع الله التي اظهرها
 والمعجزات التي صدق بها قولهم لا يهديهم الله ولم عذاب اليم) اي لا يثبتهم الله على الإيمان ولا يهديهم الى
 طريق الجنة بدلالة انهم انما غنوا هدايتهم لا يؤمن فالتظاهر انه اراد بذلك الهدى الذي يكون ثواباً على الإيمان
 لا الهداية التي في قوله فأنما نودى فهديتهم ثم بين سبحانه ان هؤلاء هم المفترون قال (انما يفتري الكذب
 الذين لا يؤمنون بأيات الله) اي انما يبتغى الكذب الذين لا يصدقون بدلائل الله تعالى دون من آمن
 بها لأن الإيمان يحجز عن الكذب (ولو أنك هم الكاذبون) لا انت يا محمد تحصر فهم الكذب بمعنى ان
 الكذب لازم لهم وعادة من عاداتهم وهذا كما قول كذبت وانت كاذب فيكون قولك انت كاذب
 زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية ترجع عن الكذب حيث اخبر سبحانه انه انما يفتري الكذب من
 لا يؤمن وقد روي مرفوعاً عنه قبل يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن
 يسرق قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يكذب قال لا ثم قرأ هذه الآية

(النظم)

قيل في اتصال قوله وإذا بدلنا آية مكان آية بما تقدم وجان أحدهما ثم انهم تمام صفة أولياء الشيطان

المذكورين في قوله على الذين يتولونه وتقديره يتولون الشيطان ويشركون بالآية المنزلة ويقولون عند تبديل الآية مكان الآية الأخرى انما انت مغتر ^بوالآخر ^بان الآية مقطعة عما قبلها وهي مسطوقة على الاية المتلعة التي فيها وصف افعال الكافرين والاول اوجه

قوله تعالى (١٠٦) مَنْ كَفَرَ بآيَاتِهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلْهُ مَطْطِنٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٩) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١١٠) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا أَنْهُمْ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنُفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر فتوا بفتح الفاء والتاء والباقيون فتوا بضم الفاء وكسر التاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ فتوا ان الآية في المستضعفين المتعينين الذين كانوا بمكة وهم صهيبي وعمار وبلال فتوا وحلوا على الارتداد عن دينهم فمنهم من اعطى التوبة وعما منهم فانه من اظهر ذلك توبة ثم هاجر ومن قرأ فتوا فيكون على معنى فتن نفسه باظهار ما اظهر من التوبة فكانه يحكي الحال التي كانوا عليها من اظهار ما اخذوا به من التوبة لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد وهي قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم إلى قوله الا المستضعفين وقوله من كفر بالله من بعد إيمانه الا ومن اكرهه وقوله مططن بالايان

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج قوله من كفر بالله في موضع رفع على البذل من الكاذبين وهو تفسير الكاذبين ولا يجوز ان يكون رضا بالابتداء لانه لا خبر هاجنا للابتداء فان قوله من كفر بالله من بعد إيمانه الا من اكرهه مططن بالايان ليس بكلام تام وقوله فليهم غضب من الله خبر قوله من شرح بالكفر صدرا وقال الكوفيون من كفر شرط وجوابه يدل عليه جواب من شرح فكانه قيل من كفر فليهم غضب من الله وهذا كقولهم من يأتنا فنحن يحسن نكرمه فاجاب الاول محذوف وقوله انهم في الآخرة هم الخاسرون ويبرز ان يكون في موضع رفع على ان يكون قوله لا من لا جرم ردا لكلام والمعنى وجب انهم ويبرز ان يكون في موضع نصب على ان يكون المعنى جرم فليهم هذا انهم الخاسرون وتكون لا مزينة ويبرز ان يكون معناه لا بد انهم فيكون على حذف الجار اي لا بد من ذلك ثم ان ربك خبر ان قوله نفور رحيمة وهذا من باب ما جاء في التنزيل ان فيه مكررا وكذلك الآية التي تأتي بعد ثم ان ربك الذين عملوا سوء الآية

﴿ النزول ﴾

قيل نزل قوله الا من اكرهه وقوله مططن بالايان في جماعة اكرهوا وهم عمار وباسر ايده وامه سمية

وصهيب وبلال وخباب عذبوا وقتل أبو عار وامة وإعظام عار بلسانه ما أرادوا منه ثم أخبر سبحانه بذلك رسول الله ﷺ فقال قوم كفروا فقال ﷺ كلاً ان عارا ملى إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه وجاء عار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال ﷺ ما رواه فقال شرا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت أنهم بغير فيصل رسول الله ﷺ يسبح عنبه ويقولان عادوا لك ضد لهم بما قلت فنزلت الآية عن ابن عباس وقادة وقيل نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا وخرجوا يريدون المدينة فأدركهم قريش وقتلهم فكلوا بكلمة الكفر كارهين عن مجاهد وقيل ان ياسرا وسبية ابوسية عار اول شهيدين في الاسلام وقوله من كفر بالله ومن شرح بالكفر صدرا وهو عبد الله بن سعد ابن أبي سرح من بني عاصم بن لؤي واما قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الآية قيل انها نزلت في عياش بن أبي ربيعة اخي أبي جهل من الرضاة وأبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وغيرهم من أهل مكة فتهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ثم اتهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا فنزلت الآية فيهم

المعنى

(من كفر بالله من بعد إيمانه) اختلف في تقديره قيل ان تقديره وتلخيص معناه من كفر بالله بأن يرتد عن الاسلام وشرح بالكفر صدرا فليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (إلا من أكره) فكلم بكلمة الكفر على وجه التقية مكرها (وقلبه مطمئن) أي ساكن (بالإيمان) ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك وقيل أنه يتصل بما تقدم فمعناه انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ثم استثنى من ذلك من أكره على ذلك وكان مطمئن القلب إلى الإيمان في باطنه فإنه بخلافه (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي من اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به (فليهم غضب من الله) وله العذاب في الآخرة ثم أشار سبحانه إلى العذاب العظيم فقال (ذلك بأنهم استجابوا أي آثروا (الحياة الدنيا) والتلذذ فيها والركون إليها) على الآخرة) عنى بذلك أنهم ضلوا ما ضلوه للدنيا طلباً لها دون طلب الآخرة (وان الله لا يهدي القوم الكافرين) قد سبق معناه (وأولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) قد سبق معنى الطبع على القلوب والسمع والأبصار في سورة البقرة (وأولئك هم الغافلون) وصفهم بسبب الغفلة مع أن الغواطر تزعمهم لجهلهم عما يؤدبهم إليه حالم في الآخرة وقيل اراد أنهم بمنزلة الغافلين فيكون تهجيئاً لهم وذكماً ثم قال (لا جرم أنهم في الآخرة من الخاسرون) هذا تأكيد لحكم الخسار عليهم يعني أنهم هم المغيبون إذ حرموا الجنة ونعيمها وعذبوا في النار (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) أي عذبوا في الله وارتدوا على الكفر فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلوا من شرم (ثم جاهدوا) مع النبي ﷺ (وصبروا) على الدين والجهاد (ان ربك من بعدها) أي من بعد تلك الفتنة أو تلك الفتنة التي ضلوا بها من الفتنة بكلمة الكفر (لغفور رحيم)

النظم

وانصلت هذه الآية الأخيرة بقوله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان فين سبحانه حاله بعدما انحطصوا من المشركين وهاجروا وجاهدوا عن أبي مسلم وقيل أنه لما تقدم ذكر الخاسرين اتبعه سبحانه بذكر من رجحت صفته وهو من هاجر وجاهد

قوله تعالى (١١١) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مِّجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ

لَا يَظْلُمُونَ (١١٢) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٤) فَكُلُوا مِنْ رِزْقِكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تُمِيدُونَ (١١٥) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِيَتَرِ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات

(- القراءة -)

قرأ عباس بن الفضل عن أبي عمرو والخوف بالنصب والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة الإعراب ويرى ابن اسحاق وعمر بن نعيم بن ميسرة لما تصف الستم الكذب بالجر وقراءة مسلم بن عمار الكذب

(- الحجة -)

من قرأ والخوف بالنصب فإنه حله على الاذاقة والخوف لا يذوق على الحقيقة فحله على اللباس اولى وقوله والكذب بالجر يكون على البدل من ما تصف واما الكذب فهو وصف لا لسته وهو جرم كاذب أو كذوب

❀ الآية ❀

الأنعم جمع نعمة فهو مثل شدة واشد وقيل ان واحدها نعم فهو كفمن وانصن وقيل واحدها نماء فيكون كبأسه وأبوس وقوله أذاقها الله استمارة قول الرب اركب هذا الغرس وذقها في خبره قال الشايع فذاق فأعطاه من اللين جانباً كفى ولما ان يفرق السهم حاجز يصف قوما وقال الآخر

وان الله ذاق حلوم قيس فلما رآه خفتها قلها

❀ الارباع ❀

يوم تأتي منصوب على احد شيئين اما على معنى ان ربك لغفور رحيم يوم تأتي واما ان يكون على معنى العلة والقد كأي اذ كرم يوم تأتي عن الإرجاع

- المعنى -

(يوم تأتي كل نفس) أراد به يوم القيامة (تجادل عن نفسها) أي تنافس الملائكة عن نفسها وتحتج بما ليس فيه حجة وتقول والله ربنا ما كنا مشركين ويقول اتباعهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا شديدا من النار ويحتمل ان يكون المراد انها تحتج عن نفسها بما تقدر به ازالة العقاب عنها (وتوفي كل نفس ما عملت) أي جزاء ما عملت من خير وشر (وم لا يظلمون) في ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي مثل قرية (كانت آمنة) أي ذات أمن يأمن فيها أهلها لا ينار عليهم (مطمئنة) قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف او شيق (بأنبياء رزقها رغدا من كل مكان) أي يحصل اليها الرزق الواسع من كل موضع ومن كل بلد كما قال سبحانه يهيئ اليه ثمرات كل شيء (فكفرت بأنسم الله) أي فكفر أهل تلك القرية بأنسم الله ولم

يؤدوا شكرها (فأذاها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) أي فأخذهم الله بالجوع والخوف بصنيعهم وسوء فاعلمهم وسى أثر الجوع والخوف لباساً لأن أثر الجوع والمزال يظهر على الإنسان كما يظهر لباس وقيل لأنهم شغلهم الجوع والخوف كما يشغل لباس البدن وقيل إن هذه القرية هي مكة عن ابن عباس وعجده وقادة عندهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا القند والمهز وهو الوبر يخطط بالدم والقراذم يؤكلهم مع ذلك خائفون وجلون من النبي ﷺ وأصحابه يفيرون عليهم قوافهم وذلك حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف وقيل إنها قرية كانت قبل نبينا ﷺ بعث الله اليهم نبيا فكفروا بذلك النبي وقتلوه فغضبهم الله بنذاب الاستمصال (ولقد جاءهم رسول منهم) يعني أهل مكة بعث الله عليهم رسولا من صميمهم ليتبعوه لا من غيرهم فكذبوه وجحدوا نبوته (فأخذهم النذاب وهم ظالمون) أي في حال كونهم ظالمين وغداهم ما حل بهم سنين الجوع والخوف المذكورين في الآية المتقدمة وما ظلم يوم بدر وغيره من القتل ومن قال إن المراد بالقرية غير مكة قال هذه صورة القرية المذكورة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (فكلموا ما رزقكم الله حلالات طيبات) صيفته صيفة الأمر والمراد به الإباحة أي كلوا مما أعطاكم الله من الثنائيم واحلها لكم (واشكروا نعمة الله) فبما خلقه لكم واحلها لكم (إن كنتم إياه تعبدون) وهذه الآية مع التي بعدها مفسرة في سورة البقرة

قوله تعالى (١١٦) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ السِّتْكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَتَقَرُّ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلَحُونَ (١١٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ أربع آيات

❦ الأعراب ❦

متاع قليل خبر مبتدأ محذوف وتقديره متاعهم بهذا الذي فعلوه متاع قليل وتم الكلام عند قوله لا يفلحون

❦ المعنى ❦

لما تقدم ذكر ما أحله الله سبحانه لهم وحرمة عليهم أعقبه سبحانه بالثاني عن مخالفة أوامره ونواهيه في التحليل والتحريم فقال (ولا تقولوا لما تصف السكك الكذب) وتقديره لوصف السكك الكذب (هنا حلال وهنا حرام) أي لا تقولوا لما حللتموه بأقسامكم مثل الميتة هنا حلال ولما أحرمتموه مثل السائبة هنا حرام (لتفتروا على الله الكذب) أي لتكذبوا على الله في إضافة التحريم إليه (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) أي لا ينجون من عذاب الله ولا يتألون خيرا (متاع قليل) متاع الذين هم فيه من الدنيا بشي قليل ينتفعون به إياها فلا تفلح (ولهم عذاب أليم) في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمتنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني بذلك ما ذكره في سورة الأنعام من قوله وعلى الذين هادوا حرمتنا كل ذي ظفر الآية عن الحسن وقائدة وعكرمة وعن بقوله من قبل نزول هذه الآية لأن ما في سورة الأنعام نزل قبل هذه الآية (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالحصان والكفر بضم الله تعالى والجود بانبيائه واستحقوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم لتغيير المصلحة عند كفرهم وعصيانهم

ثم ذكر سبحانه التائبين بعد تقدم الوعد والوعيد فقال (ثم ان ربك) الذي خلقك يا محمد (الذين عملوا السوء اي المعصية (بجهالة) اي بداعي الجهل فإنه يدعو إلى التوب (كما ان داعي العلم يدعو إلى الحسن وقيل بجهالة الشياطين او بجهالتهم للمقايسة وقيل بجهالة انها سوء وقيل بالجهالة هو ان يجعل بالانقياد عليها ويعد قسه التوبة عنها (ثم تابوا) عن تلك المعصية (من بعد ذلك واصلحوا) نياتهم وانما لهم (ان ربك من بعدها) اي من بعد التوبة او بالجهالة او المعصية (لنفور رحيم) واعاد قوله ان ربك للتأكيد وليعود الضمير في قوله من بعدها إلى الفعلة

﴿النظم﴾

انما اتصل قوله وعلى الذين هادوا حرمتنا ما قصصنا عليك بما تقدم ذكره من التحريم والتحليل لبيان ان ما كانوا يعبرونه ويحفلونه بغيرهم ليس في التوراة كما انه ليس ذلك في القرآن وقيل لبيان انه اذا لم يحرم على اليهود جميع الطيبات بفسادهم فكيف يحرم على المسلمين ذلك

قوله تعالى (١٢٠) **إِنِّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا فِيهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢١) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ أَجْبَاهُ وَهَذَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢٢) وَأَتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٣) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٤) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** خمس آيات

﴿المضى﴾

(ان ابراهيم كان أمة) اختلف في معناه فقيل قدوة ومعلم للخير قال ابن الاعراب يقال للرجل العالم أمة وهو قول أكثر المفسرين وقيل اراد امام هدى عن قتادة وقيل سماه أمة لأن قوام الأمة كان به وقيل لأنه قام بسبل أمته وقيل لأنه اقرده في دهره بالتوحيد فكان مؤمناً وحده والناس كفاراً عن مجاهد (قانتاً لله) أي مطيعاً له دائماً على عبادته عن ابن مسعود وقيل مصلياً عن الحسن (حنيفاً) أي مستقيماً على الطاعة وطريق الحق وهو الاسلام (ولم يك من المشركين) بل كان موحداً (شاكراً لأنعمه) أي لا نسم الله معترفاً بها (أجباه) أي اختار ما هو واصفاً (وهذه إلى صراط مستقيم) أي دله إلى الدين المستقيم وهو الإسلام والتوحيد (وأتيناه) أي اعطيناه (في الدنيا حسنة) أي نعمة سابقة في قسه وفي اولاده وهو قول هذه الأمة كاصليت على ابراهيم وآل ابراهيم وقيل هي الثبوة والرسالة عن الحسن وقيل هي انه ليس من اهل دين الا وهو برضاه وبتولاه عن قتادة وقيل هي ثبوتها الله بذكره بطاعته لربه ومساخرته إلى مرضاته حتى صار اماماً يقتدى به ويهتدى بهواه وقيل هي اجابة الله دعوته حتى اكرم بالنبوة ذريته (وانه في الآخرة لمن الصالحين) ولم يقل لني اعل منازل الصالحين مع اقتضاه حاله ذلك ترغيباً في الصلاح فإنه عز اسمه بين انه (ع) من جملة الصالحين مع علو رتبته وشرف منزلته لنشرها لهم وتبويبها بذكر من هو منهم وناهيكم بهذا الترغيب في الصلاح وبهذا المدح لابراهيم (ع) ان يشرف جملة هو منها حتى يصير الاستدعاء اليها بأنه في الدعاء إلى توحيد الله وخلع الانداد له وفي العمل بمبته (وما كان) ابراهيم (حنيفاً) أي مستقيماً الطريقة في الدعاء إلى توحيد الله وخلع الانداد له وفي العمل بمبته (وما كان) ابراهيم (من المشركين) ومتى قيل ان نبينا كان أفضل منه فكيف امر الفاضل باتباع الفضول فجوابه ان ابراهيم (ع) سبق إلى اتباع الحق ولا يكون في سبق الفضول إلى متابعة الحق زبابة على الفاضل في اتباعه (إنما جعل) السبت على الذين اختلفوا فيه) معناها إنما جعل السبت لعنة ومستحقاً على الذين اختلفوا فيه فحرموا ثم استحلوه فلنهم

أفقه ومنهم من الحسن ويميز أن يكون اختلافهم فيه أنهم نهوا عن الصيد فيه فصاروا الشباك يوم الجمعة دخل فيه السمك يوم السبت واخذوه يوم الأحد وقيل معناه أنما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا في إسماء الجمعة وهم اليهود وكانوا قد أسروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما أسروا به عن مجاهد وابن زيد وقيل إن الذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى قال بعضهم السبت أعظم الأيام لأن الله سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء وقال الآخرون بل الأحد أعظم لأنه أجدأ بمخلق الأشياء فيه فهذا اختلافهم (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمور دينهم ويفصل بين الحق والمبطل منهم

﴿التعظيم﴾

وجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها أنه لما أمر سبحانه باتباع الحق جذر من الاختلاف فيه بما ذكر من أحوال المختلفين في السبت كيف شدد عليهم فرضه وضيّق عليهم أمره وقيل إنه سبحانه رذل اليهود والنصارى دعوتهم إن إلههم كان معهم ثم رد عليهم في هذه الآية ما أوجبوه من تعظيم أمر السبت وإنه لا يجوز نسخه كما رد عليهم ذلك عن إلهي مسلم

قوله تعالى (١٢٥) ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلُغَتِهِمْ بِأَحْسَنِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَدِينَ (١٢٦) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٧) وَأَصْرِبْ وَلَا يَجِدْكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٨) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ اربع آيات

﴿القراءة﴾

قرأ ابن كثير وحده في ضيق بكسر الفاد وكذلك في النمل والياقوت يفتح الفاد

﴿الحجة﴾

قال الزجاج من فتح أراد ضيق فخفض مثل سيد وهين ولين ويميز أن يكون بمعنى الضيق فيكون مصدراً قال أبو الحسن الضيق والضيق لثان في المصدر قال أبو علي يني أن يحمل على أنه مصدر لأنك إذا حملته على أنه مخفف من ضيق فقد أتت الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة والمعنى لا تكن في ضيق أي لا يضيق صدرك من مكرم كما قال وشائق به صدرك وليس المراد لا تكن في ضيق قال أبو عبيدة الضيق بالكسر في المعاش والمسكن والضيق بالفتح في القلب وقال علي بن عيسى يقال في صدري ضيق من هذا الأمر بالفتح وهو أكثر من الكسر

﴿المعنى﴾

ثم أمر سبحانه نبيه بالدعاء إلى الحق فقال (ادع إلى سبيل ربك) أي ادع إلى دينه لأنه السبيل إلى مرضاته (بالحكمة) أي بالقرآن وسمي القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة البهائم وإنما قيل لها حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي أن يختار وقيل إن الحكمة هي المعرفة بمراتب الأنفال في الحسن والقبح والصالح والفساد لأن معرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الأفعال والأقوال (والموعظة الحسنة) معناه الوعظ الحسن وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والترهيد في فعله وفي ذلك تلين القلوب بما يوجب الخشوع وقيل إن الحكمة هي النبوة والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي ناظرهم بالقرآن وبأحسن

ما عندك من الحجيح وتقديره بالكلمة التي هي احسن والمعنى اقبل للمشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب في النصيحة ليكونوا اقرب إلى الإجابة فإن الجدل هو قتل الخصم عن مذنب بطريق الحجاج وقيل هو اوتى يجادلهم على قدر ما يحتملونه كما جاء في الحديث امرنا معاشر الانبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم (إن ربك هو اعلم بين ذل عن سيده) أي عن دينه (وهو اعلم بالملتدين) أي القائلين للهدى وهو يأمرك في الفريقين بما فيه الصلاح (وان عاقبتهم فماتوا بقتل ما عوقبتهم به) معناه وان أردت معاقبة غيركم على وجه المجازاة والمكافاة فماتوا بقدر ما عوقبتهم به ولا تزيدوا عليه وقالوا ان المشركين لا ملأوا يقتل احدوهم فمن عبد المطلب فشقوا بطنه وأخذت هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكه وجدهوا الله وأذنه وقطعوا مذاكيره قال المسلمون لئن امكنا الله منهم لئن لشدن بالاحياء فضلا عن الأموات فنزلت الآية عن النبي وقادة وعطاب يسار وقيل ان الآية عامة في كل ظلم كغصب أو نحوه فإنما يجازى بقتل ما عمل عن مجاهد وابن سيرين وابراهيم وقال الحسن نزلت الآية قبل ان يؤمر النبي بقتل المشركين على العموم وأمر بقتل من قاتله ونظيره قوله فإن قاتلوكم فاقتلوهم (ولئن صبرتم) أي تركتم المكافاة والقصاص وجرحتم مرارته (لهم خير فاصبرين) معناه الصبر خير واقم للصائرين لا فيه من جزيل الثواب (واصبر) يا محمد فيها قبلته من الرسالة وفيها لقاء من الأذى وقيل معناه اصبر على ما يجب الصبر عليه وعما يجب الصبر عنه (وما صبرك إلا بالله) أي وليس صبرك إلا بتوفيق الله واقداره وتيسيره وترغيبه فيه (ولا تحزن عليهم) أي ولا تحزن على المشركين في اعراضهم عنك فلو لم يكون الظفر والنصرة لك عليهم ولا تعب عليك في اعراضهم فقد بلغت ما امرت به وقضيت ماصليك وقيل معناه ولا تحزن على قتلى أحد فإن الله تعالى قد ظلمهم إلى نوابه وكرامته (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي ولا يكن صدرك في ضيق من مكرم بك وباصحابك فإن الله سبحانه يرد كيدهم في نخودهم ويغفلهم عن شرورهم (ان الله مع الذين اتقوا) الشرك والفواحش والكبائر بالنصرة والحفظ والكلالة (و) مع (الذين هم محسنون) قال الحسن اتقوا ما حرم عليهم وأحسنوا فيما فرض عليهم

(سورة بني اسرائيل)

هي مكية كلها وقيل مكية إلا خمس آيات ولا تقتلوا النفس الآية ولا تقرروا الزنى الآية أولئك الذين يدعون الآية أم الصلاة الآية وآت ذا القربى سعة الآية عن الحسن وقيل مكية إلا ثمانى آيات وان كادوا لينتوذك إلى قوله وقل رب ادخلي مدخل صدق الآية عن قتادة والمعدل عن ابن عباس

عدد آياتها

مائة واحد عشر آية كوفي وعشر آيات في الباقيين اختلافها آية للاذقان سجدا كوفي

فضلها

أي ابن كعب عن النبي أنه قال من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين اعطى في الجنة قطارين من الاجر والتمتار الف لوقية ومائتا اوقية والاولوية منها خير من الدنيا وما فيها وروى الحسن ابن ابي العملاء عن الصادق (ع) انه قال من قرأ سورة بني اسرائيل في كل ليلة جمعة لم يميت حتى يدرك الثامن ويكون من اصحابه

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله تعالى سورة الحبل بذكر النبي ﷺ والفتح سورة بني اسرائيل أيضا بذكره ويأتى اسماءه إلى المسجد الأقصى فقال

يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١) سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ يَأْتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢) وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٣) ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو وحده الا يتخذوا بالياء والباقرن بالثاء

-(الحجة)-

من قرأ بالياء فلأن ما تقدمه على لفظ النبية والمعنى هديناهم لأن لا يتخذوا ومن قرأ بالثاء فلانصراف من النبية إلى الخطاب كما في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ثم قال إياك نعبد والضمير في الاتخذوا وان كان على لفظ الخطاب فإنما يعني به النيب في المعنى

﴿ ال اعراب ﴾

سبحان منصوب على المصدر على معنى اسبح لله تسبيحا قال ابو علي من زعم ان الا تتخذوا على اشارة القول فكأنه يواد قال ان لا تتخذوا لم يكن قوله هذا مستقيما وذلك لأن القول لا يخلو من ان يكون بعده جملة معني او معنى جملة يعمل فيه لفظ القول فالأول كقوله قال زيد عمرو منطلق فوضع الجملة نصب بالقول والأخر نحو ان يقول القائل لا إله إلا الله فتقول قلت حقا أو يقول الثلج حار فتقول قلت باطلا فهذا معنى ما قاله وليس نفس القول وقوله ان لا تتخذوا خارج من هذين الوجهين ألا ترى ان لا تتخذوا ليس هو القول كما ان قولك حقا إذا سمعت كلمة الاخلاص بمعنى القول وليس قوله ان لا تتخذوا الجملة فيكون كقولك قال زيد عمرو منطلق ويعجز ان تكون ان بمعنى اي التي للتفسير وانصرف الكلام في النبية إلى الخطاب كما انصرف منها إلى الخطاب في قوله وانطلق الملأ منهم ان امشوا في الأمر فكذلك انصرف في النبية إلى الخطاب في النحي في ان لا تتخذوا وكذلك قوله ان اعبدوا الله ربي وربكم في وقوع الأمر بعد الخطاب ويعجز ان يضمم القول ويجعل يتخذوا على القول للتصريح إذا جعلت ان زائدة فيكون التقدير وجعلناه هدى لبني اسرائيل وقتلنا لا تتخذوا فيجوز إذا في قوله ألا تتخذوا ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ ان تكون ان الناصبة للفعل فيكون المعنى وجعلناه هدى كرامة ان يتخذوا من دوني وكيلاً أو لأن لا يتخذوا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون بمعنى أي لأنه بعد كلام تام فيكون التقدير اي لا تتخذوا ﴿ والثالث ﴾ ان تكون ان زائدة ويضمم القول فأما قوله ذرية من حملنا فانه يجوز ان يكون مفعول الاتخاذ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين والفرد الوكيل وهو في معنى الجمع لأن ضميلا يكون مفردا لفظ والمعنى على الجمع نحو قوله وحسن أولئك رفيقا فإذا حمل على هذا كان مفعولا ثانيا في قراءة من قرأ بالياء والياء ويعجز ان يكون نداء وذلك على قراءة من قرأ بالياء لأن النداء للخطاب ولو رفع ذرية على البدل من الضمير المرفوع في ان لا تتخذوا كان جائزا ويكون التقدير الا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلاً ولو جعلته مجرداً بدلا من قولك بني اسرائيل جاز وكاف التقدير وجعلناه هدى لذرية من حملنا مع نوح

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت الآية في اسرته وكان ذلك بمكة على المغرب في المسجد الحرام ثم اسري به ليلة ثم رجع فعلى الصبح في المسجد الحرام فاما الموضع الذي اسري اليه ابن كان فإن الاسراء الى بيت المقدس وقد نطق به القرآن ولا يذمهم مسلم وما قاله بعضهم ان ذلك كان في اليوم فظاهر البطالان اذ لا معنى يكون فيه ولا يرهان وقد وردت روايات كثيرة في قصة المراج في عروج نبينا ﷺ الى السماء ورواها كثير من الصحابة مثل ابن عباس وابن مسعود وانس وجابر بن عبد الله وحذيفة وعائشة وام هاني وغيرهم عن النبي ﷺ وزاد بعضهم ونقص بعض وتنقسم جملة الى اربعة اوجه ﴿ احدها ﴾ ما يقطع على صحته لتواتر الاخبار به واحاطة العلم بصحته ﴿ وثانيها ﴾ ما ورد في ذلك مما تجوزة العقول ولا تأباه الاصول فنحن نجوزة ثم نقطع على ان ذلك كان في بقلته دون منامه ﴿ وثالثها ﴾ ما يكون ظاهره مخالفا لبعض الاصول الا انه يمكن تأويلها على وجه يوافق العقول فالاولى ان تأوله على ما يطابق الحق والدليل ﴿ ورابعها ﴾ ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله الا على التصف البعيد فالاولى ان لا يقبله فاما الاول المقطوع به فهو انه اسري به على الجبله واما الثاني فتمت ما روي انه طاف في السماوات ورأى الأنياب والعرش والسدره المتحى واللجنة والنار وغير ذلك واما الثالث فنحو ما روي انه رأى قوما في الجنة يتنعمون فيها وقوما في النار يمتدنون فيها فيحمل على انه رأى صفتهم واسماهم (واما) الرابع فنحو ما روي انه ﷺ حكلم الله سبحانه جنة وراء وقد سمع على سريره ونحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبه والله سبحانه بتقدس عن ذلك وكذلك ما روي انه شق بطنه وغسله لانه ﷺ كان طاهرا مطهرا من كل سوء وعيب وكيف يظهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالباء فمن جملة الاخبار الواردة في قصة المراج ما روي ان النبي ﷺ قال انا في جبرائيل (ع) وانا بمكة فقال قم يا محمد ففتت منه وخربت الى الباب فلماذا جبرائيل وسه ميكائيل واسرائيل فأتى جبرائيل (ع) بالبراق وكان فرق الحمار ودون البغل خده كخده الإنسان وذنيه كذنب البقر وعرفه كعرف الترس وقوائم كقوائم الابل عليه رحل من الجنة وله جناحان من نغذه خطوه مثلى طرفه فقال اركب فركبت ومضيت حتى انتهيت الى بيت المقدس ثم ساق الحديث الى ان قال فلما انتهيت الى بيت المقدس اذا ملائكة نزلت من السماء بالنبارة والكرامة من عند رب العزة وصلت في بيت المقدس وفي بعضها بشر لي ابراهيم في رط من الأنبياء ثم وصف موسى وعيسى ثم اخذ جبرائيل (ع) يدي الى الصخرة فاقصدي عليها فلماذا معراج الى السماء لم ار مثلا حسنا وجمالا فصعدت الى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوها وملائكتها يسلمون على ثم صعدني جبرائيل الى السماء الثانية فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعدني الى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف ثم صعدني الى السماء الرابعة فرأيت فيها ادريس ثم صعدني الى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون ثم صعدني الى السماء السادسة فلماذا فيها خلق كثير عوج بعضهم في بعض وفيها الكروبيون ثم صعدني الى السابعة فابصرت فيها خلقا وملائكة وفي حديث ابي هريرة رأيت في السماء السادسة موسى ورأيت في السماء السابعة ابراهيم (ع) قال ثم جاوزناها متصاعدين الى اعلى عليين ووصف ذلك الى ان قال ثم كلمني ربي وكلمته ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وسدره المتحى ثم رجعت الى مكة فلما اصبحت حدثت به بالناس فكذبني ابو جهل والمشركون وقال مطعم بن عدي اتزعم انك سرت مسيرة شهرين في ساعة اشهد انك كاذب قالوا ثم قالت قريش اخبرنا عما رأيت فقال مررت بدير بني فلان وقد اضلوا بغيرا لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قب مله من ماء فشرمت للماء ثم غطيته كما كانت فسألوم هل وجدوا الماء في القدرح قالوا هذه آية واحدة ظالم وسدت بدير بني فلان فنفرت بكرة فلان فانكسرت يدعا فسألوم عن ذلك فقالوا هذه آية أخرى قالوا فاخبرنا عن عيرنا

قال مررت بها بالانتم وبين لم اجمالها وهيئتها وقال تقدمها جبل اورق عليه قرارتان محيطتان وبطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا هذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو التيه وهم يقولون لقد قضى محمد بيننا وبينه قضاء بينا وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه فقال قاتل والله ان الشمس قد طلعت وقال آخر والله هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير اورق فيهن اولوم يوم متوا وفي تفسير البياضي بالاستناد عن ابي بكر عن ابي عبد الله (ع) قال لما اسرى برسول الله ﷺ الى السماء الدنيا لم يمر بأحد من الملائكة الا استبشر قال ثم مر بملك حزين كئيب فلم يستبشر به فقال يا جبرائيل ما مررت بأحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا الملك فمن هنا فقال هذا مالك خازن جهنم وهكذا جعله الله ﷻ قال فقال له النبي ﷺ يا جبرائيل اسأله ان يرينيها قال فقال جبرائيل (ع) يا مالك هذا محمد رسول الله ﷻ وقد شكنا الي فقال ما مررت بأحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا فاخبرته ان هكذا جعله الله ﷻ وقد سألتني ان اسألك ان تربيه جهنم قال فكشفت له عن طبق من اطباقها قال فما ربي رسول الله ﷻ ضاحكاً حتى قبض وعن ابي بصير قال سمعته يقول ان جبرائيل احمل رسول الله ﷻ حتى انتهى به الى مكان من السماء ثم تركه وقال له ما وطأ نبي قط مكاناً

المعنى

(سبحان الذي اسرى بيده) سبحان كلمة تنزيه وابراء لله عز اسمه عما لا يليق به من الصفات وقد يرد به المصحب يعني سبحان الذي سبر عبده محمد ﷺ وهو عجيب من قدرة الله تعالى وتعجب ممن لا يقدر الله حق قدره واشرك فيه غيره وسرى بالليل واسرى يعني وقد عدي هنا بالياء والوجه في التأويل انه اذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تمجيداً قليل سبحانه اي عجب (ليلاً) قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة (من المسجد الحرام) وقال اكثر المفسرين اسرى برسول الله ﷻ من دار ام هاني اخت علي بن ابي طالب وزوجها بميرة بن ابي وهب الخزوي وكان ﷻ نائماً تلك الليلة في بيتها وان المراد بالمسجد الحرام هنا مكتومكة والحرم كلها مسجد وقال الحسن وقادة كان الاسراء من نفس المسجد الحرام (إلى المسجد الأقصى) يعني بيت المقدس وإنما قال الأقصى ليعيد المسافة بينه وبين المسجد الحرام (الذي ياركنا حوله) اي جعلنا البركة فيها حوله من الاشجار والاثمار والنبات والأمن والغصب حتى لا يحتاجوا الى ان يجلب اليهم من موضع آخر وقيل ياركنا حوله اي جعلنا البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الانبياء ومهيأ للملائكة عن مجاهد وبذلك صار مقدماً عن الشرك لأنه لما صار متصفاً بالأنبياء ودار مقام لم تفرق المشركون عنهم فصار مطهراً من الشرك والتقديس الظاهر فقد اجتمع فيه بركات الدين والدنيا (لربيه من آياتنا) أي من عجائب حبسنا ومنها اسراؤه في ليلة واحدة من مكة إلى هنا فكذلك منها ان آراءه الأنبياء واحداً بعد واحد وان عرج به إلى السماء وغير ذلك من العجائب التي اخبر بها الناس (انه هو المسيح) لأقول ان صدق بذلك أو كذب (البصير) بما فعل من الاسراء والمراج (وأتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) أي وجعلنا التوراة حجة ودلالة وبياناً وإرشاداً لبني اسرائيل يهتدون به (ألا تتخذوا من دوني وكيلاً) أي امرهم أن لا يتخذوا من دوني معصداً يرجعون اليه في التواب وقيل رايته يكون عليه (ذرية من حملنا مع نوح) أي أولاد من حملنا مع نوح في السفينة فأعجبناهم من الطوفان وقد ذكرت آجوه ذلك في الاعراب وعلى هنا يدور المعنى (انه كان عبداً شكوراً) معناه ان نوحاً كان عبداً لله فكثير الشكر وكان اذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماء حمد الله وشكره له وقال الحمد لله وقيل انه كان يقول في إبداء الأكل والشرب بسم الله وفي اقصائه الحمد لله ودوي عن ابي عبد الله (ع) وابي جعفر (ع) ان نوحاً كان إذا أصبح وامسى قال اللهم إني أشهدك ان ما أصبح أو امسى بي من نعمة في دين أو دنيا فنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها علي حتى ترضي وبسد الرضى وهذا كان شكره

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله وأتينا موسى الكتاب بما قبله ان المعنى فيه سبحانه الذي امرى محمد ﷺ وآراه الآيات كلها كما أرى موسى الآيات والمعجزات الباهرات وقيل ان معناه ان كونك نبيك ليس بيدك فقد أتيناك الكتاب والحجج كما أتينا موسى التوراة فلم أقفوا به وانكروا أمرك والطريق فيها واحد وقيل ان معناه انهم كفروا بموسى كما كفروا بما أخبرهم به من أمرنا لك

قوله تعالى (٤) وقضيتا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوماً كبيراً (٥) فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً (٦) ثم ردّنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً (٧) إن أحستم أحستم لانتفسكن وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تفتيراً (٨) عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدنتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

ليسوع بفتح الهزئة شامي كوفي غير حفص إلا ان البستاني يقرأ بالنون والباقون ليسوا بالياء وضم المهزلة على وزن ليسوعا وفي النوازل قراءة ابن عباس لتفسدن بضم التاء وفتح السين وعيسى التقيي لتفسدن بفتح التاء وضم السين وقراءة علي «ع» عبيداً لنا وقراءة أبي السالك فجاسوا بالياء وقراءة أبي بن كعب ليسوا بالنون

﴿ الحجة ﴾

من قرأ ليسوع بالياء ففاعل ليسوع يجوز ان يكون احد شيئين اما اسم الله تعالى لأن الذي تقدم بعثنا ورددنا لكم وأمددناكم بأموال وبنين وامالهم ودل عليه بعثنا المتقدم كقوله لا تحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم أي البخل خيراً لم ومن قرأ لنسوء بالنون كان في المعنى كقول من قدر ان الفاعل ما تقدم من اسم الله تعالى وجاز ان ينسب المساءة إلى الله تعالى وان كانت من الذين جاسوا خلال الديار في الحقيقة لأنهم فعلوا المساءة بقوة الله تعالى فجاز ان ينسب اليه واماً قوله ليسوا فمعناه إذا جاء وعد الآخرة أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين بعثناهم ليسوا وجوهكم فحذف بعثناهم لأن ذكره قد تقدم والحجة في ليسوا انه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله ثم بعثناهم وبهذه ليدخلوا المسجد الحرام والمسيحون في الحقيقة هم الذين يسوءونهم يقتلهم ويأثمهم واسرهم لهم فهو وفق المعنى وقال وجوهكم على ان الوجه مفعول به ليسوع وعدي الى الوجه لأن الوجه قد يرد به ذو الوجه كقوله كل شيء هالك إلا وجهه وقوله وجوه يومئذ فاسرة ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال النابغة

أفارع عوفا لا أحاول غيرها وجوه قرودتبني من نخادع

وأما قراءة أبي ليسوع فالوجه فيه على قول ابن جني ان يكون على حذف الهاء كما يقال إنا سألني فلا عملك كأنك تأمر نفسك ومعناه فلا عملكك واللام بعد الهاء أيضاً وهما وليدوا المسجد وليبروا ويقوي ذلك انه لم يأت لإدراج جواب فيما بعد واما من قرأ لتفسدن فاحدى القراءتين شاهدة للأخرى لأن من أقصد

فقد قسد وأما حاسوا فقاممضى جلسوا بينه

❦ القصة ❦

القضاء فصل الأمر على إحكام ومنه سبي القاضي ثم يستعمل بمعنى الخلق والاحداث كما قال قضاهن سبع سموات وبمعنى الإيجاب كما قال وقضى ربك ألا تسبدوا إلا إياه وبمعنى الاعلام والاخبار بما يكون من الأمر وهو المعنى هاهنا وأصله الإحكام والعلو الارتفاع وعلاقان الشيء إذا أطاقه ويقال علا في المكالم يعلو علا فهو علي وعلا في المكان يعلو علوا فهو عال والجوس التخلل في الديار يقال تركت فلاناً في جوس بني فلان ويجوسهم وينوسهم أي يطأهم قال أبو عبيد كل موضع خالطته ووطئته قد حسبت وجسته قال حسان

ومنا الذي لاقي بسيف محمد فجاس به الأعداء عرض المسامر

وقيل الجوس طلب الشيء باستقصاء والكرة ميثاق الرجعة والدولة والتغير المدد من الرجال قال الزجاج ويجوز أن يكون جمع نفر كما قيل السيد والفضين والميز والكليب ونفر الإنسان ونفرو ونغيره ونافروته رطله الذين ينصرونه وينفرون معه والتبوير الإهلاك والهلاك والدمار واحد وكل ما يكسر من الحديد والذهب تبر والحصير الحبس ويقال للملك حصير لأنه محبوب قال لبيد

وقام غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

والحصير البساط المروسل لحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من التسج

❦ المعنى ❦

لما تقدم أمره سبحانه لبني اسرائيل عقب ذلك يذكر ما كان منهم وما جرى عليهم فقال (وقضيتا إلى بني اسرائيل) أي أخبرناهم وأعلمناهم (في الكتاب) أي في التوراة (لتفسدن في الأرض مائةين) أي حقاً لا شك فيه أن اخلافتكم سيفدون في البلاد التي تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس وأراد بالقساد الظلم وأخذ المال وقتل الأنبياء وسفك الدماء وقيل كان فسادهم الأول قتل زكريا والثاني قتل يحيى بن زكريا عن ابن عباس وابن مسعود وابن زيد قالوا أنه سلب الله عليهم ساير ذاك الأكتاف ملكاً من ملوك فارس في قتل زكريا وسلط عليهم في قتل يحيى بنت نصر وهو ربهل خرج من بابل وقيل الفساد الأول قتل شمعيا والثاني قتل يحيى وإن زكريا مات خفف الله عن محمد بن اسحاق قال وأثم في الأول بنت نصر وفي الثاني ملك من ملوك بابل وقيل كان الأول جالوت قتله داود (ع) والثاني بنت نصر عن قتادة قيل أنه سبحانه ذكر فسادهم في الأرض ولم يبين ما هو فلا يقطع على شيء مما ذكر من أبي علي الجبائي (ولعلنا علوا كثيراً) أي ولتستكبرن وتظلمن الناس ظلاماً عظيماً والعلو نظير الشوها وهو الجرأة على الله تعالى والتعرض لسلطه (فإذا جاء وعد أولاهما) مثناه فإذا جاء وقت أولي المرتين التين تفسدن فيها والوعد هنا بمعنى الموعود ووضع المصدر موضع المفعول به أي إذا جاء وقت الموعود لا فسادكم في المرة الأولى (بنتا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) أي سلطنا عليكم عباداً لنا أولي شوكة وقوة ونجدة وخليتنا بينكم وبينهم خاذلين لكم جزاءاً على كفركم وعثوكم وهو مثل قوله أرسلنا الشياطين على الكافرين توزم أزا عن الحسن وقيل مثناه أمرنا قوموا مؤمنين بشتاكم وجهاً لكم لأن ظاهر قوله تعالى عباداً لنا وقوله بشتا يقتضي ذلك عن الجبائي وقيل يجوز أن يكونوا مؤمنين أمرهم الله بجهاد هؤلاء ويجوز أن يكونوا كافرين بآفهم نبي من الأنبياء

الحرب هؤلاء وسلطهم على نظراتهم من الكفار والفاسق عن ابي مسلم (فحاسوا خلال الديار) أي فطافوا وسط الديار يترددون وينظرون هل بقي منهم احد لم يقتلوه عن الزجاج (وكان وعداً مفقوداً) أي لم يبرعوا كائناً لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أي رددنا لكم يا بني اسرائيل الدولة واظهرناكم عليهم وعاد ملككم على ما كان عليه (وأمددناكم بأموال وبنيين) أي واكثرنا لكم أموالكم وأولادكم ورددنا لكم العدة والقوة (وجعلناكم أكثر نفيراً) أي أكثر عدداً وأنصاراً من اعدائكم (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) معناه ان احسنتم في أفعالكم وأفعالكم ففع احسانكم عائد عليكم وثوابه واصل اليكم تنصرون على اعدائكم في الدنيا وتثابرون في العقبى (ولان أسأتم فلها) معناه وان أسأتم فقد أسأتم إلى أنفسكم أيضاً لأن مضرة الاساءة عائدة اليها لانا قال فلها على وجه التقابل لأنه في مقابلة قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم كما يقال احسن إلى نفسه ليقابل أساء إلى نفسه ولأن معنى قولك أنت متتهى الاساءة وأنت المختص بالاساءة متقارب فلذلك وضع الام موضع إلى وقيل ان قوله فلها بمعنى فلها كقوله تعالى لم ألم الله أي عليهم العنة وقيل معناه فلها الجزاء والمقاب وإذ امكن حل الكلام على الظاهر فالاولى ان لا يعدل عنه وهذا الخطاب لبني اسرائيل ليكون الكلام جارياً على النسق والنظام ويميز ان يكون خطاباً لامة نبينا ﷺ فيكون اعترافاً بين القصة كما يفعل الخطيب والواعظ يحكي شيئاً ثم يسط ثم يعود إلى الحكاية فكانه لما بين ان بني اسرائيل لما علوا وبغوا في الأرض سلب عليهم قوماً ثم لما تابوا قبل توبتهم وأظفرهم على عدوهم خاطب أمته بأن من أحسن عاد نفع احسانه اليه ومن أساء عاد ضرره اليه ترضياً وتوحيها (فإذا جاء وعد الآخرة) أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسد في الأرض مرتين والمراد به جاء وعد الجزاء على الفساد في الأرض في المرة الأخيرة أو جاء وعد فسادكم في الأرض في المرة الأخيرة أي الوقت الذي يكون فيه ما اختبرناه عنكم من الفساد والعدوان على العباد (ليسوا وأوجهكم) أي غزاكم اعداؤكم وظبواكم ودخلوا دياركم كهسؤكم بالقتل والاسر يقال مشته اسوءه مساءة وسوائية وسوائية إذا أحرمته وقيل معناه ليسوا كبراًكم وروساًكم وفي مساءة الاكابر واحلهم مساءة الأصاغر (وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس وتواجبه فكفى بالمسجد وهو المسجد الأقصى عن البلد كما كفى بالمسجد الحرام عن الحرم ومعناه وليستولوا على البلد لأنه لا يمكنكم دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء (كما دخلوه أول مرة) دل بهذا على ان سبب المرة الأولى قد دخلوا المسجد أيضاً وإب لم يذكر ذلك ومعناه وليدخل هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مرة (وليتبروا ما علوا تبيراً) أي وليدمروا وهلكوا ما ظفروا عليه من بلادكم تدميراً ويميز ان يكون ما مع الفضل تأويل المصدر والمضاف محذوف أي ليتبروا مدة علومهم (عسى ربكم) يا بني اسرائيل (ان يرحمكم) بعد انتقامه منكم ان يتم ورحمتهم إلى طاعته (وان عدتكم عدنا) معناه وإن عدتم إلى القساد عدنا بكمل إلى العقاب لكم والتسلط عليكم كما فعلناه فيما مضى عن ابن عباس قال انهم عادوا بعد الأولى والثانية فسلط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم ويأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) أي بسجنا وحبساً عت ابن عباس

❦ القصة ❦

اختلف المفسرون في القصة عن هاتين الكرتين اختلافاً شديداً فالأولى ونورد من جعلها ما هو الأهم

على سبيل الایجاز قال لما عاتبوا اسرائيل في المرة الأولى سلب الله عليهم ملك فارس وقيل يخنصر وقيل ملكا من ملوك بابل فخرج اليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس وقيل ان يخنصر ملك بابل يدسناحارب وكان من جيش غرود وكان لثانية لأب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد وأحرق التوراة والقي الجيف في المسجد وقتل على دم يحمي سبعين الفا وسبى ذرارهم وأغار عليهم وأخرج أموالهم وسبى سبعين الفا وذهب بهم إلى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبد المجرس واولادهم ثم فضل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكا من ملوك فارس عارفا بالله سبحانه وتعالى فردهم إلى بيت المقدس فأقاموا به مائة سنة على الطريق المستقيم والطاعة والعبادة ثم عادوا إلى الفساد والمعاصي فبجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخوس فخرّب بيت المقدس وسبى أهله وقيل غزاهم ملك الرومية وسباهم عن حذيفة وقال محمد بن اسحق كان بنو اسرائيل يعصون الله تعالى وفيهم الاحداث والله يتجاوز عنهم وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان الله تعالى بث اليهم شعبا قبل مبعث زكريا وشعيا هو الذي بشر بمسيح (ع) ومحمد ﷺ وكان لبني اسرائيل ملك كان شيا يرشده ويسدده فرض الملك وجاء سنحارب إلى باب بيت المقدس بستائة الف راية فعدا الله سبحانه شيافيرا الملك ومات جمع سنحارب ولم ينج منهم إلا خمس نفر منهم سنحارب فهرب وارسلوا خلفه من اخذته ثم امر سبحانه باطلاقه لينخر قومه بما نزل بهم فاطلقوه وهلك سنحارب بعد ذلك بسبع سنين واستخلف بخت نصر ابن ابنة قلبت سبع عشرة سنة وهلك ملك بني اسرائيل وخرج أسرهم وتنافسوا في الملك قتل بعضهم بعضا فقام شيا فهم خطيا ووعظهم بفظات بليئة وأسرهم ونهاهم فموا بقله فهرب ودخل شجرة فقتلوا الشجرة بالمشار فبث الله اليهم ارميا من سبط هرون ثم خرج من بينهم لارأى من أسرهم ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس وفضل ما فعل ثم رجع إلى بابل بسبايا بني اسرائيل وكانت هذه الدفعة الأولى وقيل ايضا ان سبب ذلك كان قتل يحمي بن زكريا وذلك ان ملك بني اسرائيل أراد ان يتزوج بنت امرأته فنهأ يحمي وبلغ أمها فحقدت عليه وبشته على قتله فقتله وقيل انه لم يزل دم يحمي بن زكريا يغلي حتى قتل بخت نصر منهم سبعين الفا واثنين وسبعين الفا ثم سكن الدم وذكر الجميع ان يحمي بن زكريا هو المقول في الفساد الثاني قال مقاتل كان بين فساد الأول والثاني مائتا سنة وعشر سنين وقيل انما غزا بني اسرائيل في المرة الأولى بخت نصر وفي المرة الثانية ملوك فارس والروم وذلك حين قتلوا يحمي فقتلوا منهم مائة الف وثلاثين الفا وخرب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خرابا حتى بناء عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك روي إلا خائفا وقيل انما غزاهم في المرة الأولى جالوت وفي الثانية بخت نصر والله اعلم

قوله تعالى (١) إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (١٠) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١١) وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١٢) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحْوَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّيَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا أربع آيات

❦ اللغة ❦

مبصرة أي مضيئة منيرة نيرة قال ابو عمرو أراد تبصر بها كما يقال ليل نائمة وسر كائمه وقال الكسائي العرب قول ابصر النهار إذا أضاء وقيل المبصرة التي أهلها بصراء فيها كما يقال رجل مخبث أي أهله خبيثاء ومضف أي أهله صفاء ولا يكتب الواو في يدع في المصحف وهي ثابتة في المعنى

❦ الأعراب ❦

ان لم أجراً كبيراً فتح ان على تقدير حذف الباء أي يشرحهم بأن لم الجنة وان الثانية معطوفة عليها ولو كسرت على الاستئناف لجاز وان لم يقرأ به احد وأعدنا أصله أعدنا قلبت إحدى الدالين تاء فزاد من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده وهو قوله فصلناه والتقدير وفصلنا كل شيء

❦ المعنى ❦

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) معناه ان هذا القرآن يهدي إلى الديانة والملة والطريقة التي هي أشد استقامة يقال هذه الطريق والطريق وقيل معناه يرشد إلى الكلمة التي هي اعدل الكلمات وأصوبها وهي كلمة التوحيد وقيل يهدي إلى الحال التي هي اعدل الحالات وهي توحيد الله والاعتقاد به وبرسله والعمل بطاعته عن الزجاج (ويشرح المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لم يكن أي بأن لهم أجراً كبيراً) أي ثواباً عظيماً على طاعتهم (و) يشرحهم أيضاً بأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أي بالشأنة الآخرة (اعتدنا لهم) أيه ههنا لهم (عذاباً أليماً) وهو عذاب النار وإنما سمي العذاب اجرا لأنه يستحق في مقابلة عمل كالآخرة التي تجب في مقابلة عمل يعود نفسه إلى المستأجر والثواب يستحق على الله تعالى وان كان نفعه يعود إلى العامل لأنه سبحانه اوجب ذلك على نفسه في مقابلة عمل البذل فضلاً منه وكراً (ويدع الإنسان بالشكر دعاءه بالخير) قيل في معناه اقوال ❦ احدها ❦ ان الإنسان ربما يدع في حال الزجر والغضب على نفسه واهله وماله بالاحسان يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير فلو اجاب الله دعاءه لاهلكه لكنه لا يجيب بنفسه ورحمته عن ابن عباس والحسن وقتادة ❦ والآخر ❦ ان معناه ان الإنسان قد يطلب الشر لاستمجاله المنفعة ❦ وقالها ❦ ان معناه ويدعو في طلب المحذور كدعائه في طلب المباح (وكان الإنسان عجولاً) يعمل بالدعاء في الشر حبيطه بالدعاء في الخير عن مجاهد وقيل يريد ضجراً لاصبراً لا على شراء ولا على شراء عن ابن عباس وروي عنه أيضاً أنه أراد به آدم (ع) لما انتهت النفخة إلى سرته أراد أن ينفض فلم يقدر فشه الله سبحانه أن آدم يأبى في الاستمجال وطلب الشيء قبل وقته (وجعلنا الليل والنهار آيات) أي دلائل يدلان على وحدانية خالقهما لا في كل واحد منهما من الغوائد من الكسب بالنهار والاستراحة بالليل والزيادة في اجزاء احدهما بالتقصص من اجزاء الآخر ولأن كل واحد منهما ينقصي المجبى الآخر وذلك يدل على حدوثها اذ القديم لا يميز عليه الاقضاء وعلى ان لها معدناً قادراً علماً وقد علمنا ضرورة ان أحداً من البشر لم يحدثها لسبب البشر عن ذلك فدل على انه من صنع القديم القادر لذاته العالم لذاته الذي ليس ككله شيء ولا يتميز عليه شيء وقيل ان الآدين هنا الشمس والقمر (فحونا آية الليل) وهي القمر أي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد عن ابن عباس (وجعلنا آية النهار) يعني الشمس (مبصرة) أي نيرة مضيئة

للايصار يصير أهل النهار النهار بها وقيل ان معناه جعلنا آية الليل محقوقة المراد جعلنا الليل مظلاً لا يصير فيه كالما يصير ما يعي من الكتاب وجعلنا آية النار مبصرة اي جعلنا النهار مضياً يصير فيه وتذكر الاشياء فيه وعلى هذا فحكوا آية الليل هي الليل نفسه وآية النهار هي النهار نفسه كما قال نفس الشيء وعين الشيء وهذا من عجيب البلاغة وقيل ان آية الليل ظلمته وآية النهار ضوؤه فالمراد محرونا ظلمة الليل بضوء النهار ومحرونا ضوء النهار بظلمة الليل الا انه ذكر احدها وحذف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف ثم بين سبحانه الغرض في ذلك وقال (فتبتخوا فضلاً من ربكم) اي لتسكنوا بالليل وتطلبوا الرزق بأنواع التصرف في النهار الا انه حذف لتسكنوا بالليل لما ذكره في مواضع اخر (وتعلموا عدد السنين والحساب) اي لتعلموا بالليل والنهار عدد السنين والشهور وأجال الديون وغير ذلك من المواقيت وتعلموا حسنات اعماركم وأجالكم ولولا الليل والنهار لما علم شيء من ذلك (وكل شيء فصلناه تفصيلاً) اي ميزناه تمييزاً ظاهراً بينا لا يلبس وبيناه تبييناً شافهاً لا يخفى

﴿التلخيص﴾

اتصلت الآية الأولى بقوله عسى ربكم ان يرحمكم والوجه فيه انه لما أمر بني اسرائيل بالرجوع الى الطريق المستقيم من التوبة وقبول الاسلام بين ان ذلك الطريق هذا الكتاب الذي يدل على ما هو احسن الاديان وقيل يشمل بقوله وآتيناه موسى الكتاب اي كما آتيناه التوراة آتيناه محمد ﷺ القرآن الذي يهدي الى الاحسن الا قوم وقيل اتصل بقوله سبحانه الذي اسرى كأنه قال اسرى بيده وآتاه الكتاب الذي هده ففته وانما اتصل قوله يدع الانسان بأشرف الآية عما تقدم من بشارة الكفار بالضلال فيمن عقبيه انهم يستعملون العذاب جهلاً وعتاداً ثم بين انه يستجيب لهم ما فيه صلاحهم ثم بين بالآية الأخرى انه انعم عليهم بوجوه العلم كالليل والنهار ونحو ذلك وان لم يشكروه

قوله تعالى (١٢) وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَذَابًا حَسِيبًا (١٤) مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَمَّا يُهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَمَّا يُضِلُّ لَهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا
ثلاث آيات

﴿الترجمة﴾

قرأ ابو جعفر ويخرج له بضم الياء وفتح الراء وقرأ يعقوب ويخرج له بفتح الياء وضم الراء والباقون ونخرج بالنون وقرأ ابو جعفر واين طاء تلقية بضم التاء وفتح اللام وتشديد اللام والباقون يلقاه بفتح الياء وسكون اللام

﴿الحجة﴾

من قرأ ويخرج له فعنه انه يخرج له عمله او يخرج له طائره يوم القيامة كتابا ويكون كتابا منصوبا على الحال ومن قرأ ويخرج لتقديره فيخرج له عمله او طائره ويكون كتابا حالاً ايضاً من الضمير في يخرج كما في الأول ومن قرأ ونخرج بالنون فيكون كتابا مفعولاً لنخرج ويجوز ان يكون منصوباً على التمييز على معنى ونخرج طائره له كتابا ويجوز ان يكون نصيباً على الحال فيكون معنى ذا كتاب اي مثبتاً في الكتاب الذي اُقال فيه لا ينادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها وقوله منشورا يكون منصوباً على الحال من الهاء في يلقاه على القراءات

جميعاً ومن قرأ بقاء منشوراً فإنه يدل عليه قوله وإذا الصحف نشرت ومن قرأ بقاء فيدل عليه قوله ويلقون فيها
نحية وسلاماً

❦ النية ❦

الإنسان يقع على الذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت رجل وامرأة ومثل ذلك فمن يقع على المذكر
والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت حصان وحجر وسيف المالحج يردون ورمكة وكل يعبر يقع على المذكر والمؤنث
فإذا فصلت قلت جمل وناقة واشتقاق الإنسان من الإنس أو الأنس وهو فعلان عند البصريين وقال الكوفيون
هو من النسيان وأصله إنسيان حذف الياء منه استخفافاً واحتجوا على ذلك بقول العرب في قصصه إنسيان
وهذه الياء عند البصريين زائدة وهو من الصغير الشاذ عديم مثل عشيبة ومغيران الشمس وليلية وأشياء ذلك
والطائر ما جعل الإنسان شبه بالطائر الذي ينسج ويتحرك به والطائر الذي يبرح فينشاء به والناصح الذي يعمل
ميامنه إلى ميامرك والبارح الذي يعمل ميامره إلى ميامنك والأصل في هذا أنه إذا كان سائحاً أمكن الرامي
وإذا كان يارحاً لم يمكنه قال أبو زيد كل ما يجري من طائر أو غي أو غيره فهو عديم طائر وأنشد لكثير

فلست بناسيا ولست ببارك إذا عرض الادم الجوارى سواها

أأدرك من أم الحكيم عيطة بها خبرتني الطير أم قد أتى لها

في البيت الأخير ان الذي زجره طائر وأنشد لزهير في ذلك

فلما انت تفرق آكل ليلي جرت يني ويتهم ظله

جرت سنا قعلت لهم مروعا نوى مشمولة فتى اللقاء

قال وقولهم سألت الطير قلت للطير إنما هو زجرتها من خير أو شر ويقوي ما ذكره قول الكعب

ولا أنا من يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض تلعب

وأنشد لحسان بن ثابت

ذريني وعلي بالأمر وشيتي فطائري فيها عليك بأخيلا

أي ليس رأيي مشؤوم وأنشد لكثير

أقول إذا ما الطير مرت بخيلة لملك يوماً فانتظر أن تنالها

وإنما قال طائره في عتقه لم يقل في يده لينبه على لزوم ذلك له وتلقه به كما يقال طوتك كذا أي قلدتك كذا
والزمته إليك ومنه قلده السلطان كذا أي صارت الولاية في لزومها له في وضع القلادة ويمكن القول قال الأعشى

قلدتك الشعر بإسلامة ذا الإ فصال والشعر حيث ما جعلنا

وقال الآخر

ان لي حاجة إليك فقالت بين أذني وعاتقي ما تريد

والعرب تقيم هذا العزم مقام الذات فتقول أعنت ربة وطوقت عني أمانة ولذلك قال أبو حنيفة إذا قال
الإنسان عتقتك أو رقتك حر حق لأنه يعبر بذلك عن جميع البدن ولو قال يدك أو شرك حر لا يمتنع لأنه

لا يعبر بذلك عن جميع البدن وقال النافعي مما سواه يمتنع في الحالين

(- الأعراب -)

موضع ففسك رفع لأنه فاعل كفي وحبيب نصب على التمييز له وقال أبو بكر السراج المني كفي الا كفاه

ينفك فالفاعل على هذا محذوف والجار والمجرور في موضع نصب على اصله وحسياً نصب على الحال من كفي

المعنى

لا قدم سبحانه ذكر الوعيد أتبع ذلك بذكر كيفيته فقال (وكل انسان الزمان طائره في عتقه) معناه الزمان كل انسان عمله من خير أو شر في عتقه عن ابن عباس ومجاهد وقطاده يريد جعله كالطوق في عتقه فلا يفارقه وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم جرى طائره بكذا ومثله قوله سبحانه قالوا طائركم معكم وقوله وإنما طائركم عند الله وقيل طائره بينه وشؤمه عن الحسن وهو ما ينطير منه وقيل طائره حظه من الخير والشر عن أبي عبيدة والقتبي وخص النطق لأنه محل الطوق الذي يزين المحسن والفعل الذي يشين للمسيء وقيل طائره كتابه وقيل معناه جعلاً لكل انسان دليلاً من نفسه لأن الطائر عندهم يستدل به على الأمور الكافيه فيكون معناه كل انسان دليل نفسه وشاهد عليها إن كان محسناً فطائره ميمون وإن ساء فطائره مشؤوم (ونخرج له يوم القيامة كتاباً) وهو ما كتب الحفظة عليهم من أعمالهم (يلقاء) أي يرى ذلك الكتاب (مفتشاً) أي مفتوحاً مرسومًا عليه ليقراه ويعلم ما فيه والماء في له يجوز أن تكون عاقدة إلى الإنسان ويجوز أن تكون عاقدة إلى العمل (اقرأ كتابك) فيها حذف أي ويقال له اقرأ كتابك قال قتادة يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا وروى جابر بن خالد بن فضال عن أبي عبد الله (ع) قال يذكر العبد جميع أعماله وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا بفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً) أي حاسباً وإنما جعله حاسباً لنفسه لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلها مكتوبة ورأى جزاء أعماله مكتوباً بالعدل لم ينقص عن ثوابه شيء ولم يزد على عقابه شيء أذعن عند ذلك وخضع وتفرع واعترف ولم يتعيا له حجة ولا إنكار وظهر لأهل المحشر أنه لا يظلم قال الحسن يا ابن آدم لقد أنفكت من جملك حسيب نفسك (من اهتدى فلنأمن يهتدي لنفسه) أي من اهتدى في الدنيا إلى دين الله وطلعته فتمتعت اخذته راسية إليه (ومن ضل فلنأمن يضل عليها) أي ومن ضل عن الدين في الدنيا فيضرب ضلاله راجع إلى نفسه وعقوبة ضلاله على نفسه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة حمل أخرى أي ثقل ذنوب غيرها ولا يعاقب أحد بذنوب غيره وروى عن النبي ﷺ أنه قال لا تحن عينك على شمالك وهذا مثل ضربه (ع) وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول من يقول أن أطفال الكفار يمشون مع آبائهم في النار (وما كنا معذبين حتى ننبئ رسولا) معناه وما كنا معذبين قوماً بذب الاستئصال إلا بعد الإعذار إليهم والإنذار لم يألئج الوجوه وهو إرسال الرسل إليهم مظهرة في العدل وإن كان يجوز مؤاخذتهم على ما يتعلق بالقل مجعلاً فعل هذا التأويل تكون الآية عامة في العقليات والشرعيات وقال الآكثرون من المفسرين وهو الأصح أن المراد بالآية أنه لا يعذب سبحانه في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد البينة فتكون الآية خاصة فيما يتعلق بالسمع من الشرعيات فأما ما كانت الحجة فيه من جهة العقل وهو الإيمان بالله تعالى فإنه يجوز العقاب بتركه وإن لم يبعث الرسول عند من قال إن التكليف العقلي ينفك من التكليف السمعي على أن المتحقق منهم يقولون أنه وإن جاز التعذيب عليه قبل بعث الرسول فإنه سبحانه لا يفضل ذلك بمالفة في الكرم والفضل والاحسان والطول فقد حصل من هنا أنه سبحانه لا يعاقب أحداً حتى ينفذ إليهم الرسل المبشرين إلى الحق للمادين إلى الرشد استظهاراً في الحجة لأنه إذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع تأكد الأمر وزال الريب فيما يلزم العبد وقد أخبر سبحانه في هذه الآية عن ذلك وهذا لا يدل على أنه لم يبعث رسولا لم يحسن منه أن يعاقب إذا ارتكب القابض العقليه إلا أن يفرض في بعث الرسول لطفاً فإن عند ذلك لا يحسن منه سبحانه أن يعاقب أحداً إلا بعد أن يوجه إليه بما هو لطف له فيزاح بذلك عنه

قوله تعالى (١٦) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمْنَا نَادِمِينَ (١٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٨) مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْفَاحِشَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٩) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (٢٠) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢١) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ الْكِبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢٢) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا مَبِيعَ آيَاتِ

❦ القراءة ❦

القراءة العامة أسرنا بالتخفيف غير ممدود وقرا يعقوب أسرنا بالمد وهو قراءة علي بن أبي طالب (ج) والحسن وأبي العالية وقتادة وجماعة وقرا أسرنا بالتشديد للجمع ابن عباس وأبو عثمان النهدي وأبو جعفر محمد بن علي بخلاف وقرا أسرنا بكسر الميم يؤذن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر

❦ الحجة ❦

قال أبو عبيدة امرنا أكثرنا من قولهم امر بنو فلان أي كثروا وانشد البيهقي

ان يضبطوا يهبطوا وإن امروا يوماً يصيروا للهلك والنقد

قال أبو علي لا يخلو قوله امرنا تحفة المصنوع من أن يكون فعلنا من الأمر أو من أمر القوم وأمرتهم مثل شترت عينه وشترتها ورجع ورجسته وسار ومرتته فمن لم ير أن يكون امرنا من أمر القوم إذا كثروا كما حكم ذلك يونس عن أبي عمرو فإنه ينبغي أن يكون من الأمر الذي هو خلاف النهي ويكون المعنى أمرناهم بالطاعة فنعصوا وفسقوا ومن قرأ أمرنا فإنه يكون فعلنا من أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله وكذلك إن ضاعف العين فقال امرنا ويقوي حمل امرنا على الفعل من امر وإن لا يعمل من الأمر النسيء هو خلاف النهي إن الأمر بالطاعة على هذا يكون مقصوراً على المترفين فقد أمر الله بطاعة جميع خلقه من مترف وغيره ويحمل امرنا على أنه مثل امرنا ونظيره هذا كثروا وكثره الله وكثروا ولا يحمل امرنا على أن للمعنى جعلناهم أمراء لأنه لا يكاد يكون في قرينة واحدة جماعة أمراء فإن قلت يكون منهم الواحد بعد الواحد فلنهم إذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال وإنما يهلك بكثرة المعاصي في الأرض وعلى هذا جاء الأمر سيف التنزيل يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون فأمرنا بالخروج من الأرض التي تكثر فيها المعاصي إلى ما كان بخلاف هذه الصفة وما جاء فيه امر بمعنى الكثرة قول زهير

والإثم من شر بما يصل به والبر كالتيث نيتة امر

وأما امر فقد روي ابن جني بإسناده عن أبي حاتم قال قال أبو زيد يقال امر الله ماله وأمره ومن قال ان امرنا لا يكون بمعنى أكثرنا قال في قوله خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة إن معنى مأبورة مؤثرة ومأبورة مؤثرة

هذه لمكان الازدواج كما قالوا الدنيا والآخرة لا تجمع على الدنيا لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام

(- اللغة -)

الترفة النعمة قال ابن عرفة المترف المتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع منه والتعمير والإهلاك والدمار الهلاك ويقال

ذمته وخائبة ونمت فهو ممدوم ومفهوم ومذموم ويكون ذامته بمعنى طرده ويقال اصنع ذاك وخلاك ذم أي
والاذم عليك والذم الإيهام والمذمور الممد والمطرود يقال اللهم ادمر عنا الشيطان أي ابدمه

❁ الاعراب ❁

كم اهلكتنا موضع كم نصب بأهلكتنا ودخلت الباء في قولك بريك للمدح كما تقول فاهيك به رجلا وجاهد بريك ثوبا وطاب طعاما واكرم به رجلا ويكون في كل ذلك في موضع رفع كما قال الشاعر

ويخبرني عن غائب المرء هديه
كفى الهدى إنا غيب المرء مخبرا

فرفع لما اسقط الباء وصلبها في موضع نصب على الحال من زيد بدل من قوله عجلناه فيها ما تشاء واعد اللام لما كان البدل في تقدير جملة أخرى كقوله لن آمن منهم ومنهمو ما حال من الضمير المستكن في صلبيها كلا عند نصب كلا حمد وهؤلاء بدل من قوله كلا أي عند كل واحد من هؤلاء وهؤلاء

✻ المعنى ✻

(وإِذَا أَرَادْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَسْرَفْنَا مَعْرِفَهَا فَنَقُصُّهَا) لما لم يميز في القول تقدم إرادة العذاب على المسببة لأنه عقوبة عليها ويستحقه لأجلها حتى لم توجد المسببة لم يحسن فعل العذاب وإِذَا لم يحسن فعله لم تحسن إرادته فلتفعلوا سيئة تأويل الآية وتقديرها على وجوه **أحدها** * أن معناه وإِذَا أَرَادْنَا أَنْ نَهْلِكَ أَهْلَ قَرْيَةٍ بِسَبِّ قِيَامِ الْحَبِيبَةِ عَلَيْهِمُ وَإِرسَالِ الرِّسَالِ إِلَيْهِمْ أَسْرَفْنَا مَعْرِفَهَا أَي رُؤْسَاهَا وَمُسَادَاتِهَا بِالطَّاعَةِ وَاتِّبَاعِ الرِّسَالِ أَسْرَفْنَا بِعَدَاسِ نَكْرِهِ عَلَيْهِمْ وَبَيِّنَةٍ بِعَدِيَّتِهِ تَأْتِيهِمْ بِهَا اعْتِدَارًا لِلْعَصَاةِ وَانْقِرَاضًا لِمَ وَتَوَكُّدًا لِلْحَبِيبَةِ فَتَقُصُّوا فِيهَا لِلْمَعَاصِي وَأَيُّوًا إِلَّا تَعَادِيًا فِي الصَّيَانِ وَالْكَفَرَانِ (فسحق عليها القول) أي فوجب سجنها عليها الوعيد (فغمرناها بتمجير) أي أهلكتناها إهلاكًا وَإِنَّمَا غَصَّ التَّرْتِيبُ وَهُوَ لِلتَّحْمِيلِ وَالرُّؤْسَاءِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ غَيْرَهُمْ تَبِعَ لَمْ يَكُونِ الْأَمْرُ لَهُمْ أَسْرَأَ لِاتِّبَاعِهِمْ وَهَلْ هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ أَسْرَفْنَا مَعْرِفَهَا جَوَابًا لِإِذْنِ الْوَالِيهِ يُوَلِّوهُ مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ أَنَّ مَعْنَاهُ أَسْرَفْنَا بِمَعْرِفَةِ الْعَصَاةِ وَنَقُصُّوا وَمِثْلُهُ أَمَرْتُكَ فَنَصَيْتِي وَبَشَدَ بِصَحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ الْآيَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ وَهِيَ قَوْلُهُمْ مَاهْتَدَى فَلَمَّا يَهْدِي لِنَفْسِهِ إِلَى قَوْلِهِ وَمَا كُنَّا مَعْذِينَ حَتَّى نَبْشُرَ رَسُولَ اللَّهِ وَثَانِيًا **ثاني** * أن قوله ان ماعرفها من صفة القرية وتقديره وإِذَا أَرَادْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً مَعْنَاهُ أَنَّكَ قَدْ أَسْرَفْنَا مَعْرِفَهَا فَنَقُصُّوا فِيهَا فَلَا يَكُونُ لِإِذْنِ جَوَابِ ظَاهِرِ فِي النِّقَاطِ لِلِاسْتِثْنَاءِ عَنْهُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ وَتَقْدِيرُهُ قَوْلُهُ سَبَّحَانَا حَتَّى إِذَا جَوَّهَهَا وَفَنَحَتْ أَبْوَابُهَا إِلَى قَوْلِهِ وَنَعْمَ أَمْرُ الْعَامِلِينَ فَلَمْ يَأْتِ لِإِذْنِ جَوَابِ فِي طَوْلِ الْكَلَامِ لِلِاسْتِثْنَاءِ عَنْهُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الدَّلَالَةِ وَمَا يَشْهَدُ بِصَحَّةِ ذَلِكَ قَوْلُ الْمُطَّلَبِيِّ حَتَّى إِذَا سَلَكُوهُمْ فِي قَائِدَةٍ شَلَا كَمَا تَنْظُرُ الْجَمَالَةُ الشَّرْدَا

فحفذ جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيدة **﴿﴾** وثالثها **﴿﴾** أن الآية محمولة على التقديم والتأخير وتقديرها إذا أمرنا متري فربة بالطاعة فنصروا أردنا اهلاكم وجماعكم أن يكون شاهداً لهذا الوجه قوله وإذا كنت فيهم تأقت لم الصلاة فلتقم طاعة منهم معك وقيام الطائفة معه يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال وكذلك قوله إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ووجوهكم والظاهرة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة **﴿﴾** ورابعها **﴿﴾** أنه سبحانه ذكر الإرادة على وجه المجاز والاتساع وإنما عيها بقرب الملاك والعلم بكونه لا محالة كما يقال إذا أراد الليل انت يموت خطي في مأكله ويسرع إلى ما يتوق نفسه إليه وإذا أراد التاجر أن يفكر أتاه الخسران من كل وجه ومعلوم أن الليل والتاجر لم يربدا في الحقيقة شيئاً لكن لما كان من المعلوم من حال هذا الملاك ومن حال ذلك الخسران حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه وللكلام الرباشارات واستمارات ومجازات لاجلها كان كلامهم في النائية القصوى من الفصاحة والوجه الأول عندني أصح الوجوه وأقربها إلى الصواب إذا تأملت الآية على الأمر الذي هو ضد الشيء فأما إذا تأملت الآية على معنى القراءتين

الأخريتين من أمرنا بالدمارنا بالتشديد فلن يخرج على هذا الوجه وتكون محمولة على احد الأوجه الثلاثة
الأخر ثم بين سبحانه ما فعله من ذلك بالقرون الخالية فقال (وكم أهلكتنا من القرون) أي من الأمم الكثيرة
المكذبة (من بعد نوح) أي من بعد زمان نوح إلى زمانك هذا لأن كم تعيد التكثير كأن رب تعيد التقليل
والقرون مائة وعشرون سنة عن عبد الله بن أبي أوفى وقيل مائة سنة عن محمد بن القاسم المازني وروي ذلك
مرفوعاً وقيل ثمانون سنة عن الكوفي وقيل اربعون سنة ورواه بن سيرين مرفوعاً (وكفى بربك بذنوب عباده
خبيراً) أي كفى بربك علماً بذنوب خلقه (بصيراً) بها يجازيهم عليها ولا يفرقه شيء منها ثم بين سبحانه انه
يدبر عباده بحسب ما يراه من المصلحة فقال (من كان يريد العاجلة) أي النعم العاجلة وهي الدنيا فغير عنها
بصفتها (عجلنا له فيها ما نشاء) من البسط والتفريق وعلى ذلك يثبت لا يثبت البعد فقد نشاء العبد ما لا يشاء الله
فلا يعطيه لكونه مفسدة (لمن زيد) أي لمن زيد اعطاءه بين بذلك أنه ربما يكون حريصاً يريد الدنيا فلا يعطى
وإن اعطى اعطى قليلاً (ثم جعلنا له جهنم يصليها) أي يصير يسلاها ويبتقر بارها (منوماً) ملوماً (مدحوراً)
مبعداً من رحمة الله وروى عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي اقترضه الله
عليه لا يريد به وجه الله والدار الآخرة عجل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة
وذلك ان الله سبحانه وتعالى يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه الله عليه (ومن اراد
الآخرة) أي ومن اراد خير الآخرة ونعم الجنة (وسعى لما سعى وهو مؤمن) أي فعل الطاعات وتجنب المعاصي
وهو مع ذلك مصدق بوحيد الله تعالى مقر بأبوابه (فأولئك كان سعيهم مشكوراً) أي تكون طاعتهم مقبولة
وقيل شكره انه سبحانه يضاعف حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم عن قتادة والمعنى اننا احلنا سعيهم عمل ما يشكر
عليه في حسن الجزاء وروى عن الحسن انه قال اطلبوا الآخرة فمأرب طلباً لها إلا نالها وربما نال الدنيا وما رأيت
طالب دنيا نال الآخرة وربما نال الدنيا ايضاً (كلا ثم هؤلاء) هؤلاء (أي كل واحد من هذين الفريقين
يمن يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ندم أي يزيدم وقيل كلا نصلي من الدنيا البر والفاقر عن الحسن والمعنى
انا نصلي المؤمنين والكافرين في الدنيا وأما الآخرة فملتقين خاصة (من عطاء ربك) أي نعمة ربك ورزقه (وما كان
عطاء ربك محظوراً) معناه وما كان رزق ربك محبوباً عن الكفار الكفرة ولا عن الفاسق لنفسه « سؤال » لأن
قيل هل يجوز ان يريد المكلف بعمله العاجل والآجل والجواب نعم إذا جيل العاجل تبعاً للآجل كالجهاد سيف
سبيل الله يقاتل لاهواز الدين ويعمل النعمة تبعاً (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) بأن جعلنا
بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء وبعضهم موالى وبعضهم عبيداً وبعضهم أصحاء وبعضهم مرضى على حسب ما علمناه
من الصالح (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) أي درجاتها وبرائتها أعلى وأفضل وهي مستحقة على
قدر الأعمال فينبغي أن تكون رغبتهم في الآخرة وسعيهم لها أكثر وقد روي ان ما بين أعلى درجات الجنة
وأ أسفلها ما بين السماء والأرض وفي الآية دلالة على ان الطاعة لا تزيد في رزق الدنيا وإنما تزيد في درجات الآخرة
(لا تجعل مع الله إلهاً آخر) قيل ان الخطباء ليني ﷺ والمراد به أمته وقيل معناه لا تجعل أيها السامع أو
أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر في اعتقادك واقراك ولا في عبادتك ولا في رغبتك وريبتك (فتقدم مذموماً
مغنولاً) معناه فلو انك إن فعلت ذلك قصدت وقيت ما عشت مذموماً على لسان العقلاء مغنولاً ولا ناصرك ينج
الله نصرته عنك ويهلكك إلى ما أشركت به « وقيل » معنى القعود اللز والخزي والخرسان والمجز لا الجلوس
كما يقال قد به الضعف عن القتال أي عجز عنه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انها اتصلت بقوله حتى يبعث رسولا والمعنى انه لا يعذب إلا بعد إرسال

الرسول وتقدم الامر والهي وإتمام التهمة في الانذار والاعتذار وظهور العيبان من الكفار والفجار وقيل انها تتصل بما تقدم من قصة بني اسرائيل وما فعل بهم في الكفرة الأولى والثانية فيبين سبحانه ان ما فعله موافق لما دلته فيمن يريد اهلاكه فإنا بهلك القرى إذا أمر متريفيها بالطاعة ففسقوا فيكون اهلاكهم بالاستحقاق لا على الاجتهاد قوله تعالى (٢٣) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَأْتِي الدِّينَ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٤) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رِيَّانِي صَغِيرًا (٢٥) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

يلتان بالالف وكسر التون كوفي غير حاصم والياقون يبلن آف يفتح الفاء هاهنا وفي الأنياء والاحصاف مكسي شامي ومقوب وسهل واف بالكسر والتونين في الجميع مدني وحفص والياقون اف بالكسر غير منون وفي الشواذ قراءة ابي الساء اف مضمومة غير متونة وقرأ ابن عباس اف خفيفة وجتاح الذل بكسر الذال

❦ الحجة ❦

قال ابو علي قوله اما يبلن يرتفع احدهما به وقوله كلاهما معطوف عليه والذكر الذي عاد من قوله احدهما يعني عن اثبات علامة الضمير في يبلتان فلا وجه لقول من قال ان الوجه اثبات الفاء ليعلم ذكر الوالدين عني به الفراء وإنما الوجه سيف ذلك انه على الشيء الذي يذكر على وجه التوكيد ولو لم يذكر لم يقع بترك ذكره اختلال فهو قوله أموات غير أحياء بقوله غير أحياء توكيد لأن قوله أموات يدل عليه فيكون الالف مجردة لمضي التثنية ولا حظ للاسمية فيها يرتفع احدهما أو كلاهما بالفعل وقال الزجاج يكون احدهما أو كلاهما بدلا من الالف في يبلتان قال ابو علي من قرأ آف بالفتح فانه جاء على الفتح كقولهم سرعان ذاها لله وهو اسم لسرع ومثله وشكان قال

لو شكان ما عنيتهم وشعيتهم ياخوانكم والعز لم يتجمع

وكذلك اف اسم لا تفجر وانكره ونحو ذلك ومن قرأ اف فإنه يدخل التثنية بدل على التشكيك مثله مع وصفه ومثله قولهم فداك لك جوه على الكسر وإن كان في الأصل مصدرا كما كان الله في الأصل مصدرا من قولهم الله وقفه يراد بها تتنا ودفرا ومن قرأ آف ولم ينون سجله معرفة فلم ينون كما ان من قال معه وعاق فلم ينون أراد به المعرفة فلم ينون قلت ما موضع آف في هذه الآيات بعد القول هل يكون موضعه نصيبا كما يتصحب المفرد بسده أو يكون كما تكون الجمل فالقول ان موضعه موضع الجمل كما انك لو قلت رويد لكان موضعه الجمل قال الزجاج في آف سبع لغات اف بالضم متونا وغير متونا واف بالكسر متونا وغير متونا واف واقافي عمالة وزاد ابن الانباري اف خفيفة مفتوحة قال ابو الحسن وقول الذين قالوا اف أكثر وأجود ولو قلت اف لك واقا لك لاحتمل وجهين ❦ احدهما ❦ ان يكون الذي صار اسما للفعل لحقه التثنية علامة للتشكيك ❦ والاخر ❦ ان يكون نصيبا مربيا وكذا الضم لأن لم يكن معه لك كان ضمينا ألا ترى أنك لا تقول ويل ولو قلته لم يستقم حتى يوصل به لك فيكون في موضع الخبر والذل ضد الصعوبة والذل ضد العز والأولى في الدابة والثاني في الإنسان

❦ الأعراب ❦

قوله وبالوالدين احسانا العامل سيف الياء قضي والتقدير وقضى بالوالدين إحسانا ويجوز ان يكون على تقدير

ولوصي بالوالدين إحساناً وحذف للدلالة الكلام عليه قال الشاعر

عجبت من دهماء إذ تشكرونا
ومن أبي دهماء إذ يوصينا
خيراً بها كأننا خافونا

فاعمل بوصيتنا في الخير كما ربياني أي كرحمة تربيتيها يعني رحمة تحدث عند التوبة كما تقول ضرر التلف وقيل الكاف بمعنى على ما رجعنا على ما ربياني عن الأخش وكنا قال في قوله كما أمرت ان تشكروا صالحين فإنه كان للأوابين منكم تحفظ ويحوز ان يكون على كان لكم فوضع الظاهر موضع المفعول لأنهم الصالحون

«المنى»

لما تقدم النبي عن الشرك والمعاصي عقب سبحانه بالأمر بالتوحيد والطاعات فقال سبحانه (وقضى ربك) أي أمر ربك أسراً بأننا عن ابن عباس أو الحسن وقادة وقيل الزم وأوجب ربك عن الربيع بن أنس وقيل أوصى عن مجاهد (ان لا تعبدوا إلا اياه) معناه أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره فإثبات قيل ان الأمر لا يكون أسراً بأن لا يكون الشيء لأن الأمر يقتضي ارادة المأمور به والإرادة لا تتعلق بأن لا يكون الشيء وإنما تتعلق بحدوث الشيء فالجواب ان المنى أراد منكم عبادته على وجه الاخلاص وكره منكم عبادة غيره وغير عن ذلك بقوله أمر ان لا تعبدوا إلا اياه (وبالوالدين إحساناً) أي وقضى بالوالدين إحساناً أو أوصى بالوالدين إحساناً ومعناها واحد لأن الرعية أمر (إما يبلغن عندك الكبير أحدهما أو كلاهما) يعني به الكبير في السن والمنى إن عاشا عندك أي الإنسان المخاطب حتى يكبر أو عاش أحدهما حتى يكبر يريد ان بلغا في السن مبلغا يصيران بمنزلة الطفل الذي يحتاج إلى متعهد وخص حال الكبير وإن كان من الواجب طاعة الوالدين على كل حال لأن الحاجة أكثر في تلك الحال إلى التهدد والخلمة وهذا مثل قوله وبكلم الناس في المهد وكهلاً مع ان الناس كلهم يتكلمون في حال الكهولة والوجه فيه انه سبحانه اخبر ان عيسى يكلم الناس في المهد وانه يعطى حتى يكمل ويتكلم بكلم بعد الكهولة ونحو ذلك قوله والأمر يومئذ لله وإنما خص ذلك اليوم لأنه لا يملك فيه أحد سواه وقيل ان الكبير في الآية راجع الى المخاطب أي ان بلغت حال الكبير وهو حال التكليف وقد بقي منك أبواك أو أحدهما (فلا تقل لها أنت) وروي عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده أبي عبد الله (ع) قال لو علم الله لفظة أوجز شيء ترك عقوق الوالدين من أف لأني وفي رواية أخرى عنه قال أدنى العقوق أف ولو علم الله شيئاً يسره منه وأهون منه لشيء عنه وفي خبر آخر فليعمل المأق ما يشاء ان يعمل فلن يدخل الجنة فالمنى لا تؤذيها بتقيل ولا كثير قال مجاهد معناه ان بلغنا عندك من الكبير ما يبولان ويحدثان فلا تقصد بهما وإطعتهما كما كانا يعطيان عنك في حال الصغر والتعظيم يحظر قول أف وهي كلمة تدل على الضجر وقيل ان الأف والتف وسخ الأصابع إذا قلصه عن أبي عبيدة وقيل هي كلمة كرامة عن ابن عباس وقيل معناه التثني وجاء في الكل أبو من السر قالوا لأن السر إذا كبر ولم يهتض للظهور جاء الفرج فوقه كما كان أبواه يزفانه (ولا تنهرهما) أي لا تزجرهما بالغلظة وصياح وقيل معناه لا تنتقم من شيء اراداه منك كما قال ولما السائل فلا تنهر (وقل لها قولاً كريماً) أي وخاطبتهما بقول رقيق لطيف حسن جميل يبعد عن القف والتعيب يكون فيه كرامة لهما ويدل على كرامتهما قول علي الغافل وقيل معناه قل لهما قول البعد المذهب السيد القطز الغليظ عن سعيد بن المسيب (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي وبالغ في التواضع والخفض لهما قولاً وفعلاً برأ بهما وشفقة عليهما والراذل بالذل هاهنا اللين والتواضع دون الهوان من خفض الظاهر جناحه إذا ضم فرخه إليه فكأنه سبحانه قال ضم أبيوك إلى صدك كما كانا يفلان بك وانت صغير وإذا وصفت العرب إنساناً بالسهولة وترك الآباء قالوا هو خافض الجناح وقال أبو عبد الله (ع) معناه لا تغلأ عينيك من النظر إليهما إلا برأفة ورحمة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا بديك فوق أيديهما

ولا تتقدم قتلهمهما (وقل رب ارحمهما كما ارحماني صغيراً) معناه ادع لهما بالمعزة والرحمة في حياتهما وبعد
ماتهما جزاء لثريتهما اياك في صياك وهذا إذا كانا مؤمنين وفي هذا دلالة على ان دعاء الولد لوالده الميت
مسموع ولا لم يكن للأمر به معنى وقيل ان الله تعالى اوصى الأبناء بالوالدين لتصور شفقتهم وإيؤس والوالدين
بالأبناء لوفور شفقتهم وذكر حال الكبير لأنهما اخرج في تلك الحال إلى البر لضفهما وكونهما كلالا للولد
ففي الحديث ان النبي ﷺ قال رغم الله رغم الله رغم الله قالوا من يا رسول الله قال من ادرك ابيه عدد
الكبر احدهما او كلاهما ولم يدخل الجنة اوردته سلم في الصحيح وروى ابو اسيد الانصاري قال ينافخ عند رسول
الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بمدمتكما قال
نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما واتخاذ عهدهما من بعدهما واكرام حديقتهما وصلة الرحم التي لا توصل
إلا بهما قال فتادة هكنا علمت وبهذا امرتم فخذوه بتعليم الله وادبه (ربكم اعلم) اي اكثر معلوماً وقيل اثبت
علمك فإنه سبحانه اعلم بأن الجسم حادث من الإنسان المأمم بذلك (ما في قوسكم) اي بما تضمرون من البر
والمقوق فمن ندرت منه تآدرة وهو لا يضر عرقاً غير الله له ذلك وقيل معناه انه اعلم بجميع ما في ضمائركم
وهذا الوجه (ان تكونوا صالحين) اي طائعين لله (فإنه كان للأوابين غفورا) والأواب التوب المتبداً للراجع
عن ذنبه عن مجاهد وروى ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل ان الأولين المطيعون المحسنون عن فتادة وقيل انهم
الذين يذنبون ثم يتوبون ثم يذنبون ثم يتوبون عن سعيد بن المسيب وقيل م الراسون الى الله فيما ينوبهم عن ابن
عباس وقيل م السبعون عن ابن عباس في رواية اخرى ويعضده قوله يا جبال ابوي معه وقيل انهم الذين يصلون
بين المغرب والمشاء روي ذلك مرفوعاً وروى هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال صلاة اربع ركعات يقرأ في
كل ركعة خمسين مرة قل هو الله احدي صلاة الأولين

قوله تعالى (٢٦) وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً (٢٧)
إِنَّ الْبَذْرَ رَيْنٌ كَانُوا إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (٢٨) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ
اِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُوراً (٢٩) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ
وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُوراً (٣٠) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا خمس آيات

— الفة —

النبذير التفریق بالاسراف وأصله ان يفرق كما يفرق البذر الا انه يخص بما يكون على سبيل الانقاذ وما
كان على وجه الاصلاح لا يسمى يئذيرا وان كثر قال التائفة

ترائب يستضيئ الحلي فيها كجمر النار يذر بالظلام

والاعراض صرف الوجه عن الشيء وقد يكون عن قلى وقد يكون للاشتغال بما هو الاولى وقد يكون
للإذلال كما قال وامر عن الجاهلین وأصل الحسر الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا إذا كشف
عه والحسرة الغم لانصار ما فات ودابة حسير اذا كلت لشدة السير لانصار قوتها بالكلال ومنه قوله ينقلب
اليك البصر خائفاً وهو حسير والمحمور المتقطع به للذهاب ما يفيده وانحصاره عنه قال المذلي

ان الصير بها داء مخايرها فشطرها نظر العينين محصور

ويقال حسرت الرجل اذا اتيت جميع ما عده

❦ الإعراب ❦

وأما تعرض تقديره وإن تعرض وما يزيد وإيتاء مقول له وقيل هو مصدر وضع موضع الحال أي مبتدئاً
رحمة من ربك ترجوها أي راجياً وإياها وترجوها جملة في موضع الجر بكونها صفة لرحمة ويجوز أن يكون شيء
موضع النصب على الحال من الضمير في تعرض

❦ المعنى ❦

ثم حدث سبحانه نبيه ﷺ على إيتاء الحقوق لمن يستحقها على كيفية الاتفاق فقال (وأت ذا القربى
حقه) معناه وأعطى القربيات حقوقهم التي أوجبها الله لهم في أموالكم عن ابن عباس والحسن وقيل إن المراد قرابة
الرسول عن السدي قال إن علي بن الحسين (ع) قال لرجل من أهل الشام حين بعث به (ع) عبيد الله بن زياد
إلى يزيد بن معاوية أفأت القرآن قال نعم قال أما قرأت وآت ذا القربى حقه قال وانك ذا القربى الذي أمر
الله أن يؤتى حقه قال نعم وهو الذي رواه أصحابنا عن الصادقين (ع) وإخيراً السيد أبو الحمد مهدي
ابن تزار الحسيني قراءة قال حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا الحاكم الواحد أبو
محمد قال حدثنا عبد الله عمر بن أحمد بن عثمان ينداد شفاها قال أخيراً عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال
حدثنا جعفر بن محمد الأحمسي قال حدثنا حسن بن حسين قال حدثنا أبو معمر سعيد بن جهم وعلي بن القاسم
الكندي ويعيسى بن يعلى وعلي بن مسهر عن فضيل بن مرزوق عن خطبة العوفي عن أبي سعيد الخدري قال
لا تزل قوله وآت ذا القربى حقه أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فذكاً قال عبد الرحمن بن صالح كعب
لأما من إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فذك فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضل بن مرزوق عن
خطبة فرد لأما من فذكاً إلى ولد فاطمة (ع) (والمسكين وابن السبيل) معناه وآت المسكين حقه الذي جملة
الله له من الزكاة وغيرها وآت الجناز المقتطع عن بلاده حقه أيضاً (ولا تبذر تبذيراً) قيل إن المبذر
الذي ينفق المال في غير حقه عن ابن عباس وابن مسعود وقال مجاهد لوافق مسداً في ياطل كان مبذراً ولو
اتفق جميع ماله في الحق لم يكن مبذراً وروي عن أبي عبد الله (ع) إن أمير المؤمنين (ع) قال لعائشة كن زامة
للمؤمنين وإن غير المطايا امتلأوا واسلمها ظهراً ولا تكن من المبذرين (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) معناه إن
المسرفين اتباع الشياطين ما يكون طريقهم وهذا كما يقال إن لازم الشر هو أخو الشر وقيل معناه أنهم قتاة
الشياطين في النار (وكان الشيطان لربه كفوراً) أي كان الشيطان في قدم مدحه كثير الكفرسة بعد أخرى
(ولما تعرض عنهم) أي وإن تعرض عن هؤلاء الذين لربك يؤتاهم حقوقهم عند مسائلهم إياك لا تكبد
ذلك حياء منهم (ابتدأ رحمتهم ربك ترجوها) أي لتبتي الفضل من الله والمنة التي يمكنك بها البذل بأمل تلك
المنة وذلك الفضل (فقل لهم قولاً مسوراً) أي مدهم عنة حسنة وقل لهم قولاً سهلاً ليتيسر عليك وروي إن
النبي ﷺ كان لا نزل هذه الآية إذا مثل ولم يكن منه ما يعطي قال يرفقنا الله وإياكم من فضله
(ولا تبذل يدك مغلولاً على عنقك) أي لا تكن ممن لا يعطي شيئاً ولا يجب فتكون بئزلة من يده مغلولاً إلى
عنقه لا يقدر على الإعطاء والبذل وهذا مماثلة في النهي عن الشح والامساك (ولا تبسطها كل البسط) أي ولا تبط
أيضاً جيم ما عندك فتكون بئزلة من يبط يده حتى لا يستقر فيها شيء وهذا كناية عن الاسراف (فتقدموا)
تقوم نفسك وتلازم (محسوداً) منعطفاً به وليس عندك شيء عن السدي وابن عباس وقيل عاجزاً نادماً عن قتادة
وقيل محسوداً من الثياب والمصور الريان عن أبي عبد الله (ع) وقيل معناه إن أمسكت فقلت ملوماً منوماً
وإن أسرفت بقيت متحسراً منوماً عن الجاني وقال الكلبي لا تط ما عندك جيباً فيجيئ الآخرون يسألونك
فلا تجد ما تعطهم فيلوموك وروي إن امرأتين ابنتا إلى رسول الله ﷺ وقالت قل له إن أمي تستكسك

دريا فلان قال حتى يا تينا شي* فقل له انها تستكسبك قيسك فاطم قتال ما قاتله فترع قيسه قدفعه اليه فقلت
الآية ويقال انه (ع) بقي في البيت اذ لم يجد شيئا يلبسه ولم يكنه الخروج الى الصلاة فلامه الكفار وقالوا ان
محمدنا اشتغل بالنوم والاهو عن الصلاة (ان ربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسم مرة ويضيق
مرة بحسب المصلحة مع سمة خزائنه (انه كان يباده خيرا بصيرا) اي عالما بأحوالهم بصيرا بمصالحهم فيبسط
على واحد ويضيق على آخر يديهم على ما يراه من الصلاح

(=) النظم (=)

ولما اتصلت هذه الآية الأخيرة بما قبلها من حيث ان فيها حثا على الاعطاء اعتيادا على الله تعالى ونهياعن
البخل وحثا على التقصد اذ هو سبطاته مع غناه وكمال قدرته يوسع مرة ويضيق مرة اخرى مراعاة للمصلحة فمن
هو دونه اولى ان يراعي الصلاح وبذلك طريق القصد

قوله تعالى (٣١) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِلَيْكُمُ إِن-
تَقْتُلُهُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا (٣٢) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٣)
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ
فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٤) وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٥) وَأَوْفُوا بِالْكِيلِ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقَيْسَاسِ
الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا
(=) القراءة (=)

قرأ ابو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان كان خطأ بفتح الحاء والطاء من غير الف بعدها وقرأ ابن كثير
خطأ بكسر الحاء وسدودا والباقرن خطأ بكسر الحاء من غير مد وفي الشواذ قراءة الزهري واني رجاء خطأ
بكسر الحاء غير سدودا وقراءة الحسن خطأ بالمد وفي رواية اخرى عنه خطأ بفتح الحاء والطاء خفيفة وقرأ اهل
الكوفة غير حاصم فلا تسرف بالثاء والباقرن بالياء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر القيساس بكسر القيساس والباقرن بعضها
(=) الحجة (=)

الخطأ ما لم يعتمد وكان المأمور فيه موضوعا عن صاحبه قال ابو علي قالوا الخطأ في معنى خطي كما ان خطي
في معنى اخطا في مثل قوله

عبادك يحطون وانت رب كريم لا يليق بك الذنوم

فمجرى الكلام انهم خاطئون وفي التنزيل لا تواقظوا ان تسبوا او اخطانا والمراخنة من المخطي موضوع
فهذا يدل على ان اخطانا في معنى خطانا وكما جاء اخطا في معنى خطي كذلك جاء خطي في معنى اخطا
في قوله « يا له عند اذ خطن كاهلا » وفي قول الآخر

والناس يلحون الأمير اذا هم خطوا الصواب ولا يلام المرشد

فكذلك قراءة ابن عامر خطأ في معنى اخطا كما جاء خطي بمعنى اخطا ويجوز ان يكون الخط بمعنى
الخطأ ايضا كالتل والمثل والشبه والبدل والبدل والمقارنة ابن كثير خطأ فإنه يجوز ايضا ان يكون
مصدر خطأ وان لم يسمى خطأ ولكن جاء ما يدل عليه وهو قوله تخطات التبل احتشاءه قال وانشدنا محمد
ابن السري في وصف كرامة

واسمعت ان ناولته حوش (?) القرى ادرت عليه المديجات الموضب

تخاطبه القناص حتى وجدته وخرطومه في مقع الماء راسب

فخطا يدل على خطأ لأن تفاعل مطاوع فعل كما أن تفاعل مطاوع فعل وجه من قرأ خطا بين فلان يقال خطى خطا خطأ اذا تصدق الشيء والقابل منه خطا وقد جاء الوعيد فيه في قوله تعالى لا يأكله الا الخاطئون ولما خطا فهو اسم بمعنى المصد من اخطأت كالصائم من اعطيت وقال ابن جني يقال خطى خطا خطا في الدين وخطا الخطى ونحوه وقد يتداولان واما خطا وخطا فتخفيف خطا وخطا قال ابو علي واما قوله فلا يسرف بالياء فلان فاعل يسرف يجوز ان يكون على وجهين (احدهما) ان يكون القاتل الاول فيكون تقديره فلا يسرف القاتل في القتل ويكون مضرا وان لم يحرم له ذكر لان الحال تدل عليه فلان قلت كيف يكون في القتل قصد بين شيئين حتى ينهى عن الاسراف فيه الذي هو ترك القصد (فالجواب) انه لا يستنع ان يكون فيه الاسراف كما جاء في اموال اليتامى ولا تأكلوا اسرافا ولم يجز ان يؤكل منه لا على الاقتصاد ولا على غيره لقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية فكذلك لا يستنع ان يقال للقاتل الاول لا يسرف في القتل لانه يقتله يكون مسرفا ويكون الضمير على هذا في قوله انه كان منصورا لقوله ومن قتل مظلوما تقديره فلا يسرف القاتل المبتدئ يقتله في القتل لأن من قتل مظلوما كان منصورا بان يقصد له وليه او السلطان ان لم يكن له ولي غيره فيكون هذا ردما للقاتل من القتل كما ان قوله ولكم في القصاص حياة كذلك فالولي اذا اقتص فالنفس يقتل ومنه انتقل الى الولي بدلالة ان المقتول لو ابرئ من السب المزدني الى القتل لم يكن للولي ان يقصد ولو صالح الولي من العمد على مال كان للمقتول ان يؤذي منه دينه ولا يستنع ان يقال في المقتول منصور لانه قد جاء ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا (والآخر) ان يكون في يسرف ضمير الولي اي فلا يسرف الولي في القتل واسرافه فيه ان يقتل غير الذي قتل او يقتل اكثر من قاتل وليه وكان مشركا الرب يغفلون ذلك والتقدير فلا يسرف الولي في القتل اذ الولي كان منصورا بقتل قاتل وليه والاقتصاص من القاتل ومن قرأ فلا تسرف بالياء احتل وجهين ايضا (احدهما) ان يكون المبتدئ القاتل ظلما فليل له لا تسرف ابها الانسان فقتل ظلما من ليس لك قتله ان من قتل مظلوما كان منصورا باخذ القصاص له (والآخر) ان يكون الخطاب للولي فيكون التقدير فلا تسرف ابها الولي في القتل فتسمى قاتل وليك الى من لم يقتله ان المقتول ظلما كان منصورا وكل واحد من المقتول ظلما ومن ولي المقتول قد تقدم ذكره في قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا واما القصاص والقسط فها لثان مثل القسط والقسط والضم اكثر

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ولا تقتلوا اولادكم) اي بناقتكم (خشية اطلاق) اي خوف فقر وعجز عن النفقة عليهم ويستدل ان يكون قوله ولا تقتلوا منصوبا عطفا على قوله ان لا تعبدوا ويجوز ان يكون على الهي فيكون مجزوما وايضا نهاهم الله عن ذلك لانهم كانوا يهدون البنايت فيدفنونهن احياء (تمن نرزقهم وياياكم) اخبر سبحانه انه مشكل برزق اولادهم ورزقهم (ان قتلهم كان خطا كبيرا) يعني ان قتلهم في الجاهلية كان عظما عند الله وهو اليوم كذلك (ولا تقريرا الزنى) وهو وطأ المرأة حراما بلا عقد ولا شبهة عقد (انه كان فاحشة) اي معصية كبيرة عظيمة والمراد انه كان عندهم في الجاهلية فاحشة وهو الآن كذلك ومثل هذا في القرآن كثير (وساء سبيلا) اي يرش الطريق الزنا وفيه اشارة الى ان القتل يفتح الزنى من حيث انه لا يكون لولاه نسب اذ ليس بعض الزناة اولي به من بعض فيودي الى قطع الانساب وابطال المواريث وابطال صلة الرحم وحقوق الاباء على الاولاد وذلك مستشكر في القول واخبرني الفيد عبد الجبار بن عبد الله بن علي قال حدثنا الشيخ ابو جعفر

الطوسي قال حدثنا ابو عبد الله الحسن بن احمد بن حبيب الفارسي عن ابي بكر محمد بن احمد بن محمد الجرجاني قال سمعت ابا عمر وعثمان بن الخطاب المروفي في الدنيا يقول سمعت علي بن ابي طالب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول في الزناست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما الأولى في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفتا وأما الثانية في الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب والدخول في النار والمخلود في النار (ولا تقبلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وهو ان يجب عليه القتل اما لكفره أولا أنه قتل نفسا بغير حق أو زنى وهو محسن (ومن قتل مظلوما) بغير حق (فقد جثا لوليه سلطانا) أي قد اثبتنا لوليه سلطان القود على القاتل أو الدية أو الخو من ابن عباس والضحاك وقيل سلطان القود من قتادة (فلا يسرف في القتل انه كان منصورا) من تفسيره قيل (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده) فسرناه في سورة الانعام (واوفوا بالعهد) في الرصية بال اليتيم بغيره وقيل ان كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد وقد يجب الشيء ايضا بالهد والعهد به وان لم يجب ابتداء وانما يجب عند العقد (ان العهد كمن مسوولا) عنه لجزاء عليه فعذبه عنه لأنه منهوم وقيل ان مناه ان العهد يسأل فيقال له بما نقضت كما تسأل الموعدة بأي ذنب قتلت (واوفوا الكيل إذا كلمتم) أي أنتم ولا تبخسوا منه ومنه ووفوا الناس حقوقهم إذا كلمتم عليهم (وزنوا بالقسطاس) وهو الميزان صغرام كبير من الزجاج وقيل هو القبان من الحسن وقيل هو العدل بالرومية عن مجاهد فيكون محبولا على موافقة الثنتين والمستقيم (الذي لا يبخس فيه ولا يخن (ذلك خير) أي خير فربما عن قتادة وقيل اقرب إلى الله عن عطاء وقيل مناه ان ايضا الكيل والوزن خير لكم في دنياكم فانه يكسب اسم الأمانة في الدنيا واحسن تأويلا) أي واحسن مآبة في الآخرة ومرجبا من آل يؤول إذا رجع حث الله سبحانه بهذه الآية على اتمام الوزن والكيل في المعاملات والبياعات وإيفاء حقوق البعاد

قوله تعالى (٣٦) وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٧) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٨) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٩) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٤٠) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا خمس آيات

❦ القراءة ❦

قرأ ابن عامر واحمل الكوفة كان سيئه بضم الهزنة مضافا إلى الماء وقرأ الباقون سيئه منصوبا منونا غير مضاف

❦ الحجة ❦

من قرأ آية مضافا قال لأنه قد تقدم ذكر أمور منها سيئ ومنها حسن فنص الله سبحانه السيئ منها بأنه مكروه منه لأنه عن اسمه لا يكره الحسن ويقوي ذلك قوله مكروها ولو كان سيئه غير مضاف لوجب ان تكون مكروهة فلم يقل ان التائب غير حقيقي فلا يمتنع ان يذكر قيل ان هاهنا التذكير لا يحسن وان لم يكن حقيقيا لأن الموت قد تقدم ذكره فلم يقل قوله ولا تمش في الأرض اقبل ابتغالها مستحب عندهم ولو قال اقبل أرض لم يستحب وذلك ان المتقدم الذكر يبين ان يكون الراجع اليه وقفه كما يكون وقفه في الشئ والجزم وإذا لم يقتض له ذكر لم يلزم ان يراد به ذلك ومن قرأ آية فانه يشبه ان يكون لما رأى الكلام اتعلم عند قوله واحسن تأويلا وكان

الذي بعده من قوله ولا تقف ما ليس لك به علم لا امر حسنا فيه قال كل ذلك كان سيئة فأفرد ولم يصف
فإن قلت كيف ذكر الموت ثم قال مكروها قلت فإنه يجوز أن لا يجمل مكروها صفة لسيئة ولكن نجهل بدلا
ولا يلزم أن يكون في البدل ذكر المبدل منه كما يجب ذلك في الصفة ويجوز أن يكون مكروها حالا من الذكر
الذي في قوله عند ربك على أن تجعل عند ربك صفة للفكرة قال النحوي البصير ليس هذا بصحيح لأن الضمير الذي
في الظرف موث كذا كان السيئة موث فيلزم منه ما لم من الأول إذا جعلته صفة للسيئة وإن حمل على التثنية
غير الحقيقي يجيء منه ما قال في قوله ولا أرض أبقل ابتاعها



القفو اتباع الأثر ومنه التباينة فكانه يتبع قفا المتقدم قال

ومثل الدمى شمل المرانين ساكن بهن الحياء لا يشمن التقافيا

أي التقافى قال أبو عبيدة القفر المشبهة يقال قافه يقوفه وقفاه يقفوه بمعنى فهو مثل جذب وجذب واصل
الحرق القطع ورجل خرق يشترق في السقاء والفرق الثلاثة لانقطاع أطرافها بتباعدها قال روبية وقامت الاعماق
خاوي المعتقد أي خاوي المقطع والمرح شدة الفرح



قال كل أو لك لأن أو لك وهو لا هجيم القليل من المذكور والموثن وإذا أريد الكثير يقال كل هذه
وتلك قال الشاعر

فم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أو لك الأيام

فأو لك كما يكون إشارة إلى القلاء يكون إشارة إلى غيرهم وقوله كان عنه مسؤولا أي أتدبر إلى كل
أي يسأل عن استعمال هذه الأشياء وإن شئت كان أي يورد إلى الإنسان أي يسأل عن الإنسان فيما استعمل
هذه الأشياء ويكون في مسؤولا ضمير يقود إلى كل وقدره أبو علي أن أمثال السمع والبصر والفؤاد كل أمثال
أو لك طولا مصدوع موضع الحال أما عن القائل في أن تبلغ أو من الجبال وجوز الأرمين أبو علي فتلقى
منصوب بأخبار أن لكونه جواب النهي بإقائه ما لما مدحوا نصب على الحال ومرحا نصب على التمييز ويجوز
أن يكون مصدرا وضع موضع الحال كقولهم جاء زيد ركضا وجاء زيد ركضا فركضا أو كد في الاستعمال
لأن ركضا بدلى على تركيد الفعل وتقديره يركض ركضا وعلى هذا يكون معناه ولا تقف في الأرض مغتالا وقيل
أن طولا نصب على التمييز



ثم قال سبحانه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ومعناه لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم
عن ابن عباس وقيل معناه لا تقل في قفا غيرك كلاما أي إذا مر بك فلا تتبعه عن الحسن وقيل هو شهادة
الزور عن محمد بن الحنفية والأصل أنه عام في كل قول وفعل أو عزم يكون على غير علم فكانه سبحانه قال
لا تقل إلا ما تعلم أنه ما يجوز أن يقال ولا تقل إلا ما تعلم أنه ما يجوز أن يفضل ولا تشدد إلا ما تعلم أنه ما يجوز
أن يتقيد وقد استدل جماعة من أصحابنا بهذا على أن العمل بالقياس وبغير الواحد غير جائز لأنها لا يوجب العلم
وقد نهي الله سبحانه عن اتباع ما هو غير معلوم (أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) معناه
أن السمع يسأل عما سمع والبصر عما رأى والقلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع والبصر والفؤاد والمراد أن
أصحابها هم المسؤلون ولذلك قال كل أو لك وقيل بل المعنى كل أولئك الجواهر يسأل عما فعل بها قال الوالي
عن ابن عباس يسأل الله الصادق فيها استعمالها وروى علي بن إماميه في تفسيره عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن

اي حزمة التالي عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى يسأل عن اربع خصال عرك فيها افئتيه وجسدك فيها أبلتة ومالك من اين كسبته واين وضعت ومن جنتا أهل البيت (ولا تمتش في الارض مرحا) معناه لا تمتش على وجه الاشر والبطر والخيلاء والتكبر قال الزجاج معناه لا تمتش في الارض مختالا غفورا وقيل المرح شدة الفرح بالباطل (انك لن تغرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) هذا مثل ضربه الله تعالى قال انك ايها الانسان لن تشق الارض من تحت قدميك بكبرك ولن تبلغ الجبال بطاولك والمعنى انك لن تبلغ ما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك ان تبلغ هذا فما وجه المناظرة على ما هذا سبيله مع ان الحكمة زاجرة عنه وانما قال ذلك لان من الناس من يبشي في الارض بطرا يدق قدميه عليها ليري بذلك قدره وقوته ويرفع رأسه وحقه فيبين سبحانه انه ضعيف مهين لا يقدر ان يحرق الارض بدق قدميه عليها حتى ينتهي الى آخرها وان طوله لا يبلغ طول الجبال وان كان طويلا علم الله سبحانه عباد التواضع والمروءة والوقار (كل ذلك) اشار الى جميع ما تقدم ذكره مما نعى الله سبحانه عنه في هذه الآيات (كان سيئها) اي مصيئته (عند ربك مكروها) له سبحانه يكرها ولا يريد لها ولا يرضاها وعلى القراءة الثانية فيكون ذلك اشارة الى جميع ما امر به من الحسنات ونهى عنه من القبيحات اي كان سيئ ماسبق من هذه الاشياء مكروها عند ربك وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول المجرة فانه سبحانه صرح بأنه يكره الماصي والسيئات وإذا كرهها فكيف يريد لها فان من المعال ان يكون الشيء الواحد مرادا مكروها عنده (ذلك) الذي تقدم ذكره من الأوامر والنواهي (ما اوحى اليك ربك) يا محمد (من الحكمة) المؤدية إلى المعرفة بالحسن والقبح والفريقينها لا لا تحصل مع الله إنما آخر) في افراذك وقولك والغضب لشيء ^{بشيء} والمراد به غيره ليكون ابغى في الزجر قوله لن اشركت ليعطين حلك (تقتلى) أي فتطرح بمعنى انك إذا فعلت ذلك اقتيت وطرحت (في جهنم ملوما بلومك الناس) مدحورا اي مطرودا مبعدا عن رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبين والمؤمن من الملائكة اثنا) هذا خطاب لمن جعل الملائكة بنات الله تعالى ومعناه اخلصكم الله سبحانه بالبين وخصكم بهم واتخذ لنفسه الإناث وجعل البنات مشركة بينكم وبينه واختصكم بالأرفع وجعل لنفسه الأذون تقول اصفيت فلانا بالشيء إذا أقرته به (انكم لتقولون قولا غفيا) اي كبرا في الاثم واستحقاق العقوبة حيث اضعفتم إلى الله سبحانه ما لم ترضوا لأنفسكم به وجعلتم الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم أذن خلق الله وهم الأناث

قوله تعالى (٤١) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) قُلْ لَوْ كَان مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذْ أَتَيْنَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ مِثْلًا (٤٣) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عَلَٰؤًا كَبِيرًا (٤٤) تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

❦ القراءة ❦

قرأ أهل الكوفة غير حاصم ليعذركموا ساكنة الذال خفيفة وفي سورة الفرقان مثله والباقرن ليعذركموا بفتح الذال والكاف وتشديدها في السورتين وقرأ كما يقولون بالياء يسبح له بالياء أهل المدينة والشام وابو بكر وقرأ أهل البصرة كما تقولون بالياء ما يقولون بالياء تسبح له بالياء وقرأ حفص كما يقولون وعما يقولون بالياء تسبح بالياء وقرأ الجسيم بالياء ابن كثير وقرأ الجسيم بالياء حمزة والكسائي وخلف

❦ الحجة ❦

قال ابو علي حجة من قال ليعذركموا قوله ولقد صرفنا لهم القول لهم يتذكرون فالتذكير هنا أشبه من الذكور

لأنه كان يراد به التذكير وليس يراد الذكر الذي هو ضد الشيان ولكنه كما قال كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدروا آياته وليتذكر أولو الألباب وليس المراد ليعذركم بعد نسيانهم بل المراد ليعذروهم بقولهم ووجه التخييف ان التخييف قد جاء في هذا المعنى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فهذا ليس على معنى لاتنسوه ولكن تدوهم ومن قرأ كما يقولون بإياله فالعنى كما يقول المشركون من آيات الألفه من دونه فهو مثل قوله تعالى قل الذين كفروا ستعذبون لأنهم غيب فأما من قرأ سبحانه وتعالى عما يقولون فإنه يجتدل ويحين ﴿أحدما﴾ ان يطف على كما يقولون ﴿والآخر﴾ ان يكون توه سبحانه نفسه عن دعوتهم قال سبحانه وتعالى عما يقولون ومن قرأ كما يقولون بالتاء وما يقولون بإياله فإن الأول على ما تقدم والثاني على انه توه نفسه عن قولهم ويجوز ان تحمله على القول كأنه قال قل أنت سبحانه وتعالى عما يقولون وأما قوله تسبح له السموات فكل واحد من الأيا والتاء حسن

﴿المعنى﴾

ثم احتج سبحانه على الذين تقدم ذكرهم فقال (ولقد صرفنا) أي كرهنا الدلائل وفضلنا المعاني والأمثال وغير ذلك مما يجب الاعتبار به (في هذا القرآن ليعذركم) أي ليتذكروا فيها فعملوا الحق وحذفوا الدلائل والبر لدلالة الكلام عليه وعلم السامع به (وما يزيدهم إلا نفورا) أي وما يزداد هؤلاء الكفار عند تعريف الأمثال والدلائل لهم إلا تباعدا عن الاعتبار ونفورا عن الحق وأضاف النفور إلى القرآن لأنهم ازدادوا النفور عند ترويه كقوله فلم يزدكم دعائي إلا فرارا فإن قيل إذا كان المعلوم أنهم يزدادون النفور عند آيات القرآن فالمعنى في آياته وما وجه الحكمة فيه قيل الحكمة فيه الزام الحجة وقطع المذمة في اظهار الدلائل التي تحسن التكليف وأنه يصلح عند انزاله جماعة ما كانوا يصلحون عند عدم انزاله ولو لم يقل لكان هؤلاء الذين ينفرون عن الإيمان يفسدون بفساد أعظم من هذا النفور فالحكمة اقتضت انزاله لهذه المعاني وإثبات ازدادوا نفورا عند مشاهدة الآيات والدلائل لاعتقادهم انها شبه وحيل وقلة تفكرهم فيها (قل) يا محمد هؤلاء المشركين (لو كان معكم آفة كما يقولون) هم أو تقولون أنتم على القراءة (إذا لا ابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) أي طلبوا طريقا يقربهم إلى مالك العرش والتسوا إلى الرقة عنده لهم بطوعهم وظلمته من مجاهد وقناة وقال أكثر المفسرين معناه طلبوا سبيلا إلى معزة مالك العرش ومقابلته ومنازحته فإن المشركين في الآية لم يكونوا متباينين في صفات الذات ويطلب أحدهما مغالبة صاحبه ليصفو له الملك وفي هذا إشارة إلى دليل التانع ثم نزه سبحانه نفسه من ان يكون له شريك في الآية فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون) أي من قولهم (علوا كبيرا) وإثبات لم يقل تعالىا كبيرا لأنه وضع مصدر مكان مصدر نحوه قوله بتل إليه تبشلا ومعنى تعالى ان صفاته في أعلى المراتب ولا مساوي له فيها لأنه قادر لا أحد أقدر منه وعالم لا أحد أعلم منه ونص العرش بإضافته إليه تعظيما للعرش ويجوز ان يريد بالعرش الملك (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) معنى التسبيح هاهنا الدلالة على توحيد الله وعده وأنه لا شريك له في الآية وجري ذلك مجرى التسبيح بالهبط وربما يكون التسبيح من طريق الدلالة أقوى لأنه يؤدي إلى العلم (وأن من شيء إلا يسبح بحمده) أي ليس شيء من الموجودات إلا ويسبح بحمد الله تعالى من جهة خلقه إذ كل موجود سوى القديم حادث يدع إلى تعظيمه حاجته إلى صانع غير مصنوع صنعه أو صنع من صنعه فهو يدع إلى تثبت قدمه غني بنفسه عن كل شيء سواء ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات وقيل ان معناه وما من شيء من الالحيا إلا يسبح بحمده عن الحسن وقيل ان كل شيء على العلوم من الوحوش والطيور والحيوانات يسبح الله تعالى حتى صرر الباب وغرر الماء عن إبراهيم وجماعة (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تفقهون تسبيح هذه الأشياء حيث لم تفقهوا فيها ففهموا كيف دلالاتها على توحيد الله (أنه كان حيا)

يملككم ولا يبايحكم بالعقوبة على كفركم (نفورا) لكم اذا تبتم وانتم اليه

قوله تعالى (٤٥) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٦) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَرْتُمْ فِي الْقُرْآنِ وَخَذْتُمْ مَخْرَجًا وَلَوْ أَعْلَىٰ أَذْيَارِهِمْ نَفُورًا (٤٧) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْمَعُونَ بِهِ إِذْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٨) أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا أربع آيات

الفقه

المرقر بافتح التل في الاذن والكسر الحمل والاصل فيه التل إلا انه خوف بين البناءين للفرق والتفرد
جمع نافر وهذا الجعم قياس على كل فاعل اشتق من فعل مصدره على قول مثل ركوع وسجود وشهود والتجوى
بمصدر يوصف به الواحد والاثنتان والجميع والمذكر والمؤنث وهو مقرر على فقله

— (الاعراب) —

قوله ان يفقهوه في موضع نصب بانهم يقول له على كراهة ان يفقهوه . نفروا نصب على الحال وتقديره ولوا نافرين
وقبل انه مصدر ولوا خرج على غير فقله لأن معنى ولوا نفروا فكانه قال نفروا نفروا

المنزول

قيل نزل قوله وإذا قرأت القرآن الآية في قوم كانوا يؤذون النبي ﷺ بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند
الكعبة وكانوا يؤذونه بالحجارة ويعتصونه من دماء الناس إلى الدين فقال الله سبحانه بينه وبينهم حسيق لا يؤذوه
من الزجاج والحيائي

المعنى

لما تقدم قوله ولقد صرفنا في هذا القرآن بين سبحانه حالهم عند قراءة القرآن فقال (وإذا قرأت القرآن)
يا محمد جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة (وهم المشركون) حجابا مستورا (قال الكلبي وهم ابو
سفيان والنضر بن الحرث وابو جهل وأم جليل امرأة ابي لهب حجب الله رسوله عن ابصارهم عند قراءة القرآن
وكانوا يأتونه ويعرون به ولا يؤونه وقيل أراد حجابا ساترا عن الأعين والفاعل قد يكون في لفظ المفعول يقال
مشوروم ويمسرون إذا هو شائم وقيل هو على بناء النسب لاجل ان المفعول بمعنى الفاعل والفاعل بمعنى المفعول
والمنى حجابا ذا ستر وهذا هو الصحيح وقيل حجابا مستورا عن الأعين لا يبصر إنا من قدرة الله تعالى حجب
فيه بحجاب لا يؤونه ولا يراه النبي ﷺ وقيل ان المنى في الآية جعلنا بينك وبينهم حجابا بمعنى باعثنا بينك
وبينهم في القرآن فهو لك وللمؤمنين . مك شفا . وعدى وهو للمشركين في آذانهم وقرو عليهم معنى فهذا هو
الحجاب عن ابي مسلم وهذا بيد والاول اوجه لأنه الحقيقة (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا)
مر تفسيره في سورة الأنعام (وإذا ذكركم ربك في القرآن وحده) معناه وإذا ذكرت الله بالتوحيد وأبطلت
الشرك (ولوا على أذنيهم نفورا) أي امروا عنك مدين نافرين والمنى بذلك كفار قريش وقيل هم الشياطين
عن ابن عباس وقيل معناه إذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولوا وقيل إذا سمعوا قول لا إله إلا الله (نحن اعلم
بما يستمعون به إذ يستمعون اليك) معناه ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين وغرضهم في الاستماع اليك وقد
علمنا سبب استماعهم وهذا كما يقال فلت ذلك بحرمتك (وإذا هم نجوى) أي متناجون وقيل هم ذوو نجوى

والمنى أنا نعلمهم في حال ما يصفون إلى سماع قراءة تلك وفي حال ما يقومون من عندك ويتناجون فيما بينهم فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم هو ساحر وقيل يعني به الجاهل وزمة بن الأسود وعمر بن هشام وخريطب بن عبد المزى اجتمعوا وتشاوروا في أمر النبي ﷺ فقال أبو جهل هو مجنون وقال زمعة هو ساحر وقال خريطب هو ساحر ثم أتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك عليه فقال هو ساحر (إذ يقول الظالمون إن تبصرون إلا رجلا مسحورا) قيل فيه وجه ﴿أحدهما﴾ أنهم يقولون ما يتبعون إلا رجلا قد سحر فاختلط عليه أمره وإنما يقولون ذلك للتفخيز عنه ﴿وثانيها﴾ أن المراد بالمسحور المخدوع المملوك كما في قول امرئ القيس

أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر في الطعام وفي الشراب
وقول امية بن أبي الصلت

فإن تسألينا فيم نجح فإنا عصفير من هذا الأنام المسحر

﴿وثالثها﴾ أن المنى إن يتبعون إلا رجلا ذا سحر أي رقة خلقه الله بشرا مثلكم ﴿ورابعها﴾

أن المسحور بمعنى الساحر كما قيل في قوله حجابا مستورا أي ساترا وقد زيف هذا الوجه والوجه الثلاثة أوضح وعلى هذا فغنى الآية البيان عن توجيه حال المادي للدين المناسب للحق اليقين وإن قلبه كأنه في كتاب عن تفهمه وكأن في ذنبه وقراعن استماعه فهو مولى فافر عنه يتأجج في حال الانحراف عنه جهالا أمثاله قد بدوا بالحجة حتى نسوا صاحبها إلى أنه مسحور لا يمكن لهم إلى مقاومة ما أتى به سيل ولا على كسره بالممارسة دليل ثم قال سبحانه على وجه التعجب (أنظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) أي شهبوا لك الأشياء فقالوا مجنون وساحر وشاعر (فألو) بهذا القول عن الحق (فلا يستطيعون سيلا) أي لا يجدون حيلة ولا طريقا إلى بيان تكذيبك إلا بالهت السريح وقيل لا يجدون سيلا لا يجدون حيلة وطريقا إلى صد الناس عنك وإلى إثبات ما ادعوا عليك وقيل خلوا عن الطريق المستقيم وهو الدين والإسلام فلا يجدون إليه طريقا يمد ما خلوا عنه

قوله تعالى (٤٩) وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أأنا لم نجوون خلقا جديدا (٥٠) قل كونوا حجارة أو حديدًا (٥١) أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يبدئنا قل الذي فطركم أول مرة فسيفضون إليكم روهوهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا (٥٢) يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبئس إلا قليلا
أربع آيات قد ذكرنا اختلاف التمر في الاستفهامين من قوله أإذا وأنا في سورة الأعد

فلا معنى لإعادته

﴿الفة﴾

الرفات ما تكسر ولي من كل شيء ويكثر جاء فعال في كل ما يعظم ويضعف يقال حطام ودقاق وتراب وقال المبرد كل شيء مدقوق مبالغ في دق حتى انسحق فهو رفات وقال الفراء لا واحد له من لفظه يقال رفات الشيء رفاتا فهو رفوت وإذا صير كالحطام يقال انفض رأسه ينفضه نفثا وإذا حركه قالوا والنفس تحريك الرأس بارتفاع وانخفاض ومنه قيل الظلم نفث لأنه يحرك رأسه في مثيه بارتفاع وانخفاض قال السجاء «اصك نفثا لا يني مستهدجا» ونفث السن إذا تحركت قال «تفثت من همم استأنها»

- «الاعراب» -

إذا في موضع نصب يعمل بدل عليه قوله أرنا المبعوثون وتقديره أُنِيعَ في ذلك الوقت ولا يجوز ان يكون ظرفا لقوله مبعوثون لأن ما بعد ان ولام الابتداء لا يجوز ان يعمل فيها قبلها والياء في جمعه ياء الخال اي تستجيبن حليدين له ويدعوكم في موضع الجر بالإضافة يوم اليه وتستجيبن عطف عليه وتظنون ليس في موضع الجر لأن الواو الحال وتقديره وحالكم إذ ذاك انظروا قليلا ونصب على الظرف وتقديره ان ليستم لأننا قليلا

- المعنى -

لما تقدم ذكر البعث والشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في انكاره فقال (وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا) اي غيارا عن ابن عباس وقيل ترابا عن مجاهد (ان المبعوثون خلقا جديدا) والمعنى قال المنكرون للبعث اننا اذا متنا وانتشرت لحوتنا وصرنا عظاما وترابا أُنِيعَ بعد ذلك خلقا جديدا اي متجددا وهو انكار في صورة الاستهزاء (قل) يا محمد لهم (كونوا حجارة او حديد) اي اجهدوا في ان لاتمادوا وكونوا استسلمتم حجارة في القوة او حديد في الشدة (او خلقا مما يكبر في صدوركم) اي خلقا هو اعظم من ذلك عندكم واصعب فإنكم لا تفوتون الله تعالى وستجيبن بعد الموت وينشر لكم ان الا ان الكلام خرج مخرج الأمر لأنه البسغ في الإلزام وقيل يعني بقوله ما يكبر في صدوركم الموت وينشر لكم ان الا ان الكلام خرج مخرج الأمر لأنه لا تأتكم الله تعالى وليس شيء أكبر في صدور بني آدم من الموت وقيل يعني به السماوات والارض والجبال عن مجاهد (فيقولون من يبعثنا قل الذي فطركم اول مرة) معناه فإنك اذا قلت لهم ذلك فيقولون لك من يحيينا بعد الموت قل يا محمد يحييكم من خلقكم اول مرة فإن من قدر على ابتداء الشيء كان على اعادته اقدر ما لم تبطل قدرته ولم يتغير فإن اجده الشيء اصعب من اعادته وإنما قال ذلك لهم لأنهم كانوا يقرعون بالنشأ الأولى (فيستفوضون اليك رؤوسهم) اي فيسبحون اليك رؤوسهم تحريك المستهزئ المستخف السبطي لما تذلهم به (وبقولن من هو) اي متى يكون البعث (قل عسى ان يكون قريبا) لأن ما هو آت قريب ومن كلام الحسن كأنك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل (يوم يدعوكم تستجيبن بحمده) معناه عسى ان يكون يمشكم قريبا ايها المشركون يوم يدعوكم من قبوركم الى الموقف على السنة الملائكة وذلك عند الفسحة الثانية فيقولون ايها العظام النخرة والجلود البالية عودي كما كنت تستجيبن مضطربين بجمعه اي حليدين لله على نعمه واتهم موحدون وهنا كما يقول القائل جاء فلان بغضبه اي جاء غضبان وقيل معنى تستجيبن بحمده انكم تستجيبن مترفين بأن الحمد لله على نعمه لا تنكرونه لأن الممارف هناك ضرورة قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم يقولون سبحانه وبحمده ولا يضعهم في ذلك اليوم لأنهم حدوا حين لا ينتمهم الحمد (وتظنون ان ليستم الا قليلا) اي وتظنون انكم لم تلبثوا في الدنيا الا قليلا لسرعة انقلاب الدنيا الى الآخرة قال الحسن وقادة استقصوا مدة ليثهم في الدنيا لما يطمون من طول ليثهم في الآخرة ومن المفسرين من يذهب الى ان هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم الذين يستجيبن الله بحمده ويمجدونه على احسانه اليهم ويستظنون مدة ليثهم في البرزخ كونهم في قبورهم متممين غير مذبذبين وإمام السورود والرخاء قصار

قوله تعالى (٥٣) وَقُلْ لِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ رِجْسِكُمْ أَوْ إِنَّ يَسَاءَ يَمْدُنِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٥) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا (٥٦) قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ

دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مُحَذَّرًا خمس آيات

الفئة

الوسيلة القربة والواصل الراغب قال لبيد « على كل ذي دين إلى الله واصل » قال الزجاج الوسيلة والسل والطيبة في معنى واحد

الاعراب

يقولوا جواب شرط محذوف تقديره قل لبيادي قولوا التي هي احسن يقولوا وكان ابو عثمان يزعم أن يقولوا واقع موقع قولوا وهو مبني لأنه وقع موقع قولوا ووقع الفعل المبني لا يوجب له البناء الا ترى ان قوله يؤمنون بالله ورسوله واقع موقع آمنوا وهو معرب وإنما ذلك في الاسماء نحو يا زيد بي لوقعه موقع يا انت اولئك وقع بالاجداء والذين يدعون صفة لهم ويتنبون خبر الاجداء وقوله ايهم اقرب قال الزجاج ان شئت كان ايهم رفعا بالاجداء واخبر وقوله اقرب يكون معناه ينظرون ايهم اقرب اليه فيسألون به والجمل متصلة ينظرون المضمره ويعجز ان يكون ايهم اقرب بدلا من الواو في يتنبون

النزول

كان المشركون يؤذون اصحاب رسول الله ﷺ بحكمة فيقولون يا رسول الله إئذن لنا في قتالهم فيقول لهم اني لم اؤمر فيهم بشي فأ نزل الله سبحانه قل لبيادي الآية عن الكلبي

اللفظ

ثم امر سبحانه عباده باتباع الأحسن من الأقوال والأفعال فقال (وقل) يا محمد (لبيادي) وهذا إضافة تضييع وتشريف أراد به المؤمنين وقيل هو عام في جميع الكافرين (يقولوا التي هي أحسن) أي يبتغوا من المقالات والمذاهب المقالة التي هي أحسن المقالات والمذاهب وقيل معناه مرم يقولوا الكلمة التي هي أحسن الكلمات وهي كلمة الشهادتين وكل ما تدب الله اليه من الأقوال وقيل معناه يأمرها بما أمر الله به وينها عما نهي الله عنه من الحسن وقيل معناه قل لهم يقل بعضهم لبعض أحسن ما يقال مثل رحمتك الله ويقر الله لك وقيل معناه قل لبيادي إذا سمعوا قولك الحق وقول المشركين يقولوا ما هو أولى ويشعروا ما هو أحسن عن أبي مسلم وقال قتادة فشرع عباد الذين يستمعون القول فيتبينون أحسنه (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد بينهم ويغري بعضهم بعضا وبقي بينهم المناوأة (ان الشيطان كان) في جميع الأوقات (للانسان) أي لا دم وذريعة (عدوا ميتا) مظهرا للمناوأة ثم خاطب سبحانه الفريقين فقال (ربكم أعلم بكم) معناه انه أعلم بأحوالكم ليسير أموركم على ما يعلمه من المصلحة لكم (ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم) قيل أراد انه سبحانه مالك للرحمة والسلب فيكون الرجاء اليه والخوف منه عن الجبائي وقيل معناه ان يشأ يرحمكم بالتوبة أو ان يشأ يعذبكم بالإصرار على المعصية عن الحسن وقيل معناه ان يشأ يرحمكم بانخراجكم من مكة وتخليصكم من ابناء المشركين أو ان يشأ يعذبكم بجليطهم عليكم وقيل ان يشأ يرحمكم بفضله وان يشأ يعذبكم بسدله وهو الأظهر ثم عاد إلى خطاب النبي ﷺ فقال (وما أرسلناك عليهم وكيلًا) أي وما أرسلناك موكلا عليهم حفيظا لأعمالهم يدخل الإيمان في قلوبهم شاقوا أم أبوا ومعناه انك لا تؤخذ بأعمالهم فلما أرسلناك داعيا لهم إلى الإيمان فإن أجابوك والا فلا شي عليكم فخر عتاب ذلك يحمل بهم واللامنة تلزمهم (وربكم أعلم بكم في السموات والأرض) أي هو أعلم بكم في

السماوات من الملائكة وبين في الأرض من الأنبياء بين سبحانه بهذا انه لم يختار الملائكة والأنبياء للعيل اليهم وإنما اختارهم لعلهم يطيعهم وقيل منناه انه أعلم بالجميع فيصطبهم مختلفين في الصور والرزق والأحوال كما اقتضته المصلحة كما فضل بعض النبيين على بعض (أو لقلد فضلنا بعض النبيين على بعض) والتمنى ان الأنبياء وان كانوا في أعلى مراتب الفضل فلو أنهم طبقات في ذلك وبعضهم أعلى من بعض بزيادة الدرجة والثواب وبالعبادات والكتب ولما كان سبحانه عالماً بإواطن الأمور اختاروك النبوة وفضلك على الأنبياء كما فضل بعضهم على بعض ففسر لغيرهم النار والألن ليعلمهم الحديد وأتى بعضهم الملك وكلم بعضهم وكذلك خصك بمخاصص لم يعطها أحداً وختم بك النبوة ثم قال (وأتينا داود زيوراً) قال الحسن كل كتاب زيور الا ان هذا الاسم غلب على كتاب داود (ع) كما غلب اسم الفرقان على القرآن وان كان كل كتاب من كتب الله فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل وقال الزجاج معنى ذكر داود هنا انه يقول لا تنكروا تفضيل محمد ﷺ واعطاء القرآن فقد اعطينا داوداً زيوراً ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يمدون غير الله (ادعوا الذين زعمتم من دونه) انها آلهة عند شر ينزل بكم ليكنفوا ذلك عسكم او يعولوا تلك الحالة الى حالة اخرى (فلا يلكون كشف الضرع عسكم ولا تحويلا) الحالة التي تكرر هنا الى حالة تحوّلها يعني تحويل حال القبط الى الخصب والفقر الى الفنى والمرض الى الصحة وقيل منناه لا يلكون تحويل الضرع عسكم الى غير كمين سبحانه ان من كان بهذه الصفة فلمنه لا يصلح للراية ولا يستحق العادة والمراد بالذين من دونه الملائكة والمنيح وعزير عن ابن عباس والحسن وقيل هم الجن لان قوماً من العرب كانوا يمدون بالجن عن ابن مسعود قال واسلم او تلك الفجر من الجن وبقي الكفار على عبادتهم قال الجبائي ثم ينبع سبحانه الى ذكر الانبياء في الآية الاولى فقال (او لك الذين يدعون ببيتون الى ربهم الوسيلة) ومنه او لك الذين يدعون الى الله تعالى ويطلبون القرية اليه بصل الطاعات (أيهم أقرب) أي ليطهر أيهم الأفضل والأقرب منزلة منه وتأويله ان الأنبياء مع علو رتبهم وشرف منزلتهم إذا لم يمدوا غير الله فأنتم أولى ان لا يمدوا غير الله وإنما ذكر ذلك هنا على الاقتداء بهم وقيل ان منادى لك الذين يدعونهم ويمدوهم ويمتقدون انهم آلهة من السج والملائكة يفتنون الوسيلة والقرية الى الله تعالى بمبادتهم ويجهل كل منهم ليكون أقرب من رحمة أو يطلب كل منهم ان يعلم أيهم أقرب الى رحمة أو الى الإجابة (ويجرون رحمة ويخافون عذابه) أي مع هم ذلك يستفرون لا تقسم فيرجون رحمة ان اطاعوا ويخافون عذابه ان عصوا ويعملون عمل السيد (ان غلب ربك كان عذوراً) أي متى يجب ان يخذل منه لصوبه وقد ذكرنا ما جاء في معنى الوسيلة عند قوله وابتغوا اليه الوسيلة

قوله تعالى (٥٨) وإن من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً (٥٩) وما منّا أن نرسل يا لآيات إلا ان كذب بها الأولون وأتينا نوحاً مبعرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً (٦٠) وإذا قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرءيا التي آرتناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخترهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيراً ثلاث آيات



المسطور المكتوب قال السجاج واعلم بأن ذا الجلال قد قدر في الصحف الاولى الذي كان سطر

والمع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه وإنما جاز في وصف الله تعالى معنا للمبالغة في أنه لا يقع منه الفعل فكان قد منع منه الفعل وإن كان لا يجوز إطلاقاً لمثل هذه الصفة عليه سبحانه لأنه قادر لذاته ومقدوراته غير متناهية فلا يصح أن يماضه شيء

❦ الاعراب ❦

وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون أن الأول نصب وإن الثانية رفع والمعنى وما معنا الارسل إلا تكذيب الأولين ومبصرة نصب على الحال والشجرة الملعونة تقديرها وما جعلنا الشجرة للملعة في القرآن إلا فتنة للناس أيضاً والمعنى الشجرة الملعونة أهلها وآكلوها وهم الكفرة والفتنة فلما حذف المضاف استثر الضمير في اسم المفعول فأنت للمفعول لما جرى على الشجرة وقوله فما يزيدم أطفينا كثيراً أي فما يزيدم التخويف فأضمر التخويف لجرى ذكر الفعل واتصّب قوله أطفينا على أنه مفعول ثان لقوله فما يزيد

❦ المعنى ❦

ثم زاد سبحانه في الموعظة فقال (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) معناه وما من قرية إلا نحن مهلكوها بإماتة أهلها (أو معذبوها عذاباً شديداً) وهو عذاب الاستئصال فيكون هلاك الصالحين بالموت وهلاك الطالحين بالعذاب في الدنيا فإني بقى الناس ويغرب البلاد قبل يوم القيامة ثم تقوم القيامة عن الجائي ومقاتل وقيل إن المراد بذلك قري الكفر والضلال دون قري الإيمان والمردبالإهلاك التدمير عن الإسلام (كان ذلك في الكتاب منسطوراً) أخبر أن ذلك كائن لا محالة ولا يكون خلافه ومعناه كان ذلك الحكم في الكتاب الذي كتبه الله تعالى لا لا مكتوم هو الوح المحفوظ لمكتوب بال (وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) ذكر فيه أقوال ❦ أحدها ❦ أن التقدير ما معنا أن نرسل بالآيات التي سألوها إلا أن تكذب الأولين معناه أنا لم نرسل الآيات التي اقترحوها فترش في قولهم حول لنا الصفاة فغير لنا الأرض بنبوعا إلى غير ذلك لأننا لو أرسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعالجة بالعقوبة كما أن لا اجتبا الأولين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذبوا بها عذبناهم بطلب الاستئصال لأن من حكم الآية المقترحة أنه إذا كذب بها وجب عذاب الاستئصال ومن حكمنا التأني في هذه الآيات أن لا نذهب بعذاب الاستئصال لشرف محمد ﷺ ولما يعلم في ذلك من المصلحة ولا نفيهم من يومئذ به وينصره ومن يولد له ولد مؤمن ولأن استعفافه في يومئذ شريته مؤيداً إلى يوم القيامة فلذلك لم نجيبهم إلى ذلك وإنزلنا من الآيات الواضحات والمعجزات البينات ما تقوم به الحجة وتنقطع به الملعنة ❦ الثاني ❦ أن معناه أنا لا نرسل الآيات لعلنا بأنهم لا يؤمنون عدداً فيكون أنزالنا إياها عبثاً لا فائدة فيه كما أن من كان قبلهم لم يؤمنوا عند أنزال الآيات والمعجزات ضربان ❦ أحدهما ❦ ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لا بد من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع ❦ والثاني ❦ ما يكون لطفاً في الإيمان فهذا أيضاً يظهر ما في سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه ❦ الثالث ❦ أن المعنى أنا لا نرسل إلا آيات لأن آباءكم وسلاسلكم سألوها فظهرنا ولم يؤمنوا عدداً وأقم على آثار أسلافكم ممن دونكم فكان لم يؤمنوا هم لا يؤمنون ائتم عن أبي سلم (وأتينا ثمود الثالثة مبصرة) أي بينة أراد آية مبصرة كما قال وجعلنا آية النهار مبصرة ومعناه دلالة واضحة ظاهرة وقيل ذات إصباح وقيل تبصرهم وتبين لهم حتى يبصروا بها الهدى من الضلالة وهي ناقة صالح المخرجة من الصخرة على الصفة التي اقترحوها (فظلموا بها) أي فكفروا بذلك الآية وجحدوا بها أنها من عند الله وقيل ظلموا أقسمهم بسببها وبقرها (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) أي لا نرسل الآيات التي تظهرها على الأنبياء إلا لئلا تخويف الناس وجرأ وتخويفكم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (وإذ قلنا لك أي وأذكر الوقت الذي قلنا لك يا محمد (إن ربك أحاط بالناس) أي أحاط علماً بأسرارهم وما يقضونه وما طاعة أو

موصية وما يستحقونه على ذلك من الثواب والعتاب وهو قادر على فعل ذلك بهم فهم في قبضته لا يقدر دونه على الخروج من مشيئته وهذا معنى قول ابن عباس وقيل إن المراد به انه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم الى انذائك إذا لم تأثم ما أقرحوا منك من الآيات وهذا حديث للرسول ﷺ على التبليغ ووعد له العصمة من أذية قومه وهذا معنى قول الحسن وقيل معناه انه احاط بأهل مكة فيستفتحها لك عن مقاتل وقال الفراء معناه احاط امره بالناس وقيل معناه انه قادر على ما سألوه من الآيات عالم بمصالحهم فلا يضل إلا ما هو الصلاح فامض لما امرت به من التبليغ فلن الله سبحانه إن انزلها فلا يعلم في انزالها من اللطف وإن لم ينزلها فلا يعلم من الصلحة عن الجبائي (وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن) فيه اقوال **١** احدها **٢** ان المراد بالرؤيا رؤية العين وهي ما ذكره في اول السورة من اسراء النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس وإلى السماوات في ليلة واحدة إلا أنه لا رأى ذلك ليلا واختير بها حين اصبح نياما رؤيا ومخاطها فتنة لأنه أراد بالفتنة الامتحان وشدة التكليف ليرى الصديق بذلك لجزئ ثوابه والمكذب لآليم عقابه وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وجماعة مجاهد **٣** وثانيها **٤** ما روي عن ابن عباس في رواية اخرى انها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة وهو بالمدينة قصدوا نصد المشركون في الحديبية عن دخولها حتى شك قوم ودخلت عليهم الشبهة فقالوا يا رسول الله اليس قد أخبرتنا اننا ندخل المسجد الحرام آمين فقال **٥** اوقلت لكم انكم تدخلونها البام قالوا لا فقالا لندخلها وإن شاء الله ورجع ثم دخل مكة في البام القابل فنزل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وهو قول الجبائي وابن مسعود وانما كان فتنة وامتحانا وابتلاء لما ذكرناه **٦** وثالثها **٧** ان ذلك رؤيا رآها النبي ﷺ في منامه أن فرودا تصعد منبره وتقول فساء ذلك واغتم به روى سهل بن سعيد عن ابيه ان النبي ﷺ رأى ذلك وقال انه **٨** لم يتجمع بعد ذلك ضاحكا حتى مات وروى سعيد بن يسار ايضا وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابن عبد الله (ع) وقالوا على هذا التأويل ان الشجرة الملعونة في القرآن هي جو امية اخبره الله سبحانه فظهر على مقامه وقطعه ذريته روي عن النعمان بن عمرو قال دخلت على علي بن الحسين (ع) فقلت له كيف أصبحت يا ابن رسول الله فقال اصحنا والله بمنزلة بني اسرائيل من آل فرعون يذبحون ابناءهم ويستعينون نساءهم واصبح خيرا البرية بعد رسول الله ﷺ يلعن على المناير واصبح من يجينا مقروصا حقه بجمه ايانا وقيل للحسن يا ابا سعيد قتل الحسين بن علي (ع) ليكن سخي اخلع جنياه ثم قال واذا له لامة قتل ابن دعيها ابن بنت نبيها وقيل ان الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم عن ابن عباس والحسن وقيل الشجرة الملعونة هي اليهود عن ابي مسلم وتقدر الآية وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس قالوا وانما سمى شجرة الزقوم فتنة لأن المشركين قالوا ان النار تحرق الشجرة فكيف تثبت الشجرة في النار وصدق بها المؤمنون وروي ان ابا جهل قال ان محمدا يوعدهم كنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تثبت فيها الشجرة وقوله في القرآن مناه الذي ذكرت في القرآن (وتخوفهم) اي ترجمهم بما نقص عليهم من هلاك الأمم الماضية وقيل بما نزل من الآيات (فما يزيدهم) ذلك (الاطيانا كبيرا) اي عتوا في الكفر عظيما وتنادوا في التي كبيراً لأنهم لا يرجعون عنه

قوله تعالى (٦١) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَخِرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ أَحَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٣) قَالَ أَهَؤُلَاءِ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٤) وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ اسْتَنْطَمَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ

في الأموال والأولاد وعذمتهم وما يبدؤهم الشيطان إلا غرورا (٦٥) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا خمس آيات

❖ القراءة ❖

قرأ خض ورجلك بكسر الجيم والباقون يسكونها

— (الحجة) —

من سكن الجيم فهو جم راجل مثل راكب وركب وصاحب وصعب وتاجر وتعب وأما قراءة خض بكسر الجيم فروى أبو علي عن أبي زيد يقال رجل راجل ويقال جاءنا حافيا رجلا وانشد

أما أقاتل عن ديني على فرسي ولا كذا رجلا إلا باصحاب

كانه قال أما أقاتل فارسا ورجلا وروى ابن جني عن قطرب انه قال الرجل الرجل وعليه قراءة عكسة وقراءة ورجلك قال زهير في الرجل

هم ضربوا عن فرجها بكنتية كيضاء حوس في جوانبها الرجل

— (اللمعة) —

الاحتناك الاحتطاع من الأصل يقال احتك فلان ما عند فلان من مال أو علم إذا استقصاه فأخذ كله واحتك الجراد الزرع إذا أكله كله قال الشاعر

أشكو اليك سنة قد أبجفت جدا إلى جهد بنا وأضعفت

واحتكت أموالنا وجلفت

وقيل انه من قولهم حكت الدابة يحسكها إذا جعل سيفه حسكا الأسفل جلا بقودها به والموفور المكمل يقال وفرته افره وفرا قال زهير

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

والاستغزاز الإزجاج والاستهاض على خفة واسراع وأصله القطع وتقزز الثوب إذا تحرق وتقززه تقزيرا فكأن معنى استغزة استزله بقطعه عن الصواب ورجل فز أي خفيف والاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل ومنه الطوع والطاعة وهو الانتقاد للفعل والإجلاب السوق بمجلبة من السائق والمجلبة شدة الصوت وقال ابن الأعرابي أجلب الرجل على صاحبه إذا توعده بالشر وجمع عليه الجيش

❖ الإعراب ❖

قال الزجاج طينا منصوب على الحال بمعنى انك انشأته في حال كونه من طين ويجوز أن يكون تقديره من طين فحفذ من فوعل الفعل ومثله قوله ان تسترضوا أولادكم أي لأولادكم وقيل انه منصوب على التمييز والكاف سيفه قوله أرايتك لا موضع لها من الأعراب لأنها حرف خطاب جاء للتوكيد وموضع هنا نصب بأرايت والجواب محذوف المعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي ولم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقتني من طين فحفذ ما ذكرناه لأن في الكلام دليلا عليه

❖ المعنى ❖

ثم ذكر سبحانه قصة آدم «ع» وإبليس فقال (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) قد مر تفسيره في سورة البقرة (قال) إبليس (أسجد لا خلقت طينا) وهو استفهام بمعنى الإنكار أي كيف

اسجد له وانا افضل منه وأصلي اشرف من أصله وفي هذا دلالة على ان إبليس فهم من ذلك تفضيل آدم على الملائكة ولولا ذلك لما كان لامتناعه من السجود وجه وإنما جاز أن يأمرهم سبحانه بالسجود لآدم «ع» ولم يجوز أن يأمرهم بالعبادة له لأن السجود يرتب في التعظيم حسب ما يراه وليس كذلك العبادة التي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع لأنه يترتب في التعظيم لجنه بين ذلك انه لو سجد ساجدا لم يكن له منزلة في التعظيم على قياس غيره من افعال الجوارح (قال أرايتك هذا الذي كرمت علي) أي قال إبليس أرايت يا رب هذا الذي فضلت علي يعني آدم «ع» (لئن أخرتني إلى يوم القيامة) أي لئن أخرت أجل موتي (لأحتسبن ذريته إلا قليلا) أي لأخوين ذريته واقودنهم معي إلى المصافي كما تقاد الدابة بحكمها إذا شد فيها حبل فخر به إلا القليل الذين تعصمهم وهم المخلصون عن إني مسلم وقيل لأحتسبهم أي لأستولين عليهم عن ابن عباس وقيل لأستألفهم بالأغواء من احتكاك الجراد الزرع وهو ان يأكله ويستألفه عن الجاني وإنما طمع للمؤمن في ذلك لأن الله سبحانه أخبر الملائكة انه سيجعل في الأرض من يفسد فيها فكان العلم قد سبق له بذلك عن الجاني وقيل لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزما فقال ان اولاده اضعف منه عن الحسن (قال) الله سبحانه له على وجه الاستهانة والاستصغار (اذهب) يا إبليس (فن تملك منهم) أي من ذرية آدم «ع» واقتضى أثرك وقيل منك (فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) أي موفرا كاملا لا نقصان فيه عن الاستحقاق (واستغفر من استطعت منهم بصوتك) أي واستغفر من استطعت منهم أضلهم بدعاك ووسوستك من قولهم صوت فلان بفلان إذا دعاه وهذا تهديد في صورة الأمر عن ابن عباس ويكون كما يقول الانسان لمن يهدده أجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وإنما جاء التهديد في صورة الأمر لأنه بمنزلة ان يؤمر بالخير بلعانة نفسه وقيل بصوتك أي بالنساء والمزامير والملاهي عن مجاهد وقيل كل صوت يدعي به إلى الفساد فهو من صوت الشياطين (واجلب عليهم جيثك وربك) أي اجمع عليهم ما قدرت عليه من مكابدة وأتباعك وذريتك واعوانك وعلى هذا فيكون الجاء مزيدة في جيثك وكل راكب أو ماش في مصيبة الله من الناس والجن فهو من خيل إبليس وربله وقيل هو من اجلب القوم وجلبوا أي صاحوا أي صاح جيثك واحشرهم عليهم بالأغواء (وشاركهم في الأموال والأولاد) وهو كل مال أصيب من حرام وأخذ بغير حق وكل ولد زنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل ان شاركهم في الأموال انه أمرهم ان يبيعوها سائبة وبهيمة وغير ذلك وفي الأولاد انهم هودوم ونسروم ومجسوم عن قتادة وقيل ان كل مال حرام او فرج حرام فله فيه شرك عن الكلبي وقيل ان المراد بالأولاد تسميتهم عبد شمس وعبد الحرث ونحوهما وقيل هو قتل للوثة من اولادهم والقولان مرويان عن ابن عباس (وعدم) أي وعدمهم البقاء وطول الأمل وانهم لا يعيشون وكل هذا زير وتهديد في صورة الأمر (وما يمدم الشيطان إلا غرورا) هنا اخبار من الله عز وجل ان مواعيد الشيطان تكون غرورا أي يزين لهم غلطا أنه صواب وهو اعتراض (عبادي) يعني الذين يطعوني اصالحهم الى نفسه تشريفا لهم (ليس لك عليهم سلطان) أي قوة وقاد لا أنهم يعلمون ان موايدك باطلة فلا يهترونها وقيل مناه لا سلطان لك على جميع عبادي إلا في الوسوسة والدعاء إلى العصية فأما في ان تعصمهم عن الطاعة وتحملهم على العصية سجرا وكرها فلا عن الجاني (وكفى برك وكيلا) أي حافظا لعباده من شرك

﴿ النظم ﴾

الوجه في اتصال الآيات بما قبلها على تقدير وما يزيدهم إلا ظفينا كبيرا محققين ظن إبليس فيهم يوم قيل له اسجد فقال كذا وكذا عن علي بن عيسى وقيل اتصلت بقوله ان الشيطان يتزغ عنهم ان الشيطان كان للانسان علوا مبينا ثم عاد إلى ذكر الشيطان لزيادة الايضاح والبيان بما أبان عن قصته مع آدم «ع» عن أبي مسلم

قوله تعالى (٦٦) رَبُّكُمْ الَّذِي يُجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٧) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا بَلَغَا كُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٨) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٩) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَفرِّقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِهِ نَبِيًّا أَرَأَيْتُمْ آيَاتِ

❦ القراءة ❦

قرأ ابن كثير وابو عمرو وخفف وزسل ونعيد كم فترسل عليكم فترقكم كله بالنون وقرأ ابو جعفر ويعقوب فترقكم بالياء والباقي بالياء وقرأ الباقون كلها بالياء

❦ الحجة ❦

من قرأ الجميع بالياء فلما تقدم من قوله ضل من يدعون إلا إياه فلما جاءكم ومن قرأ بالنون فلأن هذا النحو قد قطع بضمه من بعض ولأن الانتقال من النبية إلى الخطاب جائز ومن قرأ فترقكم بالياء فلأنه رد الضمير المؤنث في فترقكم إلى الريح

❦ اللفظ ❦

الأجزاء موقو الشيء حالا بعد حال والمخاض من قولهم حصبه بالمخاضة يصبه صببا إذا رماه بها رميا متتابعيا قال التميمي المخاض الريح التي ترمي بالمصاء وهي الحصا الصغار قال الترمذقي مستقبلين شمال الشام يضربنا بمخاض كنديف القطن مندوف والقاظف الكاسر بشدة قصفه بقصفه قصفا

❦ المعنى ❦

لما تقدم ذكر الشيطان وذكر المشركين وعبيدة الأوثان أحسن طيهم سبحانه بدلائل التوحيد والإيمان فقال (ربكم) أي خالقكم ومديركم (الذي يجي لكم الفلك) أي يجري لكم السفن (في البحر) أي يخلق من الرياح ويأمن جبل الماء على وجهه يمكن تجري السفن فيه (ليتبعوا من فضله) أي لتطلبوا من فضل الله تعالى يركوب السفن على وجه الماء فيها فيه صلاح دنياكم من التجارة أو صلاح دينكم من الترق (إنه كان بكم رحيمًا) حيث أنعم عليكم بهذه النعم (وإذا مسكم الضر) أي الشدة (في البحر) يسكن الرياح وأجساد السفن أو باضطراب الأمواج وغير ذلك من أحوال البحر (ضل من تدعون إلا إياه) أي ذهب عنيكم ذكر كل معبود إلا الله فلا ترجون هناك النجاة إلا من عنده فتدعونه ولا تدعونه غيره (فلما جاءكم) من البحر (إلى البر) وأمنتم الترق (اعرضتم) عن الإيمان به وعن طاعته كفرانا للنعمة (وكان الإنسان كفورا) أي كثير الكفران (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) معناه أن فعلكم هنا ضل من يتوهم أنه إذا صار إلى البر أن المنكاره حتى اعرضتم عن شكر الله وطاعته فهل أمنتم أن يخسف بكم أي ينيكم ويذهبكم في جانب البر وهو الأرض يقال خسف الله به فيها وأراد به بعض البر وهو موضع حلوم فيه فساء جانباً لأنه يصير بعد الخسف جانباً قبل أنهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر وكانوا فيه آمنين من أحوال البحر

فحذرهم ما امنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر (او يرسل عليكم صاحباً) اي او هل امتنع ان يرسل عليكم حجاباً تحصبون بها أي ترمون بها وللعن انة سبحانه قادر على اهلاكمكم في البر كما انه قادر على اغراقكم في البحر (ثم لا تجدوا لكم وكيلاً) أي حافظاً يحفظكم عن عذاب الله ودافعاً بدنه عنكم (أم امنت) اي ام هل امنت (ان بعيد كم فيه تارة أخرى) اي في البحر مرة أخرى بأن يجعل لكم حامية او يمدد لكم رغبة او رعية فترجمون إلى البحر مرة أخرى (فلا يرسل عليكم قاصفاً من الريح) اي فلماذا ركبتم البحر ارسل عليكم ريحا شديدة كاسرة السفينة وقيل الحاصب الريح المهلكة في البر والقاصف المهلكة في البحر (فيغرقكم بما كفرتم) من نعم الله (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيها) أي تابها يتبع اهلاكمكم للمطالبة بدماكم ويقول لم فعلت هذا بهم وهنا في معنى قول المفسرين يعني تائراً ولا ناصراً

قوله تعالى (٧٠) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧١) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئَاتِهِمْ فَمَنْ أَوْفَىٰ بِكِتَابِهِ يَسْمِئِهِ فَأُولَٰئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ قَبِيلاً (٧٢) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْتَىٰ فُتُوًّا فِي الْآخِرَةِ أَعْتَىٰ وَأَضَلَّ سَبِيلًا ثَلَاثَ آيَاتٍ

﴿قراءة﴾

قرأ أهل البصرة اعمى الاول بالامالة واعمى الثانية بالتضخيم وقرأ حمزة والكسائي بالامالة فيها والياقوت بالتضخيم فيها وقرأ زيد عن يعقوب يوم يدعوا بالياء والياقوت بالتون وفي الشاذ قراءة الحسن يوم يدعوا بضم الباء وفتح الين

﴿الحجة﴾

قال ابو علي من المالحا فإنه حسن لأنه يتصور بالألف نحو الياء ليعلم انها ينقلب إلى الياء وإن كانت فاصلة او مشبهة بالفاصلة فالامالة فيها حسنة لأن الفاصلة موضع وقف والألف تفتي في الوقف فلماذا أملاها في بها نحو الياء ليكون اظهر لها وأبين وما يقوي ذلك ان من العرب من ينقلب هذه الالفات في الوقف ياءً ليكون أبين لها قالوا أعمى وحلى ومنهم من يقول اقروهم كأنهم احرص على البيان من الاولين من حيث كانت الواو اظهر من الياء والياء أخفى منها من حيث كانت اقرب إلى الألف من الواو الياء واما من امال الألف من الكلمة الأولى ولم يمل من الثانية فإنه يجوز أن لا يجعل اعمى الكلمة الثانية عبارة عن المؤوف الجارحة ولكنه جعله افضل من كذا مثل أبداً من فلائف فيجاز أن يقول فيه افضل من كذا وإن لم يجز أن يقول ذلك في المصاب يصير فلماذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة لأن آخرها إنما هو من كذا وإنما تحسن الامالة في الاواخر لما تقدم وقد حذف من افضل الذي هو للتفضيل الجار والجرور ومما مراد ان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله فإنه يعلم السر وأخفى المعنى من السر وكذلك قولهم عام اول اي اول من عامك وكذلك قوله فهو في الآخرة اعمى اي اعمى منه في الدنيا ومعنى اعمى في الآخرة انه لا يبتدي إلى طرق التواب ويؤكد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله وأضل سبيلاً فكأن هذا لا يكون إلا على افضل فكذلك المطفوف عليه ومعنى أضل سبيلاً في الآخرة ان ضلاله في الدنيا قد كان ممكنًا من الخروج منه وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه ويجوز ان يكون اعمى فيمن تأوله افضل من كذا على هذا التأويل ايضا قال ابن جني قراءة الحسن يوم يدعوا على لغة من ابتدل الألف في الوصل واوا نحو افصولو ذكر ذلك سيبويه واكثر هذا في الوقف

* المعنى *

لما تقدم قول إبليس هذا الذي كرمت علي ذكر سبحانه بعد ذلك تكملة لبني آدم بأنواع الاكرام وقرون الامام فقال (ولقد كرمتا بني آدم) أي فضلناهم عن ابن عباس وأجبرت الصفة على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفة كقولهم كنتم خير أمة أخرجت للناس وقيل إنما عظمهم بالكرمة مع ان فيهم الكافر للمهان لأن المعنى اكرمناهم بالتمم الدينية كالصور الحسة وتسخير الأشياء لم ويسر الرسل اليهم وقيل معناه علمناهم بمعاملة المكرم على وجه المبالغة في الصفة واختلف فيها كرموا به فليل بالقوة والعقل والخلق والتميز عن ابن عباس والضحاك وقيل انهم بأكون باليد وكل دابة تأكل فمها رواء يميون بن مهران عن ابن عباس وقيل بصديل القامة واستداعها عن عطاء وقيل بالأصابع يعملون بها ما يشاؤون روى ذلك جابر بن عبد الله وقيل بتسليمهم على غيرهم وتسخير سائر الحيوانات لم عن ابن جرير وقيل بأن جعل محمد ﷺ منهم عن محمد بن كعب وقيل بأنهم يعرفون الله ويتقربون بأسره وقيل بجميع ذلك وغيره من النعم التي خصوا بها وهو الأوسع (وحملناهم في البر والبحر) في البر على الاوئل والخليل والنبال والحير وفي البحر على السفن (ورزقناهم من الغلات) أي من السائر والفواكه والأشياء الطيبة وسائر اللذات التي خص بها بنو آدم ولم يشر كهم شي من الحيوانات فيها (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) استدلل بعضهم بهذا على ان الملائكة افضل من الأنبياء قال لأن قوله على كثير يدل على ان هتتا من لم يفضلهم عليه وليس إلا الملائكة لأن بني آدم افضل من كل حيوان سوى الملائكة بالاتفاق وهذا باطل من وجوه * أحدها * ان التفضيل هتتا لم يرد به الثواب لأن الثواب لا يجوز التفضيل به إهداء وإنما المراد بذلك ما فضلهم الله به من قرون النعم التي وعدنا بسنها * وثانيها * ان المراد بالكثير الجميع فوضع الكثير موضع الجميع والمعنى اننا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير كما يقال بذلت له العريضة من جاهي وأبنته للقيم من حريمي ولا يراد بذلك اني بذلت له عريضة جاهي ونمته ما ليس به عريضة وأبنته منج حريمي ولم أجه ما ليس مني بل المقصود اني بذلت له جاهي الذي من صفته انه عريضة وفي القرآن وعورات العرب من ذلك ما لا يحصى ولا ينفذ ذلك على من عرف كلامهم قال سويد بن أبي كاهل في شعره

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا أجلا ولو أراد ذلك لم يكن مادحا لم * وثالثها * انه إذا سلم ان المراد بالتفضيل زيادة الثواب وان لفظة من في قوله ممن خلقنا يفيد التبعيض فلا يمنع أن يكون جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم لأن الفضل في الملائكة عام لجميعهم او أكثرهم والفضل في بني آدم يختص بقليل من كثير وعلى هذا فتعبر منكر أن يكون الأنبياء افضل من الملائكة وإن كان جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم ومتى قيل إذا كان معنى التكريم والتفضيل واحدا فما معنى التكوار * فجوابه * ان قوله كرمتا بني آدم عن الانعام ولا ينبغي ان التفضل فجاء بلفظ التفضيل ليدل عليه وقيل ان التكريم يتناول نعم الدنيا والتفضيل يتناول نعم الآخرة وقيل ان التكريم بالتمم التي يصح بها التكليف والتفضيل بالتكليف الذي عرضه به للمنازل العالية (يوم ندعوا كل أناس بأسماءهم) فيه اقوال * أحدها * ان معناه يتبعهم عن مجاهد وقادة ويكون للمشي على هذا أن ينادى يوم القيامة فيقال هاتوا متبيي ابراهيم هاتوا متبيي موسى هاتوا متبيي محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يقال هاتوا متبيي الشيطان وهاتوا متبيي رؤساء الضلالة وهذا معنى ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وروي ايضا عن علي «ع» ان الأئمة إمام هدى وإمام ضلالة ورواه الوالي عنه بأنهم في الخير والشر * وثانيها * معناه بكنائهم الذي أنزل عليهم من أوامر الله ونواهيه فيقال يا أهل القرآن ويا أهل التوراة عن ابن زيد والضحاك * وثالثها * ان معناه بين كانوا يأتمنون به

من علمهم وأنتهم عن الجاني والى عبيدة ويجمع هذه الأقوال ما رواه الخصاص والعام عن الرضا علي بن موسى «ع»
 بالأسانيد الصحيحة انه روى عن أبياته «ع» عن النبي ﷺ انه قال فيه يدعى كل اناس بأولام زمانهم كتاب
 ربهم وسنة نبيهم وروي عن الصادق «ع» انه قال ألا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلى من
 يتولونه ودعانا إلى رسول الله ﷺ ونزعم اليه فإلى أين ترون يذهب بكم إلى الجنة ورب الحكمة قالوا ثلاثا
 «ورايها» ان معناه بكتائبهم الذي فيه اعمالهم عن ابن عباس في رواية أخرى والحسن والى العالية «ورايها»
 معناه بأعمالهم عن محمد بن كعب (فن أوتي كتابه يمينه) أي فن اعطيت كتاب عمله الذي فيه طائافته
 وثواب اعماله يمينه (فأولئك يقرؤون كتابهم) فرحين مسرورين لا يجتنبون عن قراءته لما يرون فيه من الجزاء
 والثواب (ولا يظلمون خيلا) أي لا يتقصون ثواب اعمالهم مقتدار خيل وهو المقتول الذي في شق التوبة عن
 قتادة وقيل القليل في بطن التوبة والتغير في ظهرها والقطمير فسر التوبة عن الحسن جمل الله اعطاء الكتاب باليمين
 علامة الرضا والخاص واعطاء الكتاب باليسار ومن رواه الظهر علامة السخط والملاك (ومن كان في هذه أعمى
 فهو في الآخرة أعمى) ذكر في معناه أقوال «احدها» ان هذه إشارة إلى ما تقدم ذكره من التعم ومثناه ان
 من كان في هذه الصمم وعن هذه البصر أعمى فهو عما غيب عنه من أسر الآخرة أعمى عن ابن عباس «وثانيها»
 ان هذه إشارة إلى الدنيا ومثناه من كان في هذه الدنيا أعمى عن آيات الله خالفا عن الحق ذاهبا عن الدين فهو
 في الآخرة أشد تخيرا وذهابا عن طريق الجنة أو عن الحجة إذا سئل فلن من ضل عن معرفة الله في الدنيا يكون
 يوم القيامة منقطع الحجة فالأول اسم والثاني فعل من الصم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وتنادى «وثالثها»
 ان معناه من كان في الدنيا أعمى القلب فإنه في الآخرة أعمى العين يحشر كذلك عقوبة له على ضلالته في الدنيا
 عن النبي صلى الله عليه وآله وهذا كقولهم ونحشره يوم القيامة أعمى وتأول قوله سبحانه فيصرك اليوم حديد بأن معناه
 الاعتبار عن قوة المعرفة والجمال بالله سبحانه يكون عارفا به في الآخرة وتقول العرب فلان يصير بهننا الأمر
 وإنما أرادوا بذلك العلم والمعرفة لا الإبصار بالعين وعلى هذا فليس يكون قوله فهو في الآخرة أعمى على سبيل المبالغة
 والتعجب وإن عطف عليه قوله (وأضل سبيلا) ويكون التقدير وهو أضل سبيلا قال ويجوز أن يكون
 أعمى عبارة عما يلحقه من الظلم المفرط فإنه إذا لم ير إلا ما يسره فكأنه أعمى كما يقال فلان سجين العين «ورايها»
 ان معناه من كان في الدنيا ضالا فهو في الآخرة أضل لأنه لا يقبل توبته عن الحسن واختاره الزجاج على هذا
 القول وقال تأويله انه إذا عمى في الدنيا وقد عرفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وصلة فصي عن رشدته ولم يقب
 فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلا لأنه لا يجد طريقا إلى الهداية

التنظيم

فيل في وجه اتصال قوله يوم ندعو كل اناس بأولامهم بما قبله وجوه «احدها» انه سبحانه
 ذكر تفصيل بني آدم ثم بين أن ذلك التفضيل إنما يكون في ذلك اليوم فيستحق المبتدون الثواب بمداينهم
 «وثانيها» انها اتصلت بقوله إن عذاب ربك كان محذورا أي فاحذروا يوم يدعى كل أمة بأولامهم
 «وثالثها» انها اتصلت بقوله يبعدكم أي يبعدكم يوم يدعى «ورايها» انه تعالى ذكر نيا تقدم
 من آمن ومن كفر ثم بين في هاتين الايتين ما اعد للفرقتين من ثواب وعقاب وانه يعطيهن ذلك على ما هو
 مكتوب في كتبهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قوله تعالى (٧٣) وَإِنْ كَلَدُوا لَيَقْنُنَنَّكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَمَقَرِّي عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا
 لَتَأْخُذُكَ خَلِيلًا (٧٤) وَلَوْلَا أَنْ شِئْنَا لَكَ كَذِبَتْ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٥) إِذَا

لَأَذْنُكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ آلَمَاتٍ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ثَلَاثُ آيَاتٍ

❦ الأعراب ❦

لولا ان ثبنتك تقديره لولا ثبنتنا انك فلان ما كنا في موضع رفع بالأجاء وخبره مضمرة وهذا يدل على بطلان مدعى اني سعيد حيث قال «لولا حدثت ولا عدوى لحدود» واستدل به على ان لولا تدخل على الفعل وخفي عليه اخبار أن في البيت

== النزول ==

في سبب نزوله اقوال ❦ احدها ❦ ان قريشا قالت النبي ﷺ لا ندعك تستلم الحجر حتى تمل بألمتنا فحدث نفسه وقال ما على في ان ألم بها والله يعلم اني لكاره لها ويدعوني استلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية عن سعيد بن جبير ❦ وثانيها ❦ انهم قالوا له كف عن شتم أمتنا ونسفيه اسلمنا وطرد هؤلاء العبيد والسقاط الذين رافقهم رائحة الصنان حتى نبالك ونسمع منك قطعهم في اسلامهم فنزلت الآية ❦ وثالثها ❦ ان رسول الله ﷺ اخرج الاصنام من المسجد فطلب اليه قريش ان يترك صنعا كان على المروة فهم يتركونه ثم امر بدمكروه فنزلت الآية رواه العياشي باسناده ❦ ورابعها ❦ انها نزلت في وفد ثقيف قالوا نبايئك على أن تمطينا ثلاث خصال لا ننسي بذنون الصلاة ولا نكسر اصنامنا بأيدينا ونمحق باللات سنة فقال ﷺ لا خير في دين ليس فيها ركوع ولا سجود فأما كسر اصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاعة ثلاث فإني غير متمسك بها وقام رسول الله ﷺ وتوضأ فقال عمر بن الخطاب ما بالكُم آذيتُم رسول الله ﷺ انه لا يدع الاصنام في ارض العرب فا زالوا به حتى انزل الله هذه الآيات عن ابن عباس ❦ وخامسها ❦ ان وفد ثقيف قالوا اجلسنا سنة حتى تقيض ما يهدي لأمتنا فإذا قبضنا ذلك كسرتاها واسلمنا فهم يتأجلهم فنزلت الآية عن الكلبي رواه عن عطية عن ابن عباس

== المعنى ==

ثم حكى الله سبحانه عن الكفار فقال (وان كادوا ليفتنوك عن الذي اوحينا اليك) ان هذه مخففة من التثنية والمعنى ان المشركين الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة هموا وقاربوا أن يزاولوك ويصرفوك عن القرآن الذي اوحينا اليك اي من حكمه (لفتنوك علينا غيره) اي لفتنوك علينا غير ما اوحينا اليك والمعنى لتضل محل الفتنة لا تلك تخبر انك لا تنطق الا عن وحى فإذا اتيت احوالهم او هممت انك تفعل بأمر الله فكنت كالكافري (واذا لا تغفلوك خيلا) معناه وانك لو أنجيتهم إلى ما طلبوا منك لتولوك وأظهروا خيلك اي صدقتك لموافقتك معهم وقيل هو من الغلة التي هي الحاجة أي فقيرا محتاجا اليهم والأول اوجه (ولولا ان ثبنتك) اي ثبنتا عليك على الحق والرشد بالنبوة والعصمة والمعجزات وقيل بالالطاف الخفية (لقد كنت تركز اليهم شيئا قليلا) أي ركزوا قليلا والمعنى لقد قاربتم أن تسكن اليهم بعض السكون وأن يقل اليهم قليلا قليلا فتطمعهم بعض مأسألك يقال كنت أفضل كذا اي قارب ان افعله ولم افعله وقد صح عنه ﷺ قوله وضم عن أمي ما حدثت به عنها ما لم تعمل به او تتكلم به قال ابن عباس يريد حيث سكنت عن جوابهم والله اعلم بغيره ثم توعد سبحانه على ذلك لو فعله فقال (اذا لأذناك ضعف الحياة وضمف المات) اي لو فعلت ذلك لمذبناك ضعف عذاب الحياة وضمف عذاب المات اي مثل ما مضى به المشرك في الدنيا ومثل ما مضى به المشرك في الآخرة لأن ذنبك يكون اعظم وقيل ان المراد بالضعف العذاب للضعاف الله والمعنى لأذناك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن ابن بن تغلب وأشد قول الشاعر

ابيت الليل في ضعف اليهم

لمتل مالك إذا بان مني

أي عذاب قال ابن عباس رسول الله ﷺ معصوم ولكن هذا تخويف لأنه ثلاثا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه (ثم لا تجدك علينا نصيرا) أي ناصرا بتصرفك وقال انه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ اللهم لا تكلفني إلى قسي طرفه عين أبدا عن قتادة

قوله تعالى (٧٦) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجَنَّكَ مِنْهَا وَإِنْ لَا يَكْبُتُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٧) سَنَ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَلْبَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسْتِنَا مَحْوِيلًا آيَاتَان

(القراءة)

قرأ أهل الحجاز وابو عمرو وأبو بكر خلقك بنير الف والباثوث خلافك بالالفوق وأويس عن يعقوب بالوجهين

الحجة

قال ابو علي زعم ابو الحسن ان خلافك في معنى خلقك ومعناه بعدك فنقرأ خلقك أو خلافك فهو في القراءتين جميعا على تقدير حذف المضاف أي بعد خروجك فيكون مثل قول ذي الرمة

له واجف بالقلب حتى تقطعت خلاف الأتريا من أريك بأربه

واللشي خلاف طلوع الثريا وكذلك من جيل قوله خلاف رسول الله ﷺ اسما للجهة كان على حذف المضاف كأنه خلاف خروج رسول الله ومن جملة مصدرا جملة مضافا إلى مفعول به وهي أي الأتريا من حمل ذلك في سورة التوبة كان بمقدم المقدم فيه مصدر لا اسم المكان لأن اسم المكان لا يملق به شيء

الأعراب

قال لا يلبثون بالرغم لأن إذاً وقت بعد الواو جاز فيها اللفاء لأنها متوسطة في الكلام كأنه لابد من أن تلقى إذا وقت حشاوسة من قد أرسلنا انتصب بمعنى قوله لا يلبثون لأن تأويله أنا ستأخذ السنة فيمن أرسلنا قلوبك والتقدير اهلكناهم لهلاكاً سنة مثل سنة من قد أرسلنا قلوبك

النزول

نزلت في أهل مكة لما هموا بالخروج النبي ﷺ من مكة عن مجاهد وقطادة وقيل نزلت في اليهود بالمدينة لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالوا له ان هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وإنما أرض الأنبياء الشام فأثت الشام عن ابن عباس

المعنى

ثم بين سبحانه ان الكفار لما يشوا من اجابه إياهم فيما التمسوه منه كادوا له فقالوا (وان كادوا يستزونك من الأرض ليخرجوك منها) معناه وان المشركين ارادوا ان يزعموك من ارض مكة بالخروج عن قسادة ومجاهد وقيل عن ارض المدينة يعني اليهود عن ابن عباس وقيل يعني جميع الكفار ارادوا ان يخرجوك من ارض العرب الجاثي وقال الحسن يستزونك معناه ليقتلوك (وانا لا يلبثون خلافك الا قليلا) معناه اللهم لو اخرجوك لكانوا لا يلبثون بعد خروجك إلا زمانا قليلا ومدة يسيرة قيل وهي المدة بين خروج النبي ﷺ من مكة وقتلهم يوم بدر عن الضحاك وقيل انهم اخرجوه واهلكوا والمراد بقوله الا قليلا اناسا قليلا منهم يريد من اقلت منهم يوم بدر وآمنوا بعد ذلك (سنة من قد أرسلنا قلوبك من رسلنا) معناه انهم لو اخرجوك لاستأمنام بعد خروجك كسنتنا فيمن قلوبك قال سفيان بن عيينة يقول لم ترسل قلوبك رسولا فأخرج به قومه الا اهلكوا فقد سنتنا هذه السنة فيمن أرسلنا قلوبك اللهم (ولا تجد لستنا محويلا) أي تبديلا ومماها بتعيا لأحد ان يقلب سنة الله ويبدلها والسنة هي العادة الجارية والصحيح ان المشيئة في الآية مشركو مكة وانهم لم يخرجوه

من مكة ولكم هموا بالخراجة كما في قوله واذا يكر بك الذين كفروا إلى قوله او يخرجوك ثم خرج ﴿٧٨﴾
لما امر بالمجرة خوفاً منهم وتدموا على خروجه ولذلك ضمنوا الاموال في رده فلم يقدروا على ذلك ولو اخرجوه
لاستوفوا بالغنائم ولما توفوا طراً

قوله تعالى (٧٨) أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن
الفجر كان مشهوداً (٧٩) ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يمتلك ربك مقاماً محموداً
(٨٠) وقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
نَصِيرًا (٨١) وَقُلْ جَاءَ الْوَقْتُ وَزَهَوَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا أربع آيات

❦ الآية ❦

الدلوك الزوال وقال المبرد دلوك الشمس من لدن زوالها غروبها وقيل هو الغروب واصله من الدلك فسمي
الزوال دلوكاً لأن الناظر إليها بذلك عينه لشدة شعاعها وسمي الغروب دلوكاً لأن الناظر بذلك عينه ليتبينها
قال ثعلب دلكت الشمس مالت وقال الزجاج يقال دلكت يروح ويروح اي مالت الزوال حتى صار الناظر
يحتاج إذا تبصرها ان يكسر الشعاع عن بصره يرواحته قال الرازي

هكذا مقام قديم ريلح للشمس حتى دلكت يروح

ويراح اسم ساقى الإبل ومن قال يروح يفتح الباء بفتحها اسماً للشمس متبياً على فعال مثل طعام وحمام ومن روى
يرواح بكسر الباء أراد يرواحته وقال الفراء اي قال بالراصة على العين لينظر هل غابت الشمس بعد وغسق الليل
ظهور ظلامه يقال غسقت القرحة اذا اقتربت فظهر ما فيها والتهجد التيقظ والسر بما يتي التوهم والمجود التوهم
وهو الأصل هجد بهجد تام وقد هجدته إذا نومه قال لبيد

قلت هجدت وقد طال السرى وقدوتاً ان غشا الدهر غفل

وقال آخر

الاطرقتنا والرفاق هجود قباتت بملات النوال تجود

وقال الحطيئة

الاطرقت هند المنود وصحبي بحوران حوران الجنود هجود

قال المبرد التهجد السهر للصلاة او لذكر الله وقال علقمة التهجد يكون بعد نومة والنافلة والتفل النتيجة
قال لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريشي وعجل

أي وعجلي وعسى من الله وأجبة وقد أشد لابن عجل في وجوبها

ظني بهم كمنى وهم بتنوفة يتنازعون جوائز الأمثال

يريد كيتين والزهوق الملاك والبطلان يقال زهقت نفسه إذا خرجت فكأنه قد خرجت إلى الملاك

❦ الاعراب ❦

قرآن الفجر منصوب على تقدير وأقم قرآن الفجر وانصب قوله نافلة لك لأنه في موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه بعد إقامة العتبات ذكر الوعد والوعيد وإقامة الصلاة فقال مخاطباً النبي ﷺ والمراد هو وغيره (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل) اختلف المفسرون في الدلوك فقال قوم دلوك الشمس زوالها وهو قول ابن عباس بخلاف واين عمر وجابر وابي العالية والحسن والشبي وعطاء ومجاهد وقتادة والصلاة الأمور بها على هذا هي صلاة الظهر وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) ومعنى قوله لدلوك الشمس أي عند دلوها وقال قوم دلوكها غروبها وهو قول النخعي والضحاك والسدي والصلاة المأمور بها على هذا هي المغرب وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس والقول الأول هو الوجه لتكون الآية جامعة لصلوات الخمس فصلاة دلوك الشمس الظهر والصبر وصلاة غسق الليل هما المغرب والمشاء الآخرة والمراد بقرآن الفجر صلاة الفجر فهذه خمس صلوات وهذا معنى قول الحسن واختاره الواحدي وغسق الليل هو أول بدء الليل عن ابن عباس وقتادة وقيل هو غروب الشمس من مجاهد وقيل هو سواد الليل وظلمته عن الجبائي وقيل هو انتصاف الليل عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) واستدل قوم من اصحابنا بالآية على ان وقت صلاة الظهر موسم إلى آخر النهار لأنه سبحانه أوجب إقامة الصلاة من وقت دلوها إلى غسق الليل وذلك يقتضي ان ما بينهما وقت ولم يرفعه الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه قال لأن من قال ان الدلوك هو التروب فلا دلالة فيه عنده بل يقول أوجب سبحانه إقامة المغرب من عند التروب إلى وقت اختلاط الظلام الذي هو غروب الشفق ومن قال الدلوك هو الزوال امكنه ان يقول ان المراد بالآية بيان وجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن لا بيان وقت صلاة واحدة وأقول انه يمكن الاستدلال بالآية على ذلك بأن يقال إن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس الذي هو الزوال إلى غسق الليل وقتاً لصلوات الأربع إلا أن الظهر والصبر اشتراكاً في الوقت من التروب والمغرب والمشاء الآخرة اشتراكاً في الوقت من التروب إلى الغسق وأفراد صلاة الفجر بالذكر في قوله (وقرآن الفجر) ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان أوقاتها ويؤيد ذلك ما رواه العياشي بالاستناد عن عبيد بن زرارة عن ابي عبد الله (ع) في هذه الآية قال ان الله افترض أربع صلوات أول وقتها من زوال الشمس إلى انتصاف الليل منها صلاتان أول وقتها من عند زوال الشمس إلى غروبها إلا ان هذه قبل هذه وإلى هذا ذهب المرتضى علم الهدى قدس الله روحه في اوقات الصلوات وقال الزجاج ان في قوله وقرآن الفجر فائدة عظيمة تدل على ان الصلاة لا تكون إلا بقراءة لأن قوله أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر قد أمر فيه ان يقيم الصلاة بالقراءة حتى سبت الصلاة قرأتاً فلا يكون صلاة إلا بقراءة (ان قرآن الفجر كان مشهوداً) كلهم قالوا معناه ان صلاة الفجر تشهد بها ملائكة الليل وملائكة النهار وقال النبي ﷺ فضل صلاة الجمعة صلاة أحدكم وحده بمائة وعشرين جزاً ويجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر أوردته البخاري في الصحيح (ومن الليل تهجد به) خطاب للنبي ﷺ أي فصل بالقرآن عن ابن عباس ولا يكون التهجد إلا بعد النوم من مجاهد والاسود وعلقمة وأكثر المفسرين وقال بعضهم ما تنفلت به في كل الليل يسمى تهجداً والتهجد الذي يلقى اليهود عن نفسه كما يقال للتحرج والمثاقم (نافذة لك) أي زيادة لك على الفرائض وذلك ان صلاة الليل كانت فريضة على النبي ﷺ مكتوبة عليه ولم تكسب على غيره وكانت قضية لغيره عن ابن عباس وقيل كانت واجبة عليه فنسخ وجوبها بهذه الآية وقيل ان معناه فضيلة لك وكفاة لتترك فإن كل انسان يخاف ان لا يقبل فرضه فيكون تغله كفارة والنبي لا يحتاج إلى كفارة عن مجاهد وقيل معناه نافذة لك وتترك وفقاً لخاصته بالحطاب لما في ذلك من دعاء النبي إلى الاقتداء به والحث على الاستئنان بسنته (عسى ان يمشك ربك مقاماً محموداً) عسى من الله واجبة والمقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه أي

يملك يوم القيامة بما أنت محمود فيه ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة كما يقال بشت يميري أي أثرته وأقامته فيكون معناه يقيبك ربك مقاما محمودا يحمذك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق تسأل تعطى وتشفع تشفع وقد اجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه الناس وهو المقام الذي يعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفه ويحتمس تحته الأنبياء والملائكة فيكون **وَأَمَّا** أول شافع وأول شفيع (وقل) يا محمد (رب ادخلي مدخل صدق واخرجني مخرج صدق) المدخل والمخرج هنا مصدر الادخال والاخراج فالقدير ادخلي ادخال صدق واخرجني اخراج صدق وفي معناه اقوال **«أحدها»** أن المعنى ادخليني في جميع ما أرسلتني به ادخال صدق واخرجني منه سالما اخراج صدق أي اعني على الوحي والرسالة عن مجاهد **«وثانيها»** أن معناه ادخليني المدينة واخرجني منها إلى مكة للفتح من ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير **«وثالثها»** أنه **«رابعها»** أمر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر او خرج من أمر والمراد ادخليني كل أمر مدخل صدق من أبي مسلم **«ورابعها»** أن المعنى ادخليني القبر عند الموت مدخل صدق واخرجني منه عند البعث مخرج صدق عن طيبة عن ابن عباس ومدخل الصدق ما محمد عاقبته في الدنيا والدين ولما اضاف الادخال والاخراج إليه سبحانه وان كلفا من فعل الجدل لأنه سأل الله اللطف المقرب إلى غير الدين والدنيا (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي اجعل لي عزاء أمتنع به من يحاول صدي عن إقامة فرائضك وقرة تنصيرني بها على من عاداني فيك وقيل اجعل لي ملكا عزيزا أقهر به الصاة فنصر بالرب حق خافه العدد على مسيرة شهر وقيل حجة بينة أتقرب بها على سائر الأديان الباطلة عن مجاهد قال وسماه نصيرا لأنه تقم به النصرة على الأعداء فهو كالعين (وقل) يا محمد (جاء الحق) أي ظهر الحق وهو الاسلام والدين (وزهر الباطل) أي وبطل الباطل وهو الشرك عن السدي وقيل الحق التوحيد وعبادة الله والباطل عبادة الأصنام عن مقاتل وقيل الحق القرآن والباطل الشيطان وزعم بطل واضل عن قتادة وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال دخل النبي **«مكة»** وحول البيت ثلاثمائة وستون صنبا فبطل بطلنها ويقول جاء الحق وزعق الباطل ان الباطل كان زهوقا أورده البخاري في الصحيح قال الكلبي فبطل الصنم ينكب لوجهه إذ قال ذلك واهل مكة يقولون ما رأينا رجلا أسمر من محمد (إن الباطل كان زهوقا) أي مضطرا ذاهبا هالكا لا ثبات له

قوله تعالى (٨٢) وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٣) وَإِذَا أَنشَأْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَاضًا وَتَأْتِيَانِيهِ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسِسُ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ثلاث آيات

❦ القراءة ❦

قرأ أبو جعفر وابن عاصم برواية ابن ذكوان وثانيه بجانبه بمدودة مهبوزة وفي حم مثله وقرأ حمزة إلا العجلي وأبو بكر برواية حماد ويحيى وعياش وأبو شبيب السوسي عن الزبيدي ونصير عن الكسائي نتي بفتح النون وكسر الهززة وقرأ حمزة برواية العجلي وخلف والكسائي نتي بكسر النون والهمزة وقرأ الباقون نأ بفتح النون والهمزة في وزن نعي

— الحجة —

قال أبو علي تاء مثل قاع وهو على القلب وتقديره فلع ومثله رأى ورآه قال
فكل خليل راء في فهو قائل من اجلك هذا هامة اليوم اوغد

ومن امثال التمتين فلأن الألف متقلبة من الياء التي في الثاني فلذا أراد أن ينسجها
لمال فتحة النون لإمالة فتحة الهزنة وقد قالوا رأيت عمادا فأماوا الألف لإمالة الألف فكذلك أماوا
الفتحة لإمالة الفتحة لأنهم يحرون الحركة مجرى الحرف في اشياء. ومن فتح النون وكسر الهزنة فإنه لم يعل الفتحة
الأولى لإمالة الفتحة الثانية كما لم يملوا الألف لإمالة الألف في رأيت عمادا

== الفنة ==

الثالثة الطريقة والمذهب يقال هذا طريق ذو شواكل أي ينشعب منه طرق جماعه

❀ المعنى ❀

ثم اخبر سبحانه عن القرآن فقال (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ووجه الشفاء فيه من وجوه
« منها » ما فيه من البيان الذي يزيل عوى الجبل وحيرة الشك « ومنها » ما فيه من النظم والتأليف والقصاحة
البالغة حد الإعجاز الذي يدل على صدق النبي ﷺ فهو من هذه الجهة شفاء. ومن الجبل والشك والعمى في
الدين ويكون شفاء للقلوب « ومنها » أنه يتبرك به ويقراءه ويستعان به على دفع الملل والانسقام ويدفع الغيبه
كثيرا من المكافره والمضار على ما تقتضيه الحكمة « ومنها » ما فيه من أدلة التوحيد والمدل وبيان الشرائع
والأمثال والحكم وما في التجد بتلاوته من الصلاح الذي يدمر إلى أمثاله بالمشاركة التي بينه وبينه فهو شفاء
لفناس في دنياهم وآخرتهم ورحمة للمؤمنين أي نعمة لهم وخصهم بذلك لأنهم المتخضعون به (ولا يزيد الظالمين
إلا خسارا) ومناههم أنهم لا يزدادون عنده إلا خسارا يحضرون الثواب ويستحقون العقاب لكفرهم به وتركهم
التدبر له والتفكير فيه وهذا كقوله فلم يزدحم دعائي إلا فرارا ويحتمل أن يريد أن القرآن يظهر حيث سزائهم
وما يلقون به من الكيد والكر بالني ﷻ فيفتضحون بذلك (وإذا أئمننا على الإنسان امرض) من ذكرنا
أي ولي كأنه لم يقبل علينا بالدعا. والابتهال (ونتنا بجانبه) أي يبدب نفسه من القيام بيقوق انما فلا يشكره
كما امرض من النعمة بالقرآن وقال مجاهد منناه تباعد منا وعلى هذا فيكون منناه تجبر وتكبر واعجب بنفسه
لأن المحب تافر من الناس متباعد عنهم (وإذا مسه الشر كان يروسا) منناه وإذا أصابه المحنة والشدة او الفقر
لم يصبر وكان قنوطا من رجا. الفرج من الله تعالى بخلاف المؤمن الذي يرجو الفرج والروح فيكون المراد بالآية
خاصا وإن كان القنوط عاما وسعى الأمراض والبلايا شرا لكونها شرا عند الكفار من حيث لا يرجو ثوابا ولا
عرضا ولأن الطباع تنفر منها وتكرهها وإلا فهي في الحقيقة صلاح وحكمة وصواب (قل) يا محمد
لهم (كل يعمل على شاكلته) أي كل واحد من المؤمنين والكفار يعمل على طبيعته وخليقه التي خلق بها من
ابن عباس وقيل على طريقته وسنته التي اتخاها من الفراء والزجاج وقيل على ما هو اشكل بالصواب وأولى
بالحق عنده من الباطني بآل ولهذا قال (فربكم اعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي انه يعلم أي الفريقين على الهدى
وايهما على الضلالة وقيل منناه انه اعلم من هو اصبوب ديننا واحسن طريقا وقال بعض ارباب اللسان هذه الآية
ادعى آية في كتاب الله لأن الأليق بكرمه سيطانه وجوده الغفر عن عبادته فهو يعمل به

قوله تعالى (٨٥) وَيَسْتَلُونَكُمُ الرُّوحَ الرُّوحُ قُلْ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُبَشِّرُكُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا
(٨٦) وَلَكِنَّ شَيْئًا لَذَّيْبًا بِالنَّفْسِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَحْدُثُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَلَا تَكِلَا (٨٧) إِلَّا
رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٨) قُلْ لَنْ أَجْتُمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ

فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا خمس بات

﴿ اللغة ﴾

التنظير المعين وهو المظاهر وأصله من النظر كان كل واحد يسند ظهره إلى ظهر صاحبه فيتنوى به والتصريف
تصريف الشيء دائرا في الجهات وكذلك تصريف الكلام هو تصديره دائرا في المعاني المختلفة

﴿ الإعراب ﴾

إلا رحمة من ربك الرحمة استثناء من الأول والمعنى ولكن الله تعالى رحمتك فأثبت ذلك في قلبك لا يأتون
مرفوع لأنه غلب جواب القسم على جواب إن واللام في ثن موطئة القسم دالة عليه والتقدير قوله لا يأتون بشئ
ومثله قول كثير

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلي وامكنني منها إذا لا أقبلها

— المعنى —

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (ويستلوك) يا محمد (عن الروح) اختلف في الروح المسؤول
عنه على أقوال (أحدها) أنهم سألوه عن الروح الذي هو في بدن الإنسان ما هو ولم يجبه وسأله من ذلك قومهم
اليهود عن ابن مسعود وابن عباس وجعابة واختاره الجاني وعلى هذا فلو أن عدل النبي ﷺ من جوابهم لعلمه
بأن ذلك ادعى لهم إلى الصلاح في الدين ولأنهم كانوا يسألونهم مستعينين لا مستعدين فلما صد الجواب لاندادوا
عنادا وقد قيل إن اليهود قالت لكفار القريش سلوا محمدا عن الروح فإن أجابكم قيس بني وان لم
يجبكم فهو نبي فإنما نجد في كتبنا ذلك فأمر الله سبحانه بالمدول عن جوابهم وإن يكلمهم في معرفة الروح إلى
ما في عقولهم ليكون ذلك على صدقه ودلالة لنبوته ﴿ وثانيها ﴾ أنهم سألوها عن الروح أمي مخلوقة محدثة
أم ليست كذلك فقال سبحانه (قل الروح من أمر ربي) أي من فعله وخلقه وكان هذا جوابا لهم عما سألوه عنه
بعبثه وعلى هذا فيجوز أن يكون الروح الذي سألوها عنه هو الذي به قوام الجسد على قول ابن عباس وغيره أم
جبريل «ع» على قول الحبش وقنادة أم ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان
يسبح الله بجميع ذلك على ما روي عن علي «ع» أم ميس «ع» لأنه قد سمي بالروح ﴿ وثالثها ﴾ إن الشركين
سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يملك به الملك أو كيف صار معجزا وكيف صار نظمه وترتيبه مخايفا
لأنواع كلانا من الخجل والاشعار وقد سأل الله تعالى القرآن روحا في قوله وكذلك أوحينا إليك روحا من
أمرنا فقال سبحانه قل يا محمد إن الروح الذي هو القرآن من أمر ربي أنزلناه على دلائل نبوتية وليس من فعل المخلوقين
ولا بما يدخل في أمكانهم وعلى هذا فقد وقع الجواب أيضا وموقعه وأما على القول الأول فيكون معنى قوله
الروح من أمر ربي هو من الأمر الذي يعطيه ربي ولم يطلع عليه أحد واختلف العلماء في ماهية الروح فقيل إنه
جسم رقيق هوائي متحرك في مشارق الحيران وهو مذهب أكثر المتكلمين واختاره الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله
روحهم وقيل جسم هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة عن علي بن موسى قال فكل حيوان روح وبدن
إلا أن منه من الأغلب عليه الروح ومنه من الأغلب عليه البدن وقيل إن الروح عرض ثم اختلف فيه فقيل هو
الحياة التي يتبها به المخل لوجود القدرة والعلم والاختيار وهو مذهب الشيخ الفيداني عبد الله محمد بن محمد بن
النعمان «د» والبلخي وجعابة من المعتزلة البناديين وقيل هو معنى القلب عن الاسودادي وقيل إن الروح الإنسان
وهو الحي المكلف من ابن الأخشيذ والنظام وقال بعض العلماء إن الله تعالى خلق الروح من ستة أشياء من جوهر
النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو ألا ترى أنه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا يبصر بالعينين ويسمع

بِالْأَذْنَيْنِ وَيَكُونُ طِيًّا فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْجِسَدِ نَفْسُ الْجِسَدِ وَيَكُونُ بَاقِيًّا فَلَمَّا خَارَقَهُ الرُّوحُ بِلِيٍّ وَفِيٍّ وَيَكُونُ حَيًّا
وَيُخْرِجُهُ بِصِيرٍ مَيِّتًا وَيَكُونُ طَالِمًا فَلَمَّا خَرَجَ مِنْهُ الرُّوحُ لَمْ يَظْهَرْ شَيْئًا وَيَكُونُ عَلَوِيًّا لَطِيفًا تَوَجَّدَ بِهِ الْحَيَاةُ بِدَلَالَةِ
قَوْلِهِ تَعَالَى فِي صَفَةِ الشَّهَادَةِ بَلْ أَحْيَا عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ فَرَحِينَ وَأَجْسَامَهُمْ قَدِ بَلَّيَتْ فِي التَّوَابِتِ وَقَوْلُهُ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قِيلَ هُوَ خَطَابُ هُنِي ^{وَالْأَشْيَاءُ} وَغَيْرُهُ إِذَا لَمْ يَبَيِّنْ لَهُ الرُّوحُ وَمَضَاهُ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ الْمُنْصَرَفِ
عَلَيْهِ إِلَّا قَلِيلًا أَيْ شَيْئًا يَسِيرًا لِأَنَّهُ الْمُنْصَرَفُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ فَرَقَ مَطْلُومَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا نَهَايَةً لَهَا وَقِيلَ خَطَابُ الْهَيْدِ
الَّذِينَ سَأَلُوهُ فَقَالَتْ لَهُ الْيَهُودُ عِنْدَ ذَلِكَ كَيْفَ وَقَدْ أَطَاعُوا اللَّهَ التَّوْرَةَ فَقَالَ التَّوْرَةُ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ ثُمَّ قَالَ سَبْعَانَهُ (وَأَتَى
شَيْئًا لِنَدْمَةٍ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ بِمَعْنَى الْقُرْآنِ بِمَعْنَى أَنِّي أَقْدَرُ أَنْ أَخْذَ مَا أَصْلَيْتُكَ كَمَا مَنَعْتُ غَيْرَكَ وَلَكِنِّي دُونَكَ
بِالْوَرَعِ لَكَ فَاعْلَيْتُكَ مَا مَخْتِاجُ إِلَيْهِ وَمَمْنُوكَ مَا لَا مَخْتِاجَ إِلَى النَّصِّ عَلَيْهِ وَأَنْ تَوَحُّمَ قَوْمٍ أَنَّهُ مَا مَخْتِاجُ إِلَيْهِ فَتَدْبِرَانَتْ
بِتَدْبِيرِ رَبِّكَ وَارْضَ بِإِخْتَارِهِ لَكَ (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكَيْلًا) أَيْ ثُمَّ لَوْ قُلْنَا ذَلِكَ لَمْ تَجِدْ عِلْمًا وَكَيْلًا وَتَدْبِرَانَتْ
ذَلِكَ مَنَا وَقِيلَ مَضَاهُ وَلَوْ شِئْنَا لَمَحَوْنَا هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ صَدْرِكَ وَصَدْرَ أَمْتِكَ حَتَّى لَا يَوْجِدَ لَهُ أَثَرٌ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَهُ حَفِيفًا
يُحْفَظُهُ عَلَيْكَ وَيُحْفَظُ ذِكْرُهُ عَلَى قَلْبِكَ عَنِ الْحَسَنِ وَابْنِ مُسْلِمٍ وَالْأَصْمُ قَالُوا وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ السُّؤَالَ وَقَعَ
عَنِ الْقُرْآنِ (إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) مَضَاهُ لَكِنْ رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ وَرَبِّكَ لَكَ أَطْلَاكَ مَا أَطْلَاكَ مِنَ الْعِلْمِ وَمَمْنُوكَ مَا مَمْنُوكَ
مِنْهَا وَأَتَتْ الْقُرْآنَ فِي قَلْبِكَ وَقُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ (إِنْ فَضَّلَهُ كَانَ) فَيَا مَضَى وَفِيَّا يَسْتَجِبُ (عَلَيْكَ كَيْلًا) عَلِيًّا إِذَا
اخْتَارَكَ الْهَيْدَةَ وَخَصَّكَ بِالْقُرْآنِ فَقَابَلَهُ بِالشُّكْرِ وَقَالَ ابْنُ جَابِرٍ يَرِيدُ حَيْثُ جَعَلَكَ سَيِّدًا وَلَدَ أَدَمَ وَخَتَمَ بِكَ النَّبِيِّينَ
وَأَطْلَاكَ الْقَامُ الْمَحْصُورُ ثُمَّ احْتَجَّ سَبْعَانَهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ فَقَالَ (قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَانَ وَالْجِنَّ عَلَى
أَنْ يَأْتُوا بِثَلٍّ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِثَلٍّ) مَضَاهُ قُلْ يَا عَمَدُ لَهَوْلَاءُ الْكُفَّارِ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَانَ وَالْجِنَّ مَتَاعُونِينَ
مُتَحَادِّثِينَ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِثَلٍّ هَذَا الْقُرْآنَ فِي فَصَاحَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ وَنَظْمِهِ عَلَى الرَّجْوِ الْجَبِّيِّ هُوَ طِيًّا مِنْ كَوْنِهِ فِي الطَّبَقَةِ
الْعُلْيَا مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالدَّرَجَةِ الْقَصْوَى مِنْ حَسَنِ النِّظْمِ وَجُودَةِ الْعُلْفَانِي وَتَهْنِيبِ الْعَايَةِ وَالْحُلُوفِ مِنَ التَّنَاقُضِ وَالْفُظْظِ
الْمُسْخَرِطِ وَالْمَعْنَى الدُّخُولِ عَلَى حَدٍّ يَشْكَلُ عَلَى السَّامِعِينَ مَا يَبْهَتُهُ مِنَ التَّفَاوُتِ لِمَجْرُؤِهِ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَأْتُوا بِثَلٍّ (وَلَوْ
كَانَ بِضَعْفٍ لِمَعْضِ ظُهُورِ) أَيْ مِمَّنْ عَلَى ذَلِكَ مِثْلُ مَا يَتَوَلَّوْنَ الشُّرَاءَ عَلَى بَيْتِ شَعْرِ يَفْقِصُونَهُ عَنْ ابْنِ جَابِرٍ وَفِي
هَذَا تَكْذِيبٌ لِلنَّظَرِ بَيْنَ الْحَارِثِ حِينَ قَالَ لَوْ نَشَاءُ قُلْنَا مِثْلَ هَذَا قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ وَفِي هَذَا أَيْضًا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ السُّؤَالَ
بِالرُّوحِ وَقَعَ عَنِ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ مِنْ قَامٍ مَا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَهُ ^{وَالْأَشْيَاءُ} أَنْ يَحْمِشَهُمْ بِهِ (وَقَدْ صَرَفْنَا هُنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ
مِنْ كُلِّ مِثْلٍ) مَضَاهُ وَهَدَيْنَاهُمْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَا يَخْتِاجُ إِلَيْهِ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْأَمْثَالِ وَالْعِبَرِ وَالْأَحْكَامِ وَمَا
يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ لِيَتَفَكَّرُوا فِيهَا (فَالْبَاقِي أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَقَوْمٍ) أَيْ جَعَلُوا لِقَعِّ وَالْمَثَلِ قَدْ
يَكُونُ الشَّيْءُ بَيْنَهُ وَقَدْ يَكُونُ صَفَةً لَشَيْءٍ وَقَدْ يَكُونُ شَبْهًا

قوله تعالى (٩٠) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩١) أَوْ تَكُونَ
لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَافًا لَهَا تَفْجِيرًا (٩٢) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ
عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِنَارٍ وَأَلْمَلَايَكَةَ قِيلًا (٩٣) أَوْ يَكُونَ لَكَ يَسْتٌ مِنْ ذُرْفٍ أَوْ تَرْقَى
فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تَقْرُوهُ قُلْ سَبَّحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا
رَسُولًا (٩٤) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَشَرًا يَشْرَى رَسُولًا
(٩٥) قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمُشُونَ مَطْمَئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا
رَسُولًا سُبَّحَات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة ويعقوب حتى تقهر لنا بفتح التاء وضم الجيم والباءون تقهر بضم التاء. وتشديد الجيم وقرأ أبو جعفر وابن عامر كسفا بفتح السين هاهنا وفي سائر القرآن كسفا ساكنة السين وقرأ حصص بالفتح في جميع القرآن إلا في الطور وقرأ أهل المرق وابن كثير بالسكون في جميع القرآن إلا في الروم ولم يقرأ في الروم يسكون السين إلا أبو جعفر وابن عامر وابن كثير وابن عامر قال سبحانه وفي الباقون قل على الأمر

— (الحجة) —

من قرأ تقهر بالتشديد فلا نهم اودوا كثرة الانفجار من الينوع وهو وإن كان واحدا فلكثيرة الانفجار منه حسن ان يقال يتكرّر العين كما يقال ضرب زيد إذا كثّر منه فعل الضرب ومن قرأ تجر فلان الينوع واحد فلا يكون قوله تقهر الأتجار خلافا تقهيرا لأن فحيرت الأنهار مثل غلقت الأيوب فلذلك اتفق الجميع على التشديد فيه والكسف الضم واحدها كسفة ومن سكنه جاز ان يبد الجسم مثل سدة وسدر قال أبو زيد كسفت الثوب اكسفه كسفا إذا قلته قال أبو علي إذا كان المصدر الكسف فالكسف الشيء المقطوع كالطعن والطمع والسقي والسقي ونحو ذلك فيجاز ان يكون قوله او تسقط الساء كما زعمت علينا كسفا بمعنى ذات كسف وذلك ان اسقط لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فوجب ان يتصّب كسفا على الحال في المعنى وإذا كان كذلك وجب ان يكون الكسف هو الساء فيصير المعنى او تسقط الساء علينا مقعطة او قلنا ومن قرأ قال سبحانه ربي فالوجه فيه ان الرسول قال عند اقتراحهم هذه الأشياء سبحانه ربي ومن قرأ قل فهو على الأمره بأن يقول ذلك

﴿ القصة ﴾

التفجير التشقيق عما يجري من ماء او ضياء ومنه سمي التفجير لأنه ينشق عن عبود ومنه التفجير لأنه خروج إلى الفساد يشق به عبود الحق والينوع فيقول من تبع الماء ينبع فهو ظالم إذا غار والليل الكليل من بقات به اقل قبالة أي كفلت وتقبل فلان بالشيء إذا تكفل به قال الزجاج وجائز أن يكون المعنى نأى بهم حتى وهم مقابلة أي معاينة وانشد غيره

نصالح الحكم حتى تبوء بمثلها كصرحة حبلها اسلمتها قبيلها

أي قاتلتها التي هي مقابلتها والعرب تجريه في هذا المعنى مجرى المصدر فلا يشي ولا يحجم ولا يؤث وأصل الزخرفة من الزخرفة وهي الزينة وزخرفت الشيء إذا اكملت زينته ولا شيء في تحسين بيت وتزيينه وزخرفته كالذهب ويقال في الصدود رقيت ارقى رقيقا وفاقا تدأويه بالريقة رقيت ارقى رقيقة وراقيا

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس ان جماعة من قريش وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو سفيان بن حرب والأسود بن المطلب وزمة بن الأسود والوليد بن المغيرة وابوجعل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والماس بن وائل ونبيه ومنه ابنا الحجاج والنضر بن الحارث وابو البخري بن هشام اجتمعوا عند الكعبة وقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلوه وخاصوه فيشوا اليه ان اشرف قومك قد اجتمعوا لك فبادر ^{بقتله} اليوم فلما منه انهم بدا لهم في أمره وكان حريصا على رشدهم فجلس اليهم فقالوا يا محمد اتنا دعوناك لتنفذ اليك فلا تعلم احدا ادخل على قومه ما ادخلت على قومك شتمت الالهة وعيت الدين وصفحت الأحلام وقررت الجماعة فإن كنت جئت بهذا الطلب مالا اعطيتك وإن كنت تطلب الشرف سودناك علينا وإن كانت علة غلبت عليك طلبنا لك الأتباع قتال ^{بقتله} ليس شيء من ذلك بل بشي الله اليكم رسولا وانزل كتابا فأن يلمن ما جئت به فهو

حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبح حتى يحكم الله بيننا قالوا فإذن ليس أحد اضيق بلدا منا فأسأل ربك أن يسير هذه الجبال ويجري لنا أنهارا كأنهار الشام والفرات وأن يبعث لنا من مضى وليكن فيهم قصي فإنه شيخ صدوق لنا لهم ما تقول أحق أم بطل فقال ^{عليه السلام} ما بهذا بشت قالوا فإن لم تفعل ذلك فأسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك ويجعل لنا جنات وكثورا وقصورا من ذهب فقال ^{عليه السلام} ما بهذا بشت وقد جئتم بأبشي الله به فلا تطلبم وإلا فهو يحكم بيني وبينكم قالوا فأسقط علينا الساء كما زعمت أن ربك لمن شاء ففعل ذلك قال ذلك إلى الله إن شاء فعل وقال قائل منهم لا تؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قليلا فقام النبي ^{عليه السلام} وقام معه عبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمه عائكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ثم سأوك لأنفسهم أمورا فلم تقبل ثم سأوك أن تصبل ما تخوفهم به فلم تقبل فوالله لا تؤمن بك أبدا حتى تتخذ سلما إلى الساء ثم ترقى فيه وإنا انظر ويأتي منك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك وقال أبو جهل إنه أبى إلا سب الأله وشتم الأبا. وإنا آعاهد الله لا حملن حجرا فلوذا مسجد ضربت به رأسه فأنصرف رسول الله ^{عليه السلام} حزينا لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات

— المعنى —

لما بين سبحانه فيا تقدم اعجاز القرآن عقب ذلك البيان بأنهم أبوا إلا الكفر والعنيان واقتروا من الآيات ما ليس لهم ذلك فقال (وقالوا ان نؤمن لك) أي لن نصدقك فيا تدعي من البتة (حتى تقبل لنا من الأرض) أي تشق لنا من أرض مكة فإلها قليلة الماء (ينبوا) أي عينا ينبع منه الماء في وسط مكة (أو تكون لك جنة) وهي ما جهنت الأشجار أي تنزه (من تخيل وحب فتغير الأنهار) من الماء (خلاها) أي وسطها (تقبيرا) أي تشقيقا حتى يجري الماء تحت الأشجار (أو تسقط الساء كما زعمت علينا كسفا) أي قطعنا قد تركب بعضها على بعض من ابن عباس ومجاهد وقتادة فتره كما زعمت معناه كما خوفتاه من انشقاق الساء وانفطارها وقيل معناه كما زعمت أنك لن تأتي بالله والملائكة قليلا (أو تأتي بالله والملائكة قليلا) أي كفيلا ومعناه تأتي بكل واحد حتى يكون كفيلا ضامنا لنا بما تقول من ابن عباس والضحاك وقيل هو جمع القليلة أي تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة من مجاهد وقيل معناه مقابلين لنا كالشيء يقابل الشيء حتى نشاهدهم قليلا أي مقابلة نماينهم ويشهدون بأنك حق ودعوتك صدق من الجاني وقتادة وهذا يدل على أن القوم كانوا مشبهة مع شركهم (أو يكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب من ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الزخرف النقوش عن الحسن (أو ترقى في الساء) أي تصعد (ولن تؤمن لريقك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أي ولو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منا كتابا من الله شاهدا بصحة نبوتك نقرؤه وهو مثل قوله بل يرسل كل امرء منهم أن يؤتى صفحا منشرة (قل سبحانه ربي) أي تقرها له من كل قبيل وبراءة له من كل سوء وفي ذلك من العجائب أنكم تتخبرون الآيات وهي إلى الله سبحانه فهو العالم بالتدبير الفاعل لما توجه المصلحة فلا وجه لطليكم إياها مني وقيل معناه تعظيما له من أن يحكم عليه بعيدا لأن له الطاعة عليهم وقيل اتهم لما قالوا تأتي بالله وترقى في الساء إلى الله لا اختادهم أن الله تعالى جسم قال قل سبحانه ربي من كونه بصفة الأجسام حتى تجوز عليه المقابلة والقول وقيل معناه تقرها له من أن يفعل المعجزات تابعا للاقتراحات (هل كنت إلا بشرا رسولا) معناه أن هذه الأشياء ليس في طاقة البشر أن يأتي بها ولأن يفعلها فلا اقتدي بنفسه أن يأتي بها كما لم يقدر من كان قبلي من الرسل والله تعالى يظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة وقد فعل فلا تقابلوني بما لا يطالب به البشر (وما منع الناس أن يؤمنوا) أي وما صرف المشركين من الإيمان أي التصديق بالله وبرسوله (إذ جاءهم الهدى) أي حين أنهم ألهموا بالحجج والبرينات (إلا أن قالوا) أي الاقوام (أبى الله بشرا رسولا) دخلت عليهم الشبهة في أنه لا يجوز أن يبعث الله رسولا إلا من

الملائكة كما دخلت عليهم الشبهة في ان عبادتهم لا تصالح لله فوجها إلى الأصنام فسطموا الله بجهنم بما ليس فيه تعظيم وإنما ذكر سبحانه هنا لفظ الخدم بالغة في وصف الصرف والإفالق يستحيل معه القتل فلا يجوز أن يكون مراداً هنا ولكن شبه الصرف بالنع (قل) يا محمد (لو كان في الأرض ملائكة يشكون مطمئين) أي ساكنين قاطنين (لنزلا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) منهم عرف الحسن وقيل معناه مطمئين إلى الدنيا ولذاتها غير خائفين ولا متعدين يشرع لأن المطمئن من زال الخوف عنه عن الحياتي وقيل معناه لو كان أهل الأرض ملائكة لبشانا إليهم ملكاً ليكونوا إلى القيم إليه أسرع عن أبي مسلم وقيل ان العرب قالوا كناسا كئين مطمئين فبهاء محمد فأزعجتنا وغوش علينا أسنفاً فبين سبحانه أنهم لو كانوا ملائكة مطمئين لأوجبت الحكمة إرسال الرسل إليهم فكذلك كون الناس مطمئين لا يمنع من إرسال الرسل إليهم إذ هم أخرج إليه من الملائكة فكيف انكروا إرسال الرسل إليهم مع كونهم مطمئين «سؤال» قالوا إذا جاز ان يكون الرسول إلى النبي ملكاً ليس من جنسه فالأجل ان يكون الرسول إلى الناس أيضاً ملكاً ليس من جنسهم وجوابه ان صاحب المعجزة قد اختير لقوته فصار حاله مقاربة لحال الملك وليس كذلك غيره من الأئمة لأنه يجوز ان يرى الملائكة كما يرى بعضهم بعضاً بخلاف الأئمة وأيضاً فإن النبي يحتاج إلى معجزة تعرف بها رسالة نفسه كما احتاجت إليه الأمة فيحصل الله المعجزة ورؤيته الملك

قوله تعالى (٩٦) قُلْ كُنْ مِنْ أُمَّةٍ شَهِدَ ابْنِي وَبَنِيكُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٩٧) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فِتْنَةً لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ يَكُنْ لَهُمْ أُولَاءُ مِنْ دُونِهِ وَتَحْسُرُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ عَمِيَائِهِمْ وَبَنِيكُمْ وَصَنَائِهِمْ وَنَجْمِهِمْ كَلَّمَائِهِمْ زِدْنَاهُمْ سَمِيرًا (٩٨) ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَمْ دَأْبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ أَلَمْ تُؤْمِنُوا أَنْ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارْتِيَابٍ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُّوا (٩٩) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تِلْكَ الْخَائِفُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذْ الْأَمْسَ كُنْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قُتُورًا خمس آيات

❁ ❁ ❁

والقوله :
 وسمطه كالبرقع او مرج المجدل
 حينما يخبو
 وحينما ينير

وَكُنَّا كَالْحَرِيِّ أَصَابَ غَايَا فَمِخْبُو سَاعَةِ وَيَتِيرَ سَاعَا
وَالْتَرِ التَّضْيِيقِ وَالتَّوَرِ فَوَلَّ مِنْهُ الْمَجَالِفَةَ وَقَالَ قَرِ يَقْتَرِ وَقْتَرِ وَأَقْتَرِ وَقَرِ إِنْ أَقْدَرَ فِي الْظَفَةِ

❁ الاعراب ❁

كفى بالله القول عذوف وهو الكفاف والياء زيادة وشهداً وتمييز والتقدير كفاك الله من جملة الشهداء
بهذه الله ومن يقابل كلاهما شرط ووحيد الضمير المتصل يهدي ويقابل على العطف ثم قال فلن تجد لهم أولياء
وتحشرهم الخ فجمع الضمير في كل ذلك على المتي وقوله كلما خيت زلتهم سميوا الجملة في موضع الحال من جهنم
لأن جهنم توضع موضع متعلق وتسمى ولولا ذلك لا يجوز عي الحال عنها ويجوز أن تكون الجملة لا محل

لما من الاعراب ويكون في تقدير العاطفة والتقدير وكلما خبت فحذف الواو على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره مجرورين على وجوههم وقوله لو انتم تملكون اتمتم مرفوع قبل مضر يفسره هذا الظاهر الذي هو قوله تملكون لأن لو وقع بها التي لوقع غيره فلا يليها إلا الفعل وإذا وليها اسم عمل فيه فعل مضر قال

لو غيركم على الزور بجبله أدى الجوار إلى بني العوام

معنى الآية

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لمؤلاة المشركين (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) أي رسول الله اليكم وقد مر مثناه في سورة الرعد (انه كان سياده خيراً بصيراً) لا يخفى عليه من احوالهم شيء والمراد به تأكيد الوعيد (ومن يهدي الله فهو المهتد) أي من يمسك الله يهده فهو المهتد بإخلاصه وطاعته على الحقيقة (ومن يضلل) أي ومن يمسك بضلاله (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي لن تجد لهم أنصاراً بقدرت على إزالة اسم الضلال عنهم وقد ذكرنا وجوه الهدى والضلال في سورة البقرة (ونحشرهم) أي نجعلهم (يوم القيامة على وجوههم) أي يسحبون على وجوههم إلى النار وكما فعل في الدنيا بن يالغ في اهاقهم وتمزيه وروى انس بن مالك ان رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال إن الذي أمشاه على رجله في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصحيح (عياها وبكها وصا) قيل للمنى عياها بما يسره بكها عن الحكم بما ينفعهم ضماً عما يجمعهم عن ابن عباس أي كأنهم علموا هذه الجوارح وقيل يحشرون على هذه الصفة عياها كما هموا عن الحق في دار الدنيا بكها جزاء على مسكوتهم عن كفة الاخلاص وصا لتركهم صامع الحق واصطالحهم إلى الباطل قال مقاتل هذا حين يقال لهم اخشعوا قها ولا تملكون أو قيل يحشرون كذلك ثم يسلون يصرون ويسمعون وينطقون عن الحسن (ما واهم جنهم كما خبت زدتهم سعيراً) أي مستغرمهم جهنم كما سكن النهايا زدتهم اشتمالا فيكون كذلك دائماً وحتى قيل كيف يبقى الخي حيا في تلك الحالة من الاشتراق دائماً قلنا ان الله تعالى قادر على ان يجمع وصول النار إلى مقاتلتهم (ذلك) أي ذلك الذي تقدم ذكره من العقاب (جزاؤهم) استحقاقه (بأنهم كذبوا) كذا في النسخ والاصواب كفروا (بأياتنا) أي تكذيبهم بأيات الله (وقالوا أئنا كنا عظاماً ورفاتاً) مثل التراب متروضفين (أئنا لجهنموت خلقاً جديداً) مر مثناه في هذه السورة (أولم يروا) أي أولم يعلموا (ان الله الذي خلق السموات والأرض قادر على ان يخلق مثلهم) لأن القادر على الشيء قادر على امثاله إذا كان له مثل أو أمثال في الجلس وإذا كان قادراً على خلق أمثالهم كان قادراً على إعادتهم إذ الإعادة أهون من الإنشاء في الشاهد وقيل أراد قادر على ان يخلقهم ثانية وأراد بخلقهم إياهم وذلك ان مثل الشيء ومساوئ حاله فيجاز ان يعبر به عن الشيء فبه يقال مثلك لا يفعل كذا بمعنى أنت لا تقبله ونحوه ليس مثله شيء وتم الكلام هنا ثم قال سبحانه (وجعل لهم أجلاً لرب فيه) أي وجعل لإعادتهم وقتاً لا شك فيه انه كائن لا محالة وقيل مثناه وضرب لهم مدة ليفتكروا ويعلموا فيها ان من قدر على الإبقاء قدر على الإعادة وقيل وجعل لهم أجلاً يعيشون اليه ويخشعون عنه لا شك فيه (فأبى الظالمون) لفروهم بالخشون حقها بفعل الماسي إلا كفوراً أي جحوداً بأيات الله ونصه وفي الآية دلالة على ان القادر على الشيء يجب ان يكون قادراً على جنس مثله إذا كان له مثل وعلى انه يجب ان يكون قادراً على ضده لأن منزلته في المقدور منزلة مثله وفيه دلالة أيضاً على انه يقدر على إعادته إذا كان بما يقف وتصح عليه الإعادة ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لمؤلاة الكفار (لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي لو ملكتم خزائن أرزاق الله وقيل لو ملكتم مقصورات ربي أي ما يقدر عليه ربي من التمسك إذ لا يكون له سبحانه موضع يخزن فيه الرحمة ثم يخرج منه كما يكون للعباد ورحمته نعمته (إذا لا مسكتم) شكاً وبخللاً (خشية الاوتان)

أي خشية الفقر والفاقة عن ابن عباس وقادة وقيل خشية أن تفقدوا خفتوا عن السدي والمعنى لأمسكم عن الاضاق خشية الفقر للافاق (وكان الإنسان قوراً) أي يجيلاً عن ابن عباس وقادة وهذا جواب لقولم لن زمن لك حتى تفقر لنا من الأرض يديوكم ويقال ثققت القوم إذا قتلت وأتقها صاحبها أي أقدمها حتى انقصر وظاهر قوله وكان الإنسان قوراً العموم وقد علمنا أن في الناس الجواد والوجه فيه أحد أسرين وهو أن يكون لا أغلب عليهم من ليس بجواد فبماز الاطلاق تنظيلاً للأكبر أيضاً فإن ما يعطيه الإنسان وإن عد جواداً يجل في جنب ما يعطيه الله سبحانه لأن الإنسان إنما يعطي ما يقبل عن حاجته وبمسك ما يحتاج إليه والله سبحانه لا يجوز عليه الحاجة فيفيض من النعم على المطيع والسامي إفاضة من لا يخاف الحاجة

قوله تعالى (١٠١) ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسنل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً (١٠٢) قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشهوراً (١٠٣) فأرد أن يستغفرهم من الأرض فأغر قنأه ومن معه جميعاً (١٠٤) وقتلنا من بعدهم بني إسرائيل أسكنوا الأرض فأذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم ليقيمنا (٥٠١) وبالحق أنزلناه وبحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي وحده لقد علمت بضم اللام والياء تنهض

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة من فتح أن فرعون ومن كان يتبعه قد علموا صحة أمر موسى بدلالة قوله لأن كثفت عنا الرجز لنؤمن لك وقوله وجعلوا بها واستيقظوا أنفسهم ومن قال لقد علمت إذا قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بملمة وعلمه لا يكون حجة على فرعون وإنما يكون علم فرعون بما علم من صحة أمر موسى حجة عليه فالقول أنه لما قيل له إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون كان ذلك قدساً في علمه لأن المجنون لا يعلم فكأنه نفي ذلك فقال لقد علمت صحة ما أتيت به وأنه ليس بسحر علماً صحيحاً كعلم العقلاء نصير العقل حجة عليه من هذا الوجه وزعموا أن هذه القراءة رويت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع»

﴿ الفقة ﴾

الخير الملاك ثبته الله بثبته ويشير لفتان ورجل مشور محبوس عن الظهورات قال

إذا اجاري الشيطان في سنن النبي ومن قال مثله مشور

وقول الرب مأثور عن هذا الأمر أي ما صرفك عتقوا منك منه وفي مصدر قولك لفت الشيء أي حشنته يقال لفتته لفتاً ولفيتاً ومن ذلك قولهم لفت الجيوش ضربت بعضها ببعض فاختلط الجميع قال الزجاج القفيف الجماعات من قبائل شقي

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه قصة موسى «ع» فقال (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي ولقد أعطينا موسى تسع دلالات ووجج واضحات واختلف في هذه الآيات التسع فقيل هي يد موسى وعصاه ولسانه والبحر والطوفات والجراد والقمل والضفادع والدم عن ابن عباس والضفادع وقيل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر

والعسا والطمة والجرج من محمد بن كعب وعن ابي علي الجبائي أيضا إلا انه ذكر بدل الطمة اليد وعن قتادة ومجاهد وعكرمة وعطاء كذلك إلا أنهم ذكروا بدل البحر والطمة والجرج اليد والستين وقصص من الثمرات والطمة هي دعاء موسى وتأمين هارون وقال الحسن مثل ذلك إلا انه جعل الأخذ بالستين وقصص من الثمرات آية واحدة وجعل التاسعة تلفظ العسا ما يأفكون وقيل انها تسم آيات في الاحكام روى عبد الله ابن سلمة عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي قال فأتني الرسول ^{عليه السلام} فسأله عن هذه الآية فقال هو ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا بالبري إلى سلطان ليقتله ولا تسحرُوا ولا تأكلوا الربا ولا تغفلوا المحصنة ولا تولوا الفرائ يوم الزحف وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا في البت فقبل يده وقال أشهد انك نبي (فأسأل بني اسرائيل إذ جاءهم) هذا أمر النبي ^{عليه السلام} ان يسأل بني اسرائيل لتكون الحجة عليهم أبغ وقال ان الحق فأسأل أيها السامع لأن العلم قد وقع بخبر الله تعالى فلا حاجة إلى الرجوع إلى أهل الكتاب وقيل ان معنى السؤال أن تنظر ما في القرآن من أخبار بني اسرائيل عن الحسن وروى عن ابن عباس انه قرأ فقال بني اسرائيل يعني فأسأل موسى فرعون بني اسرائيل أن يرسلهم (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) أي معطي علم السحر فهذه العجائب التي فعلتها من سحره وقيل معناه إني لأظنك ساحرا فوضع المقول موضع الفاعل كما يقال مشوروم ويمرور في معنى شائم ويامن وقيل معناه إنك مسحور فأنت تحمل نفسك على ما تقوله للسحر الذي بك وقيل مسحورا أي مخدوعا عن ابن عباس (قال) موسى (لقد علمت) أنت يا فرعون (ما أنزل) هذه الآيات (إلا رب السموات والأرض) الذي خلقهن (بما ترى) أي أنزلها جميعا ويؤمن الناس يصبرون بها أمور دينهم وقيل أدلة على نبوتك لأنك تعلم انها ليست من السحر وروى ابن علي (ح) قال في علمت والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فقال لقد علمت (وإني لأظنك يا فرعون مشورا) معناه وإني لأعلمك يا فرعون هالك الكفر والكفر وانك تارك عن هذا والحق وقيل أعلمك ملموعا عن ابن عباس وقيل غبولا لا عقل لك عن ابن زيد وقيل بعيدا عن الخير مصروفا عنه عن الفراء وقيل المراد به الظن على الظاهر لأن الملاك يكون بشرط الاسرار ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله (فأراد أن يستفز من الأرض) معناه فأراد فرعون أن يزعج موسى ومن معه من ارض مصر وفلسطين والاردن بالنفي عنها وقيل بأن يقتلهم (فأغرقناه ومن معه) من جوده (جميعا) لم ينج منهم أحد ولم يهلك من بني اسرائيل أحد (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون وقومه (لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض) أي أرض مصر والشام (فلما جاء وعد الآخرة) يعني يوم القيامة عن أكثر المفسرين أي وعد الكثرة الآخرة وقيل أراد تزول عيسى عن الكلي وقادة (جنتا بكم قريبا) معناه جنتا بكم من القبول إلى الموقف الحساب والجزاء فخلط بين بعضكم ببعض لا تصارفون ولا ينجاز أحد منكم إلى قبيله وقيل ليقا أي جميعا أولكم وآخركم عن ابن عباس ومجاهد (وبلحق أولنا) معناه وبلحق أولنا القرآن عليك (وبلحق نزل) القرآن وتأويله أردنا بأنزال القرآن الحق والصواب وهو ان يؤمن به ويعمل بما فيه ونزل بلحق لأنه ضمن الحق ويدعو إلى الحق وقال البلخي يجوز ان يكون المراد أولنا موسى فيكون كقوله وأزلنا الحديد ويجوز ان يكون المراد وأنزلنا الآيات أي وأنزلنا ذلك كما قال ابو عبيدة اشهدني رؤية

فيه خطوط من سواد بلقي كأنه في العين توليع البهق

فقلت له ان أردت الخطوط فقل كأنها وإن اردت السواد والياض فقل كأنها قال فقال لي كان ذلك وتلك (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) مبشرا بالجنة لمن اطاع ومنذرا بالنار لمن عصي

قوله تعالى (١٠٦) وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (١٠٧) قل

آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُوْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِلَّذِينَ سُبِّحَا
(١٠٨) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا مِثْلَ هَذَا فَيَجِرُونَ لِلَّذِينَ سُبِّحُوا
وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١١٠) قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
وَلَا تُجَاهِرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَاتَّجَعَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١١) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرًا

ست آيات

﴿قراءة﴾

القراءة المشهورة في فرقناه بالتخفيف وروى عن علي «ع» وابن مسعود وابن عباس وابن كعب والشامي
والحسن بخلاف وقادة وعمر بن قاتل فرقناه بالتشديد

﴿الحجة﴾

معنى فرقناه فصلناه ونزلناه آية آية وسورة سورة ويدل عليه قوله على مكث والمكث والمكث لثبات

﴿الاعراب﴾

قرآنا منصوب بفعل مضمر يفرضه هذا الظاهر أي وفرقنا قرآنا فرقناه وجاء بالنصب ولم يأت فيه الرفع لأن
صدره فعل وفاعل وهو قوله وبالحق نزلناه على مكث في موضع نصب على الحال أي مشغلا متوقفا غير متعجل
يجرون للآذان في موضع رفع بكونه خبر أن وسجداً نصب على الحال أن كان وعد ربنا أن هذه مخففة من
الثبوت وهي واللام دخلتا للتأكيد أياما تدعو تدعو مجزوم بالشرط الذي يتضمنه أي علامة الجزم فيه سقوط
النون وما من مزيدة مؤكدة للشرط وإياها منصوب بتدعو

﴿المعنى﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وقرآنا فرقناه) أي وانزلنا عليك بالحمد قرآنا فصلناه سوراً وآيات عن
إبي سلم وقيل معناه فرقناه به الحق عن الباطل عن الحسن وقيل معناه جعلنا بعضه خيرا وبعضه امرا وبعضه نهيًا وبعضه
وعدا وبعضه وعيدا وانزلناه متفرقا لم تنزله جميعا إذ كان بين أوله وآخره نيف وعشرين سنة (لتقرأ على الناس
على مكث) أي على ثبوت وتوعدة قوته ليكون أمكن في قلوبهم ويكونوا اندر على التأمل والتفكير فيه
ولا تجعل في تلاوته فلا يفهم عنك عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لتقرأ عليهم متفرقا شيئا بعد شيء (ونزلناه
تنزيلا) على حسب الحاجة وتوقع الحوادث وروى عن ابن عباس أنه قال لأن أقرأ سورة البقرة وارثها أصحابي
من أمي أقرأ القرآن هذا وعن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تقرأوا القرآن في أقل من ثلاث وأقرأوا في سبعم
(قل) يا محمد هو كلام المشرّكين (آمنا به) أي بالقرآن (أو لا تومنون) فإن إيمانكم بغيركم ولا ينفع
غيركم وترككم الإيمان بغيركم ولا يضر غيركم وهذا تهديد لهم وهو جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تهجر لنا
(إن الذين أوتوا العلم من قبله) أي أعطوا علم التوراة من قبل نزول القرآن كعبد الله في ملام وغيره فلمواصة
النبي ﷺ قبل نبعثه عن ابن عباس وقيل إنهم أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم وقيل إنهم أمّة محمد ﷺ عن الحسن
(إذا يتلى عليهم) القرآن (يجرون للآذان سجدوا) أي يسقطون على الوجوه ساجدين عن ابن عباس وقادة
ولمّا خص الذقن لأن من سجد كان أقرب شيء منه إلى الأرض ذقنه والذقن جمع السجدين (ويقولون سبحان

ربنا اي تنزيها لربنا عن اسمه عما يضيف اليه المشركون (ان كان وعد ربنا لمفعولا) انه كان وعد ربنا
مفعولا حقا يقينا ولم يكن وعد ربنا إلا كاتفاً ويجفون للاذقان ييكون (ايه ويسجدون) با كين اشفاقاً من
التقصير في العبادة وشوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب (ويؤيدم) ما في القرآن من الموعظة (خشوعاً) اي تواضعاً
فه تعالى واستسلاماً لأمر الله وطاعته ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين نبوتك (ادعوا
الله لو ادعوا الرحمن) وذكر في مبدء اقوال ﴿احدها﴾ ان النبي ﷺ كان ساجداً ذات ليلة بمكة
يدعو يارحمي ياربهم فقال للمشركون هنا يزعم ان له إلهاً واحداً وهو يدعو شئني عن ابن عباس ﴿وثانيها﴾
ان المشركين قالوا اما الرحيم فنعرفه واما الرحمن فلا نعرفه عن ميمون بن مهران ﴿وثالثها﴾ ان اليهود
قالوا ان ذكر الرحمن في القرآن قليل وهو في التوراة كثير عن الضحاك (اياماً تدعوا فله الاسماء الحسنى) معناه
ايه اسمائه تدعو وما هاتنا صلة كقوله عمائل ليعصم نادعين وقيل هي بمعنى اي شيء كبرت مع اي لاختلاف
اللفظين توكدنا قالوا ما رأيت كآلية ليله وتقديره اي شيء من اسمائه تدعونه به كان جائزاً لأن معنى اوفي
قوله او ادعوا الرحمن الإباحة اي ان دعوتهم احدهما كان جائزاً وان دعوتهم بهما كان جائزاً فله الاسماء الحسنى
لأن اسماء النبي ﷺ صلت حسنة وافعال حسنة فأما اسماؤه المشبهة عن صفات ذاته فهو القادر العالم الخلي السميع
البصير القديم واما اسماؤه المشبهة عن صفات اناله الحسنة فهو الخالق والرازق والمدلل والمحسن والمجمل والليهم
والرحمن والرحيم واما ما أتينا من المعاني الحسنة فتبعو الصمد فإنه يرجع إلى اضاف عباده وهو انهم يصمدونه
في الخواص وهو المعبود والمشكور بين سبحانه في هذه الآية انه شيء واحد وان اخلفت اسماؤه وصفاته وفي الآية
دلالة على ان الاسم عين المسمى وعلى ان تقدم اسمائه الحسنى قبل الدعاء والمسألة مندوب اليه مستحب وفيها ايضاً
دلالة على انه سبحانه لا يفعل القبيح مثل الظلم وغيره لأن اسماءه حيث لا تكون حسنة لأن الاسماء قد تكون
مشقة من الافعال فلو فعل الظلم لاشتق منه اسم الظالم كما اشتق من العدل العادل وقوله (ولا تجهر بصلواتك
ولا تخافت بها) اختلف على اقوال ﴿احدها﴾ ان معناه لا تجهر بالثناء صلاتك عند من يؤذك
ولا تخافت بها عند من يلعنك منها عن الحسن وروى أن النبي ﷺ كان إذا صلى فجهر في صلاته تسمع
له المشركون فشمعوا ذوه فأمره سبحانه يترك الجهر وكان ذلك بمكة في أول الأمر وبه قال سعيد بن جبير
وروي ذلك عن أبي جعفر وابي عبد الله «ح» ﴿وثانيها﴾ ان معناه لا تجهر بدعائك ولا تخافت بها
ولكن بين ذلك فالمراد بالصلاة الدعاء عن مجاهد وعطاء ومكحول ونحوه روي عن ابن عباس ﴿وثالثها﴾
ان معناه لا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافت بها كلها (وايتغ بين ذلك سبيلاً) بأن تجهر بصلوة الليل وتخافت
بصلوة النهار عن أبي مسلم ﴿ورابعا﴾ لا تجهر بها يشغل به من يعلي بقرتك ولا تخافت بها حتى لا تسمع
نفسك عن الجاني وقرب منه ما رواه اصحابنا عن أبي عبد الله «ح» انه قال الجهر بها رفع الصوت شديداً
والخافتة ما لم تسمع اذنيك واقرأ قراءة وسطاً ما بين ذلك وايتغ بين ذلك سبيلاً اي بين الجهر والخافتة ولم يقل
بين ذبيك لأنه اراد به الفعل فهو مثل قوله عوان بين ذلك (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) فيكون موبوا لاراد
لأن رب الارباب لا يجوز ان يكون له ولد (ولم يكن له شريك في الملك) فيكون عاجزاً محتاجاً إلى غير وليه
ولا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة (ولم يكن له ولي من الدن) اي لم يكن له حليف حالف لينصره على من
يتأوته لأن ذلك من صفة الضعيف المأجور ولا يجوز ان يكون الإله بهذه الصفة قال مجاهد لم يزل فيحتاج إلى
من يحموه لأن الله القادر بنفسه وكل ما عدا من دونه فهو ذليل مقهور وقيل معناه ليس له ولي من أهل الدن
لأن الكافر والفاسق لا يكون ولياً لله (وكبره تكبيرا) اي عظمه تعظيلاً لا يساويه تعظيلاً ولا يقاربه وروي
ان النبي ﷺ كان يعلم الله هذه الآية وما قبلها عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقيل ان في هذه
الآية رداً على اليهود والنصارى حين قالوا اتخذ الله الولد وعلى مشركي العرب حيث قالوا لييك لا شريك لك

إلا شريكاً هو لك وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا لولا أولياء الله لنزل الله عن محمد بن كعب التريظي
 سؤال قالوا كيف يحمده سبحانه إن لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الحمد وإنما يستحق على فعل له
 صفة الفضل والجواب الله ليس له الحمد في الآية على أنه لم يفعل وإنما الحمد له سبحانه على أفعاله المحمودة
 وتوجه الحمد إلى من هذه صفة كما يقال أنا أشكر فلاناً بالجميل ولا تشكروه على جهالة بل على أنفاله

(سورة الكهف)

مكية قال ابن عباس إلا آية واحده عسك مع الذين يدعون ربهم فإنها نزلت بالمدنية في قصة عيسى بن
 حصن التزاسية

عدد آياتها

مائة وإحدى عشرة آية بصري وعشر كوفي وست شامي وخمس حجازي

اختلافها

إحدى عشرة آية فودعهم هدى غير الشامي إلا قليل مدني الاخير وإني فاعل ذلك غدا غير الاخير ذرعا ومن
 كل شيء سبيك عراقي شامي والاخير هذه أبداً غير شامي والاخير عندها قولاً غير الكوفي والاخير فاتبع سبب الثلاث
 عراقى بالآخرين أعمالاً عراقى شامي

فضلها

أبي بن كعب عن النبي قال من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة فلان خرج الدجال في تلك
 الأيام الأيام عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ الآية التي سبقت آخرها قل إنما أنا بشر مثلكم الآية حين يأخذ
 مضجعه كان له في مضجعه نور يتلأل إلى الكعبة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه فلان كان
 في مكة فتلاها كان له نوراً يتلأل إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ
 سمرة بن جندب عن النبي قال من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم تقصره فتنة الدجال ومن
 قرأ السورة كلها دخل الجنة وعن النبي قال لا أدلكم على سورة شيها سبعون ألف ملك حين نزلت
 ملأت عظمته ما بين السماء والأرض قالوا بل قال سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى
 الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام واعطي نوراً يبلغ السماء ووقى فتنة الدجال وروى الواقدي بإسناده عن أبي
 الدرداء عن النبي قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرج الدجال لم يضره ومن حفظ
 خواتيم سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة وروى أيضاً بالاستناد عن سعيد بن محمد الجوزي عن أبيه عن
 جده عن النبي قال من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فلان خرج
 الدجال عصم منه وروى العياشي بإسناده عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبد الله ع قال
 من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يميت إلا شهيداً وبشاه الله مع الشهداء ووقف يوم القيامة مع الشهداء
 تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة بني إسرائيل بالتحميد والتوحيد وذكر النبي والقرآن والفتح سورة الكهف
 أيضاً بالتحميد والتوحيد وذكر القرآن والنبي ليتصل أول هذه بآخر تلك اتصال الجبس بالجبس فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (٢) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٣) مَا كُنْثَيْنَ فِيهِ أَبَدًا (٤) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٥) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِإِثْمِهِمْ كَبِيرَتٍ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٦) فَلَمَّا كَلَّمَ بَاخِشٌ قَوْمَهُ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر برواية يحيى بن زكريا بإسناد صحيح من لدنه بإسناد صحيح وكسر الميم والتون وقرأ الباقر بن محمد بن الحسن ومحمد بن عيسى بن عمر والحسن وابن أبي إسحاق والقفطي والأعرج بخلاف وخمرو بن عبيد

— الحجة —

قال أبو علي في لدن ثلاث لغات لدن مثل سبع ويختلف الدال ويكون على ضربين ﴿ أحدهما ﴾ أن يحذف الضمة من الدال فيقال لدن مثل ﴿ والآخرة ﴾ أن يحذف الضمة من الدال ويقتل إلى اللام فيقال لدن مثل عضد في عضد وفي كلا الوجهين يجمع في الكلمة سا كان فن ﴿ قرأ ﴾ من لدنه بكسر التون لأن الكسرة فيه ليست كسرة اعراب وإنما هي كسرة لالتقاء الساكنين وذلك أن الدال اسكتت كما اسكتت اللام في سيم والتون سا كنة فالتالي السا كان فكرر التالي منهما فأما إشباع الدال الضمة فليعلم أن الأصل كان في الكلمة الضمة ومثل ذلك قولهم أنت غزيرين وقولهم قيل اشمت الكسرة فيهما الضمة ليدل على أن الأصل فيهما التعريب بالضم وإن كان الإشباع من لدنه ليس في حركة خرجت إلى الفتحة وإنما هو بيضة الضمة لا خروج الضمة أو الجار في قوله من لدنه فيحتمل ضربين ﴿ أحدهما ﴾ أن يكون صفة متعلقا بشديد ﴿ والآخرة ﴾ أن يكون صفة للفكرة وفيها ذكر الموصوف

﴿ اللفظ ﴾

السج بالفتح فيما يرى كالقناة والخشبة وبالكسر فيما لا يرى شخصاً قائماً كالدين والكلام والقيم والمستمع والباغع القتال المهلك يقال بتم نفسه يعضها يعضاً ويضربها قال ذو الرمة

ألا أيهذا الباغع الوجد في نفسه لشيء فتحه عن يديه المقادر

يريد تحفه فيخفف والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال أسف الرجل فهو أسف وأسيف قال الأعشى

تري رجلاً منهم أسيفاً كأنه يضم إلى كشحه كفا مخضياً

فما نصب على الحال من الكتاب والمائل فيه أنزل وقوله ان لم أبرأ تقديره بأن لم أبرأ يحذف الجار وما كُنْثَيْنَ نصب على الحال في معنى خالد بن وقوله كبرت كلمة اختلفت في نصب كلمة فقال السراج انتصب على تفسير المضمر على حد قولهم نعم رجلاً زيد والتقدير على هذا كبرت الكلمة كلمة ثم حذف الأول دلالة الثاني عليه ومثله كرم رجلاً زيد وقدم صاحباً عمرو ويكون المخصوص بالتكثير هذه المسألة محلوقاً لدلالة صفة عليه والتقدير كلمة تخرج من أفواههم أي كلمة خارجة من أفواههم فيكون مرفوعاً على وجهين ﴿ أحدهما ﴾ أن يكون مبتدأ وما قبلها خبر ﴿ والآخرة ﴾ أن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي كلمة تخرج وقيل انتصب

كلمة على التمييز المنقول عن الفاعل على حد قولك نصبت عرفا وتفتت شعرا والأصل كبرت كلمتهم الخارجة من الواهم قال الشاعر

ولقد علمت ذا الرياح تناوحت هدى الريال تكبهن شيلا

أي تكبهن الرياح شمالا ومن قرأ كبرت كلمة فإنه جعل كلمة فاعل كبرت وجعل قولهم اتخذ الله ولدا كلمة كالأول القصيدة كلمة وعلى هذا فيكون قوله تخرج من الواهم في موضع رفع بكونه صفة لكلمة ولا يجوز أن يكون وصفا لكلمة الظاهرة للنسوبة لأن الوصف يقرب النكرة من المعرفة والتمييز لا يكون معرفة النية ولا يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من كلمة النسوبة لوجهين أحدهما أن الحال يقرم مقام الوصف الثاني أن الحال لا يكون من نكرة في غالب الأمر واسفا منصوب بأنه مصدر وضع موضع الحال ولو كان في غير القرآن لجاز أن لم يؤمنوا بالفتح كما في قول الشاعر

اتخزع ان بان الخليلط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع

- المعنى -

(الحمد لله ، يقول الله سبحانه خلقه قولوا كل الحمد والشكر لله (الذي أنزل على عبده) محمد ﷺ (الكتاب) أي القرآن وانتجبه من خلقه وخصه برسائله فينبه نبي رسولا (ولم يجعل له عوجا قيا) فيه تقديم وتأخير وتقديره الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيا ولم يجعل له عوجا وعنى بقوله قيا معتدلا مستقيما مستويا لا تناقض فيه عن ابن عباس وقيل قيا على سائر الكتب المقدمة بصدقها ويغنيها وينفي البطل عنها وهو ناسخ لشرائها عن الفراء وقيل قيا لامر الدين يلزم الرجوع اليه فيها فهو كقيم الدار الذي يرجع اليه في أمرها عن أبي مسلم وقيل قيادتها يدوم ويثبت إلى يوم القيامة لا ينسخ عن الأصم ولم يجعل له عوجا أي لم يجعله متعرجا لا يفهم وموجعا لا يستقيم وهو معنى قول ابن عباس وقيل لم يجعل فيه اختلافا كما قال عز وجل ١٤٠ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا عن الزجاج ومعنى الموج في الكلام أن يخرج من الصحة إلى الفساد ومن الحق إلى الباطل وما فيه فائدة إلى ما لا فائدة فيه ثم بين سبحانه الغرض من إنزاله فقال (لينذر بأسا شديدا من لدنه) ومعناه ليخوف المبد الذي أنزل عليه الكتاب الناس عذابا شديدا ونكالا وسوطه من عند الله تعالى أن لم يؤمنوا به ويبشروا المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) معناه وليبشروا المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الطاعات بعد الإيمان أن لهم ثوابا حسنا في الآخرة على إيمانهم وطاعتهم في الدنيا وذلك الثواب هو الجنة (ما كئين فيه أبدا) أي لا يئين في ذلك الثواب خالدين مؤبدين لا ينتقلون عنه (وجذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) أي وليحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله وهم قريش عن الحسن ومحمد بن إسحاق وقيل هم اليهود والنصارى عن السدي والكوفي فم جميع الكفار بالإنذار في الآية الأولى وخص في هذه الآية القائلين بعهد لخالقهم لتقليدهم الآباء في ذلك ولا مراهم على الجهل وقلة التفكير ولصدهم الناس عن الدين (ما لم يهن علمولا لا يأتهم) أي ليس لهمؤلاء القائلين بهذا القول الشيع علم به ولا لاصلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل ما هم عليه اليوم وإنما يقولون ذلك عن جهل وتقليد من غير حجة وقيل معناه ليس لهم بالله من علم ولا يأتهم (كبرت كلمة تخرج من الواهم) أي عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء الكفار ووصف الكلمة بالخروج من الأفواه توسما مجازا وإن كانت الكلمة عرضا لا يجوز عليها الدخول والخروج ولا الحركة والسكون ولكن لما كانت الكلمة قد تحفظ وتثبت وتوجد مكتوبة ومقروءة في غير الموضوع الذي فسدت فيه وصفها بالخروج وذكر الأفواه تأكيد والمعنى أنهم صرحوا بهذه الكلمة العظيمة في البيع واطمروها (ان يقولون الأكذبا) أي ما يقول هؤلاء الأكذبا واتقوا على الله (فلملك) يا محمد (بأخ

نفسك على آثامهم) أي مهلك وقتل نفسك على آثام قومك الذين قالوا إن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا فرددناهم على ربهم (إن لم يؤمنوا) أي إن لم يصدقوا بهذا الحديث (أي بهذا القرآن الذي أنزل عليك) أسفا) أي حزنا وتلقفا ووجدا بإلزامهم منك واعراضهم عن قبول ما آتيتهم به وقيل على آثامهم أي بعد موتهم لشدة شفتك عليهم وقيل ممناه من بعد توليهم واعراضهم عنك وقيل أسفا أي غيظا وغضبنا ابن عباس وقتادة وهذه مقابلة من الله سبحانه لرسوله على شدة وجهه وكثرة حرصه على إيمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغا يقربه إلى الملاك

قوله تعالى (٧) إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لئلا يلبسوا أنفسهم أحسن عملا (٨) وإنسا ليعلموا ما عليها صيدا جرزا آيات

(- اللفظة -)

الصيد ظهر الأرض وقال الزجاج الصيد الطريق الذي لا نبات به والجز الأرض التي لا تثبت كأنها تأكل الثبوت كالتقاليد الأرض جز وارضون اجراز وقال سيويه يقال جزرت الأرض فهي مجروزة وجزها اطرز والنم ويقال للسمكة المجذبة للجز لجذبها وبها وقتل أمطارها قال الرازي قد جرتهم السنون الأجراز ويقال اجرز القوم إذا صارت أرضهم جززا وجززهم أرضهم إذا أكلوا نباتها كله

الاعراب

أيهم مرفوع بالابتداء لأن نقطه لفظ الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام أي لنتبصر هذا أحسن علام هذا وهو تطبيق لما في الخبرة من معنى العلم

المعنى

ثم بين سبحانه أنه ابتداء خلقه بالتميم وإن إليه مصير الأمم فقال (إنا جعلنا ما على الأرض) من الأنهار والأشجار والوعاء المغلقات من الجبال والحيوان والنبات (زينة) لها أي حلية للأرض ولأهلها (لنلذوهم أيهم أحسن عملا) أي لنستريحهم ونقنعهم والمعنى لتعامل مبادنا معاملة المتبلى وقد سبق ذكر أمثاله والأحسن عملا الأحسن بلاطة الله والأطرح له وقيل إن معنى الابتلاء الأمر والنهي لأن بهما يظهر العظيم من العاصي وقيل أراد بالزينة الرجال لأنهم زينة الأرض وقيل أراد الاتقياء والصلحاء (وإننا لجلعون ما عليها صيدا جززا) ممنا. وإننا مغربون الأرض بعد عمارتها وجلعون ما عليها مستويا من الأرض بإسبا لنبات عليه وقيل بلاقم من مجاهد وفي قوله أيهم أحسن عملا دلالة على أنه سبحانه أراد من الخلق الصالح وعلى أن انفعالهم الصادرة منهم حادثة من جهنهم ولولا ذلك لما صح الابتلاء وفي ذلك بطلان قول أهل الجبر

قوله تعالى (٩) ألم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (١٠) إذ أوحى آتينا إلى الكهف فقالوا ربنا آتينا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا (١١) فصرنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١٢) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمنا أربع آيات

اللفظة

الكهف الثارة في الجبل إلا أنه واسم فإذا صغر فهو غار والرقيم أصله من الرقيم وهو الكتابة يقال رقيت

الكتاب ارقبه فهو فيل بمعنى مفول كالجريح والقتيل ومنه الرقم في الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه والادرم الحية المنقشة لا فيه من الخطوط وتقول العرب عليك بالرقعة ودع الضقة اي عليك بركة الرادي حيث الماء ودع الجانب والاروى الرجوع والنتية جمع قى وقطة من اسماء الجمع وليس بنات يقاس عليه يقال حي وصبية وغلام وغلمة ولا يقال غني وغنة لأنه غير مطرد في بابه والضرب معروف ومعنى ضربنا على اذانهم سلطانا عليهم التزم وهو من الكلام البالغ في القضاة يقال ضربه الله بالفالج اذا ابتلاه الله به قال قطرب هو كقول العرب ضرب الامير على يد فلان اذا منعه من التصرف قال الأسود بن يعفر وكان ضريبا

ضربت علي الأرض بالاسداد

ومن الموادث لا املك انني

والحزب الجماعة والامد الناية قال النابغة

سبق الجواد اذا استولى على الامد

الا لملك او من انت سابقه

(الاعراب) -

سنين نصب على الظروف وعددا منصوب على ضربين ﴿احدها﴾ على المصدر المعنى تعد مبلدا ويموز ان يكون تمنا لسنين . المعنى سنين ذات عدد قال الزجاج والفائدة في قولك عدد في الاشياء المعدادات انك تريد تأكيد كثرة الشيء لأنه اذا قل فهم مقداره ومقدار عدده فلم يحتاج إلى ان يعد فالعدد في قولك اقمنا بالامداد انك تريد بها الكثرة وجائز ان يؤكد بعدد معنى الجماعة في انها قد خرجت من معنى الواحد قال واما منصوب على نوعين ﴿احدهما﴾ التمييز ﴿والآخر﴾ على احصى امدا فيكون العامل فيه احصى كأنه قال انظروا احصى للأمد امر هؤلاء ويكون منصوبا بلشوا ويكون احصى متعلقا بلما فيكون المعنى أي الحزين احصى للشهم في الامد قال أبو علي ان انتصابه على التمييز عندي غير مستقيم وذلك لأنه لا يخرج من ان يحمل احصى على ان يكون فعلا ماضيا أو فعلا نحر أحسن واعلم فلا يجوز ان يكون احصى بمعنى أفضل ممن كذا وغير مثال لماضي من وجوب ﴿احدها﴾ انه يقال احصى يحصى وفي التثنية احصاه الله ونسوه وأفضل يفعل لا يقال فيه هو افضل من كذا وأما قولهم ما أولاء بالحير وما اعطاه الدرهم فمن الشاذ التائد السني حكمه ان يحفظ ولا يقاس عليه ﴿والآخر﴾ ان ما ينتصب على التمييز في نحو قولهم هو اكثر مالا وافر علما يكون في المعنى فاعلا ألا ترى ان المال هو الذي كثر والعلو هو الذي عز وليس ما في الآية كذلك ألا ترى ان الأمد ليس هو الذي احصى فهو خارج من حد هذه الاسماء وإذا كان ماضيا كان المعنى انهم لم يحزن احصى امدا للشهم فيكون الأمد على هذا منتصبا بأنه مفعول به والعامل فيه احصى

﴿النزول﴾

عبد بن اسحق يستأذنه من سيد بن جبير ومكرمة عن ابن عباس ان النضر بن الحارث بن كلفة وعقبة بن ابي ميط انقضا قريش إلى ابحار اليهود بالمدينة وقالوا لها سلامهم عن محمد وصفا لهم عقته وخبراهم بقوله فإنهم اهل الكتاب الأول وعندهم من علم الاتيان ما ليس عندنا فخرنا حتى قمنا المدينة فسالنا ابحار اليهود عن النبي ﷺ وقالاهم ما قالت قريش فقال لها ابحار اليهود اسألوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه وأبكم سلوه عن ثنية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فلمنه قد كان لهم حديث عيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو في رواية أخرى فلان اخبركم عن الثنتين ولم يخبركم بالروح فهو نبي فانصرفوا إلى مكة قتالا يا معاشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وقصا عليهم القصة فجاؤوا إلى النبي ﷺ فسالوه فقال اخبركم بما أسألكم عنه عدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا

ولا يأتيه جبرائيل حتى أدرج أهل مكة وتكلموا في ذلك فشئ على رسول الله ﷺ ما يتكلم به أهل مكة عليه ثم جاءه جبرائيل (ع) عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ما سأله عنه عن امرئ القيس والرجل الطواف وانزل عليه ويسألوئك عن الروح الآية قال ابن اسحق فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لجبرائيل حين جاءه لقد احببت عني يا جبرائيل فقال له جبرائيل (ع) وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا الآية

(- المعنى -)

(أم حسب) معناه بل احسبت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) فليأتين السابرات والأرض أعجب من هذا عن مجاهد وقتادة ويحتمل أنه لما استبطأ الجواب حين سأله عن القصة قيل له أحسبت أن هذا شيء عجيب حرصا على إيتائهم حتى قري طبعك أنك إذا خبرتهم به آمنوا والمراد بالكهف كهف الجبل الذي أرى إليه القوم الذين قص الله أخبارهم واختلف في معنى الرقيم فقيل أنه اسم الراعي الذي كان فيه الكهف عن ابن عباس والضحاك وقيل الكهف غار في الجبل والرقيم الجبل نفسه عن الحسن وقيل الرقيم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف عن كعب والسدي وقيل هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف ثم وضوه على باب الكهف عن سعيد بن جبير واختاره البلخي والجاني وقيل جعل ذلك القرح في خزائن الملوك لأنه من عجائب الأمور وقيل الرقيم كتاب ولذلك الكتاب خبر فلم يحجر الله تعالى ما فيه عن ابن زيد وقيل أن أصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسد عليهم فقالوا ليدعوا الله تعالى كل واحد منا بصله حتى يفرج الله عنا ففعلوا فنجاهم الله ورواه النعمان بن بشير مرفوعا (إذ أوى القتيبة إلى الكهف) أي اذكر قومك إذ التجأ أو تلك الشبان إلى الكهف وجعلوه مأواهم هربا يدينهم إلى الله (فقالوا) حين أودوا إليه (وبنا أننا من لذك رحمة) أي نعمة ننجو بها من قومنا وفرج عنا ما نزل بنا (وهي) لنا من أمرنا رشدا (أي هي) وأصلح لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد وقيل هي) لنا مخرجا من الدار في سلامة عن ابن عباس وقيل معناه دلنا على أمر فيه نجاتنا لأن الرشد والنجاة بمعنى وقيل يسر لنا من أمرنا ما نقس به رضاك وهو الرشد وقالوا هؤلاء القتيبة قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يحتمون الإسلام خوفا من ملكهم وكان اسم الملك دقيانوس واسم مدينتهم القوس وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدمر إليها ويقتل من خالفه وقيل أنه كان مجوسيا يدعو إلى دين المجوس والقتية كانوا على دين المسيح لما برح أهل الانجيل وقيل كانوا من خواص الملك وكان يسر كل واحد منهم إغانه عن صاحبه ثم اتفقتهم اجتمعوا وانظروا أمرهم فأووا إلى الكهف عن عبيد بن عمير وقيل أنهم كانوا قبل بمث عيسى (ع) فضرى على آذانهم في الكهف ستين عددا) معناه لغناهم ستين ذات عدد وقاويله فأجبت دعاءهم وسدنا آذانهم بالورم الخشب على نفوذ الأصوات إليها ستين كثيرة لأن الثائم إذا يشبه بجماع الصوت ودل سبحانه بذلك على أنهم لم يعرفوا وكفروا نياما في أمن وراحة وجماع نفس وهذا من فصيح لسان القرآن التي لا يمكن أن يترجم بمعنى يوافق الغنظ (ثم بستانهم) أي ايقظناهم من نومهم (لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) أي ليظهر موطئنا على ما علمناه وذكرنا الوجه في أمثاله فيما سبق والمعنى لتنتظر أي الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف بعد أمديتهم وعلم ذلك وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بمدخروهم من بيثهم فيهم الله ليبين ذلك ويظهر وقيل يعني بالحزبين أصحاب الكهف لما استيقظوا اختلفوا في تعداد لبثهم وذلك قوله وكذلك بستانهم لستانوا لبثهم الآية

﴿النظم﴾

اتصل قوله أم حسب أن أصحاب الكهف الآية بما قبلها من وجوه ﴿احدها﴾ أنه لا أخير عن زينة الأرض وعن الابتلاء عقبه بذكر القتيبة التي تركت زينة الدنيا واختارت طاعة الله وفارقت ديارها وأمرها حثا

على الاستعداد بهم ﴿والآخر﴾ أنه اتصل بقوله فطك باع نفسك على آخرهم أي فلا تأسف عليهم لأنه لا يضررك ذكره وإنه ناصرك وحافظك من أعدائك كما حفظ أصحاب الكهف ﴿والثالث﴾ أنه اتصل بقوله ويهيئ المؤمنين أي ويصيرهم كما نصر أصحاب الكهف

قوله تعالى (١٣) نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٤) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض إن ندعو أمرا دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (١٥) هو لا مقومنا اتخذوا من دونه إلها لولا بآئنا لنكوننهم سلاطين بين يمين أظلم من أن نرى على الله كذبا (١٦) وإذا أعزّلتهم وما يعبدون إلا إله فأولوا إلى الكهف ينشركم ربكم من رحمة ويهيئ لكم من أمركم مرققا أربع آيات

﴿القرأة﴾

قرأ أهل المدينة وابن عسّر والأشعث والبرجمي عن أبي بكر مرققا بفتح الميم وكسر التاء، والباقيون مرققا بكسر الميم وفتح التاء.

﴿الحجة﴾

قال الزجاج وذكر قطرب وغيره اللتين جيبا في مرقق الأمر مرفق اليد ومرفق اليد بالكسر أجود قال أبو الحسن مرققا أي شيئا يوقنون به مثل المقطع ونحوه ومرققا جله اسم مثل المسجد أو يكون لغة قال أبو علي قوله جله اسم أي جمل المرقق اسم ولم يحطوه اسم المكان ولا المصدر من رفق يرفق كما كان المسجد ليس باسم الموضع من سجد يسجد وقوله أو يكون لغة أو يحمله في اسم المصدر كما جاء المطلق ونحوه ولو كان معنى القياس لقتعت اللام

— الفنة —

الشطط الحروج من الحد بالنلو فيه واصله مجاوزة الحد في البد وشطت الحارية شطط شططا وشطاطة إذا تجاوزت الحد في الطول واشط في السوم إذا جاوز القدر بالنلو فيه والاعتزال التنحي عن الأمر والتزلزله بناء قال يابيت عاتكة التي انزل

وسمي عمرو بن عبيد واصحابه مشتركة لما امتزوا حلقة الحسن

﴿الإعراب﴾

كسر إنهم فتية على الاستئناف إذ قاموا يشلق يربطنا أي في الوقت الذي قاموا فيه وشططا منصوب على المصدر التي قد قلنا قولنا شططا وما يبدون في موضع نصب مطلقا على الماء والميم في امتزلتهم والميم في الامتناع التي يبدونها من دون الله ويجوز أن تكون ما مصدرية أي وعبادتهم الإجابة لله فحفن المغاف والاستثناء على هذا من الماء والميم وإن جلت ما مرصولة كان الاستثناء من مفعول يبدون استثناء منقطعا

﴿المعنى﴾

ثم بين سبحانه قصة أصحاب الكهف فقال (نحن نقص عليك) أي نتلو عليك يا محمد (نبأهم) أي خبرهم (بالحق) أي بالصدق والصحة (أنهم فتية) أي أحداث وشباب (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أي بصيرة في الدين وروية في الثبات عليه بالأطراف المتوية لدواعيهم إلى الإيمان وحكمهم لهم سبحانه بالقوة لأن رأس الفتوة الإيمان وقيل الفتوة بذل الندي وترك الأذى وترك الشكوى عن مجاهد وقيل هي اجتناب المحارم واشتغال المكالم

(وربطنا على قلوبهم) أي شددنا عليها باللطاف والحواطر القوية للارتياح حتى وطنوا أنفسهم على اظهار الحق والثبات على الدين والصبر على الشاق ومقارعة الوطن (إذ قاموا) أي حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم (فقالوا) بين يديه (ربنا رب السموات والأرض) أي ربنا الذي نعبد خالق السموات والأرض (لن ندعوك من دونه إلهاً) أي لن نعبد إلهاً سواه معه (لقد قلنا إذا شططاً) معناه ان دعونا مع الله إلهاً آخر فقد قلنا إذا قولنا سبحانه غايته في البطلان (مولاهم قرمنا) أي اهل بلدنا (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) يعبدونها (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا يأتون على عبادتهم غشيد الله بحجة ظاهرة وفي هذا ضم زجر للتقليد وإشارة إلى انه لا يجوز ان يقبل دين إلا بحجة واضحة (فمن اظلم ممن اتقى على الله كذباً) فزعم ان له شريكاً في العبادة (وإذا امرتكمهم وما يعبدون إلا الله) قال ابن عباس وهذا من قول تخليفاً وهو رئيس اصحاب الكهف قال لهم فإذا فارقتهم وتنجست عنهم جانباً يعني عبدة الأصنام وفارقتهم ما يعبدون أي اصنامهم إلا الله فانكم لن تقرؤا عبادته وذلك ان او تلك كانوا يشركون بالله ويجوز انه كان فيهم من يعبد الله مع عبادة الأصنام فقال إذا امرتكم الأصنام ولم تتركوا الله ولا عبادته فيكون الاستثناء متصلاً ويجوز ان يكون جميعهم كانوا يعبدون الأوثان من دون الله فيكون الاستثناء منقطعاً (فأنفروا إلى الكهف) أي صيروا إليه واجلوه ماؤماً (يشر لكم ربكم من رحمته) أي ييسر عليكم ربكم من نعمته (ويعيسى) لكم من امركم مرصفاً (أي ويسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأنيكم باليسر والرفق والاعطف من ابن عباس وكما اردت ففهم مرفق وقيل ويصلح لكم من امر مشاكم ما ترتقون به وفي هذا دلالة على عظم منزلة الهجرة في الدين وعلى قبح المقام في دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا باظهار كلمة الكفر وبالله التوفيق

قوله تعالى (١٧) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَّتْ نَزَّاورَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِي اللَّهُ فَبِهِدُ اللَّهُ فَهُوَ أَلْهُمِدُ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً (١٨) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلِّمَهُمْ بِأَنسِطٍ ذِرَاعِيهِ يَأْتُوا صِيدَ لَوْ أطلعت عليهم لَوَكَيْتَ مِنْهُمْ فَرَأَوْا وَلَمَلِثَ مِنْهُمْ رُعباً آيَات

❦ القراءة ❦

قرأ ابن عامر ويعقوب تزود بتشديد الزاي وقرأ أهل الكوفة تزود بالتحفيف والياقوت تزود بتشديد الزاي وقرأ أهل الحجاز الملت بالشديد والياقوت بالتحفيف وفي الشواذ قراءة الجعدي تزود وقراءة الحسن وتقلبهم بتفتح التاء والتاقف والياء وضم اللام

— (الحجة) —

من قرأ تزود فإنه تزود فادغم التاء في الزاي ومن قرأ تزود حذف الثانية وخفف الكلمة بالخلف كما حذف أو تلك بالادغام ومن قرأ تزود فقد قال ابو الحسن لا معنى له في هذا الموضع إذا يقال هو مزور عني أي متعجب عني يدل عليه قول حنيفة

وشكا إلي بعبرة وتمحهم

فازود من وقع القنا بلبانه

قال ابو علي والذي حسن القراءة به قول جرير

صفت عن الاداعس من حيل وفي الاضمان عن طلع ازوداد

فظاهر استعمال هذا في الاطمان مثل استعماله في الشمس وتراود على وزن قاعل وتراود على وزن تعال من الازوداد وقوله ملئت منهم بالتشديد لتكثير قال ابو الحسن الحقيفة أجود لا يكادون يقولون ملا مني رجبا وانما يقولون ملا مني رجبا قال ابو علي يدل على قول ابي الحسن قول امرئ القيس « فلأبينا اقطارنا سنا » وقول الاعشى « وقد ملئت بكر ومن لف لها » وانشدوا في التثنية قول المنبل السدي « فلأ من كسب من حرف سلاسه » ومن قرأ وتقلبهم فإنه نصب بفعل مضمر دل عليه ما قبله فكأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم

الفقه

القرض القطع يقال قرضت المروض إذا قلمته وجاوزته قال الكسائي هو المجازة يقال قرضي فلان يقرضني ويجداني يحذوني بمعنى قال ذو الرمة

الى ظنن يقرضن اجواز مشرف شمالا وعن ايمانن الفوارس

ويستعمل القرض في اشياء غير هذا منه القطع للشوب وغيره ومنه المقرض ومنه قرض الفأ قال ابو الدرداء « ان قارضتهم قارضوك وان تركهم لم يتركوك » يعني ان طمعت فيهم وحببتهم فملوا بك مثله وان تركهم من ذلك لم يتركوك والقراض بلفظ المجاز المضاربة والقرض هو قول الشعر القصيدة منه خاصة دون الرجز ومنه قيل للشر القريض قال الاعراب العجلي « أجزأ تريد أم قريضا » والقبرية المنسج من الارض وجمعه فيوات وقبعا بمدود وفجوة الدار ساحتها والابقاظ جمع يقطو ويقطان قال الرازي « ووجدوا اخوتهم ابقاظا » والرتود جمع راقد ورتديقد وراقدا ورتقدا والوحيد من اوصنت الباب اي اغلقتها وجمعه وصائد ويقال وصيد واصيد واوصدت واصدت مثل ودرت الكتاب ودرخته وودكت الأمر واكدته

الاعراب

وترى الشمس الى قوله وهم في فجوة منه متعلق بالرؤية وقوله إذا طلعت وإذا غربت كلاهما مجزأ بهما في موضع المفعول الثاني والحال والجملة التي هي وهم في فجوة منه في موضع الحال وكلاهما بإسقاط ذراعيهما اسم الفاعل حيث نصب به ذراعيه وان كان بمعنى الماضي لأنه حكايية حال كما قال هذا من شيبته وهذا من عدوه وهذا يشار به إلى الحاضر ولم يكن المشار اليهما حاضرين حين قص القصة على النبي ﷺ ولكنه على تلك الحال قص القصة فهو المحدث كسب في المصنف هنا بغير ياء وفي الاعراب بالياء وحذف الياء جائز في الاسماء خاصة ولا يجوز في الافعال لأن حذف الياء في الفعل دليل الجزم وحذف الياء في الاسماء واقم إذا لم يكن الالف واللام نحو مهتدا دخلت الانوار واللام تترك الحرف على ما كان عليه ودلت الكسرة على الياء المحذوفة قال الزجاج او طلعت بكسر الواو ويجوز الضم والكسر أجود لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة والالف أصل في الالتقاء الساكنين والكسر جاز للضم لأن الضم من جنس الواو ولكنه إذا كان بعد الساكن مضوم فالضم هناك لمن نحر او اتقص قرئ بالضم والكسر فقرأ منصوب على المصدر لأن المعنى ولت فردت رجبا منصوب على التحيز يقال امتلأت فرقا وامتلا الآلاء ماء

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم في الكهف فقال (وترى الشمس) اي لو رأيتها لرأيت (إذا طلعت تراود عن كهفهم ذات اليمين) اي تيل وقت طلوعها عن كهفهم الى جهة اليمين (وإذا غربت تقرضهم) اي تعدل عنهم وتتركهم (ذات الشال) إلى جهة الشمال شمال الكهف اي لا تدخل كهفهم وقيل تقرضهم اي تجاوزهم منصرف عنهم عن ابن عباس (وهم في فجوة منه) اي في مسج من الكهف وقيل في فضاء منه عن قتادة وقيل كان متسا داخل

الكهف بحيث لا يراه من كان بيابه ويتألم نسيم الريح ثم اخبر سبحانه عن لطفه بهم وحفظه اياهم في مضجعهم واختياره لهم اصالح المواضع لرقادهم فبوأهم مكانا من الكهف مستقبلا بنات النش نيل الشمس عنهم طاعة وغاربة كيلا يؤذيه حرها او تثير ألوانهم او تبلي ثيابهم وهم في مشمع ينالمهم فيه روح الريح وكان باب النار مقابل القليب الشمالي (ذلك من آيات الله) اي من ادلته وبرهانه (من يهدي الله فهو المهتد) مثل اصحاب الكهف (ومن يضل قلن تجده لولا مرشدا) مثل قوم اصحاب الكهف (وتحسبهم ايقاظا) أي لو رأيتهم لحسبتهم متبهين (وهم رقود) اي نائسون في الحقيقة قال الجبائي وجماعة لأنهم مقنعو العيون يتشغفون كأنهم يريدون ان يتكلموا ولا يتكلمون وقيل انهم ينقلون كما ينقلب القبطان (وتقطعهم ذات اليمين وذات الشمال) معناه وتقطعهم ثلثة عن اليمين إلى الشمال وثلثة عن الشمال إلى اليمين كما ينقلب الدائم لأنهم لو لم يتقلبوا لاكلتهم الارض ولبليت ثيابهم لظول مكثهم على جانب واحد وقيل كانوا يقيون كل عام ثقلبتين عن ابي هريرة وقيل كان تقطيع كل عام مرة عن ابن عباس وقوله (وكلبهم) قال ابن عباس واكثر للفريسيين انهم هربوا من ملكهم ليلا فمروا براع معه كلب قتبهم على دينهم وتبعه كلبه وقيل انهم مروا بكلب قتبهم فطردوه فناد فقلوا ذلك مراد فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا خيانتنا فانا احب اولياء الله فناموا حتى احرمكم عن كعب وقيل كان ذلك كلب صيدهم وقيل كان ذلك الكلب اصفر اللون من مقاتل وقيل كان اقر واسمه قطير عن ابن عباس وفي تفسير الحسن ان ذلك الكلب مكث هناك ثلاثة مائة وتسع سنين يغير طعام ولا شراب ولا نوم ولا قيام (باسط ذراعيه) هو ان يلقبها على الأرض ميسوطتين كالتراش السبع (بالوصيد) اي بقنا الكهف عن ابن عباس وعجابه وقادة وقيل باباب وقيل بياب الفجوة او فناء الفجوة لا باب الكهف لأن الكفار خرجوا إلى باب الكهف في طلبهم ثم انصرفوا ولو رأوا الكلب على باب النار لدخلوه وكذلك لو كان بالقرب من الباب ولما انصرفوا آيسين منهم فلونهم سدوا باب النار بالحجارة فبما رجل عاشيته إلى باب النار وأخرج الحيازة واتخذ لماشيته كذا عند باب النار وهم كانوا في فجوة من النار عن الجبائي وقيل الوصيد عتبة الباب عن عطاء (لواطلمت عليهم لوليت منهم فرارا) معناه لو اشرفت عليهم ورأيتهم في كهفهم على حالتهم لقررت عنهم واعرضت عنهم هربا لاستيضاقتك الموحش (ولمئت منهم رجا) اي ولى قلبك خوفا وفزعا وذلك ان الله منهم بالرب لئلا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم وقيل كانوا في مكان موحش من رآه فزع ولا يتنعم ان الكفار لا أتوا باب الكهف فزعوا من وحشة المكان فسدوا باب الكهف ليهلكوا فيه وجعل سبحانه ذلك لطفنا لئلا ينالمهم مكروه من سبع وغيره وليكونوا محروسين من كل سوء وقيل انهم كانت اظفارهم قد طالت وكذلك شعورهم ولذلك يأخذ الرب منهم وهذا لا يصح لقوله تعالى حكاية عنهم ليشأ يوما او بعض يوم وروى سيد ابن جبير عن ابن عباس قال غرقت مع معاوية نحو الروم فمروا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرننا اليهم فقلنا له ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك قال الله تعالى لو اطلمت عليهم لوليت منهم فرارا ولملت منهم رجا فقال معاوية لا اتهمي حتى اعلم منهم فيمت رجلا فمادخلوا الكهف ارسل الله عليهم رجلا اخرجهم

قوله تعالى (١٩) وَكَذَلِكَ يَشَاءُ اللَّهُ لِيُنْصِفَ أُولَئِكَ مِنْهُمْ قَالِ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَلْيَمْشُوا أَحَدُكُمْ بَوْرِكَكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْكُلُوا بِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (٢٠) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلَحُوا إِذَا آتَاكُمُ آيَاتَانِ

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو واو يكر وحمة وخلف يورقكم ساكنة الراء والياقون بكسر الراء وروي عن ابي عمرو بالإدغام الكاف في القاف وفي الشواذ قراءة ابي دجا يورقكم بكسر الواو والإدغام

— (الحجة) —

في يورقكم اربع ثلث فتح الواو وكسر الراء وهو الأصل وفتح الواو وسكون الراء وكسر الواو وسكون الراء. والإدغام قال ابن جني هذا عند اصحابنا مخفي غير مدغم لكنه اخفى كسرة القاف فظنوها القراء مدغمة ومما الله لو كانت مدغمة لوجب نقل كسرة القاف إلى الراء كقولهم يورق وبرق ولقراء في هذا حادثة ان يعبروا عن المخفي بالمدغم فاعطف ذلك عليهم

﴿ الإعراب ﴾

كم ليشتم تقديره كم يوما ليشتم فكهم منصوبة بليشتم والميز محذوف الا ترى ان جوابه لبثنا يوما او بض يوم فلينظر ايها الزكي طعاما الجملة التي هي ايها الزكي مفعول فلينظر وطعاما مخفي.

﴿ المعنى ﴾

(وكذلك بستانهم) معناه وكأ فعلنا بهم الامر البصية وحفظناهم تلك المدة المديدة بستانهم من تلك الرقعة واحيناهم من تلك الثمرة التي اشبهت الموت (ليشاءوا بينهم) اي ليكون بينهم تساوئل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم فيشتهروا بذلك على معرفة صانعهم ويزدادوا يقينا الى يقينهم (قال قائل منهم كم ليشتم) في نورقكم (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) قال المنسرون انهم دخلوا الكهف غدوة وبشتم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوما فلما رأوا الشمس قالوا او بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية (قالوا ربكم اعلم بما ليشتم) وهذا القائل هو غلبينا رئيسهم عن ابن عباس رد على ذلك إلى الله تعالى (فامشوا احدكم يورقكم هذه) والورق الدراهم كان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم عن ابن عباس (إلى المدينة) يعني المدينة التي خرجوا منها (فلينظر ايها الزكي طعاما) اي اطعموا واحل ذبيحة عن ابن عباس قال لأن عاصمهم كانت عموسا وفيهم قوم ومثون يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما عن الكوفي وقيل أكثر طعاما من قولهم زكي المال إذا دأب عن عكرمة وذلك لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه وقيل كان من طعام أهل المدينة ما لا يستعمله اصحاب الكهف (فليأتكم برزق منه) اي فليأتكم بما ترزقون اكله (وليتلف) اي وليدقق النظر وينجمل حتى لا يظلم عليه (وقيل وليتلف في الشراء فلا يما كس البائع ولا ينازعه) ولا يشترى بكم احدا) اي لا يغير بكم ولا يماكم احدا من أهل المدينة (إنهم ان يظهروا عليكم) اي يشرفوا ويظلموا عليكم ويسلموا بكم انكم (يروجكم) اي يقتلوكم بالرجم وهو من اخبث القتل عن الحسن وقيل معناه يورقكم ويشتمكم يقال رجمه بلسانه عن ابن جريج (او يبيدوكم في ملتهم) أي يردوكم إلى دينهم (ولن تفلحوا إذا ابدا) معناه وفي قطعكم ذلك ان تفوزوا ابدا بشي من الخير وفي قيل من اكره على الكفر فآظمه فإنه مفلح فكيف تصح الايقاف لجواب يجوز أن يكون أراد يبيدوكم إلى دينهم بالاستعداد دون الإكراه ويجوز أن يكون في ذلك الوقت كان لا يجوز التفتية في اظهار الكفر قوله تعالى (٢١) وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابناؤا عليهم ببيان ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليكم مسجداً (٢٢) سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجبا بالنبي ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعبادهم ما يعلمهم

إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءَ ظَاهَرِهِ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٣) وَلَا تَقُولَنَّ لِي يَدِي
إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٤) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي
لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا ارْشَادًا أَرْبَعُ آيَاتٍ عَدَدُ الْمَدَنِيِّ الْآخِرِ الْاَقْلِيلُ آيَةٌ وَتَرْكُ غَدَا وَعَدُ الْآخِرِ غَدَا آيَةٌ
وَتَرْكُ الْاَقْلِيلِ

❦ القصة ❦

عثر على الشيء يثر عثرًا إذا اطلع عليه واغترت عليه غيري والماتور خفرة تحفر ليصطاد به الاحمد يقال الرجل
إذا تورط وقع في عاتور واصله من العثار والمراء الجندال ما ريت الرجل اماريه مراء

❦ الاعراب ❦

إذا يتنازعون يجوز أن يكون منصوبًا بقوله اعثرناه أي اطلعنا عليهم في وقت المازعة في امرهم ويجوز أن
يكون منصوبًا بقوله ليطمئنا وإنا دخلت الواو في قوله وتامنهم ولم يدخل في الأولين لأن ما هنا عطف جملة على
جملة وهناك وصف التكررة بجملة فإن التقدير هم سبعة وهم ثلاثة فثلاثة مرفوع بأنه خير مبتدأ محذوف وراهم
كلهم وصف الثلاثة وكذلك سادسهم كلهم صفة خمسة وهذا قول علي بن عيسى قال ورفق ما بينها أن السبعة
اصل السبائة في العدد لأن جلال الامور سبعة سبعة واقول قد وجدت لأبي علي الفارسي في هذا كلامًا
طويلاً مألوفًا لك واعذه فضل تهذيب قال إن الجنتين الملبسة احداهما بالآخرى وهي ان تكون غير اجنية
منها على شريين ﴿احدهما﴾ ان تعطف بحرف العطف والآخر ان توصل بها بغير حرف العطف فما يوصل
بها بما قبلها بغير حرف العطف من الجملة على اربعة اشياء ﴿احدها﴾ ان تكون صفة ﴿والآخر﴾ ان
تكون حالًا ﴿والثالث﴾ ان تكون تفسيرًا ﴿والرابع﴾ ان لا تكون على احد هذه الوجوه الثلاثة
لكن يكون في الجملة الثانية ذكر مما في الاولى او معنى فيها فالأول نحو مرتت يوجب اياه قائم وينسلا يقوم
ولا وجه لادخال حرف العطف على هذا لأن الصفة تبين الموصوف وتخصصه فلو عطف خرجت بالصفة من ان
تكون صفة لان العطف ليس الثاني فهو المعطوف فيه بالأول وإنما يترك الثاني في اعراب الأول والصفق هو الموصوف
سبعة المعنى ﴿واما﴾ الثاني وهو ان تكون حالًا فلا مدخل لحرف العطف عليه ايضا لأن الحال مثل الصفة في
انها تفرق بين شيئين او هيأت كما ان الصفة تفرق بين موصوفين او موصوفات وهي مثل المفعول في انهما تكون بعد
كلام تام فكما لا يدخل الحرف العاطف بين الصفة والموصوف ولا بين الموصوف وما قبله كذلك لا يدخل بين الحال
وذي الحال والجملة الواقعة موقع الحال إما ان تكون من فعل وفاعل أو من مبتدأ وخبر نحو رأيت زيدًا بضحك
وجاء زيدًا يوه منطلق قال الشاعر

ولو لا جنان الليل ما آتت عامر إلى جعفر مرياله لم يترق

﴿واما﴾ الثالث وهي الجملة التي تكون تفسيرًا لما قبلها فتفسر قوله وعد الله الذين آمنوا ثم قال لهم مقرة
واجز عظيم فالشعر تفسير الرعد الذي وعدوا فأما قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم ثم قال تؤمنون بالله فتؤمنون
على لفظ الخير ومعناه الامر بدلالة قوله ينتر لكم وحسن ان يكون الأمر على لفظ الخير لزوجه كالتفسير لما قبله
من ذكر التجارة وحكم التفسير أن يكون خبرًا فلذلك حسن كون الأمر على لفظ الخير هنا ﴿واما﴾ الرابع
الذي لا يكون اتصاله على الوجه الثلاثة ويكون في الجملة الثانية ذكر مما في الاولى فإن هذا الوجه يتصل
بما قبله على وجهين ﴿احدهما﴾ بحرف عطف كما بضع الأجنبية ايهاا بحرف عطف وذلك نحو زيد ابوك

واخوه عمرو فهذه قد نزلت منزلة الأجنبية من الأولى في العطف بالواو ونحو قام زيد فخرج عمرو وزيد قائم ويكر خارج والآخر ان يتبع الثانية الأولى بنحو حرف عطف كقوله سبحانه انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ويقول في آية أخرى و كانوا يصرون بالواو وقوله سيقولون ثلاثة رآهم كليمهم ويقولون خمسة سادسهم كليمهم ويقولون سبعة وثامنهم كليمهم والدليل على هذا نوع آخر خارج عن الانواع الثلاثة ان قوله وثامنهم كليمهم بعد الجملة المحذوف مبتدأ لا يخلو من ان يكون حالا او صفة او تفسيرا او جملة منقطعة من الاول ولا يجوز ان يكون في موضع الحال لأن ما قبلها من الكلام لا معنى فعل فيه عاملا في الحال والحال لا بد لها من عامل فيها ولا يمكن ان يجعل المبتدأ المضر هنا وما اشبهه من اساء الاشارة فينتصب الحال عنما لأن المخبر عنهم هاهنا ليسوا بشار اليهم في وقت الاختيار وإنما المراد الإخبار عن عدمه ولو كانوا بحيث يشار اليهم لم يقع الاختلاف في عدمه ولا يجوز أن يكون تفسيرا لأن التفسير هو المضر في المعنى ولا يجوز أن يكون شي من جزء الجملة التي هي راسم كليم شيئا من جزء الجملة التي هي م ثلاثة ولا يجوز أيضا أن يكون صفة للتكرار التي قبلها لأنه لا ينظر في الوصف من احد امرين إما ان يعمل اسم فاعل كما يعمل سائر اساء الفاعلين التجارية على اتصالها فيرفع ما بعده وبما ان يجعل جملة في موضع وصف ولا يعمل اسم الفاعل عمل الفعل فيكون مبتدأ وخيرا ولا يجوز الاول لأنه في معنى الماضي والماضي لا يقدر فيه الاتصال وإنما يقدر في الحاضر والآتى لأنه كما عرّب من الافعال المضارعة ما كان حاضرا وآتيا كذلك لم يعمل الماضي من اساء الفاعلين ولو لا المعنى لم يمتنع اعمال قوله راسم وسادسهم ولا تكون ايضا الجملة صفة لثلاثة كما توصف التكررات بالجلل لأن هذه جملة مسانقة وليست على حد الصفة بل على حد ما بعدها من قوله وثامنهم كليم فحذفت الواو واستغني عنها اذا كانت لما تذكر لتدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما في الأولى كأنه يستغنى به عن ذكر الواو لأن الحرف يدل على اتصاله وما في الجملة من ذكر ما تقدم اتصال ايضا فيستغنى به ويكتفى بذلك منه وهذا فضل جامع في النحو جليل الموقع كثير الفائدة اذا تأمله المتأمل حق التأمل واحكمه اشرف به على كثير من المسائل لأن شأناهم وأما من قال ان هذه الواو واو الثانية واستدل بقوله حتى لوذا جاؤها وفتح أبوابها لأن للجنة ثمانية أبواب فهي لا يعرفه التحويين

معنى

(وكذلك أعرنا عليهم) اي وكأنتهم وبشاهم اطلعا وأعرنا عليهم اهل المدينة وجملة امرهم وحالهم على ما قاله المحققون انهم لما هروا من ملكهم ودخلوا الكهف امر الملك ان يسد عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف فيموتوا عطشا وجوعا وليكن كيهنهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ ان ثم رجلين مؤمنين كتباً شأن الفتية وأنباههم واساءهم وغيرهم في لوح من رصاص وجعله في تابوت من نحاس وجعل التابوت في البنيان الذي بناه على باب الكهف وقال لعل الله ينظر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم حين يقرأون هذا الكتاب ثم انقضى اهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له ندليس وقيل يدوسيس عن محمد بن اسحاق وتغرب الناس في ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع وقال اي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابست لم آية تبين لم بها ان البعث حق واثبت الساعة حق آية لا ريب فيها فألقى الله في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذي فيه الكهف ان يهدم البنيان الذي على قم الكهف فينبئ به حظيرة لئلا تفسد ذلك ويشت الله الفتية من نومهم فأرسلوا احدهم ليطلب لهم طعاما فاطلع الناس على اسمهم وبشروا إلى الملك الصالح بعلومه الخبر ليجعل القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جلها

الله في ملكه فلا يلغى الخبر حمد الله وركب معه مدينته حتى أتوا أهل الكهف فذلك قوله وكذلك أعثرنا عليهم (ليعلموا ان وعد الله) بالثواب والثواب (حق) وإن الساعة لا ريب فيها (أي ان القيامة لا شك فيها فإن من قدر على ان ينجم جماعة تلك المدة المديدة أحياء ثم يوقظهم قدر أبيض على ان ينجيهم ثم يبيحهم بعد ذلك (إذ يتنازعون بينهم أسرم) أي فصلنا ذلك حين تنازعوا في البعث فمنهم من انكروه ومنهم من قال يبعث الأرواح دون الأجسام ومنهم من أثبت البعث فيها وضاف الأمر اليهم لتنازعهم فيه كما يقال ما عشمتم في أسركم عن عكرمة وقيل ان معناه إذ يتنازعون في قدر مكثهم في الكهف وفي عددهم وقيا يفعل بهم بعد ان اطلوا عليهم وذلك انه لما دخل الملك عليهم مع الناس وجعلوا يسألونهم سقطوا ميتين فقال الملك ان هذا الأمر عجب فما ترون فاختلفوا فقال بعضهم اجروا عليهم بنيانا كما تبقى المقابر وقال بعضهم اتخذوا مسجداً على باب الكهف وهذا التنازع كان منهم بعد العلم بيوثهم عن ابن عباس (فقالوا) اي قال مشركو ذلك الوقت (اجروا عليهم بنيانا) أي استوزم من الناس بأن يجلوهم وراء ذلك البنيان كما يقال بنى عليه جداراً إذا حوطه وجعله وراء الجدار (ريهم أعلم بهم) معناه رهم أعلم بحالهم فيها تنازعوا فيه وقيل انه قال ذلك بعضهم ومعناه رهم أي خالفهم الذي أنامهم وبهم أعلم بحالهم وكيفية أسرمهم وقيل معناه رهم أعلم بهم أحياء نيام هم أم أموات فقد قيل انهم ماتوا وقيل انهم لا يموتون إلى يوم القيامة (قال الذين غلبوا على أسرم) يعني الملك المؤمن واصحابه وقيل اولياء اصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد الذين استولوا على أسرم عن الجبابرة (لنتخذن عليهم مسجداً) أي معينا وموضعا لعبادة والسجود يشيد الناس فيبركانهم وذلك على ان الغلبة كانت للمؤمنين وقيل مسجداً يصل فيه اصحاب الكهف إذا استيقظوا عن السكون وقد روي ايضا ان اصحاب الكهف لما دخل صاحبهم اليهم واخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مدة مقامهم سألوا الله تعالى أن يبيدهم إلى حالهم الأولى فأعادم اليها وحال بين من قدم ومن وصل اليهم بأن أرسلهم عن الطريق إلى الكهف الذي كانوا فيه فلم يبتدوا اليه ثم بين سبحانه تنازعهم في عدمه فقال (سيقولون) أي سيقول قوم من المخلفين في عدمه (ثلاثة) أي هم ثلاثة (رايهم كليهم ويقولون) أي سيقول آخرون هم (خمسة سادسهم كليهم رجما بالغيب) أي فذفا بالظن من غير يقين عن قتادة (ويقولون) أي ويقول آخرون هم (سبعة وثامنهم كليهم) وقيل ان هذا اخبار من الله تعالى بأنه سيقع نزاع في عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال العنقية منهم كانوا ثلاثة رايهم كليهم وقالت السطورية كانوا خمسة سادسهم كليهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كليهم (قل) يا محمد (ربي أعلم بمدتهم ما يعلمهم إلا قليل) من الناس عن قتادة وقيل قليل من أهل الكتاب عن عطاء وقال ابن عباس ان من ذلك القليل هم سبعة وثامنهم كليهم والأظهر ان يكون عرف ذلك من جهة النبي ﷺ وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال هم مكسلينا وعجلينا ومرطولس ونيونس وداريونس ودرينس وكشوطيونس وهو الراعي (فلا تمار فيهم) أي فلا تتجادل المخالفين في عددهم وشأنهم (إلا ابراه ظاهرا) أيه وجوه (احدا) من معناه الاتجادلهم إلا بما اظهرنا لك من امرهم عن ابن عباس وقاتدة ومجاهد أي لا تتجادل إلا بحجة ودلالة واخبر من الله سبحانه وهو المراء المظاهر (وثانها) ان المراد لا تتجادلهم إلا جندلا ظاهرا وهو ان تقول لهم أنيتم عددا وخالقكم غيركم وكلا القولين يحتمل الصدق والكذب فلهما بحجة تشهد لكم (وثانها) ان المراد إلا مرا يشده الناس ويضربونه فلو اخبرتهم شيء غير ملا من الناس لكذبوا عليك وليسوا على الضفة فادعوا انهم كانوا يعرفونه لأن ذلك من خواص علومهم (ولا تستفت فيهم منهم احدا) معناه ولا تستشير في أهل الكهف وفي مقدار عددهم من أهل الكتاب احدا ولا تستخبرهم من جهتهم عن ابن عباس ومجاهد وقاتدة والخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره لئلا يرجوا في ذلك إلى مسالة اليهود فإنه كان واقفا بخبر

الله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا إن يشاء الله) قد ذكر في معناه وجوه ﴿١﴾ أحدها ﴿٢﴾ أنه نهي من الله تعالى لشيء ﴿٣﴾ أن يقول إني فاعل شيئا في الغد إلا أن يقيد ذلك بمشيئة الله تعالى فيقول إني شاء الله قال الانش وفيه إشار القبول وتقديره إلا أن تقول إن شاء الله ولا حذف تقول قل إن شاء الله إلى لفظ الاستقبال فيكون هنا تأديبا من الله للعباد وتعلينا لهم أن يفعلوا ما يرغبون به بهذه اللفظة حتى يخرج عن حد القطع فلا يلزمهم كذب أو حث إذا لم يفعلوا ذلك لأنهم وهذا معنى قول ابن عباس ﴿٤﴾ وثانيها ﴿٥﴾ أن قوله إن يشاء الله بمعنى المصدر وتعلق بما تعلق به على ظاهره وتقديره ولا تقولن إني فاعل شيئا غدا إلا مشيئة الله عن افراد وهذا وجه حسن بطابق الظاهر ولا يحتاج فيه إلى بناء الكلام على محذوف ومعناه ولا تقل إني فاعل ما يشاء الله ويريدته وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال لا تقل إني فاعل إلا الطاعات ولا يظن على هذا جواز الاخبار عما يفعل من المباحات التي لا يشاؤها الله تعالى لأن هذا النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم بدلالة أنه لو لم يقل ذلك لم يأثم بلا خلاف ﴿٦﴾ وثالثها ﴿٧﴾ أنه نهي عن أن يقول الإنسان سأفعل غدا وهو يجوز الاخترام قبل أن يفعل ما أخير به فلا يوجد غيره على ما أخير به فهو كذب ولا يأثم أيضا لأن لا يوجد غيره مجدوش من فعل الله تعالى ضر المرض والمعجز وبأن يبدو له هو في ذلك فلا يسلم خيره من الكذب إلا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فإذا قال إني صائر غدا إلى المسجد إن شاء الله آمن من أن يكون غيره هذا كذبا لأن الله تعالى إن شاء أن يلجئه إلى المصير إلى المسجد غدا حصل المصير إليه منه لا محالة فلا يكون غيره هذا كذبا وإن لم يوجد المصير منه إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناء في ذلك من مشيئة الله تعالى عن الجبائي وقد ذكرنا فيما قبل ما جاء في الرواية أن النبي ﴿٨﴾ سئل عن قصة أصحاب الكهف وذوي القرنين فقال أخيركم عنه غدا ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه أياما حتى شق عليه فأنزله الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وقوله (واذكر ربك إذا نسيت) فيه وجهان ﴿٩﴾ أحدهما ﴿١٠﴾ أنه كلام متصل بما قبله ثم اختلف في ذلك فقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت قتل إن شاء الله وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة عن ابن عباس وقد روي ذلك عن أنس (ع) ويمكن أن يكون الوجه فيه أنه إذا استثنى بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد اتصال الكلام في الكلام وفي إبطال الحث وسقوط الكفارة في البين وهو الأظهر بمراد ابن عباس في قوله وقيل فاذا ذكر الاستثناء ما لم تقم من المجلس عن المجلس ومجابه وقيل فاذا ذكر الاستثناء إذا تذكرت ما لم تقطع الكلام وهو الأوجه وقيل معناه واذا ذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بأن تتدبر على ما قطعت عليه من أخير من الأسم ﴿١١﴾ والآخر ﴿١٢﴾ أنه كلام متأنف غير متعلق بما قبله ثم اختلف في معناه فقيل معناه واذا ذكر ربك إذا غضبت بالاستغفار ليزول حلك الغضب عن عكركم وقيل إغفار بالاقطاع إلى الله تعالى ومعناه واذا ذكر ربك إذا نسيت شيئا بك إليه حاسبة يذكره لك عن الجبائي وقيل المراد به الصلاة والمعنى إذا نسيت صلاة فصلها إذا ذكرتها عن الضحاك والسدي قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه أعلم أن للاستثناء الدخول على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل في الإيمان والطلاق والعناق وسائر العقود وما يجري مجراها من الأخيار فإذا دخل في ذلك اتضح التوقف عن إمضاء الكلام ولتصح من لزوم ما يلزم به ولذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى الإنسان في الماضي فيقول قد دخلت الدار إن شاء الله تعالى لينخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبرا قاطعا أو يلزم به حكم وإنما لم يصح دخوله في الماضي على هذا الوجه لأن فيه إظهار الاقتران إلى الله تعالى والمماضي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه أحد ما يشمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص بالطاعات وإعنا جري قول القائل لأفعلن غدا ما علي من الدين أو لأفعلن غدا إن شاء الله مجرى أن يقول إني فاعل إن لطف

الله تعالى فيه وسهله ومتى قصد الخالف هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع منه الفعل ان يكون حاكما او كاذبا لأنه إذا لم يقع علمنا انه لم يلفظ فيه لأنه لا لطف له وهذا الوجه لا يصح ان يقال في الآية لأنه يختص الطاعات والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحا بدلالة اجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنته في كل فعل لم يكن قبيحا وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاعتدال والتخفيف والبقاء على ما هو عليه من الأحوال وهذا هو المراد إذا دخل في المباحث وهذا الوجه يمكن في الآية وقد يدخل في الكلام استثناء المشيئة في الكلام وإن لم يرد به شيء من المتقدم ذكره بل يكون النقص الانقطاع الى الله تعالى من غير أن يقصد به الى شيء من هذه الوجوه ويكون هذا الاستثناء غير محدد به في كونه كاذبا او صادقا لأنه في الحكم كأنه قال لا فعلن كذا إن وصلت إلى مرادى مع انقطاعي إلى الله تعالى واظهارى الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا يمكن في الآية وصلى قول جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها من ينهب إلى خلاف العدل من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد الطاعات من الأفعال دون الماصي لوجب إذا قال عليه الدين لنزهه وطالبه به والله لا أعطيك حقه غدا إن شاء الله ان يكون كاذبا او حاكما إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وان كان لم يقم ولكن يجب أن تلزمه به الكفارة وان لا يؤثر هذا الاستثناء شيء عنده ولا يخرج من كونه حاكما كما انه لو قال والله لا أعطيك حقه غدا ان قام زيد فقام ولم يعطه يكون حاكما وفي التزام الحنف خروج من الاجماع انتهى كلامه رضي الله عنه وقوله (وقل عسى ان يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) معناه قل عسى ربى أن يسطيع من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون اقرب من الرشد وأدل من قصة اصحاب الكهف عن الزواج ثم ان الله سبحانه فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب اخبار المرسلين وآثارهم ما هو واضع في الدلالة واقرب إلى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل ان معناه أدع الله أن يذكر كذا إذا نسبت شيئا وقل ان لم يذكرني الله ذلك الذي نسبت فلو انه يذكرني ما هو أتم لي منه عن الجبابرة

قوله تعالى (٢٥) وَلَيُؤْتِيَنَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٦) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٧) وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ثَلَاثَ آيَاتٍ

❦ الترواة ❦

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ثلاثمائة سنين مضافا بالباقون بالتثنية وقرأوا ولا تشرك بالياء مجزوما ابن عباس وروح وزيد عن يعقوب وسهل والباقون ولا يشرك بالرفع والياء
— الحجة —

قال ابو الحسن يكون السنين ثلاثمائة قال ولا يحسن اضافة المائة إلى السنين لانكاد العرب تقول مائة سنين قال وهو جائز في ذا المعنى وقد يقوله بعض العرب قال ابو علي وبما يدل على صحة قول من قال ثلاثمائة سنين ان هذا الضرب من العدد الذي يضاف في اللغة للشهرة إلى الاحاد غير ثلاثمائة رجل واربعمائة ثوب قد جاء مضافا الى الجمع في قول الشاعر

فأزودوني غير محق عمامة وخمس مجرى منها قسي وزايف

وذلك ان قوله مجرى لا يخلو من ان يكون في الأصل كأنه فعله فجمع على فعل مثل مدرة وسدر أو

يكون قبلة فجمع على فعل مثل بدرة ومائة ومئة قال «عليه السلام الكلاكل والمؤون» والأولى حمله على فعل وأنه خفف كما يخفف في القوافي كقوله «كنهور كان من اعقاب السبي» ثم كسر فاؤه كما يكسر في نحو سلى وقال غيره ان العرب قد تضع الجمع هنا موضع الواحد لأن الأصل أن تكون الاضافة الى الجمع قال الشاعر

ثلاثاين قد مضين كواملا وها أنا ذا قد أجتني مراربع

فبما به على الأصل ومن تون ثلاثا في نصب سنين قولان ﴿اسدما﴾ ان يكون سنين بدلا من ثلاثا او عطف بيان ﴿والآخر﴾ ان يكون تميزا كما تقول عدي عشرة ابطال زينا قال الريم بن ضيع الغزادي

إذا عاش الفتي مائتين عاما فقد ذهب اللذائذ والفناء

قال الزجاج ويحوز أن يكون سنين من نمت المائة فيكون مجرورا وهو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال عنترة فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم
فجعل سودا نعتا لحلوبة وهو في المعنى نمت لجملة العدد قال ابو علي لا يتبع أن يكون الشاعر جعل حلوبة جمعا وسهل سودا وصفا لما وإذا كان المراد به الجمع فلا يتبع أن يقع تفسيرها لغنا القرب من العدد من حيث كان على لفظ الأحاد كما يقال عشرون قرأ وثلاثون قبلا ومن قرأ ولا تشرك بالله فإنه على النبي عن الاشرار والقراءة الأخرى أشبه وأولى لتقدم اسماء النبوة وهو قوله ما لهم من دونه من ولي والمعنى ولا يشرك الله في حكمه أحدا

﴿المعنى﴾

ثم اخبر سبحانه عن مقدار مدة لبثهم فقال (وليثرا في كهفهم ثلاث مائة سنين) معناه واقام اصحاب الكهف من يوم دخلوا الكهف إلى أن يمضهم الله واطلع عليهم الخلق ثلاثا مائة سنة (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين إلا انه استغنى بما تقدم عن اعادة ذكر تفسير التسع كما يقال عدي مائة درهم وخمسة (قل الله اعلم بما لبثوا) معناه ان حاكمي يا محمد أهل الكتاب في ذلك فعل الله اعلم بما لبثوا وذلك ان أهل نيران قالوا اما الثلاثا فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها وقيل ان معناه الله اعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا وحكي عن قتادة انه قال قوله وليثرا في كهفهم الآية حكاية عن قول اليهود وقوى ذلك بقوله قل الله اعلم بما لبثوا فذكر انه سبحانه العالم بمقدار لبثهم دون غيره وقد ضعف هذا الوجه بأن اخبار الله لا ينبغي صرفها إلى الحكاية إلا بدليل قاطع ولو كان الأمر على ما قاله لم تكن مدة لبثهم مذكورة ومن العلوم ان الله سبحانه أراد بالآية الاستدلال على عجيبة قدرته وباهر آيته وذلك لا يتم إلا بمد معرفة مدة لبثهم فالمراد بقوله قل الله اعلم بما لبثوا بمد بين مدة لبثهم ابطال قول أهل الكتاب واختلافهم في مدة لبثهم لتقديره قل يا محمد الله اعلم بمد لبثهم وقد اجابها فقنوا بما اخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب فهو اعلم بذلك منهم (له غيب السماوات والارض) والغب أن يكون الشيء بحيث لا يقع عليه الإدراك أي لا ينبغي عن الله سبحانه شيء لأنه لا يكون بحيث لا يدركه فيعلم ما غلب في السماوات والارض عن إدراك العباد (أبصر به وأسمع) هنا لفظ التعجب ومعناه ما أبصره وأسمعه أي ما أبصر الله تعالى لكل مجسر وما أسمعه لكل سموع فلا يخفى عليه من ذلك وإنا أخرجه مخرج التعجب على وجه التظيم ودوسه ان يهوديا سأل علي بن أبي طالب (ع) عن مدة لبثهم فأخبر بما في القرآن فقال انما نفيد في كتابنا ثلاثا فقال (ع) ذاك بسني الشمس وهذا بسني القمر وقوله (ما لهم من دونه من ولي) أي ليس لأهل السموات

والأرض من دون الله من ناصر يتولى نصرتهم (ولا يشرك) الله (في حكمه أحداً) فلا يجوز أن يحكم حاكم
بشيء ما حكم الله تعالى به وقيل معناه أنه لا يشرك الله في حكمه بما يخير به من التيب أحداً وعلى القراءة الأخرى
معناه ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً ثم قال سبحانه لتبيح لنبيي (واقل ما أوحى اليك من كتاب
ربك) أي وأقرأ عليهم ما أوحى الله اليك من اختيار أصحاب الكهف وغيرهم فإن الحق فيه وقيل معناه اتبع
القرآن وأعمل به (لا يبدل لكلماته) أي لا تغير لما أخبر الله به فيه وما أسره به وعلى هذا فيكون التقدير لا يبدل
لحكم كلماته (ولن تجد من دونه ملتحداً) معناه إن لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ من عباد
وقيل حرزا عن ابن عباس وقيل موقلاً عن قتادة وقيل معدلاً ومحيصاً عن الزجاج وإني مسلم والأقوال متقاربة في
المعنى يقال لحد إلى كذا أو التحد إذا مال إليه

قوله تعالى (٢٨) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
وَلَا تَعْدَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَ مَنْ أَغْلَقْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ
هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٩) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَنصِرُوا يَنْصُرُوا أَجْمَعًا كَأَمْ لَمْ بِشَايِ الْوُجُوهِ بِشِ
الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا آيَاتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عباس وحده بالغداة والباقون بالغداة وفي الشواذ قراءة الحسن ولا تعد عينك وقراءة عمرو بن فائد
من اغلقت قلبه

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي أما غداة فهو اسم موضوع للتعريف وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف واللام
كما لا تدخل على سائر الأعلام وإن كانت قد كتبت في المصنف بالواو ولم يبدل على ذلك كما أنهم كثبوا
الصلوة بالواو وهي الف وحجة من أدخل اللام المعرفة عليها أنه قد يجوز وإن كانت معرفة إن تشكر كما حكاه
أبو زيد من أنهم يقولون لتبيح فينة والفينة بعد الفينة فينة مثل غداة في التعريف بدلالة امتناع الانصراف وقد
دخلت عليه لام التعريف وذلك أن يقدر من أمة كلها له مثل هذا الاسم فيدخل التشكيك لذلك ويقوي هذا
ثبوتية الأعلام وجمعها وقوله «لا يمين اليمين للمعطي» وقوله أما الغداة فلا فقرة لك فاجري ما يكون شاملاً
في الجنس وكذلك الغداة وأما قوله ولا تعد عينك فإنه منقول من عدت عينك إذا جاوزها وهو من
قولهم جاء القوم عند زيد أي جاوز بهم زيدا ثم قل إلى أعديت عيني عن كذا أي صرفتها عنه قال الشاعر

حتى لحنا بهم تعدي فوارسنا كأننا رعن قف ترفع الألا

أي تعدي فوارسنا خيلهم عن كذا فعذف المفعول بعد المفعول أو تعديها من عدا الفرس أي جرى وعلى
أن أصلها واحد لأن الفرس إذا عدا فقد جاوز مكاناً إلى غيره وأما من قرأ من اغلقت قلبه فمعناه ولا تطعم من
غلظت غافلين عنه وهو من قولهم اغلظت الرجل أي وجده غافلاً قال الاعشى

أثوى وقصر إليه ليزودا ومضى واخلف من قبيلة موعدا

أي صادقة مخلفا

● ● ●

الفرط التجاوز للحق والخروج عنه من قولهم الفرط انفرط إذا اسرف والمرادق التسطاط المحيط بما فيه ويقال السراقق ثوب يدار حول التسطاط قال رؤبة

يا حكم بن النضر بن الجارود مرادف للجد عليك ممدود
والهل خثارة الزيت وقيل هو النحاس النائب والمرتفق التكاثر من الرقيق يقال ارتفق إذا انكأ على مرفقه
قال أبو ذؤيب

بات الحلي وبت الليل مرتفعا
كأن عيني فيها الصاب مذبح

تزلت الآية الأولى في سلمان والي ذر وصيب وعمار وحباب وغيرهم من فقهاء اصحاب النبي ﷺ وذلك
 ان اللوثة ظفروهم جاءوا إلى رسول الله ﷺ عينة بن الحارث والاقراع بن حابس وذوهم فقالوا يا رسول الله
 ان جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء رواتج صانهم وكانت عليهم جبات الصوف جلينا نحن اليك
 وأخذنا عنك فلا يجتئنا من الدخول عليك إلا هؤلاء فلما تزلت الآية قام النبي ﷺ يلتمسهم فأصابعهم في مؤخر
 المسجد يذكرهم الله عز وجل فقال الحمد لله الذي لم يجتئني حتى أمرني ان اصبر قسي مع رجال من أمي معكم
 المحياصمكم الممان

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالصبر مع المؤمنين فقال (واصبر نفسك) يا محمد أي اجلس نفسك مع الذين يدعونهم بالعدالة والنبي أي يدعونهم على الصلاة والدعاء عند الصباح والمساء ليشغلهم غيره ويستفتونهم يومهم بالدعاء ويستحثونه بالدعاء (أي يريدون وجهه) أي رضوانه وقيل يريدون تطعيمه والقرية إليه دون الرياء والسمعة (ولا تدعنا عنكم) أي ولا تتجاوز عنا كمنهم النظمي أي غير من أبناء الدنيا (تدبر في الحياة الدنيا) تريد في موضع الحال أي مربي الجماعة فعل الشرف والنهي وكان النبي ﷺ حريصاً على إيمان العقلاء من المشركين طمعاً في إيمان اتباعهم ولم يلم إلى الدنيا وزينتها قط ولا إلى أهلها وإنما كان يلين في بعض الأحيان للروضاء طمعاً في إيمانهم فغرت بهذه الآية وأمر بالاقبال على فقراء المؤمنين وإن لم يرفع بصره عنهم مريداً معالجة الأشراف (ولا نطع من اغتلب قلبه عن ذكرنا) قيل في معناه أقوال (احصوا) أي احصوا انتم الله ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا جريشاً للفتنة ولهذا قال واتبعه هواء ومثله فلما زاعروا أزعاجاً أزعاج قلوبهم (وتأنيبها) أي تنبها قلبه إلى الفتنة كما يقال أكره إذا نبه إلى الكفر وساء كما قرأ أكره لأكبر

وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسي ومذنب

وَالثَّامِيُ أَخْغَلَا قَلْبَهُ حَادِفَاهُ غَاغَلَا عَنْ ذِكْرِنَا كَمَا قَالَتْ الْعَرَبُ سَأَلْنَا كَيْفَا أَغْمَعْنَاكُمْ وَقَاتَلْنَاكُمْ مَا أَجْبَأَكُمْ وَرَابِعُهُمَا أَخْغَلَا قَلْبَهُ أَيِ جَلَدَاهُ غَلَا لَمْ نَسْمَعْ بِسَمَةِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ نَعْلَمْ فِيهِ عِلَامَةَ الْمُؤْمِنِينَ لَعَنَهُ الْمَلَائِكَةُ بِتِلْكَ السِّمَةِ فَقَوْلُ الْعَرَبِ أَخْغَلُ فُلَانٌ مِثْلُهُ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِسَمَةِ تَعْرِفُ ﴿وَخَامِسُهُمَا﴾ إِنْ مَعْنَاهُ لَا تَطْعُ مَنْ تَرَكْنَا قَلْبَهُ خَذَلْنَاهُ وَخَلَيْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ بِحُرْكَ أَمْرِنَا عَنْ الْحَسَنِ (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) أَيِ لَا تَطْعُ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ فِي شَهْوَاهِهِ وَاتَّقَالَهُ (وَكَانَ أَمْرُهُ فَرَطًا) أَيِ سَرَفًا وَفَرَطًا عَنِ الْمَقَاتِلِ وَالْجَبَائِثِ وَقِيلَ تَبَاوَزَ الْجَاهِدَ عَنْ الْإِخْشَاقِ وَقِيلَ شَيْعَا وَهَلَاكَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالسَّيِّئِ قَالَ الزَّجَّاجُ وَمَنْ قَدِمَ الْعَجِزُ فِي أَمْرِهِ إِشَاعَهُ وَأَهْلَكَهُ فَيَكُونُ الْمُنَى فِي هَذَا أَنَّهُ تَرَكَ الْإِيمَانَ وَالْإِسْتِدْلَالَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهَوَى ثُمَّ قَالَ سَبَّحَانَهُ (وَقُلْ) يَا مُحَمَّدُ لَهُوَالَهُ الَّذِينَ أَمْرُوكَ

بتنحية الفقراء (الحق من ربكم) اي هذا الحق من ربكم يعني القرآن وقيل معناه الذي أتيتكم به الحق عن الزجاج من ربكم يعني لم أتكم به من قبل قسي وإنما أتيتكم به من قبل الله وقيل معناه ظهرت الحجة ووضح الحق من ربكم وزالت الشبهة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا وعيد من الله سبحانه وانذار ولذلك عقب بقوله (انا اعتدنا) وانما جاز التهديد بلفظ الأمر لأن المهدد كالأمور بإهانة نفسه ومعناه فليختار كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفون الله تعالى بإيمانهم ولا يشرونه بكفرهم وإنما يرجع النعم والضر اليهم (انا اعتدنا) اي هيأنا واعتدنا (الظالمين) اي الكافرين الذين ظلموا انفسهم بعبادة غير الله تعالى (نارا احاط بهم سرادقها) والسرادق حائط من نار يحيط بهم عن ابن عباس وقيل هو دخان النار ولها به يصل اليهم قبل وصولهم اليها وهو الذي في قوله الى ظل ذي ثلاث شعب عن قتادة وقيل اراد ان النار احاطت بهم من جميع جوانبهم فنيه ذلك في السرادق عن أبي مسلم (وان يستشيوا) من شدة العطش وحر النار (ينأتوا بماء كالملح) وهو كل شيء اذيب كالصالح والفساد والضر عن ابن مسعود وقيل كمعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة رأسه روى ذلك من روى عن ابي كندري الزيت عن ابن عباس وقيل هو القمح والدمن عن مجاهد وقيل هو الذي انتهى حرقه عن سعيد ابن جبير وقيل انه ماء اسود وان جهنم سوداء وماؤها اسود وشجرها اسود واهلها سود عن الضحاك (يشوي الوجوه) اي ينضجها عند دونه ويحرقها وانما جعل سبحانه ذلك اغاثة لا فتراته بذكر الإغاثة (شرب الشراب) ذلك المثل (وسامت) النار (مرققا) اي متكئا لهم قيل سامت مجتمعا مأخوذ من المرافقة وهي الاجتماع عن مجاهد وقيل منزل ومستقرا عن ابن عباس وعطفا

قوله تعالى (٣٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣١) أُولَئِكَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَبْلَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَثِرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مَرْقَقًا آيَاتُنَا

❦ الآية ❦

العدن الإقامة يقال عدن بالمكان يمدن عدنا والاسوار جمع اسوار على حذف الزيادة لأن الاصل اساور عن قطرب والبي عبدة وقيل جمع اسورة واسورة جمع سوار عن الزجاج وهو سوار اليد بالكسر وقد سكي سوار بالضم والسندس ما رق من الديباخ واحده مقدمة والاستبرق النظيف من الديباخ وقيل هو الحرير قال قال المرقق

تراهن يلبسن للمشاعر مرة
والأرائك جمع أريكة وهي السرير قال
حدود جفت في السير حتى كأنما
ياشرن بالمعزاء مس الأرائك
قال الزجاج الأرائك القرش في الحجال قال الأعمى
بين ألرواق وجانب من سيرها
منها وبين أريكة الأنصار

❦ الأعراب ❦

قيل في خبر ان الذين آمنوا أقوال ❦ أحدها ❦ انه قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا وعلى هذا فيكون في الخبر محذوفا كأنه لا نضيع اجر من احسن عملا منهم ❦ والثاني ❦ ان يكون الخبير أو لك لهم جنت عدن ويكون انا لا نضيع الخ اعراضا بين الاسم والخبر ❦ والثالث ❦ ان المعنى انا لا نضيع اجرهم لأن من

احسن عملاً في المعنى هم الذين آمنوا

« المعنى » -

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بذكر الوعد فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الطاعات (انما لانفع أجراً من احسن عملاً) اي لا تترك اعمالهم تذهب شيئاً بل نجازهم ونوفهم أجورهم من غير بخل (أو أنك لهم جنات عدن) اي اقامتم لأتيم يقون فيها بقاء الله تعالى أبداً وقيل عدن بلدان الجنة اي وسطها وهي جنة من الجنات عن ابن مسعود وعلى هذا فإنما جمع لسمتها ولأن كل ناحية منها تصلح ان تكون جنة (تجري من تحتهم الأنهار) لأتيم على غرضها الجنة كما قال وهم في الغرفات آمنون وقيل ان انهار الجنة تجري في أخاديد من الأرض فلذلك قال تجري من تحتهم الأنهار (يطولون فيها من اساور من ذهب) اي يجعل لهم فيها حلًى من اساور وقيل انه يعطى كل واحد ثلاثة اساور سوار من فضة وسوار من ذهب وسوار من لؤلؤة ويقالون عن سعيد بن جبير (ويلبسون ثياباً خضراء من سندس واستبرق) اي من الديباج الرقيق والنفيل وقيل إن الاستبرق فارسي معرب اصله استبره قيل هو الديباج النسوج بالذهب (متكئين فيها على الأرائك) اي متكئين في تلك الجنات على السرر في الحجال وانما قال متكئين لأن الاتكاء يفيد انهم متمتعون في الأمن والراحة لأن المؤمن لا يتكئ الا في حال الأمن والسلامة (نعم الثواب) اي طالب ثوابهم وعظم عن ابن عباس (وحسن) الأرائك (مرتقفاً) اي موضع ارتفاق وقيل منزلاً ومجلساً ومجلساً

قوله تعالى (٣٢) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا ل أَحَدَهُمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٣) كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا أَكْلُهُمَا وَلَمْ يَقْلُمَا مِنْهُ شَيْئًا وَفَعَرَا خَلًّا لَّهُمَا نَهْرًا (٣٤) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٥) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٦) وَمَا أَظُنُّ أَلْسَاعَةً قَائِمَةً وَلَكِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا خمس آيات

(القراءة) -

قرأ ابو جعفر وعاصم ومقبوب وسهل وكان له ثمر واحيط بثمره في الموضعين بالفتح والواو رويس في الاول وقرأ ابو عمرو وبضم اللام وسكون الهم في الموضعين والباقيون بضم اللام والميم في الحرفين وقرأ اهل الحجاز وابن عامر خيراً انتهى بزيادة ميم وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ اهل العراق منها بغير ميم

الحجة

قال ابو علي الشجرة ما ينجى من ذبى الثمر وجميعها ثمرات ويجمع على ثمر كقبرة وقبر وعلى ثمار كقبة ورتاب وعلى هذا تشبيه المخلوقات بغير المخلوقات وقد يشبه كل واحد منهما بالآخر ويجوز في القياس ان يكسر ثمار على ثمر ككتاب وكتب وقراءة ابي عمرو وكان له ثمر يجوز ان يكون جمع ثاراً كما يحذف كتب ويجوز ان يكون ثمر جمع ثمرة كبدة ويدن وخشبة وخشب ويجوز ان يكون ثمر واحدة كمنقح وطيب فلي اي هذه الوجوه كانت جاز اسكان الميم منه كذلك في قوله واحيط بثمره وقال بعض اهل اللغة الثمر المال والتمر الماكول وجاء في التفسير قريب من هذا قالوا الثمر النخل والشجر ولم يرد به الثمرة والتمر على ما روي عن عدة من السلف بل الأصول التي تعمل الثمرة لا قس الثمر بدلالة قوله فأصبح يقلب كفيه على ما اتفق فيها اي في الجنة والنفقة إنما تكون على ذوات الثمرة في اغلب العرف وكانت الآفة التي ارسلت اليها اصطلمت

الاصول واجتاحتها كما جاء في صفات الجنة الاخرى فاصبحت كالصريم اي كالليل في سوادها لاحتراقها و كالتهار في رايضها وسابل من خضرتها بالآفة النازلة بها وحكي عن ابي عمرو الثمر والتمر انواع المال فإذا اصطلم الثمر فاجتبيح دخل الثمرة فيه ولا يمكن ان يصاب الأصل ولا تصاب الثمرة وإذا كان كذلك فمن قرأ بشعره وغره كان قوله ابين من قرأ بالفتح ويجوز القراءة بالفتح كأنه اخبر عن بعض ما اصاب وامسك عن بعض وقوله خيراً منها متغلباً فالافراد لا نه اقرب إلى الجنة المفردة في قوله ودخل جنته والثنية لتقديم ذكر الجنة

ثمة الثمة

حب القوم بالشيء إذا اطافوا به وحفاظا الشيء جانيها كأنهما اطافا به قال طرحة
 كأن جناحي مضرجي نكفنا حفايه شكاً في ألمسبب بمسرد
 والمعاودة مراجعة الكلام في المخاطبة ويقال كلمت فلاناً فمارجع إلى حوار ومعوذة وسواها

الاعراب

إنما قال انت على لفظ كلمنا فإنه بمنزلة كل في انه مفرد المفعول قال اتنا على المعنى لجاز قال الشاعر في التوحيد
 وكلتاها قد خط لي في صحيفتي فلا ألميش أهواه ولا الموت أروح

المعنى

ثم ضرب الله لمباه مثلاً يستفيهم به إلى طاعته ويذجرهم عن معصيته وكثر ان نعمته فقال مخاطباً لنبيه
 (واضرب لهم مثلاً رجلين) روي عن ابن عباس انه قال يريد ابي ملك كان في بني اسرائيل توفي وترك
 اثنين وترك مالا جزيلاً فأخذ احداهما حقه منه وهو المؤمن منهما لتقرب إلى الله تعالى واخذ الآخر حقه فتملك به
 ضياعاً منها هاتين الجنات وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم انه يريد رجلاً كان له بستانان كبيران كثيراً
 الثمار كما حكى سبحانه وكان له جار فقير فأتى على الفقير وقال له انا أكثر منك مالا واعر تقرأ وهذا البقي
 بالظاهر (جعلنا لأحدهما جنتين) اي بستانين اجتهما الاشجار (من احطاب وحفظاهما يدخل) اي جعلنا النخل
 مطعياً بهما (وجعلنا بينهما زرعاً) اي وجعلنا بين البستانين مزرعة فكلت النعمة بالحب والتمر والزرع (كلنا
 الجنتين آتت اكلها) اي كل واحدة من البستانين آتت ثمرتها وأغرحت ثمرتها وصماه اكلاً لأنه ما كؤل (ولم
 نعلم منه شيئاً) اي لم نقص منه شيئاً بل ادته على التام والكمال كما قال الشاعر

يظلمني مالي كذا ولوى يدي لو يئده الله الذي هو غالبه

اي ينقصني مالي (ونفرا خلاهما نهر) اي شققنا وسط الجنتين نهرًا يسقيهما حتى يكون الماء قريباً منهما
 يصل اليهما من غير كد وتعب ويكون ثمرهما وزرعهما يدوم الماء فيهما او في وأردى (وكان له ثمر) قيل
 ان معناه وكان للنخل الذي فيها ثمر وقيل معناه وكان الرجل ثمر ملكه من غير جنتيه كما ملك الناس ثماراً
 لا يملكون اصلها من ابن عباس وقيل كان لهذا الرجل مع هذين البستانين الذهب والفضة عن مجاهد وقيل كان
 له معهما جميع الاموال عن قتادة وابن عباس في رواية اخرى (فقال لصاحبه وهو يحاوره) اي فقال للكاتب
 لصاحبه المؤمن وهو مخاطبه ويراجعه في الكلام (انا أكثر منك مالا واعر تقرأ) اي اعز عشرة ورهطاً وسمى
 الشيرة نهرًا لأنهم يغرورن منه في حوائجه وقيل معناه اعز خنفاً وولداً عن قتادة ومقاتل (ودخل جنته وهو ظالم
 لنفسه) اي ودخل الكفار بستانه وهو ظالم لنفسه بكفره وعصيانه (قال ما أظن ان تبيدهذه ابداً) اي ما اقدر ان
 تنفني هذه الجنة وهذه الثمار ابداً وقيل يريد ما اظن هذه الدنيا تنفني ابداً (وما اظن الساعة قائم) اي وما احسب
 الساعة آتية كائنه على ما يقوله الملحون (ولئن رددت إلى ربي لأجلن خيراتها متغلباً) معناه ولئن كانت القيامة

والبعث حقا كما يقوله الموحدون لا يجدن خيرا من هذه الجنة قال الزجاج وهذا يدل على ان صاحبه المؤمن قد اعلمه ان الساعة تقوم وانه يبعث فأجاب به بأن قال له ولئن رددت إلى ربّي اي كما اعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الآخرة افضل منها لكرامي عليه ظن الجاهل انه اوتي ما اوتي لكرامته على الله تعالى وقيل بمناله لا كسبه في الآخرة خيرا من هذه التي اكتسبها في الدنيا ومن قرأ منهما رد الكفاية إلى المجتنبين الثمين تقدم ذكرهما وفي هذا دلالة على انه لم يكن قاطعا على تقي الماد بل كان شاك فيه

قوله تعالى (٣٧) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا (٣٨) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٩) وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا (٤٠) فَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْمِنَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحُ صَيْدًا زَلْفًا (٤١) أَوْ يُصْبِحُ مَاوًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤٢) وَأُحِيطْ بِشَرِّهِ فَيَصْبِحُ يَلْبَسُ كَفِيَّةً عَلَى مَا تَأْتِي فِيهَا وَهِيَ خَاطِيَةٌ عَلَى عُرْوَةٍ وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٣) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ بَنَصْرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٤) هَٰذَا الَّذِي الْوَلَاةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ثمانية آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابن مليح والبرجي ويعقوب لکنا بآيات الالف في الوصل والوقف وقرأ الباقون لکن يحذف الالف في الوصل وقرأ البخاري لورش بالوجهين بالوصل ولا خلاف في اثبات الالف في الوقف إلا تقيده فانه قرأ بنجر الف في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة ابي بن كعب والحسن لکن انا وقراءة عيسى الثقفي لکن هو الله ربّي وقرأ البرجي عن ابي بكر غورا بضم النين هاهنا وفي الملك وقرأ ولم يكن له فيه بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقون ولم تكن لئاء وقرأ ابو عمرو والولاية بفتح الواو والله الحق بالرفع وقرأ الكسائي والولاية بكسر الواو والحق بالرفع وقرأ حمزة وخلق والولاية بكسر الواو والحق بالجر وقرأ الباقون والولاية بفتح الواو والحق بالجر

﴿ الحجة ﴾

وقرأ عاصم وحمزة وخلف عجا ساكنة التالف والباقون بضم التالف قال الزجاج من قرأ لکنا بتشديد النون فهو لکن انا في الأصل فطرحت الحمزة على النون فحذف بالفتح فصار لکن لکن بتوئين مفتوحين فاجتمع الحرفان من جنس واحد فأدغمت النون الاولى في الثانية وحذفت الالف في الوصل لأن الف انا ثبتت في الوقف وتحذف في الأصل في اجود اللغات نحو ان قمت بضم الالف ويجوز انا قمت بآيات الالف وهو ضعيف جدا ومن قرأ لکنا فأنبت الالف في الوصل فانه على لغة من قال انا قمت فأنبت الالف قال الشاعر

حميداً قد تذریت ألسنا

انا شبيخ ألمشيرة فاعرفوني

إلا ان اثبات الالف في لکنا هو البعيد لأن الحمزة قد حذفت من انا فصار اثبات الالف عوضاً من الحمزة قال ابو علي لا ارى قوله ان اثبات الالف هو البعيد لأنه صار عوضاً من الحمزة كما قال لأن هذه

الألف تلحق الوقف مثل الماء في ماويه وحساويه والماء في مثل هنا الطرف مثل الف الوصل في ذلك الطرف فكان أنابت حمزة الوصل في الوصل خطأ كذلك الماء والألف في الوصل خطأ فلا يلزم أن يثبت عوض من الحمزة المعذوفة ألا ترى أن الحمزة في ويلمه قد حذفت حذفاً على غير ما يوجب قياس التخفيف ولا يعوض منها فأن لا يعوض منها في التخفيف القياسي اجدر لأن الحمزة هنا في تقدير الثبات ولو لا ذلك لم يحرك حرف اللين في نحو جيل في حبال ومونة في مونة قال وقد تحي هذه الألف مثبته في الشعر نحو قول الأعشى

فكيف انا وانتحالي ألقواي بعد المشيب كفى ذلك عارا

وقول الآخر انا شيخ المشيرة البيت ولا يكون ذلك عتاراً في القراءة ومن قرأ لكناً في الوصل فإنه يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يجعل الضمير المحصل مثل المتفصل الذي هو نحن فيدغم التون من لكن لسكونها في التون من علامة الضمير فيكون على هذا لكناً باثبات الألف وصلادوقفا لا غير الا ترى ان احدا لا يحذف الألف من نحو فتا قوله هو الله ربي ضمير الحديث والقصة كما انه في قوله فإن ذا هي شاخصة وقوله فل هو فاته احد كذلك التقدير الامر الله احد لأن هذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر فيصير المبتدأ والخبر موضع خبره كما انه في ان وكان وظفت وما يدخل على المبتدأ والخبر كذلك وعاد الضمير على الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ولو عاد على اللفظ لكان لكناً هو الله ربنا ودخلت لكن مخفية على الضمير كادخلت في قوله انا معكم والوجه الآخر ان سيويه حكى انه سمع من يقول اعطني ايضاً فتشدد والحق الماء بالتشديد للوقف والماء مثل الألف في سبهاء والياء في عيلى واجرى الماء مجزئاً في الاطلاق كما كانت مثلهما في نحو قوله

صفية قومی ولا تجزعی وہی النساء علی حمزہ

فهذا الذي حكاه سيبويه في الكلام وليس في شعر وكذلك الآية يكون الألف فيها كالماء ولا يكون الماء الغوف الا ترى ان الماء الغوف لا يبين بها العرب ولا ما ضارح العرب فكل واحد هذين الوجهين يكون قول من اثبت الألف في الوصل او عليهما جيما ولو كانت فاصلة لكانت مثل ما أضلونا السبيل (واما) قراءة أبي لكن انالهي الاصل في قراءة الجماعة لكن على ما تقدم بيناه لأن الف انا نحذف في الوصل قال الشاعر

وَرَمَيْتَنِي بِالطَّرَفِ أَيِ أَنْتَ مَذْنُوبٌ وَتَقْلِيْتَنِي لَكِنْ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي

أي لكن أنا وأما مرفوع بالإجاءة وغيره الجملة المركبة من المبتدأ والخبر التي هي هو الله ربّي والمائد على المبتدأ من الجملة الباء في ربّي ومن قرأ لكن هو الله ربّي فاعرابه واضح وأما من قرأ غورا فيمكن أن يكون غورا لنة في غور وإما جاز أن يقع المصدر موقع الصفة الجائفة كما قال الشاعر

نظل جياده نوحا عليه مقلدة أعتبها صفونا

وأما قوله ولم يكن له نية بالياء فإن الياء والتاء هنا حسن وأما قوله هنالك الولاية لله الحق فقد حكى أبو عبيدة عن أبي عمرو أن الولاية هنا لحن لأن الكسر في فعالة يجيء فيها كان صفة ومعنى متعللاً كالكتابة والإمارة والمخلاة وما أشبه ذلك وليس هنا معنى تولى أمر إنما هو الولاية من الدين وكذلك التي في الأفعال ما لكم من ولايتهم من شيء وقال بعض أهل القلة الولاية التصريح يقال من أهل ولاية عليك أي متناصرون عليك والولاية ولاية السلطان قال وقد يجوز التفتح في هذه والكسر في تلك كما قالوا الولاية والولاية والولاية بمعنى واحد فلي هنا يجوز الكسر في الولاية في هذا الموضع ومن كسر القاف من الحق فحمله من وصف الله تعالى وصفه بالحق وهو مصدر كما وصفه بالعدل والسلام والمعنى ذو الحق وذو السلام وكذلك الإله معنى ذو العبادة ويدل عليه قوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين ومن رفع الحق حمله صفة للولاية ومعنى وصف الولاية

بالحق انه لا يشوبها غيره ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق واما قوله عقبا فلان ما كان على فعل جاز تخفيفه على ما تقدم ذكره

❦ اللغة ❦

أصل الحسيان السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكان ذلك من رمي الأسورة وأصل الباب الحساب وإنما يقال لما يرمى به حساب لأنه يكثر كثرة الحساب قال الزجاج الصيد الطريق الذي لا نبات فيه والزلق الأرض المسوية لا نبات فيها ولا شئ وأصل الزلق ما تزلق عنه الأقدام فلا يثبت عليه

❦ الإعراب ❦

ما شاء الله يحتمل أن يكون ما رضاء وتقديره الأمر ما شاء الله فيكون موصولا والضمير العائد إليه يكون محذوفا لطول الكلام ويجوز أن يكون التقدير ما شاء الله كأنه يحتمل أن يكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجواب ويكون الجواب محذوفا وتقديره أي شيء شاء الله كأنه كان ومثله في حذف الجواب قوله فلان استعملت أن تبغني ففقا في الأرض أن ترن أنا أقل ممنصب بأنه مفعول ثان لترن وأنا إن شئت كان توكدنا أو وصفا لياك الحكم وإن شئت كان فصلا كما تقول كنت أنت القائم يا هذا قاله الزجاج ويجوز رفع أقل وقد قرأ بها عيسى بن عمر فيكون أنا مبتدأ وأقل خبره والجملة في موضع نصب بأن يكون المفعول الثاني لترني وقوله فمسي القاء جواب قوله أن ترني وتووبا وعقبا منصوبان على التمييز

❦ المعنى ❦

ثم بين سبحانه جواب المؤمن للكافر فقال (قال له صاحبه وهو يحاوره) أي يخاطبه ويبيحه مكثرا له بما قاله (أكررت بالذي خلقك من تراب) يعني أصل الخلقة أي خلق أبالك من تراب وهو آدم (ع) وقيل لما كانت الطلقة خلقها الله سبحانه بجري المادة من الغذاء والفداء بنبت من تراب جاز أن يقول خلقك من تراب (ثم من نطفة ثم سواك رجلا) أي تملك من حال إلى حال حتى جعلك بشرا سويا مستدل الخلقة والقائمة وإنما كثره ليلتكاه الماد وفي هذا دلالة على الشك في البعث والنشور كثر (لصكنا هو الله ربي) تقديره لكن أنا أقول هو الله ربي وخالفني ورازي فلان اخترت علي بدنياك فلان اختارني بالتوحيد (ولا أشرك بربي أحدا) أي لا أشرك ببادتي إياه أحدا سواء بل أوجهها إليه وحده خالصا وإنما استعمال الشرك في العبادة لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم وبالنعم التي لا يوزنها نعمة منعم وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ثم قال (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماذا الله لا قوة إلا بالله) معناه وقال لصاحبه الكافر هلا حين دخلت بستانك قرأت تلك الثار والزرع شكرت الله تعالى وقلت ما شاء الله كان وإني وإن تميت في جمعه وعمرته فليس ذلك إلا بقدره الله وتيسيره ولو شاء لخال بيني وبين ذلك ولتزع البركة منه فلو أنه يتقوى أحد على ما في يديه من النعمة إلا بالله ولا يكون له إلا ما شاء الله ثم رجع إلى نفسه فقال (أن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فمسي ربي أن يوتين خيرا من جنتك) معناه إن كنت تراني اليوم فقيرا أقل منك مالا وعشيرة وأولادا فقل الله أن يوتي شيئا خيرا من بستانك في الآخرة أو في الدنيا والآخرة (ورسول عليها حسابات من السما) أي ورسول على جنتك عذابا أو نارا من السما فيعرقها من ابن عباس وقادة وقيل يرسل عليها عذاب حساب وذلك الحسان حساب ما كسبت يداك من الزجاج وقيل ويرسل عليها مرامي من عذابها أما يردا وأما حيازة أو غيرها مما يشاء من أنواع العذاب (فتصحب صيدا زلقا) أي أرضا مستوية لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أضر أرض من بعد أن كانت أنفع أرض (أو يصحب مازعا غورا) أي غائرا ذاهبا في باطن ناهض منقطعا فيكون أعم أرض لها بعد أن كانت أوجد أرض لها (فلن تستطيع له طلبا) أي فلن تقدر على طلبه إذا غادر ولا بقي له أثر فطلبه فلن تستطيع رده قبل

مناه فلن تستطيع طلب غير ذلك المأبداً عنه إلى هنا انتهى مناظره صاحبه وانذاره ثم قال سبحانه (وأحيط بشئره) مناه اهلك وأحيط المذاب بأشجاره ونحوه فهلكت عن آخرها تقول أحيط ببني فلان إذا هلكوا من آخرهم وأصل الاحاطة ادارة الحائط على الشئ وفي الخبر ان الله عز وجل أرسل عليها ناراً فأهلكها وغار ماؤها (فأصبح) هذا الكافر (يقب كفيه) تأسفاً وتحرماً (على ما أنفق فيها) من المال وهو أن يضرب يديه واحدة على الأخرى من ابن عباس وتقبل الكفين يغط للنام كثيراً فصار جارة من الندم (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سوقها وما عرش لكرومها وذلك ان السقف ينهدم اولاً ثم ينهدم الحائط على السقف فيقول ان العروش الأبنية ومناه خالية على بيوتها قد ذهب شجرها وبقيت جدرانها لا خير فيها (ويقولوا يا ليتني لم اشرك بربنا احداً) ندم على الكفر فناء ماله لا لوجوب الإيمان فلم ينفعه ولو قدم على الكفر فلأن بالله تحقيقاً لا تتنفع به وقيل انه ندم على ما كان منه من الشرك بالله تعالى وآمن (ولم تكن له فتنة يصرونه من دون الله) أي لم يكن لهذا الكافر جاعل فيدفع عذاب الله عنه وقيل الفتنة الجند قال السجاء « كما يجوز الفتنة الكسبي » (وما كان مستصراً) أي وما كان متمسكاً بعتاده قيل مناه وما كان مستدراً يدل ما ذهب عنه قال ابن عباس وهذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات في قوله اني كان لي قرين يقول انئتك لمن المصدقين إلى قوله فاطلم فرأه في سواه الجسيم وروى هشام بن سالم وابن ابي عثان عن الصادق (ع) قال عجبت لمن خاف كيف لا يقزع إلى قوله سبحانه حسبت اني سمعت الله يقول بقبحها فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء وعجبت لمن أنتم كيف لا يقزع إلى قوله لا إله إلا انت سبحانه إلى كنت من الظالمين فالذي سمعت الله سبحانه يقول بقبحها فاستجبنا له ونجينا من التهم وكذلك ننجي المؤمنين وعجبت لمن سكر به كيف لا يقزع إلى قوله وأفرض أمري إلى الله ان الله بصير بالباد فالذي سمعت الله عز وجل يقول بقبحها فوقع الله سيئات ما سكروا وعجبت لمن أراد الدنيا وذبيتها كيف لا يقزع إلى قوله ما شاء الله لا قوة إلا بالله فالذي سمعت الله يقول بقبحها ففسى ربي أن يوتين خيراً من جنتك وعسى موجبة وقوله (هناك الولاية) الخ) أخبر سبحانه ان في ذلك الوضع وفي ذلك الوقت الذي يتنازع فيه الكافر والمؤمن الولاية بالنصرة والازالة عز وجل فهو الذي يتولى أسراده المؤمنين وعالك النصرة لمن أراد وقبل هناك إشارة إلى يوم القيامة وتقديره الولاية يوم القيامة لله يريد يومئذ يتولون المؤمنون به ويتبرؤن مما كانوا يبعدون عن القبيح وقبل مناه هناك ينصر المؤمنين ويخذل الكافرين فالولاية يومئذ خالصة له لا يملكها احد من المباد (هو خير ثوابا) أي هو افضل ثوابا ممن يرجي ثوابا على تقدير لو كان يبيع غيره لكان هو خير ثوابا (وخير عقاباً) أي عاقبة طامته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير عقب طاعة ثم حذف المضاف إليه والقب والحق والمالحة يعني

قوله تعالى (٤٥) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مِثْلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتَزَلَّاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ شَيْعًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا (٤٦) أَمْ أَلُمَّا وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خِירٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمْ لَمْ (٤٧) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَخَبَّرْنَا نَاهِمٌ فَلَمَّ نَفَادُوا مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٨) وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَمًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٩) وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِنْهُ يَبْئُتُونَ بِأَوَّلِنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاها وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا خمس آيات

❁ القراءة ❁

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويوم تسيير بضم التاء وفتح اليا. الجبال رفح والباقون نسير بالنون وكسر اليا. والجبال نصب

-(الحجة)-

قال ابو علي حجة من بني النعل للمفحول به قوله وسيرت الجبال وقوله وإذا الجبال سيرت ومن قرأ نسير فلا أنه أشبه بما بعده من قوله وحشرناهم فلم نقادرهم احدا

== والله ==

المشيم ما يكسر ويعظم من ييس النبات والذر والتندرية تطير الريح الأشياء الخفية في كل جهة يقال ذرته الريح تذرده وذرتة وأذرتة وأذريت الرجل عن الدابة إذا التيته منها قال الشاعر

فقلت له صوت ولا تجهذه فيذكرك من أخرى القطاة فيزلي

والمناذرة الترك ومنه التندر لأنه ترك لوقاه ومنه التندير ترك الماء فيه والاشفاق الخوف من وقوع مكروه مع تجويز أن لا يقع وأصله الرقة ومنه الشفق الحيرة الرقية التي تكون في الساء وشفقة الانسان على ولده رقة عليه

❁ الأعراب ❁

صفا نصب على الحال أي مصفرين. ان لن تجبل ان هذه مخففة من التثنية ولن تجبل لكم موعدا خبره وقال قد كتبت في المصنف اللام مفصلة ولا وجه له. لا يتأخر في وضع نصب على الحال

❁ المعنى ❁

ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يضرب المثل للحياة الدنيا فيها وترغيا في الآخرة فقال (واضرب) يا محمد لهم مثل الحياة الدنيا كما أتولاه من الساء فاختلط به نبات الأرض) أي نبت بذلك الماء نبات الخلف بضه يبيض يروق حسنا وغضاظة وهذا مفسر في سورة يونس (ع) (فأصبح هشيا) أي كسيرا مقتنا (تذرده الرياح) تشقه من موضع إلى موضع فاقطع الدنيا كاتقلاب هذا النبات (وكان الله على كل شيء مقتدا) أي قادرا لا يحوز عليه النعم قال الحسن أي كان الله مقتدرا على كل شيء قبل كونه قال الزجاج وتأويله ان ما شاهدتم من قدرته ليس بمحدث وانه كذلك كان لم يزل هذا مذهب سيويه وقيل انه اخبار من الماضي ودلالة على المستقبل وهذا المثل إنما هو للتكبرين الذين اغتروا بأموالهم واستكفوا من مجالسة فقراء المؤمنين اخبرهم الله سبحانه أن ما كان من الدنيا لا يرد الله سبحانه به فهو كالنبت الحسن على الطر لا مادة له فهو يروق ماخالطه ذلك الماء فإذا انقطع عنه عاد هشيا لا يتنعم به ثم قال المال والنون زينة الحياة الدنيا) أي يتفاخر بها ويتزين بها في الدنيا ولا يتنعم بها في الآخرة وإنما ساءها زينة لأن في المال جلاولا في البنين قوة ودفا فصار زينة الحياة الدنيا وكلاهما لا يبقى للانسان فينتفع به في الآخرة (والباقيات الصالحات) وهي الطاعات تعالى وجميع الحسنات لأن ثوابها يبقى ابدا من ابن عباس وقتادة (خير عند ربك ثوابا وخير املا) أي افضل ثوابا واصدق املا من المال والبنين وسائر زهرات الدنيا فالن من الامال كواذب وهذا أمل لا يكذب لان من عمل الطاعة وجد ما يأمله عليها من الثواب وقيل ان الباقيات الصالحات هي ما كان يأتي به سلمان وصهيب وقراء المسلمين وهو سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر من ابن عباس في رواية عطا ومجاهد وعكرمة وروى انس ابن مالك عن النبي ﷺ انه قال جلسائه خذوا جنتكم قالوا احذو عدو قال خذوا جنتكم من النار قالوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فلوهم التقديمات ومن المصبات ومن المقيبات ومن الباقيات الصالحات ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) عن آباءه عن النبي ﷺ ثم قال ولذكر الله اكبر قال ذكر الله

عند ما احل اوحرم وروي عن النبي ﷺ ، انه قال ان صيرتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدو ان تعاهدوه فلا تميزوا عن قولي سبحان الله والحسنة ولا إله الا الله والله اكبر فاؤنه من الباقيات الصالحات تقولوا وقيل هي الصلوات الحسن عن ابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق والزهني وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وروي عنه ايضا ان الباقيات الصالحات القيام بالليل صلاة الليل وقيل ان الباقيات الصالحات من البنات الصالحات والاولى جماعا على المهرم فيدخل فيها جميع الطاعات والحيرات وفي كتاب ابن خنثة أن ابا عبد الله (ع) قال لا يصح من عبد ربحن ياحسين لا تستمر مودتنا فاؤنه من الباقيات الصالحات قال ابن رسول الله ما استصرها ولكن احمد الله عليها ولما سبت الطاعات صالحات لانها اصل الاعمال لا تصفك من حيث امر بها ووعد الثواب عليها وتوعد بالعقاب على تركها (يوم نسير الجبال) قيل انه يتعلق بما قبله وتقديره والباقيات الصالحات غير ثوابي هذا اليوم وقيل انه ابتداء كلام وتقديره واذكر يوم نسير الجبال يعني يوم القيامة وتسير الجبال قطعها اما كتبها فون الله سيطنه بقلها ويحملها هيا مشورا وقيل نسيرها على وجه الأرض كأن نسير السطح في السماء ثم يحملها كسيما ميلا كما قال يوم ترجف الأرض والجبال الاية ثم يصيرها كاهن المنقوش ثم يصيرها هيا منبثا في الهواء كما قال وبست الجبال يسا فكانت هيا منبثا ثم يصيرها هياقة السراب كقالب وسيرت الجبال فكانت سرابا (وقرى الارض بارزة) اي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل او يناء او شجر يسترها عن هيون الناظرين وقيل ان معناه وقرى باطن الأرض ظاهرا قدر من كان في بطنها فصاروا على ظهورها عن عطا وتقديره وقرى ما في الأرض بارزا فهو مثل قول النبي ﷺ ترمي الأرض بأفلاذ كبدها (وحشروناهم) اي وبشروناهم من قبورهم وجمعناهم في الموقف (فلم نقادر منهم احدا) اي فلم نترك منهم احدا إلا حشرناه (وعرضوا على ربك) يعني المحشورين يعرضون على الله تعالى يوم القيامة (صفا) اي مصفوفين كل ذمرة وامة صفا وقيل يعرضون صفا بعد صف كالصقوف في الصلاة وقيل يعرضون صفا واحدا لا يحجب بعضهم بعضا ويقال لهم (لقد جئتنا كما خلقناكم اول مرة) معناه لقد جئتنا خضعاء قراء عاجزين في الموضع الذي لا يملك فيه الحكم قبرنا كما كنتم في ابتداء الخلق لا تملكون شيئا وقيل معناه ليس معكم شيء مما اكتسبوه في الدنيا من الأموال والأولاد والحلم تخشعون به كما كنتم في اول الخلق وروي عن النبي ﷺ انه قال ان الله يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حاة عراة مولا فقلت عاتشة يا رسول الله اما يستحي بعضهم من بعض في بعض قتال ﷺ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (بل زعمتم ان ان نجعل لكم موعدا) اي ويقال لهم ايضا بل زعمتم في دار الدنيا ان الله لم يجعل لكم موعدا لاجت والجزاء والحساب يوم القيامة (ورضع الكتاب) اي ورضع الكتب فون الكتاب اسم جنس والمعنى ورضعت مصاطف بني آدم في ايتيمهم وقيل معناه ورضع الحساب فبوع الحساب بالكتاب لانهم يجاسبون على اعلمهم المكتوبة عن الكافي (قرى الجرمين مشقين ما فيه) اي خافقين ما فيه من الأعمال السيئة (ويقرلون ياويلتنا) هذه لفظة يقولها الإنسان إذا وقع في شدة فديو على نفسه بالويل واليبؤ (ما لهذا الكتاب) أي اي شيء لهذا الكتاب (لا يتادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها) اي لا يترك صغيرة من الذنوب ولا كبيرة إلا عددها واثبتها وحواسها وقد مر تفسير الصغيرة والكبيرة في سورة النساء واث الصغيرة والكبيرة بمعنى القلة والحسنة (ووجدوا ما عملوا حاشرا) اي مكتوبا في الكتاب مثبتا وقيل معناه وجدوا جزءا ما عملوا حاشرا فيجمل وجود الجزء كوجود الأعمال توسا (ولا ينظلم ربك احدا) معناه ولا ينقص ربك ثواب حسن ولا يزيد في عقاب مسي وفي هذا دلالة على انه سبحانه لا يقاب الأطفال لانه إذا كان لا يزيد في عوبة الذنب فكيف ينقص من لئس يذن

قوله تعالى (٥٠) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَسْتَعِذُّونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْ لِيَاءَهُ مِنْ دُونِهِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ الظَّالِمِينَ

بدلاً (٥١) مَا أَشْهَدْنَاهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَعَدِّينَ
الْأُصْلَاحُ عَصْدًا (٥٢) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ثَلَاثَ آيَاتٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ما شهدناهم بالنون على التثنية والباءون ما شهدتهم بالطاء وقرأ حمزة وباقون والباءون والباءون بالياء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ تقول بالنون حمله على ما تقدم في المعنى فكما ان كنت للمتكلم وكذلك تقول ومن قرأ بالياء فحجت ان الكلام قد انتفى فالمعنى ويوم يقول الله نادوا شركائي وهذا يقرى القراءة بالياء لانه لو كانت بالنون لكان الاشبه ان يقول نادوا شركاءنا

— (الفقه) —

التساقط الخروج إلى حال تضر يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وفسقت الثارة إذا خرجت من جبرها قال روية

يهودين في فجدوغورا غائرا فواسقا عن قصدها جواثرا

قال ابو عبيدة هذه التسمية لم نسما في شيء من اشار الجاهلية ولا احاديثها وإنما تكلم بها العرب بعد نزول القرآن وقال المبرد الأمر على ما ذكره ابو عبيدة وهي كلمة فصية على السنة العرب وقال قطرب فسق عن امر ربه اي من رد امر ربه فكلهم كسوته عن عرى وأطعته من جوع والعصا ما بين المرفق إلى الكف وفيه خمس لثات عصا وعصا وعصا وعصا وعصا وعصا فثلاثا اعنته وفلان عصدي استارة واضعده اي استمان قال تغلب كل شيء حال بين شيئين فهو موبق من موبق يوق وبوقا إذا هلك وحكى الزجاج وبق الرجل يوق وبوقا

﴿ الاعراب ﴾

يش للظالمين بدلا اسم يش مضر فسر بقوله بدلا وقوله للظالمين فصل بين يش وبين ما انتصب على التثنية وللتقدير يش البذل للظالمين ذرية ابليس فذرية ابليس هو المخلص بالنم عن اي على القاري

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ ان يذكر هؤلاء المكابرين عن مجالسة اقتراف قصة ابليس وما اورثه الكبير فقال (وإذ قلنا) اي واذكر يا محمد إذ قلنا (للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا ابليس) قد مر تفسيره فها تقدم وإنما تقرر هذا القول في القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج اتصاله به فهو كالمعنى الذي يفيد امرا في مواضع كثيرة للاخبار عنه باخبار متلفعة وقوله (كان من الجن) من قال ان ابليس لم يكن من الملائكة استدل بهذا لأن الجن غير الملائكة كما انهم غير الانس ومن قال انه كان من الملائكة قال ان المعنى كان من الذين يستقرون من الانصار مأخوذ من الجن وهو الستر وقيل كان من قبيل من الملائكة يقال هم الجن كانوا خزان الجنان فأضيفوا اليها كقولك كرفي وبصري وضف الأولون هذين الوجهين لأن لفظ الجن إذا أطلق فالفهوم منه هذا الجنس المعروف لا للملائكة (فسق عن امر ربه) اي خرج عن طاعته ربه ثم خاطب الله سبحانه المشر كين فقال (اقتضدوه وقدرته اولياء من دوالي وهم لكم عدو) فانه اقتبحون لمر ابليس وامر ذريته وتخذلوههم اولياء تتولونهم

بالطاعة من دوني وهم جميعا أعداء لكم والمائل حقيق بأن يتهم عدوه على نفسه وهذا استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ قال مجاهد ذرته الشياطين وقال الحسن الخن من ذريته (بش للظالمين بدلا) تقديره بش البدل للظالمين بدلا ومناه بشما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس عن الحسن وقيل بش البدل طاعة الشياطين عن طاعة الرحمن عن قتادة (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) أي ما أحضرت إبليس وذريته خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم مستعينين بهم على ذلك ولا استغنت بعضهم على خلق بعض وهذا اخبار عن كمال قدرته واستغاثته عن الأنصار والأعوان ويدل عليه قوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أي الشياطين الذين يضلون الناس امرأتا يعضدونني عليه وكثيرا ما يستعمل العضد بمعنى العون وإنما وحده هنا لوافق التواضع وقيل أن معنى الآية أنكم تبشتم الشيطان كما يتبع من يكون عنده علم لا ينال إلا من جهته وأنا ما أطعتهم على خلق السموات والأرض ولا على خلق أنفسهم ولم أعطهم العلم بأنه كيف تخلق الأشياء فمن أين تبشرونهم وقيل معناه ما أحضرت مشركي العرب وهؤلاء الكفار خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم أي وما أحضرت بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقهم فمن أين قالوا إن الملائكة نبات الله ومن أين ادعوا ذلك (ويوم يقول) يريد يوم القيامة يقول الله للمشركين وعبداء الأصنام (نادوا شركائي الذين زعمتم) في الدنيا أنهم شركائي ليدفعوا عنهم العذاب (فدعوهم) يعني المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله (فلم يستجيبوا لهم) أي فلا يستجيبون لهم ولا ينفعونهم شيئا (وجنابائهم) أي بين المرتدين والكافرين (موبقا) وهو اسم واد عتيق فرق الله به سبحانه بين أهل الهدى وأهل الضلالة عن مجاهد وقاتدة وقيل بين المبردين وعبدتهم موبقا أي حازرا من أين الأعرابي فادخلنا من كلوا يزعمون أنهم مبردون مثل الملائكة والمسيح الجنة وادخلنا الكفار النار وقيل معناه جنتنا تواصلهم في الدنيا موبقا أي مهلكا لهم في الآخرة من الفراء وروي ذلك من قتادة وابن عباس قالين على هذا القول معناه التواصل والمضى أن تواصلهم وتوادمهم في الكفر صار سبب هلاكهم في الآخرة وقيل موبقا عداوة عن الحسن فكانه قال عداوة مهلكة وروي عن أنس ابن مالك أنه قال للموبق واد في جهنم من قبيح ودم

﴿التنظيم﴾

وجه اتصال قوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض بما قبله أنه يتصل اتصال الحجة التي تكشف حقيقة الشبهة لأنه يقر أنه يقال أنكم قد أقبلتم على اتباع إبليس وذريته وتركتم أمر الله تعالى مع كثرة الحجج ولو أشهدتم خلق السموات والأرض لم تزيدوا على ما قلتم من اتباعهم وقيل أنه سبحانه بين بذلك أنه المتفرد بالخلق والاختراع لا شريك له فيه فلا ينبغي أن تشركوا معه في العبادة غيره أو تدعوا غيره إلها

قوله تعالى (٥٣) وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٤) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٥) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٦) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمِثَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا أربع آيات

﴿الترجمة﴾

قرأ أهل الكوفة قبلا بضمين والباقرن قلا

﴿الحجة﴾

قد ذكرنا الوجه في سورة الأنعام

﴿الجنة﴾

المقامة ملايصة الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب وواقع به ايقاعا والتوقع الترقب لرغوع الشيء والمصرف
المعدل قال ابو كثير

ازهير هل عن شعبة من مصرف ام لا خلود لبازل متكلف

والتصرف تنقل المعنى في الجهات المختلفة والادحاض الاذهاب بالشيء إلى الملكا ومكان دحض اي منق
مزل لا يثبت عليه شئ ولا حافر ولا قدم قال «وحاد كما حاد البير عن الدحض»

— (الاعراب) —

أن يؤمنوا في موضع نصب والمعنى ما منع الناس من الايمان إلا طلب أن يأتيهم فيكون أن يأتيهم فيموضع
وقم وما اندروا في موضع نصب عطفا على آياتي وهزوا هو المنقول الثاني لا تتخذوا

— (المعنى) —

ثم بين سبحانه حال المجرمين فقال (ورأى المجرمون النار) يعني المشركين رأوا النار وهي تلتظي حنقا عليهم
عن ابن عباس وقيل هو عام في اصحاب الكبائر (فقلنا انهم موقصوها) اي علموا انهم داخلون فيها واقرون في
عذابها (ولم يجدوا عنها مصرفا) اي مدخلا وموضعا ينصرفون اليه ليتخلصوا منها (ولقد صرفنا) اي بينا (في هذا
القرآن للناس من كل مثل) وتصريفها ترجيدها من نوع واحد وانواع مختلفة ليتشكروا فيها ولقد مر تفسيره
في بني اسرائيل (وكان الإنسان أكثر شيا جدلا) يريد بالإنسان النضر بن الحارث عن ابن عباس ويريد اي بن
خلف عن الكلبي وقال التزجاج منما وكان الكافر يدل عليه قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل (وما منع
الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم) معناه ما منهم من الايمان بعد سجي الدلالة ومن أن
يستغفروا ربهم على ما سبق من ماصيهم (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) اي الا طلب أن تأتيهم العادة في الأولين
من عذاب الاستئصال حيث آتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حين امتنعوا من قبول الهدى والايمان (أو يأتيهم
العذاب قبلا) أو طلب أن يأتيهم العذاب عيانا مقابلة من حيث يروونه وقاويله انهم باستماعهم من الإيمان بقوله
من يطلب هذا حق يؤمنوا كرها لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وهذا كما يقول القائل لغيره ما منك
أن تقبل قولي إلا أن تضرب على أن المشركين قد طلبوا مثل ذلك فقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قرأ قبلا فهو في معنى الأول ويجوز أن يكون ايضا جمع
قبيل وهو الجماعة أي يأتيهم العذاب ضروبا من كل جهة ثم بين سبحانه أنه قد ازاح العلة وظهر الحجة وأوضح
المصحة فقال (وما أرسلنا من قبلك إلا مبشرين ومنذرين) اي لم نرسل الرسل إلى الخلق إلا مبشرين لهم بالجنة إذا
أطاعوا أو مشفقين لهم بالنار إذا عصوا (ويجادل الذين كفروا بالباطل) اي ويناطرون الكفار دفعا عن إيمانهم
بالباطل (ليدحضوا به الحق) اي ليزيلوا الحق عن قراذه قال ابن عباس يريد المستهزئين والمقتسمين واتاعهم
وجداهم بالباطل لأنهم الزموا أن يأتي بالآيات على أرواحهم على ما كانوا يقولون ليطولوا به ما جاء به محمد ﷺ
يقال ادحضت حجته أي ابطلتها (وتخذوا آياتي) يعني القرآن (وما اندروا) اي ما تحفروا به من البعث والنار
(هزوا) هزوا به استهزؤا به

قوله تعالى (٥٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ

يَذَاهُ إِنَّا جَمَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَذَعْنَهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٨) وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبُوا الْعَمَلُ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا (٥٩) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِهَٰكُم مَوَاقِدَ ۖ ثَلَاثَ آيَاتٍ

❁ ❁ ❁

قرأ حصن عن حاضن أهلهم بفتح الميم وكسر اللام وكذلك في النبل وما شهدنا مهلك وقرأ أحاد ويمي
من أبي بكر بفتح الميم واللام وقرأ الأعشى والبرجمي منه هاهنا بالضم وهناك بالفتح وقرأ الباقون أهلهم
ومهلك بضم الميم وفتح اللام

❁ ❁ ❁

من قرأ الملهكم قارن الملك يجرز أن يكون مصدرا ويجوز أن يكون وقتا فيكون معناه لاهلاكهم أو
لوقت اهلاكهم ومن قرأ الملهكم فالمراد لوقت هلاكهم ومن قرأ بفتح الميم واللام فهو مصدر مثل اهلاك وقد
حكى ابن تيا يقول لكنتي زيد على هذا حل بعضهم قوله وبمعنى هالك من قترجا قال هويمنى مهلك فيكون
هالك مضافا الى الفئور به واذا لم يكن معنى مهلك يكون هالك مضافا الى القائل مثل حسن الوجه وكذلك
قرنه الملهكم على قراءة حصص او الملهكم بفتح اللام والميم فإنه مصدر قطي قول من عدى هلكت يكون مضافا
الى الفئور به وعلى قول من لم يبدء يكون مضافا الى القائل

❁ الاعراب ❁

تلك القرى تلك رُغم الابتداء والقرى صفة لها مينة لها وأهلكتناهم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ ويجوز أن يكون موضع تلك القرى نصبا بفعل مضمر يكون أهلكتناهم مفعلا لذلك الفعل وتقديره وأهلكتنا تلك القرى أهلكتناهم

✻ الحق ✻

ثم قال سبحانه (ومن اعظم من ذلك ما يأتي به فأعرض عنها) معناه ليس احد اعظم لنفسه من ذكر اي وعظ بالقرآن وآياته ونبيه على ادلة التوحيد فأعرض عنها جانباً (ونسي) ما قدمت يداها اي نسي الماضي التي استحق بها العقاب وقيل معناه تذكر واشتغل عنه استغفافاً به وقلة معرفة بماحقته لانه نسي ذلك ثم قال سبحانه (واذا جئنا على قلوبهم اكنة) وهي جمع كنان (ان يفقهوه) اي كراهة ان يفقهوه او تلاً يفقهوه (وفي آذانهم وقراً) اي تلاً وقد تقدم بيان هذا فيما مضى وجعلته انه على التشبيل كما قال في موضع آخر (واذا تلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمها كأن في آذنيه وقراً فاعلم ان كأن على قلوبهم اكنة ان يفقه وفي آذانهم وقراً ان يسمع (وان تدعهم الى الهدى قلن مبتدوا إذا ابدا) اشير سبحانه انهم لا يؤمنون ابداً وقد خرج مشيره موافقاً لحيرة قاتوا على كفرهم (وربك الغفور ذو الرحمة) معناه وربك الساتر على عباده الغافر للذنوب المرمين ذوالرحمة والافعال على خلقه وقيل الغفور الثابت ذو الرحمة للمصائب ان يهل ولا يميل وقيل الغفور لا يؤاخذهم عاجلاً ذو الرحمة يؤخرهم ليتوبوا (لو اوتوا خضعوا بما كسبوا ليعمل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد) وهو يوم القيامة والبعث (ان يجدوا من دونه موئلاً) اي ملجأ عن ابن عباس وقتادة وقيل محزوا عن مجاهد وقيل مناجى ينجم عن النبي عبد قال يقال لا وائل نفسه اي لا تحت قال الانبياء

﴿ النزول ﴾

ذكر علي بن ابراهيم في تفسيره قال لما اخبر رسول الله ﷺ قريشا بخبر اصحاب الكهف قالوا اخبرنا عن العالم الذي امر الله موسى (ع) ان يتيمه من هو كيف تيمه وما قصته فانزل الله تعالى

﴿ المعنى ﴾

(وإذ قال موسى لفتاه) اكثر المتسرين على الله موسى بن عمران وفاته يوشع بن نون وصاه ففاه لأفنه صحبه ولازمه سفرا وحضرا لتعلم منه وقيل لأنه كان يتعلمه ولهذا قال له آتينا غداًنا وهو يوشع بن نون بن افرام بن يوسف بن يعقوب وقال محمد بن اسحاق يقول اهل الكتاب إن موسى الذي طلب الخضر هو موسى ابن ميثا بن يوسف وكان نبياً في بني اسرائيل قبل موسى بن عمران إلا ان الذي عليه الجمهور انه موسى بن عمران ولان اطلاقه يوجب صرفه إلى موسى بن عمران كما ان اطلاق محمد ﷺ ينصرف إلى نبينا ﷺ قال علي ابن ابراهيم حدثني محمد بن علي بن بلال قال اختلف يونس وهشام بن ابراهيم في العالم الذي اتاه موسى ايها كان اعلم وهل يجوز أن يكون علي موسى حجة سيئة وقته وهو حجة الله على خلقه فكشروا إلى ابني الحسن الرضا (ع) يسألونه عن ذلك فكشبه في الجواب اتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر فسلم عليه موسى فانكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام قال من انت قال انا موسى بن عمران قال انت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليم قال نعم قال فما حاجتك قال بحث لتعلمي بما علمت رشدنا قال انيو كلت بأمر لا تطيقه ووكلت بأمر لا يطيقه اخبر بطوله (لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين) معناه لا ازال امضي وامشي ولا اسلك طريقاً آخر حتى ابلغ ملقى البحرين بحر فارس وبحر الروم واما إلى المغرب بحر الروم واما إلى المشرق بحر فارس عن قتادة وقال محمد بن كعب هو طليحة وروي عنه الرقيبه وكان وعد ان يلقى عنده الخضر (أو أمفي حقاً) اي دهرًا عن ابن عباس وقيل مبعين سنة عن مجاهد وقيل ثمانين سنة عن عبد الله بن عمر (فلما بلغنا مجمع بينهما) اي فلما بلغ الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين (نسيا جوتهما) اي تركاه وقيل انه ضل الحوت عنهما حين اتخذ سبيله في البحر سرّاً فسمي ضلاله عنهما نسيانا منهما له وقيل انه من النسيان والتاسي له كان احدهما وهو يوشع فأضيف النسيان اليهما كما يقال نسي القوم زادهم إذا نسيه متعهد امرهم وقيل ان النسيان وجد منهما جميعاً فلان يوشع نسي أن يعمل الحوت او ان يذكر موسى ما قد رأى من امره ونبي موسى أن بأسره فيه بشي فصار كل واحد منهما ناسياً لغير ما نسيه الآخر وقوله (فاتخذ سبيله في البحر سرّاً) اي فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلماً يذهب فيه وذلك ان موسى وفاته تزودا حوتاً ملحوا عن ابن عباس وقيل حوتاً طرياً عن الحسن ثم انطلقا يمشيان على شاطئ البحر حتى اتعبا إلى صخرة على ساحل البحر فاويا اليها وعنده من ماء تسمى عين الحياة فيجلس يوشع بن نون وتوضأ من تلك العين فانتضج على الحوت شيء من ذلك الماء فحاش ووثب في الماء وجعل يضرب يديه للماء فكان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار ماء جامداً فذلك معنى قوله فاتخذ سبيله في البحر سرّاً (فلما جاوزا) ذلك المكان قال موسى (إني اتاه آتينا غداًنا) قيل اتاهما انطلقا بقية يومهما وليتبعهما فلما كان من الغد قال موسى ليوشع آتينا غداًنا اي اعطنا ما نتقضى به والنداء طعام النداء والمشاء طعام المشي والاسنان إلى النداء اشد حاجة منه إلى المشاء (لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً) اي تماشوا فقالوا ان الله تعالى القى على موسى الجوع لينذكر حديث الحوت (قال) له يوشع عند ذلك (أرايت إذ أوبنا إلى الصخرة فلان نسييت الحوت) ومعناه ان يوشع تذكر قصة الحوت لما دعا موسى بالطعام ليأكل فقال له أرايت حين رجسنا إلى الصخرة وتولنا هناك فباني تركت الحوت وقصدته وقيل نسيته ونسيته تحذيره وقيل فيه اشارة اي نسييت ان اذكر لك أسر الحوت ثم اعتذر فقال (وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره) وذلك انه لو ذكر موسى (ع)

قصة الحوت عند الصخرة لما جاوزها موسى ولما قاله النصب الذي اشكاه ولم يلق في سفره النصب إلا يومئذ (واتخذ سيبله في البحر عجبا) أي سيلا عجبا وهو ان الماء انجاب عنه وبقي كالكرة لم يبتسّم وقيل ان كلام بوشع قد اقتطع عند قوله واتخذ سيبله في البحر فقال موسى عند ذلك عجبا كيف كان ذلك وقيل ان معناه واتخذ موسى سيبل الحوت في البحر عجبا عن ابن عباس والمثنى دخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذ هو بالخضر (قال ذلك ما كنا ننبغ) قال موسى «ع» ذلك ما كنا نطلب من العلامة (فارتدا على آثارهما) أي رجعا وعادا بوجهما على بدهما في الطريق الذي جاء منه يقصان آثارهما (قصصا) أي ويتبعانها وبوشع امام موسى «ع» حتى انتهى إلى مدخل الحوت

❦ القصة ❦

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اخبرني أبي ابن كعب قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسل أي الناس اعلم قال انا فغضب الله عليه إذا لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه ان لي عبدا يجمع البحرين و اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ منك حوتا فجعله في مكثل ثم اطلق وانطلق معه فناه بوشع بن نون حتى إذا أنيا الصخرة وضما رؤوسهما فانما واضطرب الحوت في المكثل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سيبله في البحر مربيا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالهوت فانطلقا ببقية يومهما وليتبعهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفته أتنا غداهنا لقد لفتنا من سفرنا هنا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر الله تعالى به فقال فاه أرايت إذ أويتا إلى الصخرة الآية قال وكان لحوث مربيا ولوسى ولفته عجبا فقال موسى ذلك ما كنا ننبغ الآية قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فوجدنا رجلا مسجيا برب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم أنتيتك لتصلني بما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله لا تعلمه علميه وانت على علم من علم الله علمك لا أعلمه انا فقال له موسى مستجديني إن شاء الله صابرا ولا اعصي لك أمرا فقال له الخضر فلوث اثبتي فلا تسألني عن شيء حتى احث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة وكوهم أن يحملوه ففرغوا الخضر فحملوه بغير قول فلما ركبا في السفينة لم ينجبا إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتهما لتغرق اهلهما لقد جئت شيئا امرا قال ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عصرا قال وقال رسول الله ﷺ كانت الأولى من موسى «ع» نسيانا قال وجاء مصفور فوقع على حرف السفينة ففر في البحر قرعة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما قص هنا المصفور من هنا البحر ثم خرجا من السفينة فيبتاعا ميثان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه يده فألقاه فقتله فقال له موسى أعتقت نسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الأولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني إلى قوله يريد أن ينقض كان ما لا فقال (١) الخضر «ع» يده فألقاه فقال موسى «ع» قوم قد ابتاعهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله ﷺ ودنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير كان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين رواد البخاري ومسلم في الصحيحين وروى اصحابنا عن أبي عبد الله «ع» ايضا انه كان يقرأ كل سفينة صالحة غصبا وروى ذلك ايضا عن أبي جعفر قال وهي قراءة امير المؤمنين «ع»

قوله تعالى (٦٥) فَوَجَدَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عَيْنِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا
 (٦٦) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُحِلِّمَ مَاعَلَمْتُ رُشْدًا (٦٧) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
 صَبْرًا (٦٨) وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا (٦٩) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا
 وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٧٠) قَالَ فَإِنْ أَبَيْتُني فَلَا تَسْتَلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
 (٧١) فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا
 (٧٢) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٣) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي
 مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٤) فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَ غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ
 لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا (٧٥) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا إحدى عشرة آية

❦ القراءة ❦

قرأ أبو عمرو ويعقوب ورشدا بالفتح والباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين وقرأ فلا تسألني مشددة النون
 مدني شامي والباقون خيفة النون ولم يخالفوا في إثبات الياء فيه وصلا ووقفا لأنها مشبهة في جميع المحاصف وقرأ
 ليفرق بفتح الياء والراء أهلها بالرفع كوفي غير حاصم والباقون لتفرق بضم التاء أهلها بالنصب وقرأ زكية بغير
 الف كوفي وشامي وسهل والباقون زاكية وقرأ نكرا بضمين مدني غير اسماعيل وأبو بكر ويعقوب وسهل وأبو
 ذكوان والباقون نكرا ساكنة الكاف

— الحية —

قال أبو علي الرشد والرشد لثتان وقد أجرى العرب كل واحد منهما مجرى الآخر فقالوا اسد وأسد وخشب
 وخشب فجعلوا قهلا على قهلا ثم فعلا أيضا على فعل وذلك قوله والفلك التي تجري في البحر وفي آية أخرى في
 الفلك المشحون فهذا يدل على أنهم أجروها مجرى واحد ومن قرأ فلا تسألني بالشدديد فإنه لما أدخل النون الثقيلة
 بين الفعل ومها على الفتح قال والقراءة بالثاء في لتفرق أولى ليكون الفصل مسندا إلى المخاطب كما كان المعطوف
 عليه كذلك وهو آخرها وهذا يأتي في معنى الياء أيضا لأنهم إذا أغروهم غرروا وقوله نكرا فعل وهو من امثلة
 الصفات فالراء ناقة أبجد ومشية مسجع فن خفف ذلك كما يخفف نحو النبق والطبق والشغل فالتخفيف فيه مسنر

❦ اللغة ❦

الأمر الداهية العظيمة قال الشاعر

لقد لقي الأقران مني نكرا داهية ديهاء إذا إمرأ

وهو مأخوذ من الأمر لأنه الفاسد الذي يحتاج أن يؤمر بتركه إلى الصلاح ومنه رجل امر إذا كان
 ضيف الرأي لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى رأيه ومنه امر القوم أي كدروا ومعناه احتاجوا إلى من يأمرهم
 وينهاهم ومنه الأمر من الأمور أي الشيء الذي من شأنه أن يؤمر فيه

❦ الاعراب ❦

قوله رشدا يجوز أن ينصب على أنه مفعول له ويكون المعنى هل أتيتك الرشدا أو لطلب الرشدا على أن تعلمني فيكون
 على أن تعلمني حالا من قوله أتيتك ويجوز أن يكون قوله رشدا مفعولا به وتقديره أتيتك على أن تعلمني رشدا بما

علمته ويكون العلم الذي يعتمد على الفعل واحد فيتمتع به المعبود إلى مفعولين والمعنى على أن تعلمني أمراً ذا رشد وعلماً ذا رشد ولآخرها نصب على المصدر والمعنى لم يضره خيراً

﴿ المعنى ﴾

(فوجدنا عبداً من عبادنا) أي صافد موسى وفناء وادر كاعبداً من عبادنا قائماً على الصخرة يصلي وهو الخضر «ع» واسمه بلياً بن ملكان وإسماعيل خضراً لأنه إذا صلي في مكان أخضر ما حوله وروي مرفوعاً أنه قد صلي على فروة بيضاء فاهتزت تحت خضراء وقيل أنه رأى على طغصة خضراء فسلم عليه فقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال له موسى وما أدراك من أنا ومن أخبرك أنني نبي قال من ذلك عليّ واختلف في هذا المبدأ فقال بعضهم أنه كان ملكاً أمر الله تعالى موسى أن يأخذ عنه ما حمله إياه من علم يروان الأشياء وقال الأكثرون أنه كان من البشر ثم اخفقوا فقال الجبائي وغيره أنه كان نبياً لأنه لا يجوز أن يبيع النبي من ليس نبي ليعلم منه العلم لما في ذلك من الغشاة على النبي وكان ابن الأثير يجوز أن لا يكون نبياً ويكون عبداً صالحاً أودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره وهذا ليس بالوجه وعلى قيل كيف يكون نبي اعلم من موسى في وقته قلنا يجوز أن يكون الخضر خص به ما لا يتعلق بالأداء فاستلم موسى من جهة ذلك العلم فقط وإن كان موسى اعلم منه في العلوم التي يروى فيها من قبل الله تعالى (آتينا رجلاً من عندنا) يعني النبوة وقيل طول الحياة (وعليناه) لدنا علماً (أي علماً من علم النيب عن ابن عباس وقال الصادق «ع» كان عنده علم لم يكتب لموسى «ع» في الألواح (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً) أي علماً ذا رشد قال فتادة لو كان أحد مكلفين العلم لاكتفى بنصي الله موسى ولكنه قال هل أتبعك الآية عظيمة «ع» بهذا القول غاية التعظيم حيث أضاف العلم إليه ورعي باباعه وخالجه بجل هذا الخطاب والرشد العلوم الدينية التي ترشد إلى الحق وقيل هو علوم اللطائف الدينية التي تنفع على الناس (قال) العالم (أنك لن تستطيع معي صبراً) أي يتحمل عليك الصبر ولا يتف عليك ولم يرد أنه لا يقدر على الصبر وإنما قال ذلك لأن موسى «ع» كان يأخذ الأمور على طولها وما الخضر كان يحكم بما أعلمه الله من يواظبها فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك ثم قال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً) أي كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكروا أنت لم تعرف باطنه ولم تعلم حقيقة الخير والشر وفي هذا دلالة على أنه لم يرد بقوله لن تستطيع معي صبراً في الاستطاعة للصبر لأنه لو أراد ذلك لكان لا يستطيع الصبر سواء علم أو لم يعلم (قال) موسى (مستجديني إن شاء الله صبراً) أي أصبر على ما أرى منك (ولا أعييك امرأ) تأمرني به ولا أخالفك فيه قال الزجاج وفيما فعله موسى «ع» وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم والرحلة فيه ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأنه يجب أن يتواضع لمن هو أعلم منه وإسماعيل «ع» صبره بمشيئة الله لأنه أخبر به على ظاهر الحال فجز أن لا يصبر فيها بعد بأن يصبر عنه فقال إن شاء الله لينخرج بذلك من أن يكون كاذباً (قال) الخضر له (فإن اتبعتني) واقتفت أثرني (فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) أي لا تسألني عن شيء أقوله مما تنكره ولا تعلم باطنه حتى أكون أنا الذي أصره لك (فانطلقا) يمشيان على شاطئ البحر (حتى إذا زكيا في الغيبة خرجها) ومعناه أنها أرادت أن يبعثا في البحر إلى أرض أخرى فاتيا مبعثاً صراف صاحب الغيبة الخضر «ع» فحملهما فلما زكيا في الغيبة غرق الخضر «ع» الغيبة أي شقها حتى دخلها الماء وقيل أنه قلع لوحين من علي الماء فحشاهما موسى «ع» ذوبه (وقال) منكراً عليه (أخرتها لتفرق أهلها) ولم يقل لتفرق وإن كان في غرق جميعهم لأنه أنه اشفق على القوم أكثر من اشفاقه على نفسه جبراً على عادة الأنبياء ثم قال بعد انكساره ذلك (لقد جئت شيئاً لأمراً) أي مع منكراً عظيماً يقال امر

الامر امر إذا كبر والامر الاسم منه (فقال) له الخضر (ألم أقل) لك (انك لن تستطع معي صبرا) أي ألم أقل حين رغبت في اتباعي إن عصاك لا تطاوعك على الصبر معي فتذكر موسى ما بذل له من الشرط ثم (قال) معذرا مستقيلا (لا نؤاخذ في بما نسيت) أي غفلت من التسلل لك وترك الانكار عليك وهو من النسيان الذي هو شد الذكر وروي عن أبي بن كعب قال انه لم ينس ولكنه من مفايض الكلام وقيل بما تركت من وصيتك وعهدك عن ابن عباس وعلى هذا فيكون من النسيان بمعنى الترك لا بمعنى النقلة والسهو (ولا توهضي من امري عسرا) أي لا تكلفني شقة تقول ارحته عسرا إذا كلفته ذلك والمعنى علمني بالصبر ولا تعاملني بالصبر ولا تضيق علي الأمر في صحتي إياك (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) ومعناه فخرجا من البحر وانطلقا يعيشان في البر يعني موسى والخضر ولم يذكر يوشع لأنه كان تابعا لموسى أو كان قد تأخر عنها وهو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر (ع) في البحر فلقيا غلاما يلعب مع الصبيان فذبحه بالسكين عن سعيد بن جببر وكان من احسن أو تلك الثمان واصبحهم وقيل صرعه ثم قزع رأسه من جسده وقيل ضربه بوجهه فقتله وقال الأصم كان شابا بالغا لأن غير البالغ لا يستحق القتل وقد يسمى الرجل غلاما قالت ليل الاغيلة

شفاها من ألداء العضال الذي بها غلام إذا هز أكتفا سقاها

(قال أفلت منك ذكية) أي طاهرة من الذنوب وزكية بريئة من الذنوب وقيل الزاكية التي لم تلذّب والزاكية التي أذنت ثم تابت حي ذلك عن أبي عمرو بن الملا وقيل الزكية أشد بالمعنة من الزاكية عن تغلب وقيل الزاكية في البدن والزاكية في الدين (غير نفس) أي غير قتل نفس يريد القود (لقد جئت شيئا نكرا) أي فطما منكرا لا يعرف في شرع والمكسر اشد من الامر عن قتادة وإنما قال ذلك لأن قلبه صار كالمنلوب عليه حين رأى قتله (قال) العالم (ألم أقل لك انك لن تستطع معي صبرا) أعاد هذا القول لتأكيد الأمر عليه والتحقيق لما قاله أولا مع التخي عن المود بجل سؤاله

قوله تعالى (٧٦) قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٧) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّرُوهُمَا فَوْجَدًا فِيمَا جَدَرَا يُرِيدُ أَنْ يَقْبَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَجِدْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٨) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٩) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَهْلِكَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٨٠) وَأَمَّا الْفُلَامُ فَكَانَ أَبُوهُمُ مُؤْتَبَرًا فَخَشِنَا أَنْ يَرْمَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨١) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَةً وَأَقْرَبَ وَجْهًا (٨٢) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا قُلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا سبع آيات



قرأ يعقوب برواية روح وزيد فلا تصحبي والياقوت فلا تصاحبي وقرأ أهل المدينة وأبو بكر عن عاصم من لدني خيفة اللون والياقوت لدني بالشديد وقرأ ابن كثير وأهل البصرة لتبخذت بكسر الخاء مخففة وابن كثير

يظهر منه النال والياقون لا اتخذت وعاصم يظهر النال والآخرين يدغمون وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو أن يبدلها يفتح الياء وتشديد النال وكذلك في التحريم أن يبدله وفي القلم أن يبدلها والياقون يسكون الياء وتختفئ النال وقرأ رحما بضم الحاء أبو جعفر وابن عاصم وعاصم ويعقوب وسهل والياقون يسكون الحاء ويفي الشواذ قراءة النبي صلى الله عليه وسلم جندارا يريد أن ينقض بضم الياء وقراءة علي بن أبي طالب (ع) وعكرمة ويحيى بن يعمر ينقض بصاد غير معجمة وبالألف وقراءة عبد الله والأعشى يريد لينقض

الحجة

من قرأ فلا تصحني فمناه لا تكونن صاحبي ومن قرأ فلا تصاحبي فمناه إن طليت صحبتك فلا تصاحبي على ذلك وأما قوله من لدني فإن الأجود تشديد النون لأن أصل لدن الاسكان فإذا اخفها إلى فسك زدت نونا لتسلم مسكون النون الأولى تقول من لدن زيد ومن لدني كما تقول عن زيد وعي ومن قرأ لدني لم يجر له أن يقول عني لأن لدن اسم غير متمكن ومن وعن حرفان جاء أ لم ي ولدت مع ذلك أثقل من من وعن والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدني فيمنى حسي ويجوز قدني «قال قدني من نصر الخبيثين قدي» فجاء بالفتن وقال أبو زيد اتخذنا مالا نتخذة اتخذنا وتخذت اتخذ تخذا وقال أبو علي وجها لادغام انخذ الحروف متقاربة فيدغم بعضها في بعض كما يدغم سائر المتقاربة فالتاء واللام والطاء والظاء والذال والفاء ويدغم بعضها في بعض للمقاربة فأما الصاد والسين والزاء فيدغم بعضها في بعض ويدغم فيها الحروف الستة ولا يدغم في الستة لما يختل من ادغامها في مقاربا من الصغير وأما قوله أن يبدلها فإن أبدل وبدل متقاربان في المعنى كما أن أنزل ونزل كذلك وأما قوله رخصا فإن الرخم والرحم هاهنا الرحمة قال رؤبة

يا منزل أرحم على أدريس ومنزل اللحن على اليس

قال ابن جني قوله يريد أن ينقض معناه قد قاربوا شارف ذلك فهو عائد إلى معنى يكاد وقبجاه ذلك ختمهم واشهدوا الحسن

كادت وكدت وذلك خير إرادة لو عاد من لهو الأصباة ما مضى

وحسن هنا لفظ الإرادة لأنه أقوى في وقوع الفعل وذلك إتهاداعية إلى وقوعه وهي أيضا لا تصح إلا مع الحياة ولا يصح الفعل إلا لذي الحياة وليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر ما لا حياة له فوميل الحافظ واشراق ضوء النجم وينقاض أي يتكسر يقال قسه فاقاض قال

فراق كقبص أسن فالصبر إنه لكل أناس كسرة وجبور

وقالوا أيضا فاقضه فاقاض بصاد معجمة يعني مسمته فانهزم قال «كأنها حدم في الجفر مفاض» وقراءة العامة ينقض يحل أمرين أحدهما أن يكون ينقض من القضة وهي الحصى الصغار والآخر أن يكون ينقض من نقض الشيء كقراءة النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن ينقض فيكون كيزور ويرعوي ونحوهما مما جاء من غير الألوان واليوب ومن قرأ لينقض فإن شئت قلت اللام زائدة فيه واحتجبت فيه بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم وإن شئت قلت تقدير مرادته لكننا كقولك قيامه لكننا وجلومه لكننا ثم وضع الفعل موضع مصدره كما أنشد أبو زيد

فقالوا ما نشاء فقلت ألهو إلى الصباح أئر ذي أنير

أي ألهو فوضع ألهو موضع مصدره وأنشد أيضا

وأهلكني لكم في كل يوم تعوجكم علي واستقيم

أي واستقامتي وكألام هتالام في قوله

أريد لأنسى ذكرها فكأنما نمتل لي ليلي بكل سبيل

فيحتمل اللام هنا الوجهين الذين تقدم ذكرهما

❀ اللفظة ❀

الاتقاض السقوط بسرعة قال ذو الرمة (فاقض كالكوكب الذي متصلاً) والوراء والخلف واحد وهو نقض جهة التقدم ويستعمل وراء بمعنى التقدم أيضاً على الاتساع لأنها جهة مقابلة لجهة فكان كل واجدة من الوجهتين وراء الأخرى قال الشاعر

أثر جو بنو مروان سعي وطاعتي وقومي تميم وألفلاة وزائيا

وقال لبيد

أليس وراءي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنو عليها الأصابع

وقال الفراء يجوز ذلك في الزمان دون الأجسام قال علي بن عيسى وغيره يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كصغير من متقابلين كل واحد منها وراء الآخر والارهاق إدراك الشيء بما يشاهو وحقه الفارس أي غشيوادركه وغلام مراعى إذا قاربنا يشاهو حال البلوغ ويقال أرهقه اسماً أي ألحقه إياه قال الأزهرى الرهق جهل الإنسان وأرهقه عسراً كلفه إياه وجاءه في الحديث كان النبي ﷺ إذا دخل مكة مراهماً خرج إلى عرفة أي ضاق عليه الوقت

❀ الإعراب ❀

قال الزجاج قوله هذا فراق يعني وينك زعم سيويه أن معنى مثل هذا التوكيد يعني هذا فراق يينا أي هذا فراق انصافاً ومثله من الكلام أخرى الله الكاذب متي ومثك وهذا لا يكون إلا بالواد ولا يجوز هذا فراق يعني فينك لأن معنى الواو الاجتماع ومعنى الفاء إن يأتي الثاني في أثر الأول وسأكن لا ينصرف لأنه جمع ليس له في الأحاد نظير رحمة من ربك منصوب على ضربين ❀ أحدهما ❀ أن المعنى فطناً ذلك رحمة أي الرحمة كما تقول انتفعتك من الملكة رحمة لك والآخر أن يكون منصوباً على المصدر لأن معنى قوله فأراد ربك أن يلعنا أشدهما ويشخرجا كثرهما رحمة الله بذلك

❀ المعنى ❀

(قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) أي قال له موسى جواباً إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة أو بعدهم النفس وقتلها فلا تتركني أصحبك (قد بلغت من لدني عذراً) أي قد عذرتني بما يعني وينك وقد أخبرني أنني لا أستطيع معك صبراً عن ابن عباس وهذا اقتران من موسى (ع) بأن الخضر قد قدم إليه ما يوجب العذر عذراً فلا يلزم ما أنكروه وروي أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال استسبحي نبي الله موسى ولو صبر لراى القائل من السباب (فاطلقنا حتى إذا أتيا أهل قرية) وهي انطاكية عن ابن عباس وقيل أيلة عن ابن سيرين ومحمد بن كعب وقيل هي قرية على ساحل البحر يقال لها فاصرة وبها سميت الصاري نصارى وهو الروي عن أبي عبد الله (ع) (استظما أهلها) أي سألهم الطعام (فأبوا أن يضيئوها) والتضييف والإضافة بمعنى واحد أي لم يضيئها أحد من أهل القرية وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال كانوا أهل قرية لتام وقال أبو عبد الله (ع) لم يضيئوها ولا يضيئون بعدها أحد إلى أن تقوم الساعة (فوجد فيها جداراً يريد أن ينقض) وصف الجدار بالارادة مجاز ومثله قرب أن ينقض وأشرف على أن يهدم وذلك على التشبيه بمجال من يريد العمل في الثاني وهذا من فصيح كلام العرب ومثله في إشارتهم كثير قال الراعي يصف الإبل

سے فہمہ قلقت بہا ہا ماتہا

قلق الفؤوس إذا اردن فصولا

وقال الآخر

یریدالرمع صدر ابي براء

ویرغب عن دماء بنی عقیل

وقرب منه قول الآخر

ان دھرا یلف شملی بسعدیے

لزمان بهم بالإحسان

أي كأنه بهم وقال عشرة يصف فرسه

فازور من وقم ألقنا بلبانه

وشكا الي بعبرة وتحمحم

(فأقامه) أي سواه قيل أنه دفع الجدار يده فاستقام عن سيد بن جبير (قال لو شئت لتخلفت عليه اجرا) معناه إني لم يأخذوا عليهما بالطعام وأقام أغضر جدارهم المشرف على الانهدام عجب موسى من ذلك فقال لو شئت لمعلت هذا بأجر تأخذهم منهم حتى كنا نمد به جوعتنا (قال هذا فراق بيني وبينك) معناه هذا الكلام والانتكار على ترك الأجر هو الفراق بيننا واهل معناه هذا وقت فراق الصالحا وكبر بيننا وبيننا عن الزواج واهل معناه هذا الذي قلته بسبب الفراق بيني وبينك ثم قال له (سانئك أي سأخبرك) بأوول ما لم تستطع عليه صبرا أي بصبر الأشياء التي لم تستطع على الاصاك عن السؤال عنها صبرا (أما السنية فكانت لها كين) معناه اما السبب في خرق السنية فهو انها كانت لفراق لاشي فلم يكتفهم قدسكتهم قللة ذات ايديهم (يعملوني البحر) يعملون بها في البحر ويعيشون بها (فأردت أن أعيبها) أي احدث فيها عيبا (وكان وراهم) أي وكان قدماهم (ملك يأخذ كل مينة) صحبة أو غير معينة (غصبا) عن قتادة وابن عباس قال جاد بن صبيب قدمت الكوفة لاسمع من اساميل بن ابي خالد فررت بشيخ جالس فقلت ياشيخ كيف اسما إلى منزل اساميل ابن ابي خالد فقال لي يوراك فقلت ارجع فقال اقول وراك وخرج فقلت أليس وراي خلفي قال لا ثم قال حدثني عكرمة عن ابن عباس (كان وراهم ملك يأخذ كل مينة غصبا) قال وكن وراهم لكانوا قد جاوزوه ولكن كان بين ايديهم قال اغضر إنما خرقها لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورمها أهلها بقطعة خشب فأنزعوا بها وقيل يعملون ان للملك كان خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه ولم يعلم به اصحاب السنية وعلم بالغضر بها (واما الغلام فكانت ابواه مؤمنين) وروي عن أبي وابن عباس انها كانتا يقرآن ولما الغلام فكانت ابنا «ع» وروى مؤمنين وروي ذلك عن أبي عبد الله «ع» ومعناه ولما الغلام الذي قلته فأقام قلته لا أنه كان كافرا (فخشيتا أن يرمعهما طغيانا وكفرا) أي فعلتا انه إن بقي يهرق ابويه أي يشهما طغيانا وكفرا وهو من كلام الله تعالى وقيل معناه فخشيتا ان يعمل ابويه على الطغيان والكفر بأن يياشر ما لا يمكنهما منه منه فيجعلهما على الذنب عنه والنسب له فيؤدي ذلك إلى أمور يكون مجاوزة للحد في المصيان والكفر وهو من كلام الغضر لأن الله تعالى لا يجوز عليه الخشية وقيل معناه ففكرتا أن يهرق الغلام ابويه وإنما وظلما بطغيانه وكفره (فأردتا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة) أي ولدا خيرا منه دينيا وطهارة وصلاحا (واقرب رحما) أي وأزحم بها عن قتادة والزكاة الصلاح والزرعي الصالح والرحم المطف والرحمة وقيل معناه ابويهم والديه وأوصل فرحم عن ابن عباس وقيل معناه واقرب ان يرحمهما قال قتادة قال مطرف ايم الله اننا لنعلم انها فرسا به يوم ولد وحزنا عليه يوم قتل ولو عاش كان فيه مهلكة فترى رجل بما قسم الله له فان قضاء الله للمؤمن خير من قضاء لفيه وما أفنى لك يا ابن آدم فيها تكرهه خير مما قضى لك فيما تحب فاستخر الله وأرض بقضائه وروي انها ابدلت بالانعام المتقول جارية فولدت سبعين نبيا عن ابي عبد الله (ع) وقيل انه تزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا هدى الله على يديه أمة

من الأمم عن الكلي وفي قتل الغلام دلالة على وجوب اللطف على ما نذهب إليه لأن المفهوم من الآية أنه تدبير من الله تعالى لم يكن يجوز خلافه وأنه إذا علم من حال الإنسان أنه يفقد عدد شيء يجب عليه في المحكمة أن يذهب ذلك الشيء حتى لا يقع هذا الفساد ومتى قيل أنه لو حصل لنا العلم بذلك كما حصل لذلك العالم هل كان يحسن منا القتل فلنا من هذا العلم لا يحصل إلا للأنبياء وعبد حصول العلم به يحسن ذلك ومتى قيل إن الله كان قادرا على إزالة حياة الغلام بالموت من غير ألم فتزول التيقية التي هي المقدسة من غير ادخال إيلام عليه بالقتل فلا أمر بالقتل فالجواب من وجهين أحدهما أن الله تعالى قد علم أن أيوبه لا يشك في الإيمان إلا بقتل هذا الغلام فتمن وجه الوجوب في القتل والآخر أن تبقية الغلام إذا كانت مفسدة فافه تعالى مخير في إزالته بالموت من غير ألم وبالقتل لأن القتل وإن كان فيه ألم يلحق المقتول فإن بإزالته أعراضا كثيرة توازي ذلك الألم ويؤيد عليه أضعافا كثيرة فيصير القتل بالمعاقبة العظيمة التي بإزالته كأنه ليس بألم ويدخل في قبيل النفع والاحسان (وأما الجدار فكان) أي فإنا أفتنه لأنه كان (لنملين يثمين في المدينة) يعني القرية المذكورة في قوله أنيا أهل قرية (وكان تحت كثر لها) والكثرة هو كل مال منخور من ذهب أو فضة وغير ذلك واختلف في هذا الكثر فقيل كانت صفت علم مدفونة فتعنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وبجاهد وقال ابن عباس ما كان ذلك الكثر إلا علما وقيل كان كثر من الذهب والفضة عن قتادة وعكرمة واختاره الجبائي ورواه أبو الدرداء عن النبي وقيل كان لوسا من ذهب وفيه مكتوب عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجب لمن أيقن بالرزق كيف يتعجب عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجب لمن يؤمن بالحساب كيف يهزل عجب لمن رأى الدنيا وتقلها بالعلم كيف يطعن بها لا إله إلا الله محمد رسول الله عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وفي بعض الروايات زيادة وقصصا وهذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن إن الكثر كان ما لا كتب فيه علم فهو مال وعلم (وكان أبوهما صالحا) بين سبحانه أنه حفظ الغلامين بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاحا عن ابن عباس وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح صبعة آباء وقال أن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأصل دويته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله (فأراد ربك أن يبلينا أشدما) أي يهتيا إلى الوقت الذي يعرفان فيه قمع اتسهما وحفظ ما لهما وهو أن يكبروا بقتلا ويستخرجوا كثرهما رحمة من ربك أي نعمة من ربك والمعنى أن كل ما فعلته رحمة من الله تعالى أي رحم الله بذلك المسكينين وأبوي الغلام واليتيمين رحمة (وما فعلته عن أمري) أي وما فعلت ذلك من قبل نفسي وإنما فعلته بأمر الله تعالى قال ابن عباس يريد أن يكشف لي من الله علم فعلت به ثم قال (ذلك) الذي قلته لك (تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي نقل عليك مشاهدته ورويته واستدركته يقال استطاع يستطيع واسطاع يستطيع قال أبو علي الجبائي لا يجوز أن يكون الخضر حيا إلى وقتنا هذا لأنه لو كان لمرقه الناس ولم يخف مكانه ولأنه لا يبي بعد نينا وهذا الذي ذكره غير صحيح لأن بقيته في مقدور الله تعالى ويجوز أن تنخرق المادة للأنبياء صلوات الله عليهم بالأجماع ولا يتعجب أيضا أن يكون بحيث لا يشرف إلى أحد وإن الناس وإن كانوا يشاهدونه لا يعرفونه وقوله أنه لا يبي بعد نينا مسلم ولكن نبوة الخضر (ع) كانت ناجة قبل نبوة نينا محمد (ص) وأما شرعه لو كان له شرع خاص فلم يمتسوخ بشرية نينا ولو كان داعيا إلى شرعية من تقدمه من الأنبياء فإن شرعية نينا ناسخة لما فلا يؤذي إلى ما قاله الجبائي

قوله تعالى (٨٣) وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٤) إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآيَاتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَيَّا (٨٥) فَاتَّبَعَ سَيَّا (٨٦) حَتَّى إِذَا بَلَغَ

مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمنة ووجد عندها قومًا قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا (٨٧) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا خمس آيات في الكوفي ست في البصري أربع في اللدي عذاب الكوفي والبصري من كل شيء سبب فاتبع سببا آتين ولم يعد الكوفي عندها قوما آية بل جعل آخر الآية حسنا

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة فاتبع ثم اتبع همزة القطع وتغنيها وتنخيف التاء وسكونها والباقيون فاتبع همزة الوصل وتشديد التاء وفتحها وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة غير حصص حامية والباقيون حمئة ينير ألف مهموز

﴿ الحمية ﴾

قال أبو علي تبع فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة تمدى إلى مفعولين بذلك على ذلك قوله واتبعناهم في هذه الدنيا لئلا أما اتبع فلم يمتد إلى مفعول واحد كما يتعدى فعل اليمثل حفرته واحسرتة وشوخته واشتوخته ومن قرأ فاتبع سببا تقديره فاتبع سببا سببا أو اتبع امره سببا أو اتبع ما هو عليه سببا فعذب أحد المفعولين كما حذف في قوله لينذر بأسا شديدا ولا يكادون يفقهون قولنا والمضى لينذر الناس بأسا شديدا ولا يكادون يفقهون أحسا قولنا ومن قرأ فاتبع سببا فالمعنى اتبعه في كل وجه وجهناه له وأمرناه به السبب الذي ينال به صلاح ما ممكن منه وقال أبو عبيدة مناه اتبع طريقا وأثرا ومن قرأ حمئة فلي فلة ومن قرأ حامية في فاعلة من حميت تحمى فهي حامية ورودي عن الحسن أنه قال حارة ويجوز فيمن قرأ حامية أن يكون فاعلة من الحامة فيخفف الهمزة على قياس قول أبي الحسن فيقلبها ياء حمئة وإن خففها على قول الخليل كاتب بين بين قال سيبويه وهو قول العرب

﴿ اللفظة ﴾

القرن قرن الشاة وغيرها وقرون الشعر الذوائب ومنه قول أبي سفيان ولا الروم ذوات القرون أراد قروم شعورهم لأنهم كانوا بطولونه والذكر حضور للمنى للفس وقد يكون بالقلب وهو التفكير وقد يكون باللسان وكل ما وصل شيئا إلى شيء فهو سبب يقال للطريق إلى الشيء سبب وللجبل سبب والباب سبب والحامة الطلين الأسود يقال سمحت البئر تحما فهي حمئة إذا صار فيها الحماة قال أبو الأسود

تجبي بجملةا طورا وطورا تجبي بجملةا وقليل ماء

وحملت البئر اخرجت منه الحماة واحماتها القيت فيها الحماة

﴿ الأعراب ﴾

إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا أن مع الفعل في موضع نصب بفعل مضمر كأن قوله فاما ما بعد واما فسادا كذلك ويجوز أن يكون أن مع الفعل في موضع المبتدأ والخبر مضمر أي اما العذاب واقع منك فيهم واما اتخاذ امرؤي حسن واقع منك فيهم فعذب الخبر لطول الكلام بالصلة وهنا أظهر والأول عن أحمد بن يحيى

« المعنى »

ثم بين سبحانه قصة ذي القرنين فقال (وسألو نوح) يا محمد (عن ذي القرنين) أي عن خبره وقصته لا عن شخصه واختلف فيه فقيل أنه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض عن مجاهد وعبد الله بن عمر وقيل أنه كان

ملكاً عادلاً وروى عن علي بن أبي طالب (ع) انه كان عبداً صالحاً احب الله وأحبه الله وتامع الله وتامعه قد امر قومه بقوى الله فصره على قوته ضربة بالسيف فقتل عنهم ما شاء الله ثم رجع اليهم فمدحهم الى الله فصره على قوته الآخر بالسيف فذلك قترانه وفيكم مثله يعني نفسه (ع) وفي سبب تسميته بذي القرنين اقوال أخر **منها** انه سمي به لأنه كانت له خفرتان عن الحسن **منها** انه كان على رأسه شبه القرنين تواريه الهامة عن يمل بن عبيد **منها** انه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب فسمي بذلك لاستيلائه على قرن الشمس من مفرها وقرنها من مطلعها عن الزهرية واختاره الزجاج **منها** انه رأى في منامه انه دفى من الشمس حتى اخذ بقرنها في شرقها وغربها فنقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين عن وهب **منها** انه عاش عيش قرنين فافترض في وقته قرنان من الناس وهو سمي **منها** انه كان كريم الطرفين من اهل بيت الشرف من قبل ابيه وامه قال معاذ بن جبل كان من ابناء الروم واسمه الاسكندر وهو الذي بني الاسكندرية (قل سأطو عليكم منه ذكراً) معناه قل يا محمد سأقرأ عليكم منه خيراً وقصة (انا مكنا له في الأرض) اي بسطنا يده في الأرض وملكنا حتى استولى عليها وقام بها لها وروي عن علي (ع) انه قال سخر الله له السحاب فحمله عليها وذل في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه في الأرض وهو انه سهل عليه المسير فيها وذل له طريقها وحزونها حتى تمكنت منها انى شاء (وآتيانه من كل شيء سبياً) اي فأعليته من كل شيء علماً يتسبب به إلى إرادته ويبلغ به إلى حاجته عن ابن عباس وقطادة والضحاك وقيل معناه وآتيانه من كل شيء يستعين به الملك على فتح البلاد ومحاربة الاعداء عن الجبائي وقيل معناه وآتيانه من كل شيء سبيلاً قال سبحانه لمعي ابغ الاسباب اسباب السماوات اي سبيلها (فأتبع سبياً) معناه فأتبع طريقاً واحداً في سلوكه قال الزجاج معناه فأتبع سبياً من الاسباب التي اوتي بها وذلك انه اوتي من كل شيء سبياً فأتبع من تلك الاسباب التي اوتي بها في المسير إلى المغرب ومن قرأ فأتبع سبياً فمعناه لحق كقوله فأتبعه الشيطان والأصل فيه ما مر ذكره في الحجة (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) اي موضع غروبها ومعناه انه انتهى إلى آخر العارة من جانب المغرب وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحد إلى موضع غروب الشمس ولم يرد بذلك انه بلغ إلى موضع الغروب لأنه لا يصل اليه أحد (وجدها) تغرب معناه وجدها كأنها (تغرب في عين حمئة) وان كانت تغرب في ورائها عن الجبائي وابن مسلم والبخي لأن الشمس لا تزايل الفلك ولا تدخل عين الماء ولأنه قال ووجد عدوها قوماً ولكن لما بلغ ذو القرنين ذلك الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين كأن من كان في البحر رآها كأنها تغرب في الماء ومن كان في البر رآها كأنها تغرب في الأرض الملاء والعين الحمئة هي ذات الحياة وهي الطين الاسود المشتمل والحماية الحارة وعن كعب قال اجدها في التوراة تغرب في ماء وطنين وقوله (ووجد عدوها قوماً) معناه ووجد عند العين ناساً (قلنا ياذا القرنين إما ان تمذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) في هذا دلالة على ان القوم كانوا كفاراً والملئى اما ان تمذب بالقتل من أقام منهم على الشرك وأما ان تأمرهم وتسلمهم بمد الأسر لتسلمهم الهدى وتستفتحهم من العمى وقيل معناه واما ان تغفر عنهم واستعمل من ذهب إلى ان ذا القرنين كان نبياً بهذا قال لأن أمر الله تعالى لا يعلم الا بالوحي والوحي لا يجوز إلا على الانبياء وقال الكلبي ان الله تعالى اوحى له ولم يوح اليه وقال ابن الانباري ان كان ذو القرنين نبياً فان الله تعالى قال له كما يقول للأنبياء إما يحكم اديوسي وان لم يكن نبياً فلنمسي قلنا الهنا لأن الالهام ينوب عن الوحي قال سبحانه واورسنا إلى ما موسى أي والهناها قال قتادة ففسي ذو القرنين فيهم قضاء الله تعالى وكان عالماً بالسياسة قال (أما من ظلم) اي اشرك عن ابن عباس (فسوف نمذبه) اي نقتله اذا لم يرجع عن الشرك (ثم يرد الى ربه) بمد قتي اياه (فيعذبه عذاباً نكراً) اي مشكراً غير معهود يعني سيف النار وهو أشد من القتل في الدنيا

قوله تعالى (٨٨) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٩) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا (٩٠) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا (٩١) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا (٩٢) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا خمس آيات عراقي

(القراءة)

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ويعقوب فله جزاء بالنصب والتثوين . والباقيون جزاء الحسن بالرفع والإضافة

الحجة

قال أبو علي من قال فله جزاء الحسن كان المعنى فله جزاء لخلل الحسن التي عملها لأن الإيمان والعمل الصالح خلل ومن قال فله جزاء الحسن فالمنى له الحسن جزاء فيجزاء مصدر وقع موقع الحال أي فله الحسن مجزية وقال أبو الحسن وهذا لا يكاد العرب تتكلم به مقدما إلا في الشر

المعنى

(وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسن) مرعناه (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي سنقول له قولا جميلا وسنأمره بما ييسر عليه ولا نؤاخذنه بما مضى من كفره (ثم أتبع سبيلًا) أي طريقا آخر من الأرض ليؤديه إلى مطلع الشمس ويوصله إلى المشرق (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) أي بلغ موضع إبداء العارة من الجانب الذي تطلع منه الشمس (وجدها تطلع على قوم لم يجعل لهم من دونهما سبيلًا) معناه أنه لم يكن بها جبل ولا شجر ولا بناء لأن أرضهم لم يكن ثبت عليها بناء فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والأمساب وإذا غربت تصرفوا في أمزهم عن الحسن وقادة وابن جريج وروى عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع) قال لم يعلموا صنعة البيوت وقوله كذلك معناه مثل ذلك القبيل الذي كانوا عند مغرب الشمس في أن حكمهم حكم أولئك وقيل إن معناه أنه أتبع سبيلًا إلى مطلع الشمس مثل ما أتبع سبيلًا إلى مغرب الشمس وهم الكلام عند قوله (كذلك) ثم إبداء سبحانه فقال (وقد أحطنا بما لديه خيرا) أي علمنا ما كان عند ذي القرنين من الميوش والعدة وآلات السياسة وقيل معناه أحطنا علما بصلاحه واستقلاله بما ملكناه قبل أن يفله كما علمناه بعد أن فعله ولم يفض علينا حاله وفي قوله بما لديه إشارة إلى حسن البناء عليه والرضا بأفعاله لامثاله أمر الله تعالى في كل أحواله ثم أتبع سبيلًا معناه ثم أتبع مسلكا بالتمام ما يليق به قطارًا من أقطار الأرض وهذا يقوي قول من قال إن الأرض كروية الشكل لأنه لم يأخذ في الطريق الذي كان قد عاد فيه وإنما أخذ في طريق آخر

قوله تعالى (٩٣) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَسْكُونُونَ يَقُولُونَ قَوْلًا (٩٤) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يُجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٥) قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٦) آتَوْنِي زَبْرًا الْحَدِيدَ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٧) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٨) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَمْلًا دَكَّاهُمْ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ست آيات

﴿القرأة﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بين السدين وسدا بالفتح هنا وفي يامين بالضم وقرأ أهل الكوفة غير عاصم بين السدين بضم السين وسداحيث كان بالفتح وقرأ حمص الجميع بالفتح وقرأ الباقون الجميع بالضم كل القراءت وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يفتقون بضم الياء وكسر القاف والياقون يفتح الياء والقاف وقرأ عاصم بأجوج وأجوج بالهمزة ومثله في الانبياء وقرأ الباقون بغير همزة فيهما في السورتين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم خرابا وفي المؤمنين خرابا فخارج ذلك كله بالالف والياقون خرابا بغير الف في الموضعين فخارج ذلك بالالف وقرأ ابن كثير ما مكثي بنون والياقون بنون واحدة مشددة وقرأ عيسى عن أبي بكر ردما أتوني بالوصل وقرأ حمزة ويحيى عن أبي بكر قال إيتوني بالوصل أيضا والياقون أتوني يقطع الالف في الحرفين وقرأ أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر بين الصدين يفتح الصاد والدال وقرأ الباقون بضم الصاد والدال غير أبي بكر فإنه قرأ بضم الصاد وسكون الدال وقرأ حمزة غير خلاف فما استطاعوا مشددة الطاء والياقون خفيفة الطاء وقرأ أهل الكوفة دكاه بالمد والهمزة والياقون د كما تونا غير مهموز.

﴿الحجة﴾

قال أبو عبيدة كل شيء وجدته العرب من فصل الله من الجبال والشباب فهو سد بالضم وما بناء الادميون فهو سد وقال غيره هاتان الكلمتان كالصف والصف والفق والفق قال أبو علي يجوز أن يكون السد بالفتح مصدرا والسد بالضم المسدود كالاشياء التي يفصل فيها بين المصادر والاسماء نحو السقي والسقي والشرب والشرب فإذا كان كذلك فالاشياء بين السدين لأنه للمسدود ويجوز فيمن فتح السدين أن يحمله اسما للمسدود نحو نسج اليمن وضرب الأمير بمعنى المسوج والمضروب ومن قرأ لا يكادون يفقهون فلان ففقت يتعدى الى مفعول واحد نحو ففقت السنة فإذا قلته تعدى الى مفعولين فيمكن المعنى فيمن ضم لا يكادون يفقهون أحدا قولنا فحفذ أحد المتفولين كاحذف من قوله فاتبعهم مشرفين والمعنى فاتبعهم جندهم مشرفين وقوله فاتبعهم فرعون وجوده أي فاتبعهم فرعون طلبه إياهم أو يتبعهم لهم والحذف في هذا النحو كثير قال أبو علي بأجوج أن جعله عريبا فهو يفعل من أج نحو يربو ج ومن لم يهمز أمكن أن يكون خفف الهمزة قلبها الف فهو على قوله يفعل أيضا وإن كانت الالف في بأجوج ليس على التخفيف فإنه فاعول من ي ج ج فإن جعلت الكلمة من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كمن قال ساق ونحو ذلك مما جاء مهموزا ولم يتبع أن يهمز ويكون الامتناع من صرفه على هذا للتأنيث والتعريف كأنه اسم الثقيلة كجوس وأما بأجوج فمن همز فمفعول مناج فالكلمتان على هذا من أصل واحد ومن لم يهمز فإنه فاعول من مع فالكلمتان على هذا من أصلين وليسا من أصل واحد ويكون ترك الصرف فيه أيضا للتعريف والتأنيث فإن جعلتهما من العممية فهذه التمثيلات لا تصح فيهما وإنما امتنا من الصرف المعجمة والتعريف وقوله هل يعمل لك خرابا أي هل تجعل لك عطية نخرجها إليك من أموالنا وكذلك قوله أم تسألهم خرابا أي مالا يخرجونه إليك فأما المضروب على الأرض فالخراج وقد يجوز في غير ضرائب الأرض الخراج بدلالة قول العجاج «يوم خراج يخرج السمرجا» فهذا ليس على الضرائب التي ألزمت الأرضين لأن ذلك لا يضاف الى وقت من يوم وغيره وإنما هو شيء مويد لا يتغير وقوله ما مكثي باظهار المثلين فلان الثاني منهما غير لازم لأنك قد تقول قد مكثت ومكثته فلا تلزم النون فلما لم تلزم لم يتعد بها كما أن التاء في اقبلوا كذلك ومن ادغم لم ينزله منزلة مالا يلزم فأدغم كما أن من قال اقبلوا في اقبلوا كان كذلك قال أبو علي ومكث مكانه فهو مكثين قل غير متعديا فاضفت السين عديته بذلك وحجة من قرأ ردما إيتوني إيتوني أن شبه ياتيني بقره لأنه مكثهم المعونة على عمل السد ولم يقبل الخراج الذي بذلوه له وقوله إيتوني الذي مضاه يبيوني وإنما هو معونة على ما مكثهم في

قوله فأعيتوني بقوة وأما أتوني فمعناه اعطوني فاعطوني يجوز ان يكون على التالوة يجوز ان يكون على الالتهاج والتثني المقصورة لا يحتمل الايجوتي فيكون احسن هنا لاختصاصه بالمعونة فقط دون ان يكون سؤال عين والهيبة قد تكون جبة قال

ومنا الذي اعطى الرسول عطية اسارى تميم والعيون دوامع

فالعطية تجري مجرى المية لهم والاسام عليهم في تلك الاسر وقد تكون بمعنى التالوة ووجه قراءة من قرأ أتوني انه لم يرد باتوني الضيق والمعنى ولكن تكليف التالوة بالانقاس كما كان قراءة من قرأ أتوني لا يعرف الى استدعائه فليك عين يهبة ولا يهترها فأما انتصاب زير الحديد فإليك تقول اتحك بدبرهم قال

اتيت بعد الله في القيد موثقا فهلا سعيدا ذا الحياطة والعدر

فصل الفعل إلى الفصول الثاني بحرف جر ثم يجوز ان يحذف الحرف استعاضا بفصل الفعل إلى الفصول الثاني على حصار ترك الغير ونحوه والصدف والصدف والصدف لثبات فاشية قال ابو عبيدة الصدفان جنتنا الجبل ومن قرأ أتوني افترغ عليه قطرا فمعناه جيئوني به كما قلناه في أتوني زير الحديد في اتصال الفعل الى الفصول الثاني بحرف الجر انما انه اعلم الفعل الثاني فلو عمل الفعل الأول لكان أتوني افترغ عليه قطرا يقطر الا ان يقدر ان الفعل يصل إلى الفصول الثاني بلا حرف كما كان كذلك في قوله أتوني زير الحديد وجميع ما مرنا في التنزيل من هذا النحو انما هو على افعال الثاني كما يختاره سيويه فمن ذلك قوله يستفتونك قل الله يفتيك في الكلاله ومنه قوله هاؤم اقراؤا كتابيه ووجه من قرأ أتوني ان المعنى فاولوني قطرا افترغ عليه قطرا الا انما عمل الثاني من الفعلين كما عمل الثاني من قصر أتوني وقراءة حزة فما استطاع انما هو على ادغام التاء في الطاء ولم يلق حركتها على السين فيحرك ما لا يهتريك ولكن ادغم مع الن الساكن الذي قبل المدغم ليس حرف مد وقد قرأت الفراء غير حرف من هذا النحو وقد تقدم ذكر وجه هذا النحو وما يؤكده ذلك ان سيويه انشد

كأنه بعد كلال الزاجر ومسحه مرقاب كلس

والخلف في استطاعوا والاثبات في استطاعوا كل واحد منهما احسن من الادغام على هذا الوجه الذي هو جمع بين السين الساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة ايضا وأما قوله جملة دكا فإنه يحتمل امرين ﴿احدهما﴾ انه لما قال جملة دكا كانت بمنزلة خلق وعمل فكانه قال دكه دكا فحمله على الفعل الذي دل عليه قوله جملة والوجه الآخر ان يكون جملة ذاك فحذف المضاف ويمكن ان يكون حالاً في هذا الوجه ومن قرأ دكا فعل حذف المضاف كأنه جملة مثل دكا قالوا ناقة دكا اي لاستام لها ولا يد من تقدير الحذف لأن الجبل مذكر فلا يوصف بدكا

ثمة اللفظة

السدوشع ما ينتهي به انطرق يقال سده سده ومنه صد السهم لأنه سد عليه طرق الاضطراب ومنه السداد الصواب والردم السد والحاجر يقال ردم فلان موضع كذا يردمه ردماً والثوب المردم المخلق للرقع ومنه قول حنتره هل غادر الشراء من مرقدم ام هل عرفت الدار بعد قورم أي هل تركوا من قول يؤولف تأليف الثوب للرقع والزيرة الجملة للبحشة من الحديد والصفو ونحوها واسمه الاجتماع ومنه الزيود وزيت الكتاب إذا كثبته لأنك جمعت حروفه قال ابو عبيدة النضر الحديديد الملبأ أنشد

جراز من اقطار الحديد الممت

حسام آكون الثلج صاف حديده

وأصله من القطر لأن الرصاص والحديد إذا أذيب قطر كما يقطر الماء وفي استطاع ثلاث لغات استطاع يستطيع واستطاع يستطيع واستاع يستعجى يحذف الطاء استعجلوا اجتماعهما وهما من مخرج واحد فاستطاع يستطيع يقطع ألف وهو أطاع افعل فزادوا السين عوضاً من نحاب حركة الواو لأن أصل أطاع أطوع ومثله اعراق يعريق زادوا الماء في أراق يريق وليس هذا العوض بل لازم ألا ترى أن ما كان نحوه لم يلزمه هذا العوض

معنى المعنى

(حتى إذا بلغ بين السدين) ثم أخبر سبحانه عن حال ذي القرنين بعد متصرفه في المشرق أنه سلك طريقاً إلى أن بلغ بين السدين ووصل إلى ما بينهما وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما وهو الحاجزين بأجوج وما جوج ومن وراءهم عن ابن عباس وهماة والضحاك وقيل أراد بالسدين الموضع الذي فيه السدان اليوم لأنه لو كانت هناك سد لم يمكن لطليهم السد معنى والسد الموضع للسدود لا المنفتح (وجد من دولتهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) أي خصوا بلغة كادوا لا يعرفون غيرها قال ابن عباس كادوا لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم وإنما قال لا يكادون لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم وإن كان بعد شدة ولذلك حكى الله عنهم أنهم (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) ويعجزون أن يكون الله سبحانه نفوهم ذا القرنين لسانهم كما فهم سليمان (ع) منطق الطير أو قالوا له بترجمان إن يأجوج ومأجوج مفسدون في أرضهم ولسادم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم وبأ تكون لحومهم ودوابهم وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا ياب إلا احملوه عن الكلي وقيل أرادوا أنهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم وورد في الخبر عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة إلى أن يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز قلت يا رسول الله وما الارز قال شجر بالشام طواله وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهو لا يأكل الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد وصنف منهم يقرش إحدى أذنيه ويلتصق بالآخرى ولا يمرون ببل ولا وحش ولا جمل ولا تنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمهم بالشام وصنفهم يترسان بشرى نهار المشرق وبسيرة طرية قال وهب ومقاتل أنهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك وقال السدي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فبأ ذو القرنين ففصر السد فبقيت خارجة وقال قتادة إن ذا القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة دون السد فبهم الترك وقال كعب بن تارده في ولدني آدم وذلك أن آدم (ع) احتل ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وهذا بعيد وقوله (فهل نفضل لك خرجاً) أو خرجاً معناه فهل نفضل لك بعضاً من أموالنا (علي أن نفضل بيننا وبينهم سداً) أي حائطاً وقيل في الفرق بين الخرج والخراج أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض والخرج اسم لما يخرج من المال وقيل الخراج النقة والخرج الاجرة وقيل الخراج ما يؤخذ من الأرض والخرج ما يؤخذ من الرقاب قاله أبو عمرو وقيل الخراج ما يؤخذ في كل سنة والخرج ما يؤخذ دفعة عن ثقل (قال) ذو القرنين (ما مكنتي فيه ربي خير) أي أعطاني ربي من المال ومكنتي فيه من الاتساع في الدنيا خير مما عرضتموه علي من الأجر (فأعينوني بقوة) أي يرجال فيكون معناه بقوة الأبدان وقيل بسد تعملونه معي عن الزواج وقيل بألة العمل وذلك زير الحديد والصفر (أجبل يسكنهم وبينهم ردم) أي سداً وحاجزاً قال ابن عباس الردم أشد الحجاب وقيل هو السد المترابض على بعض (أتوني زير الحديد) أي أعطوني قطع الحديد أو جيتوا بقطع الحديد على القراءة الأخرى وفي الكلام حذف وهو أنهم أتوه بما طلبه منهم من زير الحديد ليصل الردم في وجهه بأجوج ومأجوج فبأه (حتى إننا سواي بين السدين) أي

سوى بين جاني الجبل بما جعل بينهما من الزبر قال الأزهري يقال لجاني الجبل صدفان لتصادفهما أي تصادفهما وتلاقيهما وقيل هما جبلان كل واحد منهما منعدل عن الآخر كأنه قد صدف عنه وقوله (قال انقضوا) منناه قال ذو القرنين انقضوا النار على الزبر أمرهم ان يؤمى بجانف المذاين فينفخوا في نار الحديد التي اوقدت فيه (حتى إذا جعله نارا) أي حتى إذا جعل الحديد كالنار في منظره من الحلي والهب فصار قطعة واحدة لا زبر بعضها بعضاً (قال أتوفي افزع عليه قطراً) أي اعطوني نحرًا من الماء او صغراً من الماء منساباً اسبه إلى السدين الجبلين حتى يفسد التلب الذي فيه ويصير جداراً مصمتاً فكانت حجارته الحديد وطيبته النحاس الغالب عن ابن عباس ومجاهد والضحاك قال قتادة فهو كالبرد للمحير طريقة سوداء وطريقة حمراء (فما استطاعوا ان يظهره) منناه فلما لم يستطع بأجوج ومأجوج أن يبلوه ويصمدوه يقال ظهرت السطح إذا علوته (وما استطاعوا له تقبلاً) أي ولم يستطيعوا ان يتقبوا اسفله لكثافته وصلابته وتقي بذلك كل عيب يكون في السد وقيل ان هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط وقيل انه وراء درجد وخزران من ناحية ارمينية واذربيجان وقيل ان مقدار ارتفاع السد ماثا ذراع وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً (قال) ذو القرنين (هنا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله لعباده انهم بها عليهم في دفع شر يأجوج ومأجوج عنهم (فإذا جاء وعد ربي) يعني إذا جاء وقت اشراط الساعة ووقت خروجهم الذي قدره الله تعالى (بجمله دكا) أي جعل السد أرضاً مستوية مع الأرض مذكوراً أو ذا دك وإنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود وجاء في الحديث أنهم يدأبون في فحره نهارهم حتى إذا أسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا ارجع غداً وقتحه ولا يستثنون فيعودون من الند وقد استوى كما كان حتى إذا جاء وعد الله قالوا غدا نتصع ونخرج إن شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئة حنين تركوه بالأس فيغرفوته ويخرجون على الناس فينشئون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون قد قربنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء نيبث الله عليهم لننقا في افعالهم فيدخل في اذانهم فيهلكون بها فقال النبي ﷺ والذي قدس عهد يده ان دواب الأرض تسمن وتسكر من لحمهم سكرًا وفي تفسير الكلبي ان الغضر والبسح يجتمعان كل ليلة على ذلك السد فيجبان بأجوج ومأجوج عن الفروج (وكان وعد ربي حقاً) أي وكان ما وعد الله بأن يفعله لا يد من كونه فلما نه حتى اذ لا يجوز ان يظلب وعده

قوله تعالى (٩٩) وَرَكَتْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَافً (١٠٠) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرَضًا (١٠١) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَافَةٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠٢) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ نَزْلًا (١٠٣) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْآخِرِينَ أَعْمَالًا (١٠٤) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِنْعًا (١٠٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (١٠٦) ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ثَماني آيات

﴿ القراءه ﴾

قرأ ابو بكر في رواية الاেশى والبرجي عنه وزيد بن يعقوب أنصعب الذين كفروا برغم الباء وسكون

السين وهو قراءة أمير المؤمنين (ع) وابن عمر والحسن ومجاهد وعكرمة وقنادة والضحاك وابن أبي ليلى وهذا من الأحرف التي اختارها أبو بكر وخالف عاصم فيها وذكر أنه أدخلها في قراءة عاصم من قراءة أمير المؤمنين (ع) حتى استخلص قراءته وقرأ الباقون أفصب بكسر السين وفتح الباء.

— (الحجة) —

قال ابن جني منتهأ أفصب الكافرين وظلمهم ومطلوبهم أن يتخذوا عبادي من ذوي أولياء بل يجب أن يعبدوا أنفسهم مثلهم فيكون كلهم عبداً وأولياء لي ونحوه قوله تعالى وتلك نعمة فتحها علي أن عبدت بني إسرائيل أي اتخذتهم عبيداً لك وهذا أيضاً هو المعنى إذا كانت القراءة أفصب الذين كفروا إلا أن حسب ساكنة السين ذهب في الذم لهم وذلك لأنه جعله غاية مرادهم ومجبوب مطلوبهم وليست القراءة الأخرى كذلك

❦ الفحة ❦

الترك التخيلة والتركبة بيضة النعام كأنها تركت بالراء والتركبة أيضاً الروضة بغلقها الناس فلا يرمونها والترك ضد الأخذ والترك في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى وإنما يجوز على المأذوم بعده إلا أنه يتوسع فيه فيغير فيه من الإخلال بالشئ بتركه الموج اضطراب الماء بتركب بضه على بعض والتزلم ما يعسى التزليل وهو الضيف قال الشاعر

زِيلَ القوم اعظمهم حقوقاً وحق الله في حق التزليل

وعظم ذو نزل ونزل بفتح النون والزاء أيضاً ذو فضل

❦ الأعراب ❦

أن يتخذوا في موضع نصب يوقع حسب عليه ومن قرأ فصب بالرفع وسكون السين فإن يتخذوا في موضع رفع أعما منصوب على التثنية لأنه لما قال بالأخسرين كان معها لا يدل على ما خسروه فبين ذلك الحسran في أي نوع وقع والذين يصلح أن يكون في موضع جر على الصفة للأخسرين ويصلح أن يكون في موضع رفع على الاستئناف أي هم الذين ضل سبيلهم

❦ المعنى ❦

ثم أخبر سبحانه عن حال تلك الأمم فقال (وتركنا بعضهم يومئذ يخرج في بعض) أي وتركنا أيأخرج وما جرح يوم انتضاء أمر السد يخرجون في الدنيا متطلعين لكفرتهم ويكون حالهم كحال الماء الذي يتسوج باضطراب أمواجه وقيل أنه أود سائر الخلق من الجن والإنس أي وتركناهم يوم خروج يأجوج ومأجوج فيقتلون بعضهم بعضاً لأن ذلك علم للامة ثم ذكر سبحانه نفتح الصور فقال (ونفتح في الصور) لأن خروج يأجوج ومأجوج من اشرط الساعة وانتكف في الصور فقبل هو قرن يفتح فيه عن ابن عباس وابن عمر وقيل هو جمع صورة فلأن الله سبحانه يصور الخلق في القبور كاصورهم في ارحام الامهات ثم يفتح فيهم الادواح كفتحهم في ارحام امهاتهم جن الحسن وابي مبيدة وقيل انه يفتح اسرافيل في الصور ثلاث نفثات فالنفثة الأولى نفثة الفزع والثانية نفثة الصبح التي يصق من في السواول والارض فيسوتون والثالثة نفثة القيام لرب العالمين فيعشر الناس بها من قبورهم (فجسناهم جميعاً) أي حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في صعيد واحد (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) أي اظهرنا جهنم وامرنا بها لهم حتى شاهدوها ورأوا الزمان عذابها قبل دخولها ثم وصف الكافرين فقال (الذين كانت امنهم في غطاء من ذكري) ذكر سبحانه السبب الذي استحقوا به النار يعني الذين غفلوا عن الاعتبار بقدرتي الموجب لذكري وامرضوا عن التفكير في آياتي ودلائلي فصاروا بمنزلة من يكون في مئنه غطاء يمنه من الادراك (واكفروا لا يستطيعون سماعاً) أي وكان يحتمل عليهم سماع القرآن وذكر الله تعالى كما يقال فلان

لا يستطيع النظر اليك ولا يستطيع ان يسمع كلامك اي ينقل عليه ذلك وأراد بالذين هنا إلى القلب كما يضاف
 إلى القلب (أفصب الذنوب كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء) معناه أفصب الذين جعلوا توحيد الله
 ان يتخذوا من دوني اربابا يصرونهم ويدفنون عقالي منهم والمراد بالعباد المسبح والملائكة الذين عبدوهم من
 دون الله وهم براء منهم ومن كل شرك بالله تعالى وقيل معناه أفصب الذين كفروا ان يتخذوا من دوني آلهة
 واننا لا غضب لنفسي عليهم ولا أعاقبهم عن ابن عباس ويدل على هذا المذهب قوله (اننا عندنا جهنم للكافرين
 نزلا) اي منزلا عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس يريد هي شواهم ومصيرهم وقيل معناه اننا جئنا بهم مدة
 هباءا لكافرين عندنا كما يعيا التزل لأضيف (قل) يا محمد (هل ننبشكم) اي هل نخبركم (بالآخرين
 اعلا) اي بأخسر الناس لعلا والمعنى بالقوم الذين هم أخسر الناس فيما عملوا وهم كفار أهل الكتاب اليهود
 والنصارى (الذين ضل سعيهم) اي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
 صنعا) اي يظنون أنهم يفعلهم محسنون وان أفصلهم طاعة وقربة وروى العياشي بإسناده قال قام ابن الكوا إلى
 أمير المؤمنين (ع) فسأله من أهل هذه الآية فقال أو تلك أهل الكتاب كفروا بربههم وابتدعوا في دينهم فصبطت
 أصابعهم وما أهل النهر منهم بيميد يعني الخواارج (أو تلك الذين كفروا بآيات ربههم ولقائه فصبطت أصابعهم)
 اي جعلوا بجميع الله وبيئاته وقاء جزائه في الآخرة فصبطت وضاعت أعمالهم التي عملوها لأنهم أوقعوا على
 خلاف الوجه الذي أمرهم الله به (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) اي لا قيمة لهم عندنا ولا كرامة ولا تشبههم
 بل نستخف بهم ونماهم بقول الرب ما قلنا عندنا وزن اي قدر ومقالة ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له فلهذا
 بسرعة بعطشه وقلة تشبه وروى في الصحيح ان النبي ﷺ قال إنه يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة
 لا يزن جناح بعوضة (ذلك جزاؤهم جهنم) معناه الامر ذلك الذي ذكرت من حبط أعمالهم وخيبة قدرهم
 ثم ابتداء سبحانه فقال جزاؤهم جهنم (بما كفروا واتخذوا آياتي روسلي هزوا) اي يكفروهم واتخذهم آياتي
 اي إبادتي الدالة على توحيدني يعني القرآن ورسلي هزوا اي هزوا به

قوله تعالى (١٠٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا
 (١٠٨) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَمُوتُونَ عَنْهَا حَوْلًا (١٠٩) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي
 لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١١٠) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
 يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
 بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ان ينفذ بالياء. والباقيون تنفذ بالياء. وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن مسعود
 ومجاهد وسليمان التيمي ولو جئنا بمثل ممداد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي تنفذ بالياء احسن لأن المسند اليه للفعل موثق والمذكر حسن ايضا لأن التأنيث ليس بمجتيبي
 ومن قرأ ممداد فهو منصوب على الحال كما يقال جئتكَ بزيد عرا لك وممددا لك ويجوز ان ينصب على المصدر
 بفعل مضارع يدل عليه قوله ولو جئنا بمثله فكانه قال لممددا به اممددا ثم وضع ممددا موضع اممدادا وقال الزجاج هو
 منصوب على التمييز ومن قال جئنا بمثله ممدادا فانه ينصب على التمييز والمعنى بمثله من الممداد ويكون مثل

قوله في مثله جدا اي من الميد وعلى الثمرة مثلها زيدا اي من الزيد

(- اللغة -)

الفرديوس البستان الذي يجتمع فيه الثمر والزهو وسائر ما يجتمع ويلد قال الزجاج هو البستان الذي يجمع حلس كل بستان قال وقال قوم ان الفرديوس الاودية التي تنبت شروبا من الثبت وقالوا هو بالرومية منقول إلى لفظ المريق ولم نجد في اشعار العرب الا في بيت حسان

فان ثواب الله كل موحد جنان من الفرديوس فيها يخلد

والحول التحول يقال قد حال من مكانه حولا كما قالوا في المصاد صر صرا وعظم مثلا وعاد في جها مردا وقيل إن الحول ايضا الحيلة وقيل ان الحول بمعنى التحويل يقال حولوا عنها تحويلا وحولا عن الازهري وابن الأراهي والمداد الذي يكتب به والمداد المصدر وهو يحيى شى بعد شى والكلمة الواحدة من الكلام وقد يقال للقصيدة كلمة لأنها قطعة واحدة من الكلام (وما) يسأل عنه فيقال إن الكلمات لأقل المدد فكيف جاء بها حاشا والجواب أن العرب تستفي بالجسم القليل من الجسم الكثير وبالكثير من القليل قال الله تعالى وهم في الثمرات آمنون والترف في الجنة أكثر من أن تحصى وقال هم درجات عند الله وقال حسان

لنا الخففات الفريلمن في الضحى واسياقنا يعطرن من نجدة دما

وكان ابو علي الفارسي ينكر الحكاية التي تروى عن الثابتة وأنه قال لحسان قلت جنتاكم واسياقكم فقال لا يصح هذا من الثابتة

الاغراب

إن جعلت تولا بمعنى المثل فهو خير كان على ظاهره وإن جعلته بمعنى ما يقام للمثل قد مدت المضاف على معنى كانت لهم غار جنت الفرديوس ونسبهما تولا ويجوز أن يكون تولا جمع نازل فيكون نصبا على الحال من الضمير في لهم ومعنى كان أنه كان في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا من ابن الانباري وقوله فليعمل يجوز كسر اللام واسكانها والاصل الكسر إلا أنه يتقل في اللفظ

اللمنى

لما تقدم ذكر حال الكافرين عقبه سبحانه بذكر حال المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (وعملوا الصالحات) كانت لهم جنت الفرديوس (اي كان في حكم الله وعلمه لهم بسايق الفرديوس وهو اطيب موضع في الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها من قتادة وقيل هو الجنة الملتفة الأشجار من قتادة وقيل هو البستان الذي فيه الأناب عن كعب وروى عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفرديوس اعلاها درجة منها تغير انهار الجنة الاربعه فإذا سألت الله تعالى فاسأله الفرديوس (تولا) اي بمنزلة وما رأى وقيل ذات تزل (خالدين فيها) أي دائمين فيها (لا يوفون عنها حولا) اي لا يظلمون عن تلك الجنت تحولا إلى موضع آخر لطيفها وحصول مرادهم فيها ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ فقال (قل) يا محمد لجميع المؤمنين (لو كان البحر) وهو اسم الجنس اي لو كان البحر بانه (مدادا لكلمات ربي) اي مدادا ليكتب به ما يقدر الله عليه من الكلام والحكم وقيل أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على أن يخلقه من الاشياء. ويأمر به كما قال في عيسى (ع) وكلتة القها إلى مريم وقيل أراد بالكلمات ما وعد لأهل الثواب وواعد لأهل العقاب عن ابي مسلم (لنفد البحر) اي قنى ماء البحر (قبل أن تنفذ كلمات ربي) وقيل ان كلماته المراد بها مقدوراته وحكمته وعيانيه وقوله (ولو جنتا بثلثة مددا) اي ولو جنتا بثلث البحر مددا له اي عونا وزيادة لما نفد ذلك وقيل أراد بكلمات ربي معاني كلمات ربي وفرائدها وهي القرآن وسائر كتبه ولم يد

بذلك اعيان الكليلة لانه قد فرغ من كتابتها فيكون تقدير قل لو كان البحر مدادا لكتابة معاني
كلماتي لاني لند البحر قبل ان تصد كتابة معاني كلتي ربي فحذف لأن المعنى مفهوم والمداد هو الجاني والأي
شيئا بعد شيء قال ابن الانباري سمي المداد مدادا لأن مداده الكاتب ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداد
ودوي عكرمة عن ابن عباس قال لا نزل قوله وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا قالت اليهود أوتينا علما كثيرا
أوتينا النوراة وفيها علم كثير فأنزل الله هذه الآية ولذلك قال الحسن أراد بالكليلة العلم فزله لا يدرك ولا يحصى
ونظيره ولو ان ماني الأرض من شجرة اتلام الآية ثم قال (قل) يا معبد (اقتاتا بشر مثلكم) قال ابن
عباس علم الله نبيه التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره ان يقر على نفسه بأنه ادنى كثيره إلا أنه اكرم بالوحي
وهو قوله (يحيى إلي انما أهلكم إله واحد) لا شريك له أي لا فضل لي عليكم إلا بالدين والنبوة ولا علم لي
إلا بما علمني الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي فمن كان يطمع في لقاء ثواب ربه ويأمله ويقرب بالبحث
إليه والوقوف بين يديه وقيل معناه فمن كان يحشى لقاء عقاب ربه وقيل ان الرجا يشتمل على كلا المعنيين الخوف
والأمل واتشد في ذلك قول الشاعر

فلا كل ما ترجو من الخير كائن ولا كل ما ترجو من الشر واقع

(فليعمل عملا صالحا) أي خالصا تعالى يتقرب به إليه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فغيره من ملك أو بشرا
حجرا أو شجر من الحسن وقيل معناه لا يراني في عبادة أحد من سجدين جبر أو قال ساجدا جاء رجل إلى النبي ﷺ
فقال أي اتصدق وأصل الرعم ولا اصنع ذلك إلا الله فيذكر ذلك مني واحد عليه فيسرني ذلك وأصعب به
فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا فقلت الآية قال علا من ابن عباس إن الله تعالى قال ولا يشرك
بعبادة ربه أحدا ولم يقل ولا يشرك به لأنه أراد العمل الذي يعمل له ويجب ان يحمد عليه قال ولذلك يستحب
للرجل ان يقدم صدقته إلى غيره ليقسها كيلا يظلمه من يصله بها ودوي عن النبي ﷺ انه قال قال الله عز
وجل انا اغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فلأنه منه بري فهو الذي أشرك أوردته مسلم في
الصحيح ودوي عن عبادة بن الصامت وشدا بن أوس قال سمنا رسول الله ﷺ يقول من صلى صلاة يراني بها
فقد أشرك ومن صام صوما يراني به فقد أشرك ثم قرأ هذه الآية ودوي ان ابا الحسن الرضا (ع) دخل يوما على
الأمير فآخى يتوضأ للصلاة والتلام يصعب على يده الماء فقال لا تشرك بعبادة ربك أحدا فصرف المؤمن التلام
وتولى اتام وضوءه بنفسه وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن ودوي الشيخ أبو جعفر بن بابويه بأسناده
عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده من علي (ع) قال ما من عبد يقرأ قل لا أشرك بالله شيئا إلا
كان له نور في مضجعه إلى بيت الله الحرام فلن كان من أهل البيت الحرام كان له نور إلى بيت المقدس وقال أبو
عبد الله (ع) ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم إلا ينقظ في الساعة التي يريد ما

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الثانية وهي قوله قل لو كان البحر مدادا لكتابت معاني كل ما أقدم الأمر
والنهي والوعد والوعيد وعقب ذلك سبحانه ببيان ان مقدراته لا تنتهي وأنه قادر على ما يشاء في فعله وأوامره
على حسب المصالح فمن الواجب على المكلف ان يمثل أمره ونهيه ويشق بوعده ويتقي بوعده



سورة مريم (ع)

وهي مكية بالاجماع

عدد آياتها

وهي ثمان وتسعون آية عراقية شامية والمدني الأول وتسع مكية والمدني الأخير

اختلافها

ثلاث آيات كهيمس كوفي الرحمن مدا غير الكوفي في الكتاب ابراهيم مكية والمدني الأخير

فضلها

ابن كثير كتب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطى من الاجر بمقد من صدق زكريا وكذب به ويحيى ومريم وعيسى وهوسى وهارون وابراهيم واسحاق ويعقوب واسماعيل عشر حسنة وبعد من دعى لله ولدا وبعد من لم يدع له ولدا وقال الصادق (ع) من اد من قراءة سورة مريم لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها ما يشي في نفسه وماله وولده وكان في الآخرة من اصحاب عيسى بن مريم (ع) واعطى من الاجر في الآخرة ملك سليمان ابن داود في الدنيا

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الكهف بذكر التوحيد والدعاء اليه وافتتح هذه السورة بذكر الانبياء الذين كانوا على تلك الطريقة بمثل الاعتقاد بهم والاعتقاد بهم وهديم ومثاليه فقال
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) كهيمس (٢) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا (٣) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٥) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَٰ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا (٦) يَرْتَضِي وَيَرْضَىٰ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْلَهُ رَبِّ رَضِيًّا من آيات في أنكوفي وخمس في غيرهم

القراءة

قرأ ابو عمرو كهيمس بأماله ها وفتح يا وقرأ ابن عامر يرواية ابن ذكوان وحزة وخلف بفتحها وأماله يا وقرأ الكسائي بأماله ها وروى ذلك عن الزبيدي عن ابن عمرو عن يحيى عن ابى بكر والباقر بفتحها وقرأ ابو عمرو والكسائي يرفقي ويرث بالجرم فيها والباقر بالرفع فيها وفي الشراذ قراءة الحسن ذكر رحمة ربك وقراءة عثمان وابن عباس وزيد بن ثابت وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وابن عمر وسعيد بن جبير وإني خفت الموالى بفتح الما وتشديد الفاء وكسر التاء وقراءة علي بن ابى طالب (ع) وابن عباس ويعقوب بن محمد وابن عمر والحسن والحسين وقادة وإني تهيك يرتني وألث من آل يعقوب

الحجة

قال ابوعلی القزول في امالته الحروف انها لا تنتم لأنها ليست بحروف معنى وإنما هي اسماء لهذه الاصوات قال سيبويه قالوا بالمالها لانها اسماء الماتيهي يفيهازت فيها الامالة كما جازت في الاسماء ويدلك على انها اسماء انك إذا اخبرت عنها اعربت وان كنت لا تعربها قبل ذلك كما ان اسماء العدد إذا اخبرت عنها اعربت فكم ان اسماء العدد

قبل ان تعربها اسماء فكذلك هذه الحروف وإذا كانت اسماء ساغت الامالة فيها فأما من لم يل فلي مذهب أهل الحجاز وكلمه اخفى نون عن الاحصاء فأنه بين النون وقال ابو عثان وبين النون مع حروف القم لمن إلا ان هذه الحروف تجري على الوقف عليها والقطع لها عما بعدها فكسها اليان وان لا تخفى فكذلك اسماء البدد حكما على الوقف وعلى انها منفصلة عما بعدها وما بين انها على الوقفاتهم قالوا ثلاثة اربعة نقلوا حركة الهمزة الى الهاء لسكونها ولم يقبلوها تا. وان كانت موصولة لما كانت الية بها الوقف فكذلك النون ببني ان تبين لأنها في نية الوقف والاتصال بما بعدها ولم يبين ان يستدل بقومهم قطع الهمزة في ألم الله ألا ترى ان الهمزة لم تقطع وان كان ما هي منه في تقدير الاتصال بما قبله فكذلك لم يبين النون من عين لأنها جعلت في حكم الاتصال كما كانت الهمزة فياذ كذا قال ابو الحسن الثمين يعني تبين النون جرد في العربية لأن حرف الهجاء والمدفصل بضمها من بعض كالموعظة القراء على خلاف التبيين ووجه الرفع في قوله يبرئني ويرث إنه سأل ربه وليا وارثا وليس المعنى على الجزء اي ان وهبته يرث ووجه الجزم انه على الجزء وجواب الدعاء ومن قرأ يبرئني وأرث فصمنا التجريد وتقديره فهب لي وليا يبرئني منه وأرث من آل يعقوب وهذا الوارث نفسه قال ابن جني قال وهذا ضرب من العربية غريب فكانه جرد منه وارثا ومثله قوله تعالى لهم فيها دار الخلد وهي نفسها دار الخلد فكانه جرد من الدار دارا وعليه قول الاخل

بنزوة لص بعد ما مر مصعب باشعث لا يغلي ولا هو يقمل

ومصعب نفسه هو الاشعث فكانه استخلص منه اشعث وأما قراءة الحسن ذكر رحمة ربك فلون فاعل ذكر ضمير ما تقدم اي هذا التلويح الذي هذه الحروف اوله وفاتحته بذكر رحمة ربك وعلى هذا ايضا يرفع قوله ذكر رحمة ربك اي هذا القرآن ذكر رحمة ربك وإن شئت كان التقدير وما نقص عليك ذكر رحمة ربك فيكون على الوجه الأول ذكر خبر مبتدأ وعلى الوجه الثاني يكون مبتدأ ومن قال خفت المولى فمعناه قل ينومني واهلي ومعنى من ورائي اي من اخلفه بعدي فقله من ورائي حال متروكة محكية اي متصرا متروكا كونهم بعدي ومثله مسألة الكتاب سرور برب جل معه صقر صائدا به غدا اي متصورا به غدا

﴿ اللغة ﴾

الرمح الضفد ونقصان القرة يقال وهن بين رما والاشعث انتشار شعاع النار وقوله واشعث الرأس شيامن احسن الاستعارات والمعنى اشعث الشيب في الرأس وانتشر كما ينتشر شعاع النار قال الزجاج يقال للشيب إذا كثر جدا قد اشعث رأس فلان واشعث ليد

ان قري راسي امسى واضحا سلط الشيب عليه فاشتعل

والدعاء طلب الفضل من المدعو وفي مقابلته الاجابة كما ان في مقابلة الامر الطاعة والمولى اصله من المولى وهو الترب وسعي ابن المولى لانه يليه في النسب وقال ابن الانباري في كتاب مشكل القرآن المولى في القصة ينقسم على ثمانية اقسام المنعم المحتق والمنعم عليه المحتق والمولى والاولى بالشي وابن المولى والجار والمهر والحليف واستشهد على كل قسم من هذه الاقسام بشي من الشعر وما استشهد به في انه بمعنى المولى والاولى قول الاخل

فأصبحت مولاها من الناس بعده وأحرى قريش أن تهاب وتحمدها

وقوله ايضا يخاطب بني أسية

اصطاكم الله جدا تنصرون به لا جدالا صغيرا بعد محنته

لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

والعاقرة المرأة التي لا تلد يقال امرأة عاقرة ورجل عاقرة لا يولد له ولد قال الشاعر

ليس الفتى ان كنت اسود عاقرا جباناً فيا عذري لدى كل محضر

والعقر في البدن الجرح ومنه أخذ العاقرة لأنه نقص أصل الحلقة أما بالجراحة وأما باستناع الولادة وعقرت النور بالسيف ضربت قوته والجل على أربعة اقسام بمعنى الاحداث كقولهم جل البناء اي احداثه وبمعنى ان يحدث ما يتغير به كقولهم جل الطين خزفاً وبمعنى ان يحدث فيه حكماً كقولهم جل فلاناً فاسقاً اي بما احداث فيه من حكمه وتسيته وبمعنى ان يحدث ما يدعو إلى ان يفعل كقولهم جعله ان يقتل زيداً اي بأن أمره به ودعا إلى قتله

الاعراب

ذكر مرتفع بالضرر وتقديره هذا الذي يتلوه عليك ذكر رحمة ربك وهو مصد مضاف إلى ما هو المقول في المعنى ورحمة مصد مضاف إلى القائل وعبد مفعول حمزة زكريا يدل من بعده او عطف بيان ويقر بالصدر والمذكور له قال رب اني ومن الظلم مني بيان وتقسيم للنداء المحكي وشيئا منصوب على التمييز والتقدير واشتعل الرأس من الشيب بدعائك تقديره بدعائي اياك فالصدر مضاف إلى المقول كقول من دعا الخير وبسؤال نعمتك

المعنى

(كهيعص) قد بينا في اول البقرة اختلاف العلماء في الحروف المعجم التي في أوائل السور وشرحنا قولهم هناك وحدت علمان السائب من سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال ان كاف من كريم وما من هاد وياه من حكيم وعين من طليم وصاد من صادق وفي رواية حطا والكلبي منه ان معناه كاف لحلقه هاد لهاديه يده فوق ايديهم عالم بعبث صادق في وعده وعلى هذا فأن كل واحدا من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله عز وجل وروى عن امير المؤمنين (ع) انه قال في دعائه سألك يا كهيعص (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) أي هذا خير رحمة ربك زكريا عبده ويعني بالرحمة اجابته اياه حين دعا. وسأله الولد وذكرنا اسم نبي من انبياء بني اسرائيل كان من اولاد هارون بن عمران اخي موسى بن عمران وقيل ان معناه ذكر ربك عبده بالرحمة (إذ نادى ربه ندا خفيا) أي حين دعا ربه دعا خفيا خافيا سرا غير يفتنه في نفسه لا يريد به رياء وفي هذا دلالة على ان المستعجب في الدعاء الاختفاء وان ذلك اقرب إلى الاجابة وفي الحديث خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي وقيل انها اخفاة لتلا يبرز به الناس فيقول انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر (قال رب اني ومن الظلم مني) اي ضعف وإننا اضاف الهم إلى الظلم لأن الظلم مع صلاته إذا ضعف وتناقص فكيف بالهم والعبص وقيل إنما خص الظلم لانه شككا ضعف البطش والبطش إنما يكون بالظلم دون الهم وغيره (واشتعل الرأس شيبا) معناه ان الشيب قد عم الرأس وهو نذير الموت عن ابي مسلم وقيل معناه تلاماً للشيب في رأسه لكثرة عن ابن الانباري وصف حاله خضرة وتقللا لتورمنا (ولم اكن بدعائك رب شقيا) اي ولم اكن بدعائي اياك فيا مضى تخيلا محروما والمعنى انك قد عودتني حسن الإجابة وما خيبتني فيا سألتك ولا حرموني الاستجابة فيا دعوتك فلا تخيبي فيا سألتك ولا تخرموني اجابتك فيا ادعرك يقال شقي فلان بباطه إذا تمب ببيها ولم يحصل مطلوبه منها (واي خفت المولي) وهم الكلاله عن ابن عباس وقيل الصبة عن مجاهد وقيل لهم الصومة وبتر الهم عن ابي جعفر (ع) وقيل بنو الهم وكانوا اشراذ بني اسرائيل عن الحلياني وقيل هم الرقة عن الكلبي (من ورائي) اي من خلفي (وكانت امرأتى عاقرا) اي عقيلا تلد (تهب لي من لدنك وليا) اي ولدا يليني فيكون اولي بي رائي (يرثني) لأن قرأته بالجزم فالحق ان تهب لي يرثني وان رفعت جثته صفة لولي والمعنى وليا وارثا لي (ويرث من آل يعقوب) وهو يعقوب بن ماثان واخوه عمران بن ماثان ابو مريم عن الكلبي ومقاتل وقيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

لأن زكريا كان مقروجا باخت ام مريم بنت عمران ونسبها يرجع إلى يعقوب لأنها من ولد سليمان بن داود (ع) وهو من ولد يهوذا بن يعقوب وزكريا من ولد هارون وهو من ولد لاوي بن يعقوب عن السدي ثم اختلف في مناه فقيل مناه يرثي مالي ويرث من آل يعقوب النبوة عن ابي صالح وقيل مناه يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب عن الحسن ومجاهد واستدل اصحابنا بالأية ان الأنبياء يورثون المال وأن المراد بالآلة المذكور فيها المال دون العلم والنبوة بأن قالوا ان لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على ما ينتقل من المورث إلى الورث كالأموال ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة أيضا فإن زكريا (ع) قال في دعائه (واجعله رب رضا) أي اجعل يارب ذلك الولي الذي يرثني مرضيا عندك مبتلا لا مترك ومتى حملنا الالته على النبوة لم يكن لذلك معنى وكان لقوا عبثا ألا ترى انه لا يمكن أن يقول احداهم ابنت لنا نبيا واجعله عاقلا مرضيا في اخلاقه لأنه إذا كان نبيا فقد دخل الرضا وما هو اعظم من الرضا في النبوة ويقوي ما قلناه أن زكريا صرح بأنه يتخاف بني حبه بعده بقوله وإني خفت الوالي من ورثي وإنا يطلب وارثا لأجل خوفه ولا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم لأنه (ع) كان اعلم بالله تعالى من ان يتخاف أن يبعث نبيا من ليس باهل للنبوة وأن يورث علمه وسكنته من ليس لها باهل ولانه إنما بعث لإداعة العلم ونشره في الناس فكيف يخاف من الأمر الذي هو القرض في بشته فان قيل ان هذا يرجع إليك في ورثة المال لان في ذلك اضافة الضن والبخل إليه قلنا ماذا الله ان يستري الأمران فإن المال قد يرزق المؤمن والكافر والصالح والطالح ولا يشتم ان يأسي على بني حبه إذا كانوا من اهل الفساد أن يظفروا به فيصرفوه فبما لا ينبغي بل في ذلك غاية الحكمة فإن تقوية الفساق وإطاعتهم على انفسهم المذمومة محظورة في الدين فمن عد ذلك بخلا وضنا فهو غير منصف وقوله خفت الوالي من ورثي يفهم منه ان خوفه إنسا كان من اخلاقهم والافعلهم ومعاني قيمهم لأن ايمانهم كان من خاف الله تعالى فأنسا خاف عقابه فالمراد به خفت تضييع الوالي مالي وانفاقهم اياه في مصيبة الله تعالى

قوله تعالى (٧) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٨)
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٩) قَالَ
كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (١٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
لِي آيَةً قَالَ آتَيْنَاكَ الْأُنْثَى ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١١) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا خمس آيات

﴿ لقراءة ﴾

قرأ حنزة والكسائي وشيا ويكيا بكسر اوائلها وحض كذلك إلا في بكيا فإنه بضم الباء منها والباقون بالضم في الجميع وقرأ حنزة والكسائي خلتك والباقون خلقتك

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اعلم ان ما كان على قول كان على ضربين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون جمعا والآخر ان يكون مصدرا وقد جاءت احرف في غير المصادر وهي قليلة والجمع إذا كان على قول من مثل اللام جاء على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون اللام ولوا والآخر أن يكون يا فاما كانت اللام منه واوا من هذا الجور قلبت إلى الياء وذلك نحو حقو وعصا وعصي وقد جاءت حروف قليلة من ذلك على الاصل فمن ذلك ما حكاها سيويه من

قولهم انكم لتنتظرون في نحو كثيرة وقولهم فتو في جمع فتى فما كان كذلك فاون كسر الفاء فيه مطرد وذلك نحو روي وحي وصي وإفا جاز ذلك لأنها غيرت تمييزين وهما ان الواو التي هي لام قلبت والواو التي كانت قبلها قلبت ايضا فلما غيرت تمييزين قويا على هذا التفسير من كسر الفاء وأما ما كان لامة يا نحو توي وحلي ونجي فقد كسروا الفاء ايضا منه فقالوا حلي وتوي وإن لم يغير تمييزين فقد اجروا الياء هاءنا مجرى الواو كما اجروا الياء في اسر واتسب اقبل من اليسر واليس مجرى الواو وفي اتصل واتهب فأما ما كان من ذلك مصدرا فما كان من الواو فالقياس فيما ان يصح نحو اسر والماولا نزوا ولما لا يزمها الانقلاب كما لزمها الانقلاب في الجمع ولكن لما كانوا قد قبلوا الواو في هذا النحو وإن كان نزوا نحو معدى ومرضى قلبوا ذلك ايضا في نحو عتي ثم اجري المصدر مجرى الجمع في كسر الفاء منه فأما ما كان من هذه المصادر من الياء فليس يستمر الكسر في فائه كما استمر في الجمع وفي المصادر التي من الواو ألا ترى ان الماضي في نحو فاسطاعوا مضيا ليس أحد يروي فيه الكسر فإ علمنا وحكي ابو عمرو من اني زيد أرى اليه اوبيا وعمما يوكد الكسر في هذا النحو لانهم قد قالوا قسي فآزموها كسر القاف وذلك إنه قلبت الواو إلى موضع اللام فلما وقعت موقعها قلبت كما قلبت الواو إذا كانت لاما وكسرت الفاء والزمتم الكسرة وحجة من قال قد خلقتك ان قبله قال ربك وحجة من قال خلقتك قوله فيا يمدوحنانا من لندا ولأنه قد جاء بلفظ الجمع بعد لفظ الافراد قال سبحانه سبحانه الذي أسرى بیده ثم قال وأتينا موسى الكتاب

﴿ الفة ﴾

الغلام اسم المذكور أول ما يبلغ ومنه اشتق افظم الرجل اذا اشتدت شهوته لهيجاع ثم يستعمل في التلذذ فيقال غلام قلب التي والسبي معنى يقال غلبوا عواشيا وعسى يصوبوا وعسا فهو عات وعاس إذا فیر طول الزمان إلى حال اليس والجفاف وفي حرف ابي وقد بلغت من الكبر عتيا والايام الفة المعنى إلى النفس في خفة بسرعة وأصله من قولهم الوحي الوحي اي الاسراع الاسراع

﴿ الاعراب ﴾

اسمه يحيى جملة اسمية مجرورة بالموضع صفة الغلام كذلك في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ معنوف أي الامر كما قيل لك ولم تلك أصله لم تكن حذفت النون منه لكثرة في الكلام فكانه جزم مرتين وسويا منصوب على الحال ان سبوا يجوز ان يكون التقدير اي سبوا ويجوز ان يكون انه سبوا فغضوا ضمر الاسم ولم يعرض للمضمر شيئا كقوله لولا أن من الله علينا كما جاء العوض في قوله يعلم ان قد ابغوا وعلم ان سيكون منكهم مرضى وحسبوا ألا لا تكون فتنة فيمن رفع وبكرة وعسا منصوبان على الظرف

== (المعنى) ==

(يا زكريا انا نبشرك بغلام) هاهنا حذف معناه فاستجاب الله دعا زكريا وادعى اليه يا زكريا انا نبشرك على السنة للاتكة بغير يرى السرور به في وجهك وهو ان يولد لك ابن (اسمه يحيى) وقد تقدم تفسيره في سورة آل عمران (لم نجعل له من قبل سيبا) أي لم يسم أحد قبله باسمه عن قتادة وابن جريج والسدي وابن زيد وفي هذا تشريف له من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان الله سبحانه تولى تسميته ولم يكلها إلى الايوت والآخر انه سباه باسم لم يسبق اليه يدل ذلك الاسم على فضله وقال ابو عبد الله (ع) وكذلك الحسين (ع) لم يكن له من قبل سيبا ولم تلبك النساء إلا عليها اربعين صباحا قيل له وما كان بكاء ما قال كانت تطلم حمارا وتقيب حمارا وكان قاتل يحيى ولد زنا وقاتل الحسين (ع) ولد زنا وروى صفيان بن عيينة عن علي بن زيد عن علي بن الحسين (ع) قال خرجنا مع الحسين (ع) فذا نزل منزلا ولا نحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقال يوما ومن هران الدنيا على الله زوج لسان وأسم يحيى بن زكريا اهدي إلى بني من يشايني اسرائيل وقيل إن معنى قوله

لم يجعل له من قبل سميا لم تلد العواقر مثله ولدا وهو كقوله هل تعلم له سميا أي مثلا عن ابن عباس ومجاهد (قال رب أنى يكون لي غلام) فسرناه في سورة آل عمران (وكانت امرأتى عاقرا) قال الحسن إنما قال ذلك على جهة الاستعبار أي اتعبدنا فأبى أم ترزقا الولد شيئين (وقد بلغت من الكبر عتيا) معناه وقد بلغت من كبر السن إلى حال اليأس والجفاف ونحوه العظيم عن قتادة ومجاهد قال قتادة كان له بضع وتسعون سنة (قال كذلك) أي قال الله سبحانه الأمر على ما أخبرتك من حبة الولد على الكبر (قال ربك هو علي هين) أورد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وافتح رحم امرأتك بالولد عن ابن عباس (وقد خلقتك من قبل) أي من قبل يحيى (ولم تكن شيئا) أي أنشأتك وأوجدتك ولم تكن شيئا موجودا فأزالته عتر زوجتك وإزالة ما يمنع قبول الولد أيسر في الاعتبار من إبداء الانشاء وروى الحكم بن عتيبة عن أبي جعفر (ع) قال إنما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بنحس سنين (قال) ذكر يا يا (رب اجعل لي آية) أي دلالة وعلامة استدل بها على وقت كونه (قال) الله تعالى (آية) أي علامتك على ذلك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أي وأنت سوي صحيح سليم من غير علة قال ابن عباس احتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيام وقال قتادة والسدي احتقل لسانه من غير بأس ولا خرس فإنه كان يقرأ الزبور ويدعو إلى الله ويسبحه ولا يمكنه أن يكلم الناس وهذا أمر خارج عن العادة (فخرج على قومه من المحراب) أي من بصله عن ابن زيد ومعنى المحراب محرابا لأن التوجه إليه في صلاته كالخارج للشيطان على صلاته والاصل فيه مجلس الاشراف الذي يجارب دونه ذبا عن أهله قالوا وكان زكريا قد أخبر قومه بما بشر به فلما خرج عليهم وامتنع عن كلامهم علموا إجابته فدعاه فسرأ به (فأوحى إليهم) أي أشار إليهم وأوحى بيده وقيل كتب لهم في الأرض عن مجاهد (ان سبحوا بكرة وعشيا) أي صلوا بكرة وعشيا عن الحسن و قتادة وتسمى الصلاة سبعة و تسبعا لما فيها من التسبيح وقيل أراد التسبيح بينه وقال ابن جرير أشرف عليهم زكريا من فوق غرفة كان يصلي فيها لا يصعد إليها إلا يسيرا وكانوا يصلون معه القبر والعشاء فكان يخرج إليهم فيأذن لهم بلسانه فلما احتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام فسرخوا عند ذلك أنه قد جاء وقت حمل امرأته يحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء

قوله تعالى (١٢) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنبِئَ الْوَحْشَ صَيًّا (١٣) وَحَنَّا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٤) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٥) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ أَرْبَعُ آيَاتٍ

الفئة

اصل الختان الرحمة يقال خاتك وخاتيك وقال امرؤ القيس

ومنها بنو شمعى بن جرم ميمزم خاتك ذا الخفاف

وقال آخر

قال خنان ما أنى بك هانئا اذنوب أم أنت بالحي عارف

أي امرؤ الخنان قال أبو عبيدة وأكثر ما يستعمل لفظ التثنية قال طرفة

أبا منذر أفنيت فامتنق بعضنا خنائك بعض الشراهم من بعض

وتحنن عليه أي تطفق عليه قال الخطيب لمع بن الخطاب

تحنن علي هذا الملك فإن لكل مقام مقالا

وحننت عليه احن حنينا وحنانا وحة الرجل امرأته والجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقا وفيه جبرية وجبروت والجبار من النظم ما فات اليد

✽ الاعراب ✽

بقوة الباء في موضع الحال اي خذ الكتاب مجدا محمدا

✽ المعنى ✽

ثم قال سبحانه (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) هاهنا اختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى واعطيناه التهم والمقل وقتلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعني التوراة بما تراءك الله عليه وايدك به ومناه وأنت قادر على أخذه قوياً على العمل به وقيل مناه مجيد وصحة عزيمته على القيام بما فيه (وأتيناه الحكم صبياً) اي آتيناه النبوة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين عن ابن عباس وروى البيهقي في مسنده عن علي بن ابي طالب قال قدمت المدينة وأنا أريد مصر فدخلت على ابي جعفر محمد بن علي الرضا (ع) وهو اذ ذاك غاسي فبصلت أنامله لأمنه لأصحاباً يصرفونظر اليّ فقال لي يا علي ان الله قد اخذ في النبوة قال فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وقال وأتيناه الحكم صبياً فقد يجوز ان يسلم الحكم ابن اربعين سنة ويجوز ان يسلمه الصبي وقيل ان الحكم التهم وهو انه اعطي فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة عن مجاهد وعن معمر قال ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا لتعلم فقال ما لمبصرتنا فانزل الله فيه وآتيناه الحكم صبياً وروي ذلك عن ابي الحسن الرضا (ع) (وحنانا من لدنا) والحنان اللطف والرحمة اي وآتيناه رحمة من عندنا عن ابن عباس وتنادى الحسن وقيل بمناه تحتنا على الباء ورقة قلب عليهم ليدعوه الى طاعة الله تعالى عن الجبائي وقيل مناه محبة منا عن عكرمة واصله الشفقة والرقة ومنه حنين التافة وهو صوتها اذا اشتاقت الى ولدها وقيل مناه تمنن الله عليه كان اذا قال يا رب قال الله ليكن يا يحيى وهو المروي عن الباقر (ع) وقيل مناه متعلقاً منا عن مجاهد فهذه خمسة اقوال (وزكاة) اي وعملها صالحاً زكياً عن قيادة والضحاك وابن جريج وقيل زكاة لمن قبل دينه حتى يكونوا اذكىه عن الحسن وقيل يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص عن ابن عباس وقيل مناه وصدية تصدق الله به على ابويه عن الكلبي وقيل مناه وزكيتاه يحسن الثناء عليه كما يزكي الشهود الانسان عن الجبائي فهذه خمسة اقوال (وكان تقياً) اي مخلصاً مليحاً متقياً لمانه الله عنه قالوا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها « سؤال » يقال لم اضاف الله سبحانه كونه زكاة الى نفسه وهو إنما كان مليحاً زكياً بفعله « وجوابه » انه لنا صار كذلك بالطاف من الله لاسيما في تلك الحالة من الضعف ولا نعلمنا نهدى بهداية الله اياه (ويرا ابراهيم) اي ابراهيم ولد له محسن اليهما مليحاً لهما لطيفاً بهما طالباً مرضاتهما (ولم يكن جباراً) اي متكبراً متطاولاً على الخلق وقيل الجبار الذي يقتل ويشرب على الغضب عن ابن عباس (عصياً) اي عصياً لربه فيعمل بما يحسن فاعل (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) أي سلام عليه منا في هذه الأيام عن عطاه وقيل وسلامة وأمان له منا عن الكلبي ومناه سلامة وأمن له يوم ولد من حبب الشيطان به واغواؤه اياه ويوم يموت من يلاء الدنيا ومن عقاب القبر ويوم يبعث حياً من حول المظلم وعقاب النار واما قال حياً فأكد الله قوله يبعث وقيل يعني انه يبعث مع الشهداء لانهم وصفوا بأنهم احياء قال مسنيان بن عتبة الوحرش ما يكون الانسان في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجاً عما كان فيه ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عابدهم واحكاماً ليس له بها عهد ويوم يبعث فيرى نفسه في عشر عظم فخص الله سبحانه يحيى بالكرامة والسلام والسلامة في المواطن الثلاثة وقيل إن السلام الأول يوم الولادة تقتضئ والثاني والثالث على وجه الثواب والجوار

قوله تعالى (١٦) وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا

(١٧) فَأَتَخَذْتُ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٨) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا (١٩) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (٢٠) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ نَبِيًّا خمس آيات

❁ القراءة ❁

قرأ أبو عمرو وورش وقالون برواية الخولاني ويعقوب ليوب بالياء والياثون لأهب بالهمزة

❁ اللمحة ❁

قال أبو علي حجة من قال لأهب فأستدل العمل إلى التكميم والمبة لله تعالى ومنه إن الرسول والوكيل قد يستد هذا النحو إلى نفسه وإن كان الفعل الموكل أو للمرحل العلم بأنه مترجم عنه ومن قال ليوب لك فهو على تصحيح القبط في المعنى ففي قوله تعالى ليوب ضمير من قوله ربك وهو سبحانه الواهب وزعموا أن في حرفي إني وابن مسعود ليوب ولو خفت الهمزة من لأهب لكان في قول إني الحسن ليوب فقلبها ياء محضة وفي قول الخليل لأهب يجعلها بين الياء والهمزة

❁ اللمحة ❁

البدل أصله الطرح والابتداء اتصال منه ومنه قوله فينبه وراء ظهورهم أي القوة واتخذ فلان ناحية أي تنحى ناحية وجلس فلان لبذة من الناس ونبذة فتح التون وضمها أي ناحية وإنما يقال ذلك إذا جلس قريبا منهم حتى لو نبذوا إليه شيئا لوصل إليه فالابتداء اتخاذ الشيء بالقاء غيره عنه والمكان الشرقي الذي كان في جهة الشرق قال جرير

هبت جنوب فذكرى ما ذكرىكم عند الصفاء إلى شرقي حورانا

❁ الاعراب ❁

مكانا نصب على الظرف بشرا سويا منصوب على الحال

❁ المعنى ❁

ثم عطف سبحانه قصة مريم وعيسى «ع» على قصة زكريا ويحيى «ع» فقال (واذكر في الكتاب) أي في كتابك هذا وهو القرآن (مريم) أي حديث مريم وولادتها عيسى وصلاحها ليعتدي الناس بها ولتكون معبرة لك (اذ اتخذت من أهلها مكانا شرقيا) أي أقدمت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق وقعدت ناحية منهم قال ابن عباس لما اتخذت النصارى المشرق قبلة لأنها اتخذت مكانا شرقيا وقبل اتخذت مكانا تغرد فيه العبادة لتلا تشتغل بكلام الناس عن الجبائي وقيل تباعدت عن قومها حتى لا يرونها عن الاسم وإلى سلم وقيل انها غتت ان تعبد خلوة فتظلي رأسا فخرجت من يوم شديد البرد فجلست في مشرق الشمس عن عطا (فانتقلت من دونهم حجابا) أي فغضت من دون أهلها لتلا يروها سترها وحاجزا بينها وبينهم (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبرائيل (ع) عن ابن عباس والحسن وقادة وغيرهم وسماه الله روحا لأنه روحاني وأضافه إلى نفسه تشريفا له (فتمثل لها بشرا سويا) معناه فأتاها جبرائيل فانتصب بين يديها في صورة آدمي صحيح لم ينقص منه شيء وقال أبو مسلم إن الروح الذي خلق منه المسيح تصور لها انسان والاول هو الوجه لاجماع المفسرين عليه وقال عكرمة كانت مريم إذا لحاضت خرجت من المسجد وكانت عند خالتها امرأة زكريا أيام سيضها فلما ظهرت نادى إلى بيتها في المسجد فينما هي في مشرق لها في ناحية الدار وقد خربت ويتها وبين أهلها سترأ لتتسل وتمشط اذ دخل عليها جبرائيل في صورة رجل شاب

أمرد سوي الخلق فانكرته فاستأذنت بالله منه (قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) معناه اني اعتمد بالرحمن من شرك فاخرج من عدي ان كنت تقيا «سؤال» يقال كيف شرطت في التوحد منه ان يكون تقيا والتقي لا يحتاج ان يتوحد منه وانما يتوحد من غير التقى «والجواب» ان التقى اذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يستخط الله فقي ذلك تخريب وترهيب له وهذا كما تقول ان كنت مؤمنا فلا تظلمني فالمتنى ان كنت تقيا فانتظروا خروج وروي عن علي (ع) انه قال علمت ان التقى ينهاء التقى عن المعصية وقيل ان معنى قوله ان كنت تقيا ما كنت تقيا حيث استطلعت النظر اليه وطلعت في فلا سمع جبرائيل (ع) منها هذا القول (قال) لها (انما انا رسول ربك لأهب لك) وقد يتامنى القرائين (غلاما زكيا) اي ولدا طاهرا من الادناس وقيل نائبا في افعال الخير وقيل يريد نبيا عن ابن عباس (قالت) مريم (اني يكون لي غلام) اي كيف يكون لي ولد (ولم يمسس بشر) على وجه الزونية (ولم لك نبيا) اي ولم اكن زانية وانما قالت ذلك لأن الولد سيف العادة يكون من احدى هاتين الجهتين والمعنى اني لست بذاة زوج وغير ذاة الزوج لا تلد الا عن فجور ولست فاجرة وانما يقال للفاجرة بني معنى انها تبني الزنا اسية تطلبه وفي هذه الآيات دلالة على جواز اظهار المعجزات لغير الانبياء لأن من المعلوم ان مريم ليست نبية وانعزوبة الملك على صورة البشر وبشارة الملك اياها وولادتها من غير وطئ الى غيرها من الآيات التي اناها الله بها من اكبر المعجزات ومن لم يجوز اظهار المعجزات على غير النبي اختلفت اقوالهم في ذلك قال الجبائي واجه انها معجزات لوكوبا (ع) وقال البلخي انها معجزات لعيسى على سبيل الارهاص والتأسيس لنبوته

قوله تعالى (٢١) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلْنَجْهُلَهُ آيَةُ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢٢) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٣) فَأَجَابَهَا الْمَلَكُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مَثَلُ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا (٢٤) فَتَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٥) وَهَزَي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غِنِيًّا (٢٦) فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَفَرِي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكُلَ الْيَوْمَ مِنْهَا (٢٧) فَانْتَبَهَ قَوْمُهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٨) يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَقِيًّا (٢٩) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٣٠) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا عَشْرَايَات

الترجمة

قرأ حمزة وحفص نسيا بفتح التوت والياقون نسيا بكسر التوت وقرأ من تحتها بكسر الميم أهل المدينة والكوفة غير ابى بكرو وسهل والياقون من تحتها وقرأ خسر عن عاصم تساقط بضم التاء وكسر اللغاف وقرأ أجاد عن عاصم ويصير عن الكسائي ويعقوب وسهل يساقط بالياء وتشديد السين وقرأ حمزة تساقط بفتح التاء وتخفيف السين والياقون تساقط بفتح التاء وتشديد السين وفي الشواذ قراءة مسروق يساقط بضم الياء وتخفيف السين وقرأ طلحة بن سليمان رطبا جنيا بكسر الميم فاما قرين بسكون الياء والتخفيف

— الحجة —

قال ابو علي قال ابو الحسن النبي هو النبي الحقير ينسئ نحو النمل والسموط وقال غيره النبي اغفل ما من شيء حقير وقال بعضهم ما اذا ذكر لم يطلب وقالوا الكسر اعلى الهمتين قال الشنفرى

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًا تَقْصَهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تَخَاطَبْتَ ثَبَلْتَ

وقال في قوله من تحتها انه جبرائيل او عيسى وقال بعض اهل التأويل لا يكون الا عيسى (ع) ولا يكون جبرائيل لأنه لو كان جبرائيل لتاداهما من فوقها وقد يجوز ان يكون جبرائيل وليس قوله من تحتها يراد به الجهة السفلى وإنما المراد من دونها بدلالة قوله قد جعل ربك تحتك مربيا ولم يكن النهر محاذيا لهذه الجهة ولكن المني جعله دونك وقد يقال فلان تحتنا اي دوننا في الموضع والاشبه ان يكون المتأدي لها عيسى فإنه اشد ازالة لما خامر قلبها من الاغتمام واذا قال من تحتها كان عاما وضع موضع الخاص والمراد به عيسى قاله والوجه كلها كما في تساقط متفة في المني الا قراءة حفص الا ترى ان من قرأ تساقط إنما هي تساقط فحذف التاء التي بدعها غيره وكلهم جعل فاعل الفعل الذي هو تساقط او تساقط في رواية حفص النخلة ويجوز ان يكون فاعل تساقط او تساقط هي جذع النخلة الا انه لما حذف المضاف اسند الفعل الى النخلة في اللفظ فلما تبدلت تساقط فاعل لأن تفاعل مطاوع فاعل فكما عدي نحو تامل في نحو تجربته وتوزته فكذلك عدي تفاعل فاعل فمما جاء من ذلك في الشعر قول اوفى بن مطر

تَخَاطَبَاتُ النَّبْلِ احْشَاءَهُ وَآخِرُ يَوْمِي فَلَمْ يَجْعَلْ

وقول الآخر

نَطَالَعْنَا خِيَالَاتٍ لِسُلَيْمٍ كَمَا يَطَالَعُ الْمَدِينُ الْأَعْرَمُ

وقول امرئ القيس

وَمِثْلِكَ بِيضَاءُ الْمَوَارِضِ طِفْلَةٌ لِعُوبٍ تَنَاسَلُ إِذَا قَمْتُ سُرَابِي

اراد تسيي ومن قرأ بالياء امكن ان يكون فاعله المزلا ن قوله هزي قد دل عليه فلذا كان كذلك جاز ان يضمه كما اضمر الكذب في قوله من كذب كان شرا له ويمكن ان يكون الجذع ويجوز في الفعل اذا استند الى الجذع وجهان أحدهما ان الفعل اخيف الى الجذع كاخيف الى النخلة فزمتها لأن الجذع مسطوح والآخر ان يكون الجذع متفرعا من النخلة يسقط عليها ويكون سقوط الرطب من الجذع آية ليسى (ع) ويصير سقوط الرطب من الجذع اسكن لنفسها واشد ازالة لاهتمامها وسقوط الرطب من الجذع متفرعا من النخلة مثل رزقها الذي كان يأتيها المرباب في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا للحراب وجد عندها رزقا الى قوله هو من عند الله وقوله رطبيا في هذه الوجه منصوب على انه مفعول به ويجوز في قوله تساقط عليك اي تساقط عليك ثمرة النخلة رطبيا فحذف المضاف الذي هو الثمرة ويكون اتصاب رطب على الحال وجاز ان يضم الرطب وان لم يجر لها ذكر لأن ذكر النخلة يدل عليها فأما الباء في قوله وهزي اليك يجذع النخلة فيحتمل امرين أحدهما ان يكون زيادة كقوله التي بيده والتي بيده وقوله

يُودِ بِإِيْمَانٍ يَنْبِتُ أَلْشَّتْ صَدْرَهُ وَاسْفَلَهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّبَهَانِ

ونحو ذلك ويجوز ان يكون للمني وهزي اليك هز جذع النخلة رطبيا كما قال ذو الرمة

وَصَوِّحَ الْبَقْلُ تَنَاجٍ نَجْبِيٍّ بِهِ هَيْفَ يَمَانِيَةٍ فِي مَرْهَاهَا نَكَبٌ

اي قمبيس مجيئة هيف يعني اذا جاء التناج جاء المني وكذلك اذا هزت الجذع هزت هذه رطبيا اي فلذا

هزئت الرطب سقطولما قراءة مسروق يساقط فإنه بمعنى يسقط شيئا بعد شيء واتشد ابن جني قول ضائي البرجي
يساقط عنه ورقه ضارياها سقاط حديد القين اخول اخولا
اي سقط قرن هذا الثور ضاربات كلاب الصيد لطمته اياها به شيئا بعد شيء واما قراءة طلحة رطبا جنيا
فإنه اتبع كسرة الجيم كسرة التون قال ابن جني شبه التون وان لم يكن من حروف الحلق بين في نحو الشخير
والشخير والرغيف واما توين فهي شاذ لكنه جاء في لغة اثبات التون في الجزم واتشد ابو الحسن
لولا فراوس من قيس واسرئهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجبار

الثلثة

القصي البعيد والقصي خلاف الثاني وقوله فأجابه أي جاء بها المخاض وهو مما يمدى تارة بالباء وتارة
بهمزة النفل قال زهير

وجار سار معتمد اعطينا اجاءته المخاوف والأرجاء

أي جاءته به ويرى جاء قال الكسائي يقيم تقول ما اجاءك الى هذا وما امشاك اليه ومن امشاهم شرا جاءك
الى مئة عروق وتميم تقول امشاك والسري الشعر لأنه يسري بجريانه قال لبيد

فتوسطاً عرض السري فصدها مسجورة متجاوزا قلامها

ويقال قورت به عينا اقر قروا فهي لغة قريش واهل نجد يقولون قورت به فتتح العين اقر قرار كما يقولون
قورت بالمكان بالفتح والجنبي بمعنى المجني من جيت الثمرة واجبتها اذا قطعتها وقال ابن اخوت حذبه

هذا جنابي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه

وفي مناه قول الكيت يمدح أهل البيت «ع»

خيارها يمتنون فيه اذأأ جانون في ذمها كفهم اربوا

قال ابو مسلم القرني مأخوذ من فرى الأديم إذا قطعه على وجه الإصلاح ثم يشمل في الكذب وقال الزجاج
يقال فلان يفرى القرني إذا كان يعمل عملا يبالغ فيه قال الرازي «قد كتبت تفرين به القرية»

الاعراب

عينا منصوب على التمييز فلما ترأين أصله ترأين إلا ان الاستعمال ينير حمز والياء فيه ضمير المورث وإنما
سركت لالتقاء الساكنين وهما الياء والتون الأولى من المشددة كما تقول للمرأة ارضين زيداً وقوله من كان في
المهد صيا كان هنا بمعنى المحدث والوقوف والتقدير كيف تكلم من وجد في المهد صيا نصب على الحال من كان
ومثل كان ما هنا قوله وإن كان ذو عسرة ومثله قول الرقيم

إذا كلف ألتشاء فادفوني فارت الشيخ يهدمه ألتشاء

ويجوز ان يكون كان هنا مريدة كما في قول الشاعر

جيا ديني ابي بكر تسمى على كأن المسومة أعراب

فعل هذا يكون المائل في الحال تكلم قال الزجاج الاجود أن يكون من في متى الشرط والجزاء فيكون
المتى من يكن في المهد صيا فكيف تكلمه ويكون صيا حالا كما تقول من كان لا يسمع ولا يفل فكيف
أغاطبه

* المعنى *

(قال كذلك) اي قال لها جبرائيل حين سمع تسجيها من هذه البشارة الامر كذلك اي كما وصفت لك (قال ربك هو علي هين) اي احداث الولد من غير زوج للمرأة سهل مئآت لا يشق علي (ولنصلحه آية للناس) معناه ولنصلحه علامة ظاهرة وآية بالقرآن للناس علي نبوته ودلالة علي برأه أمه (ورحمة منا) له ولنصلحه نعمة مناعل الخلق يمتدون بسببه (وكان أمرا مقضيا) اي وكان خلق عيسى من غير ذكر أمرا كأنها مفروضا عنه يحوما قضي الله سبحانه بأن يكون وحكما به (فحملته) اي فحملت مريم ببس في الحال قيل ان جبرائيل أخذ رذن قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها ووجدت حس الحمل وقيل نفخ في كفا فحملت عن ابن جريج وروي عن الباقر (ع) إنه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه فتحة فكل الولد في الرحم من ساعتها كما يكمل الولد في ارحام النساء تسعة اشهر فخرجت من المستحم وهي حامل عرج مثل فظرت بها خالتها فأنكرتها ومضت مريم علي وجهها مستحبة من خالتها ومن ذكرها (فانجبت به مكانا قصيا) اي نجت بالحمل إلى مكان بعيد وقيل معناه اقردت به مكانا بعيدا من قومها حياء من أهلها وخوفا من أن يتهموها بسوء واختلوا في مدة حملها فقيل ساعة واحدة قال ابن عباس لم يكن بين الاختباء والحمل إلا ساعة واحدة لأنه تعالى لم يذكر يعصا فصلا لأنه قال فحملته فاقبنت به فأجاءها والناء للثقب وقيل حملت به في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زاغت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين عن مقاتل وقيل كانت مدة حملها تسع ساعات وهذا مروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية وذلك انه لم يش مولود موضع ثمانية اشهر غيره (فأجاءها الحاض) اي ألبها الطلق أي وجع الولادة (إلى جذع النخلة) فالتجأت إليها لتستد البعاس ابن عباس ومجاهد وقادة السدي وقيل أجاءها اي جاء بها قال ابن عباس نظرت مريم إلى أكمة فصعلت مسرعة إليها فلذا عليها جذع نخلة فخره ليس لما سف والجذع ساق النخلة والالف واللام دخلت للمهد لا للجنس اي النخلة المعروفة فلما ولدت (قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) اي شيئا مقبورا متروكا عن ابن عباس وقيل شيئا لا يذكر ولا يعرف عن قتادة وقيل حبيضة ملقاة عن عكرمة والضحاك ومجاهد قال ابن عباس فسمع جبرائيل كلامها وعرف جزعها (فناداها من تحتها) وكان اسفل منها تحت اكمة (ألا تحزني) وهو قول السدي وقادة والضحاك ان المنادي جبرائيل ناداها من سفح الجبل وقيل ناداها عيسى عن مجاهد والحسن ووهب وسعيد بن جبير وابن زيد وابن جرير والجبايي وإنما تمت (ع) الموت كراهية لأن يعصي الله فيها وقيل استعجاء من الناس ان يظنوا بها سوءا عن السدي وروي عن الصادق (ع) لأنها لم تر في قومها رشيدا فتراسه بيزها من السوء (قد جعل ربك تحتك سرايا) اي ناداها جبرائيل او عيسى ليزول ما عندنا من الغم والمجزع لا تنتمي قد جعل ربك تحت قدميك نهرا تشيرين منه وتظهرين من التفاس عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير قالوا وكان نهرا قد اقطع الماء عنه فارسل الله الماء فيه لمريم وأوحى ذلك الجذع حتى أثمر وادرك وقيل ضرب جبرائيل (ع) برجله فظهر ماء عذب وقيل بسل عيسى برجله فظهرت عين ماء تجري وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل السري عيسى (ع) عن الحسن وابن زيد والجبايي والسري هو الشريف الرفيع قال الحسن كان والله عبدسرايا (وهي اليك يمين النخلة) معناه اجنبي اليك يمين النخلة والياء مزيدة وقال القراء العرب تقول هزه وهز به (تساقط عليك رطبا جنيا) مر معناه وقال الباقر (ع) لم تستثب النفساء بمثل الرطب ان الله اعطاه مريم في قماشها وقالوا ان الجذع كان بابسا لا ثمر عليه اذ لو كان عليه ثمر لهرته من غير ان تؤمر به وكان في الشتاء فصار معجزة بخروج الرطب في غير اوائه وبخروج دفعة واحدة فإن البادقان يكونان نورا أولا ثم بصير يلعا ثم يسرا وروي انه لم يكن للجذع رأس فصرته برجلها فأوردت واثمرت وانتثر عليها الرطب جنيا والشجرة التي لا رأس لها لا تثمر في

العادة وقيل ان تلك النحلة كانت برية وقيل كانت عجوة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (فكلي واشربي) ايكلي يا مريم من هذا الرطب واشربي من هذا الماء (وقري عينا) جاء في التفسير وطبي قسا وقيل معناه لتقر عينك سرورا بهذا الولد الذي تزين لأن دمنة السرور باردة ودمنة الحزن حارة وقيل معناه لتسكن عينك مسكون سرور يرويك ما تحبين (فلما ترين من البشر احدا) فساك عن ولدك (فقولي اني نذرت للرحمن صوما) اي صمتا عن ابن عباس والمعنى اوجبت علي قسي لله ان لا اتكلم وقيل صوما اي لصا كان عن الطعام والشراب والكلام عن قتادة وانما سرت بالصمت ليكنها الكلام ولها بما يرى به ساحتها عن ابن مسعود وابن زيد وهب وقيل كان في بني اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي يدل على هذا قوله (فلن اكل اليوم انيسا) اي اني صائم فلن اكل اليوم احدا وكان قد اذن لها ان تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم شي آخر عن السدي وقيل كان الله تعالى امرها بان تنذر لله الصمت واذا كلمها احد تومي بانها نذرت لله صمتا لانه لا يجوز ان يأمرها بان تغبر بانها نذرت ولم تنذر لانه ذلك كذب عن ابي علي الجبائي (فأتت قومها حملة) اي فأتت مريم عيسى حاملة له وذلك ان الله نطقه في خرقه وحمله الى قومها (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) اسيه امر عظيم بديعا اذ لم تلد اتي قبلك من غير رجل من مجاهد وقاتدة والسدي وقيل امر قبيحا متكررا من الافتراء وهو الكذب عن الجبائي (يا اخت هارون) قيل فيه اقوال **احدا** ان هارون هذا كان رجلا صالحا في بني اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس وقاتدة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي (ص) وقيل انه لما مات شيع جنازته ابرسون الفا كلمهم عيسى هارون فقولهم يا اخت هارون معناه يا شقيقة هارون في الصلاح ما كان هذا معروفا منك **وثانيا** ان هارون اخو موسى (ع) فنسبت اليه لانها من ولده كما يقال يا اختا تميم عن السدي و**رابعا** انه كان رجلا فاسقا مشهورا بالبعث والفساد فنسبت اليه وقيل لها يا شيعته في قبض فعله عن معبد بن جبير (ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بنيا) اي كان ابوك صالحين فمن اين جئت بهذا الولد (فاشارت اليه) اي قاومت الى عيسى (ع) بان كلموه واستشهدوه على براءة ساحتي فتصحبوا من ذلك ثم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صيا) معناه كيف نكلم صيا في المهد وقيل صيا في الحجر وضيحا وكان المهد حجر امه الذي تربيه فيه اذ لم تكن هيأت له مهدا عن قتادة وقيل انهم غضبوا عند اشارتها اليه وقالوا السخريها بنا اشد عليا من زناها فلما تكلم عيسى (ع) قالوا ان هذا الامر عظيم عن السدي (قال) عيسى (ع) (اني عبد الله) قدم اقراره بالعبودية ليلبث به قول من يدعي له الربوبية وكان الله سبحانه انطقه بذلك لعلهم بما يقوله النالون فيه ثم قال (اتاني الكتاب وجعلني نبيا) اي حكم لي بانيات الكتاب والنبوة وقيل ان الله تعالى اكمل عقله في صفة وارسله الى عبادهم كان نبيا مبعوثا الى الناس في ذلك الوقت مكلفا عاقلا ولذلك كانت له تلك المعجزة عن الحسن والجبائي وقيل انه كلمهم وهو ابن اربعين يوما عن وهب وقيل يوم ولد عن ابن عباس واكثر المفسرين وهو الظاهر وقيل ان معناه اني عبد الله سميتني الكتاب وسيجعلني نبيا وكان ذلك معجزة لمريم (ع) على براءة ساحتها

قوله تعالى (٣١) وَجَعَلْنِي مَبْرُكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣٢) وَبَرًّا بِالدِّينِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٣) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٤) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِينَ فِيهِ يَمَتُّونَ (٣٥) مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ خمس آيات

❦ القراءة ❦

قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول الحق بالنصب والياقوت بالرفع وفي الشواذ قراءة الي مجلز والي نيك
ويرا يوالدي بكسر الهمزة

❦ الحجة ❦

قال ابو علي قول الحق الرفع فيه على ان قوله ذلك عيسى بن مريم كلام والمبتدأ المضمَر ما دل عليه هذا
الكلام اي هذا الكلام قول الحق ويحذف ان يضر هو ويجعله كناية عن عيسى «ع» اي هو قول الحق لأنه قد
قيل فيه روح الله وكلمته والكلمة قول وأما النصب فعلى ان قوله ذلك عيسى بن مريم يدل على احق قول الحق
وتقول هذا زيد الحق لا الباطل لأن قولك هذا زيد عندك بمنزلة احق فكأنك قلت احق الحق وأحق قول الحق
ومن قال ويرأ يوالدي فكأنه قال والزمي يرا يوالدي ويكون مطوفا على موضع الجار والمجرور من قوله وأوصاني
بالصلاة والزكاة وعليه بيت الكتاب «بذهبن في نجد وغوراً غيراً» اي ويسكنن غوراً وان شئت حملته على حذف
للمضاف مجيء وجعلني ذا يرا وان شئت جعلته اياه على المبالغة كقول الخنساء «فلما هي الجبال وادبار»

❦ اللغة ❦

السلام مصدر سلمت والسلام جمع سلامة والسلام اسم من اسماه الله تعالى وسلام عما يشدأ به في الفكرة
لأنه اسم يكثر استعماله يقال سلام عليك والسلام عليك واسماء الاجناس يكثر الاجتهاد بها فائدة نكرتها قريب
من فائدة برهنا تقول ليك وخير بين يديك وإن شئت قلت والخير بين يديك الا أنه لا جرى ذكر سلام قبل
هذا الموضوع بنبر الب لا لأن كان الاحسن ان يرد ثانية بالالف واللام

❦ المعنى ❦

ثم بين سبحانه تمام كلام عيسى «ع» فقال (وجعلني مباركا أين كنت) اي وجعلني معلما للخير عن
عباده وقيل قاعا حيث ما توجهت والبركة تمام الخير والمبارك الذي ينهي الخير به وقيل ناجيا دائما على الايمان
والطاعة وأصل البركة الثبوت عن الجبائي (وأوصاني بالصلاة والزكاة) اي بإقامة الصلاة وأداء الزكاة (مادمت)
اي ما بقيت (حيا) مكثا (ويرأ يوالدي) اي واجعلني بارأ يوالدي شكرها فيما فاشه بسبي (ولم يجعلني جبارا)
اي متجبرا (شقيا) والمعنى اني بلغته وتوفيقه كنت محسنا إلى والدتي متواضعا في نفسي حتى لم أكن من الجبابرة
الاشقياء (والسلام علي) اي والسلامة علي من الله (يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) اي في هذه الاحوال
الثلاث وقد مر تفسيرها قبل في قصة يحيى وفي هذه الآيات دلالة على انه يجوز ان يصف الإنسان نفسه
بصفات المدح إذا أراد تعريفها إلى غيره لا على وجه الاختصار قيل ولما كلمهم عيسى «ع» بهذا علموا براءه وتصميم
ثم سكث عيسى «ع» فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى بن مريم) معناه
ذلك الذي قال اي عبد الله عيسى بن مريم لا ما يقوله النصارى من انه ابن الله وأنه آله (قول الحق) مرسته
في الحجة (الذي فيه يثرون) اي يشكون يعني اليهود والنصارى فزعمت اليهود انه ساحر كخشب وزعمت
النصارى انه ابن الله وثالث ثلاثة وقيل هو اشراء النصارى واختلافهم فيضهم قالوا هو الله وقال بعضهم ابن
الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة ثم كذبهم الله تعالى فقال (ما كان لله ان يتخذ من ولد) معناه ما كان ينبغي لله ان
يتخذ من ولد اي ما يصلح له ولا يستقيم عن ابن الانباري قال ثابث اللام عن الفضل وذلك ان من اتخذ ولدا
فلما يتخذ من جنسه لأن الولد جناس للوالد والله تعالى ليس كمثل شيء فلا يكون له سبحانه ولد ولا يتخذ
ولدا وقوله من ولد من هذه هي الذي تدل على تقي الواحد والجماعة فالمتى أنه لا يجوز ان يتخذ ولدا واحدا ولا
أكثر ثم تزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال (سبحانه) ثم بين السبب في كون عيسى من غير اب فقال (إذا قضى أمرا

فلما يقول له كن فيكون وقد مر تفسيره فيما مضى والمعنى أنه لا يتمنى عليه إيجاب شيء على الوجه الذي أراه
قوله تعالى (٣٦) وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٧) فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِنْ يَتَّبِعُوهُ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٨) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ
يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٩) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ
قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٠) إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ خمس آيات

(القراءة)

قرأ أهل الكوفة وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وإن الله بكسر المعزة والباقون بالفتح

الحجة

قال أبو علي حجة من كسر أنه جملة مستأقفا كما أن المطوف عليه مستأقفة وحجة من فتح أنه جملة على
قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة ويأتى الله ديني وربكم

الأعراب والمعنى

قوله (وأن الله ديني وربكم) من فتح المعزة فيه أربعة أوجه أحدها أن المعنى ونفى أن الله ديني وربكم
عن أبي عمرو بن العلاء والثاني أنه مطوف على كلام عيسى أي وأوصاني بأن الله ديني وربكم والثالث
ذلك عيسى بن مريم وذلك أن الله ديني وربكم عن الفراء والرابع أن العامل فيه فاعبدوه والتقدير
ولأن الله ديني وربكم (فاعبدوه) فحفز الجار ومن كسر المعزة جاز أن يكون مطوقا على قوله قال أني عبده
أي وقال إن الله ديني وربكم وجزاء أن يكون إهداء كلام من الله تعالى أو أمر من الله لرسوله أن يقول ذلك
وقوله (هذا صراط مستقيم) معناه هذا طريق واضح فالزموه وقيل إن المعنى هذا الذي أخبركم أن الله أمرني
به هو الدين المستقيم الذي لا إعرجاج فيه (فاختلف الأحزاب من بينهم) الاختلاف في السلب ارتب يعتقد
كل قوم خلاف ما يعتقد الآخرون والأحزاب جمع حزب وهو الجمع المتقطع في رأيه عن غيره وتجزؤوا أي
صاروا أحزابا فاعلم أن الأحزاب من أهل الكتاب اختلفوا في عيسى «ع» فقال قوم منهم هو الله وهم يعقوبية
وقال آخرون هو ابن الله وهم النسطورية وقال آخرون هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية وقال المسلمون هو عبد الله
عن قتادة وعجماء وإنما قال من بينهم لأن منهم من ثبت على الحق وقيل إن من زائدة والمعنى اختلفوا بينهم (فويل)
أي فشدّة عذاب وهي كلة وعيد (لَّذِينَ كَفَرُوا) بأفقه بقولهم في المسيح (من مشهد يوم عظيم) المشهد بمعنى
الشهود والمخوف أي من حضورهم ذلك اليوم وهو يوم القيامة وسعي عظيم لعظم أهواله وقيل لهم من جمع
يوم أي من الفضيحة على رؤوس الجمع يومئذ (اسمع بهم وأبصر يوم يأتيوتنا) قيل فيه وجهان أحدهما
أن التقدير صاروا ذوي سمع وبصر والجار والمجرور في موضع رفع لأنه فاعل اسمع والمعنى ما اسمعهم وأبصرهم
يوم القيامة وإن كانوا سيئة الدنيا صا وبكنا عن الحق عن الحسن ومعناه الأخيار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك
الحال ومثله قوله فكشفنا عنك غطاءك فيصرك اليوم شديد (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) يعني أن
الكافرين في الدنيا أثروا الهوى على الهدى فهم في ذهاب عن الدين وعدول عن الحق والمراد أنهم في الدنيا
جاهلون وفي الآخرة عارفون حيث لا تتفهم للفرقة وقال أبو منبل وهذا يدل على أن قوله سبحانه صم بكم عمي
ليس معناه الآفة سيئة الأذن واللسان والبصيرة بل هو أنهم لا يتدبرون ما يسمعون ويرون ولا يتنبهون ألا ترى أنه

جعل قوله لكن الظالمون اليوم في خلال مابين في مقابلته فأقام السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله في مقابلته للقلل المبين ^{في} والثاني ^{في} ان معناه اسمعهم وابصرهم اي بصروهم وبين لهم انهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في خلال مابين عن الجنة والثواب عن الجبائي قال ويجوز أن يكون المعنى أسمع الناس هؤلاء الأنبياء وابصرهم ليسموا فيهم ويرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم يعني يوم القيامة في خلال عن الجنة وهذا بعيد وقد استدرك على الجبائي في قوله والاولى والآخر في الآية الوجه الأول (واذكرهم يوم الحسرة) الخطاب للنبي ^{صلى الله عليه وسلم} والمعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسلمي هلا أحسن العمل والحسن هلا ازداد من العمل وهو يوم القيامة وقيل إنما يتحسر المستحق للثواب فأما المؤمن فلا يتحسر وروى مسلم في الصحيح بالاسناد عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشربون ويشطرون وقيل يأهل النار فيشربون وينظرون فيجاء بالمرء كأنه كئيش الملع فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا كل قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت وبأهل النار خلود فلا موت قال وذلك قولهم وأذركم يوم الحسرة الآية ورواه أصحابنا عن أبي جعفر «ع» وأبي عبد الله «ع» ثم جاء في آخره فيخرج أهل الجنة فرحاً لو كان أحد يومئذ ميتاً لما أتوا فرحاً ويشق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً لما أتوا (إذ قضى الأمر) أي فرغ من الأمر واقتطعت الآمال وأدخل قوم النار وقوم الجنة وقيل معناه اقتضى أمر الدنيا فلا يرجع إليها الاستدراك الفائت وقيل معناه حكم بين الخلائق بالعدل وقيل قضى على أهل الجنة بالخلود وقضى على أهل النار بالخلود (وهم في غفلة) في الدنيا عن ذلك ومعناه إنهم مشغولون اليوم بما لا ينتبه غافلون عن أحوال الآخرة (وهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون بذلك ثم أخبر سبحانه عن قسه فقال (إنما نحن نرسل الأرض ومن عليها) أي نبت مسكنها فبرئها ومن عليها من الغفلة لا نأتميتهم ونهلكهم فلا يبقى فيها مالك ومتصرف (والينا يرجعون) أي إلينا يردون بعد الموت أي إلى حيث لا يملك الأمر والهي غيرنا

قوله تعالى (٤١) وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤٢) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٣) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٥) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٦) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ نَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٧) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَفِيرُكَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَكُونَنَّ بِدْعَاهُ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا أَهْتَزَلْتُمْ وَ مَا يَبْذُرُونَ مِنَ دُوبِ اللَّهِ وَادْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٩) فَلَمَّا أَهْتَزَلْتُمْ وَ مَا يَبْذُرُونَ مِنَ دُوبِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٥٠) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا عشر آيات

﴿ القراءه ﴾

قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في قوله يا أبت والوجه في ذلك في سورة يوسف «ع»

﴿ القته ﴾

الصدوق هو كثير التصديق بالحق حتى يصير علما فيه والرغبة عن الشيء قبض الرغبة فيه والترغيب الدعاء

إلى الرقية في الشيء والانتهاه الاستناع من القمل المعني عنه يقال نهاه عن الأمر فأتته وأصله النهاية والمعنى زجر
عن الخروج من النهاية المذكورة والتناهي بلوغ نهاية الحد والرجم الرمي بالحجارة والرجم الشتم وأصله من الرجم
والرجم هو الحجارة والملي الدهر الطويل قال القراء يقال كفت عند تامله وموله وموله وقوله ملاه وكفه من طول المقام
والخفي المستخفي في السؤال والخفي الخفي بموم التهمة وأصل الباب الاستقصاء تقول تخفيت به أي بالفت في
أكرامه وحقوقه من كل خير بالفت في منعه وأخفيت شارني بالفت في أخذته حتى استأصلته وأخفيت في السؤال
بالفت وكل شيء استوصل فقد احتفي وتقول العرب جاءني لسان فلان أي مدحه وذمه قال عامر بن الحرث

إني أتيت لسان لا أسر بها من علو لأعجب منها ولا سفر

جاءت مرجعة قد كنت أحذرها لو كان ينفعني الاشفاق والحذر

الاعراب

قال الزجاج العرب تقول في النداء يا أبت ولا يقال قال أبتى كذا وقالت أمي كذا وزعم الخليل
وسيبويه أنها بمنزلة قولهم يا عمه ولا يقال وزعم أنه بمنزلة قولهم رجل رمة وغلان بنفسه وإن الباء عوض من باء
الاضافة في يا أبتى وباء أمي وقوله مليا منصوب على الظرف وكلا فعول جملة

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصص إبراهيم (ع) فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) أي القرآن (إبراهيم) إنه كان
صديقاً أي كثير التصديق في أمور الدين عن الجبائي وقيل صادقاً مبالغاً في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى عن
أبي سلم (نبيا) أي علياً رفيع الشأن رسالة الله تعالى (إذ قال لأبيه) أزر (يا أبت) أي يا أبتى ودخلت التاء
للمبالغة في تحقيق الإضافة (لم تعبد ما لا يسم) دعاء من يدعوه (ولا يعبر) من يتقرب إليه ويعبده (ولا
يغني عنك شيئاً) من أمور الدنيا أي لا يكفيك شيئاً فلا ينفعك ولا يضرك (يا أبت) أي قد جاءني من العلم
بالله والمعرفة (ما لم يأتك فأتيني) على ذلك واتخذني فيه (اهدك صراطاً سويًا) أي أوضح لك طريقاً مستقيماً
معتدلاً غير جائر بك من الحق إلى الضلال (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فيما يدعوك إليه
ف تكون بمنزلة من عبده ولا شبهة أن الكافر لا يعبد الشيطان ولكن من أطاع شيئاً فادعاه (إن الشيطان كان
لرحمن عصياً) أي حاسياً (يا أبت) أي أخاف أن يملك عذاب من الرحمن أي يصيبك عذاب من جهة الله سبحانه
لأصراك على الكفر (فكون للشيطان ولياً) أي فكون موكولاً إلى الشيطان وهو لا يفتني عنك شيئاً عن
الجبائي وقيل معناه فكون لاحقاً بالشيطان بالعين والغدلان واللاحق يسمى التالي والذي يتلو الشيء والذي
يليه سواء عن أبي سلم وقيل فكون له قريباً في النار وقيل معناه فيكون الشيطان ولي نصرتك ولم يقل
فيكون الشيطان وليك لأنه لا يبلغ شيء القضية وإنما أراد زجره عن موالاته الشيطان لا تحقيق البصرة بمعنى إذا
لم يكن لنا النصر فأتنا مغلول لا ناصر لك وقد يتنا فيما مضى أن الذي بقوله اصحابنا أن هذا الخطاب
من إبراهيم (ع) إنما توجه إلى من ساء الله أباه لأنه كان جناً لإبراهيم (ع) لأمه وإن أباه الذي ولده كان اسمه
تارخ لا إجماع الطائفة على أن أباه نبياً عليه السلام إلى آدم (ع) كلهم مسلمون موحدون ولما روي عنه عليه السلام
أنه قال لم يزل ينقلني الله تعالى من أصلاط الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالم كهذا والكافر
غير موصوف بالظهارة لقوله تعالى إنما للمشركون نفس (قال) أزر مجيئاً لإبراهيم (ع) حين دعاه إلى الإيمان
(أراغب أنت من آتني) أي أعرض أنت عن عبادة آتني التي هي الأصنام (يا إبراهيم) وتارك لها وزاهد
فيها (لئن لم تنته) أي لئن لم تنته عن هذا (لأرجنك) بالحجارة عن الحسن والجبائي وقيل لأرميتك بالذنب

والعجب واشتدك عن السدي وابن جريج وقيل معناه لأتخلك (واجر في مليا) اي فارقي دهرًا طويلا عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي وقيل مليا سويًا سليما عن عتقوني عن ابن عباس وعتادة وعطاء الضحاك من قولهم فلان ملي هذا الأمر اذا كان كلاما فيه مظلما به (قال) ابراهيم (سلام عليك) سلام توديع وهجر على الطفال الوجوه وهو سلام متاركة ومباعدة منه عن الجبائي والبي نسلم وقيل هذا سلام اكرام وير تقابل بمتوة ابيه بالبر تأدية لحق الاية اي هجرتك على وجه جميل من غير عقوب (سأستغفرك رب) قيل فيه اقوال ^١ احدها ^٢ انه قال سأستغفرك ربني بالاستغفار على مقتضى العقل ولم يكن بعد قد استغفر فرب الاستغفار للمشركين ^٣ وثانيها ^٤ انه قال سأستغفرك ربني على ما يصح ويحوز من ترك عبادة الاوثان واخلاص العبادة لله تعالى عن الجبائي ^٥ وثالثها ^٦ ان معناه سادعو الله ان لا يبدئك في الدين عن الأسم (انه كان بي حنيا) اي بارأ لطيفا رحبا عن ابن عباس ومقاتل وقيل ان الله عودني احسانه وكان لي مكروا وقيل كان علما بي وبما اجتبه من مجادلته لك بعد هديك (واعتز لكم وما تدعون من دون الله) اي وانتهى منكم جانبيا واعتزل عبادة ما تدعون من دونه من الاصنام (وادعوا) اي واعبد (ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا) كما شقيتم بدعاء الاصنام وانما ذكر عسى على وجه الخضوع وقيل معناه لعله يقل طاعتي وعبادتي ولا اشقي بالرد فان المؤمن من الرجاء والخوف (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) اي فارقه وهاجرهم الى الارض المقدسة (وهبنا له اسحاق) ولدا (يعقوب) ولد ولد (وكلا جعلنا نبياً) اي انسانا وحشته من فراقهم بالولاد كرام على الله وكلا من هذين جعلنا نبياً يقتدى به في الدين (وهبنا له من رحمتنا) اي هبنا سوي الاولاد والنبوة من نعم الدين والدنيا (وجعلناهم لسان صدق عليا) اي ثناء حسنا في الناس عليا مرتقا سائرا في الناس وكل اهل الاديان يتولون ابراهيم وذريته ويثنون عليهم ويدعون انهم على دينهم وقيل معناه واعلنا ذكركم بان محمدا ^٧ وآلته يذكرهم بالجميل الى قيام القيامة وقيل هو ما ينل سيرة الشهد كما صلت على ابراهيم وآل ابراهيم

قوله تعالى (٥١) واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا (٥٢) ونادىنا من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا (٥٣) وهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا (٥٤) واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا (٥٥) وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا خمس آيات

❦ القراءة ❦

قرأ اهل الكوفة مخلصا بفتح اللام والباقر مخلصا بكسرها

❦ الحجة ❦

من كسر اللام فحجته واخصلوا دينهم لله ومن فتحها فحجته انا اخصلناهم

❦ الفة ❦

يقال ناجاه بناجيه اذا اختص بكلام الفاء اليه واحل النجاة الارتفاع من الارض ومنه النجاة ايضا وهو الارتفاع عن الهلكة والنجاة السرعة لانه ارتفاع في السير ومنه النجاة لانه ارتفاع الحديث الى الحديث والنجاة بمعنى التامني كالجلس والنجيع وقيل نجي مصدر يعني ارتفاع لأن معنى قربناه وقضاه ويجوز ان يكون التقدير وقربناه مكانا رفيعا

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (موسى) انه كان مختلطا (اخلص العبادة لله تعالى واخلص نفسه لاداء الرسالة وفتح اللام يكون معناه اخلصه الله بالنبوة واختاره للرسالة) وكان رسولا الى فرعون وقومه (نبييا) رفيع الشأن عالي القدر (واديناه من جانب الطور الايمن) الطور جبل بالشام ناداه الله تعالى من جانبه اليمين وهي بين موسى وقيل من جانب اليمين من الطور يريد حيث اقبل من مدين ورأى النار في الشجرة وهو قوله يا موسى اني انا الله رب العالمين (وقريناه نبييا) اي متابيا كليما قال ابن عباس قرينه الله وكلمه ومعنى هذا التقريب انه اسمعه كلامه وقيل قرينه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التوراة وقيل قريناه اي ورفقنا منزله واعطينا محله حتى صار محله منا في الكرامة والمنزلة محل من قرينه مولاه في مجلس كرامته فهو تقريب كرامة واصطفا لا تقريب مسافة وادناه اذ هو سبحانه لا يورصف بالخلول في مكان يقرب من بعد او يبعد من قرب او يكون احد اقرب اليه من غيره (ووهبنا لمن رحمتنا اخاه هارون نبييا) اي اتصنا عليه باخيه هارون حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون وجعلناه نبييا اشر كننا في امره وشددنا به ازره (واذكر في الكتاب) الذي هو القرآن (اسمايل) بن ابراهيم ايضا (انه كان صادق الوعد) اذا وعد بشيء وفى به ولم يخلف (وكان) مع ذلك (رسولا نبييا) الى جرهم وقد مضى معناه قال ابن عباس انه واعد رجلا ان ينتظره في مكان ونسي الرجل فانتظره سنحتق اثم الرجل وذلك مروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل اقام ينتظره ثلاثة ايام عن مقاتل وقيل ان اسمايل بن ابراهيم (ع) مات قبل ابيه ابراهيم (ع) وان هذا هو اسمايل بن حزقيل بمته الله الى قومه فسلخوا جلدة وجهه وفروة رأسه فغيره الله فيها شاء من عذابه فاستغاث برضيه بشوابه وفرض امرهم الى الله تعالى في عقوبه وعقابه ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) ثم قال في آخره اثم ملك من ربه يقرئه السلام ويقول قد رأيت ما صنع بك وقد امرني بطاعتك فمعي يا شئت قتال يكون لي بالحسين (ع) أسوة (وكان يا امر اهل) اي قومه وحشرته وحشيرة وقيل امته من الحسن (بالصلاة والزكاة) وقيل انه كان يأمر اهل بصلاة الليل وصدة النهار (وكان) مع ذلك (مند ربه مرضيا) قد رضي اعماله لانها كلها طاعات لم تكن فيها بائع وقيل مرضيا معناه صالحا ذكيا مرضيا فحصل له عند المنزلة الطيبة

قوله تعالى (٥٦) واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبييا (٥٧) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَآئِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمُ آبَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجُودًا وَبُكِّيًّا (٥٩) فَخَلَفَ مِنْ بَدْمِهِمْ خَلْفٌ أَصَاعِرُ الصَّلَاةِ وَأَنْتَبَهُوا الشُّهُورَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٦٠) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا خمس آيات

﴿ الفة ﴾

العلي العظيم العلو والعلي العظيم فيها يقدر به على الامور ومنه يوصف الله تعالى بأنه علي والفرق بين العلي والرفيع ان العلي قد يكون بمعنى الاقدار وبمعنى علو المكان والرفيع من رفع المكان لا غير ولذلك قال يوصف الله تعالى بالرفيع ولما رفيع الدرجات فانه يوصف بالدرجات بالرفعة وبكفي وزنه يقول وهو جسيم بالك وبغيره ان يكون مصدرا بمعنى البكاء والخلف بفتح اللام يستعمل في الصالح وبسكون اللام في الطالح وقد يستعمل لكل واحد

في الآخر قال ليد

ذهب الذين يعيش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجر

* الاعراب *

سجدا وبكيا نصب على الحال وتقديره خروا ساجدين وباكين قال الزجاج وهي حال مقدرة المعنى خروا
مقدرين السجود لان الانسان في حال خروده لا يكون ساجدا الا من تاب في موضع نصب اي فسوف يلقون العذاب
الا التائبين فيكون الاستثناء متصلا ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا من غير الاول ويكون المعنى لكن من
تاب وامن فاولئك يدخلون الجنة

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه حديث ادريس فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (ادريس) وهو
جد اب نوح (ع) واسمه في التوراة اخنوخ وقيل انه سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وهو اول من خط بالقلم
وكان خيالا واول من خاط الثياب وقيل ان الله تعالى علمه التنجيم والحساب وعلم الهياة وكان ذلك معجزة له
(انه كان صديقا نبيا) مرمناه (ورفضاه مكانا عليا) اي عاليا رفيعا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة من اتس
والي سيد الخلدري وكعب ومجاهد وقيل الى السماء السادسة من ابن عباس والضحاك قال مجاهد رفع ادريس (ع)
كما رفع عيسى (ع) وهو حي لم يمت وقال آخرون انه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وروي ذلك عن
ابي جعفر وقيل ان مناه ورفضاه محله ومرتبته بالرسالة كقوله تعالى ورفضاه لك ذكره ولم يرد به رفعة المكان
عن الحسن والسياتي والي مسلم ولا فصل سبحانه ذكر النبيين ووصف كلا منهم بمقتضى قصه جميعهم في المدح
والثناء فقال (اولئك) تقدم ذكرهم (الذين انعم الله عليهم) بالنبوة وقيل بالثواب وبسائر النعم الدينية
والدنيوية (من النبيين من ذرية ادم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل) اما فرق سبحانه
ذكر نبيهم مع ان كلهم كانوا من ذرية ادم (ع) لبيان مراتبهم في شرف النسب فكان لادريس شرف
القرب لادم لأنه جد نوح (ع) وكان ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنعم ولد سام بن نوح وكان اساميل
واسحاق ويعقوب من ذرية ابراهيم لا تباعدوا من ادم حصل لهم شرف ابراهيم وكان موسى وهارون وزكريا
ويحيى وعيسى من ذرية اسرائيل (ومن هدينا واجتبتنا) قيل انه تم الكلام عند قوله اسرائيل ثم ابتداء فقال
ومن هدينا واجتبتنا من الامم قوم اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فحذف لدلالة الكلام
عليه من اني سلم وروى عن علي بن الحسين (ع) انه قال نحن هيتا بها وقيل بل المراد به الانبياء الذين تقدم ذكرهم
من ذرية ادم ومن هديناهم واجتبتناهم اي هديناهم الى الحق فاعتدوا واختارناهم من بين الخلق ثم وضعهم فقال (اذ اتتلى
عليهم) اي قرأ عليهم (آيات الرحمن) وهو القرآن عن ابن عباس (خروا سجدا) اي ساجدين لله (وبكيا) اي باكين
متضرعين اليه بين الله سبحانه انهم مع جلالة قدرهم كانوا يسيرون عند ذكر آيات الله وهموا بالصلاة ساهون
لا همون مع احاطة الشياطين بهم ثم اخبر سبحانه فقال (فخطف من بعدهم خلف) والخلف البدل السيئ مناهم من
بعد النبيين المذكورين قوم سوء وقيل هم اليهود ومن تبعهم لأنهم من ولد اسرائيل وقيل هم من هذه الامة
عند قيام الساعة عن مجاهد وتادة (اضاعوا الصلاة) تركوها عن محمد بن كعب وقيل اضاعوها بتأخيرها عن
مراقبتها عن غير تركها اصلا عن ابن مسعود وابراهيم وعمر بن عبد العزيز والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله (ع)
(واتبعوا الشهوات) اي انفذوا الشهوات فيما حرم الله عليهم فقال وهب فخطف من بعدهم خلف شرابون للشهوات
لما يرون بالكسب وكابون للشهوات متبعون لذات تاركون للجماعات مضيون للصلوات (فسوف يلقون غيا)
اي يلقون مجازاة التي عن الزواج وهذا كقوله ومن يفضل ذلك يلق اثاما اي مجازاة الآثام وقيل يلقون غيا

اي شرا وخيبة عن ابن عباس وابن زيد ومنه قول الشاعر «ومن ينو لا يعلم على النبي لائما» اي يحب وقيل النبي
واد في جهنم عن ابن مسعود وهما وكعب (الامن قاب) اي فلم على ما سلف (وامن) في مستقبل عمره
(وعمل صالحا) من الاجابات والمندوبات (قالتك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) ومن قرأ يدخلون بضم اليا.
وقبح الحاء اراد ان الله سبحانه يدخلهم الجنة بان يأمرهم بدخولها وهذا يطابق قوله ولا يظلمون ومن قرأ يدخلون
اراد انهم يدخلونها بأمر الله والحيان واحد ولا يبخسون شيئا من ثوابهم بل يوفيه الله اليهم على التمام والكمال
وفي هذا دلالة على ان الله لا يمنح احدا ثواب عمله ولا يبطئه لانه سبحانه سمي ذلك ظلما

قوله تعالى (٦١) جَنَّاتُ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا
(٦٢) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَأْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا (٦٣) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي
نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًا (٦٤) وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا يَنْ أَيْدِينَا وَمَا خَلَقْنَا
وَمَا يَنْ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًا (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ
وَأَطِيعْ أَمْرَهُ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًا

خمس آيات

❀ القراءة ❀

قرأ رويس بن يعقوب نورت بالتشديد والباقر نورت وفي بعض الروايات من أي عمرو هل تعلم يذهب
اللام في التاء. والأكثر الاظهار

❀ اللمعة ❀

يقال اورثه وورثه بمعنى قال ابو علي يرى سيبويه ان ادغام اللام في التاء. والدال والطاء. والصاد والزاي
والسين جائز لأن مخرج اللام قريب من مخرجهم وهي حروف طرف اللسان وانشدناهم القليلي
فقد ذا ولكن هتجين متيما
على ضوء برق آخر الليل ناصب

❀ الاعراب ❀

جنات مدن بالنصب على البدل من قوله الجنة وقوله بالتب في موضع الحال اي كائنة بالتب وذو الحال جنات
عدن وسلاما استثناء منقطع فكانه قال لا يسمعون فيها كلاما يؤلمهم ولكن يسمعون سلاما وما تنزل الا بأمر
ربك تقديره قل ما تنزل فاضر القول له ما بين ايدينا وما خلقنا وما بين ذلك قال ابو علي هذه الآية تدل على
ان الازمنة ثلاثة ماض وهو قوله ما بين ايدينا ومستقبل وهو قوله وما خلقنا وحال وهو قوله وما بين ذلك وما
كان ذلك ناسبا بساكنات الارض بدل من اسم كان وان شئت كان خبر مبتدأ محذوف وان شئت كان مبتدأ
وقوله فاعبدوه خبره وهذا على قول الاخفش دون سيبويه

❀ النزول ❀

قيل ان العاص بن وائل السهمي لم يسط اجرة اجير استعمله وقال لو كان ما يقول محمدا حقا فنحن اولي
بالجنة وتسميها فحينئذ اوفراجره فقل تلك الجنة التي نورت الآية وقيل احبس الوحي اياما لا تسئل النبي ﷺ
عن قصة اصحاب الكهف وذوي القرنين والروح فشق ذلك عليه فلما اتاه جبرائيل استبطاه فنزلت وما تنزل
الا بأمر ربك الآية عن صكرمة والضحاك وقاتدة والكلبي ومقاتل

= (المعنى) =

ثم وصف سبحانه الجنة فقال (جنات عدن) اي جنات اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ووجد في الآية

المقدمة وجمع هنا فكأنه جنة تشتمل على جنات وقيل لأن لكل واحد من المؤمنين جنة تجعلها الجنة العظمى (التي وعد الرحمن عباده بالتيب) المواجه للباد المومنون كما قال غادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل انه يتناول المؤمن والكافر ولكن بشرط رجوع الكافر عن كفره وقال بالتيب لأنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت ولا اذن سمعت عن ابن عباس والمعنى انه وعدهم امرا لم يكونوا يشاهدونه فصدقوه وهو غائب عنهم (انه كان وعده) اي موعوده (مأثريا) اي أثريا لا محالة والمقول هنا بمعنى القائل لأن ما أتتبه فقد أتاك وما أتاك فقد أتتبه يقال أتت على خمسين سنة وأتت على خمسون سنة وقيل إن الموعود هو الجنة والجنة مأثية بأثمة المؤمنين (لا يسمون فيها نفرا) اي لا يسمون في تلك الجنات القول الذي لا معنى له يستفاد وهو انه وقيل قد يكون اللغو الهزل وما يلقي من الكلام مثل القبح والاباطيل (إلا سلاما) اي إلا سلام اللاتسكة عليهم وسلام بعضهم على بعض قال الزجاج السلام إسم جامع لكل غير لا نه يتضمن السلامة اي يسمون ما يسلمهم (ولهم دزهم فيها بكورة وعشيا) قال المفسرون ليس في الجنة شمس ولا قمر فيكون لهم بكورة وعشيا والمراد انهم يوتون برزقهم على ما يعرفونه من مقدار الضياء واللبث وقيل كانت الحرب إذا أصاب احدهم اللداء والشاء اعجبت به وكانت تكره الوجبة وهي الأكلة الواحدة في اليوم فأخبر الله تعالى ان لهم في الجنة دزهم بكورة وعشيا على قدر ذلك الوقت وليس ثم ليل وإله هو ضوء ونور عن قتادة وقيل انهم يعرفون مقدار الليل باربعه الحبب وافلاك الاواب ومقدار النهار برفع الحبب وفتح الاواب (تلك الجنة التي) هي مذكورة في قوله فأولئك يدخلون الجنة التي (نورث من عبادنا) كان تقيا اي إله تلك الجنة من كان تقيا في دار الدنيا يدرك المعاصي وقيل الطاعات وإله قال نورث مع أنه ليس بتسليك نقل من غيرهم اليهم لأنه شبه بالبريات من جهة انه تسليك بحال استوفت من حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا عن الجاني وقيل إنه تعالى اودعهم من الجنة المساكن والمنازل التي كانت لأهل النار لو اطاعوا الله تعالى وأضاف العباد إلى نفسه لأنه أراد المؤمنين (وما ننزل إلا بأمر ربك) قال ابن عباس إن النبي ﷺ قال لجبرائيل ما منكم ان تزودا أكثر مما تزودنا فقل وما ننزل إلا بأمر ربك الآية اي إذا أمرنا ننزلنا عليك وهو قول مجاهد وقاتدة والضحاك وقيل انه قول أهل الجنة انا لا ننزل موعضا من الجنة إلا بأمر الله تعالى عن أبي مسلم (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا أي ما مضى من أمر الدنيا وما بين ذلك اي ما بين التفتحين عن ابن عباس وقاتدة والضحاك والربيع قال مقاتل وما بين التفتحين اربعون سنة وقيل معناه ابتداء خلقنا ومنتهى آجالنا ودية حياتنا وقيل ما بين أيدينا ما بقي من أمر الدنيا وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك اي حياتنا اي هو اللبث في الاوقات الماضية والآتية والذاهبة وقيل ما بين أيدينا اي الأرض عند نزولنا وما خلفنا السماوات إذ ننزلنا منها وما بين ذلك السماء والأرض (وما كان ربك نسيا) قيل هذا تلميح حكاية قول اللاتسكة وقول أهل الجنة وقيل بل تم الكلام قبله ثم أخبره سبحانه عن نفسه ومعناه انه سبحانه ليس ممن ينسى ويخرج من كونه عالما لأنه عالم لذاته وتقديره وما نسيك يا محمد وان اخر الوحي عنك وقيل ما كان ربك ناسيا لا يحدث في يوم القيامة عن أبي مسلم (رب السماوات والأرض) اي خالقهما ومديرهما (وما بينهما) من الحلائق والاشياء (فابعد) وحده لا شريك له (واصطبر لعبادته) اي اصبر على تحمل مشقة عبادته ثم قال لتبني ﷻ (هل تعلم لاسيا) اي مثلا وشبها عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وسعيد بن جبير وقيل هل تعلم احدا يستحق ان يسمى إله إلا هو عن الكلبي وقيل هل تعلم احدا يسمى إلهه خالقا وازقا محيا وميتا قادرا على الثواب والعقاب سواء حتى تصبه فإذ ما تعلم ذلك فآزم عبادته وهذا استفهام بمعنى النفي اي لا تعلم من يسمى بلفظة الله

قوله تعالى (٦٦) وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثْلَ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا (٦٧) أَوَلَا يَذْكُرُ

الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٨) فوريك لنحشرنهم والشیاطین ثم لنحصرنهم حول جهنم شيئا (٦٩) ثم لننزعن من كل شيعة أئمتهم أشد على الرحمن عتيا (٧٠) ثم لننعلنهم بالدين ثم أولى بها صلیا خمس آيات

﴿ القراءه ﴾

قرأ نافع وعاصم وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وسهل أولا يذكر خفيقا والباقرن أولا يذكر بالتشديد (الحجة)

قال ابو علي التذكر يراد به التدبر والتفكر وليس تذكرا عن نسيان والحققة كأنه في هذا المعنى أكثر فمن ذلك قوله ولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وقال إنسا يتذكر أولو الآلآب فأضافته إلى أولي الآلآب يدل على ان المراد به النظر والتفكر والحققة في هذا المعنى دون ذلك في الكثرة وقد قال الله تعالى إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره وزعموا انه في حرف ابي أولا يتذكروا ما قوله ولم يك شيئا فصنعه لم يك شيئا موجزا وليس يراد انه قبل الخلق لم يقع عليه اسم شيء وهذا كقوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقد قال ان نزلة السابعة شيء عظيم

(اللفظ)

الجنهي جمع الجاهي وهو الذي يركب على ركبته واصله جثرفول من جثي يحتر وقد تقدم القول فيه في أوائل السورة والشيعة الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الامور ومنه تشايح التهم إذا تعاونوا والصلي مصدر صلي يصلي صليا مثل قيا يصلي صليا مثل مضى مضيا

﴿ الإعراب ﴾

العامل في قوله إذا مات مضر دل عليه قوله سوف اخرج حيا والتقدير إذا ماتت بشت ولا يجوز ان يصل فيه اخرج لأن ما بعد اللام لا يصل فيا قبله كما انما بعد ان كذلك وما بعد الاستفهام وحرف النفي وقد ذكرنا ذلك في مواضع والشیاطین يشمل ان يكون منصوبا بأنه مفعول به اي ونحشر الشیاطین ويشمل ان يكون مفعولا معه بمعنى لنحشرنهم مع الشیاطین وجبا منصوب على الحال وعتيا منصوب على التمييز وكذلك صلیا فأما الرفع في أئمتهم أشد قال الزجاج فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ قال سيويوه عن يونس ان لنزعن معلقة قد تمعل شيئا فكان قول يونس ثم لنزعن من كل شيعة ثم استأنف فقال أئمتهم ﴿ والثاني ﴾ حكى سيويوه عن الحليل انه يعني الذين يقال لهم أئمتهم أشد على الرحمن شيئا ومثله قول الشاعر

ولقد آتيت من القناة بمنزل فأيت لا حرج ولا محروم

والمنى فأيت بمتة الذي يقال لا هو حرج ولا محروم ﴿ والثالث ﴾ قال سيويوه ان ايهم مبنية على الضم لأنها خالفت اخواتها بان استعمل معها حذف الابتداء تقول اضرب ايهم افضل تريد ايهم هو افضل فيحسن الاستعمال كذلك يحذف هو ولا يحسن اضرب من افضل حتى تقول من هو افضل ولا يحسن كل ما اطيب حتى تقول كل ما هو اطيب قال فلما خالفت من وما والذي لا تقول فيه ايضا خذ الذي افضل حتى تقول خذ الذي هو افضل فلما خالفت هذا الخلاف بنيت على الضم في الاضافة والنصب حسن وان كنت قد حذفته هو لأن هو قديجوز حذفها وقد قرئ تماما على الذي احسن على معنى الذي هو احسن قال ابو علي بيني ان يكون مراد يونس بقوله ان افضل معلق انه معمل في موضع من كل شيعة وليس يريد به انه غير معمل في شيء البتة بل يريد انه معمل

في موضع الجار والمجرور لأن لفظ التطبيق انما يستعمل قريبا يعمل في الموضع دون اللفظ ولو اراد انه لا عمل له في لفظ ولا موضع فقال ملقى ولم يقل ملقى كما تقول في زيد ظننت منطلق انه ملقى واذا كان كذلك كان قول الكسائي في الايقع قول يونس لأن الكسائي قال ان قوله لننزع من كل شيعة كقولك اكلت من طعام فلان كان كذلك كان ايهم متعلما من هذه الجملة وكانت جملة مستأنفة فلان قال قائل لم زعم سيويه انه اذا حذف العائد من الصلة وجب البناء على الضم فالجواب ان الصلة تبين الموصول وتوضعه كسان المضاف اليه بين المضاف ومحضه فكما ان المضاف اليه لا حذف بني المضاف فكذلك لا حذف العائد من الصلة الى الموصول هنا بقي فلان قال ما ينكر ان لا يكون حذف المبتدأ العائد من الصلة عرض حذف المضاف اليه من المضافات لأن المحذوف هنا بعض الجملة وفي المضاف قد حذف المضاف كله قيل ان حذف العائد هنا تظهير حذف المضاف اليه هناك الا ترى ان الذي يبين به الموصول ويتضح انما هو الرابع الذي في الجملة ولولا الرابع لم يبين واذا كان المبين له الرابع من الجملة فالحذف منها كان جزلة حذف المضاف اليه من المضاف

﴿ النزول ﴾

نزل قوله ويقول الانسان الآية في النبي ابن خلف الجسعي وذلك انه اخذ خطبا باليا فيصل يفته بيده ويقول في الريح ويقول زعم محمد ﷺ ان الله يبشنا بعد ان نموت ونكون ظمالم هذا ان هذا شيء لا يكون ابدا من الكلبي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة في رواية صلا عن ابن عباس

﴿ المعنى ﴾

لا تقدم ذكر الوعد والوعيد والبعث والنشور حتى سبحانه عقيب قول منكري البعث ورد عليهم بوضوح بيان واجلي برهان فقال (ويقول الانسان اإذا ما مت لسوف اخرج حيا) هذا استفهام المراد به الإنكار والاستهزاء اي اذا ما مت اعادني الله حيا فقال سبحانه معينا لهذا الكافر (أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل) اي أولا يذكر هذا الواحد حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الاعادة وقيل ان الانسان هنا مفرد في اللفظ مجسوم في المعنى يريد جميع منكري البعث (ولم يك شيئا) معناه ولم يك شيئا كانا او مذكورا « سؤال » قيل كيف تدل النشأة الأولى على النشأة الثانية والواحد منا يقدر على افعاله كالمركلت والسنكت والاصوات وغيرها ولا يقدر على اعادتها « والجواب » من وجوه ﴿ احدها ﴾ انه سبحانه خلق الاجسام والحياة فيها والبقاء جائز عليها فيجب ان يقدر على اعادتها بخلاف افعالنا فانها لا تبقى ولا يصح الاعادة عليها ﴿ والثاني ﴾ ان الابتداء اصعب من الاعادة فلذا كان قادرا على الابتداء فلان يكون قادرا على الاعادة الاولى ﴿ والثالث ﴾ انه سبحانه استدلل بخلق الاجسام على انه قادر لذاته اذ القادر بقدرته لا يصح متفصل الاجسام واذا كان قادرا لذاته ويقدر على ايجاد ما يصح وجوده وتبين قدرته على اعادته ثم حق سبحانه امر الاعادة فقال (فوبك) يا محمد لننشرهم والشياطين اى لنجسمهم ونبشئهم من قبورهم مقرنين باولياهم من الشياطين وقيل لنحشرهم وننشرهم للشياطين ايضا (ثم لنحشرهم حول جهنم جثا) اي مستوفزين على الركب من قتادة والمعنى يحشرون حول جهنم متخاصمين ويشربوا بعضهم من بعض لأن المحاسبة تكون بقرب جهنم وقيل جثا اي جاءت جماعات عن ابن عباس كأنه قيل زما وهو جمع جثة وجثة هي المجموع من التراب والحجارة وقيل معناه قياما على الركب وذلك لطيق المكان بهم لا يمكنهم ان يجلسوا من السدي (ثم لننزع من كل شيعة) اي لنشخرجهم من كل جماعة ((أيهم اشد على الرحمن شيئا) اي الاتقي فالأشقي منهم قال قتادة لننزع من كل اهل دين قادتهم وذؤوسهم في الشر والتي هاهنا مصدر كاشف وهو التردد في الصيان وقيل يبدأ بالأكثر جرما فالأكثر عن مجاهد والي الاحرص (ثم لنمن اعلم بالذين هم أولى بها صليا) اي لنمن اعلم بالذين هم أولى بشدة العذاب واحق بظليم العقاب واجد بآزوم النار

قوله تعالى (٧١) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَاوَدَهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧٢) ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ آمَنُوا وَنُدْرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٣) وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَيَّاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيِ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٤) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ثُمَّ أَحْسَنُ أَنَّا وَرَبِّيَا (٧٥) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا حَتَّى إِذَا ذُوقُوا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْفُ جُنْدًا خمس آيات

❦ القراءة ❦

قرأ الكسائي وروح وزيد عن يعقوب ثم نجبي بالتخفيف والباقر بن نجبي بالتشديد وقرأ ابن كثير مقاما بضم الميم والباقر بن قسبحا وقرأ أهل المدينة غير ورش وابن عامر والاعشى والبرجمي من أبي بكر وربا بنير هز مشددة أليا والباقر نورثيا مهزوز في الشواذ قراءة طلحة وربا خيفة بلا هز وقراءة سعيد بن جبيرة ذيل الزاي

❦ الحجة ❦

انجاء ينجيه ونجاء ينبيه بمعنى والمصدر واسم الموضع من باب يفعل بجيى على مفعل فالمقام يقتض الميم يصلح ان يكون مصدرا من قادر يقوم ويصلح ان يكون اسم الموضع والمقام المصدر والموضع من اقام يقيم فاما قول زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم

فانما هو على حذف المضاف اي اهل مقامات ومشاهد وروي من الاصمعي انه قال المجلس القوم وانشد « واستب بعدك يا كليب المجلس » قال ابو علي المجلس موضع الجلوس فالمعنى على اهل المجلس كما كان المعنى على اهل المقامات قال السكري المقامة المجلس والمقام المنزل وقوله خير مقاما من ضم الميم جعله اسما للشئ ومن فتح كان كذلك ايضا الا ترى ان الندي والثادي هما المجلس فمن ذلك قوله تعالى وتأتون في ناديتكم المنكر ويدل على ذلك قوله وكما اهلكنا قبلهم من قرنهم احسن اثنا وروثيا فأنسبه لا يبرأ به الحديث انما يبرأ به حسن الشارة والمجبة والنظر وهذا انما يكون في الاماكن واما قوله وروثيا قال ابو علي روثي فعل من رأيت فكان اسم لما ظهر وليس المصدر وانما المصدر الرأي والرؤية يدل على ذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين فالرأي الفعل والرأي المرتضى كالطعن والسقي والسقي والرعي ومن خفف الهزنة من وروثيا لزم ان يبدل منها أليا لانكسار ما قبلها كما يبدل من ذنب وبشر فلذا ابدل منها أليا وقت ساكنة قبل حرف مثله فلا بد من الادغام وليس يجوز انظهار الواو في نحو روثيا وروثية يعني اذا خفت الهزنة فيها لأن أليا في ربا قبل مثل وقعت في روثيا قبل ما يجري مجرى المقارب قال ابن جني من قرأ وروثيا مشددة فلو أنه فعل أما من رأيت وأما من رويت واصله وهو من الهزنة وروثيا كريا فخفت الهزنة وابدلت ياء وادغمت أليا الثانية ويجوز ان يكون من رويت لأن لرايان نظارة وحسنا فيتنق مناه ومعنى روثيا بالزاي وأصله على هذا زوي فأبدلت الواو ياء وادغمت في الياء وأما روبا مخففة فيحتمل ان يكون مقبولة من فعل إلى فلف فصار في التقدير روثيا ثم حذف الهزنة والفتحة حرهما على أليا قبلها فصار روبا ويحتمل ان يكون روبا من رويت ثم خفت بمحذف احدى الياءين فصار روبا وأما الزاي بالزاي ففعل من زويت اي جمعت ذلك وذلك انه لا يقال لمن له شيء واحد من آتة له ذي حق يكثر آتة المستحقة وانشد ابن دريد

أما جئتك العظائم يوم باتوا بذوي الزبي الجليل من الاثاث

❀ الثلثة ❀

الجنم القطم بالأمر والقسم والجزم والقطع بمعنى والندي والنادي المجلس الذي قد اجتمع فيه أهله ومنه دار الندوة وهي دار قصي بمكة وكثرا يجتمعون فيه للتشاور فينبأ به وقد نذرت القوم اتدوهم اذا جتمعهم في مجلس وأصل الندي انه مجلس أهل الندى وهو الكرم قال جاتم

ودعيت في اولى الندي ولم ينظر الي باعين خزو

والاثاث المتاع من الفرو والثياب التي تزين بها واحدا اثاثه وقيل لا واحد لها والري ما يراه الرجل من ظاهر احوال القوم وهو اسم للمرئي كالذبيح اسم للمذبح

❀ الاعراب ❀

وان منكم إلا واردها تقديره وما احداثيات منكم فأمد مبتدأ ومنكم صفة وواردها خبر وجشا منصوب على الحال مقاماً ونديا منصوبان على التمييز كم اهلكناكم نصب باهلكنا والتقدير كم قرنا اهلكنا من جملة القرون فضحفت الميز بدلالة الكلام عليه فليسد له الرحمن ما نقله لفظ الامر ومما خبر والتقدير فسد له الرحمن وما وباب الامر والخبر يتداخلان فكما ان قوله والمطلقات يتربصن تقديره فليتربصن فحصل لفظ الخبر بمعنى الأمر فكذلك ما هنا حصل لفظ الأمر بمعنى الخبر وقوله ما يرددون مقولوا وأما المذاب وأما السامة بدل من ما يرددون وقوله من هو شر مكانا تطبيق فلي هذا يكون هو فضلا والفضل بين كلمة الاستحمام وخبره عزيز فلاولى ان يكون من هنا بمعنى الذي وفي موضع نصب بيطمرون وهو شر مبتدأ وخبر والجملة صلة من

❀ المعنى ❀

ثم بين سبحانه لحوالمهم يوم العشر فقال (وإن منكم إلا واردها) اي ما منكم احد إلا واردةا والباء في واردةا ولحجة إلى جهنم واختلف العلماء في معنى الورد على قولين أحدهما أن ورودها هو الوصول اليها والإشراف عليها لا الدخول فيها وهو قول ابن مسعود والحسن وقنادة واختاره ابو مسلم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ولا وردما مدين وجد عليه أمة من الناس يستقون وقوله تعالى فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه وأنتك تقول وردت بلدكذا وما كذا اي اشرفت عليه دخلته أو لم تدخله وفي امثال العرب ان ترد الماء بئاء اكيسه وقال زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضمن عصي الحاضر المتخيم

أراد فلما بلغن الماء اقمين عليه قال الزجاج والحجة القاطمة في ذلك قوله سبحانه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فهذا يدل على ان أهل الحسنى لا يدخولونها قالوا فمما إنهم واردون حول جهنم للحسابه ويدل عليه قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جشياً ثم يدخل النار من هوأهلها وقال بعضهم مائة إنهم واردون عرصة القيامة التي تجمع كل بر وفاجر ❀ والاخر ❀ ان ورودها بمعنى دخولها بدلالة قوله تعالى فأوردتهم النار وقوله واتم لها واردون لو كان هؤلاء ألفة ما وردوها وهو قول ابن عباس زبائر واكثر المفسرين ويدل عليه قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جشياً ولم يقل وندخل الظالمين وإنما يقال نذر ونترك الشيء الذي قد حصل في مكانه ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه للشركين خاصة ويكون قوله وإن منكم المراد به منهم كما قال سبحانه وسقامهم بهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم جزاء اي لهم وروي في الشواذ عن ابن عباس انه قرأ وإن منهم وقال الا تكونون انه خطاب لجميع الكافرين فلا يبقى بر ولا فاجر الا ويدخلها فيكون يراد وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً للكافرين قال السدي سألت مرة الهمداني عن هذه الآية فحدثني ان عبدالله بن مسعود حدثهم عن رسول الله ﷺ قال يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم

كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر القوس ثم كالراكب ثم كشذ الرجل ثم كمشيه وروى ابو صالح غالب ابن سليمان عن كثير بن زيد عن ابي سبيبة قال اختلفا في الورد فقال قوم لا يدخلها مومن وقال آخرون يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فقلت جابر بن عبد الله فسأته فأومى بإصبعه إلى أذنيه وقال صتان لم اكن سمعت رسول الله ﷺ يقول الورد والدخول لا يبقى ولا فاجر إلا يدخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان النار او قال لجهنم ضجيجا من بردها ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى مرفوعا عن يعلى بن مينة عن رسول الله ﷺ قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جزيا مؤمن فقد اطفأ نورك لمي وروى عن النبي ﷺ انه سئل عن معنى الآية فقال إن الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد ويجمع عليها الخلق ثم ينادي المتادي ان خذي اصحابك وذري اصحابي قال ﷺ فوالذي نفسي بيده لمي اعرف باصحابها من الوالدة بولدها وروى عن الحسن انه رأى رجلا يضحك فقال هل علمت انك وادد النار قال نعم قال وهل علمت انك خارج منها قال لا قال فيم هذا الضحك وكان الحسن لم ير ضاحكا قط حتى مات وقيل ان القائدة في ذلك ما روي في بعض الاخبار ان الله تعالى لا يدخل احدا الجنة حتى يظلمه على النار وما فيها من المذاب ليظلم تمام فضل الله عليه وكمال لطفه واحسانه اليه فيزداد لذلك فرحا وسرورا بالجنة وتيسرها ولا يدخل أحد النار حتى يظلمه على الجنة وما فيها من انواع النعيم والثواب ليكون ذلك زيادة عقوبة له حسرة على ما فاتته من الجنة ونعيمها وقال مجاهد الحسنى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا وادعها فبلى هذا من حسم من المؤمنين فقد وردوا وقد ورد في الخبر ان الحسنى من قبيح جهنم وروى ان رسول الله ﷺ عاد مرضا فقال ابشر ان الله عز وجل يقول الحسنى هي ناري اسلمها على عبيدي المؤمنين في الدنيا لتكون حظهم من النار وقوله (كان على ربك حملا مضفيا) اي كائنا وافيا لا محالة قد قضى بأنه يكون وطى كلمة وجوب فمعتها أوجب الله ذلك على نفسه وفيه دلالة على انه يجب عليه سبحانه أشياء من طريق الحكمة خلافا لما يذهب اليه أهل الجبر (ثم تنجي الذين اتقوا) الشرك وصدقوا عن ابن عباس (ونذر الظالمين) اي ونذر المشركين والكفار على حالهم (فيها) اي في جهنم (جثيا) اي يراكبين على ركبهم وقيل جماعات على ما مر تفسيره وقيل المراد بالظالمين كل ظالم وعاص ثم قال سبحانه (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات) ومعناه وإذا ينلى على الكافرين آياتنا المنزلة في القرآن ظاهرات الحجج والادلة يمكن تفهم معانيها (قال الذين كفروا الذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً) أي قال الذين جعلوا وحداية الله وكذبوا انبياءه الذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم وغرضهم الانكسار في الفريقين أي أنصف ام اتم خير منزلا ومسكنا اي موضع اقامة (واحسن ندبا) اي مجلسا وإنما تفاخروا بالمال وزينة الدنيا ولم يهتكروا سيف العاقبة وليسوا على الضمعة بأن من كان ذا مال في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة ثم نفهم سبحانه على فساد هذا الاعتقاد بأن قال (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثنا ورويا) قال ابن عباس الأثنا للمناع وزينة الدنيا والرياسة للنظر والمهنة والمال ان الله تعالى قد اهلك قبلهم أمما وجماعات كانوا اكثر اموالا واحسن منظرا منهم فأهلك اموالهم وانفس عليهم صورهم ولم تنفعهم أموالهم ولا جمالهم كذلك لا ينفع من هؤلاء وقيل ان المعنى بالآية النضر بين الحارث وذووه وكانوا يرجلون شعورهم ويلبسون خز ثيابهم ويفتخرون بشارتهم وهياهم على اصحاب النبي ﷺ ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل يا محمد لا من كان في الضلالة) عن الحق والسدول عن اتباعه (فليمد له الرحمن مدا) هذا لفظ امر معناه الخير وتأويله أن الله سبحانه جعل جزاء ضلالته ان يد له بأن يتركه فيها كما قال ونذرهم في طغيانهم يعمهون والان لفظ الامر يؤكدهم في الخبر فكان لكلمة يقول افضل ذلك وأمر قسي به فالتقى فليمش ما شاء وأضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه يبقيه في الدنيا اي فليمش ما شاء الله من السنين والاغوام فإنه لا يهضم طول عمره (حتى

إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب (أي عذاب الاستئصال) عن الأصم وقيل عذاب وقت البأس وقيل عذاب القبر وقيل عذاب السيف (وإما الساعة) أي القيامة وعذاب النار (فيصلون) حين يرون العذاب (من هو شر مكانا) أي أهم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم ومكان المؤمنين الجنة (وأضع جندا) أي يعلمون اجتدهم أضع أم جند أبي بكر رضي الله عنه والمسلمين وهذا رد لقولهم أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندباً

قوله تعالى (٧٦) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٧) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا أُؤْتِيتُ (٧٨) أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ ائْتَمَّ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عِمْدًا (٧٩) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٨٠) وَنُزِّلُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨١) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَيْسَ كُفُوُا لَهُمْ عِزًّا (٨٢) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبِعَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا سبع آيات

❖ القراءة ❖

قرأ حمز والقاسمي ولنا بضم الواو وسكون اللام في هذه السورة اربعة مواضع وفي الزخرف ان كان الرحمن ولدويع نوح ولده فهذه منه مواضع وقرأ أهل البصرة وابن كثير وخلف في سورة نوح بالضم فقط وقرأ الباقون بفتح الواو واللام في جميع القرآن

❖ الحجة ❖

قال القراء من امثال بني أسد «ولك من دمي عتيك» قال وكان معاذ الحرشي يقول لا يكون الولد إلا جمعا وهذا واحد يعني الذي في الخلل واتشد

فليت فلانا كان في بطن أمه وليت فلانا كان ولد حمار

قال ابو علي يجوز ان يكون جمعا كسدواسد ويجوز ان يكون واحدا فيكون ولد وولد كحزن وحزن وعرب وعرب فلا يكون كقول معاذ انه لا يكون إلا جمعا وما اتشد القراء من قوله «وليت فلانا كان ولد حمار» يدل على انه واحد ليس يجمع فهو مثل الفلك الذي يكون مرة جمعا ومرة واحدا

❖ الأعراب ❖

أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الموصول هو المفعول الأول لرأيت والاستفهام في موضع المفعول الثاني وهو قوله تعالى أطلع الغيب الآية قال الزجاج كلا زجر وردع وتنبه أي هذا مما يرتدع به وينبه على وجه الضلالة فيه وقال القراء يكون صلة لما بعدها كقولك كلا رب الكعبة وقال ابو حاتم جاءت في القرآن على وجهين يعني لا يكون ذلك وبمعنى الا التي تنبيه وجاءت في مواضع متوجسة على التأويلين ويدل على ذلك انها قد تكون مبتدأة مثل قوله علم الانسان ما لم يعلم ثم اجدا كلا إن الانسان ليطغى قال الاعشى

كلا زعمتم بأننا لا تقاتلكم انا لاثالككم با قومنا قتل

وقال ابو العباس لا يوقف على كلا لأنها جواب والفائدة تقع فيها بعدها وقيل يجوز الوقف عليه ومن مشكلات الوقف في القرآن الوقف على كلا وقد قسمه القرآن على اربعة اقسام ❖ أحدها ❖ ما يحسن الوقف عليه ويحسن الاجزاء به ❖ والثاني ❖ يحسن الوقف عليه ولا يحسن الاجزاء به ❖ والثالث ❖ يحسن الاجزاء به

ولا يحسن الوقف عليه ﴿والرابع﴾ لا يحسن الوقف عليه ولا الاجتهاد به وهو في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً وليس في النصف الأول شيء منه فأما القسم الأول وهو ما يحسن الوقف عليه والاجتهاد به فمشرقة مواضع قوله أم اتخذوا عند الرحمن عهداً كلا وقوله ليكنوا لهم عزا كلا وقوله تعالى لمي اعمل صالحاً فيما تركت كلا وقوله الذين الحقتهم به شركاء كلا وقوله ثم ينتجيه كلا وقوله ان يدخل جنة نعيم كلا وقوله ان أزيد كلا وقوله صفحا فمشرقة كلا وقوله وفيها عانن كلا وقوله إن ماله اخذه كلا فمن جعل كلا في هذه المواضع رداً للأول بمعنى لا ليس الأمر كذلك وقف عليه ومن جعله بمعنى ألا التي تقتضيه او بمعنى حفا اجداً به وهو يحتمل الوجهين في هذه المواضع ﴿وأما الثاني﴾ وهو ما يحسن الوقف عليه ولا يحسن الاجتهاد به فهو مضمان قوله فأخاف ان يقتلون قال كلا وقوله أنا لمدركون قال كلا ﴿وأما الثالث﴾ وهو ما يحسن الاجتهاد به ولا يحسن الوقف عليه فمشرقة عشر مواضع قوله كلا انها تذكرة كلا والقمر كلا إنه تذكرة كلا لا يقض ما أمره كلا بل تكذبون بالدين كلا إذا بلغت التراقي كلا لا وذر كلا بل يجيئون الساحلة كلا سيطلون كلا بل ران لي قلوبهم كلا إن كتاب الفجار كلا ان كتاب الايوار كلا إنهم عن ربهم كلا إذا دكت الارض دكا كلا إن الانسان ليطغى كلا لئن لم ينته كلا لا تطعه كلا سوف تملكون كلا لو تملكون يحسن الاجتهاد بكلا في هذه المواضع ولا يحسن الوقف عليه لأنه ليس بمعنى الرد للأول وقال بعضهم إنه يحسن الوقف على كلا في جميع القرآن لأنه بمعنى اتبه إلا في موضع واحد وهو قوله كلا والقمر لأنه موصول باليمين بمنزلة قوله اي وزني ﴿وأما الرابع﴾ فهو مضمان ثم كلا سيطلون ثم كلا سوف تملكون لا يحسن الوقف على ثم لأنه حرف عطف ولا على كلا لأن القاعدة فيما بعد هذين الحرفين

﴿القول﴾

روي في الصحيح عن غياث بن الارث قال كنت رجلاً غنياً وكان لي على الناس بن وائل دين فأتيته انتقاضه فقال لي لا اقيقك حتى تكفر محمد ﷺ فقلت ان اكفر به حتى تموت وتبث قال فاني لمجوس بعد الموت فسوف أقيقك دينك إذا رجعت إلى مال وولد قال فنزلت الآية أفرأيت الذي كثر بآياتنا

﴿المعنى﴾

ثم بين سبحانه حال المؤمن فقال سبحانه (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) قيل معناه ويزيد الله الذين اجتهدوا بالتقوى هدى بالتأسيخ عن مقاتل وقيل يزيدهم الهدى بالمعونة على طاعته والتوفيق لاجتهاد مرضاه وهو ما يفعله لهم من الدلالات وما يفعله بهم من اللطائف المقربة من الحسنة (والباتيات الصالحات خير عند ذلك ثواباً) فقدر تيسيره في سورة الكهف وجعلته ان الاعمال الصالحة التي يتبعها ثوابها وتنفع صاحبها في الدنيا والاخرة خير ثواباً من مقامات الكفارات التي يتشكرون بها كل الاختصار (وخير مردا) اي خير عاقبة ومضمة يقال هذا الشيء ارد عليك اي اقم واعرد عليك لأن العمل الصالح ذاهب عنه يتقدم له فيرده الله تعالى عليه يرد ثوابه اليه حتى يجده في نفسه (أفرأيت الذي كثر بآياتنا) أفرأيت كلمة تمجيب ومعناه أرايت هذا الكافر الذي كثر بأدلتنا من القرآن وغيره وهو الما من وائل عن ابن عباس ومجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عن الحسن وقيل هو عام فيمن له هذه الصفة عن ابني مسلم (وقال لا وتين مالا وولدا) استهزاء اي لا عطين مالا وولدا في الجنة عن الكلبي وقيل اعطي في الدنيا اي ان أقمت على دين أبائي وعيادة أمي اعطيت مالا وولدا (اطلع النيب) هذه همة الاستهزاء دخلت على همة الوصل فسقطت همة الوصل ومعناه اعلم النيب حتى يعلم انه في الجنة أم لا عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه انظر في الروح المحفوظ عن الكلبي وتأويله اشرف على علم النيب حتى علم انه سئوتموه مالا وولداً وأنه ان يث رزق مالا وولداً (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) اي اتخذ عند الله عهداً

بصل صالح قمعه عن قتادة وقيل معناه أم عهد الله إليه أنه يدخل الجنة عن الكلي وقيل معناه أم قال لآله إلا الله
فهرحه الله بها من ابن عباس (كلا) أي ليس الأمر على ما قال من أنه يؤتى المال والمولد ويجوز أن يكون المعنى
كلا أنه لم يطلع النبي ولم يتخذ عند الله عهداً (منكتب ما يقول) أي ستأمر الحفظة بأنثائه عليه لتجاذبه به في
الآخرة ونواقضه عليه (وقد له من المذاب مدا) أي نصل له بعض المذاب بالبعض ويزيد عذاباً فوق المذاب
فلا ينقطع عذابه أبداً وأكد التعليل بالمصدر كما يؤكد بالتكرير (وزنه ما يقول) أي ما عنده من المال والمولد
بإعلا كذا إياه وإبطال ملكه عن ابن عباس وحادثة وابن زيد (وبأيتنا فردا) أي يأتي الآخرة وحيدا بلا مال
ولا ولد ولا عدا ولا عهد (واتخذوا من دين الله آلهة) يعني أن هؤلاء الكفار الذين وصفهم واتخذوا آلهة أي
استأما عبدوها (ليكونوا لهم عزا) أي ليكونوا لهم شفاء في الآخرة عن القراء وهذا معنى قول ابن عباس
ليمتوهم مني وذلك أنهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمراد ليصبروا بهم إلى المز قال الله سبحانه (كلا) أي
ليس الأمر كما ظنوا بل صاروا بهم إلى الذل والعذاب (سيكفون عبادتهم) أي سيحجبون بن يكونوا
عبدوها ويتبرؤن منها لما يشاهدون من سوء عاقبة امرهم ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وقيل معناه أن
المعبودين سيكفون عبادتهم المشركين لما ويكذبونهم فيها كما قال حكاية عنهم تبرأنا إليكم كانوا إيانا يعبدون
عن الجبائي (ويكونون عليهم ضدا) قال الأخفش الضد يكون واحداً وجمعا كالرسول والعدو ومعناه ويكونون
عونا عليهم وإعداء لهم يتخاصمونهم ويكذبونهم وقيل ويكونون قرناء لهم في النار ويلعنونهم ويتبرؤن منهم عن
قتادة وقيل ويكونون أعداءهم يوم القيامة وكانوا في الدنيا أولياءهم عن القتيبي
قوله تعالى (٨٣) ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزفهم أزماً (٨٤) فلا
تعبث عليهم إنما نعد لهم عذاباً (٨٥) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً (٨٦) وتسوق
المجرمين إلى جهنم وزداً (٨٧) لا يملكون الشفاعة إلا من أذن عند الرحمن عهداً (٨٨)
وقالوا اتخذ الرحمن ولداً (٨٩) لقد حشمت شيئا إذأ (٩٠) نكاد أن نسأوات بفطرته منه
وتنشئ الأرض ونفخ العبال هذا (٩١) أن دعوا للرحمن ولداً (٩٢) وما ينبغي للرحمن
أن يتخذ ولداً عشر آيات

❦ القراءة ❦

في الشواذ رواية قتادة عن الحسن يشر الحقون ويساق للمجرمون قال فقلت انها بالنون يا أبا سعيد قال وهي
للمتقين إذأ وقراءة السلمي شيئاً أذا بنفع الحزمة وقرأ أبو جعفر وابن كثير وحسن تكاد بالياء ينظرون بالياء
وفتح الطاء مشددة وفي عسق مشهور أنافع والكسائي يكاد بالياء ينظرون في السورتين وقرأ أبو عمرو وداود بكر وهيرة
عن حسن ويعقوب تكاد بالياء ينظرون بالياء وكسر الطاء في السورتين وقرأ ابن عامر وحزم وتوخلت
ها هنا تكاد بالياء ينظرون بالنون مثل أبي عمرو في عسق تكاد بالياء ينظرون بالياء أيضا

— الحجة —

حجة من قرأ بعشر ويساق قوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم ذرا والأد بالفتح القوة قال « ففوت
عني شرة وإذا » فلي هذا يمكن أن يكون المعنى لقد حشمت شيئا إذا أي ذا قوة وإن شئت وصفته بالمصدر
كقولهم رجل عدل وضيع والافتقار مطاوعة الفطره يقال فطره فافطره والافتقار مطاوعة الفطره يقال فطرته
ففطره وكأنه اليق بهذا الموضع لا فيه من معنى المبالغة وتكرير الفعل وذهب أبو الحسن في معنى قوله تكاد

الساوات إلى ان معنى تكاد تريد وكذلك قال في قوله كذلك كدنا ليوسف اي أردنا له وأنشد

كأدت وكدت وتلك خير إرادة

لو عاد من ذكر الأصباة ماضى

وكذلك قوله في أكاد أخفيها أي اريد أخفيها وعل هذا غير غيره قول الاوه

فان تجمع اوتاد واعمدة

وما كن بقلوا الأمر الذي كادوا

اي ارادوا قال المعنى يردن لانهن يفتنن ولا يدنون من ذلك ولكن من محمن به اعظاما لقول المشر كين ولا يكون على من هم بالشئ ان يدنو منه ألا ترى ان رجلا لو أراد ان ينال السماء لم يدن من ذلك وقد كانت منه ارادة وقد قال بعض المتأولين في قوله تكاد الساوات يفتنن منه هذا مثل كانت العرب إذا سمعت كذبا أو منكرا تماطلته وعظفته بالثقل الذي عداه عليها فقالت كادت الأرض تنشق واظلم على ما بين السماء والأرض فلما افتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهل الاشياء واعظمها قال ابو علي وما يقرب من هذا قول الشاعر

ألم تر صدعا في السماء مينا

على ابن لبين الجرث بن هشام

وقول الآخر

واسبح بطن مكة مقشرا

كأن الأرض ليس بها هشام

وقال الآخر

لما أتني خبر أزيير تواضعت

سور المدينة والجبال الخشع

اللغة

الازعاج الى الأسم يقال ازه يأزه اذا وازيزا إذا مزه بالازعاج إلى امر من الأمور وازت القدر أزيوا إذا غلث ومنه الحديث انه كان يصلي وازيز جوفه كأنيز الرجل من البكاء واززت الشئ إلى الشئ ضممه اليه والوفد جمع وفد وقد يجتمع وفودا أيضا وقد ينفذ وفدا وأوفد على الشئ أشرف عليه والسوق الحث على البيع ساقه يسوقه سوقا ومنه الساق لاستمرار السير بها أو لآلئ القدم يسوقها ومنه السوق لأنه يساق بها البيع والشئ شيئا بعد شئ والورد الجماعة التي ترد الماء يقال ورد الماء يرد وردا والاد الأمر العظيم قال الرازي

قد أتني الأعداء مني نكرا

داهية دهايا إذا إمرأ

والانقطاع الانشقاق والتفتت الشقق والمذ المذم بشدة صوت

الأعراب

توزم جملة في موضع الحال ومفعول فند لهم محذوف والتقدير فند اعالمهم عدا ويوم فخر طرف قوله فند لهم ويجوز أن ينتصب بقوله لا يملكون الشفاعة أي لا يملكون في ذلك اليوم وفدا منصوب على الحال من الثنتين أي وافدين ووردا كذلك اي واردين إلا من اتخذ هو موصول وصلة في موضع رفع لأنه بدل من الواو في يملكون ويجوز ان يكون في محل النصب لأنه استثناء منقطع فإن من اتخذ عند الرحمن عهدا لا يكون من المجرمين وقوله تنشق الأرض جملة مسلوقة على الجملة التي قبلها وتقديره وتكاد الأرض تنشق والجبال تفر وهذا منصوب على المصدر في المعنى تقديره تفر خرورا وتهدها ويجوز أن يكون في موضع الحال وان دعوا مفعول له والتقدير لان دعوا أي لأجل ذلك

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (ألم تر) يا محمد (إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي خليا

ينعم وبين الشياطين إذا وسوسوا إليهم ودعهم إلى الضلال حتى اغرورهم ولم تغل بينهم وبينهم بالأولياء ولا باللعن وغير عن ذلك بالارسل على سبيل المجاز والتوسيم كما يقال لمن خلى بين الكلب وغيره ارسل كلبه عليه عن الجبائي وقيل معناه سلطناهم عليهم ويكون في معنى التخلية ايضا على ما ذكرناه (توهم أزا) أي تزعمهم أزعاجا من الطاعة إلى المصيبة عن ابن عباس وقيل تفريهم اغراء بالشر تقول امض امض في هذا الأمر حتى تقومهم في النار عن سعيد بن جبير (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) معناه فلتطلب تشكك يا محمد ولا تستعجل لهم العذاب فإن مدة عقابهم قليلة فإنما نعد لهم عدا (والذين وما دخل تحت الصد فكان قد قدوقيل معناه نعد انقاسهم في الدنيا فعي مدودة إلى الأجل الذي اجلناه لعذابهم عن ابن عباس وهذا من ابلغ الوعيد وقيل معناه نعد اعمالهم على ما ذكرناه قبل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي نجح فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه إلى الرحمن أي إلى جنته ودار كرامته ونودوا وجماعات عن الأخش وقيل ركبانا يؤتون يوق من ير مثلهما عليها رحائل الذهب وازمنها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضرها ابواب الجنة عن امير المؤمنين (ع) وابن عباس (وسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أي ونحت للمجرمين على المسير إلى جهنم عطاشا كالابل التي نرد عطاشا مشاة على ارجلهم عن ابن عباس والحسين وقطادة وسمى العطاشا وردا لأنهم يردون للبلب لئلا وقيل الورد التصيب أي هم نصيب جهنم من الفريقين والمؤمنون نصيب الجنة عن أبي مسلم (لا يلكون الشفاعة) أي لا يقدرون على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض لأصلك الشفاعة على وجهين (أحدهما) أن يشفع لغيره (والآخر) أن يشدعي الشفاعة من غيره لنفسه فبين سبحانه ان هؤلاء الكفار لا ينفذ شفاعة غيرهم فهم ولا شفاعة لهم لغيرهم ثم استثنى سبحانه فقال (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أي لا يملكون الشفاعة إلا هؤلاء وقيل لا يشفع إلا هؤلاء والعهد هو الإيمان والاتقاء بوحديّة الله تعالى وتصديق انبيائه وقيل هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن يتبرأ إلى الله من الجور والقوة ولا يرجو إلا الله عن ابن عباس وقيل معناه لا يشفع إلا من وعد له الرحمن بالخلق الشفاعة كالأنبياء والشهداء والعلماء والمؤمنين على ما ورد به الأخيار وقال علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن سليمان ابن جعفر (ع) عن أبي عبد الله (ع) عن أبيه عن أبيه (ع) قال قال رسول الله ﷺ لم يضمن وعيته عند الموت كان تقصا في مروته قيل يارسول الله وكيف يوصي الميت قال إذا حضرته وفاته واجتمع الناس إليه قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني أعهد اليك في دار الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وإن محمداً ﷺ عبدك ورسولك وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق وأن الدين كما وصفت وأن الإسلام كما شرعت وأن القول كأحدثت وأنزل القرآن كما أنزلت وانك انت الله الحق المبين يحزى الله ﷻ محمداً عنا خير البراءة وسما الله محمداً وآله بالسلام اللهم باعديني عند كربتي وباصحابي عند شدتي وبأولي نعمتي وإلهم آتاهي لا تحكي إلى نفسي طرفه عين فإنك ان تحكي إلى نفسي اقرب من الشر وأبعد من الخير وأنس في القبر وحشي وأجمل له عيدا يوم الفاك منشورا ثم يوصي بمباحته وتصديق هذه الوصية في سورة مريم في قوله لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فهذا عهد الميت والوصية حتى على كل مسلم وحق عليه أن يحفظ هذه الوصية ويعلمها وقال امير المؤمنين علي (ع) علمتها رسول الله ﷺ وقال علمتها جبرائيل (ع) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) هذا اخبار عن اليهود والنصارى ومشركي العرب فإن اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا جادا) هاهنا حذف تقديره قل لهم يا محمد لقد جئتم شيئا معكرا عظيما شنيعا فليحذف الياء وصل الفعل إليه فصبه (تكاد السموات ينفطرن منه) أي أودات السموات ان تنشق لعظم قريبهم اعظاما لتوابعهم معناه ان تنشق السموات بشي عظيم لمكانت تنشق من هذا (وتنشق الأرض)

أي وكادت الأرض تنشق (وتخر الجبال) أي كادت الجبال تسقط (هنا) أي كسرا شديدا عن ابن عباس وقيل ههنا عن عطا (ان دعوا الرحمن ولدا) أي لان دعوا الرحمن ولدا او من ان دعوا للرحمن ولدا أي بسبب دعوتهم او تسميتهم له ولدا (وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا) أي ما يصلح للرحمن ولا يليق به اتخاذ الولد وليس من صفته ذلك لأن اثبات الولد له يقتضي حدوثه وخروجه من صفة الإلهية واتخاذ الولد يدل على الحاجة تعالى عن ذلك وتقدس

قوله تعالى (٩٣) إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٤) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٥) وَكَلَّمَهُمْ بآيَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرَدًّا (٩٦) إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا

ست آيات

❦ الآية ❦

اللدة شدة المحسومة وفي التنزيل ألد الخصام أي أشد الخصام خصومة وجمع الألد لك قال الشاعر
 إن قمت الأشجار حزما وعزما
 وخصيما ألد ذا معلق
 أي شديد المحسومة والركز الصوت الخفي واصل الركز الحسن ومنه الركاز لانه يحس به مال من تقدم بالكشف عنه قال ذو الرمة

وقد نوجس ركزا من منابكها
 أو كان صاحب أرض أوبه للموم
 الأرض الرعدة والموم اليرمام واصل الاحساس الإدراك بالحاسة

❦ الاعراب ❦

كل مبتدأ ومن في موضع خبر والجار والمجرور من صله واتي الرحمن في موضع رفع خبر كل وهو مشاف إلى المفعول ووجد كلا على اللفظ وعبدًا في موضع الحال من الضمير من أقبل تحس منهم من أحد من الأولى ينطق بتحس والثانية مزيدة وهجوز أن يكون تقديره هل تحس احدا منهم ويكون منهم في موضع الصفة لاحد فلما قدم على الموصوف اتصبت على الحال

❦ المعنى ❦

ثم قال سبحانه (ان كل من في السماوات والأرض إلا آتة الرحمن عبدا) أي ما كل من في السماوات والأرض من الملائكة والانس والجن إلا ويأتي الله سبحانه عبدا علو كاخاضا ذليلا وظله قوله وكل أتوه داخرين والمعنى ان الخلق عبيده خلقهم وربهم وبرى عليهم حكمه واث عيسى وعزيرا والملائكة من جملة العبيد وسيف هذا دلالة على ان التوبة والعبودية لا يجتمعان وانه إذا ملك الإنسان ابنه عتق عليه (لقد احصاهم وعدهم عدا) أي علم قاصدهم واعداهم فكأن تسميته عبدا عدما إذ لا ينبغي عليه شي من احوالهم (وكلمهم آتية يوم القيامة فردا) أي كل واحد منهم يأتي المحشر والوضع الذي لا يملك الأمر فيه إلا الله فردا وحيدا فردا ليس له مال ولا ولد ولا ناصر مشغولا بنفسه لا يهيم هم غيره ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) قيل فيه أقوال ❦ أحدها ❦ انها خاصة في علي بن أبي طالب (ع) فام من موته إلا وفي قلبه حبة لبي (ع) عن ابن عباس وفي تفسير أبي حمزة الثمالي حديثي ابو جعفر الباقر (ع) قال

قال رسول الله ﷺ لعلي (ع) قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين ودا فقالها علي (ع) فنزلت هذه الآية وروي نحوه عن جابر بن عبد الله الانصاري **« والثاني »** انها علامة في جميع المؤمنين يجعل الله لهم المحبة والإلفة والمقعة في قلوب الصالحين قال هرم بن حبان ما اقبل عبد قتيله إلى الله إلا اقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقهم مودتهم ورحمتهم ومحبتهم وقال الربيع بن انس إن الله إذا أحب مؤمنا قال لجبرائيل اني احببت فلانا فأجبه فيجبه جبرائيل ثم يتأدى في السماء إلا ان الله أحب فلانا فأجبه فيجبه اهل السماء ثم يوضع له قبول في اهل الأرض فلي هذا يكون المعنى يجعلهم الله ويحبهم إلى الناس **« والثالث »** ان معناه يجعل الله لهم محبة في قلوب اعدائهم وعنائهم ليدخلوا في دينهم ويتزوا بهم **« الرابع »** يجعل بعضهم يحب بعضا فيكون كل واحد منهم عضدا لأخيه المؤمن ويكونون بندا واحدا على من خالفهم **« والخامس »** ان معناه يجعل لهم ودا في الآخرة فيحب بعضهم بعضا كمحبة الوالد لولده في ذلك اعظم السرور وأتم النعمة عن الجبائي ويؤيد القول الأول ما صح عن أمير المؤمنين (ع) انه قال لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان ينفضي ما اغضني ولو صبت الدنيا بجمليها على المتأفق على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضي فاقضى على لسان النبي الامي انه قال لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق ثم قال سبحانه لئله **« فلو ما يسانك »** أي يسرنا القرآن بأن ازلناه بلسانك وهي لغة العرب ليسهل عليهم معرفته ولو كان بلسان آخر ما عرفوه عن ابي مسلم وقيل معناه يسرناه قراءة القرآن على لسانك ومكانك من قراءته عن الجبائي (يتشرب به القاتنين) أي لتبشر بالقرآن الذين يلقون الشرك والكبائر أي تخبرهم بما تسرههم مما احسده الله لهم (وتتذره قوما لنا) أي شديدا في الخصومة عن ابن عباس يعني قريشا وقيل قوما ذوي جدل غاصمين عن قتادة ثم انذرهم سبحانه وخوفهم بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) أي قبل هؤلاء من قرن مكذبين للرسل وفيه تسلية لئله **« فلو ما يسانك »** والمعنى لا يهتك كبرهم وشقاقهم فإن وبال ذلك راجع اليهم وقد اهلكنا قبلهم من كان مثلهم (هل تحس منهم من احد) أي هل تبصر منهم احدا (أو تسمع له زكرا) أي صوتا عن ابن عباس وكتادة وقيل حسا عن ابن زيد والمعنى أنهم ذهبوا فلا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت وكانوا أكثر اموالا واعظم اجساما واشد خصاما من هؤلاء ظلم يشتم ذلك لما اردنا اهلاكهم فعكسهم هؤلاء الكفار حكم اولئك في انه لا يبقى منهم عين ولا اثر والحمد لله رب العالمين

تم الجزء السادس من كتاب مجمع البيان في علوم القرآن

فهرس المجلد الثالث من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو الجزء الخامس والسادس حسب تجزئة المصنف
وفيه تفسير سور التوبة ويونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل
والإسراء والكهف ومريم

صفحة	صفحة	﴿سورة التوبة﴾	صفحة
٢٢	٢٢	٢	٢
٢٣	٢٣	٣	٣
٢٤	٢٤	٤	٤
٢٥	٢٥	٥	٥
٢٦	٢٦	٦	٦
٢٧	٢٧	٧	٧
٢٨	٢٨	٨	٨
٢٩	٢٩	٩	٩
٣٠	٣٠	١٠	١٠
٣١	٣١	١١	١١
٣٢	٣٢	١٢	١٢
٣٣	٣٣	١٣	١٣
٣٤	٣٤	١٤	١٤
٣٥	٣٥	١٥	١٥
٣٦	٣٦	١٦	١٦
٣٧	٣٧	١٧	١٧
٣٨	٣٨	١٨	١٨
٣٩	٣٩	١٩	١٩
٤٠	٤٠	٢٠	٢٠
٤١	٤١	٢١	٢١
٤٢	٤٢	٢٢	٢٢
٤٣	٤٣	٢٣	٢٣
٤٤	٤٤	٢٤	٢٤
٤٥	٤٥	٢٥	٢٥
٤٦	٤٦	٢٦	٢٦
٤٧	٤٧	٢٧	٢٧
٤٨	٤٨	٢٨	٢٨
٤٩	٤٩	٢٩	٢٩
٥٠	٥٠	٣٠	٣٠
٥١	٥١	٣١	٣١
٥٢	٥٢	٣٢	٣٢
٥٣	٥٣	٣٣	٣٣
٥٤	٥٤	٣٤	٣٤
٥٥	٥٥	٣٥	٣٥
٥٦	٥٦	٣٦	٣٦
٥٧	٥٧	٣٧	٣٧
٥٨	٥٨	٣٨	٣٨
٥٩	٥٩	٣٩	٣٩
٦٠	٦٠	٤٠	٤٠
٦١	٦١	٤١	٤١
٦٢	٦٢	٤٢	٤٢
٦٣	٦٣	٤٣	٤٣
٦٤	٦٤	٤٤	٤٤
٦٥	٦٥	٤٥	٤٥
٦٦	٦٦	٤٦	٤٦
٦٧	٦٧	٤٧	٤٧
٦٨	٦٨	٤٨	٤٨
٦٩	٦٩	٤٩	٤٩
٧٠	٧٠	٥٠	٥٠
٧١	٧١	٥١	٥١
٧٢	٧٢	٥٢	٥٢
٧٣	٧٣	٥٣	٥٣
٧٤	٧٤	٥٤	٥٤
٧٥	٧٥	٥٥	٥٥
٧٦	٧٦	٥٦	٥٦
٧٧	٧٧	٥٧	٥٧
٧٨	٧٨	٥٨	٥٨
٧٩	٧٩	٥٩	٥٩
٨٠	٨٠	٦٠	٦٠
٨١	٨١	٦١	٦١
٨٢	٨٢	٦٢	٦٢
٨٣	٨٣	٦٣	٦٣
٨٤	٨٤	٦٤	٦٤
٨٥	٨٥	٦٥	٦٥
٨٦	٨٦	٦٦	٦٦
٨٧	٨٧	٦٧	٦٧
٨٨	٨٨	٦٨	٦٨
٨٩	٨٩	٦٩	٦٩
٩٠	٩٠	٧٠	٧٠
٩١	٩١	٧١	٧١
٩٢	٩٢	٧٢	٧٢
٩٣	٩٣	٧٣	٧٣
٩٤	٩٤	٧٤	٧٤
٩٥	٩٥	٧٥	٧٥
٩٦	٩٦	٧٦	٧٦
٩٧	٩٧	٧٧	٧٧
٩٨	٩٨	٧٨	٧٨
٩٩	٩٩	٧٩	٧٩
١٠٠	١٠٠	٨٠	٨٠
١٠١	١٠١	٨١	٨١
١٠٢	١٠٢	٨٢	٨٢
١٠٣	١٠٣	٨٣	٨٣
١٠٤	١٠٤	٨٤	٨٤
١٠٥	١٠٥	٨٥	٨٥
١٠٦	١٠٦	٨٦	٨٦
١٠٧	١٠٧	٨٧	٨٧
١٠٨	١٠٨	٨٨	٨٨
١٠٩	١٠٩	٨٩	٨٩
١١٠	١١٠	٩٠	٩٠
١١١	١١١	٩١	٩١
١١٢	١١٢	٩٢	٩٢
١١٣	١١٣	٩٣	٩٣
١١٤	١١٤	٩٤	٩٤
١١٥	١١٥	٩٥	٩٥
١١٦	١١٦	٩٦	٩٦
١١٧	١١٧	٩٧	٩٧
١١٨	١١٨	٩٨	٩٨
١١٩	١١٩	٩٩	٩٩
١٢٠	١٢٠	١٠٠	١٠٠
١٢١	١٢١	١٠١	١٠١
١٢٢	١٢٢	١٠٢	١٠٢
١٢٣	١٢٣	١٠٣	١٠٣
١٢٤	١٢٤	١٠٤	١٠٤
١٢٥	١٢٥	١٠٥	١٠٥
١٢٦	١٢٦	١٠٦	١٠٦
١٢٧	١٢٧	١٠٧	١٠٧
١٢٨	١٢٨	١٠٨	١٠٨
١٢٩	١٢٩	١٠٩	١٠٩
١٣٠	١٣٠	١١٠	١١٠
١٣١	١٣١	١١١	١١١
١٣٢	١٣٢	١١٢	١١٢
١٣٣	١٣٣	١١٣	١١٣
١٣٤	١٣٤	١١٤	١١٤
١٣٥	١٣٥	١١٥	١١٥
١٣٦	١٣٦	١١٦	١١٦
١٣٧	١٣٧	١١٧	١١٧
١٣٨	١٣٨	١١٨	١١٨
١٣٩	١٣٩	١١٩	١١٩
١٤٠	١٤٠	١٢٠	١٢٠
١٤١	١٤١	١٢١	١٢١
١٤٢	١٤٢	١٢٢	١٢٢
١٤٣	١٤٣	١٢٣	١٢٣
١٤٤	١٤٤	١٢٤	١٢٤
١٤٥	١٤٥	١٢٥	١٢٥
١٤٦	١٤٦	١٢٦	١٢٦
١٤٧	١٤٧	١٢٧	١٢٧
١٤٨	١٤٨	١٢٨	١٢٨
١٤٩	١٤٩	١٢٩	١٢٩
١٥٠	١٥٠	١٣٠	١٣٠
١٥١	١٥١	١٣١	١٣١
١٥٢	١٥٢	١٣٢	١٣٢
١٥٣	١٥٣	١٣٣	١٣٣
١٥٤	١٥٤	١٣٤	١٣٤
١٥٥	١٥٥	١٣٥	١٣٥
١٥٦	١٥٦	١٣٦	١٣٦
١٥٧	١٥٧	١٣٧	١٣٧
١٥٨	١٥٨	١٣٨	١٣٨
١٥٩	١٥٩	١٣٩	١٣٩
١٦٠	١٦٠	١٤٠	١٤٠
١٦١	١٦١	١٤١	١٤١
١٦٢	١٦٢	١٤٢	١٤٢
١٦٣	١٦٣	١٤٣	١٤٣
١٦٤	١٦٤	١٤٤	١٤٤
١٦٥	١٦٥	١٤٥	١٤٥
١٦٦	١٦٦	١٤٦	١٤٦
١٦٧	١٦٧	١٤٧	١٤٧
١٦٨	١٦٨	١٤٨	١٤٨
١٦٩	١٦٩	١٤٩	١٤٩
١٧٠	١٧٠	١٥٠	١٥٠
١٧١	١٧١	١٥١	١٥١
١٧٢	١٧٢	١٥٢	١٥٢
١٧٣	١٧٣	١٥٣	١٥٣
١٧٤	١٧٤	١٥٤	١٥٤
١٧٥	١٧٥	١٥٥	١٥٥
١٧٦	١٧٦	١٥٦	١٥٦
١٧٧	١٧٧	١٥٧	١٥٧
١٧٨	١٧٨	١٥٨	١٥٨
١٧٩	١٧٩	١٥٩	١٥٩
١٨٠	١٨٠	١٦٠	١٦٠
١٨١	١٨١	١٦١	١٦١
١٨٢	١٨٢	١٦٢	١٦٢
١٨٣	١٨٣	١٦٣	١٦٣
١٨٤	١٨٤	١٦٤	١٦٤
١٨٥	١٨٥	١٦٥	١٦٥
١٨٦	١٨٦	١٦٦	١٦٦
١٨٧	١٨٧	١٦٧	١٦٧
١٨٨	١٨٨	١٦٨	١٦٨
١٨٩	١٨٩	١٦٩	١٦٩
١٩٠	١٩٠	١٧٠	١٧٠
١٩١	١٩١	١٧١	١٧١
١٩٢	١٩٢	١٧٢	١٧٢
١٩٣	١٩٣	١٧٣	١٧٣
١٩٤	١٩٤	١٧٤	١٧٤
١٩٥	١٩٥	١٧٥	١٧٥
١٩٦	١٩٦	١٧٦	١٧٦
١٩٧	١٩٧	١٧٧	١٧٧
١٩٨	١٩٨	١٧٨	١٧٨
١٩٩	١٩٩	١٧٩	١٧٩
٢٠٠	٢٠٠	١٨٠	١٨٠
٢٠١	٢٠١	١٨١	١٨١
٢٠٢	٢٠٢	١٨٢	١٨٢
٢٠٣	٢٠٣	١٨٣	١٨٣
٢٠٤	٢٠٤	١٨٤	١٨٤
٢٠٥	٢٠٥	١٨٥	١٨٥
٢٠٦	٢٠٦	١٨٦	١٨٦
٢٠٧	٢٠٧	١٨٧	١٨٧
٢٠٨	٢٠٨	١٨٨	١٨٨
٢٠٩	٢٠٩	١٨٩	١٨٩
٢١٠	٢١٠	١٩٠	١٩٠
٢١١	٢١١	١٩١	١٩١
٢١٢	٢١٢	١٩٢	١٩٢
٢١٣	٢١٣	١٩٣	١٩٣
٢١٤	٢١٤	١٩٤	١٩٤
٢١٥	٢١٥	١٩٥	١٩٥
٢١٦	٢١٦	١٩٦	١٩٦
٢١٧	٢١٧	١٩٧	١٩٧
٢١٨	٢١٨	١٩٨	١٩٨
٢١٩	٢١٩	١٩٩	١٩٩
٢٢٠	٢٢٠	٢٠٠	٢٠٠
٢٢١	٢٢١	٢٠١	٢٠١
٢٢٢	٢٢٢	٢٠٢	٢٠٢
٢٢٣	٢٢٣	٢٠٣	٢٠٣
٢٢٤	٢٢٤	٢٠٤	٢٠٤
٢٢٥	٢٢٥	٢٠٥	٢٠٥
٢٢٦	٢٢٦	٢٠٦	٢٠٦
٢٢٧	٢٢٧	٢٠٧	٢٠٧
٢٢٨	٢٢٨	٢٠٨	٢٠٨
٢٢٩	٢٢٩	٢٠٩	٢٠٩
٢٣٠	٢٣٠	٢١٠	٢١٠
٢٣١	٢٣١	٢١١	٢١١
٢٣٢	٢٣٢	٢١٢	٢١٢
٢٣٣	٢٣٣	٢١٣	٢١٣
٢٣٤	٢٣٤	٢١٤	٢١٤
٢٣٥	٢٣٥	٢١٥	٢١٥
٢٣٦	٢٣٦	٢١٦	٢١٦
٢٣٧	٢٣٧	٢١٧	٢١٧
٢٣٨	٢٣٨	٢١٨	٢١٨
٢٣٩	٢٣٩	٢١٩	٢١٩
٢٤٠	٢٤٠	٢٢٠	٢٢٠
٢٤١	٢٤١	٢٢١	٢٢١
٢٤٢	٢٤٢	٢٢٢	٢٢٢
٢٤٣	٢٤٣	٢٢٣	٢٢٣
٢٤٤	٢٤٤	٢٢٤	٢٢٤
٢٤٥	٢٤٥	٢٢٥	٢٢٥
٢٤٦	٢٤٦	٢٢٦	٢٢٦
٢٤٧	٢٤٧	٢٢٧	٢٢٧
٢٤٨	٢٤٨	٢٢٨	٢٢٨
٢٤٩	٢٤٩	٢٢٩	٢٢٩
٢٥٠	٢٥٠	٢٣٠	٢٣٠
٢٥١	٢٥١	٢٣١	٢٣١
٢٥٢	٢٥٢	٢٣٢	٢٣٢
٢٥٣	٢٥٣	٢٣٣	٢٣٣
٢٥٤	٢٥٤	٢٣٤	٢٣٤
٢٥٥	٢٥٥	٢٣٥	٢٣٥
٢٥٦	٢٥٦	٢٣٦	٢٣٦
٢٥٧	٢٥٧	٢٣٧	٢٣٧
٢٥٨	٢٥٨	٢٣٨	٢٣٨
٢٥٩	٢٥٩	٢٣٩	٢٣٩
٢٦٠	٢٦٠	٢٤٠	٢٤٠
٢٦١	٢٦١	٢٤١	٢٤١
٢٦٢	٢٦٢	٢٤٢	٢٤٢
٢٦٣	٢٦٣	٢٤٣	٢٤٣
٢٦٤	٢٦٤	٢٤٤	٢٤٤
٢٦٥	٢٦٥	٢٤٥	٢٤٥
٢٦٦	٢٦٦	٢٤٦	٢٤٦
٢٦٧	٢٦٧	٢٤٧	٢٤٧
٢٦٨	٢٦٨	٢٤٨	٢٤٨
٢٦٩	٢٦٩	٢٤٩	٢٤٩
٢٧٠	٢٧٠	٢٥٠	٢٥٠
٢٧١	٢٧١	٢٥١	٢٥١
٢٧٢	٢٧٢	٢٥٢	٢٥٢
٢٧٣	٢٧٣	٢٥٣	٢٥٣
٢٧٤	٢٧٤	٢٥٤	٢٥٤
٢٧٥	٢٧٥	٢٥٥	٢٥٥
٢٧٦	٢٧٦	٢٥٦	٢٥٦
٢٧٧	٢٧٧	٢٥٧	٢٥٧
٢٧٨	٢٧٨	٢٥٨	٢٥

صفحة	صفحة	صفحة
١٢٢	١١	١٢
يوم يحشرهم كأن لم يلشوا	هو الذي أجل الشمس ضياء الى	الاعراب اشد كفرا ونفاقا الى
الى قوله وهم لا يظلمون	قوله لا يات قوم يتقون	قوله إن الله غفور رحيم
١١٩	١٢	١٣
ويقولون متى هذا الوعد الى	ان الذين لا يرجون لقاءا الى	والسابقون الاولون من المهاجرين
قوله يا كثرتم تكسبون	قوله ان الحمد لله رب العالمين	ومن حولكم من الاعراب
١١٥	١٣	١٤
ويستبشرونك الحق هو الى قوله	طوبى لعل الناس الشراستعالم	الى قوله إن الله غفور رحيم
هو يحيى ويعيت واليه ترجعون	الى قوله ما كانوا يعملون	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
١١٦	١٤	١٥
يا أيها الناس قد جاءكم موعظة	ولقد اهلكنا القرون من قبلكم	الى قوله فيبينكم ما كنتم تعملون
من ربكم الى قوله خير	الى قوله لننتظر كيف تعملون	وأخرون مرجون لأمر الله
ما يحضرون	ولوذا تتلى عليهم آياتنا بينات	والذين اتخذوا مسجدا ضرابا
١١٧	١٥	١٦
قل أرأيتم ما انزل الله لكم	الى قوله انه لا ينفع المجرمون	الى قوله والله عليم حكيم
وما تكون في شأن وما تأتوا	١٨	١٧
منه من قرآن	ويبدون من دون الله ما لا	إن الله اشترى من المؤمنين
١١٩	١٩	١٨
ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم	يضرمهم ولا يفسهم الى قوله	انفسهم الى قوله وبشر المؤمنين
الى قوله هو السميع العليم	الى معكم من المتطهرين	ما كان لدي والذين آمنوا الى
١٢١	١٩	١٩
ألا ان فمن في السماوات ومن	واذا انذنا الناس دحاة الى قوله	قوله إن ابراهيم لأوله حليم
في الأرض الى قوله بما كانوا	لنكون من الشاكرين	وما كان الله ليضل قوما الى
يكفرون	١٠٠	قوله من ولي ولا نصير
١٢٢	١٠١	٢٨
واقل عليهم يا نوح الى قوله	فلا اتجاهم اذا هم يبنون في	لقد تبى الله على النبي والمهاجرين
كيف كان حاوية المنذرين	الأرض بنو الحق	الى قوله ان الله هو التواب الرحيم
١٢٤	١٠٢	٢٩
ثم يمشا من بعده رسلا الى	انا مثل الحياة الدنيا كياه	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
قوله وما نحن لكاب يومئذ	انزلناه من السماء الى قوله	ما كان لأهل المدينة ومن حولهم
١٢٥	١٠٣	٣٠
وقال فرعون اتوني بكل	صراط مستقيم	الى قوله ما كانوا يعملون
ساحر عليم الى قوله ولو كره	١٠٣	٣١
المجرمون	الذين احسنوا الحسن الى قوله	وما كان المؤمنون ليقرؤوا كافة
١٢٦	١٠٤	٣٢
فيا من لموسي الاذرية من قومه	وهم نخشهم جميعا	الى قوله وهم كافرون
١٢٧	١٠٥	٣٣
وقال موسى يا قوم ان كنتم	هناك تبلو كل نفس ما أسلفت	أولايون انهم يفتقون الى قوله
الى قوله من القوم الكافرين	١٠٦	دعوتهم
وأوحينا الى موسى واخيه الى	قل من يرزقكم من السماء	فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله
١٢٨	١٠٧	إلا هو
قوله الذين لا يمدون	والارض الى قوله انهم لا يؤمنون	
١٣٠	١٠٨	
وجاوزنا بيني اسرائيل البحر	قل هل من شر كالكم الى	﴿سورة يونس﴾
الى قوله من آياتنا لما خلون	قوله عليهم يا يعطون	٨٧
١٣١	١٠٩	بسم الله الرحمن الرحيم
ولقد يرأنا بني اسرائيل مبوءا	وما كان هذا القرآن ان يفترى	الى قوله ان هذا ساحر مبین
صدق الى قوله حق يروا	الى قوله وديك اعلم بالمستدين	٨٨
الذاب الليم	وان كذبتك قتل في عملي الى	ان ربكم الذي خلق السماوات
	قوله انفسهم يظلمون	والارض الى قوله يا كثر يكفرون

صفحة	صفحة	صفحة
٢٣٤ ما تميدون من دونه إلا اساء سميتموها إلى قوله فلبث في السجن بضع سنين	٢٥٩ قالوا نأفقه لقلنا تركناه علينا قوله وأتوني بأهلكم اجمعين	٢٩٠ والذين ينقضون عهد الله قوله طوبى لم وحسن مأب
٢٣٥ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سنان إلى قوله إلا قليلا مما نأكلون	٢٦١ ولما فصلت العير قال ابوهم قوله انه هو الثنور الرحيم	٢٩٢ كذلك أرسلناك في امة إلى قوله ان الله لا يخلف الميعاد
٢٣٦ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد إلى قوله وفيه بصرون	٢٦٣ فلما دخلوا على يوسف أوى اليه ابويه إلى قوله وهم يكفرون	٢٩٤ ولقد استهزئ برسول من قبلك إلى قوله وما لهم من الله من وفاق
٢٣٩ وقال الملك إئتوني به إلى قوله إن ربي غفور رحيم	٢٦٦ وما أكثر الناس إلى قوله وم لا يشعرون	٢٩٥ مثل الجنة التي وعد المتقون إلى قوله اليه ادعوا واليه مأب
٢٤١ وقال الملك إئتوني به إلى قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون	٢٦٨ قل هذه سبيلي إلى قوله أفلا تعتقلون	٢٩٦ وكذلك أنزلناه حكاكاً عربيا ٢٩٧ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك إلى قوله فأنما عليك البلاغ وعلى الحساب
٢٤٤ وجاء اخو يوسف فدخلوا عليه ففرهم إلى قوله وأخاه المزللين	٢٦٩ حتى إذا استأيس الرسل إلى قوله لقوم يؤمنون	٢٩٩ أولم يروا أنا تأتي الأرض إلى قوله ومن عنده علم الكتاب
٢٤٥ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي إلى قوله لهم يرجعون	الجزء السادس ﴿ سورة الرعد ﴾	
٢٤٦ فلما رجسوا إلى ابيهم إلى قوله قال الله على ما تقول وكيل		
٢٤٨ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد إلى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون	٢٧٣ سورة الرعد آمل تلك آيات الكتاب إلى قوله بقاء ربكم توقنون	٣٠٢ أكر كتاب أنزلنا عليك إلى قوله أولئك في ضلال بعيد
٢٥٠ ولما دخلوا على يوسف فمد يده وفوق كل ذي علم عليم	٢٧٤ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا	٣٠٣ وما أرسلنا من رسول إلى قوله بلاء من ربكم عظيم
٢٥٣ قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل إلى قوله وهو خير المالكين	٢٧٥ وفي الأرض قطع متجاورات ٢٧٦ وإن تمجب فمجب قولهم إلى قوله ولكل قوم هاد	٣٠٤ وإذا تأذن ربكم إلى قوله فأتونا بسلطان مبين
٢٥٥ ارجعوا إلى ابيكم	٢٧٩ الله يعلم ما تحمل كل انثى إلى قوله وما لهم من دونه من وال	٣٠٦ قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم إلى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون
٢٥٦ وسئل القرية التي كنا فيها إلى قوله إنه لا يأس من روح الله ولا القوم الكافرون	٢٨١ هو الذي يرسل البرق إلى قوله بالقنود والأصاال	٣٠٧ وقال الذين كفروا لرسلم إلى قوله ذلك هو الضلال البعيد
٢٥٨ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مستأ وأهلنا الضر إلى قوله اذ انتم جاهلون	٢٨٤ قل من رب السواوات والأرض إلى قوله وهو الواحد القهار	٣٠٩ ألم تر أن الله خلق السواوات والأرض بالحق إلى قوله ما لنا من محيص
	٢٨٥ أنزل من السماء ماء للذين استجابوا لربهم	٣١٠ وقال الشيطان لما نضى الأمر إلى قوله وإن الظالمين لهم عقاب عليم
	٢٨٨ أفمن يعلم أنما أنزل إليك إلى قوله ضم عقي العاد	

صفحة	صفحة	صفحة
٤٢١ أو تلك الذين يدعون يبتغون إلى قوله إن غلب ربك كان مخدورا	٣٩٤ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً إلى قوله إنه كان عبداً شكوراً	(سورة بني إسرائيل)
٤٢٢ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها إلى قوله فما يزيدكم إلا طغياناً كبيراً	٣٩٧ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب إلى قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً	٤٠٠ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم إلى قوله وكل شيء فصلناه تفصيلاً
٤٢٤ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم إلى قوله جزاء موفورا	٤٠٢ أو كل إنسان أزمانه مثله في ما عتقه إلى قوله حتى نبث رسولا	٤٠٥ وإذا أردنا أن نهلك قرية إلى قوله فتفقد مذموماً غفلوا
٤٢٥ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ٤٢٧ ربك الذي يرزقكم الفلك إلى قوله أكرم علينا به تبعاً	٤٠٨ وقضى ربك أن لا تميدوا إلا إيماناً إلى قوله فإنه كان للأوابين غفورا	٤١٠ وآت ذا القربى حقه والمسكين إلى قوله إنه كان مبادء خيراً بصيراً
٤٢٨ ولقد كرمتنا بني آدم إلى قوله وأصل سبيلاً	٤١٢ ولا تقتلوا الولد كخشبة لملأق إلى قوله ذلك خيراً وأحسن تأويلاً	٤١٤ ولا تقف ما ليس لك به علم إلى قوله لتقولون قولا عظيماً
٤٣٠ وإن كادوا لينتنوك إلى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيراً	٤١٦ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا إلى قوله إنه كانت حليماً غفورا	٤١٨ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك إلى قوله فلا يستطيعون سبيلاً
٤٣٢ وإن كادوا ليفتنوك من الأرض إلى قوله ولا تجد لستاقويلاً	٤٤٠ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إلى قوله وكبره تكبيراً	٤١٩ وقالوا أرأنا كنا عظاماً ورفاتاً إلى قوله إن ليطمئنا ولا قليلاً
٤٣٣ أقم الصلاة لعلك الشمس إلى قوله إن الباطل كان زهوقاً	٤٤٢ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إلى قوله وكان الإنسان قتيورا	٤٢٠ وقيل لمبادي يقولوا التي هي إسحق إلى قوله وأتينا داود ذبورا
٤٣٥ وتنزل من القرآن ما هو شفاء إلى قوله فربكم أعلم بحسب	٤٤٣ ولقد آتينا موسى إلى قوله وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً	
٤٣٦ هو الهدى سبيلاً	٤٤٤ وقرأنا فرقتاه لترآه على الناس	
٤٣٦ وسألوك عن الروح إلى قوله الأكفورا	٤٤٥ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إلى قوله وكبره تكبيراً	
٤٣٨ وقالوا لن يؤمن لك إلى قوله من السماء ملكاً رسولاً		
٤٤٢ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إلى قوله وكان الإنسان قتيورا		
٤٤٣ ولقد آتينا موسى إلى قوله وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً		
٤٤٤ وقرأنا فرقتاه لترآه على الناس		
٤٤٥ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إلى قوله وكبره تكبيراً		

﴿سورة الكهف﴾

٤٤٨ الحمد لله الذي أنزل على عبده
الكتاب إلى قوله إن لم يؤمنوا
بهذا الحديث أسفاً
٤٥٠ أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها
إلى قوله أحصى لما لبثوا أمداً
٤٥٣ نحن نقص عليك بأهم الحق
إلى قوله ويهيئ لكم من
أمركم مرفقا
٤٥٤ وترى الشمس إذا طلعت إلى
قوله وللمت منهم رعباً
٤٥٦ وكذلك ينشأ من لسان أولي ألبهم
إلى قوله ولن تغلوا إذا أبداً
٤٥٧ وكذلك أحشوا عليهم ليعلموا
إلى قوله منهم أحداً
٤٥٨ ولا تقولن لشيء إني
لأفعلن من دوني هذا رشداً
٤٦٢ ولبشوا في كهفهم إلى قوله ولن
تجد من دونه ملتحداً
٤٦٤ وأصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم إلى قوله شس الشراب
وسامت مرفقا
٤٦٦ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
إلى قوله وحسن مرفقا
٤٦٧ وأصبر لهم مثلاً رجلين إلى قوله
لأجدن خيراً منها مقلداً
٤٦٩ قال له صاحبه وهو يحاوره إلى
قوله هو خير ثواباً وخير عقاباً
٤٧٢ وأصبر لهم مثل الحياة الدنيا
إلى قوله ولا ينظلم ربك أحداً
٤٧٤ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

صفحة	صفحة	صفحة
٤٧٥ ما اشهدتهم خلق السماوات والأرض إلى قوله وجعلناهم	٤٩٧ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى قوله ولا يشرك به احد	٥١٥ واذا ذكر في الكتاب ابراهيم إلى قوله وجعلناهم لسان صدق عليا
٤٧٦ ورا المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها إلى قوله وما انذروا وما	٥٠٠ كويص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إلى قوله وابصطه رب رضى	٥١٧ واذا ذكر في الكتاب موسى إلى قوله عدد ربه مرصيا
٤٧٧ ومن اعظم من ذكر بآيات ربه	٥٠٣ يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى إلى قوله ان سيحوه بكر قوعشيا	٥١٨ واذا ذكر في الكتاب ادريس إلى قوله ولا يظلمون شيئا
٤٧٨ وربك القور ذوال رحمة إلى قوله وجعلنا لهم لهم موعدا	٥٠٥ يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله يوم يبعث حيا	٥٢٠ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده إلى قوله هل تعلم له سميا
٤٧٩ واذا قال موسى لئن انا لم اجد فارتدا على آثارهم اقصصا	٥٠٦ واذا ذكر في الكتاب عيسى إلى قوله فالتفتت من دونهم حجابا إلى قوله ولم اك بغيا	٥٢١ ويقول الانسان اذا ما مت
٤٨٢ فوجدنا عبدا ما نالي قوله لن تستطع معي صبرا	٥٠٧ قال كذلك قال ربك هو علي هين إلى قوله آتاني الكتاب وجعلني نبيا	٥٢٢ أولا يذكرا لانسان انا خلقناه إلى قوله هم أولى بها صليا
٤٨٤ قال ان سألتك عن شي بعدها إلى قوله تستطع عليه صبرا	٥٠٨ هين إلى قوله آتاني الكتاب وجعلني نبيا	٥٢٤ وان منكم الا واردها إلى قوله وأخضع جندا
٤٨٨ ويسألونك عن ذي القرنين إلى قوله فاتبع سبيا	٥١٢ وجعلني ميارا كابين ما كنت إلى قوله فانما يقول له كن فيكون	٥٢٧ أفأريت الذي كثر آياتنا إلى قوله ويكونون عليهم جندا
٤٨٩ حتى اذا بلغ مغرب الشمس إلى قوله فيعذبه عذابا نكيرا	٥١٤ وان الله ربي وربكم فاعبدوه إلى قوله والينا يرجعون	٥٢٩ ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين إلى قوله ان يتخذولدا
٤٩١ وأما من آمن وعمل صالحا إلى قوله وكان وعد ربي حقا		٥٣٢ ان كل من في السماوات والأرض إلى قوله او تسمع لهم ركزا
٤٩٥ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض إلى قوله ورسلي هزوا		

ملاحظة : أولا : ان الصفحة ٢١٥ قد ذكر رقمها خطأ ٢٠٥ فلتصحح

ثانيا : ان الصفحة ٢٦١ قد وضعت مكان الصفحة ٢٦٢ كما ان الصفحة

٢٦٢ قد وضعت مكان الصفحة ٢٦١ خطأ فليتب إلى ذلك التاري

Bibliotheca Alexandrina



0410590